هـذا الجزؤ الثالث من حاشية شيخ زاده
على
تفسير القاضى البيضاوى

شيخ زاده ـ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى محى الدين الحنفى المعروف بشيخ زاده المدرس الرومي توفى سنة ٩٥١ احدى و خمسين و تسعمائة له من الكتب الاخلاصية فى تفسير سورة الاخلاص. تعليقة على شرح الهداية لابن مكتوم. حاشية على انوار التنزيل للبيضاوى بمجلدات مطبوعة. حاشية اخرى على انوار التنزيل. شرح فرائض الراجية. شرح قصيدة البردة. شرح المشارق للصغانى. شرح مفتاح العلوم للسكاكى فى المعانى و البيان. شرح الوقاية فى مسائل الهداية.

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول ـ تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١١	١٣٦٩	١٩٩١



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين فانها مدنية نزلت في اليهود
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (الر فخمها) اى قرأ بفتح الرآء على التفخيم ابن كثير وقالون وحفص وقرأ بكسر الرآء على الامالة ابو عمرو وحمزة والكسائى وابن عامر وابو بكر وقرأ ورش بين الفتح والكسر واختلف القرآء في الحروف المقطعة التى في اوآئل السور اذا كان آخرها الفا مقصورة وهى را وطا وها ويا وحا هل تقرأ بالامالة او بالتفخيم فامال * را * من جميع سورها امالة محضة الكوفيون الا حفصا وابو عمرو وابن عامر وامال الاخوان وابو بكر * طا * من جميع سورها نحو طس وطسم وطه وامال ابو بكر وحمزة والكسائى * يا * من يس وكهيعص ووافقهم ابن عامر في امالة كهيعص دون يس وامال حمزة والكسائى وابو عمرو وورش وابو بكر * ها * من طه وكذلك امالها من كهيعص ابو عمرو والكسائى وابو بكر وابن ذكوان وامال ابو عمرو وورش وحمزة والكسائى وابو بكر وابن ذكوان * حا * من جميع آل حم (٧) السبع الا ان ابا عمرو وورشا يميلان بين بين والباقين يميلون امالة محضة وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام حم بفتح الحاء في جميع سورها وكلها الفات صحيحة على ان الاصل في هذه الكلمات ترك الامالة لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء ومن امالها فقد قصد بامالتها على انها اسماء لا حروف لانها اسماء للحروف المخصوصة وليست بحروف وقدمر ان في فواتح السور وجهين احدهما من جنس كلامهم او من جهة ورودها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ﴿قوله لاشتماله على الحكم﴾ على ان يكون الحكيم بمعنى ذى الحكم وقوله او لانه كلام حكيم على ان يكون وصف الكتاب بالحكيم من قبيل وصف الحكم بصفة من تكلم به على طريق الاسناد المجازى نحو نهاره صائم وليله قائم قال الاعشى

وغريبة تأتى الملوك حكيمة ❁ قد قلتها ليقال من ذا قالها ❁

اى قصيدة غريبة مدحت بها الملوك حكيمة ليتعجب الناس ويقولوا من ذا قالها والبيت يصلح شاهدا لكل واحد من الوجهين فان حكيمة يحتمل ان يكون بمعنى النسبة وان يكون من قبيل الاسناد المجازى ﴿قوله او محكم آياته﴾ على ان يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول ﴿قوله على ان الامر بالعكس﴾ اى على ان تكون النكرة المحضة اسم كان الناقصة والمعرفة خبرها على حد قوله يكون مزاجها عسل وماء ويحتمل ان يكون ارتفاع عجب مبنيا

﴿سورة يونس مكية وهى﴾
﴿مائة وتسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجرآء لالف الرآء مجرى المنقلبة عن الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها (أكان الناس عجبا) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه (ان اوحينا) وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب

واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزآءهم (الى رجل منهم) من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (ان انذر الناس) ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا (وبشر الذين آمنوا) عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ماينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار مايصح ان يبشروا به (ان لهم) بان لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ماهذا الا سحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى اصول الممكنات (فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة (مامن شفيع الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذلكم الله) اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لا غيره اذ لا يشاركه احد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (افلا تذكرون) تفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لاما تعبدونه

على ان كان تامة وان اوحينا بدل منه بدل اشتمال اى أحدث عجب لان اوحينا احدث وحى والظاهر ان يكون حينئذ متعلقا بعجب على حذف لام العلة اى احدث عجب لان اوحينا اويكون على حذف من اى من ان اوحينا ﴿قوله واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة﴾ اى امرا عجيبا يتعجب منه يعنى ان اللام فى للناس للبيان كما فى هيت لك اى هذا الخطاب لك وليس متعلقا بقوله عجبا على طريق المفعولية كما فى قولك عجبت لسعى زيد فى حاجتى لان معمول المصدر لا يتقدم عليه ﴿قوله من افناء رجالهم﴾ اى ممن لا يعرف بجاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من اسباب العز والجلال وليس المراد انه صلى الله عليه وسلم ليس من مشاهيرهم نسبا لان شرف نسبه عندهم اشهر من الشمس وافناء جمع فنى بوزن فتى او جمع فناء بوزن قباء وهو ناحية من الناس * الجوهرى فناء الدار ماامتد من جوانبها ويقال هو من افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو ﴿قوله او المخففة من الثقيلة﴾ فيكون اسمها ضمير الشأن المقدر والاصل انه انذر الناس ولما تقرر فى النحو ان الجملة الطلبية لا تقع خبر ضمير الشأن وجب ان يكون تقدير هذا الاصل ان الشأن قولنا ان انذر الناس على ان يكون القول المقدر مبتدأ وتكون الجملة الطلبية محكية به خبرا عنه ويكون خبر ضمير الشان جملة اسمية ﴿قوله عمم الانذار﴾ حيث جعل متعلقه مطلق الناس لان الانذار يعم الناس اى الكل ليرتدعوا عن فعل ما لا ينبغى من الصغائر والكبائر وترك الاولى بخلاف التبشير فانه لا يتعلق بالكفار اذ ليس لهم مايبشرون به ولم يذكر المنذر به للتعميم والتهويل وذكر المبشر به لتقوى رغبة المطيعين فيما يؤديهم اليه وقدم الانذار على التبشير لان التخلية مقدمة على التحلية وازالة ما لا ينبغى متقدمة فى الرتبة على فعل ماينبغى والمبشر به ماذكره بقوله تعالى ان لهم قدم صدق وحذف الباء من ان وان شائع كثير ﴿قوله سابقة﴾ يحتمل ان يكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة ويكون المراد بها تقديم الله تعالى يوم القيامة هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم * نحن الآخرون السابقون * وقال صلى الله عليه وسلم * الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها ومحرمة على الامم حتى تدخلها امتى * ويحتمل ان يكون اسم فاعل بمعنى السعادة السابقة فى القضاء الاول وهى المنازل الرفيعة الروحانية والجسمانية وماذكره فى بيان وجه اطلاق القدم على السابقة وهو قوله لان السبق بها يؤيد الاحتمال الاول وان كان القدم سببا للوصول الى المنازل السابقة كما انها سبب لنفس السبق ايضا ثم انه تعالى لما اجاب عن تعجب الكفار من الوحى والبعثة بقوله أكان للناس عجبا ان بعث خالق الخلق اليهم رسولا يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وينذرهم على الاعمال الفاسدة بالعقاب وكان هذا الجواب موقوفا على ثبوت امرين الاول ان يكون لهذا العالم اله قادر نافذ الحكم والتكليف والثانى ان يتحقق البعث بالحشر والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب اثبت الامر الاول بقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فانها لكونها امورا ممكنة فى ذواتها وصفاتها محتاجة الى ما يرجح جانب وجودها واختصاصها بفلك معين ووصف معلوم وذلك المرجح يجب ان يكون واجب الوجود لذاته متصفا بجميع نعوت الجلال والجمال منزها عن صفات العجز والنقصان واثبت الامر الثانى بقوله اليه مرجعكم جميعا * فان قيل قوله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام يقتضى ان يكون كونه تعالى خالقا السموات والارض فى ستة ايام امرا معلوما عند العرب وهم لا يعلمون ذلك فكيف يحسن هذا التعريف * فالجواب ان ذلك امر معلوم مشهور عند اليهود والنصارى والعرب كانوا يخالطونهم والظاهر انهم سمعوه منهم فلهذا السبب حسن هذا التعريف ﴿قوله فى ستة ايام﴾ اى فى مقدارها لان اليوم عبارة عن زمان مقدر مبتداه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف يكون يوم حين لا شمس ولا سماء ويحتمل ان يكون المراد بالايام الاوقات مطلقا كما فى قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اى وقتئذ واتفق المسلمون على ان فوق السموات جسما عظيما هو العرش المحيط بسائر الاجسام وقد يطلق العرش ويراد به الملك ويقال فلان على عرشه اى ملكه وقد يطلق على البناء كما فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اى بناؤه يدل على انه تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته ونفاذ مشيئته فان الخلائق يبنون بناءهم فى المواضع الصلبة البعيدة من الماء لئلا ينهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام على الماء كان فى غاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون اى يبنون والمشهور عند جمهور المفسرين ان المراد من العرش المذكور هو الجسم المحيط بالعالم وقالوا قوله تعالى ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارضين بدليل انه تعالى قال فى آية

(اليه مرجعكم جميعا) بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهو مادل عليه وعد الله (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدآء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بمايليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابدآء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قرآءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا (هو الذى جعل الشمس ضياء) اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) اى ذا نور او سمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل مابالذات ضوء ومابالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم (ما خلق الله ذلك الا بالحق) الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض) من انواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لايتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما ورآءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (واطمأنوا بها) وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذآئذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لايزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) (لايرجون) لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين

اخرى وكان عرشه على الماء يدل على ان وجود العرش سابق على تخليق السموات والارض ولا يتوهم ايضا من استوآئه على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ونزل لان ذلك مستحيل فى حقه تعالى لاتفاق المسلمين على انه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ وانه لايحتاج الى شئ مما سواه بل المراد من الاستوآء على العرش والله اعلم الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف وخص العرش بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات قال الشاعر

﴿ قد استوى بشر على العراق ﴿ من غير سيف ودم مهراق ﴾

وقوله تعالى يدبر الامر حال من استوى او مستأنف لامحل له وقيل المراد بالعرش البناء وقوله تعالى خلق السموات والارض اشارة الى تخليق ذواتها وقوله ثم استوى على العرش اشارة الى تسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لمصالحها وماخلقت هى لاجلها وغير ذلك من الامور الجيدة المعتبرة فى تعريشها وان قيل المراد بالعرش الملك يكون استوآؤه تعالى على الملك عبارة عن وجود الاحوال المتجددة فى ذوات السموات كدوران الكواكب والافلاك وحصول الفصول الاربعة والاحوال المختلفة بسبب دورانها ﴿ قوله مصدر مؤكد لنفسه ﴾ لكونه تأكيدا او تحقيقا لمضمون قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا ولا يحتمل تلك الجملة غير كونه وعدا بخلاف قوله جميعا فانه ايضا وان كان تأكيدا لمضمون تلك الجملة الا انها تحتمل غير الحقيقة ﴿ قوله ليجزى ﴾ متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزى ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى ليجزيهم متصفا بالقسط او من المفعول اى ملتبسا بالقسط وهو العدل واليه اشار المصنف بقوله بعدالته او بعدالتهم وعدم ظلمهم انفسهم بارتكاب المعاصى ﴿ قوله لكنه غير الاسلوب ﴾ حيث لم يورد الجملة الثانية على صورة تعليل الابدآء والاعادة بمجازاة الكفرة بشراب من حميم وعذاب اليم بل ابتدأ بقوله والذين كفروا اخبر عنه بالجملة التى بعده مستأنفة لبيان جزآئهم لكنه خلاف الظاهر ووجه ماذكره من التنبيه انه تعالى ادخل لام التعليل على العقاب والثالث انه لم يعين ثواب المؤمنين وعين عقاب الكافر واشار المصنف الى وجه كل واحد من وجوه التغيير ﴿ قوله ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا ﴾ عطف على قوله اى لانه اذ كر لقرآءة انه يبدأ الخلق بفتح الهمزة ثلاث تأويلات الاول ان تكون مبنية على حذف لام الجر والثانى ان يكون فى محل النصب بالفعل الذى نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه والثالث ان يكون فى محل الرفع بالفعل الذى نصب حقا اى حق حقا بدأ الخلق ثم اعادته ﴿ قوله اى ذات ضياء ﴾ قدر المضاف لان الشمس ليست نفس الكيفية التى تسمى ضوأ وكذا القمر ليس نفس النور ويحتمل ان يكون من باب تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما يقال فى الكريم انه كرم وجود كما اشار اليه بقوله او سمى نورا للمبالغة لكن الظاهر ان يقال اذ سمى بدل الواو وضياء مفعول ثان لجعل ان كان من الجعل بمعنى التصيير او حال من الشمس ان كان جعل بمعنى انشأ وخلق ﴿ قوله على القلب بتقديم اللام على العين ﴾ فوقعت الواو طرفا بعد الف زآئدة فقلبت همزة كما فى سائر وكساء ﴿ قوله وهو اعم من الضوء ﴾ فان النور اسم لاصل الكيفية الظاهرة فى نفسها المظهرة لغيرها والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية وقيل الضياء اقوى من النور لان الضوء مابالذات كالكيفية التى على الشمس والنور مابالعرض كالكيفية التى على وجه الارض ومابالذات اقوى ﴿ قوله اى قدر مسير كل واحد منهما منازل ﴾ فعلى هذا منازل منصوب على انه ظرف مكان وعلى الثانى يكون ذا منازل مفعولا ثانيا على تضمين قدره معنى صيره ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولرجوع ضمير قدره الى القمر خاصة فان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لابالشمس وانما يعرف بالشمس اوقات الصلاة والفصول الاربعة التى ينتظم بها مصالح هذا العالم ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر ولكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منزلة منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين وقرأ ابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يفصل بياء الغيبة جريا على اسم الله تعالى فى قوله ماخلق الله ذلك المذكور والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل ذكر هذه الدلائل اى الدلائل الباهرة واحدة عقيب اخرى مع الشروح والبيان ثم انه تعالى لما اقام الدلائل الدالة على صحة القول بثبوت الاله الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالحشر والمعاد بعده شرع فى شرح احوال من يكفر بها فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا الآية ثم شرح احوال من يؤمن فقال ان الذين آمنوا الآية ﴿ قوله واما لتغاير الفريقين ﴾ اى لايكون من باب عطف الصفات بل يكون الموصول الثانى معطوفا على اسم ان اى ان الذين

لا يرجون وان الذين واولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثانى والثانى وخبره خبر اولئك واولئك وخبره خبر الذين ﴿قوله ومفهوم الترتيب﴾ اى ترتيب الحكم على الموصول الذى صلته مجموع الايمان والعمل الصالح يفهم سببية المجموع ﴿قوله او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير﴾ وهو يهديهم بسبب ايمانهم لما يريدونه فى الجنة من المآكل والمشارب وغيرهما فان جريان الانهار من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة فى البساتين والرياض لا يقارن هدايتهم لما يريدونه فى الجنة ﴿قوله اى دعاؤهم﴾ يعنى ان الدعوى بمعنى الدعاء ويدل عليه اللهم فانه نداء فى معنى يا الله دعا يدعو دعاء ودعوى كما يقال شكا يشكو شكاية وشكوى وسبحانك هو المنادى له وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لا يجوز اظهاره واشار اليه المصنف بقوله اللهم انا نسبحك تسبيحا فلما حذف الفعل اضيف المصدر الى مفعوله لما وصف الله تعالى المؤمنين بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجاتهم وكراماتهم ومراتب سعاداتهم وهى اربع مراتب المرتبة الاولى قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الآية اى يهديهم بسبب ايمانهم الى سلوك ما يؤديهم الجنة او لعلم ما لم يعلموه من الحقائق او لما لا يرونه فى الجنة والمرتبة الثانية ما اشار اليه بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم والمراد ان اهل الجنة يشتغلون بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه لا من حيث انهم يلهمون اياه فينطقون به تلذذا وابتهاجا وسرورا به بناء على ان كمال حالهم لا يحصل الا به فان سعادة السعداء ونهاية درجات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء استسعادهم بمراتب معارف الجلال والارتقاء فيها ابدا ولا سيما انه تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم كما ذكر فى اول السورة فى قوله تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فاذا دخل اهل الجنة ووجدوا ما وعدلهم من ثلث النعم العظيمة وشاهدوا كونه تعالى صادقا فيما وعده بسبب ايمانهم فعند ذلك قالوا سبحانك اللهم اى نسبحك من الخلف فى الوعد والكذب فى القول والمرتبة الثالثة منها قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام وهو من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى وتحية بعضهم لبعض ومن اضافته الى المفعول ان كان المعنى وتحية الملائكة اياهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم او تحية الله تعالى اياهم كما قال سلام قولا من رب رحيم والمرتبة الرابعة وآخر دعواهم ان يقولوا الحمد لله رب العالمين قوله آخر دعواهم مبتدأ وان هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف والجملة بعدها فى محل الرفع على انها خبرلها وان مع اسمها وخبرها فى محل الرفع خبر المبتدأ الاول وقرئ ان الحمد لله بتشديد ان ونصب الحمد وهو يؤيد انها مخففة من الثقيلة فى قرآءة العامة ومعنى الآية ان اهل الجنة يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد ﴿قوله واثنوا عليه بصفات الاكرام﴾ وهى الصفات الاضافية واعلم ان معرفة ذات الله تعالى والاطلاع على كنه حقيقته مما لا سبيل للخلق اليه بل الغاية القصوى معرفة صفاته السلبية او صفاته الاضافية فهى المسماة بصفات الاكرام فلذلك كان كمال الذكر العالى متصورا عليه كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ولما كان غاية سعادة السعداء معرفته تعالى بصفات الجلال والاكرام ذكر الله تعالى كون اهل الجنة مواظبين على هذا الذكر المقدس الذى كانت الملائكة المقربون مشتغلين به قبل ان يخلق آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام الا ترى انهم قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلذلك الهم السعداء من اولاد آدم عليه الصلاة السلام حتى اتوا بهذا التسبيح فى اوّل صلاتهم بان قالوا عند تكبير الافتتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك واتوا بهذا الذكر بعينه بعد انقراض العالم فى دار الكرامة ﴿قوله وضع موضع تعجيله لهم بالخير﴾ يعنى ان المشبه بتعجيل الله تعالى لهم الشر هو تعجيله لهم الخير فعدل عنه الى ما عليه النظم وقد تقرر فى علم البلاغة ان كل مقام استحق ايراد لفظ لو عدل عنه الى لفظ آخر فلا بد ان يكون العدول لفائدة فلذلك ذكر المصنف العدول لفائدتين الاولى الاشعار بسرعة اجابته تعالى اياهم بحيث عجل لهم الخير كما استعجلوه حتى صار استعجالهم الخير حين تعجيل الله لهم الخير ذلك فلذلك عبر عنه باستعجالهم بالخير والفائدة الثانية الاشعار بان المراد من الشر المعتبر فى جانب المشبه هو الشر الذى استعجلوه فان اهل مكة كانوا يستعجلون الشر كما يستعجلون الخير حيث يقولون اللهم ان كان محمد صلى الله عليه وسلم حقا صادقا فيما ادعاه من النبوة فامطر علينا حجارة فكان اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حيث استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه بمعونة المقام قال الامام الذى يغلب على ظنى ان ابتداء هذه السورة فيه ذكر شبهات المنكرين للنبوة مع الجواب عنها الشبهة الاولى القوم تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم

والمراد بالاوّلين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعتداد له (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له (تجرى من تحتهم الانهار) استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله (فى جنات النعيم) خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى (دعواهم فيها) اى دعاؤهم (سبحانك اللهم) اللهم انا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم (فيها سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم (ان الحمد لله رب العالمين) اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر) ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم اجلهم) لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى

بالنبوة فازال الله تعالى ذلك التعجب بقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم يقيم على عبادى دلائل وحدانيتى وتفردى بالالوهية والربوبية والى سأعيدهم بعد الاماتة لاجازيهم على اعمالهم وابين المحسن والمسيء منهم ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد والشبهة الثانية للمنكرين انهم كانوا يقولون اللهم ان كان امر محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية وايضا اخبر الله تعالى فى آيات كثيرة ان هؤلاء المشركين متى خوّفوا بنزول العذاب فى الدنيا استعجلوا ذلك العذاب كقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء وكما قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين وكما قال يستعجل بها الذين لا يؤمنون وغير ذلك ثم انهم لما توعدوا بعذاب الآخرة فى هذه الآية وهو قوله اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون لعلهم استعجلوا ذلك العذاب كما قال تعالى فى هذه السورة بعد هذه الآية ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿قوله عطف على فعل محذوف﴾ يعنى ان الفاء فى قوله فنذر يستدعى معطوفا ولا يجوز ان يكون نذر معطوفا على قوله يعجل الله وقوله لقضى اذ لو كان كذلك لدخل فى الامتناع الذى يقتضيه كلمة لو وتركهم فى طغيانهم يعمهون لم يمتنع بل واقع فهو معطوف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية فان قوله تعالى ولو يعجل يتضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم اذ لا اصلاح فى اماتتهم واهلاكهم اذ ربما آمنوا بعد ذلك او ربما خرج من صلبهم من كان مؤمنا وذلك يقتضى ان لا يعاجلهم الله تعالى بايصال الشر اليهم المستلزم لاماتتهم واهلاكهم بناء على ان تركهم فى الدنيا لا يحتمل العقاب المتوعد به وسمى العذاب شرا فى هذه الآية لانه اذى فى حق المعاقب ومكروه عنده كما انه تعالى سماه سيئة فى قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة * قال الامام فى وجه الانتظام فى قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه عاقبله انه تعالى بين فى الآية الاولى انه لو انزل العذاب على العبد فى الدنيا لهلك ولقضى عليه فبين فى هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره من انه لو انزل عليه العذاب لمات والوجه الثانى فى وجه الانتظام انه تعالى حكى عنهم انهم يستعجلون فى نزول العذاب ثم بين فى هذه الآية انهم كاذبون فى ذلك الطلب والاستعجال لانه لو نزل بالانسان ادنى شئ يكرهه فانه يتضرع الى الله تعالى فى ازالته عنه ويدل على انه ليس صادقا فى هذا الاستعجال ﴿قوله تعالى لجنبه﴾ فى محل نصب على انه حال من فاعل دعانا ولذلك عطف عليه الحال الصريحة ﴿قوله او لاصناف المضار﴾ من الضر ما يغلب الانسان ويجعله صاحب فراش يضطر الى الاضطجاع ومنه ما يكون اخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما يمكن الانسان معه على القيام ﴿قوله كأنه لم يدعنا﴾ اى اعتبر ضمير الشان لان حق الحروف المشبهة الدخول على المبتدأ والخبر سواء اعملت او الغيت بالتخفيف فان التخفيف لا يبطل الا العمل وعلى هذا لا حاجة الى ضمير الشان فى قوله * كان ثدياه حقان * فالتمثيل به ليس الا لمجرد بطلان العمل بالتخفيف وانحصر الصدر والضمير فى ثدياه يرجع الى النحر وحقان تثنية حقة والاصل حقتان فحذفت التاء على خلاف القياس وخفف كأنّ فبطل عمله حيث روى ثدياه بالالف وروى ثدييه بالياء على انها عملت فى الظاهر وهو شاذ وقوله تعالى كأن لم يدعنا فى محل النصب على انه حال من فاعل مرّ اى مضى على طريقته مشبها من لم يدع الى كشف ضره ﴿قوله مثل ذلك التزيين﴾ اشارة الى ان الكاف من كذلك فى محل نصب على المصدر والمراد بالتزيين الاعراض عن الابتهال سمى الكافر مسرفا لانه مسرف فى امر دينه متجاوز الحد فى الغفلة عنه فانه لا شبهة فى ان المراد كما يكون مسرفا فى الانفاق فكذا يكون مسرفا فيما يتركه من واجب او يقدم عليه من قبيح اذا تجاوز الحد فيه فان من بذل ما انعم الله عليه به من الحواس والعقل والفهم لا لاكتساب السعادة الباقية الابدية فى تحصيل لذات الدنيا وطيباتها الخسيسة كان قد انفق اشياء عظيمة كثيرة لاجل ان يفوز باشياء حقيرة خسيسة توجب ان يكون من المسرفين ﴿قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا﴾ الظاهر انه معطوف على ظلموا كأنه قيل لما ظلموا واصرّوا على الكفر حقا بحيث لم يبق فائدة فى الامهال اهلكناهم فيكون السبب فى اهلاكهم مجموع هذين الامرين فان ظلمهم عبارة عن احداثهم التكذيب وما يتفرع عليه وهذا عبارة عن اصرارهم عليه بحيث لا فائدة فى امهالهم ﴿قوله استخلاف من يختبر﴾ اشارة الى جواب ما قال قوله تعالى لهذه الامة ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون يشعر بانه تعالى ما كان عالما باحوالهم قبل وجودهم وانه يحتاج فى العلم بها الى الاختبار والامتحان وهو محال * وتقرير

وقرئ لقضينا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا (واذا مس الانسان الضر دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) ملقيا لجنبه اى مضطجعا (او قاعدا او قائما) وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار (فلما كشفنا عنه ضره مر) مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال * ونحر مشرق اللون * كأن ثدياه حقان * (الى ضر مسه) الى كشف ضر (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يا اهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا (وما كانوا ليؤمنوا) وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم (نجزى القوم المجرمين) نجزى كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله

(الجواب)

الجواب ان المراد منه انه تعالى يقابل ويعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وفي الحديث ان الدنيا خضرة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وعن قتادة رضي الله عنه صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فأروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية المرتبة على استعارة تصريحية تبعية اما كونه من قبيل الاستعارة التمثيلية فظاهر لانه تعالى منزه عن حقيقة الاختبار لكونه شبه استخلافهم على الوجه المذكور بمعاملة من يختبر فاخرج على صورة كلام المختبر واما كونها مرتبة على استعارة تصريحية تبعية فلان النظر في اللغة عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته فلاشك انه مستحيل في حقه تعالى من وجوه فلابد ان يحمل النظر في حقه تعالى مجازا من العلم المحقق الذي لايتطرق اليه الشك والشبهة بان يشبه هذا العلم بنظر الناظر وادراك عين المرئي على سبيل المعاينة والمشاهدة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية فلما اشتق منه لفظ لينظر صارت هذه الاستعارة تبعا ﴿ قوله وفائدته ﴾ اى فائدة ايراد كيف اذ لايقال لينظر عملكم اخيرام شر مع انه اخصر منه الدلالة على ان العبرة في الجزاء بجهات الافعال فان كيف للسؤال من الحال فكأنه قال لينظر على اى حال تعملون ثم انه تعالى حكى عن المشركين نوعا ثالثا من كلماتهم التي ذكروها والطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم مع اجاب عنه وهو قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات الآية روى ان خمسة من الكفار كانوا يستهزؤن بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقتل الله تعالى كل رجل منهم بطريق كما قال انا كفيناك المستهزئين فهذه نزلت في حقهم وقوله تعالى لايرجون لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين للحشر والنشر ومنكرين لبعث القيامة ﴿ قوله بكتاب نقرؤه ليس فيه ما نستبعده ﴾ فسر ما اقترحوه بقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله على وجه لايرد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم اذا بدل هذا القرآن بغيره فقد اتى بقرآن غير هذا القرآن وكذا اذا اتى بغيره فقد بدله واذا كان كذلك كل واحد من هذين الامرين عين الآخر ومما يدل على ان كل واحد منهما نفس الآخر انه صلى الله عليه وسلم اقتصر في الجواب على استحالة احدهما وهو قوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وكون كل واحد منهما نفس الآخر ينافي ان يورد بينهما كلمة او الدالة على الترديد والتخيير ولما فسر الغيرية بعدم كون القرآن المقترح على ترتيب هذا القرآن المنزل ولا على نظمه وبكونه خاليا عما استبعدوه من امر البعث والجزاء وعما استكرهوه من ذم آلهتهم وتحقيرها وفسر التبديل بان يكون هذا القرآن المنزل باقيا على ترتيبه ونظمه لكن يوضع مكان الآيات الدالة على ما استبعدوه واستكرهوه آيات اخر موافقة لهواهم وطريقتهم ﴿ قوله ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه ﴾ كأنه جواب عما يقال كيف يصح من الكفار ان يقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يأتي من قبله تعالى بكتاب موافق لما يشتهونه وهم عقلاء جازمون باستحالته وكذا على سبيل الجد جازمون باستحالة ان يكذب نفسه ويأتي بما اقترحوه من قبل نفسه فيلزموه احد الامرين على طريق التخيير مع علمهم باستحالة كل واحد من الامرين طمعا منهم في ان يسعفهم اى يشأنه من قبل نفسه فيلزموه بان يقولوا قد تبين لنا انك كاذب في دعوى ان ما تقرأه علينا كلام الهي وكتاب سماوي اوحي اليك بواسطة الملك وانه منزل من عند نفسك وتفترى على الله كاذبا ويحتمل ان يقولوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء لا على سبيل الجد ﴿ قوله وهو مصدر ﴾ يعني ان التلقاء مصدر كالتقاء على وزن تفعال ولم يجئ مصدر بكسر التاء الا التلقاء والتبيان وقرئ شاذا بفتح التاء وهو قياس المصادر الدالة على التكرار كالتطواف والتجوال ويستعمل ظرف مكان بمعنى القبالة والتجاه ﴿ قوله لو شاء الله غير ذلك ﴾ اى لو شاء الله ان لاينزل القرآن على هذا النظم المتلو ما قرأته عليكم ولا انه اعلمكم الله به على هذا الوجه المعهود يقال دريت الشئ اى علمته وادريته غيرى اى اعلمته من الدراية بمعنى العلم روى عن سيبويه انه قال يقال دريته ودريت به ثم قال والاكثر هو الاستعمال بالباء والدليل عليه قوله تعالى ولا ادراكم به ولو كان على اللغة الاخرى ولا ادراكموه ﴿ قوله وقرئ ولا ادرأكم ﴾ بهمزة مفتوحة واسناد الفعل الى ضمير الغائب وهمزته اما مقلوبة من الالف والياء ان كان اصل من الدراية واما اصلية ان كان اصل من الدرء يقال درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا اى دافعا وقرئ ايضا ولا ادرأتكم به بهمزة ساكنة واسناد الفعل الى المتكلم وفيه وجهان ايضا احدهما ان يكون من الدراية ويكون اصله ولا ادريتكم قلبت الياء الفاءلى لغة من يقلب الياء الساكنة المفتوح ما قبلها الفا فان اهل تلك اللغة

وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني المشركين (ائت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا (او بدله) بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه (قل ما يكون لي) ما يصح لي (ان ابدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر (ان اتبع الا ما يوحى الي) تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب النقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال (اني اخاف ان عصيت ربي) اى بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله) غير ذلك (ما تلوته عليكم ولا ادراكم به) ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادراكم بلام التأكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأكم ولا ادرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال

والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لااتلوه ولااعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولاخطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ماهي عليه علم انه معلم به من الله تعالى (افلا تعقلون) اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد (او كذب بآياته) فكفر بها (انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر (ويقولون هؤلاء) الاوثان (شفعاؤنا عندالله) تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لايضر ولاينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده (قل أتنبئون الله) أتخبرونه (بمالا يعلم) وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده ومالا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما (فى السموات ولافى الارض) حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على ان ماتعبدون من دون الله اما سماوى واما ارضى ولاشئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لايليق ان يشرك به (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول النحل والروم بالتاء (وما كان الناس الا امة واحدة) موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل

(لم يصحبوا)

تقلب فيه التثنية الفا وتجعلها فى جميع الاحوال على لفظ واحد وتقول جاءنى الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان وتقول فى اعطيته وارضيته اعطاته وارضاته فصار ولا ادراتكم وبه قرأ الحسن ومن قلب الالف المبدلة من الياء همزة قرأ ولا ادرأتكم به ﴿قوله تعالى عمرا﴾ منتصب بظرف الزمان فانتصب انتصابه اى مدة ممتدة اوقدرها وهى اربعون سنة فانه صلى الله عليه وسلم لبث قبل الوحى اربعين سنة ثم اوحى اليه فاقام بمكة بعد الوحى ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية انى قد لبثت فيكم اربعين سنة لا احدثكم بشئ من القرآن ولا آتيكم به افلا تعقلون انه ليس من قبلى قال الامام انما اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم احد الامرين لاجل انهم اتهموه بانه هو الذى يأتى بهذا الكتاب من عند نفسه لامن جهة الوحى فدفع هذا الامر بانهم شاهدوه من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ماطالع كتابا ولاتعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاء بهذا الكتاب العظيم الذى عجز عن معارضته العلماء والفصحاء وكل من كان له عقل سليم فانه يعرف ان مثل هذا لايحصل الا بالوحى والالهام من الله تعالى وهذا خلاصة ماذكره المصنف ﴿قوله مما اضافوه اليه كناية﴾ اى احترازا مما اضافوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ائت بقرآن غير هذا من انه صلى الله عليه وسلم افترى على الله تعالى كذبا بنسبة القرآن العظيم اليه تعالى وزعموا انه صلى الله عليه وسلم انما يأتى بهذا القرآن من عند نفسه فانهم لما نسبوا هذا القرآن اليه صلى الله عليه وسلم وهو من عندالله افتراء على الله تعالى قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الآية فالمقصود من قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا نفى الكذب عن نفسه وكأنه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عندالله تعالى لما كان احد فى الدنيا اظلم على نفسه منى حيث افتريته على الله تعالى لكن الامر ليس كذلك لما مر من الدليل الباهر الدال على انه ليس الا وحى الهى لامن كلام من لبث فيكم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولاخطبة ﴿قوله او تظليم﴾ عطف على قوله تفاد ويجوز ان لايكون المقصود منه التبرى كما اضافوه اليه صلى الله عليه وسلم بل المقصود تظليمهم بنسبة الافتراء والكذب اليهم فكأنه قيل انى لاافترى على الله تعالى ولم اكذب عليه وانتم قد فعلتم ذلك حيث زعمتم ان لله شركاء وولدا وعبدتم الاوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عندالله تعالى ﴿قوله حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى﴾ اى لنفى مازعموا من ان له تعالى شركا وان هؤلاء شفعاء عنده فان المراد من نفى علم الله تعالى به تقرير نفيه فى نفسه فيكون التقييد بحال كونه فى السموات والارض مؤكدا بعدم تحققه فى نفسه والمعنى اتنبئون الله بالامر الذى لايعلمه الله كائنا فى السموات ولافى الارض ﴿قوله من اشراكهم﴾ على ان يكون كلمة ما مصدرية وقوله او من الشركاء على ان تكون بمعنى الذى ﴿قوله وقرأ حمزة الى قوله بالتاء﴾ اى فالخطاب والباقون بالغيبة واتى بيشركون مضارعا دون الماضى تنبيها على استمرار حالهم وعلى انهم على الشرك فى المستقبل كما كانوا عليه فى الماضى ثم انه تعالى لما ابطل القول بعبادة الاصنام وتوهم كونهم شفعاء عنده بين السبب بكيفية حدوث هذه المقالة الباطلة فقال وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فى انهم كانوا امة واحدة واختلفوا ثلاثة اقوال القول الاول انهم كانوا امة واحدة فى انهم خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا فى الاديان واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه والقول الثانى انهم كانوا امة واحدة بان كانوا جميعا على الدين الحق ثم اختلف القائلون فى هذا القول فى انهم متى كانوا كذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومجاهد كانوا على دين الاسلام فى عهد آدم عليه الصلاة والسلام وفى عهد ولده فاختلفوا عند قتل احد ابنيه الابن الثانى وقال قائل انهم ثبتوا على دين الاسلام الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام ثم اختلفوا على عهد نوح عليه الصلاة والسلام فبعث الله تعالى اليهم نوحا عليه الصلاة والسلام وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الى ان غيرالدين نمرود فاختلفوا فعلى هذا القول يكون المراد من الناس فى قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة ويكون انتظام هذه الآية بماقبلها انه تعالى بين فيها فساد القوم بعبادة الاصنام وبين فى هذه الآية ان هذا المذهب ليس مذهبا للعرب من اول الامر بل كانوا على دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وليس فيه عبادة الاصنام وانما حدث فيهم هذا المذهب بتسويل الشيطان واتباعه من الانام والغرض منه ان العرب اذا علموا ان هذا المذهب ما كان اصلا فيهم وانه حدث فيهم بعد ان لم يكن

(فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل اوبعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزآء (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) اى من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم ما انزل عليه من الآيات العظام واقترا حكم غيره (واذا اذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضرآء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر فى آياتنا) بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله (قل الله اسرع مكرا) منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزآء على المكر (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله (هو الذى يسيركم) يحملكم على السير ويمكنكم منه (٧) (فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) فى السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) بتلك الريح (جاءتها) جواب لاذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يجيئ الموج منه (وظنوا انهم احيط بهم) اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال

لم يتعصبوا النصرته ولم يتأذوا من تزييف هذا المذهب وابطاله والقول الثالث انهم كانوا امة واحدة فى الكفر فائدة ايراد هذا الكلام فى هذا المقام هو انه تعالى يبين لرسول صلى الله عليه وسلم انه لاتطمع فى ان كل من تدعوه الى الايمان والاسلام يكون مجيبا لك قائلا لبيك فان الناس كلهم كانوا على الكفر وانما حدث الاسلام فى بعضهم بعد ذلك فكيف تطمع فى اتفاق الكل على الايمان ﴿قوله فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل﴾ مبنى على ان المراد من كونهم امة واحدة كونهم مخلوقين على فطرة الاسلام او متفقين على ما هو الحق من الاديان فان من اتبع هواه فقد خالف من لم يضيع فطرته واتبع سبيل الرشاد وكذا من اتبع الاباطيل من الاديان فقد خالف من اتبع الدين الحق وقوله اوبعثة الرسل مبنى على ان يكون المراد به اتفاقهم على الضلال فى فترة الرسل ولما وقع الاختلاف بين الناس وناسب تعجيل الحكم بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك المبطلين وتخصيص المحقين او بتعذيب المصرين على الضلال واثابة المهتدين اجاب الله تعالى عنه بقوله ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم والجزآء الى يوم القيامة لتميز دار التكليف من دار الجزآء لقضى بينهم عاجلا وقوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه نوع رابع من مقالاتهم المتفرعة على انكار النبوة كان اهل مكة يقترحون شيأ سوى القرآن ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم مثل اليد والعصا وقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات بناء على ما زعم بعضهم من ان القرآن يمكن معارضته كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿قوله بجحودكم ما انزل عليه من الآيات العظام﴾ التى اعظمها واجلها القرآن العظيم وان ظهور مثل هذا الكتاب الشريف من مثل ذلك البشر الذى نشأ فيما بينهم ولبث فيهم اربعين سنة لم يطالع كتابا ولم يتلمذ الى استاذ ولم يتعلم حرفا ولم يصاحب عالما لايكون الا بالوحى ﴿قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة الآية﴾ جواب ثان من قول اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه وتقريره ان مشركى مكة عادتهم المكر واللجاج والعناد وعدم الانصاف لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانوآء والكواكب او الى الاصنام واذا كان كذلك فبتقدير ان يعطوا ما سألوا من انزال معجزات اخرى فانهم لايؤمنون بل يبقون على كفرهم وجهلهم وانما ينفع انزال الآيات عليهم ان لو كان غرضهم من اقتراحها تحقيق الحق وطلب اليقين وليس كذلك وليس غرضهم الا التعنت واللجاج فلو ظهر لهم جميع ما طلبوه من المعجزات القاهرة فانهم لايقبلونها والحيا المطر العام ويكنى به عن الخصب والانوآء جمع نوء وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى منزل منها ويسقط فى المغرب نجم واحد ويطلع رقيبه فى ساعة من المشرق فى مقابلة ذلك الساقط وهذا فى غير الجبهة فان لها اربعة عشر يوما فينقضى الجميع مع انقضاء السنة اى مع انقضاء ثلثمائة وخمسة وستين يوما يقال ناء ينوء نوأ اى نهض بجهد ومشقة وناء اى سقط وهو من الاضداد يقال ناء بالحمل اذا نهض به مستثقلا وانما سمى النجم نوأ لانه اذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء اى ينهض ويطلع وقيل انما سمى نوأ لسقوطه وغروبه قال ابو عبيدة لم يسمع فى النوء انه السقوط الا فى هذا الموضع وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعى الى الطالع فيقول فى سلطانه مطرنا بنوء كذا فلما انجاهم الله تعالى من القحط وامطرهم نسبوا الامر واضافوا ذلك الى الانوآء لا الى الله لئلا يشكروا الله ولايؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم فى آيات الله تعالى ﴿قوله قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم﴾ يعنى ان ما يأتيهم من العذاب اسرع فى اهلاكهم مما اتوا من المكر فى ابطال القرآن والنبوة روى عن مقاتل انه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم فى آياته بعقاب ذلك اليوم فكان اسرع فى اهلاكهم من كيدهم فى اهلاكهم له صلى الله عليه وسلم وابطال آياته ﴿قوله وانما دل على سرعتهم المفضل عليها﴾ جواب عما يقال كيف وصف الله تعالى نفسه بكونه اسرع مكرا مع انه لم يصفهم بسرعة المكر ولايعقل تفضيل بدون المفضل عليه وتقرير الجواب ان كلمة المفاجاة تدل على سرعة مكرهم كأنه قيل واذا رحمناهم من بعد ضرآء فاجأ وقوع المكر منهم وسارعوا قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضرآء ﴿قوله وهو من الله اما الاستدراج او الجزآء على المكر﴾ فهو على الاول استعارة وعلى الثانى مشاكلة ﴿قوله وعن يعقوب يمكرون بالياء﴾ اى بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل الله اذ التقدير قل لهم فناسب الخطاب لذلك ولما اوعدهم الله تعالى بقوله قل الله اسرع مكرا اوعدهم بعقاب الآخرة حيث قال ان رسلنا الآية ﴿قوله وقرأ ابن عامر ينشركم﴾ بفتح الياء وسكون النون من النشر وهو التفريق والبسط الذى هو ضد الطى وقرأ الباقون يسيركم من

(٧) (وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر) (نسخه)

لان دعاءهم من لوازم ظنهم (ان انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما انجاهم) اجابة لدعائهم (اذاهم يبغون فى الارض) فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز من تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق (ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم) فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم (متاع الحياة الدنيا) منفعة الحياة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) فى القيامة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها (وازينت) اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت (وظن اهلها انهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (اتاها امرنا) ضرب زرعها ما يجتاحه (ليلا او نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من اصله (كأن لم تغن) اى كأن لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبله

التسيير والتضعيف للتعدية يقال سار الرجل وسيرته انا ◦ فان قيل كيف جعل قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة غاية لقوله يسيركم فى البحر وغاية الشئ تكون بعده والحال ان السير فى البحر يكون بعد الكون فى الفلك ◦ قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله يحملكم على السير ويمكنكم منه ◦ واجاب عنه صاحب الكشاف بان الغاية ليس مجرد الكون فى الفلك بل الغاية هى الكون فى الفلك مع ما عطف عليه من قوله وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فان هذا المجموع بعد السير فى البحر وجرين يجوز ان يكون معطوفا على كنتم وان يكون حالا بتقدير ضمير جرين الفلك كانه جمع مكسر وان تغيره تقديرى بناء على ان ضمته كضمة اسد وبدن وضمة مفرده كضمة قفل وقرب والالتفات فى بهم للمبالغة والتقبيح ◦ الجوهرى عصفت الريح اى اشتدت فهى ريح عاصف وقوله يجئ الموج منه صفة مخصصة لكل مكان ﴿قوله وهو بدل من ظنوا﴾ لان دعاءهم ملابس لظنهم الهلاك ملابسة الملزوم ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا على انه جواب لمن قال ماذا كان عليهم وحالهم اذ ذاك فقيل دعوا الله واللام للقسم فى قوله لئن اى والله ان انجيتنا من هذه الريح العاصفة او من هذه الامواج المتلاطمة والشدائد الهائلة لنكونن من الشاكرين على نعمة الانجاء باتباع اوامرك والاجتناب عن مساخطك ولانكفر نعمتك بعبادة غيرك فان اخلاص الدين والطاعة لله تعالى عبارة عن ترك الشرك وان لايشركوا به شيأ من آلهتهم قيل هذا الاخلاص ليس سببا عن الايمان بل هو لاجل ان لاينجيهم من تلك الاهوال الا الله عز وجل فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرارى فانهم يدعون مع الله مايدعون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يتضرعوا الا الى الله على سبيل الاضطرار وقيل المراد بذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره ياحى ياقيوم ﴿قوله فاجأوا الفساد فيها﴾ يعنى ان البغى وان كان يطلق بمعنى الطلب فيقال بغاه اى طلبه لكن المراد به ههنا الفساد والتكذيب والجرأة على الله تعالى قيل معنى البغى قصد الاستعلاء بالظلم وقال الزجاج البغى الترقى فى الفساد ◦ الجوهرى البغى التعدى بغى الرجل على الرجل استطال وبغت السماء اشتد مطرها وبغى الوالى وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذى هو حد الشئ فهو بغى فان قيل فما معنى قوله تعالى بغير الحق والبغى لايكون بحق ◦ قلنا البغى بمعنى الفساد والافساد وابطال المنفعة قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة والبغى الذى لايكون بحق هو البغى بمعنى الظلم ﴿قوله مبطلين﴾ اشارة الى ان قوله بغير الحق حال بمعنى ملتبسين بغير الحق ثم انه تعالى بين ان هذا البغى امر باطل يجب على العاقل ان لايحوم حوله فقال ياأيها الناس انما بغيكم على انفسكم ﴿قوله فان وباله عليكم﴾ اى على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم خبر بغيكم بتقدير المضاف فى المسند اليه والانفس بمعنى الذوات وقوله او انه على امثالكم على ان يكون على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم وان يكون انفسكم بمعنى امثالكم وبعض منكم كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم وقوله ولا تلمزوا انفسكم والمعنى انما بغى بعضكم على بعض وما تنالون به امر تتمتعون به فى الحياة الدنيا فهو متاع فى الدنيا فعلى هذا يكون متاع الحياة الدنيا خبر بغيكم وعلى الاول يكون خبر مبتدأ محذوف وان نصب متاع الحياة باحد الوجوه المذكورة يكون الخبر هو على انفسكم ﴿قوله حالها العجيبة﴾ سميت الحال العجيبة مثلا تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة كما قال تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب هذا المثل لمن اغتر بالحياة الدنيا واعرض عن التأهب للآخرة قوله تعالى مما يأكل الناس حال من النبات اى كائنا مما يأكل وحتى كلمة غاية فلا بد لها من شئ معناه من شأنه ان يستمر ويمتد الى امر وهو الاختلاط ههنا كانه قيل اختلط نبات الارض الى ان يأتيها امرنا حين ما اخذت زخرفها وتزينت واخذت الارض زخرفها استعارة بالكناية شبهت الارض بالعروس واثبت لها مايلائم العروس وهو اخذ الزينة وهى قرينة الاستعارة بالكناية وازينت ترشيحها ﴿قوله وقرئ بالياء على الاصل﴾ لان الفعل مسند فى الاصل الى المضاف المقدر يقال غنى بالمكان اذا اقام به قال الليث يقال للشئ اذا فنى كأن لم يغن بالامس اى كان لم يكن وهو من باب علم وهذه الجملة يجوز ان تكون فى محل النصب على انها حال من مفعول جعلناها وان تكون مستأنفة لامحل لها من الاعراب جواب لسؤال مقدر ﴿قوله لانه من التشبيه المركب﴾ حيث شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة ونهايتها وسرعة انقضائها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الارض ونضارتها وانعدامها عقيبها دفعة بآفة سماوية ومشبه الهيئة كما فى قول الشاعر

◦ كأن مثار النقع فوق رؤسنا ◦ واسيافنا ليل تهاوت كواكبه ◦

(حيث)

حيث شبه الاصوآت الحاصلة من هوى اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة الاصوآت متفرقة فى جوانب شئ مظلم بليل سقطت كواكبه و الكاف فى كذلك صفة مصدر محذوف اى مثل هذا التفصيل الذى فصلناه فى الماضى تفصيل فى المستقبل ووجه ارتباط هذه الآيات انه تعالى لما قال واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرآء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا وكان هذا كلاما كليا ضرب له مثلا لان المعنى الكلى لايصل الى الاوهام الا بالامثلة فذكر ان الانسان اذا ركب فى السفينة ووجد الريح الطيبة حصلت له المسرة القوية ثم لو ظهرت علامات الهلاك من الرياح العاصفة والامواج المتراكمة مس الهلاك وقع فى خوف شديد وبلاء عظيم فان هذه الاحوال توجب شدة الخوف والبلاء اذا كان على سبيل الابتدآء فكيف اذا كان بعد الفرح العظيم ولاشك انه فى هذه الاحوال لايطمع الا فى فضل الله تعالى حصرا اليه ويقطع الطمع عن جميع الخلق ثم اذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة يرجع الى ماالفه واعتاد من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة فهذا مكر الانسان بعد انتقال الانسان من الضر الى الرحمة ولما انساق الكلام الى ذكر انهم يسارعون الى ما كانوا عليه من البغى فى الارض بين انه بغيهم على انفسهم متاع الحياة الدنيا ثم مثل الحالة العجيبة لتلك الحياة من فنائها وسرعة انقضائها بالحاصلة من اخضرار الارض بانواع النبات ثم انعدامها بالكلية بآفة سماوية ﴿قوله دار السلامة من التقضى﴾ اى الانقضاء بيان لوجه تسمية الجنة بدار السلام لما امر الله تعالى عباده بمثال المذكور عن الحياة الدنيا والركون اليها رغبهم فى الآخرة بهذه الآية روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مامن يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام ﴿قوله وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية﴾ يعنى انه تعالى عم الدعوة لجميع الخلق وخصص الهداية بالمشيئة فالكل مأمور ولا يريد من الكل الا الاهتدآء لان ظاهر يهدى من يشاء انه يهدى من يشاء هداه ورشده فلو شاء الله تعالى اهتدآء الكل كان هاديا للكل وليس كذلك ويلزم من ذلك على المعتزلة امران احدهما ان الامر غير الارادة والا لكان ارادة متعلقة بالكل وليس الامر كذلك والثانى ان من استمر على الضلالة لا يريد اهتدآءه ولانه لو اراد اهتدآء كل واحد من المهتدين ومن المستمرين على الضلالة لم يبق لتخصيص الهداية بالمشيئة وجه ثم انه تعالى لما دعا عباده الى دار السلام ذكر السعادات التى تحصل لهم فيها فقال الذين احسنوا الحسنى وزيادة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد باحسان المحسنين ذكر لا اله الا الله وقال الاصم الذين احسنوا فى كل ما كلفوا بان يأتوا بالمأمورات كما ينبغى ويجتنبوا عن المنهيات من الوجه الذى صارت منهيا عنها من ذلك الوجه وهذا اقرب الى الصواب لان الدرجات العالية لاتحصل الا لاهل الطاعات والحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها وقال اهل التفسير المراد منها الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للذين قالوا لا اله الا الله الجنة وزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ماهذا الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما شئ مما اعطوه احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد نظرهم اليه ويؤكده قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما نضرة الوجوه والثانى النظر الى الله تعالى وروى عن على رضى الله تعالى عنه ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنى هى الحسنة والزيادة هى عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ماتريدون ان امطركم فلا يريدون شيأ الا امطرتهم ﴿قوله والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار﴾ ويرهقهم حالتان الاولى ما اخبر الله عنه بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة والثانى ما اخبر الله عنه بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة والغرض من نفى هاتين الصفتين نفى اسباب الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم ان الذى ذكره الله تعالى خالص لايشوبه شئ من المكروهات وانه لايطرأ عليهم غير ما تحصل به صباحة الوجوه ويزيد مافيها من النضارة والحسن ﴿قوله اولا يرهقهم ما يوجب ذلك﴾ على ان يكون الكلام كناية لان عدم غشيانهما لازم لعدم غشيان ما يوجبهما فذكر اللازم لينتقل الى الملزوم ﴿قوله مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو﴾ اى على مذهب من يجوز العطف على

وهو مثل فى الوقت القريب والمثل به مضر...
الحكاية وهو زوال خضرة النبات فج...
وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف ور...
الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد...
من الجوآئح لا المدوان وليه حرف التشبي...
لانه من التشبيه المركب (كذلك نفصل...
الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون...
(والله يدعو الى دار السلام) دار السلا...
من التقضى والآفة او دار الله وتخصيص...
هذا الاسم للتنبيه على ذلك او دار يسلم ا...
والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الج...
(ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صرا...
مستقيم) وهو طريقها وذلك الاسلا...
والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعو...
وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ا...
الامر غير الارادة وان المصر على الضلا...
لم يرد الله رشده (للذين احسنوا الحسنى...
المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد ع...
المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقي...
الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثال...
الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفر...
من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزياد...
هو اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لايغشا...
(قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) هوا...
والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النا...
او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسو...
حال (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون...
دآئمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيم...
بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبو...
السيئات جزآء سيئة بمثلها) عطف على قو...
للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجو...
فى الدار زيد

معمولي عاملين مختلفين بشرط ان يتقدم الجار ولا يجوزه اذا لم يتقدم كما في قولك ان زيدا في الدار وعمرا في القصر بمعنى وان عمرا في القصر وفي المسئلة ثلاثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفرآء والثاني المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه والثالث التفصيل الذي ذكرناه وتقدير الكلام للذين احسنوا الحسنى والذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها لا يزاد عليها ثابت للذين كسبوا السيئات ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ اى وفي تقييد جزآء السيئة بكونه مماثلا لاجل السيئة غير زآئد عليها تنبيه على ان المراد من قوله وزيادة على المثوبة تفضلا او ما يرد عليها من الاضعاف ووجه التنبيه ان المقصود من الآية الدلالة على الفرق بين الحسنات والسيئات بان الحسنات تجازى بالمثوبة الحسنى والزيادة عليها وان السيئات تجازى بالعقوبة المماثلة لها بدون ان يزاد عليها شئ ويفهم منه بقرينة المقابلة ان الزيادة على الثواب تكون من جنس المزيد عليه يزاد عليه تفضلا مع قطع النظر عن كونه ضعف المزيد عليه او اضعافه لو يزاد عليه مقيدا بكونه عشر امثال الحسنات وذكر الزمخشري هذا الوجه ثم قال وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ولانه دل باثبات الزيادة على المثوبة على فضله ﴿قوله او كانما اغشيت﴾ عطف على جزآء في قوله والخبر جزآء اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى والذين كسبوا مبتدأ ويكون الخبر الجملة التشبيهية من قوله كانما اغشيت وكأن حرف تشبيه زيدت عليه كلمة ما لتكفه عن العمل وتهيئه للدخول على الفعل وعلى هذا الوجه فصل بين المبتدأ وخبره ثلاث جمل اعتراض وقوله او اولئك عطف عليه ايضا وعلى هذا الوجه قد فصل باربع جمل معترضة اوّلها قوله تعالى جزآء سيئة بمثلها والثانية وترهقهم ذلة والثالثة مالهم من الله من عاصم والرابعة كانما اغشيت وجوههم وينبغى ان لا يجوز الفصل بثلاث جمل فضلا من اربع ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ من تحت لان تأنيث الذلة غير حقيقى والظاهر ان قوله تعالى وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا جيئ على لفظ المستقبل لكون المقصود تعيينهم ووصفهم الاوّل ان كسبوا السيئات في الماضى والثانى سيرهقهم الذلة يوم القيامة ﴿قوله لانه العامل في قطعا﴾ فان قطعا منصوب باغشيت مفعول ثان له وقد اقيم مفعوله الاوّل مقام الفاعل ومن الليل فان كان من الليل صفة لقطعا المعمول لاغشيت كان من الليل معمولا لاغشيت ايضا بحكم ان العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ايضا وحيث كان مظلما حالا من الليل يكون معمولا لاغشيت ايضا لان العامل في الحال هو العامل في صاحبها ويجوز ان يكون العامل في مظلما على تقدير كونه حالا من الليل معنى الفعل في من الليل اى قطعا كائنة من الليل في حال كونه مظلما ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على ان يقرأ قطعا بسكون الطاء يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه ولا يجوز شئ منهما على قرآءة من قرأ قطعا بفتح الطاء لان قطعا جمع قطعة مثل خمنة ودمن وكسرة وكسر فكان يجب حينئذ ان يقال مظلمة لان الموصوف او ذا الحال لما كان جمعا وجب تأنيث الصفة والحال لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف وكذا بين الحال وصاحبها بخلاف ما اذا قرئ قطعا بسكون الطاء حينئذ فانه يكون اسم جنس ويجوز تذكير صفته نحو نخل منقعر وتأنيثها نحو نخل خاوية وكذا يجوز التذكير والتأنيث فيما انتصب منه على الحال ويوم في قوله تعالى ويوم نحشرهم منصوب بفعل مقدر اى خوفهم او ذكرهم يوم والفريقان هم الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات وجميعا حال ومكانكم اسم فعل اى الزموا مكانكم وحذف فاعله وانتقل اليه الضمير الذى اسند اليه عامله ولذلك اكد بقوله انتم وعطف عليه شركاؤكم وقوله تعالى فزيلنا بينهم وزنه فعلنا والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لان ثلاثيه متعد بنفسه تقول زلت الشئ ازيله زيلا اى ميزته وفرقته ويقال زل ضانك من معزك وزيلته منه وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق وقيل وزنه فيعلنا من زال يزول اصله زيولنا اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء والاوّل اظهر لان فعّل اكثر من فيعل ولان مصدر التزييل لو كان وزنه فيعل لكان مصدره فيعلة كبيطرة لان فيعل ملحق بفعلل وهذا التزييل وان كان مما سيكون يوم القيامة الا انه لتحقق وقوعه صار كالكائن الآن فلذلك جاء بلفظ الماضى بعد قوله ويوم نحشرهم ثم نقول وكل منهما مستقبل كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة واضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم فصيروهم كأنهم شركاؤهم في تلك وقيل لان الاضافة يكفى فيها ادنى تعلق فلما كانوا هم الذين اثبتوا هذه الشركة حسنت اضافة الشركاء اليهم ﴿قوله مجاز عن برآءة ما عبدوه من عبادتهم﴾ جواب عما يقال كيف يتأتى للشركاء ان يقولوا ما كنتم ايانا تعبدون مع ان المشركين كانوا قد عبدوهم فيكون هذا الكلام من الشركاء على ارادة حقيقته وليس كذلك بل هو مجاز عن برآءة الشركاء من

والجملة خبر او الذين مبتدأ والخبر جزآء سيئة على تقدير وجزآء الذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها اى ان تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزآء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزآء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) قرئ بالياء (مالهم من الله من عاصم) ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم (انتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) مجاز عن برآءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهوآءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به

عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة بامر الشركاء ولا ارادتهم وانما الآمر بها هو اهواؤهم والشياطين فالمشركون في الحقيقة انما عبدوا الشياطين واهواءهم ويدل عليه امران الاول انهم استشهدوا بالله تعالى في ذلك حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم والثاني انهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاثبتوا لهم عبادة الا انهم زعموا انهم كانوا غافلين عن تلك العبادة وقد صدقوا في ذلك لان من اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لاحس لها ولا شعور البتة ﴿ قوله وقيل الخ ﴾ يعني انهم اختلفوا في المراد بهؤلاء الشركاء المتبرئين من عبادة المشركين فقال بعضهم هم الملائكة والمسيح استشهادا بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وبقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك الى قوله ماقلت لهم الاما امرتني به ان اعبدوا الله وقال آخرون هم الشيطان حيث تبرأ عن عبدوه بقوله ليس لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل بل هم الاصنام والاصنام تقول هذا الكلام بان يخلق الله فيها الحياة والعقل والنطق ولا جرم ان تذكر هذا الكلام * فان قيل اذا احيى الله تعالى الاصنام فهل يبقيهم او يميتهم * قلنا الكل محتمل ولا اعتراض عليه تعالى في شيء من افعاله واحوال القيامة لا يعلم منها الا القليل الذي اخبرالله تعالى عنه في القرآن وقيل قول الشركاء ماكنتم ايانا تعبدون يجري على حقيقته بناء على ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يكون جاريا مجرى كذب الصبيان والمجانين المدهوشين ولانهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا وجعلوها لبطلانها كالعدم فلهذا قالوا ماعبدوتا ولان المشركين لما تخيلوا فيها صفات او صفاة كثيرة غير موجودة في الشركاء كانوا في الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة بتلك الصفات ولما كانت ذوات الشركاء خالية عن تلك الصفات صدق ان يقال ان المشركين ماعبدوا الشركاء وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها في الاعيان ﴿ قوله في ذلك المقام ﴾ يعني ان هنالك باق على اصله الذي هو كونه ظرف مكان لان في ذلك الموقف الدهش وقيل هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة كما في قوله تعالى هنالك ابتلى المؤمنون اي في ذلك الوقت ﴿ قوله فتعاين نفعه وضره ﴾ اشارة الى ان المراد باختبار النفس ماقدمت من خير او شر حدوث العلم لها بكون ماقدمته من الاعمال خيرا او شرا بمعاينة نتائجها وآثارها فان الاختبار سبب لحدوث العلم فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا ومن قرأ تتلو بتائين منقوطتين من فوق جعله من التلاوة او من التلو والمعنى على الاول ان كل نفس تقرأ ذكر ماعملته مسطورا في صحف الحفظة وعلى الثاني تتبع كل نفس ماأسلفت لان ماعملته هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرأ عاصم نبلو كل بنون عظمة المتكلم المعظم نفسه ونصب كل على انه مفعول به وقوله ما اسلفت على هذه القراءة يحتمل ان يكون في محل النصب على اسقاط الخافض فيكون نبلو من البلاء اي العذاب بمعنى نعذبها بسبب ما اسلفت ويحتمل ان يكون منصوبا على انه بدل اشتمال من كل نفس لان تعرف حال عملها من كونه حسنا او قبيحا سبب لتعرف انها سعيدة او شقية فكان بينهما ملابسة السببية فالمعنى ان الله تعالى يقول في ذلك الوقت نختبر كل نفس بسبب اختبار ما اسلفته من العمل على معنى انا نعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان قبيحا فهي شقية وحقيقة الاختبار لاتتصور منه تعالى فالكلام من قبيل الاستعارة كما اشار اليه بقوله تفعل بها فعل المختبر حالها الخ ﴿ قوله الى جزائه ﴾ او الى موقف جزائه لابد هنا من تقدم المضاف لان الرجوع الى ذاته تعالى مما لا يتصور اي ورد العابدون والمعبودون الى جزاء الله تعالى وحكمه الذي هو مولاهم في الحقيقة لا مولى لهم غيره يجازي كل واحد منهم على حسب ماهو وقرئ الحق منصوبا اما على القطع فان اصله الجر على انه تابع فقطع باعتبار المدح او الذم كقولهم الحمد لله اهل الحمد واما على المصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة وهو ردوا الى الله كما تقول هذا عبدالله الحق لا الباطل اي احق الحق ﴿ قوله من ان آلهتهم تشفع لهم ﴾ او من ان شركاءهم الذين كانوا يدعون في حقهم انهم آلهة ثم انه تعالى لما بين فضائح عبدة الاوثان اتبعها بذكر مايدل على فساد مذهبهم فذكر امورا لايقدرون على ادعاء ان شركاءهم تقدر عليها وهو احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت والحياة ﴿ قوله باسباب سماوية ﴾ كالامطار واختلاف الفصول المترتب عليها او على حركة الكواكب والافلاك ولا شك ان الله تعالى يرزق عباده من المواد الارضية ايضا لان الغذاء لابد ان يكون نباتا او حيوانا والنبات لاينبت الا من الارض والحيوان يحتاج الى الغذاء ولا يمكن ان يكون غذاء كل حيوان حيوانا والا لزم الذهاب

وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة (هنالك) في ذلك المقام (تبلو كل نفس ما اسلفت) تختبر ماقدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ماقدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر حالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزائه اياهم بما اسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم

وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض (ام من يملك السمع والابصار) ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء (ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ) ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه (فقل افلا تتقون) انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكاري اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمة ربك) اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان ينوب عنهم في الجواب فقال (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها (فانى تؤفكون) تصرفون من قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله (قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى) ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير

الى ما لا نهاية له وذلك محال فثبت ان اعتدآء الحيوانات يجب انتهاؤه ومن المعلوم ان تولد النبات من الارض فلزم القطع بانه لا تحصل الارزاق الا من السماء والارض ومن المعلوم ان مدبر السموات والارض ليس الا الله وكذا احوال الحواس لا يقدر عليها الا الله تعالى وكان علي رضي الله عنه يقول سبحان من ابصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ﴿قوله وقيل من لبيان من﴾ اي وقيل ان كلمة من في قوله من السماء ليست لابتداء الغاية بل هي لتبيين جنس من يرزق وام في قوله تعالى ام من يملك منقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية ولكن تقدر بل وحدها دون الهمزة بعدها وقد تقرر ان المنقطعة عند الجمهور تقدر ببل وحدها وانما لم تقدر هنا بل والهمزة لانه وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فهو كقوله ام ماذا كنتم تعملون والاضراب هنا اضراب انتقال كما هو القاعدة المتقررة في القرآن لا اضراب ابطال ﴿قوله ومن يحيي ويميت﴾ فان كل واحد من الاحياء والاماتة اخراج احد الضدين من الآخر بمعنى تحصيله منه لان كثيرا ما يقال كان الخارج كذا بمعنى كان الحاصل كذا وايضا انه يخرج الانسان من النطفة وبالعكس ويخرج الطائر من البيضة وبالعكس وقيل المراد انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿قوله وهو تعميم بعد تخصيص﴾ لانه تعالى ذكر اولا تدابير مخصوصة متعلقة بعلم الاجساد فان اقسام تدبير الله في ملكه امور لا نهاية لها وذكر كلها على التفصيل كالمتعذر فذكر بعض التفاصيل ثم عقبها بالكلام الكلي ليكون دالا على الباقي ﴿قوله هو ربكم الثابت ربوبيته﴾ اشارة الى ان ربكم الحق خبر ذلكم الله فان الجلالة صفة ذلكم وان الحق بمعنى الصادق اي الثابت ربوبيته ردا لمن اتخذ ما لا تحقق لربوبيته كانه قيل ان الذي يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه ﴿قوله اي كما حقت الربوبية لله الخ﴾ يعني ان الكاف في كذلك في محل نصب على انه صفة مصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق في قوله ربكم الحق او الى حقية مضمون قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال او الى حقية انهم مصروفون عن الحق بعد الاقرار به كما قال فسيقولون الله ﴿قوله بدل من الكلمة﴾ اي حق عليهم انتفاء ايمانهم او تعليل لحقية الكلمة على ان يراد بالكلمة العدة بالعذاب وان الاصل لانهم لا يؤمنون ﴿قوله تعالى قل هل من شركائكم الآية﴾ احتجاج آخر على بطلان مذهب عبدة الاوثان ﴿قوله جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها﴾ جواب عما قال ان المشركين ينكرون البعث والاعادة فكيف احتج عليهم بذلك وتقرير الجواب ان الالزام المقصود كما يصح بما يساعده ويعترف به يصح ايضا بما يبين حقيته لقوة برهانه وامر الحشر والنشر من هذا القبيل فان وجوب التمييز بين المحسن والمسيء برهان دال على تحقق وقوعه دلالة قاطعة لا يمكن العاقل دفعه فصح الالزام به وان لم يساعد عليه الخصم ﴿قوله ولذلك الخ﴾ جواب عما يقال لم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينوب عنهم في الجواب والالزام انما يصح ان لو اعترفوا به انفسهم وتقريره كون الامر ظاهرا جليا مؤيدا بالبراهين القوية اغنى عن الاعتراف به وانابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب ﴿قوله والتوفيق للنظر والتدبر﴾ اي للنظر الصحيح والتدبر الصائب فان القول مضطرب والافكار مختلفة وتمييز الحق صعب ولا يسلم من الغلط الا الاقل من القليل فاهتداء ادراك الحقائق لا يكون الا باعانة الله تعالى وهدايته وارشاده وهذا احتجاج آخر على فساد مذهب المشركين والاستدلال على وجود الصانع اولا بالخلق وثانيا بالهداية عادة مطردة في القرآن قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام الذي خلقني فهو يهدين وحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام قوله تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى واعلم ان هدى يتعدى الى اثنين اولهما بنفسه وثانيهما اما باللام واما بالى وقد يحذف حرف الجر تخفيفا وقد جمع بين التعديتين بحرف الجر هنا فعدى الاول والثالث بالى والثاني باللام وحذف المفعول الاول من الافعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهدي غيره الى الحق والمصنف بين سر كل واحدة من التعديتين فقال يعدى بالى ليدل على ان انتهاء الهداية مدخولها ويعدى باللام ليدل على ان الهداية لا تتوجه نحو ما دخلت عليه الا لاجل ان تؤدي اليه ويترتب عليها كما هو شان العلة والمعلل بها ﴿قوله ام الذي لا يهدي الخ﴾ اختار في قوله امن لا يهدي الا ان يهدى قراءة حمزة والكسائي وهو ان يقرأ قوله الا ان يهدى بسكون الهاء وتخفيف الدال على معنى يهتدي فان العرب تستعمل يهدي بمعنى يهتدي فتقول هديته فهدى اي فاهتدى ﴿قوله او لا يهدي غيره﴾ عطف على قوله يهتدي في قوله ام الذي لا يهتدي ﴿قوله وهذا حال اشراف شركائهم﴾ جواب عما يقال من ان المراد من الشركاء في هذه الآية الاصنام وانها

جمادات لاتقبل الهداية فكيف يصح ان يقال في حقها الا ان يهدى وايضا كلة من تستعمل في ذوى العقول دون الجمادات فلايليق ان يقال في حقها ام من لايهدى فالجواب ان الله تعالى اكتفى في بيان فساد مذهب مطلق اهل الشرك من عبدة الاوثان وغيرها بقوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فانه لاشك ان المراد بالشركاء فيه مايتناول الاصنام وغيرها ثم بين في هذه الآية فساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية اربابا كالملائكة والمسيح وعزير فسقط الاشكال المذكور ﴿ قوله والاصل يهتدى ﴾ اى اصل كل واحدة من القرآءتين وهما قرآءة يهدّى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وقرآءة يهدّى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال فلما ادغمت التاء في الدال فيهما اجتمع الساكنان فحركت الهاء بفتحة التاء المدغمة في احدى القرآءتين وحركت الهاء بالكسر في القرآءة الاخرى لكون الكسر اصلا في تحريك الساكن ﴿ قوله وروى ابو بكر ﴾ عن عاصم يهدّى بكسر الياء والهاء اتباعا لحركة الياء بحركة الهاء وقيل هي على لغة تميم ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ﴾ بان ترك الهاء ساكنة على حالها بعد ادغام التاء في الدال فجمع بين الساكنين ونسب الامام هذه القرآءة الى قالون عن نافع ثم قال ابو عمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتح والسكون والفتحة مختلسة على اصل مذهبه اختيارا للتخفيف ثم قال وذكر على بن عيسى انه الصحيح والاجود من قرآءة نافع وقرئ الا ان يهدى بضم الياء وفتح الهاء والدال المشددة على بناء المفعول من باب التفعيل ﴿ قوله والمراد بالاكثر الجميع ﴾ لان ابقاءه على اصل معناه يدل على ان اعتقاد بعضهم فيما ذهب اليه من قاعدة الشرك وان شركاءهم شفعاؤهم عند الله يستند على برهان وليس كذلك بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد ويجوز ان يكون الاكثر باقيا على اصل معناه ويكون التقييد به للاشارة الى ان الظن انما يتأتى ممن له نظر واستدلال وان بعضا منهم يعرف الحق فضلا عن ان ينسب حكمه ومذهبه الى البرهان ﴿ قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى ﴾ لما تقدم قول اهل مكة ويقولون لولا انزل عليه آية وذكروا ذلك لاعتقادهم ان القرآن ليس بمعجز وانه صلى الله عليه وسلم انما اتى بهذا القرآن افتراء على الله تعالى وماهو وحى نازل عليه من عند الله تعالى احتج على صحة هذا الكلام بقوله قل فأتوا بسورة مثله وذلك يدل على انه معجز لايتأتى ان يكون من عند غيره تعالى ﴿ قوله افتراء من الخلق ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ان يفترى في محل نصب على انه خبر ما كان وانه في تقدير المصدر اى ماينبغى لهذا القرآن ان يفترى به على الله تعالى لان المفترى هو الذى يأتى به البشر والقرآن معجز على كل حال لايقدر عليه البشر والافتراء في الاصل افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب واحتج على ان القرآن من عند الله تعالى بكونه مطابقا مصدقا لما تقدمه من الكتب الالهية وكل واحد من الكتب السابقة وان تعين صدقه بان صدق الله تعالى مبلغه بان اظهر على يديه من المعجزات القاهرة لكن ليس شئ من تلك الكتب معجزا مصدقا لنفسه بخلاف هذا القرآن الكريم المشتمل على اقاصيص الاولين فانه قد بلغ الينا من قبل رجل لم يكتب ولم يقرأ شيأ من المدونات ولم يخالط احدا من العلماء مشتملا على نفائس علم الاصول وحقائق علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق واسرار قصص الاولين وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء مع غاية عداوة اهل عصره فلو لم يكن مافيه من قصص الاولين موافقا لما في التوراة والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا في الطعن فيه قائلين ان ماجئت به من الاقاصيص غير مطابق لما اخبر الله تعالى فلما لم يقل احد منهم ذلك مع شدة حرصهم على الطعن علمنا انه صلى الله عليه وسلم اتى بتلك الاقاصيص مطابقة لما في الكتب المتقدمة مع انه صلى الله عليه وسلم ماطالع شيأ منها وذلك يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن هذه الاشياء بوحى من الله تعالى فاذا ثبت ان القرآن العظيم مصدق لنفسه بسبب كونه معجزا ثبت انه مصدق للكتب المتقدمة عيار عليها شاهد على صدقها وصحتها بسبب كون مضمونه مطابقا لمضمون تلك الكتب ﴿ قوله لكونه معجزا دونها ﴾ جواب عما يقال كما ان القرآن دال على نزول الكتب المتقدمة وعلى اخبار الاولين كذلك الكتب المتقدمة دالة عليه فكما ان القرآن مطابق لها كذلك هي مطابقة له فكيف حكم بان القرآن مصدق لها دون العكس وجوابه بان القرآن معجز دونها فهو صالح لان يكون حجة وبرهانا لغيره لا العكس وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب لوجهين الاول انه خبر كان المقدرة اى ولكن كان تصديقا والثانى انه مفعول له لفعل مقدر اى ولكن انزل التصديق ﴿ قوله وتفصيل ما حقق واثبت ﴾ على ان الكتاب من كتب

ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولاريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل جاءه ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع من اتباع الظن لبيان مايجب اتباعه والبرهان عليه (ام يقولون) بل ايقولون (افتراه) محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار (قل فأتوا بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به (من دون الله) سوى الله فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) انه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) انبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لا يؤمن به) فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين او المصرين (وان كذبوك) وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لى عملى ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا (انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون) لاتؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف

بمعنى فرض وقدر وحكم قال الشاعر

* يابنت عمى كتاب الله اخرجنى * عنكم وهل امنعن الله مافعلا *

والناس اختلفوا فى ان القرآن معجز من اى الوجوه فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن العلوم الكثيرة واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب من الاحكام والشرائع فى كل باب ﴿قوله ويجوز ان يكون حالا من الكتاب﴾ ولما ورد ان يقال كيف جاز مجئ الحال من المضاف اليه والحال انما يبين هيئة العامل او المعمول به اجاب عنه بقوله فانه مفعول فى المعنى فكانه قيل كان يفصل الكتاب منتفيا عنه الريب وان كان مستأنفا لايكون له محل من الاعراب وان كان قوله من رب العالمين متعلق بتصديق او تفصيل بطريق التنازع يكون قوله لاريب فيه اعتراضا بين العامل ومعموله ﴿قوله بل ايقولون﴾ اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن الكلام الاول واخذ فى انكار قولهم انه صلى الله عليه وسلم اختلق هذا القرآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى ثم احتج عليهم بانه يقول ان كان الامر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله فان لم يقدر كل واحد ولا الاثنين منكم فى استخراج مايعارض القرآن فاجتمعوا وليعن بعضكم بعضا فى هذه المعارضة مع انه لم يقدر ولو اجتمع الانس والجن بعضهم لبعض ظهيرا لان قدرة البشر عاجزة عنها فعلم ان نظمه وترتيبه ليس الا من قبل الله تعالى ﴿قوله بل سارعوا الى التكذيب﴾ فسر بل كذبوا بقوله بل سارعوا للدلالة قوله بما لم يحيطوا ولما يأتهم على المسارعة فان تكذيب الكلام قبل الاحاطة بمافيه مسارعة اليه فى اول الوهلة فان التصديق والتكذيب بالشئ ينبغى ان يكون بعد المعرفة والاحاطة بكنهه ومعرفة مآله ومرجعه والانكار مسارعا اليه فى غير اوانه ومعنى الاضراب فى بل ذمهم على التقليد وترك النظر مع التمكن منه كانه قيل دع تحديهم والزامهم فانهم لايتأهلون للخطاب لانهم مقلدون متهافتون فى الامر عن غير تعقل فان كان قوله ولم يحيطوا به علما عبارة عما يؤول اليه نظم القرآن من المعانى يكون وجه الذم انهم سارعوا الى تكذيبه قبل الاحاطة به علما بمعرفوا اعجاز نظمه وقبل ان يعرفوا مآله ومرجعه من المعانى فان القرآن كما انه معجز من جهة حسن نظمه كذلك هو معجز من جهة اشتماله على مافيه من المعانى وان كان مالم يحيطوا عبارة عما جهلوه مما يخالف دينهم وكان تأويله عبارة عما يؤول اليه مافيه من الاخبار بالغيوب كان وجه الذم انهم يسارعون الى تكذيب كل واحد منهم قبل ان يتبين لهم حقيقة الاول بالنظر فى دلائل حقيته وحقيقة الثانى ايضا بدلائله وبحصول المآل ووقوع تلك المغيبات قال الامام محيى السنة رضى الله تعالى عنه ولما يأتهم تأويله اى عاقبة ماوعد الله تعالى فى القرآن من انه يؤول اليه امرهم من العقوبة يريد انهم لم يعلموا مايؤول اليه امرهم ﴿قوله فرازوا﴾ اى جربوا تقول رزته اروزه روزا اى جربته وخبرته ﴿قوله ومعنى التوقع فى لما﴾ فانه يدل على ان الفعل المنفى به امر متوقع لما قيل انه لنفى ما قد يفعل وكلمة لم لنفى مافعل يعنى انه اتى بكلمة التوقع فى قوله تعالى ولما يأتهم تأويله للدلالة على ان اتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان امرا متوقعا منتظرا ومع ذلك سارعوا الى التكذيب لقلة ثباتهم وغلبة اتباع الآباء على طباعهم ﴿قوله ولما فيه من ايهام الاعراض﴾ اشارة الى انه ليس بمنسوخ حقيقة لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل احد باعماله وبثمرات اعماله من الثواب والعقاب وذلك لايقتضى حرمة القتال فان آية القتال مارفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ثم انه تعالى قسم الكفار فى هذه الآية قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ثم قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون فى غاية البغض له صلى الله عليه وسلم والعداوة ونهاية النفرة من قبول دينه ومنهم من لايكون كذلك فوصف القسم الاول فقال منهم من يستمع كلامك مع انه يكون كالاصم من حيث لاينتفع البتة بذلك الكلام ومنهم من ينظر اليك ويعاين فيك شواهد نبوتك ولكن لايصدقك كالاعمى الذى لا يشاهد محاسن صاحبه شبه المكذبين الذين اصروا على الكذب وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منعهم عن ادراك محاسن كلامه ومعاينة دلائل نبوته كما يمنع الصمم فى الاذن عن ادراك محاسن الكلام ويمنع العمى فى العين عن مشاهدة محاسن الصور فلما شبههم بالصم والعمى فرع عليه وجوب التبرى عنهم فقال تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى يعنى انهم صاروا بسبب شدة عداوتهم وبغضهم ونفرتهم عنك بمنزلة الصم والعمى فكما لا يمكنك جعل الاصم سميعا والاعمى بصيرا فكذا لا يمكنك جعلهم اصدقاء يقبلون كلامك ويهتدون بدعوتك وارشادك والمقصود من نفس هذا الكلام اعلام الرسول صلى الله عليه وسلم بانهم قد بلغوا فى مرض

(ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لايقبلون كالاصم الذى لايسمع اصلا (أفأنت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولو كانوا لايعقلون) ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لاتوصف به البهائم وهو لايتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ماينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوتك ولكن لايصدقونك (أفأنت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لايبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لايدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لايظلم الناس شيأ) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان مايحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لايظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول مايرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كأن لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول مانشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول (وما كانوا مهتدين) لطرق استعمال مامنحوا من المعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نرينك) نبصرنك (بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر (او نتوفينك) قبل ان نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك (ثم الله شهيد على ما يفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدى شهادته على اعضائهم يوم القيامة (ولكل امة) من الامم الماضية (رسول) يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبين (وهم لايظلمون)

العقل الى حيث لايقبلون الصلاح والطبيب اذا رأى مريضا لايقبل العلاج اعرض عنه لانه يستوحش من عدم قبوله العلاج فكذلك وجب عليك ان تتبرأ منهم ولاتنفعل من اصرارهم على التكذيب وهذا معنى قوله اى المصنف والآية كالتعليل للامر بالتبرى ﴿قوله وفيه تنبيه الخ﴾ اى فى ان استماع الاصم العديم العقل ابعد من استماع الاصم العاقل تنبيه على ان حقيقة الاستماع ليست عبارة عن مجرد وصول الهواء المكيف بكيفية الصوت الى الصماخ السليم والا لكان الاصم العاقل وغيره سواء فى عدم الاستماع ولم يكن استماع غير العاقل ابعد من استماع العاقل بل هى متوقفة على سلامة كل واحد من الصماخ والعقل واستماع واحد منهما على وجه يؤدى الى ارتسام المعنى المقصود من الكلام فى المدركة فلذلك كان الاستماع مبدأ منكرا بمجرد تحقق الصمم وانتفاء سلامة الصماخ وعند انتفاء كل واحد منهما كان ابعد واتم فى كونه منكرا كما قال تعالى أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ﴿قوله بسلب حواسهم﴾ لما حكم الله عليهم بانهم مسلوبوا العقل والحواس فلا يدركون حسن الايمان ولايقبلونه ولايسمعون كلام الداعى سمع قبول ولايبصرون شواهد صدقه فى دعوى النبوة رؤية اعتبار واستبصار قال ان الله لايظلم الناس بسلبها لانه متصرف فى ملك نفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما ثم قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل اليهم منسوب بسبب الكسب وليس هذا مسلوب الاختيار بالكلية كما ذهب اليه الجبرية وقرأ حمزة والكسائى بتخفيف ولكن ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ونصب الناس وله وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال تعالى ويوم نحشرهم ويوم منصوب بفعل مقدر اى اذكر ماحدث يوم او يتعارفون اى يتعارفون يوم نحشرهم ﴿قوله او صفة﴾ اى يوما مشبها اهله بمن لم يلبث قبله الا ساعة واندفع بهذا التقدير مايرد من ان هذه الجملة كيف تكون صفة مع ان مضمونها وصف المحشورين لا وصف يوم حشرهم ولابد من مثل هذا التقدير على تقدير ان تكون الجملة المذكورة صفة للمصدر المحذوف اى حشرا كأن المحشورين لم يلبثوا وقرأ حفص يحشرهم بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير الجلالة فى قوله ان الله لايظلم والباقون بنون العظمة ﴿قوله يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول مايرون﴾ فان مايشاهده الكفار من اهوال الآخرة اشد اشد آمد واقصاها والعياذ بالله والانسان اذا عظم خوفه نسى الامور الظاهرة وانما يستقلون ذلك اللبث فى جنب لبثهم فى موقف الحساب وفى سائر مواقف الآخرة ﴿قوله يعرف بعضهم بعضا﴾ كما كانوا يعرفون فى الدنيا فكأنهم لم يتفارقوا بسبب الموت الا مدة قليلة لا تؤثر فى زوال ذلك التعارف فلما ورد ان يقال ما وجه التوفيق بين هذا التعارف وبين قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولايتساءلون اشار الى جوابه بان حمل الآيتين على الحالتين فانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف اذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعض والجملة حال اخرى من مفعول نحشرهم اى نحشرهم مشبهين متعارفين وهى حال مقدرة لان التعارف يكون حال الحشر او بيان لكونهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة لان التعارف لايبقى مع طول العهد وينقلب الامر به الى التناكر الشهادة على خسرانهم يعنى ان هذه الجملة ليست من مقالة الكفار المحشورين بل هى كلام الهى مسوق لشهادة عليهم بالخسران والتكذيب بلقاء الله وعبارة عن ايثار الحظوظ الدنيوية العاجلة الخسيسة الفانية على السعادة الاخروية الشريفة الباقية فكأنه قيل قد خسر من باع آخرته بالدنيا ثم قال ويجوز ان يكون الخ والتقدير ويوم نحشرهم حال كونهم متعارفين وحال كونهم قائلين قد خسر الذين كذبوا فيكون حكمه كحكمه فى الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين فيكون كالتأكيد لجملة الصلة لان من كذب بلقاء الله غير مهتد الى رعاية مصالح ماهو فيه من التجارة بتضييع رأس المال خاليا من الخير بالكلية ﴿قوله وهو جواب توفينك﴾ يعنى فى الكلام شرطين لهما جوابان جواب الاول محذوف وجواب الثانى مذكور والتقدير واما نرينك بعض الذى نعدهم اى مانعدهم من العذاب فى الدنيا فذلك هو المأمول او ان نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود فالنريكه فى الآخرة ولاحاجة الى ارتكاب حذف الجواب لان قوله فالينا مرجعهم صالح لان يكون جوابا للشرط وماعطف عليه ﴿قوله ولذلك رتبها على الرجوع بثم﴾ ولو كان المراد من الشهادة نفسها لما صح الترتيب المذكور لانه تعالى شهيد على مايفعلونه من التكذيب والمجازاة حال رجوعهم اليه تعالى وقبله ﴿قوله فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه﴾ يعنى الكلام فيه الاضمار فاذا جاء رسولهم ملهم رسالته

ودعاهم الى الحق فكذبوه فحذف ماحذف لعلم به والتقدير بمعونة المقام لمايبن الله تعالى حال نبينا مع قومه بين ان حال كل الانبياء مع اقوامهم كذلك ه فان قيل كيف يصح ان يقال انه تعالى ما اهمل امة من الامم قط بل بعث الى كل واحدة منهم رسولا يدعوهم من المخالفة مع ان زمان الفترة ليس فيه رسول كما يشهد عليه قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ه والجواب ان عموم قوله تعالى ولكل امة رسول يقتضى ان يكون الرسول حاضرا مع كل واحدة منهم لان تقدم الرسول على بعض منهم لايمنع من كونه رسولا الى ذلك البعض كما لايمنع تقدم رسولنا صلى الله عليه وسلم من كونه مبعوثا الينا الى آخر الاعصار غاية مافى الباب ان ماوقع من تخليط القوم فى زمن الفترة مؤد الى ضعف اثر دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه ﴿قوله استبعادا له واستهزآء به﴾ يعنى ان من جملة شبه منكرى النبوة انه صلى الله عليه وسلم كما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد واحتجوا بعدم ظهوره على حسب القدح فى نبوته فان معنى الاستفهام فى متى الاستعجال بمعنى طلب العجل والمقصود من هذا الاستعجال هو استبعاد الموعود وانه مما لايكون وانه يستهزأ به فامره الله تعالى بان يجيب عن هذه الشبهة بجواب يحسم مادة الاشكال فقال قل لا املك لنفسى الآية والمراد ان انزال العذاب على الاعدآء واظهار النصرة للاولياء لايقدر عليه الا الله تعالى وانه تعالى ماعين لذلك الوعد والوعيد وقتا معينا ثم اختلف ماوعد او اوعد فى ذلك الوقت حتى يرد الاشكال وان وقت كل حادث انما يتعين فى علم الله تعالى فاذا حضر الوقت الذى وقته الله تعالى لحدوث ذلك الحادث فانه لابد وان يحدث فيه ويمتنع ان يتقدم عليه او يتأخر عنه ﴿قوله الا ماشاء الله ان املكه﴾ او اقدر عليه ويحتمل ان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك يعنى ان هذا الاستثناء يجوز ان يكون متصلا والتقدير الا ماشاء الله ان املكه او اقدر عليه وان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك النفع والضر فيكون هذا التقدير تصويرا لمعنى الانقطاع لان قوله من ذلك اشارة الى النفع والضر فانه كائن بمشيئة الله تعالى لا بان املكه واقدر عليه مستقلا بدون حصوله بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متصلا فيكون الاستثناء من فاعل لا املك على تقدير ان يكون منقطعا وتقديره لا املك انا ولكن الله تعالى هو المالك لكل مايشاء جعله بمشيئته ﴿قوله تعالى لكل امة اجل﴾ اى مدة مضروبة لهلاكهم على وجه الاستئصال جزآء على تكذيبهم رسلهم فان الظاهر ان يكون المراد بقوله لكل امة اجل الامة الذين اجترؤا على تكذيب الرسل وقرينة التخصيص بالامم الماضية كونه فى جواب قول المشركين متى هذا الوعد ومتى هذا الحكم لان الحكم المذكور لايعم امتنا بالحديث ويحتمل ان يكون المعنى لكل امة عدة مضروبة لفناء عمر كل واحد منهم فمدلول الآية ان احدا لايموت الا بانقضاء اجله والمعنى الاول انسب لقوله ولكل امة لانه لوكان المراد المعنى الثانى لكان الظاهر ان يقال ولكل احد اجل امة ﴿قوله ان اتاكم عذابه الذى تستعجلون به﴾ الاستفهام المذكور بقولهم متى هذا الوعد يدل على ان معنى الكلام قل لهم يا محمد اخبرونى من عذاب الله ان اتاكم اى شئ تستعجلون به وليس شئ من العذاب يستعجل به لمرارته وشدة اصابته فهو مقتض لنفور الطبع منه وهو استفهام معناه التفظيع والتهويل كما تقول لمن هو فى امر تستوخم عاقبته ماذا تجنى على نفسك ﴿قوله وقت بيات﴾ اشارة الى ان قوله تعالى اتاكم بياتا من قبيل قولهم آتيك صياح الديك وان البيات اسم بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بات يبيت بيتوتة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ﴿قوله اى شئ من العذاب﴾ قد تقرر ان ماذا فيه وجهان ان يكون اسمين بمعنى ما الذى وان يكون اسما واحدا بمعنى اى شئ ولا يجوز ان يكون المراد ههنا ما الذى لان الضمير فى منه للعذاب فلو كان بمعنى ما الذى خلت الصلة عن ضميره فلذا حمله على اى شئ والتنكير فيه اما للوحدة النوعية او للتهويل فان كان للوحدة فالمعنى اى نوع من العذاب يستعجلونه وعلى هذا تكون كلمة من فى منه للتبعيض او للتبيين وان كان للتهويل فالمعنى اى شئ هائل شديد يستعجلون منه فمن حينئذ تجريدية جرد من العذاب شئ هائل شديد يتعجب منه ومن شدة هوله كل من يراه او يسمعه وهو العذاب نفسه لا الفرد منه او النوع وكونها للتجريد عائد الى كونها للبيان لان ماجرد من العذاب وهول ذلك الامر المتعجب منه صادق على جنس العذاب مبين له بخلاف ما اذا كانت للوحدة فان كان قوله منه بمعنى من جنس العذاب فهى للبيان وان كان بمعنى من انواع العذاب فهى للتبعيض ﴿قوله وهو متعلق بارأيتم﴾ يعنى ان قوله ماذا يستعجل

وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجئ بالنبين والشهدآء وقضى بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعادا له واستهزآء به (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا) فكيف املك لكم فاستعجل فى جلب العذاب اليكم (الا ماشاء الله) ان املكه او ولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل امة اجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم (قل ارأيتم ان اتاكم عذابه) الذى تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (او نهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم (ماذا يستعجل منه المجرمون) اى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لايلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لانه بمعنى اخبرونى

متعلق الاستخبار فان ارأيتم استخبار ادمعنى ارأيتم اخبرونى ويستدعى منعولا يتعلق هو به وهو جملة الاستفهام فيكون الشرط مع جوابه المحذوف مقررا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بين جملة الاستخبار ومتعلقه ولما كان فى هذا الاستفهام تجهيل لهم وتنديم قدر الجواب تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولامانع من تقدير ماعينه المصنف ولهذا حذف الجواب ووسط تأكيدا على تأكيده ثم قيل زيادة تنديم وتجهيل اذا وقع العذاب آمنتم به وعاد استهزاؤكم وتكذيبكم تصديقا واذعانا حتى يتم زيادة على زيادة لاستبعاد وفيه ان هذا الثانى ابعد من الاول وادخل فى الانكار وظهر من هذا التقدير انه لا يرد ان يقال فى قوله وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولامانع من تقديرهما معا اد تقدير ماقيد المصنف ليس بسديد بناء على ان الجواب المقدر لايكون الامادل عليه ماتقدمه لفظا اوتقديرا فلو قيل انت طالق ان فعلت كذا يكون تقديره ان فعلت كذا فانت طالق فينبغى ان يجعل تقدير الآية ان اتاكم عذابه فاخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون تجهيلا لهم وتنديما ﴿ قوله ويجوز ان يكون الجواب ماذا ﴾ ويكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا اونهارا فاى شئ يستعجل منه المجرمون * قيل عليه فى جعل جواب الشرط جملة الاستفهام جواب الشرط بدون الفاء محل بحث فان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول ان زارنا فلان فاى شئ نصنع معه ولا يجوز حذفها الافى ضرورة وماذكره من المثال وهو ان اتيتك ماذا تعطينى فهو من تمثيله لامن كلام العرب * وقيل ايضا فى جعل ماذا يستعجل جواب الشرط اشكال وهو ان استعجال العذاب قبل اتيانه فكيف يكون مرتبا عليه جزاء له * واجيب بانه لاشك ان الاستعجال ماض بالنسبة الى العذاب فلا يجوز ان يكون قوله ماذا يستعجل بمعنى الحال حقيقة بل يكون حكاية عن الحال الماضية اى ماذا كنتم تستعجلون لكن بمجرد هذا ايضا لايكون جوابا لان الاستعجال السابق لايترتب على اتيان العذاب فلابد من تقدير وهو ان يقال ان اتاكم عذابه فحينئذ تعرفون لاى شئ تستعجلون ﴿ قوله اوبقوله تعالى اثم اذا ماوقع آمنتم به ﴾ لما كان ظاهر العطف يدل على ان المراد ان تكون الجملة الشرطية متعلقة بقوله أثم اذا ماوقع تعلق المفعولية وليس بمراد فسر المراد بقوله بمعنى اى ان اتاكم عذابه الخ ويجوز ان يكون الجواب قوله أثم اذا ماوقع وتكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم ايضا ويكون قوله ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا بين الشرط وجوابه ويكون المعنى واخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا اووقع وتحقق آمنتم به بعد وقوعه ثم جيئ بحرف التراخى بدل الواو للدلالة على تأخر الايمان عن وقوع العذاب والجزاء لايترتب على الشرط بكلمة ثم وانما يترتب عليه بالفاء الاانه اجرى ثم ههنا مجرى الفاء لان ثم ايضا يفيد الترتيب مع زيادة التراخى المناسب لمقام التوبيخ ﴿ قوله اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب آلان آمنتم به ﴾ اشارة الى ان الآن منصوب بفعل مضمر تقديره آمنتم آلان آمنتم ودل على هذا الفعل المقدر الفعل الذى تقدمه وهو قوله اثم اذا ماوقع آمنتم به آلان ولايجوز ان يعمل فيه آمنتم الظاهر لان ماقبل الاستفهام لايعمل فيما بعده كما ان مابعده لايعمل فى ما قبله لان له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر ومعموله مقول قول مقدر كما صرح به وقدر القول والفعل الناصب لقوله آلان بلفظ الماضى ليطابق ماقبله وهو اذا ماوقع آمنتم ومابعده وهو قوله ثم قيل وهذه الاشياء لم تكن بعد بقرينة ماسبق من قوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذابه وعبر عنها بالفعل الماضى تنبيها على انها كائنة لامحالة والمعنى ثم قيل لهم ذوقوا هذا العذاب فانه لكم لايزول حيث تصيرون الى القبر فتعذبون ثم تحشرون فتحشرون الى جهنم فتعذبون فيها ابدا ثم انه تعالى اينما ذكر العذاب الشديد ذكر بعده هل تجزون الا بما كنتم تكسبون تنبيها على ان رحمته سابقة على غضبه وانه لم يخلق عباده الاليرحمهم ويتفضل عليهم وان هذا العذاب الشديد الموبد لم يصدر منه ابتداء بل هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المرتب على تناول السم ﴿ قوله احق هو ﴾ سألوا اولا عن زمان وقوعه وههنا سألوا عن تحققه نفسه ولهذا اختلف جوابهما فاجاب عن الاول بقوله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم * واجاب عن الثانى بتحققه مؤكدا بالقسم حيث قال اى وربى انه لحق ﴿ قوله والضمير ﴾ الذى هو لفظ هو مرتفع بانه فاعل احق فانه صفة مشبهة بمعنى ثابت غير واقع غير فع الفاعل وهذا الفاعل ساد مسد الخبر ويجوز ان يكون خبرا مقدما وهو مبتدأ مؤخرا وجملة احق فى محل النصب على انها مفعول ثان ليستنبئونك فان انبأ بمعنى أخبر فيتعدى الى اثنين والاشهر ان يتعدى الى الثانى بكلمة عن بان يقال استنبأت زيدا عن

والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على
انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجيئ
الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال
اوتعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون
الجملة متعلقة بارأيتم اوبقوله (اثم اذا ماوقع
آمنتم به) بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به
بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان وماذا
يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التأخير (آلان) على ارادة
القول اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع
العذاب آلان آمنتم به وعن نافع آلان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام (وقد
كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء (ثم
قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر
(ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام
(هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الكفر
والمعاصى (ويستنبئونك) ويستخبرونك
(احق هو) احق ماتقول من الوعد او ادعاء
النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيى
ابن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام
فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه
للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه
تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير
مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة
فى موضع النصب بيستنبئونك

(قل اي وربي انه لحق) ان العذاب لكائن اوما أدعيه ثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن
وصيل بواوه في التصديق فيقال اي والله
ولا يقال اي وحده (وما انتم بمعجزين)
بفائتين العذاب (ولو ان لكل نفس
ظلمت) بالشرك او التعدي على الغير
(ما في الارض) من خزآئنها واموالها
(لافتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب من
قولهم افتداه بمعنى فداه (واسرّوا الندامة
لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا
مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم
يقدروا ان ينطقوا وقيل اسرّوا الندامة
اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه
يقال سرّ الشيء لخالصه من حيث انها
تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم
سرّ الشيء واسرّه اذا اظهره (وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون) ليس تكريرا لان
الاوّل قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني
مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين
الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم (الا ان لله ما في السموات
والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة
والعقاب (الا ان وعد الله حق) ما وعده
من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
(ولكن اكثرهم لا يعلمون) لانهم لا يعلمون
لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا
(هو يحيي ويميت) في الدنيا فهو يقدر
عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول
قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت
قابلة لهما ابدا (واليه ترجعون) بالموت
او النشور (يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين) اي قد جاءكم كتاب جامع
للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال
ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة
عن القبائح وللحكمة النظرية التي هي شفاء
لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين
حيث انزلت عليهم لينجوا بها من ظلمات
الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان
والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته)
بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره
قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم اشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا

واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك
عمرو اي طلبت منه ان يخبرني عن عمرو وقد يستعمل بنفسه ﴿قوله واي بمعنى نعم﴾ اي حرف جواب
مثل نعم الا انه لا يجاب به الا مقرونا بالقسم قال صاحب الكشاف سمعتهم في التصديق يصلونه بواو القسم
﴿قوله بمعجزين بفائتين العذاب﴾ اي ما انتم بمعجزين ربكم حين اراد ان يعذبكم حتى يفوتكم العذاب من ابن
عباس رضي الله عنهما يريد ان الله لا يعجزه شيء ولا يفوته شيء ثم اخبر الله تعالى عن حالهم حين يرون العذاب فقال
ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض بالكفر والاشراك والافتدآء يجيء بمعنى مطاوع فداه فيكون لازما بمعنى فدى نفسه
فاقتدى ويكون بمعنى فداه فيتعدى الى واحد يقال فداه وافتداه اذا اعطاه فداءه وهو في الآية بالمعنى الثاني لان
النفس الظالمة هي المعطية لفدائها ﴿قوله لانهم بهتوا﴾ اي صاروا متحيرين بما رأوه من العذاب الشديد فلا
يطيقون عنده كلاما ولا بكاء ولا صراخا ولا يبقى لهم الا اخفاء الندامة كمن ذهب به ليصلب فانه يبقى مبهوتا لا ينطق
بكلمة وقيل اسرار الندامة كناية عن اخلاصها لله تعالى فان من اخلص في العمل اسرّه ادخارا واسرّ جعلها خالصة
صافية عن شوب صدّها بناء على ان الاخفاء من لوازم كون الشيء صافيا هذا على تقدير ان يكون الاسرار بمعنى
الاخفاء وهو المشهور في اللغة واسرّ من الاضداد يستعمل بمعنى اظهر ايضا على معنى ان ليس لهم هنالك قوة اخفاء
فاظهروها الصحيح وفي الكشاف سرّ الشيء واسرّه اذا اظهره ﴿قوله والثاني مجازاة المشركين على الشرك﴾
قال الامام قضي بينهم قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة
عليهم وقيل ان الكفار وان اشتركوا في العذاب فانه لابد ان يقضي الله بينهم لانه لا يمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم
بعضا في الدنيا وخانه فيكون ذلك القضاء تخفيفا من عذاب بعضهم وتثقيلا لعذاب الباقين لان العدل يقتضي
ان ينصف للمظلومين ولا سبيل اليه الا ان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين ثم انه تعالى
لما اوعد الظالمين بقوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت قرر قدرته على الاثابة والعقاب
بقوله الا ان لله ما في السموات والارض وقيل انه لما اراد ان الظالم لو ملك خزآئن الارض واموالها لافتدى
بها بين في هذه الآية العظيمة ان العالم ليس له شيء يفتدي به فان الاشياء باسرها ملك خاص لله تعالى لا يتصرّف
فيه غيره قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ه قال الامام في قوله الا ان لله ما في السموات والارض دقيقة وهي
ان كلمة الا انما تذكر لتنبيه الغافلين واهل هذا العالم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيضيفون الاشياء
الى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد والغلام لعمرو والسلطنة للخليفة والتصرف للوزير ونحو
ذلك فكانوا مستغرقين في نوم الجهل والغفلة حيث يظنون صحة تلك الاضافات فنادى الحق تعالى
هؤلاء النائمين بقوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض لانه قد ثبت ان جميع ما سواه ممكن لذاته وان
الممكن لذاته مستند الى الواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة فثبت ان جميع ما سواه مملوك له تعالى ثم انه تعالى لما قال
ان القرآن من رب العالمين وما كان افتراء من دونه تعالى واثبت رسالته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
فأتوا بسورة مثله وصف القرآن ههنا بصفات اربع وهي كونه موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين والعطف المعتبر في هذه الآية من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الذات
واشار اليه المصنف بقوله قد جاءكم كتاب جامع الخ والموعظة مصدر بمعنى الوعظ وهو ارشاد المكلف ببيان
ما يحمده من محاسن الاعمال وما يبصره من القبائح والترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكامل بهذا
البيان هو الحكمة العملية التي هي الموعظة وكونه شفاء لاشتماله على الحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور
من الامراض النفسية ﴿قوله بانزال القرآن﴾ اشارة الى ان فضل الله ورحمته عبارتان عن انزال
القرآن لان هذه الآية متصلة بالآية الاولى وهي في ذكر القرآن وقد وصفه الله تعالى بالرحمة في الآية
وقال في آية اخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته الى ان قال ذلك فضل الله كأنه قيل
قل يا محمد لهؤلاء الذين همتهم جمع الاموال والتزين بزخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته افرحوا لا بالاموال
والحظوظ الفانية السريعة الزوال روي انه صلى الله عليه وسلم قال بفضل الله وبرحمته اي بكتاب الله والاسلام
﴿قوله والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا﴾ اعني ان قوله تعالى بفضل الله وبرحمته لابدّ له من
متعلق ومتعلقه لا يكون فليفرحوا المذكور لانه متعلق لقوله فبذلك فلا بدّ ان يتعلق بمقدر والمقدر
لابدّ له من قرينة تدل عليه ولا قرينة سوى الفعل المذكور بعد قوله فبذلك وذلك الفعل وان كان متعلقا

لقوله بذلك الاان اسم الاشارة لما كان بمنزلة الضمير كان بمنزلة ان يقال فبهما فليفرحوا وهو ظاهر واما كونه مفسرا بتقدير فليعتنوا فلان الفرح بالشئ انما يكون بالاعتناء بشانه مع ان له قرينة اخرى وهى ان قوله تعالى فبذلك اشارة الى فضل الله ورحمته وقد تقدّم على الفعل فتقديمه يدل على الاعتناء بشانهما وتكرير الامر بتخصيص الفرح بالفضل والرحمة يفيد التأكيد لامحالة مع ان العامل اجمل فيما ذكره اوّلا وبين فى الثانى ولاشك ان تبيين شئ اجمل اوقع فى النفس والتقرير وايضا التكرير على الوجه الخاص والتكرير بتقديم المعمول على عامله يفيد ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح بهما والمراد اختصاص الفرح بهما ﴿ قوله او بفعل دل عليه قد جاءتكم ﴾ اشارة الى ان صاحب الكشاف نسيهما ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا فانه يدل على كونها متعلقة بجاءتكم المذكور ولاوجه لفصل بينه وبين الجار والمجرور ويحتمل ان يكون الفاء فيه للدلالة على ان ماذكر قبله من مجئ الكتاب الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقادير تكون الفاء الثانية تكريرا للاولى لقصد التأكيد كما فى قوله

⊙ لاتجزعى ان منفسا اهلكته ⊙ واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى ⊙

فان الفاء الاولى فيه جزآئية والثانية تأكيد لها وقرأ الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب وهى قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماروى عنه مرفوعا والاصل الامر سوآء كان امر الغائب او امر المخاطب ان يكون باللام فاصل اضرب لتضرب لكنهم حذفوا اللام فى امر المخاطب لكثرة استعماله كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخفيفا ثم ادخلوا همزة الوصل احترازا عن الابتدآء بالساكن وهذا معنى قول المصنف على الاصل المرفوض ﴿ قوله وقرأ ابن عامر تجمعون ﴾ بتاء الخطاب على انه خطاب للناس الذين خوطبوا بقوله ياايها الناس قد جاءتكم وهم كفار مكة خاطبهم ثم قال لهم فبذلك فليفرح المؤمنون وانه خير مما تجمعون ايها الكفار والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا الا ان يفرحوا مسند الى ضمير المؤمنين ويجمعوا مسند الى ضمير الكفار او كلاهما مسند الى ضمير الكفار ﴿ قوله جعل الرزق منزّلا ﴾ اى من السماء مع ان الارزاق انما تخرج من الارض اما لانه مقدّر فى السماء كما قال تعالى وفى السماء رزقكم ولا يخرج من الارض الاعلى حسب ماقدر فيها فصار ذلك كانه منزّل منها او لانه انما يخرج من الارض باسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فان المطر سبب الانبات والشمس سبب النضج والقمر سبب التلوّن ووجه اتصال الآية بماقبلها انه تعالى اثبت اوّلا نبوّته صلى الله عليه وسلم واجاب عن شبه اهل مكة فى انكار نبوّته واتبع ذلك شأن فساد طريقتهم فى شرآئعهم وبين ان التمييز بين هذه الاشياء بتحليل بعضها وتحريم البعض الآخر مع انه لم يشهد بذلك عقل ولانقل فرق باطل ومنهج فاسد والمقصود ابطال مذاهب القوم فى اديانهم وفى احكامهم وانهم ليسوا على شئ فى باب من الابواب ﴿ قوله وما فى موضع النصب بانزل او بارأيتم ﴾ يريد ان كلمة ما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى منصوبة على انه مفعول اوّل لارأيتم والعائد محذوف والتقدير اخبرونى ماانزل الله ومفعوله الثانى هو قوله آلله اذن لكم والعائد من هذه الجملة الى المفعول الاوّل محذوف تقديره آلله اذن لكم فيه فان قيل قوله تعالى قل يمنع من كون الجملة بعده مفعولا ثانيا واجاب ان كلمة قل فى قوله تعالى قل آلله اذن لكم هى قل المذكورة اوّلا كررت للتأكيد لانه لوحذف من الكلام وقيل قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله اذن لكم فيه يتم الكلام بدونه علم بذلك انها انما ذكرت للتأكيد فلايمنع كون مابعدها معمولا لماقبلها ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بانزل وهى حينئذ تكون متعلقة لارأيتم وتكون سادّة مسد المفعولين والمعنى اخبرونى اى شئ انزل الله من رزق فبعضتموه والمقصود الانكار لتجزئتهم الرزق ﴿ قوله ويجوز ان تكون المتصلة ﴾ اراد قوله آلله اذن لكم فانه قد انفصل من قوله ارأيتم بتخلل كلمة قل بينهما يريد انه قد سبق عليه شيئان احدهما ارأيتم والآخر قل فجاز فى قوله قل آلله اذن لكم امران الاوّل ان يكون متعلق الاستخبار ومفعوله والثانى ان يكون متعلق القول ومقوله فان علق بارأيتم فلابدّ ان تكون الهمزة فى آلله للاستخبار وتكون ام متصلة فان قيل الهمزة وام المتصلة سؤال عن تعيين احد الامرين وذلك يقتضى ان يكون كل واحد من الامرين محتملا ومن المعلوم انتفاء الاذن من الله تعالى فتعين كونهم مفترين على الله فكيف يسأل عن تعيين احدهما اجيب بان هذا السؤال ليس لطلب العلم بل هو للوعيد ولطلب الاقرار منهم على الافترآء والزام

وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد
الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك
اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا
والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ
فبهما فليفرحوا او للربط بماقبلها والدلالة على
ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات
موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله
واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى ⊙ وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا
(هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها
الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن
عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح
المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون
(قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق) جعل
الرزق منزّلا لانه مقدّر فى السماء محصل باسباب
منها وما فى موضع النصب بانزل او بارأيتم
فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد
منه ماحل ولذلك وبخ على التبعيض فقال
(فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه انعام
وحرث حجر ومافى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرّم على ازواجنا (قل آلله
اذن لكم) فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك
بحكمه (ام على الله تفترون) فى نسبة ذلك
اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم
وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير
لافترآئهم على الله (وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب)

اى شئ ظنهم (يوم القيامة) ايحسبون ان لايجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام

الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن اكثرهم لايشكرون) هذه النعمة (وماتكون فى شأن) ولاتكون فى امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (وماتتلو منه) له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام او لان القرآءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو (من قرآن) على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفى او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله (ولاتعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير (الا كنا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذتفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (ومايعزب عن ربك) ولايبعد عنه ولايغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سبأ (من مثقال ذرة) موازن نملة صغيرة او هباء (فى الارض ولا فى السماء) اى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لماقبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (الا ان اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) بفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

الحجة عليهم فلا يعذرون وان علق بقل جاز ان تكون ام متصلة وهو ظاهر والتقدير قل أالله اذن لكم فى التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك بحكمه ام تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه وان تكون منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله والهمزة للانكار على انه تعالى قرر عليهم تحليله وتحريمه اولا ثم انكر عليهم ان يكون ذلك باذن الله تعالى ثم اضرب عنهم وقرر افتراءهم ﴿قوله اى شئ ظنهم﴾ اشارة الى ان ما استفهامية فى محل الرفع على الابتداء وظن خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف الى فاعله ﴿قوله ولاتكون فى امر﴾ اشارة الى ان ما نافية وان الشأن بمعنى الامر ويجمع على شؤون ويكون الشأن بمعنى الحال ايضا يقال ماشأن فلان بمعنى ماحاله وفى شأن خبر تكون والضمير فى منه راجع الى الشأن اما على تقدير ماتتلو حال كون القرآءة بعض شؤونك واما ان يحمل الكلام على حذف المضاف تقديره وماتتلو من اجل الشأن بان يحدث لك شأن تتلو القرآن من اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا اى من اجل خطيئاتهم ﴿قوله او للقرآن﴾ اى او يكون ضمير منه للقرآن فتكون من تبعيضية والتى فى قوله من قرآن زائدة فى سياق النفى واطلق القرآن على بعضه لان كل جزء منه قرآن وهو اسم للقدر المشترك بين الكل والجزء وان قلنا ان ضميرمنه لله عزوجل تكون من ابتدائية ولما اوعد الله الذين يفترون على الله الكذب بعذاب يوم القيامة بين كونه محيطا بعمل كل واحد من المطيعين والعصاة والمذنبين والخطاب وان خص به صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر الا ان الامة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خوطب دخل قومه فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى ياايها النبى اذا طلقتم النساء وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا جملة حالية وهو استثناء مفرغ اى مايكون شئ مما ذكر فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا مشاهدين مطلعين عليه وقوله اذتفيضون ظرف معمول لشهودا والافاضة الدخول فى العمل يقال افاض القوم فى الحديث اذا اندفعوا فيه وافاضوا من عرفة اذا دفعوا منها لكثرتهم ﴿قوله موازن نملة صغيرة او هباء﴾ اشارة الى ان قوله تعالى من مثقال ذرة فاعل يعزب وكلمة من فيه زائدة وان الذرة عبارة عن النملة الصغيرة او الهباء وان مثقالها عبارة عما يوازنها ويساويها فى الثقل ﴿قوله كلام برأسه﴾ اى غير معطوف على ماقبله لانه لو عطف على محل من مثقال ذرة فكان مرفوع المحل على انه فاعل يعزب ومن مزيدة فيه كما فى قولك ماجاءنى من احد او على لفظ مثقال ذرة او على لفظ ذرة فكان فتح اصغر واكبر مع كونهما فى موضع الجر لعدم انصرافهما لوزن الفعل والصفة لكان المعنى لايعزب عنه مثقال ذرة ولا اصغر شئ من ذلك ولا اكبر فى حال من الاحوال الا فى حال كونه فى كتاب وهو اللوح او علمه تعالى فاما مافى الكتاب من مثقال الذرة وماهو اصغر منه او اكبر فانه يعزب عنه ولا شك ان كون الشئ الذى فى الكتاب خارجا عن علم الله تعالى عازبا عنه باطل ومحال فلذلك جعله كلاما برأسه بان جيئ به لتقرير ماقبله وجعل لا نافية للجنس واصغر واكبر اسمها وهما مبنيان على الفتح على قرآءة الجمهور وقرأ حمزة ويعقوب برفع راء اصغر واكبر اما عطفا على محل مثقال ذرة واما على الابتداء ليكون كلاما برأسه ولما ورد ان يقال ان كثيرا من القرآء جعلوا قوله تعالى ولا اصغر ولا اكبر على قرآءة الجمهور معطوفا على المجرور وجعلوا صورة الفتح جرا غير المنصرف وجعلوه على قرآءة حمزة معطوفا على محل الجار والمجرور فهم كيف يتخلصون من لزوم فساد المعنى حينئذ اجاب عنه بقوله ومن عطف جعل الاستثناء منقطعا والمعنى لايعزب عنه شئ ولكن جميع الاشياء فى كتابه وقال ابو شامة يزول الاشكال بان يقدر قبل قوله الا فى كتاب ليس شئ من ذلك اى ليس شئ من ذلك الا فى كتاب مبين ثم انه تعالى لما عمم وعده ووعيده فى حق كل من اطاع وعصى فى الآية السابقة اتبعه بشرح اولياء المخلصين فقال الا ان اولياء الله ﴿قوله يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة﴾ اى يتقربون اليه ويتقرب هو تعالى اليهم فان الولى القريب وولى كل شئ هو الذى يكون قريبا منه والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال بل القرب منه انما يكون بطاعته والاستغراق فى معرفته بحيث اذا رأى رأى دلائل قدرته واذا سمع سمع آياته واذا نطق نطق بالثناء عليه واذا تحرك تحرك فى خدمته واذا اجتهد اجتهد فى طاعته فبهذه الحيثية يكون فى غاية القرب منه تعالى ويكون وليا له عزوجل فيكون الله تعالى وليا له ايضا كما قال الله ولى الذين آمنوا لان القرب لايكون الا من الجانبين واليه اشار المصنف بقوله يتولونه ويتولاهم والخوف انما يكون من حدوث شئ من المكاره فى المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شئ مما يكرهه فى الماضى او من فوت شئ احبه فيه ﴿قوله والآية كمجمل﴾ لان قوله اولياء الله عنوان مجمل لم يبين فيه جهة قربهم من الله تعالى مخفى المراد منه وقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون سوآء كان

وماريهم فى الرؤيا الصالحة ومايسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع (وفى الآخرة) بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح اوعلى وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى (لاتبديل لكلمات الله) اى لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشربه وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولايحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القرآءة بالفتح كأنه قيل لاتحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافيهم عليها (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لايصلح احد منهم للربوبية فالايعقل منها احق ان لايكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) اى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فلكم لاتتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) اى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبنى فانه لايصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء

منصوبا على انه صفة للاولياء اومنصوبا على المدح اومرفوعا على الابتداء بعمر وبين جهة قربهم منه تعالى وهى ايمانهم وخوفهم من المقام بين يدى الله تعالى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما يريدبهم الذين صدقوا النبى صلى الله عليه وسلم وخافوا مقامهم بين يدى الله تعالى فكان بيانا لما اجمل اوّلا والفرق بين كونه تفسيرا للمراد من اولياء الله وبين كونه بيانا لتوليهم ربهم ظاهر لان الاوّل لايستلزم الثانى والثانى يستلزم الاوّل ﴿ قوله وماريهم فى الرؤيا الصالحة ﴾ روى ان عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه البشرى التى ذكرها الله تعالى بقوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له قال الامام اذا حملنا قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى انه لاتحصل هذه الحالة الا لاولياء الله تعالى والعقل ايضا يدل عليه وذلك لان ولىّ الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله تعالى ومن كان كذلك فانه عند النوم لايبقى فى روحه الا معرفة الله تعالى ومن المعلوم ان معرفة الله تعالى ونور جلال الله لايفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الخاطر على احوال هذا العالم الكدر المظلم فانه اذا نام كذلك فلايبقى الاجرم خال من ذلك النور فانه لااعتماد على رؤياه وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان واذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوّذ وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لايضره وقيل اذا رأى احدكم مايحزنه فليقل اعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شر الرؤيا التى رأيتها ان تضرّنى فى دنياى وفى آخرتى وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة التى يبشرها المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوّة فمن رأى شيئا من ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فانما هى من الشيطان ليحزنه بها فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليسكت ولايخبر بها احدا ﴿ قوله وبشرى الملائكة عند النزع ﴾ قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴿ قوله وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بماقبله ﴾ جواب عما يقال كل واحدة من الجملتين كيف تكون اعتراضا والاعتراض انما يكون فى اثناء الكلام او بين كلامين متصلين لافى آخرهما وقد انقطع الكلام عندهما وتقرير الجواب ان ماذكر كلام اكثرى لا كلى فانه لايجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت وحدث لى حادث والحوادث جمة وتسكت ومن شرط ذلك فهو تذييل لا اعتراض ﴿ قوله وتهديدهم ﴾ فانه تعالى لما ابطل جميع شبهاتهم المتعلقة بالبطلان فى النبوّة وعدلوا الى طريق آخر فى القدح فى امره صلى الله عليه وسلم وهو انهم هددوه وخوّفوه بانهم اصحاب اموال واتباع فنسعى فى قهرك وفى ابطال امرك اجاب تعالى عن طريقتهم بقوله ولايحزنك قولهم ﴿ قوله من الملائكة والثقلين ﴾ بينه بهما لان كلمة من فى السموات والارض مختصة بالعقلاء كأنه قيل فى يعز عليك بكثرة اتباعه واموله فهو مغرور بما ليس له لان الموجودات كلها لله تعالى فمن استعان بها عليك فقد امره الى الذل والهوان لانه تعالى قادر على ان يسلب منهم تلك الاشياء وينصرك عليهم ويعدك اموالهم وديارهم ﴿ قوله اى شركاء على الحقيقة ﴾ اشارة الى ان ما نافية وشركاء معمول يتبع ومعمول يدعون محذوف لانفهامه بمعونة المقام والتقدير مايتبع الذين يدعون الهة من دون الله شركاء لان شركة الله تعالى فى الربوبية محال فالهة معمول يدعون وشركاء معمول يتبع ﴿ قوله ويجوز ان تكون ما استفهامية ﴾ بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوبا بيدعون والمعنى اى شئ يتبع المشركون اى مايتبعونه ليس بشئ ﴿ قوله وقرئ تدعون ﴾ بتاء الخطاب بمعنى المشركين على انه حمل ومايتبع على الاستفهام كما صوّره من المعنى ﴿ قوله او يحزرون ﴾ عطف على يكذبون ويقدرون تفسير ليحزرون فان الحزر التقدير يعنى ان الخرص مشترك بين معنيين الحزر والكذب يقال خرص يخرص خرصا اى كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب ﴿ قوله وانما قال مبصرا ﴾ يعنى ان المبصر هو الذى يبصر والنهار لايبصر بل يبصر فيه وكان الظاهر ان يقال لتبصروا فيه كما فى الليل لتسكنوا فيه فعدل عن هذا الظاهر واسند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره صائم وليله قائم ونكتة العدول الى الاسناد المجازى ماذكره من التفرقة فنص على ظرفية ماهو مجرد حيث قال لتسكنوا واسند الابصار الى ماليس ظرفا مجردا ولم يصرح بظرفيته له تنبيها على انه ليس بظرف محض بل هو لكونه ذا ضياء سبب لابصار اسباب المعاش قيل هذه الآية فى غاية الفصاحة حيث حذف من كل جملة ما اثبت فى الاخرى فانه تعالى ذكر علة جعل الليل مظلما وهى قوله لتسكنوا فيه وحذفها من جعل النهار مبصرا

(هو الغني) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (له ما في السموات وما في الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا) نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعته او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان (اتقولون على الله ما لا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلاقهم وتجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتع في الدنيا (ثم الينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامي) نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة (وتذكيري) اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا امركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من اجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لا يكن امركم) في قصدي (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري (ثم اقضوا) ادوا (الي) ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء (ولا تنظرون) ولا تمهلون (فان توليتم) اعرضتم عن تذكيري (فما سألتكم من اجر) يوجب توليكم

وذكر صفة النهار وهى قوله مبصرا وحذفها من الليل لدلالة مبصرا وتقديره عليه هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه فتحصلوا اسباب معايشكم فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه ويقال أظلم الليل اى صار ذا ظلمة واضاء النهار اى صار ذا ضياء فيكون هنا من باب النسب كقولهم لابن وتامر وقوله تعالى عيشة راضية ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير الدلائل الدالة على تحقيق الحق وابطال الباطل شرع في بيان قصص الانبياء تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فان المصيبة اذا عمت خفت وليكون ذلك سببا لانكسار قلوب الكفار ووقوع الخوف في صدورهم وتعليل ايذائهم وسفاهتهم فانهم اذا سمعوا ان الامم السابقة وان بالغوا في ايذاء انبيائهم الا انه تعالى قد اعانهم بالآخرة ونصرهم وقهر اعداءهم كان سماعهم سببا لانكسار شوكتهم وتمردهم ولتكون هذه القصص من قبيل زيادة ولا نقصان مع انه لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا معجزة له صلى الله عليه وسلم دالة على انه اعلم فيها بالوحي والتنزيل فابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام واذ في قوله اذ قال معمول لنبأ لا لقوله اتل لانه مستقبل واذ ماض والمقام اما اسم لمكان القيام او مصدر على الاول يكون كناية عن النفس لان المكان من لوازمها كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اى لاجله وعلى كونه مصدرا اما ان يراد طول قيامه بينهم او قيامه على الدعوة والتذكير فانه صلى الله عليه وسلم مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فيحتمل ان يستثقلوا ذلك وايضا ان اولئك الكفار كانوا قد الفوا تلك المذاهب الفاسدة من الف طريقة في امر الدين فانه يثقل عليهم ان يدعوا الى خلافها فان اقترن بذلك طول مدة الدعاء كان اثقل واشد وذهب ابو البقاء الى ان قوله تعالى فعلى الله جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجواب ورد عليه انه عليه الصلاة والسلام متوكل على الله دائما كبر عليهم مقامه او لم يكبر والاظهر ان يقال الجواب محذوف اى فافعلوا ما شئتم والمذكور تعليل لعدم مبالاته بهم او يقال الجواب قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه وقراءة الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع وهو العزم يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه فهو يتعدى بعلى الا ان حرف الجر حذف في الآية واوصل الفعل الى المجرور بنفسه وقيل هو متعد بنفسه في الاصل واجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقرأ العامة شركاءكم منصوبا على انه مفعول معه من ضمير الفاعل في فاجمعوا او على انه معطوف على امركم بحذف المضاف وعن نافع فاجمعوا بقطع الهمزة ووصل الالف وفتح الميم من جمع يجمع وفيه وجهان الاول ان التقدير فاجمعوا ذوى الامر منكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واوقع الفعل عليه والثاني ان المراد بالامر ههنا وجود كيدهم ومكرهم والتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتموه وقول المصنف او الاجتماع على قصده يلائم الوجه الاول ﴿قوله او ثم لا يكن حالكم عليكم غما﴾ اى يحتمل ان يكون الامر في قوله امركم عبارة عن معاداتهم اياه وقصدهم اهلاكه وان يكون الامر في الحال وان تكون الغمة بمعنى الغم والاغتصاص كما نقل عن المبرد انه قال اى فرجوا عن انفسكم ولا تغموها ﴿قوله ادوا الي ذلك الامر﴾ اشارة الى ان مفعول اقضوا محذوف وهو ذلك الامر وقرئ ثم افضوا بقطع الهمزة والفاء من افضى يفضي اذا انتهى او من افضى اذا خرج الى الفضاء والصحراء اى ثم اخرجوا به الي وابرزوه لي والمعنى على الاول ثم القوا الي ما استقر عليه رأيكم بما في نفوسكم محكما مصرين عليه ثم لا تمهلون ولا تؤخرون وقد نظم بعضهم هذا الكلام على احسن وجه فقال انه صلى الله عليه وسلم قال في اول الامر فعلى الله توكلت فاني واثق بوعد الله جازم بانه لا يخلف الميعاد فلا تظنوا ان تهديدكم اياي بالقتل والايذاء يمنعني من الدعاء الى الله تعالى ثم انه عليه الصلاة والسلام اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا امركم كانه يقول اجمعوا كل ما تقدرون عليه من الاشياء التي توجب حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل امرهم ان يضموا الى انفسهم شركاءهم الذين كانوا يزعمون ان حالهم يقوى بمكانهم وبالتقرب اليهم ثم لم يقتصر على هذين بل ضم اليهما ثالثا وهو قوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة واراد ان يبلغوا فيه وان يسعوا في امره غاية السعي حتى يطيب عيشهم كل غاية في المكاشفة والمجاهدة ثم لم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه رابعا فقال ثم اقضوا الي والمراد وجهوا كل تلك الشرور الي ثم ضم الى ذلك خامسا فقال ولا تنظرون اى عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انتظار وهذا آخر الكلام ومعلوم ان مثل هذا الكلام يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان قد بلغ النهاية في التوكل على الله وانه كان قاطعا بان كيدهم لا يضره ولا يصل اليه وان مكرهم لا ينفذ فيه ﴿قوله فما سألتكم من اجر يوجب توليكم﴾

(لاجد)

لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او بعوضى توليكم (ان اجرى) ما ثوابى على الدعوة والتذكير (الا على الله) لا تعلق له بكم يثيبنى به آمنتم او توليتم (وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) ارسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر او فائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكى بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون (أسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المقول (ولا يفلح الساحرون) من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان

لاحد امرين لثقله عليكم او لكونه سببا لاتهامكم اياى بان تقولوا انما يعظنا ويذكرنا طمعا فى نيل الاجر والمال من قبلنا او قوله فاسألتكم عليه علة لما هو جزاء الشرط اقيمت مقام الجزاء والمعنى ان توليتم فلا باعث يدعوكم الى التولى اذ ليس عندى ما ينفركم عنى ويحملكم على الاعراض عن تذكيرى ﴿قوله او بعوضى توليكم﴾ عطف على قوله يوجب توليكم والمعنى حينئذ فان توليتم فلا يرجع ضرر ذلك التولى على اذ لا معطل من قبلكم اى اذكر قول نوح عليه الصلاة والسلام اذ قال لقومه كذا وكذا فكذبوه تمردا وعنادا فحقت عليهم كلمة العذاب فاغرقوا فنجيناه ومن استقر معه فى الفلك او فنجيناهم فى هذا المكان فان انجاءهم وقع فى الفلك فعلى هذا يتعلق فى الفلك بنجيناه وعلى الاول يتعلق بالاستقرار الذى تعلق به معه ﴿قوله تعالى بالبينات﴾ متعلق بجاؤهم او بمحذوف على انه حال اى ملتبسين بالبينات وما فى قوله تعالى بما كذبوا به مصدرية وضمير به للحق والكاف فى قوله كذلك فى محل صفة مصدر محذوف اى مثل ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله نطبع على قلوب المعتدين على الحد باختيار الاصرار على الكفر * قال الامام احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى قد يمنع المكلف من الايمان وتقريره ظاهر ثم نقل القاضى رئيس المعتزلة ان الطبع غير مانع من الايمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا فلو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء ثم احال تحقيق الكلام فى هذا المقام على ما استقصاه فى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴿قوله بالآيات التسع﴾ وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر والحق فى قوله تعالى فلما جاءهم الحق ظاهر اقيم مقام ضمير الآيات المذكورة فى قوله بآياتنا وهى الآيات التسع والا لم ينتظم قوله ان هذا لسحر مبين جوابا لقوله فلما جاءهم الحق ثم جعل الحق شخصا جاءهم من عند الله على سبيل الاستعارة المكنية بقرينة اسناد المجئ يدل على غاية ظهوره بحيث لا يخفى على من له ادنى مسكة فلذلك عطف المفسر قوله وعرفوه على قوله تعالى لا من قبل موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فيكون ذلك فيكون ذلك تصريحا بالدلالة المفهومة من تعلق بالآيات بالحق تعريضا بان سحرهم تخييل وتمويه فيكون باطلا بخلاف قلب العصا حية وفلق البحر وغير ذلك من الآيات فان ضرورة العقل حاكمة بانها ليست من قبيل التمويه فلا يكون سحرا بل يكون حقا ظاهرا من عند الله تعالى بخلقه وايجاده ﴿قوله لانهم بتوا القول﴾ اى قطعوا بانه سحر ولا يصح منه ان يستفهم ويقول أسحر هذا على انه مقول أتقولون بل هو مقول قال موسى انكر عليهم اولا بت القول بانه سحر مبين ثم انكر ثانيا كونه سحرا من قبيل التمويه والتخييل ﴿قوله الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير﴾ استثناء من قوله ولا يجوز الخ اى لا يجوز ذلك بكل حال الا ان يكون الاستفهام فيه لتحقيق كونه سحرا مبينا وقولهم ان صاحبه لا يفلح للقطع بان السحر تمويه وتخييل باطل لا يظفر به الساحر فكانهم قالوا أجئت بالسحر تطلب به الفلاح فلا يفلح الساحرون فيكون المحكى بقوله أتقولون هو مفهوم ما قالوه افرد موسى عليه السلام تلك المقالة المفهومة من قولهم وانكرها واثبت ان الفلاح لصاحبه حيث جاء به حقا من عند الله فالحاصل ان المصنف ذكر فى قوله أتقولون للحق لما جاءكم ثلاثة اوجه الاول ان القول فيه على اصل معناه وان مقوله محذوف لدلالة السابق عليه وقول موسى أسحر هذا ابتداء كلام ذكر انكارا لما قالوه وتجهيلا لهم والثانى ان يكون القول على معناه ايضا وتكون الجملة الاستفهامية مقولا له من حيث دلالتها على انه لا فلاح لمن جاء به والثالث ان يكون القول كناية عن القالة والطعن فلا يستدعى مقولا وان الذكر كناية عنها فلا يستدعى مذكورا كما فى قوله سمعنا فتى يذكرهم وقوله أسحر هذا استئناف للانكار والتجهيل ﴿قوله لتصرفنا﴾ يعنى ان اللفت فى اللغة الصرف يقال لفته عن كذا اى صرفه ولواه عنه وقيل لفت الشئ وفتله بمعنى لواه فهما اخوان ومطاوع لفت التفت كما ان مطاوع فتل افتتل وقد يجعل مطاوع فتل مطاوعا للفت لتناسبه بمطاوع احدهما عن مطاوع الآخر واللام فى لتلفتنا متعلقة بالمجئ اى أجئتنا لهذا الغرض قالوه انكارا لمجيئه صارفا اياهم عن دين آبائهم وحاصل كلامهم انهم قالوا لا نترك الدين الذى نحن عليه لانا وجدنا آباءنا عليه لان مقصودكما من دعوى الرسالة ان يكون لكما الملك والعز فى ارض مصر فلا نؤثر رياستكما على رياسة انفسنا فلما ثبتوا على اعراضهم عن قبول دعوتهما لهذين الامرين صرحوا بالحكم المتفرع عليهما فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا ان يعارضوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى عليه الصلاة والسلام من باب السحر فجمع فرعون السحرة واحضرهم فقال لهم موسى القوا ما انتم ملقون * فان قيل كيف امرهم بالسحر والعمل بالسحر كفر والامر بالكفر كفر * فالجواب انه

صلى الله عليه وسلم امرهم بالقاء الحبال والعصى ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعى باطل لا انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالسحر ﴿قوله اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا﴾ والحصر مستفاد من تعريف المبتدأ تعريفه بلام الجنس فيفيد قصر الجنس على المسند اليه قصرا حقيقيا مطابقا للواقع نحو زيد الامير اذا لم يكن فى الواقع امير سواه او قصرا غير حقيقى مبنيا على المبالغة فى اتصاف المسند اليه بذلك الجنس نحو عمرو الشجاع اى الكامل فى الشجاعة بنى الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة مقصورة عليه لا تجاوزه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال وقوله تعالى ما جئتم به السحر من قبيل الاول وكلمة ما فيه بمعنى الذى فى محل الرفع على الابتداء وجئتم به صلته ومائه والسحر خبره عرف لفظ السحر بحرف التعريف وسقطت همزة الوصل حال الدرج ﴿قوله بدل منه﴾ اى من اسم الاستفهام ولذلك اعيد معه اداة الاستفهام فانه قد تقرر فى كتب النحو ان ما وقع بدلا من اسم الاستفهام لا بد ان يعاد فيه اداته ليساوى البدل المبدل منه فى انه استفهام كما تقول كم مالك أعشرون ام ثلاثون فجعل أعشرون بدلا من كم ولا يلزم ان يخبر فالسحر خبر لانك اذا ابدلته من المبتدأ وصار فى موضعه صار خبر المبتدأ خبرا عنه ﴿قوله ويجوز ان ينتصب ما الخ﴾ اى ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وجئتم به مفسرا لذلك الفعل المقدر فتكون المسئلة حينئذ من باب الاشتغال والتقدير اى شئ اتيتم جئتم به والسحر على ما تقدم ولو قرئ بنصب السحر على انه بدل من ما بهذا التقدير لكان له وجه لكن لم تنقل القرآءة به واعلم انك اذا جعلت ما موصولة بمعنى الذى امتنع نصبها بفعل مقدر على الاشتغال لان ما بعدها صلة والصلة كما لا تعمل فى الموصول لا تكون تفسيرا لما هو العامل فيه فتلخص من هذا انها اذا كانت استفهامية جاز ان تكون فى محل رفع او نصب واذا كانت موصولة تعين ان تكون فى محل الرفع بالابتداء ﴿قوله فما آمن لموسى فى مبدأ امره﴾ ولعله اخذ التقييد المذكور من فاء التعقيب فانها تدل على ان السحرة لما ألقوا حبالهم وعصيهم وعارضهم موسى عليه الصلاة والسلام فلولا لم يتأخر ايمان الذرية عنه بل وقع عقيبه فان الفاء تفيد ذلك ثم انه لما تقدم ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون اختلف فى مرجع ضمير قومه فاختار المصنف كونه راجعا الى موسى لكونه اقرب مذكور ولانه لو رجع الى فرعون لكان حق التركيب ان يقال على خوف منه بدل على خوف من فرعون واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وغيره قالوا المراد مؤمنوا بنى اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه وقالوا لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لحمله على التحقير والاهانة هنا فوجب حمله على التصغير بمعنى قلة العدد او حداثة السن وقيل ضمير قومه يعود على فرعون ويضعف عوده على موسى لان المعروف من اخبار بنى اسرآئيل انه قد فشت فيهم انواع الذل والقهر بسبب استيلاء فرعون عليهم وكانوا يرجون ان يكشف الله تعالى عنهم ما هم فيه من انواع الشدآئد بظهور المولود الذى يخاف فرعون من ظهوره ومن زوال ملكه بسببه فلما جاءهم عليه الصلاة والسلام اتفقوا على اتباعه والايمان به ولم تتخلف فيه الا طائفة من بنى اسرآئيل كفرت بموسى عليه الصلاة والسلام فيبعد ان يقال معنى الآية فما آمن لموسى الا ذرية قليلة من بنى اسرآئيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى عنه انه قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا بموسى منهم امرأة فرعون ومؤمن من آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وامرأة ماشطة ﴿قوله تعالى على خوف﴾ حال اى آمنوا كائنين على خوف او مع خوف ﴿قوله وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء﴾ جواب عما يقال كيف يعود ضمير الجموع على مفرد وهذا انما يكون جوابا ان لو كان التعبير عن المفرد بضمير الجمع واردا فى كلام من يعظم فرعون حتى يعبر عنه بضمير الجمع فينبغى ان يقتصر على الجواب الثانى وهو ان فرعون صار اسما لاتباعه كثمود وربيعة الفرس ومضر الحمراء ﴿قوله او للذرية﴾ اى ويجوز ان يكون ضمير ملئهم للذرية اى على خوف من فرعون ومن ملأ الذرية وهم اشراف بنى اسرآئيل وان يكون للقوم سوآء جعلنا الضمير فى قومه لموسى او لفرعون اى ومن ملأ قوم موسى او من ملأ قوم فرعون وقوله وهو بدل منه اى من فرعون بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك اعجبنى زيد علمه ويجوز ان يكون فى محل النصب على انه مفعول للخوف اى على خوف فتنته واعمال المصدر كثير ومنه قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما او اسباط الانبياء بنوا اسرآئيل فانهم من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام جعلهم ارقاء مقهورين

(مما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر) اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شئ اتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه او سيظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى مبدأ امره (الا ذرية من قومه) الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرآئيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون وملئهم) اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم (ان يفتنهم) ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

﴿ قوله وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين ﴾ فان الآية وان اعتبر فيها شرطان مختلفان وهما الايمان بالله والاسلام فان الايمان بالله عبارة عن التصديق بانه واجب الوجود لذاته واحد وان جميع ما سواه محدث مخلوق مقهور تحت مشيئته وتصرفه والاسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد لتكاليف الصادرة من الله تعالى واظهار الخضوع وترك التمرد ولا شك انهما امران مختلفان الا ان المعلق على هذين الشرطين حكم واحد من وجه واحد وهو وجوب التوكل واللازم ان لا يجب التوكل بمجرد الايمان بالله تعالى لان المشروط لا يحصل الا بعد تحقق شرطه والشرط اذا كان امورا متعددة لا يحكم بتحققه الا اذا تحقق جميع اجزائه فان قال الشارع ان كان المكلف زانيا محصنا فارجموه لا يجب الرجم الا بعد تحقق مجموع الامرين فكذا في هذه الآية لو علق وجوب التوكل على مجموع الايمان بالله تعالى والاسلام لزم ان لا يجب التوكل الا بعد تكامل الشرط بجميع اجزائه وليس كذلك بل هنالك حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة علق وجوب التوكل على الايمان بالله وحصول التوكل على الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله تعالى اي يجعلوها سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها فان من لم يسلم وجهه لله تعالى بان جعل للشيطان مدخلا فيها لا يحصل له التوكل وهو تفويض الامر بالكلية الى الله تعالى والاعتماد في كل الاحوال على الله تعالى وانما قال فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لان الاول يفيد الحصر حيث يدل على ان موسى عليه الصلاة والسلام امر قومه بالتوكل عليه ونهاهم عن التوكل على غيره تعالى والمراد في هذا المقام هو التوكل على هذا الوجه لانه الذي يقتضيه الايمان بالله فان من اعتقد ان كل ما سوى الله تعالى ملكه ومقهور تحت تصرفه وتسخيره امتنع ان يتوكل على غيره وقد مر ان نوحا عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالتوكل على هذا الوجه حيث قال على الله توكلت وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام ثم انه تعالى بين ان موسى عليه الصلاة والسلام لما امر بذلك قومه قبلوه فقالوا على الله توكلنا لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله تعالى مخلصين انفسهم له تعالى ﴿ قوله موضع فتنة ﴾ لهم اي موضع عذاب لهم بان تسلطهم علينا فيعذبونا وقيل المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم انا لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا فيصير ذلك شبهة قوية في اصرارهم على كفرهم فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم وانك لو سلطتهم علينا لاستوجبوا العذاب الشديد في الآخرة وذلك يكون لهم فتنة ﴿ قوله ان اتخذا مباءة ﴾ في الصحاح المباءة منزل القوم في كل موضع يقال تبوأت منزلا اي نزلته وبوأت الرجل منزلا وبوأته منزلا بمعنى هيأته ومكنت له فيه وكلمة ان فيه يجوز ان تكون مفسرة لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول والايحاء ويجوز ان تكون مصدرية فيكون ان تبوأ في موضع النصب باوحينا مفعولا به اي اوحينا اليهما التبوء وهو النزول والرجوع يقال تبوأ المكان اذا اتخذه مباءة ومنزلا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة والصلاة فيه ﴿ قوله امروا بذلك ﴾ اي بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ في اظهار المعجزات وتقرير الدلائل والبينات ورأى القوم مصرين على الجحود والعناد دعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب جرمه وكان جرمهم حب الدنيا وزينتها فلذلك تركوا الدين وعادوا من يدعو اليه فلذلك ابتدأ عليه الصلاة والسلام في دعائه عليهم بقوله ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ليضلوا بضم الياء والباقون بفتح الياء وذكر في هذه اللام ثلاثة اوجه الاول ان تكون لام العذاب بمعنى الدعاء عليهم كانه قيل ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال والاضلال وليكونوا ضلالا مضلين وانما دعا عليهم بذلك بعد ما عرض عليهم آيات الله وبيناته مكررا وزود عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نفورا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالامر المحال فاشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله تعالى عليهم بما علم انه لا يكون غير ذلك ليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم والوجه الثاني ان تكون لام الصيرورة والعاقبة كما في قوله * لدوا للموت وابنوا للخراب * فلما كان عاقبة قوم موسى عليه الصلاة والسلام

(وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم (ربنا لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ) ان اتخذا مباءة (لقومكما بمصر بيوتا) يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة (واجعلوا) انتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قبلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها (واقيموا الصلاة) فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (واموالا في الحياة الدنيا) وانواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمة لقوله

هو الضلال وقد اعطاه الله تعالى ذلك عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ والوجه الثالث ان لاتكون لام التعليل حقيقة بل مجازا لاجرم كان الله تعالى آتاهم ذلك ليؤمنوا ويشكروا نعمته فتوسلوا به الى مزيد البغي والكفر شبهت هذه الحالة بحال من اعطى المال لاجل الاضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة وايتاء النعمة على الكفر والضلال استدراج وتثبيت عليه فيكون الايتاء لاجل التثبيت على الضلال ومعللا به وعلى التقديرين تكون اللام متعلقة بآتيت ولاتكون للدعاء فيكون لفظ ربنا تكريرا للاول تقدمة ه واعلم ان الاشاعرة استدلوا بهذه الآية على انه تعالى يضل الناس ويريد اضلالهم من وجهين الاول ان اللام في قوله تعالى ليضلوا لام التعليل والمعنى انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا وهذا صريح في انه تعالى يريد اضلالهم والثاني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دعا بقوله واشدد على قلوبهم فلايؤمنوا قال قد اجيبت دعوتكما ولولا انه تعالى يريد ذلك لم يشاء لما حسن من موسى عليه الصلاة والسلام ان يسأل ويقول اقس قلوبهم واطبع عليها حتى تكون قاسية ولاتلين ولاتنشرح للايمان ولما قال تعالى قد اجيبت دعوتكما وقالت المعتزلة في جواب الاشاعرة لايجوز ان يكون المراد من الآية ماذكر لانه تعالى منزه عن فعل القبائح وارادة الكفر قبيحة فوجب ان لاتكون اللام فيه للتعليل بل تكون لام العاقبة فان عاقبة قوم موسى لما كانت هي الضلال عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ على سبيل الاستعارة التبعية او تكون لام الدعاء وفيه مراعاة التئام الكلام لايراد الادعية مسوقة على نسق واحد ﴿قوله والطمس المحق﴾ وهو المحو والابطال قال اكثر المفسرين في قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اي امسخها وغيرها عن هيئتها لانهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وانما امرتهم بان يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قد بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير وصارت كسورهم حجارة ﴿قوله جواب للدعاء﴾ يعني انه في محل النصب على انه جواب اطمس واشدد وفي محل الجزم على انه دعاء في صورة النهي كقوله

فلا ينبسط من بين عينيك ماانزوى ۞ ولاتلقني الا وانفك راغم

او في محل النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون مابينهما اعتراضا وقوله حتى يروا العذاب اي يروا ذلك ويحتمل ان يكون غاية لنفي ايمانهم اي الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس ولم يقبل قرأ العامة ولاتتبعان بتشديد التاء والنون وقرئ بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء وقرئ بتخفيف التاء من تبعه اذا لحقه وادركه يقال تبعته اذا اتبعته اي مشيت من بعده حتى لحقته ﴿قوله حتى بلغوا الشط﴾ فيتعدى بالباء الى المفعول الاول وهو الذي كان فاعلا في الاصل والى المفعول الثاني بنفسه كما هو عليه فيقال جاوزنا ببني اسرائيل البحر وعبر المصنف عن هذه التعدية وفسرها بقوله جوزناهم في البحر اي عديناهم فيه على ان التضعيف فيه للتعدية والتجويز بهذا المعنى يتعدى الى المفعول الاول بنفسه لا بالباء ويتعدى الى المفعول الثاني بفي فمن قرأها وجوزنا ببني اسرائيل البحر لايجعل التضعيف فيه للتعدية ويجعل جوز بمعنى جاوز واجاز فانهما يتعديان الى مفعول واحد ولايتعديان الى ماهو اكثر من واحد الا بالباء الداخلة على فاعل ماهو في الاصل واليه اشار المصنف بقوله وهو من فعل المرادف لفاعل اي ليس من جوز الذي يتعدى الى المفعول الاول بنفسه والى الثاني بكلمة في ﴿قوله وعادين﴾ على ان يكون بغيا وعدوا مصدرين في موضع الحال ويجوز ان ينتصبا على انهما مفعولان من اجلهما اي من اجل البغي والعدو ﴿قوله على اضمار القول﴾ والتقدير قال آمنت فقال انه فيكون هذا القول مفسرا واطلاق الاستئناف على البدل مبني على جعل ان معمولا لمثل عامل المبدل منه ولو جعل كونه ابتداء كلام واستئناف اخبار بذلك علة مستقلة لكفرانه وكونه بدلا من آمنت علة اخرى لكان اظهر وافيد ﴿قوله فنكب عن الايمان﴾ اي عدل واعرض عنه اوان وقت التكليف والاختيار وبالغ فيه حين لايقبل حرصا على القبول حيث كرر المعنى الواحد ثلاث مرات بثلاث عبارات حيث قال اولا آمنت وقال ثانيا انه لااله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وقال ثالثا وانا من المسلمين وكانت المرة الثانية كافية حين بقاء التكليف والاختيار جاء في الاخبار عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال غار النيل على عهد فرعون فاتاه اهل مملكته فقالوا ايها الملك اجر لنا النيل فقال اني لست براض عنكم حتى قال ذلك ثلاث مرات فذهبوا فاتوه فقالوا ايها الملك ماتت البهائم وهلكت الصبيان والابكار فان لم تجر لنا النيل اتخذنا الها غيرك

(ربنا اطمس على اموالهم) اي اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) اي واقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان (فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا ومابينهما دعاء معترض (قال قد اجيبت دعوتكما) يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن (فاستقيما) فاثبتا على ماانتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولاتستعجلا فان ماطلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولاتتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولاتتبعان من تبع ولاتتبعان ايضا (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف (فاتبعهم) فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا (حتى اذا ادركه الغرق) لحقه (قال آمنت انه) اي بانه (لااله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين) وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل (آلآن) اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان

(فاليوم ننجيك) نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل (ببدنك) في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له دروع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية اي كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بني اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذائذ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت في شك مما انزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لامكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبيك اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلا تكونن من الممترين) بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب (لا يؤمنون) اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه

فقال لهم اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه والصق خده بالارض واشار بالسبابة وقال اللهم اني خرجت اليك خروج العبد الذليل الى سيده واني اعلم انه لا يقدر احد على اجرائه غيرك فاجره قال فجرى النيل جريا ما جرى مثله فاتاهم فقال لهم اني اجريت لكم النيل قال فخروا له سجدا فعرض له جبريل فقال ايها الملك ان عبدا ملكته عبيدي واعطيته مفاتيح خزائني وعاداني واحب من عاديته وعادى من احببته فقال له فرعون لو كان لي ذلك العبد لغرقته في بحر القلزم فقال له جبريل عليه السلام ايها الملك اكتب لي بذلك كتابا قال فدعا بدواة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر لنعمائه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فقال جبريل هذا ما حكمت به على نفسك ﴿قوله او نلقيك على نجوة من الارض﴾ النجوة المكان المرتفع الذي تظن انه نجاؤك من السيل والباء في ببدنك للمصاحبة كما في قولك خرج زيد بعشيرته واشترى الفرس بسرجه وهذه الباء تصلح ان تكون مع مدخولها في محل الحال فاراد المصنف ان يبين كونه مبينا لهيئة المفعول فقال عاريا عن الروح او تاما سويا لم ينقص منه شيء لئلا تبقى شبهة في انه بدنك او بدن غيرك الى آخر ما قال والعرب تطلق البدن على الدرع قال ابو الليث البدن الدرع الذي يكون قصير الكمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عليه درع من ذهب فاخرجه الله تعالى من الماء مع تلك الدرع ليعرف انه هو وروى ان بني اسرائيل قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا ولم يصدقوا بغرقه فالقاه البحر بامر الله تعالى الى الساحل فرأوه وايقنوا بموته وقرئ بابدانك جمعا اما على ارادة الدروع لانه كان يلبس كثيرا منها خوفا على نفسه او على جعل كل جزء من بدنه بدنا كما يقال شابت مفارقه ووقع باحر امعمع ان المفرق واحد والجرم واحد ﴿قوله وقرئ لمن خلقك﴾ بالقاف فعلا ماضيا وقرئ لمن خلفك بالفاء وفتح اللام اي لمن خلفك من الجبابرة اي ليتعظوا ببدنك وذكر في كونه آية ثلاثة وجوه كونه آية دالة على كونه مملوكا مقهورا او كونه آية اعتبارا اي لمن خلفك ولمن كان على الطغيان وكونه آية دالة على كمال قدرة الله تعالى لانه اغرقه مع جميع قومه وما اخرج من الجميع في قعر البحر الا اياه فتخصيصه دليل واضح على ذلك وذكر الوجه الثالث في قراءة لمن خلقك بالقاف ثم قال وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وهو ان يقرأ لمن خلفك بالفاء ﴿قوله منزلا صالحا مرضيا﴾ اشارة الى ان مبوأ اسم مكان ووصف بالصدق مدحا لهم اي اسكناهم مكانا محمودا فان عادة العرب اذا مدحت شيأ اضافته الى الصدق تقول رجل صدق قال تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق قيل كان قوم موسى عليه الصلاة والسلام على ملة واحدة ومقالة واحدة ثم تشعبوا واختلفوا في امور كثيرة من امور دينهم قبل الفتنة طلبا للرياسة وبغيا من بعضهم على بعض حتى اداهم ذلك الى القتال تعسف في التأويل وتعصب للمذاهب وما وقع هذا الاختلاف والتشعب الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا ما هو الحق في امر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه فالمراد من بني اسرائيل هم الذين نجوا من فرعون وما تناسل منهم فانه تعالى اورثهم جميع ما كان تحت ايدي قوم فرعون من الناطق والصامت والحرث والنسل وقيل المراد من بني اسرائيل هم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلهم الله تعالى مبوأ الصدق ما بين المدينة والشام من ارض يثرب ورزقهم من الطيبات من النخل وما فيها من الرطب والتمر الذي لا يوجد مثله في البلاد فما اختلفوا في تصديقه وانه نبي حق الا من بعد ما جاءهم العلم والبينات بانه صلى الله عليه وسلم النبي المنعوت في الكتب الالهية قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالعلم القرآن العظيم وسمي القرآن علما لكونه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور وقال الفراء العلم ههنا بمعنى المعلوم والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان معلوما عندهم بنعته فانه صلى الله عليه وسلم لما اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم ﴿قوله على سبيل الفرض والتقدير﴾ اي فان كنت في شك فاعل كذا وكذا قضية شرطية فلا اشعار فيها البتة بان الشرط وقع من المخاطب او لم يقع ولا بان الجزاء وقع او لم يقع بل ليس هناك الا بيان ان ماهية ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك الجزاء فقط ﴿قوله وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او كل واحد﴾ وتخصيص المخاطب لفرض تحقق الشرط فيه مبني على كونه امير امته فان عادة السلطان الكبير اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاراد السلطان ان يأمر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجه ذلك الخطاب الى

(ولوجاءتهم كل آية) فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود (حتى يروا العذاب الاليم) وحينئذ لاينفعهم كما لاينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (الاقوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) اول مارأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والضجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم) بحيث لايشذ منهم احد (جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر (أفأنت تكره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس ان تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله (ويجعل الرجس) العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون (على الذين لايعقلون) لايستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لايعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) اي تفكروا (ماذا في السموات والارض) من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب

ذلك الامر الذي جعله اميرا عليهم ليكون ذلك اقوى تأثيرا في قلوبهم لما فرغ الله تعالى من قصة نوح عليه الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام شرع في القصة الثالثة وهي قصة يونس عليه الصلاة والسلام وان قومه آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وهو مادل عليه قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت ووجه اتصالها بما قبلها ان قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية يدل على ان من الكفار فريقا قضى الله عليهم ان يموتوا على الكفر فهم لايؤمنون البتة فاتبعه ببيان ان من الكفار فريقا آخر ختم لهم بالايمان * فان قيل انه تعالى حكى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم تقبل توبته وعن قوم يونس عليه السلام انهم تابوا وقبلت توبتهم فما الفرق * والجواب ان فرعون انما تاب بعد ان شاهد العذاب وقوم يونس تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب والمصنف اشار الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اول مارأوا امارة العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب فظهر الفرق ﴿قوله فهلا كانت﴾ اشارة الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اول مارأوا العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا لان لولا هنا تحضيضية وفيه معنى التوبيخ كما في قول الفرزدق

* تعدون عقر النيب افضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا *

وفي مصحف ابي وعبد الله فهلا وبه قرئ وهي نص في انها للتحضيض وقيل ان لولا تأتي بمعنى ما النافية في مواضع منها ما في هذه الآية وتقديرها فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس وهو من حيث اللفظ استثناء منقطع لان مابعد الا وهو قوم يونس ليس بداخل في جنس ماقبلها وهي القرية وبحسب المعنى متصل لان المعنى ما آمن من اهل القرى الاقوم يونس وظاهر عبارة المصنف يدل على ان الصحيح لكونه متصلا كون الكلام في معنى النفي وليس كذلك بل المسوغ له كونه اطلق القرى واريد بها اهاليها على اطلاق اسم المحل على الحال والا فانه يكون الاستثناء منقطعا كما اشار اليه بقوله لكن قوم يونس لما آمنوا في وقت قبول الايمان كشفنا عنهم بعد قوله فهلا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها والتحقيق ان كلمة لولا اذا كانت حرف تحضيض او كانت بمعنى ما النافية يكون المراد من القرى اهاليها لان التحضيض انما يكون للاهل لالنفس القرية ولانه قد اسند الايمان اليها والايمان لايسند الى نفس القرية بل الى اهلها والمصنف قطع بكون الاستثناء منقطعا باعتبار كون الجملة مسوقة الى التحضيض وقطع بكونه متصلا باعتبار كونها في معنى النفي فان التحضيض لما كان فيه معنى النفي كان في قوة قوله ما آمن المحضضون ولم يؤمنوا لان حرف التحضيض اذا دخل على الفعل الماضي يكون للتوبيخ على ترك الفعل فان اعتبر معنى النفي كان الاستثناء متصلا لامحالة لان المراد حينئذ ان اهالي القرى ما آمنوا الاقوم يونس فانهم آمنوا واما ان اعتبر التحضيض لم يكن الاستثناء متصلا لان من شأن الاستثناء المتصل ان يجوز نفي ما استثني عن المستثنى منه ولو قلت لولا آمنوا الاقوم يونس ليؤول الى لم يؤمنوا او ما آمنوا لم يكن كلاما مستقيما بخلاف ما اذا حمل الاستثناء منقطعا فانك اذا قلت لكن قوم يونس آمنوا وانتفعوا بايمانهم استقام الكلام وانما قال المصنف في معنى النفي لان المراد من القرى اهلها بلفظ الجمع مع ان المذكور في الآية لفظ قرية لانها نكرة في سياق النفي فتفيد العموم وكان في الآية تامة وآمنت صفة لقرية وقوله فنفعها معطوف على آمنت ﴿قوله ويؤيده قراءة الرفع﴾ على جعله بدلا من قرية ووجه التأييد ان ابدال المستثنى من المستثنى منه انما يجوز في كلام غير موجب ولايجوز الابدال في مثل جاءني القوم الازيد لان البدل في حكم الساقط فيكون تقدير الكلام جاءني الازيد وهو يستلزم ان يجيء جميع العالم اليه الازيد وهو محال ﴿قوله وهو دليل على القدرية﴾ القائلين بانه تعالى يريد ايمان الكافر وطاعة العاصي لكن الكافر والعاصي انما يكفر ويعصي بقدرة نفسه وارادته ووجه الاستدلال ان الآية صريح في انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معنى الآية انه لو شاء ايمان الكل لآمن الكل وكلمة لو الامتناعية في الآية صريح في انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معناها انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على ان ماني حيز لو منتف فلا يريد ايمان الكل وجواب الجبائي والقاضي وغيرهما من المعتزلة عما يرد على مذهبهم بان المراد المشيئة مشيئة الالجاء اي لوشاء الله ان يلجئهم الى الايمان لقدر عليه ولصح ذلك منه ولكنه ما فعل ذلك لان الايمان الصادر من العبد على سبيل الالجاء لاينفعه ولايفيد فائدة ثم قال الجبائي ومعنى الجاء الله تعالى اياهم الى ذلك ان يعرفهم اضطرارا انهم لو حاولوا ترك الايمان حال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لابد وان يفعلوا ما الجئوا اليه كما ان من علم منا انه لو حاول قتل امير منع من فعله وتركه قهرا لم يكن تركه لذلك الفعل سببا

(لاحتقاق)

(فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم من نزول بأس الله بهم اذلا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) لذلك او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك (قل يا ايها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تختلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وامرت ان اكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله

امرتك الخير فافعل ما امرت به ٭ فقد تركتك ذا مال وذا نشب ٭

(وان اقم وجهك للدين) عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلبى والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاشتداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او فى الصلاة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين او الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته او خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الا هو) الا الله (وان يردك بخير فلا راد) فلا دافع (لفضله) الذى ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وما انا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل اذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة او بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين)

لاستحقاق المدح والثواب فكذا ههنا تفسير الآية على طريق اهل السنة انه تعالى اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته فقال ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ولكن شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان وشاء ان من علم منه انه يختار الكفر لا يؤمن به فهذا اخبار الله تعالى بنفاذ مشيئته فى جميع خلقه ﴿قوله من المطرد مع ان﴾ اى باعتبار الاول مطرد وبالاعتبار الثانى غير مطرد فيمكن ان يحمل حذف حرف الجر فيه مبنيا على كل واحدة من القاعدتين ﴿قوله ولا فرق بينهما﴾ بين ان يكون صلة ان خبريا او طلبيا وهو جواب عن الاشكال الذى اورده الزمخشرى على كون وان اقم معطوفا على ان اكون وهو ان ان فى قوله وان اقم وجهك اما ان تكون مفسرة او موصولة كالاولى ولا سبيل الى شئ منهما اما الى الاول فلان الاولى مع صلتها مأمور بها فلو كانت المفسرة عطفا عليها لكانت ايضا مأمورا بها والمأمور به لا يكون تفسيرا للامر وايضا هى مع صلتها مفعول والمفسرة لا تقع مفعولا وايضا يلزم تقدير حرف الجر فيها كما فى الموصولة واما الى الثانى فلان الصلة يجب ان تكون خبرا كما فى الموصول الاسمى وهو التى واخواتها ويسمى نحو ان وما المصدريتين وان المشبهة وكى موصولا حرفيا لكونها مع الجملة التى بعدها فى تأويل المفرد فاذا وقع فى التركيب يكون له محل من الاعراب وتلك الجملة تسمى صلة فى تقدير الكلام ٭ والجواب ان سيبويه جوز ان تكون الصلة امرا ونهيا لان الوصل بالماضى والمضارع انما يجوز لدلالته على المصدر فيجوز الوصل بالامر والنهى لدلالتهما ايضا على المصدر وانما وجب فى الموصول الاسمى ان تكون صلته خبرية لان وضعها ليتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل والجمل لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية والموصول الحرفى ليس كذلك فلا يجب ان تكون صلته خبرية ﴿قوله والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين﴾ لما تقرر ان ان مصدرية معطوفة على ان اكون وانها مع صلتها مأمور بها وفيه اشارة الى ان اقامة الوجه للدين كناية عن توجه النفس بالكلية الى عبادة الله تعالى والاعراض عما سواه فان من اراد ان ينظر الى شئ نظرا بالاستقامة او بالاستقبال فانه يقيم وجهه فى مقابلته بحيث لا يلتفت يمينا ولا شمالا لانه لو التفت الى جهة بطلت تلك المقابلة واختل النظر المراد ولذلك كنى باقامة الوجه عن صرف العمل بالكلية الى الدين وقيل المعنى اقم وجهك فى الصلاة نحو القبلة وقوله حنيفا حال من الدين او من الوجه اى فى حال كونه مستقيما لا معوجا فيه وجه ما او فى حال كونك مائلا اليه ميلا كليا معرضا عما سواه اعراضا كليا فقوله امرت ان اكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل اصل الايمان وقوله وان اقم وجهك للدين حنيفا الى الاستغراق فى نور الايمان والاعراض بالكلية عما سواه ٭ قال الامام قوله تعالى ولا تكونن من المشركين لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور فى اول الآية وهو قوله لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فلا بد ان يحمل هذا الكلام على ماسيده فائدة زائدة فان من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا وهذا هو الذى يسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفى ثم قال قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اشارة الى مقام آخر هو درجات العارفين لان ما سوى الحق لا وجود له الا بايجاد الحق وعلى هذا التقدير فلا نافع الا الحق ولا ضار الا الحق وكل شئ هالك الا وجهه واذا كان كذلك فلا حكم ولا رجوع فى الدارين الا الى الله ثم قال تعالى آخر الآية فان فعلت فانك اذا من الظالمين اى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فانت من الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه فاذا كان ما سوى الحق معزولا عن التصرف كان طلب المنفعة والمضرة مما سوى الحق وضع الشئ فى غير موضعه فيكون ظلما وطلب الانتفاع بالاشياء التى خلقها الله تعالى للانتفاع بها من الطعام والشراب ونحوهما لا ينافى الرجوع بالكلية الى الله تعالى بشرط ان يكون نظر عقله عند توجهه الى شئ من هذه الاشياء مشاهدا لقدرة الله تعالى وجوده واحسانه فى ايجاد تلك الموجودات وابداع تلك المنافع فيها وجازما بانها فى انفسها وذاتها معدومة هالكة لا وجود لها ولا بقاء ولا تأثير الا بايجاد الله تعالى وابقائه واناطة ما فيها من الخواص عليها بجوده واحسانه ثم انه تعالى قرر بقوله وان يمسسك الله الآية ان جميع الممكنات مستندة اليه وان جميع الكائنات من الرحمة والجود فائض منه محتاج اليه فلما كان كل واحد من الخير والضر واقعا بقدرة الله تعالى وقضائه لزم ان يكون الكفر والايمان والطاعة والعصيان والشرور والآفات والآلام واللذات واقعة بقدرة الله تعالى وقضائه ان قضى على احد شرا فلا كاشف له الا هو وان قضى لاحد خيرا فلا راد لفضله البتة ﴿قوله ولم يستثن﴾ اى لم يقل وان يردك بخير فلا راد لفضله الا هو

لانه مدفوع بان تعلق الخيرية واقع بارادة الله تعالى لم يبق للاستثناء معنى بخلاف الضر فانه لم يفرض ان تعلقه به مراد بالذات فحسن الاستثناء وقوله تعالى وان يردك بخير معناه وان يردك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جازت كل واحدة من العبارتين مع ان التقديم في اللفظ يدل على زيادة العناية بالمقدم فقوله وان يردك بخير يدل على ان المقصود هو الانسان وسائر الخيرات مخلوقة لاجله وهذه الدقيقة لا تستفاد الا من هذا التركيب والله اعلم

﴿ سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى الر كتاب ﴾ ان كان الر اسم السورة يكون مبتدأ وكتاب خبره وان كان مذكورا على نمط تعديد الحروف للتحدى والاعجاز من حيث دلالته على ان المتحدى به مؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم فلولا انه من عند الله تعالى لما عجزوا عن الاتيان بمثله يكون كتاب خبر مبتدأ محذوف وذكر فى احكام الآيات اربعة معان الاول انها نظمت نظما محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم والثانى كونها ممنوعة من الفساد بان ينسخ شئ منها والثالث ان احكامها عبارة من تحقق مدلولاتها بالحجج والدلائل والرابع ان المعنى جعلت حكيمة اى مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية فان الحكم الدينية اما نظرية لا تعلق لها بالعمل بل المقصود بها مجرد الاعتقاد كمعرفة الصانع بانه واحد ازلا وابدا ووحدته وسائر صفات جلاله وجماله ومعرفة الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما فيه من نحو الصراط والميزان واما عملية متعلقة بكيفية العمل وهى قسمان احدهما ما يتعلق بتهذيب الاعمال الظاهرة وبالاحوال الباطنة وهو علم التصفية ورياضة النفس ولا يوجد فى العالم كتاب يساوى القرآن الكريم والكتاب الحكيم فى بيان هذه المطالب المهمة ﴿ قوله ثم فصلت بالفرائد من العقائد ﴾ بالفرائد متعلق بفصلت ومن العقائد بيان الفرائد يقال عقد مفصل اذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة فمعنى قوله تعالى ثم فصلت ان آياته زينت بالفرائد كما زينت القلائد بالفرائد ﴿ قوله او جعلها سورا ﴾ معنى جعل آيات هذه السورة الكريمة سورا ذكر معانى هذه السورة وآياتها فى سورة متفرقة وآيات متعددة من التفصيل بمعنى التفريق وكذا اذا كانت فصلت بمعنى انزلت نجما نجما اى وقتا وقتا فان النجم فى الاصل اسم للكوكب الطالع ثم نقل الى الوقت لانهم يعرفون الاوقات بطلوع النجم ومنه قول الامام الشافعى اقل التأجيل نجمان اى شهران ﴿ قوله او فصل فيها ﴾ اى بين ولخص فيها ما يحتاج اليه العباد فان التفصيل يستعمل بمعنى التبيين ايضا ﴿ قوله وثم للتفاوت فى الحكم ﴾ اى للتراخى فى الرتبة لا للتراخى فى الوقوع فى الزمان فان تفصيل آياتها ليس متراخيا عن احكامها بحسب الزمان بل هو متراخ عنه بحسب الرتبة فان التفصيل اى معنى كان اقوى وادخل فى المدح بالنسبة الى الاحكام ﴿ قوله او للتراخى فى الاخبار ﴾ فان الشائع فى الجمل ان يراد بها نفس مفهومها الا انه قد يراد بها الاخبار بمفهومها كما سبق فى جزاء الشرط والظاهر ان المراد من التراخى هو مجرد الترتيب فظهر ان حقيقة التراخى منتفية بين الاخبارين ضرورة ان الاخبار بالتفصيل وقع عقيب الاخبار بالاحكام ﴿ قوله صفة اخرى لكتاب ﴾ فان احكمت فى محل الرفع على انه صفة لكتاب فيكون تقدير الكلام الر كتاب من لدن حكيم خبير وان كان خبرا بعد خبر يكون التقدير الر من لدن حكيم خبير وان كان صلة اى معمولا لاحد الفعلين من حيث صناعة الاعراب على سبيل التنازع يكون متعلقا بهما من حيث المعنى ويكون المعنى احكمها حكيم وفصلها اى شرحها وبينها خبير عالم بكيفيات الامور وعلى كل تقدير يكون المقصود منه تقرير احكامها وتفصيلها فانه لما وصف من انزلها واحكمها وفصلها بانه رب حكيم اى محكم للامور واضع كل شئ موضعه وبانه خبير لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى شئ فى الملك والملكوت الا ويكون عنده خبره فان الخبير بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا ولكون الخبير ابلغ من العليم اورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم فى قوله تعالى وهو العليم الخبير ﴿ قوله باعتبار ما ظهر امره وما خفى ﴾ متعلق بقوله تقرير فان كون الر كتابا منزلا من لدن حكيم يدل على متانة ظاهر نظمه وكونه منزلا من لدن خبير يدل على متانة ما خفى من مدلوله فهو بالاعتبار الاول تقرير لاحكامها وبالاعتبار الثانى تقرير لتفصيلها وتبيينها ﴿ قوله لان لا تعبدوا ﴾ على تقدير ان تكون كلمة ان فى قوله ان لا تعبدوا مصدرية موصولة بالنهى وقد مر من قريب انه يجوز

اذ لا يمكن انشاؤها فى حكمه لا لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس ومن كذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿ سورة هود مكية وهى مائة ﴾
﴿ وثلاث وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) مبتدأ وخبرا وكتاب خبر مبتدأ محذوف (احكمت آياته) نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغى باعتبار ما ظهر امره وما خفى (ان لا تعبدوا الا الله) لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا (اننى لكم منه) من الله (نذير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وان استغفروا ربكم) عطف على ان لا تعبدوا

ان يكون صلة الموصول الحرفى جملة طلبية وهى مع الجملة التى بعدها فى محل النصب على انها مفعول له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع وحذفت اللام منه وان لم يشتمل على شرآئط حذف اللام من المفعول له بناء على القياس المطرد فى حذف حرف الجر مع ان والتقدير كتاب احكمت آياته ثم فصلت لاجل ان لاتعبدوا الا الله وهذا التأويل يدل على انه لامقصود من هذا الكتاب الشريف الا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سائر المطالب فقد خاب وخسر وقيل كلمة ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول وان المفسرة فى تقدير القول كقوله تعالى وناديناه ان يا ابراهيم تقديره ناديناه وقلنا يا ابراهيم ولهذا لاتجيئ بعد صريح القول لان تقدير القول بعد صريحه لامعنى له وانما تجيئ بعد كلام فيه معنى القول لتدل على القول فكانه قيل هنا ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال لاتعبدوا الا الله قيل وحملها على المفسرة اولى لان قوله وان استغفروا معطوف على قوله ان لاتعبدوا فيجب ان يكون معناه ان لاتعبدوا الا الله ليكون الامر معطوفا على النهى فان كونه بمعنى لان لاتعبدوا يمنع عطف الامر عليه والجواب عنه ان قوله وان استغفروا لما كان معطوفا عليه كان ان فيه ايضا كذلك وقد سبق انه يجوز وصلها بالامر والنهى وان فاته معنى الامر والنهى عند التقدير بالمصدر كما فات معنى الماضى والمستقبل عنده كانه قيل لاجل تخصيص العبادة بالله ولاجل الاستغفار احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ويجوز ان لايكون قوله ان لاتعبدوا متصلا بما قبله بل يكون منقطعا عنه مقولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون فيه ان مصدرية فلهذا قدره بقوله ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا تركها فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول والاستغفار هو ان يستر على العبد ذنوبه فى الدنيا ويتجاوز عن عقوبته فى الآخرة ولما ورد ان يقال الاستغفار هو التوبة فامعنى ارادتهم بين الشيء وتفسيره اشار الى دفعه بان جعل التوبة هى الرجوع من الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق السبب على المسبب وجعل كلمة ثم قرينة للمجاز لان التوصل الى المطلوب يتراخى عن الرجوع الى الطريقة ﴿قوله يمتعكم﴾ مجزوم لكونه تفسيرا لما هو جواب الامر يقال امتعه عيشة راضية والدعة الراحة واعترض على تفسير الاجل المسمى بآخر الاعمار المقدرة بان قوله صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وقوله «خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل» وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة يدل على ان نصيب المطيع عدم الراحة فى الدنيا فكيف الجمع بين هذه النصوص وبين ان تفسر هذه الآية بان يقال يمتعكم فى امنة وسعة الى الموت واجيب بان المؤمن انما يشتغل باستغفار ربه وطاعته لايثاره طاعة ربه على هوى نفسه وتكون راحته واطمئنان قلبه فى الاشتغال بطلب ربه وبتفويضه جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتمادا على ضمانه بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان هذا شأنه لاجرم يعيش فى امن وراحة لكونه راضيا بما قضاه الله تعالى فى حقه بخلاف من ربط قلبه بغير الله تعالى من الاسباب فانه ابدا فى الم الخوف من فوات محبوبه وزواله فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا وقيل الجواب ليس معنى قوله يمتعكم متاعا حسنا انه تعالى يعيشكم فى امن وسعة الى اجل مسمى بل معناه انه تعالى لايستأصلهم بعذاب الاستئصال كما استأصل الفرقة من الكفرة قال الامام وقيل قوله تعالى الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد اجلين وانه يجوز فى ذلك التقديم والتأخير فالجواب لادلالة على ذلك ومعنى الآية انه تعالى حكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله فى وقت آخر عمره لكنه تعالى عالم بانه هل يشتغل بالعبادة اولا فلاجرم كان عالما بان اجله ليس الا فى ذلك الوقت فثبت ان لكل انسان اجلا على حدته يعنى اجلا واحدا انتهى كلامه وقال الكعبى ان للمقتول اجلين اجل القتل واجل الموت فان المقتول لولم يقتل لعاش الى اجله الذى هو اجل الموت وعند الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وقت موته لتحلل رطوبته وانتهاء حرارته الغريزيتين واجلا اخترامياً بحسب الآفات والامراض وعندنا الاجل واحد والمصنف اشار الى ما قاله الامام بقوله والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال الخ ﴿قوله وان تولوا﴾ لفظ تولوا وان كان على صيغة الماضى اسند الى ضمير الغائبين الا انه جمع مضارع حذف منه احدى التاءين تخفيفا وقرئ تولوا بضم التاء وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع ولى من قولهم ولى هاربا اى ادبر ثم انه تعالى لما قال وان تولوا عن عبادة الله وطاعته بين بعده صفة ذلك المتولى فقال الا انهم يعنى الكفار يثنون صدورهم قرآءة الجمهور بفتح الياء وسكون الثاء

(ثم توبوا اليه) ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابدله من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت مابين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعيشكم فى امن ودعة (الى اجل مسمى) هو آخر اعماركم المقدرة اولا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكانه تقرير لكبر اليوم

(الا انهم يثنون صدورهم) يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني ويثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة (الا حين يستغشون ثيابهم) الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب واحوالها (في كتاب مبين) مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما [illegible] في العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك (ليبلوكم ايكم احسن عملا) متعلق بخلق اي خلق ذلك خلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون

الثالثة على انه مضارع اثنى يثني اي عطف وصرف والاحرف تنبيه اي تنبيه على احوال المشركين الذين بقوا على جهلهم حيث يعرضون عن الحق ويقبلون على الباطل والكفر ويولون ظهورهم الحق ويريدون بذلك الاستخفاء من الله تعالى ذكر الله للكفار حالين يريدون بكل واحدة منهما الاستخفاء من الله تعالى احداهما انهم كانوا يعرضون عن الحق وذلك ان جماعة من الكفار كان يخلو بعضهم ببعض فيشتغلون بذم النبي صلى الله عليه وسلم وسبه فاشتغالهم بالمذمة هو اعراضهم عن الحق واضمار ذلك في قلوبهم وفي خلوتهم هو ارادتهم الاستخفاء فجعل ثني الصدر كناية عن الاعراض لانه من لوازمه وقوله تعالى ليستخفوا منه ليس علة لثني بمعنى الاعراض لان الاعراض عن الحق ليس للاستخفاء فلا بد من تقدير اي يريدون ليستخفوا والحال الثانية انهم يستغشون ثيابهم وذلك ان طائفة من المشركين كانوا اذا رأوه صلى الله عليه وسلم مثل اليهم ومن عادته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا لقي الكفار دعاهم الى الله تعالى واسمعهم كلام الله تعالى استغشوا ثيابهم لئلا يراهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يسمعوا كلامه وهو ايضا ارادة الاستخفاء والاستخفاء في كل واحدة من الحالين انما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الاستخفاء منه انما يكون بالاستخفاء من الله تعالى لان اطلاع الله تعالى على ما اسروه ملزوم لاطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليه كما اشار اليه بقوله فلا يطلع رسوله والمؤمنين ﴿قوله يثنوني بالياء والتاء﴾ لان تأنيث الصدور مجازي فجاز تذكير الفعل باعتبار تأويله بالجمع ويثنوني من اثنونى على وزن افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وقرئ تثنون بفتح الياء وسكون الثاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة والاصل تثنونن بوزن تفعوعل من الثن بالكسر وهو يابس الحشيش والكلأ يميل الى الضعف والمراد مطاوعة نفوسهم للثني او ضعف قلوبهم وقرئ تثنئن بان جعل مكان الواو المكسورة في القراءة السابقة همزة مكسورة على وزن تطمئن من الثن وهو ما ضعف من الكلأ كما تقدم ﴿قوله تعالى حين يستغشون ثيابهم﴾ جعله صاحب الكشاف منصوبا بفعل مضمر حيث قال ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله تعالى والظاهر من تقرير المصنف كونه منصوبا بيعلم والمعنى تنبهوا واعلموا انه يعلم سرهم وعلنهم في وقت التغشية الذي يخفى السر فيه فاولى ان يعلم ذلك في غيره وهذا بحسب العادة والا فالله تعالى لا يتفاوت علمه بتفاوت احوال الخلق وما في ما يسرون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي والعائد محذوف اي يسرونه ويعلنونه ثم انه تعالى لما ذكر انه يعلم ما يسرون وما يعلنون اردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات فذكر ان رزق كل حيوان مع اختلاف طبائع الحيوانات واغذيتها انما يصل اليه من الله تعالى فلو لم يكن عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات والدابة لكل حيوان ذي روح ذكرا كان او انثى مأخوذ من الدبيب الا انه اختص بحسب عرف البعض بذات القوائم الاربع وبحسب عرف العرب بالفرس والمراد به في هذه الآية معناه الوضعي المروي باتفاق المفسرين روي ان موسى عليه الصلاة والسلام حين نزل الوحي اليه تعلق قلبه باحوال اهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه على صخرة فضربها فانشقت وخرجت منها صخرة ثانية ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الحجاب عن موسى عليه الصلاة والسلام فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ﴿قوله وانما اتى بلفظ الوجوب﴾ جواب عما يقال حصول الرزق الى الحيوان بطريق التفضل موقوف بمشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وكلمة على للوجوب فينافيه وتقرير الجواب ان ايصال الرزق الى كل حيوان وان كان بطريق التفضل والجود والاحسان لكنه تعالى لا يخلف الميعاد صور بصورة الوجوب لفائدتين احداهما التحقيق لوصوله والثانية حمل العباد على التوكل عليه في شأن الرزق ﴿قوله اماكنها في الحياة والممات﴾ اشارة الى ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان مستقرها المكان الذي تأوي اليه ليلا او نهارا وتستقر فيه ومستودعها الذي تدفن فيه اذا ماتت فانها تستودع الى ان تبعث وقال عطاء المستقر ارحام الامهات والمستودع اصلاب الآباء ﴿قوله او مساكنها﴾ يعني ان المستقر هو مكانها من الارض حيث وجدت بالفعل والمستودع حيث تكون مودعة قبل وجودها بالفعل صلبا او رحما او بيضة ﴿قوله وبما بعدها﴾ اي واريد بقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض بيان كونه تعالى قادرا على كل المقدورات بعد كونه عالما بجميع المعلومات ﴿قوله اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم﴾ يعني ان لام التعليل في قوله

تعالى ليبلوكم وان كان ظاهرا على مذهب المعتزلة القائلين بان افعال الله تعالى معللة بمصالح العباد الا ان اهل
السنة والجماعة يقولون بانها ليست على ظاهرها بل المعنى ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعى المصالح
مايفعله الا لتلك المصلحة واشار به ايضا الى جواب مايقال الابتلاء انما يصح من الجاهل بعواقب الامور فكيف
اسند اليه تعالى وتقرير الجواب عنه ان ليس المراد به حقيقة الابتلاء بل هو مشبه بالابتلاء وان معاملة الله تعالى
مع عباده فى خلق المنافع لهم وتكليفهم بشكره واثابتهم ان شكروا وعقوبتهم ان كفروا تشبه معاملة المختبر
فاستعير لها الابتلاء على سبيل التمثيل ﴿ قوله فان جملة ذلك الخ ﴾ بيان لكونها شبيهة بمعاملة المبتلى لاحوالكم
وقوله وانما جاز تعليق فعل البلوى جواب عما يقال التعليق مختص بالفعل القلبى وفعل البلوى ليس منه فكيف يكون
التعليق فاجاب بانه انما علق لان فيه معنى العلم والعلم يجوز تعليقه فكذا ما فيه معنى العلم كما يعلق النظر والاستماع
لما فى كل واحد منهما معنى العلم من حيث ان كلا من النظر والاستماع طريق الى العلم يقال انظر ايهم احسن وجها
واستمع ايهم احسن صوتا وتعليق افعال القلوب عبارة عن ابطال عملها فى اللفظ دون المعنى اذا توسط بينها وبين
مفعولها احد امور ثلاثة احدها لام نحو ظننت لزيد منطلق والثانى الاستفهام نحو علمت أزيد منطلق وعلمت
ايهم فى الدار والثالث حرف النفى نحو علمت مازيد منطلق وهذه الثلاثة لما اقتضت صدر الكلام منعت ماقبلها
من العمل فيما بعدها فرفع مابعده على الابتداء وفعل البلوى يستدعى معمولا ثانيا وهو المختبر به كما فى قوله تعالى
ونبلونكم بشئ وفى هذه الاية قد عمل فى الفاعل ومعموله الاول حيث قيل ليبلوكم وعلق عن مفعوله الذى يتعدى
اليه بالباء لانه لم يعمل فيه لفظا وان تعلق به من حيث المعنى وهو معنى التعليق اما انه لم يعمل فيه لفظا فلان طريق
عمله فيه لفظا ان يكون المعمول مفردا او يتعدى العامل بواسطة حرف الجر لفظا او يكون منصوبا بنزع الخافض
ولا يتعدى الى الجملة الاستفهامية بواسطة الباء لانها لاتدخل الجملة الاسمية ولا تكون الجملة منصوبة بنزع
الخافض فظهر انها ليست معمولة لفعل البلوى واما كونها متعلقة به من حيث المعنى مخبرا بها لان المعنى ليبلوكم
بتكليفكم احسن العمل وماذكره فى سورة الملك من انه ليس بتعليق مبنى على ان يتضمن فعل البلوى معنى العلم فتكون
الجملة منصوبة المحل به على انها مفعول ثان له لانه لايتعدى بحرف الجر حتى يلزم المحذور المذكور على تقدير
جعله عاملا ﴿ قوله وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار ﴾ مع ان جمعهما فى حكم الجمع بين المتنافيين لان الاختبار
يتعلق بجميع العباد محسنين كانوا او مسيئين واحسن عملا يخصصه بالمحسنين تنبيها على ان المقصد الاقصى من
خلق المخلوقات ان يتوسلوا باحسن الاعمال الى اجل المثوبات وتحريضا لهم على ترك القبائح والمنكرات ثم انه
تعالى لما بين انه خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم اقتضى ذلك نشأة اخرى لهم بان يبعثوا من
قبورهم ويحشروا فى موقف القيامة للحساب والجزاء لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة
والثواب وتخصيص المسئ بالمحنة والعقاب وذلك لايتم الا بتحقيق البعث والحساب فلذلك خاطب نبيه عليه
الصلاة والسلام بقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا واللام فى ولئن قلت لام التوطئة
للقسم وليقولن جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وانكم محكى بالقول ولذلك كسرت
همزته فى قرآءة الجمهور وان قرئ ان هذا الا سحر تكون الاشارة الى البعث او القول المدلول عليه بما تقدم او الى
القرآن المتضمن لذكره كانه قيل لو تلوت عليهم من القرآن مافيه اثبات البعث لقالوا هذا المتلو سحر والمراد
انكار البعث بطريق الكناية لان القرآن هو الحاكم بحصول البعث واذا طعنوا فيه بكونه سحرا فقد طعنوا
فيما حكم به القرآن من البعث لان الطعن فى الاصل يستلزم الطعن فى الفرع ﴿ قوله الا كالسحر ﴾ اشارة الى
وجه مطابقة جوابهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم انكم مبعوثون وهو انهم اجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم بكلام هو
من باب التشبيه البليغ حيث شبهوا نفس البعث او القرآن المتضمن لذكره بالسحر فى الخديعة حيث زعموا
انه صلى الله عليه وسلم انما ذكر ذلك لمنع الناس عن لذات الدنيا وصرفهم الى الانقياد له ودخولهم تحت طاعته
او فى البطلان فان السحر لاشك انه تمويه وتخييل باطل فشبهوا به الامور المذكورة فى البطلان ﴿ قوله او ان يكون
ان بمعنى عل ﴾ ذكر فى الصحاح وان المفتوحة قد تكون بمعنى لعل كقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون
فى قرآءة ابى لعلها فعلى هذا يكون معنى الاية ولئن قلت لهم الحكم لعلكم مبعوثون ولما ورد ان يقال انه صلى الله
عليه وسلم قاطع بالبعث فكيف يقول لعلكم مبعوثون وايضا القرآءة المشهورة صريحة فى القطع والبت وهذه

فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجود
ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل
وامارات تستدلون بها وتستنبطون منه
وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى
العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع
وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل
لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيح
التحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان
المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح
ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ايكم
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
فى طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا
(ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد المو
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
اى ما البعث او القول به او القرآن المتضمن
لذكره الا كالسحر فى الخديعة او البطلان و
حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشار
الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين
قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل ا
ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة
مبالغة فى انكاره (ولئن اخرنا عنهم العذاب
الموعود (الى امة معدودة) الى جماعة
من الاوقات قليلة (ليقولن) استهزا
(مايحبسه) ما يمنعه من الوقوع (الا
يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم
ليس العذاب مدفوعا عنهم

ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد (ما كانوا به يستهزؤن) اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبنا تلك النعمة منه (انه ليؤس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى (ليقولن ذهب السيئات عني) اي المصائب التي ساءتني (انه لفرح) بطر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لآلائه سابقها ولاحقها (اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعا (وضائق به صدرك) وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (ان يقولوا لولا انزل عليه كنز) ينفقه في الاستتباع كالملوك (او جاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك (والله على كل شيء وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم

القرآن صريحة في عدم القطع والبت فيه فبيان اشار الى جوابه بقوله يعني توقعوا بمكم الخ يعني ان لعل لتوقع المخاطب لا على سبيل الاخبار لانهم لا يتوقعون البعث بل على سبيل الامر فكان المعنى توقعوا بعثكم فما لم يكن لعل لتوقع المتكلم لم يلزم محذور ثم انه تعالى لما حكى انهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم ان هذا الا سحر مبين حكى عنهم نوعا آخر من اباطيلهم وهو انه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم به الرسول صلى الله عليه وسلم اخذوا في الاستهزاء بان يقولوا ما السبب الذي حبسه عنا فاجاب الله تعالى بانه اذا جاء الوقت الذي عينه الله لنزول ذلك العذاب لم يصرف عنهم بل احاط بهم ﴿قوله وهو دليل﴾ يعني ان جمهور البصريين لما رأوا ان يوم منصوب بالمصروف الذي هو خبر ليس استدلوا به على جواز تقديم خبر ليس عليها ووجه الاستدلال ان تقديم معمول الخبر يؤذن بجواز تقديم العامل ويوم لما قدم على ليس مع كونه معمولا لخبرها جاز تقديم نفس الخبر بطريق الاولى لانه اذا تقدم الفرع فاولى ان يتقدم الاصل ثم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان تأخر الا انه لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان قيل المراد به مطلق الانسان بدلالة استثناء قوله الا الذين صبروا منه والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل فيه فدلالة الاستثناء المذكور في هذه الآية تدخل فيه المؤمن والكافر وقيل المراد به الكافر لان الاصل في المعرف بلام التعريف ان يشار به الى المعهود السابق الا ان يمنع مانع منه وههنا لا مانع فوجب حمله على المعهود السابق وهو الكافر المعهود المذكور في الآية المتقدمة فوجب ان يحمل الاستثناء في هذه الآية على الاستثناء المنقطع ﴿قوله وفي اختلاف الفعلين﴾ وهما وصول النعمة الى الشدة وعكسه وجعل التعبير عن الاول مخالفا للتعبير عن الثاني فان الظاهر ان يقال في الاول ولئن اصبناه بشدة وضر بعد ما اصبناه رخاء ورحمة ليوافق قوله ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء وخولف ذلك للتنبيه على سبق رحمة الله غضبه وان المقصود قصدا اوليا اي المقصود بالذات هو الرحمة وان البلاء انما يصيب الانسان لسوء تدبيره والحكمة في كون الكافر يؤوسا حال زوال ما به من النعمة انه لا يعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من جود الله تعالى وفضله واحسانه اذ هو لا يعتقد ذلك بل يعتقد ان السبب في حصولها محض اتفاق فيستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة اخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس حال زوالها ويقع في الكفران حال حصولها لانه لما اعتقد ان حصولها انما كان على سبيل الاتفاق او بسبب ان الانسان انما حصلها بسبب جده وجهده لا يشتغل بشكر الله تعالى من تلك النعمة ﴿قوله بطر بالنعم﴾ لان من سكر السعادة الاخروية اذا وجد لذة عاجلة دنيوية يزعم انه فاز بنهاية السعادة فيعظم فرحه ويفتخر ولا يشتغل بشكر المنعم كما انه لا يلزم الصبر عند البلاء والشدة ﴿قوله ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه﴾ قال لعل في قوله فلعلك تارك للترجي بالنسبة الى المخاطب والمعنى اعظم ما يرد على قلبك من تخليطهم انك تتوهم انهم يزلونك عن بعض ما انت عليه من تبليغ ما اوحي اليك فورد عليه ان يقال كيف يصح منه صلى الله عليه وسلم ان يتوقع من نفسه ان يخون في الوحي ويترك تبليغ بعض ما يوحى اليه وقد اتفق المسلمون على انه لا يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يخون في الوحي ويترك تبليغ بعضه والا ارتفع الوثوق من احكامه وبطل فائدة الرسالة فاجاب المصنف عنه بان توقع الخيانة لوجود ما يدعو اليها لا يستلزم وقوعها لان مجرد ما يدعو الى الشيء لا يكفي في وجوده بل لا بد معه من ارتفاع ما يمنع منه فمن اين تحكم بارتفاعه حتى تقع في الاشكال ﴿قوله وعارض لك احيانا ضيق صدرك﴾ يعني ان قوله تعالى وضائق عطف على قوله تارك وعدل من ضيق اليه وان كان ضيق اكثر منه استعمالا لان المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعروض فلذلك عدل الى ما يدل عليه وهو صيغة الفاعل فانك اذا اردت السيادة والجود الثابتين المستقرين قلت سيد وجيد واذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد وكذا الفرق بين حاسن وثاقل وسامن وبين حسن وثقيل وسمين ﴿قوله مخافة ان يقولوا﴾ علة لقوله وضائق حذف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب اعرابه محلا وضمير به يعود على بعض ما يوحى وقيل مبهم تفسيره ان يقولوا روي ان اهل مكة لما قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا هم النبي صلى الله عليه وسلم ان يدع سب آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني سب الآلهة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة تشهد بنبوتك فقال صلى الله عليه وسلم

لا اقدر على ذلك فنزلت الآية وكانوا قالوا لو كنت صادقا انك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شئ وعزيزا عنده فهلا انزل عليك كنزا اي مالا كثيرا من شأنه ان يجمل كنزا اي مالا مدفونا فان الكنز اسم للمال المدفون فوجب ان يكون المراد منها مايكنز وقد جرت العادة بانه يسمى المال الكثير ايضا بهذا الاسم فكان القوم قالوا فهلا نزل عليك ماتستغنى به وتغنى اصحابك من الكد والتعب وتستعين به على مهماتك وتعين انصارك وان كنت صادقا فهلا انزل الله تعالى معك ملكا يشهد لك على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك فتزول الشبهة من امرك فلما لم يفعل ذلك فانت غير صادق فاجابهم الله تعالى بانه صلى الله عليه وسلم رسول ينذر بالعقاب ويبشر بالثواب ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء والذى ارسله هو القادر على ذلك فان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض عليه في فعله ولا في حكمه ﴿قوله ام منقطعة﴾ لعدم ماتصل هي به وتكون معادلة له معطوفة هي عليه والتقدير خلاف الاصل وجعلها صاحب التيسير متصلة وقال تقديره ايكذبونك ام يقولون افتراه وقيل تقديره ايكذبون بما اوحينا اليك معجزة ام يقولون انه ليس من عند الله بل افتراه محمد صلى الله عليه وسلم واتى به من عند نفسه وعلى تقدير كونها منقطعة يكون تقديرها بل والهمزة اضراب عن شرح صدره صلى الله عليه وسلم بالثبات على الانذار بما اوحى اليه وعلى ان لا يضيق صدره بان يقولوا لولا انزل عليه كنز ثم انكر عليهم قول ذلك ﴿قوله في البيان وحسن النظم﴾ جواب عما يقال كيف يكون مايأتون به مثله ومايأتون به مفترى اى ليس المراد من المماثلة ان يكون مايأتون به مثل مااوحى اليه صلى الله عليه وسلم في كونه غير مفترى ﴿قوله تحداهم اولا بعشر سور﴾ تصريح بان هذه السورة متقدمة بالنزول على سورة البقرة وهى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله اى بسورة كائنة من مثل مانزلنا وعلى الآية التى في سورة يونس وهو قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله اما تقدمها على سورة يونس وان كانت كل واحدة منهما مكية فبدليل ان التحدى بعشر سور ينبغى ان يكون متقدما على التحدى بسورة اذ لا معنى للتحدى بالعشر بعد التحدى بسورة وتبين عجزهم عن معارضتها فانه بمنزلة ان يقال لرجل اعطنى درهما فعجز فيقال له اعطنى عشرة دراهم فان هذا الدليل يقتضى ان يكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة يونس وان كانت كل واحدة منهما مكية ﴿قوله وتوحيد المثل﴾ ويجوز ان يقال جوابه كل واحد من الافراد والمطابقة للموصوف من خصائص لفظ المثل كقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى كامثال اللؤلؤ وقوله تعالى ثم لا يكونوا امثالكم والقريض الشعر خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته ﴿قوله وللتنبيه على انه الخ﴾ تعليل بان يجمع الضمير على وجه تعميم الخطاب ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون لكم خطابا له صلى الله عليه وسلم والمؤمنين او خطابا له صلى الله عليه وسلم خاصة على جهة التعظيم رتب عليه مابعده بالفاء الجزائية والمعنى ان لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يامحمد واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى مادعوتهم اليه من معارضة القرآن واتيان عشر سور مثله وتبين عجزهم عنه بعد الاستعانة بمن استطاعوا الاستعانة منه من دون الله تعالى فاعلموا اى فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه لتزدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله تعالى وانه من جملة المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة والجزم بصدقه صلى الله عليه وسلم يستتبع جزمه اى الشأن لا اله الا هو وليس المراد بقوله فاعلموا الامر بالعلم لانه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عالمون بالامرين قبل نزول هذه الآية بل المراد الثبات على العلم والزيادة فيه وكذا ليس المراد بقوله تعالى فهل انتم مسلمون الاستفهام عن احداثهم الاسلام بل المراد تثبيتهم عليه وتقوية ثباتهم للرسوخ والاخلاص ﴿قوله مطلقا﴾ بالنسبة اليكم والى كل من دعوتموه من دون الله ممن استطعتم وكلمة ما في قوله تعالى انما انزل بعلم الله يجوز ان تكون كافة مهيئة لدخول ان على الفعل وفى انزل ضمير يرجع الى قوله مايوحى ويعلم حاله اى انزل القرآن ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة اسما لان وخبرها الجار بعدها فالتقدير واعلموا ان تنزيله او ان الذى انزل ملتبس بعلم واختار المصنف الكافة ٭ قال الامام فان قلت اى تعلق بين الشرط المذكور في هذه الآية وبين مافيها من الجزاء واجاب بان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله فقال الله تعالى قل لهم لو كان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق عليه ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقول الحاكم جرى بعلمى ﴿قوله ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين﴾

(ام يقولون افتراه) ام منقطعة والهاء لما يو[حى]
(قل فأتوا بعشر سور مثله) في البيان وحسن
النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا
عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسور[ة]
وتوحيد المثل باعتبار كل واحد (مفتريات)
مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته
من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون
على مثل ماقدرت عليه بل انتم اقدر لتعلمكم
القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظ[م]
(وادعوا من استطعتم من دون الله) الى
المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين)
انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان
مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول
صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين ايضا كانو[ا]
يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه
وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه
عليهم في كل امر الا ماخصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب
عليه قوله (فاعلموا انما انزل بعلم الله) ملتبسا
بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سوا[ه]
(وان لا اله الا هو) واعلموا ان لا اله الا الله
لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره
ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلا[م]
الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد
واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم
(فهل انتم مسلمون) ثابتون على الاسلا[م]
راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عند[كم]
اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطا[با]
للمشركين

وذلك لان الآية المتقدمة اشتملت على خطابين احدهما خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى قل فأتوا بعشر سور مثله والثاني خطاب الكفار وهو قوله تعالى فأتوا وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين في ادعاء الافتراء فلذلك جاز في خطاب لكم وجهان الاول ما مر من انه خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين او للرسول خاصة على جهة التعظيم والمعنى ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم في الاتيان بما دعوتم اليه فاعلموا اى فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وهو انه منزل من عند الله الذي لا اله الا هو والوجه الثاني انه خطاب للكفار والمعنى الذين تدعونهم من دون الله ان لم يستجيبوا لكم في الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن انما انزل بعلم الله فهل انتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا القول اولى من القول الاول لانكم في القول الاول احتجتم الى ان حملتم قوله فاعلموا على الامر بالثبات او على اضمار القول وعلى هذا القول لا حاجة الى الاضمار فكان اولى ولان اقرب المذكورين هو الكفار فرجع الضمير اليهم اولى ﴿قوله وفي مثل هذا الاستفهام﴾ يعني ان قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان كان لفظه استفهاما الا ان معناه ايجاب امر بليغ لا الاستفهام لما ذكره من الدليل فان قلنا انه خطاب مع المؤمنين كان معناه ايجاب الثبات على الاسلام في زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه ايجاب اصل الاسلام عليهم وترغيبهم في التفكير فيما يوجبه من الحجة القاطعة ﴿قوله باحسانه وبره﴾ يعني ان هذه الآية سواء نزلت في المؤمنين الذين عملوا الصالحات مراآة الخلق او المنافقين الذين كانوا يعملون بغزواتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير ان يؤمنوا بالآخرة وثوابها او في الكفار الذين يعملون اعمالهم في صورة الاعمال الصالحة من البر وصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر وتسوية الطرق والسعي في دفع الشرور واجراء الانهار يكون معناها من كان يريد بعمله من اعمال البر والاحسان التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها من ثناء الخلق عليه في الدنيا ونحو ذلك فان جزاء عمله يصل اليه في الدنيا تاما كاملا ولا ينتفع احد من هؤلاء الطوائف المذكورة في الآخرة بشيء من الاعمال التي اراد بها الحظوظ العاجلة ولا يستحق بها الا النار اما المنافقون والكفار فظاهر لانهم مخلدون في النار واما المراؤون من المؤمنين فلان العمل انما يكون عبادة بشرط الاخلاص ومن راآى به لم يخلصه لله تعالى بل عمله طلبا لزينة الدنيا ورياء وسمعة وقد استوفى ما تقتضيه صورة عمله الصالح من منافع التي ارادها بعمله ولم يبق له الا اوزار مراآته القبيحة فاستحق ان يعذب بها فان شاء ربه ان يعذبه او يعفو عنه فعلى ذلك فقوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار ان كان نازلا في حق المرائين من المؤمنين يقتضي ظاهره ان يخلد اهل الرياء في النار وليس كذلك فلابد من تقييده بان يقال ليس لهم في الآخرة بسبب اعمالهم الريائية الا النار الا ان يتجاوز الله عنهم وليس في الآية ما يدل على ان لا عمله يعذب وانما يدل على انه لا يستحق بسببها الا النار والمراد بالاطلاق المذكور بقوله مطلقا اطلاق المشار اليه بقوله اولئك وهو من كان يريد الحياة الدنيا كائنا من كان من الطوائف الثلاث وقوله في مقابلة ما عملوا اشارة الى ما ذكرنا من وجوب التقييد في حق المرائين من المؤمنين روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « اشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه » وروى عنه صلى الله عليه وسلم ايضا انه قال « اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل قرأ جميع القرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول قمت به آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى الم اوسع عليك فماذا عملت فيما آتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جريء مقدام فارس » قال الراوي وهو ابو هريرة رضي الله عنه ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال « يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة » وروى ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية رضي الله عنه فبكى معاوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وذكر القرطبي نقلا عن بعض العلماء ان معنى هذه الآية هو قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات « وقرأ الجمهور نوف بنون العظمة وتشديد الفاء من وفى يوفى وقرئ يوفى بياء الغيبة وبناء الفعل للفاعل وهو ضمير الله تعالى وقرئ يوف بضم الياء وفتح الفاء المشددة من وفى يوفى مبنيا للمفعول اعمالهم بالرفع على انه قائم مقام الفاعل والجزم في يوف على هذه القراءة لكونه جوابا للشرط كما في قوله تعالى

والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما ادعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) باحسانه وبره (نوف اليهم اعمالهم فيها) نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوف الله وتوف على البناء للمفعول وتوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

وان اتاه كريم يوم مسغبة *
يقول لا غائب مالي ولا حرم *

(وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون شيأ من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم (اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار) مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة (وحبط ما صنعوا فيها) لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا (وباطل) في نفسه (ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله

* ولا خارجا من فيّ زور كلام *

وبطل على الفعل

من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وقرأ الحسن البصري وفي بتخفيف الفاء وثبوت الياء من اوفى قال ابن الحاجب فان كان كل واحد من الشرط والجزاء مضارعا او الاول فالجزم وان كان الجزاء وحده مضارعا فالامران اي الجزم وعدم الجزم فان تعلق فيها بالفعل المحذوف فضمير فيها يرجع الى الآخرة اي وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة لانه لم يروا له ثوابا فيها وان تعلق فيها بصنعوا يتعين ان يعود الضمير اليها اي الى الحياة الدنيا كما يتعين ان يعود اليها في قوله نوف اليهم اعمالهم وفي الصحاح حبط عمله حبطا وحبوطا اي بطل ثوابه وقرأ الجمهور وباطل ما كانوا يعملون برفع الباطل اما على انه خبر مقدم وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخر وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية التي قبلها واما على ان باطل معطوف على خبر اولئك اي اولئك باطل وما كانوا يعملون فاعل باطل والمصنف اختار الاحتمال الاول حيث صرح بكونها جملة واسم الفاعل مع فاعله لا يكون جملة قرئ باطلا بالنصب على انه معمول به ليعملون وما ابهامية ومعنى كونها ابهامية كونها صفة النكرة قبلها كما في قولهم لامر ما يسود من يسود والمعنى وباطلا اي باطل كانوا يعملون او على انه بمعنى المصدر لفعل محذوف اي وبطل بطلانا ما كانوا يعملون ﴿قوله والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه﴾ وهو كونه على بينة من ربه وان يتبع سنة كتابين سماويين يعني ان كلمة من في قوله تعالى أفمن كان شرطية او موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ والخبر محذوف اعتمادا على دلالة همزة الانكار وفاء التعقيب عليه ووجه دلالتها عليه انها دخلت على الجملة المصدرة بفاء التعقيب فافادت انكار التعاقب والتقارب بين مدخول الفاء وبين امر آخر وليس ذلك الامر الا ما ذكر قبل وهو قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا فكان تقدير الكلام ومعناه ما ذكره بقوله أفمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا ومثل هذا الحذف في القرآن كثير منه قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اي كمن هداه الله وقوله ام من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الى غير ذلك ولما كانت همزة الاستفهام تقتضي صدر الكلام وكانت الفاء العاطفة تقتضي المعطوف عليه قدر صاحب الكشاف المعطوف عليه بين همزة الاستفهام وحرف العطف فقال معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة من ربه وهذا التقدير هو القاعدة المقررة عنده في مثل هذا الموضع الا ان التقدير الذي ذكره لا بد فيه من تقدير فعل المتمم اي اذكر اولئك فيذكر هؤلاء او يقال فيقال والهمزة لانكار هذا التعقيب واشار اليه بقوله اي لا تعقبونهم ولا تقاربونهم ويبقى الكلام في ان المعطوف عليه على تقدير المصنف اي شيء هو والظاهر انه هو جملة من كان يريد الحياة الدنيا كما في تقدير صاحب الكشاف وما ذكره من التقدير لا تعرض فيه لبيان المعطوف عليه بل هو بيان لحاصل المعنى فان المراد نفي التماثل بين الفريقين فقدر المعطوف عليه بكاف التشبيه ليدل الكلام على نفي المماثلة وانكارها والمستفاد من نظم القرآن هو انكار المعاقبة والمقاربة فان فاء التعقيب فيه تدل على اعتبار المعطوف عليه وهمزة الانكار تدل على انكار المقاربة والمعاقبة بينهما والتقدير امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة في السعادة وحسن العاقبة والمعنى ان الفريق الثاني لا يعاقبه ولا يقاربه الفريق الاول فيما ذكر بناء على ان الاستفهام للانكار والفاء للتعقيب فبينهما لا تقارب بينهم فضلا عن التماثل ﴿قوله ويتبع ذلك البرهان﴾ على ان قوله يتلوه من التلو لا من التلاوة وقوله ذلك البرهان اشارة الى وجه تذكير الضمير الراجع الى بينة فان الظاهر ان يقال ويتلوها الا انه ذكر ضمير التأنيث باعتبار المعنى وتنوين شاهد للتعظيم وكون القرآن تابعا لدليل العقل كونه موافقا له في المدلول وشاهدا مصدقا له ﴿قوله وهو حكم يعم كل مؤمن﴾ يعني الذي وصفه الله تعالى بانه على بينة المراد به كل مؤمن مخلص متمسك بالبرهان الدال على ما هو الحق فيكون الحكم الدال على انكار المقارنة بينه وبين من قصر همته وفكره على الدنيا شاملا لهم جميعا غير مختص به صلى الله عليه وسلم او بمؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه على ما قيل ﴿قوله او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له﴾ صلى الله عليه وسلم والثاني وان كان ذات الرسول صلى الله عليه وسلم واللسان آلة التلاوة الا ان التلاوة اسندت الى الآلة مجازا كما يقال عين باصرة واذن سامعة ولسان ناطق فالمعنى أمن كان على حجة بينة وهي القرآن ويقرأ ذلك القرآن شاهد من الله تعالى وهو جبريل او شاهد من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لسانه وضمير يتلوه على تقدير ان يكون من التلاوة يتعين ان يكون للبينة بتأويل القرآن واما على تقدير ان يكون من التلو وهو التبعية فحينئذ يحتمل ان يكون لمن على بينة كما يحتمل ان يكون لنفس البينة ﴿قوله ومن قبله كتاب موسى﴾

(أفمن كان على بينة من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذر والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة ... على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به في الدين (ورحمة) على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين (اولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لا محالة (فلا تك في مرية منه) من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) لقلة نظرهم واختلال فكرهم

(ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كأن اسند اليه مالم ينزله اونفى عنه ما انزله (اولئك يعرضون على ربهم) في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين اومن جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب اويبغون اهلها ان يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (اولئك لم يكونوا معجزين في الارض) اى ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم (يضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان مالا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (اولئك الذين خسروا انفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها اوخسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون) لا احد ابين واكثر خسرانا منهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه

مبني على ان يكون المراد بالبينة القرآن ويكون يتلوه من التلاوة فالمعنى ويتلو القرآن شاهد من كان على بينة من ربه ويتلو كتاب موسى من قبل القرآن وفصل بين العاطف والمعطوف بقوله من قبله وقوله اماما ورحمة منصوبان على الحال من كتاب موسى سواء قرئ مرفوعا اومنصوبا والموعد اسم مكان والمرية بكسر الميم وضمها لغتان بمعنى الشك ﴿ قوله بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ﴾ اشارة الى انه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه وان المراد عرضهم على الموقف المقدر للحساب والسؤال وحبسهم فيه الى ان يقضي الله عز وجل بين العباد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول اى عبدى أتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال الله تعالى فانى قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين يفضحونهم بما كانوا عليه في الدنيا ويعنون انهم ملعونون عند الله بسبب ظلمهم ثم وصفهم بانهم يمنعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتخويف وادخال الشبهة والسبيل مؤنث معنى فلذلك انث ضمير يبغونها يقال بغيت الشئ طلبته وبغيتك الشئ طلبته لك ومعنى طلب العوج لسبيل الله اولا وصفهم اياها بالانحراف عن الحق بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب وثانيا بطلب العوج لاهلها على حذف المضاف ﴿ قوله وتكريرهم لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به ﴾ اما التأكيد فمن تكريرهم فان تكرير المسند اليه يفيد تأكيد شأنه في الاتصاف بمضمون الخبر واما الاختصاص فلتقديم هم على الكافرين كما لو قال هم يكفرون وسبب تضعيف العذاب عليهم انهم ضلوا واضلوا غيرهم ولانهم كفروا بالله وهو كفر بالمبدأ والبعث وكفر بالمعاد ولانهم كانوا لا يستطيعون استماع الحق وابصار الحق وما يدل على الحق من الآيات فيعذبون بكل واحد منها ﴿ قوله لتصامهم عن الحق وبغضهم له ﴾ يقال تصام تصاما اى أرى من نفسه انه اصم وليس به صمم لانفى الله تعالى عنهم استطاعة سمع الاصوات والحروف وكان خلاف ماذهب اليه اهل الحق والمعتزلة فان اهل الحق وان ذهبوا الى ان افعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وليس لقدرتهم تأثير فيها الا انهم اثبتوا للعبد استطاعة غير مؤثرة فانهم قالوا اجرى الله سبحانه وتعالى عادته على ان يوجد في العبد قدرة واختيارا واذا لم يكن هناك مانع اوجد فيه المقدور مقارنا لها فيكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى ابداعا واحداثا ومكسوبا للعبد والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غيران يكون هناك تأثير ومدخل في وجوده سوى كونه محلا له وقال اكثر المعتزلة انها واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الاستقلال وقالت طائفة منهم هى واقعة بالقدرتين معا فظهر ان كل واحد من الفريقين يقول بان للعبد استطاعة على افعاله الاختيارية يسمع بها الاصوات والحروف ويبصر بها المبصرات الى غير ذلك فاجيب بتأويل الآيات فنقول قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون استعارة تصريحية تبعية شبه تصامهم عن استماع الحق وبغضهم له بعدم استطاعتهم السمع فاطلق على المشبه وكذا شبه تعاميهم عن آيات الله بعدم ابصارها فاطلق عليه عدم الابصار على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق من اللفظ المستعار لتصامهم ما كانوا يستطيعون السمع ولتعاميهم عن آيات الله تعالى ما كانوا يبصرون ﴿ قوله وقيل هو بيان لما نفاه الخ ﴾ عطف على ما اشار اليه من التأويل اى وقيل لا حاجة الى التأويل وانما يحتاج اليه ان لوكان قوله ما كانوا يستطيعون من صفات الكفار وليس كذلك بل هو من صفات الاوثان فعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا لكونه في حق الكفار وليس ذلك من صفات الاوثان ﴿ قوله اطمأنوا اليه ﴾ اذ الاخبات الخضوع والخشوع ويستعمل باللام حيث يقال اخبت لله واستعمل بالى في الآية لتضمنه معنى الاطمئنان والانقطاع ﴿ قوله يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى ﴾ تعبير عن خلاصة المعنى فان الظاهر ان يقال تشبيه حال الكافر بحال الاعمى نظرا الى قوله تعالى مثل الفريقين اى حالهما وصفتهما العجيبة فلابد ان يقدر في جانب المشبه به مثل آخر اى كمثل الاعمى والاصم والسميع والبصير وهو تعالى شبه حال الفريقين بحال هؤلاء ولم يشبه انفس الفريقين بانفسهم فانه تعالى شبه عدم انتفاع الكافر ببصره اجلى الآيات المنصوبة بين يديه وبسمعه في استماع الآيات المتلوة عليه بعدم انتفاع الاعمى والاصم بحاسة البصر والسمع وشبه حال المؤمن لانتفاعه ببصره وسمعه في ذلك بانتفاع البصير والسميع ببصره وسمعه الا ان تشبيه حال الشئ بحال شئ آخر لما كان يستلزم تشبيه الشئ الاول بالشئ الثاني تجوز المصنف فقال يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى الخ والفرق بين هذا الاحتمال

وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين اوتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان (مثلا) اى تمثيلا او صفة او حالا (أفلا تذكرون) بضرب الامثال والتأمل فيها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص (ان لا تعبدوا الا الله) بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير (انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا) لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة (وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل (بادى الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او اول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل (وما نرى لكم) لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين (قال يا قوم ارأيتم) اخبرونى (ان كنت على بينة من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة او النبوة (فعميت عليكم) فخفيت عليكم ولم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منها

والاحتمال الثانى ان كل واحد من الاعمى والاصم مغاير للآخر ذاتا على الاحتمال الاول ويكون تشبيه الكافر تشبيهين ضرورة تعدد المشبه به وكذا الحال فى السميع والبصير وتشبيه المؤمن بهما بخلاف الاحتمال الثانى فان كل واحد من الاعمى والاصم يكون متحدا مع الآخر ذاتا وعطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفة على الصفة لا من قبيل عطف الذات على ذات آخر كما فى الاحتمال الاول فيكون تشبيه كل واحد من الفريقين تشبيها واحدا حيث شبه الكافر بشخص موصوف بوصفين وكذا المؤمن كأنه تعالى شبه حال فريق الكفار فى تعاميهم عن الآيات المنصوبة بين ايديهم وعن الآيات المتلوة عليهم بحال من اجتمع فيه الصفتان الاعمى والاصم فهو ابدا فى خبط وضلال لان الاعمى اذا سمع شيأ ربما يهتدى الى الطريق والاصم ربما ينتفع بالاشارة ومن جمع فيهما فلا حيلة فيه ﴿قوله وهذا من باب اللف والطباق﴾ اللف فى اصطلاح البديع ذكر متعدد على التفصيل والاجتماع ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد ذلك المتعدد وفى الآية الكريمة ذكر الفريقين ثم ما لكل منهما كالاعمى الخ والطباق هو جمع بين معنيين متقابلين حقيقيا او اعتباريا سواء كان التقابل تقابل الايجاب والسلب او غير ذلك ولا شك ان الاعمى والبصير وكذا الاصم والسميع امران متقابلان ﴿قوله تمثيلا﴾ على ان يكون المثل مصدرا بمعنى التمثيل كالسلام بمعنى التسليم ومثلا تمييز منقول من الفاعلية والاصل هل يستوى مثلهما اى تشبيههما شبه الله احد الفريقين بالاعمى والاصم والفريق الآخر بالبصير والسميع ثم انكر استواء التشبيهين ولفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر المشبه مضربه بمورده ثم يستعار للصفة العجيبة تشبيها لها بالقول المذكور فى الغرابة فانه لا يضرب الا لما فيه غرابة • واعلم ان عادة الله تعالى فى القرآن العظيم انه اذا اورد على الكافرين انواعا من دلائل الوحدانية والنبوة اتبعها بالقصص ليؤكدها بتلك الدلائل فلذلك ذكر فى هذه السورة قصصا متعددة فبدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى انى لكم بفتح الهمزة على اضمار حرف الجر اى بانى لكم والجار والمجرور متعلق بحال محذوفة اى ارسلناه ملتبسا ببيان هذا الكلام وقرأ الباقون انى لكم بالكسر على اضمار القول والتقدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال لهم انى لكم نذير مبين اى مخوف مبين اى مظهر ذلك الانذار على اكمل طريقة ﴿قوله بدل من انى لكم﴾ بالفتح اى ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله بالنهى عن عبادة غير الله والامر بعبادة الله تعالى لان قوله الا الله استثناء من النهى ويجوز على قراءة الفتح ان تكون ان مفسرة ايضا والمفسر بها اما ارسلنا واما نذير لان كل واحد منهما فى معنى القول وعلى قراءة انى لكم بكسر الهمزة يتعين ان تكون ان مصدرية منصوبة المحل مع ما فى حيزها على انه مفعول مبين او مفسرة متعلقة بنذير ﴿قوله على طريقة جد جده ونهاره صائم﴾ لف ونشر مرتب فان اسناد الاليم الى اليوم اسناد للظرف كقولك نهاره صائم واسناده الى العذاب اسناد الى الوصف كقولك جد جده والمتألم هو الشخص المدرك لا وصفه ولا زمانه فاذا وصفه بالتألم دل على ان الشخص بلغ فى تألمه الى حيث سرى ما به من التألم الى ما يلابسه من الزمان والاوصاف ولما حكى الله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى وحده حكى عن قومه انهم طعنوا فى نبوته بثلاثة انواع من الشبهات فالشبهة الاولى انه بشر مثلكم والتفاوت الحاصل بين الآحاد المتفقة فى الحقيقة البشرية يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالمين والشبهة الثانية كونه بحيث اتبعه اراذل القوم كالحاكة واهل الصنائع الخسيسة قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس والاشراف من الناس ونظيره قوله تعالى فى سورة الشعراء انؤمن لك واتبعك الارذلون والشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا فى العقل ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل فاذا لم نشاهد فضلك علينا فى شئ من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نصدق بفضلك علينا فى اشرف الدرجات واعلى المقامات والاخساء جمع خسيس مثل نبى وانبياء واراذل يحتمل ان يكون جمع ارذل صفة كاحمر وقياسه ان يجمع على رذل الا انه جمع على اراذل لجريانه مجرى الاسماء من حيث انه غير موصوف كالابطح والابرق وقيل هو جمع ارذل الذى للتفضيل نحو افضل وافاضل وقد جاء اكابر مجرميها واحاسنكم اخلاقا وهما جمع اكبر واحسن ويحتمل ان يكون جمعا للجمع بان يكون جمعا لارذل وارذل جمع رذل نحو كلب واكلب واكالب وقيل بل هو جمع لارذال وارذال جمع رذل ايضا قال الجوهرى الرذل الدون الخسيس وقد رذل فلان بالضم يرذل رذالة ورذولة فهو رذل ورذال بالضم من قوم رذول وارذال ورذلاء قال النبى صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باحبكم الىّ واقربكم مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ﴿قوله وتوحيد الضمير الخ﴾ جواب عما يقال قد سبق امران بينة ورحمة

وقرأه والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله (أنلزمكموها) أنكرهكم على الاهتدآء بها (وانتم لها كارهون) لاتختارونها ولاتتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل (وياقوم لااسألكم عليه) على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر (مالا) جعلا (ان اجري الا على الله) فانه المأمول منه (وما انا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربهم) فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم (ولكني اراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل (وياقوم من ينصرني من الله) بدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (أفلا تذكرون) لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (ولا اقول لكم عندي خزآئن الله) خزآئن رزقه او امواله حتى جحدتم فضلي (ولا اعلم الغيب) عطف على عندي خزآئن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادئ الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول (ولا اقول اني ملك) حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا (ولا اقول للذين تزدري اعينكم) ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا (الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدرآء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم (قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا) فاطلته او اتيت بانواعه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتؤثر فينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا او آجلا (وما انتم بمعجزين) بدفع العذاب او الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم) شرط ودليل جواب

فكان مقتضى الظاهر ان يقال فعميتا عليكم فان نوحا عليه الصلاة والسلام لما دعا قومه الى توحيد الله تعالى وطعنوا في نبوته بثلاث شبه اجاب عليه الصلاة والسلام عن تلك الشبه كلها باني على بينة ورحمة من ربي وهي شبهة عليكم ولا اقدر على الزامكم قبولها وهو جواب عن تلك الشبه كلها اما عن الاولى فلان الاشتراك في الحقيقة البشرية لاياباه الاختصاص بالبينة والرحمة من عند الله تعالى وعن الثانية بان البينة قد اشتبهت على الاشراف لحسدهم وخوفهم على الجاه وكانوا لايقبلونها الا بالحجة والالزام بخلاف الفقرآء الذين قبلوها واتبعوا الحق وقت حدوث بادئ الرأي فانه لامانع فيهم يمنعهم من القبول من نحو الحسد والخوف من زوال الجاه والرياسة فلذلك قبلوها في اول الوهلة وعن الثالثة بان التفاوت في الفضل انما هو ببيان طريق الهدى لنجاة عباد الله باذن الشارع ونصره وهو المولى فنعم المولى ونعم النصير وانما وحد الضمير لان البينة والرحمة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انهما متحدتان بحسب الذات وان المراد بهما البرهان الدال على نبوته عليه الصلاة والسلام وهو بينة باعتبار انه شاهد على دعواه ورحمة باعتبار ان ينتفع به وعلى تقدير ان تكونا متغايرتين ذاتا ايضا بان يراد بالبينة الحجة الشاهدة بصحة دعواه وبالرحمة نفس النبوة وحد الضمير ايضا لرجوعه الى البينة ولم يتعرض لهذا في الرحمة لاستلزام خفاء البينة خفاءها او لرجوعه الى الرحمة التي هي النبوة ولم يذكر ضمير البينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت النبوة عليكم بعد قيام البينة عليها ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت ﴾ بضم العين وتشديد الميم على مالم يسم فاعله واصله فعماها الله عليكم اي ابهمها عقوبة لكم ثم بني الفعل للمفعول وحذف فاعله للعلم به وهو الله تعالى واقيم المفعول وهو ضمير الرحمة او كل واحدة منهما مقامه وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم والمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي دليل القوم عليهم في المفازة فان الحجة كما توصف بالابصار اذا كانت معلومة جلية لانها هادية كالمبصر قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة كذلك توصف بالعمى اذا كانت مجهولة خفية لكونها غير هادية قال الله تعالى فعميت عليهم الانباء ﴿ قوله وحيث اجتمع ضميران ﴾ فقد اجتمع في انلزمكموها بعد الضمير المرفوع ضمير المخاطب ثم ان نوحا صلى الله عليه وسلم قال لقومه ياقوم لاتهمة علي فيما ادعوكم اليه ولا اصور في صورة من يطمع في اموالكم والرياسة في امور الدنيا عليكم ولا تظنوا في الكذب وما اجري الا على الله بناء على سعة فضله وكرمه فهو اعلى ومنه ارجو فبأي عذر لاتقبلون مني مادعوتكم اليه والطرد الابعاد على وجه الهوان ﴿ قوله عطف على عندي ﴾ لا على اقول اذ لايستقيم ان يقال لااعلم الغيب حتى تكذبوني وانما يستقيم ان يقال لااقول انا اعلم حتى تكذبوني استبعادا وانما يستقيم عطفا على لا اقول ان لو كان المعنى لااعلم الغيب حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي ﴿ قوله وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ﴾ قال الامام فان احدا لايعجزه اي لايمنعه عما اراد ان يفعله والعجز هو الذي يعجل ماقصده فيتعذر به مراد الغير فيوصف بانه اعجز فقوله تعالى وما انتم بمعجزين اي لاسبيل لكم الى ان تفعلوا ماقصدكم فيمتنع على الله تعالى مايشاء من العذاب ان اراد انزاله بكم ﴿ قوله شرط ودليل جواب ﴾ يعني ان قوله تعالى ان اردت ان انصح لكم شرط جزآؤه محذوف وماقبله دليل الجواب وليس بجواب عند البصريين فانهم لايجوزون تقدم الجزآء على الشرط وكذا جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم محذوف حذف لدلالة الجملة الشرطية المتقدمة عليه وتقدير الكلام ماذكره فتكون الآية الكريمة نظير قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك فقولك ان كلمتني جواب لقولك ان اتيتني وهي مسئلة اعتراض الشرط على الشرط وفي مثله يكون الجزآء المذكور معلقا على الشرط المذكور اولا وواقعا بعد وقوع ذلك الشرط بشرط حصول الشرط الثاني ولما كان حصول الشرط الثاني شرطا لكون الشرط الاول مستلزما للجزآء ومن المعلوم ان الشرط مقدم على المشروط في الوجود وجب ان لايحكم بتحقق الجزآء الابعد وجود الشرط الاول بعد وجود الشرط الثاني فني قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك ان اتاه ثم كلمه لايجب الاكرام ولكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام ولو قال الرجل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق ولكن ان كلمت ثم دخلت تطلق فقال الامام قوله ولاينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزآء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي ان يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدما في الوجود وذلك لان الرجل اذا قال لامرأته انت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم كون الطلاق من لوازم

والجملة دليل جواب قوله (ان كان الله يريد ان يغويكم) تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لاينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك (هو ربكم) خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي) وباله وقرئ اجرامي على الجمع (وانا بريء مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الي (واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء (واصنع الفلك باعيننا) ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعني به اياهم وبالعذاب الغرق (ويحل عليه) وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه (عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء امرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام (وفار التنور) نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة بارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع منها

الدخول ولكن اذا ذكر بعده شرط آخر مثل ان يقول ان اكلت الخبز كان المعنى ان تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول واذا لم يوجد الشرط الثاني لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول وبهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى المشروط والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى ﴿قوله وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل﴾ فمع ان جداله معهم انما هو نصح لهم وارشاد الى اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وازالة شبهاتهم الواهية ولما كانت هذه الآية حجة لنا على المعتزلة القائلين بان كفر العبد واغواءه انما هو بقدرة العبد وارادته ولا يتعلق بقدرة الله تعالى وارادته قالوا ظاهر الآية يدل على انه تعالى اذا اراد اغواء القوم لم ينتفعوا بنصح الرسول وهذا مسلم فانا نعرف ان الله تعالى لو اراد اغواء قوم لم ينفعهم نصح الناصحين لكن لم تقولوا انتم ما قلتم انه تعالى اراد هذا الاغواء وليس النزاع الا فيه ﴿قوله اذا بشم فهلك﴾ البشم التخمة يقال بشم الفصيل من كثرة شرب اللبن ﴿قوله تعالى ام يقولون افتراه﴾ الظاهر ان ام فيه منقطعة اضرب الله تعالى عن حكاية جواب نوح عليه الصلاة والسلام لقومه الى انكار ما قالوه في حقه صلى الله عليه وسلم من انه اختلق الوحي على ان الضمير المستتر في افتراه لنوح عليه الصلاة والسلام والبارز للوحي الذي بلغه اليهم وقال مقاتل الضمير المستتر فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم ووقع هذا الكلام في قصة محمد صلى الله عليه وسلم على طريق الاضراب عن بيان قصة نوح عليه الصلاة والسلام الى انكار ما يقوله اهل مكة في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ام يقول اهل مكة افترى محمد القرآن فاختلقه من تلقاء نفسه قل يا محمد ان اختلقته فعلي جزاء جرمي وانا بريء مما تجرمون ثم رجع الى قصة نوح عليه الصلاة والسلام والجمهور على كسر همزة اجرامي وهو مصدر اجرم اي كسب ذنبا وقرئ في الشاذ اجرامي بفتحها وهو جمع جرم كقفل واقفال وقوله ان افتريته لايدل على انه كان شاكا بل هو قول يقال على وجه الانكار عند التبري من القول وفي الكلام حذف مضاف اي فعلي وبال اجرامي وعقابه وفيه محذوف آخر فان المعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب اجرامي وان كنت صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب وحذف بقية الكلام لدلالة قوله تعالى وانا بريء مما تجرمون عليها قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث نوح عليه السلام بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة ﴿قوله على طريقة التمثيل﴾ لما كانت العين سببا لحفظ الشيء بناء على ان من عظمت عنايته بحفظ الشيء يجعله نصب عينه صح ان يعبر بها عن الحفظ مجازا وان يعبر بلفظ الاعين عن المبالغة في الحفظ والرعاية فمن قال عمله بعيني كان مراده بتحفظي واحتياطي او كان مراده بنهاية ما في وسعي من التحفظ لانه لايمكن حمل الكلام المذكور على ظاهره لان العين ليست من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل فلا يكون من قبيل قولك قطعته بالسكين حتى يتعين حمله على ظاهره لان السكين من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل فتعين حمله على المعنى المجازي ولفظ العين وان كان مجازا عن الحفظ الا ان اضافته الى المتكلم حقيقة اذا كان المتكلم مركبا من الاعضاء والجوارح واما في حقه تعالى فانما تصح الاضافة على طريق التمثيل والتشبيه لكونه منزها عن الاعضاء والابعاض فيشبه من له اعين كثيرة وكان قوله باعيننا في معنى قوله محفوظا على انه حال من فاعل اصنع اي اصنعه محفوظا من ان يمنعك احد اولئك من ذلك ومن ان تزيغ في صنعته عن الصواب ووحينا اليك كيف تصنعها ووعده الله تعالى في عمله السفينة بامرين ان يحفظه من جميع ما يمنعه عن اتمام ذلك العمل على وجه الصواب وان يوحي اليه كيفية عمل السفينة ﴿قوله وقيل المراد بالسخرية الاستجهال﴾ بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب لان السخرية مسبب عن الجهل لما فيها من التعرض لسخط الله تعالى وعذابه فاثم اولى بالسخرية منا ﴿قوله او يحل عليه حلول الدين﴾ على ان الكلام من قبيل الاستعارة المكنية شبه العذاب الاخروي الذي قضى الله تعالى به في حقهم بالدين المؤجل الواجب الحلول واثبت له الحلول الذي هو من لوازمه ليكون تخييلا لتشبيه المضمر في النفس ﴿قوله او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام﴾ دخلت على الجملة من الشرط والجزاء ومع كونها حرف ابتداء لايلزم ان يكون ما بعدها مبتدأ لان ذلك لايطرد وقد تقع بعدها جملة شرطية مستأنفة كما في هذه الآية وكونها حرف ابتداء لاينافي

كون مابعدها غاية لما قبلها فان صنعة الفلك لما تمت جاء امر الله وفار التنور فكانت كلمة حتى واقعة بين انتهاء صنعة الفلك وابتداء مجيء امر الله وهو المراد من كونها ابتدائية وكان يصنعها الى ان جاء وقت الطوفان ﴿قوله والباقون بالاضافة﴾ اى قرأ العامة باضافة كل الى زوجين على ان اثنين مفعول احمل ومن كل زوجين حال من المفعول لانه كان صفة لنكرة فلما قدم عليها انتصب حالا وعلى قراءة حفص يكون زوجين واثنين صفة مؤكدة له كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين ومن كل على هذه القراءة يجوز ان يتعلق باحمل وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين والزوج يطلق في المشهور على كل واحد مما له ازدواج قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين ويقال للمرأة زوج قال تعالى وخلق منها زوجها يعني المرأة وقال تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى فالواحد يقال له زوج قال تعالى ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والزوجان عبارة عن كل اثنين لا يستغني احدهما عن الآخر ويقال لكل واحد منهما زوج يقال زوج خف وزوج نعل روي ان نوحا عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه السباع والطير فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة قال الحسن لم يحمل نوح عليه السلام في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما يتولد من التراب كالحشرات والبق والبعوض فلم يحمل منه شيأ وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ثمانون رجلا احدهم جرهم يقال ان في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت بذلك لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهم وقيل لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم الثلاث التي هي لبني نوح عليه السلام احد بنيه وهو سام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك وكانت لنوح عليه السلام امرأتان احداهما كافرة وهي واعلة ام كنعان وهو ابنه الذي انعزل عنه وكان من المغرقين واخرى مؤمنة وهي التي ذكرها الله تعالى بقوله وأهلك وفاعل قال في قوله تعالى قال اركبوا فيها يجوز ان يكون لنوح عليه السلام ويجوز ان يكون ضمير الباري تعالى اي وقال الله تعالى لنوح عليه السلام ومن معه وضمير فيها للسفينة وهو متعلق باركبوا وعدي بفي لتضمنه ادخلوا او صيروا فيها راكبين قيل انهم ركبوا السفينة يوم العاشر من شهر رجب وكان يوم الجمعة فاتت السفينة البيت فطافت اسبوعا فسارت بهم مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة يوم عاشوراء من المحرم ﴿قوله متصل باركبوا﴾ فيكون قوله تعالى اركبوا فيها وقوله بسم الله جملة واحدة ويكون بسم الله قيدا لاركبوا حالا من فاعله والباء فيه للملابسة تقديره اي متبركين باسم الله وقت الاجراء والارساء او مكانهما ويجوز ان يكون بسم الله محكيا بالقول المقدر اي اركبوا قائلين بسم الله وقت الاجراء والارساء او مكانهما فالمجرى والمرسى على التقديرين ظرفان منصوبان بما قدر حالا كما صورناه ويجوز ارتفاعهما ببسم الله اي بما تعلق به الباء مما قدر حالا على انهما فاعلان له اي اركبوا فيها كائنا بسم الله اجراؤها وارساؤها فيكون بسم الله مع متعلقه المقدر حالا كما تقدم ويكون المجموع جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبر او متعلق به والخبر محذوف ويدل عليه انه ذكر هذا الوجه في ذيل قوله متصل باركبوا اي ويجوز ان يكون بسم الله مجراها جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبر او متعلق به وخبر المبتدأ محذوف وعلى تقدير ان يكون جملتين يحتمل ان تكون الجملة الثانية مقتضبة مرتجلة منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبرا وطلبا حيث امرهم في الجملة الاولى بالركوب ثم اخبر ان مجراها ومرساها بسم الله فان الاقتضاب هو الخروج من كلام الى آخر لا علاقة بينهما ويقابله التخلص وهو الخروج برابطة مناسبة ولا مناسبة بين الامر بالركوب وبين الاخبار بان مجرى السفينة ومرساها بذكر اسم الله للانشائية والخبرية ويحتمل ان تكون الثانية حالا من واو اركبوا او من الضمير المجرور في قوله فيها وههنا بحث من وجهين الاول ان هذه الجملة كيف تكون حالا من الواو مع انه قد تقرر ان الحال ان كانت جملة فلابد فيها من عائد يرجع الى ذي الحال ولا عائد فيها الى ضمير اركبوا لان الضمير في بسم الله ان جعلته خبرا لمجراها فانما يعود على المبتدأ الذي هو مجراها والثاني ان المصنف كيف قطع بكون هذه الجملة حالا مقدرة مع ان مضمونها مقارن للابسة العامل في ذي الحال حقيقة لان المعنى اركبوا بسم الله اجراؤها ولا شك ان معنى مضمونها واقع حال ركوبهم لا مقدر عنده فلا تكون مقدرة اللهم الا ان تجعل الجملة في تأويل اجراؤها بسم الله فان اجراءها لم يكن عند

(قلنا احمل فيها) في السفينة (من كل) من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى (واهلك) عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم (الا من سبق عليه القول) بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا

الركوب حقيقة بل هو مقدّر عنده كما تقول اركب الفرس مسارًا باسم الله والاحوال اربع موطئة ومقدّرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال مابين هيئة الفاعل او المفعول فاما ان تكون مبينة للهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبينة للهيئة بالغير فهي الحال الموطئة لانها لاتبين الهيئة بذاتها بل بتابعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة كقرءآنا في قوله تعالى انا انزلناه قرءآنا عربيا وان كانت مبينة في الاستقبال فهي الحال المقدّرة وان كانت في الحال فاما ان تكون لازمة لذي الحال او مفارقة والاولى مؤكدة والثانية منتقلة ﴿قوله ويجوز ان يكون الاسم مقحما﴾ والمعنى بالله اي بقدرته وامره اجراؤها وارساؤها وتمام البيت

فقوما وقولا بالذى قد عرفتما	ولاتخمشا وجها ولاتحلقا الشعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما	ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قاله لبيد بن ربيعة العامري يوصي ابنتيه حين حضرته الوفاة بالبكاء والندبة عليه وقرئ مرساها بفتح الميم الا ان القرآء السبعة اتفقوا على ضم ميم مرساها فالضم فيهما مبنى على انهما من اجرى وارسى والفتح على انهما من جرى ورسا ﴿قوله صفتين لله﴾ فيه ان اضافة اسم الفاعل الى معموله لفظية لاتفيده تعريف فكيف جاز وقوعه صفة للمعرفة والظاهر انهما بدلان من اسم الله اولم يرد بالصفة النعت النحوي بل مايكون مفهومه معنى قائما بالغير ﴿قوله اي لولا مغفرته لفرطاتكم﴾ يريد ان قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم جملة مستأنفة جيئ بها بيانا لموجب الامر السابق ولايصح ان تكون علة لاركبوا لعدم المناسبة فيقدّر مايصح به الكلام بان يقال امتثلوا ماامرتم به لينجيكم الله تعالى بمغفرته ورحمته او يقال اركبوا فيها ذاكرين الله تعالى ولاتخافوا الغرق بسبب مافرط منكم من التقصير لان الله غفور رحيم وفيه ان انجاءهم لا للاستحقاق منهم بسبب انهم كانوا مؤمنين بل هو محض رحمة الله وغفرانه كما عليه اهل السنة ﴿قوله متصل بمحذوف﴾ يعني ان قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال حال من شئ محذوف تضمنه جملة دل عليها سياق الكلام كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم وقوله فيها اشارة الى ان قوله تعالى بهم متعلق بمحذوف فهو حال من فاعل تجري اي تجري ملتبسة بهم كقوله * تدوس بنا الجماجم والترآئب * اي تدوس خيولنا ملتبسة بنا ونحن راكبون عليها جماجم القتلى وترآئبهم ولو جعل الباء للتعدية لم يحتج الى هذا التأويل ﴿قوله وماقيل من ان الماء طبق﴾ اي ملأ مابين السماء والارض جواب عما يقال اذا ملأ الماء مابين السماء والارض لم يتصوّر الموج فيه فما معنى جريها في الموج * واجاب عنه اوّلا بان الرواية ليست ثابتة وثانيا بان جريانها في الموج كان في زمان عدم التطبق وجريانها في جوف الماء قرأ الجمهور ونوح ابنه بكسر تنوين نوح لالتقاء الساكنين وقرئ بضمه اتباعا لحركة الاعراب وقرأ العامة ابنه بوصل هاء الضمير بواو وهي اللغة الفصيحة الفاشية وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بسكون الهاء قيل انه لغة وقرأ علي رضي الله عنه ابنها باضافة ابن الى امرأة نوح عليه الصلاة والسلام وكانه اعتبر قوله تعالى انه ليس من اهلك وقوله عليه الصلاة والسلام ان ابني من اهلي لايدل على بنوّته له وانما يدل عليها لو قال مني وقرأ ابنه بفتح النون والهاء وحذف الالف اكتفاء عنها بالفتحة كما تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ ابناه بالالف وهاء السكت على صيغة الندبة وهي ان كانت عبارة عن التفجع والحزن للميت الا انه لما رأى ابنه مشرفا على الغرق والهلاك ناداه بصيغة الندبة على وجه الرأفة والترحم * ولما ورد ان يقال كيف تحكم بانه على صيغة الندبة والقوم قد نصوا على انه لايجوز حذف حرف الندآء من المندوب اجاب عنه بانه حكاية ندبته عليه الصلاة والسلام وليست ندبة في نفسها فلهذا سوّغ حذف حرف الندآء ﴿قوله تعالى وكان في معزل﴾ في محل النصب على انه حال من ابنه والحال يأتي من المنادى لانه مفعول به والمعزل بكسر الزاي اسم لمكان العزل وهو الابعاد اي وكان بمكان عزل فيه نفسه عن ابيه بناء على ظنه ان الجبل يعصمه من الغرق واختلف في انه هل كان ابنا له حقيقة او ربيبه فقيل انه ابنه في الحقيقة لانه تعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه وقال يابني وصرف هذا اللفظ الى انه كان ربيبه فاطلق عليه هذا الاسم لهذا السبب صرف الكلام من حقيقته الى مجازه من غير ضرورة فانه لايجوز ومنهم من خالف هذا الظاهر استبعادا لان يكون ولد المعصوم كافرا وليس ببعيد لانه قد ثبت ان والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدى ابراهيم عليه الصلاة

ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما
المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها
بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر
محذوف وهي اما جملة مقتضبة لاتعلق لها
بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء
وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم
السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم
برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ
مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة
ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله
(ان ربي لغفور رحيم) اي لولا مغفرته
لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم (وهي
تجري بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا
اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها
(في موج كالجبال) في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل
موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها
وماقيل من ان الماء طبق مابين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت
والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر
ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق
(ونادى نوح ابنه) كنعان وقرأ علي ابنها
وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته
وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله
فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من
ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ
ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوّغ حذف
الحرف (وكان في معزل) عزل فيه نفسه
من ابيه او من دينه مفعل من عزله
عنه اذا ابعده

والسلام كانوا كافرين فكيف يصح ان يكون الولد ابنا كافرا فان قيل انه صلى الله عليه وسلم لما قال رب لاتذر على الارض من الكافرين كيف احب نجاته مع كفره فاجيب عنه بوجوه الاول انه كان ينافق اباه فظن نوح عليه الصلاة والسلام انه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما احب نجاته والثانى انه عليه الصلاة والسلام كان يعلم انه كافر لكن ظن انه لما شاهد الغرق والاهوال العظيمة جاز ان يقبل الايمان فصار قوله يابنى اركب معنا بمنزلة ان يقول يابنى آمن بالله وفزت بجاله وجلاله ولاتكن مع الكافرين فى الكفر واركب مع المؤمنين والثالث ان شفقة الابوة لعلها حملته على ذلك النداء او الذى تقدم من قوله الا من سبق عليه القول كان مجملا فلعله جوّز ان لايكون داخلا فيه وقيل كان ابن امرأته ويدل عليه قرآءة ابنها وهو قول محمد بن على الباقر وقول الحسن البصرى قال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابنى من اهلى وانت تقول ما كان ابنه فقال لم يقل منى ولكن قال من اهلى وهذا يدل على قوله وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة احتجاجا بقوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام فخانتاهما وهذا قول خبيث لان منصب الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب ان يكون مصونا من مثل هذه الفضيحة ولاسيما وهو خلاف نص القرآن واما قوله تعالى فخانتاهما فليست خيانتهما بما ذكر من النسب بل المراد من الخيانة الخيانة فى الدين حيث سلكتا سبيل النفاق وقيل لابن عباس رضى الله عنهما ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول زوجى مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا به ﴿قوله والجمهور كسروا الياء﴾ قرأ حفص عن عاصم يابنىَّ بفتح الياء فى جميع القرآن والباقون بالكسر ووجه من كسر الياء ان تكون الكسرة دليلا على ياء الاضافة المحذوفة فان اصل ابن على ما اختاره الجوهرى بنو حذفت واوه وعوّضت عنها همزة الوصل فلما صغر ردت الواو فصار بنيو فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصار بنى ثم اضيف الى ياء المتكلم وودى فصار يابنىّ وقد تقرر فى النحو ان الاسم المنادى المضاف الى ياء المتكلم فيه لغات منها سكون ياء الاضافة مع كسر ماقبلها نحو ياغلامى ومنها فتح ياء الاضافة مع كسر ما قبلها لان ياء الاضافة اسم والاصل فى الاسماء الاعراب والاصل فى الاعراب الحركة فكان المناسب ان تبنى هذه الياء على الحركة واختير الفتح لخفته وهذان الوجهان اعنى الفتح والسكون مطردان فى النداء ايضا نحو ياغلامى ومنها ان تحذف ياء الاضافة للتخفيف وتجعل كسرة ماقبلها دليلا نحو ياغلام ومنها ان تقلب الياء الفا للتخفيف ايضا فان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة نحو ياغلاما وهذان الوجهان لايكونان الا اذا كان الاسم المضاف منادى وقد جاء شاذا فى المنادى ايضا حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة نحو ياغلامَ ويا ابَ فظهر من هذا التفصيل ان من قرأ يابنىِّ بكسر الياء جعله من قبيل ياغلامِ فى حذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة ومن قرأ يابنىَّ بفتح الياء جعله من قبيل ياغلامَ فى حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة وهذا الحذف ليس شاذا فيه كما شذ فى نحو ياغلامَ لما فى هذه الكلمة من الثقل الحاصل باجتماع ثلاث ياآت الاولى ياء التصغير والثانية الياء المبدلة من لام الكلمة والثالثة ياء الاضافة واعلم ان مجموع ماوقع فى القرآن من لفظ بنىّ ستة المواضع واحد منها فى سورة هود وهو يابنىّ اركب وثانيها فى سورة يوسف وهو يابنىّ لاتقصص رؤياك وثلاثة منها فى سورة لقمان احدها قوله يابنىّ لاتشرك وثانيها قوله تعالى يابنىّ انها ان تك مثقال حبة من خردل وثالثها قوله تعالى يابنىّ اقم الصلاة وسادسها فى الصافات وهو قوله تعالى يابنىّ انى ارى فى المنام فالجمهور كسروا ياء بنىّ فى الجميع غير ابن كثير فانه وقف عليها فى اول مافى لقمان اى قرأها ياء ساكنة فقال يابنىْ لاتشرك بالله باتفاق الرواة عنه وكذا فى ثالث مافى لقمان فى رواية قنبل فقال يابنىْ اقم الصلاة بان حذف ياء الاضافة لكثرة حذفها فى باب النداء ثم استثقل الياء المشددة فى المكسورة فحذفها وابقى الياء الاولى وهى ياء التصغير ساكنة فمنهم من جمع بين اللغات مع اتباع الاثر ومنهم من اختار بعضها مع الاتباع المذكور ﴿قوله وعاصم﴾ بالجر عطفا على ابن كثير وقرئ بادغام باء اركب فى ميم معنا وقرآءة حفص بالادغام ﴿قوله وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة﴾ على ان يكون بناء عاصم بناء النسبة فيكون بمعنى المعصوم ويكون من رحم بمعنى المرحوم ويكون الاستثناء متصلا لان المرحوم من جنس المعصوم كما انه متصل على الوجهين الاولين وهما ان يكون المعنى لاعاصم الا الراحم ولاعاصم الامكان المرحومين بتقدير لان الراحم من جنس العاصم وكذا مكان المرحومين واما اذا كان المعنى لاعاصم

(يابنىّ اركب معنا) فى السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما (ولاتكن مع الكافرين) فى الدين والانعزال (قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء) ان يغرقنى (قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون ورد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة كقوله تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء

الا المرحوم فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا ويكون المعنى لاعاصم اليوم لكن من رحمه الله يعصمه ذكر صاحب الانتصاف ان الاحتمالات الممكنة اربعة لاعاصم الا الراحم ولا معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا الراحم فالاولان استثناء من الجنس والاخيران من غير الجنس وزاد الزمخشرى احتمالا خامسا وهو لاعاصم الا مرحوم على انه من الجنس بتأويل حذف مضاف تقديره لامكان عاصم الا مكان مرحوم والمراد بالتى التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها اقرب من بعضها ﴿ قوله نوديا بما ينادى به اولوا العلم ﴾ حيث نوديا باسم حقيقتهما وهو يا ارض ويا سماء فطلب به اقبالهما تشبيها لهما بالعقلاء المميزين المأمورين الذين لايتأتى منهم العصيان لكمال هيبة الآمر وادخالهما فى جنس هؤلاء المأمورين على جهة الاستعارة المكنية وجعل النداء قرينتها على سبيل الاستعارة التخييلية وجعل القلع والبلع ترشيحا للاستعارة لان كل واحد منهما امر ملائم للمستعار منه اما القلع فظاهر واما البلع فلانه ادخال الطعام فى الحلق بعمل الجارحة والمراد بالبلع ههنا ان تنشف الارض ماءها اى تشربه فهو استعارة لغور الماء فى الارض يقال نشف الثوب العرق بكسر الشين اى شربه والفعل من باب علم واما الاقلاع فهو مشترك بين الحيوانات والجمادات يقال اقلع الرجل من عمله اذا كف واقلعت السماء بعد ما مطرت اذا امسكت فليس تجريدا ولا ترشيحا ﴿ قوله وغيض الماء نقص ﴾ يعنى ان الغيض النقصان يقال غاض الماء يغيض غيضا اى قل ونقص وغيض الماء اى فعل به ذلك وما غاضه الله تعالى فيتعدى ولايتعدى واغاضه الله تعالى ايضا ومن المتعدى هذه الآية لان الفعل لايبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا اذا كان متعديا بنفسه ﴿ قوله وانجز ما وعد ﴾ يعنى ان القضاء بمعنى الفراغ كانه قيل تم امرهم وفرغ من اهلاكهم وفى الصحاح وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ يقال قضيت حاجتى وضربه فقضى عليه اى قتله كانه فرغ منه وسم قاض اى قاتل ﴿ قوله هلاكا لهم ﴾ يعنى ان البعد ههنا مصدر بعد بكسر العين اذا صار بعيدا بحيث لايرجى عوده وفى الصحاح البعد ضد القرب وقد بعد بالضم وهو بعيد والبعد بالتحريك جمع باعد مثل خادم وخدم والبعد ايضا الهلاك تقول منه بعد بالكسر فهو باعد وبعدا فى الآية منصوب على انه مصدر لفعله المقدر اى وقيل بعدوا بعدا والمعنى الدعاء عليهم به فاللام متعلق بفعل محذوف على سبيل البيان كما فى نحو سقيا لك وهيت لك وهو المتبادر من تعبير المصنف ويحتمل ان يتعلق بقوله قيل اى قيل لاجلهم هذا القول ﴿ قوله وايراد الاخبار ﴾ وهى قوله وغيض الماء وقضى وقيل على البناء للمفعول للدلالة على غاية العظمة والجلال بحيث اذا ذكرت هذه الافعال مسندة الى المفعول لايتصرف العقل الا اليه ﴿ قوله واراد نداءه ﴾ اى قدر الارادة لان نداءه هو قوله رب فيلزم عطف الشئ على نفسه لولا تقدير الارادة ولو قيل قوله ونادى نوح ربه مجمل وما بعده تفصيل له وحق التفصيل ان يكون عقيب ذكر الاجمال لكان له وجه ﴿ قوله فاسأله او ماله لم ينج ﴾ فيكون النداء بعد غرق ابنه طلبا للحكمة فى عدم نجاته مع انه تعالى قد وعده بان ينجى اهله ويجوز ان يكون هذا قبل غرقه والمقصود من النداء طلب نجاته واختار المصنف ان يكون هذا النداء بعد الغرق لما سبق من انه صلى الله عليه وسلم نادى ابنه قائلا يا بنى اركب معنا وانه امتنع من الركوب معهم فحال بينهما الموج فكان من المغرقين ثم ذكر بعده نجاة المؤمنين باستواء السفينة ثم ذكر بعده هذه الآية فهذا الترتيب يدل على ان نداءه ربه فى حق ابنه وقع بعد غرق الابن ولانه قد مر انه تعالى قد نهاه عن المخاطبة فى الذين ظلموا وهو يستلزم ان يكون هذا النداء بعد غرق الابن لان كونه قبل الغرق يتضمن سؤال النجاة لابنه مع انه قد نهى عنه وارتكاب المنهى عنه معصية فلا يجوز فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام * فان قيل فكيف يجوز المصنف نداء الرب قبل غرق الابن وقبل ان يطلب منه ان يركب مع المؤمنين مع انه يتضمن استدفاع العذاب عن ابنه الظالم * فالجواب ان المنهى عنه هو المخاطبة باستدفاع العذاب عمن علم انه من الظالمين وهو عليه الصلاة والسلام سأل النجاة فى حق ابنه وهو غير عالم بكفره فان استثناء من سبق عليه القول انما يدل على ان فى اهله من هو غير ناج ولا يدل على انه ابنه * فان قيل هب انه لايعلم كفره حال نداء ربه فقد علم به بعد ذلك بقوله تعالى انه ليس من اهلك الآية فكيف جاز له ان ينادى ابنه بعد ذلك قائلا له يا بنى اركب معنا طلبا لنجاته مع علمه بحاله * فالجواب انه عليه الصلاة والسلام امره بالركوب بناء على ظن ان الابن لما شاهد سبب الغرق والاهوال العظيمة جاز له ان يعرض عن الكفر ويقبل الايمان فصار امره بالركوب فى الحقيقة امرا له بالايمان ومجانبة الكفار والاشتراك

(وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضى الامر) وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لايقدر عليه سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه) واراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابنى من اهلى) فانه النداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لايتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه

معهم في الكفر والضلال والنجاة مع المؤمنين بدخوله محل النجاة مع ان هذا السؤال يرد عليه على تقدير ان يكون نداء الابن متقدما على نداء الرب بعد الغرق بان يقال كيف طلب بالنداء ابنه الكافر ان يركب مع المؤمنين وينجو من عذاب الكافرين والحاصل ان امة نوح عليه الصلاة والسلام كانوا ثلاثة اقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يعلم ايمانه ومنافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين النجاة وحكم الكافرين هو الغرق وكان ذلك معلوما واما اهل النفاق فبقى حكمه مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للاب في حق الابن تحمله على حمل حال ابنه وافعاله لا على كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فلما رآه بمعزل عن القوم طلب منه ركوب السفينة فقال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وذلك لا يدل على كفره لجواز ان يكون استبعد من الدخول لكراهة الاحتباس في السفينة وظنه ان الصعود على الجبال يجري مجرى الركوب في السفينة وانه يصون من الغرق ايضا وقول نوح عليه الصلاة والسلام لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم لا يدل على انه عليه السلام علم من ابنه انه كان كافرا لجواز ان يكون مراده ان يقرر عنده انه لا يعصمه الا الايمان والعمل الصالح وقصد هذه الحالة لانه قد بقي في قلبه ظن ان ذلك الابن مؤمن فنادى ربه طالبا منه ان يخلصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في السفينة واما بان يعصمه على قلة جبل فعند ذلك اخبره الله تعالى بانه منافق وانه ليس من اهل دينه فالزلة الصادرة من نوح عليه الصلاة والسلام هي عدم استقصائه في تعرف ما يدل على نفاق ابنه وكفره ﴿ قوله لانك اعلم واعدلهم ﴾ علة لكونه تعالى احكم الحاكمين في الحكم وفي الكشاف وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون من الحكمة على انه بني من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع ﴿ قوله لجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ﴾ في مداومته على العمل الفاسد فان الرجل اذا كثر عمله وكرمه يقال انه عمل وكرم قالت الخنساء اخت صخر تصف ناقة فقدت ولدها بنحر او موت او فقد

* ترعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار *

كانها نفس الاقبال والادبار ﴿ قوله ثم بدل الفاسد بغير الصالح ﴾ جواب عما يقال ان اثبات الفساد للعمل ونفي الصلاح عنه متلازمان فلم اوثر الثاني على الاول مع انه اخصر والجواب ان الصلاح صفة اهل نوح وكما نفى عنه كونه من اهل نوح نفى عنه صفتهم ايضا حتى اذا علم ان عدم صفتهم كان سببا لهلاكه علم منه صريحا ان صفتهم هي التي كانت سبب نجاتهم لا كونهم من اهل نوح وعبارة الفساد وان دلت على هذا المعنى ضمنا الا ان التصريح بالمقصود اولى واقرب الى الفهم ﴿ قوله وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل ﴾ على صيغة الفعل الماضي وغير منصوب على انه صفة لمصدر محذوف والمعنى ان ابنك عمل عملا غير صالح اشرك وكذب والباقون قرأوا عمل بفتح الميم وتنوين الكلمة ورفعها على انها اسم وقع خبر ان وغير بالرفع على انه صفة للمرفوع ﴿ قوله فدله على الحال ﴾ وهي ان ابنه ممن سبق عليه القول واستوجب العذاب فانه تعالى لما قدم الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول كان عليه السلام يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب العذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بصالحين وهذه لا محالة شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنى منهم فلذلك عوتب عليه بان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه عليه وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظ ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين ﴿ قوله وقرأ ابن كثير ﴾ فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة من جعل الفعل متصلا بياء المتكلم بل اكده بنون التأكيد الثقيلة وقرأ نافع برواية قالون وابن عامر فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون المكسورة من غير اثبات الياء بعدها وفي رواية ورش عن نافع فلا تسألني باثبات الياء بعد النون المشددة حال الوصل والباقون باسكان اللام وكسر النون وتخفيفها باثبات الياء وصلا لابي عمرو وبدون الياء في الحالتين للكوفيين فمن خفف النون جعلها نون الوقاية وحدها ومن شددها جعلها نون التأكيد ثم انه تعالى لما قال فلا تسألن ما ليس لك به علم قال عليه الصلاة والسلام قبلت يا رب هذا التكليف ولا اعود اليه الا اني لا اقدر على الاحتراز منه الا باعانتك وهدايتك فلهذا بدأ اولا بقوله اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم وان اعود الى مثله ابدا ثم اشتغل بالاعتذار عما مضى فقال والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وحقيقة التوبة تقتضي امرين احدهما العزم على ترك الفعل في المستقبل واليه اشار بقوله اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والآخر الندم والاستغفار

(وانت احكم الحاكمين) لانك اعلم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يا نوح انه ليس من اهلك) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع * ترعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار * ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح (فلا تسألن ما ليس لك به علم) ما لم تعلم أصواب هو ام ليس بصواب وانما سمي نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله (اني اعظك ان تكون من الجاهلين) لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذلك نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل (قال رب اني اعوذ بك ان اسألك) فيما يستقبل (ما ليس لي به علم) ما لا علم لي بصحته (والا تغفر لي) وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال (وترحمني) بالتوبة والتفضل علي (اكن من الخاسرين) اعمالا

بالمعصى واليه الاشارة بقوله والانفرلى الآية ﴿قوله انزل من السفينة مسلما من المكاره﴾ اشارة الى ان قوله سلام حال من فاعل اهبط بمعنى انزل اى ملتبسا بسلام ومناصعة لسلام فيتعلق بمحذوف امره الله تعالى بان ينزل من السفينة ثم وعده عند الخروج بالسلامة اولا ثم بالبركة ثانيا ويحتمل ان يكون قوله اهبط امرا بان ينزل من جبل الجودى الذى استقرت السفينة عليه الى الارض المستوية والبركات الخيرات النامية وهى عطف على قوله سلام فيكون مثله فى الاعراب وهو عليه السلام لما خرج من السفينة وعلم انه ليس فى الارض ماينتفع به من النبات والحيوان صار كالخائف فى انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام مازال ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول سلامة من الآفات ولايكون ذلك الامن سعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة اردف بان وعده بالبركة لان موجبات السلامة والراحة والفراغة تكون فى الزراعة والنماء والثبات والاستقرار على ان البركة عبارة عن الدوام والبقاء والثبات ومنه بروك الابل ومنه البركة لثبوت الماء فيه ومنه تبارك الله اى ثبت لتعظيم وقيل المراد بالبركة الموعودة له عليه الصلاة والسلام كونه ابالمن جاء بعده من البشر الى يوم القيامة كما قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فانه روى انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامن ذريته وصار عليه الصلاة والسلام آدم ثانيا وروى ايضا انه لم يكن فى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام الا من كان من نسله وذريته وعلى التقديرين فالخلق كلهم انما يولدون منه ومن اولاده فهذا هو المراد من البركات التى وعده الله تعالى بها ﴿قوله وعلى امم هم الذين معك﴾ على ان تكون كلمة من فى قوله ممن معك لبيان الجنس فيراد بالامم الامم الذين كانوا فى السفينة لانهم كانوا جماعة متحزبين وايضا كانوا منشأ لمن تشعب منهم من الامم ﴿قوله اوعلى امم ناشئة ممن معك﴾ على ان تكون من لابتداء الغاية فالمراد بالامم الامم المؤمنون الى آخر الدهر ﴿قوله اى وممن معك امم سنمتعهم﴾ على ان امم مرفوع بالابتداء وسنمتعهم صفته والخبر محذوف لدلالة قوله ممن معك والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وامم ممتعون بالدنيا معذبون فى الآخرة الى النار فان نوحا عليه الصلاة والسلام كان ابا الانبياء عليهم الصلاة والسلام والخلق الحادث بعد الطوفان نشأ منه ومن اولاده الذين كانوا معه فى السفينة ﴿قوله عطف على قوله نوحا﴾ كأنه قيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم فان قيل عاد قبيلة من العرب وهود شخص معين والشخص الواحد كيف يكون اخا للقبيلة فالجواب ان الاخوة بمعنى انتساب شخص الى صلب واحد منهم كما يقال يا اخا تميم ويا اخا قريش لرجل منهم وهود عليه الصلاة والسلام وان لم يكن اخا لعاد فى الدين الا انه كان واحدا من قبيلة عاد وهم قبيلة من العرب بناحية اليمن كما ان صالحا كان واحدا من قبيلة ثمود ﴿قوله ثم توسلوا اليها بالتوبة﴾ لما كانت المغفرة منوطة بالتوبة وكانت التوبة وسيلة اليها فسر المصنف قوله تعالى ثم توبوا اليه بقوله ثم توسلوا اليها بالتوبة ولزم منه ان تكون كلمة ثم للتراخى فى الاخبار فان هودا عليه الصلاة والسلام دعا قومه الى التوحيد ثم كلفهم ان يطلبوا من ربهم ان يغفر لهم ذنوبهم ثم بين الشئ الذى يتوسل به الى المغفرة وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فانه لاسبيل الى طلب المغفرة من الله تعالى الا باظهار التوبة لان المذنب معرض عن طريق الحق والمعرض المتمادى فى التباعد مالم يرجع عن ذلك الاعراض لايمكنه التوجه الى المطلوب فالمطلوب بالذات هو العفو والغفران والصفح والرضوان الا ان ذلك لايمكن الابالرجوع عن المخالفة والعدوان فثبت ان المغفرة مطلوبة بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها من مبادى المغفرة وما كان آخرا فى الحصول كان مقدما فى الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة ثم بين ما يتوقف عليه المطلوب ثم اشار المصنف الى ان كلمة ثم للاشارة الى ان التوبة والتبرى من عبادة غير الله تعالى متأخر بالذات والرتبة عن الايمان بالله والرغبة فيما عنده وقد اشار المصنف فى اول السورة الى وجه آخر وهو ان تكون ثم على اصل معناها بان يكون التوبة التى هى الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب والوصول الى ماعند الله تعالى من الكرامة انما يكون بالاستغفار وقوله تعالى يرسل السماء مجزوم على انه جواب الامر والمعنى انكم متى فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عليكم ويمددكم ويقويكم على الانتفاع بها فان انتظام حال الانسان فى معاشه كما يتوقف على وصول نفس النعم والارزاق اليه يتوقف ايضا

(قيل يانوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك او زيادات فى نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى الخير النامى (وعلى امم ممن معك) وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله (وامم سنمتعهم) اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب مانزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من انباء الغيب) اى بعضها (نوحيها اليك) خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء (ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعوها فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد اخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان انتم الا مفترون) على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (ياقوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لاتنجع مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل والصواب من الخطأ (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده

(يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولاتتولوا) ولاتعرضوا عما ادعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات (وما نحن بتاركي آلهتنا) تاركي عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي (وما نحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة والتصديق (ان نقول الا اعتراك) مانقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ (قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون) اجاب به من مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة لهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لاتضر ولاتنفع لاتتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (اني توكلت على الله ربي وربكم) تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لايحيق بي مالم يرده ولاتقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله (مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على مايريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) اي انه على الحق والعدل لايضيع عنده معتصم ولايفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم) فقد اديت ماعلي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولاعذر لكم فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء

على اقتداره على الامتناع بما فيه اجتمع الامران فقد بلغ في سعادته العاجلة الى الكمال ومتى فقد اي واحد منهما او كلاهما فقد اختل امر معاشه ﴿قوله كثير الدر﴾ مبني على ان المدرار من ابنية المبالغة وهو حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا للمبالغة يستوي فيه المؤنث والمذكر كصبور اولان المراد بالسماء السحاب او المطر فذكر حملا على المعنى يقال سحاب مدرار وغيث مدرار اذا تتابع منه القطر ﴿قوله صادرين عن قولك﴾ من صدر صدرا بمعنى رجع واعرض كأنه قيل لانقبل قولك ياقوم اعبدوا الله وحده معرضين عنه اي نحن مصرون على ماتحن عليه من الاعراض عن قولك لايحدث منافيا يستحق قبول قولك وترك عبادة آلهتنا جعل كلمة عن في قوله عن قولك متعلقا بقوله تاركي باعتبار ماضمنه من معنى الصدور والاعراض وجعل الفعل المذكور اصلا والمضمر حالا كما في قوله تعالى ولاتتبع اهواءهم عما جاءك من الحق اي لاتتبعها معرضا عما جاءك وان كان الاكثر والاولى في باب التضمين ان يجعل الفعل المضمن اصلا والمذكور في اللفظ حالا لما فيه من الاعتناء بشأن المتروك بجعل حرف الجر المذكور مع الفعل الملفوظ صلة للمتروك ومثاله ان يقال في تقدير قوله تعالى ولاتتبع اهواءهم عما جاءك متبعا اهواءهم وكلا الامرين حسن شائع في كلام الفصحاء والارجح الاكثر هو الثاني لما ذكرنا والاول قليل بالنسبة اليه ﴿قوله هذا﴾ اي مواجهته قومه مع كثرة عددهم بقوله لهم تمالؤوا انتم واوثانكم جميعا في عداوتي واقصدوا هلاكي ولاتمهلوني من اعظم معجزات الانبياء والفاتك الجريء القاتل والجمع فتك والفتك ان يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشتد عليه فيقتله ﴿قوله بهذا الكلام﴾ حال من فاعل المواجهة اي مواجهته اياهم ملتبسا بهذا الكلام وتثبطهم بالنصب عطفا على مواجهته والتثبط عن الامر الاشتغال عنه والكلاءة الحفظ لما اجاب قوم هود اياه عليه الصلاة والسلام بان اقنطوه من اجابتهم وقالوا ان بعض آلهتنا اصابك بجنون واصد عقلك لسبك اياها وصدك عن عبادتها والاقل له عقل سليم لايقدم على ماانت عليه اجاب هود عليه الصلاة والسلام بقوله فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون عن قولهم ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وقوله اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه مقدمة وتمهيد الجواب فانهم لما سموها آلهة واثبتوا لها الضرر نفى بقوله اشهد الله الآية كونها آلهة رأسا ثم نفى الضرر بقوله فكيدوني ثم لاتنظرون على ابلغ وجه ولما ورد ان يقال ان قوله واشهدوا عطف على قوله اشهد ويمتنع عطفه عليه امران الاول ان الطلب لايعطف على الخبر والثاني ان عطفه عليه يستلزم ان يكون الطلب خبرا وهو غير جائز وبيان الملازمة ان اشهد خبر فكلمة ان فما عطف عليه يكون خبرا ايضا فالظاهر ان يقال اني اشهد الله واشهدكم اشار الى جوابه ببيان الفرق بين اشهاد الله تعالى واشهاده اياهم بان اشهاد الله تعالى اشهاد على التحقيق جيء به ليؤكد به ماذكره من البراءة من شركهم وشركائهم بخلاف اشهاده اياهم على البراءة فانه ليس اشهادا على التحقيق اذلا يقول احد لمن يعاديه اشهدك على انني بريء منك الا وهو يريد عدم المبالاة ببراءته والاستهانة بعداوته فلما اختلف الاشهادان في المعنى خولف بينهما في الصيغة فجيء بصيغة الامر وان كان المراد بها الخبر لان الجملتين اذا اختلفتا خبرا وطلبا فلابد ان يقدر الطلب بالخبر او بالعكس ﴿قوله والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك﴾ فان الناصية عند العرب الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ايضا ناصية تسمية له باسم منبته والاخذ بناصية الانسان عبارة عن قهره والغلبة عليه وكونه في قبضة الآخذ بحيث تناله قدرته كيف شاء والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع لرجل قالوا ماناصيته الا بيد فلان اي انه مطيع له لأن كل من اخذت بناصيته فقد قهرته فكان اخذ الله تعالى بناصية الخلائق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم وقوله ان ربي على صراط مستقيم استئناف لبيان مايوجب التوكل عليه والمعنى انه تعالى مع كونه قادرا على الخلائق ليس الا على الحق والعدل لايظلمهم ولايظلمهم بقدرته الا مايوجب الحق وقوعه بهم فلايضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم ﴿قوله تكرير﴾ اي ليس المراد بالنجاة الثانية مايغاير الاولى بالذات وانما يغايرها بالاعتبار بين الله تعالى اولا انه احسن اليهم بنفس الانجاء ثم بين ان ماانجاهم منه عذاب عظيم غليظ وانه احسن اليهم بمثل هذا الاحسان ويجوز ان يكون المراد بالنجاة الاولى النجاة من عذاب الدنيا وبالنجاة الثانية النجاة من عذاب الآخرة فيكون حينئذ معنى قوله فنجيناهم حكما بانهم لايعمهم عذاب يوم القيامة والمراد بالسموم مانزل بهم من الريح

ويؤيده القرآءة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تولوا يعذرني ربي ويستخلف (ولاتضرونه) بتوليكم (شيأ) من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربي على كل شيء حفيظ) رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولايغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء

(العقيم)

عذاب غليظ) تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعني كبرآءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغا والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) اى جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب (الا ان عادا كفروا ربهم) جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار (الا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم البعد عما جرى بينهم وبين هود (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض) هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب) الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبري عن الاوثان (مريب) موقع في الريبة من أرابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتاني منه رحمة) نبوة (فمن ينصرني من الله) فمن يمنعني من عذابه (ان عصيته) في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به (فما تزيدونني) اذا باستتباعكم اياي (غير تخسير) غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصبت آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها (فذروها تأكل في ارض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام (فعقروها فقال تمتعوا

العقيم التي عذبهم الله تعالى بها سبع ليال وثمانية ايام تدخل في مناخرهم وتخرج من ادبارهم وتصرعهم على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية قيل المراد من الرحمة ما هداهم الله به من الايمان وقيل المراد انه لا ينجو احد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله تعالى وقصتهم ان عادا انبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان اوسطهم واخيرهم واحسنهم جسما واصلهم نسبا فكذبوه وازدادوا تجبرا وعتوا فامسك الله عليهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم البلاء توجهوا الى البيت مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله الفرج فحضرت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا رئيسهم قيل بن عنز فدخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم نودي من السماء يا قيل اختر لنفسك وقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله حتى ماتوا رحمهم الله ثم انه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا او اشارة الى نفس القبيلة الجامعة للاوصاف الثلاثة المذكورة جحودهم بدلالة المعجزات على الصدق وعصيانهم الرسل واتباع الرؤساء الجبارين المعاندين ﴿قوله لا غيره﴾ الحصر مستفاد من تقديم الفاعل المعنوي لان قوله تعالى هو انشأكم من قبيل قوله انا عرفت في انه يجوز ان يقدر اصله انشأكم هو فيكون هو فاعلا في المعنى وان كان في اللفظ تأكيدا للفاعل وقوله كونكم منها اشارة الى ان من لابتداء الغاية بمعنى ابتدأ انشاءكم منها والخطاب مبني على تغليب الحاضرين على الغائبين من نوع البشر وان مادة الجميع هو التراب اما كون مادة آدم هو التراب فظاهر واما كونه مادة اولاده فلا شبهة بانه تكونهم الى التراب لانهم كلهم مخلوقون من صلب آدم وكان هو مخلوقا من الارض ولان كل واحد مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني انما تولد من الدم فبنوا آدم كلهم مخلوقون من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية والنباتية انما تتولد من الارض والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهي الى الاغذية النباتية المتولدة من الارض فثبت انه تعالى انشأ الكل من الارض ﴿قوله عمركم فيها واستبقاكم﴾ على ان بناء استفعل للتعدية يقال عمر الرجل يعمر عمرا اى بقي زمانا طويلا وهو من باب علم الا ان مصدره عمر بفتح العين وسكون الميم واستعمره الله اى اطال بقاءه ونظيره بقي الرجل واستبقاه بمعنى ابقاه قال الفاضل شمس الدين التفتازاني في كتابه الموسوم بلباب الصرف بناء استفعل يجيء لمعان منها التعدية كاستعبد له ﴿قوله او اقدركم على عمارتها وامركم بها﴾ بناء على ان الاستعمار اى طلب العمارة او الطلب المطلق من الله تعالى يحمل على الامر والايجاب والاقدار على العمارة مدلول التزامي للامر بها والعمارة متنوعة الى واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام فالواجب مثل سد الثغور وبناء القناطر على الانهر المهلكة وبناء المسجد الجامع في المصر والمندوب كبناء القناطر والمدارس والرباط تيسيرا للناس في امورهم والمباح بناء بيوتهم كالبيوت التي يسكن فيها ويمكث بها بقدر حاجتهم والمكروه كالذي زاد على قدر الحاجة والحرام كابنية الظلمة وغيرهم للمباهاة واسأل الله التوفيق والتوبة والمغفرة ﴿قوله او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم﴾ فان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها فلما كان المخاطبون بمنزلة المعمرين كان استعماره تعالى اياهم عبارة عن جعله اياهم بمنزلة المعمرين ذكر المصنف في قوله تعالى استعمركم ثلاثة وجوه كونه من العمر ومن العمارة ومن العمرى بمعنى جعلكم معمرين ﴿قوله اى غير مكذوب فيه﴾ اوله لو به لعدم امكان حمله على ظاهره لان الوعد انما يوصف بكونه غير مكذوب اذا كان من شأنه ان يكون مكذوبا وليس كذلك لان المصدوق والمكذوب من كان مخاطبا بالكلام المطابق للواقع وغير المطابق له فلا يوصف بهما الا الانسان الصالح للخطاب فلذلك حمل اصل الكلام وعد غير مكذوب فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير المجرور باسم المفعول باقامته مقام المفعول به توسعا كما في قوله «ويوم شهدناه» والاصل شهدنا فيه فاجرى الظرف مجرى المفعول به ويحتمل ان لا يكون من قبيل الاتساع بل يجعل من قبيل الاستعارة المكنية بان شبه الوعد بالمخاطب فيوصف بغير المكذوب تخييلا وهذان الوجهان على تقدير ان يكون المكذوب

مكذوب فيه فاتسع فيه باجرآئه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اى لك فان وفى به صدقه والاكذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى العزيز) القادر على كل شئ والغالب عليه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاعراف (كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم) نونه ابوبكر ههنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو فى قوله (الا بعدا لثمود) ذهابا الى الحى او الاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل (بالبشرى) ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما (قال سلام) اى امركم سلام او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ فى المجئ به او فما تأخر عنه والجار فى ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين (فلما رأى ايديهم لا تصل اليه) لا يمدون اليه ايديهم (نكرهم واوجس منهم خيفة) انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار

اسم مفعول ويحتمل ان يكون مصدرا كالمجلود والمعقول فانهما مصدران بمعنى العقل والجلد الذى هو الصلابة والجلادة ﴿ قوله اى ونجيناهم من خزى يومئذ ﴾ على ان قوله ومن خزى متعلق بمعطوف على نجينا كرر لبيان ما نجاهم منه وهو هلاكهم يومئذ جاء امرنا فان اذ مضافة الى جملة محذوفة عوض عنها التنوين او الهوان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم ولازمهم بحيث بقى ما لحقهم من العار بسببه مأثورا عنهم ومنسوبا اليهم الى يوم القيامة فان معنى الخزى العيب الذى تظهر فضيحته ويستحيى من مثله ويحتمل ان يكون يومئذ بمعنى يوم يقوم الناس لرب العالمين وتجد كل نفس ما عملت من الخير والشر حاضرا تجازى عليه كما اشار اليه بقوله او فضيحتهم يوم القيامة فان قيل لم يتقدم ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فكيف يكون هذا التنوين عوضا عن الحالة التى تكون فى يوم القيامة فالجواب ان تلك الحالة وان لم تكن مدلولا عليها دلالة لفظية لكنها مدلول عليها دلالة معنوية بسياق الذهن اليها بعد ذكر الخزى والفضيحة ﴿ قوله بالفتح ﴾ اى بفتح ميم يومئذ على انها حركة بناء اكتسبها المضاف من المضاف اليه وهو قوله اذ فانه مبنى غير متمكن وقرأ الباقون بكسر الميم لاضافة الخزى اليه والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال صاح يصيح صيحا وصياحا اى صوت بقوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما امهلهم صالح ثلاثة ايام قالوا وما علامة ذلك قال ان تصبحوا فى اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى محمرة وفى اليوم الثالث مسودة ثم يأتيكم العذاب فى اليوم الرابع فكان كما قال فلما رأى قومه تلك العلامات قصدوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان صبحوة اليوم الرابع تكنسوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم فهلكوا فان قيل كيف يعقل ان تظهر هذه العلامات مطابقة لقول صالح عليه الصلاة والسلام ثم يبقون مصرين على الكفر فالجواب ان الامارات ما دامت غير بالغة الى حد يوجب اليقين والقطع فقد انتهى الامر حينئذ الى حد الالجاء والايمان غير مقبول فى ذلك الوقت ﴿ قوله جاثمين ﴾ اى جامدين ميتين لا يتحركون وجثومهم سقوطهم على وجوههم وقيل الجثوم السكون يقال جثمت الطيور فى اوكارها اذا باتت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموتى ﴿ قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها ﴾ اى كأنهم لم يوجدوا ولم يقيموا فيها وثمود غير منصرف للتأنيث والعلمية ومن صرفه جعله اسما للحى او للاب الاكبر لما ذكر الله تعالى قصة ثمود ذكر بعدها القصة الرابعة فقال ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وصدرت بكلمة قد لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع ودخلت اللام فيها لتأكيد الخبر ولفظ رسلنا جمع واقله ثلاثة فيفيد القطع بحصول ثلاثة والزائد على هذا العدد لا يثبت الا بدليل منفصل واجمعوا على ان الاصل فيهم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ثم اختلفت الرواية فقيل اتاه جبريل ومعه اثنا عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون فى غاية الحسن وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا ثلاثة ﴿ قوله سلمنا عليك سلاما ﴾ على ان يكون سلاما فى النظم منصوبا على انه مصدر لفعل محذوف وذلك الفعل فى محل النصب بالقول فلما حذف الفعل اقيم المصدر مقامه ﴿ قوله اى امركم سلام او جوابى سلام ﴾ على ان سلام خبر مبتدأ محذوف او عليكم سلام فالملائكة سلموا بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث ورد عليهم سلامهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار اجابة لهم بما هو احسن من تحيتهم ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى سلم ﴾ بكسر السين وسكون اللام ويلزمه بالضرورة سقوط الالف قال الفراء وهما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال وقال الفارسى السلم بالكسر ضد الحرب وناسب ذلك لانهم امتنعوا من تناوله ما قدمه اليهم فنكرهم واوجس منهم خيفة فقال انا سلم اى مسالمكم لا محاربكم اى غير محارب فلا تمتنعوا قال الامام وهذا بعيد لانه على هذا التقدير يقتضى ان يكون تكلم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا اللفظ بعد احضار الطعام والقرآن يدل على ان هذا الكلام قبل احضار الطعام لانه تعالى قال قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ والفاء للتعقيب فدل على ان مجيئه بالعجل الحنيذ بعد السلام ﴿ قوله فما ابطأ مجيئه ﴾ على ان ما نافية وان فاعل لبث هو قوله ان جاء وفاعل جاء ضمير ابراهيم او ان جاء على اسقاط الخافض وهى كلمة فى او عن اى فما ابطأ فى المجئ به او فما تأخر عنه والرضف الحجارة المحماة والحنيذ هو المشوى فى حفرة من الارض بالحجارة المحماة كفعل اهل البادية فانهم يشوون فى الاخدود بالحجارة المحماة وقيل الحنيذ هو الذى يقطر دسمه يقال حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى يقطر عرقا ﴿ قوله انكر ذلك منهم ﴾ يعنى ان نكر بمعنى انكر والنكر والانكار

عبارتان عن عدم المعرفة والمراد بقوله نكرهم انه لم يعرف سبب عدم تناولهم من طعامه وامتناعهم عنه فلذلك سخاف منهم بناء على انه كانت عادتهم اذا لم يمسك من يطرقهم عن طعامهم أمنوه والا خافوه والايجاس الادراك بناء على ان الواجس هو الهاجس الذى يخطر فى القلب يقال وجس فى نفسه كذا اى خطر بها فيكون اوجس بمعنى اخطر واستشعر ﴿ قوله سرورا بزوال الخيفة ﴾ بسماعها قول الملائكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فان زوال الخوف سبب للمسرة ولما يتبعها من الضحك وايضا لما كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لحقها السرور فضحكت لذلك وقيل ان سارة قالت لابراهيم عليه الصلاة والسلام ارسل الى ابن اخيك وضمه فانك تعلم ان الله تعالى لا يترك قومه حتى يعذبهم فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم فلما اخبروه بانهم انما جاؤا لاهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدة سرورها لحصول الموافقة بين كلامها وكلام الملائكة وقال السدى لما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم ألا تأكلون قالوا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله تعالى على اوله وتحمدوه على آخره فقال جبرآئيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا منها بهذا الكلام وقال مجاهد وعكرمة فضحكت بمعنى حاضت يقال ضحكت اى حاضت وانكر الفرآء وابو عبيدة ان يكون ضحكت الارنب بمعنى حاضت قال ابو بكر الانبارى هذه اللغة ان لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم حكى الليث فى هذه الآية ضحكت طمثت ومنه قول الشاعر

وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ۞ ولم تعد حقا ثديها ان تحلما

يقول وعهدى بسلمى وقت حال ما حدث لها الحيض فى ابتدآء بلوغها داخلة فى جملة نساء لبابة اى خالصة عما يكدر الولدين وابدانهن من نوآئب الزمان فان لباب كل شيء خالصه ومنه سميت المرأة لبابة والحقة رأس الثدى وهما حقتان والسمرة شجرة يسيل منها صمغ يشبه الدم واستبعد صاحب الانتصاف ان يكون ضحكت فى الآية بمعنى حاضت بناء على ان التعجب المذكور بعده يأبى عنه حيث قال ويبعد هذا التأويل لانها قالت بعده يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لا عجب فى حمل من تحيض والحيض فى العادة معيار على امكان الحمل ولا تعجب من الولادة فى زمن الحيض والجواب ان الحيض فى غير اوانه داخل فى سياق التعجب ولا يأباه اللفظ والمعنى وظاهر كلام ابى البقاء يدل على ان ضحكت بفتح الحاء مختص بالحيض فانه قال يقال ضحكت الارنب بفتح الحاء بمعنى حاضت ﴿ قوله نصبه ﴾ اى نصب لفظ يعقوب بفعل مقدر دل عليه قوله بشرناها كانه قيل فبشرناها باسحق ووهبنا لها من ورآء اسحق يعقوب وهو من عطف جملة على جملة ولا يكون يعقوب على هذا مبشرا به وقيل انه منصوب عطفا على محل اسحق لان موضعه نصب كقوله وارجلكم بالنصب عطفا على محل برؤسكم وزعم صاحب الكشاف انه معطوف على قوله باسحق على تضمين بشرنا معنى وهبنا وتوهم انعدام الباء فى قوله باسحق حيث قال كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن ورآء اسحق يعقوب على طريقة قوله

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ۞ ولا ناعب الا ببين غرابها

قال الشاعر عطف قوله ولا ناعب على قوله مصلحين بناء على توهم وجود الباء فى خبر ليس بجره ووجه تشبيه الآية بالبيت انه جعل تقدير الآية ووهبنا لها اسحق ثم عطف عليه يعقوب كما ان الشاعر قدر انه قال ليسوا بمصلحين ولذلك قال ولا ناعب بالجر فقدر فى البيت المعدوم موجودا وفى الآية عكسه فكان كلاهما من قبيل العطف على التوهم وان اختلف طريق التوهم فيهما ﴿ قوله ورد ﴾ اى رد كون يعقوب مجرورا بالعطف على لفظ اسحق بناء على ان غير المنصرف يكون فى موضع الجر مفتوحا ووجه الرد ان حرف العطف نائب مناب العامل والعامل ههنا الجار فكما لا يجوز الفصل بين الجار والمجرور لا يجوز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه فامتنع ان تكون فتحة يعقوب صورة الجر بالعطف على المجرور وان رفع يعقوب على الابتدآء يكون خبره الظرف السابق مع متعلقه والتقدير ويعقوب مولود من بعده على ان يكون ورآء بمعنى بعد وهو قول الاكثرين لا بمعنى ولد الولد والجملة الاسمية حال داخلة فى البشارة اى فبشرناها باسحق متصلا به يعقوب بان يولد منه ﴿ قوله وعلى هذا الخ ﴾ اى على ان يكون ورآء بمعنى ولد الولد لا يصح الاخبار عن يعقوب بانه من ورآء اسحق بمعنى انه من ولد ولده ويجب تأويله ضرورة بان يقال انه ليس ولد ولد اسحق بل هو ولد ابراهيم فلما حكم على من تفرع من ولد ابراهيم بانه من ورآء

(قالوا) له لما احسوا منه اثر الخوف (لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط) انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم تمد اليه ايدينا لانا لا نأكل (وامرأته قائمة) ورآء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال

وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ۞
ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ۞

ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها باسحق ومن ورآء اسحق يعقوب) نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبنا من ورآء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق بيعقوب او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الورآء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب ورآءه بل من حيث انه ورآء ابراهيم من جهته وفيه نظر

اسحق يعني انه من ولد ولده وجب تأويله بان يقال انه جعل وراء اسحق من حيث كونه وراء ابراهيم بان يلاحظ من الوراء المضاف الى اسحق مجرد التخصيص لانه لوقيل ومن وراء يعقوب لم يعلم هذا الوراء أكان منسوبا الى اسحق ام الى اسماعيل فاضيف الى اسحق ليكشف المعنى ويزول اللبس وفيه نظر وتعسف ظاهر لان الوراء على تقدير ان يفسر بولد الولد يكون التأويل المذكور بعيدا كل البعد قال الامام القول بان الوراء ولد الولد بعيد شديد التعسف واللفظ يبعد منه ﴿قوله والاسمان﴾ يعني ان اسمي اسحق ويعقوب يحتمل انه تعالى اختارهما اسمين للولدين المبشر بهما كما اختار اسم يحيى وسمى به ولد زكريا وتولى تسميته به تشريفا له عليه الصلاة والسلام كما قال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ويحتمل انه تعالى ذكرهما حكاية لما اختاره قوم الولدين في تسميتهما به ﴿قوله وتوجيه البشارة اليها﴾ مع ان المبشر به نعمة بالنسبة الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام يصح ان يكون بشرى هو لاصابتها ﴿قوله ياعجبا﴾ اصل الويل الخزي يقال ويل لفلان اي خزي له من صناعة ما ارتكبه مما هو شر في حقه ثم اطلق للايذان بورود الامر الفظيع مطلقا شرا كان او خيرا تعجبا من فظاعته وخروجه عن حد امثاله واصل ياويلتا ياويلتي فابدل من الياء الالف ومن كسرة التاء الفتحة لان الالف مع الفتحة اخف من الياء مع الكسرة ﴿قوله دون القدرة﴾ لان التعجب من القدرة يوجب الكفر لكونه مستلزما للجهل بقدرته تعالى بل هو استعجاب من عادته تعالى من حيث العادة كانها قالت لم كان امرنا خلاف ماهو المعتاد بين الناس فلذلك اجابوها منكرين عليها استعجابها من حيث العادة كأنهم قالوا لها التعجب من امر الله اي من قدرته وحكمته وقولهم رحمة الله وبركاته الخ كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله تعالى عليكم ثم استأنفوا تعليلا آخر لما تضمنه قولهم أتعجبين من الله باعتبار تعليله بقولهم رحمة الله وبركاته عليكم فانه بذلك الاعتبار يتضمن اعتبار ايجاب الرزانة والوقار والتسبيح والتحميد والتمجيد عليها مكان التعجب والخفوه بارتكاب مالا يليق لامثالها فعللوا هذا المعنى بقولهم انه حميد مجيد اي انه حميد فاعل فعل مايستوجب به الحمد من عباده لاسيما في حقها مجيد كثير الاحسان الى العباد خصوصا في ان جعل بيتها مهبط البركات والمجد الكرم والمجيد صيغة المبالغة به ثم انه تعالى لما فرغ من قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام شرع في القصة الخامسة وهي قصة لوط عليه الصلاة والسلام فقال فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني الخوف والفزع الذي اصابه لما لم يأكلوا من العجل يقال راعه يروعه روعا اي افزعه وأما الروع بالضم فهي النفس لانها محل الروع فرقوا بين الحال والمحل بحركة الحرف الاول من اللفظ الدال عليهما وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجيء البشرى بحصول الولد اخذ يجادلنا في شأن قوم لوط عليه الصلاة والسلام وهلاكهم وقدر المضاف في قوله تعالى يجادلنا لانه تعالى قد صرح في سورة العنكبوت بمجادلته عليه الصلاة والسلام قال تعالى في تلك ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولان المجادلة مع الله تعالى جرأة عليه وسوء ادب فانى يتأتى ان يجادل ربه في تبديل حكمه والمجادلة مع الملائكة بان يطلب منهم ان يتركوا اهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام وان كان لايخلو من سوء ادب بحسب الظاهر لانه عليه الصلاة والسلام لايخلو اما ان يعتقد ان الملائكة جاؤا من عند انفسهم لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام او يعتقد منهم انهم جاؤا بامر الله تعالى والاول سوء ادب وسوء ظن بهم لانهم لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذا الثاني لان حصول المجادلة حينئذ ان يطلب منهم مخالفة امر الله تعالى وهذا منكر الا انه تعالى مدحه في في تلك المجادلة بقوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب ولو كانت المجادلة الواقعة منه عليه الصلاة والسلام مذمومة لما مدحه بهذا المدح العظيم قال المفسرون في بيان مجادلته معهم عليهم الصلاة والسلام انهم لما قالوا لابراهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم قالوا لا قال واربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا قال فاحتج عليهم بلوط عليه الصلاة والسلام وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فهذا صورة جدال ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع الرسل عليهم الصلاة والسلام في شأن قوم لوط عليه الصلاة والسلام فالله تعالى مدحه في جداله هذا فقال ان ابراهيم لحليم أواه منيب والحليم هو الذي لايتعجل في مكافأة من يعاديه ويؤذيه ومن كان كذلك فانه يتأوه اذا شاهد وصول الشدائد

والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها بدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد (قالت ياويلتا) ياعجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل (أألد وانا عجوز) ابنة تسعين او تسع وتسعين (وهذا بعلي) زوجي واصله القائم بالامر (شيخا) ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل (ان هذا لشيء عجيب) يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة (انه حميد) فاعل مايستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير والاحسان

(فلما ذهب عن ابراهيم الروع) اى ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا في قوم لوط) يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال اولأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو اودليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا اوشرع في جدالنا اومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ اواقبل يجادلنا (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على الانتقام من المسيء اليه (اواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (يا ابراهيم) على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابراهيم (اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك) قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شده (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات) الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال يا قوم هؤلاء بناتي) فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم

الى الغير فلما رأى مجيء الملائكة لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام عظم حزنه واحد تأوهه فوصفه الله تعالى بانه منيب لان من ظهرت منه هذه الشفقة العظيمة على الخلق فانه يتوب ويرجع الى الله عز وجل في ازالة ذلك العذاب ولان من لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فبأن لا يرضى بوقوع نفسه فيها اولى ولا طريق الى تخليص النفس من الوقوع في عذاب الله تعالى الا بالتوبة والانابة ﴿قوله جيء به مضارعا﴾ مع ان جواب لما ينبغي ان يكون ماضيا لكونها موضوعة للدلالة على وقوع امر في الماضي لوقوع غيره فيه يقال لما جاءني زيد جاءه عمرو فاجاب عن وقوعه مضارعا بوجوه اربعة الاول انه جيء به مضارعا على حكاية الحال الماضية والثاني ان المضارع الواقع في سياق جواب لما يكون بمعنى الماضي بان ترده لما الى معنى الماضي كما ترد كلمة لو ما وقع في حيزها من المضارع الى معنى الماضي كقولك لو فعلت كذا لقلت لك كذا اوكما ترد كلمة ان الماضي الى معنى الاستقبال والثالث ان جواب لما محذوف اى فلما كان كذا وكذا اجترأ على خطابنا اوشرع في جدالنا وقوله يجادلنا في قوم لوط جملة مستأنفة وهي الدالة على الجواب المحذوف والرابع ان متعلق الجواب المحذوف اقيم مقامه والتقدير فلما كان كذا وكذا اخذ او اقبل يجادلنا فقوله اخذ او اقبل هو الجواب المحذوف وقوله يجادلنا حال من فاعل اقبل او اخذ حذف الجواب واقيم قيده مقامه ﴿قوله تعالى انه قد جاء امر ربك﴾ اى عذابه الذي قدره اى تعلقت ارادته الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها ﴿قوله ساءه مجيئهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الرسل الذين بشروا ابراهيم عليه الصلاة والسلام انطلقوا من عنده الى لوط عليه الصلاة والسلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شبان مرد من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى وظن انهم من الانس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم فلذلك ضاق بهم ذرعا اى قلبا ويطلق على الوسع والطاقة ايضا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه من ذلك فضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة فيقال مالي ذرع ولا ذراع اى مالي به طاقة وسيء بهم فعل مبني للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءني كذا اى حصل لي به سوء وبهم متعلق به اى بسببهم وذرعا نصب على التمييز وهو في الاصل مصدر ذرع البعير بيده في سيره اذا مشى وسار على قدر خطوه اشتقاقا من الذراع ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة فقيل ضاق ذرعه اى طاقته وقوله يهرعون قرأ العامة يهرعون بالبناء للمفعول وقرئ بفتح الياء بالبناء للفاعل والاهراع الاسراع وقال ابو عبيدة قوله تعالى يهرعون اليه اى يستحثون اليه كأنه يحث بعضهم بعضا واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد اى يضطرب من غضب او حمى او فزع فلذلك قيل الاهراع هو الاسراع مع الرعدة وقيل هو العدو الشديد ثم انه تعالى بين ان اسراعهم انما هو لطلب العمل الخبيث قال تعالى ومن قبل كانوا يعملون السيئات ﴿قوله فتمرنوا بها﴾ اى تعودوا يقال مرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة اى تعوده واستمر عليه وروي انه لما دخلت الملائكة دار لوط عليهم الصلاة والسلام مضت امرأته فقالت لقومه دخل دارنا قوم ما رأيت احسن وجوها منهم ولا انظف ثيابا ولا اطيب رائحة فجاءه قومه يهرعون اى يسرعون وروي ان القوم دخلوا دار لوط عليه الصلاة والسلام وارادوا ان يدخلوا البيت الذي كان فيه جبريل عليه الصلاة والسلام فوضع جبريل يده على الباب فلم يطيقوا فتحه حتى كسروه فمسح اعينهم بيده فعموا فقالوا يا لوط قد ادخلت علينا السحرة واظهرت الفتنة ﴿قوله فدى بهن اضيافه﴾ يعني ان المراد بالبنات بناته الصلبية وانه ما دعاهم الى الزنى بهن بل المراد انه دعاهم الى التزوج بهن بناء على جواز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعته وهكذا كان في اول الاسلام بدليل انه صلى الله عليه وسلم زوج ابنته زينب من ابي العاص بن وائل وزوج ابنتيه من ابني ابي لهب عتبة وعتيبة وهم كفار ثم نسخ بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴿قوله او مبالغة﴾ عطف على قوله كرما وحمية نقل صاحب التيسير عن الامام ابي منصور الماتريدي انه قال يحتمل انه عرض بناته الصلبية على الاوباش والفجار تعريضا لهم بخبث ذلك الفعل ويكون معنى قوله هن اطهر لكم اى هذا اقل خبثا من ذلك اى الزنى بالنسات دون الذكور في الخبث وكانوا يعتقدون حرمة الزنى فبين عليه الصلاة والسلام ان هذا يزول بالنكاح وذلك لا يزول بحال والانقباض البعض والانكار فالمعضمن ذلك الامر

امعض معصا ومعصا واشمعصت منه اذا غضبت وشق ذلك عليك وقيل المراد بقوله بناتى نساء قومه بجعل بنات قومه بناته لان النبى صلى الله عليه وسلم كالاب لقومه وازواجه امهاتهم واولادهم كاولاده قال الامام وهذا القول عندى هو المختار ويدل عليه وجوه الاول ان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لايليق باهل المروءة فكيف باكابر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثانى انه قال هؤلاء بناتى هن اطهر لكم وبناته اللاتى من صلبه لا تكفى للجمع العظيم واما نساء امته ففيهن كفاية للكل اذ صحت الرواية انه كان له بنتان واطلاق لفظ البنات على البنتين لايجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلاثة ﴿قوله انظف فعلا او اقل فحشا﴾ لما ورد ان يقال الاناث اريد طهارة منه ولا طهارة فى اتيان الذكران شرعا او جه حصول معنى اطهر اجاب المصنف رحمه الله تعالى عنه بانه ليس المراد بالطهارة كونه حلالا ومشروعا حتى يرد ما ذكر بل المراد بها النظافة بحسب الفعل وقلة استحياش الطبع ولاشك ان اتيانهن اريد فى الطهارة بهذا المعنى بالنسبة الى اتيانهم ولم يلتفت المصنف الى كون بناء التفضيل هنا للزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر كالايخفى وان ذهب اليه الامام الرازى فى الكبير ﴿قوله على ان هن خبر بناتى﴾ قوله تعالى هؤلاء بناتى على القراءة المشهورة جملة رأسها ويجوز ان يكون هن فصلا واطهر خبرا لهؤلاء والجملة خبر الاول وعلى قراءة اطهر بالنصب هؤلاء مبتدأ وبناتى مبتدأ ثان وهن خبر الثانى والجملة خبرا لاول واطهر حالا قد عمل فيها ماعمل فى الاول اى فى هؤلاء بناتى من معنى الفعل كما فى قوله تعالى هذا بعلى شيخا ولايجوز ان يكون هن فصلا بين الحال وصاحبها لان ضمير الفصل انما يقع بين جزئى الجملة ولايقع بين الحال وذى الحال ﴿قوله ولاتخزونى من الخزى﴾ يقال فضحه فافتضح اى كشف مساويه فذل وهان ويقال خزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزى ايضا يخزى خزاية اى استحيى ويقال خجل خجلا اى تحير ودهش من الاستحياء واعجبه غيره ﴿قوله لوقويت بنفسى على دفعكم﴾ اى لدفعتكم بها من اضيافى على ان جواب لو محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه وماذكره المصنف تصوير لحاصل المعنى فانه قد تقرر فى النحو ان كلمة ان انما تقع بعد لو لكونها واقعة موقع المفرد لكون مافى حيزها فاعل فعل محذوف فقولك لو انك قائم معناه لو ثبت قيامك قال ابو البقاء قوله بكم حال من قوة وليس معمولا لها لانها مصدر ولايتقدم معمول المصدر عليه والتقدير لو ثبت واستقر لنفسى قوة بكم ويجوز ان تكون لو هنا للتمنى فلا تحتاج الى الجواب الا ان القول بكونها شرطية حذف جوابها اولى لامكان تقدير انواع كثيرة من المنع والدفع والتصدى ونحوها وفى تقدير المصنف اشارة الى ان قوله تعالى او آوى الى ركن شديد وقوله امتنع به منكم وان كان صفة لشديد اى قوى الا ان فيه اشارة الى تعيين الجواب المحذوف والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من الجبل وغيره والى ان كل واحد من قوله تعالى لو ان لى بكم قوة وقوله تعالى او آوى الى ركن شديد له فائدة غير فائدة الآخر فان المراد بالاول كونه بنفسه قادرا على الدفع وبالثانى حضور من يعينه على الدفع ﴿قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد﴾ اى كان يريد او يتمنى ان يأوى الى ركن شديد وفى قوله رحمه الله اشارة الى ان هذا الكلام من لوط عليه الصلاة والسلام ليس مما ينبغى من حيث انه يدل على اقناط كلى ويأس شديد من ان يكون له ناصر ينصره والحال انه لاركن اشد من الركن الذى كان يأوى اليه أليس الله بكاف عبده وان قرئ آوى بالنصب يكون معطوفا على قوة والتقدير كما ذكره لو ان لى بكم قوة او اويا الى ركن شديد وهذه القراءة تدل على ان آوى فى قراءة الرفع معطوف على قوة ايضا بناء على انه كان منصوبا فى الاصل باضمار ان فلما حذف رفع الفعل كقوله تعالى ومن آياته يريكم البرق ﴿قوله فضرب جبريل بجناحه﴾ يعنى لما فتح لوط عليه الصلاة والسلام باب بيته فدخلوا تحول جبريل عليه الصلاة والسلام الى اصل صورته فضرب وجوههم فاعماهم وصاروا لايبصرون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة فان فى بيت لوط اسحر قوم فى الارض سحروا فقال لوط عليه الصلاة والسلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فلو اهلكتموهم الآن فقالوا أليس الصبح بقريب ﴿قوله وقرأ ابن كثير ونافع﴾ فانهما اسقطا الهمزة من قوله تعالى فاسر باهلك وقوله تعالى فاسر بعبادى وقوله ان اسر حال الوصل وانتهما مكسورة حال الابتداء والباقون وقرأوا الجميع بهمزة القطع تثبت مفتوحة حال الوصل والابتداء والقراءتان مأخوذتان من لغتى هذا الفعل فانه يقال سرى ومنه قوله تعالى والليل اذا يسر واسرى ومنه قوله تعالى سبحان الذى اسرى وهل هما بمعنى واحد او بينهما فرق فيه خلاف فقيل هما بمعنى واحد

(هن اطهر لكم) انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتى كقولك هذا اخى هو ولا فصل فانه لايقع بين الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش او بايثارهن عليهم (ولاتخزون) ولاتفضحونى من الخزى او ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء (فى ضيفى) فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم ما نريد) وهو اتيان الذكران (قال لو ان لى بكم قوة) لو قويت بنفسى على دفعكم (او آوى الى ركن شديد) الى قوى امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ او آوى بالنصب على اضمار ان كانه قال لو ان لى بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة (فاسر باهلك) بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى (بقطع من الليل) بطائفة منه

وقيل اسرى لاول الليل وسرى لآخره واما سار فمختص بالنهار وليس مقلوبا من سرى والجوهري اختار كون الاسراء والسرى بمعنى حيث قال وسريت سرى ومسرى واسريت بمعنى اذا سرت ليلا ثم قال وانما قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وان كان السرى لايكون الا بالليل للتأكيد كقولهم سرت امس نهارا او البارحة ليلا والباء فى قوله تعالى باهلك يجوز ان تكون للتعدية وان تكون للحال اى مصاحبا لهم وفى قوله بقطع للحال اى مصاحبين بقطع على ان المراد به ظلمة الليل وقيل فيه بمعنى فى اى اخرجوا لئلا تسمعوا نزول العذاب الذى موعده الصبح ﴿قوله ولايتخلف او ولاينظر﴾ يعنى ان الالتفات يجيء بمعنيين الاول الانصراف كما فى قوله تعالى أجئتنا لتلفتنا اى لتصرفنا فالمراد على هذا النهى عن التخلف لانه انصراف عن امتثال المأمور به والثانى ان ينظر الانسان الى ورآئه فالظاهر ان المراد على هذا انه كان لهم فى البلد اموال واقمشة واصدقاء فالملائكة عليهم الصلاة والسلام امروهم بان يخرجوا ويتركوا تلك الاشياء ويقطعوا تعلق قلوبهم عنها ﴿قوله والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط﴾ عليه الصلاة والسلام لما اختار ان قوله تعالى الا امرأتك استثناء من الاهل واستلزم ذلك المناقضة بين القرآءتين المتواترتين على ان قرآءة الرفع على البدلية من احد تستلزم ان تخرج المرأة مع جملة اهله ولاتكون منهية عن التفات كما نهى باقى اهله عنه ولاشك ان خروجها معهم بدون كونها منهية عن التفات مناقض لعدم خروجها معهم والقرآءة المقطوع بصحتها لايجوز حملها على المعانى المتفاوتة المتناقضة اشار الى دفع المناقضة بينهما بقوله والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط عليه الصلاة والسلام لان مكالمة الملائكة انما هى مع لوط فيكون معنى كلامهم لاتدع منهم احدا يلتفت وتخلفت عن السرى الا امرأتك فدعها وخلها وشانها ولاشك ان هذا المعنى لايناقض استثناءها من الاهل ثم بين ان هذا الجواب مبنى على ان يأول الالتفات بالتخلف لانه ان فسر بالنظر الى الورآء تكون المناقضة باقية بحالها سوآء جعل النهى لاحد او للوط عليه الصلاة والسلام وجعل صاحب الكشاف اختلاف القرآءتين لاجل اختلاف الروايتين وصحة الاستثناء مبنية عليه فاسد قطعا لان الروايتين متناقضتان يمتنع اجتماع مدلوليهما وكل واحدة من القرآءتين متواترة ثابتة قطعا روى عن ابن الحاجب انه قال التفسير باطل يعنى جعل القرآءة بالرفع محمولة على الاستثناء والبدل من قوله تعالى ولايلتفت منكم احد وقرآءة النصب محمولة على الاستثناء من الموجب وهو قوله تعالى فاسر باهلك فان القرآءتين ثابتتان قطعا فيمتنع حملهما على الوجهين اذا احدهما باطل قطعا والقضية واحدة فهو اما ان يكون سرى بها او ماسرى بها فان كان قد سرى بها فليس مستثنى الا من قوله تعالى ولايلتفت منكم احد وان كان ماسرى بها فهو مستثنى من قوله تعالى فاسر باهلك وقد ثبت ان احد التأويلين باطل قطعا فلا يصار اليه فى احدى القرآءتين الثابتتين قطعا اى لايجوز حملهما على ما يوجب بطلان مقتضى احداهما واجيب عنه بمنع ان الاستثناء من الاهل يقتضى ان لايكون لوط عليه الصلاة والسلام مأمورا بالاسرآء بها وبمنع انها ماسرت بنفسها ويكفى لصحة الاستثناء هذا المقدار كيف ولم ينه عن اخراجها ولكنه امر باخراج غيرها قال الشيخ والاولى من هذا ان يكون الا امرأتك فى الرفع والنصب مثل قوله تعالى مافعلوه الا قليل منهم ولا بعد ان يكون اقل القرآءة على الوجه الاقوى واكثرهم على الوجه الذى هو دونه بل قد التزم بعض الناس انه يجوز ان تتفق جميع القرآءة على قرآءة غير الاقوى الى هنا كلام الشيخ واختار المصنف اولا ان يكون قوله الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك لانه كلام موجب والاستثناء الواقع بعد الكلام الموجب يكون منصوبا ابدا وقوله ولايلتفت منكم احد غير موجب والمختار فى مثله البدل فلو جعل قوله تعالى الا امرأتك متعلقا بقوله ولايلتفت منكم احد لكان الرفع فيه هو الراجح ولاتفق اكثر القرآء على النصب علم اتفاق الاكثر على الوجه المرجوح وهو بعيد ثم ايده بقرآءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك فان الاستثناء على هذه القرآءة من الاهل ليس الا اذ لم يذكر فى مصحفه قوله تعالى ولايلتفت منكم احد ثم قال والاولى ان يكون قوله الا امرأتك على قرآءة النصب استثناء متعلقا بغير الموجب وان كان الافصح حينئذ الرفع على البدلية كما هو متعلق به على قرآءة الرفع ليتفق القرآءتان بقدر ما امكن فاذا لم يكن له ان يدع احدا من اهله لان يتخلف او لان ينظر الى ورآئه الا امرأته فان له ان يدعها للتخلف او النظر فيحصل اتفاق القرآءتين فى حسن انتظام اللفظ والمعنى ولما ورد ان يقال الاستثناء من غير الموجب ايجاب فيلزم ان تكون مأمورة بالالتفات ولامعنى له فاجاب عنه بقوله ولايلزم من ذلك امرها بالالتفات بل الاذن

(ولايلتفت منكم احد) ولايتخلف او و
ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد و
المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قو
فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا ا
يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ا
فسر بالنظر الى الورآء فى الذهاب ناقض
ذلك قرآءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على
البدل من احد ولايجوز حمل القرآءتين عل
الروايتين فى انه خلفها مع قومها او اخرجه
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت
ياقوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع
لايصح حملها على المعانى المتناقضة والاو
جعل الاستثناء فى القرآءتين من قوله لايلتفت
مثله فى قوله تعالى مافعلوه الا قليل

ولابعدان يكون اكثر القرآء على غير الافصح ولايلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ما اصابهم) ولايحسن جعل الاستثناء منقطعا على قرآءة الرفع (ان موعدهم الصبح) كانه علة لامر بالاسرآء (أليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلما جاء امرنا) عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه

بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدآئنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وامطرنا عليها) على المدن او على شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادرّ عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما (منضود) نضد معدّا لعذابهم او نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او تنضيد بعضه على بعض والصق به (مسوّمة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها (عند ربك) في خزآئنه (وماهى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك مامن ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرّون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان (والى مدين اخاهم شعيبا) اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان) امرهم بالتوحيد اوّلا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى اراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لاان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) لايشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (وياقوم اوفوا المكيال والميزان) صرّح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضدّه مبالغة وتنبيها على انه لايكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى

عدم نهيها عنه وذلك لما مرّ من ان قوله تعالى ولايلتفت نهى للوط عليه الصلاة والسلام والاستثناء من النهى عدم النهى ﴿قوله ولايحسن جعل الاستثناء منقطعا على قرآءة الرفع﴾ لان المستثنى المنقطع يجب نصبه عند الاكثرين ولايجوز البدل الاعلى لغة تميم وعليها قوله

* وبلدة ليس بها انيس * الا اليعافير والا العيس *

لان اليعافير والعيس مستثنى منقطع بعد الامع رفعه على البدلية من انيس ولايحسن ان يحمل اعراب افصح الكلام على اللغة القليلة وفى قوله لايحسن اشارة الى انه يجوز جعل الاستثناء منقطعا على كل واحدة من القرآءتين بان لايقصد اخراج المرأة من المأمور بالاسراء بهم ولا المنهيين عن الالتفات بل يقصد استئناف الاخبار عنها بانه يصيبها مااصابهم فالمعنى لكن امرأتك يجرى عليها كذا وكذا ﴿قوله ويؤيده الاصل﴾ اى يؤيد كون المراد بقوله امرنا امره تعالى بالعذاب ان الاصل حمل اللفظ على معناه الاصلى الحقيقى لانه لواريد العذاب لزم ان يتحد السبب والمسبب لان الجعل المذكور فى قوله جعلنا عاليها سافلها هو العذاب فيكون حاصل المعنى فلما جاء امرنا فالما جاء عذابنا عذبناهم فوجب ان يحمل الامر على ماهو ضد النهى ﴿قوله وكان حقه جعلوا﴾ جواب عما يقال لو كان المعنى فلما امرنا الملائكة عليهم الصلاة والسلام بايصال العذاب اليهم لكان الظاهر ان يقال فلما جاء امرنا جعلوا عاليها سافلها لان العذاب انما صدر عن المأمورين به وتقرير الجواب انه اوثر طريق الاسناد المجازى حيث لم يسند الفعل الى المباشر بل اسند الى المسبب على صيغة الفاعل على انه فاعل السبب وهو الآمر لان ماوقع من المباشر انما وقع بامر الله تعالى واقداره تعظيما لشأن الفعل الصادر وقوله عاليها سافلها معمول الجعل الذى بمعنى التصيير اى عالى مدآئنهم ومساكنهم والمعنى وجعل جبريل عليه الصلاة والسلام عالى قراهم سافلها بامرنا ﴿قوله او على شذاذها﴾ اى متفرديها عن جمهور اهل المدن يقال شذ عنه يشذ شذوذا اذا انفرد عن الجمهور وشذاذ الناس الذين يكونون فى القوم وليسوا من قبائلهم روى ان الحجر تبع شذاذهم ومسافريهم اين كانوا فى البلاد ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر معلقا عليه فى السماء اربعين يوما حتى خرج فاصابه فاهلكه ﴿قوله واصله سنك كل﴾ وهو بالفارسية وبالعربية حجر من طين فعرب وجعلت حروفه الى ماترى ويتصره ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو حجر من طين كالآجر المطبوخ ﴿قوله نضد معدّا لعذابهم﴾ يعنى ان منضودا اسم مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه على بعض واعداده لاهلاك الظلمة اولكون بعضها فوق بعض فى النزول ولان كل حجر منها منضود فان مافيه من الاجزآء منضود بعضه على بعض وملتصق بعضه ببعض ﴿قوله تعالى مسوّمة﴾ منصوب على انه صفة حجارة ومعدا امامنصوب بمسوّمة واما محذوف على انه صفة حجارة او صفة مسوّمة ﴿قوله الا وهو بعرض حجر﴾ يقال فلان عرضة الناس لايزالون يقعون فيه وجعلت فلانا عرضة لكذا اى نصبته ﴿قوله وتذكير البعيد﴾ مع ان ماهو على صيغة فعيل انما يستوى فيه المذكر والمؤنث اذا كان بمعنى المفعول نحو قتيل وذبيح ونحو قريب وبعيد بمعنى الفاعل فلا يستويان فيه الا لنكتة ﴿قوله اراد اولاد مدين﴾ يعنى ان مدين اسم لمدين بن ابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة وهى المراد به فى الآية وكثير من المفسرين ذهبوا الى ان مدين اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم عليه السلام والمعنى على هذا التقدير وارسلنا الى اهل مدين بحذف المضاف كما فى قوله واسأل القرية اى اهلها ﴿قوله تعالى ولاتنقصوا﴾ نقص يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف تقول نقصت زيدا من حقه وحقه وهو فى الآية كذلك اذ المراد لاتنقصوا الناس من المكيال والميزان اى مما يكال او يوزن بهما على طريق ذكر المحل وارادة الحال والآية بظاهرها تدل على انه يستوفى ماهو ازيد من حقه وان استلزم نقص الموفى حقه من المكيل والموزون ﴿قوله لاشتماله عليه﴾ اى لاشتمال اليوم على ماهو واقع فيه من العذاب وتوصيف زمان الشيء بصفة ذلك الشيء مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب ﴿قوله صرح الامر بالايفاء﴾ دفع لما يتوهم من ان هذه الآية وكذا مابعدها تكرار لقوله ولاتنقصوا المكيال والميزان ووجه الدفع ان قوله ولاتنقصوا المكيال والميزان نهى عن ضد الشيء وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء الشيء وهو العدل والنهى عن ضد الشيء مغاير للامر به ثم انهما وان كانا متلازمين لاينفك احدهما عن الآخر الا ان ذكر احدهما عقيب الآخر فى حكم التكرير ولاشك ان التكرير يفيد التأكيد وشدّة العناية والاهتمام

وايضا النهي عن شيء لما توقف على كونه فعلا اختياريا للمنهي كان النهي عبارة عن طلب الكف عن مباشرته عمدا وكان التطفيف سهوا اى نسيانا غير مانع للعمل بمقتضى قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان من حيث ان الساهي والناسي لم يباشرا تنقيص حق الغير عمدا الا ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكتف بتكليفهم بالامتناع عن التطفيف عمدا بل كلفهم ايضا بالسعي في ايفاء الحق اى اعطائه تاما كاملا وان استلزم ذلك ان يعطي قدرا زائدا على الحق حتى يخرج عن العهدة بيقين لكن اعطاء الزيادة ليس بمأمور به لقوله بالقسط فانه حال من فاعل اوفوا ولما وجب ان يكون المأمور به مما يدخل تحت القصد والاختيار كان معنى اوفوا المكيال والميزان اسعوا في اعطاء الحق على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن العهدة ملتبسين بالعدل والتسوية فالمأمور به هو الايفاء بطريق الازدياد فانه مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا وذلك اذا كان المعقود عليه من الاموال الربوية * واعلم ان العلماء اختلفوا في ان الامر بالشيء هل هو نهي عن ضده اولا وكذا النهي عن شيء هل هو امر بضده اولا فذهب امام الحرمين والغزالي رحمهما الله تعالى الى ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده ولا يقتضيه عقلا وقال القاضي ابو اسحق انه نهي عن ضده واليه ذهب الامام في المعالم والقاضي في المنهاج وقال القاضي ابو اسحق والنهي كذلك اى ان النهي عن الشيء امر بضده وكذا يقتضيه عقلا لان النهي عن الفعل طلب ضد الفعل فيكون امرا بالضد ﴿ قوله تعميم بعد تخصيص ﴾ جواب عما يقال البخس النقص فقوله تعالى لا تبخسوا الناس اشياءهم بمعنى قوله تعالى لا تنقصوا المكيال والميزان فما الفائدة في هذا التكرار * وتقرير الجواب انه لا تكرار فيهما لان مدلول الكلام الاول النهي عن البخس في المقدار وذكر المكيال والميزان لكونهما اكثر آلات التقدير استعمالا ومدلول قوله تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم النهي عن البخس في مطلق ما يستحقه بعقد المعاوضة والمعنى لا تنقصوا الناس ما يستحقون عليكم بالعقود اى شيء كان وذكر صاحب الكشاف للبخس ثلاثة معان الهضم وهو الظلم وكسر الحق والثاني النقص والثالث المكس وهو اخذ المكس والعشور والخراج وما هو اليوم في الاسواق من رسوم الظلم واستشهد على اطلاق البخس على المكس بقول زهير * أفي كل اسواق العراق اتاوة * اى خراج * وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم * وروي مكس درهم ثم قال وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك انتهى ﴿ قوله فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد ﴾ يعني العثو الافساد مطلقا سواء كان تنقيص الحقوق او غيره فهو ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص وفي الصحاح عثا في الارض يعثو أفسد وكذلك عثي بالكسر بمعنى قال تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين وفي التيسير العثي المبالغة في الافساد جعل تجاوز الحد في هذه المعاملة افسادا في الارض لانه تغيير لما وضعه الله تعالى من قانون صحة المعاملة بالعدل واصلح به احوال اهل الارض وقال الراغب العثي والعيث متقاربان نحو جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يستعمل في الفساد الذي يدرك حسا والعثي فيما يدرك حكما ﴿ قوله وقيل المراد بالبخس الخ ﴾ اشارة الى ان المختار ان يكون البخس عبارة عن نقص ما يستحقه الغير بعقد المعاوضة وان يكون العثو عبارة عن الافساد مطلقا سواء كان تنقيص الحق او غيره ﴿ قوله وفائدة الحال ﴾ اشارة الى جواب ما يقال ان العثي الافساد فيكون قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين بمنزلة ان يقال ولا تفسدوا في الارض مفسدين فما وجهه * وتقريره ان الفساد خروج الشيء عن الاعتدال اللائق فمعنى الآية لا تخرجوا اشياء عن الارض عن الاعتدال وذلك الاخراج قد يكون لقصد الاصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام من كل الغلام وخرق السفينة وقد يكون لقصد الاضرار والافساد كفعل الظلمة والنهي عن الافساد فيها نهي عن الافساد على الوجه الثاني فلذلك قيده بالحال * وتقرير الجواب الثاني ان الافساد المقيد المنهي عنه غير الافساد الذي وقع قيدا لان المراد بالافساد الاول افساد حال الغير وبالافساد الثاني افساد حال نفسه بما يتعلق بامر دينه ومصالح آخرته فان من سعى في افساد حال الغير فهو في الحقيقة ساع في افساد نفسه ولم يرض بهذا الجواب لقلة فائدة التقييد بالحال حينئذ ﴿ قوله ما ابقاه لكم من الحلال ﴾ اشارة الى ان بقية فعيلة بمعنى المفعول واضافتها للتشريف كما في بيت الله وناقة الله فان ما بقي بعد الايفاء فائدته وهي حصول الثواب والنجاة من العذاب والعقاب انما تظهر مع الايمان فان الكافر مخلد في عذاب النيران ومحروم من الرضوان وثواب الرحمن سواء اوفى الكيل

(ولا تبخسوا الناس اشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله (ولا تعثوا في الارض مفسدين) فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم (بقية الله) ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي (وما انا عليكم بحفيظ) احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم (قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا) من الاصنام اجابوا به امره اياهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوات فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد

والمعنى اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره (او ان نفعل في اموالنا ما نشاء) عطف على ما اى وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك (انك لانت الحليم الرشيد) تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المدعين من المبادرة الى امثال ذلك (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة (ورزقنى منه رزقا حسنا) اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير في منه لله اى من عنده وباعانته بلا كد منى في تحصيله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبد به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف (وما توفيقى الا بالله) وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته (عليه توكلت) فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه انيب) اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء (وياقوم لا يجرمنكم) لا يكسبنكم (شقاقى) معاداتى

والميزان او سائر تحصيل الحرمان ﴿قوله او ان كنتم مصدقين لى في قولى لكم﴾ اى انكم تجتنبون من التطفيف وتكتفون بما بقى لكم بعد الايفاء فان جواب مثل هذا الشرط محذوف عند جمهور البصريين وان ذهب آخرون الى ان جوابه هو ما تقدم عليه وقال مجاهد بقية الله اى طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان منفعة الطاعة تبقى ابدا جعل البقية بمعنى الباقية وسمى الطاعة والعبادة التى يقصد بها وجه الله بقية لبقاء ثوابها فتكون الاضافة لتخصيص ثوابها بالمكلف ابدا ومنه قوله تعالى والباقيات الصالحات اى التى يبقى ثوابها من الاعمال فان البقاء عبارة عن ثواب الشئ على الحالة الاولى ويضاده الفناء ﴿قوله لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره﴾ تعليل لتقدير المضاف اى لابد من هذا التقدير لان المأمور بقوله تعالى أصلوتك تأمرك هو شعيب عليه الصلاة والسلام والمأمور به بحسب الظاهر هو الترك الذى هو فعل الكفار فابقاء الكلام على ظاهره يستلزم ان يكون شعيب عليه الصلاة والسلام مأمورا بفعل الكفار وهو الترك فلابد من تقدير المضاف اى اصلوتك تأمرك يا شعيب بتكليفك ايانا ان نترك ﴿قوله وان نترك﴾ اشارة الى ان كلمة او بمعنى الواو لان ما كلفهم به شعيب عليه الصلاة والسلام هو مجموع الامرين لا احدهما وان اجابتهم اياه على سبيل الانكار والاستهزاء انما هو بقولهم له اصلوتك تأمرك بتكليفك ايانا بهذين الامرين لا باحدهما ﴿قوله وقرئ بالتاء فيهما﴾ على معنى اصلوتك تأمرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء انت على ان يكون معطوفا على معمول تأمرك ﴿قوله تهكموا به﴾ يعنى ان قولهم الحليم الرشيد من قبيل الاستعارة التبعية استعاروا الحلم والرشد لضده والغواية على التهكم ثم سرت الاستعارة فيهما الى الحليم الرشيد ﴿قوله وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء﴾ فان شعيبا عليه الصلاة والسلام دعاهم اولا الى التوحيد ثم دعاهم الى ترك البخس في المكيال والميزان على ما هو دأب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من انهم يبتدئون بالدعوة ثم يشرعون فيما هو الاهم فالاهم وكان المعتاد من اهل مدين البخس والتطفيف فدعاهم الى ترك هذه العادة بعد دعوتهم الى التوحيد فانكر قومه عليه ما وقع منه من هاتين الدعوتين قالوا انك سفيه متهتك تعمل ما بدا لك من غير روية وتأمل وضال عن الطريق بان قالوا انك تدعى حلما ورشدا في قومك فكيف يليق بك ان تبادر الى تغيير طريقتنا المألوفة في باب المعاملة بالاموال وفي عبادة الاوثان فاجابهم شعيب عليه الصلاة والسلام بطريق اوجه الصلاب والكلام المنصف كأنه قال صدقتم في قلتم انى لما كن مرشدا لكم حليما فيما بينكم لكن ما جئت به ليس غير الارشاد والنصيحة انظروا بعين الانصاف فان كنت على نعمة جليلة من عند ربى وكنت نبيا حقيقة ورزقنى منه رزقا حسنا فكيف يسع لى ان اقدم على ما فعلته من النهى عن عبادة غير الله تعالى وعن البخس والتطفيف ونحو ذلك من المعاصى مع كثرة ما صدر من نعم الله تعالى الجسمانية والروحانية وهو تعالى قد امرنى بتبليغ رسالته وبيان ما شرعه من الاحكام المتعلقة بباب العبادات والمعاملات فكيف يتصور منى مع كثرة نعم الله تعالى على ان اخالف امره وتكاليفه ﴿قوله يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه﴾ على ان يكون الى كذا متعلقا بمحذوف هو حال من فاعل خالفت اى خالفته مائلا الى ما هو مول عنه ومعنى الآية ما اريد مخالفتكم مائلا الى ما انهاكم عنه ﴿قوله وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس﴾ اى اذا وليت عنه وهو قاصده لان مخالفة زيد موليا عن كذا انما تكون بان يقصده زيد ﴿قوله وما مصدرية﴾ يريد ان كلمة ما في قوله ما استطعت يحتمل ان تكون مؤولة بالزمان واقعة موقعه كما في نحو آتيك خفوق النجم وصياح الديك اى مدة استطاعتى ويحتمل ان تكون خبرية اى موصولة بمعنى الذى بدلا من الاصلاح والتقدير ان اريد الا الاصلاح اى المقدار الذى استطيعه من الاصلاح او الا الاصلاح اصلاح ما استطعته من الاصلاح فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى﴾ اى شقاقكم وعداوتكم اياى ان يصيبكم عذاب العاجلة وهو عذاب الاستئصال في الدنيا مثل ما اصاب من قبلكم من الهالكين وجرم وان كان يتعدى الى واحد والى اثنين الا انه في الآية قد تعدى الى اثنين اولهما الكاف والميم وثانيهما ان يصيبكم يقال جرم زيد ذنبا اى كسبه وجرمته ذنبا اى كسبته اياه فهو مثل كسب في كونه متعديا الى واحد تارة والى اثنين اخرى وانشد الزمخشرى على تعديته الى اثنين قوله ❁

❁ ولقد طعنت ابا عيينة طعنة ❁ جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ❁

وقراءة العامة لا يجرمنكم بفتح ياء المضارعة على انه مضارع جرم الثلاثى وقرئ بضمها على انه مضارع المنقول

من جرم المتعدى الى واحد والعامة ايضا على ضم لام مثل على انه فاعل يصيبكم وقرئ بفتحها وتلك القصة قصة بتله وذلك لان مثل وان كان فاعلا كاله فى القرآءة المشهورة الا انه بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما فى قوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون فان مثل وغير مع ما وان مخففة ومشددة يجوز بناؤهما على الفتح واعرابهما كقوله

* لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * حمامة فى غصون ذات اوقال *

الضمير فى منها للراحلة لم يمنعها من الشرب الا انها سمعت صوت حمامة فنفرت يريد انها حديدة الحس فيها فزع وذعر لحدة حسها وذلك محمود فيها والاوقال جمع وقل وهى الحجارة اى غصون نابتة بارض ذات حجارة وقيل الوقل شجرة المقل بنى غير على الفتح مع انه فاعل لم يمنع ﴿قوله وافراد البعيد﴾ مع انه خبر عن الجمع فالقياس يقتضى ان يقال بعداء او بعيدين لان القوم اسم جمع مبنى على ان فى الكلام مضافا مقدرا والتقدير وما اهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام او على ان فيه موصوفا مقدرا اى وما هم بشئ بعيد ﴿قوله ولا يبعد ان يسوى فى امثاله﴾ من نحو القريب والقليل والكثير بين المذكر والمؤنث اشارة الى جواب ما يقال من ان لفظ القوم مؤنث كقوله تعالى كذبت قوم نوح فالقياس ان يقال ببعيدة فلم ذكر بعيد وما ذكره من كون امثاله على زنة المصادر جواب ثالث غير تقدير المضاف او الموصوف لانهما جوابان عن هذا السؤال ايضا والصهيل صوت الخيل والنهيق والشهيق صوت الحمار ﴿قوله ما يفعل البليغ المودة بمن يوده﴾ يعنى ان الودود بناء مبالغة من ود الشئ يوده ودادة اى احبه وآثره والمشهور وددت بكسر العين وسمع الكسائى وددت بفتحها والودود بمعنى المحب اى يود عباده ويرحمهم وقد تقرر انه تعالى اذا وصف بما هو من قبيل الكيفيات النفسانية الانفعالية يراد به غاياتها فلذلك فسر المصنف كونه تعالى ودودا محبا لعباده بانه يفعل بعباده ما يفعله بليغ المودة بمن يوده وقيل الودود فى اسماء الله تعالى بمعنى المفعول والمعنى ان عباده يحبونه لكثرة احسانه وافضاله على الخلق ﴿قوله وهو وعد على التوبة﴾ وبيان لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغى ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة راعى شعيب عليه الصلاة والسلام فى جواب قومه ترتيبا لطيفا لانه بين اولا ان ظهور البينة وكثرة انعام الله تعالى عليه فى الظاهر والباطن يمنعه من الخيانة فى وحى الله تعالى ويصده عن التهاون فى تبليغه كانه قال انما اسعى واجتهد فى تبليغ ما اوحى الى رعاية لحق الله تعالى ثم بين ان سعيه هذا رعاية لحق نفسه ثم بين ان فيه رعاية لحق الناس ثم لما بين صحة طريقته اشار الى الوعيد على الاصرار بما هم عليه من الكفر والعصيان وحثهم على الاستغفار والتوبة وعلل قبول ذلك بانه رحيم ودود ﴿قوله وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه﴾ فان الرجل قد يقول لصاحبه لا ادرى ما تقول وان كان قد فهم كلامه لكنه لما لم يقبله واستهان به صار كانه لم يفهمه فيقول ذلك القول وهذه التوجيهات جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول مع انه حسن محاورته مع قومه وكمال اقتداره فى مراجعة جوابهم يسمى خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف لا يفهم كلامه والمشهور ان الضعيف من ليس له قوة جسمانية يمنع بها القوم عن نفسه او من ليس له عزة واتباع يتقوى بها على تحصيل مقاصده وقيل الضعيف عبارة عن الاعمى فى لغة حمير وحمله على هذا المعنى غير مناسب لهذا المقام والسوق يقتضى ان يكون مرادهم بالضعيف من لا قوة له لا الاعمى فحمله عليه مخالف للظاهر من غير دليل ومع هذا قولهم فينا يبطل حمله على ذلك المعنى فانه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لكان كلاما فاسدا لان الاعمى اعمى فيهم وفى غيرهم * قال الامام واعلم ان اصحابنا يجوزون العمى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به فى اثبات هذا المعنى لان حمل لفظ الضعف على معنى العمى ليس بسديد فى هذا المقام فكيف يستدل به عليه واما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه لا يجوز لكونه منفرا فانه لا يمكنه الاحتراز عن النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى * واجاب المصنف عنه اى عن هذا الاستدلال بقوله والفرق بين ولعل مراده ان مناط امر النبوة كون الانسان يوحى اليه من قبله تعالى وكونه مبلغا لما اوحى اليه والعمى لا يخل بهذا المعنى بخلاف القضاء والشهادة فان مناطهما التمييز بين اهل الحق ومن عليه والعمى ينافيه ﴿قوله لا لخوف من شوكتهم﴾ لئلا يخالف قوله ساقطا او مهينا لا عزلك واعاق شوكة قومه من حيث انهم عبروا عن قومه بالرهط والجماعة القليلة لا يكون لهم شوكة لكنهم اثبتوا لهم الحرمة لكونهم على ملتهم ودينهم ولم يعتزوا شعيبا عليه الصلاة والسلام لانه لا حرمة له

(ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح) من الغرق (او قوم هود) من الريح (او قوم صالح) من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت *
حمامة فى غصون ذات اوقال *

(وما قوم لوط منكم ببعيد) زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) عما انتم عليه (ان ربى رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار (قالوا يا شعيب ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه (وانا لنراك فينا ضعيفا) لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوأ او مهينا لا عزلك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولولا رهطك) قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة

عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترامهم رهطه بسبب كون الرهط على ملتهم والرجم في اللغة عبارة عن الرمي وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل ولما كان هذا الرجم سببا للقتل لاجرم سموا القتل رجما تسمية للمسبب باسم السبب ﴿ قوله اوباصعب وجه ﴾ اشارة الى احتمال ان يكون لرجمناك استعارة تبعية تشبيها للقتل باصعب الوجوه بالقتل بالحجارة واطلاق الاسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ﴿ قوله وهذا ديدن السفيه ﴾ يعني ان جوابهم لشعيب عليه الصلاة والسلام بقولهم ياشعيب مانفقه كثيرا مماتقول الى هنا ليس دافعا لماقرره شعيب عليه الصلاة والسلام من الدلائل والبينات بل هو جار مجرى مقابلة الدليل والحجة بالشتم والمعاندة كما هو ديدن السفيه المحجوج اي المغلوب بالحجة ﴿ قوله وفي ايلاء ضميره ﴾ اي ايلاء الضمير الذي هو عبارة عن شعيب عليه الصلاة والسلام حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه اي على ان التردد واقع في الفاعل لافي الفعل بان يتفق المتكلم والمخاطب على وجود اصل الفعل لكن المخاطب يخطئ في تعيين الفاعل والمتكلم يقصد ان يرده الى الصواب وهذا يقتضي ان يكون اصل الكلام ماعززت انت فقدم انت للاختصاص فانه قد تقرر ان تقديم المسند اليه يفيد تخصيصه بالخبر اي قصر الخبر عليه ان وقع المسند اليه بعد حرف النفي بلا فصل نحو ماانا قلت اي لم اقله مع انه مقول لغيري فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذي نفي عن المذكور وانما التزم تحقق التقديم في مثله لان كلمة ما في الحال والمال له اختصاص بالزمان فالقياس ان يكون مدخولها فعلا او شبهه وحيث وجد الاسم بعدها لاسيما الضمير دل ذلك على ان اصل الكلام ماعززت انت وان التقديم لاجل الاهتمام والاختصاص قال صاحب المفتاح في تفسير الآية اي العزيز علينا ياشعيب رهطك لاانت لكونهم من اهل ديننا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في جوابهم أرهطي اعز عليكم من الله اي من نبي الله ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكون مدلول الكلام التخصيص ونفي الفعل عن المذكور مع ثبوته لغيره قال عليه الصلاة والسلام أرهطي اعز عليكم فانه لوكان معنى قولهم ماانت علينا بعزيز مجرد نفي العزة عنه ولم يفهم اثبات العزة لرهطه لم يكن الجواب بقوله عليه الصلاة والسلام ارهطي اعز عليكم مطابقا لكلامهم لانه يكون معنى كلامهم حينئذ مجرد نفي العزة عنه عليه الصلاة والسلام ويكون معنى جوابه انكار عزة رهطه وابن احدهما من الآخر واما اذا كان معنى كلامهم اثبات العزة لرهطه مع انتفائها عنه فحينئذ تحصل المطابقة بينهما وكان الظاهر ان يقال في الجواب ارهطي اعز عليكم مني الا انه قيل اعز عليكم من الله للايذان بان تهاونهم به عليه الصلاة والسلام وهو نبي الله تهاون بالله تعالى فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله ﴿ قوله افلا تبقون على الله ﴾ اي فلا تحفظونني ولاترحمونني ولاتراعونني وتراعون نسبة قرابتي الى الرهط وتضيعون نسبتي الى الله تعالى بالنبوة فكأنكم زعمتم ان القوم اعز من الله تعالى حيث تزعمون انكم تركتم قتلي اكراما لرهطي والله عز وجل اولى بأن يتبع امره كأنه يقول حفظكم اياي في الله اولى منه في رهطي وفي الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته بان تتبع امره ويقال ابقى الله عليك ان ابقيت علي وفيه ايضا ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿ قوله والكسر من تغييرات النسب ﴾ كقولهم في النسبة الى امس امسي بكسر الهمزة والى الدهر دهري بضم الدال ﴿ قوله اعملوا على مكانتكم ﴾ المكانة الحالة التي يتمكن بها صاحبها من عمله فالمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة بكل ما في وسعكم وطاقتكم من ايصال الشرور الي واني ايضا عامل بقدر ما آتاني الله من القدرة سوف تعلمون ايما الجاني على نفسه والمخطئ في فعله ﴿ قوله فهو ابلغ في التهويل ﴾ اي حذف الفاء لاستلزام ان يكون الكلام استئنافا جوابا عما يقال فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وانت عملت على مكانتك ابلغ في باب التهويل من ربط الكلام بماقبله بالفاء السببية لان الفاء تكون ماقبلها سببا لما بعدها فمن سلوك طريقة الاستئناف ان يكون المخاطب طالبا لمعرفة بحالهم فيكون الجواب بالتهويل اوقع في ذهنه بخلاف ما لو ربط الكلام بلفظة الفاء ﴿ قوله وقيل كان قياسه ومن هو صادق ﴾ يعني ان قوله اعملوا على مكانتكم اني عامل اشتمل على عمل الصادق والكاذب منه ومنهم ولم يذكر في قوله سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب الا عاقبة الكاذب منهم والآية مسوقة لبيان ذكر عاقبة العاملين من الفريقين وذلك انما يحصل بان يقال ومن هو صادق بدل ومن هو كاذب لينصرف الاول اليهم والثاني اليه الا انه عدل عنه الى ما وقع في النظم بناء على ان المراد من قوله ومن هو كاذب الصادق لكن

(رجمناك) قتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه (وماانت علينا بعزيز) فتمنعنا عزتك من الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لافي ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك (قال ياقوم أرهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله أفلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب (ان ربي بما تعملون محيط) فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها (وياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لالانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا) وانتظروا ما اقول لكم (اني معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع

(ذكر)

ذكر الكاذب موضع الصادق بناء على زعمهم من حيث انه جرى على السنتهم دعاؤهم اياه عليه الصلاة والسلام كاذبا وقال صاحب الانتصاف الظاهر ان الكلامين جميعا للكفار فقوله من يأتيه عذاب يخزيه فيه ذكر جزائهم وقوله ومن هو كاذب فيه ذكر جرمهم الذي هو الكذب فيكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما المعنى المخاطب في الكلامين واذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من الدلالة على ذكر عاقبة المحق الصادق لان احد الفريقين اذا كان مبطلا والآخر محقا تعين ان احدهما يفهم منه ذكر الآخر تعريضا والتعريض ابلغ واوقع من التصريح في كثير من المواضع وهذا منه ولذلك لم يذكر عاقبة شعيب عليه الصلاة والسلام استغناء عنها بذكر عاقبتهم ﴿ قوله كما في قصة عاد ﴾ وهو قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه ولم يسبق ذكر الوعد الجاري مجرى السبب الموفي به حتى تجيء الفاء السببية كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت فان قولك فلما جاء الميعاد مرتب على الوعد فجيء بالفاء السببية لتدل على سببية الوعد وترتب المسبب عليه بل ذكر مجيء العذاب فيهما من غير ان يسبق ذكر الوعد به كأنه قصة بنفسها وما قبله قصة اخرى لكنهما متعلقان بقوم واحد فهما مشتركان من وجه مفترقان من وجه آخر فكان المقام مقام الواو التي تعطف بها القصة على القصة بخلاف قصتي صالح ولوط عليهما الصلاة والسلام فانه سبق ذكر الوعد فيهما قال تعالى في قصة صالح فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقال في قصة لوط عليه الصلاة والسلام ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها فجيء بالفاء السببية فيهما غير ان صيحتهم كانت من تحتهم روى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لم يعذب الله تعالى امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح عليهما الصلاة والسلام اما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم قيل نشأت لهم سحابة فيها عذابهم ولم يعلموا انها سحابة العذاب فصارت عليهم كهيئة الظلة فيها ريح فلما رأوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فاتتهم صيحة من تحتها فاهلكتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴿ قوله وقرئ بعدت بالضم ﴾ الجمهور على كسر العين من بعدت على انها من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك يهلك ارادت العرب ان تفرق بين البعد بمعنى الهلاك وبين البعد الذي هو ضد القرب ففرقوا بينهما بصيغة البناء فقالوا بعد بالضم في ضد القرب وبعد بالكسر في ضد السلامة والبعد بالضم والسكون مصدر لهما والبعد بفتحتين انما يستعمل في مصدر مكسور العين وقرئ بضم العين اخذا من ضد القرب لانهم اذا اهلكوا فقد بعدوا ومنه قول الشاعر

* من كان بينك في التراب وبينه * شبر فذا في غاية البعد *

﴿ قوله وهو المعجزات القاهرة ﴾ على تقدير ان يراد بالآيات التوراة وما فيها من الاحكام والمعنى ولقد ارسلنا موسى باحكام وتكاليف وايدناه بالمعجزات القاهرة والبينات الباهرة ﴿ قوله او العصا) على تقدير ان يراد بالآيات جملة ما اعطاه الله تعالى من المعجزات وهي تسع آيات بينات العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الاموال والانفس ومنهم من ابدل نقص الاموال والانفس باظلال الجبل وفلق البحر فيكون افراد العصا بالذكر مع انها داخلة في الآيات بالمعنى المذكور لكونها اشهرها وابهرها فيكون من عطف الخاص على العام لشرف كالملائكة ورسله وجبريل وميكال عليهم الصلاة والسلام هذا على تقدير ان يكون الموصوف بكونه آيات غير الموصوف بانه سلطان ويكون من قبيل عطف الذات على الذات ويجوز ان يراد بهما ذاتا واحدة ويكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف فان ما ظهره من المعجزات القاهرة كما توصف بانها علائم مضافة اليه تعالى دالة على نبوته توصف ايضا بانها سلطان له اي حجة بينة له يتسلط بها على من خالفه قال الامام ان قيل اذا حملتم الآيات على المعجزات والسلطان على الدلائل والمبين ايضا على ما كان مبينا الظهور فالفرق بين هذه المراتب قلنا اما الآيات فاسم للقدر المشترك بين العلامات التي تفيد الظن وبين الدلائل التي تفيد اليقين واما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين الا انه مشترك بين الدليل القطعي الذي فيه جلاء وبين ما لا جلاء فيه واما السلطان المبين فهو مخصوص بما فيه جلاء ولما كانت معجزات موسى عليه الصلاة والسلام هكذا لاجرم وصفها الله تعالى بانها سلطان مبين ﴿ قوله فاتبعوا امره بالكفر بموسى ﴾ عليه الصلاة والسلام

ومعرفته ويحتمل ان يكون المراد من الامر الطريق والشان وهو انه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على اهل كل بلد ان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته ومن المعلوم ان كل الرشد في معرفة الله تعالى وعبادته فمن كان نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية ﴿ قوله يقال قدم بمعنى تقدم ﴾ وفي الصحاح قدم يقدم قدما بالفتح اى تقدم فالمعنى يتقدمهم ويكون قدامهم وهم خلفه كما كان قادمهم في الدنيا الى الضلالة يكون قادمهم في العقبى الى النار ﴿ قوله ونزل النار لهم منزلة الماء ﴾ يعنى ان قوله تعالى فاوردهم النار من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية حيث شبهت النار في النفس بالماء على سبيل التهكم وجعل اثبات الايراد لها تخييلا فان الورود عبارة عن المجيء الى الماء والايراد احضار الغير والمورود اسم مفعول بمعنى الشيء المورود عليه وهو الماء ويستعمل على انه مصدر ميمى لانه يكون على اسم المفعول في المثبتات ﴿ قوله فسمى اتيانها موردا ﴾ اى ايرادا على ان المورد مصدر ميمى لانه عبر عن احضارهم النار بقوله فاوردهم النار والورد المورد والمورود هو الذى وردوه شبه فرعون بمن يسبق الى الماء ويلحقه قومه فاستعير الورود للنار استعارة تهكمية والتقدير بئس الذى وردوه اى الورد المورود وورودهم وهو النار يردها فرعون ثم قومه وقيل في حقها بئس الورد لان المورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد ﴿ قوله والآية كالدليل ﴾ يريد ان الرشيد في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد يحتمل ان يكون بمعنى امر فيه رشد وسداد فيكون الرشد على معناه الحقيق وهو خلاف الغى وخلاف النهى والضلال ويكون قوله يقدم قومه استئنافا كانه قيل لم حكمت عليه بانه ليس في امره رشد بل هو غى محض فاجيب بانه يقدم قومه يوم القيامة فيوردهم النار ومن هذا عاقبته لا يكون في امره رشد ويحتمل ان يكون الرشيد بمعنى الصالح المرضى الحميد العاقبة فيكون الرشد مجازا عن العاقبة الجيدة ويكون قوله تعالى وما امر فرعون برشيد بمعنى وكان امر فرعون مذموما محفوظا عليه سيء الخاتمة فيكون قوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار موضحا له ومبينا لسوء العاقبة ﴿ قوله اى يلعنون ﴾ ويطردون من رحمة الله تعالى في الدنيا بالخذلان اولا وبالغرق آخرا وفي الآخرة بما فيها من العذاب فان كل معذب ملعون مطرود من الرحمة كما ان كل مخذول محروم من التوفيق والعناية كذلك ﴿ قوله بئس العون المعان او العطاء المعطى ﴾ فان الرفد جاء بمعنى العون وبمعنى العطية تقول رفدته ارفده رفدا اذا اعطيته وكذلك اذا اعنته والارفاد الاعطاء والاعانة وسميت اللعنة عونا لانها اذا اتبعتهم في الدنيا تبعتهم في الآخرة لتبعدهم عن رحمة الله تعالى وتعينهم على ما هم عليه من الضلال وتكون مددا لهم في طغيانهم وغيهم فسميت رفدا اى عونا لهذا المعنى على الاستعارة التهكمية واما كونه معانا فلانها ارفدت في الآخرة بلعنة اخرى لتكونا هاديتين الى طريق الجحيم كما قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم والمرفود وان كان قوم فرعون الا انه اسند المرفود الى الرفد الذى هو اللعنة على الاسناد المجازى نحو جد جده وجنونك مجنون وكذا الحال في قوله او بئس العطاء حيث اعتبر فيه الاستعارة التهكمية والاسناد المجازى كما في الاول فان جعلت اللعنة عطية لفرعون وقومه ثم جعلت معطى مع ان المعطى هو فرعون وقومه مجاز كذا قيل وقول صاحب الكشاف ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة يدل على ان تسمية اللعنة ليس من قبيل الاستعارة التهكمية وانما تكون من ذلك القبيل ان لو كانت رفدا للمعذبين وليس كذلك بل هي رفد ومدد لنفس العذاب فلا تهكم فيه وايضا ذكر انها رفد اعين برفد فكيف يكون اسناد المرفود الى الرفد من باب جد جده نعم لو فسر الرفد بالعطاء لكانت تسمية اللعنة من قبيل الاستعارة التهكمية الا انه لا يكون الاسناد مجازيا ﴿ قوله لبعمده ﴾ اى ليصيره عمادا يقال عمد الحائط اذا دعمه وصيره عمادا ﴿ قوله مقصوص عليك ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى نقصه عليك خبر بعد خبر لقوله ذلك والمعنى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك ويجوز ان يكون نقصه خبرا ومن انباء اهل القرى حالا من المفعول ويجوز العكس ايضا وثمة مضاف محذوف اى من انباء الرسل ومن انباء اهل القرى ولذلك اعيد ضمير العقلاء عليهم في قوله تعالى وما ظلمناهم وقوله تعالى منها قائم وحصيد جملة اسمية وحصيد مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه اى ومنها حصيد اى محصود شبه ما بقى من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما عفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقى منها شيء وبعضها هلك وما بقى منه اثره وقيل القائم ما بقى حيطانه وسقطت سقوفه والحصيد ما عفى اثره وقيل القائم العامر والحصيد

(يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم (فاوردهم النار) ذكره بلفظ الماضى مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال (وبئس الورد المورود) اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها (واتبعوا في هذه) في هذه الدنيا (لعنة ويوم القيامة) اى يلعنون في الدنيا والآخرة (بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة في الدارين (ذلك) اى ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه (فما اغنت عنهم) فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الضر (آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك) حين جاءهم عذابه ونقمته

(وما زادوهم غير تتبيب) هلاك او تخسير (وكذلك) ومثل ذلك الاخذ (اخذ ربك) وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر (اذا اخذ القرى) اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهو فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة (ان اخذه اليم شديد) وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك) اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر بها عظة لعلمه بان مابهم حاق انموذج مما اعده الله للمجرمين فى الآخرة او ينزجر بها عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وان الناس لاينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله

• فى محفل من نواصى الناس مشهود • اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) اى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لامنتهاها فانه غير معدود (يوم يأتى) اى الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عزوجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة باثبات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة (لاتكلم نفس) لاتتكلم بما ينفع وينجى من جواب اوشفاعة

ماضى اثره وقيل القائم العامر والحصيد الخراب والضمير المرفوع فى قوله تعالى وما زادوهم للاصنام والمنصوب لعبدتها وعبر عن الاصنام بواو العقلاء لانهم نزلوها منزلة العقلاء ﴿قوله غير تتبيب﴾ هلاك تب يستعمل لازما ومتعديا يقال تب اذا هلك او خسر وتبه غيره اذا اهلكه او اوقعه فى الخسران وتفسير التتبيب بالهلاك مبنى على ان تب اللازم بنى منه فعل لقصد المبالغة وتكثير الفعل نحو ماوقف البيت والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون فى الاصنام انها تنفع وتدفع المضار ثم انهم عند احتياجهم الى المعين ماوجدوا اشيأ مما اعتقدوا فيها لاجلب نفع ولادفع ضرر ثم انهم لمالم يجدوا فيها شيأ من ذلك وجدوا بسببها مضرة عظيمة وهو انه زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب ذلك اليهم مضار الدنيا والآخرة وذلك من اعظم الهلاك واشد الخسران ﴿قوله ومثل ذلك الاخذ﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل الرفع على انه خبر مقدم للمصدر المذكور بعده فان الجمهور على ان الاول مصدر مرفوع على الابتداء والثانى فعل ماض وقرئ كلاهما فعلين ماضيين ﴿قوله اى يجمع له الناس﴾ فسر به ماوقع فى نظم القرآن لان مقتضى الظاهر ان يقال ذلك يوم يجمع له الناس لان فعل الجمع الذى وصف به اليوم مترتب بعد لم يتصف اليوم به بالفعل ليكون على وفق قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع اى لاجله ولمافيه من الحساب والجزاء ثم بين النكتة فى مخالفة مقتضى الظاهر وهى الدلالة على ان اليوم موصوف بذلك الوصف وصفا لازما وان الناس لاينفكون عن الجمع البتة فان اسم المفعول على ثبات الامرين ولزومهما بخلاف الفعل ﴿قوله ومعنى الجمع له الجمع لما فيه﴾ ضرورة ان جمع الناس ليس لاجل اليوم نفسه ﴿قوله فاتسع فيه باجراء الظرف﴾ اى بحذف الجار وتعلق الفعل بالظرف على صورة تعلقه بالمفعول به كقوله

• ومشهد قد كفيت الغائبين به • فى محفل من نواصى الناس مشهود •

نواصى الناس اشرافهم والمتقدمون منهم يقول رب مشهد عظيم الشان تكلمت فيه وكفيت الغائبين بالنطق منهم واليوم يوم مشهود فيه رؤساء الناس واماثلهم يعنى كشفت الغمة بقلب ثابت فمعنى قوله تعالى يوم مشهود يوم يشهد فيه الخلائق الموقف لايغيب فيه عنه احد فالمشهود هو الموقف والشاهدون الخلائق والمشهود فيه اليوم ﴿قوله ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه﴾ جواب عما يقال ما الداعى الى ان تجعل اليوم مشهودا فيه وان تجعل المشهود من قبيل ماحذف فيه حرف الجر اتساعا كما فى قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فان الشهر منتصب ظرفا لامفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه فالمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه على معنى فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبت الشهر على انه مفعول به وجعلت الشهر مشهودا لكان مدلول الآية ايجاب الصوم على من ادرك الشهر مقيما كان اومسافرا لان المسافر والمقيم كلاهما يشهد ان الشهر لانه يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر فهلا تجعله ابتداء مشهودا فى نفسه مع ان اليوم كما يصح ان يوصف بانه مشهود فيه بمعنى يشهد فيه الخلائق من كل ناحية لامر له شان او لخطب مهم كيوم الجمعة والعيد وعرفة يصح ان يوصف ايضا بانه مشهود اى مدرك كما تقول ادركت يوم فلان وشهر فلان فى يوم حينئذ كونه مشهودا على الاتساع • وتقرير الجواب ان المقام مقام تهويل اليوم وتعظيمه وتمييزه عن سائر الايام وهذا المقصود انما يحصل بجعل اليوم مشهودا فيه لان الايام كلها سواء فى كونها مشهودا اى مدركا وليست كذلك فى كونها مشهودا فيها وان الفرق بين الصورتين فى غاية الظهور لانه لايقال مشهود فيه الا ليوم يشهد فيه الخلائق من كل اوب لامر له شان او لخطب مهم كيوم العيد والجمعة وعرفة وايام الحروب وقدوم السلطان ويقال يوم مشهود لكل يوم ادركه احد ﴿قوله اى الجزاء﴾ على ان يكون عدم ذكر فاعل يأتى من قبيل الابهام لقصد التعظيم والتهويل كانه قيل يوم يأتى الشئ المهيب الهائل المعظم وتعين الجزاء مستفاد من سوق الكلام ﴿قوله او اليوم﴾ فان قيل يوم يأتى اليوم معناه يوم يوجد اليوم لان اتيان اليوم وجوده فيكون للزمان زمان وانه محال وايضا اليوم انما يضاف لاجل تحديده وتعيينه واضافته الى اتيان اليوم تستلزم تحديد الشئ بنفسه واليوم انما يتعين بما وقع فيه لابنفسه • اجيب بان الكلام مبنى على تقدير المضاف والمعنى يوم يأتى هول ووجود اليوم ليس وجود نفسه فلايلزم ماذكر ﴿قوله بما ينفع او ينجى﴾ قيد به لئلا يناقضه الآيات الدالة على انهم يتكلمون بدون سبق الاذن كقوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها دل على انهم يكذبون ويحلفون بالله عليه كقوله والله

ربنا ما كنا مشركين فلا ماقض قوله تعالى لاتكلم نفس من النفوس الا باذنه هذه الآيات بحسب الظاهر فخصص الكلام المدلول بقوله لاتكلم بالكلام النافع المنجي وقرينة التخصيص قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولايلزم من كون الكلام المتعلق بجلب النفع او دفع الضر موقوفا على الاذن ان يكون جميع ماصدر من اهل الموقف مسبوقا بالاذن ثم لما ورد ان يقال هذه الآية تدل على ان بعض النفوس تتكلم بالاذن ويناقضه قوله تعالى هذا يوم لاينطقون الآية فانه يدل على انهم لاينطقون اصلا ولايؤذن لهم اجاب عنه بوجهين لايخفى تحصيلهما ﴿ قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد ﴾ ظاهره يدل على ان اهل الموقف لايخرجون من هذين القسمين الذين احدهما مخلد في النار ابدا الا ماشاء ربك وثانيهما مخلد في الجنة ابدا الا ماشاء ربك فيلزم ان يكون اطفال المشركين والمجانين الذين لم يعملوا صالحا ولا كفرا غير خارجين عنهما فان قلت انهم من اهل الجنة فبلا ايمان وان قلت انهم من اهل النار فبلا ذنب روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطفال المشركين أهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين من الكفر والايمان ان عاشوا وبلغوا واعلم ان امرهم فيما يتعلق بالامور الدنيوية تبع لاشرف الابوين وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مع ابائهم وفيما يتعلق بامر الآخرة من الثواب والعقاب موقوف موكول الى علم الله تعالى لان السعادة والشقاوة ليستا معللتين عندنا بالاعمال بل الله تعالى خلق من شاء سعيدا ومن شاء شقيا وجعل الاعمال دليلا على السعادة والشقاوة وانت تعلم ان عدم الدليل وعدم العلم به لايوجبان عدم المدلول والعلم بعدمه فكما ان البالغين منهم شقي ومنهم سعيد كذلك الاطفال والمجانين ﴿ قوله فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ﴾ فان الانسان اذا عظم غمه وقوي كربه انحصرت حرارته الغريزية وروحه الحيواني في داخل قلبه وعند ذلك يحتاج الانسان الى ردنفسه في داخل قلبه على مقدار قوته وقدرته على شدة التنفس حتى تتروح تلك الحرارة القوية بدخول الهواء البارد ثم ان تلك الحرارة لما كانت محصورة في داخل القلب استولت البرودة على الاعضاء الخارجة فربما عجزت النفس عن دفع ذلك الهواء الكثير المستنشق فيبقى ذلك الهواء على قياس قول الاطباء الزفير هو استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق هو اخراج ذلك الهواء عند مجاهدة الطبيعة في اخراجه وكل واحدة من هاتين الحالتين تدل على الكرب والغم بطريق دلالة اللازم على ملزومه فكان اثبات الزفير والشهيق لهم تخييلا لتشبيه حالهم الثابتة لهم من شقاوة حرجهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه فيكون قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق استعارة مكنية وتخييلية ويحتمل ان يكون الزفير والشهيق مستعارا لصراخهم تشبيها له بصوت الحمير ﴿ قوله وقرئ شقوا بالضم ﴾ اي بضم الشين على ان يكون شقي متعديا حيث يقال شقاه الله كما يقال اشقاه الله والجمهور على فتح الشين على انه من شقي اللازم ﴿ قوله ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما ﴾ يعني ان كلمة ما في قوله تعالى مادامت السموات والارض مصدرية والمصدر المأول قائم مقام الظرف والمعنى خالدين فيها مدة دوام السموات والارض ومن المعلوم من النصوص القاطعة ان مدة بقائهما متناهية فيلزم ان يكون دوام الاشقياء في النار مرتبطا بدوامهما فيلزم ان يكون عذابهم منقطعا عند فنائهما او يكونا دائمتين كدوام عذابهم لان ظاهر هذه الآية يدل على ان مدة عذابهم مساوية لمدة بقائهما وكلاهما باطل فاجاب المصنف عنه بان ظاهر الآية وان دل على ان دوامهم في النار مرتبط بدوامهما الا انه ليس المراد من توقيت خلودهم في النار بدوامهما ان الخلود مقدر بمدة دوامهما ومنته عند فنائهما لان النصوص القاطعة تنفي ان يكون الامر كذلك بل التوقيت المذكور تعبير عن التأبيد وعدم الانقطاع والمبالغة فيه بما كانت العرب يعبرون به عن ذلك كقولهم لا افعله مادامت السموات والارض وماحنت النيب ومااطت الابل وماأورق الشجر ومااينع الثمر ومابل بحر صوفة وماجن ليل وماطرق طارق ومانطق ناطق فانهم يعبرون بمثل هذه الالفاظ عن التأبيد والمبالغة في الدوام على طريق تمثيل ماقصد تأبيده بها في التأبد وعدم الزوال بناء على اعتقادهم فلما كانت هذه الالفاظ بحسب عرفهم تفيد الابد والدوام الخالي من الانقطاع خاطب الله تعالى العرب على عرفهم واعتقادهم ولئن سلمنا ان التوقيت المذكور لبيان ارتباط دوامهم في النار بدوامهما لكن لانسلم انه يلزم من زوالهما زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان الآية عبارة ان يقال ان دامتا يدوم عذابهم فيفهم منه ان دوام عذابهم يستلزم

وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف (الا باذنه) الا باذن الله كقوله لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر والمأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة (فمنهم شقي) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لاتكلم نفس او الناس (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها مادامت السموات والارض) ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد مرت ان المفهوم لايقاوم المنطوق

دوامهما بحكم ان تحقق اللازم يستلزم تحقق الملزوم ويفهم منه ايضا ان عدم دوامهما يستلزم عدم دوام عذابهم بحكم ان عدم الملزوم ملزوم لعدم اللازم وقد تقرر ان المفهوم لايعارض المنطوق وهو دوام عذابهم وانقطاع دوامهما ﴿ قوله وقيل ﴾ اى قيل ان التوقيت المذكور لبيان دوام عذابهم بدوام سموات الآخرة وارضها فهو بمنزلة ان يقال ان دامتا يلزم دوام عذابهم وان دام عذابهم يلزم دوامهما فلا محذور ﴿ قوله وان اهل الآخرة لابدّ لهم من مظلّ ومقلّ ﴾ فما اظلهم سماء وما اقلهم ارض لان كل ما علاك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدمك فهو ارض واعترض المصنف على الجواب بان دوام السموات والارض انما ينفع لو كان المراد سموات الدنيا وارضها وليس كذلك لان الكلام فيما بعد الحشر بل المراد سموات الآخرة وارضها وهى دائمة بقوله وفيه نظر وبيانه ان محصول قوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض تشبيه عذابهم فى دوامه بدوام السموات والارض ومن المعلوم ان التشبيه انما يفيد اذا كان اتصاف المشبه به بوجه الشبه اظهر واعرف بالنسبة الى اتصاف المشبه وذلك يستلزم ان يكون نفس وجود المشبه به ظاهرا معروفا والحال ان اكثر الخلق لايعرف وجود سموات الآخرة وارضها فضلا عن دوامهما وانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فيكون اتصاف المشبه بوجه الشبه اعرف بالنسبة اليه فلا يجدى له التشبيه واجاب عنه صاحب الكشاف عفا الله عنه بقوله اقول اما اذا اريد مايظلهم ومايقلهم فهو ظاهر السقوط لان هذا القدر معلوم الوجود لكل عاقل واما الدوام فليس مستفادا من دليل دوام الثواب والعقاب بل مايدل على دوام الجنة والنار سواء عرف اتحاد دار الثواب والعقاب وان اظلهما السمآء والاشياء من الناس ام لا فليس تشبيها من باب تشبيه مايعرف بما لا يعرف بل الامر بالعكس انتهى كلامه ووجه كونه من باب تشبيه مالايعرف انه شبه تلك الدار بهذه الدار واثبت لها مالهذه الدار من المظلة والمقلة والجامع كونهما جنسين ﴿ قوله استثناء من الخلود ﴾ اى من حكم الخلود المستثنى منه الزمان المدلول عليه بقوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض اى الا الزمان الذى او الا زمانا شاء ربك فلا يخلدون فيه على ان ما موصولة او موصوفة ويحتمل ان يكون المستثنى منه الضمير المستتر فى خالدين فتكون كلمة ما عبارة عن من على رأى من رأى ذلك كأنه قيل الحق الذى لامحيص عنه ان يحمل ما على معنى من لافادة معنى الوصفية وهى المرحومية لتؤذن ان اخراجهم بمحض مشيئته وسبق رحمته لا لاستحقاق منهم فيطلق عليه قوله تعالى ان ربك فعال لما يريد وتحقيقه ان قوله تعالى خالدين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار فى الظرف وهو قوله فى النار وانت تعلم ان الحال قيد للحكم فاذا اتى الحكم عن البعض بالاستثناء بقى كونه مقيدا والمعنى ان الذين شقوا مستقرون فى النار مقدرين الخلود الا المرحوم الذى شاء الله ان لايستقر مخلدا فيفيد اما ان لايستقر فيها مطلقا او يستقر غير مخلد واحوال العصاة على هذا النهج كما علم من النصوص الصحيحة نقل الامام عن بعض المفسرين انهم قالوا هذا الاستثناء يفيد اخراج اهل التوحيد من النار لان قوله الا ما شاء ربك يوجب ان لايبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفى فى زوال حكم الخلود زواله عن بعضهم فوجب ان لايبقى حكم الخلود لبعض الاشقياء ولما ثبت ان الخلود واجب للكفار وجب ان يقال ان الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق من اهل الصلاة واما قوله تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة فيفيد ان جملة السعداء محكوم عليهم بهذا الحكم وقوله الا ما شاء ربك اوجب زوال حكم الخلود عن المجموع فى الجنة ويكفى فى زواله عن المجموع زواله عن البعض وما ذلك البعض الا الفساق من السعداء وليس زوال حكم الخلود عنهم بان يدخلوا الجنة ثم يخرجوا منها الى النار وان كل من دخل الجنة فهو خالد فيها بعد دخوله فيها بل المراد من زوال حكم الخلود عنهم عدم دخولهم فيها من اول الامر وهم ماخلدوا فيها تخليد من دخلها اول وهلة فان الخلود فى مكان كما ينتفى بالانتقال منه انتفاء ينتفى ايضا بان لايدخله ابتداء والفساق مفارقون عن الجنة ايام عذابهم ﴿ قوله او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره الخ ﴾ تعليل ثان لكون الاستثناء من الخلود فى النار والمراد باصل الحكم كونهم فى النار وهو اصل بالنسبة الى قيده الذى هو خلودهم فيها فكأنه تعالى قال واما الذين شقوا ففى النار الآية الا وقت وقوفهم فى الموقف للحساب فانهم فى ذلك الوقت لايكونون فى النار كما لايكونون فى الجنة ﴿ قوله او مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ﴾ عطف على قوله زمان توقفهم فى الموقف كأنه قيل خالدين فيها الا مقدار لبثهم فى الدنيا والبرزخ ﴿ قوله وقيل هو ﴾ اى الاستثناء من قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق كأنه قيل لهم زفير

وقيل المراد سموات الآخرة وارضها و
عليه قوله يوم تبدّل الارض غير الار
والسموات وان اهل الآخرة لابدّ لهم
مظل ومقل وفيه نظر لأنه تشبيه بما لايعر
اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عر
فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقـ
فلا يجدى له التشبيه (الا ما شاء ربك) است
من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فسـ
الموحدين يخرجون منها وذلك كاف
صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الـ
يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاست
الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذا
فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعـ
الابتدآء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤ
وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسـ
تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صـ
كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشر
من حيث التقسيم لانفصال حقيقى او مـ
من الجمع وههنا المراد ان اهل المو
لايخرجون عن القسمين وان حالهم لايخـ
عن السعادة والشقاوة وذلك لايمنع اجتـ
الامرين فى شخص باعتبارين او لان ا
النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره
العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمـ
بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القد
والفوز برضوان الله ولقائه او من اصـ
الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى المو
للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكو
فى النار حين يأتى اليوم او مدة لبثهم فى الد
والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مـ
باليوم على هذا التأويل يحتمل ان يكو
الاستثناء من الخلود على ما عرفت و
هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق

وقيل الاهها بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لاينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اى اعطوا عطاء او الحال من الجنة (فلا تك في مرية) شك بعدما انزل عليك من مآل امر الناس (مما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤدّ الى مثل ماحل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال مايعبدونه في انه يضر ولا ينفع (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اى هم وآباؤهم سوآء في الشرك اى مايعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او مايعبدون شيأ الا مثل ماعبدوه من الاوثان وقد بلغك مالحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضى التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام مايوجبه (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بانزال مايستحقه المبطل ليتميز به عن المحق (وانهم) وان كفار قومك (لفي شك منه) من القرآن (مريب) موقع للريبة (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا

(قوله)

وشقيق في جميع ازمنة كونهم في النار الا ماشاء ربك ان يقطع دلك عنهم بان يصيروا ساكنين خامدين ﴿قوله وقيل الاهها بمعنى سوى﴾ والمعنى انه تعالى لما قال خالدين فيها مادامت السموات والارض ثم قال سوى مازاد على ذلك من الخلود الدائم ذكر اوّلا في خلودهم ما يعدّ عند العرب مدة الخلود ثم زاد عليها الدوام الذي لا آخر له بقوله تعالى الا ماشاء ربك اى سوى ماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها ثم قال تعالى ان ربك فعال لما يريد حيث قهر كافة الاشقياء بالخلود في النار واستثنى منهم الذين تعلقت مشيئته بمغفرتهم واعفائهم عنها روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة رضي الله عنه مثله ومعناه عند اهل السنة انه لايبقى من اهل الايمان واما مواضع الكفار فمملوءة ابدا واعلم ان الله تعالى لما قص خبر عبدة الاوثان وذكر ماحل بهم من عذابه ثم اتبعه بذكر ما اعدّ للاشقياء والسعدآء شرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين من قومه تسلية وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم فقال الله تعالى فلا تك في مرية اصله فلا تكون حذفت نونه لكثرة الاستعمال ولان النون الساكنة لم تبق عند التلفظ بها الا مجرد الغنة فاذا وقعت في آخر الكلمة التي هي محل التغيير حذفت تشبيها لها بحرف العلة والمعنى اذا تبين عندك ماقصصت لك من قصص المتقدمين من المشركين فلا تك في شك من عبادة هؤلاء الحاضرين من المشركين وكن على جزم في انها ضلال مؤدّ الى سوء العاقبة على ان ما مصدرية ويجوز ان تكون ما موصولة اى من حال الذي يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ثم قال على سبيل الاستئناف مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين ﴿قوله لتقييد التوفية﴾ يعني ان قوله تعالى غير منقوص حال مؤكدة من المفعول وهو النصيب الموفى فان توفية الحق اعطاؤه تماما كاملا فالموفى لايجوز ان يكون ناقصا فيجب ان يكون سبيل قوله تعالى غير منقوص سبيل الحال المؤكدة وهي ان تقرر مضمون الجملة لدفع توهم التجوز كما في قوله تعالى ثم وليتم مدبرين فان قوله تعالى انا لموفوهم نصيبهم لولم يقيد بقوله تعالى غير منقوص لتوهم ان قوله تعالى انا لموفوهم بمعنى لمعطوهم ولو مجازا فلما قيده اندفع التوهم فكان حالا مؤكدة ثم انه تعالى لما بين في الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد بين ايضا اصرارهم على انكار نبوته صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بكتاب الله فانزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل ان اختلف فيما انزل عليك فلا يشق عليك فقد اختلف فيما انزل على من قبلك ﴿قوله وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف﴾ اى باسكان النون في قوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم والباقون بتشديدها وكذا انهم قرأوا لما بتخفيف الميم ومن قرأ ان مخففة يعملها اعتبارا للاوّل لان الفعل يعمل بعد التخفيف كما كان يعمل اوّلا بدون التخفيف نحو لم يك زيد قائما فكذلك الحرف الذي يعمل بمشابهة الفعل واعمال المخففة لغة ثابتة عند العرب سمع من واحد منهم وهو يقول ان عمرا لمنطلق وقال آخر كأن ثدييه حقان ووجه تخفيف لما ذكره المصنف من ان اللام فيه هي الموطئة للقسم واللام في ليوفينهم لام الابتدآء او بالعكس اى اللام الاولى ابتدآئية والثانية لام جواب قسم مضمر والجملة من القسم وجوابه خبران ولما اجتمع اللامان فصل بينهما بما كما فصل بالالف بين النونين في يضربنان فتكون كلمة ما هنا زآئدة جيء بها للفصل اصلاحا للفظ ووجه التشديد في لما ان اصله لمن ما بكسر الميم على انها من الجارة دخلت على ما الموصولة او الموصوفة والمعنى لمن الذين والله ليوفينهم او لمن خلق او جماعة والله ليوفينهم فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ما وجب ادغامها فيها فقلبت ميما وادغمت فاجتمع في اللفظ ثلاث ميمات فحذفت اولاهن فصار لما ﴿قوله وقرئ لما بالتنوين﴾ فيكون لما مصدر قولك لممته اى جمعته لما وانتصابه على انه صفة كل على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة والتقدير وان كلا لما اى جمعا ليوفينهم جزآء اعمالهم والمصدر ههنا بمعنى المفعول اى كلا مجموعا وصف به الكل للدلالة على الاجتماع فان الكل يحتمل الاجتماع والافتراق ونقل عن ابن جني رحمه الله انه قال لما بالتنوين مصدر كالذي في قوله تعالى وتأكلون التراث اكلا لما اى جامعا للاجزآء المأكول ولذلك تقديرها وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اى ليوفينهم توفية جامعة لاعمالهم جمعا ومحصلة لاعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياما لاقومن وقعودا لاقعدن يعني ان قوله تعالى لما في هذه القرآءة منصوب بقوله تعالى ليوفينهم ربك اعمالهم على انه مفعول مطلق له من غير لفظه كأنه قيل توفية جامعة لاعمالهم ليوفينهم كما تقول قياما لاقومن وقال ابو البقاء رحمه الله وانتصابه على الحال من ضمير المفعول في ليوفينهم ضعيف

كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (إنه بما يعملون خبير) فلا يفوت عنه شئ منه وان خفى (فاستقم كما امرت) لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوّت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود (ومن تاب معك) اى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حدّ لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرّف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصوّر في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه (وما لكم من دون الله من اولياء) من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لا تنصرون) اى ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا (واقم الصلاة طرفي النهار) غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشيّ وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير انى لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصي (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر

﴿ قوله وان كل لما ﴾ عطف على قوله لما بالتنوين اى وقرئ وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اى ان كل نفس الا عليها حافظ وصرّح المصنف رحمه الله في سورة الطارق بان عاصما وابن عامر وحمزة رحمهم الله قرأوا في هذه السورة لما ليوفينهم وفي يس لما جميع وفي الطارق لما عليها حافظ بتشديد الميم في الثلاث والباقون بتخفيفها وصرّح ابن الصائغ رحمه الله في سورة الطارق بان لما المشدّدة بمعنى الا وان ان نافية ومعنى الآية ان من عجلت عقوبته او اخرت ومن صدّق الرسل ومن خالفهم سواء في انه تعالى يوفيهم جزاء اعمالهم في الآخرة فجمعت الآية الشريفة الوعد والوعيد لان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله تعالى انه بما يعملون خبير تأكيد للوعد والوعيد فانه تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات كان عالما بمقادير الطاعات والمعاصي فكان عالما بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء فحينئذ لا يضيع شئ من الحقوق وذلك نهاية البيان وقرأ العامة يعملون بياء الغيبة اجراء على ما تقدم من المختلفين وقرئ بما تعملون على الخطاب التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقوله تعالى يعبد هؤلاء وانه بما يعملون بصير مخالف لهذا فان العامة قرأوه بتاء الخطاب جريا على الخطاب المتقدم وقرئ بياء الغيبة التفاتا من الخطاب الى الغيبة قال الامام رحمه الله تعالى وعندي لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما دل على عموم النص وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى فاستقم كما امرت والعمل بالقياس انحراف عنه ولذا لما ورد القرآن بالامر باعمال الوضوء في الاعضاء مرتبة في اللفظ وجب الترتيب فيها ولما ورد الامر في الزكاة باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله به كل ذلك لقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا بفتح الكاف من باب قتل يقتل وقوله فتمسكم النار منصوب باضمار ان في جواب النهي وقوله تعالى وما لكم من دون الله الآية حال من مفعول فتمسكم اى تمسكم حال انتفاء ناصركم ويجوز ان تكون مستأنفة وقوله تعالى ثم لا تنصرون جملة فعلية معطوفة على الاسمية قبلها وقرئ بحذف النون اى بحذف نون الرفع عطفا على تمسكم وكلمة ثم فيه اما لاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم مع استحقاقهم العذاب مع ركونهم او منزل منزلة الفاء السببية في الدلالة على ان مساس النار لهم في حال انتفاء ناصريهم سبب لانتفاء كونهم منصورين بالكلية مع الدلالة على استبعاد النصرة ثم انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم بالاستقامة في العقائد والاعمال التي من جملتها اقامة الصلاة اردفه بالامر في اقامتها خاصة تنبيها على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى طرفي النهار ظرف لاقم والطرف وان لم يكن موضوعا للظرفية الا انه لما اضيف للظرف اعرب باعرابه ونظيره قولك ضلته اول النهار وآخره ونصف الليل فان هذه الكلمات منصوبة على الظرفية لكونها مضافة الى الظرف وقرأ العامة زلفا بضم ففتح على انه جمع من القرآءة بضمتين كما قالوا بسر وبسر في جمع بسر وقرئ وزلفى بمعنى زلفة وقول المصنف رحمه الله تعالى وساعات منه قريبة من النهار اشارة الى ان الزلفى اول ساعات النهار وانه منصوب على الظرفية لعطفه على طرفي النهار قال الامام رحمه الله كثرت الاقوال في تفسير طرفي النهار والاقرب ان الصلاة التي تقام في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار طلوع الشمس والطرف الثاني منه غروب الشمس فالصلاة التي تقام في الطرف الاول هي صلاة الفجر والتي تقام في الطرف الثاني لا يجوز ان تكون صلاة المغرب لانها داخلة في التي تقام في زلف من الليل فوجب حمل ما تقام في الطرف الثاني على صلاة العصر واذا عرفت هذا كانت الآية دليلا على قول ابي حنيفة رحمه الله ورضي عنه ان التنوير بالفجر افضل وان تأخير العصر افضل وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على وجوب اقامة الصلاة في طرفي النهار وبينا ان طرفي النهار هو الزمان الاول لطلوع الشمس والزمان الاول لغروبها واجمعت الامة على ان اقامة الصلاة في ذلك الوقت من غير ضرورة غير مشروع فقد تعذر العمل بظاهر هذه الآية فوجب حمله على المجاز وهو ان يكون المراد اقام الصلاة في الوقت الذي يقرب من طلوع الشمس ومن غروبها ولا شك ان هذا الحمل اقرب الى ظاهر اللفظ وان اقامة صلاة الفجر عند التنوير اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها وقت التغليس وكذلك اقامة صلاة العصر عند ما يصير ظل كل شئ مثليه اقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل شئ مثله والمجاز كلما كان اقرب الى الحقيقة كان حمل اللفظ عليه اولى فثبت ان ظاهر هذه الآية يقوّي قول ابي حنيفة رحمه الله ورضي عنه في هاتين المسئلتين فظهر بهذا سرّ قول المصنف رحمه الله لان صلاة الصبح اقرب الصلوات من اول النهار ثم قال رحمه الله واما قوله تعالى

وزلفا من الليل فهو يقتضي الامر باقامة الصلاة في ثلاث زلف من الليل لان اقل الجمع ثلاثة والمغرب والعشاء وكان يجب الحكم بوجوب الوتر حتى تحصل زلف ثلاث يجب ايقاع الصلاة فيها واذا ثبت وجوب الوتر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب في حق الامة ايضا لقوله فاتبعوه ونظير هذه الآية بعينها قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فالذي قبل طلوع الشمس هي صلاة الفجر والذي قبل غروبها هي صلاة العصر ثم قال ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وهو نظير قوله تعالى وزلفا قال سعيد بن جبير رضي الله عنه طرفا النهار الغداة والعشي فالصلاة التي في طرف الغداة صلاة الفجر والتي في طرف العشي الظهر والعصر وفي الخبر صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي العشي اما الظهر واما العصر ونقل عن الامام الواحدي رحمه الله انه قال نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى طرفي النهار يريد الصبح والظهر والعصر وهو قول مجاهد ومحمد بن كعب رحمهما الله وقال الزجاج رحمه الله تعالى صلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر وذهب ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعامة اهل التفسير الى ان تعريف الحسنات للعهد الخارجي والمراد ان الصلوات الخمس تكفرن ما بينهن من الذنوب وعن مجاهد رحمه الله ان الحسنات هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ﴿ قوله فهلا كان ﴾ اشارة الى ان كلمة لولا تحضيضية دخلت على الماضي بمعنى التفجع عليهم فكان قريبا من اسلوب قوله تعالى يا حسرة على العباد ومن القرون يجوز ان يتعلق بكان لانها تامة اذ المعنى فهلا وجد من القرون او حدث ونحو ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من اولوا بقية لانه لو تأخر عنه جاز ان يكون نعتا له ومن قبلكم حال من القرون وينهون حال من اولوا بقية لتخصصه بالاضافة ويجوز ان يكون نعتا لاولوا بقية وهو اولى ثم لما بين الله تعالى ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين ان السبب فيه امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض ومعنى الآية فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم اولوا بقية والسبب الثاني في نزول عذاب الاستئصال بهم ما ذكره بقوله تعالى واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه قرأ العامة بقية بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء وفيها وجهان احدهما انها صفة على فعيلة بمعنى فاعل ثم غلبت الاسمية عليها حيث لم يحتج الى ذكر الموصوف واجرائها عليه بل جعلت عبارة عن كل ما اطلق عليه الخير من العقل والتمييز والفضل فلذلك دخلت التاء فيه فانها تدخل على الصفات لتدل على غلبة الاسمية عليها كالنطيحة والذبيحة والوجه الثاني ان تكون مصدرا كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وغضبه ﴿ قوله وانما سمي بقية ﴾ يعني ان البقية بمعنى الصفة كناية عما اطلق عليه انه خير وجيد من قوة العقل والتدبير ومن الصفات الفاضلة والاخلاق المرضية بناء على ان الاستبقاء من لوازم الجيرية والجودة فان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ويكسبه ﴿ قوله لكن قليلا منهم انجيناهم ﴾ يعني ان قوله تعالى الا قليلا فانهم كانوا ينهون لان من شأن الاستثناء المتصل ان يصح نفي ما استثني منه عن المستثنى واثبات ما ليس للمستثنى منه للمستثنى كقولك جاءني القوم الا زيدا فانه ما جاءني وما جاءني احد الا زيدا فانه جاءني بخلاف ما اذا لم يحمل الكلام على ظاهره بل اريد به النفي اللازم للتحضيض ضرورة ان التحضيض على الشيء انما يكون بانتفائه فانه حينئذ يصح ان يحمل الاستثناء متصلا فكأنه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا وهو معنى صحيح وغاية ما في الباب انه انتصب المستثنى في غير الموجب مع ان الافصح ان يرفع على البدل ولا محذور فيه كيف وقد قرئ ما فعلوه الا قليل منهم بالرفع وكلمة من في قوله تعالى ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض وذلك لان البيان والمبين شيء واحد كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فعلى تقدير جعلها للبيان يكون القليل الذين نجاهم الناجون وحدهم دون غيرهم ويكون الكثير الذين لم ينهوا محكوما عليهم بالعذاب وهذا المعنى مطابق لما في سورة الاعراف من قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس واما اذا حمل على التبعيض يكون ممن انجينا بدلا من قليلا فيلزم ان يكون الناهون بعض الناجين غير الناهين وليس كذلك بل لما مر من ان كل من هو غيرهم محكوم عليه بالعذاب ﴿ قوله ما اترفوا فيه اي ما انعموا فيه من الشهوات ﴾ يريد ان الاتراف افعال من الترف وهو النعمة يقال صبي مترف اي منعم بسبب الاهتمام في شأنه وفي الكشاف واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف والتنعم من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم جعل الشهوات مترفا فيها اي منعما بناء على اعتقادهم ان

(فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم اولوا بقية) من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه (ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم) لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) اي ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر

(نعيم)

تعمهم في ضمنها ﴿ قوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام ﴾ لما مر من ان التحضيض يدل على انتفاء المحضض عليه ولم يجز عطفه على انجينا لانه صلة من ويمتنع وقوع واتبع صلة ولامعنى لجعله حالا من انجينا لان انجاء القليل ليس في اتباع الكثير الشهوات فتعين جعله عطفا على مقدر الا ان صاحب الكشاف جعله معطوفا على نهوا المقدر خبرا لانه بمعنى لكن والمصنف عطف على مادل عليه جملة التحضيض ولعله نظر الى ان ما اختاره عطف احد سببي الاستئصال على الآخر الا انه وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى واتبع الذين ظلموا للتصريح بان اتباع الشهوات ظلم منهم وانه هو المؤدي الى الاستئصال وهذه المناسبة منتفية فيما اختاره صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه ﴿ قوله وأتبع ﴾ بضم همزة القطع وسكون التاء وكسر الباء على بناء المجهول من باب الافعال ولابد حينئذ من حذف مضاف اي واتبعوا جزآء ما اترفوا فيه وما يجوز ان تكون بمعنى الذي وهو الظاهر لرجوع فيه له ويجوز ان تكون مصدرية اي جزآء اترافهم فحينئذ لايحتاج الى تقدير المعطوف لصحة جعل الواو للحال بتقدير قد كأنه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزآء اترافهم وهو ترتيب حسن لانه ذكر اولا انجاء الناجين ثم بين هلاك الذين لم ينهوا كأنه قيل وانجينا القليل واتبع الذين لم ينهوا ثم انه تعالى لما بين ان سبب اهلاك الامم السالفة امران الاول فشو الظلم فيما بينهم والثاني اتباعهم الشهوات بين انه ليس من شأنه ولايصح له ان يهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين في المعاملات الواقعة فيما بينهم والحاصل ان عذاب الاستئصال لاينزل لاجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك العذاب اذا اساؤا في المعاملات وسعوا في ايذآء الخلق وظلمهم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح ويقال في الاثر الملك يبقى مع الكفر ولايبقى مع الظلم واللام في قوله تعالى ليهلك لام الجحود وينتصب الفعل بعدها باضمار ان وهي متعلقة بخبر كان المحذوف والتقدير وماكان الله مريدا لاهلاك القرى بمجرد الظلم والمراد به ههنا الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون يهلك خبر كان زيدت اللام فيه دلالة على التأكيد وبظلم متعلق بيهلك والباء فيه سببية وجوز الزمخشري عفا الله عنه ان يكون حالا من فاعل ليهلك وقوله واهلها مصلحون جملة حالية ﴿ قوله الا ناسا الخ ﴾ اشارة الى ان الاستثناء متصل من الضمير في مختلفين وان جاز كونه استثناء من فاعل يزالون ولاضرورة تدعو الى جعله استثناء منقطعا بمعنى لكن من رحم لم يختلفوا ﴿ قوله واللام للعاقبة ﴾ لاللعلة لان افعاله تعالى غير معللة ولانه تعالى لوخلقهم للاختلاف واراده منهم لكان لايجوز ان يعذبهم عليه اذا كانوا مطيعين له تعالى بذلك الاختلاف وكانت الآية حينئذ مخالفة لقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴿ قوله او اليه والى الرحمة ﴾ اي ان كان الضمير للناس يجوز ان تكون الاشارة الى الاختلاف والى الرحمة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد انه تعالى خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وهذا اختيار الفرآء والزجاج قال الزجاج رحمه الله ويدل على صحة هذا قوله تعالى بعده وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قال الكلبي رحمه الله يريد من كفار الجن وكفار الانس وهذا تصريح بانه تعالى خلق اقواما للهداية والجنة واقواما للضلالة والنار واجمعين تأكيد والاكثر ان يسبق بكل وقد جاء ههنا بدونها ﴿ قوله وكل نبأ ﴾ اشارة الى ان كلا منصوب على انه مفعول به قدم على عامله وتنوينه عوض عن المضاف اليه المحذوف ومن انباء بيان له او صفة وما نثبت بيان لكلا او منصوب باضمار اعني او بدل من كلا ﴿ قوله وفائدته ﴾ اي فائدة ايراد قوله مانثبت به فؤادك على سبيل البيان او البدلية التنبيه على ماهو المقصود من ذكر القصص المذكورة في هذه السورة فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام مع اتباعهم مثل حاله مع امته صلى الله عليه وسلم سهل عليه تحمل اذى قومه وامكنه الصبر عليه فان الانسان اذا ابتلي بمحنة وبلية فرأى جماعة يشاركونه فيها خف على قلبه بليته كما يقال البلية اذا عمت وطابت ومع ذلك يحصل له صلى الله عليه وسلم باستماع تلك الاقاصيص من زيادة اليقين وطمأنينة القلب فيما يتعلق بكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته على عباده مالايطلع على كنهه الا هو سبحانه وتعالى ﴿ قوله او مفعول ﴾ عطف على قوله بيان لكلا ويحتمل ان يكون مانثبت مفعولا لنقص ويكون كلا منصوبا على المصدر بان يكون تنوين كلا عوضا عن المضاف اليه المحذوف الذي هو الاقتصاص وذهب اكثر

وقوله واتبع عطف على مضمر دل علي…
الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفسا…
واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف…
على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع ا…
واتبعوا جزآء ما اترفوا فيكون الواو للحا…
ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضد…
تقدم الانجاء (وماكان ربك ليهلك القر…
بظلم) بشرك (واهلها مصلحون) فيما…
بينهم لايضمون الى شركهم فسادا وتباغ…
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه…
ولذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق…
حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر…
ولايبقى مع الظلم (ولوشاء ربك لجعل…
الناس امة واحدة) مسلمين كلهم وهو…
دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وا…
تعالى لم يرد الايمان من كل احد وا…
ما اراده يجب وقوعه (ولا يزالون…
مختلفين) بعضهم على الحق وبعضه…
على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا…
(الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله…
من فضله فاتفقوا على ماهو اصول دين…
الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان…
كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف…
واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان…
لمن فالى الرحمة (وتمت كلمة ربك) وعيد…
او قوله للملائكة (لاملأن جهنم من الجن…
والناس) اي من عصاتهما (اجمعين)…
او منهما اجمعين لامن احدهما (وكلا)…
وكل نبأ (نقص عليك من انباء الرسل)…
نخبرك به (مانثبت به فؤادك) بيان لكلا…
او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود…
من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة…
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال…
اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على…
المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص…
نقص عليك مانثبت به فؤادك من انبا…
الرسل (وجاءك في هذه) السورة او الانبا…
المقتصة عليك (الحق) ماهو حق

(وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (انا عاملون) على حالنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم (ولله غيب السموات والارض) خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما (واليه يرجع الامر كله) فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد (وما ربك بغافل عما تعملون) انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفي آخر النمل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى.

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية﴾

﴿وآيها مائة واحدى عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا انزلناه) اى الكتاب (قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروأ بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك احسن القصص) احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب

المفسرين رحمهم الله الى ان هذه في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق اشارة الى هذه السورة الكريمة وتخصيصها بالحكم بمجيء الحق فيها مع ان ما جاء في جميع السور حق يحق تدبره واذعانه والعمل بمقتضاه لتشريفها لها ورفعا لمنزلتها ﴿قوله اشارة الى سائر فوائده العامة﴾ يعني ان في ايراد القصص المذكورة في هذه السورة فائدتين تختصان به صلى الله عليه وسلم اشار اليهما بقوله وكلا نقص وبقوله تعالى وجاءك في هذه الحق وفائدة ثالثة تعم المؤمنين اشار اليها بقوله تعالى وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴿قوله وقرأ نافع وحفص يرجع﴾ بضم الياء وفتح الجيم اى يرد وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم اى يعود الامر كله اليه حتى لا يكون لخلق امر موجد لها ﴿قوله تعملون انت وهم﴾ اشارة الى انه اختار قرآءة نافع وحفص وابن عامر وهي القرآءة بتاء الخطاب على تغليب الخطاب على الغيبة تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود والحمد لله الودود والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشفاعة العظمى والحوض المورود وعلى آله وصحبه ما تجدد الوجود وتساعد المقصود في اليوم التاسع من المحرم من شهور سنة اربع وثلاثين وتسعمائة

﴿سورة يوسف عليه السلام كلها مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ الظاهر ان الر اسم للسورة وانه في محل الرفع على انه مبتدأ حذف خبره او خبره مبتدأ محذوف والتقدير الر هذه السورة او هذه السورة الر اى مسمى هذا الاسم ان بنيتها على اصل معانيها وهي ان تكون اسماء للحروف التي تتركب منها الكلم وان جعلتها تعديدا للحروف على طريق التحدي نزلتها منزلة ان يقال المؤلف من هذه الحروف والمؤلف منها هو المتحدى به وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بفتح الراء على التفخيم والباقون بكسرها على الامالة والاصل في امثالها ترك الامالة كما تركت في ما ولا لان ألفاتها ليست منقلبة عن الواو ومن امالها نظر الى ان هذه الالفاظ اسماء للحروف المخصوصة فقصد بامالتها التنبيه على انها اسماء لا حروف ثم انهم اتفقوا على ان قوله الر وحده ليس آية واتفقوا على ان قوله طه وحده آية والفرق ان قوله الر لا يشاكل مقاطع الآى التي بعد قوله تعالى طه فانه يشاكل مقاطع الآى التي بعده ﴿قوله اى تلك الآيات آيات السورة﴾ اشارة الى ان تلك مبتدأ وما بعده خبره ومن المعلوم ان المشار اليه لا بد ان يتقدم على الاشارة لان الشيء ما لم يوجد لا يمكن ان يشار اليه الا انه لا يمكن ان يكون موجودا في الخارج قبل الاشارة بل يكفي ان يكون موجودا في ذهن المخاطب قبلها وما نحن فيه من هذا القبيل فان الر سواء جعل اسما للسورة او جعل تعديدا للحروف يدل على السورة او المتحدى به المؤلف من الآيات وعلى التقديرين يحضر في ذهن المخاطب الآيات التي تضمنتها السورة او المتحدى بها فصح ان يشار اليها باعتبار حضورها عندها وان كانت مترتبة بحسب الوجود الخارجي فان صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك تصور فراق بينهما عند حلول الميعاد فاشار اليه وجعله مبتدأ وخبرا ولما ورد على قوله تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب ان يقال على تقدير ان يكون المراد بالكتاب السورة يكون حاصل الكلام آيات السورة آيات السورة ولا فائدة فيه اشار الى دفعه بان المراد بالمبتدأ الآيات من حيث حصولها في ضمن السورة وبالخبر الآيات من حيث كونها موصوفة بكونها ظاهرة الاعجاز او المعاني او بكونها مظهرة لغيرها ما يعمه فلما تحقق التغاير بين الموضوع والمحمول بهذا الاعتبار حصلت الفائدة من الحكم وان اتحدا ذاتا وقوله الظاهر امرها مبني على ان يكون المبين من أبان بمعنى بان اى ظهر ووضح وقوله او المبينة مبني على كون أبان بمعنى بين واوضح على الاول يحتمل ان يكون المراد بالظهور ظهور البيان بكونه معجزا للعرب موجبا لتبكيتهم او ظهور معانيه للعرب لكونه نازلا بلسانهم وعلى الثاني لا بد من تقدير مفعول وهو كونه من عند الله تعالى لا من كلام البشر او ما سأله اليهود ﴿قوله وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا﴾ لانه في نفسه لا يبين الهيئة وانما تبين بتبيينها بالغير وما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة فقوله تعالى قرآنا كذلك ولا يكون مبينا لهيئة بنفسه الا اذا اعتبر كونه بمعنى المفعول ﴿قوله احسن الاقتصاص﴾ على ان يكون لفظ المصدر باقيا على المعنى المصدري ﴿قوله او احسن ما يقص﴾ على ان يكون المصدر بمعنى المفعول او على ان يكون القصص فعلا بمعنى المفعول وهو المقصوص فان القصص مصدر يقال قص الحديث يقصه قصصا كقوله شله يشله شللا فان اريد به المعنى المصدري يكون المعنى احسن الاقتصاص ويكون انتصابه على انه مصدر

(مؤكد)

واشتقاقه من قص اثره اذاتبعه (بما اوحينا) بايحائنا (اليك هذا القرآن) يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا معمول نقص على ان احسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة (اذ قال يوسف) بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التشبيه لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا ابت) اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض حرف يناسبها الا ابن عامر فتحها في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (اني رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي من قبل (احد عشر كوكبا والشمس والقمر) روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها (رأيتهم لي ساجدين) استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم

مؤكد ويكون المقصوص محذوفا اكتفاء بدلالة قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن عليه وان كان بمعنى المفعول يكون المعنى احسن المقصوص ويكون منصوبا على انه مفعول به جعل الله تعالى اقتصاص هذه القصة على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم احسن من اقتصاصها على موسى عليه الصلاة والسلام في التوراة لما روي ان اليهود تفاخروا بان الله تعالى بين لهم قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة وهي غير مذكورة في القرآن فنزلت هذه السورة على ابدع طريقة واعجب اسلوب بلغة العرب الفصحى من لغة اليهود ليزول افتخارهم على المسلمين وعلى تقدير ان يكون المراد بالقصص المقصوص جعل هذه القصة احسن مايقص لاشتمالها على الحكم والآيات والعبر التي ليست في غيرها قال محيي السنة رحمه الله تعالى سمى الله تعالى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من الفوائد ولذلك قيل ان سورة مريم وسورة يوسف عليه الصلاة والسلام يتفكه بهما اهل الجنة وقيل لايسمع سورة يوسف محزون الا استروح اليها ثم الظاهر انه ليس المراد ان قصته عليه الصلاة والسلام احسن الاقاصيص المفيدة بما تضمنته قصة يوسف عليه السلام من الفوائد كمعرفة سير الملوك والمماليك ومكر النساء وغيرها مما ذكر آنفا

﴿قوله واشتقاقه﴾ ليس المراد ان القصص مع انه مصدر ومأخذ لما يشتق منه من المشتقات مشتق من قص اثره اذا تبعه لان الاشتقاق باي معنى كان انما يتحقق اذا اتحد المشتق منه والمشتق في اصل المعنى المصدري النسبي الذي هو مدلول جوهر الحروف ولم يختلفا الا بمفهوم الصيغة وهيئة ترتيب الحروف والقصص بمعنى الحكاية والرواية ليس بمشتق فضلا على ان يتحد معنى قصه بمعنى تبعه بل المراد من الاشتقاق النقل المبني على المناسبة بين المعنى الاصلي المنقول منه والمعنى المنقول اليه فمعنى كلامه ان المعنى الاصلي للقصص هو الاتباع قال الله تعالى وقالت لاخته قصيه نقل الى قص الحديث اي حكاه ورواه وذلك لان حاكي الحديث يتبع ماحفظه شيأ فشيأ كما ان المعنى الاصلي للتلاوة هو الاتباع ثم نقلت الى معنى القرآءة لان القارئ يتلو اي يتبع ماحفظه شيأ فشيأ وقيل القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والباء في قوله تعالى بما اوحينا اليك متعلقة بنقص وما مصدرية والمعنى نقص عليك بوحينا اليك هذا القرآن وضمير من قبله يرجع الى الايحاء او القرآن ﴿قوله ان جعل مفعولا﴾ اي ان جعل احسن القصص بمعنى احسن مايقص من المقصوص جاز ان يكون وقت قول يوسف بدلا منه لان المقصوص هو قول يوسف عليه الصلاة والسلام ووقته مشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف واما اذا كان المراد احسن الاقتصاص فلا يجوز الابدال حينئذ بل يتعين تقدير اذكر لان الاقتصاص انما هو في زمان الوحي الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزمان يوسف عليه الصلاة والسلام غير مشتمل على ذلك الاقتصاص ﴿قوله على التلعب به﴾ فان العرب اذا عربت ماليس بعربي يعبرون بانواع التغيير فيصيرون بذلك كانهم يتلعبون به فمفتوح السين وان كان على وزن المضارع المبني للمفعول ومكسور السين على وزن المضارع المبني للفاعل من آسف وكان ينبغي ان لاينصرف لوزن الفعل والتعريف الا انه لما لم ينصرف على القرآءة المشهورة للعجمة والتعريف تعين اعتبار عجمته على غير المشهورة لئلا يلزم كون اللفظ عربيا تارة واعجميا اخرى ﴿قوله لتناسبهما في الزيادة﴾ اي لتناسب ياء الاضافة وتاء التأنيث من حيث كون كل واحدة منهما زيادة ملحقة بآخر الاسم ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكونها تاء التأنيث قلبت هاء ولو كانت اصلية لبقيت تاء صالحة في الوقف كتاء ضربت وآيات في الوقف ولكونها عوضا عن ياء الاضافة لايجوز الجمع بينهما الا ضرورة كقوله

> يا ابتي لازلت فينا فانما ۞ لنا املا في العيش مادمت عائشا

فان قلت كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر اجيب بانه كثيرا ماتوصف المذكر بما فيه تاء التأنيث نحو غلام يفعة ورجل ربعة ويقال حمامة ذكر وشاة ذكر الربعة بسكون الباء مربوع الخلق لاقصير ولاطويل واليفعة بفتح الفاء والعين مرتفع القامة واليافع ماارتفع من الارض وايفع الغلام اي ارتفع من الارض وهو يافع ولايقال موفع وهو من النوادر وغلام يفع ويفعة ايضا ﴿قوله الا ابن عامر﴾ استثناء من فاعل كسروها يعني ان ابن عامر فتح التاء في يا ابت حيث وقع في القرآن لتدل الفتحة على حركة ياء الاضافة التي هي اصلها فان ياء الاضافة حقها ان تكون مفتوحة فالعوض لابد ان يأخذ حكم المعوض عنه فلذلك حركت التاء بحركة اصلها فان ياء الاضافة

(قال يابني) تصغير ابن صغر للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع الباطل

اسم والاسماء حقها التحريك في الاضافة لاصالتها في الاعراب الا انها اسكنت للتخفيف لانها حرف لين بخلاف التاء فانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم ﴿قوله وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء﴾ على ان اصلها يا ابي الذي اصله يا ابيّ ابدلت ياء الاضافة الفا كما قيل في يا غلامي يا غلاما بناء على ان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة وقرأ الباقون يا ابتِ بحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة كما قيل يا غلام في يا غلامي قال ابن عصفور على بيّ فاذا اضيف الى ياء المتكلم قيل يا ابتي وقد نبهنا على ذلك مفصلا في اوائل سورة هود عليه الصلاة والسلام وقرئ بالضم لانه نداء مفرد معرفة ﴿قوله ثم ان المتخيلة تحاكيه﴾ اي تشابه ما تصور به النفس من المعنى الذي استفادته من عالم الملكوت بصورة تناسبه قال الجوهري رحمه الله تعالى يقال حكيت فعله وحاكيته اذا فعلت مثل فعله والمحاكاة المشابهة يقال فلان يحكي الشمس حسنا اي يشابهها في الحسن ويحاكيها بمعنى ثم اذا كانت الصورة اصلية شديدة المناسبة لذلك المعنى الكلي استغنت الرؤيا عن التعبير فانه عليه الصلاة والسلام رأى سجود الكواكب والشمس والقمر فاحتاج الى التعبير حيث اولت الكواكب باخوته حيث كانوا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم واولت الشمس بامه والقمر بابيه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وقيل الشمس ابوه والقمر امه قاله قتادة رضي الله عنه وقال السدي رحمه الله القمر خالته لان امه راحيل كانت قد ماتت وهي لاتحتاج الى التعبير وخرجت على عين مارأى يوسف عليه الصلاة والسلام كرؤية ابراهيم عليه الصلاة والسلام في المنام ذبح الولد فخرج الولد على الكبش وخرج الذبح على جنبه فان يوسف عليه الصلاة والسلام رآهم يسجدون له اما حقيقة السجود او تواضعهم له ودخولهم تحت امره فخرج الامر على عين مارأى ولفظ السجود كما يطلق على وضع الجبهة على الارض سواء كان على وجه التعظيم والاكرام او على وجه العبادة يطلق ايضا على التواضع والخضوع كما قال الشاعر * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر * ﴿قوله وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه﴾ كما في قوله تعالى فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون فعلى هذا الظاهر ان يقال فيكيدوك الا انه عدي باللام لتضمنه معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل فيحتالوا لك محتالين لك او فيحتالوا كائدين والنكتة في اعتبار التضمين ان يفيد تأكيد التخويف وتقريره فان يفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف ولكون المقام مقام التأكيد وكونه المقصود اكده بمصدره والكيد الاحتيال للاغتيال وهو طلب ايصال الشر الى الغير وهو غير عالم به ﴿قوله وكذلك يجتبيك﴾ اي مثل اجتبائك واختيارك واصطفائك من بين اخوتك لهذه الرؤيا على ان الكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى يجتبيك اجتباء مثل ذلك الاجتباء العظيم والجباية جباية الشيء لنفسك عبارة عن الاختيار والاصطفاء وكان يعقوب قصد بهذا الكلام ان يعبر رؤياه بانها دالة على شرف وعز وكمال نفس فذكر ثلاثة امور الاول اجتباؤه لامر عظيم عبر عنه بانه لهذه الرؤيا والثاني ان يعلمه تأويل الاحاديث والثالث ان يتم نعمته عليه ولم يجعل التعليم مشبها باجتبائه لرؤيا التمرينة لفقدان المناسبة الداعية الى التشبيه اذ هو مانع من حمل الكلام على التشبيه ﴿قوله من تعبير الرؤيا﴾ هكذا اختيار بعض النسخ والظاهر من تعبير الرؤى على انه جمع الرؤيا لان المقصود تفسير التأويل بالتعبير وتفسير الاحاديث بالرؤى والجمع لا يصير مفردا بقوله لانها احاديث الملك لاطلاق لفظ الاحاديث على الرؤيا وقد ورد في كتب الاحاديث ان الرؤيا ثلاث حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله تعالى يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها وكذا عبرت الرؤيا تعبيرا وكان يوسف عليه الصلاة والسلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ﴿قوله او من تأويل غوامض كتب الله تعالى الخ﴾ عطف على قوله من تعبير الرؤيا لعل هذا في الكلام اشارة الى ان العلم اجل النعم وان اشرف العلوم تأويل كتب الله تعالى وتفسير سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام نقل عن الراغب ان التأويل من الاول وهو الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الذي يرجع اليه فالتأويل رد الشيء الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالاول كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والثاني كقوله تعالى هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله اي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه ﴿قوله وهو اسم جمع للحديث﴾ ولم يجعله جمعا للحديث لان فعيلا لايجمع على افاعيل بل يجمع على فعل نحو قبيل وقبل وعلى افعلة نحو قفيز واقفزة وفعلان نحو قضيب وقضبان وعلى افعلاء نحو نبي وانبياء وعلى فعلاء نحو شهيد وشهداء وعلى فعال نحو كريم وكرام وعلى افعال نحو شريف واشراف فنحو اقاطيع واحاديث ينبغي ان يجعل اسم جمع حديث وقطيع قال صاحب الكشاف عفا الله عنه في سورة المؤمن الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي هو مثل الاضحوكة والاعجوبة ولا يصح ان يحمل جمع احدوثة في الآية لانها عبارة عما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا بتعجب منه ويضحك لانه يقال احاديث النبي ومن الممتنع ان يطلق على الكلام النبوي احدوثة وقيل انه جمع لواحد غير ملفوظ به كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع ﴿قوله ويتم نعمته عليك بالنبوة﴾ مبني على ان يحمل الاجتباء في قوله تعالى يجتبيك ربك على الاجتباء للامور العظام والدرجات العالية اذ لو حمل على الاجتباء للنبوة وفسر اتمام النعمة ههنا ايضا بالنبوة لزم التكرار وقوله او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة مبني على ان يحمل الاجتباء ههناك للنبوة فان من انعم الله تعالى عليه بالنبوة والملك ثم اوصله في الآخرة الى الدرجات العلى فقد اتم نعمته عليه فان اجل المناصب واعلاها واكملها واتم النعم في حق البشر ليس الا النبوة وكل ماسواها فهي ناقصة بالنسبة اليها وقوله عليك يجوز ان يتعلق بيتم وان يتعلق بنعمته وكرر على في قوله تعالى وعلى آل ليمكن العطف على الضمير المجرور وقال ابن الحاجب واذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت به وبزيد والآل وان كان اصله اهل الا انه فرق في الاستعمال بان الآل لا يستعمل الا في الاشراف يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولا آل الحائك بخلاف الاهل فانه يقال اهل الحجام ونحوه والنسل الولد ذكرا كان او انثى والآل وان كان بمعنى الاهل والاتباع من الاولاد وغيرهم الا انه حمله اولا على المختصين بالنبوة منهم حيث قال يريد به سائر بنيه بناء على ان المراد من تمام النعمة النبوة ثم حمله على النسل لانهم ينعمون في الدارين ﴿قوله وقيل على ابراهيم بالخلة الخ﴾ على هذا يكون المراد من اتمام النعمة في حق يوسف عليه الصلاة والسلام تخليصه مما وجد اليه من المحن ليصح تشبيه ابويه به في اتمامه تعالى على احدهما بانجائه من النار وعلى الآخر بتخليصه من الذبح ولا يخفى ان حمل اتمام النعمة في حقه عليه الصلاة والسلام على تخليصه من المحن لا يخلو عن بعد والظاهر ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قاطعا بحصول هذه البشارات التي بشرها في تعبيره وخوفه عليه من حسد اخوته وكيدهم اياه ليس خوفا من اهلاكهم اياه حقيقة بل هو خوف من اضرارهم بما يسوءه ويسلب عنه حضوره وقوله عليه الصلاة والسلام لهم اخاف ان يأكله الذئب عبارة عن تهاونهم في حفظه لان يعقوب وعيصا كانا توأمين فاقتتلا في بطن امهما حيث اراد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج قبله فقال العيص لئن خرجت من قبلي لاعترضن في بطن امي فاقتلها فتأخر يعقوب فخرج عيص فاخذ يعقوب بعقب عيص فخرج بعده فلهذا سمي به وسمي الآخر عيصا لما عصى وخرج قبل يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب صيد وكان يعقوب صاحب غنم فلما كبر اسحق عليه الصلاة والسلام وعمي قال لعيص يابني اطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء دعالي ابي به وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب اجرد فخرج عيص لطلب صيد فقالت امه ليعقوب يابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها وقدمها الى ابيك وقل انا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء يعقوب بالشواء قال ياابت كل قال من انت قال ابنك عيص فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت امه هو ابنك عيص فادع له قال قدم طعامك فقدمه فاكل ثم قال ادن مني فدنا منه فدعا له ان يجعل الله تعالى في ذريته الانبياء والملوك فذهب يعقوب وجاء عيص فقال قد جئتك بالذي اردت فقال اسحق يابني قد سبقك اخوك فغضب فقال والله لاقتلنه فقال اسحق عليه الصلاة والسلام يابني قد بقيت لك دعوة فهلم ادع لك بها فدعا له ان يجعل الله تعالى ذريته عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم فقال لامه يعقوب عليه الصلاة والسلام الحق بخالك خوفا ان يقتله عيص فانطلق الى خاله لابان وكان مع خال يعقوب عليه الصلاة والسلام بنتان احداهما ليا وقيل لاوي وهي اكبرهما والاخرى راحيل وهي اصغرهما فطلب يعقوب من خاله ان يزوجه احداهما فقال هل لك مال قال لا ولكن اعمل لك فقال نعم صداقها ان تخدمني سبع سنين فقال اخدمك سبع سنين على ان تزوجني راحيل فقال ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فزوجه الكبرى وهي ليا فقال له يعقوب انك خدعتني انما اردت راحيل فقال له خاله انا لا ننكح الصغيرة قبل الكبيرة فهلم فاعمل سبع سنين اخر فازوجك اختها وكان الناس يجمعون بين الاختين الى ان بعث الله موسى عليه الصلاة والسلام فرعى له سبع سنين اخر فزوجه راحيل فجمع بينهما وكان خاله حين جهزهما دفع الى كل واحدة منهما امة تخدمها اسم احداهما زلفة واسم الاخرى بلهة فوهبتا الامتين ليعقوب عليه الصلاة والسلام فولدت ليا اربعة بنين

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة اى بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب) يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او تأويله (كما اتمها على ابويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم (من قبل) اى من قبلك او من قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) يفعل الاشياء على ما ينبغي

(لقد كان في يوسف واخوته) اي في قصتهم (آيات) دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة (اذ قالوا ليوسف واخوه) بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين (احب الى ابينا منا) وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف (ونحن عصبة) والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان ابانا لفي ضلال مبين) لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون (او اطرحوه ارضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان (من بعده) من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم (قال قائل منهم) يعني يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوه في غيابة الجب) في قعره سمي به لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذين يسيرون في الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتي (البأس) او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه (قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا

وولدت راحيل ابنين وولدت كل واحدة من الامتين ثلاثة بين فصار بنوه اثني عشر ابنا سوى البنات قيل ان اسماء اولاد يعقوب مبينة في التوراة روبيل وشمعون ويهودا ولاوي من امرأته ليا ويوسف وبنيامين من امرأته راحيل والستة الباقون من الامتين يشجر وزبالون ودينة ودان ونفتالي وجاد عليهم الصلاة والسلام فاراد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج الى البيت المقدس ولم يكن له نفقة وكان ليوسف خال له اصنام من ذهب فقالت ليا ليوسف اذهب واسترق منه صنما من اصنامه لعلنا نستنفق منه فذهب يوسف واخذه وكان يوسف اعطف على ابيه وكان احب الاولاد اليه فحسده اخوته لما رأوا من حب ابيه له وكان رأى يوسف في منامه الى آخر القصة ﴿قوله لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات﴾ لمن سأل عنها دلالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فان من سأل عنها وان لم يحصل له بمجرد سؤاله ما يدل على كمال القدرة والحكمة لكن يحصل له ذلك اذا علم ذلك اي القصص بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه فانه يظهر له حينئذ ان كبار اولاد يعقوب عليهم الصلاة والسلام بعد ان اتفقوا على اذلال اصغر اولاده وفعلوا به ما فعلوا فاصطفاه الله تعالى للنبوة والملك وجعلهم خاضعين له منقادين لحكمه وان ما لا حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من اجل الدلائل الدالة على قدرته تعالى وحكمته وايضا يحصل لذلك السائل بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه وبيان ما فيها من قصتهم على وجه صحيح موافق لما في الكتب المتقدمة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب دلائل دالة عليه اي دالة على صدقه في دعوى النبوة ومن قرأ آيات على لفظ الجمع نظر الى ان امور يوسف عليه الصلاة والسلام كانت كثيرة وكل واحدة منها آية بنفسها ومن قرأ بلفظ الافراد نظر الى ان اسم الجنس يتناول الواحد والمتعدد ﴿قوله لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة﴾ كأنه اشارة الى جواب ما يقال انهم كيف نسبوا اباهم المكرم بكرامة النبوة الى الضلال المبين ومن بالغ في ذم الرسول صلى الله عليه وسلم وطعنه فقد كفر لا سيما اذا كان الطاعن ولده فان هتك حرمة الابوة والنبوة افحش من هتك احدى الحرمتين فقط وتقرير الجواب ان مرادهم بما نسبوا اليه من الضلال هو رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق الرشد والصواب فيما يتعلق بها مع ان تضليلهم اياه في مجرد ترك التعديل في المحبة ليس تضليلا في الحقيقة لان المحبة ليست من الامور الاختيارية فان قيل ان الحسد من امهات الكبائر لا سيما وقد اقدموا بسبب ذلك الحسد على تضييع ذلك الاخ الصالح والقائه في تلك العبودية وتبعيده عن الاب المشفق والقائهم اياه في الحزن الدائم وارتكابهم الكذب الصريح وبالجملة فقد ثبت خصلة مذمومة الا وقد اتوا بها وكل ذلك ينافي العصمة والنبوة اجاب الامام رحمه الله تعالى بقوله الامر كما ذكرتم الا ان الامر المعتبر عندنا عصمة الانبياء في وقت حصول النبوة فاما قبلها فذلك غير واجب ﴿قوله ولذلك نصبت كالظروف المبهمة﴾ يعني ان قوله ارضا منصوب على انه ظرف مكان وظرف المكان انما ينصب بتقدير في اذا كان مبهما غير محدود وقد ذكر ارضا لما كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهما وتنكيرها في حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة من العمران وعن ارض ابيه فازداد بذلك ابهاما فان قيل المعلوم ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يخل من الكون في ارض فتبين انهم ارادوا ارضا بعيدة غير التي هو فيها ومثل هذا المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة في فلا جرم ان يكون انتصابه مبنيا على اسقاط الخافض كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فالجواب ان الظرف المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا اقطار تحويه وارضا في الآية الكريمة من هذا القبيل قال ابن الحاجب رحمه الله في الكافية وفسر المبهم بالجهات الست وحمل عند ولدى وشبههما عليه لابهامها ولفظ مكان لكثرته بما بعد نحو الدار في الاصح ﴿قوله وقرئ غيبة﴾ بالفتحات الثلاث اما على انه مصدر كالغلبة او على انه جمع غائب نحو ناصر ونصرة وقيل هو في مصحف ابي رضي الله عنه غيبة بسكون الياء قيل الغيابة تكون في قعر الجب لان اسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه والجب البئر التي لم تطو سميت جبا لانه ليس فيها غير جب الارض وقطعها ومفعول فاعلين محذوف اي فاعلين برأيي ومشورتي او فاعلين ما يحصل به غرضكم من تبعيد يوسف عن ابيه عليهما الصلاة والسلام والسيارة جمع سيار وهو بناء المبالغة والالتقاط تناول الشيء المطروح ومنه اللقطة ﴿قوله ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم﴾ فان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يخافهم على يوسف عليه الصلاة والسلام ويحفظه منهم لما تبين من حسدهم اي وجد نسيم حسدهم وريحه ثم انه لما احكموا العزم على تبعيد يوسف عليه الصلاة والسلام عن ابيه اما بالقتل او بالتغريب الى ارض يحصل به

وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء (ارسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع) نتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (وانا له لحافظون) ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى ان تذهبوا به) لشدة مفارقته علىّ وقلة صبرى عنه (واخاف ان يأكله الذئب) لأن الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام ان الذئب قد شدّ على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة (وانتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيه فقال يا اخوتاه ردوا علىّ قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤانسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرائيل بالوحى كما قال (واوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام فالبسه

البأس من اجتماعه مع ابيه ذكروا هذا الكلام لابيه وقالوا لم تخافنا عليه ونحن نحبه ونريد الخير له وقولهم لا تأمنا حال من الكاف والمشهور تأمنا بادغام النون الاولى فى الثانية واشمامها الضم ومرادهم بالادغام بطريق الاشمام ان لا تدغم احدى النونين فى الاخرى ادغاما صحيحا بل تفصل احدى النونين عن الاخرى بحيث يكون شبيها بالاظهار لكن ليس بالاظهار حقيقة كما انه ليس بادغام صحيح ومثله يسمى اخفاء وهو عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة والفصل بين المدغم والمدغم فيه لا ان يسكن الحرف المدغم رأسا بل تختلس حركته فيقرأ تأمنا بفتح الميم واختلاس ضمة النون الاولى ليدل على ان الفعل مرفوع قال ابو عمرو الدانى فى التيسير كلهم قرأوا مالك لا تأمنا بادغام النون فى الثانية واشمامها الضم وحقيقة الاشمام فى ذلك ان يشار بالحركة الى النون لا بالعضو اليها فيكون ذلك اخفاء لا ادغاما صحيحا لان الحركة لا تسكن رأسا بل يضعف الصوت فيفصل بين المدغم والمدغم فيه كذلك وهذا قول عامة أئمتنا وقرأ بعضهم ذلك بالاشمام بمعنى آخر وهو ان يهيأ الشفتان لتلفظ الضمة ليدل على اعراب النون المدغمة بالضمة مع الادغام الصريح وفيه عسر كثير قالوا وتكون الاشارة الى الضمة بعد الادغام او قبل كماله والاشمام يقع بازاء معان وهذا من جملتها وقرئ بالادغام الصريح من غير اشمام وقرأ الحسن ذلك بالاظهار مبالغة فى اعراب الفعل والمحافظة على حركة الاعراب **﴿قوله ونلعب بالاستباق والانتضال﴾** روى انه قيل لابى عمرو كيف يقولون نلعب وهم انبياء عليهم الصلاة والسلام فقال رحمه الله تعالى لم يكونوا يومئذ انبياء وايضا جاز ان يكون اللعب المراد منه الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لجابر رضى الله عنه «هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك» وايضا كان لعبهم الاستباق مما يكون الغرض منه تعلم المحاربة مع الكفار ويدل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب **﴿قوله وقرأ ابن كثير نرتع﴾** بالنون وكسر العين ويلعب بالياء اسندوا الارتعاء الى انفسهم لانهم كبار بالغون واضافوا اللعب الى يوسف لصغره عليه الصلاة والسلام والارتعاء افتعال من رعى البعير الكلأ فان رعى وارتعى بمعنى أكل وارعى الله الماشية اى انبت لها ما ترعاه اى تأكله والارتعاء فعل المواشى الا انهم اسندوه الى انفسهم لانهم هم السبب فى ارتعائها وقرأ نافع كلاهما بالياء وكسر العين على اسناد كل واحد من الارتعاء واللعب الى يوسف عليه الصلاة والسلام بمعنى انه يباشر رعى الابل تارة ليتدرب بذلك ويباشر اللعب اخرى لينشرح صدره وقرأ الكوفيون كلاهما بالياء وسكون العين من الرتع لا من الرعى يقال رتعت الماشية ترتع رتوعا اى اكلت ما شاءت وتوسعت وقرئ يرتع بضم الياء من ارتع وقرئ يرتع بكسر العين من ارتعى ورفع يلعب على الاستئناف اى هو يلعب **﴿قوله ان تذهبوا﴾** فاعل يحزننى اى يحزننى ذهابكم «فان قيل» كيف جاز وقوعه فاعلا له وهو مستقبل لاقترانه بحرف الاستقبال ويحزننى فعل حالىّ بناء على ما صرح به النحاة رحمهم الله من ان لام الابتداء الداخلة على المضارع من القرآن المخصصة للحال وكون يحزننى حالا يستلزم تحقق الفعل قبل تحقق فاعله «اجيب» عن ذلك بان الفعل محذوف والتقدير ليحزننى تصور ذهابكم وتوضيحه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والتصور موجود فى الحال فزال الاشكال **﴿قوله واشتقاقه من تذاءبت الريح﴾** نقل عن الاصمعى انه قال قولهم تذاءبت الريح مأخوذ من فعل الذئب لانه يأتى كذلك والمعنى ان الريح اتت كما يأتى الذئب فيكون تذاءبت الريح مأخوذا من الذئب وقد عكس المصنف تبعا للزمخشرى **﴿قوله ضعفاء مغبونون﴾** لما كان حقيقة الخسران غير مرادهم وكانت مبنية على العجز والضعف جعل الخسران عبارة عن الضعف المؤدى الى الغبن والخسران فى عقد المعاوضة او عن استحقاق الدعاء بالهلاك **﴿قوله وجواب لما محذوف﴾** اى وفى الآية محذوف آخر وتقديره قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فاذن له وارسله معهم وقوله فلما ذهبوا به متصل بهذا المحذوف روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القى فى الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى من امرى هذا فرجا ومخرجا وروى اجعل لى فرجا مما انا فيه فما بات فيه قال الحسن رضى الله تعالى عنه القى يوسف عليه الصلاة والسلام فى الجب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ولقى اباه بعد ثمانين سنة وقيل ويوسف عليه الصلاة والسلام ابن سبع عشرة سنة وروى ان هوام البئر قال بعضها لبعض لا تخرجن من مساكنكن فان نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام نزل بساحتكن فانحجرت الا الافاعى فانها قصدت يوسف عليه الصلاة والسلام فصاح بها جبريل عليه السلام فصمت وبقى السم فى نسلها وعلم جبريل عليه الصلاة والسلام يوسف

اياه (لتنبئنهم بامرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لايشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناساله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لايشعرون متصل بأوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لايشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) اى آخر النهار وقرئ عُشَيًّا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بنى واين يوسف (قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق) نتسابق فى العدو او فى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر او طرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) اى سهلت لكم انفسكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه اى الى الخلق (والله المستعان على ما تصفون) على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كأنه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وقرئ يا بشرىّ بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف (وأسروه) اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء ليبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق

عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل عسير ويا صاحب كل غريب ويا مؤنس كل وحيد يا لا اله الا انت لا اله الا انت سبحانك اسألك ان تجعل لى فرجا ومخرجا وان تقذف حبك فى قلبى حتى لايكون لى هم ولا ذكر غيرك وان تحفظنى وترحمنى يا ارحم الراحمين قال علامة (؟) عظيم من المفسرين ان المراد من الوحى المذكور بقوله تعالى واوحينا اليه وحى النبوة والرسالة وقيل المراد منه الالهام كما فى قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام تقوية لقلبه فى البئر لتصدقن رؤياك ولتخبرن اخوتك بصنعهم هذا بعد اليوم وهم لايشعرون بانك يوسف فى وقت اخبارك اياهم بامرهم وهو قوله لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف روى انهم حين دخلوا عليه لطلب الحنطة وعرفهم وهم له منكرون دعا بالصاع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال عليه الصلاة والسلام ان هذا الجام ليخبرنى انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف فطرحتموه فى البئر وقلتم لابيكم اكله الذئب ﴿قوله وقيل وهم لايشعرون﴾ اى بايحائنا اليه والحكمة فى اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله والاحتمال الاول كونه حالا من فاعل لتنبئنهم او من مفعوله اى تخبرهم وهم لايعرفونك لبعد المدة وتغير الاحوال واذا حمل الكلام على هذا الاحتمال كان هذا امرا من الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام ان يستر نفسه عن ابيه طول تلك المدة مع علمه بوجود ابيه خوفا من مخالفة امر الله تعالى ولعله تعالى قضى على يعقوب ان يوصل اليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليصبر على مرارتها ويكثر رجوعه اليه تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة عالية لايمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن العظيمة ﴿قوله آخر النهار﴾ فان ابتداء آخر النهار الى نصف الليل وانتصابه على الظرفية اى جاؤه فى هذا الوقت ويكون جملة حالية من فاعل جاؤا اى متباكين وقرئ عشيا بضم العين وفتح الشين على انه تصغير عشى نحو اصيل فى اصيل وقرئ عشى بضم العين والقصر على انه جمع اعشى وفيه ضعف لان قدر ما يكون فى ذلك اليوم لايعشو منه الانسان ﴿قوله على قميصه﴾ فى محل النصب على انه حال من قوله بدم لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا واختلف النحاة فى جواز تقديم الحال على المجرور قال رحمه الله تعالى فى الكافية ولا تتقدم على العامل المعنوى ولا على المجرور فى الاصح او على انه ظرف بمعنى فوق قميصه وفيه انه لايساعد المعنى على قوله منصوبا على الظرفية بمعنى فوق لان العامل فيه اذ يكون جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم ومن صاحب التقريب ان كونه ظرفا لجيئ مع بقاء المعنى المقصود فيه حزازة والحق ان يقال انه حال من جاؤا بتضمينه معنى الاستيلاء اى جاؤا مستولين على قميصه ﴿قوله على اظفار الاحداث﴾ جمع حدث بمعنى الشاب يقال رجل حدث ورجال احداث اى شبان لما كان الكذب بمعنى البياض المذكور يؤثر فى اظافيرهم فيصير كالنقش فيها شبه به الدم اللاصق بالقميص لتأثيره فى القميص كتأثير ذلك البياض فى الاظافير فاطلق اسم الكذب على سبيل الاستعارة المصرحة ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل استدلاله بسلامة القميص على كذبهم فى قولهم اكله الذئب قال اضرابا من قولهم وابطالا له بل سولت لكم انفسكم الى آخر الآيات كأنه قال لهم هل كان يوسف فى هذا القميص حين اكله الذئب فاقروا ثم قال كيف وصل اليه ولم يمزق قميصه ولم اعهد ذئبا يلع حلمه فى حق ما امتزمه (؟) الى هذا الحد ولو اكله لمزق قميصه فتحيلوا فقال بل سولت لكم انفسكم امرا عظيما والسول استرخاء ما تحت السرة من البطن ﴿قوله وهذه الجريمة﴾ جواب عما يقال قد مر ان آل يعقوب عليه الصلاة والسلام انبياء فكيف صح لهم ارتكاب مثل هذه الجريمة ﴿قوله وقيل اخفوا امره﴾ اى اخفوا وجدانهم اياه فى الجب وقالوا فيما بينهم ان قالوا لكم ما هذا الغلام فان قلنا التقطناه من الجب شاركونا وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فيه فالوجه ان نخفى امره ونقول استبضعناه بمعنى اهل الماء ليبيعه لهم بمصر والمعنى على الاول اخفوا نفس يوسف ولم يظهروه لسائر الرفقة ﴿قوله واشتقاقه من البضع﴾ وهو القطع يقال بضعت اللحم بضعا قطعته والبضعة القطعة من اللحم قال الراغب البضاعة قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة والبضع فى العدد هو ما بين الثلاث الى التسع سمى به لكونه مقتطعا من العشرة والمعنى اسروه حال ما حملوه واخفاء امره فى هذا الحال لايليق بالاخوة اذ ليس مقصودهم تحصيل المال وانما مقصودهم تبعيد يوسف عليه الصلاة والسلام عن ابيه فالاولى ان يسند الاخفاء الى الوارد واصحابه وقوله بضاعة اى حال ما حكموا عليه بانه بضاعة وقوله او صنيع اخوة

(واللّه عليم بما يعملون) لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم (وشروه) باعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته (بثمن بخس) مبخوس زيف او نقصانه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين (وكانوا فيه) في يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خزآئن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وكان ابن ثلاثين وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شرآءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل مثله فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل او زليخا (اكرمي مثواه) اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده (عسى ان ينفعنا) في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا (او نتخذه ولدا) نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) وكما مكناه في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه فيها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلم اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه (والله غالب على امره) لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيأ واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه (ولما بلغ اشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف مابين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم (آتيناه حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس (وعلما) يعني علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزآء على احسانه في عمله واتقائه

يوسف بابيهم واخيهم حيث جعل الله تعالى ما دبروه لابطال حكم ما رآه يوسف عليه الصلاة والسلام في المنام سببا لوصوله الى مصر ولتتابع ما جرى عليه من الاحوال الى ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم ﴿ قوله وفي مرجع الضمير ﴾ المرفوع في شروه بعينه الوجهان المذكوران في ضمير اسروه فانه قد ذكر ان معناه باعوه قطعا اذ لا معنى لاشترآئهم وقد التقطوه وان كان ضمير واسروه للاخوة يكون ضمير شروه ايضا لهم ويكون الشرآء بمعنى البيع ايضا اذ لا وجه لحمله ايضا على الاشترآء ﴿ قوله او اشتروه من اخوته ﴾ اي على تقدير ان يكون ضمير اسروه للاخوة يجوز ان يكون الشرآء بمعنى الاشترآء ويكون ضمير شروه للرفقة ﴿ قوله مبخوس ﴾ يعني ان البخس مصدر بخسه حقه بخسه اي نقصه والثمن لا يوصف بالمعنى المصدري فلذلك جعله بمعنى المبخوس اما لرداءة عينه او لنقصان وزنه ﴿ قوله الراغبين عنه ﴾ فسر الزاهدين به لان الزهد والزهادة عبارة عن قلة الرغبة في الشئ فضمير كانوا ان كان للاخوة فوجهه ظاهر لانهم لم يعرفوا موضعه من الله تعالى ولا كرامته ﴿ قوله فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين ﴾ كقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك والتقدير وكانوا من الزاهدين فيه والثاني تأكيد للاول ﴿ قوله وهو العلم المؤيد بالعمل ﴾ قال القشيري رحمه الله تعالى وتعنا به من جملة الحكم الذي آتاه الله تعالى نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره قال الله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام فقد اوحى اليه عند منتهى الاشد والاستوآء وهو اربعون سنة واوحى الى يوسف عداوته وهو ابن ثماني عشرة سنة وقال الامام نقلا عن الحسن رحمهما الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام كان نبيا من الوقت الذي كان فيه قد القي في غيابة الجب لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وكان رسولا من الوقت الذي فيه بلغ اشده لقوله تعالى ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما ثم قال ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذي فيه القي في غيابة الجب ثم نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال تعالى ولما بلغ اشده اي لما بلغ ثلاثا وثلاثين سنة ثم ذكر اقوال العلماء في تفسير الحكم والعلم فقال اولها ان المراد من الحكم الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية واما اصحاب الافكار والانظار العقلية فانهم يصلون اولا الى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه الصلاة والسلام هي الاولى لانه صبر على البلاء والمكاره والمحن ففتح الله تعالى عليه ابواب المكاشفات والقول الثاني ان الحكم هو النبوة لان النبي يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين والقول الثالث انه يحتمل ان يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضوآء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس ﴿ قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ يعني امرأة العزيز التي كان يوسف عليه الصلاة والسلام في بيتها طلبت منه ان يواقعها والمراودة المطالبة الواقعة بين اثنين بحيث يريد احدهما ان يحمل الآخر على شئ لا يريده الآخر فيجري بينهما بذلك مدافعة وممانعة مأخوذة من الرود وهو الطلب ومعنى عن نفسه اي من اجل نفسه يقال فلان يخاصم عن فلان ويتكلم عن فلان اي من اجله قال الزجاج رحمه الله تعالى راودته اي طالبته بما يريد النساء من الرجال ﴿ قوله والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق ﴾ اي لتكثير الفعل او للمبالغة في الاتصاف باصل الفعل نحو طوف البيت ﴿ قوله تعالى هيت لك ﴾ فيه اربع قرآءات سبعية الاولى هيت بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة وهي قرآءة الاكثرين والثانية هيت بفتح الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة وهي قرآءة ابن كثير والثالثة بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ياء ساكنة وهي قرآءة نافع وابن عامر والرابعة هئت بكسر الهاء وكسر التاء بينهما همزة ساكنة وهي قرآءة هشام وفيه ايضا اربع قرآءات في الشواذ هيت بفتح الهاء وكسر التاء بينهما ياء ساكنة وهيت بكسر الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة ونقل الجوهري عن الاخفش رحمهما الله تعالى انه قال وقرأ بعضهم هئت بكسر الهاء وضم التاء بينهما همزة ساكنة على مثال جئت بمعنى تهيأت لك يقال هئت للامر اهيء هيأة وتهيأت تهيئا بمعنى انتهى كلام الجوهري فصار الجميع ثماني قرآءات وهي على جميع القرآءات اسم فعل الا على قرآءة هئت على وزن جئت فانه على هذه القرآءة فعل ماض مبني للمفعول مسند الى ضمير المتكلم من هاء للامر يهيء اي

فى مصر ان امره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) طلبت منه و تحملت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير اوللمبالغة فى الايثاق (وقالت هيت لك) اى اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين كالتى فى سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهى لغة فيه وقرئ هيت بكسر الهاء وضم التاء من هاء يهيئ اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذ الله) اعوذ بالله معاذا (انه) ان الشأن (ربى احسن مثواى) سيدى قطفير احسن تعهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله تعالى اى انه خالقى واحسن منزلتى بان عطف علىّ قلبه فلا اعصيه (انه لا يفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنى ظلم على الزانى والمزنى باهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله (لولا ان رأى برهان ربه) فى قبح الزنى وسوء مغبة مخالطتها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنى (انه من عبادنا المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) اى تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه تمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا

تهيأ ويحتمل الامران على قرآءة من قرأ بكسر الهاء وضم التاء فانه يحتمل ان يكون حينئذ اسم فعل بنى على الضم كحيث وان يكون فعلا مسندا الى ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيئ كجاء يجيئ وله حينئذ معنيان احدهما ان يكون بمعنى حسن هيئته والثانى ان يكون بمعنى تهيأ يقال هيئت اى حسنت هيئتى او تهيأت وعلى تقدير كونه اسم فعل يكون من فتح التاء بناها على الفتح تخفيفا نحو اين وكيف ومن ضمها كابن كثير ضمها تشبيها بحيث ومن كسرها فعلى اصل التقاء الساكنين بجير وفتح الهاء وكسرها لغتان وكذا يحتمل الامران على قرآءة هشام هيت بكسر الهاء وفتح التاء اما احتمال كونها اسم فعل فظاهر واما احتمال كونه فعلا مسندا الى ضمير المخاطب فبنى على ان يكون المعنى حسنت هيئتك لانه لا يجوز ان يكون المعنى تهيأت لان الخطاب من المرأة ليوسف عليه الصلاة والسلام وهو لم يتهيأ لها بل هى تهيأت له بدليل قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها وقوله تعالى انى لم اخنه بالغيب واللام فى قوله هيت لك متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كانها قالت اقول اذا الخطاب لك كما فى قوله سقيالك ورعيالك وهذا على تقدير ان يكون اسم فعل واما على تقدير كونه فعلا فانها حينئذ تتعلق بالفعل المذكور اذ لا حاجة حينئذ الى تقدير شئ ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف معاذ الله وهو منصوب على انه مصدر فعل محذوف اى اعوذ بالله معاذا يقال عاذ يعوذ عياذا وعياذة ومعاذا وعوذا طلب عليه الصلاة والسلام ان يعيذه من ذلك العمل بان يخلق فيه داعية جاذبة له الى جانب الطاعة وان يزيل عن قلبه داعية المعصية ونظيره ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما وقع بصره على زينب ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهى تحت زيد قال يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فكان المراد منه تقوية داعية الطاعة وازالة داعية المعصية **قوله او مشارفة الهم** عطف على قوله ميل الطبع فان من شارف الاتصاف بوصف يجعل موصوفا به كما فى قوله قتلته لو لم اخف الله فجعل نفسه قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف عليه الصلاة والسلام لما شارف قلبه ان يقصد مخالطتها قال تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام وهمّ بها فانه على تقدير تسليم انه شارف ان يهمّ بها لا نسلم انه عليه الصلاة والسلام قد همّ بها والمصنف ضعف ما ذكره المفسرون من ان يوسف عليه الصلاة والسلام همّ بهذه المرأة همّا صحيحا كما انها همت به حتى حكوا انها استلقت له وقعد هو بين رجليها واخذ يحل تكته فلما رأى البرهان من ربه زال عنه كل ما طرأ عليه من الشهوة واختار ما ذهب اليه المحققون من المفسرين من انه عليه الصلاة والسلام كما انه برئ من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل الباطل فهو ايضا برئ من الهمّ المحرم نقل عن الامام ابى منصور رحمه الله تعالى انه قال اما ما قاله اهل التفسير من انها استلقت له وهو هم بها وحل ازاره وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال ويدل على فساد ما قالوه وجوه احدها قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام هى راودتنى عن نفسى وثانيها قوله تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء وثالثها قوله تعالى حكاية عنه ايضا ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ورابعها قولهن ما علمنا عليه من سوء وخامسها قولها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه فهذا كله دليل على انه لم يكن منه شئ من ذلك وليس فى ظاهر الآية شئ مما قالوه وسوى قوله تعالى وهمّ بها وله تأويل صحيح وهو انها همت به همّ عزم وهم هو بها همّ خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب **قوله لشبق الغلمة** الشبق شدة الغلمة والغلمة بالضم شهوة الضراب وقيل قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه دليل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام برئ من الهم المحرم لان قوله تعالى وهمّ بها جواب لولا قدم عليه فيدل على انتفاء الهم لتحقق الرؤية وطعن الزجاج فى هذا القول من وجهين الاول ان تقديم جواب لولا شاذ غير موجود فى الكلام الفصيح والثانى ان لولا يجاب باللام فلو كان همّ بها جواب لولا ان رأى لاقترن باللام بل جواب لولا محذوف لدلالة وهمّ بها عليه والجواب عما قاله الزجاج من ان مراد القائل ان الجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم واما قوله لو كان همّ بها جواب لولا لاقترن باللام فغير لازم لانه متى كان جواب لو ولولا مثبتا جاز فيه الامران اللام وعدمها وان كان الاتيان باللام هو الاكثر **قوله اى مثل ذلك التثبيت** على ان يكون كاف كذلك فى محل النصب بفعل مضمر والثانى على انه مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله لنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف على الاول وبمحذوف آخر على الثانى اى فعلنا ذلك لنصرف **قوله تعالى وقدت** يحتمل ان يكون معطوفا على استبقا ويحتمل ان يكون جملة حالية بتقدير قد وكلمة ما فى قولها ما جزاء يجوز ان تكون نافية وان تكون استفهامية وكلمة من يجوز ان تكون موصولة او نكرة موصوفة والا ان

(بحسن)

(والفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت ما جزآء من اراد باهلك سوأً الا ان يسجن او عذاب اليم) ايهاما بانها فرّت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغرآء به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اى شئ جزآؤه الا السجن (قال هى راودتنى عن نفسى) طالبتنى بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من اهلها) قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها (ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على انها قدّت قميصه من قدّامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه (وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادّت مؤدّاها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الىّ فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علىّ باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين (فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال انه) اى ان قولك ما جزآء من اراد باهلك سوأً او ان السوء او ان هذا الامر (من كيدكنّ) من حيلتكنّ والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء (ان كيدكنّ عظيم) فان كيد النساء الصق واعلق بالقلب واشدّ تأثيرا فى النفس ولانهنّ يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث (أعرض عن هذا) اكتمه ولا تذكره (واستغفرى لذنبك) يا راعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب (وقال نسوة) هى اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرّد فعله وضم النون لغة فيها (فى المدينة) ظرف لقال اى اشاعوا الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكنّ خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) تطلب مواقعة غلامها اباها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة (قد شغفها حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا

يسجن خبر المبتدأ وهو ما جزآء ولما كان ان يسجن فى قوة المصدر عطف عليه المصدر وهو قوله او عذاب ﴿قوله ايهاما﴾ علة لقولها ذلك وتبرئة علة الايهام وتغييره عطف على تبرئة والتغيير من الغيرة اى او همت ذلك انتقاما لسيدها وبالغيرة على يوسف عليه الصلاة والسلام واغرآء لسيد يوسف كى ينتقم منه ﴿قوله وانما قال ذلك دفعا لما عرّضته له﴾ اى لما اظهرت المرأة لاجل يوسف عليه الصلاة والسلام واوردت له اى لم يقل ذلك فى حقها ارادة ان يهتك سترها فى اوّل الامر الا انه لما خاف على النفس وعلى العرض اظهر الامر ولو لم تكذب عليه ابتدآء لما اظهره ﴿قوله قيل ابن عمها﴾ روى انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما داهية واتفق فى ذلك الوقت انه كان مع الملك يريد ان يدخل عليها وقال قد سمعت من ورآء الباب صوت شق القميص الا انى لا ادرى ايكما قدّام صاحبه فان كان شق القميص من قدّامه فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من كيدكنّ ويحتمل ان يكون هذا الكلام من قول قطفير زوج المرأة وقيل كان صبيا فى المهد وكان ابن خال المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم وشاهد يوسف الخ اما ابن ماشطة فرعون فانه لما اسلمت اخبرت بنت فرعون اباها باسلامها فامر باسلائها والقاء اولادها فى النار فلما بلغت النوبة الى ولدها وكان مرضعا قال اصبرى يا امّاه فانك على الحق وقوله ماشطة فرعون من قبيل اضافة الملابسة واما صاحب جريج فى قصته انه كان يتعبد فى صومعته فقالت امرأة لافتننه وعرضت عليه نفسها فلم يلتفت اليها فمكنت نفسها من راعى غنم كان يأوى غنمه الى صومعته فولدت غلاما وقالت انه من جريج فضربوه وخربوا صومعته فصلى جريج وانصرف الى الغلام فطعنه وقال بالله يا غلام من ابوك قال انا ابن الراعى ﴿قوله والشرطية محكية﴾ جواب عما يقال كيف جازت حكاية الجملة الشرطية بعد فعل الشهادة لانها تقتضى الادآء والانشاء عدمه فبينهما تناف واجاب عنه بوجهين الاوّل انها محكية بعد القول المحذوف كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه الخ والثانى ان ذكر فعل الشهادة من قبيل اطلاق اسم الخاص وارادة العام على ان الشهادة نوع من القول وقوله وتسميتها شهادة جواب عما يقال كيف يجوز اطلاق الشهادة على ترديد هذه الشرطية مع ان الشهادة فى عرف الشرع عبارة عن الاخبار بثبوت حق الغير بلفظ أشهد واجاب عنه بان قوله وشهد من قبيل الاستعارة التبعية حيث شبه ترديد الشرطية بالشهادة فاطلق عليه اسم الشهادة استعارة اصلية ثم اشتق من الشهادة بالمعنى المجازى لفظ شهد فكان استعارة تبعية ووجه الشبه بينهما ان ترديد تلك الشرطية يؤدى مؤدى الشهادة من حيث انه يثبت به قول يوسف عليه الصلاة والسلام ويبطل قولها ﴿قوله والجمع بين ان وكان﴾ يعنى ان كلمة ان تدل على الاستقبال وكان على المضى فينبغى ان لا يجمع بينهما لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه يعنى ان الشرط وان كان ماضيا بحسب اللفظ لكنه فى تأويل المضارع لان المراد ارشاد العزيز الى ان يتبع الامارة التى تدل على تعيين الصادق وتمييزه من الكاذب وهو نظير قولك ان احسنت الىّ فقد احسنت اليك من قبل لمن يمن عليك باحسانه فان المعنى ان تمن علىّ باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وان تعدّ احسانك الىّ فيما مضى فاعدّ احسانى اليك فيه فلما كان الشرط فى تأويل المستقبل ارتفعت المنافاة بينه وبين كلمة ان ﴿قوله وقرئ من قبل ومن دبر﴾ قرأهما الجمهور بضمتين والجرّ والتنوين بمعنى من خلفه ومن قدّامه اى من خلف القميص ومن قدّامه او من خلف يوسف وقدّامه وقرئ فى الشواذ بثلاث ضمات من غير تنوين وهو مبنى على الضم لانه قطع عن الاضافة والاصل من دبره ومن قبله فلما قطعا عن الاضافة جعلوهما غاية كقبل وبعد ومعنى الغاية ان يجعل المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف اليه غايته والاصل اعرابهما لانهما اسمان متمكنان وليسا بظرفين الا انهما بنيا لمشابهتهما مبنى الاصل فى الاحتياج الى الغير وقرئ من قبل ومن دبر بالفتح بجعلهما علمين للجهتين ومنعهما من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ من قبل ومن دبر بسكون العين تخفيفا ثم من قرأ بسكون العين منهم من قرأ بالجرّ والتنوين على الاصل ومنهم من جعلها كقبل وبعد فى البناء على الضم ﴿قوله وهو حجابه﴾ يعنى ان الشغاف جلدة رقيقة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب ومعنى قولك شغف الحب المرأة ان الحب اصاب شغافها وشقه واصاب فؤادها كما يقال كبدته اذا اصبت كبده ورأسته اذا اصبت رأسه وقرئ شعفها بالعين المهملة بمعنى احرق قلبها وفى الصحاح شعفه الحب اى احرق قلبه وشعفت البعير بالقطران اذا طليته به ويقال هنأت البعير اهنؤه اذا طليته بالهناء وهو القطران وامرأة العزيز مبتدأ وتراود خبره حكى

ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فأحرقه (انا لنراها في ضلال مبين) في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب (فلما سمعت بمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها (ارسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (واعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن بهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع سكينهن على ايديهن فتقطعها فيبكتن بالحجة اويهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا ۞ وشربنا الحلال من قلله ۞

وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكا من تكئ يتكئ اذا اتكأ (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر اوليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ۞ فان لحت حاضت في الخدور العواتق ۞

(وقطعن ايديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار في ناحية لله مما يتوهم فيه (ما هذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم (ان هذا الا ملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة اولان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) اى فهو ذلك العبد الكنعاني (الذي) الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني

بالمضارع ولم يقلن راودت تنبيها على المراودة صارت عادة لها وانها تستمر على المراودة وقولهن قد شغفها حبا يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من فاعل تراود وحبا تمييز منقول من الفاعل اذ الاصل قد شغفها حبه صرف الفعل عنه واسند الى الضمير المبهم ثم فسر ذلك الضمير بالتمييز لكون التفصيل بعد الاجمال اوقع في النفس واكد ﴿ قوله اولانها استكتمتهن ﴾ اى طلبت منهن كتمان سرها فوعدن وما وفين به فيكون المكر على معناه من غير مجاز ومعنى قول جميل

۞ فظللنا بنعمة واتكأنا ۞ وشربنا الحلال من قلله ۞

يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملت بالنهار دون الليل واتكأنا اى طعمنا والقلل جمع قلة وهي الجرة والحلال النبيذ والقلل ظرفه يقول اشتغلنا طول النهار بالتنعم واكل الطعام وشرب الشراب ﴿ قوله وقرئ متكا ﴾ العامة على ضم الميم وتشديد التاء وفتح الكاف والهمزة وقرئ متكا على ضم الميم اصله متكأ فحذفت همزته تخفيفا ومتكاء بالتشديد والمد وهي كقرأة العامة الا انه اشبعت الفتحة فتولد المد منها كما في منتزاح بمعنى منتزح ومتكا بضم الميم وفتحها وسكون التاء وتنوين الكاف والمتك والمتك بضم الميم وفتحها الاترج وقيل هو اسم لجميع ما يقطع بالسكين اترجا كان او غيره من الفواكه وقيل هو من متك الشئ بمعنى بتكه اى قطعه فيحتمل ان يكون الميم بدلا من الباء بدلا مطردا في لغة قوم يقولون مازلت راتما اى راتبا ويحتمل ان يكون مادة اخرى وافقت هذه المادة في المعنى وقيل فيه اللغات الثلاث اعني ضم الميم وفتحها وكسرها ومتكأ على وزن مفعلا من تكئ يتكئ اذا اتكأ ﴿ قوله والهاء ﴾ يعني ان ضمير اكبرنه على تقدير ان يكون بمعنى عظمنه ودهشن من حسنه ضمير يوسف واما اذا كان بمعنى حضن فالزمخشري قال الهاء حينئذ تكون للسكت ولم يلتفت المصنف اليه بناء على ان تحريك هاء السكت لحن ولو كانت للسكت لسكنت واختار ان تكون هاء ضميرا فقال والهاء ضمير المصدر المدلول عليه بفعله اى اكبرن الاكبار او ضمير يوسف والمعنى حضن لهن من شدة الشبق وهو شدة الاضطراب واستدلوا لكون الاكبار بمعنى الحيض قوله

۞ يأتي النساء على اطهارهن ولا ۞ يأتي النساء اذا اكبرن اكبارا ۞

﴿ قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ﴾ اى استرها لئلا يرفع برقعه على وجهك فان لحت اى ان ظهرت حاضت الابكار الشواب في خدورهن عشقا وصبابة فان المرأة اذا احتلمت واشتدت شهوتها سال الدم حيضها والعواتق جمع عاتق يقال جارية عاتق اى شابة اول ما ادركت وبلغت فخدرت في بيت اهلها لاتظهر من بين اهلها الا اذا زوجت ﴿ قوله كما قرأه ابو عمرو ﴾ فانه قرأ حاشا لله بالف حال الوصل فاذا وقف حذفها اتباعا للخط وقرأ الباقون بغير الف في الحالين ﴿ قوله وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه ﴾ اى كونها حرف جر في الاصل ثم نقل الى معنى المصدر اى براءة وتنزيها لله مع ان النحاة عدوها من الادوات المترددة بين الحرفية والفعلية وقالوا ان جرت فهي حرف وان نصبت فهي فعل وهي من ادوات الاستثناء ولم يعرف سيبويه فعليتها وان ذهب اليها غيره ولذلك اختار المصنف حرفيتها لانها ثابتة بالاتفاق بخلاف فعليتها وما نقل عن ابي علي الفارسي من انه فعل وفيه ضمير يوسف عليه الصلاة والسلام بمعناه جانب وبعد مما توهم لله اى لخوفه ومراقبته فضعيف لان المعنى في حاش لله وحاشا لله وسائر وجوه استعمالاته لا يختلف ولثبوت معنى التعجب حينئذ وما استدل به من انه لا يكون حرفا لدخوله على حرف الجر لان الحرف لا يدخل على الحرف اذا لم يكن فيه تضعيف فجوابه ان التصرف المذكور اغا لطه بعد جعله اسما مع ان الحرف قد يدخل على الحرف من غير تضعيف كقولهم اما والله حرام والله والدليل على نقله الى معنى المصدر اضافته لان حرف الجر لا يضاف ولا يبتدأ به الكلام وكذا اذا كان حرف استثناء فحاشا في الآية الكريمة ليست حرفا ولا فعلا وانما هي اسم مصدر نقل من حاشا حال كونه حرف استثناء وهو معنى التنزيه كانه قيل تنزيها لله وبراءة له وانما لم ينون مراعاة لاصله الذي نقل منه وهو الحرفية ﴿ قوله وبشرى ﴾ بكسر الباء الجارة الداخلة على الشرى بمعنى ما هذا حاصلا بالشرى وقرأة العامة فتح الباء على ان لفظ البشر كلمة واحدة غير مركبة من الاسم والحرف فهي الموافقة لخط المصحف حيث كتب فيه بالالف والشرى انما يكتب بالياء ﴿ قوله فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه ﴾ الظاهر ان يكون ذلك مبتدأ والموصول بصلته خبره الا ان ما ذكر من النكتة في الاشارة بلفظ البعيد الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو حاضر يقتضي ان يقدر مبتدأ ويجعل ذلكن

اوفهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة اقرّت لهنّ حين عرفت انهنّ يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته (ولئن لم يفعل ما آمره) اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف (ليسجننّ وليكونن من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكوننّ وهو مخالف لخط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (احب الي مما يدعونني اليه) اي آثر عندي من مؤاتاتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهنّ جميعا لانهنّ خوّفنه من مخالفتها وزيّن له مطاوعتها او دعونه الى انفسهنّ وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والا تصرف) وان لم تصرف (عني كيدهنّ) في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة (اصب اليهنّ) امل الى جانبهنّ او الى انفسهنّ بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق (واكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء (فاستجاب له ربه) فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف (فصرف عنه كيدهنّ) فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء الملتجئين اليه (العليم) باحوالهم وما يصلحهم (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقدّ القميص وقطع النساء ايديهنّ واستعصامه عنهنّ وفاعل بدا مضمر يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتّى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان) اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسمّاه (قال احدهما) يعني الشرابي (اني اراني) اي ارى في المنام

الذي الخ خبره وتقدير النكتة ان ذلك وان كان موضوعا لان يشار به الى المشار المحسوس البعيد الا انه قد يشار به اشارة عقلية الى محسوس غير مشاهد تنزيلا للاشارة العقلية منزلة الحسية ومن المعلوم ان المحسوس الغير المشاهد غائب فيكون في حكم البعيد فيصح ان يشار اليه بلفظ ذلك قال النحرير المحقق في شرح التلخيص ولفظ ذلك صالح للاشارة الى كل غائب عينا كان او معنى بان يحكى عنه اولا ثم يشار اليه نحو جاءني رجل فقال ذلك الرجل فلما سمعت زليخا قول النسوة ان امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني بحيث لم يبق لها صبر ولا قرار الا بوصله علمت انهنّ اشتغلن بمراودته عن نفسه فقد سبق ذكر العبد الكنعاني الغائب الذي لم تتصوّره النسوة بما هو عليه من كمال الحسن ولطافة المنظر فاشارت اليه بقولها فذلكنّ وجعلته خبرا لمبتدأ محذوف فكانها قالت هذا الذي رأيتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه واشارت بهذا الى الشخص الحاضر عندها وبقولها ذلكنّ الى الذي تصوّرنه ﴿قوله او فهذا الذي لمتنني﴾ على ان يكون ذلكنّ مبتدأ والموصول مع صلته خبره واشير الى المشاهد المحسوس بلفظ البعيد تعظيما للمشار اليه بالبعد تنزيلا لبعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة ولما اظهرت زليخا عند النسوة عذرها في شدة محبتها له وهو انهنّ بنظرة واحدة حققن ما هوا عظم مما لحقها مع طول زمان كونه عندها كشفت عن حقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم كي يعاونها على الانة عريكته والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستعظم واستجمع الرأي ﴿قوله اي ما آمر به﴾ على ان تكون كلمة ما موصولة وان يرجع ضمير به الى الموصول بحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او امري اياه على ان تكون ما مصدرية ﴿قوله آثر عندي﴾ لما كان محبة الشيء مستلزمة لكونه مرضيا عند المحب وكان السجن مكروها غير مرضي فسر المحبة بالايثار لان اختيار الشيء لا يستلزم كونه مرضيا فان المكره يختار اهون الشرين مع ان شيأ منهما غير مرضي عنده ﴿قوله وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه﴾ وهو فعل والفعل لا يكون مخبرا عنه فلا يقال ضرب قتل فتقدير الكلام ثم بدا لهم سجنه الا انه اقيم هذا الفعل مقام ذلك الاسم وكلمة ثم في قوله تعالى ثم بدا لهم تدل على تغير رأيهم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك ان زوج المرأة قد ظهر له براءة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا جرم لم يتعرض له واحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل يوسف عليه الصلاة والسلام على موافقتها في مرادها فلم يلتفت يوسف عليه الصلاة والسلام اليها فلما ايست منه احتالت في طريق فقالت لزوجها هذا العبد العبراني فضحني بين الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه وانا لا اقدر على اظهار عذري فارى ان الاصلح ان تحبسه ليمتنع عن الناس وينحط منهم ويسقط ذكر هذا الحديث وكان العزيز مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها فاغتر بقولها ونسي به ما راى من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وحتى في قوله حتى حين جارة بمعنى الى كانه قيل ليسجنه زمانا ذكر في الكتب الفقهية انه لو حلف بقوله والله لا اكلم فلانا حينا او زمانا بلا نية على شيء من الوقت فهو محمول على نصف سنة ومع نية شيء معين من الوقت فانوى من الوقت وقال اهل اللغة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل ولا دلالة في الآية على تعيين مدة حبسه وانه القدر المعلوم انه بقي محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى وادكر بعد امة وفي الآية محذوف والتقدير لما رأوا حبسه حبسوه وحذف ذلك لدلالة قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قيل هما غلامان للملك الاكبر بمصر احدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب الطعام يريد ان يسمه اي ان يسقيه السم وظن ان الآخر يساعده عليه فامر الملك بحبسهما قيل ان جماعة من مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسمّا الملك في طعامه وشرابه ثم ان الساقي نكل عن ذلك وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما احضر كل واحد منهما طعام الملك وشرابه قال الساقي ايها الملك لا تأكل الطعام فانه مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام على دابة فاكلت فهلكت فامر الملك بحبسهما ﴿قوله اي ارى في المنام﴾ يدل على ان المراد ذلك قولهما نبئنا بتأويله ولو كان المراد رؤية العين لم يكن له وجه وايضا لو كان المراد حكاية ما طرأ عليه حال اليقظة لكفاه ان يقول اعصر ولما احتاج الى ان يقول اراني واختلف في انهما هل رأيا رؤيا او لم يريا شيأ فقال بعضهم ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين للآخر هلم فلنجرب هذا

العبد العبرانى رؤيا نخترعها عليه فسألاه من غير ان يكونا رأيا شيأ وقال آخرون ومنهم مجاهد انهما قد رأيا حين ادخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف عليه الصلاة والسلام وسألاه عنها فقال الساقى ايها العالم انى رأيت كانى فى بستان فاذا انا باصل حبلة حسنة فيها ثلاثة اغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال صاحب الطعام انى رأيت كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز والوان الاطعمة وارى سباع الطير تأكل منها اى من السلة العليا وتنهس الخبز اخذه بمقدم الاسنان قيل المراد باحسان يوسف عليه الصلاة والسلام احسانه فى علم التعبير لانه عليه الصلاة والسلام متى عبر رؤيا لاحد من اهل السجن وقع الامر على ما عبر به وروى ان احسانه مثل ما كان احسان يوسف عليه الصلاة والسلام فقال انه كان يؤثر الاحسان ويأتى بمكارم الاخلاق فى جميع الاحوال وكان يعود مريضهم ويؤنس حزينهم واذا ضاق على رجل مكانه يوسع له وان احتاج احد جمع له ما يحتاج اليه وقال الفراء والزجاج احسانه كونه من العالمين الذكرين للناس ما ينتفع به الناس فى معاشهم ومعادهم * الجوهرى يقال هو يحسن الشئ اى يعلمه وقالا ذلك لانهما سمعا يوسف عليه الصلاة والسلام يذكر الناس ما يعلم منه انه عالم فلما سمع يوسف عليه الصلاة والسلام قولهما هذا وصل به قوله لا يأتيكما طعام الخ ليريهم ان علمه فوق ما يعلمه العلماء وجعل وصف نفسه بالعلم الفائق وسيلة الى ذكر التوحيد وذلك لان جواب فتواه هو قوله ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا الآية لكن قدم عليه مقدمة الدعوة الى التوحيد لانها اول ما يجب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولها بعثوا وبها امروا فجعل قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الى قوله ولكن اكثر الناس لا يشكرون متصلا الى قوله ياصاحبى السجن أرباب متفرقون فقوله لا يأتيكما طعام مقدمة لاصل الجواب الذى هو تعبير الرؤيا من حيث ان تأويلها وتعبيرها من قبيل العلم بالغيب وهذا القول يدل على علمه بما فيوطن انفسهما لقبول ما يرد بعده من الجواب وجعله مخلصا لمطلوبه وذريعة الى الشروع فى اثبات التوحيد ونفى الشرك من تلقاء نفسه لكون ذلك ابلغ فى نصحهم وارشادهم الى الحق ولو دعاهم الى التوحيد ابتداء بان قال لهم من اول الامر أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار لبسوا له جلد النمر ولم يلتفتوا اليه فيفوت غرضه الذى هو ان ينتفع به فى الدين ﴿قوله اى بتأويل ما قصصتما على﴾ على ان يكون المراد من التأويل عبارة عن مآل الشئ ومرجعه كما هو المراد منه فى قولهما نبئنا بتأويله وهو المعنى الاصلى للتأويل وفى النهاية ان التأويل من آل الشئ يؤول الى كذا اى رجع وصار اليه وتأويل الآية نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصلى الى معنى يرجع اليه المراد من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لما ترك ظاهر اللفظ ﴿قوله او بتأويل الطعام بمعنى بيان ماهيته وكيفيته﴾ والتأويل بمعنى كشف الماهية وبيان كيفيتها ليس من قبيل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصلى الى معنى يرجع اليه المراد من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لما ترك ظاهر اللفظ بل هو بيان المجمل والمشكل الذى يحتاج الى تفصيله وكشفه وذلك لان صاحبى السجن كانا يطلعان على الاجمال ما يحمل اليهما من الطعام لكن ماهية ذلك الطعام وكيفيته لم تكن معلومة عندهما فاذا بين ذلك لهما فقد فسر ما هو المبهم عندهما وسمى هذا البيان والكشف تأويلا على سبيل المشاكلة لقولهما نبئنا بتأويله ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونه وصف نفسه بما وصفها من كونه من اهل النبوة وكون ابيه وجده انبياء الله ورسله لاجل ان تقوى رغبتهما فى الاستماع والوثوق عليه لكن ذلك ليس من قبيل التزكية التى نهى عنها بقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم فان فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم فضل اسحق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام كان امرا مشهورا فى الدنيا فاذا ظهر انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بالاجلال فكان انقيادهم له اتم وتأثير قلوبهم بكلامه اكمل فلذلك عرف شرف نسبه ولم يكن ذلك من قبيل التزكية المذمومة فان قيل قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يوهم انه عليه الصلاة والسلام كان من هذه الملة فاجيب عنه اولا بان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ وليس من شروطه ان يكون قد خاض فيه وثانيا انه صلى الله عليه كان لهم عبدا بحسب زعمهم الفاسد ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايمان خوفا منهم ثم انه اظهره فى هذا الوقت وادعى النبوة واظهر المعجزة وهى الاخبار عن الغيب فكان هذا جاريا مجرى ترك اولئك الكفرة بحسب الظاهر ﴿قوله وتكرير الضمير﴾ يعنى تكرير ضميرهم وتقديمه على كافرون للدلالة على الاختصاص والتأكيد فالتخصيص فهم من التقديم والتأكيد من التكرير ﴿قوله اى شئ كان﴾ من ملك او انس او جن فكيف بصنم مصنوت فالمراد بالشئ المشرك اى ما كان لنا ان نشرك بالله شيأ غيره ويجوز ان يكون شئ بمعنى المصدر اى شيأ

هى حكاية حال ماضية (اعصر خمرا) اى عنبا وسماه بما يؤول اليه (وقال الآخر) اى الخباز (انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) تنهش منه (نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) اى بتأويل ما قصصتما على او بتأويل الطعام بمعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير (قبل ان يأتيكما ذلكما) اى ذلك التأويل (مما علمنى ربى) بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهن او التنجيم (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) اى شئ كان (ذلك) اى التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه (ولكن اكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها

(ياصاحبي السجن) اى ياساكنيه اوياصاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله ياسارق الليلة اهل الدار (أأرباب متفرّقون) شتى متعدّدة متساوية الاقدام (خير ام الله الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب الذي لايعادله ولايقاومه غيره (ماتعبدون من دونه) خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر (الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لاتعبدون الا الاسماء المجرّدة والمعنى انكم سميتم مالم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولانقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ماتطلقون عليها (ان الحكم) فى امر العبادة (الا لله) لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل المالك لامره (امر) على لسان انبيائه (ان لاتعبدوا الا اياه) الذى دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وانتم لاتميزون المعوج من القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اوّلا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان مايسمونها آلهة ويعبدونها لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ماهو الحق القويم والدين المستقيم الذى لايقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه (ولكنّ أكثر الناس لايعلمون) فيخبطون فى جهالاتهم (ياصاحبي السجن اما احدكما) يعنى الشرابى (فيسقى ربه خمرا) كما كان يسقيه قبل ويعود الى ماكان عليه (واما الآخر) يريد الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا كذبنا فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهومايؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة مانزل بهما (وقال للذى ظن انه ناج منهما) الظان يوسف ان ذكر ذلك من اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأوّل الظن باليقين (اذكرنى عند ربك) اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر للابسته له او على تقدير ذكراخبار ربه اوانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره

من الاشراك ومن مزيدة على التقديرين ﴿ قوله ياساكنيه اوياصاحبيّ فيه ﴾ اى يجوز ان يكون ياصاحبي السجن من باب الاضافة الى المفعول به نحو اصحاب الجنة واصحاب النار ويكون من باب الاضافة الى الظرف اتساعا كما تقول ياسارق الليلة فكما ان الليلة غيرمسروقة بل هى مسروق فيها فكذلك السجن ليس مصحوبا بل هومصحوب فيه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ادّعى النبوّة فى الآية الاولى وكان اثبات النبوّة مبنيا على اثبات الالهيات شرع فى تقرير الالهيات وفساد عبادة الاصنام فقال ءأرباب متفرّقون خير على سبيل الاستفهام الانكارى اى انكر القول بتعدد الآلهة بناء على انتفاء لازمه الذى هواختلال نظام هذا العالم المشاهد المحسوس فان كثرة الآلهة توجب الفساد والخلل ووحدة الآلهة تقتضى حسن الترتيب والانتظام التام ولاشك انه خير من الفساد والاختلال فثبت ان مايقتضى ذلك هو الخير لان مايقتضى فساد السموات والارضين لاخير فيه ﴿ قوله اى الا اشياء باعتبار الخ ﴾ اشارة الى ان المراد بالاسماء المسميات مجازا او على حذف المضاف اى الاذوات الاسماء لان ابقاءها على اصل معناها يستلزم ان تكون المسميات حاصلة فى نفس الامر وهو مخالف لما سبق من ءأرباب متفرّقون لانه يدل على عدم وجود هذه المسميات فى نفس الامر فتقدير قول المصنف اى الا اشياء ملتبسة باعتبار اسام وسميتموها فى الآية صفة الاسماء بمعنى المسميات وهو متعدّ الى مفعولين ثانيهما محذوف اى سميتموها آلهة تأكيد للمسترفيه ليتأتى العطف عليه * واعلم انه عليه الصلاة والسلام لما قرر التوحيد والنبوّة عاد الى تأويل رؤياهما التى سبق تقريرها فقال للساقى ما احسن مارأيت اما حسن الحلبة فهو حسن حالك واما الاغصان الثلاثة فثلاثة ايام يوجه الملك اليك عند انقضائهن فيردك الى عملك فتصير كما كنت بل احسن وقال للخباز بئس مارأيت فالسلال الثلاث ثلاثة ايام يوجه اليك الملك عند انقضائهن فيصلبك وتأكل الطير من رأسك فقالا مارأينا شيأ فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى فرغ منه يعنى سيقع ماعبرت لكما صدقتما اوكذبتما وانما جزم يوسف عليه الصلاة والسلام بوقوع الامر بهما من قبل وحى اتاه من الله تعالى وبين ان عاقبة كل واحد منهما تكون على الوجه المخصوص لانه عليه الصلاة والسلام لو بنى جوابه على علم التعبير لما قال قضى الامر لان علم التعبير مبنى على الظن والحسبان قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ولا يبعد ايضا ان يقال انه عليه الصلاة والسلام بنى جوابه ذلك على علم التعبير وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان لم يعن به ان لدى ذكره واقع لامحالة بل عنى به ان حكمه فى التعبير مايشاء الظان يوسف عليه الصلاة والسلام ان كان ماذكره من التعبير لان تلك القواعد لاتفيد التعيين ولااليقين وانما تفيد الظن والتخمين فيصح اسناد الظن بالمعنى المشهور الى يوسف عليه الصلاة والسلام حينئذ فى قوله وقال للذى ظن انه ناج واما اذا كان تعبيره بطريق الوحى فلا يصح اسناد الظن اليه عليه الصلاة والسلام لان الوحى انما يفيد اليقين دون الظن فيتعين كونه مسندا الى الناجى ويكون المعنى وقال يوسف للرجل الذى ظن ذلك الرجل انه ناج وكان غافلا فى نجاته من حيث انه لم يطمئن قلبه بنبوّة يوسف عليه الصلاة والسلام لكن كان حسن الاعتقاد فى حقه فلذلك غلب على ظنه كونه مصيبا فى التعبير ﴿ قوله فاضاف اليه المصدر للابسته له ﴾ يعنى الظاهر ان يقال ذكره لربه على اضافة المصدر الى مفعوله لان الشائع فى اضافته ان يضاف الى الفاعل او الى المفعول به الصريح الا انه اضيف الى غيرالصريح للابسة اوهو مضاف الى المفعول به الصريح المقدر اى ذكراخبار ربه ﴿ قوله اوانسى يوسف ذكر الله ﴾ اى ان يذكر ربه تعالى وان لايستعين بغيره من المخلوقين فان اللائق بمنصبه ان لايعرض حاجته لسوى الله تعالى وان يقتدى بجده ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال له جبريل هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا ثم قال * الى الله تعالى قال حسبى من سؤالى علمه بحالى قال المفسرون لما استعان يوسف بغيرالله تعالى عاقبه الله تعالى سبع سنين بعد الخمس التى حبسها الى وقت قوله اذكرنى عند ربك وروى ان جبريل دخل على يوسف عليهما الصلاة والسلام فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يااخا المنذرين مالى اراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت منى اذا استشفعت بالآدميين فوعزتى وجلالى لالبثك فى السجن بضع سنين قال الاصمعى البضع مابين الثلاث الى التسع وعامة المفسرين على ان المراد بالبضع ههنا سبع سنين وهو منصوب على الظرف الزمانى والمهازيل جمع مهزول من الهزال وهوضدّ السمن وسمان جمع سمين وسمينة ككرام جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام والعجف الهزال ليس بعده حدّ والعجاف جمع عجفاء وجمع على

ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء (فلبث في السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (واخر يابسات) وسبعا اخر يابسات فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (يا ايها الملأ افتوني في رؤياي) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله

صال مع ان اصل وصلاء لا يجمعان على فعال حملا على سمان ﴿قوله واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها﴾ يعني لم يقل اني ارى سبع بقرات سمانا على انه صفة سبع ويكون المراد بالمهازيل السبع من البقرات مطلق نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير لكن ههنا حمل النقيض على النقيض مطلقا لان المقصود من التمييز رفع الابهام المستقر في المميز وهذا المقصود انما يحصل بان يميز السبع بالبقرات الموصوفة بالسمن ولو جعل سمان صفة سبع وجعل بقرات تمييزا للسبع الموصوفة بالسمن وقيل ارى سبع بقرات سمانا لوقع التمييز بجنس البقرات ولو جعل سمان صفة للتمييز لوقع التمييز بنوع البقرة وهي البقرات السمان ولا شك ان التمييز بالنوع اولى وابلغ من التمييز بالجنس لاشتمال النوع على الجنس فقوله لان التمييز بها اي بالسمان من البقرات لا بجنس البقرات ﴿قوله ووصف السبع الثاني بالعجاف الخ﴾ اي لم يجعل عجافا مجرورا على انه مميز العدد بل وقع على انه صفة للسبع لتعذر التمييز بها مجردا من الموصوف وذلك لان المقصود من التمييز بيان جنس المميز وحقيقته والعجاف صفة لا يدل على الحقيقة وانما يدل على شيء ما متصف بشيء فلا يصلح للتمييز الا اذا كان جاريا على الموصوف فتعين جعله صفة للعدد ﴿قوله ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا﴾ اي بتفسيرها وتأويلها يقال عبرت الرؤيا تعبيرا بمعنى عبرتها ايضا وقوله اثبت اي في ألسنة الفصحاء بالنسبة الى لغة التثقيل ويقال ايضا عبرت النهر وعبره اعبره عبرا وعبورا اذا جاوزته ووصلت الى الجانب الآخر من عرضه وقيل لعابر الرؤيا عابر لانه يتأمل جانبي الرؤيا ويتفكر في اطرافها وينتقل من احد الطرفين الى الآخر فصار الرؤيا مأخوذ من عابر النهر ﴿قوله واللام للبيان﴾ كأنه لما قيل ان كنتم تعبرون قيل لاي شيء قيل للرؤيا كما ان لفظة فيه في قوله وكانوا فيه من الزاهدين فبيان كأنه لما قيل من الزاهدين قيل في اي شيء زهدوا قيل فيه ﴿قوله او لتقوية العامل﴾ فانه وان كان فعلا قويا في العمل لكن طرأ عليه الضعف بتقديم معموله عليه فقوى باللام المزيدة كما يقوى بها اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال لما يريد فمثل هذه اللام لا تتعلق بشيء وانما تزاد لمجرد التقوية وقد تزاد عند فقدان الشرطين جميعا كما في قوله تعالى ردف لكم فانه لا فرعية فيه ولا تقديم مع انه زيدت اللام ﴿قوله وهي تخاليطها﴾ اي اباطيلها واكاذيبها وفي الصحاح اختلط فلان اي فسد عقله والتخليط في الامر الافساد فيه ﴿قوله فاستعير للرؤيا الكاذبة﴾ تشبيها لها بما جمع وحزم من انواع النبات والحشائش والجامع الاختلاط من غير تمييز بين الجيد والردي وتسميته لها باسم المشبه به واضافة الاضغاث الى الاحلام قرينة الاستعارة والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام وسكونها الرؤيا اي ما يراه النائم في النوم باطلا كان او حقا فلفظ الاحلام لو لم يتناول كلا القسمين لما اضيف اليها الاضغاث التي هي الاباطيل اضافة بمعنى من فانها تستدعي ان يكون المضاف اليه جنسا يندرج فيه المضاف وغيره وقد تخص الرؤيا باسم الحق والحلم باسم الباطل كما في قوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ﴿قوله وانما جمعوا﴾ يعني جمعوا الاضغاث وجعلوه خبرا لهذه الرؤيا مع انها ليست الا رؤيا واحدة لا ليدل على كثرة آحاد ما يدل عليه مفرده بل انما جمع للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان فان لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل ايضا على المبالغة في الاتصاف كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الهند لمن لا يركب الا فرسا واحدا وماله الا عمامة واحدة مبالغة في الوصف فهؤلاء ايضا بالغوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ﴿قوله يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة﴾ على ان يكون تعريف الاحلام في قولهم وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين للعهد والمعهود ما صرحوا به من قولهم اضغاث احلام ولم يحملوه على تعريف الجنس وهو ما يعم كل احد من الاحلام ماهي لان حمله عليه يستلزم ان ينفي القوم عن انفسهم كونهم عالمين بتعبير جنس الرؤيا فيبقى قولهم هذه اضغاث احلام ضائعا بلا فائدة بخلاف ما اذا حمل على تعريف العهد فانه حينئذ يكون قولهم ذلك تمهيد عذرهم في انهم غير عالمين بها ويكون محصل جوابهم ان الرؤيا على قسمين منها ما يكون منسقة منتظمة فيسهل الانتقال من الامور الخيالية الى الحقائق العقلية الروحانية ومنها ما يكون مختلطة مضطربة ولا يكون فيها ترتيب معلوم وهو المسمى بالاضغاث فالقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم اخبروا انهم غير عالمين بتعبير هذا القسم فكأنهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من اشياء كثيرة وما كان كذلك فنحن لا نهتدي الى تعبيره وفيه ايهام ان الكامل في هذا العلم والمتبحر فيه يهتدي الى تعبيره فقوله وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يكون بهذا الاعتبار كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتعبيرها كأنهم قالوا هذه الرؤيا من قبيل اضغاث الاحلام وما نحن بمتبحرين في علم التعبير فلا نهتدي الى تعبيرها واعلم ان الملك لما رأى ما رآه من الرؤيا

(وقال الذى نجا منهما) من صاحبى السجن وهو الشرابى (وادكر بعد امّة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ امّة بكسر الهمزة وهى
النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يأمه أمها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول (انا انبئكم بتأويله فارسلون)
اى الى من عنده علمه او الى السجن
(يوسف ايها الصدّيق) اى فارسل الى يوسف
فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصدّيق وهو
المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف
صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه
(أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات)
اى فى رؤيا ذلك (لعلى ارجع الى الناس)
اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد
اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون)
تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام
فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم
دونه ولا من علمهم (قال تزرعون سبع سنين
دأبا) اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على
الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله
اى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ
حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب
فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه
فى صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم
فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس وهو
على الاول نصيحة خارجة عن العبارة
(الا قليلا مما تأكلون) فى تلك السنين
(ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن
ما قدمتم لهن) اى يأكل اهلهن ما ادخرتم
لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين
المعبر والمعبر به (الا قليلا مما تحصنون)
تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتى من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس) يمطرون من
الغيث او يغاثون من القحط من الغوث
(وفيه يعصرون) ما يعصر كالعنب والزيتون
لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ
حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه
ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه اى يغيثهم
الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت
السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض
او تضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم
بها بعد ان اوّل البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل
ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم

قلق واضطرب بسبب انه شاهد ان الناقص الضعيف استولى على الكامل القوى فشهدت فطرته بان هذه الرؤية
صورة شرّ عظيم يقع فى المملكة الا انه ما عرف كيفية الحال فيه فاشتاق ورغب فى تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه
فجمع اعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال لهم يا أيها الملأ افتونى فى رؤياى ثم انه تعالى اعجز هؤلاء الذين
حضروا عنده عن جواب هذه المسئلة وعماه عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من
الحبس لان شأنه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فلما اعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب جثى الشرابى بين
يدى الملك فقال انا انبئكم بتأويله فقال الملك وما يدريك باعلام فلست بكاهن ولا معبر فقص عليه ما جرى له مع
الخباز من انهما رأيا فى السجن منامين واخبر كل واحد برؤياه رجلا مسمى بيوسف وطلب منه تعبير رؤياه فعبرها
وصدق فى جميع ما وصفه ولم يسقط من تعبيره شئ فان اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتعبير هذه الرؤيا
وهو قوله تعالى وقال الذى نجا منهما وادّكر بدال مهملة مشددة وهى قرآءة العامة اصله اذ تكر وهو افتعل
من الذكر فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فابدلت دالا فاجتمع متقاربان فابدل اولهما بجنس الثانى وادغم وقول
المصنف تذكر يوسف ليس بيانا لاصل الكلمة والا لقيل اذكر بتشديد الذال والكاف وقرأ الجمهور بعد امة بضم
الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة وهى المدة الطويلة الحاصلة من اجتماع الامم الكثيرة كما ان الامة انما تحصل من
اجتماع الجمع العظيم فالمدة الطويلة كأنها امة من الايام والساعات وقرئ بعد أمه بفتح الهمزة والميم المخففة والهاء
المنونة من الامه وهو النسيان يقال امه يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها ﴿قوله والجملة اعتراض﴾
ويجوز ان تكون حالا من الموصول وان تكون معطوفة على نجا ثم ان الشرابى قرر الرؤيا وقد تختلف بسبب
اختلاف اللفظ كما هو المذكور فى علم التعبير ثم انه عليه الصلاة والسلام ذكر تعبير تلك الرؤيا فقال تزرعون سبع
سنين وهو خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن وقوله والوالدات يرضعن ويدل على كونه
بمعنى الامر قوله فذروه فى سنبله وقوله دأبا قرأ حفص بفتح الهمزة والباقون بسكونها وهما لغتان فى مصدر
دأب يدأب اى دام على الشئ ولازمه على عادته والمعنى فازرعوا سبع سنين مستمرين على الزراعة على عادتكم
او ازرعوا تدأبون دأبا اى يحصل لكم بسبب تلك الزراعة ما تعتادونه من الغلة ونماء الارض ورفع شداد فى قوله
سبع شداد على انه صفة سبع ولم يجعل مجرورا تمييزا لسبع لامر من انه صفة يعتبر التمييز بها مجردا عن الموصوف
بخلاف سنين فى قوله سبع سنين والمعنى ثم يأتى من بعد ذلك سبع سنين شداد اى صعاب مجدبات تشتد على الناس
تأكل تلك السنون ما ادخرتم لاجلهن اى يذهبنه ويفنينه اسند الاكل والافناء الى السنة وهى لا تأكل شيأ
اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى زمانه كما فى قوله تعالى والنهار مبصرا تطبيقا بين المعبر والمعبر به فان السبع
بقرات السمان فى المعبر مأولة بسبع سنين مخصبات والسبع العجاف اكلن تلك البقرات السمان فكذا اسند الاكل
فى المعبر به ايضا الى السنين المجدبة مع ان الاكل انما هو حال اهلها تطبيقا بينهم ﴿قوله يغاث الناس﴾ معناه
يمطرون ويسقون الغيث ويجوز ايضا ان تكون الفها مبدلة من الواو على ان تكون من الغوث الذى هو الفرج
وزوال الهمّ والكرب وعلى هذا يكون فعله رباعيا يقال استغاث الله تعالى فاغاثه اى انقذه من الكرب الذى
فيه وهو القحط فى قصة الرؤيا ﴿قوله من الغيث﴾ اى يجوز ان تكون الف يغاث مقلوبة من الياء على
ان يكون مشتقا من الغيث الذى هو مصدر قولك غاث الله البلاد يغيثها غيثا اذا انزل بها الغيث وهو المطر وقد
غيثت الارض تغاث اذا مطرت ﴿قوله او من اعصرت السحابة﴾ اى شارفت ان تعصرها الرياح
فتمطر على ان يكون همزة اعصر فيه كما فى احصد الزرع فان قرئ يعصرون على بناء المفعول على ان يكون من
اعصرت السحابة فلابد من احد التأويلين لان اعصر بهذا المعنى لا يتعدى حيث يسند الى المفعول القائم مقام
الفاعل ﴿قوله ولعله عليه الصلاة والسلام علم ذلك بالوحى﴾ وذلك لان رؤيا الملك انما تدل على ان كل
واحد من السنين المخصبة والمجدبة سبع وان السنين المجدبة يأكلن ما جمع فى السنين المخصبة وليس فيها ما يدل على
ان حال السنة التى تأتى بعد انقضاء تلك السنين المذكورة ماهى فتعين انه عليه الصلاة والسلام ما علم ذلك
الا بالوحى ويجوز ان يعلمه من الرؤيا بناء على ان الملك لما رأى ان العجاف سبع دل ذلك على ان السنين المجدبة
لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم ان الحاصل بعد انتهاء زمان القحط ليس الا زمان الخصب بحكم ان
العالم لا يخلو عن احد الضدين او بحكم ان سنة الله جرت على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم ثمان

الشرابي لما عرض على الملك التعبير الذي ذكره يوسف عليه الصلاة والسلام قال ائتوني به فعاد الشرابي الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال اجب الملك فأبى يوسف عليه الصلاة والسلام ان يخرج من السجن الا بعد ان يفحص الملك عن حاله مع النسوة لتنكشف حقيقة الحال وبرآءته مما اسند اليه من الخيانة في حق العزيز واهله ليظهر كمال عقله وصبره ووقاره فان من بقي في السجن اثنتي عشرة سنة اذا طلبه الملك وامر باخراجه ولم يبادر الى الخروج وصبر الى ان تبين براءته دل ذلك على براءته من جميع انواع التهم وعلى ان كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتانا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استحسن حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر الى الخروج حيث قال « لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره دعاه الملك فلم يبادر والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني ولقد عجبت حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة الآية ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حليما ذا أناة » فقوله عليه الصلاة والسلام والله يغفر له ونحوه مقدمة تذكر امام المقصود تعظيما لمن قيل له ذلك وتوقيرا له وهو كما تقول لمن تعظمه عفا الله عنك ما صنعت في امري ﴿ قوله وانما قال فاسأله ﴾ يعني انه عليه الصلاة والسلام امر الرسول بان يسأل الملك عن شأن النسوة وحالهن ولم يأمره بان يسأل الملك ان يفتش عن حالهن مع ان المقصود ذلك لكون الطريق الذي آثره ابلغ في افادة المقصود وذلك لان فعل السؤال علق بكلمة ما التي يستكشف بها حقيقة الشيء فاذا قلت سألته ما الانسان كان معناه طلبت منه ان يبين لي ماهية الانسان وحقيقته واذا قلت سألته الخبر كان المعنى طلبت منه ان يعطيني الخبر فلما قال فاسأله ما بال النسوة فقد امره ان يطلب من الملك كشف حقيقة حالهن وهذا الطلب يحمل الملك على التفتيش عن حالهن من حيث ان الانسان حريص على الاطلاع على حقيقة الشيء ويستنكف من ان ينسب الى الجهل بها فلا جرم اذا سئل عنها يبذل جهده في التفتيش عنها وتحصيل العلم بها بخلاف ما لو قيل فاسأله ان يفتش عن حالهن فانه انما يدل على ان يطلب الرسول من الملك ان يفتش عن حالهن والملك لا يبالي بهذا الطلب بل ولا يلتفت الى مثل هذا الطلب من هو ادنى حالا من الملك بمراتب ﴿ قوله بريء مما قذف به ﴾ اى اتهم به يقال قذفت الرجل اى عبته ويقال هو يقذف بكذا اى يرمى به ويتهم فهو مقذوف اى متهم فلما اجاب يوسف عليه الصلاة والسلام الرسول بذلك رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف عليه السلام فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز فقال لهن ما شأنكن وقصتكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن وقوله راودتن وان كانت صيغة الجمع الا انه يحتمل ان يكون المراد منه خطاب زليخا على طريق اسناد فعل الجماعة الى الواحد لوقوعها بينهم ورضاهن واستحسانهن كما في قوله تعالى قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ويحتمل ان يكون المراد خطاب الجماعة اما لان كل واحدة منهن راودت يوسف عليه الصلاة والسلام عن نفسه لاجل نفسها او لان كل واحدة منهن راودته لاجل امرأة العزيز فان اللفظ يحتمل كل واحد من هذين الوجهين ولما علمت امرأة العزيز ان هذه المناظرات والتفحصات انما وقعت بسببها او لاجلها كشفت الغطاء وصرحت بما هو الواقع وقالت الآن حصحص الحق اى وضح وانكشف وتمكن في النفوس والقلوب قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصة اى بانت حصة الحق من حصة الباطل ولما علمت زليخا ان يوسف عليه الصلاة والسلام راعى جانبها حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فذكرهن ولم يذكرها مع ان الفتن كلها انما نشأت من جانبها جزمت بان رعايته اياها انما كانت تعظيما لجانبها واخفاء للامر عليها واردت ان تكافئه على هذا الفعل الحسن فلذلك اعترفت بان الذنب انما كان كله من جانبها وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من الكل « روى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان تكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة على وجهها فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها في دعواها فقالت حيث اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني ابرأت ذمته من كل حق لي عليه حصحص الحق وقوله قال

فحصحص في صم الصفا ثفناته ۞ وناء بسلمى نوءة ثم صمما ۞

الصم جمع اصم وهو الحجر الصلب والصفا جمع الصفاة وهي الصخرة الملساء وثفنات البعير مباركه وهي خمس الصدر والركبتان والرجلان وناء الحمل بحمله اذا نهض مثقلا وصمم في السير وغيره اى مضى وحصحص وناء مستندان الى ضمير البعير يقول هذا البعير القى ثفناته في ارض ذات حجارة صلبة وركبت عليه سلمى ثم قام بسلمى وقصد السفر

(وقال الملك ائتوني به) بعدما جاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن) انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله ليظهر براءته ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوصل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربي بكيدهن عليم) حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ما خطبكن) قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال شعر

فحصحص في صم الصفا ثفناته ۞ وناء بسلمى نوءة ثم صمما ۞ او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز (اني لم اخنه بالغيب) بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله

(وما أبرئ نفسي) اى لا أنزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات (الا ما رحم ربي) الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربي غفور رحيم) يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحم ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي) اجعله خالصا لنفسي (فلما كلمه) اى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (امين) مؤتمن على كل شيء روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمي اسماعيل ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولدت له منها افرائيم وميشا (قال اجعلني على خزائن الارض) ولني امرها والارض ارض مصر (اني حفيظ) لها ممن لا يستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) ارض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) في الدنيا والآخرة (ولا نضيع اجر المحسنين) بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اى

ومضى في السفر ﴿قوله الا وقت رحمة ربي﴾ على ان ما مصدرية والمصدر المؤول في محل النصب على انه مستثنى مفرغ والتقدير لامارة بالسوء في كل الاوقات الا وقت رحمة ربي ﴿قوله او الا ما رحمه الله﴾ على ان ما موصولة مستثنى من الضمير المستتر في امارة كأنه قيل ان النفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها ربي لا تأمر بالسوء والمراد بالنفس الجنس فلذلك جاز الاستثناء منها كما في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا ويجوز ايقاع ما على من يعقل على ارادة الوصف كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وقيل الآية حكاية قول راعيل عطف على قوله قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن وارتباط الآية بما قبلها على تقدير كونها من كلام راعيل انها لما شهدت على براءة يوسف عليه الصلاة والسلام واعترفت بانه على الحق وانها كانت على الباطل قالت ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه ومع ذلك ما ابرئ نفسي من الخيانة فاني خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه الصلاة والسلام ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت ولم يرض المصنف بهذا القول اى بجعل هذا الكلام بقية كلام المرأة لان قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كلام لا يحسن صدوره الا عمن احترز عن المعاصي ثم ذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التي استفرغت جهدها في المعصية ﴿قوله يغفر هم النفس﴾ على ان تكون الآية من تتمة كلام يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿قوله او يغفر للمستغفر﴾ من تتمة كلام زليخا ﴿قوله فلما اتوا به فكلمه﴾ اى كلم الملك يوسف عليه السلام وهو الظاهر لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدأ فيها بالكلام وانما الذي يبتدئ به هو الملك وان جاز ان يكون الفاعل ضمير يوسف والمفعول ضمير الملك والذهاب مفهوم دلالة ﴿قوله احب ان اسمع رؤياي منك﴾ وفي الكشاف قال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك شفاها قال يوسف عليه الصلاة والسلام رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ومكان السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك من غير ان ينقص منها جزءا قال المفسرون انه عليه الصلاة والسلام لما عبر رؤيا الملك بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون الجدبة بعت الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك من لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اى خزائن ارض مصر على ان تعريف الارض للعهد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية رحم الله اخي يوسف انه لما تأنى في الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك الامر على احسن الوجوه ولما سارع في ذكر الالتماس اخر الله ذلك المطلوب عنه ودل هذا على ان ترك التصرف وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى اولى ولم يحك الله تعالى عن الملك انه قال قد فعلت ما التمسته مني الا انه تعالى قال وكذلك مكنا ليوسف في الارض الآية وذلك يدل على ان الملك اجابه الى ما سأل الا انه تعالى اسند التمكين الى نفسه ليعلم ان المؤثر الحقيقي ليس الا الله تعالى وانه هو الذي مكنه في الارض روى ان الملك توجه بتاج الكرامة وادخل خاتم الملك في اصبعه وقلده سيفه ووضع له سريرا من الذهب مكللا بالدر والياقوت فقال يوسف عليه الصلاة والسلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته على رأسك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير متوجا ودانت له الملوك وفوض الملك اليه الامر وعزل قطفير عما كان واجلس يوسف مكانه ثم ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف من زليخا امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا فهما ابنا يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿قوله تعالى وكذلك مكنا﴾ اى ومثل ذلك التمكين الظاهر الذي انعمه يوسف عليه الصلاة والسلام مكناه في ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين ينزل من بلادها حيث يهوى لاستيلائه على جميع ارضها ودخولها تحت ملكه وسلطانه وكانت خزائن مصر وجميع بلادها بيده وتحت حكمه بعدما كان في ضيق عليه بالرق والحبس والتمكين الاقتدار واعطاء المملكة والمكنة المكانة ﴿قوله اى عرفهم يوسف﴾ عليه الصلاة والسلام وهم منكرون له لان الله تعالى قد اخبره حين ما القوه اخوته في الجب بقوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون

عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله واصل الجهاز مايعد من الامتعة لنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر (قال ائتوني باخ لكم من ابيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنوا اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم (الا ترون اني اوفي الكيل) اتمه (وانا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد في طلبه من ابيه (وانا لفاعلون) ذلك لا نتوانى فيه (وقال لفتيته) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فعل ذلك توسعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى اهلهم) وفتحوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين (فارسل معنا اخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) من ان يناله مكروه (قال) يعقوب لهم (هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل) وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون (فالله خير حفظا) فاتوكل عليه وافوض امري اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ (اي) وخير الحافظين (وهو ارحم الراحمين) فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت

علم بذلك انهم يصلون اليه ويدخلون عليه السنة فلذلك كان مترصدا لوصولهم اليه وكان يتفحص عن كل من وصل الى بابه من البلاد البعيدة ويتعرف احوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين أهم اخوته ام لا فلما وصل اخوته الى داره تفحص عن احوالهم تفحصا ظهر له بذلك انهم اخوته واما كونهم ما عرفوه فقد ذكر المصنف فيها وجوها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه ﴿قوله قال ائتوني باخ لكم﴾ لم يقل باخيكم بالاضافة مبالغة في عدم تعرفه لهم فانهم فرقوا بين مررت بغلامك وبغلام لك فان الاول يقتضي عرفانك بالغلام دون الثاني ﴿قوله اما نهي او نفي﴾ وفي الكشاف في ولا تقربون وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي انتهى وعلى التقديرين اي سواء كان خبرا او نهيا يكون داخلا في حكم الجزاء معطوفا عليه لكن جزمه على الثاني بلا الناهية وعلى الاول بالعطف على ما هو في محل الجزم ﴿قوله لا نتوانى فيه﴾ على ان قولهم لفاعلون بمعنى الاستقبال قالوه تأكيدا للوعد ويحتمل ان يكون بمعنى الحال على ان يكون الفعل مجازا عن القدرة عليه بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فيكون تنزيلا وتنبيلا وتأكيدا لفعل المراودة ﴿قوله تعالى وقال لفتيته﴾ وهي قراءة العامة على انها جمع قلة على وزن فعلة كاخوة وصبية والفتيان على وزن فعلان جمع كثرة كاخوان وصبيان والقليل من الثلاثة الى العشرة والكثير فوق العشرة والجمع المصحح من جموع القلة على الاشهر والظاهر ان قوله لغلمانه الكيالين اشارة الى وجه لقراءة على جمع القلة بناء على ان المتولي بالكيل جماعة قليلون وقراءة الفتيان توافق قوله اجعلوا بناء على ان المأمورين بالجعل غير محصورين في العشرة وما دونها وكذا ضمير الجمع في نحو اجعلوا بناء على انه لا يختص بما يستعمل فيه جمع القلة والرحال جمع رحل وهو الوعاء الذي يحمل المسافر اسبابه فيه والظاهر ان رحال الاخوة ليس اقل من عشرين غرارة فاذا وكل بكل غرارة واحد من الفتيان يكون المأمورون كثيرين زائدين على العشرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان بضاعتهم التي هي ثمن طعامهم كانت نعالا وأدما وقيل كانت دراهم والمكيال والكيل ايضا مصدر قولك كلت الطعام اذا اعطيته كيلا وكل واحد من المعنيين يصح في هذا المقام الا انه اذا كان بمعنى المكيال يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال يقال اكتلت عليه اذا اخذت منه كيلا ويقال كال المعطي واكتال الآخذ واذا قلت كلته يكون المعنى كلت له اي توليت فعل الكيل لاجله قال تعالى واذا كالوهم بمعنى كالوا لهم ﴿قوله حكم بمنعه﴾ اي بمنع اعطاء الطعام كيلا حيث قيل فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ﴿قوله رفع المانع من الكيل﴾ فان عدم اتيان اخيهم لما كان مانعا من الكيل كان ارساله رفعا لذلك المانع وانما زاد هذا لبيان الملازمة بين الارسال والاكتيال فانه اذا ارسل ارتفع المانع ومقتضي الاكتيال موجود فيحصل المطلوب بارساله لتحقق علته التامة بذلك ﴿قوله هل آمنكم﴾ استفهام انكاري يتضمن معنى النفي وقوله الا كما امنتكم منصوب على انه نعت مصدر محذوف اي لا آمنكم على بنيامين الا امنا كامني على اخيه وقولك آمنته على كذا وائتمنته بمعنى وقد قالوا في بدء الامر يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف الى قوله وانا له لحافظون يريد انكم قد ذكرتم هذا الكلام في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ثم خنتم في حفظه فكيف آمنكم على بنيامين اعتمادا على كلامكم هذا بعد ما شاهدت منكم الخلف وعدم الثبات على القول ثم قال فالله خير حفظا اي خيركم حفظا اي خير من حفظكم اياه يريد اني وثقت بكم في حفظ يوسف عليه الصلاة والسلام فكان ما كان فالآن اتوكل على الله في حفظ بنيامين فتوكل على الله تعالى في حفظه ودفعه اليهم قال كعب لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما بعدما توكلت علي ﴿قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم﴾ المتاع يطلق على كل ما يصلح لان يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام الذي حملوه وان يراد اوعية ذلك الطعام وبضاعتهم ما شروا به الطعام ﴿قوله ماذا نطلب﴾ على ان تكون كلمة ما في ما نبغي استفهامية في محل النصب على انها مفعول نبغي قدمت عليه لان لها صدر الكلام والمعنى اي شيء نبغي بعد هذا الاكرام حيث اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل ذلك ثم باع كل واحد منا حمل بعير من الطعام ورد علينا ثمن الطعام على احسن الوجوه وعلى ما ذكره يعد هنا تكون ما نافية اي لا نطلب وراء ما رأينا من احسانه احسانا آخر ولا نكذب ولا نتعدى فيما نتكلم في وصفه مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال على ان البغي بمعنى التعدي لا بمعنى الطلب ﴿قوله ومنع بعير﴾

فيما حكيناك من احسانه وقرئ ماتبغي على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان اومن الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) استئناف موضح لقوله ماتبغي (ونمير اهلنا) معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ اخانا) من المكاره فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ماتبغي اى لانبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا (ذلك كيل يسير) اى مكيل قليل لايكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولايتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد (قال لن ارسله معكم) اذ رأيت منكم مارأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ماأتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأتنني به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الاحال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به فى تأويل النفى اى لاتمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الافعلت اى ما اطلب الافعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على مانقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين والنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

اى حمل بعير وانما قالوا ذلك لان يوسف عليه الصلاة والسلام كان لايكيل لكل رجل الاحمل بعير فعلى تقدير ان يحضر معهم اخوهم بنيامين لابد وان يزداد له ذلك الحمل وقولهم ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا اتاهم بطعام والميرة الطعام الذى يمتاره الانسان اى يجلبه من بلد آخر ﴿قوله هذا﴾ اى الاحتياج الى تقدير المعطوف عليه انما هو اذا كانت ما استفهامية لاختلافهما خبرا وانشاء ولايصح عطف الخبرية على الجملة الاستفهامية لعدم الجامع بينهما فتعين كونه معطوفا على محذوف واما اذا كانت نافية فحينئذ يجوز الامران اى كونه معطوفا على محذوف وكونه معطوفا على قوله ماتبغي لكونها خبرية حينئذ والمعنى لانبغى ولانكذب على الملك فيما وصفناه بالكرم والاحسان ومن جملة كرمه انه رد الينا بضاعتنا على احسن الوجوه ونمير اهلنا ﴿قوله ماتوثق به﴾ ومعنى كون ذلك العهد كائنا من عند الله تعالى كونه مؤكدا باشهاد الله تعالى عليه بسبب القسم بالله تعالى عليه ولما كان المعنى حتى تحلفوا بالله كان المعنى لقوله عليه الصلاة والسلام لتأتنني به جواب القسم ﴿قوله الا ان تغلبوا او الا ان تهلكوا جميعا﴾ يعنى ان كونهم محاطا بهم كناية اما عن كونهم مغلوبين مقهورين بحيث لايقدرون على اتيانهم به البتة او عن هلاكهم وموتهم جميعا فان من احاط به العدو يصير مغلوبا ماحرا من تنفيذ مراده او هالكا بالكلية ومن استعمال الاحاطة فى الهلاك قوله تعالى واحيط بثمره اى اصابه ما اهلكه فهلك وقوله وظنوا انهم احيط بهم ﴿قوله او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به فى تأويل النفى﴾ وفى الكشاف والاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى فلابد من تأويله بالنفى والمعنى لاتمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الالعلة واحدة وهى ان يحاط بكم ونظيره فى الاثبات المتأول بمعنى النفى قولهم اقسمت بالله لما فعلت والافعلت يريد ما اطلب منك الا الفعل وروى عن الزمخشرى انه قال عما الله صنعه اقسمت اثبات فى الظاهر وليس به لانه فى معنى النفى وقسم وليس بقسم لانه فى معنى الاستعطاء والطلب وظاهر لما الوقت وليس بوقت لانه فى معنى الاستثناء وما بعده فعل وليس بفعل لانه فى معنى الاسم فالكلام كله اذا ليس على ظاهره بل هو مأول ولذلك اعضل على سيبويه حتى قال لقد سألت الخليل عن قول العرب اقسمت بالله لما فعلت فحاصل كلام الزمخشرى ان الاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى او فيما هو مأول به فجعل قوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم مفسرا بالنفى وذكر صاحب الانتصاف ما محصوله انما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفى لانه اذا لم يذكر المستثنى منه فى الكلام المنفى لنفى الاتيان به على وجه الاطلاق ونفى الاتيان به على وجه الاطلاق انما صح اذا عم حكم النفى لجميع افراده الحكم المنفى فاذا انتفى الاتيان به على وجه الاطلاق مثلا نفى جميع صور الاتيان به ووجوهه فكان الكلام لعموم مافيه من النفى كانه معروف مقرون بذكر المستثنى منه ولاكذلك الاثبات فانه لااشعار له بعموم الاحوال الا انه لايتوقف الاعلى احدها ثم قال ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فان يعقوب عليه الصلاة والسلام قال اولا فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام واخاف ان يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول حيث قالوا اكله الذئب وقال ههنا لتأتنني به الا ان يحاط بكم اى الا ان تغلبوا عليه فابتلى ايضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه والذى يرى من كلام المصنف ان قول الزمخشرى والاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى ليس على عمومه بل هو منوط باقتضاء المقام ان يأول الاثبات بالنفى حيث جعل قوله الا ان يحاط بكم مستثنى مفرغا من اعم الاحوال من غير ان يأول الاثبات فى لتأتنني به بالنفى وان صح ان يجعل المعنى لاتمتنعون من الاتيان به على كل حال الافى حال ان يحاط بكم والابهة العظمة والكبرياء يقال تأبه الرجل اذا تكبر والكوكبة واحدة اى جماعة عظيمة وكوكب الشئ معظمه وكوكب الروضة نورها ﴿قوله فيعانوا﴾ اى يصابوا بالعين يقال عنت الرجل اصبته بعينى فانا عائن وهو معين ومعيون على النقص ومعيون على التمام ﴿قوله والنفس آثار منها العين﴾ لما بين ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انما قال لبنيه لاتدخلوا مصر من باب واحد بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاف عليهم من العين لعله بان العين حق يدل عليها تجارب العقلاء من الزمن الاقدم وتطابق سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام على حقيتها ايده بما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بعوذة ويقول لهما ان اباكما كان يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهما الصلاة والسلام وهى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروى عن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اول النهار فرأيته شديد الوجع ودخلت

(وما اغنى عنكم من الله من شئ) مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر (ان الحكم الا لله) يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوأ ولا ينفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة فى البلد (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شئ) مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين لوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب (الا حاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا (قضاها) اظهرها ووصى بها (وانه لذو علم لما علمناه) بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال ليتنزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له أتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و(قال انى انا اخوك فلا تبتئس) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) فى حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (فى رحل اخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون

عليه فى آخر النهار فرأيته معافى فقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتانى فرقانى وقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد والله يشفيك قال صلى الله عليه وسلم فافقت وقال صلى الله عليه وسلم «العين حق ولو كان شئ يسبق القدر لسبقت العين القدر» وعن عائشة رضى الله عنها كان يؤمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وهو الذى اصيب بالعين فلما ثبت بمثل هذه الدلائل ان العين حق واطبق المتقدمون من المفسرين على ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انما قال ذلك لبنيه خوفا عليهم من العين قال المصنف اولا فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ثم شرع فى بيان سبب تأثر بدن المعين اذا رآه العائن واستحسنه وتعجب منه فقال والنفس آثار منها العين يعنى ان تأثير المؤثر من العين لا يجب ان يكون مستندا الى القوى الجسمانية بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا ويدل عليه ان اللوح الذى يكون قليل العرض اذا كان موضوعا على الارض يقدر الانسان على المشى عليه ولو كان موضوعا فيما بين جدارين عاليين يعجز عن المشى عليه وما ذلك الا لان خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه فعلمنا ان التأثيرات النفسانية موجودة وايضا اذا تصور الانسان كون فلان مؤذيا له حصل له فى قلبه غضب يسخن بذلك مزاجه سخونة جدا فتلك السخونة ليس الا ذلك التصور النفسانى ولان مبدأ الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصور النفس يوجب تغير بدنها الخاص لم يبعد ايضا ان يكون بعض النفوس مؤثرا فى سائر الابدان فان جواهر النفس مختلفة الماهية فجاز ان يكون بعض النفوس بحيث تؤثر فى تغير بدن حيوان آخر بشرط ان يراه ويتعجب منه والهامة واحدة الهوام وهى الحيات وكل ذى سم يقتل واما ما لا سم له يقتل فهو السوام وواحدتها سامة كالعقرب والزنبور وقد تقع الهوام على كل ما يدب من الحيوان واللامة الملمة من ألمت به اى نزلت ويجئ بها على فاعلة ولم يقل ملمة لازدواج هامة ويجوز ان تقال على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لمه يلمه اذا جمعه يقال ان داره تلم الناس اى تجمعهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد ما امر بنيه برعاية الاسباب المعتبرة فى هذا العالم بين لهم انه لا يصل الى العبد الا ما قدر عليه بقدر الله تعالى وارادته وجوده فقال وما اغنى عنكم من الله من شئ وكان قتادة رضى الله عنه ينكر الاصابة باصابة العين ويقول ليس فى قوله وما اغنى عنكم من الله من شئ ابطال له لان تأثير العين ليس مشروطا بالاجتماع او الافتراق وكل ما قدره الله تعالى فهو كائن لا محالة قال الامام واعلم ان الانسان مأمور بان يراعى الاسباب المعتبرة فى هذا العالم ومأمور ايضا بان يجزم بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا ينجى من القدر فان الانسان مأمور بان يحذر ويتقى من الاشياء المهلكة والاغذية الضارة ويسعى فى تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغى ان يكون جازما بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى ولا يدخل فى الوجود الا ما اراده الله تعالى فينبغى للانسان ان يجمع بين رعاية الاسباب المعتبرة فى هذا العالم وبين ان لا يعتمد عليها ولا يراعيها الاعتماد التبتل بل يربط قلبه بمشيئة الله تعالى وان يقطع رجاءه من كل شئ سواه ﴿قوله لتقدم الصلة﴾ بيان لوجه امكان الجمع بينهما فان قوله عليه لو لم يتقدم على متعلقه لما امكن الجمع بينهما وقوله للاختصاص علة لتقدمها وقوله كان الواو بيان لفائدة الجمع بينهما ﴿قوله تعالى ولما دخلوا﴾ فى جواب لما هذه ثلاثة اوجه احدها وهو الظاهر انه الجملة المنفية وهى قوله ما كان يغنى وثانيها ان جوابها محذوف تقديره امتثلوا وقضوا حاجة ابيهم لان ارتكاب الحذف مع اشتمال الكلام على ما يصلح جوابا صريحا لا يخلو عن تعسف وثالثها ان الجواب هو قوله آوى اليه اخاه قال ابو البقاء وهو جواب لما الاولى والثانية كقولك لما جئتنى ولما كلمتك اجبتنى وحسن ذلك ان دخولهم على يوسف عليه الصلاة والسلام عقب دخولهم من الابواب ﴿قوله فسرقوا﴾ اى نسبوا الى السرقة وافتضحوا بذلك والحرازة الاحتراز والتوقى ﴿قوله اى ولكن حاجة﴾ اشارة الى ان حاجة منصوبة بالا لكونها بمعنى لكن وقضاها خبر لكن والمعنى ان رأى يعقوب عليه الصلاة والسلام فى حق بنيه وهو ان يدخلوا من الابواب المتفرقة واتباع بنيه له فى ذلك الرأى ما كان يدفع عنهم شيأ مما قضاه الله تعالى عليهم ولكن يعقوب اظهر بذلك الرأى ما فى نفسه من الشفقة والاحتراز من ان يعانوا فوصى به ﴿قوله لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام الخ﴾ جواب عما يقال كيف يليق بيوسف عليه الصلاة والسلام وهو الرسول الحق من عند الله ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة كذبا وبهتانا وتقرير الجواب بوجوه الاول ان المنادى فعله من عند نفسه بناء على ان يوسف عليه الصلاة والسلام وضع السقاية نفسه فى رحل اخيه واخفى الامر عن الكل او امر بذلك بعض

والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوّز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام جعلا له (وانا به زعيم) كفيل أؤدّيه الى من ردّه وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كردّ البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد (قالوا فما جزاؤه) فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) في ادعاء البراءة (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام. وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو (كذلك نجزي الظالمين) بالسرقة (فبدأ باوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردّوا الى مصر (قبل وعاء اخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء اخيه) وقرئ بضم الواو وقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بان علمناه اياه واوحينا به اليه (ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد

حوا منه وهو احق به لنص الكل ثم ان اصحاب يوسف عليه السلام لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك احد غير الذين ارتحلوا غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوه فنادى المنادي من بينهم على حسب ظنهم انكم لسارقون فلما قيل لهم تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا في ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقته سنة وكان استعباد السارق في شرعهم جاريا مجرى وجوب القطع في شرعنا قال اصحاب يوسف عليه الصلاة والسلام فأنيخوا نفتش رحالكم فأناخوا وأتينا بهم ففتشوا رحل الاخ الاكبر ثم الذي يليه حتى بلغوا رحل بنيامين فوجدوا الصاع مدسوسا فيه فلما استخرجوه منه نكسوا رؤسهم وانقطعت السنتهم فاخذوا بنيامين مع ما معه من الصواع وردّوه الى يوسف عليه الصلاة والسلام من عند انفسهم وتقرير الثاني ان المراد انكم لسارقون يوسف من ابيه الا انهم لم يصرّحوا بهذا المعنى على ما هو الاصل وتقرير الثالث ان نسبة السقاية واخواتها ثم النداء بنسبة السرقة اليهم كان برضى بنيامين فلم يتألم قلبه بسبب نسبة السرقة اليه فخرجت عن كونها ذنبا وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما اظهر لاخيه انه اخوه يوسف قال فانا لا افارقك بعد هذا فقال يوسف عليه الصلاة والسلام قد علمت اغتمام الوالدين بافتراقك عنهما بغير سبب يوجبه ولا يمكنني حبسك الا بعد ان اشهرك بامر فظيع قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيأ لي ردّك بعد تسريحك معهم ففعل ذلك برضاه وتقرير الجواب الرابع ظاهر وهو ان المعنى انكم لسارقون على سبيل الاستفهام فلا يكون كذبا ﴿قوله لانها تعير اي تردد﴾ يقال عار في الارض يعير اي ذهب والعارة الناقة التي تخرج على الابل اي تعرض على الفحل وعار الفرس اي انقلب وذهب ههنا وههنا من مرحه ونشاطه ويسمى الاسد عيارا لمجيئه وذهابه في طلب صيده والعير بالكسر جمع عير بالفتح واصلها عير بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لئلا تنقلب الياء واوا كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض اصله بيض نحو احمر وحمر ﴿قوله واقبلوا عليهم﴾ جملة حالية من فاعل قالوا اي قالوا في حال اقبالهم عليهم ﴿قوله وقرئ صاع﴾ قيل لا فرق بين الصاع والصواع بناء على قرآءة صاع الملك مكان صواع الملك وقيل الصواع اسم والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فكوز اسم والسقاء وصف وجمع صواع صيعان كغراب وغربان وجمع صاع اصواع كباب وابواب ۔ وكعم الدواب هو سد افواهها بالكعام والكعام شيء يجعل في فم البعير يقال كعمت البعير اذا سددت فمه في هياجه فهو مكعوم ﴿قوله قسم فيه معنى التعجب﴾ اي يلازمه التعجب مما اضيف اليه كما في قوله تعالى تالله تفتأ تذكر يوسف والمعنى ما اعجب حالكم انتم تعلمون علما جليا لا ريب فيه لما شاهدتم من احوالنا انا بريئون مما تنسبونه الينا فكيف تقولون لنا انكم لسارقون ﴿قوله فهو جزاؤه﴾ تقرير للحكم والزام له حكموا اولا بان جزاء سرقة الصواع اخذ من وجد في رحله واسترقاقه ثم قرروا ذلك الحكم والزموه بقولهم فهو جزاؤه اي فاخذ السارق نفسه هو جزاء سرقته كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم عليه ثم تقول فذلك حقه تقرر به ما ذكرته من استحقاقه له فتلزمه به ﴿قوله او خبر من﴾ اي ويحتمل ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ ثان او شرطية وقوله وجد في رحله صلة الشرط وقوله فهو جزاؤه جواب الشرط ومن مع ما في حيزها على التقديرين خبر المبتدأ الاول او هو جزاؤه ﴿قوله على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير﴾ جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى من وجد في رحله فهو جزاؤه خبرا للمبتدأ الاول ولا عائد فيه يعود على الاول وتقرير الجواب انه لو قال من وجد في رحله فهو هو لحصلت الرابطة لكنه اقام الظاهر الثاني مقام ذلك الضمير فحصل الربط بذلك كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه فتظهر بقوم مقام المضمر ثم ان اخوة يوسف لما اقروا بان جزاء السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف لا بدّ من تفتيش اوعيتكم فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة ثم استخرجها من وعاء بنيامين فحبسه عنده بمقتضى فتواهم ﴿قوله بان علمناه اياه واوحينا به اليه﴾ فسر الكيد المسند اليه تعالى بالتعليم والايحاء لان حقيقة الكيد مستحيل في حقه تعالى وذلك لان الكيد عبارة عن المكر والخديعة وهو ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه فهو في حق الله تعالى محمول على التمثيل فان صورة صنع الله تعالى في تعليم يوسف عليه الصلاة والسلام ان لا يحكم على اخوته بحكم الملك وهو ان يضرب السارق ويغرمه مثل

ما اخذه بل يحكم عليهم على سنن مذهبهم وهو ان يستعبد السارق سنة صورة صنع من وهم الغير خلاف ما يخفيه
لان مقصود يوسف عليه الصلاة والسلام ايواء اخيه اليه وكان لا يتم ذلك الا بهذه الحيلة ولما كان قوله تعالى ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك هو عين الكيد قال المصنف هو بيان فتكيد ﴿قوله فالاستثناء من اعم الاحوال﴾
اي ما كان ليأخذه في كل حال الا في حال كونه ملتبسا بمشيئة الله تعالى واذنه للملك ان يعمل ذلك الحكم حكم نفسه
ويجوز ان يكون الا ان يشاء الله كلمة تأبيد كانه قيل ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ابدا لانه جل من اتصف
بمنصب النبوة عن ان يحكم بدين الكفار نحو قوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم
ما لن يشاؤه الله ابدا وقرأ الكوفيون درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وقرأ يعقوب بالياء التحتانية في يرفع
ويشاء والفاعل هو الله تعالى فان قرئ درجات من نشاء بالاضافة يكون درجات مفعول نرفع وان قرئ منونا
غير مضاف يكون من نشاء مفعول نرفع ويكون درجات منصوبا على الظرفية او بنزع الخافض اي الى درجات
والجملة استئناف تقرر مضمون قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييل لما قبله
فان التذييل ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا له وهو من هذا القبيل فانه تعالى بين اولا ان اخوة
يوسف عليه الصلاة والسلام وان كانوا علماء فضلاء الا انه تعالى فضل يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم في العلم
ثم قرر ذلك بقوله نرفع درجات من نشاء بسبب العلم كما رفعنا درجات يوسف واكد ذلك بانه المنفرد بالعلم الكامل
وان علوم جميع الخلائق مستفادة منه فانه عليم بتعليمه اياهم فيكون فوق كل ذي علم من خلقه ﴿قوله واحتج به
من زعم انه تعالى عالم بذاته﴾ لا بعلم زائد يقوم به وهم المعتزلة الذين يقولون انه تعالى عالم وليس بذي علم لانه
لو كان ذا علم لكان فوقه عليم لعموم هذه الآية وهو باطل فاجاب عنه المصنف بتخصيص عموم قوله تعالى كل ذي علم
من الخلق لان الكلام فيهم لما ذكرنا في بيان كون قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييلا لما قبله وكيف لا يخص
هذا العام وقد دل سائر الآيات على انه تعالى ذو علم منها قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى انزله بعلمه
وقوله تعالى لا يحيطون بشيء من علمه وقوله تعالى ولا تضع الا بعلمه ولما وقع التعارض بين هذه النصوص وبين
ما تمسك به الخصم وجب تخصيصه بذي علم من الخلائق اعتمادا على قيام قرينة التخصيص توفيقا بين النصوص
ويدل على ارادة الخصوص ان العليم لكونه صفة مشبهة مبنية من علم بعد نقله الى فعل بضم العين حتى يكون
فعلا لازما من الافعال الغريزية يدل على المبالغة في اتصاف الذات بما قام به من حيث كونه امرا مستمرا دائم
الثبوت كما هو شان الافعال الغريزية وكان العليم بمعنى من له العلم البالغ وهو الله عز وجل فاذا كان المفضل
بالعلم هو الله تعالى لكون المفضل عليه هو العلماء من الخلائق فيكون المراد بقوله كل ذي علم من له علم من الخلق
﴿قوله ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم﴾ دليل ثالث على ارادة الخصوص وتقريره ان قوله
تعالى فوق كل ذي علم وان كان بمعنى كل واحد على ان تكون كل استغراقية ومن المعلوم انه تعالى لا يدخل
في كل العلماء والا لما كان فوقه لان من كان فوقه يكون خارجا عنه لا محالة ثم ان الصواع لما خرج في رحل بنيامين
افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا تبرئة لساحتهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان هذه الواقعة
ليست بعيدة منه فان اخاه الذي هلك كان ايضا سارقا ونحن ايضا لسنا على طريقتهما وسيرتهما لانهما من ام اخرى
ثم قالوا يا ابن راحيل ما اكثر البلاء علينا من قبلكما فقال بنيامين ما اكثر البلاء علينا منكم ذهبتم باخي وضيعتموه
في المفازة ثم تقولون في حق هذا قالوا له فكيف خرج الصواع من رحلك قال وضعه في رحلي من وضع البضاعة
في رحالكم واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام على اقوال الاول انه كانت لابراهيم
عليه الصلاة والسلام منطقة يتوارثها اكابر ولده ويتبركون بها فورثها اسحق ثم دفعت الى ابنته عمة يوسف وكانت
اكبر اولاده وكانت تحب يوسف حبا شديدا بحيث لا تصبر عنه وكانت حضنته بعد وفاة امه فلما شب يوسف اراد
يعقوب ان ينزعه منها فاحتالت بان شدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من
اخذها ففتشوا منها فوجدوها مشدودة على يوسف فقالت انه سرقها مني فكان سلما وكان حكمهم ان من سرق
يسترق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها فتركه يعقوب عندها الى ان ماتت والقول الثاني ما روي عن
سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه انه كان جده ابو امه كافرا يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق ذلك الوثن ليترك
عبادة الاوثان والعناق الانثى من ولد المعز ﴿قوله وقيل انها كناية بشريطة التفسير﴾ يعني ضمير اسرها مبهم

(الا ان يشاء الله) ان يجعل ذلك الحكم حكم
الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان
يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه
(نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته
(وفوق كل ذي علم عليم) ارفع درجة منه
واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو
كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب
ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام
فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له
العلم البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق
كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان
يسرق) بنيامين (فقد سرق اخ له من قبل)
يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة
ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف
وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها
فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها
فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت
احق به في حكمهم وقيل كان لاب امه صنم
فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان
في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل
وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من
الذهب (فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
لهم) اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة
او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها
كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله (قال
انتم شر مكانا) فانه بدل من اسرها والمعنى
قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة
لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم
عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه
نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن
(والله اعلم بما تصفون) وهو يعلم ان الامر
ليس كما تصفون

(يفسر)

(قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا) في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه (فخذ احدنا مكانه) بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فأتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه (انا اذا لظالمون) في مذهبكم هذا اوان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما فرطتم في يوسف) قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا تقطع من الاضافة حتى لا تنقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم (فلن ابرح الارض) فلن افارق ارض مصر (حتى يأذن لي ابي) في الرجوع (او يحكم الله لي) او يقضي الله لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنوا يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه لا يكون الا بالحق (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق) على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة

ضميره قوله تعالى انتم شر مكانا ؛ فان قيل لو كان بدلا من اسرها لكان مفعول القول وهو انتم شر مكانا مفسرا لضمير اسرها فان الاضمار على شريطة التفسير على ضربين احدهما ان يفسر بمفرد نحو نعم رجلا زيد ففي نعم ضمير هو الفاعل ورجلا تفسيره ومثله ربه رجلا وثانيهما ان يفسر بجملة نحو قل هو الله احد اى الامر الله احد وانث الضمير المفسر بقوله انتم شر مكانا لما ذكر وانما قال في نفسه لان هذه الجملة لما وقعت تفسيرا لضمير اسرها وجب ان يقولها يوسف في نفسه ﴿قوله او من المتعودين الاحسان﴾ الجملة على التقديرين استئنافية لبيان الموجب لان المعنى على الاول فخذ احدنا مكانه اما على طريق الاستعباد او على طريق الرهن الى ان يوصل اليك الفداء كما كنت تحسن الينا فيما سلف فيكون هذا الاحسان من تتمته والمعنى على الثاني اثبات احسانه على العموم في كل الناس ﴿قوله هذا﴾ اى لجنسه هذا فانه هو المعنى المستفاد من الظاهر الا ان المراد انا اذا لظالمون بالعمل على خلاف ما اذن الله فيه ﴿قوله وزيادة السين والتاء للمبالغة﴾ فان السين للطلب تدل على انهم كانوا في يأس وهو انقطاع الطمع فطلبوا من انفسهم الزيادة على ما هم فيه وبناء استعمل ههنا بمعنى المجرد الا انه ابلغ منه ﴿قوله وانما وحده﴾ مع ان ما قبله جمع لانه مصدر بمعنى التناجي كالصهيل والنهيق الاول صوت الفرس والثاني صوت الحمار يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا او صفة بمعنى المناجي كالعشير بمعنى المعاشر على ان وزن فعيل مثل صديق فيوحد لكونه على زنة المصدر فعومل معاملة المصدر وعلى تقدير كونه مصدرا يكون المعنى انهم انفردوا عن الناس فصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كانهم تناجيا محضا لاجتماعهم لذلك واستماعهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم باى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم ﴿قوله وما مزيدة﴾ ذكر في كلمة ما ثلاثة اوجه الاول ان تكون مزيدة فيتعلق الظرف الذي قبلها بالفعل الذي بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطتم اى قصرتم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام وشأنه وزيادة ما كثيرة والثاني ان تكون ما مصدرية فيكون ما فرطتم في تأويل المصدر المنصوب او المرفوع محلا ووجه النصب العطف على مفعول تعلموا وهو ان اباكم قد اخذ اى الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق وتفريطكم في يوسف من قبل غاية ما في الباب ان قوله من قبل وقع فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ولا بأس به وان قال بعضهم انه لا يجوز الا في ضرورة الشعر والوجه الثاني للنصب كونه معطوفا على اسم ان اى الم تعلموا ان اباكم قد اخذ وان تفريطكم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل او ان تفريطكم من قبل هذا واقع في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ووجه الثاني كون المصدر المأول مبتدأ ومن قبل خبره قدم عليه اى وتفريطكم في شأن يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل واورد عليه ان الظروف التي هي غايات اذا بنيت لكونها مقطوعة عن الاضافة لا تقع اخبارا للمبتدأ وكذا لا تقع صفة ولا صلة ولا حالا لانها بذلك تبقى ناقصة فلا تفيد خبرا ولا شيأ من ذلك فلا تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا تقول والسفر بعد وتقول زيد عمرو خلفه ولا تقول زيد عمرو خلف والوجه الثالث في كلمة ما ان تكون موصولة اسمية بمعنى الذي فيكون التفريط على هذا الوجه بمعنى التقديم لا بمعنى التقصير ويكون محلها ما تقدم على تقدير كونها مصدرية وهو الرفع على الابتداء وخبرها من قبل والتقدير والذي قدمتموه في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع قبل هذا والنصب معطوف على مفعول الم تعلموا والتقدير الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق والذي قدمتموه في حق يوسف من قبل ثم انهم لما تناجوا وتفكروا قال كبيرهم ان ابانا قد اخذ علينا موثقا من الله وايضا نحن متهمون بواقعة يوسف فليس لنا مخلص من هذه الورطة فانا لا افارق ارض مصر الا ان يأذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي واما انتم فارجعوا الى ابيكم واذكروا له كيفية الواقعة كما وقعت من غير تفاوت كما قال ارجعوا الى ابيكم الآية ﴿قوله سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر﴾ جواب عما يقال كيف حكموا عليه انه سرق بمجرد ظهور الصواع في رحله مع قيام احتمال ان يضعه فيه غيره خفية مع ان بنيامين قال لهم كيف تنسبونني الى السرقة بمجرد وجدان الصاع في رحلي فان كان هذا القدر مقتضيا لنسبة السرقة الى احد يلزم ان تكونوا سارقين لوجود البضاعة في رحالكم وتقرير الجواب انهم انما قالوا ذلك بناء على انهم شاهدوا ما يدل على كونه سارقا بحسب الظاهر فانهم شاهدوا ان اصحاب الملك استخرجوا الصواع من رحله بعدما ادعوا السرقة عليهم وفتشوا رحالهم وحكموا لذلك على انه سارق واخذوه بحكم السرقة فبهذا السبب غلب على ظنهم انه سرق فشهدوا عليه بانه سرق بناء على الظن ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا وما شهدنا

الا بما علمنا اى بما رأينا انهم اخرجوا الصاع من رحله وحكموا بذلك على انه سارق واما حقيقة الحال فغير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى فالمراد بالغيب على هذا باطن الحال وقيل المراد به عواقب الامور فالمعنى ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق اى انك ستصاب به كما اصبت بيوسف ولو علمنا ذلك لما ذهبنا به اليه اى الى الملك ولما اعطيناك موثقا من الله تعالى فى رده اليك ثم انهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام امرهم كبيرهم بان يبالغوا فى ازالة التهمة عن انفسهم ويقولوا واسأل القرية التى كنا فيها اى وقولوا اسأل القرية ليتبين لك صدقنا وقال المفسرون المراد باصحاب العير قوم من الكنعانيين صحبوهم متوجهين الى كنعان فقالوا لابيهم واسألهم ايضا عن هذه الواقعة يظهر لك صحة ما قلنا ﴿ قوله تأكيد فى محل القسم ﴾ اى ليس المقصود بقولهم وانا لصادقون اثبات صدق انفسهم بذلك لانه اثبات الشئ بنفسه قبل مقصودهم به تأكيد ما يدل عليه قولهم اسأل القرية واسأل العير فان الانسان اذا قدم ذكر الدليل القاطع على صحة دعواه يقول بعد ذلك وانا صادق فيما ادعيته يعنى بذلك ان يقول تأمل فيما ذكرته من الدليل ليزول عنك الشبهة فيما ادعيته ﴿ قوله وقالوا له ما قال لهم اخوهم ﴾ اى الكبير اشارة الى ان قوله تعالى ارجعوا الى ابيكم الى قوله وانا لصادقون من كلام كبيرهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما سمع من ابنائه ذلك الكلام لم يصدقهم فيما ذكروه فى حق بنيامين كما انه لم يصدقهم فيما ذكروه فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فى هذه الواقعة كما قاله بعينه فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان المصنف فسر الامر الذى سولته لهم انفسهم هناك بالامر العظيم الذى لا يقبل الوصف وهو ان يهلكوا يوسف ويعتذروا لابيهم بالباطل وفسره ههنا بان افتوا الملك ان جزاء السارق ان يؤخذ والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته لان ذلك انما هو من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام لا من دين الملك ولولا فتواكم وتعليمكم لما حكم الملك بذلك والفرق بين الواقعتين انهم فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام استصحبوه فى الخروج الى البادية ولم يرجعوا به فناسب ان يفسر الامر فيها بذلك واما فى واقعة بنيامين فانهم لم يتعمدوا فى حقه سوأ ولم يخبروا اباهم الا بالواقع على جليته فلم يصح ان يسند احتباس بنيامين عند الملك اليهم الا من حيث انه كان ذلك على وفق ارادتهم فانهم لما كانوا متهمين عند يعقوب عليه الصلاة والسلام بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام اتهمهم ايضا فى واقعة بنيامين بان قال لهم ان الملك انما عمل بفتواكم لانه لم يعرض لكم وظن انهم افتوه بذلك بعد ظهور السرقة ارادة ان يخلفوه عند الملك ويرجعوا الى ابيهم دونه لان اخذ السارق لم يكن من دين الملك ولكن كان من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم وكان الواقع انهم استفتوا قبل ان يظهر الصواع فيهم فذكروا ما عندهم من الجواب حيث قيل لهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين فقالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه فافتوا ولم يشعروا ان المراد الزامهم بما قالوا ﴿ قوله واخيهما الذى توقف بمصر ﴾ وهو الذى قال فلن ابرح الارض اى لن اخرج من مصر حتى يبعث الى ابى ان آتيه او يقضى الله تعالى فى امرى شيأ فانهم حين ذهبوا الى البادية اول مرة كانوا اثنى عشر فضاع يوسف وبقى احد عشر ولما ارسلهم الى مصر عادوا تسعة لان بنيامين حبسه يوسف واحتبس ذلك الكبير الذى قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى فلما رجع العائدون ثلاثة لاجرم قال عسى الله ان يأتينى بهم جميعا ﴿ قوله عليه الصلاة والسلام يا اسفا على يوسف ﴾ الالف فيه منقلبة من ياء المتكلم والاصل يا اسفى فتحت الفاء وصيرت الياء ألفا طلب التخفيف لان الفتحة والالف اخف من الكسرة والياء ولتحصل امتداد الصوت الذى هو المقصود فى الندامة ونداء مثل الاسف والحسرة مجاز والمقصود انشاء التأسف والتحزن لتحقق ما يوجبهما وقوة ما يدعو اليهما من الاسباب والعلل كانه يقول هذا اوانك ايها الاسف فاحضر ﴿ قوله وفى الحديث الخ ﴾ اشارة الى جواب ما يقال اليس ان الاولى عند نزول المصيبة الشديدة ان يقال انا لله وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فلم لم يسترجع يعقوب عليه الصلاة والسلام بل قال يا اسفا وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله لكثرة بكائه ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن كناية عن غلبة البكاء فان من غلب عليه البكاء يكثر الماء فى عينه فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الماء قيل ما جفت عينا يعقوب عليه الصلاة والسلام من وقت فراق يوسف عليه الصلاة والسلام الى وقت لقائه

(وكان)

(وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) لباطن الحال (حافظين) فلا ندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله او وما كنا لعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة (والعير التى اقبلنا فيها) واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد فى محل القسم (قال بل سولت) اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت (لكم انفسكم امرا) اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر (انه هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) فى تدبيره (وتولى عنهم) فأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم (وقال يا اسفا على يوسف) اى يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا (وابيضت عيناه من الحزن) لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى

وكان يبصلى بون عاما وقيل ضعفت عيناه اي ضعف بصره وقيل عمى ويؤيد القول الاول قوله تعالى بماحملا ياهم
اغرقوا الا الحزن لايكون علة لضعف البصر فضلا عن العمى وانما يكون علة لكثرة البكاء فلوحملنا الابيضاض
على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا بخلاف مالو حملناه على ضعف البصر او العمى فكان القول الاول اولى
﴿ قوله وقرئ من الحزن ﴾ بفتحتين وقرأ العامة بضم الحاء وسكون الزاى وهما لغتان كالعدم والعدم
﴿ قوله فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى ﴾ وتفتأ ههنا جواب القسم فى قوله تالله
وتقديره لاتفتأ ويدل عليه اى على حذف حرف النفى فيه انه لوكان مثبتا لكان بلام الابتداء ونون التأكيد معا
عند البصريين نحو والله ليفعلن او باحدهما عند الكوفيين فلو قيل والله احبك كان المراد لااحبك وهو من قبيل
التورية فان كثيرا من الناس يتبادر ذهنهم منه الى اثبات المحبة وليس كذلك فظهر ان المعنى لاتفتأ ونظيره فى كون
حرف النفى مضمرا قول امرئ القيس * فقلت لها تالله ابرح قاعدا * والمعنى لا ابرح وتمامه * ولو قطعوا رأسى
لديك واوصالى * الاوصال جمع وصل بكسر الواو وهو المفصل قيل ان امرأ القيس سرى الى ليلى ابنة قيصر
فقالت له تريد ان تفضحنى ألست ترى رب السماء والرقباء والقوم حولى فقال مجيبا لها لا ابرح حتى آتيك واقضى منك
حاجتى ولو قطعت اربا اربا ولاتفتأ من الافعال الناقصة بمعنى لاتزال فترفع الاسم وهو الضمير المستتر فيها وتنصب الخبر
وهو الجملة من قوله تذكر اى لاتزال ذاكرا ورسمت هذه اللفظة تفتؤ بالواو والقياس تفتأ بالالف ولذلك وقف حمزة
بالوجهين اعتبارا بالخط الكريم او القياس ﴿ قوله وهو فى الاصل مصدر ﴾ ومعناه الاشفاء على الموت
لاختلال الجسم والعقل وفساد هما لاجل الحزن او الحب يقال منه حرض الرجل يحرض حرضا بفتح الراء فهو
حرض بالكسر لم آمر يوصف به المعنى واحدا كان او كثيرا مذكرا كان او مؤنثا يقال هو حرض وهما حرض وهم
حرض وهى وهما وهن حرض وقد ورد فى الآية بمعنى النعت على الوجه المذكور فى نحو رجل عدل وهو
ان يكون المراد انه ذو حرض بحذف المضاف او يكون المراد انه لتناهى فى الفساد والضعف صار كانه عين الحرض
ونفس الفساد قال الراغب الحرض مالايعبأ به ولاخير فيه ولذلك يقال لمن اشفى على الهلاك انه حرض ومنه قوله
تعالى حتى تكون حرضا * قال الامام الاظهر ان الذين كانوا فى الدار من اولاد اولاده وخدمه وارادوا بهذا القول
منعه من كثرة البكاء كانهم قالوا انت الآن فى بلاء شديد ونخاف ان يحصل ماهو ازيد منه واقوى وحلفوا على ذلك
بل انهم مع ذلك يعلمون ذلك قطعا بناء على الظاهر فان تحمل المشاق والاستمرار عليه يؤدى الى فساد البنية واختلال
العقل مع القوى ثم حكى الله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام انه قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله يعنى
ان هذا الذى اذكره لا اذكره معكم وانما اذكره فى حضرة الله تعالى وبث الشكوى اليه تعالى والالتجاء اليه هو
محض العبودية ﴿ قوله همى الذى لااقدر الصبر عليه ﴾ يريد ان البث اشد الهم كانه لقوته لايطاق تحمله
فيبثه الانسان اى يفرقه فالبث هو الهم المبثوث لعدم القدرة على كتمه فان الانسان مالكنه ان يمسك لسانه عن
ذكر مابه من الحزن لم يكن ذلك الحزن مستوليا عليه واما اذا عظم وعجز الانسان عن ضبطه وانطلق اللسان بذكر
مابه كان ذلك بثا والظاهر انه مصدر بمعنى المفعول ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل اى الذى فرق بين بجمى وحضورى
وبث فكرى والحزن اعم من البث فاذا عطف على الخاص يراد الافراد الباقية فيكون المعنى لااذكر الحزن العظيم
ولا الحزن القليل الا مع الله تعالى ﴿ قوله من صنعه ورحمته ﴾ على ان من تبعيضية وعلى الثانى ابتدائية
﴿ قوله رأى ملك الموت فى المنام فسأله ﴾ اى هل قبضت روح ابنى يوسف الخ بيان لسبب قوله واعلم من
الله مالاتعلمون ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما طمع فى وجدان يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر من
الامارات قال لبنيه على سبيل اللطف يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف * فان قلت كيف خاطبهم بهذا اللطف وقد
تولى عنهم * فالجواب ان التولى عنهم ملتجئا الى الله تعالى والشكاية اليه والاعراض عن الشكاية الى احد منهم
او غيرهم لاينافى الملاطفة والمكالمة معهم فى امر آخر ﴿ قوله فتحسسوا ﴾ اى تعرفوا واستقصوا خبره
بحواسكم فان التحسس طلب الشئ بالحاسة وقوله من حالهما اشارة الى ان من للتبعيض اى تحسسوا خبرا من
اخبار يوسف وتعرفوا بعض اخباره والجمهور على فتح الراء من روح الله * عن الاصمعى ان الروح مايجده الانسان
من نسيم الهواء فيسكن اليه وتركيب الراء والواو والحاء يفيد الحركة والاهتزاز فان كل مايهتز الانسان
ويلتذ بوجوده فهو روح والمراد به ههنا رحمة الله تعالى وتنفيسه ومن قرأه بضم الراء جعله مستعارا لرحمة الله

وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز
التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك
لاتدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولانقول مايسخط الرب وانا عليك
يا ابراهيم لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من
الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لايظهره
فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم
السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله
والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله
كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه (قالوا تالله
تفتؤ تذكر يوسف) اى لاتفتأ ولاتزال تذكره
تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله * فقلت يمين
الله ابرح قاعدا * لانه لايلتبس بالاثبات
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان
على النفى (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا
على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم
او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك
لايؤنث ولايجمع والنعت بالكسر كدنف
ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (او تكون
من الهالكين) من الميتين (قال انما اشكو بثى
وحزنى) همى الذى لااقدر الصبر عليه من
البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى احد منكم
ومن غيركم فخلونى وشكايتى (واعلم من الله)
من صنعه ورحمته فانه لايخيب داعيه ولايدع
الملتجئ اليه او من الله بنوع من الالهام
(مالاتعلمون) من حياة يوسف قيل رأى ملك
الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل
علم من رؤيا يوسف انه لايموت حتى يخر له
اخوته سجدا (يابنى اذهبوا فتحسسوا من
يوسف واخيه) فتعرفوا منهما وتفحصوا
من حالهما والتحسس طلب الاحساس
(ولاتيأسوا من روح الله) لاتقنطوا من
فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من
رحمته التى يحيى بها العباد (انه لاييأس من
روح الله الا القوم الكافرون) بالله وصفاته
فان العارف المؤمن لايقنط من رحمته فى شئ
من الاحوال

تعالى تشبيها لها بالروح التي يحيي بها العباد ﴿ قوله بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية ﴾ اشارة الى ان في الكلام محذوفا والتقدير ان يعقوب لما قال لبنيه اذهبوا فتحسسوا فعلوا من ابيهم هذه الوصية عادوا الى مصر ودخلوا على يوسف عليه الصلاة والسلام فقالوا يا ايها العزيز الآية فان قيل اذا كان يعقوب امرهم ان تحسسوا امر يوسف واخيه فلم عدلوا الى الشكوى وطلبوا ايفاء الكيل واجيب بان التحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وشدة الحاجة بما يرق القلب فقالوا نختبره بذكر هذه الامور فان رق قلبه لنا ذكرنا المقصود والا سكتنا وارادوا بالضر الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وباهلهم من خلفهم ﴿ قوله رديئة او قليلة ترد وتدفع ﴾ يريد ان مزجاة اسم مفعول من ازجيت الشيء اذا دفعته ورددته فقولهم مزجاة بمعنى مدفوعة يدفعها كل احد عنه اما لرداءتها على ما قيل من ان بضاعتهم كانت زيوفا لا تنفق في ثمن الطعام او لقلتها قال ابو عبيد انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها فان الازجاء في اللغة السوق والدفع قليلا ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوقها بالريح ويقال ازجيت الابل اي سقتها وزجيت الشيء تزجية اي دفعته برفق وفي الصحاح المزجي الشيء القليل وبضاعة مزجاة اي قليلة والريح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها اي تسوقه ﴿ قوله واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء ﴾ جواب عما يقال الاخوة كيف طلبوا الصدقة وهي محرمة على الانبياء وتقرير الجواب انه من فسر التصدق بالزيادة على ما يساوي بضاعتهم المزجاة على وجه التصدق يخص حرمة الصدقة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما من قال بعموم حرمتها لجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يفسر بالوجوه الاخر ويقول التصدق هو التفضل مطلقا سواء كان من قبيل انفاق المال للمحتاجين او لم يكن فيتناول اطلاق المحبوس والمسامحة في قبول الزيف والقليل ﴿ قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴾ معطوف على ما قبله من حيث المعنى فانه يفهم من ترتيب قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون على ما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى اخوته تضرعوا اليه ووصفوا ما هم عليه من شدة الزمان وقلة الحيلة ادركته الرقة وضعف صبره فاقدم على ان يعرفهم ويصرح لهم بانه يوسف عليه الصلاة والسلام لانه آثر حق الله تبارك وتعالى على حق نفسه فقال مستفهما من وجه قبح ما فعلوه بيوسف عليه الصلاة والسلام واخيه وما صنعوه بهما شفقة عليهم وتنصحا في امر الدين حيث حملهم به على الاعتراف بالذنب والاستغفار والتوبة منه ولم يرد بذلك المعاتبة والتثريب هو التعيير والاستقصاء في اللوم عليهم فعطف على هذا المفهوم قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام وكتب فيه من يعقوب اسرائيل الله تعالى بن اسحق ذبيح الله تعالى بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب مع اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به اليك ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف عليه الصلاة والسلام الكتاب اقشعر جلده ولان قلبه وعيل صبره فقال لهم ذلك وفيه تصديق لقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿ قوله اي هل علمتم قبحه فتبتم منه ﴾ قدر القبح المضاف الى الموصول بناء على انه لا شك انهم كانوا عالمين بنفس ما فعلوا بيوسف عليه الصلاة والسلام واخيه فلا فائدة في طلب التصديق والاقرار بحصول علمهم به مع انه اثبت جهلهم بذلك بقوله اذ انتم جاهلون والجهل لا يجتمع مع العلم فلما قدر متعلق العلم والجهل كان المعنى هل استمر ذلك الجهل الحاصل زمان صدور ذلك الفعل بحكم المتعلق فتجدد او حصل لكم العلم بقبحه الموجب للرجوع عنه وتلافيه بالتوبة فان العاقل اذا علم قبح شيء بادر الى التوبة وكان علمه بذلك بمثابة البيان واشار الى صيغة العلم اليها بقوله فتبتم ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكون مقصودهم تحقيق كونه يوسف عليه الصلاة والسلام وتقريره اكد الكلام الاستفهامي بان ولام الابتداء تعجبا منه ﴿ قوله وقرأ ابن كثير على الايجاب ﴾ اي قرأ انك بكسر الهمزة على لفظ الخبر وقرأ الباقون على الاستفهام ثم انهم اختلفوا فقرأ نافع اينك بفتح الالف غير ممدود وبالياء وقرأ ابو عمرو

(فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز) بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا واهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل (فاوف لنا الكيل) فاتم لنا الكيل (وتصدق علينا) برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم (ان الله يجزي المتصدقين) احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة (اذ انتم جاهلون) قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين (قالوا أئنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب

آيت بمدّ الالف وبالياء وهو رواية قالون عن نافع رحمهم الله تعالى وقرأ الباقون أئنك بهمزتين وكل دلّت على الاستفهام واللام في لأنت لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان ﴿قوله رواءه﴾ اي بمنظره وشمائله خصاله والشامة بتخفيف الميم الخال ﴿قوله ذكره تعريفا لنفسه﴾ جواب عما يقال انهم سألوه عن نفسه فكان مقتضى الظاهر ان يقال بلى انا يوسف فلم اجابهم عنها وعن اخيه معا على ان اخاه كان معلوما لهم فاجاب بانه لم يذكر اخاه لتعريفه وانما ذكره لتعريف نفسه به تفخيما لشأن اخيه بانه اشد اتصالا به فانهم سألوه عن حقيقة كونه يوسف عليه الصلاة والسلام حيث اتوا بالهمزة المؤكدة للتعجب وادخلوا اللام في الخبر فاجاب بقوله عليه الصلاة والسلام انا يوسف على الحقيقة وهذا المميز المشاهد اخي من ابي وامي وفي ذكر الاخ وايراد اسم الاشارة مزيد تقرير وفصل بمنزلة التمييز له والبيان بانه يوسف لا محالة وفي التصريح باسمه الشريف عليه الصلاة والسلام وعدم اقتصاره بان يقول انا الذي ظلمتموني فائدة اخرى وهي ان ذكر الشيء باسمه العلم يفيد تمييزه فكانه قال انا الذي ظلمتموني على اعظم الوجوه حيث ألقيتموني في البئر وقصدتم قتلي ثم ان الله تعالى اوصلني الى اعظم المناصب وصيركم كما ترون ﴿قوله لا تأنيب﴾ اي لا تعنيف ولا لوم يقال انبه تأنيبا اي عنفه ولامه لما اعترفوا بذنوبهم وبكونهم خاطئين آثمين في امره قال لا تعيير ولا توبيخ عليكم بعد اليوم قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب وفي الحديث «اذا زنت امة احدكم فليضربها الحدّ ولا يثرب بالزنى» والتثريب ازالة الثرب كان التجليد ازالة الجلد سمي بالتقريع تثريبا تشبيها له بالتثريب في اشتمال كل منهما على معنى التمزيق ﴿قوله او بالمقدر الجار﴾ اي هو متعلق بالذي قدّر متعلقا لعليكم فان عليكم خبر لقوله لا تثريب متعلق بمعنى الاستقرار واليوم ايضا متعلق بما تعلق به هذا الخبر اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم والمنفي بلا التي لنفي الجنس هو ماهية التثريب وحقيقته ونفي الماهية يقتضي انتفاء جميع افراد الماهية فلا دلالة في اللفظ على كون المنفي تثريب المتكلم فقط والمصنف انما حكم بكون المعنى لا اثربكم بمعونة المقام ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ازال عنهم تثريب الدنيا وملامتها طلب من الله تعالى ان يغفر لهم في الآخرة فان المراد بقوله يغفر الله لكم الدعاء فعلى هذا يكون الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله تعالى يغفر الله لكم وعلى تقدير ان يكون اليوم متعلقا بقوله يغفر الله لكم يوقف على قوله تعالى لا تثريب عليكم ويبتدأ بقوله تعالى اليوم يغفر الله لكم ويكون فحوى الكلام انه نفي عنهم جميع افراد التثريب بنفي حقيقته ثم بشرهم بان الله تعالى غفر ذنبهم في هذا اليوم وذلك لانهم لما انكسروا وخجلوا واعترفوا بذنوبهم وتابوا قبل الله توبتهم وغفر لهم ذنبهم فلذلك قال اليوم يغفر الله لكم وهذا معنى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه لانه عليه الصلاة والسلام صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وفيه اشارة ايضا الى ان اليوم فيه بمعنى الزمان مطلقا ﴿قوله وقيل القميص المتوارث﴾ روي عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما قوله اذهبوا بقميصي هذا فان نمرود الجبار لما القى ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار نزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف عليهم الصلاة والسلام فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فالقي في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله عليه الصلاة والسلام اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا الآية وقال مجاهد رحمه الله تعالى امره جبريل عليه السلام ان ارسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا صح وعوفي وقال الحسن رحمه الله تعالى عليه قدّم احتمال ان يكون المراد من القميص القميص الذي كان عليه ولعل وجهه انه اختار فيما قبل ان يكون المراد من قوله تعالى وابيضت عيناه انه كثر بكاؤه بحيث صارت عيناه كأنهما ابيضتا ببياض العبرة ولم يرض بما قيل من ان المراد ضعف بصره او عمي فعلى هذا التقدير من ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما وقع التشبيه بينه وبين اخوته وسألهم عن حال ابيه فاجابوه بان اباك قد ذهبت عيناه يكون مرادهم انه غرقت عيناه في دموعه عند فارقته ويكون يوسف عليه الصلاة والسلام عالما بان اباه ما صار اعمى ولا ضعف بصره وانه لم يصبه الا ضيق القلب والمواظبة على البكاء وانه اذا اخبره البشير بسلامة ابنه والقى قميصه على وجهه يتسلى قلبه ويسكن بكاؤه وهو الذي اراده بقوله يأت بصيرا وهذا المعنى لا يتوقف معرفته على ورود الوحي بل العقل يحكم بذلك ﴿قوله انتم وابي﴾ على تغليب المخاطبين على الغائب قال الكلبي رحمه الله كان اهل يعقوب اكثر من سبعين انسانا وقال مسروق

قيل عرفوه برواءه وشمائله حين كلمهم به وقيل
تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه
فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكا
لسارة ويعقوب مثلها (قال انا يوسف وهذ
اخي) من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه
وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله (قد من الله
علينا) اي بالسلامة والكرامة (انه من يتق
اي يتق الله (ويصبر) على البليات او على
الطاعات وعن المعاصي (فان الله لا يضيع اج
المحسنين) وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه
على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر
(قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا
بحسن الصورة وكمال السيرة (وان ك
لخاطئين) والحال ان شأننا انا كنا مذنبين
فلنا معك (قال لا تثريب عليكم) لا تأنيب
عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي
يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير
للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه
(اليوم) متعلق بالتثريب او بالمقدر الجار
الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم
الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله
(يغفر الله لكم) لانه صفح عن جريمتهم حين
واعترفوا بها حينئذ (وهو ارحم الراحمين)
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على
التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم
عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة
والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما
ما فرط منا فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى
بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم
وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي
واني من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا
بقميصي هذا) القميص الذي كان عليه وقيل
القميص المتوارث الذي كان في التعويذ
(فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا) يرجع
بصيرا اي ذا بصر (واتوني) انتم وا
(باهلكم اجمعين) بنسائكم وذراريكم
ومواليكم

(ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمرانها (قال ابوهم) لمن حضره (انى لأجد ريح يوسف) اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا (لولا ان تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى او لقلت انه قريب (قالوا) اى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) اى لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما ان جاء البشير) يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (القاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام او يعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والقول لا تيأسوا من روح الله او انى لاجد ريح يوسف (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى

دخل قوم يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة روى ان يهوذا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص الملطخ بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسافة ثمانين فرسخا ﴿قوله اوجده الله تعالى ريح ما عبق بقميصه﴾ اى فاح ولصق به فوجده بحاسة الشم على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة امر مناقض للعادة فتكون معجزة ولكن كونها معجزة يكون منهما والاقرب انها معجزة ليعقوب عليه الصلاة والسلام حيث نسبوه فى هذا الكلام الى ما لا ينبغى وظهر ان الامر كما ذكر فكانت معجزة له قال اهل المعانى ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عليهما الصلاة والسلام عند انقضاء مدة المحنة ومجئ وقت الروح والفرج من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى فى مدة ثمانين سنة وذلك يدل على ان كل سهل فى زمان المحنة فهو صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل وذكر فى القصة ايضا ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فاتت بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكروبون فيجدون لها روحا وقد اكثر الشعراء ذكرها وهى التى تأتى من ناحية المشرق وفيها لين اذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها وهيجت الاشواق الى الاحباب والحنين الى الاوطان قال الشاعر

اذا قلت هذا حين اسلو يهيجنى ۞ نسيم الصبا من حيث ان يطلع الفجر

وقال آخر

ايا جبلى نعمان بالله خليا ۞ نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست ۞ على نفس مهموم تجلت همومها

وقال آخر

ولقد تهب لى الصبا من ارضها ۞ فيلذ مس هبوبها ويطيب لى
يندى على كبدى ويقمع غلتى ۞ ويبل حر فؤادى المشتعل

﴿قوله عاد بصيرا﴾ على ان الارتداد انقلاب الشئ الى حال كان عليها فان قيل انه كان قد عمى بالكلية فانه بقوله لما بشره البشير بحياة يوسف عليهما الصلاة والسلام والقى القميص على وجهه عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوى بصره وزال ما فيه من الضعف والنقصان وكان المصنف رحمه الله تعالى اشار اليه بقوله لما انتعش فيه من القوة والانتعاش الارتفاع يقال نعشه الله فانتعش اى رفعه فارتفع ويقال انتعش العاثر اذا نهض من عثرته ﴿قوله اخره الى السحر﴾ قيل قام الى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما فعلوا فى حقى وحق يوسف فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقيل انه عليه الصلاة والسلام استغفر لهم فى الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه انى اداوم على هذا الاستغفار فيما يستقبل من الزمان فقد روى انه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر لهم فى كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وروى ان ابناء يعقوب عليه الصلاة والسلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء ما يغنى عنا عفوك ان لم يعف عنا ربنا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ان الله تعالى اجاب دعوتك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة كذا فى الكبير عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ﴿قوله روى انه وجه اليه رواحل﴾ قالوا كان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع البشير الى يعقوب جهازا ومائتى راحلة وسأله ان يأتيه باهله وولده اجمعين فتهيأ يعقوب عليه الصلاة والسلام للخروج الى مصر فتوجه مع اولاده واولادهم واهاليهم الى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف عليه الصلاة والسلام تلقاه ومعه ثلاثمائة الف فارس على كل واحد منهم جبة من فضة وراية من ذهب الافراس مراكبه والفرسان غلمانه فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا وصعد يعقوب تلا ومعه اولاده وحفدته ولما رأى الصحراء مملوءة من الفرسان مزينة بالالوان نظر اليها متعجبا فقال له جبريل عليهما الصلاة والسلام انظر الى الهواء فان الملائكة قد حضروا وسروا بحالكم كما كانوا باكين محزونين مدة لاجلك ثم نظر يعقوب الى الفرسان فقال ايهم ولدى يوسف فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يا يوسف ان ابا يعقوب

قد نزل لك فانزل له فنزل عن فرسه وحمل كل واحد منهما يعدو الى الآخر حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وصاح الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة قيل لما دنا كل واحد منهما قصد يوسف عليه الصلاة والسلام ان يبدأ بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب عليه الصلاة والسلام افضل واحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يامذهب الاحزان

﴿قوله ضم اليه اباه وخالته﴾ قال اكثر المفسرين فسر ابويه بهما بناء على ماروى ان امه راحيل كانت قدماتت فى نفاس بنيامين ولما ماتت امه تزوج اباه خالته ليا سماها الله تعالى باحد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام اولان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قول ابناء يعقوب لابيهم حين كان قوله لهم ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق فانهم عدوا اسماعيل من آباء يعقوب وهو عمه

﴿قوله او الدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم﴾ جواب عما قال ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر وليس له حال استقباله اياهم منزل حتى يدخلوا عليه فى ذلك البيت او الخيمة والمعنى ضم اليه ابويه واعتنقا ثم قال لهم قبل ان يدخلوا مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ثم حذف لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الشرطية بين الحال وعاملها ولم يجعل المشيئة متعلقة بنفس الدخول اذ ليس المقصود تدبيهم الى مجرد الدخول بل المقصود بيان اتصافهم بالامن فى دخولهم كانه قيل اسلموا وامنوا فى دخولكم ان شاء الله وانما وعد لهم الامن فى دخولهم مصر لانه كان بلدا فيه كفار وملكهم الذى اقام يوسف مقام نفسه كان كافرا ايضا والمسلمون لايأمنون من مأذية الكفار عادة فوعده عليه الصلاة والسلام لهم الامن متعلق بالمشيئة رجاء لذلك من فضل الله تعالى والعرش فى اللغة السرير الرفيع قال الله تعالى ولها عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا السرير الذى كان يجلس عليه يوسف عليه الصلاة والسلام وقوله ورفع ابويه على العرش معناه ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجلس ابويه معه على سرير الملك قبل القوم وان اشتركوا فى دخول دار يوسف عليه السلام لكنهم تباينوا فى الايوان فانفرد الابوان بالجلوس معه على سرير الملك لبعدهما من الجفاء كذلك غدا اذا وصلوا الى الغفران يشتركون فيه وفى دخول الجنة ولكنهم يتباينون فى بساط القربة يختص به اهل الصفاء دون من اتصف اليوم بالالتواء * وللورد ان يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم وعلى تقدير جوازه كان يعقوب احق بذلك من يوسف عليهما الصلاة والسلام لان يوسف وان كان نبيا الا ان يعقوب كان اعلى حالا منه من حيث التقدم فى النبوة ولحرمة الابوة ومن حيث الاجتهاد فى تكثير الطاعات ومن حيث انه كان شيخا كبيرا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ فاوجه قوله تعالى وخروا له سجدا * اجاب عنه المصنف رحمه الله بقوله تحية وتكرمة له بناء على انهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله تعالى فى شريعتهم وكان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض بالسجود ولم يزل تحية الناس ذلك الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فذهب بالسجود وجاء بالمصافحة واكثر المفسرين على ان المراد بالخرور سجدا وضع الوجه على الارض بناء على انه هو المتعارف المتفاهم وقيل المراد به الانحناء والتواضع فان التواضع قد يسمى سجودا كما فى قوله * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر * فينبغى لهذا القائل ان يقول الخرور ههنا بمعنى المرور كما فى قوله تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اى لم يمروا ﴿قوله وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله﴾ وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية عطاء فمعنى الآية على هذا خروا اى لاجل وجدان يعقوب اباه شكرا لله فذلك السجود سجود شكر والمسجود له هو الله تعالى لان ذلك السجود انما كان لاجله تعالى بمقابلة نعمة وجدان يوسف وقيل المراد معناه خروا اليه سجدا لله شكرا لنعمة وجدانه على ان جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله تعالى وذلك كما يقال صليت للكعبة والى الكعبة قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

* ماكنت اعرف ان الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن ابى حسن *
* اليس اول من صلى لقبلتكم * واعرف الناس بالقرآن والسنن *

وقوله يدل على انه يجوز ان يقال صلى للقبلة فكذا يجوز ان يقال سجد للقبلة فقوله خروا له اى جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه وقوله والرفع مؤخر عن الخرور جواب عما يقال لو كان المراد بالسجود سجود التحية والتكريم لكان ينبغى ان يسجدوا له قبل الصعود على السرير فى اول الملاقاة لان ذلك هو وقت التحية

(آوى اليه ابويه) ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا) تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما (وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل) التى رأيتها ايام الصبى (قد جعلها ربى حقا) صدقا (وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى (ان ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام فى خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يابنى ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى (رب قد آتيتنى من الملك)

بعض الملك وهو ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل (فاطر السموات والارض) مبدعهما
وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه (انت وليي) ناصري او متولي امري (في الدنيا والآخرة) او الذي يتولاني بالنعمة فيهما (توفني مسلما) اقبضني
(والحقني بالصالحين) من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام
الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا
فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من انباء الغيب نوحيه اليك) خبران له (وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا (وما اكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانباء او القرآن (من اجر) من جعل كما يفعله حملة الاحبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (في السموات والارض يمرون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (وما يؤمن اكثرهم بالله) في اقرارهم بوجوده وخالقيته (الا وهم مشركون) بعبادة غيره او باتخاذ
الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل
في اهل الكتاب (افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تغشاهم وتشملهم (او تأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لا يشعرون) باتيانها

وهو خلاف ما يفهم من قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا فانه يشعر بانهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى سجود ابويه واخوته له هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل وهذا يدل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يكن راضيا بذلك في قلبه الا انه لما علم ان الله تعالى امر بذلك لحكمة لا يعرفها الا الله تعالى كما امر الملائكة بالسجود لآدم لحكمة لا يعرفها الا هو سكت وقال ذلك كأنه يقول يا ابت لا يليق بمثلك على جلالتك في النبوة والدين والابوة والشيخوخة والعلم ان تسجد لولدك الا ان هذا امر امرت به وتكليف كلفت به فان رؤيا الانبياء حق كما ان رؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده صارت سببا لوجوب الذبح عليه في اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف عليه الصلاة والسلام وحكاها ليعقوب سببا لوجوب ذلك السجود وقوله ان ربي لطيف لما يشاء تعليل لقوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن الخ فان خلاصه من كل واحد مما اصابه من المحن وحصول الاجتماع بينه وبين ابيه واخوته مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال وان كان في غاية البعد عن الحصول الا ان لطيف التدبير اذا اراد حصول شيء سهل اسبابه فحصل وان كان في غاية البعد من الحصول **﴿قوله فتمنى الموت﴾** اختلفوا في ان قوله توفني مسلما هل هو طلب للموت منه او لا فقال قتادة رضي الله عنه سأل ربه اللحوق به ولم يتمن نبي الموت قبله قط وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد اذا توفيتني فتوفني على الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب الوفاة ووجه اتصال قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين بما قبله ان كفار قريش وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام على سبيل التعنت فشرحها شرحا شافيا على اعتقاد انه عليه الصلاة والسلام اذا ذكرها فربما آمنوا فلما اصروا على كفرهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فعزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي ولو حرصت على ان تهديهم لانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم بين ان اصرارهم على الكفر بعدما شاهدوا مثل هذه المعجزة الباهرة ليس بعجيب لانه انما نشأ من عدم تأملهم في الدلائل الدالة على نبوتك كما هو دأبهم وعادتهم فان العالم مملوء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وحكمته وهم يمرون عليها ويشاهدونها ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون **﴿قوله ليكونوا شرعا﴾** اي سواء اهله الجوهري الناس في هذا شرع اي سواء يحرك ويسكن ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث **﴿قوله وقرئ والارض﴾** الجمهور على جر الارض عطفا على السموات والضمير في عليها للآية فيكون يمرون صفة للآية او حالا منها لتخصيصها بالوصف بالجار وضمير عليها للارض ويمرون حال منها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء وخبره الجملة بعده وقرئ بالنصب ايضا على انه من باب الاشتغال والفعل المحذوف مفسر على وفقه معنى اي يطأون الارض او يسلكون الارض يمرون عليها والضمير في هاتين القراءتين يعود على الارض فقط ولما سمع المشركون قوله تعالى وكأين من آية الآية قالوا انا نؤمن بالله الذي خلق هذه الاشياء فانزل الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله اي في اقراره بان الله تعالى خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك حيث يثبت له شريكا في المعبودية سبحانه وتعالى لا شريك له وتقول العرب في تلبيتهم لا شريك لك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وتقول اهل مكة الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدوه بل اشركوا وتقول عبدة الاصنام الله ربنا وحده والاصنام شركاؤه في استحقاق العبادة وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابن الله وليس المراد بقوله وما يؤمن اكثرهم حقيقة الايمان ولكن المعنى ان اكثرهم مع اظهارهم الايمان بالسنتهم مشركون ثم انه تعالى خوفهم بقوله افأمنوا يعني المشركين **﴿قوله يعني الدعوة الى التوحيد الخ﴾** يعني جعل هذه اشارة الى المعنى الحاضر في الذهن وهو الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد واخبر عن ذلك المعنى بانه سبيلي وجعل قوله ادعو الى الله الى قوله وما انا من المشركين جملة مستأنفة لبيان السبيل والظاهر ان الدعوة الى قوله وما انا من المشركين فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو بمثله ايضا واخذ الدعوة الى الاعداد من قوله ادعو الى الله فان المراد منه الدعوة الى طاعة الله وثوابه الموعود يوم البعث والحساب وكون الحجة بصيرة عبارة عن كونها واضحة مرشدة الى المطلوب فان الدليل اذا كان بصيرا تمكن من الارشاد والهداية بخلاف ما اذا كان

او مبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعني) عطف عليه (وسبحان الله وما انا من المشركين) واتزهه تنزيها من الشركاء (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) رد لقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء (يوحى اليهم) كما يوحى اليك ويميزون بذلك من غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء (من اهل القرى) لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو (افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيغفلوا عن حبها (ولدار الآخرة) ولدار الحال او الساعة او الحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصي (افلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون (حتى اذا استيأس الرسل) غاية محذوف دل عليه الكلام اي لايغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع (وظنوا انهم قد كذبوا) اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وماروي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن مايهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا او ان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا (جاءهم نصرنا فنجي من نشاء) النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لايشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين (لقد كان في قصصهم) في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته (عبرة لاولي الالباب) لذوي العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم واقرؤكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة على ان لايحسد مسلما * ﴿سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وهي خمس واربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) قيل معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب)

اعني وذكر في قوله انا ومن اتبعني احتمالين الاول ان يكون ومن اتبعني عطفا على المستتر في ادعو فلذلك اتى بالضمير المنفصل في قوله انا فالمعنى والله سبحانه وتعالى اعلم ادعو الى طاعة الله وثوابه انا كائنا على بصيرة على ان قوله تعالى على بصيرة حال من الضمير المستتر في ادعو ويدعو اليها من اتبعني كذلك اي كائنا على بصيرة والاحتمال الثاني ان يكون انا مبتدأ مؤخرا وعلى بصيرة خبرا مقدما ويكون من اتبعني عطفا على انا ويكون المعنى انا ومن اتبعني على حجة وبرهان فيوقف على قوله تعالى ادعو الى الله على بصيرة ﴿قوله واتزهه تنزيها﴾ على ان سبحان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر اي اسبح الله تسبيحا من الشركاء وان قوله وما انا من المشركين حال من اسم المضمر وان جملة سبحان الله عطف على قوله ادعو الى الله وبه يتضح ان تكون الجملة مع ما عطفت هي عليه استئنافا لبيان السبيل ﴿قوله رد لقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة﴾ قالوا ذلك تعجبا وانكارا لنبوته صلى الله عليه وسلم ورد الله تعالى عليهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اي كيف يتعجبون من ارسالنا اياك والحال ان من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك والآية تدل على انه تعالى ما بعث رسولا الى الخلق من النسوان ولا من الجن ولا من اهل البادية لانه يغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار والقرى اعلم واحلم فلذلك قيل من بدا جفا ﴿قوله وقرأ حفص نوحي﴾ بالنون مبنيا للفاعل وقرأ الجمهور يوحى بالياء من تحت مبنيا للمفعول وقوله من المكذبين بالرسل اي فتكون الآية تأكيدا لقوله افامنوا ان تأتيهم غاشية ﴿قوله او من المشغوفين﴾ اي من المعرضين القلوب بحب الدنيا فيكون المقصود من الآية الحث على ازالة ما هو السبب في اعراضهم عن الآيات وانهماكهم في الشهوات ﴿قوله غاية محذوف﴾ يعني ان كلمة حتى تدل على الانتهاء وكون ما قبلها مغيا بما بعدها وليس في الكلام شئ تكون حتى غاية له واختلف عبارات المفسرين في تقدير شئ يكون مغيا بما بعد حتى فقدره المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله امهل من قبلهم من المكذبين حتى ايس الرسل وقدره بعضهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم قومهم وتكذيب قومهم اياهم حتى اذا استيأس وكل واحد مما ذكروه يفهم من سياق الكلام الا ان ما ذكره المصنف رحمه الله اخصر واقرب والمعنى ان نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى وقع ما وقع من اليأس والظنون ثم نصروا فاهلك المكذب ونجي المصدق ﴿قوله اي كذبتهم انفسهم او كذبهم القوم﴾ بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول وهي قراءة الكوفيين ومعناه القي اليهم خبر كاذب وضمير ظنوا الرسل اي ظن الرسل ان انفسهم وان قومهم القت اليهم قولا كاذبا وقرأ الباقون من السبعة بالتشديد على معنى فقد قيل لهم كذبتم ﴿قوله وقيل الضمير للرسل اليهم﴾ اي الضمائر الثلاثة في قوله وظنوا انهم قد كذبوا ﴿قوله والثاني للرسل﴾ ولو قال وما بعده للرسل لكان اظهر الا انه اكتفى بذكر الثاني لان كونه للرسل يستلزم كون الثالث لهم ايضا ﴿قوله وانما لم يعينهم﴾ اي لم يعبر عنهم في مقام التعيين بما يخصهم من العنوان للدلالة على ان عنوان من يشاء نجاتهم يخصهم بناء على ان الذين يتأهلون لان يتعلق بهم مشيئة الانجاء انما هم هؤلاء دون غيرهم ﴿قوله وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب﴾ فنجي بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء ومن نشاء قائم مقام الفاعل وباقي السبعة فننجي بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم واسكان الياء على لفظ المضارع من انجى وقرئ فنجي بتشديد الجيم من نجاه وكلاهما على حكاية الحال الماضية لان القصة قد وقعت فيما مضى وقرئ نجا على لفظ الماضي من الثلاثي * تمت سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والحمد لله حق حمده على جميع آلائه والصلاة والسلام على رسوله خاتم انبيائه وعلى آله وصحبه هادي الحق باسمائه وتقرب الى الله بتلاوة الآيات واستغفر الفقير ولجميع اهل الاسلام من قرابتي واحبابي ولجميع المؤمنين والمؤمنات

﴿سورة الرعد قيل مدنية بالاجماع سوى قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وقيل مكية سوى قوله تعالى﴾

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله المر قيل معناه انا الله اعلم وأرى﴾ على ان تكون هذه الحروف التي جعلت فاتحة هذه السورة الكريمة مختصرة من كلمات تركبت هي منها كما اختصر الشاعر قوله قاف من وقفت حيث قال * قلت لها قفي فقالت قاف * والظاهر ان المر كلام مستقل والتقدير هذه المراي سورة مسماة بالمر ثم اشار الى آياتها وحكم عليها بانها آيات الكتاب

الكاملة بمعنى آيات السورة الكاملة وصفة الكمال مستفادة من اضافة الآيات الى الكتاب المعرّف بلام الجنس فان خبر المبتدأ اذا كان معرّفا بلام الجنس او مضافا الى المعرّف بها يفيد انحصار الجنس فى ذلك المبتدأ وانه نفس ذلك الجنس لانوع من انواعه فان حصر جنس آيات السورة ليس الاعين وان ماسواها من الآيات ليس من افراد جنس آيات السورة ﴿ قوله عطف العام على الخاص ﴾ على ان يراد بالكتاب السورة فان ماانزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه اعم من السورة ﴿ قوله او احدى الصفتين على الاخرى ﴾ على ان يراد به القرآن فان الكتاب بمعنى القرآن المنظوم الذى من شأنه ان يكتب صفة مغايرة لصفة المنزل من الرب تعالى فيكون من قبيل قول من مدح قومه بعدم الفرار من العدو

* لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر *
* النازلين بكل معترك * والطيبين معاقد الازر *

فانه عطف الطيبين على النازلين وهما صفتان لقوم معينين وقول الآخر

* الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم *

﴿ قوله والجملة كالحجة على الجملة الاولى ﴾ لانه اذا انحصر جنس الحق فيما انزل اليه صلى الله عليه وسلم حصر الكمال من حيث بلوغه فى جزالة النظم والاشتمال على مهمات الخلائق فى باب الاعتقاد واعمال الدنيا والآخرة الى حيث صار سائر الكتب الالهية بالنسبة اليه كانه ليس بحق كان ذلك كالحجة الدالة على ان آيات هذه السورة هى التى استحقت بان تسمى آيات السورة الا أن مضمون الجملة الاولى متصل من حيث انها تفيد تفصيل آيات سورة معينة ومضمون الثانية يفيد تفصيل جملة ماانزل اليه صلى الله عليه وسلم فيكون بمثابة كبرى الشكل الاول ﴿ قوله وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل ﴾ اى وتميزه عن غير المنزل بكونه حقا بدون غير المنزل ومن المعلوم ان انحصار الحق فى الحكم المنزل من عند الله تعالى يستلزم ان لاتكون الاحكام الثابتة بالقياس والاجماع حقا فيلزم ان تكون باطلة لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فيلزم ان لايكون القياس ونحوه من الادلة الشرعية الدالة على الحق والصواب الا ان المنزل من عند الله تعالى اعم من الحكم المنزل صريحا كالاحكام الثابتة بصريح نص القرآن العظيم ومن الحكم المنزل ضمنا كالذى يثبت بالسنة والاجماع والقياس فان الحكم المثبت بواحد منها وان لم يثبت بنص القرآن العظيم صريحا لكنه يثبت ضمنا من حيث كونه اصلا يستند اليه كل واحد من الادلة الثلاثة المذكورة وينطق بحسن اتباع كل واحد منها وبتقرر حجيتها * قال الامام ومن الناس من تمسك بقوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق فى نفى القياس فقال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله تعالى وقد قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون مع انهم لايكفرون بالاجماع فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله تعالى واذا كان كذلك وجب ان لايكون حقا لان قوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق يقتضى انحصار الحق فى المنزل من عند الله تعالى وانه لاحق الا ماانزل الله تعالى فكل مالم ينزله وجب ان لايكون حقا واذا لم يكن حقا وجب ان يكون باطلا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ثم قال ومثبتوا القياس يجيبون عنه بان الحكم المثبت بالقياس نازل من عند الله تعالى ايضا لانه لما امر بالعمل بالقياس كان الحكم الذى يدل عليه القياس نازلا من عند الله تعالى انتهى ثم انه تعالى لما ذكر ان المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق بين ان اكثر الناس لايؤمنون به وبكونه حقا منزلا من عند الله تعالى على سبيل الزجر والتهديد ثم ذكر عقيبه مايدل على صحة التوحيد والمعاد وهو قوله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها اى انشأها مرفوعة لانها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها فى الابتداء مرفوعة كما تقول للخياط وسع كم القميص وللحافر البئر ضيق فم البئر ودلالته على التوحيد ظاهرة فانه لايقدر على رفع مافيه سعة وبعد بغير عمد ترى الا الواحد القهار القادر على كل شئ واما دلالته على المعاد فلان من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد ترى لقادر على اعادة الخلق واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشئ بعد فنائه اذ فى الشاهد من يقدر على اعادة مافنى ولايقدر على رفع سقف ذى سعة وبعد بغير عمد ﴿ قوله او عمود كاديم وأدم ﴾ يجعل فعول كفعيل فى ان يجمع على فعل بفتحتين وفيه بحث لان كل وزن له خصوصية يختص بها فلا يلزم من جمع فعيل على فعل ان يجمع عليه فعول وان قرئ عمد بضمتين يكون مفرده عمادا نحو كتاب وكتب وشهاب وشهب وقوله بغير عمد فى محل

يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن (والذى انزل اليك من ربك) وهو القرآن كله وحمله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وأدم وقرئ عمد كرسل

النصب على انه حال من السموات اى رفعها خالية عن عمد وترونها فى محل الجر على انه صفة لعمد ويكون الضمير المنصوب فيه راجعا الى عمد والمعنى رفعها خالية عن عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل ان يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعا اى لا عمد لها فلا ترى ويحتمل ان يكون لانتفاء الرؤية فقط بان يكون لها عماد غير مرئى وهو القدرة فانه تعالى يمسكها مرفوعة بقدرته فكأنها عماد لها فقوله بغير عمد معناه بغير عمد مرئية فكلمة النفى وان كانت متقدمة فى الذكر فهى متأخرة فى المعنى وكونها مرفوعة بعماد غير مرئى مثل كونها مرفوعة بغير عماد اصلا فى كون ذلك الرفع عجيبا خارجا عن دائرة العقل والحياة فانا لا نتعقل ارتفاع السقف الواسع الرفيع السمك بغير عمد واساطين مرئية ونظير الآية فى الاحتمالين قولك ما رأيت رجلا صالحا فان صدقه يحتمل ان يكون لانتفاء الرجل والصلاح جميعا اولانتفاء الصلاح وحده ﴿قوله او استئناف للاستشهاد﴾ فان الضمير المنصوب فى ترونها على تقدير ان يرجع الى السموات يكون ترونها كلاما مستأنفا لا محل له من الاعراب كأنه قيل ما الدليل على ان السموات مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها غير معمودة او مرفوعة بلا عمد فاستشهد على كونها مرفوعة بغير عمد برؤية الناس اياها كذلك ﴿قوله وهو دليل على وجود الصانع﴾ ووجه دلالته عليه ان ارتفاعها على سائر الاجسام ليس مقتضى جسميتها ولا مقتضى ذاتها او ذات حيزها والا لكان كل جسم كذلك ولا مقتضى خصوصيتها النوعية لانا ننقل الكلام الى اختصاصها بتلك الخصوصية فنقول اختصاصها بها ليس لاجل جسميتها والا لكان جميع الاجسام كذلك فتعين ان يكون لمخصص خارجى ولا بد ان لا يكون ذلك المخصص الخارجى جسما ولا جسمانيا والا لكان له حيز يشغله بذاته او بتبعية موضوعه ويمتنع ان يكون حصوله فى ذلك الحيز مقتضى ذاته او ذات حيزه لما بينا ان الاجسام والاحياز متساوية فى تمام الماهية فلا بد ان يكون ذلك المخصص فاعلا مختارا يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته ﴿قوله بالحفظ والتدبير﴾ اشارة الى ان الاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء على الملك والتصرف فيما رفعه بلا عمد بناء على ان العرش فى الاصل سرير الملك فصح ان يجعل الاستيلاء عليه كناية عن نفاذ الامر والتدبير كيف يشاء والظاهر ان كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخى لان استيلاءه تعالى على التصرف فيما رفعه ليس بمتراخ عن رفعه ويحتمل ان يجعل لمجرد العطف مع قطع النظر عن الترتيب ايضا بناء على ان يراد بالملك مطلق التصرف فان الاستيلاء على الملك مطلقا غير مترتب على رفع السموات * قال الامام المراد استواؤه على عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير يعنى ان ما هو كائن من فوق العرش الى ما تحت الثرى فى حفظه وتدبيره وفى الاحتياج اليه ﴿قوله وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات﴾ اى من الآيات الدالة على وجود الصانع الحكيم فانه تعالى استدل عليه باحوال السموات وباحوال الشمس والقمر وباحوال الارض والنبات فاستدل عليه اولا باحوال السموات حيث قال تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وبين المصنف رحمه الله تعالى وجه دلالتها عليه وثانيا باحوال الشمس والقمر حيث قال وسخر الشمس والقمر فان اختصاصهما بالحركة الدائمة على وجه مخصوص من البطؤ والسرعة ونسق معين دون السكون ودون الحركة على سائر الوجوه مع كون الاجسام متماثلة لا بد له من مخصص الى ما ذكر سابقا ثم انه تعالى لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال تعالى وهو الذى مد الارض اى انشأها ممدودة لانها كانت مجموعة فى مكان فبسطها وهو كما ذكر من رفع السماء ونحوه ووجه الاستدلال بامتداد الارض ان كونها ممدودة اى ذات امتداد من الطول والعرض والعمق على قدر معين مع جواز كونها ازيد مقدارا مما هى الآن عليه او انقص منه لا بد له من مخصص قال ابو بكر الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك البصر منتهاه فقوله وهو الذى مد الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما كبيرا لا يقع البصر على منتهاه فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هى الآن عليه لما كمل الانتفاع بها ومد الارض على اى معنى كان لا ينافى كونها كرة لان الكرة اذا كانت فى غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت الحاصل بينها وبين السطح لا يحصل الا فى علم الله تعالى ثم استدل عليه بحصول جبال ثابتة فيها غير منتقلة عن اماكنها فان حصول الجبل فى بعض جوانبها دون البعض مع ان طبيعة الارض واحدة لا بد ان يكون بتخصيص الفاعل المختار الحكيم وكذلك حصول الانهار فى بعض جوانبها دون بعض لا بد ان يستند اليه ثم استدل عليه بعجائب خلقه حيث قال تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فان الحبة اذا وقعت فى الارض وانتشرت فيها نداوة الارض نفخت وربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق اعلاها واسفلها فيخرج من الشق

(ترونها) صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث الكائنات وبقائها

الاعلى الشجرة الصاعدة ويخرج من الشق الاسفل العروق الغائصة في اسفل الارض وهذا من العجائب لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير تلك الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من احد جانبي تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص في الارض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلم ان ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورة وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع فالجوز له اربعة انواع من القشور فقشره الاعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته القشرة المحيطة باللب وتحت هذه القشرة قشرة اخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلا قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الانجم والافلاك لابد وان يكون لاجل تدبير الحكيم القديم ثم استدل باحوال الليل والنهار حيث قال تعالى يغشي الليل النهار فان الانعام لايكمل الا بالليل والنهار وتعاقبهما ﴿ قوله لمدة معينة ﴾ اي بسير الى وقت معلوم في منازله لايجاوزه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وسيرها في تلك المنازل يتم في ستة اشهر ثم انها تعود مرة اخرى الى كل واحد منها في ستة اشهر اخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى هذا وقيل المراد به كونهما متحركين الى يوم القيامة وعند مجيء ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات ﴿ قوله امر ملكوته ﴾ اي امر ملكه وسلطنته فان الملكوت من الملك كالرهبوت من الرهب فيقال له ملكوت العراق وهو الملك والعزة ولفظ الجلالة في قوله تعالى الله الذي رفع السموات مبتدأ خبره الذي ورفع السموات واستوى على العرش وسخر الشمس والقمر صلات وكأنه قيل ماذا حكمته في انشائها وتسخيرها والاستواء عليه قيل يدبر الامر يفصل الآيات الدالة على وجود منشئها وحكمة غرضها ليوقن المكلفون بان مرجعهم اليه وانه لابد من لقائه ليثيبهم ويعاقبهم على ما كانوا به كما اشار اليه بقوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وان كان الذي رفع السموات صفة لفظ الجلالة يكون قوله يدبر خبرا لمبتدأ ويفصل خبرا بعد خبر كما اشار اليه المصنف ويكون المقصود من توصيف المسند اليه باسم الموصول جعله ذريعة ووسيلة الى التعريض بتعظيم شأن الخبر الذي هو التدبير والتفصيل كما في قول الفرزدق

* ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول *

فان في قوله ان الذي سمك السماء ايماء الى ان الخبر المبني عليه امر من جنس الرفعة والبناء فكذا قوله تعالى في الآية الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الى آخر الصلات ذريعة وايماء الى ان الخبر المبني عليه امر عظيم الشأن يليق ان يصدر عن هذا شأنه ﴿ قوله يبين لها ويبينها مفصلة ﴾ على ان يكون المراد بالآيات آيات القرآن ويكون المراد بتفصيلها انزالها متفرقة على حسب تجدد المصالح والثاني على ان يكون المراد بها الدلائل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته وتفصيلها احداث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفصيل ﴿ قوله والتاء للتأنيث ﴾ جواب عما يرد على قوله جبالا ثوابت وهو ان رواسي اذا كانت صفة جبال يكون مفردها وهو راسية صفة جبل وهو مذكر فما وجه دخول التاء في صفته * وتقرير الجواب انا لانسلم ان راسية صفة جبل بل هو صفة اجبل وهو جمع والجمع لكونه في تأويل الجماعة يعامل معاملة المؤنث وفيه بحث وهو ان الرواسي لما كان جمع راسية التي هي صفة اجبل لزم ان يكون الجبال الرواسي جمع الجمع وليس كذلك بل كل واحد من الجبال والاجبل جمع جبل الاول جمع كثرة والثاني جمع قلة فالاولى هو الجواب الثاني وهو ان راسية صفة جبل والتاء فيه ليست للتأنيث بل هي للمبالغة كما في علامة ﴿ قوله ضمها الى الجبال ﴾ جواب عما يقال كل واحد من الرواسي والانهار اختصاصه ببعض جوانب الارض دون بعض دليل مستقل على وجود الصانع الحكيم فلم جمعهما وعلق بهما فعلا واحدا حيث قال وجعل فيها رواسي وانهارا اي خلق فيها اياهما والوجه في كون الجبال اسبابا لتولد الانهار ان الحجر جسم صلب فاذا تصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت الى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتراكم وتتضاعف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة لكثرتها وقوتها تثقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الارض فهذا هو السبب في تولد الانهار من الجبال فلما كان بينهما هذه العلاقة كنت ترى في اكثر الامر انه تعالى اينما ذكر الجبال قرن بها ذكر الانهار مثل ما في هذه الآية ومثل ما في قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ﴿ قوله متعلق بقوله جعل ﴾

(كل يجري لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذي مد الارض) بسطها طولا وعرضا لتثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسي) جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انه صفة اجبل او للمبالغة (وانهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) اي جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير

(يغشي الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها (وفي الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع (وجنات من اعناب وزرع ونخيل) وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات اصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يا محمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أئنا لفي خلق جديد (اولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (واولئك الاغلال في اعناقهم) مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

حال انه حال من مفعوله اي وجعل فيها زوجين اثنين حال كونهما من جميع انواع الثمرات قدمت على ذي الحال لكونه نكرة وقوله تعالى يغشي الليل النهار اما مستأنف لبيان الحكمة في نشأة الشمس والقمر وتسخيرهما او حال من ضمير اسم الله المستتر في الافعال المذكورة قبله وهي رفع وسخر ويدبر ويفصل ومد وجعل ﴿ قوله يلبسه مكانه ﴾ يعني ان الاغشاء الباس الشيء الشيء ولما كان الباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لانهما متضادان لا يجتمعان والباس لابد ان يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذي يلبس ظلمة الليل شبه احداث الظلمة في الجو الذي هو مكان الضوء بالباسها اياه وتغطيته بها فاطلق عليه اسم الاغشاء والالباس فاشتق منه لفظ يغشي فصار استعارة تبعية ﴿ قوله ولو لا تخصيص قادر الخ ﴾ اشارة الى ان المقصود من قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات الآية اقامة الدليل على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث في هذا العالم مستندا الى الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية وذلك لان قطع الارض مختلفة في صفاتها مع اشتراكها في الطبيعة الارضية وكونها متجاورة متقاربة بحيث يكون تأثير الشمس وسائر الكواكب فيها على السوية وقوله من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع علة لاشتراك تلك القطع فيما يعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية ﴿ قوله نخلات اصلها واحد ﴾ تفسير الصنوان على وجه يشير الى ان صنوان جمع صنو كقنوان جمع قنو وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الصنوان ما كان من نخلتين او ثلاث او اكثر اصلهن واحد وغير صنوان يريد به المتفرق الذي لا يجمعه اصله واحد ﴿ قوله وقرأ ابن كثير الى قوله بالرفع عطفا على وجنات ﴾ لا يخفى ان المرفوع المعطوف على جنات انما هو قوله تعالى وزرع ونخيل واما رفع قوله تعالى صنوان وغير صنوان فلكونه نعت نخيل والنخل والنخيل بمعنى واحد وقرأ الباقون بجر الالفاظ عطفا على اعناب واختار المصنف رحمه الله هذه القراءة ولهذا قال وبساتين فيها انواع الاشجار الخ ﴿ قوله على تأويل ما ذكر ﴾ اي يسقى ما ذكر من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المتفقة الاصول والمختلفة الاصول بماء واحد ونفضل بعض هذه الاشياء المذكورة في الثمر من جهة الشكل والقدر والرائحة والطعم ويحتمل ان يكون قراءة تسقى بالتاء الفوقانية بناء على تأويل كل واحد منها او على تغليب المذكر على المؤنث والاكل الثمر الذي يؤكل وقيل الاكل كل ما هيئ للاكل ثمرا كان او غيره ويؤيده قوله تعالى في صفة الجنة اكلها دائم وهو عام في جميع المطعومات وقرأ الباقون تسقى بالتاء الفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير جنات او الى الاشياء المذكورة ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى ونفضل بعضها اي بعض هذه المذكورات ومن قرأ يفضل بالياء التحتانية على بناء الفاعل عطفه على قوله يدبر ويفصل ويغشي ومن قرأ نفضل بنون العظمة قال تقديره ونحن نفضل وقرأ نافع وابن كثير الاكل ساكنة الكاف في جميع القرآن والباقون مضمومة الكاف وهما لغتان ﴿ قوله حقيق بان تتعجب منه ﴾ اي فقد عجبت في موضع العجب لما قرر وفصل من الدلائل ما يدل على وجود المبدئ القادر على كل شيء وكانت تلك الدلائل دالة على صحة الاعادة ايضا استبعد قول من انكرها فقال وان تعجب من انكارهم البعث فقد عجبت العجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند ادراك ما لا يعرف سببه وهو مستحيل في حق الله تعالى فكان المراد وان تعجب فعجيب عندك ﴿ قوله بدل من قولهم ﴾ اي من لفظ قولهم بدل الكل من الكل لان هذا هو نفس قولهم والاظهر ان هذه الجملة الاستفهامية منصوبة المحل على انها محكية بالقول واذا ههنا ظرف محض وليس فيها معنى الشرط والعامل فيها مقدر يفسره قوله تعالى لفي خلق جديد والتقدير أئذا كنا ترابا نبعث او نحشر ولا يجوز ان يكون العامل فيها كنا لانه مضاف اليه فلا يعمل في المضاف ولا يعمل فيها ايضا خلق جديد لان ما بعد اداة الاستفهام وما بعد ان لا يعمل فيما قبله ولما حكى الله تعالى عنهم هذه المقالة وقال وان تعجب منها فقد تعجبت في موضع التعجب حكم عليهم بثلاثة اشياء اولها قوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم لان من انكر البعث والقيامة انما ينكره لانكاره قدرة الله تعالى عليه واحاطة علمه بجميع الكليات والجزئيات او لانكاره صدق من صدقه الله تعالى باظهار المعجزات الباهرة على يده وحكم عليهم ثانيا بقوله تعالى واولئك الاغلال في اعناقهم والاغلال جمع الغل وهو طوق يشد به اليد الى العنق يقال منه غل الرجل فهو مغلول والمصنف رحمه الله فسر الاغلال اولا بما هم عليه من سوء الاعتقاد وقبائح الاعمال شبهها بالاغلال في لزومها لهم ومنعها اياهم من الالتفات الى غيرها يقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الردي ومعناه انه لازم لك لا يرجى خلاصك منه ثم فسرها ثانيا بمعناها الحقيقي الاصلي وحمل

الكلام على الحقيقة وان كان اولى الا ان المصنف رحمه الله قدم التفسير الاول فى الذكر لان ظاهر الآية يقتضى حصول الاغلال فى اعناقهم فى الحال وهو امر يحصل يوم القيامة بخلاف الغل بمعنى الكفر والضلال فانه حاصل فى الحال فحمل الكلام عليه رعاية لجانب الحقيقة من بعض الوجوه فلا رجحان لاحد الحملين على الآخر من هذا الوجه ورجح الوجه الاول لانه يفيد تقبيح حالهم فى الآخرة فلذلك كان انسب فى هذا المقام وعلى الوجه الثانى يكون المعنى اولئك يغلون يوم القيامة وحكم عليهم ثالثا بقوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون على معنى انهم هم الموصوفون بالخلود فى النار لا غيرهم وان خلودهم انما هو فى النار لا فى غيرها لان كلا واحدا من توسيط ضمير الفصل وتقديم فيها يفيد الحصر فثبت ان اهل الكبائر لا يخلدون فى النار ﴿ قوله وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء ﴾ اى قالوا متى يجيئنا هذا العذاب فاستعجلوا نزوله على سبيل الطعن فيه واظهار ان الذى يقوله كلام لا اصل له فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم يستعجلون الرسل بالسيئة قبل الحسنة اى بنزول العقوبة المهلكة قبل احسان الله معهم بالانظار والامهال فانه تعالى صرف عن بعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم عقوبة الاستئصال واخر تعذيب مكذبيه الى يوم القيامة فذلك التأخير فى حقهم هو الحسنة فهؤلاء طلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول تلك العقوبة ولم يرضوا بما هو حسنة فى حقهم وسميت العقوبة سيئة لانها تسوءهم وتؤذيهم ويجوز ان يكون المراد بالحسنة الثواب الموعود لهم فى الآخرة وحصول النصر والظفر فى الدنيا بشرط الايمان فانه صلى الله عليه وسلم كان يعدهم ذلك على الايمان فالقوم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول العذاب بدل ما وعدلهم على الايمان من النصر والظفر واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة انكروا البعث والقيامة وهو الذى تقدم ذكره فى قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا وكلما هددهم بعذاب الدنيا استعجلوه وقالوا متى يجيئنا استهزاء وهو قوله ويستعجلونك بالعذاب وقوله قبل الحسنة متعلق بالاستعجال ظرف له ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال مقدرة من السيئة وقوله وقد خلت حال من المستعجلين والعامة على فتح الميم وضم الثاء المثلثة وهو جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء ايضا كسمرة وسمرات وهى العقوبة الفاضحة ويقال لها مثلة ايضا بضم الميم وسكون الثاء مثل صدقة وصدقة ويجمع على مثلات بسكون الثاء وقيل المثلة العقوبة المبقية فى المعاقب شيأ وهو تغيير الصورة معه قبيحة وهو قوله مثل فلان بفلان اذا قبح صورته او قطع اذنه او انفه او سمل عينه او شق بطنه فهذا هو الاصل ثم يقال للعار الباقى والخزى اللازم مثلة قال الواحدى اصل هذا الحرف من المثل الذى هو الشبه ولما كان الاصل ان يكون العقاب مشابها للمعاقب عليه ومماثلا له لاجرم انه يسمى بهذا الاسم وقرئ المثلات بفتحتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء جمع مثلة قيل لغة الحجاز والمثلات بضم الميم وسكون الثاء على ان يكون المثلة بالضم والسكون لغة اصلية او مخففة من المثلة بضمتين وهو قوله بالتخفيف بعد الاتباع وقرأ الاعمش ومجاهد المثلات بفتحهما جمع مثلة على وزن صدقة او جمع مثلة كركبة وركبات ﴿ قوله مع ظلمهم انفسهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى على ظلمهم معناه حال اشتمالهم بالظلم كما يقال رأيت فلانا على اكله والمراد حال اشتماله بالاكل ﴿ قوله والعامل فيه المغفرة ﴾ يعنى انه هو العامل فى صاحبها والاظهر تعلق الجار والمجرور بمحذوف اى مستقرين على ظلمهم ولا شك ان المستقر على الظلم والمشتغل به لا يكون تائبا عنه فدلت الآية على جواز العفو بدون التوبة ولما لم يكن معمولا بها فى حق الكفار لنصوص الدالة على عدم العفو عنهم بقيت معمولا بها فى حق اهل الكبيرة فيكون قوله تعالى وان ربك لشديد العقاب فى حق الكفار او فى حق من شاء عقابه من عصاة المؤمنين ثم انه تعالى لما حكى من الكفار انكارهم البعث والجزاء المستلزم لانكار النبوة حكى انهم طعنوا فى نبوته صلى الله عليه وسلم ولم يعتدوا بما شاهدوه من المعجزات وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم معجزات ظاهرة قاهرة مثل فلق البحر وقلب العصا ثعبانا فقال ويقول الذين كفروا الآية فلقن الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يجيبهم بان يقول ليس على اتيان كل ما يقترح على وانما على الانذار عن مخالفة حكم الله وما يتوقف عليه ذلك الانذار وهو اتيان ما تثبت به النبوة من جنس المعجزات فان اتيت بمعجزة واحدة فقد تم المقصود ويكون طلب الباقى تحكما على مدعى النبوة فلا يلتفت اليه لتمام الحجة بدون الباقى وايضا فتح هذا الباب يفضى الى اتيان ما لا نهاية له لانه كلما جاء بمعجزة جاء واحد آخر فطلب معجزة اخرى وذلك يوجب سقوط عزم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو باطل ﴿ قوله

(ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء (وقد خلت من قبلهم المثلات) العقوبات لامثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامتثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار او لمن شاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى عليهما السلام (انما انت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك

(ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لايهدي الامن يشاء هدايته بمايترل من الآيات ثم اردف ذلك بمايدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال مااقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وماعند الله باق بالتنوين فى الوصل فاذا وقف وقف بالياء فى هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغيرياء فقال (الله يعلم ما تحمل كل انثى) اى حملها اوماتحمله انه على اى حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وماتغيض الارحام وماتزداد) وما تنقصه وما تزداده فى الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابى حنيفة روى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدله وقيل نهاية ماعرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعى رحمه الله اخبرنى شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا فى كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعافان جعلتهما لازمين تعين ان تكون مامصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى اولما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لايجاوزه ولاينقص عنه كقوله تعالى اناكل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأله اسبابا مسوقة اليه تقتضى ذلك (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشأن الذى لايخرج عن علمه شئ (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته اوالذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سوآء منكم من اسر القول) فى نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفاء مختف بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من فى معنى الاثنين كقوله ٭ نكن مثل من ياذئب يصطحبان ٭ كأنه قال سوآء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بماقبلها مقررة لكمال علمه وشموله

نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم ﴾ يعني ان تنكيرها لعموم الافراد والمعنى ان لكل قوم من الاقوام هاديا على حدة مغايرا لسائر الهداة وان الهداة على حسب اختلاف الاقوام الا ان المراد باختلاف الهداة اختلاف معجزاتهم على حسب اختلاف طرق الاقوام وكمالاتهم فانه تعالى وان سوّى بين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى اظهار المعجزة الا انه تعالى خص نبي كل قوم بنوع من المعجزة يناسب لطرق ذلك القوم فيما تميزوا به من سائر الاقوام من الكمالات فلما كان الغالب فى زمان موسى عليه الصلاة والسلام هو السحر جعل معجزته ماهو اقرب الى طريقهم ولما كان الغالب فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام الطب جعل معجزته مايناسب الطب وهو احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ولما كان الغالب فى ايام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة جعل معجزته ماكان لانظير له فى ذلك الزمان وهو فصاحة القرآن وبلوغه فى باب البلاغة الى حد خارج عن قدرة الانسان فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع انها اقرب الى طريقهم والبق بطباعهم كان ان لايؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات اولى ﴿ قوله او قادر على هدايتهم ﴾ عطف على قوله نبي مخصوص والمعنى ان قومك ان لم يصدقوك ولم يعتقدوا على ما اظهرته من المعجزات فلا يضيق قلبك بسببه فانه ليس عليك الا الانذار واما الهداية فانما الى الله تعالى فانه الهادي لكل قوم يهدي بارادته تعالى من يشاء ﴿ قوله ثم اردف ذلك الخ ﴾ اى اردف ذكر ماحكى عنهم من انهم طلبوا آيات اخرى غير ما اتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر مايدل على كمال علمه والمقصود بيان وجه انتظام هذه الآية بماقبلها وهو انه تعالى حكى عنهم انهم طلبوا آيات اخرى غير ماشاهدوه من الآيات ثم احتج على كمال علمه بانه يعلم ماتحمل كل انثى وكذا وكذا تنبيها على انه تعالى يعلم من حالهم هل طلبوا آية اخرى للاسترشاد اولاجل التعنت والعناد فلو علم انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد ومزيد الطمأنينة لاظهر ذلك ولما منعهم اياه ولكنه تعالى لما علم منهم انهم لم يقولوا ذلك الالمحض العناد لاجرم منعهم ﴿ قوله اى حملها او ماتحمله ﴾ يعني ان كلمة ما فى قوله تعالى ماتحمل وماتغيض الارحام وماتزداد يحتمل ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لايخفى عليه شئ من ذلك ولا من اوقاته واحواله ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى منصوبة المحل بيعلم والعائد محذوف اى يعلم ماتحمله من الولد هل هو ذكر او انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير الى غير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ايضا ماتغيضه الارحام وماتزداده على ان ما موصولة وغاض يستعمل لازما ومتعديا يقال غاض الماء يغيض غيضا اى قل ونضب كما يقال انغاض ويقال ايضا غاضه الله ومنه قوله تعالى وغيض الماء وكذا ازداد فانه يقال زدته فزاد بنفسه وازداد ويقال اخذت منه حقي وازددت منه كذا واختلفوا فيما تغيضه الارحام وماتزداده ماهو فقيل هو جثة الولد فقد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة وقد تكون تامة الاعضاء وقد تكون ناقصة وقيل هو مدة ولادته فانها قد تكون تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابى حنيفة رحمه الله والى اربع عند الامام الشافعى رحمه الله وكذلك عند الامام ابن حنبل والى خمس عند الامام مالك رحمهم الله تعالى وقيل هو عدد الولد فان الرحم قد يشتمل على ولد واحد وعلى اثنين وعلى ثلاثة وعلى اربعة ٭ روى ان شريكا رضي الله تعالى عنه وهو احد فقهاء المدينة رضي الله تعالى عنهم كان رابع اربعة فى بطن امه وقيل هو دم الحيض فانه يقل ويكثر ﴿ قوله فانهما لله تعالى ﴾ على تقدير كونهما متعديين او لما فيها على تقدير كونهما لازمين فان كل واحد من الغيوض والزيادة ليس لنفس الارحام بل لما فيها ﴿ قوله فانه تعالى خص كل حادث الخ ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار المراد منه ان كل شئ فى حكمه وارادته مختص بوقت وحال وقيل يحتمل ان يكون المراد من العندية العلم ومعناه انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على الوجه المعين المفيد لوقوع التمييز فى تلك المعلومات ثم انه تعالى احتج على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى سوآء منكم من اسر القول الآية فقوله من اسر القول مبتدأ ومن جهر عطف عليه وسوآء خبر المبتدأ قدم عليه ومنكم حال من الضمير المستتر فى سوآء لانه بمعنى مستو ولم يثن الخبر مع انه خبر عن شيئين لانه فى الاصل مصدر وان كان هنا بمعنى مستو والاستوآء يقتضي شيئين فمعنى الآية الانسان سوآء كان اضمر القول فى نفسه او اظهره بلسانه وسوآء كان مستخفيا فى الظلمات او ظاهرا فى الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل ﴿ قوله وهو عطف على من او على مستخف على ان من فى معنى الاثنين ﴾ جواب عما يقال ان الاستوآء يقتضي شيئين فكيف يصح ان يعطف سارب على قوله مستخف مع انه مستلزم تحقق الاشياء بالاستوآء فى شخص واحد له صفتان الاستخفاء والبروز وذلك لان جملة قوله تعالى

من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار معطوفة على جملة قوله تعالى من اسرّ القول ومن جهر به وهما مبتدأ حكم عليهما بالاستواء فلما عطف عليه قوله تعالى ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار لزم ان يكون هذا المعطوف ايضا محكوما عليه بالاستواء وهو شخص واحد له صفتان فحق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار ليتحقق شيئان يحكم عليهما بالاستواء * واجاب المصنف عنه رحمه الله بوجهين تقرير الاوّل ما ذكرنا يلزم ان لو كان وسارب معطوفا على قوله مستخف وليس كذلك بل هو معطوف على من فيتحقق شيئان كأنه قيل سواء منكم اثنان وهو مستخف وسارب وتقرير الوجه الثاني سلمنا انه معطوف على مستخف لكن لا نسلم استلزامه لكون الاستواء في شخص واحد بناء على ان كلمة من عبارة عن الاثنين كأنه قيل سواء منكم اثنان هما مستخف بالليل وسارب بالنهار وعلى الوجهين تكون كلمة من موصوفة لا موصولة فيحمل الاوّل ايضا على ذلك ليتوافق الكل ومما وقع فيه كلمة من عبارة عن المتعدد ما وقع في بيت الفرزدق * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * وقبله

* فقلت له لما تكشر ضاحكا * وقائم سيفي من يدي بمكان *
* تعال فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان *

تكشر اي ابدى اسنانه وقائم السيف وقائمته مقبضه والمعنى وانا قابض قائم سيفي قبضا قويا ليس بعده شيء من القوة يشعر بجلده وشجاعته يخاطب ذئبا اتاه ويقول له ان عاهدتني على ان لا تخونني كنا مثل رجلين يصطحبان فجملة يصطحبان صلة من ويا ذئب نداء اعترض بين الصلة والموصول ﴿قوله لمن اسرّ الخ﴾ يعني ان الضمير في له عائد الى من في قوله سواء منكم من اسرّ القول وقيل الى اسم الله المذكور في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والمعنى لله معقبات ﴿قوله من عقب مبالغة عقبه﴾ فيكون صيغة التفعيل للمبالغة والتكثير كما في قولك طوّفت البيت وقيل للملائكة عليهم الصلاة والسلام معقبات لكثرة تعقب بعضهم بعضا او لكثرة انهم يعقبون اعمال المكلفين واقوالهم فيكتبونها فيكون اطلاق المعقبة على الملك كاطلاق النسابة والعلامة على الرجل وان التاء فيها ليست للتأنيث ﴿قوله او اعتقب﴾ عطف على قوله عقب فيكون معقبات اصله معتقبات فادغمت التاء في القاف ﴿قوله والتاء للمبالغة﴾ جواب عما يقال الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالانوثة فلم جمع وصفه جمع الاناث فقيل معقبات * فاجاب عنه اوّلا بان التاء ليست للتأنيث وثانيا بانها للتأنيث بناء على ان معقبة صفة لجماعة الملائكة فلما جمعت اريد بها الجماعات قال جمهور المفسرين المراد بالمعقبات الملائكة الحفظة وصح وصفهم بالمعقبات اما لاجل ان ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يعقبون اعمال العباد واقوالهم ويتبعونها بالحفظ والكتب وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب فعلى هذا المراد بالمعقبات ملائكة الليل والنهار ﴿قوله وقرئ معاقيب جمع معقب﴾ بسكون العين وكسر القاف كمقاديم في جمع مقدم ومطاعيم في جمع مطعم ومعقب اسم فاعل من قولهم ذهب فلان فاعقبه ابنه اي اخلفه وهو مثل عقبه ﴿قوله من جوانبه﴾ اي كائنين من جوانبه او كائنون من جوانبه على ان يكون قوله من بين يديه متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر في الظرف الواقع خبرا او على انه صفة لمعقبات ويجوز ان يتعلق بنفس معقبات بان تكون من لابتداء الغاية وعلى التقادير يتم الكلام عند قوله ومن خلفه * فان قيل كيف يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهما من الداخلة على بين ومن الداخلة على امر الله * فالجواب ان من الثانية مغايرة للاولى في المعنى بان يكون معنى من الثانية يحفظونه من اجل امر الله اياهم بذلك او بسبب امره * وقيل من امر الله خبر لمبتدأ محذوف اي ذلك الحفظ من امر الله اي مما امر الله به لانهم لا يقدرون على ان يدفعوا شيأ مما قضى الله وقدره ﴿قوله او من الاعمال ما قدّم واخر﴾ فالظاهر ان كلمة من على هذا تعليلية اي له معقبات يعقب بعضهم بعضا في النزول الى الارض لاجل ما بين يديه من الاعمال او لاجل ما خلفه اي لاجل ان يكتبوا ما قدّمه وما أخره من الاعمال والاقوال وقوله تعالى يحفظونه يجوز ان يكون صفة اخرى وان يكون حالا من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبرا وقوله من امر الله متعلق به والمعنى يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له وسؤالهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب او يحفظونه من المضار ويدل عليه ما روي عن مجاهد انه ما من مسلم الا وكل به وكلاؤه من الملائكة يحفظونه من الجن والانس والهوام او يحفظونه من المضار فاذا رأوا شيئا منها قالوا اليك وراءك الا شيئا قد قضى الله ان يصيبه وما روي عن عمر بن جندب قال كنا جلوسا عند سعيد بن قيس بصفين فاقبل علي رضي الله عنه يتوكأ على عنزة له بعد ما اختلط الظلام فقال سعيد امير المؤمنين

(له) لمن اسرّ او جهر او استخفى او سرب (معقبات) ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه او من الاعمال ما قدّم واخر (يحفظونه من امر الله) من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات

قال ثم قال اماتخاف ان يتناك احدقال انه ليس من احد الا ومعه من الله حفظة من ان يتردى فى بئر او يخر من جبل او يصيبه حجر او تصيبه دابة فاذا جاء القدر خلوا بينه و بين القدر ﴿ قوله وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة ﴾ وفى الصحاح الحرس حرس السلطان وهم الحراس الواحد حرسى لانه قدصار اسم جنس فينسب اليه ولاتقول حارس الا ان تذهب الى معنى الحراسة والحفظ دون الجنس وقال الجلواز الشرطى والجمع الجلاوزة وهم اعوان السلطان فالمقصود من هذا الكلام توبيخ العاقل المتمادى فى غروره والتهكم به على اتخاذ الجلاوزة وهم اعوان السلطان والحرس بناء على توهم انهم يحفظونه من امر الله وقضائه كما يشاهد من ان بعض الملوك والسلاطين يتعدون الحرسى والشرطى لذلك والعاقل يعلم ان القضايا الالهية والنوازل المقدرة مما لا يمكن التحفظ عنه فانظر رأيهم ومادهبوا اليه ﴿ قوله وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف ﴾ احتيج الى تقديره لان الخوف من صواعق البرق والطمع فى غيثه ليسا من فعل فاعل الفعل المعلل لان الارآءة فعل الله والخوف والطمع فعل الخاطبين ﴿ قوله او الحال ﴾ اى ويحتمل ان يكون انتصابهما على ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال امامن المفعول الاول لقوله يريكم اى يريكم البرق خائفين من صواعقه طامعين واما من المفعول الثانى وهو البرق اى يريكم اياه حال كونه ذاخوف وطمع او مخوفا او مطموعا فى غيثه ﴿ قوله وقيل يخاف المطر من يضره الخ ﴾ عطف على قوله خوفا من اذاه وطمعا فى الغيث لمختار ان يكون المخوف منه والمطموع فيه شيئين مختلفين وضعف ان يكون المراد منهما شيئا واحدا بالنسبة الى شخصين ● واعلم انه تعالى لما خوف العباد بانزال مالا مرد له اتبعه بذكر آيات وانواع دالة على وجود الصانع القادر على مايشاء النوع الاول ارآءة البرق قال تعالى هو الذى يريكم البرق الآية والبرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى وبيانه ان السحاب لاشك انه جسم مركب من اجزآء رطبة ومن اجزآء هوآئية ولاشك ان الغالب عليه الاجزآء المائية والماء جسم بارد رطب والنار جسم حار يابس وحصول الضد من الضد على خلاف العقل فلابد له من صانع مختار يظهر الضد من الضد والنوع الثانى من دلائل وجود الصانع وقدرته احداث السحاب الثقال بالماء وخلقته لان هذه الاجزآء المائية المشوبة بالاجزآء الهوآئية انما حدثت وتكونت فى جو الهوآء بقدرة المحدث القادر على مايشاء والقول بان تلك الاشياء اى الاجزآء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت وثقلت فرجعت الى الارض خطأ لان الامطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة واخرى تكون متباعدة وتارة تدوم زمانا طويلا وتارة لاتدوم فاختلاف الامطار فى هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لابد ان يكون بتخصيص الفاعل المختار وايضا فالتجربة دلت على ان الدعاء والتضرع فى نزول الغيث اثرا عظيما ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة فعلمنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصة والنوع الثانى من الدلائل المذكورة فى هذه الآية الرعد اختلف العلماء فى الرعد والبرق فقال بعضهم اسم ملك من الملائكة وهذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل وذلك يسمى ايضا الرعد ويؤيد هذا القول ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان اليهود سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد ماهو فقال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله » قالوا فما الصوت الذى يسمع قال « زجره السحاب اذا شذت سحابة ضمها واذا اشتد غضبه طارت من فيه نار هى الصاعقة » وقيل الرعد ملك والبرق سوطه الذى يزجى به السحاب وروى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله ينشئ السحاب فينطقه احسن النطق ويضحكه احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا القول غير مستبعد عقلا وذلك ان البنية ليست شرطا للحياة عند اهل السنة فلا يبعد من الله تعالى ان يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق فى اجزآء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له والمخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد به ههنا آلة يسوق بها الملائكة السحاب وقال بعضهم ان الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ولما كان سببا حاملا لمن يسمعه على ان يسبح الله ويحمده اسند اليه التسبيح والحمد اسنادا مجازيا فقيل ويسبح الرعد بحمده ﴿ قوله او يدل الرعد بنفسه ﴾ عطف على قوله ويسبح سامعوه يعنى ان التسبيح والتقديس وما يجرى مجراهما ليس الا وجود مايدل على حصول النزاهة والتقدس لله تعالى فلما كان حدوث هذا الصوت دليلا على وجود موجد متعال عن النقص والزوال موصوف بنعوت الفضل والجلال كان ذلك فى الحقيقة تسبيحا

(وكان)

وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله
(ان الله لايغير مابقوم) من العافية والنعمة
(حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاحوال
الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا اراد الله
بقوم سوء فلا مرد له) فلارد له والعامل
فى اذا مادل عليه الجواب (ومالهم من دونه
من وال) ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء
وفيه دليل على ان خلاف مراده تعالى محال
(هوالذى يريكم البرق خوفا) من اذاه
(وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة
بتقدير المضاف اى ارآءة خوف وطمع
او التأويل بالاخافة والاطماع اوالحال
من البرق اوالمخاطبين على اضمار ذوى
او اطلاق المصدر بمعنى المفعول اوالفاعل
للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع
فيه من ينفعه (وينشئ السحاب) الغيم
المنسحب فى الهوآء (الثقال) وهو جمع
ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس
فى معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح
سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيصيحون
بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا
بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب (والملائكة من خيفته) من
خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد

وتمجيد الله تعالى ولذلك قيل فى حق الرعد بمعنى الصوت المخصوص انه يسبح بحمد ربه فقول المصنف ويسبح سامعوه مبنى على ان يكون المراد بالرعد هذا الصوت المخصوص ثم اشار الى احتمال ان يكون المراد الملك الموكل بالسحاب بحكاية ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقدم الاحتمال الاوّل بناء على ان عطف قوله تعالى والملائكة من خيفته على الرعد يؤذن بان الرعد ليس بملك لان العطف يقتضى التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه ولمن ذهب الى ان المراد بالرعد الملك الموكل بالسحاب ان يقول الرعد وان كان من جنس الملائكة الا انه افرد بالذكر على سبيل التشريف وقد اشتهر بين العلماء ان العام اذا عطف على الخاص يراد به الافراد المغايرة لذلك الخاص وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الملائكة خائفون من الله تعالى وليس خوفهم كخوف ابن آدم فانه لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شئ اصلا والنوع الرابع من الدلائل المذكورة فى هذه الآية ماذكره الله بقوله ويرسل الصواعق الخ فان امر الصاعقة عجيب جدّا وذلك لانها نار تتولد فى السحاب مع ان طبيعة النار حارّة يابسة ضدّ طبيعة السحاب فيجب ان تكون طبيعتها فى الحرارة واليبوسة من طبيعة النار الحادثة عندنا على ماتقتضيه العقل وليس الامر كذلك بل هى اقوى من نيران هذا العالم فانها اذا نزلت من السحاب فربما غاصت فى البحر واحرقت الحيتان تحت البحر فظهر ان اختصاصها بمزيد تلك القوة لابدّ وان يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار اياها بذلك ثم انه تعالى لما بين دلائل كمال علمه بقوله يعلم ما تحمل كل انثى الآية ثم بين دلائل كمال قدرته بذكر ماذكره من الآيات قال بعد ذلك وهم يجادلون اى هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون فى الله والواو التى فى هذه الجملة ان كانت للحال يكون المعنى يصيب بالصاعقة من يشاء فى حال جداله فى الله فان اربد بن ربيعة لما جادل فى الله احرقته الصاعقة وان كانت لعطف الجملة على الجملة اى لعطف جملة وهم يجادلون على جملة قوله تعالى يعلم ما تحمل كل انثى الآية يكون وجه انتظام هذه الجملة بماقبلها انه تعالى اخبر اوّلا عن علمه الشامل وقدرته الكاملة بقوله الله يعلم ما تحمل الآية ثم انه اخبر عن استواء الظاهر والخفى عنده بقوله سواء منكم الآية ثم اخبر عن وحدانية الله وتفرده بالالوهية بقوله وهو الذى يريكم البرق وقوله ويسبح الرعد بحمده الآية ثم قال انهم مع ذلك يجادلون فى الله اى فى شان الله من علمه وقدرته ونعوت جلاله وجماله حيث ينكرون على رسوله مايصفه به من القدرة على البعث بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ومن الوحدانية باتخاذهم الشركاء ويجعلهم اياه ابا لبعض الاجسام حيث قالوا الملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿قوله غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية﴾ رويا مرفوعين بتقدير اصابتنى غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وسلول قبيلة من العرب اقلهم وارذلهم قال قائل فى حقهم

الى الله اشكو اننى بت طاهرا ۞ فجاء سلولىّ فبال على نعلى

فقلت اقطعوها بارك الله فيكم ۞ فانى كريم غير مدخلها رجلى

كان عامر يقول ابتليت بامرين كل واحد منهما شرّ من الآخر احدهما ان غدتى كغدة البعير وان موتى موت فى بيت ارذل الخلائق والغدة الطاعون للابل وقلما تسلم منه يقال اغدّ البعير اى صار ذا غدّة وهى الطاعون قال محيى السنة رضى الله تعالى عنه ان عامرا لما ولى هاربا ارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فاوداه فى التراب وخرجت على ركبته فى الوقت غدّة عظيمة فعدا الى بيت سلولية وهو يقول غدّة كغدّة البعير وموت فى بيت سلولية ثم عدا بفرسه اى اجراه حتى مات على ظهره فاجاب الله تعالى دعاء رسوله بقوله اللهم اكفنيهما بماشئت فقتل عامرا بالطاعون واربد بالصاعقة وقال وانزل الله تعالى فى هذه القصة قوله تعالى سواء منكم من اسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات يعنى رسول الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ﴿قوله تعالى وهو شديد المحال﴾ فى محل النصب على انه حال من الجلالة الكريمة اى وهم يجادلون والحال انه شديد المكر والكيد لاعدائه تعالى يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون هذا على تقدير ان يكون الواو فى قوله تعالى وهم يجادلون فى الله لعطف الجملة على الجملة واما ان كانت حالية فحينئذ تكون هذه الجملة وما بعدها استئنافا لتعليل قوله تعالى فيصيب به من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ويشير اليه المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله والمراد بالحلتين اخ «الجوهرى المحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ يقال امحل القوم وامحل البلد اذا اصابهم القحط والمحل المكر والكيد يقال محل به اذا سعى به الى السلطان وفى الدعاء ولا تجعله علينا

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون فى الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرّد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بماشئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات فى بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة المكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كاده وعرّضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط

ماحلا مصدقا اى خصما ماحلا مصدقا مجادلا او ساعيا مصدقا على ان يكون من قولهم محل بفلان الى السلطان اذا سعى به اليه قبل تمامه اللهم اجعله لنا شافعا مشفعا والضمير للقرآن الشريف يعنى ان من اتبعه وعمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة ومصدق عليه فيما يرفع من مساويه اذا ترك العمل به والمماحلة المهالكة والمكايدة على هذا تكون الميم فى المحال اصلية ويكون وزنه فعالا وقوله وقيل فعال من المحل بمعنى القوة عطف على قوله ولعل اصله المحل بمعنى القحط ولعل الوجه فى ترجيح ما اختاره ان المحل بمعنى القوة ليس بمشهور ولذلك لم يذكر فى الصحاح ﴿قوله وقيل مفعل من الحول او الحيلة﴾ الظاهر صحة الواو كما فى قولهم مرود ومحور ومقود فاجاب عنه بقوله اعل على غير قياس وذكر ابو البقاء ان المحل هو القوة يقال محل به اذا غلبه وفى الصحاح الحيلة بالكسر من الاحتيال وهو من ذوات الواو وكذا الحيل يقال لاحيل ولا قوة لغة فى لاحول واستشهد رحمه الله تعالى عليه على كون المحال من الحول والحيلة بقراءة من قرأ بفتح الميم فانه مصدر بمعنى الاحتيال والاصل فى القرآن ان يفسر بعضه بعضا ويجوز ان يكون بمعنى الفقار وهو عمود الظهر فان المحال لغة فيه ايضا وفى الاساس قوى المحال اى فوى الحالات الواحدة محالة والميم اصلية ذكر فى النهاية فى حديث الصبرة ساعد الله اشد وموساه احد اى لو اراد الله عز وجل تحريمها لشق اذنها لحلقها كذلك فانه يقول سبحانه وتعالى كن فيكون ﴿قوله الدعاء الحق﴾ فيكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة والمعنى ان الدعوة التى هى التضرع والعبادة قسمان ما يكون حقا وصوابا وما يكون باطلا وخطأ والتى تكون حقا منهما مختصة به تعالى لا شركة فيها لغيره وقد اشتهر بين النحاة ان هذه الاضافة تحتاج الى تأويل فهم يأولون نحو ان يقال له عبادة اهل الحق او عبادة طالب الحق الا انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ليكون الكلام مشعرا باختصاصه بما يكون حقا من الدعوة والعبادة اى بالدعوة المختصة بكونها حقا فاضيفت الدعوة الى الحق لتكون الاضافة مفيدة اختصاص المضاف بالمضاف اليه ﴿قوله الدعوة الجابة﴾ على ان الحق بمعنى الثابت الغير الضائع الباطل وعلى الاول بمعنى المحقق اللائق الغير الباطل وعلى اى معنى كان يكون الحق ما يناقض الباطل ويكون بينه وبين الدعوة ملابسة الوصفية والموصوفية المصححة للاضافة اليه ﴿قوله وقيل الحق هو الله تعالى﴾ فيه اشكال لان الكلام حينئذ يكون فى قوة قولنا لله دعوة الله ولا معنى له ولعل مراده بقوله الحق هو الله تعالى ان المحقيق للدعاء والمستحق للعبادة هو الله تعالى الذى يسمع دعاء من دعاه ويرى عبادة من عبده فلا يخيب سائله ولا يضيع عمل من عبده فيكون دعاء من توجه اليه دعوة المحقيق للدعاء المختص به تعالى وانما يرد الاشكال ان لو كان المراد بقوله الحق هو الله تعالى ووجه اتصال قوله وهو شديد المحال وله دعوة الحق بما قبلهما على تقدير كون الآية نازلة فى عامر واربد ان يكون قوله تعالى فيصيب بها من يشاء هو عامر واربد وعلى تقدير كونها نازلة فى عامة المجادلين ان يكون قوله تعالى وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال جملة معطوفة على ما تقدم عليها فى قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام الى آخر الآيات فتكون كل واحدة منها وعيدا لعامة المجادلين ﴿قوله فحذف الراجع﴾ اى الى الموصول وهذا الراجع هو مفعول يدعون فالموصول ان كان عبارة عن الاصنام يكون المحذوف الراجع والمفعول جميعا وفاعل يدعون ضمير المشركين والعائد المحذوف ضمير الاصنام وكذا لا يستجيبون ان كان عبارة عن المشركين يكون المحذوف المفعول فقط لان ضمير يدعون يرجع الى الموصول حينئذ وفاعل قوله لا يستجيبون ضمير عائد الى مفعول يدعون المحذوف وعاد عليه ضمير العقلاء لمعاملته اياهم معاملة العقلاء والتقدير والمشركون الذين يدعون الاصنام لا يستجيبون اى لا يستجيب لهم الاصنام الا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه الى الماء اى من بسط كفيه اليه وطلب منه ان يبلغ فاه اذ الماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم ﴿قوله الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه﴾ الاستثناء مفرغ من اعم المصدر اى لا يستجيب الاصنام شيأ من الاستجابة الا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه اى مثل استجابة الماء من بسط كفيه على ان اضافة الاستجابة من قبيل اضافته الى مفعوله فان فاعلها الماء ومن بسط مفعوله والاستجابة بمعنى الاجابة كما فى قوله

* وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

والتشبيه من المركب التمثيلى شبه حال الاصنام مع من دعاهم من المشركين وعدم فوز المشركين من دعائهم الاصنام

وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم ساعد الله اشد وموساه احد (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ودلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم (والذين يدعون) اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة (من دونه) عليه (لا يستجيبون لهم بشئ) من الطلبات (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه (وما هو ببالغه) لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم

وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) في ضياع وخسار وباطل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالة الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا اوكرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او المفعول له وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولي امرهما (قل الله) اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به (قل أفاتخذتم من دونه) ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم (قل هل يستوي الاعمى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم (ام هل تستوي الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء (ام جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) اى لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب على كل شئ

(قدر)

بشئ من الاستجابة والنفع بحال الماء الواقع بمرأى العطشان الذي يبسط كفيه يطلبه ان يبلغ فاه ويقعه من احتراق كبده ووجه التشبيه عدم استطاعة المطلوب منه اجابة الدعاء وخيبة الطالب من نيل ما هو احوج اليه من المطلوب وهذا الوجه كما ترى منتزع من عدة امور ﴿ قوله وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها ﴾ عبر عن العدم بالقلة مبالغة في ايثار الصدق واجتناب الكذب والمطوع من التهكم وهو عطف على قوله الا استجابة الخ اي شبه المشركون الذين يدعون الاصنام ويعبدونها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فيبسط كفيه ناشرا اصابعه في عدم اتمام كل واحد منهما بسعيه فهو من تشبيه المفرد المقيد بآخر مثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شئ هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكون رقمه على الماء فكذلك فيما نحن فيه وليس من المركب العقلي في شئ على ما ذهب اليه الطيبي ثم وجه الشبه عقلي اعتباري والاستثناء مفرغ من اعم عام الاحوال اي لا يستجيب الاصنام لهؤلاء المشركين في حال من الاحوال الا في حال كون المشركين مشبهين بمن يبسط كفيه ولم يقبضهما وانما هما مبسوطتان الى الماء فلم يحصل على شئ لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لنشر الاصابع لان بسط الكف انما يكون بنشر الاصابع واللام في قوله تعالى ليبلغ فاه متعلق بباسط وفاعل ليبلغ ضمير الماء ولفظ هو في قوله وما هو ببالغه ضمير الماء والهاء في بالغه للفم اي وما الماء ببالغ فيه ويجوز العكس اي وما الفم ببالغ الماء اذ كل واحد منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحالة فنسبة الفعل الى كل واحد منهما صحيحة ﴿ قوله وقرئ تدعون بالتاء ﴾ اي الفوقانية وحينئذ يتعين ان يكون قوله الذين عبارة عن الاصنام بحذف العائد الذي هو مفعول تدعون ولعل المصنف رحمه الله تعالى عليه انما قدم هذا الوجه لتأييده بهذه القراءة اياه ﴿ قوله والمراد بهما الدوام ﴾ لان السجود سواء اريد به حقيقته او الانقياد والاستسلام لا اختصاص له بالوقتين فان الباء في قوله تعالى بالغدو بمعنى في اي يسجد له من ذكر في هذين الوقتين ﴿ قوله وتخصيص الوقتين ﴾ مع انقياد الظلال وميلانها من جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس لا يختص بوقت دون وقت بل هي مستمرة منقادة الى الله تعالى في عموم الاوقات ﴿ قوله والايصال ﴾ وهو مصدر آصل على وزن افعل بمعنى دخل في الاصيل كاصبح بمعنى دخل في الصباح ثم انه تعالى لما قرر ان جميع الكائنات تنقاده وتخضع لجلاله وتوقيرا عاد الى الرد على المشركين بان امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يسألهم سؤال التقرير فقال له قل من رب السموات والارض ولما تعين لهم ان يجيبوا بالاقرار في ان لا رب لهما سواه كلف تعالى رسوله ان يجيب عنهم ملك تنبيها على انهم يقرون ذلك ولا ينكرونه البتة فكأنه حكاية لاعترافهم به وتأكيد له عليهم ثم الزمهم الحجة فقال قل ابعد اقراركم هذا تتخذون من دونه اولياء ثم ضرب مثلا للذين يعبدون الاصنام والذين يعبدون الله تعالى فقال تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير يعني المشرك والمؤمن ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك والايمان فانه تعالى لما احتج اولا على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء يدعونهم من دون الله تعالى بكونها جمادات لا تحس دعائهم اياها ولا تدرك مقصودهم من الدعاء ولا تقدر ان تجيب دعاءهم وثانيا بانها لا تملك ان تجلب لنفسها نفعا وان تدفع عنها ضرا فضلا عن غيرها بين بعد ذكر هاتين الحجتين ان الجاهل بمعنى هذه الحجة يكون كالاعمى وان العالم بها كالبصير ثم ذكر ان الجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات وان العلم بها كالنور وكما ان كل واحد يعلم بالضرورة ان الاعمى لا يساوي البصير كذلك يعلم كل احد بالضرورة ان الجاهل بهذه الحجة لا يساوي العالم بها وهو المراد بقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ﴾ يستوي الظلمات بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق باعتبار ان الفعل اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي وفي مثل هذا الفعل يجوز التذكير والتأنيث والفاء في قوله تعالى قل أفاتخذتم سببية مرتبة للكلام الثاني على الاول وادخل همزة الانكار بين السبب والمسبب انكارا على تعكيس الامر وهو انهم علموا انه تعالى رب السموات والارض ووجب عليه ان يعبدوه تعالى ويوحدوه ثم جعلوا ذلك العلم سببا للاشراك وادخلت همزة الانكار على الفاء لان المنكر الاتخاذ بعد العلم والاقرار فانه اقبح من الاتخاذ بدونه ﴿ قوله والهمزة للانكار ﴾ اعلم ان همزة الاستفهام اذا كانت للانكار يكون الانكار على احد معنيين الاول ما كان كذا والثاني لم يكن كذا والانكار بمعنى الثاني كما اشار اليه بقوله والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله تعالى فتشابه عليهم خلق الله تعالى وخلقهم حتى يقولوا

قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة لذلك فتخذهم شركاء وتعبدهم كما تعبد الله تعالى
فلا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوهم شركاء عاجزين على ما يقدر عليه الخلق فضلا من ان يقدروا على ما يقدر
عليه الخالق ومعنى الاضراب المستفاد من كلمة بل التي تضمنتها ام المنقطعة انه تعالى عنف عليهم ووبخهم على
تبكيس الامر حيث قال تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وذيل ذلك التعنيف والتوبيخ بضرب مثل
الاعمى والبصير والظلمات والنور ثم اضرب من ذلك الى انكار اتخاذهم شركاء يذهب الوهم الى صلاحيتهم له
وبيان ان تشكيكهم ذلك لم ينشأ من شبهة فضلا من حجة بناء على ان حكاية ذلك عنهم ادخل في ذمهم واهم في ذلك
المقام بالنسبة الى ما ذكر اولا ﴿قوله بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار﴾ لما كان المقصود تمثيل الحق
واهله بالماء الذي ينزل من السماء ويسيل في الاودية وينتفع به الناس بوجوه الانتفاع ومن المعلوم ان بعض
المياه السائلة في الانهار يتضرر به الناس ويذهب جفاء اي يرمى هو وكل شيء يمر عليه كذلك ناسب ان يفسر قوله
بقدرها بالقدر الذي لا يتضرر به الناس ويؤيد هذا التفسير انه تعالى عبر عن هذا الماء السائل في الاودية في مقام
التفصيل بقوله واما ما ينفع الناس فدل هذا التفصيل على ان المراد بالمجمل ما يكون مطرا خالصا نافعا خاليا
من المضرة ليحصل التطابق بين المجمل والمفصل فلذلك قدم المصنف رحمه الله هذا التفسير ثم قال او بمقدارها
في الصغر والكبر اي ان صغر الوادي قل الماء وان اتسع الوادي كثر الماء فيكون الضمير المجرور في قوله تعالى بقدرها
راجعا الى المعنى الحقيقي للفظ اودية على طريق الاستخدام لان قول المصنف رحمه الله تعالى واستعمل للماء الجاري
فيه يدل على ان لفظ اودية مجاز مرسل من قبيل ذكر المحل وارادة الحال ﴿قوله رفعه﴾ اشارة الى ان احتمل بمعنى
حمل فان افتعل قد يكون بمعنى فعل نحو جال واجتال وتعريف السيل للاشارة الى حصة معينة من حقيقة السيل
المتقدم ذكرها بالكناية بذكر الفعل الدال عليها وهو قوله تعالى فسالت ﴿قوله وضر الغليان﴾ اي الخبث
والوسخ المجتمع بالغليان والظاهر ان قيد الغليان بناء على الغالب لان الزبد اسم لكل ما علا على وجه الماء من الوضر
وغيره سواء حصل بالغليان او بغيره ﴿قوله تعالى ومما توقدون﴾ خبر مقدم لقوله زبد ومثله صفة للمبتدأ
مصححة للابتداء بالنكرة ومن في مما لابتداء الغاية اي وزبد مثل زبد الماء ينشأ مما توقدون عليه او للتبعيض
بمعنى وبعضه زبد وتلخيص المعنى الموقد عليه من جواهر الارض له زبد مثل الزبد الذي يكون على الماء يعلو عليه
اذا اذيب فالصافي ينتفع به كما ينتفع بالماء وزبده يبطل كما يبطل زبد الماء والفلزات جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد
الزاي وهو ما في الارض من الجواهر المعدنية او نحوها كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها ﴿قوله
على وجه التهاون بها﴾ وجه التهاون انه عدل عن التعبير عنها بالاسم الظاهر مثل ان يقال فلزات الارض والجواهر
المعدنية او نحوها وعبر عنها بما يدل على حالة هي احط الحالات من حالات هذه الجواهر وهي كونها توقد عليها النار
وكتاب بها هو بلاور دان يقال جعل هذا التعبير مبنيا على ارادة التهاون بها لا يناسب المقام لان المقصود تمثيل الحق بها
وتحقيرها لا يناسب فاشار الى جوابه بقوله اظهارا لكبريائه يعني ان حقارتها عند خالقها لا ينافي من تقدرها عند
المخلوقات وقوله عليه متعلق بتوقدون وقوله تعالى في النار يحتمل ان يكون متعلقا به ايضا وان يكون متعلقا بمحذوف
اي كائنا وثابتا فيها وقوله تعالى ابتغاء حلية مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال اي مبتغين حلية
يتزينون بها وقوله او متاع عطف على حلية والمتاع كل ما يتمتع به وقرأ حمزة والكسائي وحفص يوقدون بياء الغيبة
اي مما يوقده الناس والباقون بتاء الخطاب ﴿قوله جفاء﴾ حال اي باطلا مرميا به الجوهري الجفاء ما نفاه السيل
يقال جفأ الوادي جفأ اذا رمى بالغثاء والزبد وجفأت القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان واجفأ لغة فيه والجفال
بالضم ما نفاه السيل وجفالة القدر ما اخذته بالمغرفة انتهى والكاف في قوله تعالى كذلك في محل النصب اي مثل
ذلك الضرب والبيان يضرب الله تعالى ويبين مثل الحق والباطل لان العرب كانت عادتهم انهم يثبتون المقصود
بالمثل وقد انزل الله تعالى القرآن بلغة العرب فاوضح لهم الحق وميزه عن الباطل بالمثل كما اوضح المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب لها وميزه عن الموحد العالم بذلك بان مثل الاول بالاعمى والثاني بالبصير وكذلك
ميز الشرك والتوحيد بمثل آخر فمثل الحق والتوحيد بالماء الصافي وبالفلز ومثل الشرك والباطل بزبدهما
وبين وجه الشبه بما اثبته للمشبه به من الذهاب باطلا مطروحا والثبات نافعا مقبولا ﴿قوله واللام
متعلقة بيضرب﴾ يعني ان قوله تعالى للذين استجابوا متعلق بيضرب فيكون فريقا المؤمنين الذين استجابوا

(انزل من السماء ماء) من السحاب او من
جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منها
(فسالت اودية) انهار جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل
للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على
التناوب بين البقاع (بقدرها) بمقدارها
الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها
في الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا)
رفعه والزبد وضر الغليان (رابيا) عاليا
(ومما توقدون عليه في النار) يعم الفلزات
كالذهب والفضة والحديد والنحاس على
وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه
(ابتغاء حلية) اي طلب حلية (او متاع)
كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود
من ذلك بيان منافعها (زبد مثله) اي
ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه
ومن للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره
للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل)
مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته
وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به
الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به
انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت
بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق
الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز
الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة
المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل
في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك
بقوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يجفأ به اي
يرمي به السيل او الفلز المذاب وانتصابه على
الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد
(واما ما ينفع الناس) كالماء وخلاصة الفلز
(فيمكث في الارض) ينتفع به اهلها
(كذلك يضرب الله الامثال) لايضاح
المشتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين
استجابوا (لربهم الحسنى) الاستجابة الحسنى
(والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة واللام
متعلقة بيضرب

ربهم والكافرين الذين لم يستجيبوا المضروبان لهما اى ضرب الله لهما المثل والمضروب له فى الحقيقة شأنهما لانفسهما وشأنهما هو استجابة احد الفريقين وعدم استجابة الآخر فقول المصنف رحمه الله ضرب المثل لشأن الفريقين مفعول اول لجعل وقوله ضرب المثل لهما مفعوله الثانى وجعل الحسنى صفة لمصدر استجابوا اى استجابوا الاستجابة الحسنى فيكون قوله تعالى لو ان لهم ما فى الارض كلاما مبتدأ لبيان مآل غير المستجيب وقيل قوله تعالى للذين استجابوا ليس متعلقا بقوله يضرب بل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ومابعده كلام مستأنف بان يكون الحسنى مستأنفا اى مبتدأ خبره قوله للذين استجابوا قدم عليه والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة وقوله والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره قوله ان لهم مع ماف حيزه والظاهر ان هذا القول اولى من الذى اختاره لانه فيما اختاره تكون الاستجابة مقيدة بالحسنى ولاتقابل بينها وبين عدم الاستجابة مطلقا والمذكور فى الآية نفى الاستجابة مطلقا والمهاد فعال بمعنى الممهود والمبسوط كاللباس بمعنى الملبوس والكتاب بمعنى المكتوب من مهدت الفراش مهدا اى بسطته اطلق هنا بمعنى المستقر مطلقا ثم انه تعالى لما مثل المشرك الجاهل بالاعمى ومثل الموحد العالم بالبصير ومثل نفس الكفر والباطل تارة بالظلمات واخرى بزبد الماء والفلز ومثل نفس الايمان والحق تارة بالنور واخرى بالماء والجوهر الصافى من الزبد قال تعالى بعد ذلك افمن يعلم كمن لايعلم بادخال همزة الانكار على الفاء السببية الدالة على كون مابعدها كلاما مترتبا على ماقبلها كأنه قيل بعدما علمتم مثل العالم المحق والجاهل المبطل هل يبقى شبهة فى المشابهة بين الفريقين ومن يذهب الى وهم تحقق المشابهة بين الاعمى والبصير وبين العالم والجاهل ثم ذكر انه لاينتفع بهذه الامثال الا اولوا الالباب الذين يتنقلون من كل صورة الى معناها ومن ظاهر كل حديث الى ماهو سره ولبابه ﴿قوله او ماعهد الله تعالى عليهم فى كتبه﴾ عطف على قوله ماعقدوه اى الزموه على انفسهم بلسان استعدادهم فعهد الله على الاول هو العهد الذى اخذه الله تعالى على جميع ذرية آدم عليه الصلاة والسلام فانه تعالى خلقهم مستعدين للاقرار بربوبية الله تعالى ثم قال لهم ألست بربكم فاقروا واعترفوا بلسان الاستعداد فمن اقر بذلك بلسان البيان ايضا فقد وفى بذلك العهد السابق وعلى الثانى ماالزمه الله تعالى على كل امة بالكتب الالهية بألسنة الرسل والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام وهو ان اضيف الى الله تعالى يراد به ماوثق الله تعالى به عهده من الآيات والكتب وان اضيف الى العباد يراد به ماوثقوه به من الالتزام والقبول ﴿قوله وهو تعميم بعد تخصيص﴾ يعنى ان عدم نقض الميثاق اعم من الوفاء بعهد الله تعالى وذلك لانه فسر عهد الله تعالى باعترافهم بربوبيته تعالى وفسر الميثاق بكل ماوثقوه على انفسهم مما كلفوا به من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ايضا لفظ الميثاق المحلى بالالف واللام التى هى لام الجنس على عمومه وعطف قوله تعالى ويخشون ربهم على قوله تعالى يصلون من قبيل عطف العام على الخاص ايضا لان خشية الله تعالى ملاك كل خير من اتيان ماينبغى وترك مالاينبغى واما عطف قوله تعالى ويخافون سوء الحساب على قوله تعالى يخشون فهو من عطف الخاص على العام كما اشار اليه بقوله عموما وخصوصا وكذا عطف قوله تعالى واقاموا الصلاة وانفقوا على قوله تعالى وصبروا ﴿قوله اى لم يعرف بالمال﴾ كأنه جعل سرا مصدرا واقعا موقع المفعول به لقوله تعالى انفقوا بان جعل مفعول المال كأنه نفس السر مبالغة قال الحسن المراد الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى اداؤها فى العلانية وقال آخرون المراد مايعم الزكاة الواجبة والصدقة التى يؤتى بها على جهة التطوع فقوله تعالى سرا يرجع الى التطوع وقوله تعالى علانية يرجع الى الزكاة الواجبة ﴿قوله يدفعونها بها﴾ كدفع ماورد عليهم من سيئ غيرهم بالكلام الحسن واعطاء من حرمهم وعفو من ظلمهم ووصل من قطعهم ﴿قوله او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها﴾ اى يمحون ويدفعون بالعمل الصالح السيئ من العمل كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ بن جبل « اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها » وقيل هو انهم كلما اذنبوا ذنبا تابوا اليه ودفعوا بالتوبة مضرة الذنب روى ان شقيق بن ابراهيم البلخى رحمه الله واصحابه دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال اذا منعوا صبروا وان اعطوا شكروا فقال عبد الله قد بالله به طريقة كلابنا هكذا فقال فكيف ينبغى ان يكون الامر فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقد ذكر الله تعالى فى صلة الذين تسعة امور ووعد لمن اتصف بها ثلاثة امور الاول عقبى الدار التى هى جنات عدن والثانى ان يضم اليه من آمن من اهله ان عملوا مثل عمله والثالث دخول الملائكة عليه مبشرين له

على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا جزاء الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لو ان لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين (اولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) المستقر والمخصوص بالذم محذوف (افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو اعمى) عمى القلب لايستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة فى تشابههما بعدما ضرب من المثل (انما يتذكر اولوا الالباب) ذووا العقول المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ماعهد الله تعالى عليهم فى كتبه (ولا ينقضون الميثاق) ماوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويخشون ربهم) وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) على ماتكرهه النفس ويخالفه الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لالتعيروا وسمعة ونحوهما (واقاموا الصلاة) المفروضة (وانفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها

(اولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية (فنعم عقبى الدار) وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين ينقضون عهد الله) يعنى مقابلى الاولين (من بعد ميثاقه) من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض) بالظلم وتهييج الفتن (اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه (وفرحوا) اى اهل مكة (بالحياة الدنيا) بما بسط لهم فى الدنيا (وما الحياة الدنيا فى الآخرة) اى فى جنب الآخرة (الا متاع) الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من اناب) اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات

بدوام السلامة ﴿قوله عاقبة الدنيا﴾ اى التى تخلف الدنيا وتجئ بعدها وكل ما جاء بعد شئ فهو عاقبته والتاء لتأنيث الموصوف وهى الجنة فانها هى التى اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها والنار وان كانت عاقبة الدنيا بالنسبة الى الكفار لقوله تعالى وعقبى الكافرين النار الا انها لما كانت عاقبة لها بالنسبة اليهم لسوء اختيارهم ليس كونها عاقبة لها مقصودا بالذات قال الواحدى رحمه الله تعالى العقبى كالعاقبة ويجوز ان يكون مصدرا كالشورى والقربى والرجعى اضيف الى فاعله والمعنى اولئك لهم ان تعقب اعمالهم الدار التى هى الجنة ﴿قوله والجملة﴾ وهى قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وجعلها جملة اما باعتبار ان عقبى الدار مبتدأ ولهم خبره قدم عليه والجملة خبر اولئك واما باعتبار ان لهم خبر اولئك وعقبى فاعل للاستقرار الذى قام الجار والمجرور مقامه ﴿قوله والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم﴾ اى من آمن منهم وقد روى ذلك عن مجاهد رضى الله تعالى عنه قال الامام فى قوله من صلح قولان الاول قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم والثانى قول الزجاج بين الله تعالى ان الايمان لا ينفع اذا لم يحصل معه اعمال صالحة بل الآباء والازواج والذرية لا يدخلون الجنة الا بالاعمال الصالحة قال الواحدى رحمه الله تعالى والصحيح ما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذلك ان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور اهله معه فى الجنة وذلك يدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتى بالاعمال الصالحة ولو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة فى الوعد به اذ كل من كان صالحا فهو يدخل الجنة ثم قال الامام واعلم ان هذه الجنة ضعيفة لان المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيده سرورا وبهجة فاذا بشر الله تعالى المكلف بانه اذا دخل الجنة فانه يحضر معه آباؤه واولاده الصلحاء فلا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك ويقوى به ويقال ان من اعظم سرورهم ان يجتمعوا فيتذاكروا احوالهم فى الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص منها والفوز بالجنة فقول المصنف رحمه الله تعالى والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم جواب عما يقال لو كان المراد من قوله تعالى ومن صلح من آبائهم الموصوفين بتلك الصفات من اهليهم لما ظهرت الفائدة فى وصف المطيع به اذ ليس دخولهم الجنة من ثمرات طاعته بل من ثمرات طاعتهم ﴿قوله من كل باب من ابواب المنازل﴾ بان يكون لقصورهم ودورهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك ﴿قوله او من ابواب الفتوح﴾ بان يكون الباب بمعنى النوع ويكون المعنى من كل نوع من الفتوح والتحف بان يأتى كل جمعة غير التحفة التى اتى بها الملك الآخر على اختلاف مراتبهم وقدر اعمالهم ﴿قوله متعلق بعليكم﴾ اى بما تعلق به عليكم ﴿قوله او بمحذوف﴾ اى يحتمل ان يكون بما صبرتم خبر مبتدأ محذوف اى هذا الثواب الجزيل ثابت لكم بما صبرتم وما مصدرية اى بسبب صبركم ولا يتعلق بالمصدر اى بسلام اذ المصدر لا يفصل بينه وبين معموله ﴿قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ جواب عما يرد على قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله الى قوله اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وهو ان من نقض عهد الله تعالى لو كانوا ملعونين فى الدنيا ومعذبين فى الآخرة لما فتح الله تعالى عليهم ابواب النعم واللذات فى الدنيا وتقرير الجواب ان فتح باب الرزق فى الدنيا لا تعلق له بالكفر والايمان بل هو متعلق بمجرد مشيئة الله تعالى فقد يضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا لذنوبه ورفعا لدرجاته ويوسع على الكافر استدراجا قال الواحدى رحمه الله تعالى معنى القدر فى اللغة قطع الشئ على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان فمعنى يقدر ههنا انه تعالى يعطيه رزقه بقدر كفايته لا يفضل عنه شئ قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فى قوله تعالى الله يبسط الرزق اى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره ولم يتعرض له المصنف رحمه الله تعالى لان مثل هذا التركيب عند صاحب المفتاح رحمه الله تعالى نص فى افادة تقوى الحكم ولا يحتمل التخصيص البتة لان المبتدأ ثابت فى مكانه وليس مثل انا عرفت فى احتمال التخصيص والتقوى ﴿قوله كعجالة الراكب﴾ وهى ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك وفى الصحاح العجالة بالضم ما تعجلته من شئ والتمر عجالة الراكب والاعجالة ما يعجله الراعى من اللبن الى اهله قبل الحلب ﴿قوله وفرحوا﴾ استئناف اخبار وليس بمعطوف على صلة الذين قبله لانه يستلزم تخلل الفصل بين ابعاض الصلة وهو الخبر وايضا هو ماض وما قبله مستقبل ولا بد من التوافق ﴿قوله فى الآخرة اى فى جنب الآخرة﴾ ولا يجوز ان يكون ظرفا للحياة ولا للدنيا لانهما لا يقعان فى الآخرة وانما هو حال والتقدير وما الحياة القريبة كائنة فى جنب الآخرة الا متاع ﴿قوله وهو جواب يجرى مجرى التعجب﴾ جواب عما يقال ما وجه

(الذين آمنوا) بدل من من او خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) انسابه واعتقادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات (الا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك (ارسلناك في امة قد خلت من قبلها) تقدمتها (امم) ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها (لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن (قل هو ربي) اي الرحمن خالقي ومتولي امري (لا اله الا هو) لا مستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (واليه متاب) مرجعي ومرجعكم (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها (او قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قرآءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قرآءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال من مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن ومابينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي

انطباق هذا الجواب لقول الكفرة يا محمد ان كنت رسولا فأتنا بمعجزة ظاهرة قاهرة مثل معجزة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فاوجه كون قوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب جوابا من سؤال الكفرة وتقرير الجواب انه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك لان الآيات الباهرة التي ظهرت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغت في الكثرة وقوة الدلالة الى حيث استحال ان تصير مشتبهة على العاقل فطلب آيات اخرى بعد ذلك موضع لغايات التعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم الخ وفي الصحاح اناب الى الله تعالى اي رجع اليه وتاب وقول المصنف رحمه الله تعالى اقبل الى الحق اشارة الى ان ضمير اليه في قوله تعالى ويهدي اليه راجع الى الحق وان الاضلال والهداية انما هو بالنسبة اليه ﴿قوله انسابه واعتمادا عليه﴾ لان الاضطراب والقلق انما يكون بسبب الوجل او بسبب العجز عن كفاية المهمات ومن ذكر الله تعالى وايقن بكونه مستجمعا لجميع صفات الكمال منزها من جميع صفات النقصان احبه ومن احبه لاجرم يستأنس به ويطمئن قلبه اي يسكن اليه ويترك القلق والاضطراب وايضا يتيقن بكون علمه محيطا بجميع احواله وبكمال قدرته وسعة فضله ورحمته فلا جرم لا يعتمد الا عليه ولا يرجو الا منه ﴿قوله او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته﴾ فان المؤمن اذا ذكر عظمة الله تعالى وعلو شأنه وعز سلطانه لاجرم يغلب عليه الخوف والخشية كما قال تعالى في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون والوجل ضد الاطمئنان ثم اذا ذكر سعة رحمته وفيضان بحار فضله واحسانه على جميع خلقه سكن قلبه وزال وجله واضطرابه وايضا القلوب لا يحصل لها طمأنينة اليقين الا بذكر مانصبه الله تعالى من الدلائل الدالة على وجوده ووحدته فالم يذكر القلب هذه الدلائل يبقى في قلق وتردد فهذان الوجهان مبنيان على تقدير المضاف في قوله بذكر وقوله او بكلامه مبني على ان يكون المراد بذكر الله تعالى كلامه فيكون الكلام تعريضا للكفار الذين قالوا لولا انزل عليه آية من ربه بانهم انما قالوا ذلك لعدم تفكرهم فيه ووقوفهم على كونه معجزة قاهرة باهرة بخلاف المؤمنين فان قلوبهم تطمئن به ولا تطلب معجزة سواه ﴿قوله ويجوز فيه الرفع والنصب﴾ لما ذكر ان جملة طوبى لهم في محل الرفع على انها خبر المبتدأ المذكور بين ان لفظ طوبى يجوز ان يكون مرفوعا على الابتداء ولهم خبره والجملة خبر الاول وجاز الابتداء بطوبى اما لانها علم لشئ بعينه واما لانها نكرة في معنى الدعاء كسلام عليكم وويل له كأنه قيل خيرلهم وغبطة او حسنى لهم او نعمى لهم يقال طوبى لكم ان احسنتم خيرا ووجه كونه علما لشئ بعينه ماقيل من ان طوبى اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل هو اسم شجرة في الجنة اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دور اهل الجنة فعلى هذا يكون وجه الآية ان اهل الكتاب ادعوا تلك الشجرة لانفسهم فاخبر الله تعالى انها للذين آمنوا الا لهم ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر اي وجعل لهم طوبى وايد هذا الوجه بقرآءة من قرأ وحسن مآب بالنصب وان كان طوبى مصدرا من طاب كبشرى وزلفى يحتمل الرفع والنصب ايضا كقولك طيب لك وطيبا لك وسلام لك وسلاما لك ﴿قوله مثل ذلك﴾ اشارة الى ان الكاف في محل النصب بالفعل الذي بعده والاشارة الى ماهو حاضر في ذهن المخاطب من ارسال الرسل المتقدمين الى اممهم كأنه قيل كما انه قد خلت من قبلك امم ارسلنا اليهم ارسلناك ايضا الى هذه الامة ﴿قوله وقيل نزلت في مشركي اهل مكة حين قيل لهم الى آخره﴾ عطف على مايفهم من قوله وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة وهو ان يكون معنى الآية ما ارسلناك الى هذه الامة لتتلو عليهم القرآن وتزيدهم تحلية للايمان وحالهم انهم يكفرون بالله ولا يعرفون قدر رحمته ولا انعامه تعالى عليهم بارسالك وانزال القرآن العظيم عليهم وعلى ماقيل يكون معنى الآية والله تعالى اعلم وهم يكفرون بالرحمن اي انهم يكفرون بالبليغ الرحمة وهو الله تعالى لانهم يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه ﴿قوله والمراد منه تعظيم شأن القرآن﴾ على ان يكون الجواب المحذوف قوله لكان هذا القرآن وقوله او المبالغة في عناد الكفرة على تقدير ان يكون الجواب لما آمنوا به ﴿قوله وقطائع﴾ جمع قطيعة وهي الارض التي يزرع فيها ﴿قوله وقيل الجواب متقدم﴾ عطف على قوله حذف جوابه اي قيل جواب لو هو قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن اخر الشرط وقدم عليه جوابه كأنه قيل لو ان قرآنا عظيم الشان الذي لا يكتنه كنهه ظهرت بتلاوته هذه الامور لاصروا على كفرهم بمنزل الرحمن وهو في الحقيقة دال عليه اي على الجواب وليس نفس الجواب ﴿قوله وتذكير كلم خاصة﴾ جواب عما يقال لم حذفت التاء في قوله تعالى او كلم به الموتى واثبت في الفعلين المذكورين قبل مع استوآء الجميع في اسناده الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي وتقرير الجواب

ان الموتى لما اشتملت على المذكر الحقيق وغيره غلب المذكر على غيره بخلاف الجبال والارض * واعلم ان قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ان كان المراد به تعظيم شأن القرآن يكون من جملة ماهو مقول القول اى قل هو ربى وقل لو ان قرآنا وان كان المراد به المبالغة فى عناد الكفرة بان يكون الجواب المقدر قوله لما آمنوا به تكون الآية متصلة بقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه فى كونها بيانا لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم ويكون قوله وقيل ان قريشا الخ تأكيدا وتأييدا لهذا الوجه لانه لا يخالف هذا الوجه الا فى تفسير تقطيع الارض وسبق الاقتراح قال الواحدى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية لما قالت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم ماذكره المصنف رحمه الله انزل الله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اى جعلت تسير او قطعت به الارض اى اشققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى اى احيوا حتى تكلموا وجواب لو محذوف وقال الفراء تقديره لكان هذا القرآن والمعنى لو ان قرآنا فعل به ماالتمسوا لكان كذلك هذا القرآن وقال الزجاج جوابه لما آمنوا وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يريد لو قضيت ان لا يقرأ القرآن على الجبال الاسارت وعلى الارض الاتخرقت وعلى الموتى الاتكلموا وحيوا ماآمنوا لما سبق عليهم فى علمى وقوله تعالى بل لله الامر جميعا معناه دع هنالك ذلك الذى قالوه من تسيير الجبال وغيره فالامر لله جميعا لو شاء ان يؤمنوا لآمنوا وان لم يشأ لم ينفع تسيير الجبال وسائر مااقترحوه من الآيات ثم اكد ذلك بقوله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه افلم يعلم وقال الكلبى رضى الله تعالى عنه ييأس يعلم فى لغة النخع الى هنا كلام الواحدى رحمه الله تعالى ومن اليأس بمعنى العلم قول الشاعر

* الم ييأس الاقوام انى انا ابنه * وان كنت عن ارض العشيرة نائيا *

اى الم يعلموا واصل اليأس قطع الطمع فى الشئ والقنوط منه وهو مسبب عن العلم بان ذلك الشئ لا يكون واطلاق لفظ المسبب مجاز شائع ﴿قوله وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى﴾ اما ان كان المراد منه تعظيم شأن القرآن فلان المعنى يكون حينئذ لو ان قرآنا على اى معنى كان فعل به هذه الافعال لكان كذلك هذا القرآن المنزل عليك لكن لم يفعل بشئ من الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام ذلك فلم يفعل ذلك بقرآنك ايضا بل لله الامر جميعا اى ماذكر من الامور وغيرها انما يكون لله تعالى يفعل مايشاء بقدرته وان كان المراد منه المبالغة فى عنادهم يكون المعنى ايضا لو ان قرآنا ما او قرآنك هذا عمل به هذه الاعمال لما آمنوا لكن لم يفعل بشئ من القرآن ذلك لا لاجل عدم قدرته عليه بل لله الامر جميعا وكذا ان كان جوابه ماتقدم عليه من قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن ﴿قوله ويؤيد ذلك﴾ اى ويؤيد ان المراد لا تلين شكيمتهم بسبب اتيان مااقترحوه فلا يؤمنوا لذلك لم تتعلق ارادته تعالى بذلك ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المراد من اليأس العلم مجازا بجعلت ان المخففة مع مافى حيزها فى محل النصب على انها مفعول اليأس بمعنى العلم فان أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة الامتناعية بعدها خبرها فكلمة لو لما كانت لانتفاء الشئ لانتفاء غيره كان محصول الكلام افلم يعلم الذين آمنوا ان الله تعالى لا يهدى الناس جميعا لعدم تعلق مشيئته باهتداء الجميع لعلمه بان بعضهم يختار الكفر والضلال فيكون هذا الكلام سواء كان ان لو يشاء الله متعلقا باليأس بمعنى العلم او بمحذوف او بآمنوا مؤيدا لكون المراد بقوله تعالى بل لله الامر جميعا انه قادر على اتيان مااقترحوه الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بان اتيانه لا يؤدى الى اهتدائهم واذا كان ان لو يشاء مفعول آمنوا كان مفعول لم ييأس محذوفا اى لم ييأس من ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بهذه القضية قيل ان طائفة من المؤمنين قالوا يارسول الله اجب هؤلاء الكفار بان تأتى بما اقترحوه من الآيات عسى ان يؤمنوا فقال الله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا الآية وهو استفهام بمعنى الاقرار والفاء فيه عاطفة دالة على تفرع مابعدها على امر معلوم قبلها اى الم يعلموا اى ايمانهم فلم ييأسوا بعد مارأوا كثرة عنادهم بعد ماشاهدوا الآيات ﴿قوله ملاوة من الزمان﴾ الجوهرى اقمت عنده ملاوة من الدهر بفتح الميم وضمها وكسرها اى حينا وبرهة منه ﴿قوله والخبر محذوف﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى افمن هو قائم موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وقوله تعالى هو قائم صلتها وخبرها محذوف حذف لدلالة قوله تعالى وجعلوا لله شركاء عليه فانه استئناف جئ به للدلالة على الخبر المحذوف ولا بد من وجه

(بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل
شئ وهو اضراب عن ماتضمنته لو من
معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بـ
اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق
بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك
قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا) من ايمانهم
مع مارأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى
ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله
عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير
وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب
عن العلم بان الميئوس منه لا يكون ولذلك
علقه بقوله (ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعد
تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول
متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنو
من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى النا
جميعا او بآمنوا (ولا يزال الذين كفرو
تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعما
(قارعة) داهية تقرعهم وتقلقهم (او تحل
قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير اليه
شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم
لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلا
كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حوالي
وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكو
تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلا
فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
(حتى يأتى وعد الله) الموت او القيامة او فتح
مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) لامتناع الكذب
فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك
فامليت للذين كفروا) تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان فى دعة وأمن (ثم اخذتهم فكيف
كان عقاب) اى عقابى اياهم (افمن هو قا
على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت
من خير او شر لا يخفى عليه شئ من اعمالهم
ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذو
تقديره كمن ليس كذلك

ارتباط هذه الجملة بما قبلها وترتبها عليه بحيث موقع الفاء ووجهه انه تعالى لما ذكر قوله تعالى بل لله الامر جميعا اى ليس لاحد منه شئ سواء هدى ام اضل واصلح ام خذل وعقبه بقوله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ترشيحا لهذا المعنى وتنبيها على تصميمهم وعنادهم واتبعه بذكر وعيدهم متدرجا الى تسلية من واجهوه بالتكذيب والانكار اورد على المشركين ما يجرى مجرى الحجاج وما يكون توبيخا لهم وتعجيبا من سخافة عقولهم فقال تعالى أفمن هو قائم وهو استفهام بمعنى النفى اى ليس من هو قائم على كل نفس بما كسبت اى قائم بالتدبير فى جزآئها وقيل بحفظها وادرار رزقها ومعنى القيام ههنا التولى لامور خلقه والتدبير للارزاق والآجال واحصاء الاعمال للجزآء فتلخص المعنى افمن هو مجاز كل نفس بما كسبت كمن ليس بهذه الصفة من الاصنام التى لاتضر ولاتنفع ﴿قوله او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية﴾ اى بكسبها وبجعلها لله شركاء ﴿قوله تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها﴾ اى العبادة يعنى ان المقام مقام الاحتجاج على بطلان مذهبهم وليس قوله تعالى قل سموهم صريحا فى ابطاله بل هو تنبيه على بطلانه كأنه قيل سموهم واذكروا ما لهم من الاوصاف الثابتة فى نفس الامر لا على طريق تسمية الزنجى كافورا فانظروا هل تجدون فيهم ما يستحقون به ان يعبدوا ويجعلوا شركاء ﴿قوله بل أتنبئونه﴾ اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة وهو اضراب عن الزامهم الحجة بان يطلب منهم ان يصفوهم فينظروا هل يجدون فيهم ما يدل على استحقاق العبادة بقوله ام تنبئونه اى أتخبرون الله تعالى بشركاء له يستحقون العبادة لايعلمهم الله وهذا نفى للشركاء على وجه بليغ لانه كناية واستدلال بنفى اللازم على نفى الملزوم وهذا على تقدير ان تكون كلمة ما عبارة عن الشركاء المستحقين للعبادة ويحتمل ان تكون عبارة عن صفاتهم التى يستحقون العبادة لاجلها لايعلمها الا الله تعالى فيكون نفيا لتلك الصفات عنهم بنفى اللازم ثم اضرب عن قوله سموهم بوجه آخر فقال تعالى ام بظاهر من القول وهو انكار وتوبيخ انكر عليهم اتخاذهم الشركاء بانكم لفرط جهلكم وسخافة عقولكم تسمونهم شركاء وهذه التسمية قول لاحقيقة له بل هى من قبيل تسمية الزنجى كافورا فى كونها تسمية خالية عن اعتبار المعنى ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ولاشك ان هذا احتجاج على اساليب بديعة ﴿قوله ثم خالوها﴾ اى ظنوها يقال خلت الشئ اى ظننته وسه من يجمع بخل ﴿قوله وقرأ ابن كثير﴾ وقرأة الكوفيين وصدوا مبنيا للمفعول من صد المتعدى وعلى قرآءة غيرهم يحتمل ان يكون متعديا حذف مفعوله اى صدوا غيرهم وانفسهم وان يكون لازما بمعنى اعرضوا وتولوا وقرئ بالكسر على انه مبنى للمفعول اصله صدد بضم الاول فنقلت كسرة الدال الى الصاد كما قيل فى بيع ومثل هذا النقل فى المضاعف الصحيح شاذ ﴿قوله من عذابه او رحمته من واق﴾ يعنى ان قوله تعالى ما لهم من الله من واق فيه وجهان من الثانية فى كلا الوجهين زائدة ومن الاولى متعلقة بواق فى الوجه الاول ومتعلقة بمحذوف على انه حال من واق فى الوجه الثانى اى ما استقر لهم كائنا من رحمته واق قدم الحال لكون ذى الحال نكرة ﴿قوله التى هى مثل﴾ اى كالمثل السائر فى الغرابة على ان قوله هى مثل كقولك زيد اسد فى كونه من قبيل التشبيه البليغ فان لفظ المثل بمعنى المثل لغة كالشبه والشبه ثم انه خص فى العرف العام بالقول السائر الذى يشبه مضربه بمورده ثم استعير لكل ما فيه غرابة تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة فانه لايضرب من الاقوال الا ما فيه غرابة ﴿قوله على طريقة قولك صفة زيد اسمر﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يكون المثل ههنا بمعنى الصفة ثم يكون مبتدأ وخبره تجرى من تحتها الانهار فان المثل اذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام صفة الجنة فيها انهار والحال انه لامعنى لقولنا صفة الجنة فيها انهار لان الانهار فى نفس الجنة لا فى صفتها وتقرير الجواب ان ما ذكر انما يلزم ان لو كان ضمير فيها راجعا الى الصفة فى قولنا صفة الجنة فيها انهار وليس كذلك كما اذا قيل صفة زيد اسمر يريد ان ضمير اسمر راجع الى نفس زيد لا الى صفته فلا يرد ما ذكر لانه انما يرد ان لو كان ضمير اسمر راجعا الى الصفة وليس كذلك بل هو راجع الى نفس زيد كأنه قيل صفة اسمر فيه ﴿قوله او على حذف موصوف﴾ فيكون لفظ المثل باقيا على معناه اللغوى الاصلى اى شبه الجنة جنة كذا ولايكون مستعارا للصفة العجيبة من القول السائر ولايرد ان يقال ان الشبه بمعنى المشابهة وهى حدث والجنة عين واسم العين لايكون خبرا عن اسم المعنى لانه انما يرد ان لو كان المثل بمعنى المماثلة وليس كذلك بل هو ههنا بمعنى المثل والمشابه عرف الله تعالى الجنة التى لم نرها بما رأيناه وشاهدناه فى الدنيا لنعمها بعض النعم كأنه قيل ليس

(وجعلوا لله شركاء) استئناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (ام تنبئونه) بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف (بما لايعلم فى الارض) بشركاء يستحقون العبادة لايعلمهم الله او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ (ام بظاهر من القول) ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فما له من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة اشق) لشدته ودوامه (وما لهم من الله) من عذابه او رحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التى وعد المتقون) صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجرى من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار او على زيادة المثل

وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة (اكلها دآئم) لاينقطع ثمرها (وظلها) اى وظلها كذلك لاينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك)
اى الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا)

مآلهم ومنتهى امرهم (وعقبى الكافرين النار) لا غير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين
واقناط للكافرين (والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك) يعني
المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه
ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا
اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون
بالحبشة اوعامتهم فانهم كانوا يفرحون بما
يوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعني
كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالعداوة ككعب ابن الاشرف
واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما
(من ينكر بعضه) وهو ما يخالف شرآئعهم
او ما يوافق ماحرّفوه منها (قل انما امرت
ان اعبد الله ولا اشرك به) جواب للمنكرين
اى قل لهم انى امرت فيما انزل الىّ بان اعبد الله
واوحده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل
لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف
شرآئعكم فليس ببدع مخالفة الشرآئع
والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف
(اليه ادعو) لاالى غيره (واليه مآب)
واليه مرجعى للجزآء لاالى غيره وهذا هو
القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا
ذلك من الشرائع فمما يختلف بالاعصار
والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه
(وكذلك) ومثل هذا الانزال المشتمل
على اصول الديانات المجمع عليها
(انزلناه حكما) يحكم فى القضايا والوقائع
بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان
العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال (ولئن اتبعت اهوآءهم) التى
يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى
قبلتهم بعد ما حوّلت عنها (بعد ما جاءك
من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من
ولىّ ولا واق) ينصرك ويمنع العقاب عنك
وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على
الثبات فى دينهم (ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك) بشرا مثلك (وجعلنا لهم ازواجا
وذرية) نساء واولادا كما هى لك (وما كان
لرسول) وما صح له ولم يكن فى وسعه
(ان يأتى بآية) تقترح عليه وحكم يلتمس
منه (الا باذن الله) فانه المليّ بذلك (لكل اجل كتاب) لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم
(يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه (ويثبت) ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها

فى الجنة مما فى الدنيا الا الاسماء ﴿ قوله وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة ﴾ والتقدير وعدها المتقون مقدرا جريان انهارها ﴿ قوله اوعامتهم ﴾ بالنصب عطفا على المسلمين من اهل الكتاب والمراد من الكتاب على التقدير من التوراة والانجيل فان قيل كيف يصح ان يراد باهل الكتاب فى هذا الموضع عامة اهل الكتاب وهم الكفرة ويحكم عليهم بانهم يفرحون بما انزل اليك مع ان ما انزل يعم جميع ما انزل اليه صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان عامتهم لايفرحون بكل ما انزل اليه والجواب ان ما انزل اليه عام يتناول الكل والبعض وليس عاما مستغرقا لجميع ما يصدق لفظ الكل عليه فجاز حملها على البعض بحسب القرينة فلذلك قال المصنف رحمه الله تعالى فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿ قوله يحكم فى القضايا ﴾ اشارة الى ان الحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكاليف الشرعية مستنبطة من القرآن كان سببا للحكم فاسند اليه الحكم اسنادا مجازيا ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة ﴿ قوله التى يدعونك اليها ﴾ فانه روى ان المشركين كانوا يدعونه صلى الله عليه وسلم الى اتباع ملة آبائهم المشركين وكان اليهود يدعونه الى الصلاة الى قبلتهم بعدما حوّل عنها جعل ما يدعون اليه من الدين الباطل والطريق الزآئغ هوى وهو ما يميل اليه الطبع وتهواه النفس بمجرّد الاشتهاء من غير سند مقبول ودليل معقول لكونه هوى محضا ﴿ قوله وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين ﴾ يعني ان الخطاب وان كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد التعريض لغيره لان صلابته صلى الله عليه وسلم فى امر الدين بلغت الى حيث لايحتاج معها الى الحث على التصلب والثبات ووجه التعريض ان من سمع تحذير سيد الخلائق وتهديده على عدم التثبت والتصلب ان كان ممن يطمع منه صلى الله عليه وسلم فى ذلك انقطع طمعه بالكلية وان كان ممن لايتوهم منه ذلك قويت عزيمته وهمته على ذلك اى على الثبات فى الدين علما منه بان من هو ارفع مرتبة اذا حذر هذا التحذير فهو بذلك احق واولى ﴿ قوله بشرا مثلك ﴾ يعني ان من انكر نبوته صلى الله عليه وسلم تمسكوا بشبه فى ابطال نبوته منها ان قولهم الرسول لابد ان يكون من جنس الملائكة كما حكى عنهم بقوله او ما تأتينا بالملائكة وبقوله تعالى لولا انزل عليه ملك ومنها قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ومنها انهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وقالوا لو كان رسولا من عند الله تعالى ما كان مشتغلا بامر النسوان بل كان معرضا عنهن مشتغلا بالزهد والعبادة فاجاب الله تعالى عن شبههم بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فاذا جاز ذلك فى حقهم فلم لايجوز مثله ايضا فى حقه فقد روى انه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكان من شبههم انهم قالوا لو كان رسولا من عند الله تعالى لكان عليه ان يأتى باى شئ طلبنا منه من المعجزات ولا يتوقف ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس برسول فاجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله اى وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى بآية الا باذن منه فان المعجزة الواحدة كافية فى اثبات الحجة وما زاد عليها فهو مفوّض الى مشيئة الله سبحانه وتعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه فى ذلك ﴿ قوله لكل وقت وأمد حكم يكتب ﴾ يعني ان الكتاب بمعنى الحكم المكتوب المفروض على المكلفين بالشرآئع والاحكام لان الطاعنين فى نبوته صلى الله عليه وسلم قالوا لو كان صادقا فى دعوة النبوة لم ينسخ الاحكام التى نص الله تعالى على ثبوتها فى الشرآئع المتقدمة فى التوراة والانجيل لكنه نسخها وحرّفها نحو تحريف القبلة ونسخ اكثر احكام التوراة والانجيل فوجب ان لايكون نبيا حقا فاجاب الله تعالى عنه بقوله لكل وقت حكم يليق بصلاح اهله وحالهم فان الحكمة تقتضى اختلاف الاحكام على حسب الاعصار والامم وعلى حسب تخصيص المشيئة الالهية اهل كل عصر بحكم على حدة كما قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت ان فسر بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته قال الامام رحمة الله تعالى عليه فى هذه الآية قولان الاوّل انها عامة فى كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا فى الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود رضى الله عنهما والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرّعون الى الله فى ان يجعلهم سعدآء لا اشقياء وهذا التأويل رواه جابر رضى الله عنه قال كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى اهل الشقاوة فامحنى واثبتنى فى اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود رضى الله عنه ايضا والقول الثانى ان الآية خاصة فى بعض

الاشياء دون بعض وعلى هذا التقدير ففي الآية وجوه الاول ان المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر بدلا عن الاول فقد روي عن سعيد بن جبير وقتادة رضي الله تعالى عنهما يمحو الله ما يشاء من الشرائع فينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وهذا القول اختيار ابي علي الفارسي قال هذا والله اعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فاما ما كان من غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل والثاني انه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة وذلك لانهم مأمورون بكتابة جميع ما يقوله الانسان ويفعله فاذا كان يوم الاثنين ويوم الخميس يعارض ما كتبه الحفظة بما في اللوح المحفوظ فيلقى من كتاب الحفظة ما لا جزاء له من ثواب وعقاب ويثبت ماله جزاء من احدهما ويترك مكتوبا كما هو والثالث ان من اذنب ذنبا اثبت الله تعالى ذلك الذنب في ديوانه فاذا تاب عنه يمحو ذلك من ديوانه وقال عكرمة يمحو الله سيئات التائب ويثبت بدلها حسنات والرابع يمحو الله ما يشاء وهو من جاء اجله ويدع من لم يجئ اجله ويثبته وان الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والموت والحياة والرزق والاجل ويدل على صحة هذا القول ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مضى على النطفة خمس واربعون ليلة يدخل الملك ويقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك فيقول ما اجله وعمله ورزقه فيقضي الله تعالى ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هما كتابان سوى ام الكتاب الذي لا يغير منه شيء فان قيل السنة زعموا ان المقادير سابقة قد جف بها القلم فكيف يستقيم هذا المعنى فالجواب ان المحو والاثبات مما جف به القلم ايضا فلا يمحو الا ما سبق في علمه وقضائه محوه سمي اللوح المحفوظ ام الكتاب لكونه اصلا لجميع الكتب والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الاصل للشيء اما له ومنه ام الرأس للدماغ وام القرى لمكة وجميع حوادث العالم السفلي والعلوي مثبتة في اللوح المحفوظ قال صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى ولا شيء ثم خلق اللوح واثبت فيه جميع احوال الخلق الى قيام الساعة وقال المتكلمون الحكمة فيه ان يظهر للملائكة كونه تعالى عالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعنده تعالى كتابان احدهما الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب هو محل المحو والاثبات والكتاب الثاني هو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على نقش جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقي الذي لا يتغير وقيل المراد بام الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات فانها وان تغيرت الا ان علم الله تعالى بها باق منزه عن التغير فالمراد بام الكتاب هو ذاك ﴿قوله اريناك بعض ما اوعدناهم﴾ تفسير وتفصيل للحال الدائرة اي سواء اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء امانته ورسالته والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ كالسراح ﴿قوله فلا تحتفل﴾ اي لا تبال يقال احتفلت بكذا اي باليت به لما اوعده الله تعالى المكذبين بقوله لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق قال بعده واما نرينك يعني ان انتقامنا منهم مما اوعدوا به غير مشروط بحياتك بل هو واقع بهم مت او بقيت حيا وعلى كل حال فالواجب عليك ليس الا البلاغ وعلينا الحساب فلا تبال باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم والطلائع جمع طليعة الجيش وهو من يبعث ليطلع على حال العدو والمعنى هذه الحال التي هي نقص ارض الكفرة من اطرافها طلائع تحقيق ما اوعدهم الله تعالى من تعذيبهم فانه تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم رؤية بعض ما وعدهم كان الكفرة قالوا عند ذلك اين ما وعد ربك ان يريك فقال الله سبحانه وتعالى عند ذلك اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي يأتيها امرنا وقوله ننقصها حال اما من فاعل نأتي او من مفعوله فان ما زاد في بلاد المسلمين باستيلائهم عليها قهرا او جبرا نقص من ديار الكفرة وهي من طلائع تحقق تلك المواعيد وعلاماتها فانه تعالى اذا قدر على جعل بعض ديار الكفر للمسلمين فهو قادر على ان يجعل الكل لهم افلا يعتبرون بهذا ثم انه تعالى اكد هذا المعنى فقال سبحانه وتعالى والله يحكم لا معقب لحكمه اي يحكم نافذا حكمه خاليا عن المدافع والمعارض والمنازع ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اخبره ان كفار الامم الماضية كفروا برسلهم ومكروا بان هموا بقتلهم واهلاكهم وابطال دينهم الذي دعوا قومهم اليه مثل نمرود مكر بابراهيم عليه الصلاة والسلام واليهود مكروا بعيسى عليه الصلاة والسلام وفرعون مكر بموسى عليه الصلاة والسلام ثم بين ان مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكر الله تعالى حيث قال فلله المكر جميعا ثم بين قوة مكره وكماله بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار فان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها وكان قادرا على امضاء ما اعده من الجزاء

وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخر وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد (وعنده ام الكتاب) اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه (وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك) وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لا غير (وعلينا الحساب) للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه (اولم يروا انا نأتي الارض) ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم لا معقب لحكمه) لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر جميعا) اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره

(في الدنيا)

في الدنيا و الآخرة لا جرم يأخذ المجرمين بالنواصي و الاقدام وهم في غفلة عما يراد بهم ان بطشه لشديد اذا اخذ الظالم لا يمهله ﴿قوله مع ما في الاضافة الى الدار﴾ اى مع الدلالة الكائنة في اضافة العقبى الى الدار فان الاضافة لتعظيم المضاف فتدل على ان المعنى ما ينبغي ان تكون العاقبة عاقبة الدنيا بل ليس هى الا الجنة ﴿قوله فانه اظهر من الادلة على رسالتي الخ﴾ يعني ان المراد بشهادة الله تعالى اظهار المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة وقوله علم الكتاب فسر الكتاب اوّلا بالقرآن العظيم فيكون المراد بالذي عنده علم الكتاب المؤمنين وثانيا بجنس الكتب المتقدمة وثالثا باللوح المحفوظ ﴿قوله اى وكفى بالذي يستحق العبادة الخ﴾ على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى فان قلت كيف يصح ان يراد بمن عنده الله تعالى مع كونه معطوفا على قوله بالله وهو عطف الشيء على نفسه اشار الى دفعه بان اوّل اسم الذات بما يعطيه من معنى استحقاق العبادة لكون لفظ الجلالة مختصا بالمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الكمال واوّل من عنده بالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو ليكون من قبيل عطف الصفة على الصفة كما في قول الشاعر

* يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب *

وقرأ الجمهور من عنده بفتح ميم من وهى موصولة في محل الجر حينئذ عطفا على لفظ الجلالة اى بالله وبمن عنده علم الكتاب وجملة عنده علم الكتاب يحتمل ان تكون جملة ظرفية بان يكون علم الكتاب فاعل عنده لاعتماده على الموصول ويحتمل ان تكون جملة اسمية بان يكون علم الكتاب مبتدأ وعنده خبره قدم عليه والجملة على التقديرين صلة من وان قرئ من عنده بكسر الميم على انه حرف جر تعين ان يكون علم الكتاب مرفوعا على الابتداء وما قبله خبره وقرئ من بالكسر وعلم على بناء المجهول والله اعلم * تمت سورة الرعد والحمد لله على التمام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿سورة ابراهيم مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اى هو كتاب﴾ اما على تقدير ان يكون الر اسما للسورة ويكون التقدير هذه الر ثم استؤنف قوله كتاب اشارة الى فخامة شأنها وعظم قدرها بانها كتاب عظيم الشان تولينا انزاله وبلغ في الفصاحة النهاية فغلب بمجموع القرآن واما على ان يكون الر تعديدا للحروف قرعا للعصا وتقدمه لدليل الاعجاز فلا يكون له محل من الاعراب ﴿قوله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب﴾ اى مجاز مرسل على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان لفظ الاذن حقيقة في الاطلاق ورفع الحجب ويلزمه التسهيل والتيسير فان الدخول في حق الغير وملكه متعذر فاذا صودف الاذن يكون تسهيلا وتيسيرا فلما كان التسهيل من لوازم الاذن صح استعمال لفظ الاذن فيه مجازا فالمراد بقوله مستعار الاستعارة اللغوية لا ما هو مصطلح اهل البيان وقوله لتخرج متعلق بانزلناه وقوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بالاخراج اى لتخرجهم بتسهيله وتيسيره وان يتعلق بمحذوف على انه حال من ضمير الفاعل اى مأذونا لك او من الناس اى مأذونا لهم شبه الكفر بالظلمات لانها نهاية ما يتحير الرجل فيه ولا يهتدي به الى الحق والصواب وشبه الايمان بالنور لانه نهاية ما يتجلى به الحق المطلوب وجمع الظلمات لتعدد طرق الكفر وانواعه ﴿قوله بدل من قوله الى النور﴾ ولا يضره الفصل بقوله باذن ربهم لانه من معمولات العامل في المبدل منه ﴿قوله او استئناف﴾ فيتعلق بمحذوف كأنه قيل الى اى نور اخراجهم فقيل الى صراط ﴿قوله اما لانه مقصده﴾ اى اما لان الله تعالى هو المقصود من ذلك الصراط واما لانه تعالى هو المظهر لذلك الصراط وهذا القدر من الملابسة يكفي في صحة الاضافة فاضيف الصراط الى العزيز للتنبيه على انه صراط عزيز لا يذل سالكه واضيف الى الحميد للتنبيه على انه صراط كثير الخير اى لا يخيب سابله اى من اتخذه سبيلا ﴿قوله على قرآءة نافع وابن عامر﴾ فانهما قرآ برفع لفظ الجلالة على انه مبتدأ خبره الموصول بعده او على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو الله وقيل هذا يسمى الرفع على المدح فعلى هذا يكون الموصول مع صلته في محل الرفع على انه صفة الجلالة والباقون بجره على انه عطف بيان العزيز الحميد لان لفظ الجلالة وان كان في اصل الوضع اسما مشتقا الا انه صار في العرف جاريا مجرى الاسم العلم لذات الله تعالى فخرج بذلك عن ان يكون مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه فجاز كونه تابعا لما قبله في الايضاح والتفسير والذى يدل على كونه جاريا مجرى الاسم العلم انه لو كان مشتقا

(يعلم ما تكسب كل نفس) فيعدّ جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعدّ لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اى وكفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قرآءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية﴾

﴿وهى احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) اى هو كتاب (انزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ما تضمنه (من الظلمات) من انواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله (الله الذى له ما في السموات وما في الارض) على قرآءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذى صفته وعلى قرآءة الباقين عطف بيان العزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق

(وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره (اولئك في ضلال بعيد) اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب

لكان مفهومه شيئا ما حصل له المشتق منه وهو مفهوم كلي صالح من حيث هو لوقوع الشركة فيه فلا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المستثنى يكون امرا كليا حينئذ وهو خلاف الاجماع لان الامة قد اجمعوا على ان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد وذلك يوجب كون لفظ الجلالة جاريا مجرى الاسم العلم لذاته المخصوصة فعلى هذا كان الظاهر ان يذكر الاسم ثم يذكر عقيبه الصفات كما في قوله هو الله الخالق البارئ واما اذا عكس هذا الترتيب بان يقال لهو الخالق البارئ الله فذلك ترتيب بعيد مما هو الشائع المتعارف فمن قطع لفظ الجلالة عما قبله وقرأه مرفوعا اما على الابتداء او الخبرية لمحذوف فلا كلام في قراءته واما من قرأ بالجر عطفا على العزيز الحميد فيرد عليهم ان اتباع الاسم الصفة خلاف الترتيب الشائع بين القوم ولهم ان يقولوا انه تعالى لما اراد تفخيم الصراط الذي يدعو الناس اليه بالاضافة الى العزيز الحميد ووقعت الشبهة في ان ذلك العزيز الحميد هو بناء على ان الكفار يجاوزون الصنم بكونه عزيزا حميدا عطف عليهما عطف بيان قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض ازالة لتلك الشبهة وايضاحا للمتبوع ﴿قوله لكنه رفع﴾ على انه مبتدأ وللكافرين خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانه دعاء كسلام عليكم مع انه موصوف بقوله من عذاب شديد فانه متعلق بمحذوف هو صفة كانه قيل وويل كائن من عذاب شديد مستقر للكافرين ولا يجوز ان يتعلق بنفس ويل لاجل الفصل بينهما بالخبر وقد تقرر في النحو انه لا يجوز الفصل بين المصدر ومعموله ﴿قوله فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها﴾ فان استحباب الشئ طلب محبته عبر عن اختيار الشئ باستحبابه لما في اختياره من شائبة طلب كونه احب اليه من غيره والظاهر ان استحباب الشئ ابلغ من اختياره في الدلالة على كون ذلك الشئ محبوبا لان اختيار الشئ انما يدل على مجرد ترجيح ذلك الشئ وعده خيرا بخلاف الاستحباب فانه يدل على كون حب الشئ مطلوبا له ومحبوبا عنده وهو نهاية المحبة فقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيا وهو نهاية الضلال لانها انما تنشأ من الغفلة عن حقيقة الحياة الاخروية والاشتغال بادنى لذات الحياة العاجلة التي لا حاصل لها في الحقيقة لان ما في هذه الحياة من اللذات لا حاصل له في الحقيقة الا دفع الآلام بخلاف اللذات الاخروية فانها في انفسها لذات محضة ثم انه زاد على ما يدل على ضلالهم في انفسهم فقال ويصدون فمن كان موصوفا باستحباب الدنيا فهو ضال ومن كان في نفسه منع الغير من الوصول الى سبيل الله تعالى ودينه فهو مضل ثم زاد على وصفهم باضلال الغير بصده عن الوصول الى الصراط المستقيم فقال ويبغونها عوجا فان السعي في القاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق والجد في تقبيحه بكل ما يقدر عليه من الحيل هو نهاية الضلال والاضلال ﴿قوله والبعد في الحقيقة﴾ جواب عما يقال القرب والبعد لا يوصف بهما الا الاماكن والمتمكن فيها والضلال ليس منها فكيف وصف بقوله بعيد فاجاب عنه اولا بان البعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق والمقصد فوصف به فعله اسنادا مجازيا على طريق جد جده وثانيا بان البعد صفة للامر الذي به الضلال عن الحق تنزيلا له منزلة المكان الذي وقع فيه الضلال فاسند البعد الى سببه للملابسة بينهما ﴿قوله الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم﴾ تخصيص قوم الرسول بمن هو منهم وبعث فيهم يظهر منه انه ليس المراد منه جميع من بعث اليهم من امة دعوته لان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل الى الثقلين مع انه لم يرسل الا ملتبسا بلسان العرب خاصة والذي يخطر بالبال في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها جواب عما يرد على قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس وهو ان تعريف الناس للاستغراق لقوله تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وما انزل اليه عليه الصلاة والسلام بلسان العرب خاصة فكيف يخرج به جميع الناس من ظلمة الكفر الى نور الايمان فاجاب عنه بقوله وما ارسلنا من رسول الى الامم التي اختلفت السنتهم الا بلغة قومه الذي هو منهم اذ لا حاجة الى ان ينزل الى كل قوم كتاب ملتبس بلغة ذلك القوم لان ذلك يوجب ما يكون من التطويل اللازم من ذلك فاذا نزل بلسان واحد من الاقوام كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لان قومه اقرب الناس اليه فكان حقهم عليه اقدم وكان الاولى ان يدعوهم الى الحق اولا وينذرهم عن الضلالة والعصيان حتى اذا فهموا منه يبينون ما ارسل به اليهم ويترجمون لغيرهم ما فهموه منه فتنتشر دعوته بذلك الى اطراف العالم ﴿قوله تعالى الا بلسان قومه﴾ في موضع النصب على الحال اى الا متكلما او ملتبسا بلسان وهو على وزن كتاب وقرئ في الشواذ بلسن قومه بكسر اللام وسكون السين وهو لغة في اللسان وقيل اللسان يطلق على

العضو المعروف وعلى اللغة ايضا واما اللسن فانما يطلق على اللغة خاصة وقرئ بلسن بضم اللام والسين وهو جمع لسان ككتاب وكتب وقرئ بضم اللام وسكون السين وهي تخفيف القرآءة بضمتين نحو رسل في رسل ﴿قوله فيضل﴾ استئناف اخبار اى فهو يضل فلا يجوز ان يكون عطفا على ماقبله لان المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى فيكون المعنى ليبين فيضل والرسل انما ارسلت للبيان لا للاضلال قال الزجاج ولو قرئ بنصبه على ان اللام لام العاقبة جاز والفاء فيه تفصيلية والمعنى ان الله تعالى ارسل الرسل الى اقوامهم فتبين لهم طريق الهداية وطريق الضلالة فعند ذلك حصل الاختلاف فبعضهم اختار الهداية وبعضهم الضلالة اوتقول انزلنا الكتاب لتبين فمنهم من نفعناه بذلك البيان ومنهم من جعلناه حجة عليه ﴿قوله بآياتنا﴾ حال اى ارسلناه ملتبسا بآياتنا وأن في أن أخرج يجوز ان تكون مفسرة لوقوعها بعد فعل في معنى القول وان تكون مصدرية واختلف النحاة في انه هل يجوز ان تكون صلة ان المصدرية امرا اونهيا او غيرهما مما فيه معنى الطلب اولا يجوز والمشهور عدم الجواز واجاز سيبويه كون صلة ان المصدرية دالة على ان يكون معنى قولك امرته ان قم بأن قم اى بالقيام وقال ابو علي في قوله تعالى ماقلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله يجوز ان تكون كلمة أن فيه مصدرية فتكون مع ما في حيزها بدلا من ما او من الهاء في به اوخبر مبتدأ محذوف اى هو أن اعبدوا الله وان تكون مفسرة واختار المصنف كونها مصدرية حيث قال فان صيغ الافعال سوآء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة الا انه تسامح في العبارة حيث جعل ان الداخلة على فعل الامر ناصبة لان ان الناصبة تدخل على الفعل المضارع الا ان يقال لو كانت داخلة على الفعل المضارع لكانت ناصبة ولو قال ان يوصل بها ان المصدرية لم يحتج الى هذا التأويل ثم انه تعالى لما ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المنة انه انزل كتابا عظيم الشان ليخرج به الناس من الظلمات الى النور أتبع ذلك بشرح ارساله سائر الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملة اقوامهم معهم ليكون ذلك تصبيرا له عليه السلام على أذى قومه وارشادا له الى كيفية مكالمته ومعاملته مع قومه فذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الآية امر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام في هذا المقام بشيئين احدهما ان يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال وثانيهما ان يذكرهم بأيام الله قيل المراد بها ماانعم الله تعالى عليهم في الايام الماضية كأنه قيل قل لهم ياقوم كم من خير قد اعطاه الله تعالى لكم وكم من شر قد صرفه الله تعالى عنكم وكم من غم قد فرجه الله عنكم اماتذكرون ماكنتم عليه مما اصابكم من قبل فرعون من انواع العذاب ثم انه اهلك عدوكم بتدبير عجيب وخلصكم من عذابه وانزل عليكم المن والسلوى وانعم عليكم بجميع ماانتم عليه الآن من صنوف نعمائه فبادروا الى شكر هذه النعم وقيل المراد بأيام الله وقائعه في الامم السالفة اى اذكر كيف اهلك الله تعالى الامم السالفة لما كذبوا الرسل وقيل المراد بها جميع ماوقع فيها من النعماء والبلاء والمعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد أن يذكرهم جميع ماانعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمنوا بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذبت رسله فيما سلف من الايام مثل ماانزل بعاد وثمود وغيرهما ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب والعناد ويؤيد هذا القول الجمع بين الصبار والشكور في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ومن حمل الايام على معنى الوقائع استدل عليه بان التذكير بالايام اكثر مايستعمل في التخويف والانذار ﴿قوله اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم﴾ يعني ان قوله اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام ثم قال ويجوز أن ينتصب بعليكم اى بما تعلق به عليكم على تقدير ان لايكون صلة النعمة بل يكون متعلقا بالاستقرار بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائكم وعلى هذا تكون النعمة بمعنى العطية لا بمعنى الانعام ولو جعل عليكم صلة النعمة بمعنى الانعام فحينئذ لايجوز ان ينتصب الظرف بعليكم لان المعمول فيه عبارة عما فصل فيه فعل مذكور فلا يعمل فيه الا فعل او شبهه وعليكم على تقدير كونه صلة النعمة لايكون فعلا ولاشبهه ﴿قوله احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين﴾ او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ويجوز ان يكون مستأنفا لبيان ما انجاهم منه قال الله تعالى في سورة البقرة واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وكذا في الاعراف الا انه وقع فيها بدل يذبحون يقتلون وكل واحد منهما في سورته بغير واو فلما وقع في هذه السورة ويذبحون بواو العطف اشار المصنف الى الفرق بان الجملة حيث ذكرت بغير واو

(فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدي من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يهدي ولا يضل الا لحكمة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعني اليد والعصا وسائر معجزاته (ان أخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى اى اخرج كأن في الارسال معنى القول او بأن اخرج فان صيغ الافعال سوآء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة (وذكرهم بأيام الله) بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون) اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة النعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة

(وفى ذلكم) من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (واذ تأذن ربكم) ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى اوعد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغنى) عن شكركم ونعمته (حميد) مستحق للحمد فى ذاته محمود يحمده الملائكة وتنطق بحمده ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام او كلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم) عضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام او امرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم

تكون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب على طريق التفسير والبيان وحيث ذكرت بالواو يكون الكلام من قبيل عطف الخاص على العام على تقدير أن يراد بالعذاب جنس العذاب ويعطف عليه التذبيح للاشارة الى انه بلغ فى الفظاعة والشدة الى حيث صار كأنه جنس مغاير للعذاب او من عطف احد المتقابلين على الآخر على تقدير ان يخص العذاب باستعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة ﴿قوله من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم﴾ لما صح الاشارة الى فعل آل فرعون بهم ورد ان يقال كيف يكون فعل آل فرعون بلاء من ربهم فأجاب عنه بان فعلهم لما كان باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه صار ابتلاء من الله تعالى فانه تعالى يبتلى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة ﴿قوله ايضا من كلام موسى عليه السلام﴾ فيكون معطوفا على قوله اذ انجاكم فيكون معمولا للنعمة بمعنى الانعام او للاستقرار الذى تعلق به عليكم او على قوله نعمة الله فيكون معمولا لقوله اذكروا والنعمة الزائدة بالشكر تعم النعم الروحانية والجسمانية اما النعم الروحانية فهى ان الشاكر يكون أبدا فى ملاحظة اقسام نعم الله وانواع فضله وكرمه وتلك الملاحظة تستجلب محبة العبد لله تعالى ومقام المحبة اعلى مقامات الصديقين ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات الى النعم ومعرفتها فثبت ان الاشتغال بالشكر يجلب النعم الروحانية واما ازدياد النعم الجسمانية بالشكر فلأن الاستقراء دل على ان من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله تعالى اليه اكثر ثم ان موسى عليه السلام لما بين ان الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات فى الدنيا والآخرة وأن كفران النعم يوجب العذاب الشديد وحصول الآفات فى الدنيا والآخرة بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا الى صاحب الشكر وصاحب الكفران واما المعبود والمشكور فانه غنى عن ان ينتفع بالشكر او يستضر بالكفران فهو تعالى انما امر بهذه الطاعات لمنافع العباد كما قال فان الله لغنى حميد لان من كان ذاته كافية فى وجوده وجميع كمالاته يكون غنيا لا يفتقر الى شكر شاكر وحيدا يستحق الحمد لذاته لكونه مستجمعا لجميع الكمالات بالفعل ﴿قوله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام﴾ لتوبيخهم بذكرهم احوال المتقدمين ويخوفهم بها ليتدبروا ويجتهدوا فى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكرا قواما ثلاثة وهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم نوح بدل من الذين من قبلكم او عطف بيان له ثم قال والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله وذكر المصنف فيه احتمالين الاول ان يكون قوله والذين من بعدهم مبتدأ وقوله لا يعلمهم الا الله خبره وتكون الجملة الاسمية معترضة بعد الكلام على ما جوزه صاحب الكشاف او بين الحال وصاحبها ان جعل قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات حالا من الذين من قبلكم على مذهب من يجوز انتصاب الحال من المضاف اليه وفائدة الاعتراض التنبيه على كثرة الامم المتقدمين كأنه قيل ان من بعدهم بلغ من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله فكيف بالمجموع والاحتمال الثانى ان يكون قوله والذين من بعدهم معطوفا على ما قبله وهو قوم نوح وعاد وثمود ويكون قوله لا يعلمهم الا الله اعتراضا لبيان كثرة من قبلهم والمعنى الم يأتكم انباء الجم الغفير الذى لا يعلم عددهم الا الله لكثرتهم وقول المصنف والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله بيان للمعنى على الاحتمالين لكن يختلف مرجع ضمير انهم بحسب الاحتمالين فان المعنى على الاحتمال الاول ان الذين من بعدهم بلغوا من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله فيكون المقصود الترقى فى بيان كثرة من قبلهم كأنه قيل الم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لا يحصى عددهم ممن بعدهم فهو بمنزلة ان يقال دع التفصيل فانه لا مطمع فى الحصر وفيه لطف من حيث انه يوهم الجمع بين الاجمال والتفصيل ولهذا قدم هذا الاحتمال فى الذكر والمعنى على الثانى ان الذين من قبلكم لكثرتهم لا يعلمهم الا الله فيكون حاصل المعنى ما مر من قوله الم يأتكم انباء الجم الغفير الخ ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المعنى على الاحتمالين تكثير المتقدمين بحيث لا يعلم عددهم الا الله كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم الانساب ويوصلونها الى آدم عليه السلام وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد حيث بين ان فيمن قبلكم اقواما كذبوا رسلهم فاهلكوا ولم يبلغ اليكم خبرهم فلا يعلمهم الا الله ونظير هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا تبرنا تتبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل وعلى هذا القول لا يمكن القطع بمقدار السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه ان امكن ذلك لم يبعد ايضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام المذكورين انه لما جاءتهم رسلهم بالبينات اى المعجزات اتوا بامور اولها قوله فردوا

ايديهم فى افواههم وثانيها قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه وذكر المصنف فيه ثلاثة احتمالات الاوّل انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه انفسهم والثانى انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه الانبياء والثالث انهم ردّوا ايدى الانبياء فى افواه الانبياء على ان الايدى بمعنى الايادى وذكر فى الاحتمال الاوّل ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون ردّ الايدى الى الافواه عبارة عن عضها غيظا من شدّة نفرتهم من رؤية الرسل او من استماع كلامهم والثانى ان يكون عبارة عن وضعها على الافواه اما لانهم لما سمعوا كلام الانبياء تعجبوا منه غاية التعجب فحملهم ذلك على ان يضعوا ايديهم فى افواههم او لانهم لما سمعوه غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية والاستهزاء فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك او لانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا والثالث ان يكون عبارة عن الاشارة بأيديهم الى جوابهم الذى قالوه بألسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اى هذا جوابنا الذى نقوله بافواهنا فقول المصنف الى ألسنتهم توطئة لقوله وما نطقت به والمراد اشارتهم الى كلامهم ثم انه يحتمل ان يكونوا اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب ثم قرّروه ويحتمل انهم كانوا قرّروا جوابهم ثم اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب لان قوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به معطوف على ماقبله بالواو وعطف قوله فردّوا على جاءتهم بفاء التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين لانه انما يدل على انه لما جاءتهم الرسل بالبينات ما امهلوا بل عقبوه بالتكذيب والانكار ولا دلالة فيه على تقدّم الاشارة على الجواب او تأخرها وأشار الى الاحتمال الثانى بقوله او ردّوها فى افواه الانبياء والى الثالث بقوله وقيل الخ

﴿ قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا ﴾ بان يمثل الهيئة الحاصلة فى دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان وردّ هؤلاء ما سمعوا منهم وما رأوا ابلغ الردّ والانكار بالهيئة الحاصلة من مباشرة احد بأن يتكلم بمراده ويمنعه الآخر عنه بأن يضع يده على فم صاحبه يقسره على السكوت فاذا لا يد ولا فم هناك

﴿ قوله الايدى بمعنى الايادى ﴾ انما قال بمعنى الايادى لان الايادى هى النعم اى على ان يكون الايدى جمع يد بمعنى النعمة كالايادى وان كان اكثر استعمال الايدى فى الجوارح والايادى فى النعم قال الشاعر

سأشكر عمرا ان تواصل منيتى ⁂ ايادى لم تمنن وان هى جلت

﴿ قوله لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردّوها الى حيث جاءت منه ﴾ اشارة الى ان ردّ الايدى الى الافواه من قبيل التمثيل قطعا على تقدير ان يكون المراد ردّ أيادى الانبياء الى افواههم لامتناع ردّ احكام الانبياء وشرائعهم الى افواههم حقيقة فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بأن مثل ردّ الكفار مواعظ رسلهم بردّ الكلام الخارج من الفم الى الفم قبيل ردّوا أيديهم اى مواعظهم فى افواههم على نحو ماذكرآنفا ﴿ قوله على زعمكم ﴾ يعنى ان المعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به وانما قال ذلك لانهم لا يقرّون بأنهم ارسلوا ﴿ قوله موقع فى الريبة ﴾ على ان يكون مريب من ارابنى فلان اذا اوقعك فى الريبة ورأيت منه ما تكرهه ﴿ قوله او ذى ريبة ﴾ على ان يكون من اراب الرجل بمعنى صار ذا ريبة قيل قولهم وانا لفى شك بعدما قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به مشكل لان الشك ينافى الجزم بالكفر بقولهم انا كفرنا سيما وقد أكدوا كفرهم بانا واجيب بأن الواو ههنا بمعنى او اى احد الامرين لازم هو الكفر برسالتكم جزما وان لم ندع هذا الجزم والتيقن فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين فى صحة نبوّتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوّتكم ويندفع الاشكال بأن يقال تحقق الكفر والجزم به لا ينافى شكهم فى نبوّته عليه السلام وفى حقية مادعاهم اليه لان الشاك لا ايمان له فيكون كافرا قطعا كالمنكر فيكون قولهم وانا لفى شك بعد تحقق كفرهم بقولهم انا كفرنا لبيان ان طريق كفرهم هو الشك دون الانكار ﴿ قوله ادخلت همزة الانكار على الظرف ﴾ مع ان الظاهر ان يقال أشك فى الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون مدلول الكلام انكار تخصيص الشك فى الله واثباته فى غير الله ولا شك ان اثبات الشك فى غير الله ليس بمقصود من الآية وانما المقصود نفى الشك فى الله تعالى والعبارة المؤدية لهذا المعنى هى ان يقال اشك فى الله فلم قدّم الظرف وادخلت همزة الانكار عليه ، فحاصل الجواب ان تقديم الظرف ليس للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام فى المشكوك فيه لا فى نفس الشك لان الشك موجود لا محالة فلا وجه لانكاره وانما المنكر ثبوته فى الله تعالى فكان

وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى
بمعنى الايادى اى ردّوا ايادى الانبياء التى هى
مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم
والشرآئع فى افواههم لانهم اذا كذبوها
ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت
منه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على
زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من
الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب)
موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس
وان لا تطمئن الى الشئ (قالت رسلهم
أفى الله شك) ادخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى
الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل
الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه

ايديهم فى افواههم وثانيها قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه وذكر المصنف فيه ثلاثة احتمالات الاوّل انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه انفسهم والثانى انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه الانبياء والثالث انهم ردّوا ايدى الانبياء فى افواه الانبياء على ان الايدى بمعنى الايادى وذكر فى الاحتمال الاوّل ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون ردّ الايدى الى الافواه عبارة عن عضها غيظا من شدّة نفرتهم من رؤية الرسل او من استماع كلامهم والثانى ان يكون عبارة عن وضعها على الافواه امالانهم لما سمعوا كلام الانبياء تعجبوا منه غاية التعجب فحملهم ذلك على ان يضعوا ايديهم فى افواههم او لانهم لما سمعوه غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية والاستهزاء فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك او لانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا والثالث ان يكون عبارة عن الاشارة بأيديهم الى جوابهم الذى قالوه بألسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اى هذا جوابنا الذى نقوله بافواهنا فقول المصنف الى ألسنتهم توطئة لقوله وما نطقت به والمراد اشارتهم الى كلامهم ثم انه يحتمل ان يكونوا اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب ثم قرّروه ويحتمل انهم كانوا اقرّروا جوابهم ثم اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب لان قوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به معطوف على ماقبله بالواو وعطف قوله فردّوا على جاءتهم بفاء التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين لانه انما يدل على انه لما جاءتهم الرسل بالبينات ما امهلوا بل عقبوه بالتكذيب والانكار ولادلالة فيه على تقدّم الاشارة على الجواب او تأخرها وأشار الى الاحتمال الثانى بقوله اوردّها فى افواه الانبياء والى الثالث بقوله وقيل الخ

﴿ قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا ﴾ بان يمثل الهيئة الحاصلة فى دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان وردّ هؤلاء ماسمعوا منهم ومارأوا ابلغ الردّ والانكار بالهيئة الحاصلة من مباشرة احد بأن يتكلم بمراده ويمنعه الآخر عنه بأن يضع يده على فم صاحبه يقسره على السكوت فاذا لايد ولافم هناك ﴿ قوله الايدى بمعنى الايادى ﴾ انما قال بمعنى الايادى لان الايادى هى النعم اى على ان يكون الايدى جمع يد بمعنى النعمة كالايادى وان كان اكثر استعمال الايدى فى الجوارح والايادى فى النعم قال الشاعر

• سأشكر عمرا ان تواصل منيتى • ايادى لم تمنن وان هى جلت •

﴿ قوله لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت منه ﴾ اشارة الى ان ردّ الايدى الى الافواه من قبيل التمثيل قطعا على تقدير ان يكون المراد ردّ أيادى الانبياء الى افواههم لامتناع ردّ احكام الانبياء وشرائعهم الى افواههم حقيقة فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بأن مثل ردّ الكفار مواعظ رسلهم بردّ الكلام الخارج من الفم الى الفم فقيل ردّوا أيديهم اى مواعظهم فى افواههم على نحو ماذكرآنفا ﴿ قوله على زعمكم ﴾ يعنى ان المعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به وانما قال ذلك لانهم لايقرّون بأنهم ارسلوا ﴿ قوله موقع فى الريبة ﴾ على ان يكون مريب من ارابنى فلان اذا اوقعك فى الريبة ورأيت منه ماتكرهه ﴿ قوله اوذى ريبة ﴾ على ان يكون من اراب الرجل بمعنى صار ذا ريبة قيل قولهم وانا لفى شك بعد ماقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به مشكل لان الشك ينافى الجزم بالكفر بقولهم انا كفرنا سيما وقد أكدوا كفرهم بانا واجيب بأن الواو ههنا بمعنى او اى احد الامرين لازم وهو الكفر برسالتكم جزما وان لم ندّع هذا الجزم وهو اليقين فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين فى صحة نبوّتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوّتكم ويندفع الاشكال بأن يقال تحقق الكفر والجزم به لاينافى شكهم فى نبوّته عليه السلام وفى حقية مادعاهم اليه لان الشاك لاايمان له فيكون كافرا قطعا كالمنكر فيكون قولهم وانا لفى شك بعد تحقق كفرهم بقولهم انا كفرنا لبيان ان طريق كفرهم هو الشك دون الانكار ﴿ قوله ادخلت همزة الانكار على الظرف ﴾ مع ان الظاهر ان يقال أشك فى الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون مدلول الكلام انكار تخصيص الشك فى الله واثباته فى غير الله ولاشك ان اثبات الشك فى غير الله ليس بمقصود من الآية وانما المقصود نفى الشك فى الله تعالى والعبارة المؤدّية لهذا المعنى هى ان يقال اشك فى الله فلم قدّم الظرف وادخلت همزة الانكار عليه وحاصل الجواب ان تقديم الظرف ليس للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام فى المشكوك فيه لافى نفس الشك لان الشك موجود لامحالة فلاوجه لانكاره وانما ينكر ثبوته فى الله تعالى فكان

وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردّوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت منه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع فى الريبة اوذى ريبة وهى قلق النفس وان لاتطمئن الى الشئ (قالت رسلهم أفى الله شك) ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لافى الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لايحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه

التى لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته اى الله يعلم موضع رسالته من الناس يعنى يعلم من يصلح للنبوة ومن لا يصلح فخص بها محمدا واجابوا عن قولهم فأتونا بسلطان مبين بقولهم وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ثم ان الانبياء لما اجابوا عن شبهات الكفرة بتلك الاجوبة فالظاهر ان الكفرة اخذوا فى السفاهة وتخويف الانبياء ووعيدهم فعند ذلك قالت الانبياء عليهم السلام لا نخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم بل نتوكل عليه ونعتمد على عصمته ونقطع رجاءنا عما سوى الله تعالى الا انهم عمموا الامر بالتوكل حيث قالوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون للاشعار بان موجب التوكل هو الايمان وقصدوا بلفظ المؤمنين انفسهم قصدا اوّليا بدليل قولهم ومالنا ان لا نتوكل على الله اى فى ان لا نتوكل فحذف الجار واوصل الاستقرار الذى تعلق به قوله لنا الى قوله ان لا نتوكل بعدما علمنا ان الامور كلها بيده فان من فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة والمعارف الربانية يقبح له ان يرجع فى امر من الامور الى غير الحق سواء كان فلكا او ملكا او روحا او جسما ثم انه تعالى لما حكى عن الانبياء عليهم السلام انهم اكتفوا فى دفع شرور اعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه حكى عن الكفار انهم بالغوا فى السفاهة واقسموا على انهم ليخرجن الانبياء واتباعهم من ارضهم او ليعودن فى ملتهم وانما قدروا على تفوه هذه المقالة القبيحة بناء على ان اهل الباطل فى كل زمان يكونون كثيرا بالنسبة الى اهل الحق وانهم يتعاضدون ويتعاونون فى تمشية اباطيلهم فلهذا السبب قدروا على هذه السفاهة ولما ورد أن يقال قولهم او لتعودن يوهم أن الانبياء كانوا على ملتهم فى اوّل الامر حتى يصح ان يقال لتعودن فى ملتنا اجاب عنه اوّلا بان العود هنا بمعنى الصيرورة واستعمال عاد بمعنى صار كثير فى كلام العرب وثانيا بأن الخطاب وان كان مع الرسل ظاهرا الا ان المقصود بهذا الخطاب كل رسول مع اتباعه واصحابه فغلب اتباع الرسل على انفسهم فى حكم العود فقيل او لتعودن اذ الظاهر ان الاتباع كانوا قبل ذلك على دين اولئك الكفار ومع هذا أن من قال او لتعودن هم الكفار ولا يجب ان يكونوا صادقين فى كل ما قالوه فلعلهم توهموا كون الانبياء على ملتهم اوّلا بناء على انهم نشأوا فى بلاد الكفر وما اظهروا مخالفة الكفار فلذلك ظن الكفرة انهم كانوا فى أوّل الامر على دينهم فقالوا او لتعودن فى ملتنا ولما ذكر الكفار هذه السفاهة قال الله تعالى فأوحى اليهم ربهم بفاء التعقيب الدالة على ان هذا الوحى لم يتأخر عن سفاهتهم ﴿قوله موقفى﴾ يعنى ان المقام يحتمل ان يكون اسم مكان الوقوف والمعنى ذلك الامر حق لمن خاف مكان الوقوف بين يدى يوم الحساب وتفسيره وامامن خاف مقام ربه اى موضعه الذى يقيم فيه المكلفين ويحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله ويحتمل ان يكون مقحما والمعنى لمن خافنى كما يقال سلام على مجلسكم العالى والمراد سلام عليكم وهو بعيد لان اقحام الاسم قليل نادر ﴿قوله سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء﴾ يعنى ان الاستفتاح طلب الفتح والفتح قد يراد به النصرة على العدو كما فى قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقد يراد به الحكم والقضاء كما فى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا وكلا المعنيين صحيح ههنا والمعنى على الاوّل ان الرسل استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا من ايمانهم قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وقال لوط انصرنى على القوم المفسدين وعلى الثانى ان الامم طلبوا الحكومة والقضاء من الله قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا كما قال كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وكما قال آخرون ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل ان الرسل سألوا الله الحكم بنصرهم واهلاك اعدائهم فضمير استفتحوا لا يخلو اما ان يرجع الى الرسل الكرام او الى الكفار اللئام وقيل يرجع الى الفريقين لان كلا منهما طلب النصر على صاحبه والحكم باهلاك عدوه ﴿قوله وهو معطوف على فأوحى﴾ اختار المصنف كون الضمير راجعا الى الرسل حيث قطع بكون واستفتحوا معطوفا على فأوحى كأنه قيل قال الذين كفروا ما قالوا فاذن للرسل فى الاستنصار فسألوا الله ذلك الفتح والنصرة فنصروا وظفروا بمقصودهم وخاب كل جبار عنيد فالظاهر انه معطوف على قوله قال الذين كفروا رجوعا من مخاطبة الرسل الى طلب الحكومة من الله تعالى فيكون قوله وخاب معطوفا على مقدر وهو فنصروا على قومهم وان كان ضمير استفتحوا الكفرة يكون المعنى ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على

(ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا) حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم) اى الى الرسل (لنهلكن الظالمين) على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامى) موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم (وخاف وعيد) اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفاتحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن (وخاب كل جبار عنيد) اى ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من الفريقين كان اوقع

(من وراءه جهنم) اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من ورآء حياته وحقيقته ماتوارى عنك (ويسقى من ماء) عطف على محذوف تقديره من ورآئه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى من (صديد) عطف بيان لماء وهو مايسيل من جلود اهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير فى يسقى (ولايكاد يسيغه) ولايقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) اى اسبابه من الشدآئد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله (وماهو بميت) فيستريح (ومن ورآئه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو فيه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم واوعدلهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله (اعمالهم كرماد) وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (فى يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة (لايقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من اعمالهم (على شئ) لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق (الم تر) خطاب النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلون (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات

الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم وما افلح بسبب استفتاحه بكيد الرسل وكذا ان كان الضمير لمجموع الفريقين يكون قوله وخاب معطوفا على استفتحوا ومن ورائه جهنم جملة فى محل الجر على انها صفة لجبار ويجوز ان تكون الصفة من ورائه وحده وجهنم فاعل مرفوع به لاعتماده على الموصوف لما حكم الله تعالى عليه بالخيبة والحرمان ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بامور الاول قوله من ورائه جهنم ولفظ الورآء يستعمل للخلف والقدام قال ابن عباس واكثر المفسرين انه ههنا بمعنى القدام والمعنى ان جهنم امام ذلك الجبار وهو يردها ويدخلها ﴿ قوله فانه مرصد بها ﴾ اختلفت النسخ فى هذه الكلمة ففى بعضها مرصد بها بفتح الميم وبالباء فى بها اى فان الجبار موضع الترصد والترقب بسبب جهنم تترقبه ملائكة العذاب ليدخلوه جهنم يقال رصدته ارصده اذا قعدت له على طريقه تترصده فالجبار فى الحقيقة مرصود جعل موضع الرصد اشعارا بشدة ملابسة الراصدية وفى بعضها مرصدها اى معدلها من قولك ارصدت له العقوبة اذا اعددتها وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقبة وفى بعضها مترصد لها اى موضع الترصد بسببها فهو كما فى النسخة الاولى من حيث المعنى او مترصد مترقب لها واللام لتقوية العامل ثم انه حمل لفظ الورآء هنا على معنى الامام فانه من الاضداد يطلق على القدام والخلف لانه فى الدنيا وجهنم معدة له فى الآخرة ومن اطلاقه على الامام قول الشاعر

* عسى الكرب الذى امسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب *

اى يكون امامه فرج ويصح فى تاء امسيت الفتح على خطاب صاحبه المكروب بأن يبشره بالفرج القريب وزوال الحزن ويصح فيه الضم ايضا على نسبته لنفسه وحذف من الفعل المذكور بعد عسى كلمة أن وهو قليل ومنه قوله تعالى وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا اى امامهم وقال ايضا الموت وراء كل احد وقال ابن الانبارى ورآء ههنا بمعنى بعد كما فى قول من قال * وليس ورآء الله للمرء مطلب * اى ليس بعد الله فانه لما حكم على كل جبار بالخيبة فى قوله وخاب كل جبار عنيد قال بعده من ورآئه جهنم اى من بعد هذه الخيبة يدخل جهنم ﴿ قوله وحقيقته ماتوارى عنك ﴾ اى سواء كان خلفك او قدامك اشارة الى وجه اطلاق لفظ الورآء على كل واحد منهما ﴿ قوله ولايقارب ان يسيغه فكيف يسيغه ﴾ يريد ان كاد من افعال المقاربة فقوله لايكاد يسيغه يدل على نفى المقاربة من الاساغة وانتفاء المقاربة من الاساغة يستلزم انتفاء الاساغة قطعا فان قيل كيف يحكم بان الاساغة منتفية البتة مع ان قوله تعالى يتجرعه يدل على الاساغة شيأ بعد شئ لان التجرع عبارة عن تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار وايضا قوله تعالى يصهر به مافى بطونهم يدل على حصول الاساغة لان الصهر لايحصل بدون الاساغة * فالجواب ان ماذكرتم من الدليل انما دل على وصول بعض ذلك الشراب الى جوف الكفار وذلك لايستلزم حصول الاساغة لانها عبارة عن اجرآء الشراب فى الحلق بسهولة وقبول النفس للمشروب والكافر انما يتجرع ذلك الشراب بكراهية ولايسيغه اى لايستطيبه ولايشربه بسهولة مرة واحدة ثم انه تعالى بعد ماذكر انواع الجبابرة المعاندين ذكر ان اعمالهم بأسرها تصير ضائعة لاينتفعون بشئ منها فقال مثل الذين كفروا بربهم فالمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة وهو مبتدأ حذف خبره وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة بيان لصفتهم كأنه قيل كيف مثلهم وصفتهم الغريبة فقيل كيت وكيت ويجوز ان يكون مثل مبتدأ اولا واعمالهم مبتدأ ثانيا وكرماد خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول * فان قيل كيف يجوز ان تكون هذه الجملة خبرا للمبتدأ الاول ولا رابط فيها يربطها بالمبتدأ وليست نفسه حتى يستغنى بها عن رابط قلنا انها ليست نفس المبتدأ لفظا بل هى نفس المبتدأ معنى فان نفس مثلهم هو نفس اعمالهم كرماد فى ان كلا منهما لايفيد شيأ ولايبقى له اثر فهى كالجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن والمراد باعمالهم المشبهة اما المبرات التى عملوها غير مقرونة بالايمان واما مازعموه نافعا من عبادة الاصنام اذ الكفار لاينتفعون بشئ منها اما بالثانى فظاهر واما بالاول فلعدم ابتنائه على الاساس ومن الظاهر المعلوم انه اذا صح تشبيه كل واحد من القسمين بالرماد الموصوف صح تشبيه كلا القسمين به ايضا فلا فائدة يعتد بها فى الترديد ووجه المشابهة بين هذه الاعمال وبين الرماد الموصوف هو ان الريح العاصف يطير الرماد ويفرق اجزآءه بحيث لايبقى لذلك الرماد اثر ولا خبر فكذلك

(كفرهم)

(ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كوّنهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزآء (وبرزوا لله جميعا) اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (فقال الضعفوآء) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كخادم وخدم اومصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف (فهل انتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو هدانا الله) للايمان ووفقنا له (لهديناكم) ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم ولكن سد دوننا طريق الخلاص (سوآء علينا أجزعنا ام صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سوآء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوآء علينا

كفرهم ابطل اعمالهم واحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال معهم خبر ولا اثر ثم انه تعالى لما مثل اعمالهم بالرماد الموصوف وبين ان الكفر يضيع الاعمال التى كانت فى انفسها خيرات ولا يبقى لهم الا الحسرة والاسف على خيبتهم عما افنوا فيه اعمارهم بين كمال قدرته تعالى واستدل به على قدرته على اهلاك قوم وايجاد آخرين حثا وتحريضا للمكلفين على الايمان بالله تعالى والرغبة فى طاعته كما اشار اليه بقوله ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يعبد الخ **قوله** يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله لما كان البروز عبارة عن الظهور بعد الاستتار ومن المستحيل ان يستتر شئ من الاشياء عنه تعالى حتى يظهر له بعد الاستتار وجب تأويل قوله تعالى وبرزوا لله وذكر فى التأويل وجهين الاول ان ليس المراد البروز لله بل المراد البروز لتعلق بخروجهم من القبور لامر الله وحسابه وحكمه والثانى ان المراد بالاستتار الملحوظ فى ضمن البروز الاستتار فى ظنهم فانهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ما فعلوه فى الخلوات يخفى على الله فيكون انكشافهم لله تعالى يوم القيامة وبروزهم بالنسبة الى ظنهم لا يبين الله تعالى ما يصيب الكفار يوم القيامة من انواع العذاب وحرمانهم من ثواب ما فعلوه من الخيرات وهددهم ببيان قدرته على اهلاكهم وانشاء خلق جديد بدلهم بين ما سيكون بين رؤساء الكفرة واتباعهم من تمسك الاتباع بالرؤساء قائلين انا اتبعناكم لننتفع باتباعكم عند الشدة وكيفية اعتذار الرؤساء عندهم معترفين بالخزى والمرى العظيم وهذا نوع آخر من العذاب اشد من العذاب الجسمانى المذكور قبله **قوله** اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله فان قلت كيف طابق هذا التقدير قوله من الاولى للبيان والثانية للتبعيض وما معنى كون الاولى واقعة موقع الحال والثانية واقعة موقع المفعول وحق من البيانية ان يتقدم عليها ما تبينه ولا يتأخر عنها فكيف جعلت الاولى بيانية فالجواب ان ما ذكره المصنف توجيه من حيث المعنى فان المعنى هل تغنون عنا من شئ من عذاب الله فى عذاب الله صفة لشئ وبيان له فلما تقدم عليه انقلب اعرابه من الوصفية الى الحالية لان الصفة لا تتقدم على الموصوف واما معنى البيان فهو باق بحاله لم يتغير وكذا كون من شئ مفعول مغنون باق بحاله فقوله من عذاب الله حال من شئ قدمت عليه لكون ذى الحال نكرة والحال وصاحبها صفة وموصوف فى الحقيقة وذو الحال مفعول والحال بيان له وهذا الاعراب لا يتغير على تقدير كون كل واحدة من كلتى من تبعيضية والفرق بينهما ان المعنى على الاول هل انتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله وعلى هذا التقدير تكون من متعلقة بمحذوف لانها فى الاصل صفة لشئ فلما تقدمت عليه انتصبت على الحال وعلى تقدير كون الاولى مفعولا تكون متعلقة بنفس مغنون ويكون من شئ واقعا موقع مصدر مغنون بمعنى بعض الاغناء وقول الاتباع والعوام لسادة الكبرآء انا كنا لكم تبعا توبيخ وتقريع لهم على استتباعهم لان الكبرآء عرفوا ذلك فلا فائدة لهم فى هذا الاخبار وقولهم فهل انتم مغنون عنا ليس بطريق ان يطلب الاتباع منهم دفع العذاب عنهم وكيف يطلبون منهم ذلك وقد رأوهم فى العذاب ولو قدروا على دفع ذلك عنهم لدفعوه اوّلا عن انفسهم وانما قالوه على سبيل التبكيت والالزام لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فأجاب الكبرآء عن معاتبتهم بأن قالوا انما دعوناكم الى الضلال لان الله اضلنا بسبب اختيارنا ما نشتهيه انفسنا ولو هدانا لدعوناكم الى الهدى فنسبوا ذنبهم الى الله تعالى واحالوا على ما عمل بهم من عدم توفيقهم للاهتدآء وخلق الاهتداء فيهم فكلام الكبرآء على هذا التقرير يكون جوابا لتوبيخ الاتباع بقولهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون وعلى قوله أو لو هدانا الله طريق النجاة الخ يكون جوابا عن قولهم فهل انتم مغنون ومعنى الآية على الاوّل لو وفقنا الله للايمان او هدانا الله للايمان فى دار الدنيا لهديناكم اى بينا لكم طريق الهدى وعلى الثانى لو هدانا الله اليوم الى طريق التخليص من العذاب لهديناكم اليه ثم يقولون لا محيص لنا مما قد وقعنا فيه ولا يخفف عنا العذاب بصبر ولا بالجزع فكلاهما سوآء علينا وقال مقاتل يقولون ذلك فى النار فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلا ينفعهم الخ **قوله** مستويان علينا الجزع والصبر اشارة الى ان قوله أجزعنا ام صبرنا فى محل الرفع على الابتدآء والجملة مما يمتنع الاخبار عنها اذا كانت لنسبتها ملحوظة تفصيلا واما اذا اريد بها مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهى كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه وقوله سوآء اسم بمعنى الاستوآء نعت به كما نعت بالمصادر والجبن النص بالقصر وهو قد يكون مصدرا كالمغيب والمشيب وقد يكون مكانا كالمبيت والمضيق يقال حاص عنه وحاص عنه بمعنى واحد اى هرب منه قصدا

الخلاص ثم انه تعالى لما ذكر المناظرة الواقعة بين رؤساء الكفرة واتباعهم اردفها بذكر المناظرة الواقعة بين الشيطان واتباعه فقال وقال الشيطان لما قضى الامر اى فرغ منه وقضى الله بين العباد واستقر اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار فحينئذ يأخذ اهل النار فى لوم ابليس وتقريعه فيقوم فيما بينهم خطيبا ويقول ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وقال الشيطان لما قضى الامر وقيل المراد بقضاء الامر انقضاء المحاسبة والاول اولى لان الفراغ عما يتعلق بامر المحاسبة انما يكون باستقرار كل فريق فيما اعد له من المقر وقيل المراد به انقطاع ما يتعلق بامر المحاسبة بالكلية بانتهاء الاحوال المتغيرة فلا يبقى فى النار الا ما يخلد فيها فان مذهبنا ان عصاة المؤمنين يخرجون من النار ويدخلون الجنة فلا يبعد ان يكون المراد بقوله لما قضى الامر ذلك الوقت لان فى ذلك الوقت تنقطع الاحوال المتغيرة المتعلقة بالحساب ولا يحصل بعده الا دوام ما كان على ما كان ﴿ قوله ووعدا من حقه ان ينجز ﴾ على ان وعد الحق مصدر وعدكم اضيف الى الحق ليدل على اختصاصه على انه من اضافة المصدر الى مفعوله الذى هو الحق بمعنى الثابت وهو البعث والجزاء والاصل وعدكم الحق ثم ذكر المصدر لنكتة وهى ههنا تقرير انتفاء تسلطه عليهم وتحقيقه كما فى قول من قال

* ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب *

ادعى ان كون سيوفهم ذوات فلول من قبيل العيب ليتحقق به براءتهم من جميع العيوب وكذا القول ما تحية بينهم الا الضرب الوجيع فقد ادعى كون الضرب من انواع التحية للدلالة على ان لا تحية بينهم اصلا فكذلك المعنى ادعى ان التسويل والتزيين من انواع القهر والتسلط ليقرر ان لا تسلط عليهم اصلا ﴿ قوله اسرعتم اجابتى ﴾ اشارة الى ان استجاب واجاب وان كانا بمعنى واحد الا ان استجاب ابلغ كما مر فى قوله فاستعصم ونهاية مقالة اللعين وحاصلها الزائد فى قوله ما كان منى الا الدعاء والوسوسة وقد كنتم سمعتم دلائل الله تعالى وشاهدتم مجىء انبياء الله تعالى فكان الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولى ولا تلتفتوا الى دعوتى ووسوستى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم فى هذا الباب فالسلطان انما بمعنى الحجة والبرهان اى لم يكن الا مجرد الدعاء والوسوسة من غير اقامة حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه فتركتم اجابتهم وتبعتم ما دعوتكم اليه وقد كان مع الرسل البراهين واستجبتم لى بلا حجة وبرهان ويحتمل ان يكون المراد من السلطان الملك والقهر والغلبة ويكون المعنى ما كان لى عليكم من قهر وغلبة اقهركم واغلب عليكم الا الدعاء والوسوسة فاستجبتم لى طوعا وخالفتم حكم الله تعالى ودعوة النبى الصادق المصدق باختياركم فتركونى وحالى واشتغلوا بلوم انفسكم ولا بد فى توضيح هذا المقام من بيان ان مدخل الشيطان فى اى شىء مما يصدر من الانسان باختياره لتميز ما يلام عليه الانسان مما يلام عليه الشيطان فاعلم ان ما اسند الى الانسان من الترك والاتيان يتوقف على امور مرتبة يترتب بعضها على بعض ترتبا ضروريا الاول الشعور بذات الشىء الذى يتوجه الى ايقاعه او تركه ويترتب عليه تصور كونه خيرا ملائما له او شرا منافرا له وكونه غير ملائم ولا منافر ويترتب على تصوره باحد الوجوه المذكورة الميل الجازم الداعى الى الفعل او الترك وعدم الميل الى احدهما فانه اذا حصل له الشعور بكونه ملائما له يترتب عليه الميل الجازم الى الفعل وان حصل له الشعور بكونه منافرا له يترتب عليه الميل الجازم الى الترك وان لم يحصل الشعور لا بهذا ولا بذاك لم يحصل الميل لا الى الفعل ولا الى الترك بل يبقى كما كان ويترتب على حصول ذلك الميل الجازم مع التصميم القدرة والاستطاعة اليه وقوع الفعل وهذه الامور المرتبة لا مدخل للشيطان فى شىء منها الا فى ان يذكر مبيا كان الانسان غافلا عنه مثل ان يكون الانسان غافلا عن شأن امرأة وصورتها فيلقى الشيطان حديثها فى خاطره والشيطان لا قدرة له الا فى هذا المقام وهو عين ما حكى الله تعالى عنه انه قال ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اى ما كان لى الا مجرد هذه الدعوة واما بقية المواد فلم تصدر منى وما كان لى فيها اثر فظهر منه ان الشيطان الاصلى هو النفس لانه لولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب والعزم والجبل لم يكن لوسوسته تأثير البتة ﴿ قوله واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله ﴾ فانه بين ان الكفر والمعصية لو كانا من الله تعالى لوجب ان يقول فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وضعفه ظاهر فظاهر الآية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على الفعل مع الانسان ولا على تحريك اعضائه ولا على ازالة العقل منه كما يقوله القوم ﴿ قوله بمصرخكم من العذاب ﴾ اى بمنقذكم منه فان الصارخ هو المستغيث والمصرخ المغيث يقال

(وقال الشيطان لما قضى الامر) احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجز وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فاخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى (الا ان دعوتكم) الا دعائى اياكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله

تحية بينهم ضرب وجيع

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) اسرعتم اجابتى (فلا تلومونى) بوسوستى فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك (ولوموا انفسكم) حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا (ما انا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب

(صرخ)

صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اى اغثته ﴿قوله او على لغة من يزيد ياء الخ﴾ عطف على قوله على الاصل فى التقاء الساكنين فهو توجيه ثان لقرآءة حمزة بعد توجيهها بان ياء الاعراب ساكنة وياء المتكلم اصلها السكون فلما التقتا كسرت ياء المتكلم لالتقاء الساكنين هو تقرير الوجه الثانى لقرآءة الكسر ان ياء المتكلم تشبه هاء الضمير والجامع بينهما ان كل واحد منهما ضمير على حرف واحد وايضا ياء المتكلم لايخلو من ان تكون فى موضع النصب او الجر كاني اى وغلامى بالياء فى النصب والجر كالهاء فيهما والكاف فى اكرمنك وعذالك والهاء توصل بالواو اذا كانت مضمومة نحو لهو ضربتهو وبالياء اذا كانت مكسورة نحو غلامهى وتكسر بعد الكسرة والياء الساكنة نحو به وعليه فتزاد الياء بعد ياء المتكلم ايضا فيقال مصرخيي كما يقال بهى وفيهى ولم تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وتقول بكسر ياء المتكلم بعد الكسرة كما كسرت الهاء بعدها فى نحو به ولذلك قد تلحق الزيادة بعد كاف الخطاب فيقال اعطيتكاه واعطيتكيه فكذا تزاد الياء بعد ياء المتكلم تشبيها لها بالكاف فيما ذكر ثم تحذف الياء كما ذكر وقيل زيادة الياء بعد ياء المتكلم لغة بنى يربوع فيزيدون ياء اجرآء لها مجرى الهاء والكاف بعدها حيث زادوا على الهاء الواو وعلى الكاف الالف والياء نحو ضربتهو واعطيتكاه واعطيتكيه فالاصل فى قرآءة حمزة اثبات ياء بعد الياء المشددة فحذفت الاخيرة الزآئدة تخفيفا واكتفاء بالكسرة فبقى مصرخى واستشهدوا على زيادة الياء بعد ياء المتكلم بقول من قال

قال لها هل لك ياتافي ۞ قالت له ما انت بالمرضى ۞

اى هل لك يا هذه فى والاستشهاد فى ياء فى وقوله يا تا اسم اشارة المؤنث ﴿قوله نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا﴾ يريد ان ما على تقدير ان تكون موصولة يراد بها الله عز وجل وكلمة ما لاتستعمل فى ذوى العلم موصولة الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقولهم سبحان ما سخركن لنا اى سبحان العظيم الشأن الذى سخر امثالكن لنا وارتباط قول اللعين انى كفرت بما اشركتمون بالمقام على تقدير كونها مصدرية ظاهر لانه لما ابى مايلية من الشماتة تبرأ منهم ومن اشراكهم واما على تقدير كونها موصولة وكون المعنى انى كفرت بالله الذى اشركتمونى به من قبل كفركم فوجه ارتباطه انه تعليل وتأكيد لقوله فلا تلومونى كأنه يقول لاتأثير لوسوستى فى كفركم بدليل انى كفرت بالله قبل ان وقعتم فى الكفر وما كان كفرى بوسوسة احد والالزم التسلسل فثبت بهذا ان منشأ الكفر شئ آخر سوى الوسوسة وهو ترك العمل بالحجة والبرهان واتباع شهوات النفس وترجيح حظوظها الباطلة ويحتمل ان يكون تعليلا لقوله وما انتم بمصرخى كأنه يقول لاتعتمدوا على اعانتى لان كفرى قبل كفركم ﴿قوله وقرئ ادخل﴾ يعنى ان العامة قرأوا وادخل على لفظ الماضى المبنى للمفعول لعطفه على برزوا او على قوله فقال الضعفاء وقرئ على لفظ المضارع المسند الى المتكلم فقوله باذن ربهم على قرآءة العامة يتعلق بادخل او بقوله خالدين ولا وجه لتعلقه بادخل فى القرآءة الاخرى لان قوله وادخل الذين باذن ربهم لا وجه له لان المتكلم هو الله تعالى ولا معنى لادخال الله تعالى باذن نفسه فالوجه حينئذ ان يتعلق بما بعده فان تحيتهم مصدر مضاف الى مفعوله اى يحييهم الله او الملائكة او الى فاعله اى يحيى بعضهم بعضا وايا ما كان يجوز ان يتعلق به الجار وفيه بحث وهو ان معمول المصدر لايتقدم عليه فالاحسن ماروى عن ابن جنى انه قال قوله وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم قطع للكلام واستئناف كأنه قال الله تعالى وانا ادخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار باذن ربهم اى باذنى الا انه اعاد ذكر الرب على سبيل الالتفات من التكلم الى الغيبة ليضيفه اليهم فانه ارحم عليهم وادخل فى الاكرام والتقرب منهم ومايقال انه متعلق بخالدين لايدفع المحذور لان خلاصة الكلام حينئذ تكون هكذا وانا ادخلهم جنات مقدرا خلودهم باذن ربهم وهذا كلام ركيك لايندفع ركاكته الا بما روى عن ابن جنى ﴿قوله كيف اعتمده﴾ اى بمعنى جعله عمادا يعتمد عليه الهمام المعنى يريد ان ضرب متعد الى واحد لكونه بمعنى اعتمد الازهرى اعتمده واعتمد عليه بمعنى وقيل انه من ضرب البلد اذا قصده والظاهر انه من ضرب الخاتم ونحوه وصرح به فى قوله ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا واراد ان يظهر مقاربته لاصل معنى الضرب بانه اعتماد فاعتمده بمعنى قصده وقصده مثلا ووضعه ولفظة كلمة على هذا منصوبة بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون انتصابها بالمثل لانه بمعنى الممثل به وفيه ان المثل بمعنى الممثل به والكلمة الطيبة ليست بممثل بها

(وما انتم بمصرخى) بفتح وقرأ حمزة بكسر
الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض فى امثاله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث
كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذ
لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لاتكسر
وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة
اجرآء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته
واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسر
(انى كفرت بما اشركتمونى من قبل) بالما
مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى انى
كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا
اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكر
كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او
موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان
ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت
بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام
وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امر
بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واشرك
منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول
ثان (ان الظالمين لهم عذاب اليم) تتمة كلام
او ابتدآء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال
ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله
تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ
ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم
متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) اى تحييهم
الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (الم تر كيف
ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضعه
(كلمة طيبة كشجرة طيبة) اى جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله
مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا
وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى
هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب
اجرآء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على
الابتدآء (اصلها ثابت) فى الارض ضارب
بعروقه فيها (وفرعها) واعلاها (فى السماء)

فانه تعالى لم يضرب الكلمة مثلا بل ضرب لها مثلا فلعل تفسير المثل بالمثل او على حذف مضاف اى ذا مثل وقوله كشجرة حينئذ امافى محل النصب على انه صفة كلمة او فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ثم اشار الى ان ضرب يحتمل ان يتعدى الى مفعولين لكونه بمعنى صير وجعل عند استعماله مع لفظ المثل ﴿ وقرئ ﴾ كلمة بالرفع يكون مبتدأ خبره كشجرة ﴿ قوله ويجوز ان يريد وفروعها ﴾ عطف على قوله اعلاها بمعنى ان الفرع يجوز ان يحمل على اعلى الشجرة او على اغصانها بان يكتفى باسم الجنس عن الجمع الجوهرى فرع كل شئ اعلاه ﴿ قوله والاوّل على اصله ﴾ اى كون اصلها مبتدأ وثابت خبر موافق لاصل المعنى وهو اثبات وصف الثبات له وهو الاصل دون الشجرة فان المعبر عنه بالثبات فى الحقيقة انما هو الاصل سوآء جعل الاصل مبتدأ وثابت خبره او جعل ثابت صفة كشجرة ورفع اصلها على انه فاعل ثابت وتوصيف الشجرة بثابت من قبيل توصيف الشئ بحال سببه فيكون اجرآء الوصف على غير ماهو له بخلاف ما لو جعل اصلها مبتدأ وثابت خبره فانه توصيف للاصل بحال نفسه واجرآء الوصف على ماهو له فيكون الكلام حينئذ جاريا على اصله ولعل الثانى ابلغ لان ثابت اصلها صفة كشجرة واصل الصفة ان تكون اسما مفردا لان الجملة اذا وقعت صفة حكم على موضعها باعراب المفرد فاذا قيل كشجرة طيبة ثابت اصلها فقد جرت الصفة على اصلها واذا قيل اصلها ثابت فقد وضعت جملة موضع المفرد وهو خلاف الاصل والمراد من كون الشجرة طيبة يكون بكونها طيبة الصورة والمنظر وبكونها طيبة الرآئحة وبكونها طيبة الاصل والثمرة بان يكون ظلها كثيفا قويا وثمرها لذيذا مستطابا كثير الخواص والمنافع ولا وجه لتخصيص بعض هذه الوجوه بالارادة ومثل هذه الشجرة اذا كان اصلها راسخا فى الارض وكان فرعها مرتفعا يكون شأنها مناقضا لسرعة هلاكها وانقطاع الابتهاج بها فيعظم فرحه وسروره بسبب الفوز بها ثم ان ارتفاع اعلاها واغصانها يدل على كمال تلك الشجرة من وجهين الاوّل ان ارتفاع الاغصان وقوّتها يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق والثانى انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الارض وقاذوراتها فتكون ثمراتها حاضرة دآئمة فى جميع الاوقات وتكون فى غاية الشرف والكمال بحيث تعظم رغبة كل عاقل فى تحصيل مثلها فشبه الله تعالى الكلمة الطيبة بهذه الشجرة ترغيبا للمكلفين فى تحصيلها ثم قال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان فى ضرب الامثال زيادة الافهام لان المعانى العقلية محضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يماثلها من المحسوسات ترك الحس والخيال المنازعة والمدافعة للعقل فيحصل الفهم التام ثم شبه الكلمة الخبيثة التى لا يعضدها حجة ولا يؤيدها عقل ولا نقل بالشجرة الخبيثة الكثيرة المضار الخالية عن المنافع فاشار الى كثرة مضارّها بقوله خبيثة والى خلوّها عن المنفعة بقوله اجتثت من فوق الارض مالها من قرار والكشوث نبت يتعلق باغصان الشجرة من غير ان يضرب بعرق فى الارض قال الشاعر

هو الكشوث فلا اصل ولا ورق ❁ ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر ❁

والكلمة التى تعرب عن الحق يثبت اصلها ودليل حقيتها فى قلب المؤمن ويرتفع مايترتب عليها من الاعمال الصالحة الى السماء ويغتنم المؤمن بركاتها وثوابها فى كل وقت وزمان والكلمة الخبيثة تخالفها حينئذ فى جميع ذلك لما مثل الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الموصوفة بين انه تعالى يثبت المؤمن بسببها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال يثبت الله الذين آمنوا والباء فى قوله بالقول الثابت للسببية وهو متعلق بقوله يثبت وكذا قوله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والمقصود بيان ان الثبات على الكلمة الطيبة يوجب الثبات فى الثواب والكرامة من الله فى الدنيا والآخرة روى ان جرجيس كان من الحواريين من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام علمه الله الاسم الذى يحيى به الموتى وكان بارض الموصل جبار عنيد يعبد الصنم فدعاه جرجيس الى عبادة الله تعالى ونهاه عن عبادة الصنم فامر به فشدّ رجلاه ويداه ودعا بامشاط من حديد فسرح بها جسده وبدنه ثم صب عليه الماء المالح فصبره الله تعالى عليه ثم دعا بمسامير من حديد فسمرها فى عينيه واذنيه فصبره الله عليه ثم دعا بحوض من نحاس فاوقد تحته حتى ابيض ثم القى فيه والحق رأسه فجعله الله تعالى له بردا وسلاما وزاده حسنا وجمالا ثم قطع اعضاءه اربا اربا فاحياه الله ودعاهم الى الله واحيى الموتى ولم يؤمن الملك فاهلكه الله تعالى مع قومه بان قلب المدينة عليهم وجعل عاليها سافلها واما شمعون العابد فكان من رهبان النصارى وكان رجلا شجاعا يحارب عبدة الاصنام من اهل الروم ويدعوهم الى الدين الحق وكان يكسر بنفسه جنودا مجندة واحتال عليه ملك الروم بانواع من الحيل ولم يقدر عليه الى ان صرح الى امرأته بمواعيد فسألته فى وقت خلوة عن حاله كيف يغلب عليك فقال ان اشد بشعرى فى غير حال الطهارة فانى حينئذ

ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاوّل على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين) أقته الله تعالى لاثمارها (باذن ربها) بارادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس (ومثل كلمة خبيثة كشجرة) كمثل شجرة (خبيثة اجتثت) استؤصلت واخذت جثتها بالكلية (من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا مايعم ذلك (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم (فى الحياة الدنيا) فلا يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود

يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي منادٍ من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن (ويفعل الله ما يشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا)

اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فاما بنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا الى حين (واحلوا قومهم) الذين شايعوهم في الكفر (دار البوار) دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها) حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين حرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم (وبئس القرار) اي وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله) الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو وورش عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض (قل تمتعوا) بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله (فان مصيركم الى النار) وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع (قل لعبادي الذين آمنوا) خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من امر تبالا *

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا

لم اقدر على الملك فاجتمعوا به في صعيد واحد وشنوه كذلك واتقوه من قصر الملك فهلك واما اصحاب الاخدود فقد روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعده يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فسأله الملك من ابرأك فقال ربي فغضب الملك فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بمنشار فهلك من معه ونجا فاجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع السهم في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد اوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي امه اصبري فانك على الحق فاقتحمت ﴿قوله فلا يتلعثمون﴾ اي لا يتمكثون يقال تلعثم الرجل في كلامه اذا تمكث فيه وتأنى ﴿قوله اي شكر نعمته﴾ قدر المضاف لان الكفر المذكور بجنب النعمة يراد به الكفران ومقابله الشكر واعلم ان بدل يتعدى الى مفعولين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بواسطة الباء وان المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار وقد يحذف حرف الجر فيتعدى الفعل اليهما بنفسه كما في هذا المقام والمجرور بالباء ههنا هو النعمة لانها هي المتروكة والذي تعدى الفعل اليه بنفسه هو الكفران فهو المفعول الاول ﴿قوله واحلوا قومهم وقوله وجعلوا لله اندادا﴾ معطوفان على الصلة وهي قوله بدلوا نعمة الله وصفهم اولا بانهم كفران نعم الله تعالى على شكرها وثانيا بانهم اضلوا قومهم وحملوهم على الكفر الذي اداهم الى جهنم وثالثا بانهم جعلوا لله المستجمع لجميع صفات الكمال اشباها وشركاء والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول واللام في ليضلوا سواء قرئ بفتح الياء او ضمها لام العاقبة لان كلا واحدا من الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد وعاقبته ﴿قوله وفي التهديد بصيغة الامر﴾ لما كانت صيغة الامر موضوعة لطلب الفعل ولو على طريق الندب والاباحة وكان التمتع بالشهوات غير مطلوب وجه فضلا عن ان يكون وسيلة الى مطلوب آخر وهو كون المصير الى النار جعل المصنف صيغة الامر للتهديد كقول الطبيب للمريض الذي خالف امره بترك الاجتناب عما يضره بعد ما امره الطبيب به مرات كل ما شئت فان مصيرك امرك الى الموت يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هو عليه ويقبل قول الطبيب فكذلك الله تعالى ترك الكفار وخلاهم وانفسهم قائلا تمتعوا والمقصود ردعهم عن تلك الحالة ثم بين ان فائدة تخصيص صيغة الامر لتأدية معنى التهديد امران الاول ان ترتب المهدد عليه على المهدد به ايذان باستعارة تمثيلية شبه حال المخاطب في انهماكه في التمتع المؤدي الى النار بحال من امر بالتمتع من قبل الآمر المطاع الذي ليس في وسع المخاطب مخالفته فاطلق في حقه العبارة الواقعة في حق المشبه به فقيل في تهديده تمتعوا والثانية ايذان بان كل واحد من المهدد عليه وبه واقع لا محالة بحيث يترتب الثاني على الاول ﴿قوله ويجوز ان يقدر بلام الامر﴾ عطف على قوله ومقول قل محذوف اي ويجوز ان لا يكون مقوله محذوفا بل يحتمل ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين بلام الامر المقدرة ويكون التقدير ليقيموا ولينفقوا ليصح كونهما مقول القول كما تقول قل لزيد يضرب عمرا فانه قد يحذف الجازم ويبقى عمله ولما ورد ان يقال كيف يجوز حذف لام الامر مع ان اهل اللغة وضعوا لامر المخاطب صيغة مخصوصة ووضعوا لام الامر دلالة على ان المأمور ليس بمخاطب فلا يجوز ان يقال يضرب زيد ويراد امر زيد بالضرب لان المعاني انما تستفاد من الالفاظ الموضوعة للدلالة عليها وعند حذف الدليل كيف ينتقل الذهن الى المدلول اجاب عنه بقوله وانما حسن ذلك اي انما حسن حذف لام الامر في هذه الآية مع انه لا يحسن حذفها في نحو قول الشاعر

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من امر تبالا *

لدلالة قل عليه اي على ان المراد امر الغائب يعني حسن حذف لام الامر هنا لقيام ما يقوم مقامها في الدلالة على ان المراد امر غير المخاطب وهو قوله قل فانه امر للنبي المخاطب فهو يدل على ان المأمور بقوله يقيموا وينفقوا غير المخاطب فيكون قائما مقام اللام في الايذان بان الامر لغير المخاطب فحسن حذف لام الامر به وفي قوله ويجوز اشارة الى ضعفه لان حذف الجازم واتفاء عمله نادر كحذف الجار فالمختار هو الوجه الاول وهو ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين على انهما جواب قوله قل ويدلان على مقوله المحذوف والمعنى قل لهم اقيموا الصلاة وانفقوا

فانك ان تقل لهم ذلك يقيموا الصلاة وينفقوا الشرط مطاوعتهم اياك وضعف وجه ان يكونا مجزومين على انهما جواب اقيموا وانفقوا المحذوفين والتقدير اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا ووجه ضعفه امران الاول ان جواب الشرط لا بد ان يخالف نفس الشرط اما في الفعل او في الفاعل او فيهما ولا يجوز كونه مثل الشرط في الفعل والفاعل كقولك قم تقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا وان ينفقوا ولا وجه له والامر الثاني انهما على تقدير كونهما جواب المقول المقدر يكون من قبيل اسلم يسلم في ان يجاب امر المخاطب بلفظ الغيبة وهو انما يجوز اذا كان فاعل الشرط غير فاعل الجزاء واما اذا اتحدا كما في قولك اسلم تسلم او كان حكاية كما في مانحن فيه فحينئذ يجوز ان يجاب بلفظ الغيبة كما تقول قل لعبدي اطعني يطعك ﴿قوله اي انفاق سر وعلانية﴾ على الاضافة البيانية فان كل واحد من السر والعلانية لما كان نوعا من الانفاق جاز وقوعه موقع الانفاق ﴿قوله اي ذوي سر﴾ وهو احد التأويلات الثلاثة المذكورة في رجل عدل ويجوز فيه التأويلان الآخران ايضا وهما ان يجعلوا نفس السر والعلانية مبالغة وان يقام سرا وعلانية مقام مسرين ومعلنين ﴿قوله فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره﴾ اشارة الى ان فائدة تقييد الانفاق بقوله من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى يبتاع ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامح اخلاؤكم به اي بما تنفقونه وقوله او يفدي به نفسه عطف على قوله يتدارك به اي ليس فيه بيع حتى يبتاع ما يعطيه فداء لنفسه فيخلصها من العذاب وليس فيه خلة ومصادقة حتى يشفع خليل لخليله فينجيه من العذاب ﴿قوله او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة﴾ لما كان اهل الدنيا يخصون بالانفاق الواقع في عقد المعاوضات بان يعطوا شيأ من المال ليأخذوا ما يرغبون فيه عوضا عنه وفي عقد التبرعات الواقعة بين الاصدقاء على طريق المهاداة بان يعطوا شيأ على وجه الهدية ليستحضروا بذلك ما هو خير منه في حث الله تعالى اي الانفاق الواقع لوجه الله تعالى بان يشترك في المنفعة التي تترتب على هذا الانفاق الواقع في عقد المعاوضة والمهاداة فالمعنى بقوله تعالى لا بيع فيه ولا خلال هو نفي فائدتهما ومنفعتهما المترتبة عليهما فعلى هذا المقصود من الآية الحث على الانفاق الواقع في عقد المبايعة ومهاداة الاخلاء ونفي الانتفاع في ذلك اليوم بهما كناية عن الانتفاع بفائدتهما وحصول المعنى على الوجه الاول ان الانفاق امر مطلوب في نفسه فليغتنموه قبل ان يفوت وقت هذا المطلوب ولا يدركه الطالب وعلى الثاني ان الانفاق الذي يتصور منكم في الدنيا يكون على ثلاثة اوجه لا تنتفعون بشيء منها في الآخرة الا ان يكون على الوجه الثالث والخلال المخالة وهي المصاحبة والمصادقة يقال خاللته خلالا ومخالة وقيل الخلال جمع خلة كبرمة وبرام فان قيل كيف نفى المخالة في هذه الآية مع انه تعالى اثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فالجواب ان الآية الدالة على نفي المخالة محمولة على المخالة بمثل ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخالة محمولة على المخالة بسبب عبودية الله ومحبة الله ثم انه تعالى لما ذكر احوال السعداء واحوال الاشقياء وكانت معرفة احوالهما منوطة بمعرفة الصانع بذاته وصفاته ختم وصف احوالهما بذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة انواع من الدلائل وهي خلق السموات وخلق الارض واخراج الثمرات بسبب انزال الماء من السماء وتسخير الفلك تجري في البحر وتسخير الانهار وتسخير الشمس وتسخير القمر وتسخير الليل وتسخير النهار واعطاء البعض من جميع ما يطلبه فانه كما نبه بهذه الدلائل الدالة على سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وعظمها واهوالها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض ذكر ثانيا انعمه التي انعمها علينا اذ تسخير هذه الاشياء منادي بذلك ﴿قوله وانزل من السماء ماء﴾ فيه قولان الاول ان الماء ينزل من السحاب وسمي السحاب سماء للاشتقاق من السمو والارتفاع والثاني انه ينزل من نفس السماء وهو بعيد لان الانسان ربما يكون واقفا على جبل عال ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه واذا كان هذا مما يشاهد بالبصر كان النزاع فيه انكارا للمحسوس ولفظ الثمرات يطلق في الاغلب على ما يحصل من الاشجار ويطلق ايضا على الزروع والنباتات ﴿قوله تعيشون به﴾ اشارة الى ان الاضافة الى الله في انتفاع التعيش معتبرة في مفهوم الرزق فان الرزق عند الاشاعرة اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان لينتفع به سواء كان بالتغذي او بغيره مباحا كان او حراما مملوكا كان او غير مملوك وهذا التفسير اجمل من تفسيره بما يسوقه الله الى الحيوان ليأكله لاختصاصه بالمأكول ومن تفسيره بما يتغذى به الحيوان لذلك ولخلوه عن معنى الاضافة الى الله مع انه معتبر

(سرا وعلانية) منصوبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه (ولا خلال) ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام (الله الذي خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره) بمشيئته الى حيث توجهتم

فى مفهوم الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بما كول يأكله المالك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به وذلك لا يكون الاحلالا ويلزم على التفسير الاوّل ان لا يكون ما يأكله الدواب رزقا وعلى التفسيرين يلزم ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا ﴿ قوله فجعلها معدة لانتفاعكم ﴾ يعنى ان الاصل فى التسخير تذليل الحيوان فجعله منقادا لما اريد منه وهو فى غير الحيوان مجاز عن جعله معدّا لان ينتفع به من يريد الانتفاع به فيصير بذلك كأنه حيوان مسخر للانتفاع ﴿ قوله يدأبان ﴾ اى يدأبان ويستمران ويجريان ابدا فيما يسعد اليهما من الاصالح يقال دأب فلان فى عمله دؤوبا اى جدّ وتعب ﴿ قوله ان المسئول فى الاوّل ازالة الخوف عنه ﴾ لاجعله بلدا آمنا لان هذا فى قوله هذا البلد آمنا اشارة الى البلد والمشار اليه لا بدّ ان يكون موجودا فى وقت الاشارة وهو وقت الدعاء فتكون البلدية موجودة وقت الدعاء فلا تكون داخلة تحت الطلب وانما المطلوب صفة الامن وانما لا تكون مادّة البلد داخلة تحت الطلب لانه طلب تحصيل الحاصل وان قلت اجعل هذا بلدا آمنا لا يكون المشار اليه بهذا البلد بل يكون المشار اليه موضعا مبهما والمعنى اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وطلب جعله من الآمنة لا يستلزم ان يكون فى وقت الدعاء بلدا بل يجوز ان لا يكون بلدا ويكون المسئول ان يجعله بلدا موصوفا بالامن ويجوز ان يكون بلدا والمسئول مجرّد صفة الامن كما يقال كن رجلا فقيها فانه يكون المطلوب مجرّد الاتصاف بالفقاهة وذكر رجلا للتصريح بالذات التى يجرى عليها الاسم المشتق وهو الفقيه ثم ان كان الدعاء واحدا وعبر عنه بعبارتين مختلفتين فلا بدّ ان يحمل ما فى سورة البقرة على ما فى هذه السورة ويحمل المطلوب صفة الامن فقط وان تعدّد الدعاء يجوز ان يكون اجعل هذا بلدا آمنا فى وقت عدم تحقق البلدية ويكون المطلوب البلدية مع صفة الامن فقد قال صاحب الكشف فى تحقيق المقام انه اذا قلت اجعل هذا حاكما حسنا فقد اشرت الى المادّة وسألت ان يسبك منها حاكما حسنا واذا قلت اجعل هذا الحاكم حسنا فقد عمدت نحو الحسن دون الحاكمية وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثانى الكائن بمنزلة الخبر ثم قال وفيه ان المصنف قدّر فى البقرة هذا البلد بلدا آمنا فلا يلوح فرق والجواب ان المسئول البلدية مع الامن فقوله فى التقدير هذا البلد اشارة الى الحاضر فى الذهن لا الى الكائن فى الخارج بخلاف ما نحن فيه ﴿ قوله وقرئ واجنبنى ﴾ بقطع الهمزة يقال جنبه شرا واجنبه شرا ثلاثيا ورباعيا وهى لغة نجد وجنبه شرا مشددا وهى لغة الحجاز ﴿ قوله وهو بظاهره لا يتناول احفاده ﴾ اى اولاد اولاده بجمع حافد وهو ولد الولد يعنى ان قوله وبنىّ اراد به بنيه من صلبه لان الظاهر من الآية انه عليه الصلاة والسلام اراد بنيه من غير واسطة ولو صلح فاين دليل الاجابة حتى يستدل بقوله واجنبنى وبنىّ على ان احدا من احفاده لم يعبد الصنم مع ان قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين يدل على ان فيهم من هو كذلك وايضا قد حكى الله تعالى عن قريش عبادتهم الاصنام فى مواضع من القرآن ولا يقبل التعليل فى مقابلة النص لان حفدته لو دخلوا فى دعائه عليه الصلاة والسلام لما اشرك احدهم مع ان كفار قريش كانوا من حفدته ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انه تعالى لا يردّ دعاء الانبياء قال الامام فى هذه الآية اشكال من وجوه احدها ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دعا ربه ان يجعل مكة بلدا آمنا وما قبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة واغاروا على مكة وثانيها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعبدون الوثن البتة واذا كان كذلك فما الفائدة فى واجنبنى عن عبادة الاصنام وثالثها انه طلب من الله تعالى ان لا يجعل ابناءه من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من اولاده ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قيل انهم ما كانوا ابناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما كانوا ابناء ابنائه والدعاء مخصوص بالابناء فنقول ان كان المراد بقوله وبنىّ ابناءه من صلبه فهم اسماعيل واسحق وما كانا الامن اكابر الانبياء وقد علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم فقد عاد الاشكال فى انه ما الفائدة فى ذلك الدعاء ثم اجاب عن السؤال الاوّل من وجهين الاوّل انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء والثانى هو ان المراد جعل اهلها آمنين كقوله واسأل القرية اى اهلها وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين فان مكة قد اختصت بمزيد الامن الاترى ان الخائف وصاحب الجريمة كان اذا التجأ الى مكة امن وكان الناس مع شدة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن ذلك امن الوحوش فانهن لا ينفرن اذا كن بمكة ويستوحشن عن الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل فى مكة فوجب حمل الدعاء عليه والجواب عن السؤال الثانى قال الزجاج معناه ثبتنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اى ثبتنا على الاسلام ثم قال ولقائل ان

(وسخر لكم الانهار) فجعلها معدّة لانتفاعكم
وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم
كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر
دآئبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح
ما يصلحانه من المكوّنات (وسخر لكم الليل
والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم
(وآتاكم من كل ما سألتموه) اى بعض جميع
ما سألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان
الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله
ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل
لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل
ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية
ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل
بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم
اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون
ما نافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ
غير سائليه (وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها)
لا تحصروها ولا تطيقوا عدّ انواعها فضلا
عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل
على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
(ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال
شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان
(كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم فى
الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع
ويمنع (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد)
بلد مكة (آمنا) ذا امن لمن فيها والفرق بين
وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول
فى الاوّل ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا
وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة
(واجنبنى وبنىّ) بعدنى واياهم (ان نعبد
الاصنام) واجعلنا منها فى جانب وقرئ
واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز
فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة
الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره
لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن
عيينة ان اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام
لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة
يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون
البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته

يقول السؤال باق لانه لما كان من المعلوم انه تعالى ثبت الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الاجتناب عن عبادة الاصنام فما الفائدة في هذا السؤال ثم قال والصحيح عندي في الجواب وجهان الاول انه عليه الصلاة والسلام وان كان يعلم انه تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك هضما للنفس واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى في كل المطالب والثاني ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك جلي وهو ما عليه المشركون وشرك خفي وهو تعلق القلب بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو ان ينقطع العبد نظره عن الوسائط ولا يرى متوسطا بينه تعالى وبين الممكنات الحادثة فيحتمل ان يكون مراده بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام هذا الشرك الخفي والله اعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث من وجوه الاول ما قال صاحب الكشاف من ان قوله وبني اراد به بنيه من صلبه والفائدة في هذا الدعاء عين الفائدة التي ذكرناها في قوله واجنبني والثاني ان بنيه يتناول اولاده واولاد اولاده الذين كانوا موجودين في حال الدعاء ولا شك ان دعوته مجابة فيهم والثالث ما قاله مجاهد من انه لم يعبد احد من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام صنما وانما عبد الوثن فان الصنم هو التمثال المصور وما ليس بمصور فهو وثن وكفار قريش ما عبدوا التماثيل وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوي لانه عليه الصلاة والسلام لا يريد بهذا الدعاء الا عصمتهم عن عبادة غير الله والحجر كالصنم في ذلك والرابع ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية فمن تبعني فانه مني وذلك يدل على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ولا من اولاده والخامس انه عليه الصلاة والسلام وان دعا في حق ابنائه الصلبية وحفدته الا انه تعالى اجاب دعاءه في حق البعض دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين الى هنا كلام الامام ﴿ قوله فانه مني اي بعضي ﴾ لا يريد ان من في قوله مني تبعيضية وان صرح بلفظ البعض بل يريد انها اتصالية كما في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ولهذا فسر معنى البعضية بقوله لا ينفك عني في امر الدين اي فكان بذلك كأنه بعض مني ﴿ قوله وفيه دليل على ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره ﴾ لان هذا الكلام من ابراهيم عليه الصلاة والسلام شفاعة منه في حق اهل العصيان مطلقا بان يغفر لهم ويرحمهم باي وجه كان ولا شك ان مطلق المعصية يتناول الشرك وما دونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل عليه تعالى لما وقعت هذه الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام كأنه يقول فانك تقدر على ان تغفر او ترحم للمشرك مع عظم جرمه فضلا عن سائر العصاة فاسألك ان تغفر وترحم من لا تكون مغفرتهم ورحمتهم منافية لحكمتك وفي الوسيط قال قوله عليه الصلاة والسلام ومن عصاني فانك غفور رحيم معناه ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وقال ابن الانباري ويحتمل ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابيه وقال الامام هذا القول من ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق اهل الكبائر من امته لا في اسقاط عقاب الكفر والشرك لانه عليه الصلاة والسلام قال في مقدمة هذه الآية واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ولما تبرأ من الكفر بهذا الاجتناب دل على انه لا يجوز الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر وبذلك دل على انه ليس مراده الشفاعة في حق المشركين ﴿ قوله الذي حرمت التعرض له ﴾ ذكر لتوصيف البيت المحرم ثلاثة اوجه مبني الوجه الاول على كون المحرم من التحريم الذي هو ضد التحليل ووصف البيت بكونه محرما مبالغة في توصيفه بحرمة اهانته والتعرض له بسوء ومبنى الوجه الآخر ليس على كونه من التحريم بالمعنى المذكور وانما هو بمعنى المنع كما في قوله وحرمنا عليه المراضع فانه ليس بمعنى لا يحل له المراضع بل هو بمعنى المنع اي منعناها منه ليرده الى امه فكذا قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع عن اهله حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك على الغلبة عليه او الممنوع منه الطوفان ﴿ قوله ودعاؤه بهذا الدعاء اول ما قدم ﴾ جواب عما يقال اسكان الخليل اسماعيل بمكة قبل بنائها الكعبة فكيف يصح له عليه الصلاة والسلام ان يقول اسكنت بواد عند بيتك المحرم واجاب عنه بان مراده عند بيتك الذي حدث في هذا الوادي فقوله غير ذي زرع توصيف للوادي باعتبار ما كان عليه وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف له باعتبار ما سيحدث فيه وهذا التقرير مبني على ما وجدت في نسخة مطالعتي وهو باعتبار ما كان وما سيؤول اليه الوادي دون اليه ثم ظهر في نسخة اخرى فيكون قوله اول ما قدم معناه اما على ما كان قبل الطوفان واما على ما سيحدث ببنائه وعلى هذا الجواب يجوز ان يكون دعاؤه هذا بعد بنائه البيت حال كبر اسماعيل عليه الصلاة والسلام كما ذكر الامام في جواب

(ربنا انهن اضللن كثيرا من الناس) فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعني) على ديني (فانه مني) اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره (ربنا اني اسكنت من ذريتي) اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذي زرع) يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت (عند بيتك المحرم) الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعاؤه بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه وروي ان هاجر كانت لسارة رضي الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت

(ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقام الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها (فاجعل افئدة من الناس) اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد (تهوي اليهم) تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لانبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والالتجاء الى الله تعالى (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) لان العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) اي وهب لي وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية (اسماعيل واسحق) روي انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة

السؤال الاول من انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء وفي التيسير قيل ان هذا الدعاء كان بعد بنائه وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله تعالى ابان له موضع البيت فصحت اشارته اليه **قوله** ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة البلقع الارض القفراء التي لاشئ بها والقفراء مفازة لانبات بها ولاماء والارتفاق الانتفاع والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد النفي مستفاد من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اي ليقيموا من اسكنتهم هذا المكان البلقع اخبر اولا بانه اسكنهم بواد قفر وادعى فيه حاجتهم الى الوافدين واشار بقوله عند بيتك المحرم الى ان وجه الايثار انما هو شرف الجوار ثم اخبر ثانيا بانه انما آثر ذلك الموضع ليعمروا حرمك المحرم باقامة الصلاة المعروفة وما اشتمل عليه من الاذكار والدعوات او باداء العبادات والقربات مطلقا وتخصيص الصلاة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الحقيقة النوعية من ذكر الكل ودل على اسكانهم في الوادي المذكور لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل افئدة من الناس ويدل على ان ليقيموا غير متعلق باسكنت المذكور تخلل ربنا ثانيا بين الفعل ومتعلقه وهذا ابين الا ان قول المصنف وتكرير النداء وتوسيطه صريح في انه متعلق بالمذكور فلا يكون الكلام حينئذ مشتملا على شئ من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر حينئذ الا من اسلوب الكلام وسياقه فانه عليه الصلاة والسلام نفى اولا ان يكون اسكانهم في ذلك الوادي لاجل التوسع في اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذي زرع ثم بالوصف بكونه عند بيت الله الحرام دل ذلك على انه انما آثر ذلك الموضع بالاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتبتل اليه والتبرك بشرف جوار بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله ربنا اشعر ذلك بما له كمال الاهتمام بشأن المطلوب المدعو له وبحالة هذه الامور ولما عين اسكانه في الوادي المذكور بقوله ليقيموا دل ذلك على ان المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرب الى الله تعالى بالاشتغال بالصلاة التي هي عماد الدين **قوله** او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي القلب الكائن مني وافئدة كائنة من الناس والمصنف نكر لفظ الناس حيث قال اي افئدة ناس مع انه في الآية معرف باللام لان الافئدة في الآية وقعت منكرة ولما اراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس اضاف الافئدة اليهم ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير افئدة في الآية فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من تنكير المضاف في مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع فمعنى افئدة ناس اي ما يطلق عليه لفظ ناس وهو معنى قوله افئدة من الناس وان كان لفظ الناس المعرف باللام في هذا التعبير محمولا على العموم **قوله** وقرأ هشام افئيدة قيل حصلت الياء باشباع كسرة الهمزة ورد بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة الشعر فكيف يحمل عليه افصح الكلام مع ان هشاما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين وظن زيادة ياء بعد الهمزة ليس بشئ لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا وقرئ آفدة على وزن عابدة اما على تقديم الهمزة على الفاء او على ان يكون اسم فاعل من افد الرجل بالكسر يافد افدا اي عجل فهو آفد على فاعل اي مستعجل وافد الرحيل اي دنا وازدلف فقوله آفدة على هذا صفة محذوف اي فاجعل جماعة آفدة يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة على ان اصلها افئدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين وقيل فيه نظر لان الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها حيث كان حرفا صحيحا انما يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وحذفها كما في مسلة وخب في مسألة وخبء ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه ساكن واجتماع ساكن وشبه ساكن كاجتماع ساكنين **قوله** ويجوز ان يكون من افد اي من افد يأفد افدا فهو افد على وزن فعل كفرح فالمعنى فاجعل جماعة افدة يعجلون نحوهم **قوله تعالى** تهوي اليهم مفعول ثان لجعل وقرأ العامة بكسر الواو من هوى بفتح الواو يهوي بالكسر هويا اي سقط من اعلى الى اسفل والمعنى ههنا تسرع اليهم وقيل تحن اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تهوى بفتح الواو من هوى بكسر الواو يهوى بفتحها هوى اي احب وهو يتعدى بنفسه وعدي بالى لتضمينه معنى الميل وقرئ تهوى بضم التاء وفتح الواو على بنائه للمفعول من اهوى المنقول من هوى اللازم اي يسرع بها اليهم **قوله** وقيل ما نخفي من وجد الفرقة اي من اسماعيل وامه وهو عطف على قوله تعلم سرنا وعلانيتنا بجعل نخفي ونعلن اولا عامين من قبيل يعطي ويمنع تقيما لحسن الطلب ثم قدر لكل منهما معنى على حدة **قوله تعالى** الحمد لله الذي وهب لي على الكبر الآية قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام في وقت آخر لا عقيب ما تقدم من الدعاء لان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك اول ما قدم مهاجرا وابنها وهي ترضعه

ووضعها عند البيت واسحق مولود في ذلك الوقت فقد روي انه عليه الصلاة والسلام وضعها عند البيت وليس بمكة يومئذ احد ولا ماء وانطلق ابراهيم نحو الشام فتبعته هاجر وقالت يا ابراهيم تذهب وتركتنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فلم يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذ لا يضيعنا ثم مضى ابراهيم حتى توارى واستقبل البيت ودعا بهذه الدعوات من قوله ربنا اني اسكنت الى قوله وما يخفى على الله من شيء ولهذا اشار المصنف بقوله آنفا ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدم الى احتمال ان يكون الدعاء ايضا في وقت آخر والله اعلم وكلمة على في قوله على الكبر يحتمل ان تكون للاستعلاء المجازي اي وهب لي وانا متمكن على الكبر وان يكون بمعنى مع كما في قوله

اني على ماترين من كبري ❊ اعلم من حيث تؤكل الكتف ❊

وهو في موضع الحال من الياء في قوله وهب لي والمعنى وهب لي وانا كبير اي في حال الكبر كذا في الكشف ومعنى البيت اني على ماترين من كبري وتغير احوال الحواس مني اعرف الاشياء حق معرفتها لاني جربتها ومارستها فان قوله اعلم من حيث تؤكل الكتف مثل في التجربة لان المجرّب يأخذ الكتف من اعلاه ليجذب اللحم منها وقيل تؤكل من اسفلها ليسهل ﴿قوله اي لمجيبه﴾ جواب عما قال ان ابراهيم دعا ربه وجد على اجابته فكان المناسب ان يقول ان ربي مجيب الدعاء لانه تعالى يسمع الدعاء اجابه اولم يجبه ﴿قوله وقد تقدم عذر استغفاره لهما﴾ وكانا كافرين وهو ان المنع من الاستغفار للكافر لايعلم الا بالتوقيف ولعله لم يجد المنع منه حينئذ فظن كونه جائزا ويحتمل ان يكون المراد من سؤال المغفرة لهما سؤال مايكون سببا لمغفرتهما وهو الاسلام فانه سبب لصيرورة الانسان اهلا للمغفرة فطلب الشيء طلب لما يتوقف حصوله عليه وهو المراد بقول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه المشركين استغفروا ربكم انه كان غفارا فان قيل كيف طلب المغفرة لنفسه وان طلبها لها يؤذن بسابقة الذنب ولا يصدر الذنب من الانبياء سوى ترك الاولى ونحوه مما يعلم ان الله تعالى يغفر ذلك منهم فيكون طلبهم المغفرة لانفسهم طلبا لما يعلم حصوله مواجيب بان ليس المقصود منه الا الالتجاء الى الله وقطع الطمع في غيره وانه ليس الا في فضله وكرمه ورحمته ﴿قوله مستعار من القيام على الرجل﴾ بان شبه ثبات الحساب بقيام القائم على الرجل فاستعير القيام لذلك الثبات ثم اطلق يقوم واريد يثبت فهي استعارة تبعية كما استعير القيام على الساق لثبات الحرب ويمكن ان يقال شبه الحساب في الثبات والاستقرار بالقائم على الرجل فاثبت له القيام على سبيل التخييل فهي استعارة مكنية قرينتها التخييلية فالمجاز على هذا التقرير في المفرد وعلى الثالث في الاسناد ولا مجاز على الثاني لانه مبني على تقدير المضاف ﴿قوله والمراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على ماهو عليه﴾ جواب عما يرد على قوله انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه تعالى منزه عن السهو والغفلة وانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بما يستحيل في حقه تعالى فكيف نهاه الله نهيا مؤكدا عن الحسبان المذكور ﴿قوله والوعيد﴾ عطف على قوله تثبيته اجاب عنه اولا بان المراد من النهي المذكور تقويته وتثبيته على الثبات على ماهو عليه من الاعتقاد الصحيح في حقه تعالى وثانيا بانه كناية او مجاز في المرتبة الثانية عن التهديد والوعيد بعقوبة الظالمين على ظلمهم كقوله والله اعلم بما تعملون فانه كناية عن المجازاة ﴿قوله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم﴾ على ان يكون الخطاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لكل مكلف ولا يختص به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من توهم غفلته فان الناس لا يخلون من المظلوم والظالم فاذا سمع المظلوم ان الله تعالى عالم بما يفعله الظالم ويتم له هان عليه ظلمه والظالم اذا تصوّر ان الله تعالى عالم بما يفعله ولا بدّ ان يجازيه على ظلمه ربما ارتدع من ظلمه خوفا من العقوبة فقوله تعالى ولا تحسبن على جميع التقادير دليل على انه لابدّ من وجود يوم الحساب فان اطلاعه تعالى على مايعمله الظالمون يستلزم ان ينتقم للمظلوم ﴿قوله وعن ابي عمرو بالنون﴾ على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وقرأ العامة يؤخرهم بياء الغيبة لتقدم اسم الله وقوله تعالى ليوم اي لاجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى الى للغاية وتشخص صفة ليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره في مكانه من حدّة النظر وقيل بقاؤه مفتوحا بحيث لا يغمض ولا يرتدّ اليه طرفه قال الجوهري شخص بالفتح شخوصا اي ارتفع وشخص ببصره فهو شاخص اذا فتح عينه وجعل لا يطرف ﴿قوله تعالى مهطعين مقنعي رؤسهم﴾ حالان من المضاف اليه الموصوف اذ التقدير تشخص فيه ابصارهم ويجوز في مقنعي ان يكون حالا من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة واضافة مقنعي غير حقيقية فلذلك وقعت حالا من الضمير وقوله

(ان ربي لسميع الدعاء) اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهبه سؤله حين ماوقع اليأس منه ليكون من اجلّ النعم واجلاها (رب اجعلني مقيم الصلاة) معدّلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتي) عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائي او وتقبل عبادتي (ربنا اغفر لي ولوالديّ) وقرئ ولابويّ وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوّاء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ماهو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لايخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) اي تشخص فيه ابصارهم فلا تقرّ في اماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لايطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لايرتدّ اليهم طرفهم) بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم

(واشدتهم هوآء) خلاء ای خالیة عن الفهم لفرط الحیرة والدهشة ومنه یقال للاحمق والجبان قلبه هوآء ای لارأی فیه ولاقوة قال زهیر من الظلمان جؤجؤه هوآء وقیل خالیة من الخیر خاویة عن الحق (وانذر الناس) یامحمد (یوم یأتیهم العذاب) یعنی یوم القیامة او یوم الموت فانه اول ایام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فیقول الذین ظلموا) بالشرك والتكذیب (ربنا أخرنا الی اجل قریب) اخر العذاب عنا وردنا الی الدنیا وامهلنا الی حد من الزمان قریبا واخر آجالنا وأبقنا مقدار مانؤمن بك ونجیب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب للامر ونظیره لولا اخرتنی الی اجل قریب فاصدق واكن من الصالحین (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) علی ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب علی المطابقة دون الحكایة والمعنی اقسمتم انكم باقون فی الدنیا لاتزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل علیه حالهم حیث بنوا شدیدا واملوا بعیدا وقیل اقسموا انهم لاینتقلون الی دار اخری وانهم اذاماتوا لایزالون عن تلك الحالة الی حالة اخری كقوله واقسموا بالله جهد ایمانهم لایبعث الله من یموت (وسكنتم فی مساكن الذین ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصی كعاد وثمود واصل سكن ان یعدی بفی كقر وغنی ولبث وقد یستعمل بمعنی التبوء فیجری مجراه كقولك سكنت الدار (وتبین لكم كیف فعلنا بهم) بما تشاهدونه فی منازلهم من آثار مانزل بهم وماتواتر عندكم من اخبارهم (وضربنا لكم الامثال) من احوالهم ای بینا لكم انكم مثلهم فی الكفر واستحقاق العذاب او صفات مافعلوا وفعل بهم التی هی فی الغرابة كالامثال المضروبة (وقد مكروا مكرهم) المستفرغ فیه جهدهم لابطال الحق وتقریر الباطل (وعندالله مكرهم) ومكتوب عنده فعلهم فهو یجازیهم علیه او عنده مایمكرهم به جزآء لمكرهم وابطالا له (وان كان مكرهم) فی العظم والشدة (لتزول منه الجبال) مسوی لازالة الجبال او معدا لها وقیل ان نافیة واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله لیعذبهم علی ان الجبال مثل لامر النبی صلی الله علیه وسلم ونحوه وقیل مخففة من الثقیلة والمعنی انهم مكروا لیزیلوا ماهو كالجبال الراسیة ثباتا وتمكنا من آیات الله تعالی وشرآئعه وقرأ الكسائی لتزول بالفتح والرفع علی انها المخففة واللام هی الفاصلة ومعناه تعظیم مكرهم وقریء بالفتح والنصب علی لغة من یفتح لام كی وقریء وان كاد مكرهم

لایرتد الیهم فی محل النصب علی انه حال من الضمیر فی مقنعی والطرف فی الاصل مصدر اطلق ههنا علی العاضل وهو العین كقولهم مافیهم عین تطرف والطرف الجفن ایضا یقال ماطبق طرفه ای جفنه علی الآخر والطرف ایضا تحریك الجفن ویجوز ان یكون كل واحد من قوله لایرتد الیهم طرفهم وقوله واشدتهم هوآء استئنافا وان یكون حالا وقوله هوآء وان كان خبرا عن جمع فانه فی معنی فارغة وخالیة ثم انه تعالی لما اوعد الظالمین بما لایخفی علیه شیء من احوالهم وافعالهم ولكن یؤخر عذابهم لیوم القیامة الذی من صفته انه تشخص فیه الابصار وكذا امر رسوله صلی الله علیه وسلم ان ینذر الناس یوم یأتیهم ذلك العذاب المعهود علی ان یوم یأتیهم مفعول ثان لانذر فانه یتعدی الی اثنین كما فی قوله انذرتكم صاعقة ﴿قوله قال زهیر﴾

كأن الرحل منها فوق صعل ۞ من الظلمان جؤجؤه هوآء

الصعل الصغیر الرأس والدقیق من الرجال والنعام ومن غیرهما والجؤجؤ من الطائر والسفینة صدرهما یقول كأن رحل هذه المطیة فوق ظلیم ای نعامة لاقوة فی قلبه ولاجرأة فان النعام یضرب به المثل فی الجبن قیل فی حق الحجاج وصفاته بالجبن

اسد علی وفی الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفیر الصافر

﴿قوله اواخر آجالنا﴾ هذا علی تقدیر ان یكون المراد بالیوم یوم موتهم معذبین بشدة السكرات ومشاهدتهم ملائكة العذاب وایقنوا بسوء عاقبتهم والاول علی تقدیر ان یراد بالیوم یوم القیامة ﴿قوله علی ارادة القول﴾ ای القول الجاری من قبلهم بلسان الحال والمعنی اولم تكونوا قائلین بلسان المقال والله مالنا من زوال وان كان المتبادر من ظاهر العبارة ان یكون المراد من القول قول الله تعالی او قول الملائكة فی جواب قول الذین ظلموا ربنا اخرنا الی اجل قریب ویكون المعنی والتقدیر فیقال لهم علی سبیل التقریع والتوبیخ اولم تكونوا الآن عطف قوله اودل علیه حالهم یدل علی ان المراد منه القول الجاری من قبلهم كأنه قیل اولم تكونوا اقسمتم بلسان المقال صریحا او بدلالة الحال وشهادة الاحوال هذا هو المفهوم من تقریر الكشاف ویحتمل ان یكون مراد المصنف من قوله علی ارادة القول ماذكرنا من انه المتبادر الی الذهن ویكون قوله اودل علیه حالهم معطوفا علی قوله اقسموا بطرا وغرورا ویكون مقصوده انه لما حكی عنهم انهم اقسموا علی انهم باقون فی الدنیا لایزالون عنها بالموت وردان یقال كیف یقسموا علیه ولیسوا بمجانین اجاب عنه بقوله ولعلهم اقسموا علیه بطرا وغرورا اودل علیه حالهم ﴿قوله تعالی وسكنتم فی مساكن الذین﴾ عطف علی قوله اقسمتم ای ولم تكونوا سكنتم فهو تقریع ثان لهذین ظلموا فانهم لما سكنوا فی مساكن الذین كفروا وعصوا وبین لهم ماحل بهم بسبب كفرهم وتكذیبهم الانبیاء ولم یعتبروا فقد استوجبوا الذم والتقریع ﴿قوله واصل سكن الخ﴾ اشارة الی وجه تعدیه تارة بفی كما فی هذه الآیة وتارة بنفسه وقرأ العامة وتبین فعلا ماضیا وقریء ونبین بضم النون الاولی والثانیة علی انه مضارع بین وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة حال ای ونحن نبین وفاعل تبین مضمر لدلالة الكلام علیه ای وتبین لكم حالهم وخبرهم وهو هلاكهم بطریق الاستئصال وكیف فی موضع النصب بفعلنا ولایجوز ان یكون فاعلا ﴿قوله ای بینا لكم انكم مثلهم فی الكفر﴾ فیكون لكم متعلقا بمحذوف فی محل النصب علی انه حال من الامثال والتقدیر ضربنا امثال احوالهم ثابتة لكم والمراد بالامثال معناها اللغوی وعلی الثانی تكون الامثال مستعارا للصفات ماعملوا وما فعل بهم تشبیها لها بالامثال المضروبة فی الغرابة لما ذكر الله تعالی صفة عقابهم اتبعها بذكر كیفیة مكرهم فقال وقد مكروا مكرهم الخ ﴿قوله المستفرغ فیه جهدهم﴾ هذه المبالغة والاهتمام بالمكر مستفادة من اضافة المكر الیهم لان صنادید قریش لما اشتهروا بشدة الشكیمة والتمادی فی الطغیان كان ما اضیف الیهم من المكر المتعلق بابطال الحق وتقریر الباطل مكرا مبذولا فیه جهدهم ونهایة قدرتهم ﴿قوله ومكتوب عنده فعلهم﴾ مبنی علی ان یكون المكر مضافا الی فاعله كالمكر الاول والمعنی ان مكرهم الذی مكروه مكتوب عندالله وقوله او عنده مایمكرهم به علی ان یكون المصدر مضافا الی مفعوله ومكر الله تعذیبه ایاهم وسمی مكرا للمشاكلة ﴿قوله مسوی لازالة الجبال ومعدا لها﴾ علی ان تكون كلمة ان شرطیة حذف جوابها لدلالة قوله وعندالله مكرهم علیه والتقدیر وان كان مكرهم معدا لازالة امثال الجبال الرواسی وهی المعجزات والآیات فالله تعالی یجازیهم بمكرهم واعظم من مكرهم ﴿قوله وقیل ان نافیة واللام مؤكدة لها﴾ ای لنفی المستفاد منها فان اللام حینئذ هی لام الجحود التی ینتصب الفعل بعدها باضمار ان لوقوعها بعد كون منفی وخبر كان

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد و اذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله (ان

الله عزيز) غالب لا يماكر قادر لا يدافع (ذو انتقام) لاوليائه من اعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة كما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين (وبرزوا) من اجداثهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال لقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم (في الاصفاد) متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل * وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق * واصله الشد

محذوف عند البصريين تتعلق به هذه اللام والتقدير وما كان مكرهم مريدا لازالة ما هو كالجبال لان انتفاء ارادة الفعل آكد من انتفاء نفس الفعل وهو معنى قوله اللام مؤكدة لان النافية كما ان قوله ما كان الله مريدا لتعذيبهم آكد من قولك ما كان الله يعذبهم وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة تكون اللام فارقة بين النافية والمخففة ويكون المقصود تعظيم مكرهم لان حاصل لازالة ما هو كالجبال الراسية في الثبات والقوة يكون في غاية الشدة والقوة بخلاف ما اذا كانت نافية فان المعنى حينئذ تحقير مكرهم وبيان انه ما كان مكرهم بحيث تزول عنه الشرائع التي هي كالجبال لانه تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على كل الاديان فكيف يزول امره الذي هو دين الاسلام بمكرهم فان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته ويؤيد صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآية فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي قد وعدك الظهور عليهم فلا يخلف وعده بمكرهم وقوله تعالى فلا تحسبن على جميع التقادير الظاهر انه جواب شرط محذوف اي اذا تقرر ان مكرهم مكتوب عند الله وهو مجازيهم عليه فلا تحسبن او اذا تقرر ان مكرهم اوهن من ان يزول منه امرك الذي هو اثبت واقوى من الجبال الراسيات فلا تحسبن ﴿قوله مثل قوله انا لننصر رسلنا﴾ يعني ان المراد بالوعد قوله تعالى في غير هذا الموضع انا لننصر رسلنا وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي ويحتمل ان يكون المراد به ما فهم من قوله في هذا الموضع وعند الله مكرهم فانه على التقديرين دال على انه تعالى يجازيهم على مكرهم وينصر رسوله عليهم ﴿قوله واصله مخلف رسله وعده﴾ لان فعل الاخلاف يتعدى الى مفعولين اولهما الموعود له وهو ههنا الرسل وحق المفعول الاول ان يقدم على الثاني فقال اخلفه ما وعده وهو ههنا الرسل لكن قدم المفعول الثاني واضيف اليه اسم الفاعل تخفيفا نحو هذا الكاسي جبة زيدا قيل لما تعدى الفعل اليهما لم يبال بالتقديم والتأخير والاخلاف ان يقول شيأ ولا يفعله ﴿قوله ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا﴾ اعترض عليه بانه لما كان رسله مفعولا كان اخلاف الوعد مقيدا به سواء قدم على الوعد او اخر فلم يكن اخلاف الوعد مطلقا ثم قيد برسله واجيب بان المفعول الثاني حقه التأخير فلما قدم دل على انه اهم والعناية بشأنه اتم فالمقصود الاصلي من الكلام ليس الا نفي اخلاف الوعد واما نفي خلف وعد الرسل فهو شيء متفرع على ذلك لانه لما لم يكن من شان الله تعالى اخلاف الوعد كان عدم اخلافه وعد من هو خيرته وصفوة عبيده تعالى ثابتا بطريق الاولى ونظيره في تقديم المفعول الثاني على الاول للاهتمام بشأنه قوله تعالى في سورة الانعام وجعلوا لله شركاء الجن فانه قدم الشركاء ليدل على ان المقصود الاصلي استعظام اتخاذ الشركاء ونفي شركاء الجن تابع لهذا المقصود ومتفرع عليه ﴿قوله تعالى وبرزوا﴾ معطوف على قوله تبدل الارض وهو ماض يراد به الاستقبال كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ﴿قوله قرن بعضهم مع بعض﴾ يعني ان في قوله مقرنين فيه ثلاثة اوجه الاول ان بعض الكفار قرن بعض على حسب تجانس ما اكتسبوه من العقائد الزائغة والملكات الباطلة المتجانسة من حيث الجزاء ايضا يجتمع اصحابها في الجنسية بسبب الاجتماع في الامور المتجانسة والثاني قرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والعاشي عن سواء السبيل لما كان يتبع الشيطان ويأتمر بامره حشر معه مقرونا في سلسلة واحدة او مع ما اكتسبه من العقائد الزائغة والملكات الباطلة التي هي بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه في كونهما سببا لتأدي نفسه منها وخروجها عن الاعتدال اللائق بها والثالث قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال اما حقيقة واما على ان يكون الايدي والارجل عبارة عن الاعمال الصادرة من الجوارح والاعضاء على طريق اطلاق اسباب الاكتساب على الامور المكتسبة بتلك الاسباب ويكون مقارنة تلك الامور الى الرقاب عبارة عن مؤاخذة انفسهم بها يقال قرنت الشيء بالشيء اذا وصلته به وجاء ههنا على التشديد لكثرة هؤلاء القوم فان بناء التفعيل قد يكون لتكثير المفعول نحو فتحت الابواب والاصفاد جمع صفد وهو القيد قال عطاء يريد سلاسل الحديد والاغلال وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح صفده يصفده صفدا اي شده واوثقه وكذلك التصفيد والصفاد ما يوثق به الاسير من قيد وغل والاصفاد القيود وبيت سلامة يدل على انه اطلق الصفاد على ما يتناول كل واحد من الغل والقيد لان الغل يوضع على الساعد والعنق والقيد يوضع على الرجل وظاهر البيت يدل على ان صفادا واحدا يعض ويجمع تلك الثلاث فكأنه نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد وتشدان على العنق وزيد الخيل اسم رجل من قبيلة طيء قدم على النبي صلى

(الله)

(سرابيلهم) قمصانهم (من قطران) وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من ضمير مقرنين (وتغشى وجوههم النار) اى وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم (ليجزي الله كل نفس) اى يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة (ما كسبت) او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لا يشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله (بلاغ للناس) كفاية لهم في الموعظة (ولينذروا به) عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا انما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه (وليذكر اولوا الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

الله عليه وسلم وحده صلى الله عليه وسلم رد الخيل ومات منصرفه من عند النبي صلى الله عليه وسلم محموما وقوله مقرنين حال من المجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول به ثان ان كانت علمية وفي الاصفاد اما ظرف متعلق بمقرنين او ظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من ضمير المجرمين وقوله سرابيلهم من قطران حال ثانية من المجرمين او حال من الضمير في مقرنين وكذا قوله وتغشى وجوههم النار على انها معطوفة على الحال الاان الاخريين حالان مقدرتان او جملتان مستأنفتان لامحل لهما من الاعراب منقطعتان عن كلام الرؤية لان قوله مقرنين بيان حالهم في الموقف الى ان يكب بهم في النار والحالان الاخيرتان لبيان حالهم بعد دخول النار كأن قوله مقرنين حرك في السامع ان يقول اذا كان هذا شأنهم وهم في الموقف فكيف حالهم وهم في جهنم خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله وتغشى ولم يجعل اسمية كما قبله الاستحضار الحال والدلالة على تجدد الغشيان حالا فحالا **قوله وجاء قطران وقطران لغتين فيه** يعني ان قراءة العامة قطران بفتح القاف وكسر الطاء وجاء فيه لغتان غيرها احداهما قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن سكران والاخرى قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن سرحان وهو ما يتحلب اى يستخرج من شجر يسمى الابهل والعرعر ايضا فيطبخ ويطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحرارته والسربال القميص وسربلته فتسربل اى البسته السربال وجمعه سرابيل فلذلك قال المصنف قمصانهم وهو جمع قميص ويحتمل ان يكون قوله تعالى سرابيلهم من قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس من احاطة الملكات الرديئة والهيئات القبيحة بها حيث يترتب على تلك الاحاطة اغتمام النفس بانواع من الغموم والآلام بالهيئة الحاصلة من تسربل البدن سربالا من القطران بحيث يترتب على ذلك التسربل ما ذكر من الانواع الاربعة المعدة وهي لذع القطران بحرارته وحدته ووحشة لونه **قوله وعن يعقوب قطرآن** بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء وآن على وزن رام فيكون قطرآن كلمتين والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني اسم فاعل من انى يأني انا اى تناهى في الحرارة قال الله تعالى وبين حميم آن **قوله اى وتتغشاها** اى يجب على قراءة وتغشى بتشديد الشين ان يحمل الكلمة على المضارع بحذف احدى التاءين لتوافق المشهورة فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تيسر بمعنى يسر كما ان تغشاه بمعنى غشيه فقوله تغشاها بمعنى تعلوها وتغطيها **قوله كما تطلع على افئدتهم** يعني انه تعالى خص القلب والوجه بظهور آثار العذاب فيهما حيث قال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وقال في الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة في خلق المكلفين انما هي معرفة ربهم وحالقهم بمعاينة ما يدل على كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر والحواس المجتمعة في الرأس والوجه ليؤدي استعمالها الى المعرفة التي موضعها القلب ليعرفوا عظمته وكبرياءه ويرغبوا في طاعته ومرضاته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه ويحوزوا بذلك سعادة الدارين فمن اهمل هذه القوى التي هي اسباب السعادات كلها لجدير ان يكون معظم ما يتعلق به من العذاب ظاهرا في محال تلك القوى **قوله ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب** فان من اصاب وجهه اذى في الدنيا يتقي عنه بيده والمجرمون لما كانت ايديهم مغلولة الى اعناقهم لا يقدرون على ان يتقوا النار بايديهم فلا جرم يتقونها بوجوههم **قوله اى يفعل بهم ذلك ليجزي** يعني ان اللام متعلقة بمحذوف ولما ورد ان يقال تعذيب المجرمين كيف يصح تعليله بمجازاة كل نفس بما كسبت فان علته ليست الا مجازاة انفسهم فقط لا مجازاة عامة النفوس فاشار الى دفعه بوجهين الاول ان المراد بكل نفس النفوس المجرمة والثاني ان تعذيب المجرمين لاجرامهم لما استلزم اثابة المطيعين لطاعتهم كان قوله يفعل بهم ذلك متضمنا لكل واحد من الاثابة والتعذيب فصح تعليله بمجازاة كل نفس على العموم ثم اشار الى جواز كون اللام في ليجزي متعلقة بقوله وبرزوا فحينئذ لا حاجة الى تخصيص كل نفس بالمجرمين بل تعين ابقاؤه على عمومه **قوله ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد** ذكر الفائدة الاولى بقوله ولينذروا به وذكر الثانية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والثالثة بقوله وليذكر واعلم ان النفس الناطقة لها قوتان نظرية تستكمل بها النفس معرفة الموجودات باقسامها التي هي الواجب لذاته وصفاته وآثاره الممكنة من الجواهر العلوية والسفلية ومعلولات الاعراض القائمة بها حتى تصير النفس بتلك المعرفة عالما آخر ارتسمت فيه صور جميع الموجودات من اجناسها وانواعها واصنافها مضاهيا للعالم الاكبر الذي تحققت فيه اعيان الموجودات المذكورة وأحل هذه المعارف معرفة

ذات الواجب بصفات جلاله وجماله وقوة عملية تمكن النفس بها على اعمال جوارحها وقواها الظاهرة والباطنة وتستعين بها في تحصيل المقاصد الدنيوية والاخروية التي هي الاعمال الصالحة وهي التي عرفتها المصنف بالتدرع بلباس التقوى والمراد بالتقوى ههنا التصون عن كل مايؤثم من فعل او ترك فقوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد اشارة الى ماتجري مجرى الرئيس بكمال القوة النظرية وقوله وليذكر اولوا الالباب اشارة الى ماتجري مجرى الرئيس بكمال حال القوة العملية فان غاية هذا التذكر وفائدته هي الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على الاعمال الصالحة وهذه الآيات مشعرة بان التذكر بهذه المواعظ والنصائح يوجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه فيه ان من سمع هذه التخويفات والتحذيرات عظم خوفه واشتغل بالنظر والتأمل والنظر يوصل الى معرفة التوحيد والنبوة والاشتغال بالاعمال الصالحة * واعلم ان هذه الآية الكريمة دالة على ان اعمل اشرف مايتوصل به الى الحق لان اهم المطالب واكرم المواهب هو هداية الله تعالى بانزال الكتب وبعثة الرسل وقد بين بهذه الآية ان من ينتفع به ويتذكر هم اولوا الالباب فظهر به ان من لا لب له كانسوائم الهم اجعلنا من المهتدين بنور العقل والمتذكرين بنصائحك ومواعظك يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ سورة الحجر مكية بالاجماع وهي تسع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ قد مر ان فواتح السور يحتمل ان تكون اسماء لها وان تكون مذكورة على نمط التعديد للتحدي وتمهيد دليل الاعجاز اما من جهة التحدي مركب من جنس مامنه كلامهم وقد عجزوا عن اتيان مثله او من جهة ان من يأتي بهذه الفواتح لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط الكتبة علم اسامي حروف المباني من مثله معجزة فيكون الافتتاح بالمقطعات للايقاظ وقرع العصا من جهة المعجزات الخارقة للعادة فعلى هذا لا يكون لها محل من الاعراب والذي يلوح من تقرير المصنف ان يكون الر اسما لهذه السورة الكريمة ويكون كلاما مستقلا تقديره هذه الر مثل قولك هذا زيد اي مسمى زيد ويكون تلك اشارة الى مافي ضمنها من الآيات مرفوعة المحل على الابتداء وآيات الكتاب خبره ووصف الكتاب بكونه كاملا مستفاد من التعريف الجنسي فان تعريف الخبر في مثل زيد الشجاع يفيد الحصر فيدل على ان زيدا لكماله في الشجاعة لا ينبغي لاحد سواه ان يدعي شجاعا فكذا اذا كان الخبر مضافا الى المعرف بلام الجنس فاذا اخبرت عن آيات هذه السورة بانها آية السورة دل ذلك على كمالها وتفضيل الشيء على غيره ادعاء لا يستلزم ان يكون ماعداه معدوما بالنسبة اليه حقيقة واذا كان المراد بالقرآن ايضا السورة يكون عطفه على الكتاب من قبيل عطف الصفات بان يكون الكتاب عبارة عن السورة الموصوفة بالكمال والقرآن عبارة عن السورة الموصوفة بانها المقروء المبين والواو المتوسطة بين الصفات تفيد الجمع بينها والمبين من ابان المتعدي وتنكير قرآن مبين للتفخيم فيرجع المعنى الى انه قرآن جامع لفصاحة الشان وغرابة البيان ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير نوع آخر وكان الغرض الجمع بينهما عرف الكتاب ونكر القرآن وان كان الافتتاح بقوله الر للايقاظ وتمهيد دليل الاعجاز فحينئذ يحتمل ان يكون تلك اشارة الى مابعده كما في قولك هذا اخوك فانه نقل عن الزمخشري ان هذا لا يكون اشارة الى غير الاخ وان المشار اليه لا يجب ان يكون موجودا حاضرا بل يكفي ان يكون موجودا ذهنا وجملة تلك آيات الكتاب لا محل لها ان قيل الر كلام مستقل جيء به لمجرد التنبيه والايقاظ وفي محل الرفع على الخبرية ان قيل الر مبتدأ ﴿ قوله حين عاينوا حال المسلمين ﴾ اختلف في وقت ودادتهم ذلك والاصح ماقاله الزجاج فان حال الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لهم ألستم مؤمنين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيتفضل الله تعالى بفضل رحمته فيأمر باخراج كل من كان من اهل القبلة من النار فيخرجون * فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقيل وقت ودادتهم حين حلول الموت ونزول ملائكة العذاب فانهم اذا شهدوا علامات العذاب وتمنوا لو كانوا مسلمين وقيل يتمنون ذلك اذا اسودت وجوههم ونودي امتازوا اليوم ايها المجرمون ﴿ قوله وما كافة ﴾ اعلم ان رب حرف جر تلحقها ما على وجهين احدهما ان تكون بمعنى شيء كما في قول الشاعر

﴿ سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثماني لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث وبدونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه

﴿ ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ﴾

مكلمة تكره النفوس صفته بحذف العائد والتقدير رب شئ تكرهه النفوس ولولا انها اسم لما جاز عود الضمير اليها والوجه الثانى ان تكون كافة تكف الحرف عن العمل ولما صارت مكفوفة عنه تهيأت وصلحت لدخول على مالم تكن تدخل عليه قبل كونها مكفوفة فان رب حال كونها عاملة انما تدخل على الاسم المفرد ونحوه نحو رب رجل كريم لقيته ولا تدخل على الفعل فلما دخلت عليها ما هيأتها لدخول على الفعل كما فى هذه الآية ثم انهم اجمعوا على ان كلمة رب اذا دخلت على الفعل لا تدخل الا على غير المستقبل كما يقال ربما قصدنى عبد الله لانه لتقليل ما ثبت وتحقق وقيل هى لتقليل المحقق فلا معنى لدخولها على المستقبل ولا ينتقض بدخولها على المستقبل فى قوله ربما تكره النفوس لما مرّ من انها داخلة على اسم نكرة والقاعدة انما هى فيما اذا دخلت على الفعل لكنه ينتقض بهذه الآية حيث دخلت فيها على المستقبل على تقدير كون ما كافة ٭ قال الامام قول النحويين انه لا يجوز دخول رب على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلى وانما الرجوع فيه الى النقل والاستعمال ولو انهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله تعالى اقوى واجل فى الاستدلال بالجواز اولى فلم لم يتمسكوا فى دخولها على المستقبل بهذه الآية والحمل على جوازه وصحته ثم قال اجاب النحويون عن النقض المذكور بوجهين الاول قالوا المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ودّوا والثانى ان كلمة ما فى قوله ربما يودّ الذين كفروا اسم ويودّ صفته والتقدير رب شئ يودّه الذين كفروا

﴿ قوله ومعنى التقليل فيه ﴾ جواب عن سؤال مبنى على مقدمة وهى انهم اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهى فى التقليل نظير كم فى التكثير فاذا قال الرجل ربما زارنا فلان دل ذلك على تقليل الزيارة قال الزجاج من قال ان رب يعنى بها الكثرة فكلامه مخالف لما يعرف من اهل اللغة والسؤال المتفرع عليها هو ان تمنى الكافر الاسلام كثير دائم فلا يليق به لفظة ربما التى تفيد التقليل وتقرير الجواب انه لا شك فى كثرة وداد تهم الاسلام لكنها صوّرت بالقلة لكون التقليل ابلغ فى التهديد والمعنى ان وداد تهم الاسلام وتمنيهم ذلك لو كانت قليلة بل مرّة لوجب مسارعتهم الى الاسلام فكيف اذا كانت كثيرة مستمرة فى كل ساعة وقوله فبالحرى مبتدأ وان يسارعوا خبره والباء زائدة كما فى قولك بحسبك درهم والتقدير فالحرى اى الحقيق المسارعة اليه والفارق فكيف جواب شرط محذوف تقديره اذا كفى وداد تهم مرّة فى المسارعة الى الاسلام فكيف لا يسارعون اليه والحال انهم يودّون فى كل ساعة ٭ فان قلت قوله يودّ لا بدّ له من مفعول فما مفعوله ٭ فالجواب انه محذوف اى يودّون اسلامهم فحينئذ تكون كلمة لو فى قوله لو كانوا مسلمين امتناعية ويكون جوابها محذوفا تقديره لو كانوا مسلمين لسرّوا بذلك وتخلصوا مما هم فيه ويحتمل ان تكون لو مصدرية لوقوعها بعد فعل دال على معنى التمنى فحينئذ يكون المصدر المأوّل مفعولا ليودّ اى يودّون كونهم مسلمين وقد ذكر فى شرح الرضى ان كلمة لو فى قولهم يودّوا لو انهم بادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التمنى وهذا على تقدير ان تكون ما كافة واما ان جعلتها نكرة موصوفة فحينئذ يكون مفعول يودّ ضميرا محذوفا يعود الى النكرة الموصوفة وتكون لو المصدرية مع ما فى حيزها بدلا من ما

﴿ قوله وقيل تدهشهم اهوال القيامة ﴾ اى قيل فى وجه تقليل ودادة الكافر الاسلام ان غلبة الدهشة عليهم تجعلهم مبهوتين متحيرين بحيث تمنعهم عن التحسر عليهم من تمنى الاسلام الا فى زمان افاقتهم عما هم فيه من السكرة والدهشة ومن المعلوم ان زمان افاقتهم فى غاية القلة فلا جرم تقل وداد تهم الاسلام ﴿ قوله والغيبة فى حكاية وداد تهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى لو كانوا مسلمين حكاية لوداد تهم بقول مقدّر والتقدير يودّ الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين فالظاهر حينئذ ان يقال لو كنا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكى الا انه جئ بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذى ذكر قبلها وهو قوله الذين كفروا واعلم ان قوله تعالى ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين الى قوله وما يستأخرون جملة معترضة بين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وبين قوله يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فانه تعالى لما بالغ فى وصف آيات هذه السورة الكريمة بما يجئ من بلوغها الى اقصى درجات الكمال وحكى عن المشركين انهم بالغوا فى التكذيب حتى قالوا على سبيل خطاب المواجهة يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ربما يودّ الذين كفروا والمعنى هوّن على نفسك فانك بالغت فى الارشاد والانذار وهم ايضا افرطوا فى التكذيب والانكار فهم قوم جهلة عدموا الدراية والاعتبار فانهم لو كانوا يودّون الاسلام مرّة فالحرى

وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما
تكره النفوس من الامر له فرجة كحل
العقال ومعنى التقليل فيه الاذان بانهم
لو كانوا يودّون الاسلام مرّة فبالحرى
ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودّونه كل
ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة
فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم
كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلنّ (ذرهم)
دعهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم
(ويلههم الامل) ويشغلهم توقعهم لطول
الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد
للمعاد

ان يسارعوا اليه فكيف وهم يوتونه كل ساعة واذا كان كذلك فاقطع طمعك في ارعوائهم ودعهم من النهي عما هم عليه من الاعتزاز بالحظوظ العاجلة وعدم الالتفات الى مايؤدي الى سعادة الآخرة والدولة الباقية بل مرهم امر تهديد بأكل الطعام والتمتع فيها باماقلائل فسوف يعلمون سوء صنيعهم ﴿ قوله وفيه الزام الحجة ﴾ اي في قوله ذرهم مع تخصيص الاكل والتمتع بالمشتهيات والتلهي بالامل بالذكر تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بذمهم وبين مايشتهون وصدّه عن انذارهم ودعوتهم الى الحق لايكون الابعد تكرر الانذار والجحود الى ان يحصل اليأس من الايمان كأنه قيل قد بالغت في الانذار والزمت الحجة فدعهم بعد ذلك الى ان يعاينوا جزاء اصرارهم وعنادهم فقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ليس امر تكليف بل هو على طريق التهديد والتوعيد والابلاغ في الوعيد والتأكيد كقوله تعالى اعملوا ماشئتم انه بماتعملون بصير وقوله تعالى ويلههم الامل اي يشغلهم مايؤملون من امور الدنيا عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة يقال الهاه الشيء اي شغله وانساه ثم انه تعالى لماهدد المكذبين المعاندين بقوله فسوف يعلمون بين ان تأخير العذاب ليس مبنيا على الاهمال بل هو امهالهم ليبلغوا الاجل المقدّر لهم فقال وما اهلكنا من قرية اي من اهل قرية قبل ان يبلغوا اجلهم فهذا الامهال لاينبغي ان يجعل به العاقل لان العذاب مؤخر وان كل اجل له وقت معين لنزوله لايتقدم ولا يتأخر ﴿ قوله والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية ﴾ لان قوله الا ولها كتاب استثناء مفرغ من الصفة وتقدير الكلام وما اهلكنا من قرية على اي صفة الا على صفة ان لها كتاب معلوم ولانه في قوة قوله اهلكنا قرية لها كتاب معلوم فلها كتاب معلوم صفة لقرية ﴿ قوله والاصل ان لاتدخلها الواو ﴾ يعني ان القياس ان لايتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لشدة اتصالها به لكن لما كانت الصفة كالحال في المعنى وان كان بينهما فرق من بعض الوجوه وجاز ان الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا كذلك جاز ان تدخل على الجملة الواقعة صفة فكما ان معنى الحالية لايتغير بدخول الواو عليها نحو اذا قلت جاء في زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كذلك معنى الوصفية لايتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها وكان الواو الداخلة على الحال انما تدخلها لمجرد الربط كذلك الواو الداخلة على الصفة وذلك ان الاصل في الجملة الواقعة موقع الحال ان لاتدخلها الواو لفوات المغايرة لان حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو فكذا الحال وانما يدخلها لمجرد الربط لاسيما اذا كانت جملة اسمية فانها اشدّ اقتضاء للربط فكذا حكم الوصف لان الصفة مرتبطة بالموصوف فتكون الواو لتأكيد ذلك الارتباط واعترض على جعل الجملة صفة لقرية لان توسيط الواو بين الصفة والموصوف غير معهود وكذا توسيط كلمة الا بينهما لم يعرف ان احدا من النحاة ذهب الى جوازه صفة بل ذهب الى جوازه حالا والحال ليس وزانها وزان الصفة اذا لحقتها الواو ولعل من جعلها صفة لقرية ولم يجعلها حالا نظر الى تنكير ذي الحال وهو قرية وليس بقوي اذ يجوز ان يقال عمومها يصحح كونها ذا الحال كما في المبتدأ نحو مااحد خير منك وهذا المعترض قد شنع صاحب المفتاح حيث قال فالوجه عندي هو ان ولها كتاب معلوم حال من القرية لكونها في حكم الموصوفة اي قرية من القرى لا وصف لها وحمله على الوصف سهو لاخطأ ولاعيب في السهو ﴿ قوله ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ﴾ قال المصنف في تفسير قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما دخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة لنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت انتهى * فان قيل لما كان قوله تعالى الا ولها كتاب معلوم صفة لقرية كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ما الفرق بينهما حتى اكد لصوق الصفة بالموصوف في احداهما ولم يؤكد في الاخرى * فالجواب ان الوصف المذكور في هذه الآية غير الوصف المذكور في قوله الا لها منذرون لان الوصف فيما نحن فيه لازم عقلي وفي تلك لازم عادي جرت عليه سنة الله تعالى فان وجود الحوادث في اي وقت كان على سبيل الاتفاق لايقتضيه العقل والحكمة بل هما يقتضيان ان يكون لكل حادث وقت مقدّر وكتاب معلوم لايتقدم عليه ولا يتأخر بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الاهلاك فان لزومه بمجرد جري عادة الله تعالى على ذلك ﴿ قوله تعالى من امة ﴾ فاعل تسبق ومن مزيدة للتأكيد وحمل على لفظ امة حيث اسند تسبق لاسناده الى امة وافرد الضمير المجرور وانث في قوله اجلها كذلك وحمل على معناها في قوله وما يستأخرون فجمع وذكر وحذف متعلق يستأخرون وتقديره ومايستأخرون عنه لدلالة ماعليه ورعاية للفواصل ﴿ قوله لعينين ﴾ اي على سبيل البدل اما الامتناع واما التحضيض فان قوله لولا علي لهلك عمر ليس فيه سوى الامتناع وقوله تعالى لوما تأتينا ليس فيه سوى

(فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لاطائل تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدي اليه طول الامل (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) اجل مقدّر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لاتدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (ماتسبق من امة اجلها ومايستأخرون) اي ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى (وقالوا ياايها الذي نزل عليه الذكر) نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الاترى الى مانادوه له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله تعالى نزل عليك الذكر اي القرآن (لوما تأتينا) ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) في دعواك

التصبص والفرق بين التحضيضية والامتناعية هو ان التحضيضية لايليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كما فى قوله

* تعدّون عقر النيب افضل مجدكم * بنى ضوطرى لولا الكمىّ المقنعا *

اى هلا تعدّون الشجاع المتقنع بآلات الحرب والامتناعية لايليها الا الاسم لفظا او تقديرا عند البصريين وفى قوله ماينزّل الملائكة اربع قرآآت ماينزّل على لفظ المضارع المعلوم المسند الى ضمير الغائب وننزّل بنونين اولاهما مضمومة وثانيتهما مفتوحة وكسر الزاى ونصب الملائكة فيهما على المفعولية وتنزّل بضم التاء وفتح النون والزاى ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل وتنزّل بفتح التاء والنون والزاى على ان اصله تتنزّل فحذفت احدى التاءين ورفع الملائكة على الفاعلية وقوله الا بالحق مستثنى مفرغ من اعم عام المصدر اى ماننزّل الملائكة تنزيلا الا تنزيلا ملتبسا بالحق وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لمصدر محذوف ﴿ قوله ولا حكمة فى ان تأتيكم بصورة ﴾ على ان يكون قولهم لوما تأتينا بالملائكة بمعنى لوما تأتينا بهم ليصدّقوك فيما تدّعيه من الرسالة حتى تزول الشكوك والشبهات فى ذلك بشهادتهم صدقا وقوله ولا فى معاجلتكم بالعقوبة على ان يكون معناه لوما تأتينا بالملائكة الذين ينزلون علينا بذلك العذاب الذى تخوّفنا به على تقدير عدم ايماننا بك كما قال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب ﴿ قوله وقيل الحق الوحى او العذاب ﴾ عطف على قوله اى بالوجه الذى قدّره فالمعنى على هذا ماينزّل الملائكة الا لاجل تبليغ الوحى او لعذاب الاستئصال وتصديق المدّعى والشهادة بصدقه فى دعواه ليس شيأ منهما فلا ينزلهم لذلك ولا يرد عذاب الاستئصال لهذه الامّة ﴿ قوله اذا جواب لهم وجزآء ﴾ فان اذا انما يذكر حيث حاملك احد بشئ وتريد ان تجيبه فتقول فى جواب كلامه اما يكون كما اذا قال لك انسان انا آتيك فتقول اذا اكرمك كانك قلت هنا ان كان الامر كما ذكرت اكرمك فكذا هذه الآية ﴿ قوله ردّ لانكارهم واستهزآئهم ﴾ فان الكفرة قالوا يا ايها الذى نزّل عليه الذكر فقد انكروا ان ينزل عليه ذكر من ربه واستهزؤا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين انه عليه الصلاة والسلام غير موصوف به فكأنهم قالوا يا ايها المدّعى ان الله تعالى لم ينزّل عليك الذكر وهذا الذى تزعم انه من عند الله ليس منه بل هو من القاء الجن وانك لمجنون فردّ الله عليهم بقوله انا نحن نزّلنا الذكر وأكده من وجوه تصدير الجملة بان وتوسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والاجلال وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتقريره واسمية الجملة فان قيل فحصل ردّ انكارهم واستهزآئهم بقوله انا نحن نزّلنا الذكر فما وجه اتصاله بقوله وانا له لحافظون فاجيب بان اتصاله من قبيل اتصال الدليل بالمدلول فان حفظ الله اياه يدل على كونه من عند الله لانه لو كان من عند غيره لما كان مصونا من الزيادة والنقصان بل مجرّد كونه من عند الله تعالى لايستلزم كونه محفوظا مالم يحفظه الله تعالى ويكمل بحفظه الاترى انه لم يتفق لشئ من الكتب مثل هذا الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التحريف والتغيير اما فى الكثير منه او فى القليل وبقاء هذا الكتاب مصونا من جميع جهات التحريف مع ان دواعى الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده من اعظم المعجزات وذكر لطريق حفظ الله تعالى اياه وجهين الاوّل جعله اياه معجزا مباينا لكلام البشر فان الخلق عجزوا بذلك عن الزيادة والنقصان لانهم لو زادوا فيه ونقصوا لتغير نظم القرآن وظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزا كاحاطة السور بالمدينة فى كونه سببا لحفظ والصيانة والثانى ماشار اليه بقوله او نفى تطرق الخلل فانه مصدر معطوف على قوله بان جعلنا فانه فى تأويل المصدر فانه تعالى لما دام واستمرّ على ضمان الحفظ له امتنع تطرّق الخلل اليه وكان ذلك طريق الحفظ وكلمة ما فى قوله كما نفى ان يطعن فيه مصدرية والباء فى قوله بانه المنزّل له متعلقة بالذكر واشار به الى بيان المناسبة بين قوله وانا له لحافظون وبين قوله انا نحن نزّلنا الذكر ليصح عطف احداهما على الاخرى وهى كون كل واحدة من الجملتين متعلقة بالذكر ﴿ قوله وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم ﴾ والمعنى وانا لمحمد لحافظون وصح ارجاع الضمير اليه لانه لما ذكر الانزال والمنزّل دل ذلك على المنزّل عليه فحسن ارجاع الضمير اليه لكونه امرا معلوما كما فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فان ضمير انزلناه للقرآن مع انه لم يتقدم ذكره وحسن ذلك لما ذكر فكذا ههنا ثم ان القوم لما اساؤا الادب وخاطبوه عليه الصلاة والسلام خطاب السفاهة حيث قالوا له انك لمجنون فالله تعالى سلّى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان عادة الجهال مع جميع الانبياء كانت هكذا وكانوا يصرّون على اذى الجهال وسفاهتهم ويستمرّون على الدعوة والانذار

(ماينزّل الملائكة) بالياء مسندا الى ضمير
اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع
الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزّل (الا بالحق)
الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى
قدّره واقتضته حكمته ولا حكمة فى ان تأتيكم
بصورة تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبس
ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن
ذراريكم من سبقت كلمته بالايمان وقيل الحق
الوحى او العذاب (وماكانوا اذا منظرين)
اذا جواب لهم وجزآء لشرط مقدّر اى
ولو نزّلنا الملائكة ماكانوا منظرين
(انا نحن نزّلنا الذكر) ردّ لانكارهم
واستهزآئهم ولذلك اكده من وجوه وقرّره
بقوله (وانا له لحافظون) اى من التحريف
والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر بحيث لايخفى تغيير نظمه على
اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزّل
له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم

فاقتديهم في ذلك وهو قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وشيع جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب سميت شيعة لكون بعضهم تبعا لبعض وتابعا له والشياع الاتباع واحدهم شيعة وشيعة الرجل اتباعه قيل شيع الاولين من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وجانب الغربي والاصل في الشيع الاولين والبصريون يأولون مثله على حذف المضاف اليه اى في شيع الامم الماضين الاولين وجانب المكان الغربي ﴿قوله والمعنى نبأنا رجالا﴾ جواب عما يقال الاصل في فعل الارسال ان يتعدى بالى فينبغي ان يقال ولقد ارسلنا من قبلك الى شيع الاولين فكيف عدى بكلمة في والجواب ان يقال عدى بفي لتضمين ارسلنا معنى نبأنا الا انه زاد قوله رجالا للاشارة الى ان مفعول ارسلنا محذوف تقديره ارسلنا رسلا فيهم وزاد قوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم اتماما لمعنى ارسال الرسل لما تقرر من ان الرسول من له معجزة باهرة وكتاب سماوي والنبي صاحب المعجزة فقط وليس له كتاب سماوي فلو اقتصر على قوله نبأنا رجالا فيهم لكان المذكور بعض معنى ارسلنا وهو بصدد بيان تمام معناه فدل بقوله نبأناهم فيهم على معنى اعطيناهم المعجزة وبقوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم على معنى صيرناهم صاحب كتاب وشريعة مستقلة والفائدة في ارتكاب ما يحوج الى اعتبار التضمين الاعلام بمزيد تمكين الرسل واستقرارهم فيما بين الامم ﴿قوله تعالى وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ نظير قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فيكون المنفي فيه صفة رسول هذا على ما اختاره المصنف لانه في قوة ان يقال اتاهم رسول مستهزأ به ولم يأتهم رسول غير مستهزأ به ويكون حالا من مفعول يأتيهم على ما اختاره السكاكي والكاف في قوله تعالى كذلك منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف او حال منه اى سلكنا الاستهزاء في قلوبهم سلكا مثل هذا السلك ويحتمل ان يكون مرفوع المحل على انه صفة مصدر محذوف او حال منه اى الامر كذلك ويستأنف قوله وقيل الذكر فان المعتزلة لما ابوا من ارجاع ضمير نسلكه الى الاستهزاء المدلول عليه بقوله يستهزؤن على ان الاستهزاء بالانبياء كفر وضلال والله تعالى لا يخلق الباطل في قلب العبد على زعمهم قالوا ان الضمير للذكر واستدلوا عليه بان الضمير في قوله لا يؤمنون به عائد الى القرآن بالاجماع فوجب ان يكون ضمير نسلكه ايضا عائدا اليه لانهما ضميران متعاقبان فيجب عودهما الى شيء واحد ﴿قوله لا يؤمنون به﴾ حال من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير للاستهزاء لكان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم لا يؤمنون بذلك الاستهزاء وذلك يوجب التناقض لان الكافر لا بد وان يكون مؤمنا بكفره واستهزائه والذي لا يؤمن ولا يصدق بالكفر هو المؤمن العالم ببطلان الكفر اذ هو بيان وتفسير لجملة كذلك نسلكه فينبغي ان يكون المبين مشتملا على ما يشتمل عليه البيان واجاب المصنف عن وجوه احتجاجهم بان الاصل في الضمائر ان ترجع الى اقرب المذكورات وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزؤن قريب والاصل المذكور يقتضي ان يرجع ضمير نسلكه الى الاستهزاء المدلول عليه باقرب المذكورين ولا مانع من اعتبار هذا الاصل في ضمير نسلكه فان قلت انه راجع الى الاستهزاء اذ لم يتحقق مانع والا فلنا انه راجع الى الاستهزاء ولم يتحقق المانع من اعتبار هذا الاصل في الضمير الثاني وهو لزوم التناقض قلنا ان الضمير الثاني يرجع الى الذكر المذكور اولا وتفريق الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقليل في القرآن فان تعاقب الضمائر لا يستلزم الرجوع الى شيء واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل وقد دل الدليل في هذه الآية على رجوع الضمير الاول الى الاقرب ورجوع الضمير الثاني الى الابعد عملا بمقتضى الدليل واجاب عن قولهم ان يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان الضمير للاستهزاء لزم التناقض بقوله ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير الخ يعني ان التناقض انما يلزم على تقدير كون ضمير نسلكه للاستهزاء وكون الجملة حالا منه وذلك غير لازم لجواز ان تكون حالا من المجرمين بل ويجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب بان تكون جملة مستأنفة لبيان حالهم بدخول الاستهزاء في قلوبهم ويكون المعنى لا يؤمنون بسببه واجاب عن قولهم ان كون الجملة الثانية بيانا للاولى يستدعي ان يكون ضمير نسلكه للذكر وهو ينافي كونه للاستهزاء بقوله ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه فان تمكن الاستهزاء الراسخ في القلب عبارة عن الامتناع عن الايمان بسبب ذلك الاستهزاء فيصلح ان يكون لا يؤمنون به تفسيرا لقوله كذلك نسلكه اى الاستهزاء في قلوبهم ﴿قوله بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم﴾ قدم هذا المعنى لكونه اكثر ارتباطا بما ذكر قبل وعلى المعنى الثاني يكون تهديدا لكفار مكة ﴿قوله على هؤلاء المقترحين﴾ من كفرة مكة فانه تعالى حكى عنهم تماديهم في الكفر والعناد بقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه

(ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين) في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما الحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (في قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله (لا يؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه (وقد خلت سنة الاولين) اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة (ولو فتحنا عليهم) على هؤلاء المقترحين

الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وقد حكى الله تعالى في مواضع اخر انهم كانوا يقترحون
الآيات ويعلقون اسلامهم على مجيئها نحو قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فكان المسلمون
يظنون انهم صادقون مسترشدون في ذلك الاقتراح فكانوا يشفعون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل
من الله ان يعطيه الآيات التي سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم في ذلك الاقتراح غير مسترشدين بقوله ولو
فتحنا عليهم بابا من السماء لأصروا على العناد والمكابرة فلا تلتفتوا الى قولهم لو ما تأتينا بالملائكة ونظيرها قوله
تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله قل انما الآيات
عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ﴿ قوله تعالى فظلوا ﴾ من الافعال الناقصة واسمه مستتر فيه
راجع الى الكفار المفتح لهم الباب وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المصنف بقوله او تصعد الملائكة فالمعنى
لو كشف لهؤلاء عن ابصارهم حتى عاينوا بابا من السماء مفتوحا فظل الملائكة ينزلون منه ويصعدون فان الصعود
لا يكون بدون النزول فكان ذكره مستغنى عنه لصرفوا ذلك الى انهم سحروا ولأصروا على كفرهم ولم يؤمنوا فعلى
هذا يكون النظم من قبيل ما تعاقب فيه الضمير مع اختلاف المرجع اليه والظلول فعل الشيء نهارا يقال ظل يفعل كذا
اذا فعله بالنهار وبات يفعل كذا اذا فعله بالليل فقوله فظلوا فيه يعرجون بمعنى يصعدون اليه في ياض النهار ليكونوا
مستوضحين لما يرون ﴿ قوله اليه ﴾ اشارة الى ان متعلق يعرجون محذوف اي يعرجون اليها فيه بتضمين
معنى الارتفاع اي يرتفعون ﴿ قوله سدت من الابصار بالسحر من السكر ﴾ بفتح السين وسكون الكاف
وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته وهو من باب نصر والسكر بالكسر العرم والسكر بضم السين وسكون
الكاف اسم السكر من الشراب وفعله من باب علم يقال سكر يسكر سكرا وهذا لازم والاول متعد فيكون بناء التفعيل
في الاول للتكثير اي تكثير المفعول وهو الابصار وفي الثاني للتعدية وقرأ ابن كثير سكرت بتخفيف الكاف وبناء
المفعول وباقي السبعة قرأوا على بناء المفعول ايضا الا انهم شددوا الكاف والفعل على قراءة الجميع من السكر بمعنى
السد بشهادة قراءة ابن كثير فانه لو لم يكن من السكر المتعدي لما بنى الفعل للمفعول وذلك يدل على ان باقي القراآت
ايضا من المتعدي وان التضعيف للتكثير ﴿ قوله او حيرت من السكر ﴾ بالضم عطف على قوله سدت فعلى
هذا يكون التضعيف للتعدية ﴿ قوله وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له ﴾
اما دلالة كلمة الحصر عليه فانها تدل على ان سكرا تعلق بالتسكير وحيرنا الا ان ذلك التسكير والتحيير لم يتعلق الا
بابصارنا ولم يتعلق بعقولنا ولا يخفى ان هذا بت بان ما يرونه لا حقيقة له واما دلالة كلمة الاضراب عليه فانهم اضربوا
عن الحصر في الابصار وقالوا بل جاوز التسكير الى عقولنا وان سحر السحرة كما حير ابصارنا حير عقولنا ايضا فقد
حكموا بانه كما لا اعتماد على شهادة حواسهم لا اعتماد ايضا على شهادة عقولهم لكون الكل حيرى سكرى فهو بت
بان ما يرونه بابصارهم ويحكمون عليه بعقولهم امور مموهة لا حقيقة لها ه قال الامام فان قيل كيف يجوز من الجماعة
العظيمة ان يصيروا شاكين في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح ولو جاز حصول الشك
في ذلك كان حصول السفسطة لازما ولا يبقى حينئذ اعتماد على الحس والمشاهدة ثم قال واجاب القاضي عنه بانه
تعالى ما وصفهم بالشك فيما يبصرونه وانما وصفهم انهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على الكذب
على سبيل العناد والمكابرة وقال بعده فيصح من الجمع العظيم ان يظهروا الشك في المشاهدات واجاب ايضا بان ذلك
اذا جاءهم غرض معتبر من المواطأة على دفع حجة او غلبة خصم فهذه الحكاية ايضا انما وقعت من قوم مخصوصين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انزال الملائكة وهم رؤساء القوم وكانوا قليلي العدد واقدام القليل على
ما يجري مجرى المكابرة جائز ﴿ قوله مختلفة الهيئات والخواص ﴾ اشارة الى وجه دلالة جعل السماء ذات
البروج على وجود الفاعل المختار وكمال قدرته وعلمه فانه تعالى لما اجاب عن شبه منكري النبوة وبين توغلهم
في المكابرة والعناد وقد تقرر ان القول بالنبوة متفرع على قول بالتوحيد اتبع ما يدل على حقية النبوة
بذكر دلائل التوحيد مبتدأ بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا الآية واصل البرج الحصن
والقصر قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة اي ابنية عالية قيل لها البروج لظهورها من بعيد فان اصل
البروج الظهور ومنه قوله تعالى غير متبرجات بزينة اي غير ظاهرات بها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
المراد ببروج السماء منازل الشمس والقمر فانه تعالى جعل لكل واحد منهما منزلا ينزل كل ليلة في منزل على حدة

(بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون
اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم
(لقالوا) من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن
الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة
ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل
عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم
مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه
عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر
والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه
لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع
من السحر (ولقد جعلنا في السماء بروجا)
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على
ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء

وقيل هي النجوم الكبار وقيل يحتمل ان يكون المراد بها مطالع الشمس والقمر والنجوم ومنازلها وقيل البروج الاثنى عشر واسماؤها الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ﴿قوله المعتبرين المستدلين﴾ فان ما نجم في العين منظرا لا يفكر الناظر فيه ولا ينظر اليه فزينها الله تعالى ليصلهم ذلك على النظر اليها والتفكر فيها فيعلموا ان ذلك تدبير العزيز العليم حيث دبر نظام العالم على احسن تقويم وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعدما بينهما ﴿قوله الا من كل شيطان﴾ اى الا ممن استرق السمع * قيل فيه نظر لان النحاة قد صرحوا بان المستثنى بالا غير الصفة اذا وقع في كلام موجب تام يجب نصبه ويمتنع البدل لانه يقتضي فساد المعنى لان المبدل منه في حكم الساقط فيكون تقدير جاءني القوم الا زيد مثلا جاءني الا زيد وحينئذ يقتضي ان يجيء اليه جميع العالم غير زيد وهو معنى فاسد واجيب عنه بان قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان في معنى النفي كانه قيل لا يقربها شيطان الا من استرق السمع ولو قيل انه في محل النصب على انه مستثنى متصل لان من استرق من جنس الشيطان والمعنى انا حفظناها من قرب كل شيطان الا من استرق السمع فانا لم نحفظها من قربه لم يتوجه النظر المذكور ولم يحتج في دفعه الى تكلف فان المستثنى من كلام تام موجب يجب نصبه على الاستثناء بالاتفاق ومن جعله منقطعا لعله نظر الى ان قوله وحفظناها معناه انا حفظناها لكن من استرق السمع ممنوع من دخول السماء فاستراقه السمع لا يخرج السماء عن كونها محفوظة من دخول الشيطان فلا يصح الاستثناء الا على سبيل الانقطاع * قال الامام فان قيل ما معنى قوله وحفظناها من كل شيطان والشيطان لا قدرة له على هدم السماء فاى حاجة الى حفظ السماء منه واجاب بانه تعالى لما منعه من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فيكون حفظ الله تعالى السماء منهم كما تحفظ منازلنا من نجس ويخشى منه الفساد ﴿قوله واستراق السمع اختلاسه سرا﴾ قال الامام لا يمكن حمل لفظ الا على الاستثناء بدليل ان اقدامهم على استراق السمع لا يخرج السماء عن ان يكون محفوظة منهم لانهم ممنوعون من دخولها وانما يحاولون القرب منها فلا يصح ان يكون استثناء على التحقيق فوجب ان يكون معناه ولكن من استرق السمع يقال استرقت السمع اى استمعت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون نقل الامام عن ابن عباس انه قال في قوله الا من استرق السمع يريد به الخطفة اليسيرة وذلك ان المارد من الشياطين من يعلو فيرمى بالشهاب فيحرقه وحبسه ومنهم من يخبله الشهاب اى يفسده فيصير ذلك الشيطان غولا فيضل الناس في البوادي وقال الامام ابو الليث كان الشيطان المارد منهم يصعد على آخر ويكون الآخر اسفل منه فاذا سمع قال للذى اسفل منه قد كان من الامر كذا وكذا فيهرب الذى اسفل ويرمى الذى استرق السمع بالشهاب ويأتى الذى هو اسفل بالامر الذى سمعه الى كهنتهم فذلك قوله الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين اى تبعه ولحقه شعلة نار ساطعة اى مرتفعة لا يخطئه الشهاب اى يصيبه فهو اما ان يأتى على نفسه واما ان يخبله حتى لا يعود الى الاستماع من السماء والمصنف جعل استراق السمع استعارة لاستلاب الشياطين من سكان السموات امورا يسيرة من غير توسيط حاسة السمع اصلا بل انما هو تلق منهم تلقيا معنويا بناء على مابينهما من مناسبة في الجوهر واما بطريق الاستدلال باوضاع الكواكب وحركاتها ﴿قوله في الارض او فيها وفي الجبال﴾ قدم الاحتمال الاول لان انواع النبات المنتفع به انما تتولد في الارض واما الفواكه الجبلية فليست بكثيرة النفع وقيل رجوع الضمير الى الجبال اولى لان المعادن انما تتولد في الجبال والاشياء الموزونة في العرف والعادة هي المعادن لا النبات قال الكلبي وانبتنا فيها اى في الجبال من كل شيء موزون وهي الاجساد تسعة كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ والملح والزاج ونحوها ﴿قوله وقرئ بالهمز﴾ يعني ان في لفظ معايش يجوز ان يتلفظ بياء صريحة لكونها ياء اصلية بمنزلة الصاد من مصادر لكونه كلمة من العيش بخلاف نحو الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة لان الهمزة فيها زائدة لياء صائل كما في نحو فضيلة وفضائل وصحيفة وصحائف وسحاب وسحائب وحائلة وحوائل فمن قرأ معائش بالهمزة فوجه قراءته تشبيه الكلمة بالشمائل ﴿قوله او على محل لكم﴾ وهو النصب لانه مفعول كانه قيل جعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين لكن حذف الجار واوصل الفعل وانما قال على محل لكم لما تقرر في النحو من انه لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار في حال السعة والاختيار عند البصريين ويجوز ترك الاعادة حال الضرورة كما في قوله

* فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا * فاذهب فما بك والايام من عجب *

(وزيناها) بالاشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها (الا من استرق السمع) بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع (فاتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها) في الارض او فيها وفي الجبال (من كل شيء موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش او على محل لكم

واجاز الكوفيون ترك الاعادة في حال السعة بقوله تعالى تساءلون به والارحام بالجر في قرآءة حمزة اذا تقرر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محل مجموع الجار والمجرور والذي لم يجوزه البصريون حال السعة هو الاول دون الثاني ﴿ قوله ومن لستم له برازقين ﴾ اشارة الى ان كلة من يراد بها مايعم العقلاء وغيرهم من الدواب المنتفع بها على سبيل تغليب العقلاء على غيرهم ﴿ قوله اي وما من شيء ﴾ يعني ان كلة ان نافية ومن مزيدة في المبتدأ وعندنا خبره وخزآئنه فاعل الظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون خزآئنه مبتدأ ثانيا وعندنا خبره قدم عليه والجملة خبر المبتدأ الاول والخزآئن جمع خزانة كعمالة وحمائل وهو اسم للمكان الذي تخزن فيه الاشياء اي تحفظ فان كان محصل المعنى ما من شيء من الممكنات الغير المتناهية الا وخزآئنه عندنا تكون الخزآئن استعارة تصريحية للقدرة شبه اقتداره على ايجاد الممكنات باسرها بالخزانة فاطلق عليه اسم الخزانة وجمع مع ان قدرة الله تعالى لاتتعدد فيها فضلا عن القدرة المتعلقة بكل واحد من الاشياء المقدورة وفائدة العدول الى المجاز الايذان بان مقدورات الله تعالى كانها حاصلة موجودة بالفعل وهذه الفائدة لاتحصل بان يقال وان من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه وان كان محصل المعنى ما من شيء من الاشياء المقدورة الا وهي مخزونة عندنا كان من قبيل التشبيه البليغ حيث شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والجامع عدم الاحتياج في اظهارها الى كلفة واجتهاد والبقاع ماارتفع من الارض واضافة البقاع الى القدرة بيانية ولما كان تنزيل الشيء عبارة عن تحريكه من اعلى الى اسفل شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والقدرة بالارض المرتفعة واشار به الى ان قوله وماننزله الابقدر ترشيح لاستعارة الخزانة للقدرة لكون التنزيل مما يلائم المستعار منه ﴿ قوله تعالى لواقح ﴾ حال مقدرة من الرياح قيل اللواقح جمع ملقح لانه من القح يلقح فهو ملقح فقه ملاقح يقال القحت الريح السحاب كما يقال القح الفحل الانثى اذا القى الماء فيها فحملته فكذلك الرياح جارية مجرى فحل السحاب وكون لواقح جمع ملقح من النوادر ونظيره كون الطوآئح جمع مطيحة او مطوحة يقال طاح يطوح ويطيح اى هلك وكذلك اذا تاه في الارض والطاحه وطوحه اي توهه فتطوح في البلاد اى تحير ورمى بنفسه مهمها ومهمها وطوحته الطوآئح قذفته القواذف ولا يقال المطوحات ولا المطيحات وهو نادر وكذا لواقح قال

● ليبك يزيد ضارع لخصومة ● ومختبط مما تطيح الطوآئح ●

وقيل اللواقح جمع لاقح بمعنى حامل يقال لقحت الريح اذا حملت الماء قال الازهري لواقح اى حوامل تحمل السحاب والماء قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة والمصنف قدم هذا الاحتمال لما فيه من حمل لفظ اللواقح على ظاهره حيث جعلت الرياح لواقح في انفسها لاملقحات لغيرها على ان ضد هذه الرياح العقيم وهي التي لاتحمل الماء وهو يرجح ان تكون اللواقح على ظاهرها وهو كونها بمعنى الحوامل ﴿ قوله جعلناه لكم سقيا ﴾ اى جعلنا لكم ماء المطر معدا لسقي انفسكم واراضيكم ومواشيكم هذا على قول من فرق بين سقاه واسقاه فقال سقاه اذا اعطاه ماء يشربه في الحال فيسكن به عطشه واسقاه اذا جعل له شربا يتمكن به من الانتفاع زمانا وقيل هما لغتان بمعنى ﴿ قوله وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم ﴾ اى حمل قوله تعالى اسقيناكموه على معنى وجعلنا ماء المطر محفوظا معدا لانتفاعكم زمانا وما انتم له بحافظين يدل على وجود المدبر الحكيم كما يدل عليه حمله على معنى انا دبرنا لصلاح احوالكم وانتظام امر معاشكم هذا التدبير العجيب حيث تفردنا بخلق الماء في السماء وانزاله منها وجعله لكم سقيا ترجعون اليه كلما احتيج الى الماء وما انتم بقادرين على شيء منها ﴿ قوله فان طبيعة الماء تقتضي الغور ﴾ علة لدلالته على ماذكر وقوله كما يدل حركة الهوآء الخ معترضة بين العلة والحكم المعلل والمقصود بيان ان فذلكة قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح الآية مثل فذلكة الآية المتقدمة على اى معنى من المعنيين المذكورين حمل قوله وما انتم له بخازنين ﴿ قوله وقد اول الحياة بمايعم الحيوان والنبات ﴾ يعني ان منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء الحيوان والنبات ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان وايا ما كان تصلح الآية دليلا على وجود الاله الفاعل المختار كما ثبت بالدلائل العقلية انه لاقدرة على خلق الحياة بالمعنى الاعم المتحقق في الحيوان والنبات ولا بالمعنى المختص بالحيوان الا لله تعالى فقوله نحن نحيي من قبيل القادر على كل ما يريد ﴿ قوله وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴾ وذلك لان قوله تعالى نحن نحيي من قبيل قولك انا قمت من حيث ان نحن

ويريد به العيال والخدم والمماليك وسا
مايظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان
يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلا
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين
مختلفة الاجزآء في الوضع محدثة فيه
انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة
وطبيعة مع جواز ان لايكون كذلك عل
كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في
الالوهية والامتنان على العباد بما ان
عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بال
في ذلك وقال (وان من شيء الا عند
خزآئنه) اى وما من شيء الا ونحن
قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف
ماوجد منه فضرب الخزآئن مثلا لاقتدار
اوشبه مقدوراته بالاشياء المخزونة ال
لايحوج اخراجها الى كلفة واجتها
(وماننزله) من بقاع القدرة (الا بقد
معلوم) حده الحكمة وتعلقت به المشيئ
فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض
الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالا
لابد له من مخصص حكيم (وارسلنا الرياح
لواقح) حوامل شبه الريح التي جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شب
مالايكون كذلك بالعقيم او ملقحات الشجر
او السحاب ونظيره الطوآئح بمعنى المطيحات
في قوله
ومختبط مما تطيح الطوآئح ● وقرئ
وارسلنا الريح على تأويل الجنس (فانزل
من السماء ماء فاسقيناكموه) فجعلنا
لكم سقيا (وما انتم له بخازنين) قادر
متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبت
لنفسه اوحافظين في الغدران والعيو
والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكي
كما تدل حركة الهوآء في بعض الاوقات من
بعض الجهات على وجه ينتفع به النا
فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دو
حده لابد له من مخصص (وانا لنحن نحيي
بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة
(ونميت) بازالتها وقد اول الحياة بما ي
الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة
على الحصر

(ونحن الوارثون) الباقون اذا ماتت الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج ومن اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد اومن تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لايخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسنة كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر المتولى لحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن فى افعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) طين يابس يصلصل اى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصال اذا انتن تضعيف صل (من حمأ) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمأ (مسنون) مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان مايسيل منهما يكون منتنا ويسمى السنين

مبتدأ ونحن خبره والجملة خبر قوله انا وقد تقرر فى علم المعانى ان تقديم المسند اليه يفيد الاختصاص بشرطين الاوّل ان نحن يجوز ان يقدر كونه فى الاصل مؤخرا على انه فاعل معنى فقط وان كان فى اللفظ تأكيدا للفاعل والثانى ان لايقدر ذلك وان لم يوجد الشرطان لايفيد التقديم الاتقوى الحكم وقد وجد الشرطان ههنا اما الاوّل فظاهر واما الثانى فلكون الآية مسوقة لتقرير دليل اثبات الصانع وذلك يقتضى اعتبار الحصر فى التخصيص ومايتوقف اعتباره عليه ويحتمل ان يكون نحن تأكيدا لاسم ان ونحيى خبرها وذلك لايمنع تحقق الشرطين ايضا كما لايخفى ولايجوز ان يكون نحن فصلا لان ضمير الفصل لايكون الا بين اسمين ونحن ههنا لم يقع بين اسمين وقد اتفق شراح الكشاف على ان الحصر فى قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم مستفاد من توسيط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها ﴿قوله ونحن الوارثون الباقون اذا ماتت الخلائق كلها﴾ يعنى ان الوارث من يخلف الميت ويقوم مقامه فى تملك تركته بعد موته وهو مستحيل فى حقه تعالى لانه تعالى مالك للموجودات باسرها اصالة لاخلافة فوجب جعله مستعارا لمعنى الباقى بعد هلاك الخلق تشبيها له تعالى بوارث الميت فى بقائه بعد فنائه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى دعائه واجعله الوارث منا من اوّله «اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا» قيل ضمير اجعله راجع الى السوابق باعتبار المذكور والمعنى واجعلها بالية لازمة معنا الى الموت فبولغ فيه وقيل اجعلها كأنها تبقى بعدنا لان الوارث يبقى بعد الموروث وقيل الضمير يرجع الى التمتع المدلول عليه بقوله متعنا اى اجعل التمتع بما ذكر كأنه الوارث لما انحل من القوى النفسانية عند الكبر والباقى بعد زوالها روى انه عليه الصلاة والسلام ما كان يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات له ولاصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ﴿قوله تضعيف صل﴾ يقال صل اللحم يصل بالكسر صلولا اى صار مصبوحا بعد ان كان نيئا والحمأ الطين الاسود وكذلك الحمأة بالتسكين يقال حمئت البئر حمأ بالتحريك اى كثرت حمأتها والحمأ المسنون اى المتغير المنتن وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

> ✿ تريك سنة وجه غير مقرفة ✿ ملساء ليس بها خال ولا ندب ✿

والمسنون المصوّر على صورة مثال وقد سننته اسنه سنا اذا صوّرته وسننت التراب اى صببته على وجه الارض صبا سهلا حتى صار كالصورة والكل من الصحاح عن ابن عباس انه تعالى خلق آدم من اديم الارض فالقى على الارض حتى صار طينا لازبا وهو الطين الملتزق ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا وهو المنتن ثم خلقه الله تعالى بيده وكان اربعين يوما مصوّرا حتى يبس فصار صلصالا كالفخار اذا ضرب عليه صلصل اى صوّت ومن فى قوله من صلصال لابتداء الغاية او للتبعيض تقول العرب سننت الماء اى صببته وهذه الآية ايضا مسوقة لاثبات الصانع وكمال قدرته فانه قد ثبت بالدلائل القاطعة انه يمتنع القول بوجود حوادث لااوّل لها بل يجب انتهاء الحوادث الى اوّل حادث فلزم من ذلك ان ينتهى الناس الى الانسان الذى هو اوّل الناس وذلك الانسان لايكون مخلوقا من الابوين فيكون مخلوقا لامحالة بقدرة الله تعالى فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان اى ذلك الانسان الاوّل وقد اجمع المفسرون على ان المراد منه آدم عليه الصلاة والسلام وقد دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب على انه تعالى خلق آدم من تراب ودلت آية اخرى على انه مخلوق من طين وهى قوله تعالى انى خالق بشرا من طين وجاء فى هذه الآية انه عليه الصلاة والسلام مخلوق من صلصال كائن من حمأ مسنون وقال فى موضع آخر انا خلقناهم من طين لازب هو الملتزق والظاهر ان ليس المراد انه تعالى خلقه من هذه المذكورات المتنافية فى حالة واحدة لقيام التنافى بين هذه الاوصاف فى شئ واحد فى زمان واحد فيشتبه فثبت ان يكون المراد من هذه المذكورات ان مبدأ خلق آدم عليه الصلاة والسلام على اختلاف الاحوال والاوقات بان يكون مبدأ التكوين فى اوّل الحال ترابا وفى حال آخر صار طينا لازبا وفى آخر صار حمأ مسنونا وهو الذى اسود وتغير لطول مكثه وفى حال آخر صار صلصالا كالفخار قبل ان يخلق فيه اللحم والعظم ويركب فيه الجوارح والاعضاء ولما كان على هذه الاحوال المذكورة على ما اخبر الله تعالى وكان تغير احوال اولاده كذلك حيث قال فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فذكر ان اولاده كانوا على هذه الاحوال قبل ان يخلق فيهم لحما وعظما كما ذكر فى حق آدم عليه الصلاة والسلام من انه خلق من تراب وطين لازب وصلصال وحمأ مسنون حمل على ما ذكر فى اولاده قال المفسرون خلق الله آدم من طين فصوّره وتركه فى الشمس اربعين سنة فصار صلصالا لايدرى احد ما يراد منه ولم يروا شيأ

من الصور يشبهه الى ان نفخ فيه الروح وحقيقة كلامهم انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان فجف فكانت الريح اذا مرّت به سمع له صلصلة ولذلك سماه الله تعالى صلصالا وهو الطين اليابس الذى يصلصل اى يصوّت وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار ﴿قوله والجانّ ابا الجنّ﴾ قال جامة المفسرين الجانّ ابو الجنّ كان ابليس او الشياطين سمى جانا لتواريه عن الاعين يقال جنّ الشئ اذا استتر ويسمّى الجانّ يستر نفسه عن اعين بنى آدم ﴿قوله من نار الحرّ الشديد﴾ الظاهر ان المراد بالحرّ الشديد حرّ النار وان المراد من حرّ النار لهب النار الذى لا دخان له كما انه قيل من نار اللهب الشديد وقوله النافذ فى المسام اشارة الى صعاد تلك اللهب وخلوه عن الدخان ولما كان من طبع لهب النار العلوّ والارتفاع ومن طبع التراب التنزل والتسفل كان خلق ما خلق من كل واحد منهما مناسبا لمادّته قيل السموم اسم من اسماء جهنم اخبر الله تعالى انه خلق الجانّ من نار جهنم وقيل السموم الريح الحارّة التى تقتل قال الكلبى هى نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وقال ابن مسعود من نار الريح الحارّة قال وهذا السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجانّ وتلا هذه الآية ومعنى السموم فى اللغة الريح الحارّة وفيها لغة وفى الخبر انها من فيح جهنم كذا فى الوسيط وقول المصنف من نار الحرّ الشديد يدل على ان السموم عبارة عن الحرّ المفرط سواء كان من شمس اوريح او نار وان ما فيه من النارية لشدّته ولطافته يدخل المسام فيقتل وقيل السموم ما كان ليلا والحرور ما كان نهارا وقيل من فى من قبل ومن نار السموم متعلقتين بخلقنا لاختلاف معناهما لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ﴿قوله ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة﴾ جواب عما يقال لا تتصوّر الحياة بدون تركيب يتوقف عليه بقاء البنية واعتدال المزاج فكيف تخلق فى الجسم البسيط ولا سيما فى الجوهر الذى يكون فى غاية الحرارة والجواب ان البنية ليست بشرط لامكان حصول الحياة فانه تعالى خلق الحياة والعقل والعلم فى الجوهر الفرد فى الجسم الذى يكون فى غاية الحرارة ﴿قوله ولما كان الروح﴾ اى النفس الناطقة تعلق اوّلا بالبخار اللطيف الذى هو الروح الحيوانى لكونه اقبل لها بالنسبة الى سائر ما فى البدن من الاعضاء لمناسبة بينهما فى اللطافة وهو جواب عما يقال النفخ اجراء الريح فى تجويف شئ آخر ولا ريح ههنا ولا نفخ فما وجه قوله تعالى ونفخت فيه من روحى وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة التبعية شبه تعلق الروح بمعنى النفس باجزاء البدن بواسطة سريان الروح الحيوانى فيها جاريا فى تجاويف الشرايين بجريان الريح فى تجويف آخر فاطلق على المشبه اسم النفخ واشتق منه نفخت ويحتمل ان يكون المراد بالروح الروح الحيوانى الساري فى البدن بتوسط الشرايين فيشبه اجراءه هذا الروح فى البدن وهو سبب الحياة باجراء الريح فى الشئ وهو النفخ بل هو ظاهر الآن اضافته للتشريف فى قوله من روحى تستدعى ان يراد به النفس الناطقة التى هى المشرفة بمعرفة الله تعالى والمكلف بعبادته ﴿قوله تعالى فقعوا له﴾ امر من الوقوع وفاء التعقيب فيه تدل على انه تعالى لما نفخ الروح فى آدم عليه الصلاة والسلام اوجب على الملائكة ان يسجدوا له سجود التحية والتعظيم وقيل المسجود له هو الله تعالى وانه كان آدم كالقبلة لذلك السجود حيث امروا بان يتوجهوا اليه فى سجودهم لله تعظيما له بجعلهم اياه وسيلة الى عبادة الله تعالى وتعظيمه حيث عاينوا قدرة الله تعالى فى خلق البشر المسوّى من الحمأ المسنون وقيل اخبر الله تعالى الملائكة انه سيفعل امر كذا وامرهم بالسجود له ان فعل فيكون امرا بالسجود لآدم قبل خلقه ليعملوا ذلك حين ما عاينوا انه تعالى عدّل صورته وسوّاه بالصورة الانسانية ونفخ فيه الروح وسمى الانسان بشرا لكونه ظاهر البشرة لا شعر عليه ولا وبر ولا صوف وقيل لكونه جسما كثيفا يباشر اى يمس ظاهر جلده والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشر والبشرة ظاهر جلد الانسان ﴿قوله اكد بتأكيدين﴾ ولا يفيد الاجتماع فى الوقت كما ذهب اليه البعض فتكون الفائدة فى تكرار التأكيد المبالغة فى الدلالة على سجود الكل فانه لو قيل فسجد الملائكة من غير تأكيد لاحتمل ان يكون الساجد بعض الملائكة فلما قيل كلهم زال هذا الاحتمال وظهر انهم سجدوا باسرهم ثم كرر التأكيد للمبالغة فى ازالة احتمال كون الساجد بعضهم وقيل كل واحد من اللفظين يفيد غير ما افاده الآخر فان الاول يفيد ان الساجد كل الملائكة لا بعضهم والثانى يفيد ان الكل سجدوا فى وقت واحد غير متفرقين واعترض عليه المصنف بانه لو كان الامر كذلك لكان الثانى حالا لا تأكيدا اى ان الثانى لا يكون تأكيدا وقد فرض ان كل واحد منهما تأكيد جئ به ليفيد فائدة جديدة غير ما يفيده الآخر وفيه بحث لانه ان اراد بقوله لكان الثانى حالا لا تأكيدا ان الثانى لا يكون تأكيدا حينئذ ممنوع اذ لا شك ان اجمعون

(والجانّ) ابا الجنّ وقيل ابليس ويجوز
ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد
خلق من مادّة واحدة كان الجنس باسره
مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله
(خلقناه من قبل) من قبل خلق الانسان
(من نار السموم) من نار الحرّ الشديد النافذ
فى المسام ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام
البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجرّدة
فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها
الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب
فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب وسياق
الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة
الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو
قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك)
واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا
من صلصال من حمأ مسنون فاذا سوّيته)
عدّلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه
(ونفخت فيه من روحى) حتى جرى آثاره
فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء
الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح
يتعلق اوّلا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا
لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن
جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى
نفسه كما مرّ فى سورة النساء (فقعوا له)
فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع
(فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكد
بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة
على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر
اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا

يؤكد مادل عليه لفظ الملائكة معرفا باللام الاستغراقية وان اراد به مع انه تأكيد يفيد فائدة الحال والتأكيد لا يفيد فائدة الحال فهو ايضا ممنوع اذ لا منافاة بينهما بالنسبة الى المعنى الا ترى انه يجوز ان يقال جاؤنى جميعا على انه حال مع افادته معنى التأكيد ﴿قوله ان جعل منقطعا﴾ بان يكون الا بمعنى لكن فحينئذ يكون ابى خبره اتفق المفسرون على ان ابليس كان مأمورا بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام الا انهم اختلفوا فى انه من الملائكة والاستثناء متصل اوليس منهم بل كان جنيا من جنس الجن وليس من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لآدم تناول ذلك الامر له ايضا لكونه ملتفدهم واذا لم يكن منهم حقيقة كان الاستثناء منقطعا وقوله لم اكن لاسجد مشتمل على دليلين احدهما ان كونه بشرا بشعر بكونه جسما كثيفا لان الانسان انما سمى بشرا لظهور جلده لما مر ان البشر والبشرة ظاهر جلد الانسان فكانه يقول البشر جسمانى كثيف وانا روحانى لطيف والجسمانى الكثيف ادون حالا من الروحانى اللطيف والادون لا يجوز ان يكون مسجود الاعلى وثانيهما انه مخلوق من صلصال وابليس مخلوق من نار والنار اشرف من الصلصال ومايكون مخلوقا من الاشرف فهو اشرف والاشرف لا يجوز ان يسجد للادون والمصنف اشار اليهما بقوله استنقص آدم باعتبار النوع والاصل قال المصنف فى سورة الاعراف قد غلط اللعين فى ذلك حيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى وباعتبار الصورة حيث سواه الله تعالى ونفخ فيه من روحه وباعتبار الغاية فانه امام سهم وان له خواص ليست لغيره والحق انه تعالى نص على السجود وعارضه ابليس بالقياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا ﴿قوله فان من يطرد يرجم بالحجر﴾ بيان لوجه انتقال الذهن من المرجوم الذى هو المرمى بالحجر الى معنى المطرود من الرحمة والكرامة وتوضيحه ان الرجيم كناية من كونه مطرودا ملعونا لان الطرد مستلزم للرجم باطلاق اللازم على الملزوم ﴿قوله او شيطان يرجم بالشهب﴾ اى ويحتمل ان يكون الرجيم بمعنى المرجوم بالشهب ويكون كناية عمن اشتهر بهذا الوصف وهو الشيطان كقولك جاء المضياف وتريد به الشهرته بالضيافة ﴿قوله وهو وعيد﴾ اى الاخبار بانه رجيم باى معنى كان وعيد اما ان كان بمعنى الطرد من الخير والكرامة فلان معظم الخير مايكون يوم القيامة بالحرمان ولا وعيد اعظم من الحرمان من الخير فيه واما ان كان بمعنى الشيطان المرجوم بالشهب فلان الشيطان لا يخلو اما ان يكون من شطن بمعنى بعد او من شاط بمعنى هلك وكل واحد منهما ينبئ عن الوعيد واما كونه متضمنا للجواب عن شبهته فلان المرجومية كناية عن الملعونية والشيطانية اللتين هما غاية الخذلان والهوان فيكون ابطالا لادعائه الفضل والرجحان ﴿قوله فانه منتهى أمد اللعن﴾ جواب عما يقال من ان كلمة الى لانتهاء الغاية فيلزم زوال اللعن وانتهاؤه عند يوم القيامة الذى هو يوم الدين والجزاء واجاب عنه اولا بان المراد ان يكون مخذولا غير موفق للاهتداء الى طاعة الله تعالى ودينه ومن هذا شأنه يكون مطرودا من رحمة الله تعالى لان اصل الرحمة مايكون ايام التكليف فما كان المرحوم من وفق للاهتداء ايام التكليف والملعون من كان مخذولا غير موفق له زمان التكليف ظهر ان اللعنة بهذا المعنى تنتهى بانتهاء زمان التكليف ثم استشعر ان يقال كيف تكون اللعنة بمعنى الابعاد عن الرحمة فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فاجاب عنه بان اللعنة تطلق على معنيين فالتى جعلها الله تعالى منتهية بيوم الجزاء هى اللعنة بمعنى الطرد عن الهداية الى الحق والتى ابتداؤها يوم الجزاء هى اللعنة بمعنى آخر ثم نقل جوابين آخرين على سبيل التضعيف والتمريض الاول ان اللعن وان حد بيوم الجزاء الا ان المراد به التأبيد وذكر يوم الدين لكونه ابعد غاية يذكرها الناس فى مقام التأبيد كقوله تعالى مادامت السموات والارض الا ماشاء والثانى ان قوله تعالى وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال الكلبى معناه يلعنك اهل السماء واهل الارض الى يوم الحساب لانك اول من عصى الله ثم اذا جاء يوم الجزاء عذب عذابا ينسى عنده اللعن فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه وتنسيه فكانت مدة الخلائق اياه ودعاؤهم عليه باللعن كأنها مختصة بزمان التكليف ومنتهية عند مجئ يوم الجزاء فلهذا قال الى يوم الدين ﴿قوله والفاء متعلقة بمحذوف﴾ تقديره اذا جعلتنى رجيما ملعونا الى يوم القيامة فانظرنى طلب ان يبقيه الله تعالى الى يوم البعث وهو يوم القيامة عند يأسه من سعادة الآخرة اى طلب اصل الانظار ليجد فسحة فى الاغواء وطلب كون الانظار المطلوب منتهيا الى يوم البعث لئلا يموت لعلمه بان لا موت بعد يوم الحشر فأنظره الله تعالى الى يوم الوقت الذى سمى وعين عند الله تعالى حلوله اجله فيه ولم يبين ذلك الوقت ولم يطلعه عليه الا ترى

(الا ابليس) ان جعل منقطعا اتصل به قوله (ابى ان يكون مع الساجدين) اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد (قال يا ابليس مالك ان لا تكون) اى غرض لك فى ان لا تكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم اكن لاسجد) اللام لتأكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد (لبشر) جسمانى كثيف وانا ملك روحانى (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء او الجنة او زمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس اولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فانظرنى) فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسحة فى الاغواء او نجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى

ال قوله حكاية عنه وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله فاخبر تعالى انه يخاف الله ولو بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك وقيل الوقت المعلوم هو الوقت الذى عين فى علم الله تعالى انقراض الناس كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى على ما روى انه اذا نفخت النفخة الاولى مات الخلائق كلهم ومات ابليس معهم ﴿قوله لما عرفت﴾ اى من ان حكمة الحشر ان يجازى الخلائق باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿قوله وثانيا يوم البعث﴾ لكونه صالحا لان يكنى به عن مقصود اللعين وهو ان يكون الانظار الى وقت انقطاع التكليف وحصول اليأس من اغواء بنى آدم وتضليلهم ولا شك ان يوم البعث ينتقل منه الذهن الى الوقت المذكور فعبر به عن ذلك الوقت لهذا الاعتبار وعبر عنه ثالثا بالمعلوم لانه لما ذكر فى كلامه تعالى يوم الدين وفى كلام اللعين يوم يبعثون صار معلوما بهما ولما ورد ان يقال كونه منظرا الى يوم القيامة يستلزم ان لا يموت ابدا لانه لا موت بعد يوم البعث اشار الى جوابه بقوله فلعله يموت اول اليوم لا فى اثنائه والذى تقرر انتفاؤه هو الموت فى اثناء ذلك اليوم لا فى اوله الذى اجزاؤه ينتهى اليه ﴿قوله وهذه المخاطبة الخ﴾ جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على انه تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وهو من اعظم المناصب واشرف المراتب فلا يليق بمن هو رأس الكفرة ورئيسهم وتقرير الجواب ان مكالمة الله تعالى بغير واسطة انما تكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام واما اذا كان على سبيل الاهانة والاذلال فلا ﴿قوله والمعنى اقسم باغوائك﴾ ونظيره قوله تعالى حكاية عنه فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا انه فى هذا الموضع اقسم بعزة الله وهى من صفات الذات وفى قوله فبما اغويتنى اقسم باغواء الله وهو من صفات الفعل والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واما القسم بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه وذكر فى شرح الوافى قال العراقيون الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين وبصفات الفعل كالرحمة والسخط والغضب والرضى ليس بيمين وصفة الذات ما لا يجوز ان يوصف بضده وصفة الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فانه تعالى يرضى بالايمان ولا يرضى بالكفر ثم قال الشارح والمذهب عندنا ان صفات الله تعالى لا هو ولا غيره وكلها قديمة فلا يستقيم الفرق ﴿قوله لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا﴾ اشارة الى ان مفعول لأزينن محذوف وهو المعاصى وعدى الفعل بفى بناء على ان يراد بالارض جهة السفل وهى الدنيا كما فى قوله تعالى اخلد الى الارض اى ركن الى الدنيا ﴿قوله والمعتزلة﴾ فانهم لما ابوا عن القول بانه تعالى يحدث الغواية والضلال فى العبد بناء على ما زعموا من ان بعض الافعال قبيح فى حقه تعالى اولوا قوله اغويتنى بقولهم نسبتنى الى الغى وسميتنى بذلك او بكونه تعالى سببا لغيه فانه تعالى لما امره بالسجود وافضى ذلك الى غيه بالاباء عن السجود كان له تعالى مدخل فى غيه فاسند الاغواء اليه تعالى على طريق اسناد الفعل الى السبب فالنظر الى ابليس علم انه تعالى هو الذى يخلق فعل الغواية والضلال فيمن يختار له ذلك ولم تعلم المعتزلة ذلك وايضا اولوا الاغواء بالاضلال عن طريق الجنة اى ان اضللتنى عن طريق الجنة اضلهم انا بالدعاء الى المعصية وضعف هذا التأويل لانه لما اقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن رحمة الله تعالى وايضا لما توجه عليهم ان قوله انك من المنظرين مخالف لمذهبهم لانه لما سأل من الله تعالى هذا العمر الطويل زيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادة يزاد استحقاقه لانواع العذاب والتعذيب كان هذا الامهال سببا لمزيد عذابه وذلك يدل على انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعذاب من يتبعه لانه تعالى امهله تلك المدة الطويلة لعلمه بانه لا يتفاوت حاله ولا حال من يتبعه فى الاستحقاق للعذاب الشديد بالكفر والضلال ويموت على الكفر ويخلد فى العذاب الشديد فلا يكون امهاله الا مزيدا لتعذيبهم ويدل على ضعفه الدلائل النقلية والعقلية اما النقل فمثل قوله فازلهما الشيطان وقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فانه يدل على ان الشيطان مدخلا وسببية فى تلك الاضلال واما الدليل العقلى فان بداهة العقل شاهدة بانه ليس حال من ابتلى بمجاوبة شخص رغبته ابدا فى القبائح ونفرته عن الخيرات مثل حال شخص كان حاله على ضد حاله فظهر بهذه الدلائل ان القول بعدم تفاوت الحال بين وجود اغواء الشيطان وامهاله وعدم ذلك وبين وجود وسوسته وعدمها ضعيف وان ليس للمعتزلة اعتذار يعتد به ﴿قوله ولأحلنهم﴾ اشارة الى ان اسناد الاغواء اليه من قبيل اسناد الفعل الى سببه الحامل واستثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم وانهم لا يقبلون منه فلو لم يذكر الاستثناء لكان كاذبا فى قوله فابليس مع كونه ابليسا لما احترز عن الكذب علم ان الكذب فى غاية الخبث بحيث لا يرضى به سعيد ولا شقى ثم ان ابليس لما استثنى

(قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما اغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) والمعنى اقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم باعمال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب (ولأغوينهم اجمعين) ولأحملنهم اجمعين على الغواية (الا عبادك منهم المخلصين) اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله

المخلصين من الغاوين باغوآئه قال تعالى هذا اشارة الى الاخلاص المدلول عليه بلفظ المخلصين صراط على" مستقيم من سلكه مرّ على" اى على مرضاتى وفضلى واحسانى ومن مرّ على مرضاتى فكأنه مرّ على" وقيل على ههنا بمعنى الى والمعنى انه اشارة الى ما استثناه ابليس وهو انه لايغوى عباده المخلصين وهم الذين لايختارون اتباع ابليس فيكون على" متعلقا بمحذوف وهو حق ويكون استقامته كناية عن عدم الانحراف من الحق وقرئ على" بالرفع على انه صفة لقوله صراط ﴿قوله تصديق لابليس﴾ صدّقه الله تعالى فى قوله الاعبادك منهم المخلصين وبين انه لايقدر على اغوآء المخلصين الا انه تعالى غير الوضع بان جعل ما استثناه ابليس مستثنى منه على غير الوضع الذى استثناه ابليس فان الاضافة فى قوله الاعبادك لتعريف الجنس وفى قوله تعالى ان عبادى للتشريف المخلصين باضافتهم الى نفسه والمصنف جعل الاستثناء متصلا بان جعل قوله تعالى ان عبادى لجنس العباد فيكون المستثنى داخلا فى جنس المستثنى منه وقال جعل وضع ما ورد بتصديق قول ابليس مغايرا لوضع ابليس لان ابليس استثنى من جنس العباد المخلصين وهو تعالى استثنى منه الغاوين لفائدتين الاولى لتفخيم المخلصين لانهم هم الباقون بعد الاستثناء فهم الاجتاد لان يعبر عنهم بلفظ عبادى والثانية ان المقصود انما يتم بهذا الوضع فعلى هذا يكون قوله تعالى الامن اتبعك بمعنى لكن من اتبعك لعدم دخول متبعى ابليس فى المخلصين وان كان انه متصل بتغيير الوضع وجعل التعريف للعهد ﴿قوله او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص﴾ فان قول ابليس لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين يوهم ان له سلطانا على عباد الله تعالى الغير المخلصين لانهم هم الباقون بعد استثناء المخلصين فتعينوا بذلك لان يكونوا متعلق اغوآئه فى قوله لاغوينهم وهو يوهم ان يكون له سلطان على اغوآئهم فكذبه الله تعالى حيث بين بهذه الآية انه ليس له سلطان عليهم ثم استدرك فقال لكن من اتبعك منهم باختياره فهو من الغاوين الا ان غوايته ليس لاجل ان ابليس يقهره على تلك المتابعة ويجبره عليها بل هو مختار فى ذلك كما قال تعالى حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فمبنى هذا التقرير كون استثناء الامن اتبعك منقطعا لان اتباع ابليس لايخرجون باتباعهم اياه عن كونهم موصوفين بان ليس للشيطان سلطان عليهم ويمكن ان يجعل الاستثناء متصلا بان يحمل العباد فى قوله تعالى ان عبادى على العموم من المطيعين والعصاة ويكون السلطان بمعنى التمكن والوسوسة والدعوة الى الضلال ﴿قوله وعلى الاول﴾ اى على ان تكون الآية تصديقا لابليس وتوضيح المقام يتوقف على بسط الكلام فاعلم ان الاصوليين اتفقوا على ان الشرط فى الاستثناء المتصل ان لايكون المستثنى مستغرقا للمستثنى منه فيبطل ان يقال مثلا على" خمسة الاخمسة لانه يفضى الى اللغو وشرط الحنابلة مع ذلك ان لايزيد المستثنى على نصف المستثنى منه وقالوا لايصح نحو ان يقال له على" عشرة الاستة ويصح الاخمسة وشرط القاضى ابوبكر ان ينقص المستثنى عن نصف المستثنى منه فلا يصح على" عشرة الاخمسة ويصح الاربعة واحتج على مذهبه بان قال القياس يقتضى ان لايصح الاستثناء اصلا لان الحكم على المستثنى منه يتناول جميع ما يندرج تحته وذكر الاستثناء بعده بمنزلة الانكار بعد الاعتراف الا انه خولف هذا القياس فيما اذا كان المستثنى اقل لمعنى لم يوجد فيما اذا كان مساويا او اكثر وهو ان الاقل قد يخفى لعدم الاعتداد وقلة التفات النفس اليه فيستدرك بالاستثناء فلم يلزم من صحة استثناء الاقل صحة استثناء الاكثر والمساوى وقوله تعالى الامن اتبعك ان جعل مستثنى متصلا من جنس العباد واراد تصديق ابليس فى قوله لاغوين عبادك الا المخلصين لزم اندفاع ما ذهب اليه القاضى من وجوب كون المستثنى اقل من الباقى ووجه اندفاعه كونه مفضيا الى ان يكون كل واحد من المخلصين والغاوين اقل من الآخر وذلك لان استثناء المخلصين من جنس العباد فى قوله لاغوين عبادك يستلزم ان يكون المخلصين اقل من الغاوين واستثناء الغاوين من جنس العباد فى قوله تعالى الا من اتبعك يستلزم ان يكون الغاوين اقل من المخلصين فيكون كل واحد منهما اقل مما هو اقل من نفسه فيكون كل واحد منهما اقل من نفسه بدرجتين وما هو الا تناقض وباطل ﴿قوله او حال﴾ اى من الضمير فى موعدهم وهذا على رأى من يجوّز الحال من المضاف اليه فان جعلت الموعد مصدرا يجوز ان يعمل فى الحال الا انه لابدّ من حذف مضاف اى مكان موعدهم لان جهنم ليست نفس المعنى المصدرى وان جعلت الموعد اسم مكان لايحتاج الى تقدير المضاف الا ان اسم المكان لايعمل فحينئذ يكون العامل فى الحال معنى الاضافة ﴿قوله او طبقات ينزلونها﴾ يعنى اختلف فى ان المراد بابواب جهنم ماهو فقيل لها سبع طبقات بعضها اسفل من

(قال هذا صراط على") حق على" ان اراعيه (مستقيم) لا انحرف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوآئه او الاخلاص على معنى انه طريق على" يؤدى الى الوصول الى" من غير اعوجاج وضلال وقرئ على" من علو الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين او المتبعين (اجمعين) تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل (لها سبعة ابواب) يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق

(بعض)

وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين (بسلام) سالمين او مسلما عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا) في الدنيا بما الف بين قلوبهم اوفى الجنة بتطييب نفوسهم (ما في صدورهم من غل) من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر (لا يمسهم فيها نصب) استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين (وما هم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق (عليم) اذا بلغ (قال أبشرتموني على ان مسني الكبر) تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله (فبم تبشرون) اي فبأي اعجوبة تبشروني او فبأي شئ تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان (معنى) استعجاب ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون

يقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات في الحال مع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها وبسلام حال اي متلبسين بالسلامة او مسلما عليكم وآمنين حال اخرى بدل من الاولى بدل الكل او الاشتمال لان الامن مشتمل على السلامة او بالعكس ﴿قوله وقرئ بقطع الهمزة﴾ اي مضمومة على انه ماض مبني للمفعول يعني ان العامة على وصل الهمزة على انه امر من دخل يدخل وحينئذ يجوز كسر تنوين عيون لالتقاء الساكنين ويجوز ضمه ايضا بالقاء ضمة الهمزة على التنوين وحذف الهمزة حال الوصل وعلى تقدير ان يقرأ بقطع الهمزة لا يجوز كسر التنوين لانه لم يكن ساكنا ويجوز ضمه بالقاء ضمة الهمزة عليه واسقاط الهمزة اجراء لها مجرى همزة الوصل في الاسقاط ﴿قوله ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم﴾ بان اتفقوا على ما يقتضيه الاسلام من الاخلاق الحسنة والاعمال المرضية بعدما كانوا عليه من الكفر وخصائل الجاهلية من اتباع الشهوة والغضب كما قال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار بسببها فحملكم على الكفر والاحوال المناسبة له كأنه قيل ان المتقين في جنات بسبب انا طهرنا قلوبهم في الدنيا من الكفر وما يناسبه من الكدورات الطبيعية والملكات الردية ﴿قوله او في الجنة﴾ بان ينسي الله تعالى ما كان بينهم من الجفاء والعقوق لان ذكر الجفاء والمخالفة ينغص النعم التي في الجنة فيغصون فيها على التلذذ والتنعم شيئا مع صفاء القلوب روى ان المؤمنين يحاسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد والسرر بضمتين والاسرة جمع سرير قيل انه مجلس رفيع مهيأ للسرور فهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور روى ان كل سرير مثل صنعاء الى الجابية ﴿قوله لانه بمعنى متصافين﴾ وتأويل الجامد بالمشتق البعيد منه لا يخلو عن بعد ﴿قوله تحقيق لهما بما يعتبرون به﴾ فانه تعالى لما ذكر ان ضيف ابراهيم بشروه بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من عذاب الاستئصال واهلاك الآخرين على اسوء الاحوال كان ذلك تحقيقا وتقريرا لما قبله من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم في حق الكفار والضيف في الاصل مصدر ضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى ثم سمى به واطلق على الملائكة ضيفا مع امتناعهم من الاكل وطلب القرى من حيث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ظنهم اضيافا لدخولهم عليه على صورة الاضياف ﴿قوله تعالى اذ دخلوا﴾ فيه وجهان احدهما انه معمول به لفعل مقدر اي اذكر اذ دخلوا والثاني انه ظرف محذوف اي اذكر خبر ضيفه اذ دخلوا او ظرف لنفس ضيف بناء على انه كان في الاصل مصدرا فاعتبر ذلك فيه ويدل على اعتبار مصدريته بعد جعله اسما وصفهم به وعدم مطابقته لما قبله تثنية وجمعا وتأنيثا في الاغلب ﴿قوله او لانهم امتنعوا من الاكل﴾ فانه قد كانت عادتهم انه اذا اكل من يطرقهم طعامهم أمنوا والا خافوا ﴿قوله وقرئ لا تاجل﴾ العامة على فتح تاء توجل من وجل يوجل كشرب يشرب وقرئ لا تاجل والاصل لا توجل كقراءة العامة الا انه قلبت الواو الفا لانفتاح ما قبلها وان لم تكن هي متحركة كقولهم تابه وصامه في توبه وصومه وسمع انهم تقبل تابي وصامي وقرئ ايضا لا توجل مبنيا للمفعول من الايجال وقرئ لا تواجل ايضا ﴿قوله وقرأ حمزة نبشرك﴾ اي بفتح النون وسكون الباء من بشرت الرجل ابشره بشرا وبشورا من البشرى فالبشر والابشار والتبشير ثلاث لغات وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء من التبشير بشروه بامرين احدهما ان الولد ذكر والثاني انه عليم واختلفوا في تفسير العليم فقيل بشروه بنبوته وقيل بشروه بانه عليم بالدين وما يتعلق به ﴿قوله تعجب او انكار الخ﴾ اذ لا يصح حمله على الاستفهام حقيقة اذ لا وجه للاستفهام بعد ان قالوا انا نبشرك بغلام عليم وكذا لا وجه للاستفهام عن المبشر به بعد ما بينوه بانه غلام عليم فلذلك حمل الاستفهام على التعجب والانكار والباء صلة تبشرون كما في قولك بشرته بقدوم زيد ويجوز ان لا تكون صلة تبشرون بل تكون كالباء في قوله ضربته بالسوط والمعنى باي طريقة تبشروني بالولد أيحصل ذلك مني حال كوني باقيا على صفة الشيخوخة ام اصير واقلب الى الشباب ثم يحصل الولد مني وكل ذلك بعيد بحسب العادة وامر عجيب وكذا قوله بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك بطريقة هي حق وهي ان يحصل الولد منكما حال بقائكما على صفة الشيخوخة التامة بفعل الله تعالى وامره فانه تعالى قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ وعجوز عاقر والقنوط اليأس من الخير وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة فظنت الملائكة انه قنوطا فنفى عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة ربه ضال جاهل والاستفهام في قوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا لانه

(قال فاخطبكم ايها المرسلون) اى فاشأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم اجمعين) اى مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفيك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما اخبرناك به (فأسر باهلك) فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير (بقطع من الليل) فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال شعر

افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم *

(واتبع أدبارهم) وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم

يعنى النفى ولذا لم يقع بعده الايجاب بالا ﴿قوله ولعله علم الخ﴾ جواب عما يقال الملائكة لما بشروه بغلام عليم تبين غرضهم من المجئ فكيف يسأل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بقوله فاخطبكم ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على ان ارسال الملائكة الى المجرمين لاجل اهلاكهم الاستئناف بقوله انا لمنجوهم اجمعين فانه لما قيل انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم توجه ان يقال فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فانه صريح فى ان المقصود من ذلك الارسال اهلاك القوم المجرمين ﴿قوله لاختلاف الحكمين﴾ فان آل لوط مستثنى من حكم الاجرام وامرأته مستثنى من حكم التنجية والاستثناء من الاستثناء لا يصح الا فيما اتحد الحكم فيه مثل ان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وما نحن فيه ليس كذلك الا ان يجعل انا لمنجوهم معترضة بين الاستثناء الثانى والاول نقل من صاحب التقريب انه قال وقد يتوهم من الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك انه لا اختلاف اذ التقدير الا آل لوط لم نهلكهم فهو بمعنى منجوهم وجوابه ان الاستثناء من متعدد يصلح مستثنى منه ان كان متصلا بما قبله وههنا تخلل انا لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امرأته لجاز ذلك قال الطيبى قلت لاسيما ان قوله انا لمنجوهم على تقدير ان يكون الاستثناء متصلا جملة منقطعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل فيبعد من البليغ ان يجعل ما فى حيزه متعلقا بما قبله وقوله جملة منقطعة خبر قوله ان قوله الخ وقال صاحب الكشاف قوله انما يكون فيما اتحد الحكم اى شخصا وعددا فلا يرد ان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك كان قوله انا لمنجوهم وقوله الا آل لوط فى معنى واحد واخر الاستثناء من الاول فى المعنى وانما شرط الاتحاد لان المتصل كاسم واحد ولا يجوز تخلل جملة بين العصا ولحالها ولا كذلك فى المنقطع ﴿قوله وانما علق﴾ ودليل تعليقه ان قوله انها لمن الغابرين فى موضع المعمول لقدرنا والمعنى قضينا انها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك مع الهالكين فلما كسرت ان مع وقوعها فى حيز المفعول علم ان الفعل قبلها معلق عما بعده فان ان المكسورة من المعلقات اذا كان قبلها منويا وذلك اذا جاء فى خبرها لام الابتداء نحو علمت ان ربك لقائم فان لام الابتداء لا تدخل الا مع المكسورة واما اذا تجردت ان عن اللام فانها لا تعلق ويجاز فتحها وجعلها معمولة للفعل واصل الكلام قدرناها من الغابرين ثم جئ بلام الابتداء فصار قدرنا لها من الغابرين ثم جئ بان فاخر لام الابتداء الى الخبر وقيل قدرنا انها لمن الغابرين ومعنى التقدير جعل الشئ على مقدار غيره يقال قدر هذا الشئ بهذا اى اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية ويستعمل فى معنى القضاء يقال قدر الله عليه اى قضى عليه بذلك قضاء كائنا على قدر ما تقتضيه الحكمة وقيل قدرنا بمعنى كتبنا وقيل بمعنى دبرنا * فان قيل لم اسند الملائكة التقدير الى انفسهم مع انه لله تعالى * فالجواب انهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خواص الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هذا ﴿قوله لتضمنه معنى العلم﴾ فان تقدير الشئ يبنى على العلم به ويستلزمه فعومل معاملة العلم فى التعليق بسبب تلك العلاقة والمعتزلة يفسرون تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم بها ويجحدون القضاء والقدر لامتناعهم من القول بتعلق قدرة الله تعالى بالمعاصى والتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ﴿قوله مخافة ان تطرقونى بشر﴾ وذلك لان الملائكة كانوا على صورة شبان مرد حسان الوجوه فخاف ان يهجم قومه عليهم بغتة بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة لذلك ويحتمل ان يكون المراد بقوله انكم قوم منكرون انى لا اعرفكم ولا اعرف انكم من الاقوام ولاى غرض دخلتم على وذلك لان النكرة ضد المعرفة الا ان قولهم بل جئناك بدل من القول المحذوف والتقدير ما ذكره ﴿قوله فاسر بوصل الهمزة﴾ يقال سريت اسرى سرى واسريت وهما لغتان بمعنى واحد اى سرت ليلا ﴿قوله وقيل فى آخره﴾ كلمة فى ههنا مستدركة لان القطع آخر الليل لا فى آخره الجوهرى القطع ظلمة آخر الليل ومنه قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل وقال الاخفش بسواد من الليل ثم اورد قول الشاعر

* افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم *

اى كم علينا من آخر الليل المظلم كأن القائل طال عليه الليل فخاطب نفسه او حبيبته بذلك او كان يحب طوله فلو صال فقال لها ذلك والبهيم المظلم الذى لا يخالطه شئ سوى لونه يقال فرس بهيم اى مصمت وهو الذى لا يخالط لونه شئ سوى لونه ﴿قوله تذودهم﴾ اى تسوقهم ليكون مسيره مسير الهارب الذى يقدم اهله حال فراره موضوعا بهم عما ورائه من المكروه وتسرع بهم اهتماما لامر خلاصهم بانقاذهم قبل ان يفجأ الصبح وينزل العذاب ومسارعة

(ولا يلتفت منكم احد) لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه

العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا اليه) اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى (ذلك الامر) مبهم يفسره (ان دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد (مصبحين) داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولا تخزون) ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء (قالوا اولم ننهك عن العالمين) عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر او ما اقول لكم (لعمرك) قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذى يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض

الى امتثال قوله تعالى فاسر باهلك وتطلع على حالهم لئلا يتخلف احد منهم لغرض له فى ورائه فيصيبه العذاب وهذه فوائد الامر باتباعه ادبار اهله اما فوائد النهى عن الالتفات بمعنى النظر الى ورائه فامران الاول ان الالتفات بذلك المعنى ربما يؤدى الى رؤية ما لا يطيقه من الهول ويكون ذلك سبب الهلاك والثانى انه يؤدى الى رؤية هلاك قومه وان يحمله تلك الرؤية على ترحمهم والرقة عليهم فى مقام البغض لله فيصاب بما اصابهم وان كان الالتفات المنهى عنه بمعنى الانصراف والتخلف لغرض ففائدة النهى عنه ظاهرة وهى الاحتراز عن اصابة العذاب ﴿قوله الى حيث امركم الله﴾ اشارة الى ان حيث على ابهامه كونها ظرف مكان مبهم ولابهامها تعدى الفعل اليها من غير واسطة فى ثم صرح بها فى قوله فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع بمعنى ان حيث من الظروف الغير اللازمة الظرفية لكونه مفعولا به فى قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقد يتوسع فى الظروف الغير اللازمة الظرفية فتجعل مفعولا بها فحينئذ يسوغ ان ينصب سواء كان منتصبا عن لفظ فى نحو قولك يوم الجمعة صمته وان يضاف اليه المصدر والصفة المشبهة كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال * يا سارق الليلة اهل الدار * وقد اتفقوا على ان معناه سواء كان متوسعا فيه او غير متوسع فيه لا يخرج عن كونه ظرفا لعامله وحيث على تقدير انتصابه على الظرفية لا يحتاج الى فى لانه مبهم وقد تقرر ان ظرف المكان المبهم منصوب غير مجرور بفى بخلاف المؤقت فان حكمه حكم ما ليس بظرف فيحتاج الى فى وكذا الضمير فى تؤمرون ظرف مكان مبهم لكونه راجعا الى حيث فلذلك عدى الفعل اليه اتساعا على طريق تعديته الى المفعول به ولو كان مؤقتا لقيل تؤمرون فيه ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونه مضمنا معنى اوحينا عدى بالى والافضل القضاء لا يتعدى بالى قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقد عدى ههنا الى لوط عليه الصلاة والسلام نظرا الى اعتبار التضمين واسم الاشارة اشارة الى ما وعدوه من اهلاك قومه والامر منصوب على انه عطف بيان له وجملة ان دابر هؤلاء مقطوع فى محل النصب على انه بدل من ذلك ﴿قوله سدوم﴾ اسم قرية لوط عليه الصلاة والسلام والاستبشار اظهار السرور لما جاء الملائكة دار لوط عليه الصلاة والسلام اشتهر خبرهم وهو انه نزل بلوط ثلاثة من المرد فى غاية الحسن فذهب القوم الى دار لوط طالبا لهم فقال لهم لوط لما قصدوا اضيافه هؤلاء الخ ﴿قوله هؤلاء بناتى﴾ يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون هؤلاء منصوب المحل على انه مفعول فعل مقدر اى تزوجوا هؤلاء وبناتى عطف بيان له او بدل منه والثانى ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى بدلا او عطف بيان والخبر محذوف اى هن اطهر لكم كما صرح به فيما هو نظير لهذه الآية والثالث ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى خبره ﴿قوله لعمرك﴾ مبتدأ محذوف الخبر وجوبا وقوله انهم مع ما فى حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمى او يمينى انهم الى آخره والعمر بفتح العين وضمها بمعنى واحد هو البقاء فاذا اقسموا قصروا العين لا غير لان الفتح اخف وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فاختاروا الاخف والعمر بفتح العين متى اقترن به لام الابتداء التزموا فيه الرفع بالابتداء وحذفوا خبره لسد جواب القسم مسده ﴿قوله والمخاطب فى هذا القسم هو النبى صلى الله عليه وسلم﴾ لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال بريد وحياتك يا محمد وعنه انه قال ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد عليه الصلاة والسلام وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد الا بحياته قال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وقيل ان هذا القسم مع جوابه كلام الملائكة للوط حكاه الله تعالى عنهم بقول مقدر اى قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك انهم كذا ﴿قوله او شدة غلمتهم﴾ وهو بضم الغين وسكون اللام شهوة الضراب وقوله التى ازالت عقولهم صفة لكل واحد من الغواية وشدة الغلمة وبيان لوجه الشبه بين ما هم عليه من الغواية وشدة الغلمة وبين السكرة على ان كل واحدة منهما على سبيل البدل على وجه الاستعارة التصريحية ﴿قوله وقيل الضمير لقريش﴾ ضعف من حيث المعنى على ما يفهم من الكلام السابق وهو ان المخاطب بقوله لعمرك سواء كان لوطا او نبينا عليه الصلاة والسلام يكون الضمير فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون لقوم لوط وضعف على هذا المفهوم قول من قال ان الضمير المذكور فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون راجعة الى قريش على تقدير ان يكون خطاب لعمرك لنبينا صلى الله عليه وسلم وعلى هذا تكون جملة القسم مع جوابه معترضة فى خلال قصة قوم لوط كانه سبحانه وتعالى خاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال لعمرك ان قومك الذين هم قريش لفى سكرتهم اى غوايتهم التى هى كحال سكر السكران يعمهون اى يترددون فى الباطل غافلين عما اعده الله تعالى لاهل

مصبحين كان له بقوم لوط وهذا كرجل يذكر قصة قوم خرجوا على السلطان فاجتمعوا و قتلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يسمعه قوم مثلهم فعلوا كذلك ولم يعاقبوا بعد قال قبل تمام القصة ثم ان هؤلاء في غفلة لا يدرون ماذا يحل بهم ثم يعود الى تمام القصة ﴿قوله وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام﴾ ضعفه ظاهر لانه ليس في الآية ما يدل على ان تلك الصيحة صيحة جبريل وان ثبت بالدليل القوي لذلك قيل به والاقليس في الآية الا ما يدل على انه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وانه تعالى عذبهم بثلاثة انواع من العذاب احدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها ما ذكره بقوله فجعلنا عاليها سافلها وثالثها قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقوله مشرقين حال من مفعول اخذتهم وشروق الشمس طلوعها يقال شرق يشرق شروقا لكل ما طلع من جانب الشرق واشرقت الشمس اى اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وكان تمامه حين اشرقوا فلذلك قال اولا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين ﴿قوله ثابت﴾ تفسير لقوله مقيم والمعنى ان مدينة قوم لوط بطريق ثابت لا يندرس ولا يخفى يسلكه من يسافر من الحجاز الى الشام والمقصود ان الاعتبار بها يمكن ﴿قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله﴾ فان كل من آمن بالله ورسله عرف ان ما ذكر انما كان من الله تعالى انتقاما لانبيائه من اولئك الجهال واما الذين لا يؤمنون بالله ورسله فانهم يحملون ذلك على حوادث العالم ووقائعه وحصول القرانات الكواكبية والاتصالات الفلكية ذكر الله تعالى اولا ان فيما ذكر من هذه القصة آيات للمتوسمين ولم يبين انه من اى جهة يكون فيه آيات لهم وذلك يحتمل وجوها الاول هو ان قوله ان في ذلك لآية يدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام على ما كانت وهو لم يشهدها ولم يقرأ كتابا ولم يخالط اهل العلم والاخبار فكان ذلك آية على صدقه في دعوى الرسالة والثاني ان في هلاك من اهلك منهم ونجاة من نجا منهم آية للمتوسمين لان من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر العليم الحكيم وعلى حقية امر البعثة والنبوة وحقية ما جاء به الانبياء والمرسلون من الشرائع والاحكام وقيل انما جمع الآيات للمتوسمين ووحد الآية للمؤمنين بناء على ان لفظ ذلك اشارة الى وقوع القرية الهالكة بسبيل مقيم والله اعلم ﴿قوله فاهلكوا بالظلة﴾ روي انه تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله تعالى سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون منها الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴿قوله ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع﴾ جواب عما يقال ان ثمود انما كذبوا رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين وتقرير الجواب ان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعاهم سائر الرسل اليه فاذا كذبوه صاروا كانهم قد كذبوا الرسل جميعا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقيل الرسول من اوتي الكتاب بعد اظهار المعجزة وكل من لم يصدق بعد اظهار المعجزة فقد تقدم التكذيب والرد ﴿قوله ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه﴾ بطريق تغليب صالح على امته المؤمنين ﴿قوله او معجزاته﴾ يحتمل انه تعالى اعطاه آيات ومعجزات سوى الناقة وان لم تذكر في القرآن ويحتمل ان تكون الناقة وحدها آيات من حيث انها خرجت من الصخرة وتحركت الصخرة بخروجها ودنوّ ولادتها لسقبها من حين خروجها والسقب الذكر من ولد الناقة والانثى سقبة ومن حيث انها تشرب ماء البئر يوما وتترك يوما ومن حيث كثرة درّها ولبنها حتى كان يكفيهم جميعهم ومن حيث انقيادها لهم حتى يحلبوها ومن حيث عظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة فلذلك كانت تصدر من طريق غير الطريق الذي وردت منه لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من امورها التي كل واحد منها آية على حدة وان كانت الآيات صادرة من الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر واضافة الناقة اليهم وان كانت الناقة لصالح لانها آيات رسولهم ﴿قوله او من العذاب﴾ كانهم كانوا آمنين عما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين وكانوا آمنين من انهدام ما نحتوا اعتمادا على حذاقتهم في صنعة النحت قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تأويل حاذقين ﴿قوله الا خلقا ملتبسا بالحق﴾ اشارة الى ان قوله بالحق صفة مصدر محذوف وان الاستثناء مفرغ من اعم عام المصدر واشار الى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها بما حصوله انه تعالى بين اولا انه يهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر انه ما خلق الخلق عبثا خاليا من الفائدة بل بقيد التكليف حتى تعمل كل نفس ما تشتهيه وانه خلقهم وهيأ لهم اسباب معاشهم وبين لهم دلائل الرشد والهدى وما يؤدي الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم وحق احسانه اليهم ويشتغلوا بشكره وطاعته

(فاخذتهم الصيحة) يعني صيحة هائلة مهلكة
وقيل صيحة جبريل (مشرقين) داخلين
في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها)
عالي المدينة او عالي قراهم (سافلها) فصارت
منقلبة بهم (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل)
من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل
وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة
هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفكر...
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشيء بسمته (وانها) وان المدينة
او القرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس
ويرون آثارها (ان في ذلك لآية للمؤمنين)
بالله ورسوله (وان كان اصحاب الايكة
لظالمين) هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقم...
منهم) بالاهلاك (وانهما) يعني سدوم
والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا
اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر
(لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم
ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهم...
مما يؤتم به (ولقد كذب اصحاب الحجر
المرسلين) يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز
ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام
يسكنونه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين) يعني آيات الكتاب المنزل على
نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها
ودرّها او ما نصب لهم من الادلة (وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها
او من العذاب لفرط غفلتهم او حسابهم ا...
الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء
البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد
(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلا...
استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك
اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
افسادهم من الارض

وجوزوا بالحسنى والدولة العظمى يوم لقائه فمن اعرض عن النظر فى الدلائل البينات واصر على الاستهزاء بالحق والآيات ورغب فى ارتكاب المعاصى والسيئات فقد استحق لان يعاقب بانواع العقوبات فلدلك اهلك من اصر سبيل الضلالات والجهالات اهلاك لوجه الارض من تلك الضلالات ولم يكتف باهلاكهم بل اعد دار الجزاء لينتقم فيها من الاعداء ويحصل فيها على الاولياء فان الدنيا ليست بدار الجزاء بل هى دار التكليف والابتلاء فلا بد من يوم الدين والجزاء ليصل الى كل ذى حق حقه كما قال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك فى الصفح عن سيئاتهم فقال فاصفح الصفح الجميل اى فاعرض عنهم واحتمل مالقيت منهم اعراضا جميلا ملتبسا بحلم واغضاء ولا تكافئهم بما آذوك قولا وفعلا فان الساعة آتية فاذا كافئهم عنك ووصف الصفح بالجميل فدلالة على معنى ان لايترك نصحهم ودعاءهم الى الحق مع ذلك والصفح بهذا المعنى لايقبل النسخ والذى يقبله هو الصفح بمعنى الاعراض عن قتالهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخا فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالصفح فى موضعه وبالقتال فى موضعه ﴿ قوله او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم ﴾ عطف على قوله الذى خلقك وخلقهم فالوجه الاول على تفسير الصفح بالمعاملة بالخلق الحسن فى تبليغ الرسالة والصبر على ايذائهم بلسانهم وفعلهم فحينئذ تكون الآية متعلقة بقوله وان الساعة آتية والوجه الثانى مبنى على تفسير الصفح بالاعراض عن قتالهم فتكون الآية حينئذ متعلقة بقوله فاصفح وقوله وهو يصلح للقليل والكثير فان صيغة فاعل موضوعة لمن يقوم به الفعل على وجه الحدوث سواء كان متعلق الفعل واحدا او كثيرا وصيغة فعال انما تطلق اذا كان متعلق الفعل كثيرا ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه وامره بالصفح الجميل اتبعه بذكر ما خصه من النعم الجليلة لان الانسان اذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال ولقد آتيناك سبعا من المثانى والسبع يحتمل ان يكون المراد منه سبع آيات او سبعا من السور او سبعا غيرهما من الفوائد وليس فى اللفظ مايدل على التعيين والمثانى صيغة جمع واحده المثناة وهى موضع الثنى او مثنية اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية فان الآية انما تثنى مكررة او هى مثنية كأنها تثنى على الله بصفاته الحسنى على الاسناد المجازى او الاستعارة المكنية ﴿ قوله تعالى سبعا من المثانى ﴾ مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التى هى موضع الثنى والتكرير او موضع الثناء والعطف او الاشياء المثنية وهذا القدر مفهوم محمل لاسبيل الى تعيين المراد منه الا بدليل منفصل فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه فاتحة الكتاب وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرأ فاتحة الكتاب وقال هى السبع المثانى ووجه التسمية بالسبع والمثانى لانها سبع آيات ولانها تثنى فى كل صلاة بمعنى انها تقرأ فى كل ركعة لانها تثنى بما يقرأ بعدها ولانها قسمان نصفها ثناء ونصفها دعاء كما ورد فى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال «يقول الله تعالى قسمت الصلاة» اى الفاتحة «بينى وبين عبدى نصفين الخ» فان النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثانى حق العبودية وهو الدعاء ولان كلماتها تتكرر مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين الصراط صراط الذين انعمت عليهم عليهم ولفظ غير وغير فى قراءة عمر رضى الله عنه فانه قرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة فلذلك سميت مثانى وقال الزجاج سميت الفاتحة مثانى لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله تعالى وتوحيده وملكه ونحو ذلك وعلى تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى سبعا من المثانى هو الفاتحة دلت الآية على ان هذه السورة الكريمة افضل سور القرآن من وجهين احدهما ان افرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لابد ان يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة والثانى انه تعالى لما انزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام «لا صلاة الا بفاتحة الكتاب» وانه عليه الصلاة والسلام واظب على قراءتها فى جميع الصلوات طول عمره وما اقام سورة اخرى مقامها فى شئ من الصلوات وقيل المراد من السبع المثانى السبع الطول والطول جمع الطولى تأنيث الاطول كالكبر جمع الكبرى تأنيث الاكبر وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة وسميت هذه السور مثانى لانه يثنى فيها حدود القرآن وفرائضه وامثاله وعبره وعامة احكامه فان عامة الاحكام فى هذه السبع واعترض على هذا القول بان هذه الآيات مكية واكثر هذه السور السبع مدنية فكيف يمكن حمل هذه الآية عليها واجيب عنه بان الله تعالى انزل الله القرآن

(وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها منهم وكذلك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم (العليم) بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطول وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس

كله الى السماء الدنيا وقضى فى علمه ان ينزله على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما وبهذا الاعتبار كأنه قد آتاه وانزله عليه فلذلك قال تعالى فى حق ماينزله بعد ولقد آتيناك ﴿ **قوله** اوالحواميم ﴾ عطف على قوله الطول بمعنى على تقدير ان يحمل سبعا على سبع سور يحتمل ان يراد تلك السور الطول السبع وان يراد الحواميم السبع بناء على انه قد ثنى فيها القصص وبعض الاحكام ﴿ **قوله** وقيل سبع صحائف ﴾ عطف على قوله وقيل سبع سور وهذا هو القول الثالث فى بيان قوله تعالى سبعا والصحائف جمع صحيفة بمعنى الكتاب فان القرآن العظيم صبغة اسباع كل سبع صحيفة وكتاب ومثناة ومثنية فعلى هذا القول السبع المثانى هو القرآن كله ودليل هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى ووصف كل القرآن بالمثانى لانه كرر فيه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف وانه مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله فعلى هذا يكون عطف والقرآن العظيم على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف كما فى قوله

* انا الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم *

ويكون المعنى ولقد آتيناك مايقال له السبع المثانى والقرآن العظيم اى الجامع لهذين الوصفين ونظير هذه الآية فى القرآن قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء اى كتابا جامعا بين هذين الوصفين ثم انه تعالى لما منّ على رسوله بان آتاه اشرف النعم واجلها ثوابا ولذة نهاه عن الالتفات الى ما آتاه بعض الكفرة من نعيم الدنيا وادامة النظر اليها فقال ولا تمدن عينيك والزوج فى اللغة الصنف وازواجا مفعول متعنا قال عليه الصلاة والسلام لاتغبطن فاجرا بنعمة فانك لاتدرى مالاقى بعد موته ان له عند الله قاتلا لايموت يعنى النار وقال عليه الصلاة والسلام «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» اى من لم يغن على ان يكون التغنى من الغنى المقصور وهو اليسار وضده الفقر (؟) وضده التغنى فى الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام «ان الخيل لرجل خير ولآخر ستر ولثالث وزر» ثم قال واما التى هى له ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله تعالى فى رقابها والمشهور حمله على تحسين الصوت بحمله من الغناء الممدود فان التغنى بهذا المعنى اشهر كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث يا ابا محمد ارايت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه مااستطاع ويشهد له الحديث الآخر «زينوا القرآن باصواتكم» وقيل المراد من التغنى بالقرآن الافصاح بالفاظه وقيل اعلانه والجهر به وقيل قرآءته على خشية من الله ورقة من فؤاده وقيل معناه كشف الهموم بقرآءته وذلك ان الانسان اذا اصابه غم ربما تغنى بالشعر يطلب بذلك فرجه مما هو فيه والصديقون همومهم المعاد وضيق صدورهم بما يشغلهم عن الله ولا يفرجون كربهم الابذكر كلام ربهم واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» اى من لم يتفرج من غمومه بقرآءة القرآن والتدبر فيه فليس منا خلقا وسيرة ﴿ **قوله** انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ﴾ اى صادف فيها فلا يكون المقصود من ايراد هذه الرواية بيان سبب نزول الآية لان الآية مكية وهو عليه الصلاة والسلام انما سافر ديار الشام بالمسلمين فى آخر عمره بل المقصود مجرد بيان ان سبعا من المثانى خير من الدنيا وان التقرب بها افضل واتم من التقرب باعناق الدنياق سبيل الله تعالى ورواية الكشاف والكبير هكذا وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل اى اتت يقال وافى فلان اى اتى وحينئذ يحتمل ان تكون هذه الواقعة متقدمة على نزول الآية وتكون سببا لنزولها واذرعات بكسر الراء موضع بالشام تنسب اليه الخمر وبصرى موضع بالشام ايضا تنسب اليه السيوف وقوله انهم لم يؤمنوا علة لنهيه عليه الصلاة والسلام عن التحزن على المشركين ان نزل بهم العذاب نهاه اولا عن الالتفات الى اموالهم ثم نهاه عن الالتفات الى انفسهم كأنه قيل كيف يضيق صدرك عما صابهم من بأس الله تعالى وعذابه والحال انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام وتنتعش بهم المؤمنون ﴿ **قوله** وقيل انهم المتمنون به ﴾ اى قيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى قوافل الكفار وكثرة اموالهم وخطر بقلبه عليه الصلاة والسلام ان اصحابه ليس لهم الاقدر الحاجة ولا عداه الله هذه الاموال الكثيرة انزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وهو خير مما يتمنون به ايامافلائل ثم يزول عنهم عن قرب ثم قال ولا تحزن عليهم اى ولا تحزن لاجل فقرآء المسلمين حتى تكون رقة قلبك لاجلهم تؤديك الى الالتفات الى امتاع القليل الزائل عن قرب لانهم المتمنون به اى لان مافى ايدى الكفرة سيصير الى اصحابك عن قرب فيتمتعون به زمانا والله اعلم ﴿ **قوله**

اوالحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى
الاسباع (من المثانى) بيان السبع والمثانى
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر
قرآءته والفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى
عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنٍ على الله بما
هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى
ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن او كتب الله
كلها فتكون من للتبعيض (والقرآن العظيم)
ان اريد بالسبع الآيات والسور فن عطف
الكل على البعض او العام على الخاص وان
اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الآخر (لاتمدن عينيك) لاتطمح
ببصرك طموح راغب (الى ما متعنا به
ازواجا منهم) اصنافا من الكفار فانه
مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال
مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
وعن ابى بكر من اوتى القرآن فرأى ان احد
اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر
عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلا
والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى
قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب
والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمو
لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقنا
فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيا
هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن
عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمو

و تواضع لهم ﴾ يعني ان جناح الانسان يده كما قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام واضمم اليك جناحك والخفض ضد الرفع قال تعالى في صفة القيامة خافضة رافعة اي انها تخفض اهل المعاصي وترفع اهل الطاعة وخفض الجناح عنها كناية عن اللين والرفق والتواضع فهو تعالى لما نهاه عن الالتفات الى الاغنياء من الكفرة امره بالتواضع لفقراء المسلمين ثم امره بان يقول لقوم اني انا النذير المبين اي الآتي بجميع البيانات الشافيات والبينات الوافيات ﴿ قوله فهو وصف لمفعول النذير ﴾ يعني ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه صفة لمحذوف وهو مفعول النذير اي عذابا مثل العذاب الذي انزلناه على المقتسمين وهم نفر من قريش بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا مداخل مكة وطرقها يقولون لمن سلكها لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فانه مجنون وكانوا ينفرون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول كل واحد منهم في شأنه عليه الصلاة والسلام شيأ من المطاعن مثل كاهن وساحر وشاعر ومفتر ومجنون فانزل الله تعالى بهم خزيا فماتوا شر ميتة وقيل هم الذين تقاسموا وتحالفوا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلوهم والقصة مذكورة في تفسير قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وعلى هذا يكون الاقتسام من القسم لا من القسمة وعلى هذين القولين المشبه محذوف وهو مفعول النذير حذف لدلالة المشبه به عليه كما تقول رأيت انسانا كالقمر ليلة البدر في الحسن والتقدير ظاهر وهو انا النذير المبين عذابا مثل العذاب الذي انزلناه على المقتسمين ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان لا يكون كما انزلنا واقعا في حيز النذير بل يكون واقعا في حيز آتيناك من حيث المعنى فان معنى آتيناك انزلنا اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اي انزلنا انزالا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق التوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل او اقتسموا القول فيه فقال بعضهم سحر وبعضهم كهانة او شعر او اساطير الاولين او افتراء فهو تعالى شبه انزاله على رسوله عليه الصلاة والسلام بانزاله عليهم تسلية له عليه الصلاة والسلام عن تكذيبهم وعداوتهم وتوسط قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله كما انزلنا بين المشبه والمشبه به اعتراضا بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى اموالهم والتأسف على كفرهم ويحتمل ان يكون المراد بالقرآن كتبهم بان يكون بمعنى المقروء الذي يقرأونه ويكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين جعلوا ما يقرأون من الكتاب مقسوما مفرقا فآمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعض فما وافق هواهم اخذوه وما لم يوافق غيروه وبدلوه كما قال تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴿ قوله واصلها عضوة من عضى الشاة ﴾ اي فرقها لان المشركين فرقوا تأويلهم في القرآن فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة ونحو ذلك وقيل نقصانها الهاء واصله عضهة لان العضه والعضين في لغة قريش السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة وروي انه عليه السلام لعن العاضهة والمستعضهة فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين على هذا القول جعلوه اسحارا وقال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون مثل عزة وعزون فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين معناه جعلوه مفترى وعلى القولين جمعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا من المحذوف ﴿ قوله وقيل هو عام في كل ما فعلوا ﴾ وعلى القولين ضمير لنسألنهم يرجع الى المقتسمين لانه الاقرب ويحتمل ان يرجع الى جميع المكلفين لتقدم ذكرهم في قوله وقل اني انا النذير المبين اي لجميع الخلق فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فاجيب عنه بوجوه الاول ان المعنى لا يسألون سؤال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسألون سؤال تقريع فيقال لهم لم فعلتم كذا وهو ضعيف لانه لو كان المراد من قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان نفي سؤال الاستفهام لما كان في تخصيص هذا النفي بقوله فيومئذ فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله تعالى في كل الاوقات لا به والثاني ان نصرف النفي الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه مواقف يسألون في بعضها ولا يسألون في بعضها ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في آية اخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ولقائل ان يقول قوله فيومئذ لا يسأل الآية صريح في انه لا يحصل السؤال في ذلك اليوم فلو حصل السؤال في جزء من اجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض والوجه الثالث ان قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه الآية يفيد عموم النفي والضمير في قوله فوربك لنسألنهم يرجع الى المقتسمين فيكون خاصا والخاص مقدم على العام

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقل اني انا النذير المبين) انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما انزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذي انزلناه عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق التوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرأونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدا لها (الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي

(فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتميز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر بصدعه فحذف الجار ثم العائد (وأعرض عن المشركين) فلا تلتفت الى ما يقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد ابن المغيرة والعاص بن وآئل وعدى بن قيس والاسود ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذآء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزآء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة امرهم فى الدارين (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزآء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك الحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزآء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روى انه نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل

﴿قوله واصله الابانة والتميز﴾ اصل الصدع الشق يقال صدعته فانصدع اى شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضا كقوله يومئذ يصدعون فقوله فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما قال الزجاج معناه اظهر ما امرت به اخذا من الصديع وهو الصبح قال الشاعر فان بياض غرته صديع * وقال المفسرون معناه اجهر بامرك وما مصدرية اى فاصدع بامرك وشأنك وهو تبليغ الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يتفرع عليه من الاحكام قالوا ومازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ﴿قوله فمر بنبال﴾ اى برجل يصنع السهام والنبل السهم والاخمص ما دخل من باطن القدم بحيث لا يصيب الارض ﴿قوله تعالى فسبح بحمد ربك﴾ جواب شرط محذوف اى ان ضاق صدرك بما يقولون بمقتضى الجبلة البشرية والمزاج الانسانى فالجئ الى الله تعالى فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات وهى اربعة اشياء التسبيح والتحميد والصلاة والملازمة عليها مادام حيا قال المحققون فى بيان كون هذه المذكورات سببا لزوال ضيق القلب والحزن ان الانسان اذا اشتغل بهذه العبادات انكشفت له اضوآء عالم الربوبية ومتى حصل له ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده فيستوى عنده وجدانها وفقدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية ﴿قوله والمعنى فاعبده مادمت حيا﴾ اى معنى التقييد بقوله حتى يأتيك اليقين مع ان كل احد يعلم انه متى مات سقطت عنه العبادات التكليف بالاستمرار والمواظبة على العبادة ابدا مادام حيا لانه لو قيل اعبد ربك من غير توقيت لجاز انه اذا عبد الانسان مرة يكون مطيعا ممتثلا للامر بناء على ان الامر لا يقتضى التكرار فلما قيل حتى يأتيك اليقين فقد امر بالاقامة ابدا مادام حيا روى انه صلى الله عليه وسلم قال ما امرت ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * تمت السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة النحل مائة وعشرون وثمان آيات وهى مكية الا آخر السورة فانها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهى قوله وان عاقبتم الى آخر السورة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله ويقولون ان صح﴾ معطوف على قوله يستعجلون اى كان اولا استعجال ما اوعدوا به استهزاء وتكذيبا له وكانوا يقولون بعده ان صح الخ واجاب الله تعالى عن استعجالهم بان ما امر الله من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لكونه محقق الوقوع ومقررا فى علم الله تعالى وقضائه بمنزلة الواقع بالفعل فلذلك قال فى حقه انه قد اتى اجرآء له مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاعانة وقرب حصولها جاء الغوث فلا تجزع ولا تستعجل واجاب عن قولهم ان صح كونه واجب الوقوع وجاريا مجرى الواقع فانعبده من الاصنام شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فنتخلص منه بسبب شفاعتهم بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون به غيره فانى يكون لمبدع السموات والارض شريك فى تصرف ملكه فضلا عن ان يشاركه فى ذلك اخص خلقه ﴿قوله لما روى﴾ قال الامام انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى يأتى ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا وقوعها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل قوله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل قوله فلا تستعجلوه انتهى كلامه يعنى انه لما نزل اتى امر الله ظنوا انها قد اتت حقيقة ففزعوا وخافوا فلما نزل قوله فلا تستعجلوه اطمأنوا وسكنوا فعلى قرآءة حمزة والكسائى يكون الخطاب فى الموضعين للكفار وعلى قرآءة الباقين يحتمل ان يكون الغيبة مبنيا على الالتفات وان يكون الخطاب فى قوله فلا تستعجلوه للمؤمنين اولهم ولغيرهم وتكون الغيبة على ظاهرها ﴿قوله فانه﴾ اى فان كل واحد من الوحى والقرآن يحيى به القلوب بان لوجه الشبه بين الروح وبين كل واحد منهما شبههما اولا بالروح من حيث كونهما سببا لحياة القلوب مثل كون الروح سببا لحياة الجسد وشبههما ثانيا بالروح ايضا لكونهما بالنسبة الى الدين بمنزلة الروح للجسد فكما ان قوام الجسد وزينته بالروح فكذلك قوام الدين وزينته بالوحى والقرآن اذ بهما تكون المعارف الربانية والتكاليف الالهية فالروح الاصلى ليس الا القرآن والوحى من حيث ان ارتقاء الجسد الى درجة البهجة لا يحصل الا بهما ثم عبر بالمشبه به عن المشبه فصار استعارة تصريحية تحقيقية ثم انه تعالى لما بين بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ان ما توعدهم به لكونه محقق

الوقوع فى حكم الواقع وانه تعالى منزه عن الشركاء والانداد بين لهم الطريق الذى علم به الرسول صلى الله عليه وسلم تحقق ما توعدهم به ودنوه وازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم به فقال ينزل الملائكة بالروح اى المتبين بالوحى او القرآن او بهم وبعمم الروح على ان تكون الباء للمصاحبة كما فى قولهم خرج زيد بعشيرته فان هذه الجملة مستأنفة لبيان ما ذكر من طريق علمه عليه الصلاة والسلام بذلك ولازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم المذكور كأنهم قالوا سلمنا انه تعالى قضى على بعض عبيده بالسرآء وعلى آخرين بالضرآء ولكن كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور التى لا يعلمها الا الله فكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالى واحكامه فى ملكه وملكوته فاجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح وتقرير هذا الجواب انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده بامره وذلك الامر ان تبلغ الى سائر الخلق انه اله العالم وكلفهم بالتوحيد وبالعبادة وبين لهم انهم ان فعلوا ذلك فازوا بخيرى الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق وقرأ العامة ينزل بضم الياء المثناة وبسكون النون وكسر الزاى الخفيفة ونصب الملائكة وقرئ تنزل بتاء واحدة فوقانية مفتوحة وتشديد الزاى على بناء الفاعل والاصل تتنزل بتاءين حذفت احداهما وقرئ تنزل بضم التاء الفوقانية وفتح النون والزاى المشددة على انه مضارع مبنى للمفعول من التنزيل ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل قيل المراد بلفظ الملائكة جبريل وحده وقد يطلق لفظ الجمع على الواحد اذا كان ذلك الواحد معظما ومنه نحو قوله تعالى انا ارسلنا وانا انزلنا وانا نحن نزلنا الذكر والمراد بالروح ههنا الوحى او القرآن كما مر وقيل المراد به ههنا جبريل عليه الصلاة والسلام والباء فى قوله بالروح بمعنى مع كما فى قولهم خرج زيد بعشيرته اى ومعه عشيرته والمعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام ما ينزل وحده فى اكثر الاحوال بل كان ينزل مع جبريل اقوام من الملائكة كما فى يوم بدر وفى كثير من الغزوات وفى سائر المصالح والمهمات ﴿قوله بامره ومن اجله﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله من امره للسببية والتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا والمعنى ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كما قال تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وغير ذلك مما يدل على ان الملائكة لا يقدمون على عمل من الاعمال الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالعباد فى قوله على من يشاء من عباده الانبياء الذين يخصهم الله تعالى برسالته والانذار هو الاعلام مع التخويف يقال نذر القوم بالعدو بكسر الدال اذا علموا وكثيرا ما يستعمل الانذار فى مجرد التخويف كما اشار اليه المصنف بقوله او خوفوا عطفا على قوله اى اعلموا والمخاطب بقوله تعالى انذروا هو الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا انه تعالى انما يخاطبهم بواسطة الملائكة المرسلة فانهم هم الذين يتلقون الوحى من الله تعالى ابتداء من غير واسطة سواء كان ذلك الوحى وحيا متلوا مكتوبا فى المصاحف وكان من قبيل الالهام والقاء الكلام الحق ثم ان الملائكة يوصلون ذلك الوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلذلك قال تعالى فى آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ بذكر الله تعالى الذى هو اول ما يجب ان يؤمن بوجوده ووحدانيته ثم ذكر الملائكة الذين يتلقون منه تعالى الوحى من غير واسطة ثم ذكر الكتب التى تلقاها الملائكة منه تعالى ثم ذكر الرسل فى الدرجة الرابعة لانهم وسائط فى تلقى المكلفين احكام الله تعالى وحدوده التى انزلها الله تعالى فى قوله انه لا اله الا انا فاعبدون فانه يدل على ان الروح المشار اليه بقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره ليس الا ما يدل عليه الكلمة الجامعة وهو التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمال القوة العملية فان النفوس البشرية لها نسبة الى عالم الغيب تستعد بها لقبول حصول الواردات وتجلى المعارف والادراكات من ذلك العالم ونسبة الى عالم الشهادة تستعد بها لان تتصرف فى اجسام هذا العالم ويسمى استعدادها الحاصل لها باعتبار النسبة الاولى قوة نظرية واستعدادها باعتبار النسبة الثانية قوة عملية واشرف كمال القوة النظرية معرفة انه لا اله الا هو واشرف كمالات القوة العملية الاتيان بالاعمال الصالحة الواقية من خزى يوم القيامة وقدم قوله لا اله الا انا على قوله فاتقون للدلالة على ان ما يستند الى القوة النظرية اعلى كمالا مما يستند الى القوة العملية والكمال الانسانى باعتبار هاتين القوتين يسمى كمالا نفسانيا وللانسان كمالات غير ما ذكر وهى كمالاته الجسدية البدنية وهى صحة جسده وكمال قواه الحيوانية وهى تسع عشرة قوة وذلك لان قواه الحيوانية لا تخلو اما ان تكون محركة او مدركة او لا تكون محركة ولا مدركة فالمحركة منها قوتان شهوية وغضبية والمدركة منها عشر قوى الحواس

او بقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل (من امره) بامره ومن اجله (على من يشاء من عباده) ان يتخذه رسولا (ان انذروا) بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته (انه لا اله الا انا فاتقون) ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر

الظاهرة و الباطنة و التي لاتكون محركة و لامدركة سبع وتسمى القوى النباتية وهي الجاذبة و النامية و المولدة و الجاذبة و الهاضمة و الماسكة و الدافعة فالمجموع تسع عشرة وفي بدن الانسان ثلاث قوى غير ماذكر وهي الروح الحيواني و الروح الطبيعي و الروح النفساني اما الروح الحيواني فهو البخار اللطيف المتولد من غليان الدم المنبث في التجويف الايسر من اللحم الصنوبري واما الروح الطبيعي فهو الذي انتقل من هذا البخار الى جانب الكبد ووصل اليه واصلح حاله من التصفي و الطبخ ونحو ذلك و الروح النفساني هو ما دخل الشرايين من هذا البخار وتصاعد حتى وصل الى الدماغ و البخار في هذه الدرجة يكون في غاية اللطافة و يترتب عليه الافعال الحيوانية فيكون لغاية اللطافة ساريا الى جميع الاعضاء و العروق نافذا في اعماق البدن فان اتفق ان ظهرت سدة في شيء من الاعضاء سقط ذلك العضو من العمل لعدم نفوذ الروح النفساني اليه بسبب السدة وانفاذها ﴿قوله وان مفسرة﴾ ذكر في كلمة ان ثلاثة اوجه الاول ان تكون مفسرة لان الوحي فيه ضرب من القول وفي الصحاح الوحي الكتاب و الوحي ايضا الاشارة و الكتابة و الرسالة و الالهام و الكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه و الثاني ان تكون مصدرية وهي التي من شأنها ان تنصب المضارع ووصلت ههنا بالامر كما في قولك كتبت اليه بان قم فان فعل الامر لما دل على المصدر كالمضارع صح ان يدخل عليه ماجعله في تأويل المصدر و الثالث ان تكون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف تقديره ينزل الملائكة بان الشأن وهو مبتدأ وانذروا خبره وهو انشاء فلابد من تقدير القول ليصح حمل الانشاء على المبتدأ فان قلنا انها مفسرة لايكون لها محل من الاعراب وان كانت مخففة او ناصبة تكون في محل الجر اما على انها بدل من الروح كما اختاره الزجاج وقال انه بدل من الروح و المعنى ينزل الملائكة بان انذروا اي اعلموا الخلائق انه لااله الا انا واما على اسقاط الخافض وابقاء عمله كما هو مذهب بعض النحاة او في محل النصب بنزع الخافض كما ذهب اليه الآخرون و الاصل بان انذروا ﴿قوله وان النبوة عطائية﴾ اي لايخصصها بواحد دون واحد سوى تعلق المشيئة و يدل عليه قوله تعالى على من يشاء من عباده ثم انه تعالى لما بين ان اصل السعادات ومنتهى كمال القوة العلمية معرفة الصانع شرع في تقرير الدلائل الدالة على وجود الصانع و وحدته ودلالة المصنوعات على وجود الصانع من حيث انها لحدوثها تحتاج الى محدث ولامكانها تحتاج الى مرجح يرجح احد طرفي وجودها و عدمها على الآخر فالذي وقع في القرآن هو الاستدلال بحدوثها وتغير احوالها فابتدأ سبحانه وتعالى في هذه السورة في الاحتجاج على وجود الاله المختار بايجاد اجرام السموات و الارض فان كل واحد منها محدث لما تبين ان كل جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الحجم و القدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد و الانقص مع جواز الكل لابد له من مقدر و مخصص فكل ما كان مفتقرا الى الغير فهو محدث وكذا كل جسم له شكل معين ووضع معين وصفات مختلفة مع تساوي نسبة جميع الاشكال و الاوضاع و الصفات بالنسبة الى ذاته فلابد له من مخصص يخصص بعض تلك الاشكال و الاوضاع لذلك الجسم ثم انه تعالى ثنى بذكر الاستدلال باحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال باحوال الحيوان ثم ربع بذكر الاستدلال باحوال النبات ثم خمس بذكر الاستدلال باحوال العناصر الاربعة فان شيأ منها لايقدر عليه غيره تعالى ﴿قوله تعالى عما يشركون منهما الخ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى تعالى عما يشركون ليس تكرارا لما ذكر في اول السورة لانه ذكر اولا لابطال قول من زعم ان الاصنام تشفع لمن عبدها وتدفع ما اراد الله به من العقاب وقد اشار المصنف اليه هناك بقوله فيدفع ما اراد بهم وذكر ههنا لكونه نتيجة مترتبة على ما ذكر قبله من دليل الوحدانية كانه قيل خالق السموات و الارض كيف يكون له شريك مع ان ما يتصور ان يكون شريكا له اما شيء منهما او شيء مفتقر اليهما او شيء لايقدر على خلقهما وشيء منها لايصلح ان يكون شريكا له فثبت انه تعالى هو الواحد المتعالي من الشركاء و الانداد وهذا التقرير مبني على ان تكون كلمة ما في قوله عما يشركون موصولة و المعنى تعالى عن الاشياء التي تشركونها لمن هو خالق السموات و الارض القادر على كل شيء ﴿قوله وفيه دليل﴾ اي وفي قوله خلق السموات و الارض بالحق وجه دلالته على ما ذكر ان من هو خالق اصول الاجرام كيف يكون من قبيل الاجرام المحدثة المحتاجة الى موجد و مخصص يخصص لها المقادير و الاشكال و الاوضاع و الاوصاف ولما كان اشرف الاجسام بعد الافلاك هو الانسان مركبا من بدن ونفس استدل به على وجود الصانع الحكيم باعتبار كل واحد من بدنه ونفسه بعد الاستدلال عليه بخلق الافلاك بقوله خلق الانسان من نطفة اشار الى الاستدلال عليه باعتبار بدنه بقوله

و المعاصي بانه لااله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة و الآية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية و الامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية و الآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة و المصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (خلق السموات و الارض بالحق) اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما او مما لايقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام

(خلق الانسان من نطفة) جماد لاحس لها ولاحراك سيالة لاتحفظ الوضع والشكل (فاذا هو خصيم) منطيق مجادل

(مبين) لحجته او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روى ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت (والانعام) الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله وما بعده تفصيل له (فيها دفء) ما يدفأ به فيقي البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) اى تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل اثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه (الا بشق الانفس) الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها

خلق الانسان من نطفة وقوله فاذا هو خصيم مبين استدلال عليه باحوال نفسه فان خلق الجسد الحساس المتحرك بالارادة من الماء المهين لايقدر عليه سوى الاله القادر وايضا النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس الحيوانات الاخرى ان ولد الدجاجة حين خروجه من قشر البيضة يميز بين الصديق والعدو فيهرب من الهرة ويلتجئ ويميز بين ما يوافقه من الغذاء وما لا يوافقه بخلاف ولد الانسان فانه حين انفصاله من بطن الام لا يميز البتة بين الضار والنافع ثم انه حال كبره يقوى عقله ويكمل فهمه بحيث يقدر على تعقل المعاني الدقيقة والعلوم الغامضة ويتمكن من ان يخاصم ويناظر ويجادل مع من ينازعه في جميع المطالب والمهمات فانتقال نفس الانسان من تلك المرتبة الدنية الى هذه الكياسة المفرطة لابد ان يكون بتدبير اله مختار قادر على ما يشاء فهذا هو المراد من قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين وقيل معناه فاذا هو خصيم لربه منكر لما اخبر به خالقه من البعث والطرآمبين ظاهر الخصومة والمكافحة المخاصمة مواجهة ومشافهة والصحيح ان الآية عامة لكونها مذكورة لتقرير الاستدلال على وجود الصانع وكمال قدرته لا لتقرير وقاحة الانسان وتماديه في الكفر والغواية **قوله** بعد ما قد رم اى بلي وتفتت يقال رم العظم يرم بالكسر رمة اذا بلي فهو رميم واما قال تعالى من يحيي العظام وهي رميم والقياس رميمة لان فعيلا وفعولا قد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدو وصديق ولما كان اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وهي الانعام ذكرها بعد ذكر الانسان والانعام عبارة عن الازواج الثمانية وهي الضأن والمعز والابل والبقر والنعم اسم للجنس المتناول للضأن والمعز والدفء السخونة واللام في قوله تعالى لكم فيها دفء يجوز ان تتعلق بخلقها اى خلقها لاجلكم ولمنافعكم ويكون قوله فيها دفء جملة اسمية قدم فيها الخبر او يكون فيها حالا من دفء لانه لو تأخر لكان صفة له قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ وقال فيها دفء وقيل احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ويبدأ بقوله لكم فيها دفء ليناسب قوله ولكم فيها جمال فانه معطوف والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال **قوله** وتقديم الظرف جواب عما يقال تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه يؤكل من غير الانعام كالدجاج والبط وصيد البر والبحر والحوت والثمار وحصول الجواب ان المراد حصر الاكل المعتاد المعتمد عليه في المعاش والحصر بهذا المعنى صحيح **قوله** الى مراحها بضم الميم وهو اسم للمكان الذي تأوي اليه الابل والغنم بالليل يقال اراح ابله اى ردها الى المراح وذلك لايكون الا بعد الزوال ويقال سرح القوم ابلهم سراحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى **قوله** حافلة الضروع اى ممتلئة يقال حفل الوادي بالسيل اى امتلأ **قوله** لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق اشارة الى جواب ما يقال كيف ناسب قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم فان المناسب للاخبار بخلق الانعام لحمل الاثقال ان يوصف البلد بان يقال لم تكونوا حامليها اليه فان الحمل شيء والبلوغ شيء آخر والمناسب للمقام هو الاول دون الثاني وتقرير الجواب ان بينهما مناسبة من حيث المعنى وذلك لان تنكير البلد للتعظيم والتهويل والمعنى الى بلد بعيد غاية البعد بحيث لايبلغ الانسان اليه بالمشي على رجليه فضلا عن ان يبلغه وهو يحمل اثقاله على ظهره ولما كان المقام مقام توصيف البلد بالبعد وتحقيق بعده حسن توصيفه بقوله لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فقوله تعالى لم تكونوا صفة للبلد وقوله الا بشق الانفس حال من الضمير المرفوع في بالغيه اى لم تبلغوه الا ملتبسين بالمشقة والعامة على كسر الشين وقرئ بفتحها وقيل هما مصدران بمعنى واحد وهو المشقة وقيل الشق بالكسر كما يكون بمعنى المشقة يكون ايضا بمعنى نصف الشيء ويجوز حمل اللفظ على كل واحد من المعنيين هنا اما حمله على المعنى الاول فظاهر واما حمله على نصف الشيء فالمعنى لم تكونوا بالغيه عند ذهاب نصف قوتكم ونقصانها **قوله** ولتتزينوا بها زينة يعني ان زينة منصوب على انه مصدر فعل محذوف وقيل انها مفعول لاجله معطوف على محل قوله لتركبوها ولم ينصب الاول لفقدان شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب المخاطبون بخلاف قوله وزينة فان فاعله الزائن الذي هو الخالق فاتحد الفاعل روي عن ابي يوسف ومحمد رحمهما الله انهما يبيحان اكل لحم الخيل لما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كنا قد حملنا في غزونا لحم الخيل ولحم الحمار فنهانا عليه الصلاة والسلام ان نأكل لحم الحمار وامرنا ان نأكل لحم الخيل وروي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها قالت نحرنا فرسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه وروي عن حسن عن ابي

واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر (ويخلق ما لا تعلمون) لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لا خطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد (ولو شاء لهداكم اجمعين) اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذي انزل من السماء) من السحاب او من جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال الشاعر * نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر * (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها

حنيفة انه كان يحرم اكله والرواية الظاهرة عن ابي حنيفة انه لا يحرم الاكل بل يكره كراهة تنزيه ولم يصرح بالتحريم لاختلاف الصحابة والسلف **قوله** واستدل به على حرمة لحومها **حيث** قيل منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو جاز اكل لحم الخيل لكان الانسب بيان هذه المنفعة فلما بين منفعة الركوب علم منه حرمة لحوم هذه المذكورات وان تمام المقصود من خلقها هو الركوب والزينة فان الانعام وما ذكر بعدها من الخيل والبغال والحمير وان كان الانسان يحتاج اليها الا ان احتياجه الى الانعام ضروري لا يتأتى له ان يعيش بدونها لكونها منشأ مأكولاته وملبوساته بخلاف ما ذكر بعدها من الانواع الثلاثة فان الاحتياج اليها ليس من ضروريات الانسان وبقي من الحيوانات ما لا ينتفع به الانسان فاذا ذكره على سبيل الاجمال بقوله ويخلق ما لا تعلمون **قوله** بيان مستقيم الطريق **اي** على تقدير المضاف وان يكون القصد مصدرا بمعنى الاستقامة والعدل ووصف به السبيل على طريق قولك رجل عدل فهو بمعنى قاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ولما شرح الله تعالى دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اي حق عليه بيان ما يكون مستقيما من السبيل وما يكون جائرا وليس كلمة على هنا للوجوب اذ لا يجب على الله تعالى شيء لكن بيان الرشد من الغي مما تقتضيه الحكمة الالهية كانه قيل انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها ازاحة للعذر وازالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة **قوله** او اقامة السبيل وتعديلها **اي** ويجوز ان يكون المعنى وحق على الله تعديل الطريق وجعلها مستقيمة فان قصد السبيل معناه لغة استقامة الطريق وكون هذه الاستقامة على الله تعالى معناه انه حق عليه تعالى تعديل طريق المكلفين بان يهديهم الى ما يوصل الى مرضاته **قوله** او عليه قصد السبيل **اي** او يمر على فضل الله ورضوانه مستقيم الطريق بمعنى ان من سلكه يصل الى ذلك لا محالة فعلى هذا يكون قوله تعالى ومنها جائر بمعنى ومن الطريق ما هو جائر مائل عن الله ورضوانه يؤدي من سلكه الى نهيه وعقابه **قوله** وتغيير الاسلوب **يعني** الظاهر ان يقال وعليه جائرها على معنى وعليه بيان المائل المعوج منها وعدل عن هذا الاسلوب بناء على ان مقتضى الحكمة انما هو بيان الطريق المستقيم المؤدي الى السعادة الابدية او بيان ما يمر عليه ويوصل الى الله **قوله** تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين **صريح** في انه تعالى ما شاء هداية الكفار جميعا وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فمعنى الآية ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم لعلمه بان بعضهم لا يختار ذلك بل يختار ما يوافق هواه ثم انه تعالى لما قرر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات ذكر بعده الاستدلال عليه بعجائب احوال النبات لان اشرف ما في العالم السفلي بعد الحيوان هو النبات فقال تعالى هو الذي انزل من السماء ماء **قوله** ولكم صلة انزل **اي** متعلق به فيكون شراب مبتدأ ومنه خبره قدم عليه والجملة صفة لقوله ماء **قوله** وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه **اي** في المطر لان معناه منه لا من غيره مع ان الله تشرب ماء الينابيع والآبار ولا بأس به لان ماء الارض من جملة ماء المطر سكن فيها **قوله** ومنه يكون شجر **اي** بسببه نبت الشجر فان من في قوله ومنه شجر للسببية ويدل عليه قوله ينبت لكم به الزرع والذي ينبت في الارض بسبب ماء السماء نوعان نجم وشجر فالنجم كل ما نجم اي يظهر ويطلع من الارض مما ليس له ساق والشجر ما له ساق وقوله تعالى فيه تسيمون اي في الشجر تخلون مواشيكم ترعى يقتضي ان يراد بالشجر الاشجار التي ترعاها الماشية ويمكن اسامتها فيها فان الابل تقدر على رعي اوراق الاشجار الكبار فلهذا قال المصنف يعني الشجر الذي ترعاه المواشي مما له ساق ثم عطف عليه قوله وقيل كل ما نبت على الارض شجر سواء كان له ساق او لم يكن واستدل على صحة هذا القول بقول الشاعر

* نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر *

يقول الخيل نغذيها اللحم الذي هو الضرع بان نسقيها اللبن المطلوب منه اذا اجدبت الارض وقل الكلأ فانه اطلق الشجر على الكلأ **قوله** ترعون **اي** ترعون مواشيكم من قولك سرحت الابل ارعاها اذا خليتها ترعى وامت ترعيا ويقال رعى البعير الكلأ بنفسه والرعي بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر في تفسير تسيمون بضم التاء من قوله اسام ماشيته اذا ارسلها وخلاها ترعى وسامت هي تسوم سوما اذا رعت بنفسها حيث شاءت قال الزجاج اخذ ذلك من السومة وهي العلامة وتأويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات **قوله** ولعل تقديم ما يسام فيه الخ **يعني** ان النبات قسمان احدهما معد لرعي الانعام وقد ذكره بقوله تسيمون وثانيهما مخلوق لان يكون غذاء للانسان وهو

المراد بقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون وكان الظاهر ان يقدم ما يأكله الانسان لا ما يكون مرعى للحيوانات من النبات الا ان مرعى الحيوان بسبب اكل الحيوان اياه يكون جزأ منه فيصير غذآء حيوانيا وهو اشرف من الاغذية النباتية فبهذا الاعتبار يكون مرعى الحيوان اشرف بما يأكله الانسان فلذلك قدم الاول على الثاني لان الغذآء الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعي في تسمينها بواسطة الرعي ثم ان الغذآء النباتي قسمان حبوب وفواكه فهو تعالى اشار الى الحبوب بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله والزيتون والنخيل والاعناب ولا شك ان الحبوب اشرف في الغذآئية بالنسبة الى الفواكه واشرف الفواكه الزيتون والنخيل والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه الثلاث بالذكر مع كثرة الفواكه واشرف هذه الثلاث هو الزيتون لانه فاكهة من وجه وادم من وجه لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة حيث تصلح للاكل والطلي واشتعال السرج واشرف الباقيين النخيل فلذلك قدم الزيتون على النخيل وقدم النخيل على الاعناب ﴿قوله تسخيركم بها حال كونها مسخرات﴾ جواب عما يقال فيه تحصيل الحاصل وتقييد الشيء بنفسه وتكرار بلا فائدة وتقرير الجواب ان سخرها لكم بمعنى تسخيركم بها ضرب من النفع بالتصير لكون النفع غاية التسخير مترتبا عليه فهو تعبير عن الشيء بغايته والامر في هذه الآية امر تكويني لا امر تكليف بناء على ان الافلاك والكواكب جمادات على مذهب اكثر المسلمين فالامر المتعلق بها امر تخليق وتدبير لا امر تكليف بالعمل ومنهم من يقول انها ليست جمادات فهم يحملون الامر على الادآء والتكليف ﴿قوله رفع الدور والتسلسل﴾ فانه لو اسند حوادث العالم السفلي الى الحركات الفلكية والكوكبية لاحتاجت تلك الحركات الى ان تستند الى حركات اخرى ولا شك ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن استنادها الى افلاك وكواكب اخرى والا لزم الدور او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن استناد تلك الحركات والاوضاع الى قوات الافلاك والكواكب من حيث انها اجسام متماثلة فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة لصفة ووضع معين لكان كل جسم واجب الاتصاف بذلك الوضع والصفة ولامتنع اختلاف الصفات والاوضاع فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون متحركا لكونه جسما وبقي ان يكون متحركا لغيره وذلك الغير اما ان يكون قوة قائمة به او امرا مباينا عنه والاول باطل لان البحث المذكور يعود فان يقال ان ذلك الجسم بعينه لم اختص بتلك القوة بعينها دون سائر الاجسام فتعين ان تكون تلك الحركة مستندة الى امر مباين عنه وذلك المباين لا يخلو اما ان يكون موجبا بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلا يكون بعض الاجسام بقبول بعض الصفات المعينة اولى من بعض فتعين ان يكون فاعلا مختارا قادرا على ما يشاء وهو الله تعالى وان الحركات الفلكية على تقدير استناد الحوادث السفلية اليها حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وتكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وباحداثه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم الآية يعني ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتسخيره قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل في هذا المقام ختم الآية بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يعني ان كل من كان له عقل يعلم ان التسلسل والقول بما يؤدي اليه باطل بل لا بد من الانتهاء في آخر الامر الى الفاعل المختار القديم تعالى شأنه من غير احتياج الى تفكر وتأمل بخلاف الاستدلال باحوال النبات على وجود الله موجد الكائنات فان احوال النبات وان كانت دالة عليه الا ان دلالتها على وجوده تحتاج الى التفكر والتأمل فانه لما ذكر انه تعالى انزل من السماء ماء فانبت به الزرع والزيتون ونحوهما توهم ان يقال لا نسلم انه هو الذي انبتها ولم لا يجوز ان يقال هذه الاشياء انما حدثت بسبب اختلاف الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب فما لم يقم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون الاستدلال باحوال النبات وافيا بافادة هذا المطلوب قاطعا للشكوك والريوب بل يكون الاحتياج الى التفكر والتأمل باقيا بعد ظهور هذا السؤال فختم الاستدلال باختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم لما خلقت له بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون تنبيها على ان هذا الدليل واف لافادة هذا المطلوب لمن له عقل سليم ولا يحوجه الى مزيد التفكر والتأمل فان من يعقل ان اختلاف الفصول والاوضاع الفلكية والكوكبية لا يستند الى الافلاك والاوضاع ضرورة بطلان التسلسل يقطع بان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتدآء وانتهاء وجمع لفظ الآية للدلالة على اختلاف انواع الدلالة ﴿قوله او مصدر ميمي﴾ عطف على قوله حال من الجميع فيكون مسخرات مفعولا مطلقا على ان يكون سخر بمعنى التسخير لان المصدر الميمي من المزيدات يكون على وزن

(ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية لذلك (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأها لمنافعكم (مسخرات بامره) حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه

اسم المفعول من ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف الانواع والمعنى انه سخرها انواعا من التسخير على اسلوب قولك ضربته ضربات **﴿قوله ورفع ابن عامر﴾** فانه قرأ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع فى الاربعة وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات فقط والباقون بنصب الجميع وكسر تاء مسخرات * فان قيل التسخير انما يتعلق بمن له حياة وقدرة يصح منه الانقياد والمطاوعة حتى يقهر ويسخر فكيف يصح ان يتعلق التسخير بما هو من قبيل الاعراض كالليل والنهار وما هو من قبيل الجمادات كما فى المذكورات * فالجواب ان تسخير هذه الاشياء عبارة عن انه تعالى خلق هذه الاشياء ودبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع والمطاوعة من قبلها فهن مسخرات لله تعالى دبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع او هو عبارة عن انه تعالى جعل فيها منافع للخلق تصل اليهم تلك المنافع شئن او ابين ولم يجعل لهن مايمنع عن الخلق استيفاء تلك المنافع منهن بسببه فهن مسخرات لما خلق له بايجاده وتقديره على الوجهين فالمراد بالامر امر التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل انه تعالى لما كون هذه الاشياء على وجه ملائم لمصالح العباد وتكونت على وفق ارادته صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع فاطلق على هذا التكوين والتدبير لفظ التسخير على طريق التمثيل فصيغ المشتقات استعارة تبعية وكانت قرينة للاستعارة المكنية **﴿قوله يذكرون ان اختلافها ليس الا بصنع صانع﴾** اشارة الى انه تعالى ختم الاستدلال باختلاف اصناف ماذرأ بقوله لقوم يذكرون تنبيها على ان خلاصة هذا الدليل راجعة الى ماذكر فى الاستدلال باحوال النبات من ان الحبة الواقعة فى الارض ينشق اسفلها فيخرج منه عروق الشجر وينشق اعلاها فيخرج منه ساقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار الى قوله علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار فيتم الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ثم انه تعالى لما احتج على اثبات الصانع بالاجرام العلوية والسفلية من السموات والارض وخلقة نوع الانسان وانواع الحيوانات والنباتات شرع الآن فى الاستدلال عليه بعجائب احوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بعنصر الماء * واعلم ان علماء الهيئة قالوا ثلاثة ارباع كرة الارض غائصة فى الماء الذى هو البحر المحيط وهو كله عنصر الماء وحصل فى هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحار التى سخرها الله تعالى للناس هى هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص لاستخراج مافيها من اللؤلؤ والمرجان واصطياد مافيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك والماء الزعاق هو المالح الاجاج اى المر **﴿قوله وتمسك به الامام مالك﴾** حيث قال كيف لا يحنث باكل السمك مع انه تعالى نص على كونه لحما فى هذه الآية وليس فوق بيان الله تعالى بيان روى عن ابى حنيفة انه لما قال لحم السمك ليس بلحم حتى لو حلف لا ياكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل حلف لا يصلى على البساط فصلى على الارض فهل يحنث او لا قال سفيان لا يحنث فقال السائل أليس الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك كان بتلقين ابى حنيفة **﴿قوله تشقه بحيزومها﴾** اى بوسط صدورها قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء ان المخر صوت جرى الفلك وقوله تعالى منه لحما طريا يجوز ان يتعلق بقوله لتأكلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من النكرة بعده وكذا منه فى قوله وتستخرجوا منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتحلى به وقوله تعالى وترى الفلك جملة معترضة بين التعليلين وهما قوله لتأكلوا منه وما عطف عليه وقوله ولتبتغوا وانما قلنا معترضة لانه خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع **﴿قوله بركوبها للتجارة﴾** اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون تقدير الكلام لتنتفعوا بكونها مواخر فيه ولتبتغوا الربح والنماء من فضل الله بركوبها للتجارة فاذا وجدتم ماتبتغونه من فضل الله واحسانه فلعلكم تؤدون حق شكره ولو جعل معطوفا على قوله تعالى لتأكلوا منه لحما وجعل قوله وترى الفلك اعتراضا بين التعليلين كما هو الظاهر لكان المناسب تذكير الضمير بان يقال بركوبه للتجارة **﴿قوله كراهة ان تميل بكم﴾** الميد الميل والحركة والاضطراب يمينا وشمالا يقال ماد يميد ميدا **﴿قوله او ان تتحرك بادنى سبب التحريك﴾** كالسفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت اجرام ثقيلة فى تلك السفينة استقرت على وجه الماء واستوت لان تلك الاجرام بسبب ثقلها تتوجه نحو المركز وتمنع السفينة عن ان تضطرب يمينا وشمالا فكذلك الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الامواج كما قال تعالى

ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (وماذرأ لكم فى الارض) عطف على الليل اى وسخر لكم ماخلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا الوانه) اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ان اختلافها فى الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم (وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (والقى فى الارض رواسى) جبالا رواسى (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها من الحركة

وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال (وانهارا) وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لمقاصدكم او الى معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قرآءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتدآء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم (أفمن يخلق كمن لايخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لايقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن لايخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لايخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجرآؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او المبالغة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لايخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده (أفلا تذكرون) فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) اى لاتضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ورآء ماعدد نعما لاتنحصر وان حق عبادته غير مقدور (ان الله لغفور) حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها (رحيم) لايقطعها لتفريطكم فيه ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ماتسرون وماتعلنون) من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف الشرك باعتبار العلم

وجعلنا الجبال اوتادا على طريق التشبيه البليغ ﴿قوله ماهى بمقر أحد على ظهرها﴾ كذا اخبار أيمة من النسخ والظاهر ان يقال بمقرة احد بتأنيث مقرة سوآء كان مؤنثا او غير مؤنث لكونها خبرا عن ضمير الارض ﴿قوله لان القى به معناه﴾ اى معنى جعل فان الالقاء حقيقة هو طرح الشئ من اعلى الى اسفل ولايخفى ان اثبات الجبال الرواسى فى وجه الارض ليس بطريق الالقاء بل بطريق الجعل والخلق ويدل عليه قوله فى آية اخرى وجعل فيها رواسى من فوقها ولما كان قوله فى هذه والقى فى الارض رواسى بمعنى وجعل فيها رواسى ثم عطف قوله وانهارا وسبلا على قوله رواسى كان المعنى وجعل فيها رواسى وانهارا وسبلا ومعنى القاء السبل وجعلها فى الارض انه تعالى اظهرها وبينها ليهتدى بها من يشاء الى مقصده ووضع فيها علامات اى معالم وهو جمع معلم وهو الاثر الذى يستدل به على الطريق من جبل وسهل وريح ونحوها مما يستدل به فى النهار ولعل النهار تهب فيه الريح من جهة الى جهة اخرى فيستدل بها على الطريق فى الليل كما يستدل بالجبل ونحوه قال الامام ورأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يعرفون الطرقات ﴿قوله ولعل الضمير لقريش﴾ يعنى غير اسلوب الخطاب فى قوله ان تميد بكم الى طريق الغيبة فى قوله وبالنجم هم يهتدون وخص اولئك الغائبين بالاهتدآء دون غيرهم بدلالة تقديم هم على يهتدون وخص اهتدآءهم بالنجم دون غيرهم حيث قدم بالنجم على عامله الذى هو يهتدون فلعل المراد بهؤلاء الغائبين قريش فانهم امتازوا من بين جملة الناس بكثرة الاسفار للتجارة ومن سافر فى الديار للتجارة يكون اكثر سفره واتفاق غلبة الليالى فيكون اهتدآؤه مختصا بالنجم وقوله عن سنن الخطاب اى عن طريقه الى طريق الغيبة اشارة الى قريش لكون هذا المعنى فيهم اتم واكمل ثم انه تعالى لما اقام الدليل على وجود الاله القادر ووجود نعمه واحسانه اتبعه بذكر مايدل على بطلان عبادة غيره بانه الذى هو المتفرد بخلق هذه الآثار العجيبة والمولى لجميع هذه النعم الجليلة فقال افمن يخلق كمن لايخلق ﴿قوله انكار بعد اقامة الدلائل﴾ الانكار مستفاد من الهمزة والتعدية من الفاء ولما كان المقصود من هذا الكلام الانكار على من يجعل غير الخالق مثل الخالق فى تسميته باسم الاله فى الاشتغال بعبادته كان الظاهر ان يقال أفمن لايخلق كمن يخلق ليتم الالزام والتجهيل فى جعلهم العاجز كالقادر الا انه تعالى عكس هذا النظم للتنبيه على كمال جهالة المشركين فانه لاشك فى انحطاط شأن من لايخلق شيأ وهم يخلقون بالنسبة الى خالقهم فمن سلك سبيل الاشتراك يلزمه ان يجعل الخالق القادر مماثلا لهؤلاء المخلوقات العجزة وهو غاية الجهالة والغواية فانكر عليهم فى هذا الجهالة فقال افمن يخلق كمن لايخلق عبر عن الاصنام التى هى جمادات بلفظ من حقه ان يطلق على اولى العلم لاجرآئها مجرى اولى العلم او للمشاكلة او للمبالغة فى انكار المماثلة بين الخالق والاصنام فانه اذا امتنعت المماثلة بين الخالق وبين من لايخلق من اولى العلم كان امتناعها بين الخالق وبين من لايخلق ولايعلم بطريق الاولى ﴿قوله فانه لجلائه كالحاصل﴾ يعنى ان قوله تعالى أفلا تذكرون استعارة تبعية شبه ادراك الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها معضدا بتذكر الصورة المخزونة التى ذهل عنها فاطلق عليه اسم التذكر بناء على تلك المشابهة ثم اشتق منه تذكرون او هو استعارة مكنية شبهت الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا فى النفس وجعلت نسبة التذكر اليها تخييلا ﴿قوله بادنى تذكر﴾ الظاهر ان يقال بادنى توجه ﴿قوله فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها﴾ يعنى ان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم المنعم عليه بتلك النعم على سبيل التفصيل فان ما لايكون معلوما امتنع الاشتغال بشكره واذا كان عقل الانسان قاصرا عن احصاء نعم الله تعالى والاحاطة بها تفصيلا امتنع منه ان يشتغل بشكرها على الوجه الذى يكون ذلك الشكر لائقا بتلك النعم فلما كان احصاء النعم والعلم بتفاصيلها من لوازم الطاقة على القيام بشكرها كان انتفاء الاحصاء مستلزما لانتفاء الطاقة على الشكر فان قيل اذا لم يكن القيام بالشكر مما لايطيقه الانسان فكيف امرهم الله تعالى به فالجواب ان الشكر المأمور به هو الاشتغال بالعبادة على حسب الطاقة بان يلاحظ كمال عظمة الله تعالى وكبريائه وكثرة ما انعم به عليه من وجوه فضله واحسانه ويجتهد فى رعاية حدوده وتكاليفه على حسب طاقته واستطاعته ﴿قوله وتزييف الشرك باعتبار العلم﴾ يعنى انه تعالى زيف الشرك وعبادة الاصنام فى الآية الاولى باعتبار القدرة على الخلق وزيفه فى هذه الآية باعتبار العلم كأنه قال ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام جمادات لاشعور لها بشئ اصلا فكيف تحسن عبادتها وقرأ العامة تسرون وتعلنون بتاء الخطاب وقرأ عاصم فى رواية حفص يسرون ويعلنون ويدعون فى كلهن بياء الغيبة للعائبة وكذلك الكسائى وروى عن عاصم يدعون خاصة بياء الغائبة والباقون كلهم بتاء

(الخطاب)

العطاب للحاطبة كذا فى تفسير التيسير وليس فى تفسير القرآء الاقوله قرأ عاصم والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء

﴿ قوله لانتفاء المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان قوله تعالى فى اوّل الآية أفمن يخلق يفيد ان هذه الاصنام لاتخلق شيأ فيكون قوله ههنا لايخلقون شيأ تكرارا محضا فاوجه وقوعه فى القرآن • وتقرير الجواب ان ماذكر اوّلا لايدل على ماذكر بعده بل كل واحد منهما مقدمة مستقلة لدليل بطلان القول بالاشراك وترتيب الدليل هكذا الآلهة الذين يعبدهم المشركون من دون الله لايخلقون شيأ ولاشئ مما لايخلق بشريك مماثل للخالق فلاشئ من الاصنام بشريك للخالق فلا تكرار ﴿ قوله هم اموات لاتعتريهم الحياة ﴾ اشارة الى ان قوله اموات خبر مبتدأ محذوف والى دفع مايقال من ان قوله اموات يفيد كونهم غير احياء فاالفائدة فى ذكر قوله غير احياء بعد ذكر اموات ودفعه اوّلا بان قوله غير احياء صفة مخصصة لقوله اموات فان من الاموات ماتعتريه الحياة بعد زمان كالنطفة والبيضة ونحوهما ومالا تعتريه الحياة ابدا والاصنام من قبيل الثانى فكيف تكون شركاء للاله الحق الحى الذى لايجوز ان يعتريه الموت ابدا والحال ان الميت الذى لاتعتريه الحياة ابدا فى غاية البعد من الحى الذى لايعتريه الموت ابدا ويمتنع ذلك فى حقه قطعا ودفعه ثانيا بان المراد بقوله اموات مايتناول الاموات حالا كالاصنام وعيسى وعزير والاموات مآلا كالملائكة الذين تعبدهم طائفة من المشركين والاموات بهذا المعنى يلزم ان لاتكون احياء بالذات الا انها وصفت بانها غير احياء بالذات للتأكيد كما فى قوله نفخة واحدة فانه لما كان المقصود نفى الالهية عن شركاء المشركين اقتضى المقام الاهتمام بنفى لوازم الالوهية عنها وتوصيفها بما ينافى الالوهية فلذلك اكد كونها اموانا حالا او مآلا بكونها غير احياء بالذات فانه تعالى وصفهم بثلاث صفات كل واحد منها ينافى الالوهية وهى انهم غير خالقين بل هم مخلوقون وانهم اموات غير احياء وانهم لايعلمون وقت البعث والمقصود منها نفى الالوهية عنهم واثبات وجوب كون الاله خالقا غير مخلوق حيا لايموت عالما بالغيب كله والشهادة فمتى يكون موصوفا باضداد هذه الاوصاف لايكون الها قطعا ﴿ قوله ولايعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم ﴾ اشارة الى ان ضمير يشعرون للمعبودات البتة وان ضمير يبعثون يحتمل ان يكون للمعبودات ايضا ويكون المعنى ان الاصنام لايشعرون متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام ولها ارواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها فيؤمر بالكل الى النار ويحتمل ان يكون للعابدين ويكون المعنى ان الاصنام وسائر المعبودات من دون الله لايشعرون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ اى فى قوله ومايشعرون ايان يبعثون تنبيه على انه لابدّ من البعث وان البعث من لوازم التكليف على معنى ان من شأن المعبود ان يجازى عابده الذى كلفه بعبادته والدنيا دار تكليف لايتأتى المجازاة فيها فلابدّ من دار الجزاء وبعث الخلق للثواب والعقاب ثم انه لابدّ للاله من العلم بماصدر من المكلف وبمايعادله من الثواب والعقاب وبالوقت المقدر للجزاء والذى لايعلم شيأ من ذلك كيف يكون الها وقوله تعالى ايان منصوب بمابعده لابماقبله وهو يشعرون لانه استفهام علق يشعرون ﴿ قوله تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج ﴾ يعنى ان قوله تعالى الهكم اله واحد هذه لكة لماسبق واعادة للمدعى بعد اقامة الحجج عليه مفصلا كرره ليكون توطئة لماذكر بعده من بيان مالاجله اصرّ الكفار على القول بالشرك وانكار التوحيد والفاء فى قوله فالذين جواب شرط محذوف كأنه قال اوّلا قد ثبت بالدلائل الواضحة ان الالوهية مختصة بالله تعالى وانه واحد متفرد بالالوهية ثم قال اذا كان كذلك من حقه ان يخص بالعبادة وينزه عن الشريك فمن لم يحترز عن الشرك بعد اقامة هذه الدلائل لم ينتفع بها لان بهذه الدلائل حيث استمر على ضلاله القديم واستمراره انمايكون لاجل انه لايؤمن بالآخرة فلم يكره فلذلك لايرغب فى الثواب ولايرهب من الوقوع فى العقاب فيبقى قلبه منكرا لكل كلام يخالف هواه ومستكبرا عن الرجوع الى قول الناصح فلاجرم يبقى مصرّا على الجهل والضلال ﴿ قوله وانكار قلوبهم ﴾ عطف على قوله عدم ايمانهم بالآخرة وكذا قوله والاستكبار عطف عليه ايضا والمراد بالاوّل عدم الايمان بالآخرة فانه هو العمدة فى باب الاصرار على الضلال وبالآخرين انكار القلوب والاستكبار ويكونهما مرتبين على الاوّل وقوعهما خبرا للمبتدأ المتضمن لمعنى الشرط ﴿ قوله لاجرم حقا ﴾ نقل الجوهرى عن الفرآء ان قولهم لاجرم كلمة كانت فى الاصل بمعنى لابدّ ولامحالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب عن القسم بها الا تراهم يقولون لاجرم لآتينك وقيل لارد لكلامهم وجرم بمعنى حق ووجب يعنى ان لانافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة

(ويدعون من دون الله) اى والآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابوبكر يدعون بالياء وقرأ حفص [illegible]
(لايخلقون شيأ) لانتفاء المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق بين انهم لايخلقون شيأ [illegible] لايشاركوه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود (اموات) هم اموات لاتعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا (غير أحياء) بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لايعتريه الممات (وما يشعرون ايان يبعثون) ولايعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا الثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف (الهكم اله واحد) تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاوّل هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين (لاجرم) حقا

فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله لا كار دلا هذه الواقعة قبل القسم في قوله لا اقسم وقوله فلا وربك لا يؤمنون ثم اتى بعدها بجملة فعلية وهي جرم ان لهم كذا اى حق ووجب ان يكون الامر كذا فيكون مابعد جرم مرفوعا بالفاعلية وقيل ان لاجرم لفظ مركب من لا النافية وجرم جعلا لفظا واحدا مبنيا بناء خمسة عشر وصار بعد التركيب بمعنى حق فيرتفع مابعدهما بالفاعلية ايضا فقوله تعالى لاجرم ان لهم النار معناه حق وثبت كون النار مثوى لهم واستقرارها لهم وقيل ان لاجرم بمنزلة لارجل في كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح وهي واسمها في محل الرفع بالابتدآء ومابعدهما خبر لا النافية وصار معناها لا محالة ولا بد ان الله تعالى يجازيهم على حسب علمه بما اسروا واعلنوا ﴿ قوله فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده ﴾ يعني ان المستكبرين يعم كل من عرف الحق واستكبر عن قبوله وعرف النعمة واستكبر عن شكرها ويدخل في هذا العموم من سيق له الكلام دخولا اوّليا وهم المشركون الذين يستكبرون عن التوحيد وجاز ان يكون لفظ المستكبرين من وضع الظاهر موضع ضمير المشركين المستكبرين عن التوحيد فقط وتكون النكتة في العدول عن الضمير الاشارة الى علة الحكم بانه تعالى لا يحبهم ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد وبطلان مذهب عبدة الاوثان حكى عن منكري النبوّة وبين ان عاقبة طعنهم ان يحملوا الاوزار واشار اليه المصنف بقوله فحملوا اوزار ضلالتهم فانه عليه الصلاة والسلام لما احتج على صدقه في دعوى النبوّة بانزال القرءآن المعجز عليه طعنوا في القرءآن وقالوا انه اساطير الاوّلين وليس هو من قبيل المعجزات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرءآن بانه اساطير الاوّلين لاجل ان يحملوا ولكن لما كانت عاقبة ذلك التوصيف ان يحملوها شابه الحمل المذكور الغرض المطلوب من الفعل فحسن ادخال لام العلة عليه كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴿ قوله ماذا ﴾ في محل الرفع على الابتدآء وقوله انزل ربكم خبره اى اىّ شيء انزل ربكم غاية ما في الباب ان يكون التركيب من قبيل زيد ضربت في حذف العائد المنصوب والمسئلة مختلف فيها بين النحاة والصحيح جوازه والقائم مقام الفاعل لقوله قيل هو الجملة من قوله ماذا انزل ربكم لانها هي المقولة والبصريون يأبون ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلة ولا قائمة مقام الفاعل واختلفوا في قائل هذا القول وفاعله المحذوف بعد اتفاقهم على ان المقول لهم المشركون الطاعنون في القرءآن وكونه منزلا من الله تعالى فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل الله تعالى على رسوله كذا في التفسير الكبير وفيه تسامح والمراد انه قول الوافدين على المشركين كما اختاره المصنف وعلى تقدير ان يكون هذا قول بعض المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم مبنيا على التهكم لانهم منكرون للانزال والنبوّة ﴿ قوله اى ماتدّعون نزوله او المنزل اساطير الاوّلين ﴾ وارتفاع اساطير دليل على ان ماذا مرفوع على الابتدآء وخبره مابعده لانه لو كان منصوبا على انه مفعول محذوف لطابق الجواب السؤال فان جواب المرفوع ينبغي ان يكون مرفوعا وجواب المنصوب منصوبا ولم يقرأ احد اساطير الاوّلين بالنصب ﴿ قوله وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ﴾ يعني ان كلمة من في قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم تبعيضية اى ان الرؤساء في كمال الضلالة حيث جمعوا بين الضلالة عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التي يتعدى اثرها الى الغير وهي ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة لاجرم حملوا اوزار ضلالتهم كاملة وكذلك الاتباع فان لهم ضلالة منسببة من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة غيرها فالرؤساء يحملون من اوزار الاتباع ماهو حصة الضلال الحاصل فيهم باضلال الرؤساء اياهم ولا يحمل الرؤساء جميع اوزار الاتباع وهذا لا يخالف ماروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا الى هدى فاتبع كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلال فاتبع كان له من الاثم مثل آثام من تبعه من غير ان ينقص من آثامهم شيء » لان المراد ببعض اوزار من ضل هو وزر الضلالة الذي لسبب فيه المضل وكذلك الآثام المذكورة في الحديث قال الامام واعلم انه ليس المراد انه تعالى يحملهم اوزار غيرهم ويدل عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة استحق بذلك عذابا عظيما حتى يكون ذلك العقاب مساويا لكل مااستحقه كل واحد من الاتباع ثم نقل عن الواحدي انه قال انها لو كانت للتبعيضية لخف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز

(ان الله يعلم مايسرّون وما يعلنون) فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل (انه لا يحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون (قالوا اساطير الاوّلين) اى ماتدّعون نزوله او المنزل اساطير الاوّلين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال (ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب

(بغير علم) حال من المعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين الحق والمبطل
(الاساء مازرون) بئس شيأ يزرونه فعلهم (قدمكر الذين من قبلهم) اى سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام
(فاتى الله بنيانهم من القواعد) فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت (فخرّ عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد من فى السماء فأهب الله الريح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته (ويقول اين شركائى) اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير همز والباقون بالهمز (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عزوجل (قال الذين اوتوا العلم) اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة (ان الخزى اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة (ظالمى انفسهم) بان عرضوها للعذاب المخلد (فألقوا السلم) فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت (ما كنا نعمل من سوء) قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) اى فتجيبهم الملائكة بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم (فادخلوا ابواب جهنم) كل صنف بابه المعدّ له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم

قوله عليه الصلاة والسلام من غير ان ينقص من آثامهم شئ ولكنها للجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع انتهى كلامه ولا يخفى ان من التى تكون لبيان الجنس لا يكون تقديرها هكذا بل الظاهر ان يقال فى تقديرها واوزارهم التى هى اوزار الذين يضلونهم ﴿قوله حال من المعول﴾ ويجوز ان يكون حالا من الفاعل فالمعنى حينئذ يضلونهم بجهلاتهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال الا ان الفائدة المترتبة على كونه حالا من المعول تفوت حينئذ فانه تعالى لما وصف الذين لا يعلمون انهم ضلال بالضلال وبكونهم حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم اوزار من يضلونهم والاضلال لا يتحقق بدون الضلال علم منه ان جهلهم بذلك لا يخرجهم من كونهم ضلالا حاملى الاوزار فى انفسهم ✽ واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القرآن بانه اساطير الاولين اى احاديثهم واباطيلهم ولم يحصل عنه بيان حقيقته وكونه كلاما الهيا معجزا بل اقتصر على مجرد بث الوعيد بناء على ما تكرر من بيان ذلك فى مواضع متعددة من القرآن ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تأسف من قول المشركين فى حق القرآن انه اساطير الاولين وجعلهم هذا القول وسيلة الى تكذيبه فى دعوى الرسالة نزل قوله قدمكر الذين من قبلهم الآية والمراد بالمكر ههنا التدبير الفاسد اى قد مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم كما مكر بك هؤلاء ولم يضر ذلك بالانبياء بل ابطل الله تعالى مكرهم وردّ فى نحورهم كيدهم وتحقق فيهم معنى ما قيل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا والمنصوبات جمع منصوبة وهى الحيلة يقال سوّى فلان منصوبة وهى فى الاصل صفة الشبكة او الحبالة فجرت مجرى الاسماء كالدابة والعجوز وفسر الزجاج القواعد بالاساطين التى تعمد البنيان اى انهدمت عمد البنيان فانهدم اى اتاه بعماد يعتمد عليه والعمد بضمتين جمع عماد ﴿قوله بان ضعضعت﴾ اى انهدمت القواعد الجوهرى ضعضعه اى هدمه حتى الارض وهو استعارة تمثيلية شبه حالهم فى انهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها الانبياء فجعلها الله تعالى سبب هلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من تلك الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا واليوم فى قوله تعالى ان الخزى اليوم معمول للخبر وهو قوله على الكافرين اى كائن على الكافرين اليوم وفصل بين العامل ومعموله بالمعطوف اتساعا فى الظروف ﴿قوله وقرأ حمزة بالياء﴾ اى التحتانية اذ لا تأنيث فى الملائكة ومن قرأ بالتاء الفوقانية نظر الى لفظ الملائكة ﴿قوله وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة﴾ الجرّ على انه صفة لما قبله والنصب بتقدير اعنى والرفع بتقديرهم الذين وعلى التقادير يكون قوله تتوفاهم واردا على حكاية الحال الماضية لان الذين اوتوا العلم يقولون هذا القول حين يرون خزى الكفار وفضاحتهم يوم القيامة على اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة لهم والظاهر ان توفى الملائكة اياهم امر ماض بالنسبة الى يوم القيامة فيكون التعبير عنه بلفظ المستقبل مبنيا على حكاية الحال الماضية وقوله فألقوا السلم يجوز ان يكون معطوفا على تتوفاهم لكونه بمعنى الماضى وان يكون معطوفا على قوله قال الذين اوتوا العلم فتكون المسالمة المذكورة من جملة احوالهم الواقعة يوم القيامة ولا تكون من جملة مقالة اولى العلم بخلاف ما اذا كان معطوفا على تتوفاهم الا ان قول المصنف واخبتوا حين عاينوا الموت يدل على انه جعله معطوفا على تتوفاهم والاخبات الخشوع يقال اخبت لله اى تواضع واصل الالقاء فى الاجسام واستعمل هنا فى اظهارهم الانقياد اشعارا بغاية خضوعهم واستكانتهم وانها كالشئ الملقى بين يدى الغالب القاهر ﴿قوله ما كنا نعمل من سوء﴾ مقول قول مضمر منصوب على انه حال من فاعل ألقوا اى فألقوا السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول نعمل زيدت فيه من ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم الذى هو القول لانه بمعنى القول الدال على الاستسلام والانقياد والاقرار لله تعالى بالربوبية كما قال تعالى فى آية اخرى فألقوا اليهم القول كأنه قيل فألقوا ما دل على الاستسلام وقالوا ما كنا نعمل من سوء وهذا الاستسلام وان وقع من المشركين يوم القيامة بان قالوا فيه ما كنا نعمل فى الدنيا من سوء على سبيل الكذب كان ذلك دالا على صحة قول من يجوّز صدور الكذب من اهل القيامة لفرط الخوف والدهشة وهو ظاهر واما الذين قالوا ان الكذب لا يجوز عليهم فانهم قالوا معنى الآية على تقدير ان يكون المراد من حكاية كلام المشركين يوم القيامة ما كنا نعمل من سوء انا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ فصار صدر ردّا عليهم وتكذيبا لهم قولهم ما كنا نعمل من سوء بقوله بلى الخ ولا يبعد ان يكون قائل هذا القول هو الله سبحانه وتعالى او بعض الملائكة او الذين اوتوا العلم والمعنى انه تعالى عالم بما كنتم عليه فى الدنيا فمجازيكم عليه ولا يتحكم هذا ثم صرح بذكر العقاب فقال فادخلوا ابواب جهنم ﴿قوله وقيل قوله فألقوا السلم الخ﴾

(وقيل للذين اتقوا) يعني المؤمنين (ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافأة فى الدنيا (ولدار الآخرة خير) اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن) من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لا يحيقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) ما ينتظر الكفار المار ذكرهم (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء (او يأتى امر ربك) القيامة او العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فاصابهم ما اصاب (وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فاصابهم سيئات ما عملوا) اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا فى الشر (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين

عطف على ما يفهم من التقرير السابق فانه يفهم منه ان قوله تعالى فألقوا حكاية لشرح حال الكفار عند القرب من الموت ومعاينته وعلى هذا القول يكون فألقوا استئنافا يتم كلام الذين اوتوا العلم عند قوله ظالمى انفسهم ويكون قوله قال الذين اوتوا العلم الى قوله انفسهم جملة معترضة بين قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم وبين قوله فالقوا السلم ﴿قوله وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا﴾ اى لم يمكثوا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال وقد اشتهر ان فى نحو ماذا صنعت وجهين احدهما ان تكون ما استفهامية بمعنى اى شئ ويكون ذا بمعنى الذى فيكون الكلام جملة اسمية تقديره اى شئ صنعته فحق ما ذكر فى جوابه ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف ليكون الجواب مطابقا للسؤال وثانيهما ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد معناه اى شئ منصوب المحل على انه مفعول صنعت لانه غير مشتغل عنه بضميره فيكون الكلام جملة فعلية فحق جوابه النصب على ان يكون معمولا لفعل مقدر ليطابق السؤال وفى هذه الآية الكريمة قد اجاب المقرون بالانزال بالنصب حيث قالوا خيرا اى انزل خيرا بخلاف المنكرين للانزال فانهم اجابوا بالرفع حيث قالوا اساطير الاولين لكون اللائق بحال كل واحد من الفريقين ان يجيب بما اجاب به فلذلك اجابوا بالرفع فان قولهم اساطير الاولين كان مطابقا له وبيانه موقوف على الفرق بين ان يكون السؤال جملة اسمية وبين كونه فعلية وهو انه اذا سأل سائل اى شئ انزل ربكم فقد تقرر عنده اصل الانزال وانما يسأل عن تعيين المنزل ولا دلالة فيه على كون المخاطب مقرا بالانزال او منكرا له بخلاف ما اذا سئل بان يقال اى شئ الذى انزله ربكم فان السؤال بهذا الطريق يدل على كون المخاطب معترفا بالانزال لما تقرر ان الجملة التى تقع صلة للموصول حقها ان يكون مضمونها معلوما للمخاطب فلما اجاب المخاطب بان ما تدعون او المنزل اساطير الاولين خالف السائل المخاطب فقد اجاب المخاطب بانه غير مسلم عندى بل ما تدعى نزوله او المنزل اساطير الاولين مطابقا للسائل فيما زعمه من ان اصل النزول محقق مسلم عنده فكان جوابه مخالفا للسؤال ومطابقا لما يقتضيه حاله ولو اجاب بالنصب لكان موافقا للسائل فى الاعتراف بكون اصل النزول مسلما عنده ولكان مناقضا لنفسه فى توصيف ما اعترف بكونه منزلا من ربه بانه اساطير اذ من المعلوم ان المنزل من قبله لا يكون اساطير بخلاف المقر فان اللائق بحاله ان يحمل السؤال على الجملة الفعلية ويجيب بالنصب لانه كان اللائق بحاله ان لا يتلعثم ويوافق السائل فى الاعتراف باصل النزول لا ان يكون متلعثما فى الجواب ويجيب بتعيين ان المنزل ما هو فلو اجاب بالرفع وقال المنزل خير لكان موافقا للسائل فى الاعتراف باصل النزول الا انه يكون متلعثما فى الجواب بتغييره اسلوب السائل فانه سأل بالجملة الفعلية طالبا لتعيين المفعول وهو قد اجاب بتحقيق كون المنزل خيرا ﴿قوله وهو عدة﴾ اى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى الآية كلام منقطع عما قبله اى ليس من جملة كلام الذين اتقوا بل هو ابتداء كلام من الله تعالى بين به ان من احسن اعتقادا وعملا فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة والذى يفهم من تقرير المصنف انه جعل قوله فى هذه الدنيا متعلقا بقوله احسنوا وحمل قوله حسنة على المكافأة الواقعة فى الدنيا بقرينة قوله بعد ذلك ولدار الآخرة خير ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها ولا وجه لجعله متعلقا بنفس حسنة لتقدمه عليها ويدخلونها صفة جنات وتجرى اما صفة اخرى او حال من مفعول يدخلونها وقوله لهم فيها ما يشاؤن جملة اسمية والخبر اما لهم واما فيها واعرابها كاعراب الجملة التى قبلها ﴿قوله وهو يؤيد الوجه الاول﴾ وهو كون قوله تعالى للذين احسنوا الى آخر الآية عدة للذين اتقوا على قولهم وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة صفة للمتقين وطيبين حال من المفعول ويقولون حال من الفاعل اى يقبضون ارواحهم مسلمين عليهم او مبلغين سلام الله عليهم ويحتمل ان يكون الذين مبتدأ ويقولون خبره فلابد حينئذ من عائد محذوف ثم انه تعالى لما وصف جزاء الذين اتقوا على قولهم فى حق القرآن انه خير عاد الى بيان ان اولئك الكفار الذين طعنوا فى القرآن بان قالوا اساطير الاولين ما ينتظرون فى الايمان بحقية ما انزل اليك الا الوقت الذى لا ينفعهم الايمان فى ذلك الوقت ﴿قوله تعالى فاصابهم﴾ معطوف على قوله فعل الذين وما بينهما اعتراض ﴿قوله انما قالوا ذلك استهزاء﴾ ذكر الامام الواحدى فى الوسيط ان الزجاج قال انهم قالوا هذا على الاستهزاء ولو قالوه معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا ذلك مستهزئين انتهى وزاد المصنف انهم قصدوا بذلك الطعن فى النبوة والتكليف متمسكين فى ذلك بالقول بالجبر وقالوا الكل من الله تعالى ولو شاء الله منا الايمان والتوحيد لحصل لنا ذلك سواء بعث الرسول

(اولم يبعث)

لولم يبعث فلا فائدة فى البعثة فالحوادث كلها منوطة بمشيئة الله تعالى ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يستحقون بهذا القول اللوم والتوبيخ فى المسئلة قال الامام فى الجواب عن شبهة الكفار ان قولهم لما كان الكل من الله تعالى كانت بعثة الانبياء عبثا اعتراض على الله فان قولهم اذا لم يكن فى بعثة الرسل مزيد فائدة فى حصول الايمان واندفاع الكفر والعصيان كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تعالى هذا القول منهم صار جاريا مجرى طلب العلة فى احكام الله تعالى وفى افعاله وذلك باطل بل لله تعالى ان يحكم فى ملكه مايشاء ويفعل مايريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذاك فهذا القول من الكفار من حيث دلالته على تعليق جميع الحوادث بمشيئة الله صحيح والفساد والانكار انما يتوجه اليه من حيث انهم قصدوا الاعتراض على الله وطلبوا العلة فى احكامه وافعاله ويدل عليه انه تعالى صرح فى آخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين تعالى بهذا المعنى ان سنة الله فى عبيده الارسال اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر والعصيان الا انه تعالى هدى البعض واضل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع عباده ويحسن منه ذلك بحكم كونه آلها منزها عن اعتراضات المعترضين فثبت انه تعالى انما حكم على هؤلاء الكفار باستحقاق الخزى واللعن لا لانهم كذبوا فى قولهم لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ بل لانهم كانوا ذلك بناء على اعتقادهم انه لوكان الامر كذلك لامتنع جواز بعثة الانبياء والرسل وتكليف العباد بالاوامر والنواهى فلا جرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح فى امثال هذه الشبهات ﴿ قوله وماشاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسباب قدرها له ﴾ لما كانت خلاصة شبهة الكفار ان تعلق مشيئة الله كافية فى تحقق الحوادث فاى حاجة الى بعثة الرسل اشار تعالى بقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الى ان المؤثر فى حصول الاهتداء ليس الا الله تعالى ولا تأثير فيه لتبليغ الرسل الا ان له مدخلا فيه من حيث توسطه بينه تعالى وبين المكلفين وتعلق مشيئة الله تعالى بوجود الحوادث وان وجب الا انها لاتعلق لها بوجود شئ منها الا عند تحقق اسبابه العادية التى من جملتها سعى المكلف ومباشرته لاسباب حصولها باخبار الانبياء بالنسبة الى اهتداء من اهتدى وضلالة من ضل فان كون الدنيا دار تكليف والكسب والاختيار يستدعى ان تجعل الحوادث مرتبطة بالاسباب العادية وذلك من كمال الحكمة الالهية والا فلا حاجة الى توسط الاسباب فى نفاذ قدرته ومشيئته فاى واسطة فى حصول امور الآخرة فما انكر عليه الشرع قبيح شرعا وواقع بقدرة الله تعالى ومشيئته عند كسب العبد واختياره اياه فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعنى فمنهم من هداه الله الى الايمان واتباع الحق ومنهم من اضله عن الحق واعماه عن الهدى واوقعه فى الكفر والضلال وهذا يدل على ان امر الله تعالى لايوافق ارادته بل قد يأمر بالشئ ولا يريده وينهى عن الشئ ويريده وهذا مذهب اهل الحق والمعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان ونحن نقول ان الامر والارادة قد يختلفان ولفظ هذه الآية صريح فى قولنا وهو ان الامر بالايمان عام فى حق الكل واما ارادة الايمان فخاصة بالبعض دون البعض ﴿ قوله يأمر بعبادة الله ﴾ اشارة الى ان ان فى قوله ان اعبدوا الله مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله والباء المقدرة متعلقة بمحذوف منصوب المحل على انه حال من رسولا واختلف فى الطاغوت قال بعضهم كل ماعبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت الشيطان والمراد من اجتنابه اجتناب مايدعو هو اليه مما نهى عنه شرعا ولما كان ذلك الارتكاب بامر الشيطان ووسوسته سمى ذلك عبادة الشيطان ثم انه لما بين ان البعثة كالغذاء الصالح تكون سببا لهداية قوم وضلال آخرين امر قريشا بان يسيروا فى الارض ويعاينوا هلاك من ضل بتكذيب الرسل ليعتبروا بذلك ويعلموا ان العذاب نازل بهم كما نزل باولئك لاجل ضلالهم وتكذيبهم ثم انه بين ان من حقت عليه الضلالة لايهتدى فقال ان تحرص على هداهم الآية وقرأ الكوفيون لايهدى بفتح الياء وكسر الدال فقوله من يضل مفعول يهدى وفاعله مضمر فيه راجع الى الجلالة والعائد على من محذوف اى الذى يضله الله تعالى وقيل يجوز ان يكون لايهدى بمعنى لايهتدى فان هدى كما يكون متعديا يكون ايضا لازما يقال هدى الرجل اى اهتدى والمعنى ان الله تعالى اذا اضل احدا لم يصر ذلك مهتديا فقوله من يضل فاعل يهدى بمعنى يهتدى والباقون لايهدى بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول ومن قائم مقام فاعله وعائده محذوف ايضا فتكون الآية نظير قوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له وقوله فمن يهديه من بعد

(كذلك فعل الذين من قبلهم) فاشركوا با...
وحرموا حله وردوا رسله (فهل على الرسـ...
الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للـ...
وهو ان لم يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكـ...
يؤدى اليه على سبيل التوسط وماشاء ا...
وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسبا...
قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السـ...
الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من ار...
وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء اهتد...
الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضـ...
المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كـ...
امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...
يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغو...
(فمنهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشاد...
(ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذ لم يوفـ...
ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشـ...
الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلا...
وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث ا...
قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآ...
الاخرى (فسيروا فى الارض) يامعشـ...
قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين...
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (...
تحرص) يامحمد (على هداهم فان الله لايهد...
من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى بـ...
حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيـ...
لايهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ (وما...
من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عـ...

(واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده وقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان يبعثهم وعد من الله تعالى (عليه) انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة اخرى للوعد (ولكن اكثر الناس لايعلمون) انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصر نظرهم على المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم) اى يبعثهم ليبين لهم (الذى يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لاتوقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله اى فى حقه ولوجهه (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهى المدينة او تبوئة حسنة (ولاجر الآخرة اكبر) مما تعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى فى الدنيا وما ذخر لك فى الآخرة افضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لايبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على ألسنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسألوا اهل الذكر) اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم (ان كنتم لاتعلمون) وفى الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو عليها مرتين ... (بالبينات والزبر) اى ارسلناهم بالبينات والزبر ...

الله اى من بعد اضلال الله تعالى اياه وهو ابلغ فى نفى الهداية منه ﴿ قوله انكروا البعث مقسمين عليه ﴾ وجعلوا انكاره ذريعة الى انكار النبوة لانه عليه الصلاة والسلام انما يدعوا الى طاعة الله تعالى ورعاية حدوده وتكاليفه بسبب ترغيبه فى ثواب الآخرة والترهيب من عقابه الكائنين بعد البعث فاذا بطل القول بالبعث بطل نبوة من يدعوا الى الاقرار به لكونه داعيا الى الباطل ثم انهم ادعوا البديهة فى انكارهم البعث وقالوا الانسان ليس الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبطل المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم وفنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه فالذى يعود يجب ان يكون شيأ مغايرا للاول لا عينه واشاروا الى ادعائهم ضرورة ذلك الانكار بالاقسام واليمين ولم يصرحوا بتفريع بطلان القول بالنبوة على بطلان القول بالبعث لكون تفرعه عليه جليا مستغنيا عن التصريح ﴿ قوله مصدر مؤكد لنفسه ﴾ فان وعدا معنى مضمون الجملة التى دل عليها بلى وتلك الجملة لاتحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر الذى هو الوعد فقوله وعدا يؤكد الوعد المدلول عليه ببلى واللام فى قوله ليبين متعلق بالفعل المقدر بعد حرف الايجاب اى بلى يبعثهم ليبين لهم بالبعث الذى اختلفوا فيه مع المؤمنين وذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب اليه المؤمنون ﴿ قوله بين الامرين ﴾ بين اولا ان البعث مقتضى الحكمة فان الحكمة تقتضى التمييز بين المحق والمبطل وبين المظلوم والظالم مجازاة كل احد على حسب عمله وذلك التمييز لايكون الا بالبعث والجزاء وقدم ان البعث من توابع التكليف ومقتضياته ثم بين امكان البعث وان اقسامهم على نفيه وانكاره انما نشأ من قصر نظرهم على ما ألفوه من استمرار الميت على الموت وعدم طريان الحياة عليه وعدم التفاتهم الى ما يدل على امكانه وصحته فقال انما قولنا لشئ الآية كلمة انما مكفوفة بما وقولنا مرفوع على الابتداء وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا حدوث شئ لم يكن وسماه شيأ وان كان معدوما لقربه الى الوجود فليس الا ان نقول له احدث يحدث عقيبه بلا توقف واللام فى قوله لشئ وفى له لام التبليغ كما فى قولك قلت له قم وجعلها الزجاج للسببية فيهما اى انما قولنا لاجل شئ ان نقول لاجله وليس بواضح وقرأ الجمهور فيكون برفع النون وقرأ ابن عامر والكسائى بنصبه قال الفراء ولقراءة الرفع وجهان الاول ان يجعل قوله ان نقول له كن كلاما تاما ثم يخبر عنه بانه سيكون كما يقال ان زيدا يكفيه ان آمر فيفعل برفع فيفعل والثانى ان يجعل كلاما مبتدأ اى فهو يكون ووجه قراءة النصب ان يكون معطوفا على ان نقول وبعد كونه منصوبا على انه جواب كن لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس المقصد به ههنا الامر بل المقصود بيان ان تكوين الله تعالى لايحتاج الى سبق المادة والمدة فان قيل قوله كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال والجواب انه لاقول ثمة ولا خطاب فالمقصود بيان سهولة خلق الانسان عليه وانه متى اراد الشئ كان فمثل الله تعالى تكوينه للمكونات بمجرد تعلق ارادته من غير توقف وامتناع بامر الآمر المطاع اذا امر المأمور المطيع المسارع فى الامتثال فعبر عن سرعة تكوينه على الوجه المذكور بالامر المستلزم للامتثال فانه تعالى لو اراد خلق الدنيا والآخرة بما فيهما من السموات والارض والجنة والنار وما فيهما فى قدر لمحة البصر لقدر على ذلك ولكن خاطب الخلق بما يعقلون والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو اهون من الابتداء بالنسبة الى عقولنا ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم على انكار البعث والقيامة وجعلوه ذريعة الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم دل ذلك على انهم يعادون المسلمين ويؤذونهم ايذاء يلجئ طائفة منهم الى المهاجرة من الاهل والاوطان فبين الله تعالى ما لهؤلاء المهاجرين من الحسنة فى الدنيا والآخرة فقال والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا الآية وقوله فى الله يدل على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها قدر واعتبار وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد ﴿ قوله مباءة حسنة ﴾ او دارا حسنة او بلدة حسنة وهى المدينة آواهم اهلها ونصروهم وهو اشارة الى ان قوله حسنة صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لقوله لنبوئنهم لانه يتضمن معنى لنعطينهم والمباءة منزل القوم وعلى قوله او تبوئة حسنة يكون حسنة صفة لمصدر محذوف ﴿ قوله اى ارسلناهم بالبينات ﴾ على ان قوله بالبينات متعلق بمحذوف جوابا لسؤال مقدر كانه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر ﴿ قوله داخلا فى الاستثناء مع رجالا ﴾ حال من فاعل يتعلق فان تعلقه بما ارسلنا يتصور على وجهين احدهما ان يتعلق به غير داخل مع رجالا فى الاستثناء بان يكون المستثنى المفرغ رجالا فقط ويكون البينات قيدا للمستثنى منه المقدر ويكون على نية التقدير على ارادة

(الاستثناء)

الاستثناء ويكون التقدير وما ارسلت جماعة من الجماعات بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم كما فى قول الشاعر

* نبئتهم عذبوا بالنار جارهم * ولا يعذب الا الله بالنار *

اى لا يعذب بالنار الا الله على ما يقتضيه سياق الكلام ومثل هذا التركيب ضعيف لان الاصل ان يذكر المستثنى منه بجميع ما يتعلق به بتمامه ثم يستثنى منه وفى هذه الصورة قد تأخر بعض قيود المستثنى منه عن المستثنى وثانيهما ان يتعلق الجار والمجرور بقوله وما ارسلنا حال كونه داخلا مع المستثنى فى حكم الاستثناء بان يعتد المستثنى المفرغ ويكون التقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشئ من الاشياء الا رجالا بالبينات والضعف الذى يتوجه على تعلقه بما ارسلنا غير داخل مع رجالا لا يتوجه على تعلقه به بهذا الوجه فلهذا احترز على تعلقه به على الوجه الاول بقوله داخلا فى الاستثناء مع رجالا وكذا تقدير قولك ماضربت الا زيدا بالسوط ماضربت احدا بالسوط الا زيدا لما فيه من ذكر الاستثناء قبل تمام المستثنى منه بجميع قيوده والوجه الثالث ان يكون بالبينات صفة لرجالا فيتعلق بمحذوف اى الا رجالا متلبسين بالبينات مصاحبين لها والوجه الرابع ان يتعلق بيوحى على انه معمول به غير صريح له اى يوحى اليهم بالبينات كما يقال اوحى اليه بحق والوجه الخامس ان يتعلق بيوحى على انه حال من القائم مقام فاعله وهو اليهم اى يوحى اليهم متلبسين بالبينات والزبر ومعنى تعلقه بيوحى حينئذ مع انه انما يتعلق بمحذوف كون يوحى هو العامل فى متعلقه وقوله تعالى فاسألوا يكون اعتراضا على جميع الوجوه المتقدمة والمعنى على الوجه الاول فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انا ارسلناهم بالبينات وعلى الثالث فاسألوهم ان كنتم لا تعلمون انا ما ارسلنا الا رجالا متلبسين بالبينات وعلى الرابع فاسألوهم ان كنتم لا تعلمون انه يوحى اليهم متلبسين بالبينات والوجه السادس ان يتعلق بقوله لا تعلمون على معنى فاسألوهم ان لم يكن عندكم علم بالبينات والزبر فان من قدر على اقامة البينات على صحة مدعاه او كان عنده كتاب ناطق بصحته فانه يستغنى عن السؤال ﴿ قوله على ان الشرط للتبكيت والالزام ﴾ يعنى ان الاصل فى الشرط الذى تعلق به الحكم بكلمة ان يكون محتمل الوقوع وقد استعملت هنا فى امر معلوم مقطوع به لان الكلام مع قريش لقول المفسرين ان هذه الآية رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا ولاشك ان قريشا لم يكونوا من علم البينات والزبر فى شئ فالمقصود من تعليق السؤال بهذا الشرط التبكيت والالزام اى لا ارتياب فى انكم غير عالمين بالبينات والزبر واحتمال عدم علمكم بها يستلزم السؤال فكيف اذا كنتم غير عالمين بها البتة ولستم ايضا ممن يسألون منهم لانكم لعلون انهم لا يجيبونكم الا بما ذكرنا من انا ما ارسلنا من قبل ارسال هذا الرسول الا رجالا يوحى اليهم فلم يبق لهم طريق سوى التسليم والاذعان وعليه قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى حقى وقرأ حفص نوحى اليهم بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وحمزة والكسائى يميلانها على اصلها ﴿ قوله متوسطا انزاله اليك ﴾ بيان لوجه قوله ما نزل اليهم مع ان القرآن منزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودفع لما يقال من ان كونه عليه الصلاة والسلام مبينا لما نزل يقتضى ان يكون القرآن كله مجملا بان يكون المراد منه خفيا لا يطلع عليه ما لم تأت البيانات من قبل المجمل لان المفتقر الى البيان يكون مجملا مع ان بعضه محكم والمحكم يجب ان يكون مبينا ووجه الدفع ان القرآن المشتمل على الاحكام المتعلقة بهم لما كان منزلا عليه عليه الصلاة والسلام بالذات ليبلغه اليهم ويبين احكامه لهم لم تكن التبيين بمعنى بيان المجمل بل بمعنى تبليغ ما كلفوا به اليهم ولو سلم انه بمعنى المجمل فالمراد ببيان ما نزل بيان ما كان مجملا منه بقرينة ان المحكم لا يحتاج الى البيان ﴿ قوله والتبيين ﴾ على ان المبين لجميع التكاليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم لعلنا منها ان القياس ليس بحجة لانه لو كان حجة لما تعين الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان جميع ما نزل اليهم لجواز ان يبين المكلف بعض الاحكام بطريق القياس * وتقرير الجواب ان شارع جميع التكاليف والاحكام هو الله تعالى والقياس هو المظهر لبعض منها وهو عليه الصلاة والسلام مرشد الى ما يكون طريقا لاظهاره فصار بذلك مبينا لجميع ما نزل اليهم فان التبيين اعم من ان ينص بما هو المقصود من الاحكام او يرشد الى ما يدل عليه ويؤيد هذا الجواب عطف قوله ولعلهم يتفكرون على قوله ليبين فان الاحكام المنصوص عليها لا تحتاج الى التفكر ثم انه تعالى لما رد قول قريش فى استبعاد ان يكون البشر رسولا من الله تعالى ونص على ارساله عليه الصلاة والسلام ليبين للناس ما نزل اليهم شرع فى تهديد ماكريه والسيئات منصوب على انه صفة مصدر محذوف وان يخسف معمول امن وخسوف المكان ذهابه فى الارض يقال خسف الله به الارض خسفا اى غاب به

كقولك ماضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا متلبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام (وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس ما نزل اليهم) فى الذكر متوسطا انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم يتفكرون) وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق (أفأمن الذين مكروا السيئات) اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط

فيما هددهم الله تعالى اولا بان لايأمنوا بان يأتيهم ملائكة العذاب من جانب السماء فيهلكهم بغتة وثانيا بان يأخذهم العقوبة
في اسفارهم فانهم لايعجزون الله تعالى بسبب ذهابهم في البلاد البعيدة بل يهلكهم الله تعالى حيث كانوا ورابعا
بان يأخذهم بالعذاب لكن لا يأخذهم به ابتداءً بل يخيفهم اولا ثم يعذبهم بعده فانه تعالى اذا اهلك فرقة فالطائفة التي
تليها زمانا تكون الاخافة نوعا من التعذيب ثم اذا اهلكهم بعد ذلك يكون ذلك الاهلاك اشد عليهم واصعب
من اهلاكهم ابتداءً او ان يأخذهم جميعا بالعذاب على ان ينقص شيأ بعد شئ في انفسهم واموالهم بان يظهر
فيهم القتل او الموت او الغارة فيأخذ منهم شيأ فشيأ حتى يأتي الاخذ على جميعهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف
يحصل في الارض او بعذاب ينزل من السماء او بآفات تحدث دفعة واحدة حال انهم لم يكونوا عالمين بعلاماتها
ودلائلها او بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على جميعهم ﴿قوله تخوّف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوّف عود النبعة السفن﴾ وروى الجوهري ظهر النبعة بدل عود النبعة وتخوّف اي تنقص منها
اي من الناقة والتامك السنام والقرد ماتلبد من الصوف الجوهري سحاب قرد ركب بعضه بعضا والنبع
شجر يتخذ منه القسيّ والسفن بالتحريك الحديدة التي تنحت بها ويطلق على المبرد ايضا يصف ناقة اثر الرحل
في سنامها ونقصه كما ينقص المبرد من العود ويقول تنقص الرحل منها سناما مشرفا مرتفعا متراكم الشحم اي
ركب بعضه فوق بعض ﴿قوله لاتضلوا﴾ مجزوم على انه جواب الامر وهو عليكم لانه بمعنى الزموا اي لاتضلوا
الديوان وروي لاتضلوا اي لاتضلوا في تفسير كتاب الله تعالى ديوانكم من دوّن الكتب اذا جمعها وقطعها لانه قطع
من القراطيس مجموعة وديوان الشاعر مجموع متفرقات اشعاره ثم انه تعالى لما هدد المشركين بانواع عذابه اردفه
بذكر مايدل على كمال قدرته ليعلموا انه لايعجز عن ايصال ماذكره من انواع العذاب فقال اولم يروا الآية قرأ حمزة
والكسائي اولم تروا بالتاء على الخطاب جريا على اسلوب قوله فان ربكم والباقون بالياء جريا على قوله أفأمن الذين
مكروا وقرأ ابو عمرو تتفيأ بالتاء والباقون بالياء وكلمة ما في قوله ماخلق الله موصولة مبهمة ومن شئ بيان لها
فان قيل كيف بين الموصول وهو مبهم مثله بل هو ازيد ابهاما منه * فالجواب ان شيأ قد وصف بقوله يتفيأ
ظلاله اختص بالمخلوقات التي لها ظلال متفيئة من الجبال والاشجار والابنية ونحوها من الاجرام الكثيفة فصلح
بذلك لان يكون مبينا لما خلق الله فما كان البيان في الحقيقة مستندا الى ما وقع صفة لشئ قال المصنف بانها
يتفيأ ظلاله اي قوله يتفيأ تفعل من الفيء يقال فاء الظل يفيء فيأ اذا رجع وعاد بعد ماكان ضياء الشمس نسخه
فان ظل الارض ينبسط على وجه الارض بغروب الشمس فاذا طلعت الشمس ينسخ من الظل ماكان في جانب المشرق
من الاجرام الكثيفة الى ان ينتصف النهار فاذا مالت الشمس الى جانب المغرب يرجع الظل الذي نسخته الشمس
في جانب المشرق الى ذلك الجانب ايضا فذلك الظل يسمى فيأ فالظل اعم من الفيء حيث يطلق الظل
على ماكان قبل الزوال وبعده والفيء لايطلق الا ماكان بعد الزوال قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد
انتصاف النهار والتفيؤ لايكون الا بالعشي بسبب انصراف الشمس عنه والظل مايكون بالغداة وهو مالم تنله الشمس
وقيل الفيء والظل مترادفان يطلق كل واحد منهما على ماكان قبل الزوال وماكان بعده واستدل عليه بقول الشاعر

* فسلام الاله يغدو عليهم * وفيوء الفردوس ذات الظلال *

فان الشاعر اطلق لفظ الفيء في هذا البيت على مالم تنسخه الشمس لان مافي الجنة من الظل دائم لايحصل بعد ان كان
زائلا بسبب ضوء الشمس لقوله تعالى اكلها دائم وظلها واضيف لفظ الظلال الى ضمير مفرد لان مرجع الضمير
وان كان مفردا في اللفظ وهو قوله ماخلق الله لكنه كثير في المعنى وهو نظير قوله تعالى لتستووا على ظهوره فانه
اضيف الظهور الى ضمير مفرد لرجوعه الى ماهو كثير في المعنى وهو قوله ماتركبون ثم قيل المراد باليمين والشمائل
يمين الفلك الذي هو المشرق وشماله الذي هو المغرب تشبيها لجانب المشرق باقوى جانبي الانسان وهو جانب يمينه
من حيث ان اقوى الحركات الفلكية التي هي الحركة اليومية آخذة من المشرق الى المغرب فلذلك جعل المشرق
يمين الفلك والمغرب شماله ووجه تفيؤ الظلال عن يمين الفلك الى الشمال وبالعكس ظاهر وهو ان الشمس عند طلوعها
الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تكون ظلالها مائلة الى الجانب الغربي ثم بعد الزوال ترجع الظلال الى الجانب الشرقي
وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الاجرام التي لها ظلال فان ظلالها تتفيأ من جانب يمينها الى جانب شمالها
وبالعكس وعلى القولين يكون اطلاق لفظ اليمين والشمال على جانبي الاشياء المذكورة على سبيل الاستعارة

(اويأخذهم في تقلبهم) اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين اويأخذهم على تخوّف) على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيأ بعد شئ في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوّفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته

تخوّف الرحل منها تامكا قردا *
كما تخوّف عود النبعة السفن *

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لايعاجلكم بالعقوبة (اولم يروا الى ماخلق الله من شئ) استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها (يتفيأ ظلاله) اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء

(التصريحية)

﴿من اليمين والشمائل﴾ من ايمانها وشمائلها او عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله ﴿سجدا لله وهم داخرون﴾ وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سوآء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيء او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الارض﴾ اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله ﴿من دابة﴾ بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سوآء كانت في ارض او سماء ﴿والملائكة﴾ عطف على المبين عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادته ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين﴾ ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه

التصريحية او على سبيل التخييل للاستعارة المكنية لانهما لا يطلقان على سبيل الحقيقة الا على جانبي الانسان والظاهر ان قوله عن اليمين متعلق بيتفيأ اي يتجاوز الظلال عن اليمين الى الشمال وبالعكس والتعريف الحاصل بالايمان والشمائل بدل من التعريف الحاصل بالاضافة والمصنف اشار الى الاول بقوله من ايمانها وشمائلها والى الثاني بقوله او عن جانبي كل واحد منها واشار بايراد لفظ عن ايمانها بدل لفظ المفرد المطابق لما في نظم القرآن لان لفظ اليمين وان كان مفردا فهو اسم جنس يتناول جميع مسمياته فعبر به عن الجمع لخفة المفرد كما في قوله تعالى ويولون الدبر اي الادبار ﴿قوله باعتبار اللفظ والمعنى﴾ فان لفظ ما مفرد ومعناه كثير فافرد لفظ اليمين اعتبارا لافراد ما اضيف هو اليه من حيث اللفظ وجمع لفظ الشمائل اعتبارا لكثرة معنى ما خلق الله فان قوله عن اليمين والشمائل بمعنى عن يمين ما خلق الله وشماله وسجدا جمع ساجد كراكع وركع ﴿قوله وهما حالان من الضمير في ظلاله﴾ والمعنى يتفيأ ظلال ما خلق الله في حال كون انفسهم ساجدين لله تعالى متواضعين متصاغرين منقادين لحكمه والجمهور وان كانوا لا يجوزون انتصاب الحال من المضاف اليه الا ان منهم من جوز ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه نحو حلقت رأس زيد قائما او كالجزء منه كما في قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا وظل الشيء بمنزلة الجزء منه اذ هو ناشئ منه والعامل في مثل هذا الحال معنى الاختصاص والالتصاق المستفاد من الاضافة ﴿قوله او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير﴾ اي في ظلاله فالمعنى ظلالهم ساجدة وهم في انفسهم صاغرون متواضعون ﴿قوله او واقعة على الارض﴾ يعني جعلت الظلال ساجدة اما لكونها منقادة لارادة الله تعالى خاضعة لتقديره وتدبيره او لكونها واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجدين ولما كانت هيئة الظلال شبيهة بهيئة الساجدين اطلق عليها لفظ السجود على سبيل الاستعارة وكان الحسن يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد له بئس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله تعالى سوآء كان ذلك الشيء ساجدا ام لا ﴿قوله عطف جبريل على الملائكة﴾ بناء على ان اسم الدابة يتناول الاجسام اللطيفة السماوية والدواب الكثيفة الارضية من حيث ان كل واحد من النوعين له دبيب يليق به فيكون عطف الملائكة على المبين من قبيل عطف الخاص على العام اظهارا لشرفه وان جعل اسم الدابة مختصا بالحيوان الجسماني الذي يتحرك ويدب وجعل الملائكة ارواحا محضة مجردة عن الدبيب والحركة الجسمانية يكون من عطف احد المتباينين على الآخر قال صاحب الكشاف فان قلت هلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم والمصنف اجاب عنه بان استعمال كلمة ما في القبيلين حقيقة فهو اولى من سلوك طريق التغليب الذي هو من باب المجاز وقوله تعالى وهم لا يستكبرون يجوز ان يكون استئنافا اخبر بذلك عنهم وان يكون حالا من فاعل يسجد وقوله يخافون ربهم من باب حذف المضاف اي يخافون عذاب ربهم ومن فوقهم صفة المضاف المقدر اي الكائن من فوقهم وصف العذاب بذلك لان اكثر ما يأتي من العذاب المهلك انما يأتي من فوق ويجوز ان يكون من فوقهم حالا من ربهم اي يخافون ربهم عاليا عليهم علو الرتبة والقدرة قاهرا لهم كيف يشاء ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف فلولا انهم يجوزون من انفسهم الاقدام على الذنب لما حصل لهم الخوف واجيب عنه بوجهين الاول انه تعالى حذرهم من العقاب حيث قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فالخوف العقاب يتركون الذنب والثاني ان ذلك الخوف خوف الاجلال كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله عليه الصلاة والسلام اني لاخشاكم لله فانه يدل على انه كلما كانت معرفة لله تعالى اتم كان الخوف اكثر منه واعظم وهذا الخوف لا يكون الا خوف الاجلال والهيبة من كمال الكبرياء ﴿قوله ذكر العدد﴾ جواب عما يقال انما يحتاج الى ذكر العدد حيث لا يتعين العدد بدلالة المعدود عليه وذلك انما يكون اذا كان المعدود وراء الواحد والاثنين واما نحو رجل ورجلين فانهما يدلان على الوحدة والاثنينية فلا حاجة الى ذكر شيء آخر يدل على الوحدة والاثنينية معهما فما وجه قوله تعالى الهين اثنين انما هو اله واحد وذكر المصنف لذكر العدد فائدتين الاولى الدلالة على ان الكلام مسوق للنهي عن اتخاذ الاثنين من الآلهة فان لفظ الهين حامل لمعنى الجنسية اعني الآلهة ومعنى العدد اعني الاثنينية وكذا لفظ اله حامل لمعنى الجنسية والوحدة والغرض المسوق له الكلام في الاول النهي عن اتخاذ الاثنين من اله لا عن اتخاذ جنس الاله وفي الثاني اثبات الواحد من الاله لا اثبات جنسه فوصف الهين باثنين واله بواحد ايضاحا لهذا الغرض وتفسيرا فان حق الكلام

ان يجيء لما سيق له الكلام من الغرض وذلك قد يكون بحذف ما يخيل غرضا آخر وزيادة ما يزيل ذلك التخيل والاول كما تقول الباس طويل واللابس قصير اذ رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة والثاني كما نحن فيه فانه زيد فيه لفظ واحد واثنين مع افهام الوحدة والاثنينية من لفظ الموصوف اعتناء بشأنهما ودلالة على انهما الغرض المسوق له الكلام فكل واحد من لفظي اثنين وواحد وصف صناعي جيء به لبيان الغرض وتفسيره كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه اذ قوله في الارض صفة لدابة ويطير بجناحيه صفة لطائر ليدل على ان القصد الى الجنس دون الوحدة فالاثنان يشتركان في ان الوصف فيهما للبيان ويفترقان من حيث انه في الهين اثنين واله واحد لبيان القصد الى العدد دون الجنس بخلاف الوصف في قوله تعالى وما من دابة وفي قوله يطير بجناحيه فانه لبيان القصد الى الجنس دون العدد والخطيب الدمشقي اورد هذه الآية في باب الوصف وذكر انه للبيان والتفسير واوردها السكاكي في باب عطف البيان مصرحا بانه من قبيل التابع الذي يراد به البيان والتفسير وذهب العلامة الى ان مذهب صاحب الكشاف ان الهين اثنين وقضية واحدة من التأكيد الصناعي بناء على قوله شفع اسم اله والهين بما يؤكد للدلالة على ان المعنى بهما العدد لا الجنس ولا خلاف بينهم اذ ليس في كلام السكاكي ما يدل على انه عطف بيان صناعي لانه لا يكون الا بتكرير لفظ المتبوع او بالفاظ مخصوصة وكلا الامرين منتف فيهما والفائدة الثانية بذكر العدد في هذه الآية ما اشار اليه بقوله او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية ووجه الايماء ان توصيف الهين باثنين يشعر بان علة النهي هي الاثنينية وكونها منافيه للالهية ووجه المنافاة انا لو فرضنا تعدد الواجب لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعين ومابه المشاركة غير مابه المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا من جزءين وكل مركب ممكن وقد فرض ان كل واحد منهما واجب لذاته هذا خلف ولانا لو فرضنا الهين فلا يخلو اما ان يكون كل واحد منهما علة مستقلة لكل واحد من الممكنات الموجودات او يكون لكل واحد منهما معلول مغاير لمعلول الآخر والاول يستلزم توارد العلتين المستقلتين على معلول شخصي والثاني يستلزم التمانع والتنازع ولانه لو حاول احدهما تحريك جسم مثلا والآخر تسكينه فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدين في موضع واحد او لا يحصل مراد كل واحد منهما فيلزم عجزهما والعاجز لا يكون الها او يحصل مراد احدهما فلزم عجز احدهما دون الآخر فلا يكون الآخر الها فثبت ان الاثنينية تنافي الالهية وانتظام قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا بما قبله انه معطوف على قوله ما خلق الله من شيء على اسلوب قوله ۞ علفتها تبنا وماء باردا ۞ وقوله ۞ متقلدا سيفا ورمحا ۞ اي وسقيتها ماء باردا وحاملا رمحا اي اولم ينظروا الى ما خلق الله من الدلائل الدالة على كمال قدرته ولم يستمعوا الى ما قاله الله واوحاه في الكتب المنزلة من بيان التوحيد ونفي الشركاء ﴿ قوله وتصريحا بالمقصود ﴾ وهو ان الاله الذي ثبتت وحدته هو متكلم هذا الكلام ليسارع الى تأمل كلامه ويحفظ بما فيه من وجوه الهدى والارشاد ﴿ قوله فاياي ﴾ منصوب بفعل مقدر بعده يفسره هذا الظاهر اي اياي ارهبوا فارهبون والواو في قوله وله ما في السموات عاطفة على قوله اله واحد وهو مفرد فيجب ان تأول الجملة المعطوفة ايضا بالمفرد لانها لما عطفت على الخبر كانت هي ايضا خبرا او يجوز كونها معطوفة على الجملة باسرها وهي قوله انما هو اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء واستئناف فانه قد يؤتى بالواو اول كلام من غير ان يقصد بها عطف وتشريك وقوله واصبا حال من الدين والعامل فيها الاستقرار الذي تعلق به الظرف الواقع خبرا والواصب الدائم قال تعالى ولهم عذاب واصب قيل ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك الدين والطاعة بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق تعالى فانه طاعته لازمة ابدا لان العلة في كونه تعالى مطاعا وهي تفرده بالالهية ثابتة لازمة له ابدا فيدوم له معلولها الذي هو الطاعة والانقياد ﴿ قوله وقيل واصبا من الوصب ﴾ وهو التعب ويكون بناء فاعل حينئذ للنسب بمعنى ذا وصب لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد ﴿ قوله واي شيء اتصل بكم من نعمة ﴾ على ان ما شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف وقوله فمن الله جواب الشرط قال الفراء التقدير وما يكن بكم وقد رد هذا الوجه بانه لا يحذف فعل الشرط الا بعد ان خاصة في موضعين احدهما ان يكون في باب الاشتغال نحو وان احد من المشركين استجارك لان المحذوف في حكم المذكور والثاني ان تكون متلوة بلا النافية وان يدل على الشرط مع ما تقدم من الكلام كقوله

۞ فطلقها فلست لها بكفؤ ۞ والا يعل مفرقك الحسام ۞

اي وان لا تطلقها اضرب رأسك بالسيف فحذف لدلالة قوله فطلقها ويحتمل ان تكون كلمة ما موصولة وبكم صلة وهي

(مبتدأ)

او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله (انما هو اله واحد) فدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية (فاياي فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غيري (وله ما في السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) اي الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) وهم كفاركم

مبتدأ و قوله فمن الله خبرها زيدت الفاء في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط و من نعمة بيان للموصول و التقدير و الذي استقر بكم من نعمة فهو من الله و لما كان مضمون الصلة في مثله سببا لحصول مضمون الخبر كما في قولك الذي يأتيني فله درهم و ليس استقرار النعمة بالمخاطبين سببا لحصولها من الله بل الامر بالعكس بين المصنف ان الوجه في كون مضمون الصلة شرطا لمضمون الخبر كون مضمونها سببا للاخبار باتيانها من الله لا لحصولها منه و وجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى بين اولا انه يجب على العاقل ان لا يتقي غير الله ثم بين في هذه الآية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله اذ لا منعم غيره تعالى ثم بين انه اذا اتفق لاحدهم مضرة توجب زوال شئ من تلك النعم فالى الله يجأر اي يرفع صوته بالاستغاثة و التضرع لعلمه بانه لا متضرع للخلق الا اليه فكأنه تعالى قال لهم فاي اتقاء من هذه الطريقة في حال الرخاء و السلامة ثم بين انهم عند كشف الضر و سلامة الاحوال يفترقون ففريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه حال الضر اي لا يفزع الا الى الله و فريق منهم يتغير حالهم فيشركون بالله تعالى غيره و هذا غاية الجهل و الضلالة لانه لما شهدت فطرته الاصلية عند نزول البلاء و الضر بانه لا مفزع ولا معبود الا الله تعالى فعند زوال البلاء يجب ان لا ينصرف عن ذلك الاعتقاد و مقتضاه و هذا التقرير مبني على ان يكون منكم صفة الفريق و من للتبعيض و هذا انما يكون اذا كان الخطاب في قوله و ما بكم من نعمة عاما و يكون المراد بالفريق من دامت حالته في دين الله و استمر على ما كان عليه من العبودية ﴿ قوله كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة ﴾ بان اضافوها الى شركائهم و اصنامهم اشارة الى ان اللام في قوله تعالى ليكفروا لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او لما كان شركهم مؤديا الى كفران النعمة صار الكفران لهم غرضا مطلوبا من الشرك فادخل عليه لام العلة تشبيها للعاقبة التي بعلته و قيل انها لام كي متعلقة بيشركون و المعنى ان اشراكهم سببه كفرهم به اي بالقرآن و بما جاء به محمد عليه الصلاة و السلام من النبوة و الشرائع على ان يكون المراد بقوله تعالى بما آتيناهم القرآن و النبوة و ما يتفرع عليهما ﴿ قوله و قرئ فيمتعوا ﴾ بضم الياء التحتانية و هذا المضارع في هذه القراءة يجوز ان يكون حذف النون فيه لنصب عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه لام الصيرورة او لنصب ايضا و لكن على جواب الامر ان كانت اللام لام الامر الوارد للتهديد و يجوز ان يكون حذف النون فيه للجزم عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه للامر ﴿ قوله او التي لا يعلمونها ﴾ فالمعنى و يجعلون لآلهتهم التي ليس اعتقادهم في حقها علما فانهم يعتقدون انها آلهة و انها تنفع و تضر و ان طاعتهم اياها تنفعهم و اعراضهم عنها يضرهم و ليس شئ من هذه الاعتقادات علما لكونه مخالفا للواقع فصح ان يقال انهم لا يعلمونها فان من رأى شيأ و اعتقد انه انسان و هو شجر او حجر صح ان يقال انه لا يعلم ذلك الشئ مع انه يعرف ذاته و لو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذواتها يفسد المعنى لانه يستحيل ان يجعل الشخص نصيبا من رزقه لمن لا يعلمه ﴿ قوله او لجهلهم ﴾ معطوف على قوله اي لآلهتهم و المعنى و يجعلون لعدم علمهم نصيبا و المجعول له هو الآلهة و حذف لعلمه به و الجعل بمعنى التصيير و نصيبا هو المفعول الاول للجعل و الجار قبله هو الثاني و مما رزقناهم يجوز ان يكون نعتا لنصيبا و ان يتعلق بالجعل في على الاول للتبعيض و على الثاني للابتداء و كان مشركوا العرب يجعلون لاوثانهم حرثا من اموالهم لقوله تعالى في حقهم فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا اي يجعلون نصيبا من الحرث و الانعام لله تعالى يتقربون به اليه و نصيبا للاصنام يتقربون به اليها و قيل المراد بهذا النصيب البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام ثم انه تعالى لما حكى من هؤلاء المشركين قولهم الفاسد بطريق الغيبة التفت اليهم و حلف عليهم مقسما على نفسه فقال تالله لتسألن الخ اي انكم تسألون سؤال توبيخ و تهديد عما تقولونه على الله تعالى من انه امركم بذلك و يجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء كأنه بعدما حكى عنهم انهم يجعلون لله البنات استأنف به و يجوز ان تكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات و لهم عطف على الله اي يجعلون لهم ما يشتهون و هذا الوجه يقتضي ان يكون ضمير الفاعل و المفعول لشئ واحد فان ضمير الفاعل و هو واو يجعلون عبارة عن المشركين و كذا الضمير المجرور في لهم عبارة عنهم ايضا و قد تقرر في النحو انه لا يجوز اتحاد ضميري الفاعل و المفعول الا في باب ظننت و اخواتها من افعال القلوب و لا فرق في عدم وقوعه بين ان يتعدى الفعل الى الضمير بنفسه او بحرف الجر فلا يجوز زيد ضربه اي ضرب نفسه و لا زيد مر به اي مر بنفسه و يجوز زيد ظنه قائما و زيد فقده و عدمه اي ظن نفسه قائما و فقد نفسه و عدمها اذا تقرر هذا فجعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدي الى اتحاد ضميري الفاعل و المفعول الذي عدي اليه الفعل بحرف الجر فقال الامام اجاز الفراء في ما وجهين الاول ان تكون في محل النصب على معنى

(ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطا
عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من الـ
فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجـ
ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعض
كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتـ
(بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأ
قصدوا بشركهم كفران النعمة او انـ
كونها من الله تعالى (فتمتعوا) امر تهـ
(فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقر
فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفـ
وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الا
الوارد للتهديد و الفاء للجواب (ويجعلـ
لما لا يعلمون) اي لآلهتهم التي لا علم لها الا
جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمو
فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفـ
وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذو
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعو
محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم)
الزروع و الانعام (تالله لتسألن عما كـ
تفترون) من انها آلهة حقيقة بالتقـ
اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون
البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولو
ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيـ
من قولهم او تعجب منه (ولهم ما يشتهو
يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالا
و النصب بالعطف على البنات على ان الجـ
بمعنى الاختيار وهو ان افضى الى ان يكـ
ضمير الفاعل و المفعول لشئ واحد لكـ
لا يبعد تجويزه في المعطوف

ويجعلون لانفسهم مايشتهون والثاني ان يكون رفعا على الابتدآء لانه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتدأ فقال ولهم مايشتهون يعني البنين وهو كقوله امله البنات ولكم البنون ثم اختار الوجه الثاني لانه لوكان في محل النصب ينبغي ان يقال ولانفسهم مايشتهون لانك تقول جعل لنفسه كذا وكذا ولاتقول جعل له وابى الزجاج اجازة الوجه الاول وقال ما في موضع رفع لاغير والتقدير ولهم الشئ الذي يشتهون ولايجوز النصب لان العرب تقول جعل لنفسه مايشتهي ولاتقول جعل له مايشتهي وهو يعني لنفسه انتهى ماذكره الامام بعبارته والحاصل ان الممتنع هو اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول بان يكونا عبارتين عن شئ واحد فلا يمتنع ان يقال زيد ضرب نفسه وضرب نفسه زيد اذ لامتنع اتحاد الضمير شرط آخر وهو ان يكون كل واحد من الضميرين متصلا اذ لوكان ضمير المفعول منفصلا جاز اتحاده مع الضمير المرفوع نحو زيد ماضرب الا اياه والمصنف فرق بين اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول المذكور ابتدآء وبين اتحاده مع ضمير المفعول المذكور معطوفا على ضمير المفعول المرفوع بالابتدآء وجعل الممتنع هو الاتحاد على الوجه الاول دون الوجه الثاني ﴿قوله اخبر بولادتها﴾ يعني ان التبشير ههنا بمعنى الاخبار مطلقا وان كان في عرف اللغة مختصا بالاخبار بالخبر الذي يفيد السرور والاخبار بولادة الانثى لما لم يفد السرور حمل على مطلق الاخبار ﴿قوله صار او دام النهار كله﴾ يعني ان ظلول الشئ على صفة قد يعبر به عن كونه عليها في تمام النهار وقد يكون بمعنى صيرورته عليها مطلقا وعلى التقديرين يكون ظل من الافعال الناقصة ووجهه اسمها ومسودا خبرها ﴿قوله واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير﴾ التشوير التخجيل يقال شوّر به فتشوّر اي اخجله فخجل اذا فعل به مايستحيي منه والمناسب التشوّر بدل التشوير ولعله سهو من قلم الناسخ وقوله كناية عن الاغتمام لكون اسوداده وغبرته من لوازم الغم كان اشراقه واستنارته من لوازم الفرح فان الانسان اذا قوي فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستبشر وجهه واذا قوي غمه تختنق الروح في داخل قلبه فلا يبقى منها اثر قوي في ظاهر الوجه فلاجرم يصفر وجهه ويظهر فيه اثر الارضية والكآبة ﴿قوله محدثا نفسه﴾ اشارة الى ان الجملة الاستفهامية معمولة لشئ محذوف هو حال من فاعل يتوارى وهو مراد من قال انها في موضع الحال لان النحاة قد نصوا على ان الحال لاتقع جملة طلبية فالمعنى يتوارى محدثا نفسه ومتفكرا أيمسكه على هون وتذكير ضمير يمسكه ويدسه اعتبارا بلفظ ما في قوله ماشربه وقوله على هون يحتمل ان يكون حالا من الفاعل الممسك او من المفعول اي يمسكها ذليلة مهانة والدس اخفاء الشئ والمراد به ههنا الوءد وهو دفن المولود حيا وكانت العرب تدفن البنات احياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء فيهن نقل من صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال من ابتلى من البنات بشئ فاحسن اليهن كن له سترا من النار وقال عليه الصلاة والسلام من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيمة انا وهو كهاتين وضم اصابعه اخرجه مسلم ﴿قوله المنادية الموت﴾ وصف الحاجة الى الولد التي هي بيان صفة السوء فان الافراد لاتتناهى بل يطرأ عليهم الموت والفناء والملائكة لاتتوالد لكون اجسامهم مصونة عن تطرق الفناء اليها ﴿قوله او من دابة ظالمة﴾ عطف على قوله من دابة فقد قيل على الاول التنكير في الدابة للجنس وعلى هذا للنوع ولما دل ظاهر الآية على ان ظلم الناس يوجب اهلاك جميع الدواب ظالمة كانت او غير ظالمة ولاوجه لاهلاك غير الظالمة منها اشار المصنف الى ان الآية على ظاهرها وان هلاك الجميع بسبب شؤم ظلم الناس وايده بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قيل في طريق هلاك الجميع انه تعالى يمسك القطر بشؤم ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع النسل فلا يبقى على ظهرها دابة قط وقوله وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء وذلك يستلزم ان لايبقى في العالم احد من الناس الامن المعلوم انه لااحد الا وفي آبائه من يستحق العذاب فاذا هلكوا فقد انقطع نسلهم فيلزم ان لايبقى في العالم احد من الناس وذلك يستلزم ان لايبقى احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم واذا لم يبق من ينتفع بها فقد انتفت الحكمة في بقائها فوجب اهلاكها ووجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين انه يمهلهم ولايعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك ﴿قوله ولايلزم من عموم الناس﴾ جواب عن احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية قائلين انه تعالى اضاف الظلم الى ما يعبر به عن جميع اولاد آدم من الانبياء وغيرهم فلولا ان كل واحد منهم اتى بالذنب والمعصية لما صحت اضافته المعصية الى كافة الناس وتقرير الجواب انا لانسلم ان اضافة الظلم الى الناس يدل على كون كلهم ظالمين لجواز ان يضاف الحكم الصادر عن بعض القوم الى كلهم نحو بنوا فلان قتلوا زيدا مع ان القاتل واحد منهم فاذا جاز ذلك فبالاولى

(واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظل وجهه) صار او دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفي منهم (من سوء مابشر به) من سوء المبشر به عرفا (أيمسكه) محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه (على هون) ذل (ام يدسه في التراب) ام يخفيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما (ألا ساء مايحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة من صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المتفرد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها (من دابة) قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا (فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) بل هلكوا او عذبوا حينئذ لامحالة ولايلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم

ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم ٭واجيب ايضا بانه قد ثبت بالدلائل القاطعة ان كل الناس ليسوا ظالمين منها قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولو كان المقتصد والسابق ظالمين لفسد ذلك التقسيم فعلم ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لا يجوز ان يقال كل الخلق ظالمون فوجب ان يخصص الناس المذكورون في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بالعصاة الذين هم استحقوا العقاب او يحمل التعريف فيه على العهد والمعهود المشركون الذين تقدم ذكرهم والذين اثبتوا لله البنات وعلى التقديرين يسقط استدلال الطاعنين في عصمتهم بهذه الآية ﴿ قوله والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال ﴾ معطوفان على البنات فانهم كما يكرهون البنات والشركاء في رياستهم يكرهون ايضا ان يستخف رسلهم وان يخصصوا براذل الاموال وان يخص شركاؤهم في رياستهم بكرائم الاموال ثم انهم يجعلون لله تعالى جميع هذه المكروهات عندهم فانهم يسمون الملائكة بنات الله ويثبتون له شركاء في الوهيته ويستخفون برسله ويجعلون اراذل اموالهم وللاصنام اكرمها ﴿ قوله مع ذلك ﴾ الجمل المشتمل على القول والعمل القبيحين الجمهور على ان الكذب منصوب على انه مفعول به وان لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل اى تصف ويتين ألسنتهم معنى كاذبا غير مطابق للواقع وهو ان لهم الحسنى عند الله في الآخرة ٭فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيامة ٭اجيب بان جميعهم لم ينكروا القيامة بل كان في العرب جمع يقرون بالبعث والقيامة حتى روى انهم كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه ٭واجيب ايضا بان حكمهم بذلك لا يستلزم اعتقادهم بالبعث والقيمة لجواز ان يكونوا منكرين لها جزما ويكون حكمهم بذلك مبنيا على الفرض والتقدير بان يقولوا ان كان محمد صادقا في قوله بالبعث والنشور فانه يحصل لنا الجنة والثواب بهذا الدين الذي نحن عليه ويؤيد هذا الجواب ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فان كلمة ان انما تستعمل في الامور المحتملة التي لا قطع بتحققها والاصل ان فريقا من الكفار يدعي الاشتراك مع المؤمنين في نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك معهم في نعيم الدنيا كقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ومنهم من ادعى ان نعيم الآخرة لانفسهم خاصة وان النار للمؤمنين لما يرون اكثر المؤمنين على الفقر والقلة ويرون انفسهم اصحاب السعة في انواع الاموال فيحتمل ان يكون قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى واردا في حق الذين ادعوا ان الجنة لانفسهم خاصة ثم كذبهم الله تعالى في قولهم بان لهم الحسنى فقال لا جرم ان لهم النار اى حقا ان لهم النار وقيل لا رد لقولهم اى ليس الامر كما وصفوا وزعموا جرم فعلهم اى كسب ذلك القول فعلى هذا يكون أن مع ما في حيزه في محل النصب بوقوع الكسب عليه ﴿ قوله من افرطته في طلب الماء اذا قدمته ﴾ وهو منقول بالهمزة من فرط الى كذا اى تقدم اليه وحمل صاحب الكشاف فعل وافعل بمعنى حيث قال فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته والمعنى على قراءة نافع انهم متجاوزون الحد في معاصي الله تعالى وافرط بمعنى تجاوز الحد لازم فلا يجئ منه اسم المفعول ويقال فرط في الامر بالتشديد اذا قصر فيه ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهل اولئك القوم فقال تالله لقد ارسلنا الآية وختم تسليته بما يدل على انك لم تبعث الا لتبليغ وتبيين للناس ما هو الحق من العقائد والاعمال لا لان تلتفت الى سفاهات قومك وجهلهم وتغتم لاجلها فقال وما انزلنا عليك الكتاب الآية ثم انتقل الى تقرير دلائل الوهيته وتفرده بها فقال والله انزل من السماء ماء الآية تنبيها على ان دلائل حقية ما دعوت اليه واضحة وان من خالفك انما يخالف عنادا فلا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴿ قوله فان الانعام اسم جمع ﴾ علة لقوله فقط يعني ان انعاما اسم مفرد بمعنى الجمع مثل أسمال وأخلاق وأكياش وأعشار فانها اسماء مفردة حيث يوصف بها المفرد يقال ثوب أسمال واخلاق اذا كانت الخلوقة فيه كله وكذا السحول يقال خلق الثوب وسمل اى بلي وثوب اكياش وهو ضرب من الثياب يغزل غزله مرتين وفي المثل عليك بالثوب الاكياش فانه من ثياب الاكياس ويقال ايضا برمة أعشار ﴿ قوله دلالة يعبر بها ﴾ اشارة الى ان العبرة مصدر بمعنى العبور اطلق على ما يعبر به الى العلم مبالغة في كونه سببا للعبور وقيل ذكر الضمير في بطونه مع ان الظاهر ان يقال في بطونها لرجوعه الى الانعام لكون المراد بعضا منها وهو

(ويجعلون لله ما يكرهون) اى ما يكرهون
لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة
والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال
(وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك وهو
(ان لهم الحسنى) اى عند الله تعالى كقوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ
الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (لا جرم
ان لهم النار) رد لكلامهم واثبات لضد
(وانهم مفرطون) مقدمون الى النار من
افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع
بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي
وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب
الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات (تالله
لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم) فاصروا على قبائحها وكفروا
بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى في الدنيا
وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان
يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال
ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش
اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم
وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم
وان يقدر مضاف اى فهو ولي امثالهم والولي
القرين حيث كان او الناصر فيكون نفيا
لناصر لهم على ابلغ الوجوه (ولهم عذاب
اليم) في القيامة (وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم) للناس (الذي اختلفوا فيه)
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام
الاعمال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل
بخلاف التبيين (والله انزل من السماء
ماء فاحيى به الارض بعد موتها) انبت فيها
انواع النبات بعد يبسها (ان في ذلك لآية لقوم
يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم
في الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل
الى العلم

(نسقيكم مما في بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لأجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر بدائع صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف

اشارة الى ان المذكور لا ألبان لها فكان العبرة انما هي لبعض منها وقيل ذكر باعتبار ما ذكر ومن في قوله مما في بطونه يجوز ان تكون للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها وفي قوله من بين فرث لابتداء الغاية لان الاسقاء يبتدأ من المكان الواقع بين الفرث والدم وهو اللبن الواقع اوّلا في خلال الفرث وثانيا في خلال الدم ويجوز ان تكون الاولى لابتداء الغاية فيكون مجرور الثانية بدلا من مجرور الاولى لئلا يتعلق جاران متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهو نسقيكم وهو من بدل الاشتمال لان المكان مشتمل على ما حل فيه ومن فتح النون في قوله نسقيكم فدليله واضح اذ يقال سقيته ماء ولبنا وما كان سقيا للشفة فهو بفتح النون ومن ضم النون جعله من قولهم اسقاه اذا جعل له شربا كقوله تعالى وأسقيناكم ماء فراتا اى جعلناه لكم شربا وقيل سقى واسقى كلاهما بمعنى والفرث سرجين الكرش لكل مجترّ وهو للحيوان بمنزلة المعدة للانسان قال المص في الفرث وهو الخ يوهم ان يكون هو في قوله وهو بعض الاشياء راجعا الى الفرث وليس كذلك بل ينبغي ان يكون راجعا الى الدم لان المنهضم بعض الانهضام في الكرش هو الدم لا الفرث اى بعض الاشياء المأكولة ثم قال الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ،قال الامام القول الصحيح في كيفية تولد اللبن ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته او الى كرشه سواء كان من الانعام او غيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاوّل فيه فما كان منه صافيا يجذب الى الكبد وما كان كثيفا ينزل الى الامعاء ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضروع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضروع والضرع لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله عز وجل الدم الى صورة اللبن فاذا تقرر هذا ظهر ان الدم واللبن ليسا البتة في الكرش ومنعه الحس ايضا فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا ومارأى احد في كرشها لا دما ولا لبنا ولو كان تولد اللبن والدم في الكرش لوجب ان يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجب المصير اليه فقول من قال ان المراد من قوله تعالى من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتولد من موضع واحد فالفرث يكون في اسفل الكرش والدم يكون في اعلاه واللبن يكون في الوسط قول مخالف للحس والتجربة وايضا لو تولد الدم في اعلى المعدة والكرش كان تحته لكان الحيوان يقيء الدم وذلك باطل قطعا فلذلك ذهب المحققون الى ان المراد من قوله تعالى نسقيكم من بين فرث ودم لبنا انه نسقيكم لبنا متولدا من الاجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث اوّلا ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا صفاه الله تعالى من تلك الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل وانما قلنا ان مادة اللبن كانت حاصلة فيما بين الفرث اوّلا والدم ثانيا بناء على ان اللبن انما تولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء المأكولة الحاصلة في الكرش

(قوله ومن تدبر بدائع صنع الله الخ) بيانه من وجوه الاوّل انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء وشربه انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب الى ان يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه الثفل فحصول الانطباق تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة وقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير العليم الحكيم والثاني انه تعالى اودع في الكبد قوّة هاضمة طباخة تطبخ بها تلك الاجزاء اللطيفة في الكبد وتقلب دما ثم انه تعالى اودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم صافيا الى الصافي الموافق لما تقدم منه في البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة الخاصة فيها لا يمكن الا بتقدير العليم الحكيم والثالث ان في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو اعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي يتولد منه اللبن الذي يكون له غذاء فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب الى جميع بدن المغتذي فانصباب ذلك الدم في كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للحكمة والمصلحة لا يتأتى الا بتقدير الفاعل المختار الحكيم والرابع انه تعالى جعل الثقوب والمسام التي احدثها في حلمة الثدي ضيقة جدا بحيث اذا اتصل المص والحلب بتلك الحلمة لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة فانه لا يمكنها

الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى محبوسة في الداخل فكانت حلمة الثدي بسبب ضيق المنافذ كالمصفاة
فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي سائغا للشاربين والخامس انه تعالى ألهم ذلك الصبي وهداه
الى المص فان الام لما ألقمت حلمة الثدي للطفل الصغير ألهمه ذلك العمل المخصوص والا لما حصل بضيق ذلك اللبن
في الثدي فائدة والى غير ذلك من غرائب الحكم ودقائق الفضل والرحمة فسبحان من شهد جميع ذرات الاعلى
والاسفل بكمال قدرته وبدائع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴿قوله والسكر مصدر﴾ سكر
يسكر سكرا وسكرا سمي به الخمر تسمية للشيء باسم مسببه فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض الانعام
اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية
قبل كونها محرمة وقيل السكر هو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو
حلال عند ابي حنيفة قدس الله روحه الى حد السكر واحتج عليه بان هذه الآية تدل على ان السكر حلال لانه
تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة وبقوله عليه الصلاة والسلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب حرام
باخبار جمة وقيل ان ابا علي الجبائي صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت
منه تتقوى فابى فقيل له قد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج بالمروءة اي صحبه اصحاب الدعارة وهي
الخبث والفجور فقبح في المروءة التشبه بهم يقال رجل داعر اي خبيث فاجر وفيه دعارة والكلام على حذف المضاف
اي تناولته اصحاب الدعارة ﴿قوله والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها﴾ بطريق
التعريض حيث عطف قوله ورزقا حسنا على السكر وما يكون مقابلا للرزق الحسن لاجرم يكون قبيحا ومكروها
﴿قوله والا﴾ اي وان كانت نازلة بعد تحريمها تكون جامعة بين العتاب والمنة اذ قوله ورزقا حسنا بطريق المنة
كأنه تعالى وبخهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن ﴿قوله وقيل الطعم﴾ اي قيل السكر الطعام واحتج عليه
بقوله * جعلت اعراض الكرام سكرا * اي جعلت ذمهم وغيبتهم طعاما ونقلا النقل بالضم ما يتنقل به على الشراب
وقيل هنا بالخمر اشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تخمر باعراض الكرام بجعل شتمه غيبتهم وتمزيق اعراضهم
جاريا مجرى شرب الخمر وقيل السكر سد الجوع من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر
اسكره اذا سددته ﴿قوله يستعملون عقولهم﴾ يعني ان قوله يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل
منزلة اللازم ﴿قوله ألهمها وقذف في قلوبها﴾ اي سخرها وقرر في نفوسها هذه الاعمال التي يعجز عنها العقلاء
من البشر وان كانوا في غاية الذكاء والكياسة وقوله وقذف عطف تفسير لقوله ألهمها فان الهام البهائم ان يسخرها الله
تعالى ويفطرها على طبائع يصدر عنها ما يصدر من الاحوال الغريبة من غير ان يعلمها احد كسباحة الاوز وطيران الطير
في الهواء بطبعهما من غير تعلم ومعنى كون النحل طبعيا ان لا مدخل للاختيار فيه لا كون الطبيعة مؤثرة
فيه اذ لا مؤثر الا الله تعالى قال القرطبي الالهام هو ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر قال تعالى
ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم وما يخلقه الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب
مضارها وتدبير معايشها الاترى حذاقة النحل في صنعتها وبنائها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد
بعضها على بعض فانها لو كانت مربعة بقيت منها فرج ضائعة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التي
بين البيوت ضائعة والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل هذه البيوت الا بآلات وادوات مثل المسطرة والبركار
وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بغير الشكل المسدس من الاشكال لبقي في داخلها او فيما بينها فرج خالية
ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المشتمل على الحكمة البليغة واخراج العسل منه في ذلك
من غير تفكر وسابق تدبير دليل على ان احدا القى في قلوبها كما يلقي الشيطان وسوسته ويلهم الملك بني آدم اشياء
من غير ان علموا ان احدا دعاهم الى ذلك او القى في قلوبهم لانها لما وقعت في قلوبها من غير ان يسبق منها فكر وتدبير علم
ان هنالك ملقيا واخراج العسل المصفى من لعابه دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الها قادرا عليما حكيما
يفعل ما يشاء ﴿قوله ولعل ذكره﴾ ذكر اولا ان البيت هنا مستعار لمحل النحل تشبيها له بما يبنيه الانسان
ويبيت فيه من الابنية في اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ثم قال لعل النكتة في سلوك الاستعارة التنبيه على
ما في محل العسل من الصنائع العجيبة التي لا يقدر عليها المهندسون الا بالآلات والانظار الدقيقة ﴿قوله من كل ثمرة
تشتهيها﴾ اشارة الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق العرفي كما في قوله تعالى

(ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلـ
بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخـ
والاعناب اى من عصيرهما وقوله (تتخذو
منه سكرا) استئناف لبيان الاسقاء او تتخذو
ومنه تكرير الظرف تأكيدا او خبر لمحذو
صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخـ
والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير
الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذو
الذى هو العصير اولان الثمرات بمعنى ا
والسكر مصدر سمى به الخمر (ورزقا حسـ
كالتمر والزبيب والدبس والخل والا
ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة عـ
كراهتها والا فجامعة بين العتاب والـ
وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال مستحلـ
اعراض الكرام سكرا اى تنقلت باعراضـ
وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرز
ما يحصل من اثمانه (ان في ذلك لآية لقو
يعقلون) يستعملون عقولهم بالنظر والتأ
في الآيات (واوحى ربك الى النحل) الهمـ
وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحـ
(ان اتخذى) بان اتخذى ويجوز ان تكو
ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيـ
الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبـ
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحر
التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجـ
وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كـ
مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه بيتـ
تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنـ
وصحة القسمة التى لا يقوى عليها حذا
المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعـ
ذكره تنبيها على ذلك وقرئ بيوتا بكسر البـ
لباء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الر

واوتيت من كل شئ فان بلقيس لم تؤت جميع مايطلق عليه اسم الشئ بل المراد انها اوتيت من كل شئ اوتى الملوك اياه فقوله تعالى ان اتخذى من الجبال بيوتا ثم قوله كلى من كل الثمرات فيه طباق وهو الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة لانه اورد فى الاول من التبعيضية وفى الثانى كلمة كل وفيه ارشاد لها الى وجوه العمل وترتيبه حيث عرّفها انه تعالى لان تسوّى البيت ثم تأخذ من كل ثمرة جزأ لاجل ترتيب العسل ﴿ قوله فاسلكى ما اكلت فى مسالكه ﴾ اى التى هى اجوافك وعروقك على ان قوله فاسلكى امر من سلكت الشئ فى الشئ فسلك اى ادخلته فيه مدخل وهو متعدّ ولهذا قدّر قوله ما اكلت ليكون مفعولا والسبل مجاز عن مسالك الغذاء وهى الاجواف والعروق فقوله من اجوافك بيان لمسالك وقوله اوفاسلكى الطرق على ان قوله فاسلكى لازم من السلوك والسبل مجاز والمراد سبل عمل العسل وقوله فاسلكى راجعة على ان فاسلكى لازم والسبل حقيقة والمراد سبل الرجوع الى البيوت فهذه ثلاثة اوجه اى اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة عن بيوتك فاسلكى سبل ربك راجعة الى بيوتك والجرس اكل النحل وهو فى الاصل صوت النحل عند الاكل سمى اكلها جرسا لانها تصوّت عند الاكل وزاد صاحب الكشاف احتمالا رابعا وهو ان يكون المراد بالسبل سبل الذهاب الى طلب الثمار ويكون المعنى ثم اقصدى اكل الثمار فاسلكى فى طلبها وفى مكانها سبل ربك ولعلّ الوجه فى عدم التفات المصنف اليه كونه مستلزما لان يكون قوله ثم كلى بمعنى ثم اقصدى اكل الثمار والفاء فى فاسلكى على ماهو الوجه الاوّل للعطف والتعقيب وعلى الوجوه الاخر جواب شرط محذوف اى اذا اكلتها فاسلكى ﴿ قوله ذوات ذلل ﴾ جمع الجمع ان المبتدأ مفرد لان الخطاب فى قوله تعالى فاسلكى سبل ربك لجنس النحل بدليل قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقد اشار المصنف اليه بقوله وتأنيث الضمير على المعنى يعنى ان الجنس فى معنى الجماعة ﴿ قوله عدل به من خطاب النحل ﴾ على طريق الامر التكليفى اظهارا لكمال قدرته ووحدانيته وتخلص منه الى خطاب الناس وامتنانه بما انعم عليهم بخلق النحل والهامه لاجل انتفاعهم والظاهر ان توجيه الامر والتكليف الى البهائم كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم على طريق التمثيل شبه خلق الله تعالى اياها على غرائز وطبائع توجب ما اسند اليها من الاحوال بامرها وتكليفها فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به وان كان لايبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول تصلح بها لان يتوجه اليها من الله تعالى امر ونهى ثم ان كانت النحل نوعين احدهما مايسكن الجبال والغياض ولا يتعهدها احد ولايكون تحت تصرّف احد من الناس وثانيهما مايسكن فى بيوت الناس وما يعرشونه اى يبنونه ويرفعونه من سقوف البيت ويكون فى تصرّفهم فالاوّل هو المراد بقوله تعالى اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر والثانى هو المراد بقوله تعالى ومما يعرشون اى يعرشه الناس والعرش سرير الملك وعرش البيت سقفه والعرش والعريش مايستظل به وعرش يعرش عرشا اى بنى بيتا من خشب والمراد بما يعرشه الناس ههنا اما مايبنونه لانفسهم من البيوت ويؤمر النحل بان تتخذ بعضا منها بيوتا تعسل فيها واما مايبنونه للنحل من الاماكن وهى خلايا النحل ﴿ قوله واحتج به ﴾ اى بقوله تعالى يخرج من بطونها اعلم انهم اختلفوا فى كيفية حصول العسل فالمشهور ان النحل تأكل من الازهار والاوراق العطرة فما اكلته ينقلب فى جوفها وداخل بدنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء وذلك هو العسل ومنهم من يقول يحدث فى الهواء طل لطيف فى الليالى يقع على اوراق الاشجار والازهار وقد يكون كثيرا يجتمع منه اجزاء محسوسة كالترنجبيل وقد تكون الاجزاء الطلية صغيرة لطيفة فالنحل تلتقط تلك الذرات الطلية من الازهار والاوراق بافواهها وتتغذى بها فاذا شبعت التقطت شيأ آخر من تلك الذرات وذهبت بها الى بيوتها كانها تدخر بها غذاءها للشتاء فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير من تلك الاجزاء الطلية ينعقد عسلا ومال الامام الى هذا المذهب وقال انه اقرب الى العقل والاستقراء ومال المصنف الى ماهو المختار عند المحققين من الحكماء حيث قال اوّلا فاسلكى اى ادخلى ما اكلت فى اجوافك التى تحيل النور المرّ عسلا وهو تصريح بان ما اكلته النحل انما ينقلب عسلا فى اجوافها ومعدها كلها لا فى خلاياها ومعاملها ثم قال ومن ذهب الى المذهب الآخر فقد احتاج الى تفسير البطون بالافواه ويدل على ضعف هذا المذهب ايضا قوله تعالى ثم كلى فانه يدل على ان لمعدة النحل تأثيرا فى تكوّن العسل ومن جعل العسل نابتا عن عصاصير البطون بالافواه فليت شعرى ماذا يصنع بقوله تعالى ثم كلى ﴿ قوله اما بنفسه او مع غيره ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان تعريف الناس يفيد العموم فدلت الآية على ان العسل شفاء من كل داء مع انه

(ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها مرّها وحلوها (فاسلكى) ما اكلت (سبل ربك) فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المرّ عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به (يخرج من بطونها) عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل فى باطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف الوانه) ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم

يضر الصفراوى والمحمومين والمبرودين ومتقرير الجواب ان مايكون علاجا للصفراوى ايضا انما يتم ويكمل بالعسل فيكون شفاء من كل داء بهذا الاعتبار ثم اجاب بمنع دلالة الآية على ان العسل شفاء لكل مرض لانه تعالى لم يقل شفاء لكل الناس ولكل داء وفى كل حال بل اشار بتنكير شفاء الى ان فيه بعض الشفاء وان جاز ان يكون التنكير فيه لتعظيم مافيه من الشفاء وماروى عن قتادة رضى الله عنه انما يدل على كونه شفاء فى الجملة لا على كونه شفاء لكل داء لجواز ان يكون استطلاق بطن الرجل من فضلة بلغمية فاحتاج الى شرب العسل لانضاجها ودفعها وقوله عليه الصلاة والسلام «وكذب بطن اخيك» معناه ان بطنه لم يأخذ من العسل مايضج مادته ويصلح مزاجه الا انه لما ذكر قوله صدق الله حسن ان يقال فى جنبه كذب بطن اخيك روما للمشاكلة ﴿ قوله فكأنما انشط من عقال ﴾ اى تخلص يقال نشطت الحبل انشطه اى عقدته وانشطته اى حللته وقد يقال كانما نشط من عقال وليس بصحيح ﴿ قوله وقيل الضمير للقرآن ﴾ تم الامتنان على الناس بخلق النحل والهامه طريق تولد العسل منه عند قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتدأ وقال فيه شفاء للناس اى فى هذا القرآن شفاء للناس من آفة الكفر والبدعة ولم يرض المصنف بهذا القول لان الاصل فى الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورات قبله وماذلك الا قوله شراب مختلف الوانه وارجاعه الى مالم يذكر قبله بعيد ولان قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث قتادة «صدق الله وكذب بطن اخيك» يدل على انه عليه الصلاة والسلام جعل ضمير فيه للشراب المذكور قبله فلا وجه لجعله راجعا الى القرآن ثم انه تعالى لما استدل على ان هذا العالم لابدله من اله واجب الوجود لذاته ببعض احوال النبات ثم ببعض عجائب الحيوان اتبعه بذكر اختلاف اعمار الناس ومراتبها واختصاص كل مرتبة بحكم يخالف حكم باقى المراتب والعقلاء ضبطوا مراتب اعمار الانسان فى اربع المرتبة الاولى من النشو والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة او الى خمس وثلاثين سنة والمرتبة الثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته الى ان تتم اربعون سنة من عمره والمرتبة الثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفى ونهايته الى سبعين سنة والرابعة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشرين سنة فاختلاف احوال البدن الحيوانى فى التزايد والوقوف والانحطاط الخفى والجلى مع استواء احوال التربية والتدبير الكائنين من قبل نفسه يدل على انه بتدبير الفاعل المختار قبل الارتداد الى ارذل العمر واراد به بعض الكفار لان المسلم لايزداد بسبب طول العمر الا كرامة عند الله تعالى ولا يجوز ان يقال فى حقه انه تعالى رده الى ارذل العمر لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه صريح فى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لايردون الى اسفل سافلين وعن عكرمة ان من قرأ القرآن لايرد الى ارذل العمر ﴿ قوله ليصير الى حالة ﴾ اللام فى هذه العبارة لام كى المفيدة للتعليل والفعل بعدها منصوب باضمار ان المصدرية ويحتمل ان تكون لام العاقبة والتى فى نظم القرآن لايجوز ان تكون لام كى لان كى بعدها مذكورة صريحا بل هى اما لام العاقبة او اللام التى تكون لمجرد التعليل من غير ان يضمر بعدها ان المصدرية وكى بعدها مصدرية ناصبة بنفسها الفعل بعدها وهى مع منصوبها فى تأويل مصدر مجرور باللام المتعلقة بقوله يرد ولا اشعار لكى بالتعليل فى هذا الموضع قال ابو البقاء شيأ منصوب بالمصدر على قول البصريين وبعلم على قول الكوفيين انتهى يعنى انه من قبيل ماتنازع فيه عاملان لانه قد تقدمه عاملان بعلم وعلم فعلى رأى البصريين وهو المختار يكون منصوبا بعلم وقوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيأ كناية عن النسيان لان الناسى يرمه ان يعلم شيأ ثم ينساه فلا يعلمه بعد ما علمه وهذه صفة الاطفال والهرم بكسر الراء الشيخ الفانى ﴿ قوله فمنكم غنى ومنكم فقير ﴾ وليس غنى المكثر من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه واجتهاده ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه فانك ترى اكيس الناس واكثرهم عقلا وفهما يفنى عمره فى طلب القليل فى الدنيا ولا ينال ذلك وترى اجهل الناس واخسهم عقلا وفهما يفتح عليهم ابواب الدنيا ولو كان الغنى منوطا بالسعى وكمال العقل لما وجد فى اكمل الناس عقلا واكثرهم سعيا فى تحصيل الدنيا من هو اقل نصيبا منها الا ان رأينا الاعقل الافضل اقل نصيبا منها والاخس الاجهل اوفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام الذى يفعل مايشاء كما قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا وروى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال ومما يدل على ان القضاء والقدر حق بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل فى الذكاء

وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى ارذل العمر) اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم) بمقادير اعمارهم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ماملكت ايمانهم) على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذى جعله الله تعالى فى ايديهم (فهم فيه سواء) فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه

والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم ونحو ذلك اسند الله تعالى تفاوت ارزاق عباده الى نفسه ويلزم منه كونه تعالى هو الرازق للجميع على وجه فضل بعضهم على بعض فى الرزق ثم فرّع عليه ان المفضلين فى الرزق ليسوا برادّى ما عليهم شيأ من الرزق الكائن من قبلهم بل الرازق للجميع هو الله تعالى وحده لكنه اجرى رزق المماليك على ايدى الموالى فقوله فما الذين فضلوا لازم لما قبله وقوله فهم فيه سوآء اى الجميع فى الرزق من الله سوآء لازم للجملة المنفية متفرّع عليها اومقرّر مؤكد لها ويجوز ان يكون جوابا للنفى المذكور قبله ردّا على المشركين ﴿ قوله وقرأ ابوبكر ﴾ اى وقرأ الباقون بياء الغيبة مراعاة لقوله فما الذين فضلوا وقوله فهم فيه سوآء ثم انه تعالى استدل على وجود الاله العليم القادر المختار بنوع آخر من احوال الناس فقال مخاطبا للكل والله جعل لكم اى انه تعالى خلق النساء ليتزوّج بهنّ الذكور وجعل ازواجهم من جنسهم ليستأنسوا بهنّ ومن جعل خطاب الجمع فى قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا للتعظيم وحمله على خلق حوآء من نفس آدم فقد ارتكب خلاف الظاهر من غير ضرورة ﴿ قوله فان الحافد هو المسرع فى الخدمة ﴾ يعنى ان الحفدة وان كانت اعم من البنات والاعم لادلالة له على الخاص الا ان البنات لكونها اكمل فى الخدمة واسرع فيها يتبادر الذهن من لفظ الحفدة اليها عند الاطلاق قال الواحدى اصل الحفدة من الحفد وهو الخفة فى الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفدا وحفودا اذا اسرع ومنه ما فى دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد فالحفدة جمع الحافد وهو كل من يحفد فى خدمتك ويسرع فى العمل بطاعتك فمعنى الحفدة فى اللغة الاعوان والخدم ثم يحتمل ان يكون المراد من الحفدة الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لايكونون من قبل المرأة لايدخلون تحت هذه الآية فلذلك قيل هم الاختان وقيل الربائب وقيل هم الاصهار وقيل اولاد الولد والاولى دخول الكل فيه لما بينا من ان اللفظ يحتمل الكل من حيث كونه موضوعا للقدر المشترك بين الكل ثم انه تعالى لما ذكر انعامه على عبيده بالمنكوح ومافيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بطيبات الرزق نباتية كانت اوحيوانية فقال ورزقكم من الطيبات ثم قال تعالى افبالباطل يؤمنون والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والفاء للدلالة على ان صدور ماأسند اليهم من القبائح منهم بعد تقرّر ماذكر قبلها اشدّ قباحة وضلالة والمراد بالباطل اعتقاد ان الاصنام تنفعهم او اعتقاد ان من الطيبات مايحرم عليهم وكذا الكلام فى قوله تعالى أفبنعمة الله يجحدون والمراد بنعمة الله ماانعم به على جميع عباده من الرزق وسوّى فيه بين الموالى والمماليك وجحودها اضافة بعضها الى الشركاء وانكار كونها من الله تعالى او ما انعم به عليهم من ايضاح الدلائل الدالة على تفرّده تعالى بالوهيته وتنزهه عن الشركاء والانداد وجحودها عدم الالتفات الى تلك الدلائل وترك التأمل فيها بالانهماك فى تقليد الآباء الضالين بين الله تعالى انه هو الرازق لجميع عباده من الموالى والمماليك ثم فرّع عليه توبيخ المشركين على اتخاذهم الشركاء وانكر عليهم بقوله أفبنعمة الله يجحدون باضافة بعض مارزقهم الله الى تلك الشركاء وجحود انه من عند الله او اوضح لهم دلائل الحق ثم وبخ عليهم لعدم التفاتهم اليها ورجوعهم بها الى الحق ثم فصل لذآئذ النعم او حالاتها ثم اعاد التوبيخ على المشركين فيماهم عليه من الاعتقاد الباطل والمذهب الزائغ وقدّم المعمول على عامله فى الموضعين ولايصار اليه الالنكتة وهى ههنا اما الاهتمام ووجهه ان الغرض الذى سيق له الكلام فى الاوّل ليس انكار نفس الجحود بل الغرض انكار متعلق الجحود وهو نعمة الله تعالى فكان محل الاهتمام فقدّم المعمول لذلك واما ايهام التخصيص مبالغة فان تقديم المعمول به يفيد الحصر والتخصيص فكأنه قيل فلا يجحدون الانعمة الله ولايؤمنون الابالباطل ولما لم يستقم ارادة حقيقة التخصيص كان المراد ماهو بعيد التخصيص ولما كان نسبة جحود نعمة الله اليهم كافيا فى توبيخهم كان نسبة تخصيص الجحود بها اليهم ابلغ فى التوبيخ وكذا نسبة الايمان بالباطل لما كان كافيا فى التوبيخ كان نسبة ذلك اليهم بطريق يفيد التخصيص ابلغ فيه ﴿ قوله وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ داخل فى حيز الاستفهام الانكارى ويفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ويعبدون من دون الله معطوف على قوله يكفرون بيانا وتفسيرا لكفرهم بنعمة الله لقوله فان اتخاذ الشركاء يقتضى ان يضاف اليهم بعض ماانعم الله عليهم ويجحدون انه من عند الله ﴿ قوله ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به ﴾ على معنى لايملك ان يرزق شيأ وان كان بمعنى المرزوق المنتفع به كان شيأ بدلا منه بمعنى لاقليلا ولا كثيرا ومن السماء والارض متعلق بقوله رزقا ان كان مصدرا والمعنى لايملك لهم ان يرزق من جانب السماء المطر ومن جانب

(أفبنعمة الله يجحدون) حيث يضفون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ماانعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله اوحيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ماانعم الله عليهم بايضاحها والياء تضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوآء من آدم (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذآئذ اومن الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات مايحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمة الله هم يكفرون) حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرّموا مااحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام اولايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله مالايملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به والا فبدل منه

(ولايستطيعون) ان يملكوه او لااستطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في مالايملك لان مافرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولايستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيأ من ذلك فكيف بالجماد (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ماتعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون (وانتم لاتعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لاتعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لاتعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبدوه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون) مثل مايشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لايملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد (الحمد لله) كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها (بل اكثرهم لايعلمون) فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) ولد اخرس لايفهم ولايفهم (لايقدر على شيء) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال وثقل على من يلي امره (اينما يوجهه) حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي (لايأت بخير) بنجح وكفاية مهم (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو في نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي

الارض النبات والثمار التي تخرج منهما او متعلق بمحذوف هو صفة رزقا ان كان اسما لما يرزق ﴿قوله ولا يستطيعون ان يملكوه﴾ جواب عما يقال من ان قوله لايستطيعون فعل متعد يستدعي مفعولا تقديره ولايستطيعونه ومعناه بعينه معنى قوله لايملك لهم رزقا فهو من عطف الشيء على نفسه وتقرير الجواب انا لانسلم ان لايستطيعون يستدعي تقدير ضمير يرجع الى الرزق بل اجري مجرى اللازم كقولك فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فالمعنى انهم لايملكون رزقا وليس لهم استطاعة اصلا وان سلمنا انه يستدعي ذلك لكن لانسلم ان ذلك الضمير يرجع الى الرزق بل هو راجع الى تملك الرزق والمعنى انهم لايقدرون على تملك الرزق فضلا عن ان يملكوه بالفعل ﴿قوله فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه﴾ يعني ان المقصود نهيهم عن الاشراك تفريعه على قوله ويعبدون من دون الله الخ فانه تعالى لما وصف المشركين بانهم يعبدون مالايملك شيأ من الرزق ولا استطاعة لهم اصلا فرع على ذلك نهيهم من ان يجعلوا له مثلا يشركون به تعالى في الوهية او يقيسون لعظيمه على تعظيم ذلك المثل بان يقولوا هو مثل له تعالى في استحقاق التعظيم لما ان عبادة عبيد الملك ادخل في تعظيمه من عبادة نفسه بالذات فالمثل على الاول مايعبدونه من الشركاء وعلى الثاني مايقيسونه به بما يعظم شانه بعدهم ﴿قوله فساد ماتعولون عليه﴾ اي تعتمدون عليه في ان تجعلوا له مثلا ومن القياس بيان ما ﴿قوله وجعله قسيما﴾ اي توصيف العبد بانه مملوك لايقدر على شيء ثم جعله قسيما لقوله ومن رزقناه الخ يدل على ان المملوكية تنافي المالكية فان الفقهاء احتجوا بهذه الآية على ان العبد لايملك شيأ ووجه دلالتها عليه انه ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم وكونه عبدا وصف مشعر بالذل والمقهورية وقوله لايقدر على شيء حكم مذكور عقيبه فهذا يقتضي ان يكون العلة لعدم القدرة على شيء هي كونه عبدا مملوكا فثبت ان العبد لايملك شيأ وان ملك والآية تدل على ماذكر من وجه آخر وهو انه تعالى قال بعد ذكر العبد ومن رزقناه منا رزقا حسنا فوجب ان لايحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثاني والاول فانه لو ملك العبد لكان الله تعالى قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فلا يكون احد القسمين قسيما للآخر ﴿قوله وقيل هو تمثيل للكافر المخذول﴾ فالمعنى على الاول لايستوي عندكم العبد المملوك العاجز عن التصرف بالحر المالك الذي قد رزقه الله المال فهو يتصرف فيه وينفق كيف يشاء فكيف يستوي من يملك الانفاق والانعام على التوالي والدوام وهو المعبود الحق بمن لايملك شيأ من ذلك وهو المعبود الباطل وعلى الثاني لايستوي عندكم العبد والحر المذكوران فكيف يستوي المؤمن الموفق للطاعات والخيرات والاعمال الصالحة التي يجهر بها المؤمن ويخفيها في نيته والكافر المخذول الذي حرمه الله التوفيق فهو لايحصل منه عمل صالح ولايوفق لباب من ابواب الطاعات والانفاق قد يعبر به عن العمل الصالح حتى ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الى ان المعنى حتى تعملوا الطاعات فان العامل المطيع ينفق قواه وجوارحه ابتغاء لوجه الله تعالى والانفاق سرا وجهرا اتيان مايجهر به من الاعمال كالصلوات المفروضة والحج والجهاد والاعمال التي تسهر للناس واتيان مايخفى من الاعمال كالنوافل التي يصنعها المرء في بيته والاعمال القلبية ثم انه تعالى لما بين امتناع المساواة بين العبد المملوك الذي لايقدر على شيء وبين السيد الكريم الغني على الاطلاق عقبه بقوله الحمد لله للدلالة على انه تعالى هو الغني المطلق القادر على الانعام والافضال وان من يعبد الاصنام التي لاتملك ولاتقدر على شيء البتة في غاية الجهالة والضلال ﴿قوله تعالى اينما يوجهه لايأت بخير﴾ مجزومان على انهما شرط وجزاء وقرئ اينما يوجه بالهاء الواحدة الساكنة وكسر الجيم وفاعله ضمير الابكم فيكون يوجه بمعنى يتوجه يقال وجه ويوجه بمعنى توجه يتوجه مثل قدم بمعنى تقدم ومنه اشتهر ان المقدمة بمعنى المتقدمة وقوله اينما اوجه الق سعدا مثل يضرب لمن يتلقاه الشر اينما يتوجه وكان اصله ان رجلا اسمه اضبط كان سيد قومه فاصابه منهم جفوة فارتحل منهم الى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل صنع قومه فقال اينما اوجه الق سعدا وسعد كان رجلا شريرا والنجح والنجاح الظفر بالحوائج وفي الكلام حذف مايقابل قوله احدهما ابكم كانه قيل والآخر ناطق متصرف قادر على الصنائع والتدابير لكمال عقله وسلامة اعضائه وهو خفيف على مولاه ولايتحمل التعب والمؤونة من قبله اصلا اينما يوجهه يأت بخير ونجح دل عليه قوله هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وقوله ومن يأمر مرفوع

وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان
ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال
المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر
(ولله غيب السموات والارض) يختص به
علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد
بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس
وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل
السموات والارض (وما امر الساعة)
وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته
(الا كلمح البصر) الا كرجع الطرف من اعلى
الحدقة الى اسفلها (او هو اقرب) او امرها
اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك
الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فانه تعالى
يحيى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان
فى آن وأو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه
ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله
كالشئ الذى يقولون فيه هو كلمح البصر
او هو اقرب مبالغة فى استقرابه (ان الله
على كل شئ قدير) فيقدر على ان يحيى
الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم
دل على قدرته فقال (والله اخرجكم
من بطون امهاتكم) وقرأ الكسائى بكسر
الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة
بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها
فى اهراق (لاتعلمون شيأ) جهالا مستصحبين
جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة) اداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم
تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات
بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم
العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
المعالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون)
كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور
فتشكروا

معطوف على الضمير المرفوع فى يستوى وسوّغه الفصل بالضمير المتصل وقوله وهو على صراط مستقيم اما استئناف
او حال ﴿قوله وانما قابل تلك الصفات﴾ اى الاربع وهى انه ابكم وانه عاجز لايقدر على شئ وانه كل اى
ثقيل على مولاه وان مولاه اينما يرسله لايأت بخير وهى صفات الاصنام فانها لاتسمع ولاتنطق وانها عاجزة لاتقدر
على شئ وانها كل على عابديها تحتاج الى ان يحملوها ويضعوها ويمسحوا عنها ماوقع عليها من الاذى ويخدموها والى اى
مهم وجهها عابدوها لاتأت بخير قابل تعالى تلك الصفات الاربع بهذين الوصفين وهما كونه آمرا بالعدل وكونه
فى نفسه على صراط مستقيم لانهما كمال ما يقابل تلك الصفات الاربع لان كونه آمرا بالعدل يتضمن كونه ذا فهم
منطيقا قادرا على كفاية الناس وارشادهم الى ما فيه صلاح حالهم فى الدارين بحثهم على العدل الشامل لجامع
الفضائل وكونه على صراط مستقيم وسيرة صالحة سنية يتضمن كونه بحيث انه الى اى مطلب توجه بلغه وظفر به
باقرب سعى فاذا كان الرجل الموصوف بتلك الصفات الاربع اذا لم يكن مساويا فى الفضل والشرف لمن اتصف بهذين
الوصفين مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فلأن يحكم بان الجماد لايكون مساويا لرب العالمين فى المعبودية
كان اولى اوفلأن لايكون الكافر مساويا للمؤمن كان اولى بين الله تعالى بضرب هذا المثل ان الذى لاينطق بالحق
ولا يأمر بالعدل ليس كالذى يأمر بالعدل مع كونه فى نفسه متصفا بالعدل متباعدا عن الظلم والجور وبين فى المثل
الاول ان الذى لايملك الانفاق ليس كالذى يملكه ﴿قوله يختص به علمه﴾ وجه ارتباط هذه الآية بما
قبلها انه مثل نفسه بالذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لايكون كذلك الا اذا كان
كاملا فى العلم والقدرة فبين بقوله ولله غيب السموات والارض كونه كاملا فى العلم وبين كمال قدرته بقوله وما
امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تفجأ الانسان فى ساعة
فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله او هو اقرب ليس المراد منه الشك بل المراد بل هو اقرب اضرابا عن تشبيه امر
قيام الساعة فى السرعة برجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ولاشك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء لاتتجزأ
ولمح البصر عبارة عن مرور الجفن على جملة تلك الاجزاء التى منها تتركب الحدقة فيكون الزمان الذى يحصل
فيه لمح البصر مركبا من آنات وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة فى زمان واحد من تلك الازمان
فلذلك اضرب عن تشبيه الاول الى الحكم بانه اقرب تنبيها على ذلك وقال الزجاج المراد الابهام على المخاطبين
انه تعالى يأتى بالساعة فى زمان لمح البصر وفيما هو اقل منه لان المراد من تشبيه امر قيامها بامر لمح البصر تشبيه
زمان الاول بزمان الثانى وهذا هو الذى اراده المصنف بقوله او للتخيير لانه تعالى لما ابهم الامر عليهم فقد خيرهم
بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود تقريب وقوعها وان كان بعيدا بالنسبة الينا ﴿قوله والهاء مزيدة﴾
يعنى ان اصل امهاتكم اماتكم الا انه زيدت الهاء فيه كما زيدت فى اهراق اصله اراق وقوله لاتعلمون شيأ حال
من مفعول اخرجكم اى اخرجكم غير عالمين وقوله شيأ منصوب اما على المصدرية اى شيأ من العلم او على انه
مفعول به والعلم بمعنى العرفان فيتعدى الى واحد ﴿قوله مستصحبين جهل الجمادية﴾ اى لا الجهل الذى هو
عدم العلم عما من شأنه ان يكون عالما لان الجنين فى بطن امه فى حكم الجماد خالية من العلوم البديهية رأسا فضلا
عن العلوم النظرية المكتسبة التى يترتب عليها العلوم البديهية فان النفس فى مبدأ فطرتها كانت خالية عن جميع
العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس ظاهرة وباطنة توصلت بها الى ان ترسم فيها ماهيات المحسوسات
لما بينها وفيما بينها من المشاركات والمباينات وان تنتزع منها صورا كلية بصورة تمكن بترتيبها على وجه خاص من
اكتساب المجهولات التصورية وتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك التصورية مع بعض من ايقاع تلك النسبة
وانتزاعها وادراك انها واقعة وليست بواقعة مثل ادراك ان الكل اعظم من الجزء ومثل هذه الادراكات علوم
تصديقية تمكن النفس ترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات التصديقية فظهر ان السبب الاول
لحدوث العلم فى النفس هو انه تعالى اعطى هذه الحواس واليه اشار بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصولها سببا لانتقال نفوسكم من الجهل
الى العلم بالطريق المذكور * فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم ويفهم منه
ان يكون جعل لكم السمع والابصار متأخرا عن الاخراج من البطن وليس كذلك * فالجواب ان حرف الواو
لايقتضى الترتيب وايضا اذا حملنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا جعلنا قوله

(في جو السماء) في الهوا المتباعد من الارض (ما يمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها (ان في ذلك لآيات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهوآء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) هي القباب المتخذة من الادم

ويجوز ان تتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (اثاثا) ما يلبس ويفرش (ومتاعا) ما يتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتقون بها حر الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت أهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التي تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) عرضوا اولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (واكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليها الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) وهو نبيها تشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون من العتبى وهي الرضى والانتصاب

وجعل معطوفا على اخرجكم فيكون داخلا في خبره من المبتدأ ويجوز ان يكون مستأنفا كما قال الحوفي ثم الكلام عند قوله لا تعلمون شيأ ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع الآية لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات ﴿قوله والاسباب المؤاتية له﴾ اي الموافقة للمطلب فقال آتيته على ذلك الامر مؤاتاة اذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته * قال الامام هذا دليل على كمال قدرته فانه لولا انه تعالى خلق الطير خلقة يمكنه معها الطيران وخلق الجو خلقة يمكنه معها الطيران فيه لما امكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا تبسطه مرة وتكسره اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الهوآء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا ﴿قوله وقرأ الحجازيان﴾ وهما نافع وابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يوم ظعنكم بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين احدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي ما تسكنون فيه والجعل بمعنى الخلق فيتعدى الى واحد وهو سكنا ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا قدم عليه لكونه نكرة ويجوز ان يكون بمعنى التصيير فيكون سكنا مفعوله الثاني والقسم الثاني من البيوت القباب والخيام والفساطيط واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الخ اي بيوتا يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان والظعن في الاصل سير البادية لنجعة او حضور ماء والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه وقد يطلق على طلب كل ما يتعدى به من الطعام او طلب مرتع وقد يطلق الظعن على كل خارج لسفر والسكن المسكن وانشد الفرآء

* جاء الشتاء ولم اعدد له سكنا * ياويح نفسي من حفر القرابيص *

والبيت ما يأوي الانسان اليه ليلا للبيت فهو جعل السكن بعض البيوت يدل على ان السكون المعتبر في السكن بمعنى الاقامة التي هي ضد السير ويؤيده ان المصنف فسر السكن بقوله موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم فكان هذا قرينة على ان المراد بالسكن البيوت المتخذة من الحجر والمدر والخشب قال المفسرون الاثاث انواع متاع البيت من الفرش والالبسة من قولهم شعر اثيث اي كثير واث النبت يئث أثا اذا كثر والتف ولا واحد للاثاث وقيل واحدها اثاثة وعطف المتاع على الاثاث لما اقتضى المغايرة بينهما اشار المصنف الى الفرق بينهما بان حمل المتاع على ما يتجر به والاثاث على ما لا يقصد به التجارة بل يقصد به الخدمة من الاكتساء والتغطي والافتراش وقوله اثاثا الظاهر انه منصوب عطفا على بيوتا اي وجعل لكم من اصوافها اثاثا فيكون قد عطف المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب ﴿قوله والسربال يعم كل ما يلبس﴾ سوآء كان لبسه للتوقي عن الحر والبرد او عن الشدة في الحرب ولا يختص بالاول بدليل انه تعالى جعل ما يتقى من شدة الطعن والضرب والرمي من قبيل السرابيل ﴿قوله وقرئ تسلمون﴾ بفتح التاء واللام مضارع سلم وهو مناسب لقوله تقيكم بأسكم فان المراد به الدروع الملبوسة في الحروب الا ان المصنف لم يرض بكونه مربوطا به واختار كونه مربوطا بقوله كذلك يتم نعمته عليكم كما هو مرتبط به على قرآءة العامة ﴿قوله وهذا من اقامة السبب مقام المسبب﴾ يعني ان ما هو جواب للشرط حقيقة محذوف وهو فانت معذور ولما كان تبليغه عليه الصلاة والسلام سببا لكونه معذورا غير مقصر في قولهم اقيم هذا السبب مقام المسبب وجعل جوابا للشرط وقوله تعالى يعرفون نعمة الله استئناف لبيان حالهم في توليهم عن الايمان وذمهم بانهم يعرفون جميع ما انعم الله تعالى عليهم من النعم المذكورة في هذه السورة وغيرها ويعترفون بان جميعها من الله ثم ينكرونها بان يقولوا رزقنا الله اياها بشفاعة آلهتنا فلا يشكرونها والتولي عن الايمان بهذا الطريق لما كان يستلزم مجاهرة الكفار عنادا لجواز ان لا يعلم المتولي المذكور بطلان اعتقاد ان ما انعم الله عليه انما هو بشفاعة الآلهة قالوا اكثرهم الكافرون ترقيا في ذمهم بمعنى انهم مع كونهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها كافرون * فان قيل هم كلهم كافرون فما معنى قوله واكثرهم الكافرون * قلنا لانه لا يحمل الكافر على الجاحد المعاند ليخرج من تولى جاهلا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه غير معاند ولانه كثيرا ما يراد الجميع بلفظ الاكثر كما في قوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ثم انه تعالى لما ذكر الذين تولوا عن الايمان ووصفهم بما وصفهم اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال ويوم نبعث اي اذكر يوم نبعث ﴿قوله يمون﴾ اي يبتلون قال الجوهري مونه ومنيته اذا ابتليته ﴿قوله ولاهم يسترضون﴾ هو من الارضاء لا من الرضى اي لا يطلبون الارضاء على ان الاستعتاب طلب العتبى

وهو اسم بمعنى الاعتاب الذى هو ازالة العتب فقوله تعالى ولاهم يستعتبون معناه لايطلب منهم الاعتاب اى ازالة عتاب ربهم وغضبه بان يتوبوا ويزدجروا عماهم عليه من الكفر والمعاصى لان الآخرة ليست بدار تكليف وعمل وانما يطلب ذلك منهم فى الدنيا وفى الصحاح يقال استعتب فلان اذا عاد الى مسرتى راجعا عن الاساءة فظهر بما ذكرنا ان تفسير الاستعتاب بالاسترضاء وتفسير الاعتاب بالارضاء تفسير باللازم ﴿ قوله وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا ﴾ يعنى انه ايضا منصوب بمحذوف اى اذا رأوه وقعوا فيه ويحيق بهم مايحيق والفاء فى قوله تعالى فلا يخفف عنهم ليست فاء جواب اذا بل هى عاطفة لما بعدها على الجزاء المقدر لان جوابها متى كان مضارعا لايكون مصدرا بالفاء سواء كان موجبا كما فى قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه او منفيا نحو اذا جاء زيد لايكرمك وانما يصدر بالفاء اذا كان جملة اسمية نحو اذا جاء فى زيد فانا اكرمه وتقدير المبتدأ فى الآية بان يجعل تقديرها فهو لايخفف خلاف الظاهر وقوله تعالى الذين ظلموا مظهر وقع موقع المضمر للاشعار بان العذاب لايخفف عنهم ويجب ان يكون دائما وهو المراد من قوله ولاهم ينظرون ﴿ قوله اوثانهم التى دعوها شركاء ﴾ يراها المشركون لان الله تعالى يبعثها لفائدتين الاولى ان يشاهدها المشركون فى غاية الذل والحقارة والثانية ان تكذب تلك الاصنام المشركين فى قولهم انها شركاء الله تعالى فى استحقاق العبادة ومن قال ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر انما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن اولئك الشركاء انهم ألقوا الى الذين اشركوا انكم لكاذبون والاصنام جمادات فلا يصح منهم هذا القول فوجب ان يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول ودليل هذا ضعيف لانه تعالى قادر على ان يخلق الحياة والعقل والنطق فى تلك الاصنام فحينئذ يصح منها هذا القول ﴿ قوله وهو اعتراف ﴾ جواب عمايقال مافائدة فى قول المشركين ربنا هؤلاء شركاؤنا مع ان فائدة الخبر ولازمه كلاهما معلومان لله تعالى ● وتقرير الجواب الاول ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لاذنب لها واعترافا بانهم كانوا مخطئين فى عبادتها ● وتقرير الثانى ان المشركين انما قالوا ذلك احالة لهذا الذنب على تلك الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص من عذابهم بان يحمل شطر منه على الاصنام فعندها تكذبهم تلك الاصنام وهو قوله تعالى فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون فى قولكم فى حقنا انهم شركاء الله فى العبودية او فى استحقاق العبادة او فى انهم حملوا المشركين على الكفر وقوله تعالى الذين كفروا مبتدأ وزدناهم خبره لما ذكر الله تعالى وعيد الذين كفروا اتبعه بوعيد من ضم الى الكفر صد الغير عن سبيل الله فان رؤساء الكفر وقادتهم وسادتهم ضلوا بانفسهم وأضلوا اتباعهم فلهم العذاب الاليم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم غيرهم ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصى فقال ويوم نبعث اى اذكر يامحمد يوم نبعث فى كل جماعة نبيا يشهد على من كذب وعصى لانه مابعث فى كل امة رسولا وعلمهم الرسول رسالة الله فلم يبق لهم عذر فى ارتكاب المعصية قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وجئنا بك شهيدا تخصيص بعد التعميم كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴿ قوله بيانا بليغا ﴾ اشارة الى ان التبيان اسم فى معنى البيان كالتلقاء فى معنى اللقاء كما نقل عن الزجاج الا انه روى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفعال الا حرفان تبيان وتلقاء فعلى هذا يجب ان تكون المصادر التى تكون على تفعال كلها مفتوحة التاء كالتسيار والتذكار والتكرار والتهدار والتلعاب وان يكون ماهو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء اسماء نحو التمساح والتمثال وقوله بليغا اشارة الى ان صيغة تفعال سواء كانت مفتوحة التاء او مكسورتها اذا كانت مصدرا او اسما بمعنى المصدر تكون من ابنية المبالغة وتكرير الفعل فالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكر والذكر واللعب قال المفسرون القرآن تبيان لكل شئ يحتاج اليه من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام وقال نفاة القياس دلت هذه الآية على ان القرآن تبيان لكل شئ اى لكل شئ من العلوم الدينية لان غير ذلك ليس مما يجب الالتفات اليه وعلوم الدين اما اصول واما فروع فاما علم الاصول فهو بتمامه موجود فى القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ماورد على سبيل التفصيل فى هذا الكتاب وذلك يدل على انه لاتكليف من الله تعالى الا ماورد فى هذا واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وافيا ببيان كل الاحكام واما الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبيانا لكل شئ لانه دل على ان الاجماع

وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) اى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس بان يشطر عذابهم (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله وانهم ماعبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (وألقوا) والقى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وضاع عنهم وبطل (ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصدهم (ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم (وجئنا بك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) على امتك (ونزلنا عليك الكتاب) استئناف او حال باضمار قد (تبيانا) بيانا بليغا (لكل شئ) من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس (وهدى ورحمة) للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة

حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد متصلا عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام باحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرآن روى عن على رضى الله عنه انه قال كل شئ علم فى القرآن الا ان الرجال تعجز عنه فبعضه مبين فيه بان نص عليه صريحا وبعضه مبين على وجه الاجمال بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبى صلى الله عليه وسلم او اجماع المسلمين او القياس على ما نص عليه للاشتراك فى علة الحكم ثم انه تعالى لما استقصى فى شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب اتبعه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وهى اجمع آية لوجوه ارشاد المكلفين وهدايتهم الى ما فيه صلاح حالهم فى الدارين امر الله تعالى فى هذه الآية بثلاثة اشياء وهى العدل والاحسان وايتاء ذى القربى ونهى عن ثلاثة وهى الفحشاء والمنكر والبغى اما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط ورعاية العدل واجبة فى جميع الاشياء لاسيما فيما يتعلق بالاعتقاد وفيما يتعلق باعمال الجوارح وفيما يتعلق بالاخلاق النفسانية واجل وجوه العدل اعتقادا الاعتقاد بوحدة الاله فان نفى الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل هو اثبات الاله الواحد واعتقاده لا اله الا الله وايضا الاعتقاد بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والاعتقاد بانه مستقل باعماله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة انه تعالى يخلق فيه قدرة كاسبة تدعوه الى الفعل والقدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى والعدل فيما يتعلق باعمال الجوارح كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب فان قوما من اهل البطالة ونفاة التكاليف يقولون الاحتراز عن شئ من المعاصى ليس لله عليه تكليف اصلا وقال قوم من المانوية انه يجب على الانسان ان يجتنب عن كل اكل الطيبات وان يبالغ فى تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى انهم يخصون انفسهم ويحترزون عن التزوج وعن اكل الطعام الطيب وانهم يحرقون انفسهم ويرمون انفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والعدل الوسط هو هذا الشرع الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الزيادة على العدل فى باب العمل بحسب الكمية قد تكون احسانا الى نفسه اذا كانت على الوجه الذى استحسنه الشرع وندب اليه كالتطوع بعد اداء الواجبات وقد تكون اساءة على خلاف الوجه المشروع وكذا الزيادة بحسب الكيفية وبالجملة فالمبالغة فى اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان والاحسان بهذا المعنى يدخل فيه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله اقسام كثيرة اشرفها واجلها صلة الرحم فقوله وايتاء ذى القربى من قبيل التخصيص بعد التعميم لما يشرف خاص ومبالغة فى الحث عليه ﴿قوله من الافراط فى متابعة القوة الشهوية﴾ البهيمية والعصبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية والثلاث الاول هى المداخل التى يأتى الشيطان من قبلها بخلاف القوة الرابعة اعنى القوة العقلية الملكية فان الشيطان لا يغوى الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بينها وبين الشرور الشيطانية فلا وجه لان يتوسل الشيطان بها الى اغواء بنى آدم بخلاف القوى الثلاث الاول فانها مبدأ الشرور والقبائح وداعية اليها فان الفحشاء اثر القوة الشهوية والمنكر اثر الغضب والبغى اثر القوة الوهمية فان القوة الشهوية انما ترغب فى تحصيل اللذات الشهوية والتى خرجت منها عن الحد المأذون فيه شرعا هى المسماة بالفحشاء واما القوة العصبية السبعية فهى انما تسعى فى ايصال الشر والبلاء والايذاء الى سائر الناس ولاشك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط الحاصل من آثار القوة العصبية فقوله نصف والمنكر ما ينكر على متعاطيه من اثارة القوة العصبية معناه ان المنكر من اثارة القوة العصبية هو الحد الخارج عما يعتاده الناس من اثارة الغضبية وتوضيحها واما القوة الوهمية الشيطانية فهى ابدا تسعى فى الاستعلاء على الناس والترفع واظهار الرياسة والتقدم وذلك هو المراد من البغى فانه لا معنى للبغى الا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكر ان هذه الاقسام الثلاثة منطبقة على احوال هذه القوى الثلاث ﴿قوله وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون﴾ روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقرر الاسلام فى قلبى فحضرته عليه الصلاة والسلام ذات يوم فبينما هو يحدثنى اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينما انا احدثك اذ جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عن يمينى فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرائض وايتاء ذى القربى

(ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل
والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض
الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود
المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان)
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية
كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال
عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء
ذى القربى) واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى
عن الفحشاء) عن الافراط فى متابعة القوة
الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان
واشنعها (والمنكر) ما ينكر على متعاطيه
من اثارة القوة العصبية (والبغى) والاستعلاء
والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها
الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية
ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج
فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه
القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود
رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير
والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون
رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غير
هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ
وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب
قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه

اى صلة الرحم وينهى عن الفحشاء الزنى والمنكر مالا يعرف فى شريعة ولا سنة والبغى الاستطالة قال عثمان فوقع الايمان فى قلبى واتيت ابا طالب فاخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن اخى ولئن كان صادقا او كاذبا فانه ما يأمركم الا بمكارم الاخلاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه اللين قال يا عماه اتأمر الناس ان يتبعونى وتدع نفسك فنزل انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء روى ان بنى امية كانوا يسبون امير المؤمنين على بن ابى طالب فى الخطبة رضى الله عنه الى ان ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال فى الآفاق بترك ذلك وكان سبب محبته عليا انه قال كنت بالمدينة اتعلم العلم وكنت الزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فبلغه شئ من ذلك فاتيته يوما وهو يصلى فاطال الصلاة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ التفت الىّ وقال متى علمت ان الله تعالى غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعد ان رضى الله عنهم قلت لم اسمع بذلك قال فما الذى بلغنى عنك فى علىّ قلت معذرة الى الله واليك وتركت ما كنت عليه وكان ابى اذا خطب فنال من علىّ رضى الله عنه تلجلج فقلت يا ابت انك تمضى فى خطبتك فاذا اتيت الى ذكر علىّ عرفت منك تقصيرا وخطيت كذلك قلت ثم قال يا بنى ان الذين حولنا لو يعلمون من علىّ ما نعلم لتفرقوا عنا الى اولاده فلما ولى الخلافة لم يكن عنده من الرغبة فى الدنيا ما يرتكب بسببها هذا الامر العظيم فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فحل هذا الفعل عند الناس محلا عظيما واكثروا مدحه بذلك ﴿ قوله تعالى يعظكم ﴾ الظاهر انه مستأنف فى قوة التعليل للامر بما تقدم اى ان الوعظ سبب لما تقدم من الامر والنهى المذكورين ويجوز جعله حالا من فاعل ينهى اذ لا وجه لتخصيص الحال بهذا الفعل دون فاعل يأمر فان الوعظ يكون بكل واحد من الاوامر والنواهى ولا خصوصية له بالنهى ثم انه تعالى لما جمع جميع المأمورات والمنهيات فى هذه الآية على سبيل الاجمال ذكر بعدها بعض تلك الاقسام على سبيل التفصيل فبدأ بالوفاء بعهد الله فقال واوفوا بعهد الله وهو معطوف من حيث المعنى على قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية عطف الخاص على العام اهتماما بوفاء العهد والثبات عليه واستشهد المصنف بقوله تعالى ان الذين يبايعونك على ان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد الله واحد ولم يرد ان هذه الآية واردة فى تلك البيعة اعنى بيعة الرضوان لان هذه السورة مكية نزلت حين كان المسلمون مستضعفين فيما بين قريش وانما هذه البيعة هى البيعة الاولى وكل من دخل فى الاسلام فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة ﴿ قوله وقيل كل امر يجب الوفاء به ﴾ اى العمل بمقتضاه فعهد الله تعالى يتناول الادلة العقلية والسمعية عند هذا القائل وان لم يكونا من العهود التى يلتزمها الانسان باختيار نفسه لانهما اوكد فى لزوم الوفاء بما يدلان على وجوبه بالنسبة الى اليمين وسائر العهود ولذلك لا يصح فى هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح فى غيرهما ذلك وربما يجب فيه ترك الوفاء فان اليمين انما يجب الوفاء به اذا لم يكن الصلاح فى خلافه لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه ولم يرض المصنف بهذا القول وقال لا يلائمه قوله اذا عاهدتم لانه يدل على ان المراد بعهد الله ما يلتزمه الانسان باختياره ومعنى الوفاء به الثبات عليه كانه قيل اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تؤكد تلك البيعة بالايمان التى يحلفون بها على الثبات عليها والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو وفيه لغة اخرى اكد يؤكد بالهمزة ونظيره قولهم ورخت الكتاب وارخته قال الراغب وكدت القول والعهد واكدته بمعنى احكمته وكل واحدة منهما لغة اصلية وليست الهمزة بدلا من الواو لانهما متساويتان فى الاستعمال فليس ادعاء كون احدهما اصلا والاخرى منقولة منها اولى من عكسه وذهب المصنف الى ان الكلمة واوية وان الهمزة مبدلة من الواو على ما هو مذهب الزجاج وتوكيدها مصدر مضاف الى مفعوله وقوله وقد جعلتم حال اما من فاعل تنقضوا واما من فاعل المصدر وان كان محذوفا وقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه ﴿ قوله شاهدا بتلك البيعة ﴾ وما يترتب عليها من الثبات عليها والعمل بمقتضاها ومن نقضها والعمل بما ينافيها فان من حلف بالله تعالى على امر فقد منع نفسه عن اتيان ما يخالفه احترازا من هتك حرمة اسمه تعالى وما يترتب عليه من تهديد اليم عذابه فصار بذلك كانه يجعل الله تعالى شاهدا عليه يراقب انه هل يحنث فى يمينه او يحفظه ويرقبه واستشهد بهذا المعنى لما شابه الكفيل من حيث ان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه عبر عن الشاهد بالكفيل فقوله كفيلا من قبيل التشبيه البليغ

(يعظكم) بالامر والنهى والميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذر وقيل الايمان بالله (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة او مطلق الايمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) فى نقض الايمان والعهود (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) ما غزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (انكاثا) طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت

والمراد به تشبيه الناقض عن هذا شأنه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير في ولاتكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اى ولاتكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه (ان تكون امة هى اربى من امة) بان تكون جماعة اربى عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (ولتسألن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولاتتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهى (فتزل قدم) اى عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب في الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولاتشتروا بعهد الله) ولاتستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد (انما عند الله) من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ما عندكم) من اعراض الدنيا (ينفد) ينقضى (وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لاينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق (ولنجزين الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (باحسن ما كانوا يعملون) بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم

ثم انه تعالى مثل نقض العهد بنقض الغزل بعد ابرامه واحكامه تأكيدا لوجوب الوفاء وتحريم النقض فقال ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا والنكث بالكسر مصدر قولك نكثت الحبل اذا نقضته والانكاث هاهنا جمع نكث بمعنى منكوث اى منقوض ﴿قوله والمراد به تشبيه الناقض عن هذا شأنه﴾ كائنا من كان لاتشبيهه بشخص معين يفعل ذلك وهو امرأة اسمها ريطة وذلك لان المقصود من الامثال صرف المكلف عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين وان تحقق في الخارج من اتصف به ﴿قوله تعالى دخلا﴾ مفعول ثان لتتخذون ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله والدخل الفساد والدغل وهو الغش والخيانة وقيل هو ان تظهر الوفاء وتبطن الغدر والنقض وقيل الدخل الداخل في الشئ وليس منه وقيل ما ادخل في الشئ على فساد وقال الجوهرى دخلا بينكم اى مكرا وخديعة وهم دخل في بنى فلان اذا انتسبوا اليهم وليسوا منهم هذه كلمات القوم في بيان مفهوم لفظ الدخل والمصنف اختار منها كونه موضعا للنقض والابرام والافساد فيكون جعل ما عقد للافساد عين الفساد للمبالغة في النهى والتقبيح وقوله تعالى ان تكون اى بسبب ان تكون متعلق بقوله تتخذون وقوله تكون يجوز ان تكون تامة وامة فاعلها وان تكون ناقصة وامة اسمها وقوله هى على التقديرين مبتدأ واربى خبره والجملة في محل النصب على الحال على الوجه الاول وعلى انها خبر كان على الثانى وجعل الامام قوله تعالى تتخذون ايمانكم استفهاما على سبيل الانكار والمعنى أتتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب ان تكون امة اريد في القوة والكثرة من امة اخرى ولم يلتفت المصنف اليه لان ارتكاب تقدير الهمزة مع صحة المعنى وانتظامه ليس باولى من غير ارتكاب التقدير بلا دليل ﴿قوله تصريح بالنهى عنه بعد التضمين﴾ فان قوله تعالى ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم مفسدة وموضع الدغل والمكر والخديعة يتضمن النهى عن اتخاذ الايمان دخلا من حيث ان موضعه النهى عن مشابهة تلك المرأة حال اتخاذ الايمان دخلا وقد تقرر ان النهى عن المقيد يرجع الى قيده فيكون المنهى عنه حقيقة هو القيد فيكون قوله ولاتتخذوا معطوفا على قوله ولاتكونوا مع قيده وقوله انما يبلوكم الله به وليبين لكم تعليلا لقوله تعالى ولاتكونوا وقوله ولو شاء الله معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيدا لمعنى الابتلاء وانه تعالى ينصر قليل العدد والعدد بحكم الالهية على ذى القوة والشوكة والمال كما انه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقوله ولتسألن معطوفا على قوله يبلوكم وقوله تعالى فتزل منصوب باضمار ان في جواب النهى ﴿قوله بصدودكم﴾ على ان ما مصدرية وان صددتم لازم من الصدود وهو الاعراض وقوله او صدكم غيركم على انه متعد من الصد وهو المنع ومفعوله محذوف ثم انه تعالى اكد هذا اليمين والتحذير فقال ولاتشتروا بعهد الله ثمنا اى لاتنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن اوفوا بعهدها فان ما عند الله من الثواب هو خير لكم ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد اى يذهب ويفنى ﴿قوله بما ترجح فعله﴾ اشارة الى جواب ما يقال من ان كلمة ما مصدرية واحسن افعل تفضيل فيكون المعنى لنجزينهم اجرهم بمقابلة احسن اعمالهم ويفهم منه ان لايجازى المرء بمقابلة اعماله الحسنة وهو خلاف مايدل عليه قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وتقرير الجواب ان صيغة احسن هاهنا ليست للتفضيل بل هى صيغة بمعنى الحسن الذى يترجح فعله على تركه من الواجبات والمندوبات فان المؤمن يثاب بكل واحدة منهما بخلاف المباحات التى لايترجح احد طرفيها على الآخر فان المؤمن لايثاب بها ولا بتركها سلمنا انها للتفضيل لكن لانسلم ان الموصوف باحسن هو العمل بل الموصوف به هو الجزاء المقدر واضافة احسن بمعنى من ثم انه تعالى لما بالغ في النهى عن نقض العهود والايمان وبيان مايترتب عليه من عذاب الدنيا والآخرة عقبه بالترغيب في الصبر على مشاق التكاليف مع فقرهم وقلة عددهم وكثرة الكفرة وعلى بيعة الاسلام والوفاء بعهد الله الذى هو البيعة لرسول الله والكفرة اربى منهم عددا وشوكة ومالا او على مشاق التكاليف الشرعية مطلقا التى من جملتها الوفاء بالعهد ببيان انه تعالى يجازيه على اعماله الحسنة واجبة كانت او مندوبة او ببيان انه تعالى يجازيه بجزاء هو احسن من اعماله ثم ان كان المراد بالصبر الصبر على مشاق الاحتراز عن نقض ايمان البيعة يكون قوله تعالى من عمل صالحا الآية ترغيبا في اتيان كل ما كان من شرائع الاسلام بان وعد على اتباعه سعادة الدنيا والآخرة وان كان المراد به الصبر على مشاق

التكاليف بمعنى توطئة النفس على رعاية حق الربوبية وتحقيق مقتضى العبودية وقهر النفس الامارة بالسوء بمخالفة مقتضياتها وحظوظها الطبيعية يكون قوله من عمل صالحا الآية ترغيبا فى الاعمال الظاهرة البدنية بعد الترغيب فى الاخلاق النفسانية والفضائل العلمية وتصريحا بان كون الاعمال الصالحة مؤدية الى الحياة الطيبة وثواب الآخرة مشروط بالايمان * فان قيل كيف يكون مشروطا به مع ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الصالح يعتد الاجر معه وعند الاسلام ذلك فان رؤيته لا تستلزم كون العامل مثابا بعمله لجواز ان يكون فائدة عمله تخفيف العذاب فانه لا يتوقف على الايمان واليه اشار المصنف بقوله وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب ﴿قوله يعمه بالنوعين﴾ جواب * يقال من ان كلمة من تفيد العموم فما الفائدة فى ذكر الذكر والانثى * وتقرير الجواب ان لفظ من صح اطلاقه على النوعين ﴿قوله وقيل فى الآخرة﴾ لعل وجه ضعفه انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ولا شبهة فى ان المراد به ما يكون فى الآخرة فينبغى ان يحمل الحياة الطيبة على ما يكون فى الدنيا وايضا لو حمل الحياة الطيبة على ما يكون فى الآخرة لزم ان لا يعذب المؤمن الذى عمل عملا واحدا من الاعمال الصالحة بعذاب الآخرة اصلا لان من عذب بقدر ذنوبه كيف يصح ان يقال فى حقه انه تعالى احياه حياة طيبة فى الآخرة فان قوله من عمل صالحا يصدق على من اتى بعمل واحد مما يكفى فى اجراء حكم الاسلام عليه وذلك لا يستلزم ان لا يعذب اصلا بل امره منوط بمشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنوبه وان شاء عفا عنه فان مصيره على التقديرين الى الجنة بخلاف ما لو حملت على ما يكون فى الدنيا فان من عمل عملا واحدا مما يصح ان يجرى عليه حكم الاسلام بسببه يكون حياته فى الدنيا طيبة يسلم فى نفسه وماله ويستقل فى اموره وادنى مراتب طيب حياته فى الدنيا ان يسلم فى نفسه ثم انه يجرى فى الآخرة بعمله ذلك قيل الحياة الطيبة فى الدنيا عبادة الله تعالى مع اكل الحلال وقيل القناعة لانه لا يطيب فى الدنيا الا عيش القانع واما الحريص فانه يكون ابدا فى النكد والعناء ولا شك ان عيش المؤمن فى الدنيا اطيب من عيش الكافر لان المؤمن يعرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى ويعرف انه محسن كريم لا يفعل الا الصواب فيكون راضيا بكل ما قضاه وقدره لعلمه بان مصلحته فى ذلك والكافر لا يعرف هذه الاصول فكان ابدا فى الحزن والعناء وايضا المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التحلل فلولا تغيرها وانحلالها لم تصل من غيره اليه فلا جرم لا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها ثم انه تعالى لما ذكر انه يجازى على الاعمال الصالحة اتبعه بالارشاد الى طريق تخلص به الاعمال عن وساوس الشيطان وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والقاء الوساوس فى كل قلب وخص قراءة القرآن بالذكر من بين الاعمال الصالحة لانها داعية الى كل عمل صالح من الاعمال القلبية والقالبية فكانت بذلك رأس الاعمال الصالحة ولما كانت الفاء فى قوله فاستعذ بالله للتعقيب دل ظاهر الآية على ان تكون الاستعاذة بعد قراءة القرآن كما ذهب اليه جماعة من الصحابة والتابعين وقالوا انه لو لم يأت بالاستعاذة بعد القراءة ربما يوسوس اليه الشيطان انك قد اتيت من العمل الصالح ما يمحو الله تعالى به ذنوب كذا وكذا سنة فيعتمد على عمله فيضيع ثواب قراءته واما اذا استعاذ بعد القراءة فحينئذ تندفع الوساوس ويبقى الثواب الموعود مصونا عن الخلل الا ان الاكثر من علماء الصحابة والتابعين قد اتفقوا على ان الاستعاذة متقدمة على القراءة وقالوا معنى الآية اذا اردت ان تقرأ القرآن فاستعذ بالله وليس معناه استعذ بعد القراءة ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وقولك اذا اكلت فقل بسم الله واذا سافرت فتأهب وقد روى ائمة القراءة مسندا عن نافع عن جبير بن مطعم انه عليه الصلاة والسلام كان يقول قبل القراءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن معقل بن يسار انه عليه الصلاة والسلام قال * من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى * وفى شرح الشاطبية اجمع القراء وجمهور الفقهاء على ان الاستعاذة حال الشروع فى القرآن ودل الحديث على ان التقديم هو السنة وبقى سببية القراءة لها والفاء فى فاستعذ لما دلت على السببية قدرت الارادة ليصح معنى السببية ﴿قوله اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ﴾ هكذا رواه القراء فى كتب القراءة وينبغى ان لا يكون المراد بالقلم القلم الاعلى لانه متقدم فى الرتبة على اللوح بالنص وانما يراد به القلم الذى نسخ به من اللوح ونزل به جبريل عليه الصلاة والسلام الى سماء الدنيا ﴿قوله

(من عمل صالحا من ذكر او انثى) يعمه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فلنحيينه حياة طيبة) فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) من الطاعة (فاذا قرأت القرآن) اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) على اولياء الله تعالى المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا

لئلا يتوهم منه ان له سلطانا ﴾ فان قارئ القرآن لما امر بان يسأل الله تعالى ان يعيذه من وسوسته توهم منه ان له تسلطا وولاية على اغواء بني آدم كلهم فنفى الله تعالى انه لا تسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بعصمة الله تعالى اياهم من طاعته وقبول وسوسته فقوله تعالى انه ليس له سلطان الآية في معرض التعليل للامر بالاستعاذة واشارة الى ان الاستعاذة المأمور بها ليست عبارة عن مجرد القول الفارغ من الالتجاء الى عصمة الله تعالى وتفويض الامر اليه معتقدا بانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمته ولا قوة على طاعته الا بتوفيقه وهذا الالتجاء والاعتقاد انما يكون بالايمان به اولا والتوكل عليه ثانيا فمن جمع بين الامرين لا يكون للشيطان عليه سبيل البتة ﴿ قوله يحبونه ويطيعونه ﴾ يقال توليته اذا اتبعته واحببته ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت عنه يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة عن اذا كان بمعنى الاعراض ﴿ قوله بالله او بسبب الشيطان ﴾ يعني ان ضميره يحتمل ان يرجع الى ربهم ويكون الباء صلة مشركون محذوفا اي هم مشركون بالله من اجل الشيطان او بسبب حمله اياهم على الشرك والعصيان ﴿ قوله لفظا او حكما ﴾ يعني ان تبديل الآية مكان الآية قد يكون بان ينسخ تلاوة آية وينزل آية اخرى تتلى بدلها وقد يكون بان ينسخ حكم آية من غير ان ينسخ تلاوة لفظها ويشرع مكانه حكم آخر والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه والمراد به ههنا النسخ • ولما انه تعالى شرع ههنا في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية اخرى تنسخها الى اخف منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا انما هو مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية والظاهر ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه جيء به توبيخا للكفار على قولهم انما انت مفتر اي اذا كان هو اعلم بما ينزل من المصالح فانهم ينسبون محمدا الى الافتراء بناء على تبديل آية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة والمصلحة الملائمة بكل وقت وزمان ويحتمل ان تكون جملة حالية من فاعل بدلنا اي بدلناها عالمين بما في التبديل من الحكمة والمصلحة وانما عدل من التكلم الى الغيبة للاشارة الى علة العلم والمشركون نسبوه عليه الصلاة والسلام الى الافتراء بانواع من المبالغات وهي تصدير الجملة باداة الحصر على طريق قصر الموصوف على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار وحذف مفعول لا يعلمون للعلم به اي لا يعلمون حكمة الاحكام وما في تبديلها من المصالح والحكم ﴿ قوله كقولهم حاتم الجود ﴾ يعني حاتم جواد او صاحب جود وكذا روح القدس يعني روح مقدس او صاحب قدس اضيف الموصوف الى صفته للاشعار باختصاصه بها وانه ليس شأنه سوى الاتصاف بها ﴿ قوله وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل ﴾ يعني ان بنية فعل هاهنا للتكثير في مهلة اي لوجود اصله شيئا فشيئا كدرجته الى كذا اذا بلغته اليه درجة درجة فتنزيل القرآن توزيع نزوله الى الاوقات بانزاله مدرجا على حسب المصالح وذلك يقتضي ان ينسخ حكم آية ويبدل مكانه آخر وذلك لان المصالح تختلف باختلاف الاوقات فلا جرم يكون انزاله متدرجا على حسب اختلاف المصالح مستلزما للنسخ والتبديل ومقتضيا لهما لما بنى المشركون قولهم انما انت مفتر على اشتمال القرآن على النسخ والتبديل كان قوله قل نزله روح القدس واردا لبيان فساد سندهم لان ايثار اللفظ الدال على تدرج النزول تنبيه على حقية النسخ والتبديل اشارة الى ما يقتضيهما والمعنى ان جبريل نزل بالقرآن من كلام ربك ملتبسا بالحق اي بالامر الصحيح الثابت ليثبت الذين آمنوا بما فيه من الحكم والآيات فيزدادوا تصديقا ويقينا وقرئ ليثبت مخففا من اثبت ﴿ قوله وفيه تعريض الخ ﴾ اي وفي اثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض بحصول اضدادها للمشركين وذلك لان قوله قل نزله روح القدس الآية جواب عن قول المشركين انما انت مفتر فانما ارادوا بقولهم انما انت مفتر ان هذا ليس من كلام الله تعالى لان الله تعالى لا يحضر من احد بان يأمره اليوم بشيء وينهاه غدا عنه بل هو من تلقاء نفسك واجيبوا بان هذا من الله تعالى وزيد في التصور بان قيل نزله روح القدس ثم زيد قوله بالحق دفعا لطعنهم بالطف الوجوه اي تنزيلا ملتبسا بالحق والحكمة ومصالح الخلق ثم شنع على قبح افعالهم بان قيل ليثبت الذين آمنوا الخ تعريضا بان اضداد هذه الخصال حاصلة فيهم وانهم متزلزلون ضالون موبخون

(انما سلطانه على الذين يتولونه) يحبونه ويطيعونه (والذين هم به) بالله او بسبب الشيطان (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما (والله اعلم بما ينزل) من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف (قالوا) اي الكفرة (انما انت مفتر) متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا (بل اكثرهم لا يعلمون) حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعني جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل (من ربك بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي) لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين

مندرون بالخزى والنكال والمقت فى الدنيا والآخرة ليزيد فى غيظهم وضيقهم وما احسن هذا البيان ثم انه تعالى حكى شبهة اخرى من طاعنى نبوته عليه الصلاة والسلام بانه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم يظهرها من نفسه ويزعم انه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب عنه بان قال لسان الذى يلحدون اليه اعجمى الآية واللسان وان كان اسما لجارحة المتكلم الا ان العرب يطلقونه على اللغة والالحاد فى اللغة الميل يقال لحد اليه وألحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء اى يميلون وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء والالحاد قد يكون بمعنى الامالة قال صاحب الكشاف يقال ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستواء والاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقيل ألحد فلان فى قوله وألحد فى عمله ودينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها فعلى هذا يكون كل واحد من ألحد ولحد متعديا وفسر هذه الآية بالقولين قال الفراء يميلون اليه القرآن او يميلون قولهم عن الاستقامة اليه وكون اللغة عبارة اعجمية عبارة عن كونها مبهمة لايتضح المراد منها والاعجم الذى لا يفصح مراده ولا يبين كلامه وان كان عربيا واشار المصنف اليه بقوله لغة الرجل الذى ذكروه لسان اعجمى غير بين ﴿ قوله ماتلقفه ﴾ اى اخذه وتناوله بسرعة يقال لقفت الشئ ألقفه لقفا وتلقفته اذا تناولته بسرعة بين المصنف بطلان مازعمه المشركون من انه عليه الصلاة والسلام تعلم القرآن من بشر ثم ادعى انه اوحى اليه بواسطة الملك بوجهين الاول ان القرآن المبين كيف يكون مأخوذا من لسانه اعجمى غير بين ومن المعلوم ان المعانى المبينة الواضحة لاتؤخذ ممن لاتعرف لغته ولسانه والثانى انا سلمنا انه اخذ تلك المعانى باستماع الكلام الاعجمى الذى لايفهمه هو ولا انتم لكن لانسلم انه اخذ منه لفظ القرآن ايضا لان لفظه لكونه فى اعلى درجات الفصاحة والبلاغة يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار الى بطلان ذلك بوجوه اخر الاول ان تعلم مافى القرآن من العلوم الكثيرة والمعانى الدقيقة لايتأتى ان يحصل فى بعض اوقات مرور المتعلم على المعلم بل يحتاج الى ملازمته مدة متطاولة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق انه عليه الصلاة والسلام تعلم من فلان وفلان ولم يشعر بذلك احد سواهم والثانى ان تعلم تلك العلوم لكثيرة المتعلقة باحوال جميع المكلفين فى السنين لايتصور الا من معلم بلغ فى غاية الفضل والتحقيق الى حيث يكون مشارا اليه بالبنان ويخضع له اهل الدنيا باجمعهم فكيف يذهب الوهم الى تعلمها من غلام سوقى يدعى بعبد فلان باستماع كليمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها ﴿ قوله واولئك اشارة الى الذين كفروا ﴾ لانهم المذكورون بقوله الذين لايؤمنون او الى قريش لان سياق الكلام فيهم لانهم هم الذين قالوا انما انت مفتر وقالوا انما يعلمه بشر والمشار اليه على الاول وان كان متناولا لقريش وغيرهم الا انهم يدخلون فيه دخولا اوليا ولما ورد ان يقال انه تعالى اثبت افتراء الكذب للذين لايؤمنون حيث قال انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون فما فائدة قوله بعد ذلك واولئك هم الكاذبون اليس هو مستدركا خاليا عن الفائدة . نبه بهذا الكلام على وجه يندفع به الاستدراك ووجه الدفاعه على تقدير ان تكون الاشارة الى قريش ظاهر لانهم لما نسبوا الكذب والافتراء اليه عليه الصلاة والسلام بقولهم انما انت مفتر قلب الله تعالى ذلك الامر عليهم وجعل قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون مقدمة كلية يتفرع عليها المقصود كأنه قيل انهم لايؤمنون بآيات الله وكل من لايؤمن بها فهم الذين يفترون الكذب فقريش هم المفترون الكاذبون لاانت فلا استدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان تكون الاشارة الى قوله ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله لعنادهم ومكابرتهم انهم كانوا يعاندون بآيات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها آيات الله لان مضمون الجملة الاولى عاما ويحتمل ان يكون فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون بآيات الله ويموتون عليه فى علم الله منه ذلك لايهديه اذافتراء الكذب لايصدر الا من الذين لايؤمنون بآيات الله ولا يصدر عمن آمن بها لان خوف العقاب اذا ردعه عنه ومضمون الثانية خص الجماعة الذين يعرفهم المخاطب بانهم الكاذبون من الذين كفروا بآيات الله على ان يكون تعريف الكاذبين للعهد الخارجى واشار المصنف اليه بقوله هم الكاذبون على الحقيقة وان كان التعريف الذى فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون اشارة الى مايعرفه كل احد من حقيقة الكاذبين وخصوصياتهم يكون مضمون الثانية حصر تلك الحقيقة بهم مبالغة كما فى قولك عمرو الشجاع اى الكامل فى الشجاعة تبرز الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا تتجاوز الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره

(وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان مايسمعه منه كلام اعجمى لايفهمه هو ولا انتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لايؤمنون بآيات الله) لايصدقون انها من عند الله (لايهديهم الله) الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) لانهم لايخافون عقابا يردعهم عنه (واولئك) اشارة الى الذين كفروا او الى قريش (هم الكاذبون) اى الكاذبون على الحقيقة والكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لايصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر

(من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه
قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم
وان تكون من شرطية محذوفة الجواب
(الا من اكره) على الافتراء او كلمة الكفر استثناء
متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد
كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير
عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو
التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر
صدرا) اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذ لا اعظم
من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه
ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين
بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت
من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما
اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه
ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه
واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال
مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل
على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان
الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله
ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فماذا تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال
للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد
جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله
واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك)
اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد (بانهم
استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) بسبب
انهم آثروها عليها (وان الله لا يهدي القوم
الكافرين) اي الكافرين في علمه الى ما يوجب
ثبات الايمان ولا يعصمهم من الزيغ (اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم) فابت عن ادراك الحق والتأمل
فيه (واولئك هم الغافلون) الكاملون
في الغفلة عما يراد بهم اذ اغفلتهم الحالة الراهنة
عن تدبر العواقب (لا جرم انهم في الآخرة
هم الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد

مقصور على صاحبه متمكن فيه وكذا الحال في قوله تعالى واولئك هم الكاذبون واليه اشار بقوله او الكاملون في الكذب وعلى التقديرين تفيد الجملة الثانية غير ما تفيده الاولى فلا استدراك وكذا ان اريد بالثانية اولئك الذين عادتهم الكذب واستمروا عليه بناء على انه عبر عن المسند في الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفي الثانية عدل الى الجملة الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لا يدفع الاستدراك الا ان ثبت ان الذين كفروا في الجملة الاولى هو مطلق الكذب وما اثبت لهم في الثانية هو الكذب المخصوص الواقع في قولهم انما انت مفتر وانما يعلمه بشر وفي الآية دليل على ان الكذب من اكبر الكبائر وافحش الفواحش لان كلمة انما للحصر فدلت على ان الكذب والفرية لا يقدم عليه الا من كان كافرا بآيات الله وهذا تهديد عظيم روى الامام محيي الدين والسنة في تفسيره ان عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴿قوله بدل من الذين لا يؤمنون﴾ فان قلت كيف يكون بدلا منه مع ان قوله تعالى انما يفتري الكذب رد لقول قريش انما انت مفتر وهم ما كفروا بعد الايمان فاجيب عنه بان قوله تعالى من بعد ايمانه المراد منه من بعد تمكنه من الايمان كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اذ لا هدى لهم بل تمكنهم من الهدى والاعراض عن الايمان بعد التمكن منه على سبيل العناد والتمرد ابلغ في بعد ساحتهم كأنه قيل انما يفتري الكذب من كفر بالله عنادا بعد تمكنه من الايمان الصحيح المستند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت من افترى الكذب ﴿قوله او مبتدأ خبره محذوف﴾ تقديره فعليهم غضب حذف لدلالة ما بعد من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة ما بعد من فان جواب من شرح يدل عليه تقديره فعليهم غضب الا من اكره لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب اي فتح صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحت الكلام المشكل اي بسطته واظهرت معانيه ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاسند الفعل الى المضاف اليه وانتصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه مفعول للشرح والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لانه لا يشكل بصدر غيره اذ البشر لا يقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد به المعرفة ﴿قوله استثناء متصل﴾ لان من اكره على كلمة الكفر داخل في جنس من كفر لان الكفر لغة يعم القول والعقد ﴿قوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان﴾ جملة حالية اي الا من اكره في هذه الحالة ووجه الاستدراك في قوله ولكن من شرح بالكفر دفع توهم ان من اكره من غير اعتقاد له او مع اعتقاده والعياذ بالله مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب العظيم وقوله وقلبه مطمئن لا ينفي ذلك الوهم فاحتيج الى الاستدراك لدفع ذلك الوهم روى عن مجاهد انه قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية رضوان الله عليهم اجمعين اما الرسول فمنعه ابو طالب واما ابو بكر فمنعه قومه واخذوا الآخرين والبسوهم ادرع الحديد ثم اجلسوهم في الشمس فبلغ منهم الجهد بحر الحديد والشمس واتاهم ابو جهل يشتمهم ويوبخهم وشتم سمية ثم طعن بالحربة في فرجها وقال الآخرون ما قالوا لهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبونه ويقول احد احد حتى ملوه فتركوه قال عمار كلنا تكلم بالذي ارادوا غير بلال هانت عليه نفسه فتركوه وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفأها الا ودك ظهري قال الامام قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه لان الغضب لكونه من الكيفيات النفسانية المستحيلة في حقه تعالى يراد غايته وهي العذاب فيكون فائدة قوله ولهم عذاب عظيم توصيف ذلك بالعظم ﴿قوله اي الكافرين في علمه﴾ فالمعنى انه تعالى لا يهدي الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصم من الزيغ والميل عن الحق من علم الله انه يختار الكفر وان يموت عليه واذا كان كل واحد من ايثار الامور الدنيوية وعدم هدايتهم الى ما يوجب الثبات على الحق سببا للكفر بعد تبين الحق وقبوله يكون سببا لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه تعالى بين طريق عدم هدايتهم الى ما يوجب الثبات على الحق بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي خلق في قلوبهم ومشاعرهم لا طبع عليها حقيقة فان القلوب والمشاعر لا تقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث حصر حقيقة الغفلة فيهم بحيث لا تتجاوزهم الى غيرهم وذلك انما لكونهم كاملين في الغفلة

بحيث لاتمد صلة غيرهم في جنب صلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق لغضب الله تعالى وعذابه العظيم وايثار الحياة الدنيا على الحياة الآخرة والحرمان من هداية الله تعالى وكونه مطبوعا على قلبه ومشاعره ثم ضل عما يراد به من العذاب الشديد الدائم في الآخرة تكون صلته اشد واكمل ويكون من الطاعات وتحصيل اسباب السعادات الابدية ابعد فلا جرم يكون في الآخرة اخسر ثم انه تعالى لما ذكر حال من كفر بالله بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر فاظهر الكفر حذرا من الهلاك ذكر بعده حال من اظهر الكفر مكرها اذا هاجروا وجاهدوا وصبروا وحال من آذى المسلمين واكرههم وحملهم على الارتداد على القرآءتين في قوله من بعد ما فتنوا فقال ثم ان ربك للذين هاجروا الآية ﴿قوله بالولاية والنصر﴾ اشارة الى ان قوله تعالى للذين هاجروا خبر ان كما تقول انى بك اى هولك لاعليك بمعنى هو ناصرك لاخاذلك ﴿قوله تجادل عن ذاتها﴾ اشارة الى ان النفس الثانية عبارة عن ذات الشخص وعينه وحقيقته والنفس الاول من جسد الشخص وجملته فليس للنفس نفس اخرى تضاف احداهما الى الاخرى روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا قال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت فى القيامة بعمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لايهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا اسألك الا نفسى وان تصديق ذلك قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها والسعى فى خلاصها ﴿قوله اى وجعلها﴾ اشارة الى ان ضرب عدى الى مفعولين اولهما القرية الموصوفة وثانيهما مثلا لتضمين ضرب معنى جعل فان ضرب المثل اعتماله ووضعه من ضرب اللبن والخاتم فلا يتعدى الا الى مفعول واحد فلما عدى ههنا الى مفعولين احتيج الى اعتبار التضمين والمراد بالقرية اهلها بقرينة ما اسند اليها من كفران النعم والجوع والخوف وقوله بما كانوا يصنعون لما هدد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد الواقع فى الآخرة تهددهم ايضا بآفات الدنيا وهى الوقوع فى الجوع والخوف واعلم ان المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان الشئ موجودا او لم يكن لان المثل انما يضرب لترغيب المكلف فى الاتصاف بتلك الصفة او لتنفيره عنها ولا مدخل فى ذلك الترغيب والترهيب لتحقق تلك الصفة فى شئ بعينه كما فى قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها وقد يضرب بشئ معين فالمقصود ضرب القرية الموصوفة مثلا سواء كان ترهيب كل قوم انعم الله عليهم فكفروا فانزل الله تعالى بهم نقمته او ترهيب كفار مكة بخصوصهم ولا يلزم ان تكون القرية الموصوفة الممثل بها قرية من قرى الاولين بل قرية كانت حالها كذلك فضربها الله مثلا لاهل مكة او لكل قوم شأنهم كشأن اهل مكة وان لايكون موجودا فى قرى الاولين مثلها بل يقدر قرية على هذه الصفة فيضرب بها المثل ثم ان اهل مكة قد ابتلاهم الله تعالى بما ذكر من المحن فانهم كانوا آمنين لاتغار عليهم العرب بل كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم لكونهم اهل حرم الله مع انهم كانوا يغير بعضهم على بعض وكانوا مطمئنين فى بلدهم من حيث ان ذلك البلد كان ملائما لامزجتهم فاطمأنوا اليه واستقروا فيه من غير اضطراب وانزعاج وكان يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان وهذه النعم الثلاث جمعها من قال ثلاثة ليس لها نهاية ، الامن والصحة والكفاية ، فقوله تعالى آمنة اشارة الى الامن وقوله مطمئنة اشارة الى الصحة وقوله يأتيها رزقها اشارة الى الكفاية والمفهوم من كلام المصنف ان يكون الاطمئنان اثر الامن ولازمه من حيث ان الخوف يوجب الانزعاج وينافى الاطمئنان ثم انه تعالى زاد على هذه النعم المذكورة فى حق اهل مكة حيث بعث فيهم رسولا من انفسهم ينذرهم عما يوجب العذاب الاليم ويدعوهم الى النعيم المقيم فكفروا به وبالغوا فى ايذائه فسلط الله عليهم البلاء وابتلاهم بالجوع سبع سنين وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر الذى يعجن بالدم وابتلاهم الله تعالى بالخوف حيث كان عليه الصلاة والسلام يبعث اليهم السرايا يغيرون عليهم ﴿قوله استعار الذوق﴾ لما كان فى الآية اشكال من حيث ان الله تعالى اوقع الاذاقة على اللباس مع ان اللباس ليس مما يدرك بالذوق ثم اضاف اللباس الى الجوع والخوف وليس لهما لباس فكيف صحت اضافة اللباس اليهما اشار المصنف الى دفع الاشكال المذكور بان جعل الذوق مستعارا لادراك اثر الضرر بان شبه ادراك الانسان اثر ما يضره باحساس طعم الشئ المر بالفم الذى هو الذوق فاطلق على المشبه الذى هو امر عقلى اسم المشبه به وهو الذوق وجعل اللباس مستعارا لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف بان شبه ما يغشى الانسان

(ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) اى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد وما اصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لما فعلوا قبل (رحيم) منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم او باذكر (تجادل عن نفسها) تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس ما عملت) جزاء ما عملت (وهم لايظلمون) لاينقصون اجورهم (وضرب الله مثلا قرية) اى وجعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة او لمكة (كانت آمنة مطمئنة) لايزعج اهلها خوف (يأتيها رزقها) اقواتها (رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت بانعم الله) بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) استعار الذوق لادراك اثر الضرر والبلاء الذى غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف

ويلتبس به من اثر الجوع والخوف باللباس الحقيق والجامع بينهما كونهما مشتملين على الانسان وماشيين له ثم اطلق اسم اللباس على مايغشى الإنسان من اثرهما وجعل اضافته اليهما قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيق فكل واحد من الاذاقة واللباس استعارة مغايرة لاستعارة الآخر ثم اوقعت الاذاقة المستعارة على اللباس المستعار بان جعل اللباس مفعولا للاذاقة بالنظر الى المستعار له يعنى ان الاذاقة بمعنى الاصابة والايصال وان لم تكن ملائمة للمعنى الذى استعير منه اللباس لكنها ملائمة للمعنى الذى استعير له اللباس وهو اثر الخوف والجوع الذى يغشى الانسان كما يغشاه اللباس فاوقعت الاذاقة بمعنى الاصابة على اللباس فاطلاق الاذاقة بمعنى الاصابة او الايصال على اللباس بالمعنى المجازى بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو اثر الجوع والخوف فان الاستعارة على ثلاثة اقسام مطلقة ومجردة ومرشحة فالمطلقة مالم تقترن بصفة مما يلائم المستعار له او المستعار منه والاستعارة المجردة ما قرنت بما يلائم المستعار له كقوله * غمر الرداء * اى كثير العطاء استعير الرداء للعطاء من حيث انه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ثم وصف الرداء بالغمر الذى يلائم العطاء دون المعنى المستعار منه وهو الرداء الحقيق تجريد والاستعارة المرشحة ما قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله

* ينازعنى رداءَ عبد عمرو * رويدك يا اخا عمرو بن بكر *
* لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر *

استعار الرداء للسيف والاعتجار لف العمامة على الرأس من غير ادارة تحت الحنك ثم اوقع الاعتجار على شطر الرداء بالنظر الى المستعار منه لكونه ملائما للرداء الحقيق ومعنى البيت يجاذبنى سيفى عبد عمرو ويريد ان يأخذه منى فقلت له رويدك لى الشطر الاعلى من السيف وهو طرفه الذى فى يمينى وخذ انت الطرف الآخر منه فاعتجر اى لف برأسك ﴿قوله غلقت لضحكته رقاب المال﴾ اى بقيت رقاب الرهن فى يد المرتهن ولم تأت للممدوح فكهامنه يقال غلق الرهن اذا استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفك بمثله فى الوقت المشروط يقول اذا اضحك ضحكة ايقن السائل انه بذلك التبسم استحق رقاب ماله ويعطى بلا خلاف ﴿قوله بعد ما زجرهم عن الكفر﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فكلوا للتفريع مابعدها على ما ذكر قبلها من التمثيل وما حل بهم من العذاب حال التباسهم بالظلم كأنه قيل اذا تبين لكم مضمون التمثيل وتحقق عندكم ان ما حل بهم بسبب التباسهم بالظلم فاتركوا الشرك والظلم حتى تأكلوا وتشكروا وامتنعوا عن صنع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة بعد ما علمتم وخامة عاقبتها ﴿قوله عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم﴾ اعلم انه تعالى حصر المحرمات فى هذه الاربعة فى هذه السورة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة الانعام حيث قال قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم وهاتان السورتان مكيتان وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة البقرة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة المائدة فانه تعالى قال فى اول تلك السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم فاباح الكل الا ما يتلى عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله الا ما يتلى عليكم هو قوله تعالى فى تلك السورة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فهذه تلك الاربعة المذكورة فى تلك السور الثلاث ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء داخلة فى الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو احد الاصناف الداخلة تحت قوله وما اهل لغير الله به فثبت ان السور الاربع دالة على حصر المحرمات فى هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان فان سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر ما نزل بالمدينة فمجموع ما نزل فى مكة والمدينة دال على انحصار المحرمات فيها وما يرد عليها فبدليل شرعى يثبت الحكم به وما ذهب اليه الكفار من زيادة المحرمات على هذه الاربعة بلا شرع ثابت مقرر لا يصح القول بزيادته اذ هو قول من يف فانهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فحرموها ذهابا الى زيادة المحرمات باهوائهم وجهالاتهم متجاوزين عن اتباع ما شرعه الله تعالى على لسان انبيائه وزادوا ايضا فى المحللات حيث حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فبين الله تعالى ان المحرمات هى هذه الاربعة وأكد هذا البيان بالنهى عن التحريم بمجرد اهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴿قوله تعالى حلالا طيبا﴾ قال بعضهم الحلال والطيب واحد كأنه قال كلوا ما احل لكم فهو كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم اى ما حل لكم وقال بعضهم الطيب ما تستطيبه النفس وتلتذ به لان من الحلال ما لا تلتذ به النفس بل تكرهه فانه تعالى جعل ضدأ

واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعنى رداءَ عبد عمرو *
رويدك يا اخا عمرو بن بكر *
لى الشطر الذى ملكت يمينى *
ودونك فاعتجر منه بشطر *

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم (فاخذهم العذاب وهم ظالمون) اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة (واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق مقتضى الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما اقيم عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية

البشر ماهو الخبيث والذى جعل للبهائم والانعام ماهو الخبيث وحشى ولاشك ان ماهو الخبيث والمحرّم نعمة وادعى الى الشكر وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ اى فمن اضطر الى تناول ماذكر من المحرّمات وقيل معناه غير باغ على الوالى ولا متعدّ على الناس بالخروج لقطع الطريق فعلى هذا لايباح تناول شئ من المحرّمات فى سفر المعصية

﴿قوله وانتصاب الكذب بلا تقولوا﴾ على انه مفعول به ويحتمل ان يكون مفعولا مطلقا فان القول قد يتعدّى وقد لايتعدّى فهو مفعول به والا فمفعول مطلق فعلى هذا تكون ماموصولة واللام صلة لقوله لاتقولوا اى لاتقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم وذلك الكذب هو ان تقولوا فى حقها هذا حلال وهذا حرام ومتعلقة بتصف بان يكون مسوقا لبيان الوصف الذى تبينه الالسنة فالفاء فى قول المصنف فتقول كالفاء التى فى قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشئ ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومنه قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فان تبييت البأس تفصيل الاهلاك المجمل وما نحن فيه من هذا القبيل فان قول الالسنة هذا حلال وهذا حرام تفصيل للوصف الذى استند اليها فكلمة ما ايضا موصولة واللام صلة ولا تقولوا ﴿قوله او مفعول لاتقولوا﴾ عطف على قوله بدل منه وقوله لوصف السنتكم الكذب اشارة الى ان اللام فى قوله لما تصف للتعليل والمعنى لاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف السنتكم الكذب اى لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة * فان قيل حمل الآية على هذا الوجه يؤدّى الى التكرار لان قوله لتفتروا على الله الكذب عين قوله لاجل وصف السنتكم الكذب * فالجواب ان قوله لما تصف السنتكم ليس فيه بيان انه كذب على الله فافاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليفيد هذا البيان الزائد ونظيره فى القرآن كثير فانه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة ﴿قوله ووصف السنتهم بالكذب﴾ جواب عما يقال الكذب مصدر لكذب والالف واللام فيه لتعريف الحقيقة والسنتهم لاتصف اى لاتوضح ولاتبين حقيقة الكذب وماهيته بل تتكلم كلاما موصوفا بالكذب فما وجه كون الكذب مفعول تصف * وتقرير الجواب ثم ان مقتضى الظاهر ان يقال بما تصف السنتكم الكلام الكاذب ونظيره الا انه جعل الظاهر المتبوع بالسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب فان اصل الكلام بما تصف السنتكم الكلام الكاذب ثم عدل عنه فقيل الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف واقيم الكذب مقامه فقيل لما تصف السنتكم الكذب كما يقال

وجهها يصف الجمال * مع ان وجهها انما يظهر الشكل المخصوص الموصوف بالجمال لانفس الجمال وحقيقة الا ان وجهها لما كان فى غاية الحسن والجمال صار كأنه عين حقيقة الجمال فاذا وصف الشكل الجميل صح ان يقال انه وصف نفس الجمال وكذلك العين لما كانت تشبه الساحر وتصفه بكمال المشابهة والتوصيف صح ان يقال انها تصف السحر ﴿قوله وقرئ الكذب بالجرّ بدلا من ما﴾ قال ابو البقاء ويقرأ بفتح الكاف وكسر الذال والباء على البدل من جعلها مصدرية او بمعنى الذى اتبع اى ولاتقولوا لوصف السنتكم الكذب او للذى تصف السنتكم الكذب والمراد من كونه بدلا من ما المصدرية كونه بدلا منها مع مافى حيزها اى من المصدر المسبك منها وهو وصف السنتكم ﴿قوله والكذب﴾ اى وقرئ الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء على انه صفة الالسنة جمع كذوب كصبور وصبر او جمع كاذب كشارف وشرف او جمع كذاب نحو كتاب وكتب وهو مصدر بمعنى الكذب قال والمرء ينفعه كذابه اى كذبه وقرئ الكذب بضمتين ونصب الباء تقديرا على قصد الذم للالسنة او بمعنى الكلم الكواذب اى ولما تصف السنتكم الكلم الكواذب ﴿قوله تعليل لايتضمن الغرض﴾ يعنى ان اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا التعليل الصريح اذ ليس الافتراء على الله غرضا لهم من التحريم والتحليل من غير حجة بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل اليه تعالى ويقولون انه تعالى امرنا بذلك فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى ثم انه تعالى اوعد المفترين فقال ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ثم بين ان ماهم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال متاع قليل اى ماتمتعون به من نعيم الدنيا شئ قليل فى ذاته وبحسب

وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولاتقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لاتقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى ولاتحرّموا ولاتحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرّفها بكلامهم هذا ولذلك عدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجرّ بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لايتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله (متاع قليل) اى مايفترون لاجله او ماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة

مدة الانتفاع به بل متاع كل الدنيا قليل ثم انه تعالى لما بين ما يحل ويحرم لاهل الاسلام اتبعه ببيان ما خص اليهود بتحريمه فقال وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل اى من قبل تحريمنا على اهل ملتك ما عددناه من المحرّمات ﴿قوله كما يكون للمضرّة﴾ اى لمضرة ما حرّم فان اكله فان ما حرّم على المسلمين يحرّم عليهم لا لعدوانهم بل لما فيه من مضرته بخلاف اليهود فانه حرّم عليهم ما حرّم بجزاء لبغيهم وعقوبة على ظلمهم وقال ابن عباس ذلك جزيناهم ببغيهم ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد المشركين على انواع قبائحهم من انكار البعث والنبوّة وكون القرآن العظيم من عند الله وتحريم ما احل الله وتحليل ما حرّمه ونحو ذلك بين ان امثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة اذا ندموا على ما فعلوا وآمنوا واصلحوا ولم يقدّر للجهالة متعلق ليتم كل جهالة وكل من يفعل السوء فانما يفعله ملتبسا بالجهالة اما الكفر فلأن احدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا وانه مالم يعتقد ان ما هو عليه حق لا يختاره ولا يثبت عليه واما المعصية فما لم تصر الشهوة غالبة على العقل والعلم لم تصدر تلك المعصية فثبت ان كل من عمل السوء فانما اقدم عليه بسبب الجهالة ولذلك قيل كل من عصى الله فهو جاهل ثم انه تعالى لما زيف فى هذه السورة مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم ما احله الله تعالى ذكر فى آخر السورة من هو رئيس الموحدين ووصفه باوصاف شريفة وطريقة حسنة مقبولة لذوى العقول ليكون ذكره حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والاقتداء به فى الاتصاف بما له من الفضائل والكمالات فقال ان ابراهيم كان امة قانتا لله الآية سميت الامة امة لكثرة افرادها وفى الحديث ولولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها وجعل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام امة تشبيها له بالامة من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الامتفرقة فى جماعة فان ذلك ليس ببديع من قدرة الله تعالى كما قال الشاعر

* وليس من الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد *

يعنى ان الله تعالى قادر ان يجمع فى واحد ما فى الناس من انواع الفضل والكمال والدامغة اسم لشجة بلغت ام الدماغ وهى الجلدة التى تجمع الدماغ شبه المذاهب الزائغة باشخاص لها رؤس مشتملة على الدماغ وشبه ابطال حجج تلك المذاهب بشجها شجة دامغة فاطلق اسم الدمغ على الابطال المذكور ثم اشتق من الدمغ بمعنى الابطال لفظة الدامغة بمعنى المبطلة فجعل هذه الاستعارة التبعية تخييلا لما اضمر من تشبيه المذاهب الزائغة بالاشخاص المذكورة وهذا التشبيه المضمر فى النفس هو الاستعارة بالكناية عند الخطيب الدمشقى ﴿قوله ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين﴾ اى ولاجل كونه عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين جعل الله تعالى ذكره عليه الصلاة والسلام بحيث يعقب التزييف ويخلفه على ان قوله تزييف ثانى مفعولى عقب يقال عقبه عقبا يعقبه بمعنى ضمه يخلفه وعاقب كل شئ آخره الذى يخلفه ويكون بعده وبالتضعيف يتعدى الى اثنين وان شئت قلت عقب ذكره تزييف بان تجعل عقب ثلاثيا وذكره مرفوعا على الفاعل عقب وتزييف منصوبا على المفعولية ﴿قوله او لانه كان وحده مؤمنا﴾ فسمى للامة والرحلة بضم الراء الذى يرحل اليه يقال انتم رحلتى اى الذين أرتحل اليهم والنخبة المنتخب يقال جاءنى نخبة اصحابه اى خيارهم فان كان امة فعلة بمعنى المفعول يكون اما بمعنى المأموم اى المقصود الذى يؤمه الناس اى يقصدونه ليأخذوا منه الخير * الجوهرى الأم بالفتح القصد يقال امّه يؤمّه اذا قصده واما بمعنى المؤتم به المقتدى به * الجوهرى امّت القوم فى الصلاة امامة وائتم به اى اقتدى وصف الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بتسع صفات الصفة الاولى انه كان امة اى كالامة من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الامتفرقة فى الجماعة والثانية كونه قانتا لله تعالى اى مطيعا له قائما بما امره قال الراغب القنوت لزوم الطاعات مع الخضوع وفسر بكل واحد منهما فى قوله تعالى كل له قانتون قيل خاضعون وقيل طائعون والثالثة كونه حنيفا اى مائلا من الملل الى ملة الاسلام والرابعة انه لم يكن من المشركين وكيف يكون مشركا وقد كان اكبر همته فى حال صغره وكبره مصروفا الى تقرير دلائل ثبوت الصانع ووحدته حتى قابل ملك زمانه واقام عليه الحجج والبراهين الدالة على وجود الاله القادر على كل شئ مثل قوله ربى الذى يحيى ويميت وقوله فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ثم ابطل عبادة الاصنام والكواكب بقوله لا احب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى ان القوه فى النار ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الطمأنينة ومن وقف على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان مستغرقا

(وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك) اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بحرّمنا او بقصصنا (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرّة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها او ملتبسين بها ليتم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان امة) لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الامتفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله

وليس من الله بمستنكر *
ان يجمع العالم فى واحد *

وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمّونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما (قانتا لله) مطيعا له قائما باوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة تنبيها على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوّة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن اهل الجنة كما سأله بقوله وألحقنى بالصالحين

فى بحر التوحيد والخامسة كونه شاكرا لانعامه روى انه عليه الصلاة والسلام كان لايتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافانى مما ابتلاكم فلولا قوة عزمكم على الصبر على ما اصابكم لما ابتلاكم بهذا البلاء والسادسة مادل عليه قوله اجتباه اى اصطفاه للنبوة واختاره لخلة والسابعة مادل عليه قوله وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله والترغيب فى الدين الحق والترهيب والتنفير عن الدين الباطل والثامنة مادل عليه قوله وآتيناه فى الدنيا حسنة قال قتادة ان الله تعالى حببه الى كل الخلق وكل اهل الاديان يتولونه اى يحبونه ويفتخرون بالانتساب اليه اما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر واما كفار قريش وسائر العرب فانه لافخر لهم الا به وذلك لانه تعالى اجاب دعاءه فى قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين حتى قال من يصلى كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم والتاسعة قوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين اجاب الله تعالى دعاءه فى قوله رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين وكونه من الصالحين لاينفى كونه فى اعلى مقامات الصالحين ثم انه تعالى لما وصفه بهذه المدائح التسع وصفه بخصلة عاشرة هى اجل واشرف من المدائح السابقة وهى ان يكون سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم صلوات الله وسلامه اجمعين مأمورا باتباع ملته فكلمة ثم للتنبيه على ان منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى من منزلته عليه الصلاة والسلام وكون نبينا صلى الله عليه وسلم مأمورا باتباع ملته لاينافى اختصاصه بفضائل اخر يفضل بها على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واصل الملة الدين لقوله عليه الصلاة والسلام لايتوارث اهل ملتين اى اهل دينين ﴿قوله حنيفا فى التوحيد﴾ اشارة الى ان قوله حنيفا حال من المضاف اليه وامتناع الحال من المضاف اليه ليس على اطلاقه وانما يمتنع اذا لم يكن بين المضاف والمضاف اليه ملابسة قوية مثل ان يكون المضاف جزأ من المضاف اليه او بمنزلة الجزء منه والملة ههنا بمنزلة الجزء من ابراهيم فلذلك كان انتصاب الحال منه بمنزلة انتصابها من الملة والعامل فيها معنى الاضافة وقوله تعالى انما جعل السبت الآية جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام لما امر بمتابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة فان الظاهر ان ابراهيم قد اختار فى شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة ان قوم موسى عليه الصلاة والسلام يعظمون يوم السبت ويروى ذلك على ان تعظيمه شريعة متوارثة من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال امرهم موسى عليه الصلاة والسلام بالجمعة وقال تفرغوا لله تعالى فى كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولاتعملوا فيه شيأ من اعمالكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لانريد الا اليوم الذى فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى عليه الصلاة والسلام وامرهم ايضا بالجمعة فقالت النصارى لانريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله اليه فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه ليس معناه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك بل معناه انهم اختلفوا على نبيهم من حيث انه امرهم باختيار الجمعة وخالفوه باختيارهم يوما آخر ومما يدل عقلا على ان يوم الجمعة سيد الايام واجدر للاختيار ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم فى ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين فى يوم الاحد واتم فى يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذا وجه الفريقين فى اختيار اليومين ونحن نقول يوم الجمعة هو يوم التمام والكمال وتمام النعمة وكمالها هو الموجب لكمال الفرح والسرور والموجب للاشتغال بالشكر والخضوع فكان يوم الجمعة افضل بالنسبة الى سائر الايام من هذا الوجه وفضله عليها من هذا الوجه يصلح ان يكون وجها عقليا لتخصيص جعله يوم العيد والعبادة الزائدة وقيل معنى اختلافهم فى السبت انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى ولم يتفقوا على كلمة واحدة مع انه تعالى امرهم بتعظيمه والامتناع من الصيد فيه قال قتادة استحل الصيد فيه بعضهم زمن داود يعنى اهل ايلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه بان لعنوا ومسخوا قردة دون الذين نهوا آباءهم عن ذلك ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام باتباع ابراهيم عليه السلام بين فى اى شئ يتبعه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة

(ثم اوحينا اليك) يا محمد وثم اما لتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته او لتراخى ايامه (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه (وما كان من المشركين) بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين والمطيعين بما يستحقه

﴿ قوله بالمقالة المحكمة ﴾ اشارة الى ان المراد بالحكمة البراهين القطعية المفيدة للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وبالموعظة الحسنة الامارات الظنية والدلائل الاقناعية وبالدلائل الجدلية الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها الزام الخصم وافحامه ثم ان الجدل على قسمين احدهما هو الدليل المركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الخصم وهذا القسم هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثانى مايكون مركبا من مقدمات فاسدة الا ان المستدل يروجها ويموّزها دفعا لشغب الخصم وسفاهته بسلوك الطريق الفاسدة عند المناظرة وهذا القسم لايليق بالعقلاء واما اللائق بهم هو القسم الاوّل وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن فهو تعالى حصر الحجج والدلائل الصادرة من العقلاء فى هذه الاقسام المذكورة فى الآية الكريمة والذين يدعون الى الحق بطريق المناظرة ثلاث طوآئف القسم الاوّل الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وهى الحكمة والقسم الثانى الذين يغلب على طبعهم المشاغبة والمخاصمة لاطلب الحق واليقين والمكالمة اللائقة بهم المجادلة التى تفيد الافحام والالزام فهاتان الطائفتان قسمان الاوّل منهما هم الكاملون فى الاستكمال بحسب القوة النظرية والثانى هم الناقصون الذين لم يستعدوا للاستكمال بحسب القوة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطائفتين حيث لم يبلغوا فى الكمال الى درجة الحكماء المحققين ولا فى النقصان الى حد المشاغبين بل هم اقوام بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة مع هؤلاء لاتمكن الا بالموعظة الحسنة وهى الدلائل الاقناعية الظنية والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن ودلت هذه الآية الكريمة على ان الدعوة لابد ان تكون بالدلائل القطعية التى هى الحكمة والا فبالدلائل الظنية وهى الموعظة واما الجدل فهو ليس من طرق الدعوة بل المقصود منه غرض آخر وهو الالزام والافحام واليه اشار المصنف بقوله وجادل معانديهم بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة ثم انه تعالى قال ان ربك هو اعلم يعنى معناه انك يامحمد مكلف بالدعوة الى الله بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية فلايتعلق بك هو تعالى اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجسمانية كثيرة الانجذاب الى عالم الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لاجرم يمتنع انقلابها وزوالها قال تعالى اشتغل انت بالدعوة ولا تطمع فى حصول الهداية فكل فانه تعالى هو العالم بخصوصيات استعدادات النفوس ولكل نفس فطرة مخصوصة كما قال فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ﴿ قوله لما امره بالدعوة الخ ﴾ بيان لارتباط هذه الآية بماقبلها فان المتبع لما امروا بالدعوة الى الدين الحق وكانت الدعوة المذكورة تتضمن امر المخاطبين بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم والحكم عليه بانه كفر وضلالة وكان ذلك مما يشوّش قلوبهم وربما يحملهم ذلك على ايذاء الداعى بنحو الشتم والضرب والقتل وكان يؤدّى المحقين الى تأديب هؤلاء السفهاء الشاتمين بالضرب والقتل وتعوضت ولم يرض المصنف بما قيل من كون الآية نازلة فى قصة حمزة لان تلك القصة لاتعلق لها بماقبل الآية فذلك القول يستلزم القول بجواز ان لايرتبط بعض الآيات ببعض وماروى من انه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية لايقتضى كون الآية نازلة فى تلك القصة لجواز كونها نازلة لحكمة اخرى وتمسكه عليه الصلاة والسلام فى الانتهاء عما عزمه من المثلة بهذه الآية من حيث كون حرمة المثلة متفرعة من عموم هذه الآية لاجرم امر الله تعالى المحقين فى هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم وهو تعالى لايرضى بالظلم وفى الآية دلالة على ان الاولى ترك المقاصة فانك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح فانه يفهم منه ان الاولى ان لايأكلها ثم انه تعالى عدل من طريق التعريض الى التصريح حيث قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فانه تصريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا شديدا ذكر بعده مايفيد سهولته لمن اختار الصبر فقال وما صبرك الا بالله ولما كان السبب الحامل على الغضب والانتقام لايخلو من امرين احدهما فوات نفع كان فى الماضى والآخر توقع ضرر يكون فى المستقبل نهى عن الالتفات الى السبب الاوّل بقوله ولاتحزن عليهم اى على الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم لعذاب الدائم او على المؤمنين وعن الالتفات

(ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى
الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو
الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
(والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة
والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة
الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
(وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى
احسن) بالطريقة التى هى احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر
والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع
فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم (ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)
اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول
الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك
بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى
لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به)
لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه
والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لاتنفك عنه
من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك
الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم
عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة
والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن
اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص
ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوزه وحث
على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا
على الوجه الآكد بقوله (ولئن صبرتم لهو)
اى لاصبر (خير للصابرين) من الانتقام
للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله
ووثوقه عليه فقال (واصبر وما صبرك
الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولاتحزن عليهم)
على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم
(ولاتك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق
صدر من مكرهم

وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصي (والذين هم محسنون) في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

﴿سورة بني اسرائيل مكية وقيل﴾
﴿الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك﴾
﴿الى آخر ثمان آيات وهي مائة﴾
﴿وعشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذي اسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره • سبحان من علقمة الفاخر • وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه •

الى السبب الثاني بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون اي اثبت على دعوتك ودع ما يصيبك منهم من الاذى ﴿قوله وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر﴾ اي بكسر الصاد والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل المفتوح مخفف من ضيق المشدد كميت في ميت اي في امر ضيق امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يدعو الخلق الى سبيل رب العالمين باحد الطرق الثلاثة كل طائفة بما يليق بها من طرق الدعوة ثم قال ان اذنت الدعوة المذكورة الى مناصبة المبطلين لا تزيدوا في الانتقام على قدر اعتدائهم ورمز في هذه المرتبة الى ان ترك الانتقام هو الاولى ثم عدل من الرمز الى التصريح حيث قال واصبر ثم ترقى في المرتبة الرابعة الى التهديد على استيفاء الزيادة فقال ان الله مع الذين اتقوا من المعاصي بالصبر على اذى السفهاء وترك اصل الانتقام منهم ومن تأمل هذه الآية الكريمة وترتيبها عرف ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون على هذا الوجه وان القرآن العظيم بحر لا ساحل له قيل لبعض الصحابة عند قرب وفاته اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل • والحمد لله على جزيل آلائه تم في اوائل جمادى الاولى من شهور سنة خمسين وتسعمائة

﴿سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله وقد يستعمل علما﴾ يعني ان اكثر استعماله على انه اسم مضاف غير علم لان الاعلام لا تضاف الا ان يقع فيها الاشتراك اتفاقا وان استعماله علما شاذ نادر فحينئذ يمنع من الصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين في آخره كعثمان والدليل على ان سبحان علم للتسبيح قول الشاعر

* قد قلت لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر *

فانه لولا انه علم لوجب صرفه لان الالف والنون في غير الصفات انما تمنع مع العلمية والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبت منه ﴿قوله سبحان من علقمة الفاخر﴾ معناه تعجبت منه اذ يفخر واصل السبح السير السريع في الماء او في الهواء يقال سبح سبحا وسباحة واستعير لمر النجوم في الفلك كل في فلك يسبحون ولجري الفرس والسابحات سبحا ولسرعة الذهاب في العمل وان لك في النهار سبحا طويلا والتسبيح تنزيه الله واصله المر السريع في عبادة الله وسبحان الله معناه التنزيه نصب على المصدر كانه قال ابرئ الله من السوء براءة وهو في الآية على معنى الامر اي نزهوا الله وبرئوه من قول المشركين ومن العجز عما اراده ومن جملته اسراء عبده في بعض من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى ما شاء الله ﴿قوله واسرى وسرى بمعنى﴾ يقال سريت سرى ومسرى واسريت بمعنى سرت ليلا والذي بالالف لغة اهل الحجاز والفعل على المعنيين لازم وعدي في الآية بالباء في بعبده • ولما ورد ان يقال الاسراء لا يكون الا بالليل فما الفائدة في قوله ليلا • اجاب عنه بقوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء يعني ان اسم الجنس اذا استعمل منكرا يكون تنكيره اما لبيان شخصه او نوعه فيكون المعنى اسرى بعبده ليلا واحدا من الليالي او نوعا واحدا من انواعها دفعا لتوهم ان يكون الاسراء في ليالي متعددة كما في قوله سيروا فيها ليالي اي اي ليل دنا فيه المحب الى المحبوب وفاز في مقام الشهود بالمطلوب واما التكثير او التقليل فكان ليلا المنكر بمنزلة اللفظ المشترك الذي لا يتبين المراد منه الا بالقرينة المعينة للمراد وتصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب البليغ قرينة دالة على ان الوارد بعدها امر خارق للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها الا الله عز وجل فلما قيل بعدها ليلا تبين بتلك القرينة ان المراد منه بعض الليل فان التبعيض قريب من التقليل فكانه قيل اسرى بعبده في بعض ليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة اربعين ليلة فتعين بهذه القرينة ان المراد تقليل مدة الاسراء والدلالة على ان الاسراء وقع في بعض الليل ﴿قوله ليطابق المبدأ المنتهى﴾ علة لكون المراد ان المسجد الحرام المحيط به على طريق تسمية احد المتلابسين باسم الآخر فانهم اتفقوا على ان المراد بقوله الى المسجد الاقصى بيت المقدس وكلمة الى فيه لانتهاء الغاية وسمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن خلفه مسجد فيكون ابعد المساجد من مكة فمدلول قوله الى المسجد الاقصى انه وصل الى ذلك المسجد فاما كونه دخل ذلك المسجد ام لا فليس في اللفظ دلالة عليه فلما كان المراد بالمنتهى الحد الملتبس بالمسجد الاقصى كان المناسب ان يكون المراد بالمبدأ ايضا الحد الملتبس بالمسجد الحرام ليطابق المبدأ المنتهى ﴿قوله واستنعته﴾ اي طلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يبين لهم نعت بيت المقدس والمسجد الاقصى فجلي اي ظهر له في الحال فطفق ينظر اليه وينعته لهم ﴿قوله ولذلك تعجب قريش واستحالوه﴾ بناء على ان ارتفاع الجسد من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى ما فوق العرش

في مقدار ثلث الليل بما لا يقبله العقل * قال الامام ويما يدل على جوازه عقلا انه ثبت في الهندسة ان قرص الشمس يساوي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم انا نشاهد ان طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل على ان بلوغ الحركة في السرعة الى الحد المذكور امر ممكن في نفسه غاية ما في الباب انه يبقى التعجب الا ان مثل هذا التعجب لا يختص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع المعجزات فمجرد التعجب لا يستلزم الانكار والبطلان وايضا كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج متفرع على تسليم جواز اصل النبوة فثبت ان القائلين بامتناع حصول حركة جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة والسلام في لحظة واحدة من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكر ايضا باطلا * فان قالوا نحن لا نقول ان جبريل عليه السلام جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول جبريل عليه الصلاة والسلام هو زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في ذات جبريل عليه الصلاة والسلام * قلنا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المسلمين فهم يقرون بان جبريل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا وهذا تقرير ما ذهب اليه الاكثرون من طوائف المسلمين وذهب الاقلون الى انه عليه الصلاة والسلام ما اسري الا بروحه روي عن حذيفة انه كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكي هذا القول عن عائشة رضي الله عنها وعن معاوية والذي ذهب اليه اهل التحقيق انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى واختلف العلماء في ان الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة او كل واحد في ليلة فمنهم من زعم ان الاسراء وقع في اليقظة والمعراج في النوم وذهب آخرون الى ان الاسراء وقع مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وجسده يقظة وذهب آخرون الى تعدد الاسراء في اليقظة وقال انها اربع اسراءات لتعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيأ لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيأ ذكره الآخر وهذا لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحدث بعض الخبر لعلمه به ونسيانه البعض الآخر او يذكر ما هو الاهم عنده او يبسط تارة فيسوق الحديث كله وتارة يحدث المخاطب بما هو الانفع له ﴿ قوله وصرف الكلام من الغيبة ﴾ يعني ان الجمهور قرأوا لنريه بنون العظمة على اسلوب قوله باركنا فيحصل التفات من الغيبة في قوله اسرى بعبده الى التكلم في باركنا وفي لنريه ثم التفت من التكلم الى الغيبة في قوله انه هو السميع فهي في الكلام التفاتان وقرئ ليريه بياء الغيبة وعلى هذه القراءة يكون في الآية اربع التفاتات لانه التفت اولا من الغيبة في قوله الذي اسرى بعبده الى التكلم وقوله وآتينا موسى الكتاب معطوف على الجملة السابقة الدالة على تنزيه الله تعالى على طريق عطف الجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بانه اسرى به وذكر في هذه الآية انه اكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بايتاء الكتاب والضمير المنصوب في جعلناه يجوز ان يكون للكتاب وهو الظاهر وان يكون لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله على اي لا تتخذوا ﴾ اي على ان يكون ان فيه مفسرة ولا ناهية على طريقة قولك كتبت اليه ان افعل كذا فان ان فيه مفسرة للمفعول المقدر لفظ كتبت اي كتبت اليه شيأ هو افعل كذا فكلمة ان حرف دال على ان افعل كذا مفسر به المقدر لكتبت الدال على معنى القول والمؤدي معناه فكذا ان التي في الآية مفسرة بمعنى اي فسر ما تضمنه الكتاب من التكاليف بان نهى بني اسرائيل عن ان يتخذوا من دونه تعالى وكيلا اي ربا يكلون اليه امورهم في معنى تكليفهم بان يعبدوا بامتثال جميع ما كلفهم الله تعالى من الاوامر والنواهي ولا يلتفتوا الى ما تدعو اليه نفوسهم وطباعهم ورؤساؤهم الضالون وقرأ ابو عمرو ان لا يتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبني اسرائيل والباقون ان لا تتخذوا بتاء الخطاب التفاتا وحكم ان في قراءة ابي عمرو مصدرية ناصبة للفعل بعدها على حذف الخافض اي لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا يكلون اليه امورهم ﴿ قوله او النداء ﴾ فالمعنى لا تتخذوا

من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة وهم مؤمنوا قومه وبنو اسرائيل من نسل سام بن نوح وبنى
انتصابه على النداء على قراءة ان لا تتخذوا بتاء الخطاب لان النداء انما يكون للحاضر لا للغائب عنهم فلا وجه
لانتصابه على النداء على قراءة ان لا يتخذوا بياء الغيبة كما لا وجه لكونها مصدرية على قراءة الخطاب
لان بني اسرائيل غائبون ويحتمل ان يكون انتصاب ذرية على انه مفعول اول لتتخذوا وقوله وكيلا ثانيهما
قدم على الاول وهو وان كان مفرد اللفظ الا انه في معنى الجمع والمعنى لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلا كقوله
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم الصلاة والسلام
﴿قوله او بدل من واو تتخذوا﴾ قال ابو البقاء هذا على القراءة بالياء لانهم غائبون يعني قوله ذرية لكونه اسما
ظاهرا منزلا منزلة الغائب لا يصح ابدالها من ضمير المخاطب قال ابن الحاجب في الكافية ولا يبدل ظاهر من مضمر
بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيدا فان الابدال انما يكون لتبيين الذات المرادة وتوضيحها يكون البدل
اوضح تعريفا وابين دلالة عليها وضمير المتكلم والمخاطب لتعين مدلولهما حسا ابين واوضح من الاسم الظاهر
لان مدلوله انما تعين بحسب العقل فقط فلو ابدل الظاهر من ضمير المتكلم والمخاطب لكان المقصود بالنسبة
اقل تعيينا ودلالة على الذات المرادة من غير المقصود وذا لا يجوز فلهذا جاز ضربته زيدا ولم يجز مررت بي المسكين زيد
ولا عليك الكريم المعول ﴿قوله وفيه ايماء﴾ اشارة الى وجه ارتباط قوله انه كان عبدا شكورا بما قبله يعني
انه استئناف لبيان علة ما ذكر قبله وحث الذرية على الاقتداء به ﴿قوله واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا﴾
اشارة الى ان القضاء اتمام الشيء على وجه البت والاحكام وضمن ههنا معنى الايحاء لاقترانه بكلمة الى لما ذكر الله
تعالى انعامه على بني اسرائيل بانزال التوراة وانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا
في الفساد فقال وقضينا الى بني اسرائيل اي اعلمناهم واخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ومفعول
لتفسدن محذوف اي لتفسدن ما كلفتم بارتكاب المعاصي ومخالفة احكام التوراة ويجوز ان لا يقدر له مفعول
اي لتوقعن الفساد ﴿قوله مرتين افسادتين﴾ اشارة الى ان مرتين منصوب على المصدرية وكذا علوا لانه مصدر
علا يعلو ﴿قوله وقتل شعياء﴾ قد كان عادة الله تعالى انه اذا ملك الملك على بني اسرائيل بعث معه نبيا يسدده
ويرشده ولا ينزل عليهم الكتب وانما يؤمرون باتباع الاحكام التي في التوراة فملك الله تعالى منهم ملكا يدعى صديقة
فبعث معه شعياء وهو الذي بشر ببعثة عيسى ومحمد بعده عليه الصلاة والسلام وعليهم فملك ذلك الملك بني اسرائيل
وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث فبعث الله تعالى سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة
الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فاوحى الله تعالى الى شعياء النبي
ان ائت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعياء
ملك بني اسرائيل فاخبره بما اوحى اليه فقال الملك رضينا بقضاء الله فاستقبل القبلة وصلى ودعا وبكى للانابة
والتسليم وطلب الرحمة في الدنيا وكان عبدا صالحا فاوحى الله تعالى الى شعياء ان تخبر الملك بان ربه قد رحمه
واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنحاريب فاتاه شعياء فاخبره به فخر الملك ساجدا متضرعا
فشكر الله تعالى رحمته واصبح عسكر العدو كلهم موتى الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه احدهم بختنصر
فصرخ رجل على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه
قد هلكوا فخرج الملك وفتشوا اهل بيتهم احدا فلم يوجد سنحاريب في الموتى فخرج في طلبه فوجدوه مع اصحابه
الخمسة في مغارة فجعلوهم في الجوامع ثم اتوا بهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم الملك خر ساجدا من حين طلعت
الشمس الى العصر ثم رفع رأسه فامر امير عسكره ان يقيدهم بالاغلال ويطوف بهم حول بيت المقدس وايلياء
فطاف بهم سبعين يوما متتابعا فاوحى الله تعالى الى شعياء النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنحاريب
ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنحاريب
ومن معه حتى قدموا بابل فلبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بختنصر ابن ابنه ثم قبض الله
تعالى ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني اسرائيل وتنازعوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعياء معهم
لا يقبلون منه شيئا فجمعهم يوما وقام فيهم خطيبا بما امر الله فاحمد الله تعالى خطبة بليغة ووعظهم وامرهم ونهاهم
وحذرهم عقابه تعالى ان اصروا على ما هم عليه فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته

وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل
من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه
تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم
من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام
في السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام
(كان عبدا شكورا) يحمد الله تعالى على
مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحث الذرية على الاقتداء به
وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام
(وقضينا الى بني اسرائيل) واوحينا اليهم
وحيا مقضيا مبتوتا (في الكتاب)
في التوراة (لتفسدن في الارض) جواب
قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء
المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين
اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء
وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل
عيسى عليهم السلام (ولتعلن علوا كبيرا)
ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن
الناس

(شجرة)

شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله تعالى على بنى اسرآئيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية ابن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون عليه الصلاة والسلام وذكروا انه الخضر واسمه ارميا وسمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضراء فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدده ويرشده فعظمت الاحداث فى بنى اسرآئيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ائت قومك من بنى اسرآئيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتى وعرفهم احداثهم فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لاقيض لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارميا انى مهلك بنى اسرآئيل بملك اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فقتل علماءهم وحرق التوراة وخرب المسجد والقى فيه الجيف وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم لما اراد الله هلاك بخت نصر انبعث فقال لمن بين يديه من بنى اسرآئيل ارأيتم هذا البيت الذى خربت والناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وقد كان ربهم ورب الخلق اجمعين يكرمهم ويعزهم فلما عصوا ما عصوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرآئيل قال فاخبرونى كيف لى ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فانى قد فرغت من فى الارض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن او لاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوطأ رأسه على ام دماغه فلما مات شق رأسه فوجد البعوضة عاضة فى ام دماغه ليرى الله تعالى العباد قدرته ونجى الله تعالى من فى يديه من بنى اسرآئيل وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع الى الشام يبكى عليها ليله ونهاره وقد خرج من الناس وهو كذلك اذ اقبل اليه رجل وقال يا عزير ما يبكيك قال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين اظهرنا الذى لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال افتحب ان يرد اليك مذاك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم عد الى المكان الذى وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرآئيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حتى لم يحبوا حبه شيأ قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرآئيل بعد ذلك يحدثون الاحداث وكل بعث الله تعالى فيهم الرسل كانوا فريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من انبيائه زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتلوا زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم اختلفوا فى العباد الذين بعثهم الله على بنى اسرآئيل حتى تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وسفكوا الدماء الذى هو اول الفسادين من هم فقيل بخت نصر وجنوده وقيل هم جالوت وجنوده سلطه الله تعالى عليهم حتى اهلكهم وقهرهم الى ان رد الله الكرة عليهم بتقوية طالوت حين محاربة جالوت فلما التقى العسكران تقدم جالوت وطلب من يقاتله فقتل داود وقيل سنحاريب فقال الامام لا يتعلق كثير غرض فى معرفة الاقوام باعيانهم بل المقصود من هذه الآيات بيان ان بنى اسرآئيل افسدوا فى الارض بكثرة المعاصى فسلط الله عليهم قوما قهروهم بالقتل والسبى وتخريب الديار ثم رد الله اليهم الدولة وامدهم باموال وبنين ثم افسدوا مرة ثانية فرجع الله اليهم بالقهر وان عادوا الى الافساد عاد الله اليهم بالقهر والتعذيب

﴿ قوله فجاسوا ﴾ الجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس يجوس اى فتش وطلب الشئ باستقصاء كما يجوس الرجل الاخبار ويطلبها والخلال هو الانفراج بين الشيئين والديار بيت المقدس ثم انه تعالى لما بين ان افسادهم الاول استمر الى ان بعث الله اليهم قوما اولى بأس شديد فقهروهم بالقتل والاسر ونحوهما بين على طريق الاستئناف ان ضرر افسادهم وعصيانهم لا يتعدى الى غيرهم بقوله ان احسنتم فان حقيقة الحال انكم ان احسنتم واطعتم الله تعالى فنفعة ذلك الاحسان لا ترجع الا اليكم وان اسأتم فمضرتها لا تتعدى عنكم الى غيركم روى عن على رضى الله عنه انه

(فاذا جاء وعد اولاهما) وعد عقاب اولاهم
(بعثنا عليكم عبادا لنا) بخت نصر عامل
لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت
الخزرى وقيل سنحاريب من اهل نينوى
(اولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش
فى الحرب شديد (فجاسوا) ترددوا لطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان (خلال الديار
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبو
صغارهم وحرقوا التوراة وخربو
المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر
على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المن
(وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم
لابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) اى
الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثو
عليكم وذلك بان ألقى الله فى قلب بهمن ب
اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف
بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى
الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على
من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط
داود على جالوت فقتله (وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع
نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو
(ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لان ثواب
لها (وان اسأتم فلها) فان وبالها عليه
واتى ذكرها باللام ازدواجا

(فاذا جاء وعد الآخرة) وعد عقوبة المرة الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) اي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم اي ليجعلوها بادية

آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله (وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو بعثناهم (كما دخلوه اول مرة وليتبروا) ليهلكوا (ما علوا) ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم (تتبيرا) وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرة الاخرى (وان عدتم) مرة اخرى (عدنا) مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) عطفا على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر

قال ما حسنت الى احد ولا اسأت اليه ﴿قوله فحذف لدلالة ذكره اولا﴾ اي حذف جواب اذا وهو قوله بعثناكم لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله بعثنا عليكم عبادا لنا وكما حذف موصوف الآخرة فان التقدير وعد المرة الآخرة العزيزة ﴿قوله اي ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها﴾ يعني ان المساءة وهي الحزن من الاعراض النفسانية القلبية ولا تتعلق بالوجوه الا انها عديت الى الوجوه لكون آثارها بادية فيها فانه اذا حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة والاشراق في الوجه وان حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه وذلك ان الانسان اذا قوي فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فاستبشر وجهه واذا قوي غمه يختنق الروح في داخل قلبه فلا يسري اثره الى الوجه فلا جرم يظهر فيه اثر الارضية والغبرة فساءة الوجه كناية عن الم اشديد فلهذا عديت المساءة الى الوجه في هذه الآية ﴿قوله وقرئ لنسوءن﴾ على الاوجه الاربعة بنون العظمة وبنون التأكيد الخفيفة والمثقلة وبياء الغيبة ونون التأكيد واللام مكسورة في الجميع على انها لام الامر والجملة جواب اذا على انها لام كي لان نون التأكيد لا تدخل على المضارع الا اذا كان فيه معنى الطلب والتمني والاستفهام والعرض ولكن على حذف الفاء اي فليسوءن لما تقرر في النحو من ان الجزاء اذا لم يكن ماضيا بغير قد لفظا او معنى ولم يكن المضارع مثبتا ولا منفيا بلا وجب دخول الفاء في الجزاء سواء كان جملة اسمية كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون او امرا كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني او نهيا كقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار او غير ذلك وقرئ ليسوءن على الاوجه الاربعة بفتح اللام على انها لام القسم وهو جواب القسم المقدر لفظا وجواب الشرط معنى فلا حاجة الى تقدير جواب ولا يجوز حينئذ ان يكون قوله وليدخلوا المسجد معطوفا على ليسوؤا بل يتعلق بمحذوف معطوف عليه تقديره وبعثناهم ليدخلوا واما اي بالواو ليعلم انه معطوف على جواب الشرط والعجب ممن جعل اللام الاولى لام كي جعل اللام التي في قوله وليدخلوا ايضا لام كي معطوفة عليها عطف علة على اخرى ومن جعلها لام امر او لام قسم جعل اللام في ليدخلوا لام التعليل متعلقة بمحذوف وان جعلت الاولى لام امر يجوز ان تكون الثانية ايضا كذلك وقوله كما دخلوه صفة مصدر محذوف ﴿قوله ما علوه﴾ على ان تكون ما موصولة منصوبة المحل على انها مفعول به اي ليهلكوا الذي علوا وغلبوا عليه وظفروا به وقوله او مدة علوهم على ان تكون ما مصدرية قائمة مقام الوقت كما في قولك آتيك خفوق النجم اي زمان خفوقه فيكون عدم ذكر المفعول اما لقصد التعميم او لتنزيل الفعل منزلة اللازم نحو هو يعطي ويمنع وقوله تتبيرا مصدر مؤكد كما في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما اي حقا لا شك فيه ﴿قوله وذلك بان سلط الله﴾ يعني بعث العباد اولي البأس الشديد عند افسادهم مرة ثانية بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام وقع بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم فدلت قوله تعالى ليسوؤا وجوهكم الآية وقوله عسى ربكم من جملة ما قصه الله تعالى الى بني اسرائيل في التوراة والمعنى لعل ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم مرة ثانية ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم انهم قد عادوا بتكذيب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان ابدا ﴿قوله محبسا لا يقدرون على الخروج منه ابد الآباد﴾ جواب عما يقال ان قوله حصيرا فعيل بمعنى فاعل وقد اجري على جهنم وهي مؤنث سماعي فينبغي ان يقال حصيرة بالتاء لما تقرر من ان فعيلا بمعنى فاعل يلزم تأنيثه وبمعنى مفعول يجب تذكيره وما جاء شاذا من النوعين بحسب تأويله * وتقرير الجواب ان جهنم مؤول بالمحبس والمحبس وقيل انه في معنى الفراش والبساط ويجوز ان يقال تأنيث جهنم مجازي فلذلك ذكر صفته ثم انه تعالى لما شرح معاملته مع عباده المخلصين وهو اسراء سيد المرسلين وايتاء التوراة لموسى عليهما الصلاة والسلام وبين ما فعله في حق العصاة بتسليط من يعذبهم عليهم ونبه به ان طاعة الله تعالى توجب كل خير ومعصيته توجب كل بلية وقهر لا جرم اثنى على القرآن فقال ان هذا القرآن يهدي الآية ﴿قوله للتي﴾ صفة لموصوف اي للطريقة التي هي اقوم الطرق وعدل الى الحذف مع ان الذكر هو الاصل ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يهدي اليه القرآن من وجوه الخير فان ابهام الموصوف وعدم تعيينه بنحو الملة او الطريقة او الحالة او الخصلة يؤدي الى ان ينتقل الذهن اليها والى ما يشاكلها فكأنه قيل يهدي لما لا يدخل تحت

الوصف والحصر بخلاف مالو ذكر واحد من الامور المذكورة فان ذلك يتعين حينئذ وحقيقة اقوم هنا الزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر لان ماهدى اليه القرآن من الملل والشرائع لايشاركه سائر الاديان والملل فى اصل الاستقامة حتى يقال حصولها فى هذه الملة اكثر واكمل من حصولها فى غيرها وصف الله تعالى القرآن بثلاثة اوصاف اوّلها انه يهدى للتى هى اقوم وثانيها انه يبشر المؤمنين الذين اهتدوا لما هدى اليه القرآن من الطرق بالاجر الكبير لان من سلك اقوم الطرق لابدّ ان يفوز باعز المقاصد ولما كان الاجر الكبير مبشرا به وجب ان يكون تقدير قوله تعالى ان لهم اجرا كبيرا بان لهم وحذف حرف الجرّ من ان وان كثير شائع والصفة الثالثة قوله تعالى وان الذين لايؤمنون فانه ان كان معطوفا على قوله ان لهم اجرا كان المعنى ويبشر المؤمنين بان لاعدائهم عذابا اليما وان كان معطوفا على يبشر باضمار يخبر يكون المعنى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين بكذا ويخبر بان الذين لايؤمنون كذا فان قيل هذه الآية فى شرح احوال اليهود وهم ماكانوا ينكرون الايمان بالآخرة فكيف يليق بهذا الوصف قوله وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما فاجيب عنه بوجهين احدهما ان اكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانى والثانى انهم يؤمنون بالآخرة على خلاف ماهى عليه كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات فكان هذا القول ليس ايمانا بحقيقة الآخرة ثم انه تعالى لما بين شأن القرآن وكونه مدارا لمنافع الدارين بين ان الانسان قد يعدل عن التمسك بشرائعه والرجوع الى بابه ويقدم على مالا فائدة له فيه فقال ويدع الانسان بالشر والباء فى الموضعين متعلقة بالدعاء اى يدعو الله عند غضبه بما يعلم انه شرّ او بما يحسب انه خير وهو شرّ له مثل دعائه بما هو خير فى نفسه وفى محله والقياس ان تثبت واو يدعو لانه فى موضع الرفع الا انه لما وجب سقوطها لفظا لاجتماع الساكنين استغنت فى الخط ايضا على خلاف القياس ونظيره سندع الزبانية وسوف يؤت الله المؤمنين ﴿قوله صبرا﴾ اى مصبورا يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل ﴿قوله تدلان على القادر الحكيم﴾ لما قال يهدى للتى هى اقوم وكان اقوم الاحوال المتعلقة بالاعتقاد الاعتقاد بان هذا العالم لابدّ له من صانع قادر حكيم ذكر مايكون هاديا ودليلا يؤدّى الى هذا الاعتقاد ﴿قوله مبصرة﴾ لما كان الابصار عبارة عن ادراك الشئ بحاسة البصر وذلك لايتصوّر فى النهار جعل الابصار مجازا عن الاضاءة على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب من حيث ان الاضاءة سبب لحصول الابصار ويجوز ان يكون بناء ابصر لتعدية بصر يقال بصرت بالشئ اذا علمته قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به فلا يكون ابصرت الشئ بمعنى رأيته بل بمعنى بصرت به وعرفته فيكون اسناد الابصار الى النهار من قبيل اسناد الحكم الى سببه ﴿قوله اومبصرا اهله﴾ على ان يكون تركيبا يبصر الرجل لاسناد الفعل الى فاعله والمراد اسناده الى من يلابس ذلك الفاعل كما يقال اضعف الرجل اذا ضعفت ماشيته واجبن الرجل اذا كان اهله جبناء فقولك ابصر النهار معناه ابصر اهله وهذا على تقدير ان يكون المعنى وجعلنا نفس الليل والنهار آيتين وقيل ليس المراد بالآيتين نفس الليل والنهار بل مافيهما من النيرين الشمس والقمر على حذف المضاف اما من الاوّل فالتقدير وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين واما من الثانى فالتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين فعلى هذا لاتكون اضافة آية الليل وآية النهار بيانية بل تكون بمعنى اللام وقوله تعالى وكل شئ فصلناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية وكذلك وكل انسان ألزمناه وذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيد الكلام وتحقيقه كانه قيل فصلناه حقا واليه اشار المصنف بقوله بيانا غير ملتبس لما بين الله تعالى من اوّل السورة الى هنا ان سعادة الانسان دائرة على طاعة الرحمن وشقاوته منوطة بالعصيان وبين ايضا علوّ شأن القرآن وانحطاط شأن الانسان وان من جملة مافى القرآن من البيان بيان ان الليل والنهار آيتان اتبعه بقوله وكل شئ فصلناه تفصيلا ثم صرّح بان من جملة مابينه الله تعالى ان كل ماقدّره الله تعالى على الانسان وحكم به عليه فى سابق علمه لازم له يجب حصوله له ويمتنع زواله عنه فقال وكل انسان الزمناه طائره اى عمله وسائر ماقدّر له من السعادة والشقاوة والرزق والمصائب وكونه طويل العمر او قصيره سليم الاعضاء او معيبها ونحو ذلك ﴿قوله كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر﴾ اشارة الى ان الطائر مستعار لتعذر حمله على الحقيقة لان المقدّر لايطير حقيقة فى وصوله الى الانسان من المقرّ الاصلى فكما ان الطائر الحقيقى يأتى الى كل مايأتى اليه منتقلا من عشه ووكره فكذلك الحوادث تنتهى الى الانسان بعد ثبوتها فى علم الله تعالى وعالم الغيب ووكر الطائر ماكان من شجر او جبل

(ويدع الانسان بالشرّ) ويدعو الله تعالى عند
غضبه بالشرّ على نفسه واهله وماله
او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شرّ (دعاءه
بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان
عجولا) يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر
عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه
لما انتهى الروح الى سرّته ذهب لينهض
فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى
سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت
اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم
ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له
فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول
النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية
فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
(وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على
القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد
بامكان غيره (فمحونا آية الليل) اى الآية
التى هى الليل بالاشراق والاضاءة فيها
للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنا
آية النهار مبصرة) مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله
كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء
وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام
وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين او جعلنا
الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل
التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة
النور او نقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق
وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة
جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها
(لتبتغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا فى بياض
النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى
استبانة اعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما او
بحركتهما (عدد السنين والحساب) وجنس
الحساب (وكل شئ) تفتقرون اليه فى امر
الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه
بيانا غير ملتبس (وكل انسان ألزمناه طائره)
عمله وماقدّر له كانه طير اليه من عش الغيب
ووكر القدر

وعش الطائر موضعه الذي يجمعه من دقاق العيدان وغيرها في اغصان الشجر فاذا كان في جبل او جدار او نحوهما فهو وكر والاضافة في قوله عش الغيب ووكر القدر بيانية والقضاء هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها استعير العش و الوكر لعالم الغيب والتقدير الازلي ﴿ قوله لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون ﴾ اى لما جعلوا الطائر سبب الخير والشر واسندوهما اليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سببا لهما وهو قدر الله وقسمته وعمل العبد فكانا سببي الخير والشر وسنوح الطائر عبارة عن مروره من مياسر الانسان الى ميامنه وبروحه عبارة عن ضد ذلك كانوا يتيمنون بالاول ويتشاءمون بالثاني شبه المصنف مقدرات من حيث كونها سبب الخير والشر المكتسب والتقدير الازلي بالطائر على زعم العرب وجعل هذا التشبيه طريقا لاطلاق اسم الطائر عليهما بعدما نبه الى تحقق المشابهة بين الاعمال والطائر من وجه آخر وهو المجيء من المقر الاصلي ﴿ لزوم الطوق في عنقه ﴾ الظاهر ان ليس المراد تقدير متعلق قوله في عنقه لان اللزوم والالزام لا يتعديان بكلمة في بل المقصود الايماء الى ان قوله في عنقه جيء به بعد تمام الكلام بقوله الزمناه طائره للدلالة على كمال الالزام بحيث لا سبيل الى ان ينفك عنه ما قدر له من الخير والشر اصلا فانه اذا قصدت المبالغة في الزام الشيء لاحد يقال جعلت هذا الشيء في عنقك اى قلدتك اياه والزمتك حفظه لان من عظمت رغبته في حفظ الشيء يربطه على عنقه ويجعله في موضع القلادة قال اهل المعاني انما خص العنق من بين سائر الاعضاء بكونه محل الالزام لان ما علق عليه يكون الزم للشخص لان الذي عليه اما خير يزينه او شر يشينه وما يزين يكون كالطوق والحلي وما يشين يكون كالغل وكل واحد منهما مما يلازم صاحبه وانا اقول كان الظاهر ان يقال الزمناه عنقه بالنصب على انه بدل من مفعول الزمناه الا انه جيء بكلمة في للدلالة على كمال الالزام حتى كان الطائر شيء حال في عنقه لا امر معلق عليه ﴿ قوله ونصبه ﴾ اى ونصب كتابا يحتمل ان يكون على انه حال من معمول به اى نخرج بنون العظمة مضارع اخرج ويحتمل ان يكون على انه حال من المفعول المحذوف والتقدير ونخرجه له كتابا اى نخرج الطائر ويعضده قراءة ويخرج بضم الياء وفتح الراء اى يخرج الطائر كتابا قال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة فعلى هذا قوله تعالى ونخرج له يوم القيامة معناه نخرج من قبره ﴿ قوله من لقيته كذا ﴾ وهو منقول بتضعيف العين من لقيت الشيء فيتعدى الى اثنين قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ﴿ قوله اى كفى نفسك ﴾ على هذا ينبغي ان يؤنث الفعل لتأنيث فاعله كما في قوله وما تأتيهم من آية الا انه ذكر لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وفي مثله يجوز الامران وقوله لكشف الغطاء هذا على ان يكون المراد بالكتاب المخرج له يوم القيامة صحيفة منقشة بنقوش اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان او قليلا قويا كان او ضعيفا فانه يحصل بسببه في جوهر النفس الانسانية اثر مخصوص فان كان ذلك الاثر اثرا يجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة والخذلان وان كان يجذبه الى التبتل والانقطاع اليه تعالى كان موجب السعادة ولا يظهر الآن تلك الآثار تخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وظهورها واذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن وتخلص عن كونه محجوبا بحجاب البدن فحينئذ زال الغطاء وانكشف الحجاب فيخرج من عمق البدن المظلم حال كونه كتابا منقشا بالاعمال الصادرة في الدنيا ويكون هذا الكتاب في هذا الوقت كانه منشور بعد ان كان مطويا مستورا في ظلمة البدن وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع تلك الآثار مكتوبة بالكتابة الذاتية في جوهر الروح فيقال له في تلك الحالة اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان كانت تلك الآثار من موجبات الشقاوة حصلت الشقوة لا محالة واعلم انه تعالى جعل كل ما يصدر من العبد باختياره من قول وعمل ولحظة وفكرة ونحو ذلك مما تتعلق به الارادة الازلية والعناية الالهية كالطير الذي يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل احد في الازل مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذي سبق في علمه الازلي لا بد وان يصل اليه وهو ذلك الطائر فعند ذلك عرف ان الكتابة لا بد منها الا بالعناية الازلية والارادة السابقة ثم ان كل طائر وصل اليه من عالم الغيب محفوظ في صحيفة عمله ومنقش منه آثار جوهر روحه يلقى اليه ذلك الكتاب منشورا ويجري على حسب ما في كتابه ثم انه تعالى بين ان ثواب العمل

لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد (في عنقه) لزوم الطوق في عنقه (ونخرج له يوم القيمة كتابا) هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرئ ويخرج اى الله تعالى (يلقاه منشورا) لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على ارادة القول (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص

الصالح وعقاب العمل السيء يختص بعامله لايتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم قرر ذلك بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج وزر يزر وزرا فهو وازر ومعناه اثم يأثم روى عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اكفروا بى وانا احمل اوزاركم فقال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم انه تعالى لما بين انه لايعذب احدا بما يعلم منه من اختياره المعاصى واتباعه الشهوات ما لم يعمل به اى لايعمل عليه حجة على من علم منه انه اذا امره عصاه بل يبعث اليه رسولا يعلمه الشرآئع فاذا خالف ما امر به من الطاعة وظهر عصيانه للناس فحينئذ يعذبه لانه تعالى الزم عليهم الحجة ببعثة الرسل ولم يبق للناس على الله حجة بعد بعثتهم قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى حيث قال ههنا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يلزمهم الحجة بين طريق تعذيبه من قضى عليه الشقاوة فى الازل وعلم منه اختيار الضلالة فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اى قضى الله تعالى باهلاكها لعلمه بان اهلها يختارون الضلالة على الهدى فان الحوادث كلها مسبوقة بقضاء الله تعالى وقدره والقضاء عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر عبارة عن تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها لا بحسب القضاء السابق امرنا مترفيها اى عظماءها الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش بطاعة الرسول الذى بعث اليهم حتى اذا عصوه عنادا ومكابرة فعند ذلك يهلكون ولا يهلكون بمجرد علمنا بانهم لايقدمون الا على المعصية ولا يختارون الا متابعة الهوى والشهوة فمعنى الآية اذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم امرنا متنعميهم المغترين الطاغين ان اموالهم واولادهم وانصارهم تدفع عنهم بأسنا بالايمان والعمل بشرآئع دينى على ما يبلغهم عنى رسولى ففسقوا اى خرجوا عما امرهم الله تعالى فاستحقوا العذاب فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم فحينئذ ندمرها والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لايقدمون الا على المعصية لم نكتف فى تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل امرنا مترفيها ففسقوا واذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع العذاب الموعود به وهذا كالتقرير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا وقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها غافلون فلا يحكم الله تعالى فى هذه الآيات انه لايهلك قرية حتى يخالفوا امر الله لاجرم ذكر ههنا انه يأمرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك استوجبوا العذاب والاهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا اى اهلكناها هلاك الاستئصال والدمار هلاك الاستئصال فقول المصنف لاتحاد قضائنا السابق اشارة الى دفع ما يقال انه تعالى كيف يريد اهلاك قوم ابتداء اى من غير ان يسبق منهم ما يستحقون الاهلاك بسببه مع انه تعالى قال ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ثم اشار الى دفعه بوجه آخر وهو ان المراد اذا دنا وقت هلاكها فشبه الدنو بالدنو وقت الشيء بارادته فى كونه كالسبب المؤدى اليه كما يقال اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان يموت حقيقة والتاجر يريد ان يفتقر حقيقة بل الارادة مجاز عن دنو الوقت لكونه كالارادة فى التأدى الى الموت والفقر فكذلك الحال ههنا ﴿ قوله ويدل على ذلك ماقبله وما بعده ﴾ يعنى انه تعالى قال امرنا مترفيها ولم يصرح بما ذا يأمرهم فاختلف العلماء فى ان المأمور به ماهو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به الطاعة وذهب صاحب الكشاف الى ان المراد به الفسق وان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا وجعل امرهم بالفسق مجازا عن ان يصب عليهم انواع النعمة صبا ويجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فصاروا بذلك كانهم مأمورون بالفسق والافلا وجه لامرهم بالفسق حقيقة بان يقال لهم افسقوا وشدد النكير على من جعل المعنى امرناهم بالطاعة ففسقوا وقال انه تقدير شيء لادليل عليه مع الاعراض عن تقدير ما يدل عليه الدليل فان قوله تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها يدل على ان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا لانه اذا قيل امرته فقام وامرته فقرأ فهم منه ان المأمور به قيام او قرآءة فكذا فيما نحن فيه لايفهم الا ان المأمور به هو الفسق لا امر آخر فتقدير الطاعة تقدير شيء لادليل عليه مع العدول عما يقتضيه الدليل ومنع المصنف كونه تقديرا بلا دليل حيث قال ان ما بعده وما قبله يدل على ان المقدر هو الطاعة اما دلالة ما بعده عليه فلان الفسق هو الخروج عن الطاعة الخ واما دلالة ما قبله عليه فلان الرسول انما يبعث ليطاع و يعمل الشرآئع التى يبلغها

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فا[...]
يضل عليها) لاينجى اهتداؤه غيره ولا يرد[...]
ضلاله سواه (ولا تزر وازرة وزر اخرى[...]
ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخر[...]
بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حت[...]
نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرآ[...]
فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قب[...]
الشرع (واذا اردنا ان نهلك قرية) و[...]
تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضا[...]
السابق اودنا وقته المقدر كقولهم اذا ار[...]
المريض ان يموت ازداد مرضه شدة (امر[...]
مترفيها) متنعميها بالطاعة على لسان رسو[...]
بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله و ما بعد[...]
فان الفسق هو الخروج عن الطاعة و التمر[...]
فى العصيان فيدل على الطاعة من طري[...]
المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيسبحوا ويهم فجا امرهم به فيدل ذلك دلالة ظاهرة على ان المعنى امرنا مترفيها بان يطيعوا الرسول الذي بعث اليهم ﴿قوله او التسبب له﴾ لامعنى لكلمة او مههنا لان الحمل على الفسق لامعنى له سوى التسبب ﴿قوله وقيل معناه كثرنا﴾ قرأ الجمهور امرنا بالتخفيف والقصر وفيه وجهان احدهما انه من الامر الذي هو ضد النهي وقدمر ما يتعلق بهذا الوجه وثانيهما ان امرنا بمعنى كثرنا قال الواحدي العرب تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وآمرهم ايضا بالمد لان امر الثلاثي يستعمل لازما بمعنى كثر ويستعمل ايضا متعديا بمعنى آمر بالمد اى كثر واستعمل في الآية متعديا فيكون مثل واصل بمعنى وهو معنى قول المصنف يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته واستدل على استعمال الثلاثي متعديا بقوله عليه الصلاة والسلام «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة» اى مكثرة كثر الله ولدها فلولا ان الثلاثي متعد لما بنى منه اسم المفعول وقرئ امرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح روى عن ابى عبيدة امره الله وامره بفتح الميم وكسرها وقرئ آمرنا بالمد والهمزة فيه للتعدية «حكى الجوهري عن ابى عبيدة آمرته بالمد وامرته لغتان بمعنى كثرته ومنه الحديث «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة» اى كثيرة النتاج والنسل وامر هو اى كثر فخرج على تقدير قولهم علم فلان ذلك واعلمته اياه قال يعقوب ولم يقله احد غيره قال الحسن امر ماله بالكسر اى كثر وامر القوم اى كثروا وآمر الله ماله بالمد واما قيل مهرة مامورة للازدواج والاصل مؤمرة على مفعلة كما قال عليه الصلاة والسلام لنساء «ارجعن مأزورات غير مأجورات» وانما هو موزورات من الوزر فقيل مأزورات للازدواج بقوله مأجورات وقرئ ايضا امرنا بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان يكون التضعيف للتعدية فعدى الفعل تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين والثاني ان يكون بمعنى جعلناهم امراء في الصحاح امر فلان وامر ايضا بالضم اى صار اميرا والمصدر الامرة بالكسر والامارة والمهر ولد الفرس والجمع امهار ومهار والانثى مهرة والجمع مهر ومهرات وفرس ممهر اى ذات مهر والسكة الطريقة المصطفة من النخل وسكة مأبورة اى ملقحة يقال ابر فلان نخله اى لقحه واصلحه وتأبير النخل تلقيحه ﴿قوله وهو ايضا مجاز من معنى الطلب﴾ اى كما ان امرناهم بالفسق مجاز من الحمل عليه او التسبب له فكذا امرناهم بمعنى كثرناهم ايضا مجاز من قبيل اطلاق مايدل على الطلب وارادة المسبب فانك اذا قلت امر الله المهرة وامر الله المترفين واردت معنى كثرهم فقد استعملت الامر الذي هو ضد النهي في لازم معناه فانه تعالى اذا قال للمهرة كوني كثيرة النتاج او قال للمترفين كونوا كثيري الاعوان والاموال والعدد تكون كثرتهم لازمة له مترتبة عليه لامحالة ﴿قوله بحلوله او بظهور معاصيهم﴾ الاول على ان يكون قوله فحق عليها القول تفريع الحكم على السبب المؤدي اليه والثاني على ان يكون التركيب من قبيل قولك اطعمته فاشبعته وسقيته فارويته فان الاشباع ليس حكما مترتبا على الاطعام وكذا الارواء ليس امرا مغايرا للسقي فان كلمة الفاء في مثلهما لتفسير ماقبلها وتبيينه فيكون تحقق كلمة العذاب السابقة عبارة عن ظهور فسقهم ومعاصيهم الثابتة في العلم الازلي والقضاء السابق وهذا على ان يكون امرنا من الامر الذي هو ضد النهي وان كان بمعنى كثرنا يكون قوله فحق عليها القول بيانا لانهماكهم في المعاصي لان تكثير المترفين وتسليطهم على الضعفاء وتفريع الفسق عليه يستلزم انهماك الجميع في الفسق ثم انه تعالى لما بين طريق اهلاك قوم يستحقون الاهلاك على ظهور معصيتهم الثابتة في العلم الازلي بين ان الاهلاك على الطريق المذكور كان عادته مع الذين فسقوا وتمردوا من القرون الذين كانوا بعد نوح عليه الصلاة والسلام تخويفا لكفار مكة فقال وكم اهلكنا الآية فقوله كم منصوب باهلكنا ومن القرون تمييز لكم ومن في من بعد نوح لابتداء الغاية ولما اختلف معناهما جاز اتحاد متعلقهما والقرن مائة وعشرون سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وقيل ثمانون سنة وقيل اربعون ﴿قوله بذنوب عباده﴾ متعلق بخبيرا قدم على عامله والخبير هو الذي لاتعزب عنه الاخبار الباطنة فلايجرى في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبره وهو بمعنى العليم لكن العلم القديم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرا وصاحبه خبيرا كذا في المقصد الاقصى للغزالي رحمه الله ولما كان متعلق الخبير بواطن الامور ومتعلق البصير ظواهرها قدم الخبير على البصير لكون البواطن مقدمة بالشرف على الظواهر ﴿قوله مقصورا عليها همه﴾ اعتبر قيد به لقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم ومن المعلوم ان من يريد الدنيا

(والآخرة)

(ففسقوا فيها) كقولك امرته فقرأ فانه لايفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور (فحق عليها القول) يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي (فدمرناها تدميرا) اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم (وكم اهلكنا) وكثيرا اهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييز له (من بعد نوح) كعاد وثمود (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه (من كان يريد العاجلة) مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لايجد كل متمن ماتمناه ولا كل واحد جميع مايهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض

والآخرة معا لا يكون حكمه كذلك ومن في من كان شرطية وعجلنا جوابها وما نشاء مفعوله ولمن نريد بدل بعض من كل من ضميرله باعادة العامل تقديره لمن نريد تعجيله له وقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم جعل هنا بمعنى صير ومفعولاه له جهنم لانعقاد الجملة منهما وقيل ثانيهما محذوف اى مصيرا او مأوى ويصلاها اى يدخلها حال امامن الضمير في قوله له واما من جهنم ومذموما حال من فاعل يصلاها ﴿قوله وقيل الآية في المنافقين﴾ فيكون المعنى من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالجهاد والصوم والصلاة وهو معطوف من حيث المعنى على قوله مقصورا عليها همه فانه يتناول المنافق والكافر المجاهر والمراد بالعاجلة الدنيا لانها تكون قبل الآخرة قيل هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره اى ما قدرله وما يصير اليه من خير او شر ولما بين ان ما قدرله من الاعمال يصدر منه ثم بين ان ذلك العمل محفوظ يلقاه مكتوبا يوم القيامة فهو يجازى على حسب عمله وبين ههنا ان العامل في الدنيا قسمان منهم من يريد بعمله الدنيا ويقصر همه عليها فالله تعالى يعجل القدر الذى نشاء تعجيله في الدنيا لا القدر الذى يشاؤه العامل لمن نريد ان نعجل له شيأ فيها الا ان عاقبته جهنم ندخله فيها فيصلى فيها مذموما اى ملوما مدحورا اى منفيا مطرودا من رحمة الله تعالى اشار الله به الى ان عقوبة من قصر همه على الدنيا مضرة مقرونة بالذم الى المضرة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وان تلك المضرة دائمة خالية عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها اشارة الى المضرة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وقوله مدحورا اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله تعالى وذلك يستلزم ان تكون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة لكونها دائمة غير منقطعة بالخلاص والراحة ﴿قوله حقها من السعى﴾ اشارة الى ان قوله سعيها مفعول مطلق مبين للنوع وهذا المعنى مستفاد من اضافة السعى الى ضمير الآخرة وعبدة الاوثان وان كانوا يزعمون انهم انما يعبدون ما يعبدونه لطلب نفع الآخرة ويقولون ان الله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته بل غاية قدرتنا ان نشتغل بعبادة بعض المقربين من عباد الله كالملك والكوكب ونحوهما ثم ان ذلك المقرب يشتغل بعبادة الله تعالى فانهم لا يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق بل هو تقرب بما يخترعون بآرائهم الفاسدة واللام في لها لام العلة اى سعى لاجل الآخرة وهو يدل على ان الساعى انما يثاب على سعيه اذا كان سعيه مقرونا بالنية والاخلاص وحاصل الآية ان القسم الثانى من اصحاب الاعمال يتحقق فيه اربعة امور احدها ان يريد الآخرة اى يريد ثوابها ومنافعها ولا يقصر همه على الدنيا وثانيها ان يسعى سعيا يليق بالآخرة وثالثها ان يكون سعيه مقرونا بالنية والاخلاص لا كمن هاجر الى المدينة لاجل ان يتزوج بام قيس ولا كمن هاجر لاجل ان ينال منفعة الدنيا والآخرة ورابعها ان تكون هذه الامور المذكورة مسبوقة بالايمان الصحيح فعند اجتماع هذه الشرائط يكون السعى مشكورا او العمل مبرورا وشكر العبد عبارة عن ان يعمل جوارحه ولسانه مشغولا بالاعمال الدالة على تعظيم المنعم وكونه معظما عند ذلك الشاكر كما قيل

افادتكم النعماء منى ثلاثة ❊ يدى ولسانى والضمير المحجبا

والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثنى عليهم بكلامه القديم وانه تعالى يعاملهم معاملات دالة على كونهم مطيعين عند الله ولما اتصف الله بهذه الامور الثلاثة بالنسبة الى المؤمن المطيع وصف نفسه تعالى بانه شاكر وجعل المؤمن مشكورا على طاعته من قبل الله تعالى ثم انه تعالى لما بين ان من يريد العاجلة يعجل له فيها القدر الذى شاء الله تعجيله ومن يريد الآخرة يثاب على سعيه وطاعته بين ان كل واحد من الفريقين يعطى ما قسم له من الاموال والاولاد ونحوهما مما يتمتع به في الدنيا على وجه يكون ذلك مددا لسائله ولا يحرم من العاجلة من اراد الآخرة وان كان يحرم من الآخرة من قصر همه على العاجلة فان العطايا الدنيوية لا تمنع عن احد مؤمنا كان او كافرا لان الكل مخلوق في دار التكليف والعمل فوجب ازاحة القدر وازالة العلة عن الكل بايصال متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى تقتضيه الحكمة ثم انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان ينظر ويرى تفاوت اهل الدنيا في متاعها ويعلم ان تفاوت درجات الآخرة ودركاتها وتفاوت اهلها فيها اكثر من تفاوت اسباب الدنيا وتفاوت اهلها فيها فان نسبة التفاوت في درجات منافع الآخرة ودركات مضارها الى التفاوت في امور الدنيا كنسبة نفس الآخرة الى نفس الدنيا ثم انه تعالى لما بين ان سعادة الآخرة منوطة بارادة الآخرة بان يسعى سعيا موافقا لطلب الآخرة وبان يكون مؤمنا شرع في تفصيل هذه الامور

وقرئ مايشاء والضمير فيه لله تعالى حي...
يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوص...
بمن اراد الله تعالى بذلك وقيل الآ...
في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون مع...
ولم يكن غرضهم الامساهمتهم في الغنا...
ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمو...
مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعا...
(ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) حقها...
السعى وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما...
عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفا...
اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن...
ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب ف...
اعمدة (فاولئك) الجامعون للشروط الثلا...
(كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى اى مق...
عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب ع...
الطاعة (كلا) كل واحد من الفريق...
والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعط...
مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسال...
(هؤلاء وهؤلاء) بدل من كـ...
(من عطاء ربك) من معطاه متعلق...
(وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لا يمن...
في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيف...
فضلنا بعضهم على بعض) في الرز...
وانتصاب كيف بفضلنا على الحا...
(وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا...
اى التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت...
بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها

العملية مبدأ بشرح حقيقة الايمان وبيان ماهو العمدة فيه وهو التوحيد والتبرى من الشرك فقال لاتجعل مع الله
الها آخر ثم ذكر عقيبه سائر الاعمال التى يكون من عمل بها ساعيا بسعى الآخرة ﴿ قوله اولكل احد ﴾ فان هذا
الاحتمال اولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما وهذا لايليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لان ابويه ماتا قبل بلوغه الكبر فعلم ان المخاطب بهذا نوع الانسان
﴿ قوله اوفتعجز ﴾ يعنى ان قوله فتقعد يجوز ان يكون بمعنى فتصير فينتصب مابعده على الخبرية ويجوز ان يكون على
اصل معناه ويكون كناية عن ملزومه الذى هو العجز فان القادر المتمكن من تحصيل الخيرات يسعى فى تحصيلها والسعى
انما يتأتى بالقيام على الرجل بخلاف العاجز عن تحصيلها فانه لايسعى بل يبقى جالسا قاعدا عن السعى والطلب فلما
كان القعود من لوازم العجز والضعف صح ان يكنى به عنه فيكون مذموما مخذولا على الحال وقوله تعالى فتقعد
منصوب باضمار ان بعد الفاء جوابا للنهى كقولك لاتنقطع عنا فنجفوك اى لايكن منك انقطاع فحصول ان نجفوك
فمابعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة على حرف الفاء التى هى حرف العطف وسماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء
فى ان الثانى مسبب عن الاول الا ترى ان المعنى ان انقطعت جفوناك فكذلك تقدير الآية ان جعلت مع الله الها آخر
صرت مذموما تكل لسان مخذولا من قبله تعالى لانه يكلك الى من اتخذته شريكا له ولا ناصر عنده ولا عون او عجزت
عن دفع ماتوجه اليك من المكاره لانه تعالى لاينصرك ومن المعلوم ان الشركاء لايقدرون على النصر والشفاعة
﴿ قوله وامر امرا مقطوعا به ﴾ يعنى ان القضاء فى اصل اللغة اتمام الشئ والفراغ منه وما تم وفرغ منه يلزمه
ان يتقرر ولايتغير اى لايقبل النسخ والتغيير فاذا استعمل القضاء فى موضع الامر والالزام كما فى هذه الآية يفهم منه
ان الايجاد والتكوين على ذلك الوجه دون الآخر امر مقرر موافق للحكمة كما فى قوله تعالى فقضاهن سبع سموات
وقد يطلق القضاء على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه ويطلق ايضا على وجود جميع
الموجودات فى اللوح المحفوظ اجمالا والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها فى مواد الاحكام الخارجة واحدا
بعد واحد ولما ذكر فى الآية ماهو الركن الاعظم فى الايمان والتوحيد اتبعه بذكر ماهو من الشرائع المرتبة
عليه وهو انواع النوع الاول تخصيص العبادة لله تعالى والاحتراز عن عبادة غيره ﴿ قوله ويجوز ان تكون
ان مفسرة ولا ناهية ﴾ يعنى اى لاتعبدوا لوقوعها بعد ماهو بمعنى القول واما ان جعلت مصدرية ناصبة لمابعدها
فحينئذ تكون لانافية لان صلة المصدرية لاتكون شيأ ماضيه معنى الطلب على الاصح وان اجاز سيبويه كون صلة
المصدرية ذلك فقال يجوز ان يقال فى تقدير امرته بان قم اى بالقيام واختاره المصنف فى بعض المواضع
﴿ قوله وبان تحسنوا ﴾ على ان الباء فى قوله وبالوالدين متعلقة بقضى ﴿ قوله احسانا ﴾ واقع موقع صفة
المحذوف والجملة معطوفة على جملة قوله ان لاتعبدوا على تقدير ان تكون كلمة ان فيها مصدرية عطف الجملة المثبتة
على المنفية وقوله او واحسنوا بالوالدين احسانا على ان يكون قوله احسانا واقعا موقع فعل الامر المحذوف ويكون
بالوالدين متعلقا بذلك المحذوف على التقديرين وتكون هذه الجملة الامرية معطوفة على ان لاتعبدوا على ان تكون
ان فيها مفسرة ولا ناهية عطف الجملة الامرية على النهى ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين الوالدين
ان السبب الحقيقى لوجود الانسان هو الله تعالى والسبب الظاهر الابوان فامر بتعظيم السبب الحقيقى ثم اتبعه بالامر
بتعظيم السبب الظاهرى ﴿ قوله ويدل على قرآءة حمزة والكسائى ﴾ فانهما قرآ ايبلغان بالف التثنية قبل نون
التأكيد المشددة المكسورة على ان الالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما فيكون احدهما بدلا منه بدل البعض
من الكل ويكون او كلاهما بدلا منه ايضا لكونه معطوفا على البدل وهو بدل الكل من الكل لان كلاهما مرادف لالف
التثنية ولايجوز ان يكون الاول بدلا والثانى تأكيدا معطوفا على البدل لان عطفه على البدل يدل على ان تأكيد
التثنية غير مراد والحاصل ان بين ابدال الاول بدل البعض وبين تأكيد المبدل منه بكلاهما تدافعا لان فائدة
التأكيد دفع توهم ارادة احدهما واما الاعتراض بانه لاتدافع بناء على ان المعنى اما يبلغان احدهما او يبلغان
كلاهما فيراد البدل اولا والتأكيد ثانيا فمدفوع بانه اذ ذاك يخرج الكلام عن كون كلاهما معطوفا على احدهما اى
عطف الجملة وهو معنى قول المصنف ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف اى ولاجل ان يكون كلاهما معطوفا
على البدل الذى هو احدهما على قرآءة يبلغان لم يجز ان يكون كلاهما تأكيدا للالف لان التأكيد يجب ان يكون معمولا
لعامل المؤكد فلما ابدل احدهما من المؤكد بدل البعض كان المقصود بالنسبة هو البعض فيمتنع تأكيده بالكل

(لاتجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) وامر امرا مقطوعا به (ان لاتعبدوا) بان لاتعبدوا (الا اياه) لان غاية التعظيم لاتحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولايجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لاتتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما) اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قرآءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفك وكفالتك

وان قدر فعل آخر مسند الى ضمير التثنية وكان كلاهما تأكيدا لدفع التضمير لزم الخروج من البحث لان المفروض كونه تأكيداً لفاعل الفعل المذكور ﴿ قوله وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر ﴾ عطف على قوله وهو صوت اى قيل انه ليس من قبيل الاصوات بل هو اسم الفعل المضارع وهو قليل فان الاكثر فى باب اسماء الافعال ان يكون اسماء الامر نحو رويد فانه اسم لامهل وبه اسم لدع وقد يكون اسماء الفعل الماضى نحو هيهات اسم لبعد ولم يذكر ابن الحاجب ما كان اسما لفعل المضارع حيث قال فى الكافية اسماء الافعال ما كان بمعنى الامر او الماضى نحو رويد زيدا اى امهله وهيهات ذلك اى بعد ﴿ قوله وهو مبنى على الكسر ﴾ لانه لو بنى على السكون لاجتمع ساكنان لان الفاء الاولى ساكنة وفيه سبع قراءآت ثلاث فى المتواتر واربع فى الشاذ قرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابن كثير وابن عامر بالفتح دون التنوين كثم والباقون بالكسر دون تنوين ولا خلاف بينهم فى تشديد الفاء وقرأ نافع فى رواية اف بالرفع والتنوين وقرئ مضموما غير منون وبالنصب والتنوين واف بالسكون ﴿ قوله قياسا بطريق الاولى ﴾ اى بواسطة القياس الجلى الذى يكون من باب الاستدلال على الاعلى وقيل النهى عنه يدل على المنع من سائر انواع الايذاء دلالة لفظية من حيث ان اهل العرف اذا قالوا لا تقل لفلان اف عنوا به لا تتعرض له بنوع من انواع الاذى كقولك فلان لا يملك نقيرا ولا قطميرا فانه يدل بحسب العرف على انه لا يملك شيأ النقير النقرة التى فى ظهر النواة والقطمير القشرة الرقيقة التى تكون على النواة ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون النهى عن التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الايذاء اما بالاستدلال بحرمة الادنى على حرمة الاعلى او بكونه دالا عليه دلالة لفظية بحسب العرف والشرع والشراسة سوء الخلق يقال رجل شرس اى سيئ الخلق شديد الخلاف ﴿ قوله تذلل لهما وتواضع معهما ﴾ يريد ان خفض الجناح استعارة تمثيلية استعير للتذلل والتواضع لان الطائر اذا قصد الجو بسط جناحه واذا هم بالنزول خفض الجناح فشبه ما يتصور من الانسان فى حال التواضع من الانخفاض بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجو ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن التواضع واما الوجه فى اضافة الجناح الى الذل وليس له جناح فكونها دليلا على الاستعارة بالكناية تخييلا كون الذل من جنس الطائر وبمعنى اثبات الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية فانه شبه الذل بالطائر تشبيها مضمرا فى النفس ولم يصرح من اركان التشبيه بشئ سوى المشبه وهو الذل ودل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بان اثبت للذل المشبه ما يختص بالمشبه به وهو الجناح من غير ان يتحقق فى الذل شئ يجرى عليه اسم الجناح بل الوهم يخترع له صورة تشبه بالجناح فاثبت تلك الصورة المخترعة ليكون اثباتها قرينة للاستعارة بالكناية ونظيره فى قول لبيد

* وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها *

فانه شبه الشمال بالانسان واضاف اليه لازم الانسان وقت اشتغاله بالعمل وهو اليد على سبيل الاستعارة التخييلية وكذلك شبه القرة بالناقة واثبت لها ما به قوام انقيادها وهو الزمام على سبيل التخييل هذا على ان يكون ضمير زمامها للقرة ويحتمل ان يكون للغداة بل هو الظاهر فتكون الاستعارة بالكناية هى تشبيه الغداة بالناقة والقرة البرد يقول كم من غداة تهب الشمال وهى ابرد الرياح وقرة قد ملكت الشمال زمامها حتى فى تصرفها مصرفة على حكم ارادتها فقد كشفت وابعدت عادية البرد عن الناس باتخاذ دار القرى ونحر الجزور لهم وتحرير المعنى كم من برد كشفت عاديته باطعام الناس فعلى هذا يكون اضافة الجناح الى الذل تفيد غاية المبالغة فى التذلل لان خفض الجناح عبارة عن التذلل والتذلل منه غاية التذلل ﴿ قوله او اراد جناحه ﴾ عطف على قوله جعل للذل جناحا فيكون هذا وجها ثانيا لاضافة الجناح الى الذل مع ان الذل لا جناح له وتقريره ان اضافة الجناح الى الذل ليست بمعنى اللام حتى يستبعد ويقال ما معنى اضافة الجناح اليه بل المراد من الجناح جناح المتواضع واضافته الى الذل من قبيل اضافة الموصوف الى صفته كانه قيل واخفض لهما الذليل جناحك الذليل كما يقال حاتم الجود وحاتم الجواد ﴿ قوله وقرئ الذل بالكسر ﴾ قيل الذل بالكسر فى الدابة ضد الصعوبة وبالضم للانسان ضد العز ولما كان ما يلحق الانسان اشد واكثر واوقع بالنسبة الى ما يلحق الدابة وهو كونها ذلولا منقادة لصاحبها مرتوا بينهما فاختاروا الضمة التى هى اقوى الحركات لما يلحق الانسان والكسر الضعيف لما يلحق الدابة للاشارة الى ما بينهما من الفرق ﴿ قوله من فرط رحمتك عليهما ﴾ اشارة الى ان كلمة من للتعليل كما فى قوله

(فلا تقل لهما اف) فلا تضجر مما يستقذ
منهما ولا تستثقل من مؤنتهما وهو صو
يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذ
هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقا
الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص
للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقو
بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالض
للاتباع كمذ منونا وغير منون والنهى
ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذ
قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقو
فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيف
من قتل ابيه وهو فى صف المشركين
عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان
(ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعج
باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوا
(وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قو
كريما) جميلا لا شراسة فيه (واخفض له
جناح الذل) تذلل لهما وتواضع معهم
جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قو
وغداة ريح قد كشفت وقرة *
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
الشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفض
مبالغة او اراد جناحه كقوله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيا
والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمع
واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذ
بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلو
(من الرحمة) من فرط رحمتك عليهم
لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعا
اليهما بالامس

(وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولاتكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما (كما ربياني صغيرا) رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما (ربكم اعلم بما في نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه اندراجا اوليا لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا في الكفر فما ينبغي ان يطاع (واما تعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم

تعالى بما حصل باهم اغرقوا اي واحفض جناحك من اجل الرحمة وقوله رحمة مثل رحمتهما علي اشارة الى ان الكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولم يقل رحمة مثل تربيتهما الي مع ان المذكور في القرآن هو التربية للاشارة الى ان التربية لكونها ناشئة عن الرحمة كانها عين الرحمة ﴿قوله وفاء بوعدك﴾ مفعول له لقوله تعالى ارحمهما قال عليه الصلاة والسلام الراحمون يرحمهم الرحمن وقال عليه الصلاة والسلام رضى الله في رضى الوالد وسخطه في سخط الوالد وقال لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ﴿قوله وان كانا كافرين﴾ اشارة الى رد ما قيل من ان الآية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فلا ينبغي للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقول لهما رب ارحمهما لانهما وان كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ووجه الرد ما ذكره المصنف قال الامام قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا امر وظاهر كون الامر للوجوب انه لا يقتضي التكرار فيكفي في العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول في العمر مرة وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في اليوم مرة او في الشهر او في السنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يكبرون في ادبار الصلوات ﴿قوله وفيه تشديد عظيم﴾ وكيف لا وقد غفر ما فرط منهم على سبيل المبادرة في حق من كان اوابا وهو صيغة مبالغة تقتضي الكثرة والمداومة كما روي عن سعيد بن المسيب ان الاواب هو الرجل الذي كلما اذنب بادر بالتوبة وقوله تعالى وآت ذا القربى حقه الذي يدل على ان المراد بذي القربى غير الوالدين كون التوصية نوعا آخر من انواع السعي الموافق لطلب الآخرة المدلول عليه بقوله تعالى وسعى لها سعيها وهو معطوف على قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الآية الى هذا الموضع والمعنى انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب عليك ان تشتغل ببر من هو الاقرب فالاقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابناء السبيل ٭ وذوو القربى ان كانوا محارم وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا فحقهم ان ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقال الامام الشافعي لا يجب الانفاق الا على الولد والوالدين محتسبا وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة في السراء والضراء ونحو ذلك ﴿قوله تعالى واما تعرضن عنهم الآية﴾ قيل انها نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب رضي الله تعالى عنهم وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه وقد لا يجد عليه الصلاة والسلام ما يدفعه اليهم فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت يعني انه عليه الصلاة والسلام لما كان يعرض عنهم بوجهه الكريم ويسكت ولا يجيبهم حياء من التصريح بردهم قال تعالى واما تعرضن عنهم ولما لم يكن لترتيب قوله فقل لهم قولا ميسورا على تحقق الاعراض المترقب منه عليه الصلاة والسلام في المستقبل وجه لانه في قوة قولك وان لم تجبهم فاجبهم بقول فيه يسر قال في توجيه الآية وان اعرضت عنهم اي فيما مضى فاجبهم من بعد بقول ميسور فيكون قوله تعرضن على حكاية الحال الماضية ثم عطف على هذا التأويل قوله ويجوز ان يراد بالاعراض الخ اي ويجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم النفع بدفع ما يحتاجون اليه لعدم الاستطاعة عليه بناء على ان الاعراض بالوجه من لوازم عدم النفع فحينئذ يكون ترتيب الجزاء المذكور عليه ظاهرا ﴿قوله لانتظار رزق من الله﴾ يعني ان قوله ابتغاء رحمة مفعول له لقوله تعرضن وعلة للاعراض بان يكون الابتغاء بمعنى الانتظار فانه يصلح ان يكون علة حاملة على الاعراض ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل تعرضن او من ضمير عنهم ﴿قوله وقيل معناه لفقد رزق﴾ يعني ان قوله تعالى ابتغاء متعلق بالشرط منصوب به الا انه لا يجوز اجراء الكلام على ظاهره لان الاعراض عن المحتاج ليس لابتغاء رحمة الله بل هو عبارة عن فقد الرزق لانه سبب لابتغائه فهو من قبيل اطلاق المسبب على السبب ثم قال ويجوز ان يكون الابتغاء متعلقا بالجواب منصوبا به على معنى قل لهم قولا سهلا ابتغاء وهذا الجواز مبني على قول من يجوز اعمال ما بعد الفاء الجزائية في قبلها وقد ثبت ذلك في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الآية فان اليتيم والسائل منصوبان بما بعد فاء الجواب ﴿قوله والميسور من يسر الامر﴾ يعني انه اسم مفعول من يسر كما ان المسعود والمنحوس كذلك يقال سعد الرجل فهو مسعود ونحس فهو منحوس ثم قيل ويحتمل ان يكون الميسور مصدرا بمعنى اليسر ويكون المعنى قل لهم قولا

يذكر فيه بمعنى الظفر ويدل على طلب اليسر مثل اغنانا الله ورزقنا الله واياكم وفى الصحاح الجلود مصدر بمعنى الجلادة كالمعسور والمعقول يقال عقل يعقل عقلا ومعقولا ويقال حلف اى اقسم يحلف حلفا ومحلوفا وهو احد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجرود والمعقود والمعسور ﴿قوله تمثيلان لمنع الشحيح﴾ اى لامتناع البخيل من انفاق ماله على الصواب مثل حال من يده مغلولة الى عنقه فلا يقدر على شيء من التصرف وحال من يسرف بحال من بسط يده كل البسط فلا يبقى شيء فى كفه ثم استعمل اللفظ المثل به فى الممثل والمعنى لا تجعل يدك فى الانقباض عن الانفاق كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ولا تتوسع فى الانفاق توسعا بحيث لا يبقى فى يدك شيء وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا فى كتب الاخلاق ان لكل خلق طرفى افراط وتفريط وهما مذمومان والخلق الفاضل ما هو العدل المتوسط بين الطرفين فالبخل افراط فى الامساك والاسراف تفريط والمعتدل وهو الكرم الوسط ﴿قوله نادما او منقطعا بك﴾ الجوهرى حسر الشخص بالكسر يحسر حسرا وحسرة فهو حسير اذا تلهف وتحسر على الشيء الفائت وحسر البعير يحسر حسورا اعيى واستحسر وتحسر مثله وحسرته انا حسرا يتعدى ولا يتعدى وقطع بفلان فهو مقطوع به وانقطع به فهو منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت او من راحلة عطبت واتاه امر لا يقدر بسببه على ان يتحرك ﴿قوله حسره السفر اذا بلغ منه﴾ يقال بلغ منه المرض اذا اثر فيه تأثيرا بليغا ﴿قوله فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد اليينا﴾ على هذه الرواية يحتمل ان كلا من متعلقة بمحذوف اى اخر سؤالك من ساعة ليس فيها درع الى ساعة يظهر لنا فيها درع ودرع المرأة قميصها وهذا القول مبنى على رواية الكشاف وهى هكذا من ساعة الى ساعة فعد الينا وعلى تلك الرواية يحتمل ان يكون من متعلقة بيظهر ﴿قوله ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق﴾ الظاهر انه ليس مقصوده ان الآية نازلة لتسليته عليه الصلاة والسلام بخصوصه عما حصل من الاعسار والاضاقة بل المراد انها نازلة لتسلية المعسرين مطلقا وحصل له عليه الصلاة والسلام التسلي فى ضمن هذه التسلية العامة وذلك لان الخطاب فى قوله تعالى وآت ذا القربى حقه عام لكل قرينة كونه معطوفا على قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وان قيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام بخصوصه فامره الله تعالى ان يؤتى اقاربه الحقوق التى وجبت لهم فى مال الفيء والغنيمة واوجب عليه ايصال حق المساكين وابناء السبيل من هذين المالين كما اشار اليه بقوله وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان المخاطب فى هذه الآيات يعم الكل وامر الله تعالى الموسرين منهم بالانفاق على المعسرين منهم سلاهم بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق بحسب مشيئته وهى تابعة للحكمة والمصلحة عند المعتزلة وبالعكس عندنا وليس اعسار المعسر لهوان منك عليه ولا اصل به عليك لكونه مهانا عند الله ولا بخل منه تعالى عليه بل هو لكون مصلحته فيه وفى ضمن هذه التسلية العامة تحصل تسليته عليه الصلاة والسلام ايضا فقوله بمشيئته التابعة للحكمة ليس معناه ان افعاله تعالى ومشيئته معللة بالحكمة والمصلحة وان رعاية ما هو الاصلح فى حق العبد واجبة عليه بل المراد ان مشيئته تعالى موافقة للحكمة ولا تخلو عنها وانه تعالى منزه عن ان يفعل ما لا حكمة فيه ولا مصلحة ﴿قوله ويجوز ان يراد الخ﴾ اشارة الى وجهين آخرين لانتظام هذه الآية بما قبلها وعلى كل واحد من الوجهين تكون هذه الآية تذييلا للآية السابقة بالنهى عن القبض المفرط والبسط المفرط والامر بالاقتصاد تقرير الاول ان القبض المفرط والبسط المفرط كل واحد منهما مختص بالله فاقتصد انت واترك ما هو مختص به تعالى وتقرير الثانى انكم اذا تفكرتم وتأملتم فى بسط الله وقبضه وامعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا يقبض تارة ويبسط اخرى فاقتصدوا واستنوا بسنته ﴿قوله وان يكون تمهيدا﴾ من حيث انه يدل على انه تعالى متكفل بارزاق العباد على حسب مشيئته المتضمنة للحكم والمصالح فحقيق ان يبنى عليه النهى عن قتل الاولاد خشية الاملاق فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجزهن عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقر البنات ينفر اكفاءهن عن الرغبة فيهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير الاكفاء وفى ذلك عار شديد ﴿قوله والخطء﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها مصدر خطئ يخطأ بمعنى اثم يأثم وكلاهما من باب علم يعلم علما وهو قراءة الجمهور وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء من غير مد وفيه وجهان الاول ان يكون اسم مصدر من اخطأ يخطئ اخطاء اذا اتى بما ليس بصواب فهو مقابل الخطأ الذى يقابل العمد والثانى ان يكون لغة فى الخطء بمعنى الاثم كمثل ومثل وحذر وحذر فالمعنى على هذه القراءة ان قتلهم ليس

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف
المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى
هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله
وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير
(محسورا) نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبى
فقال ان امى تستكسيك درعا فقال صلى الله
عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا
فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك
الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله
ذلك ثم سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه بمشيئته
التابعة للحكمة البالغة فليس ما يرهقك
من الاضافة الا لمصلحتك (انه كان بعباده
خبيرا بصيرا) يعلم سرهم وعلنهم فيعلم
من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان
البسط والقبض من امر الله تعالى العالم
بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم
ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض
اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض
ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله
تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق)
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم
مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم
فقال (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ
كبيرا) ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع
النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كأثم
اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد
الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر

بصواب وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والمد فيه وجهان ايضا الاول ان يكون لغة في خطء والثاني
ان يكون مصدر خاطأ يخاطئ خطاء مثل قاتل يقاتل قتالا وخاطأ وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ وهو يدل على
وجود خاطأ لان تفاعل مطاوع فاعل كباعدته فتباعد وناولته فتناول في قول الشاعر

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه في منقع الماء راسب *

القناص الصياد ومنقع الماء بفتح الموضع الذي يجتمع فيه الماء اي قصده الصياد فرمى سهمه وخاطأه فعلى هذا
معنى الآية ان الذين يقتلون اولادهم كان قتلهم الاولاد خطأ اي عدولا عن الحق والصواب وقرئ خطاء بالفتح
والمد وهو اسم مصدر اخطأ كالعطاء اسم للاعطاء وقرئ خطا بفتح الخاء والطاء منونة اصله خطأ كقراءة ابن
ذكوان الا انه سهل الهمزة بابدالها الفا ثم حذفها لالتقاء الساكنين كعصا وقرئ خطا بكسر الخاء كربى ﴿قوله
الا باحدى ثلاث﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بالحق متعلق بلا تقتلوا كأنه قيل لا تقتلوا النفس التي عصمها الله تعالى
وحقن دمها بالاسلام او بالعهد او بسبب من الاسباب الا بان تستحق القتل بارتكاب شيء يوجب قتلها الا ان
قوله تعالى الا بالحق مجمل ليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وان الشيء الذي يستحق المرء بسببه لان يقتل اي شيء
هو فبينه عليه الصلاة والسلام بقوله لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى معان ثلاثة كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان
وقتل نفس بغير حق * وقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا
او يصلبوا دل على ان قطع الطريق من جملة الاسباب التي يحل بها دم المرء وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر وقوله اقتلوهم حيث وجدتموهم دل على ان الكفر مع الحرب من جملة الاسباب المبيحة لقتل
النفس ومن جملة الاسباب المبيحة للقتل عند الامام الشافعي ترك الصلاة عمدا عالما معتمدا بغير سبب وعمل قوم لوط
وقول الساحر قتلت فلانا بسحري والقتل بالمثقل فانه يوجب القصاص عنده خلافا لابي حنيفة في الجميع وبالجملة
الاصل في الدماء الحرمة والحل انما يثبت باسباب عارضة محللة لها بين الشارع كيفيتها وقوله تعالى الا بالحق
بين على سبيل الاجمال ان قتل النفس قد يباح بسبب ما وقد فصل بعض تلك الاسباب نص القرآن وبعضها
بالاحاديث المشهورة ﴿قوله تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل﴾ اي بموجبه على من عليه لما جعل ثبوت
التسلط لولي القتيل مترتبا على مجرد كون القتيل مقتولا ظلما مع قطع النظر عن كون ذلك القتل عمدا و
موجبا للقصاص او خطأ موجبا للدية جعل الجزاء المترتب على ذلك الشرط ان قتل عمدا ان يثبت للوارث التسلط
بالمؤاخذة بمقتضى القتل سواء كان ذلك المقتضى ثابتا على القاتل وهو ان يقتص منه او ان يعطي دية القتيل فان
اولياء المقتول مخيرون بين امرين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية من ماله او كان ثابتا على العاقلة
ان كان القتل خطأ ثم اشار الى جواز ان يكون المراد بالتسلط المترتب عليه التسلط على القاتل بان يقتص منه
﴿قوله فلا يسرف اي القاتل﴾ اي اذا تقرر انه تعالى جعل لولي المقتول تسلطا على القاتل في الاقتصاص
منه فلا يسرف القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فيقتل فيكون قد اسرف في القتل حيث كان سببا
لهلاك نفسه وهلاك غيره وفي الارتداع عنه سلامة نفسه وسلامة نفس الغير فعلى هذا يكون الضمير في قوله انه
كان منصورا للمقتول اي لا يسرف القاتل المبتدئ لان من قتل مظلوما كان منصورا في الدنيا بايجاب القود
على قاتله بان يقتص له وليه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه ﴿قوله او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل﴾
عطف على قوله القاتل يعني يحتمل ان يكون المنوي في قوله فلا يسرف ضمير الولي واسراف الولي يكون على وجهين
احدهما ان لا يكتفي بقتل القاتل بل يمثل به ثم يقتل به ويقطع اعضاءه وثانيهما ان لا يكتفي بقتل القاتل بل يقتل به
جماعة غيره وكل ذلك كان يفعله اهل الجاهلية كانوا يقتلون غير القاتل وكذا كانوا يمثلون بالمقتول فنهى عن كل
منهما ﴿قوله والضمير اما للمقتول واما لوليه﴾ على تقدير ان يكون الحكم المستقل فلا يسرف القاتل ﴿قوله
واما للذي يقتله الولي اسرافا﴾ على تقدير ان يكون المعنى فلا يسرف الولي بالمثلة وقتل غير القاتل فان الذي
قتله الولي اسرافا منصور بايجاب القصاص على المسرف ان كان اسرافه بالقتل ثم انه تعالى لما نهى عن اتلاف
النفوس اتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال فقال ولا تقربوا مال اليتيم الآية وخص مال اليتيم بالذكر لان اليتيم لضعفه
وكمال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله ونظيره قوله ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مخافة ان يكبروا
فيأخذوا اموالهم منكم ومبادرة في اكله ﴿قوله غاية لجواز التصرف﴾ لا للنهي اذ لا يجوز للوصي ان يتصرف

(في مال)

وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء في قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته *
وخرطومه في منقع الماء راسب *

وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (ولا تقربوا الزنى) بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدة (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وتهييج الفتن (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) غير مستوجب القتل (فقد جعلنا لوليه) للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما (فلا يسرف) اي القاتل (في القتل) بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما (انه كان منصورا) علة النهي على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا عن ان تتصرفوا فيه (الا بالتي هي احسن) الا بالطريقة التي هي احسن بان تنفعه او تثمره (حتى يبلغ اشده) غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء

في مال الصبي بعد بلوغ اشدّه اي بعد بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح نفسه وبعد ذلك لا يبقى ولاية غيره عليه وذلك حدّ البلوغ واذا بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عليه قبل اشدّ الرجل غير اشدّ اليتيم وان كان لفظهما واحدا لان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشدّه آتيناه حكما انما هو الاكتهال وذلك ثلاثون سنة واشدّ الغلام ان يشتدّ خلقه وذلك ببلوغه ثماني عشرة سنة ﴿ قوله بما عاهدكم الله ﴾ على ان العهد بمعنى الوصية والتكليف قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد ﴿ قوله او ما عاهدتموه وغيره ﴾ على ان يكون العهد بمعنى العقد والالتزام كالنذر والشروع في النوافل والمعاملات الواقعة بين العباد فتقتضي هذه الآية ان كل عقد وعهد يجري بين انسانين كعقد البيع والشركة والصلح وغيرها فانه يجب عليهما بمقتضى ذلك العقد ﴿ قوله يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ﴾ يعني ان قولك سألته الشيء معناه طلبته منه وليس المراد من كون العهد مسؤلا كون ذاته مطلوبا بل المعنى ان عدم تضييع العهد كان مطلوبا من المعاهد وان المعاهد كان مسؤلا مطلوبا بحذف المضاف والمضاف اليه وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادا على دلالة المقام على المراد ﴿ قوله او مسؤلا عنه ﴾ فان صاحب العهد اذا سئل لم نكثت العهد ولم وفيت به يكون العهد مسؤلا عنه فحذف الجار واوصل مسؤلا الى الضمير ﴿ قوله او يسأل العهد لم نكثت ﴾ بان يكون ضمير مسؤلا راجعا الى العهد ونسب اليه السؤال على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه العهد من نكث عهده وسئل عن نكث عهده واستعمل عبارة المشبه به في المشبه او شبه العهد بمن نكث عهده تشبيها مضمرا في النفس ويجعل نسبة السؤال اليه تخييلا للاستعارة بالكناية والاستشهاد بسؤال الموؤودة بايّ ذنب قتلت في مجرد السؤال لان سؤالها بعد الاحياء يوم القيامة وهو سؤال على التحقيق وسؤال العهد على التخييل ولا تبكيت في الكلام على الوجه الاول وانما هو في الوجه الثاني والثالث ﴿ قوله ولا تتبع ﴾ فان قوله تعالى لا تقف مأخوذ من قولهم قفوت اثر فلان اتبعه قفوا وقفوّا اذا اتبعت اثره وسميت قافية الشعر قافية لانها تقفو البيت وسمي القفا قفا لانه مؤخر بدن الانسان كانه شيء يتبعه ويقفوه فمعنى الآية لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل وحاصله يرجع الى النهي عن الحكم بما لا يكون والقافة جمع قائف وهو من يتبع آثار اقدام الناس ويستدل بها على احوال الانسان كحكم المشركين في باب الالهيات والنبوّات بما يعتقدونه بسبب تقليد اسلافهم او اتباع اهوائهم رجما بالغيب ﴿ قوله واحتج به من منع اتباع الظن ﴾ اي العمل بالقياس بان قال القياس لا يفيد الا الظن والظن يغاير العلم فالحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لا يجوز بمقتضى هذه الآية واجيب عنه بان الظن قد يسمى علما كما في قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهنّ فان علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعوهنّ الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهنّ بناء على اقرارهنّ وامارات تدل عليه وهو لا يفيد الا الظن وقد رأيت انه تعالى سمى هذا الظن علما وقيل انه مخصوص بالعقائد فالمنهي عنه هو اتباع الادلة الظنية في الاعتقادات فلا ينافي جواز اتباعها في العمليات كيف وقد ثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد تكلموا في الحوادث برآئهم وتشاوروا في امرهم وولي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما الخلافة باجماع الصحابة بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلها عمر شورى ولم يرد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقال انهم فعلوا ما فعلوا وقالوا ما قالوا مخالفين لمقتضى هذه الآية تاركين اياه فدل على ان قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ليس فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفروع بالاصول المنصوص عليها لان الامة قد اجمعوا على ان العمل بالظن جائز في صور كثيرة منها العلم بالفتوى فانه عمل بالظن ومنها العمل بالشهادة فانه عمل بالظن ومنها تقدير قيم المتلفات وارش الجنايات فانه لا سبيل اليه الا بالظن ومنها الصلاة على الميت ودفنه في مقابر المسلمين وتوريث المسلم من ابيه بناء على اسلامه وهو مظنون ومنها اكل الذبيحة بناء على اعتقاد انها ذبيحة مسلم وهو مظنون * وسند الاجماع في مثل هذه الصورة قوله نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح في ان الظن معتبر في باب العمل فلذلك تخص هذه الآية بالعقائد وقيل انها مخصوصة بالرمي وشهادة الزور ومعناها لا ترم ولا تقل ما ليس لك به علم * نقل عن محمد بن الحنفية ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عينك وسمعته اذنك ووعاه قلبك ومن هذا القبيل قذف المحصن والمحصنة ورميها بالاكاذيب فان بعض الناس يذكرون مثالب الناس وعيوبهم ويهجونهم ويبالغون فيه فالمقصود النهي عنه وعن امثاله ويؤيد كون الآية مخصوصة بالرمي قوله عليه الصلاة والسلام * من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله

(واوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤودة بايّ ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسؤلا (واوفوا الكيل اذا كلتم) ولا تبخسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوي وهو رومي عرّب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء (ذلك خير واحسن تأويلا) واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة (ما ليس لك به علم) ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع

وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت * ولا ارمي البرئ بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا * (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك) اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام (كان عنه مسئولا) في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بفتح (ولا تمش في الارض مرحا) اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا لشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها مكتوبة في الواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعني المنهي عنه فان المذكورة مأمورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله (عند ربك مكروها) بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (مما اوحى اليك ربك من الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به (ولا تجعل مع الله الها آخر) كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له لا ينفع علمه وعمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال تعالى (فتلقى في جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم (انكم لتقولون قولا عظيما)

في ردغة الخبال والردغة بفتح الدال وسكونها والمعنى الجمعة الماء والطين والوحل الشديد وفي حديث الخبال عصارة اهل النار وهو في الاصل الفساد وقوله حتى يأتي بالمخرج يريد حتى يرجع عما قال اي حتى يخرج من عهدته وقول الكميت

* ولا ارمي البرئ بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا *

الحواصن جمع حاصنة بمعنى محصنة وهي المرأة العفيفة ﴿قوله في ثلاثتها﴾ وهي كان عنه مسئولا ولا يبعد ان يخلق الله الحياة والعقل والنطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال اليها ويسألها أصرفها صاحبها في الاقدام في المعصية ويحتمل ان يكون التقدير ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسئول منه على ان السؤال لا يصح الا ممن يكون عاقلا ناطقا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فيقال له لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه ﴿قوله اي ذا مرح﴾ اشارة الى ان المرح بفتح الراء مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف والمرح شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا فهو مرح المصدر بفتح الراء والنعت بكسرها والمراد من الآية النهي عن ان يمشي الانسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة اي لا تمش في الارض مختالا فخورا وقرئ بكسر الراء وان كان ابلغ في الدلالة على المعنى المراد وهي نفي الخاطب عن المشي بالكبر والتعظم الا ان المصدر آكد اي اكثر تقريرا للاتصاف بالمرح وجه بحث لان المصدر انما يكون آكد للاتصاف اذا ترك على حاله كما في رجل عدل واما اذا اول بالمصدر بقوله ذا مرح كاصل المضاف فحينئذ لا يكون فرق بين القراءتين ولما كانت مشية المرح مشتملة على شدة الوطأة والتكبر على الارض بمشيه عليها وعلى التطاول والتعظم قال تعالى في تعليل النهي عنها انك لن تخرق الارض اي كيف تتكبر على الارض ولن تقدر على ان تجعل فيها خرقا بوطئه وكيف تتعظم وتتطاول ولن تبلغ الجبال طولا فانت احقر واضعف من كل واحد من الجمادين فكيف يليق بك التكبر ﴿قوله يعني المنهي عنه﴾ فان الكوفيين وابن عامر لما قرأوا سيئه بضم الهمزة والهاء وتذكير الكلمة من غير تنوين باضافة سيئ الى الضمير الراجع الى قوله كل ذلك مشيرا بقوله ذلك الى جميع ما تقدم وفيه السيئ والحسن حكم على سيئ ما تقدم وهو المنهي بانه كان عند ربك مكروها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب سيئة بفتح الهمزة وتاء التأنيث منصوبة منونة فحينئذ يكون ذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة ويحتمل ان يكون اشارة الى مصدري قوله تعالى لا تقف ولا تمش وهما قفو ما ليس لك به علم والمشي في الارض مرحا على طريق قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴿قوله والمراد به المبغوض﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية فان المعتزلة قالوا ان هذه الآية دلت على ان هذه الاعمال مكروهة عند الله تعالى والمكروه لا يكون مرادا فهذه الاعمال لا تكون مرادة لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لا تكون مخلوقة لله تعالى لان كونها مخلوقة له تعالى يستلزم كونها مرادة له ﴿قوله ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة﴾ وهي الخصال الخمس والعشرون بعضها نواهي وسماها حكمة لان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به والامر بالتوحيد من القسم الاول وباقي التكاليف من القسم الثاني فانها خيرات تعلم لاجل العمل بها ﴿قوله ورتب عليه﴾ اي على قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر ما هو غاية الشرك في الدنيا حيث قال فتقعد مذموما مخذولا والذم والخذلان يحصلان في الدنيا والقاؤه في جهنم ملوما مدحورا حيث يحصل يوم القيامة وهذا الكلام لا يتضح الا ببيان الفرق بين المذموم والمخذول وبين الملوم والمدحور فنقول كونه مذموما معناه ان يذكر ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذا ذكر ذلك له يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك فهذا هو اللوم فثبت ان اول الامر هو ان يصير مذموما وآخره ان يصير ملوما واما الفرق بين المخذول وبين المدحور فهو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اي ضعفت واما المدحور الذي هو المطرود فهو عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال تعالى ويخلد فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانته وتفويضه الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانته والاستخفاف به فثبت ان اول الامر ان يصير مخذولا وآخره ان يصير مدحورا ثم انه تعالى لما امر بالتوحيد ونهى عن اثبات الشريك لله تعالى واوعد عليه اتبعه بذكر فساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى لا سيما كون ذلك الولد اخس الاولاد فقال أفأصفاكم ربكم بالبنين اي أتزعمون انه تعالى اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه الاخس بان خصكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وتقولون

(ولقد صرّفنا) كرّرنا هذا المعنى وجوه من التقرير (في هذا القرآن) في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرّفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذّكّروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه (قل لو كان معه آلهة كما تقولون) ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفي ما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم (اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) ينزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علوا) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده) ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوّز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء (انه كان حليما) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم (مستورا) ذا ستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون

ان الملائكة بنات الله والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والتفضيح باختيار مذهب ظاهر الفساد وقوله تعالى واتخذ يجوز ان يكون معطوفا على أفأصفاكم فيكون داخلا في حيز الانكار ويجوز ان يكون الواو فيه للحال وقد مقدرة عند قوم واتخذ يجوز ان يكون متعديا الى اثنين قال ابو البقاء اناثا مفعول اول لاتخذ وثانيهما محذوف اي اولادا واختاره المصنف ايضا حيث قال بناتا لنفسه ومن الملائكة متعلق باتخذ او محذوف على انه حال من النكرة بعده وفيما ذهب اليه ابو البقاء نظر لانه يلزم ان يبتدأ بالنكرة من غير مسوغ لان ما يقع مفعولا اولا في هذا الباب يجب ان يصح وقوعه مبتدأ وما لا يصح ان يكون مبتدأ لا يصح كونه مفعولا اولا والظاهر ان يقال المفعول الثاني هو من الملائكة قدم على الاول كما في قولك في الدار رجل او يقال ان اتخذ ههنا متعدية الى واحد كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا ﴿قوله كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير﴾ اشارة الى ان مفعول صرفنا محذوف وهو قوله هذا المعنى والمراد به ابطال اضافتهم البنات الى الله تعالى والمراد من تصريفه صرف تقريره من وجه الى وجه آخر وخلاصته تكرير تقريره وتبيينه بوجوه مختلفة في مواضع من التنزيل ﴿قوله ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى﴾ بان يطلق القرآن على المعنى بطريق اطلاق اسم الدال على المدلول وحينئذ يقدر لصرفنا مفعول وهو القول ووجه ظرفية هذا المعنى لتصريف القول كونه محلا لتغيير القول وصرفه من اسلوب الى اسلوب آخر ﴿قوله من الذكر الذي هو بمعنى التذكر﴾ وهو التفكر والتأمل فان الذكر قد يجيء بهذا المعنى كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والتذكر الاعتبار والاتعاظ قال الواحدي التذكر ههنا اشبه من الذكر لان المراد منه التدبر والتفكر وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان ثم ان المقصود من التذكر والاتعاظ ان تطمئن قلوبهم الى هذا المعنى الذي كرر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله وما يزيدهم الا نفورا فان النفور مقابل الطمأنينة كأنه قيل كررنا القول في هذا المعنى او كررنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا ويطمئنوا اليه فما يزيدهم الا نفورا وفيه تعكيس بما ينبغي من حيث ان حق هذا التكرير ان يزيدهم اتعاظا وطمأنينة قلب ومع هذا قد زادهم نفورا وعنادا والكاف في قوله تعالى كما تقولون في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي كونا مثل قولكم وقوله تعالى عطف على ما تضمنه المصدر تقديره تنزه وتعالى وعن متعلقة به ﴿قوله حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته﴾ هذا التعليل مبني على ان قوله تعالى يسبح استعارة تبعية شبه دلالة ما ذكر على تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بالتسبيح فاستعمل يسبح مكان يدل كما في قولهم نطق الحال له ابطل الله تعالى قول الذين قالوا الملائكة بنات الله ونزه ذاته عما نسبوا اليه عقيبه بقوله تسبح له السموات السبع دلالة على ان الاكوان بأسرها دالة شاهدة بتلك النزاهة ولكن ايها المشركون لا تفقهون دلالتها عليها لاخلالكم بالنظر الصحيح ﴿قوله ويجوز ان يحمل التسبيح الخ﴾ عطف على ما سبق من حيث المعنى فان التسبيح الحقيقي وهو ان يقول المسبح بلسانه سبحان الله مثلا لما لم يتصور من الجمادات لتوقفه على الفهم والنطق حمل التسبيح اولا على الدلالة على وحدانية الله تعالى وتنزهه عما لا يليق بالالوهية تشبيها لدلالة الحال بالتسبيح الحقيقي والتسبيح بهذا المعنى المجازي حاصل في جميع الموجودات والحي المكلف كما يسبح الله تعالى بهذا التسبيح المجازي يسبحه ايضا بالقول ثم قال ويجوز ان يحمل التسبيح على عموم المجاز بان يراد مطلق الدلالة سواء كانت دلالة الحال او دلالة اللسان لاسناده الى ما يتصور منه النطق وهو الملائكة والثقلان والى ما لا يتصور منه ذلك وهو السموات والارض ولا يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا الا عند من يجوز كون الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز ﴿قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء﴾ اي الياء المنقوطة من تحت لاسناد الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنث والباقون بتاء التأنيث ﴿قوله حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يحمل خطاب لا تفقهون للمشركين ولا يخاطب بالحلم والمغفرة الا المؤمنون وتقرير الجواب ان قوله تعالى انه كان حليما استئناف في موضع التعجب كأنه قيل ما احلمه واعظم غفرانه حيث يعلم من هؤلاء المعاندين ما هم عليه ثم لا يعاجلهم بالعقوبة ﴿قوله مستورا ذا ستر﴾ على ان مستورا من باب النسب كقولهم مكان مهول وجارية مغنوجة اي ذو هول وذات غنج ورجل مرطوب اي ذو رطوبة وكان وعده مأتيا بمعنى ذي اتيان لانه يؤتى اليه وسيل مفعم بفتح العين اي ذو ملء لانه مملوء فان السيل مفعم بكسر العين والوادي مفعم

ولايفقهون انهم لايفقهون فى منهم ان يفهموا ما نزل عليهم من الآيات بعد ما لم يفهموا الفقه بالدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله (وجعلنا على قلوبهم اكنة) تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقوله (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم عن استماعه استماع تأمل فى لفظه وتدبر فى معناه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع من فهم المعنى وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده او بمعنى واحدا وحده (ولوا على ادبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن اعلم بما يستمعون به) بسببه ولاجله من الهزؤ بك وبالقرآن (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وكذا (واذهم نجوى) اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى (اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) مقدر باذكر او بدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لايدرى ما يصنع او الى الرشاد (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) وحطاما (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون لانفسه لان ما بعد ان لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال (قل) جوابا لهم (كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم) اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد (رد) فيه مما لم يعهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة) وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء

بفتح العين وهو عطف على الفم المقتلئ يقال ساعد عبر واصمت الاناء ملأته واسم المسك ابيت ملأه برعده والحجاب ليس مستور بل المستور ماوراءه فلذلك جعل المستور القسب ويحتمل ان يكون توصيف الحجاب بكونه مستورا عبارة عن كونه غير مرئى على طريق اطلاق الملزوم وارادة لازمه لان ما يكون مستورا يلزمه ان لايرى ﴿قوله او بحجاب آخر﴾ بان يكونوا محجوبين بالحجاب الاول من فهم ما يقرأ عليهم وبالحجاب الثانى محجوبين عن كونهم محجوبين عن فهم ما يتلى عليهم وهو قوله لايفهمون ولا يفهمون انهم لايفهمون ﴿قوله نفى عنهم ان يفهموا ما نزل عليهم﴾ بيان لوجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وذلك انه تعالى ابطل مقالة المشركين ونزه نفسه عما نسبوا اليه تعالى ثم قال تسبح له السموات السبع الآية على معنى ان جميع الكائنات تدل على تنزيهه عن جميع لوازم الامكان والحدوث ولكن لاتفقهون الدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق ثم قرر ذلك بقوله واذا قرأت القرآن الآية وقوله تعالى ان يفقهوه اما مفعول له بتقدير المضاف او مفعول به على تقدير ومنعناهم ان يفقهوه لدلالة الجملة على قوله ومنعناهم ﴿قوله واصله يحد وحده﴾ فحذف الفعل الذى هو يحد واقيم المصدر مقامه ولو قيل المصدر بمعنى اسم الفاعل كأنه قيل واحدا لكان له وجه ﴿قوله هربا ونفرة او تولية﴾ الاول على ان يكون انتصاب نفورا على انه مفعول له اى تركوا مجلس الذكر هربا من استماعه والثانى على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لان التولى والنفور بمعنى وان كان جمع نافر يكون حالا من فاعل ولوا فالكفار كانوا عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهوتين متحيرين لايفهمون منه شيأ واذا سمعوا آيات فيها ذكر الله تعالى وذم المشركين تركوا ذلك المجلس وولوا هاربين ثم ان القوم لما وصفوه عليه الصلاة والسلام بكونه مسحورا فاسد العقل ذكر ما يدل على فساد عقله عليه الصلاة والسلام بحسب زعمهم وهو قولهم انه عليه الصلاة والسلام يدعى ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورفاتا يعود حيا طريا كما كان فحكى الله تعالى عنهم ذلك تجهيلا لهم وابطالا لمقالتهم فقال وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا قال الواحدى الرفت كسر الشئ بيدك تقول رفته وارفته على وزن جبرته واجبرته بكسر العين فى المضارع اذا كسرته كما يكسر المدر والعظم البالى والرفات الاجزاء المفتتة من كل شئ يقال رفت رفتا فهو مرفوت مثل حطم حطما فهو محطوم وزنا ومعنى والحطام اسم بمعنى المحطوم كالجذاذ والرضاض والفتات ﴿قوله وخلقا مصدر﴾ اى على غير لفظ الفعل اى أئنا لمبعوثون بعثا جديدا وحال بمعنى مخلوقين فالقوم لما استبعدوا ان يردوا الى حال الحياة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا بالية بطل ما فيها عادة كما كانت والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل على خلاف ما زعموا من امتناع العظام المرفوتة عن قبول الحياة لعلة اليبس عليها اجابهم الله تعالى بما معناه تحولوا او تعادوا بعد الموت الى اى صفة تزعمون انها اشد منافاة للحياة وابعد عن قبولها كصفة الحجرية والحديدية ونحوهما مما هو ابعد من قبول الحياة بالنسبة الى حال كونكم عظاما مرفوتة فى صفة الحياة والعقل والادراك ونحوها مما هو لوازم الحياة فانه تعالى يعيد الحياة اليها اذ لو لم تكن قابلة لها لما قبلت اياها فى اول الامر والله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا تشتبه عليه اجزاء بدن زيد المطيع باجزاء بدن عمرو العاصى وقادر على الممكنات واذا ثبت ان عود الحياة الى تلك الاجزاء ممكن قطعا سواء صارت عظاما ورفاتا او صارت شيأ ابعد من العظام المرفوتة فى قبول الحياة نحو ان تصير حجارة او حديدا فقوله تعالى كونوا حجارة ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما عجز الله تعالى من الاعادة وذلك كقول القائل للرجل اتطمع فى وتغلظ على وانا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب منك حقى فكذا المعنى ههنا كونوا على اى صفة كانت فاعادة الحياة اليكم ممكنة ﴿قوله فسيحركونها﴾ يقال انغض رأسه ينغضه نغاضا اذا حركه انكارا او استبعادا وامانغض ثلاثيا بمعنى بفتح العين وضمها فهو بمعنى تحرك وهو لايتعدى ﴿قوله وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر﴾ اعلم ان عسى يرفع الاسم وينصب الخبر نحو كان كقوله عسى الغوير ابؤسا وعسيت صائما الا ان خبرها فى الاغلب يكون ان مع الفعل نحو عسى زيد ان يخرج فان زيدا فيه مرفوع على انه اسم عسى وان يخرج منصوب المحل على انه خبرها والتقدير عسى زيد الخروج اى ذا الخروج واحتيج الى تقدير المضاف لئلا يلزم كون الحدث خبرا عن الجثة وتستعمل على وجه آخر وهو ان تتم بمرفوعها الذى كان منصوب المحل فى الاستعمال الاول وتستغنى عن خبرها لاشتمال الاسم على المنسوب والمنسوب اليه نحو عسى ان يخرج زيد فالآية التى نحن فيها يحتمل ان يكون اسم عسى فيها راجعا الى البعث ويكون قوله ان يكون مع ما فى حيزها خبر عسى كما فى قوله عسى

زيد ان يخرج والظاهر ان يكون ضميرا لعبد يكون التامة ويكون التقدير عسى البعث ان يقع فى زمان قريب
وان يكون قوله يوم يدعوكم بدلا من قريبا والمعنى عسى ان يقع البعث يوم يدعوكم وهو يوم النفخة الاخيرة ويحتمل
ان يكون منصوبا باذكر جعل قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده مجازا على طريق التمثيل كما فى قوله
كن فيكون لان حقيقة الدعاء والاجابة غير معقول فى حق الاموات فالظاهر انه لا دعاء ههنا ولا اجابة ولا خطاب
ولا عتاب شبه حال المكلفين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم النفخة الاولى ومطاوعة الجمع لارادة
الباعث وانبعاثهم انبعاث شخص واحد منقاد لامر الآمر المطاع بالدعوة والاجابة عبر عن الحالة المشبهة بما يعبر
به عن المشبه به والاستجابة فى الاصل مواصلة الداعي مبادرا اليه وهى الاجابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة
فهو اوكد من الاجابة وقد ورد فى الاخبار ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو
اهل القبور فى قرن يقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم مخرجون
وظاهره يدل على ان الدعاء القول والاجابة اجابة القول والعمل فلا ينبغى لنا الا ان نقول آمنت بالله وبما جاء من
عند الله على مراد الله وآمنت بالله وبرسول الله وبما جاء من عنده على مراده وقوله بحمده حال من فاعل
تستجيبون اى تستجيبون ملتبسين بحمده ﴿قوله وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور﴾ يعنى ان يراد من
اللبث فى القبور لبثهم فيما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب فى هذا الوقت كما روى عن ابن عباس
انهم لما بعثوا وعاينوا الاهوال الثابتة استقصروا مدة لبثهم فى القبور فيما بين النفختين استقصار من اماته الله مائة
عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وانما قلنا هذا لان الكلام مع من ينكر البعث ويقول متى هو
فلا جرم ان يكون هو فى العذاب الشديد من حين مات فكيف يمكنه ان يستقصر جميع تلك المدة كالذى مر على
قرية فان من كان مبتلى بالعذاب الشديد فى القبر فلا يستقصر مقامه فيه يوم يبعثه الله فيبعث الا ان يقال يوم البعث
والانبعاث يوم ممتد يتناول الزمان الذى قاسى فيه شدائد عذاب النار واهواله فان من عاينها وابتلى بها يصح منه ان
يستقصر مدة لبثه فى القبر ويستحقر ما ابتلى به فيه بالنسبة الى ما ابتلى به بعد البعث فان من كان فى بلاء وشدة اذا
آل به ما هو اشد منه واعظم استقصر ما كان فيه قبل ذلك فكذا المشرك اذا عاين عذاب القيامة واهوالها
استقصر ما كان فيه من العذاب فى القبر ونسى ذلك ثم انه تعالى لما بين صحة المعاد بقوله قل الذى فطركم اول مرة امر
النبى صلى الله عليه وسلم ان يقول للمؤمنين اذا اردتم ايراد الحجج الدالة على صحة الحشر والرد على المبطلين فاذكروا
تلك الدلائل والحجج بالطريق الاحسن وهو ان لا يكون ذكرها مخلوطا بالشتم والسب اذ لو اختلط بذكرها شئ
من السب لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد التعصب
وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود بخلاف ما اذا اقتصر على ذكر الحجة بالطريق الاحسن الخالى عن الشتم
والايذاء فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر فى القلب تأثيرا شديدا ﴿قوله تفسير للتى هى احسن﴾ فيكون
المراد بقوله قل لعبادى الذين آمنوا ويكون قوله ربكم اعلم بكم خطابا مع الكفار على انه مقول لقوله يقولوا وقوله
التى هى احسن توطئة وتمهيدا له وقوله وما ارسلناك عليهم وكيلا كالتذييل لمجموع مجادلته مع المشركين فامر المؤمنين
بما من لدن قوله وقالوا أئذا كنا عظاما الى ههنا ويكون المعنى ايها المشركون ان يشأ ربكم يرحمكم بان يوفقكم للايمان
والمعرفة وان يشأ يبقكم على الكفر يعذبكم الا ان تلك المشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا انتم فى طلب الدين ولا تصروا
على الجهل والباطل لئلا تصيروا محرومين من السعادات الابدية وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بين المفسر
والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم بكم قال بعده وربك اعلم بمن فى السموات والارض يعنى ان علمه غير
مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم
ما يليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود الزبور
وعيسى الانجيل وخص كلا منهم بما يختص به ويثبته فيه فلم يبعد ايضا ان يؤتى خاتم النبيين القرآن
ويفضله على جميع افراد نوع الانسان وان يخص اصحابه الحفاة العراة الجوع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه لا
ينظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية وانما ينظر الى طهارة الباطن واستعداده للتحلى بالفضائل
النفسانية والمعارف الذوقية الربانية والحاصل انه تعالى رد اولا على المشركين فى استبعادهم البعث بقولهم
أئذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون وامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم ويجادلهم بالطريق الذى امره به

(ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا) فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر (يوم يدعوكم فتستجيبون) اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء (بحمده) حال منهم اى حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول (وقل لعبادى) يعنى المؤمنين (يقولوا التى هى احسن) الكلمة التى هى احسن ولا يخاشنوا المشركين (ان الشيطان ينزغ بينهم) يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم) تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله

ثم امر المؤمنين بان يجادلوا معهم بالطريقة التي هي احسن ولا يخاشنوهم لئلا يفوت المقصود ثم قال في آخره كيف تخاشنهم انت والمؤمنون وما ارسلناك تقسرهم على الايمان ثم انه تعالى ردّ على المشركين في استبعادهم امر النبوّة بمعارضة عليهم في استبعادهم البعث بمثل قولهم كيف يكون يتيم ابي طالب نبيا ويكون العراة الجوّع اصحابه فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض على معنى انهم ان كانوا لايعلمون وجه استحقاقات النبوّة واستحقاق اصحابك التقدّم في اتباعك والاهتداء بدينك فاعلم ان ربك اعلم باحوال من في السموات والارض وبما آتى كل واحد منهم من الفضل والتقدّم ولذلك لاتتفاوت مراتب الانبياء في الاتصاف بذلك وتشييد التصور والبقاع حتى ان داود عليه الصلاة والسلام مع كونه ملكا عظيما لم يذكر الله تعالى ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب للتنبيه على ان المراد من تفضيل بعض النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم والدين والفضائل النفسانية والتبري من العلائق الجسمانية لا بالمال والجاه فظهر بما ذكر من التقرير ان ليس المراد منه البعض المطلق والكلام مسوق لتقرير ما اجمل في قوله وربك اعلم بمن في السموات والارض فان علمه بمن فيهما عبارة عن انه تعالى انما يفضل منهم من فضله على حسب علمه بحاله ومشيئته في حقه وقوله وآتينا داود زبورا انما ذكر في هذا المقام لينبه على ان المراد بتفضيل بعض الانبياء على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم الدينية لا بالملك وسعة المال حتى انه تعالى لم يتعرض لشيء من فضائل داود عليه الصلاة والسلام سوى ما شرفه به من ايتائه الزبور ﴿قوله وقيل هو﴾ اى قوله تعالى ولقد فضلنا الآية اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا قيل ان المراد بالبعض المعهود نبينا وذكر هذا المعطوف في مقام تنبيه وكان الزبور مشتملا على وجه تفضيله وهو انه عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء وان امته عليه الصلاة والسلام خير الامم فان ذلك مكتوب في زبور داود عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون والمراد بهم نبينا صلى الله عليه وسلم وامته فكان عطفه عليه تنبيها على وجه تفضيله ﴿قوله وتنكيره هنا﴾ يعنى ان الزبور علم لكتاب داود عليه الصلاة والسلام فكيف عرّف تارة ونكر اخرى والتعريف العلمي يغني عن التعريف اللامي واجاب عنه اوّلا بانه ليس من الاعلام المرتجلة بل هو من الاعلام المنقولة فانه منقول من اسم صفة ككاتم وعباس او من اسم معنى كفضل لانه اسم مفعول بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر كقبول وبعد ما نقل الى العلمية جاز تعريفه تلميحا واشارة الى اصله وجاز تنكيره اعتبارا لعلميته كعباس والعباس وفضل والفضل وثانيا بانه ليس من الاعلام بل هو اسم جنس بمعنى المزبور وهو المكتوب فاذا اريد به المعهود المعين يحتاج الى تعريفه باللام كما في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وان اريد به فرد من جنس الزبور عظيم الشان كامل في كونه كتابا يستعمل نكرة كما في قوله تعالى وآتينا داود زبورا وكذا ان اريد به قطعة من قطع الزبور المعهود بان يكون الزبور اسما مشتركا بين الكل والبعض كما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه كما يطلق على بعض القرآن قرآن فلم قصد به فرد مما يصدق عليه زبور بمعنى قطعة من الزبور نكر كما في قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى ﴿قوله انها آلهة﴾ اشارة الى ان كل واحد من مفعولي زعمتم محذوف لدلالة المقام عليه اي زعمتموهم آلهة او زعمتم انها آلهة ﴿قوله كالملائكة والمسيح وعزير﴾ لم يذكر الاصنام لانه تعالى قال في صفتهم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لايليق بالاصنام البتة فينبغي ان تكون الآية نازلة في قوم عبدت الملائكة من المشركين زاعمين انه ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى وهم الملائكة فاتخذوا لذلك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الآية احتجاجا على بطلان قولهم ووجه الاحتجاج ان الاله المعبود هو القادر على ازالة الضرر وايصال النفع والاشياء التي يعبدونها لايقدرون على كشف الضرّ ولا على تحصيل النفع وغاية شأن الملائكة انهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فوجب القطع بان شيأ منها ليس باله وروى عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم وفي الوسيط قال المفسرون ان المشركين من قريش واهل مكة اصابهم قحط شديد سبع سنين حتى اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل ادعوا الذين زعمتم اي ادعيتم انها آلهة من دون الله ﴿قوله هؤلاء الآلهة يبتغون﴾ اشارة الى ان اولئك مبتدأ يشير الى الذين زعمهم المشركون انهم آلهة من دون الله وقوله الذين يدعون صفة لمبتدأ وفاعل

(وما ارسلناك عليهم وكيلا) موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو (وربك اعلم بمن في السموات والارض) وباحوالهم فيختار منهم لنبوّته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوّع اصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبري من العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قرآءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضرّ عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة (ايهم اقرب) بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة

(يدعون)

يدعون ضمير المشركين وعائدا لصلة محذوف والمعنى اولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون لكشف ضرهم او يدعونهم الآلهة فمفعولها او معمولاها محذوفان ويبتغون خبر المبتدأ والوسيلة القربة وايهم موصولة بمعنى الذى حذف صدر صلتها وهى بدل من الضمير فى يدعون والتقدير ملاذكره بقوله يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة اى التقرب اليه تعالى فكيف بغير الاقرب ﴿ قوله بالموت والاستئصال ﴾ فان الهلاك قد يستعمل فى الموت كقوله تعالى ان امرؤ هلك اى مات من فناءه قال هذا نص من الله تعالى كما ترى ليس بعده الا ان يهلك بموت كقوله كل نفس ذائقة الموت او يهلكها بعذاب مستأصل اذ تركوا امره وكذبوا رسله حمل الاهلاك على الامانة من غير تسليط احد على الميت والتعذيب الشديد على الاهلاك بعذاب الاستئصال وقال الزجاج ما من اهل قرية الا وسيهلك اما بموت واما بعذاب يستأصلهم وقال مقاتل اما المؤمنة الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وهذه كلمات متقاربة سكت المصنف عنها لانه تعالى جعل التعذيب قسيما للاهلاك فلا بد ان يكون ادنى حالا من الاهلاك وعليه فلا وجه لحمله على عذاب الاستئصال بخلاف قتل الرؤساء واصابة انواع البلاء فانه ادنى حالا من اهلاك الاستئصال والله اعلم لما قال تعالى فى الآية المتقدمة ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها لا بد ان يرجع حالها الى احد امرين اما الاهلاك واما التعذيب وقيل المراد من قوله وان من قرية قرى الكفار ولا بد ان يكون عاقبتها احد الامرين اما الاستئصال بالكلية وهو المراد من الاهلاك واما العذاب الشديد من قتل كبرائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبى واغتنام الاموال واخذ الجزية فتصير القرى كلها فى حكم اهل الاسلام على ما قال بعض اهل التأويل فى قوله تعالى اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها لا يزال ينقص اهل الكفر قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها » صدقت والله اعلم تأويل قوله تعالى الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا اى نهلك اهل الكفر ويحتمل ان يكون المراد من الآية انه يفنى جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض مستوية لا بناء فيها ولا ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ونحو ذلك وجميع ذلك يدل على انه لا يبقى عليها احد ولا بناء فتصير كلها صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فذلك هلاكها وتعذيبها والله اعلم كذا فى شرح التأويلات ﴿ قوله واستوجبوا الاستئصال ﴾ وذلك انه تعالى قد ارسل الى كل رسول من الآيات والحجج ما لا يحتاج الامة بعدها الى انزال آية اخرى فاذا سألوا شيأ من الآيات بعد ذلك يكون ذلك السؤال سؤال تعنت وعناد لا سؤال استرشاد واستهداء وقد جرت سنة الله تعالى على ان كل من سأل تعنتا وتمردا شيأ من الآيات واظهر الله تعالى ما سأله ولم يعتبر بها وكفر بعد رؤيتها ولم يؤمن بسببها يحل بهم عذاب الاستئصال الا ترى ان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام سألوه ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية فسأله فاخبره الله تعالى انه منزلها عليهم ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزالها عليهم فانه يعذبه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين وذلك لان سؤالهم كان مبنيا على التمرد والعناد « روى ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله تعالى لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال التى حوالى مكة حتى يزرعوا تلك الاراضى فطلب عليه الصلاة والسلام ذلك من الله تعالى فقال تعالى ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط ان كفروا اهلكتهم فقال عليه الصلاة والسلام لا اريد ذلك فنزلت هذه الآية » وكانت كفار قريش يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام اظهار معجزات قاهرة غير ذلك مثل قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقولهم له عليه الصلاة والسلام الست تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فأتنا بشئ من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون اى ما منعنا ان نرسل بها الا علمنا بان الآخرين يكذبون بها كما كذبت بها الاولون فيستوجبون بذلك التكذيب عذاب الاستئصال على ما جرت عليه السنة الالهية وقد سبق من وعده انه لا يهلك هذه الامة بعذاب الاستئصال رحمة وفضلا وتكريما لنبيهم الذى ارسله رحمة للعالمين بل اخر جزاءهم الى يوم القيامة ﴿ قوله بينة ذات ابصار ﴾ اشارة الى ان مبصرة حال من الناقة والاسناد مجازى لان الابصار قائم بمن اعتبر بها واستدل والناقة سبب ابصار الحق وتصديق الرسول فقوله مبصرة بناء النسبة اى بينة ذات ابصار على معنى ان فيها ابصارا لمن تأملها يبصر بسببها الحق او بينة

(وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم
القيامة) بالموت والاستئصال (او معذبوها
عذابا شديدا) بالقتل وانواع البلية (كان
ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ
(مسطورا) مكتوبا (وما منعنا ان نرسل
بالآيات) وما صرفنا عن ارسال الآيات
التى اقترحتها قريش (الا ان كذب بها
الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم
امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا
ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد
من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة
بتكذيب الآيات المقترحة فقال (وآتينا
ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) بينة
ذات ابصار او بصائر

اوجاعلناهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح (فظلموا بها) فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها (وما نرسل بالآيات) اى الآيات المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا انزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف (واذ قلنا لك) واذكر اذ اوحينا اليك (ان ربك احاط بالناس) فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (وما جعلنا الرؤيا التى اريناك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله (الا فتنة للناس) ما حدث فى ايامهم (والشجرة الملعونة فى القرآن) عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاصى وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (ونخوفهم) بانواع التخويف (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الا عتوا متجاوز الحد

ذات بصائر وهو جمع بصيرة بمعنى الحجة الواضحة وتسمى بصيرة على الاسناد المجازى لكونها سببا للابصار والناقة وان كانت شيأ واحدا لكنها مشتملة على آيات كثيرة من ظهورها من الصخرة الصماء وظهور سقبها عقيب خروجها وعظم صورتها وكثرة درها وغير ذلك ﴿قوله او جاعلناهم ذوى بصائر﴾ اى حجج وقرئ بالفتح اى فتح الميم والصاد بمعنى محل ابصار كقوله عليه الصلاة والسلام « الولد مجبنة مبخلة » اجراء لها مجرى الامكنة على طريق ارض مسبعة ﴿قوله اى الآيات المقترحة﴾ فان اصل الآيات يظهرها الله تعالى لان يستدل بها على صدق مدعى النبوة واما الآيات التى اقترحها القوم بعد ظهور ما يكون كافيا فى الدلالة على صدق المدعى فليس ارسالها لاجل ان يهتدى بها القوم لكونهم معاندين غير طالبين للرشاد وانما يرسلها الله تعالى لاجل ان يخافوا من نزول العذاب المستأصل ويعدوها كمقدمة الجيش وطليعته من حيث ان مثلهم كان قدرة الله تعالى حال نصبهم وتحقيقهم امره ﴿قوله او بغير المقترحة﴾ فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدعى فكيف قيل ليس المقصود من اظهارها الا التخويف فالجواب ان ظهور الآية الخارقة للعادة انما يؤدى الى التصديق والايمان من حيث دلالتها على ان من لم يتفكر فيها ولم يستدل بها على الصدق يستحق العذاب الشديد فهذا التخويف هو الذى يحمله على التفكر والتأمل فى تلك المعجزة والباء فى قوله بالآيات اما مزيدة فى المفعول او التقدير وما نرسل الرسل ملتبسين بالآيات والمعجزات الا تخويفا وقوله تعالى واذ قلنا لك كأنه جواب عما خطر بباله عليه الصلاة والسلام من ان عدم ارسال ما اقترحه القوم من الآيات يوجب ان يزداد عنادهم الى حيث يمنعه من تبليغ رسالته واظهار دينه كأنه قيل لا تتوهم ذلك واذكر ما اوحى اليك ربك من ان الناس فى قبضة قدرتى انصرك واعصمك منهم على ما انت عليه ﴿قوله او عام الحديبية﴾ عطف على قوله ليلة المعراج اى المراد رؤياه التى رآها فى عمرة الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رأى ان يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم حتى قال عمر لابى بكر رضى الله تعالى عنهما قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبرنا انا نفعل ذلك فى هذه السنة وسنفعل ذلك فى سنة اخرى فلما جاء العام المقبل دخلها فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكون الواقعة مدنية لا ينافى كون رؤيتها حاصلة فى مكة كما ان ما رآه ليلة المعراج كان فتنة للناس من حيث انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبه وكفر به كثير ممن كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا ﴿قوله ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر﴾ وما قيل من ان تلك الواقعة مدنية والسورة مكية فجوابه ما ذكرنا من ان كونها مدنية لا ينافى ان تقع رؤية ما يتعلق بها فى مكة ﴿قوله ان من قدر ان يحمى وبر السمندل﴾ وهو دويبة تكون فى بلاد الترك لا تؤثر فيها النار ويتخذ من وبرها مناديل فاذا اتسخت المناديل القيت فى النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل ﴿قوله ولعنها فى القرآن﴾ جواب عما يقال ليس فى القرآن لعن هذه الشجرة فكيف وصفت بانها ملعونة فى القرآن فاجاب عنه اولا بان اسناد اللعن الى الشجرة اسناد مجازى من قبيل اسناد وصف طاعميها من الكفرة والظلمة اليها وثانيا بان اللعن فى اللغة التبعيد فلما كانت هذه الشجرة مبعدة من جميع وجوه الخير حيث كان موضع استقرارها اصل الجحيم سميت ملعونة بناء على عرف العرب فانهم يقولون لكل طعام مكروه ضار انه ملعون لكونه ضارا مكروها وهو المراد بكونها ملعونة فى القرآن ﴿قوله وقد اولت بالشيطان﴾ عطف على قوله وهى شجرة الزقوم وقيل المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن الشيطان الخ روى عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة فى القرآن المراد بها بنو امية بن الحكم بن ابى العاص قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ان بنى مروان يتداولون منبره فقص رؤياه على ابى بكر وعمر وقد خلا فى بيته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد ذلك عليه واتهم عمر فى افشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم والى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير الا ان يقال هذه الآية مدنية ولم يقل به احد ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان لعن الله اباك وانت فى صلبه فانت بعض من لعنه الله قيل فى وجه ذكر الرؤيا وذكر الشجرة التى جعلها الله تعالى فتنة للناس بعد القول ان القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بالمعجزات القاهرة واجيبوا بانه لا مصلحة فى اظهارها لانها لو ظهرت ولم يؤمنوا انزل الله عليهم عذاب الاستئصال وقد دفع ذلك عن هذه الامة صار عدم ظهورها شبهة لهم فى انه عليه الصلاة

(والسلام)

والسلام ليس بصادق في دعوى الرسالة والا لما امتنع من اظهارها وكانت شبهتهم هذه مظنة ان تورث نوع اضطراب في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام كأنه قيل هذه الشبهة لا توهن امرك ولا تصير سببا لضعف حالك الا ترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة وكذا ذكر الشجرة الملعونة ثم ان تلك الشبهات ما اوجبت ضعفا في امرك ولا فتورا في اجتماع المؤمنين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات المقترحة لا توجب فتورا في حالك ولا ضعفا في امرك ثم انه تعالى وصفهم بقسوة القلب والتمادي في الغي والطغيان حيث قال ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا اشارة الى وجه آخر لعدم اظهار ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فان من لم يتأثر من التخويف بعقاب الدنيا والآخرة كيف ينتفع باظهار ما اقترحه من الآيات تعنتا وعنادا ﴿قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية﴾ متصل بقوله ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا فانه تعالى بين به انه عدو لهم من قديم الزمان وبين ههنا سبب عداوته وانه من اي وقت كان عدوا لهم ﴿قوله وفيه﴾ اي في قوله طينا سواء كان انتصابه بنزع الخافض او على انه حال من عائد الموصول او من نفس الموصول ايماء الى ان الانكار المدلول عليه بقوله أأسجد مبني على كون اصله اشرف من اصل آدم عليه الصلاة والسلام كأنه قال كيف اسجد له وسجود الاشرف للادنى غير معقول ﴿قوله والمعنى اخبرني﴾ اطلق لفظ الاستفهام واريد الامر بجامع الطلب والرؤية التي هي سبب للاخبار المسبب عنها في لفظ ارأيت تجوز من وجهين ﴿قوله مع التقرير﴾ اي مع انه تعالى قرر قوله هذا ولم ينكر عليه في ذلك القول ﴿قوله او تفرسا من خلقه﴾ فانه عرف انه مركب من قوة بهيمية شهوانية وقوة سبعية غضبية وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية وعرف ان القوى الثلاث الشهوانية والغضبية والوهمية هي المستولية في اول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الامر ومتى كان الامر كذلك علم الخبيث بالفراسة ان اغواءه يؤثر فيهم ﴿قوله امض لما قصدته﴾ يعني ان قوله تعالى اذهب ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه ﴿قوله من قولهم فر لصاحبك﴾ يعني ان وفر يستعمل لازما ومتعديا يقال وفر الشيء بنفسه وفورا ويقال وفرته افره وفرا فهو موفور عندي ﴿قوله باضمار فعله﴾ اي تجازون جزاء او حال موطئة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا والحال الموطئة اسم جامد لصفته هي الحال في الحقيقة وذلك الاسم كأنه وطاء وطريق لما هو حال حقيقة لمجيئه قبلها موصوفة بها كقرآنا في قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا ﴿قوله واستخفف﴾ ولو قال واستخفف بفك الادغام لكان اوفق لتفسير وهو استفزز يقال استفزه الخوف او الفرح اي استخفه وافززته انا اي ازعجته وارعجته وطيرت فؤاده ورجل فز اي خفيف ومن في من استطعت موصولة في محل النصب على انها مفعول استفزز اي استفزز الذي استطعت افزازه منهم قال ابن عباس صوت ابليس دعاؤه الى معصية الله تعالى وقيل المراد بصوته الغناء واللهو واللعب ومعنى الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك ﴿قوله من الجلبة وهي الصياح﴾ وقيل جلب واجلب بمعنى يقال اجلب على العدو اجلابا اذا جمع عليه الخيول والمعنى حينئذ اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك والباء في بخيلك زائدة على هذا القول ﴿قوله والخيل الخيالة﴾ اي اصحاب الخيول يعني ان الخيل تطلق على الفرسان كما في قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي اي يا اصحاب خيل الله وقد تقع على نفس الافراس كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها والمراد ههنا الاول والمراد بخيل ابليس ورجله كل من كان في معصية من راكب وماش ﴿قوله ويجوز ان يكون تمثيلا﴾ اي ان يكون قوله واستفزز من استطعت واجلب عليهم بخيلك ورجلك تمثيلا لحال الشيطان في تسلطه واغوائه من غير ان يكون هناك استفزاز وصوت وخيل ورجل بحال مغوار قدر فيه هذه الامور المذكورة فاستعمل في حال الشيطان ما استعمل في حال المغوار اي كثير الغارات اثبت لابليس اولا صوتا يستفز به العصاة وهو دعاؤه اياهم الى المعصية والفساد واعوانا من الخيالة والرجالة يصيح بهم على العصاة ويحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل والاقرب ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه حال ابليس بحال المغوار الذي يجتهد في امره بالصوت والاعوان من الخيالة والرجالة فان قيل كيف امر الله ابليس بهذه الاشياء وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء فالجواب انه ليس امر تكليف بل هو امر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم ويتضمن تصير

(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي أأسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي) الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي (لئن اخرتن الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه (لاحتنكن ذريته الا قليلا) اي لاستأصلنهم باغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولته نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات (جزاء موفورا) مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) واستخفف (من استطعت منهم) ان تستفزه والفز الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (واجلب عليهم) وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح (بخيلك ورجلك) باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك

(وشاركهم في الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب (ان عبادي) يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم (ليس لك عليهم سلطان) اى على اغوائهم قدرة (وكفى بربك وكيلا) يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة (ربكم الذي يزجي) هو الذي يجري (لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه (واذا مسكم الضر في البحر) خوف الغرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم حينئذ لا يخطر بالكم سواه فلا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البر اعرضتم) عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة

عطاء فتى تمكن في المعالي • فاعرض في المكارم واستطالا

(وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفأمنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره (ان يخسف بكم جانب البر) ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك (او يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب اى ترمي بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله (ام أمنتم ان يعيدكم فيه) في البحر (تارة اخرى) بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لا تمر بشيء الا قصفته اى كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف (ولقد كرمنا بني آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانساق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان (الاعمى)

ابليس في امر بعد ان ذلك لا يضر الله شيأ ولا ينقص من ملكه شيأ وان سلطان ابليس انما يجري على الجهال الذين قد اخرجهم الله تعالى من جملة من شرفهم بعبوديته ﴿قوله اعتراض﴾ اى هو كلام وقع في اثناء ما خوطب به ابليس لبيان حال مواعيده وليس من جملة ما خوطب به ابليس والا لقيل وما تعدهم الا ﴿قوله والغرور تزيين الخطأ﴾ فان قيل مواعيد الشيطان ليس نفس الغرور فكيف قيل وما يعدهم الا غرورا فالجواب ان تقدير الكلام ما يعدهم الا وعدا ذا غرور او جعل مواعيده نفس الغرور مبالغة كما في رجل عدل ويحتمل ان يكون قوله الا غرورا مفعولا من اجله اى ما يعدهم شيأ من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور ثم انه تعالى لما مكن ابليس من ان يأتي باقصى ما يقدر عليه في باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد في قلب الانسان قال وكفى بربك وكيلا والمعنى ان الشيطان وان مكنه الله تعالى من ذلك الا ان سلطانه وولايته مقصورة على من استعبده هو واسترقه حيث آثر الحظوظ العاجلة الخسيسة واختار اتباع الشياطين على ابتغاء رضى الرحمن وتولاه كما قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه واما من لازم طريق العبودية واستعبده محافظة حق الربوبية واتخذ ربه مفرجا يفزع اليه ومعتمدا يعتمد عليه في جميع اموره فانه تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويعصمه من اضلاله واغوائه ﴿قوله ربكم الذي يزجي﴾ تعليل لكفايته وبيان لقدرته على عصمة من توكل عليه في اموره ورد في الخبر ان الله تعالى لما لعن ابليس وطرده قال يا رب اسألك ان تمكني على بني آدم قال امكنتك قال يا رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم فاستعاذ آدم بالله تعالى وقال انك جعلت بيني وبين ابليس عداوة وقويته علي فاعني عليه يا رب فقال اذا عملت حسنة فلك بها عشر وان عملت سيئة فواحدة قال يا رب زدني قال اغفر لك ان شئت ولا ابالي فقال آدم حسبي يا رب والخطاب في قوله ربكم وفي قوله انه كان بكم رحيما عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال والمعنى ربكم الذي يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله ﴿قوله وقيل اتسعتم﴾ على ان يكون اعرضتم من العرض مقابل الطول من قولهم اعرض في الشيء وعرضه اذا جعله عريضا او صار عريضا كما في قوله • فاعرض في المكارم • اى صار عريضا فيها واتسع ﴿قوله ان يقلبه الله وانتم عليه﴾ اى ان يقلب الله تعالى جانب البر مصحوبا بكم على ان يكون جانب البر مفعولا به لقوله يخسف كالارض في قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ويكون بكم حالا من المفعول بتقدير مصحوبا بكم وفاعله مستتر فيه يرجع الى الجلالة وقوله او يقلبه بسببكم على ان تكون الباء سببية متعلقة بيخسف ﴿قوله لا معقل﴾ اى لا ملجأ ﴿قوله ريحا تحصب﴾ وفي الصحاح الحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي الحصى يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف اى شديد ورعد قاصف شديد الصوت ﴿قوله مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف﴾ يعني ان التبيع من يلازم الغير لمطالبته بالحق اى لا تجدوا لكم من يتبعنا بانكار ما نزل بكم والانتقام منا بسببه ولا من يتبعنا بصرفه عنكم ومنعه ايانا من انزاله بكم ﴿قوله بحسن الصورة﴾ فان صورة الانسان احسن من صور جميع الحيوانات قال تعالى فاحسن صوركم والله تعالى لما ذكر خلق الانسان قال فتبارك الله احسن الخالقين وقال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والمزاج الاعدل يدل على انه تعالى جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وحمل لغيرهم ما خبث منها وما فضل منهم واعتدال القامة اى بالنسبة الى سائر الحيوانات فان في الاشجار ما يماثله من جهة القامة والتمييز بالعقل فان الانسان يشارك سائر الحيوانات فيما لها من القوى فان النفس النباتية لها قوى ثلاث قوة الاغتذاء والنماء وتوليد المثل والنفس الحيوانية لها قوتان زيادة على هذه الثلاث وهما القوة الحساسة سواء كانت ظاهرة او باطنة والقوة المحركة بالاختيار فهذه القوى الخمس اعني قوى الاغتذاء والنماء والتوليد والحس والحركة الاختيارية حاصلة لنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوة اخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كما هي وهي التي يتجلى بها نور معرفة الله تعالى وضوء كبريائه فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل الى القوى النباتية والحيوانية والافهام بالنطق فان ما سوى الانسان من الحيوانات عاجز عن تفهيم ما حصل في باطنه من لذة او الم تفهيما تاما واما بخلاف الانسان فانه يمكنه تفهيمه وتعريف غيره كل ما عرفه ووقف عليه واحاط به فكونه قادرا على هذا التعريف هو المراد بكونه ناطقا سواء كان ذلك التعريف باستعمال آلة اللسان او غيره كما في الانسان الاخرس فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة او بطريق الكتابة ومن كرامات

الانسان ان آلته الخط وذلك لان ما استنبطه كل انسان من العلوم قليل فاذا اودع الانسان ما علمه في الكتاب وجاء انسان آخر واستفاد بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه اشياء اخر ثم جاء ثالث وفعل كذلك ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم والفضائل وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى اقصى الغايات واكمل النهايات ومعلوم ان هذه النعمة المستفادة لا تتأتى الا بواسطة الخط والكتب ولهذه الفضيلة الثابتة في الكتب قال تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والتسلط على ما في الارض فان الارض بالنسبة الينا كالام الحاضنة تكفلنا احياء وامواتا وينتفع بالماء العذب بالشرب وسقي الاشجار والبساتين وبالبحر ايضا كما قال وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه وبالهواء لانه مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى العفن على هذه المعمورة وبالنار اذ بها طبخ الاغذية والاشربة والاستضاءة بضوئها في الليالي المظلمة وهي الدافعة لضرر البرد وهذا وجه انتفاعه بالبسائط الارضية واما المركبات من المعادن والحيوان والنبات فالانسان هو المستولي عليها والمنتفع بها وبالجملة جميع منافع هذا العالم مصروفة الى الانسان والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع وسائر الحيوان بالنسبة اليه كالعبد وكل ذلك يدل على انه تعالى خصه من عنده بمزيد التكريم والتفضيل والتكريم جعل الشيء مكرما باعطائه ما يكون مكرما بسببه ولا يعتبر في مفهومه الاضافة الى الغير بخلاف التفضيل ﴿قوله بالغلبة والاستيلاء﴾ فاللازم ان لا يكون الانسان مفضلا على الجن والملك ونحوهم وان اريد تفضيلهم على الكثير التفضيل بالشرف والكرامة يكون المراد بالقليل الذي لا يكون الانسان مفضلا عليه بالشرف الملائكة بل يكون الملك افضل من الانسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط ﴿قوله والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم﴾ يعني ان المفهوم من قوله تعالى على كثير ممن خلقنا وهو القليل الذي لا يكون الانسان مفضلا عليه اختلف في تعيينه فقيل انه جنس الملائكة وقيل انه خواصهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام قال الامام محيي السنة وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف قال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال الله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون اي كلهم وفي حديث عن جابر مرفوعا قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون ويشربون وينكحون ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك في الآخرة فقال وعزتي لا اجعل ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان وقال ابو هريرة المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده كذا اورده الواحدي في البسيط وقال قوم الملك افضل من البشر على الاطلاق تمسكا بهذه الآية قال الامام الرازي وهو في الحقيقة تمسك بدليل الخطاب وذهب الحنفية الى ان خواص بني آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بني آدم والاتقياء والزهاد افضل من عوام الملائكة لان تقرير الدليل ان يقال تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان الحال في القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطاب وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة وهو قول المصنف او الخواص منهم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم قال الامام محيي السنة والاولى ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروي عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة وقال الامام ابو منصور الماتريدي اما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر فالاشتغال به بدعة لم نعلم وليس لنا الى معرفته حاجة فالامر فيه الى الله تعالى ﴿قوله ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس﴾ اي جنس بني آدم يعني ان مفهوم قوله تعالى وفضلناهم على كثير يدل على ان جنس بني آدم ليسوا مفضلين على جنس الملائكة او على الخواص منهم بناء على ان الكثير لم يعبر به عن الكل فان المراد بالتفضيل الشرف والكرامة لكن اللازم منه وهو ان لا يكون جميع افراد بني آدم مفضلا على ما ذكر لا ينافي ان يكون بعض الافراد مفضلا عليه وذلك لان الاضافة الى بني آدم ليست للعهد الخارجي ولا الذهني لان الكلام ليس في تكريم بعض الافراد وتفضيله ولا لتعريف نفس الحقيقة بقرينة ذكر بني آدم في مقابلة كثير من الخلق وذكر الحقيقة في مقابلة الفرد غير معقول فتعين ان تكون اضافة بني آدم للاستغراق فظهر بذلك وجه قوله ولا يلزم من عدم

(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اوّل الكثير بالكل وفيه تعسف

تحصيل الجنس عدم تحصيل بعض افراده ثم ذكر الله تعالى لما ذكر ان الشيطان ليس له سلطان على المخلصين من
عباد الله تعالى وانه كاف في عصمة من يتوكل عليه واتبعه بذكر ما يدل على كمال قدرته من اجرآء السفن لهم
في البحر ابتغاء منافع الدنيا وان شكر نعمه لبني آدم ليس من جهة تسخير الفلك لهم فقط بل انه تعالى كرمهم من وجوه
شتى من جملتها انه حملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات حرضهم على الاجتهاد
في اكتساب الخيرات المؤدية الى سعادة الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية قرأه الجمهور بنون
العظمة وقرئ يدعو بياء الغيبة واسناد الفعل الى ضمير الله او الملك وكل اناس على القرآءتين منصوب على انه
مفعول به وقرئ يدعى مبنيا للمفعول وحينئذ كل مرفوع لقيامه مقام الفاعل وقرئ يدعو بضم الياء وفتح العين
بعدها واو ساكنة نقل من القرآءة انه قال اهل العربية لايعرفون وجها لهذه القرآءة ولعل القارئ قرأ يدعا
مفخمة ممزوجة بضمة فظن الراوي انه قرأ يدعو وذكر لها وجهين الاول ان الاصل يدعا على بناء المفعول الا ان
القارئ قلب الالف واوا حال الوقف على لغة قوم يقولون هذه افعو وعصو وحبلو في الافعى والعصا والحبلى
ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل والوجه الثاني ان الفعل مجرد والاصل
يدعا ابدلت الواو من الالف لتدل على ان الفاعل جمع وليست ضمير جمع بل الفعل باق على افراده كما في قولهم
اكلوني البراغيث واعراب الفعل بالحركة التقديرية ومعنى كون الواو علامة الجمع انها حرف جيء به ليدل على ان
الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء لتدل على ان الفاعل مؤنث فعلى هذا كل مرفوع على انه قائم مقام الفاعل ﴿قوله
او ضميره﴾ ونون الرفع محذوفة لقلة المبالاة بها لانها علامة الرفع فقد تكون مقدرة كما في يغزو ويرمي ويدعا فلم
يظهر رفعها بالحركة التقديرية فعلى هذا الوجه يكون كل مرفوعا على انه بدل من الواو التي هي ضمير الجمع وجعل الواو
ضميرا اولى من جعلها علامة الجمع لان جعلها علامة يستلزم ارتكاب حذف الفاعل من غير سبب وذلك غير
معهود في قواعد العربية والباء في قوله تعالى بامامهم متعلقة بقوله ندعو اي ندعوهم باسم امامهم الذي
يأتمون به ويقتدون فيقال يا امة فلان ويا اهل القرآن مثلا ويجوز ان يكون بامامهم في موضع الحال والباء
متعلقة بمحذوف اي ندعوهم متلبسين بكتابهم والامام من يؤتم به ويقتدى والمراد به نبيهم وقيل كتابهم
السماوي الذي انزل عليهم فان كل امة تقتدي بكتابها كما تقتدي بنبيها وقيل رئيسهم الذي كان يدعوهم في الدنيا
الى هدى او الى ضلالة فيقال يا اصحاب عالم كذا وفاضل كذا ويا اتباع نمرود ويا اتباع فرعون من رؤساء كل
قوم في الدين محقين كانوا او مبطلين وقيل كتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر فقام
الاسفار بحسب الاعمال مقام الاسفار بالانساب وقيل القوى الحاملة لهم على عقائدهم واعمالهم كالقوة النظرية
والعملية والقوة الغضبية والشهوية سوآء كانت شهوة النقود او شهوة الضياع او شهوة الجاه والرياسة والقوة
العملية الداعية الى العفة والشجاعة والكرم والصبر والقناعة ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة والحميدة وما يدعو
اليها من القوى النفسانية فان كل ذلك بمنزلة الامام وقيل امامهم امهاتهم والمعنى ان كل الناس يدعى يوم القيامة
باسماء امهاتهم دون اسماء آبائهم والحكمة في ذلك ثلاثة امور منها اجلال عيسى عليه الصلاة والسلام
فانه لم يكن له اب يدعى باسمه فلا جرم يدعى باسم امه فدعي سائر الناس باسماء امهاتهم اتماما له عليه الصلاة والسلام
واجلالا له وتعظيما ﴿قوله ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء﴾ يعني ان المراد من المظلومية المنفية نقص
ما يستحقونه من الثواب الموعود بازآء عملهم وان الفتيل مستعار للشيء التافه الحقير وهو في الاصل اسم القشرة
الرقيقة التي تكون على شق النواة وسميت فتيلا لانه اذا اراد الانسان استخراجها انفتلت وقيل الفتيل
هو الوسخ الذي يفتله الانسان بين سبابته وابهامه وهو فعيل بمعنى مفعول ﴿قوله وجمع اسم الاشارة والضمير﴾
جواب عما يقال اسم الاشارة وضمير يقرأون كتابهم عبارة عما عبر عنه بضمير قوله كتابه بيمينه فلم افرد الاول وجمع الثاني
وتقرير الجواب انه حمل اولا على لفظ من اوتي فافرد الضمير الراجع اليه وحمل ثانيا على معناه فجمع ما هو عبارة عنه
﴿قوله وتعليق القرآءة بايتاء الكتاب باليمين﴾ مع ان من اوتي كتابه بشماله يقرأ كتابه ايضا مبني على ان اصحاب
الشمال تنعقد ألسنتهم فيعجزون عن القرآءة الكاملة البينة بسبب ما غشيهم من الخجلة والحيرة حين معاينتهم ما في كتابهم
من القبائح بخلاف اصحاب اليمين فان حالهم على عكس ذلك فلا جرم انهم يقرأون كتابهم على احسن الوجوه وابينها
ثم انهم لا يكتفون بقرآءتهم باحسبهم بل يقولون لاهل المحشر هاؤم اقرأوا كتابيه فدل على حال مقابليهم انهم

(يوم ندعو) نصب باضمار اذكر او ظرف
لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى
ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول
افعو او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله
واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره
وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر
كما في يدعى (كل اناس بامامهم) بمن ائتموا به
من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين
وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال
يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب
وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة
لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك
اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف
الحسن والحسين رضي الله عنهما
وان لا تفتضح اولاد الزنى (فمن اوتي)
من المدعوين (كتابه بيمينه) اي كتاب عمله
(فاولئك يقرأون كتابهم) ابتهاجا وتبجحا
بما يرون فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة
والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق
القرآءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على
ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه
غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم
عن القرآءة ولذلك لم يذكرهم

(لايقدرون)

لا يقدرون على قراءة كتابهم من طريق الابتهاج والتبجح فاستغنى عن ذكر حال من سيهم ﴿قوله عمى القلب﴾ اى ليس المراد بالعمى فى قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى عمى البصر بل المراد منه عمى القلب ولا يمكن حمل عمى فى قوله فهو فى الآخرة عمى على عمى البصر لانهم يعرفون الله تعالى بالضرورة وكان المراد منه اعمى عن طريق الجنة والنجاة من النار لما روى انه لما نزلت هذه الآية جاء ابن ام مكتوم وكان ضريرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفأكون فى الآخرة اعمى فنزل قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل المراد بالعمى الثانى عمى البصر لقوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وهذا المعنى من جملة عقوبتهم ﴿قوله لزوال الاستعداد﴾ يعنى انه وان كان فى الدنيا ضالا عن الصراط المستقيم الا ان ضلاله فى الآخرة اشد واقوى بالنسبة الى ضلاله الكائن فى الدنيا لانه يمكنه الاهتداء فى الدنيا بالتوبة عن غوايته والخروج عن جهله وعن غوايته بالتفكر فى الادلة وتحصيل ما كلف به من الايمان بالغيب والاعمال الصالحة بخلاف ضلاله فى الآخرة فانه لا يمكنه الخروج عنه لزوال الاستعداد للاهتداء الى الحق الذى كلف به وزوال الآلة والمهلة ﴿قوله وقيل الثانى للتفضيل﴾ يعنى قيل ان اعمى فى قوله تعالى فهو فى الآخرة اعمى ليس افعل التى للصفة بل هى صيغة التفضيل بمعنى اشد عمى ولذلك عطف عليه قوله تعالى واضل سبيلا وحمله فى تقرير المعنى حينئذ على هذه عبارة عن النعم المذكورة فى الآيات المتقدمة من قوله تعالى الذى يزجى لكم الفلك الى قوله تفضيلا فالمعنى من كان فى هذه النعم التى رآها وعاينها اعمى ولم يعلم كونها نعمة الهية وصلت اليه بقدرة الله تعالى ورحمته فهو فى الآخرة التى لم يرها ولم يعاينها اشد عمى عن معرفة كون النعم الثابتة بين السماء والارض وفى البحر والبر [illegible] بقدرته فتعين والاستدلال بها عليه فهو فى الآخرة اى فى امرها اشد عمى واضل سبيلا وابعد عن تحصيل امرها وعلى التوجيه يكون العمى عن الامرين حاصلا فى الدنيا والعمى الحاصل هو عمى القلب عن معرفة احوال الآخرة والحاصل عنده هو عمى القلب عن معرفة كون العالم وما فيه من النعم من آثار قدرة الفاعل المختار [illegible] وقيل هذه اشارة الى الدنيا ايضا والمعنى من كان فى الدنيا ضالا كافرا فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لا تقبل توبته وفى الدنيا يهتدى الى التخلص عما يهلكه من المهلكات [illegible] بالتفكر فى الدلائل المنصوبة وفى الآخرة لا يهتدى الى ذلك البتة واضل سبيلا لان ضلاله فى الآخرة لا سبيل له الى الخروج منه بخلاف ضلاله فى الدنيا ﴿قوله ولذلك لم يمله﴾ اى ولكون الثانى للتفضيل قرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر عن عاصم من كان فى هذه اعمى بالامالة واعمى فهو فى الآخرة اعمى بالفتح والتفخيم وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر فى رواية بالامالة فيهما لكون الكلمة من ذوات الياء والياقون وهم ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح والتفخيم فيهما لانه الاصل وابو عمرو فرق بينهما فامال الاول لانه ليس افعل تفضيل فلفظه متطرف لفظا وتقديرا والاطراف محل التغيير غالبا فامال اعتبارا لكون الكلمة من ذوات الياء وايضا آخر الكلمة موضع الوقف والالف تخفى فى الوقف فاذا اميلت جىء بها نحو الياء فتظهر بخلاف ما اذا كانت فى وسط الكلمة كما فى اعمى الثانى فانه ليس محل الوقف فثبتت الالف فيه على اصل حاله واما الثانى فانه للتفضيل وانه فى حكم المتوسط لان تمام افعل التفضيل بمن الداخلة على المفضول فهى فى حكم المنوى فيها لكونها شديدة الاتصال بمعنى الا ان تكن الالف واشتق الحرف كانت مصونة عن التغيير فثبتت على حالها ورد هذا الوجه بانهم اما لوا قوله ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلان يميلوا اعمى مقدرا معه من اولى واحرى ﴿قوله لا نحشر ولا نعشر ولا نجبى فى صلاتنا﴾ اى اشترطوا ان لا يؤخذ عشر اموالهم وقيل ارادوا بالعشر الصدقة الواجبة ويجوز ان يسمى ما يجب على المسلمين ربع العشر عشرا لان الصدقة ما يؤخذ منهم الى العشر ونصف العشر وقد يؤخذ العشر نفسه وهو زكاة ما سقته السماء واشترطوا ايضا ان لا يحشروا اى ان لا يحشروا الى الغزو وقال الكفار والجبية ان يقوم الانسان فيه قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيجبون جبية رجل واحد قياما لرب العالمين قال ابو عبيدة الجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود وقولهم ولا نجبى يريدون به ولا نصلى تسمية للصلاة باسم جزئها والحاصل انهم اشترطوا ان لا يكون عليهم

مع ان قوله (ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى) انما يشعر بان المراد بالاعمى لا يبصر آيات الكتب ولعمى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة (واضل سبيلا) منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقد الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة

والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال (عن الذى اوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره) غير ما اوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا منى ولايتى (ولولا ان ثبتناك)

ولو تثبيتنا اياك (لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه (اذا لاذقناك) اى لو قاربت لاذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مايعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد اهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم (من الارض) ارض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك) ولو خرجت لايبقون بعد خروجك (الا قليلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لاتعمل اذا كان معتمدا مابعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما *
بسط الشواطب بينهن حصيرا *

(سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه (ولا تجد لسنتنا تحويلا) اى تغييرا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها

(ومن)

زكاة وجهاد وصلاة وان كل ربا يستحقونه على غيرهم فهو لهم وكل ربا يستحقه غيرهم عليهم فهو موضوع عنهم وان تترك لهم الاصنام حولا بشرط ان لايكسروها بايديهم عند رأس الحول وان يحرموا على منع من قصد واديهم المسمى بوج لبعضد شجره ويقلع حشيشه كما حرم حرم مكة شرفه الله ﴿قوله ولو اتبعت مرادهم﴾ اشارة الى ان اذا حرف جواب وجزاء فاقام اداة الشرط مقامها دليلا على تضمنها معنى الجزاء وقوله لاتخذوك جواب قسم محذوف تقديره اذن والله لاتخذوك وليس مراد المصنف ان كلمة لو مقدرة فى النظم واذا لاتخذوك جواب لها اذ لا حاجة الى تقديرها وانما المراد تفسير المعنى وهو لايوجه الاعراب واصل الفتنة الاختبار يقال فتن الصائغ الذهب اذا ادخله النار واذابه ليميز جيده من رديئه ثم استعمل فى كل من ازال الشئ عن حده وجهته ويقال فتنه اى خدعه وصرفه عما هو عليه فقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك اى يزيلونك ويصرفونك عن الذى اوحينا اليك وهو القرآن اى عن حكمه وذلك لان فى اعطائهم ما ارادوا مخالفة لحكم القرآن واللام لام العاقبة فى لتفترى علينا غيره اى بان يقول الله امرنى بذلك ﴿قوله عذاب الدنيا وعذاب الآخرة﴾ اضمر العذاب وجعل الحياة والممات عبارتين عن الدنيا والآخرة لان العذاب يوصف بالضعف كما فى قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا وقوله من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار قال لكل ضعف اى عذاب مضاعف وحاصل المعنى انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحقيت تضعيف العذاب عليك فى الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلى عذاب المشركين فى الدنيا ومثلى عذابهم فى الآخرة والسبب فى تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام اكثر فكانت ذنوبهم اعظم فكذلك كانت العقوبة المستحقة عليهم اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقوله فى حق الاماء فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب لان الرق منصف للنعمة ﴿قوله وان كاد اهل مكة﴾ اى وان الشان قرب اهل مكة ليزعجونك من ارض مكة على ان ان مخففة واللام فارقة والاستفزاز هو الازعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركى مكة وحمل الارض على ارض مكة على ماقاله مجاهد وقتادة لان الآية مكية وماقبلها اخبار عن احوال اهل مكة يعنى هم المشركون ان يخرجوه من مكة فكفهم الله تعالى عنه وامره عليه الصلاة والسلام بالهجرة فخرج بنفسه * فان قيل قال الله تعالى وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك يعنى اهلها وهو صريح فى انهم اخرجوه وذكر ههنا وان كادوا ليستفزونك من الارض فكيف الجمع بينهما على قول من قال المراد بالارض ههنا ارض مكة * اجيب بان قوله اخرجتك من قبيل اسناد الحكم الى سببه فانهم هموا باخراجه عليه الصلاة والسلام منها الا انه عليه الصلاة والسلام ماخرج باخراجهم وانما خرج بامر الله تعالى فزال التناقض ﴿قوله لايلبثوا﴾ بحذف النون قرأ الجمهور لايلبثون برفع الفعل واثبات النون بعد اذا ولم يعملوا اذا لكونها متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه فان لايلبثون معطوف على قوله يستفزونك وهو مرفوع لخلوه عن الجازم والناصب على انه خبر كاد والمعطوف على خبر كاد واقع موقع خبر كاد فيكون واقعا موقع الاسم فلا تعمل اذا فيه لاعتماد مابعدها على ماقبلها مع ان مراد لعمل اذا وقرئ لايلبثوا بغير النون لايكون معطوفا على خبر كاد فيرم الغاء اذن بل تكون جملة قوله اذا لايلبثوا معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ﴿قوله عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا﴾ عفت اى درست وخلافهم اى بعدهم والشواطب النساء اللاتى تشقق الجريد ليعمل منه الحصير والشطبة السعفة الخضراء الرطبة والجمع الشطب يقال شطبت المرأة الجريد شطبا اذا شققته لتعمل منه الحصير يصف دروس ديار الاحباب بعدهم بانها غير مسكونة بحيث لم يبق فيها بعد ترحل الاهل من الديار بالشطب التى تعتبر حال نسج الحصير فقال فكأنما بسط الشواطب بين تلك الديار ماينسج منه الحصير للقعود لانهن يبسطن نفس الحصير للجلوس عليه فانه لايناسب الاسناد الى الشواطب ثم انه تعالى لما قال له عليه الصلاة والسلام يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية امره بالمواظبة على اشرف الطاعات بعد الايمان فقال اقم الصلاة الآية ويجوز ان يرتبط بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض الآية فكأنه قيل لاتبال بسعيهم فى اخراجك من بلدك ولاتلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى والمداومة على اداء الصلاة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك عاليا على اديانهم ونظيره قوله تعالى فى سورة طه فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله فى سورة الحجر فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اختلف اهل اللغة والمفسرون فى معنى دلوك الشمس على قولين احدهما ان دلوكها غروبها روى عن على رضى الله عنه انه قال دلوك الشمس غروبها وروى هذا القول عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم والقول الثانى ان دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار اكثر الصحابة والتابعين ويدل على صحة هذا القول وجوه الاوّل ماروى عن جابر انه قال طعم عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين دلكت الشمس والثانى ماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اتانى جبريل عليه الصلاة والسلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر والثالث قول اهل اللغة معنى الدلوك فى كلام العرب الزوال ولذا قيل للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة وقيل لها ايضا اذا افلت دالكة لانها فى الحالتين زائلة هكذا قاله الازهرى وقال القفال اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب قال الازهرى الاولى حمل الدلوك على الزوال فى نصف النهار والمعنى أقم الصلاة اى ادمها من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقرير يدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن الفجر فاذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس فى هذه الآية فان حملناه على الغروب لم يدخل فيه الا ثلاث صلوات وهى المغرب والعشاء والصبح وحمل كلام الله تعالى على مايكون اكثر فائدة اولى فوجب ان يكون المراد من الدلوك الزوال ﴿ قوله وكذا كل ماتركب من الدال واللام ﴾ فان جميع ذلك يتضمن معنى الانتقال كدلح اى مشى بحمله غير منبسط الخطو لثقله عليه ودلج يدلج دلوجا من باب دخل يدخل دخولا وهو بالجيم المعجمة الاوّل بالحاء المهملة ومعناه اخذ الدلو ومشى بها من رأس البئر الى الحوض حتى يفرغها فيه وذلك الموضع مدلج ومدلجة والدلج بفتح اللام اسم السير من اوّل الليل ودلع الرجل لسانه فدلع اى خرج يتعدى ولا يتعدى ودلف الشيخ اذا مشى وقارب الخطو والدله التحير وذهاب العقل من الهوى يقال دلهه الحب اى حيره وادهشه ودله هو يدله اى تحير والمصنف فسر دلوك الشمس بزوالها نقل انه يفسر بغروبها ثم اشار الى وجه كل واحد من التفسيرين فقال واصل التركيب الانتقال يعنى ان الدلوك فى اصل اللغة يجيء من التحير والانتقال من حال الى حال وهو حاصل فى كل واحد من الغروب والزوال فكان كل واحد منهما من انواع الدلوك فصح اطلاقه على كل واحد منهما اطلاق الكلى على كل واحد من افراده وحرّبائه ثم نقل مايرجح ان يكون المراد به الزوال وهو كون الدلوك مشتقا من الدلك والدلوك بهذا المعنى صفة الناظر الى الشمس واضيف الى الشمس لكونها حاملة للناظر اليها على ان يدلك عينه ليدفع تأثيرها من شعاع الشمس وذلك التأثير انما يحصل فيها عند النظر الى الشمس وقت دنوها من الزوال فظهر ان مراده من قوله الدلوك من الدلك بيان ان الدلوك بمعنى الزوال ﴿ قوله وصلاة الصبح ﴾ على معنى واقم صلاة الصبح لان قوله وقرآن الفجر معطوف على قوله الصلاة فيكون المعنى واقم قرآن الفجر اى صلاته تسمية لها باسم بعض اركانها ﴿ قوله تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ﴾ يعنى ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فى صلاة الصبح خلف الامام تنزل عليهم ملائكة النهار وهم فى صلاة الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل التى باتت معهم من ظلمة الليل فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب انا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار يارب اتيناهم وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا انى قد غفرت لهم ﴿ قوله او شواهد القدرة ﴾ عطف على قوله ملائكة الليل والمعنى ان قرآن الفجر تشهده دلائل القدرة الباهرة فان الانسان اذا شرع فى اداء صلاة الصبح فى اوّل وقتها الذى هو وقت بقاء الظلمة يتغير الى الضياء وهو فى اثناء الصلاة بعد والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالمصلى يشاهد فى اثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضياء فكانما تحولت من العدم الى الوجود ويشهد عقله السليم بان هذا التقلب والتحول لا يقدر عليه الا الخالق سبحانه ويستنير باطنه بنور هذه المعرفة وقوة اليقين ﴿ قوله او كثير من المصلين ﴾ اى يشهده كثير من المصلين فى العادة وقوله او من حقه ان يشهده الجم الغفير على هذا يكون المقصود الترغيب فى ان تؤدى هذه الصلاة بالجماعة ووجه الفرق بينها وبين سائر الصلوات ان تأثير هذه الصلاة فى تصفيته وتنويره اكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين لاداء هذه الصلاة استنار قلب كل واحد منهم بسبب ذلك الاجتماع لانه ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته فى ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب

واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان
الدالك لاتستقر يده وكذا كل ماتركب من
الدال واللام كدلح ودلج ودلع ودلف
ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر
اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت
مثلها فى ثلاث خلون (الى غسق الليل) الى
ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة
(وقرآن الفجر) وصلاة الصبح سميت
قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا
واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل
فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة
فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل
الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا
وفى غيرها قياسا (ان قرآن الفجر كان
مشهودا) تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والنوم الذى هو اخو الموت بالانتباه
او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم
الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر
الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان
فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة
المغرب

وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق (ومن الليل فتهجد به) وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة

او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام (وقل رب ادخلني) اي في القبر (مدخل صدق) ادخالا مرضيا (واخرجني) اي منه عند البعث (مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به وكسره (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انها للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف

الآخر فيصير ارواحهم كالمرآة المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها انوار الشمس فانه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرآة الى الاخرى فكذا في هذه الصورة ولهذا السبب كل من له ذوق سليم اذا ادى هذه الصلاة بالجماعة وجد من قلبه صفاء ونورا ﴿قوله بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه﴾ وذلك لان اللام في قوله لدلوك الشمس للتعقيب وقوله الى غسق الليل متعلق باقم وكلمة الى لانتهاء غاية الاقامة وغسق الليل تراكم ظلمته واشتدادها والظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق الابيض والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية منتهيا عندها فيكون قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيانا لمبدأ الوقت ومنتهاه ﴿قوله ومن الليل﴾ متعلق بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل كما يشعر به قوله وبعض الليل فاترك الهجود والاظهر ان يكون متعلقا بمقدر عطف عليه فتهجد لان الصلة لا بد لها من معطوف عليه والتقدير وقم من الليل اي في بعض الليل فتهجد بالقرآن فالمراد منه الصلاة المشتملة على القرآن عبر عنها باسم بعض اركانها والمعروف في كلام العرب ان الهجود عبارة عن النوم بالليل يقال هجد فلان اذا نام بالليل ثم لما رأينا في عرف الشرع انه يقال لمن انتبه بالليل من نومه وقام الى الصلاة انه متهجد وجب ان يقال سمي ذلك متهجدا من حيث انه ألقى الهجود عن نفسه كما قيل للعابد متحنث لالقائه الحنث وهو الاثم والحوب عن نفسه ونافلة مصدر على وزن العافية منصوب بفعله المقدر اي تنفل نافلة لك والنافلة في اللغة الزيادة على الاصل ومعناها في هذه الآية ايضا الزيادة وفي تفسير كونها زيادة قولان مبنيان على ان صلاة الليل هل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم من قال انها كانت واجبة عليه بقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخت فصارت نافلة اي تطوعا وزيادة على الفرائض وقال آخرون ان صلاة الليل كانت واجبة عليه عليه الصلاة والسلام ومعنى كونها نافلة له على الصحيح انها فريضة زائدة له عليه الصلاة والسلام على الصلوات الخمس واختار المصنف هذا القول لان فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب ان يكون التهجد واجبا عليه ومن قال ان صلاة الليل ليست واجبة عليه بل هي تطوع في حقه كما هي تطوع في حق امته قال في وجه قوله نافلة لك باللام الاختصاص انه تعالى غفر للنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكل طاعة يأتي بها سوى المكتوبة فانه لا يكون تأثيرها في كفارة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها في زيادة الدرجات وكثرة الثواب فلما كانت زيادة للمثوبات سميت نافلة بمعنى زيادة المثوبات بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهم يحتاجون الى النوافل لتكفير الذنوب والسيئات لا لمحض زيادة المثوبات وللاشارة الى هذا المعنى جعلت تطوعاته عليه الصلاة والسلام زوائد ونوافل في مثوبته بخلاف تطوعات امته ﴿قوله ولاشعاره﴾ عطف على قوله لما روى فهو وجه ثان لكون المراد المقام المحمود مقام الشفاعة وتقريره كون المقام من حيث هو مقام محمودا يشعر بالانعام عليه وذلك الانعام لا يجوز ان يراد به تبليغ الدين والهداية الى الشرع القويم والصراط المستقيم لان ذلك الانعام كان حاصلا للآن وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يشعر بكون المراد منه مقام الشفاعة واتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله تدخل فيما هو قطعي الوقوع لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا عليه والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم لا يعطيه ﴿قوله اي في القبر﴾ قدم هذا الوجه واختاره لكونه مناسبا للمذكور عقيب قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والعامة على ضم الميم في قوله مدخل ومخرج لوقوعهما بعد فعل رباعي وجعلهما المصنف مصدرا ميميا وان جاز ان يكونا اسمي مكان وقرئ بفتح الميم فيهما على ان كل واحد منهما مصدر ميمي من الفعل الثلاثي منصوب بفعل مقدر موافق له تقديره فادخل مدخل واخرج مخرج والاضافة فيهما للتبيين مدحا للمضاف كانه سأل الله تعالى ادخالا حسنا واخراجا حسنا لا يرى فيه ما يكرهه وان كان المعنى ادخلني مكة ظاهرا عليها يكون المأمور به ان يسأل الله تعالى ان يفتح له مكة ويدخل فيها ادخالا مرضيا وان كان المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة تكون الآية مرتبطة بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض والمعنى ان كفار مكة لما ارادوا اخراجه عليه الصلاة والسلام من مكة امره الله تعالى بالهجرة الى المدينة وقال له قل رب ادخلني مدخل صدق وهو ادخاله المدينة واخرجني مخرج صدق وهو اخراجه من مكة او ادخاله الغار واخراجه منه ﴿قوله ومن للبيان﴾ فان قيل من البيانية لا بد ان يتقدمها ما يحتاج الى البيان لا ان تقدم هي عليه وههنا قد تقدمت عليه فكيف تكون بيانية فالجواب ان المبين لا يجب تقدمه لفظا بل يكفي تقدمه رتبة وهو حاصل ههنا فان قوله من القرآن بيان للمفعول ننزل وهو قوله ما هو شفاء

وحال منه كما ان من الاوثان في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس وبيان له وذو الحال متقدم من حيث الرتبة على الحال وان كانت تبعيضية يكون من القرآن منزلا به وما هو شفاء فلانه شبه المؤمنون بالمرضى من حيث احتياجهم في تقوية دينهم وعقائدهم واصلاح نفوسهم واخلاقهم الى مايشفيهم ويصلح شأنهم في الدارين وشبه القرآن بالدواء الشافي من حيث كونه قالعا ومزيلا لضعف العقائد والاخلاق الدنيئة ويصلح شأن المؤمن في باب العقائد والاعمال والاخلاق عبر عن المشبه باسم المشبه به فقيل ونزل من القرآن ماهو شفاء ثم بين المراد بهذا اللفظ المستعار بقوله من القرآن وان شئت قلت ذكر طريق التشبيه البليغ وجعل كون القرآن بمنزلة الشفاء بالنسبة الى المؤمنين تخييلا للاستعارة التي هي تشبيه المؤمنين بالمرضى ثم انه تعالى لما وصف القرآن بانه شفاء ورحمة للمؤمنين وانه لا يزيد الظالمين الا خسارا بين ان شأن نوع الانسان انه اذا فاز بالنعمة والدولة اغتر بهما ونسي ذكر الله تعالى والاشتغال به ثم اتبع ذلك بقوله قل كل يعمل على شاكلته اى على حسب طريقته المشاكلة لما هو عليه من الهدى والضلال فالكافر يعمل مايشبه طريقته من الاعراض عن الذكر عند الانعام ومن اليأس من رحمة الله عند الشدة والمؤمن يعمل مايشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ويدل على هذا قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى المؤمن الذى لا يعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون المراد بالشاكلة مايشاكل جوهر روحه والمعنى كل احد يعمل على وفق مايشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه نفسا مشرقة طاهرة علوية صدرت عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة خبيثة سفلية ظلمانية صدرت عنه افعال خبيثة قال الامام اختلف العقلاء في ان النفوس الناطقة البشرية هل هي مختلفة بالماهية اولا فمنهم من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلاف افعالها واحوالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها متساوية في الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف امزجة ابدانها ثم قال والمختار عندى هو القسم الاول والقرآن مشعر بذلك فانه تعالى بين في الآية المتقدمة ان القرآن بالنسبة الى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى البعض الآخر يفيد الخسار والخزى ثم اتبعه بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها من القرآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس الكدرة ان يظهر فيها من القرآن آثار الخزى والضلال كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية فيظهر فيها من القرآن ضلال ونكال على نكال انتهى كلامه والمصنف اشار الى القول الاول بقوله او جوهر روحه والى الثانى بقوله واحواله التابعة لمزاج بدنه من غير تعرض لترجيح احد القولين على الآخر ويحتمل ان يكون قوله هذا ترجيحا للقول الاول ويكون عطف قوله واحواله التابعة للاشارة الى ان اختلاف جوهر الروح بالماهية انما يقتضي اختلاف الافعال بواسطة اختلاف تدبيره في مادة بدنه ﴿ قوله من الابداعيات ﴾ اى من الامور المخترعة لا على مثال والسؤال عن الروح وان كان يقع على وجوه كثيرة احدها ان يقال اى شئ ماهية الروح وحقيقته اهو متحيز ام حال في المتحيز ام موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز وثانيها ان يقال الروح هل هو قديم او حادث وثالثها انه هل يبقى بعد موت الاجساد او يفنى ونحو ذلك من احوالها الا ان الظاهر انهم سألوه عليه الصلاة والسلام عن حقيقة الروح وانه عليه الصلاة والسلام اجابهم بان بين لهم ذات الروح ببعض خواصه واحواله وهو قوله تعالى قل الروح من امر ربى يعنى انه موجود بامر الله تعالى وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه لاهل الدهر ادمى البين انه لا يتجاوز ادراككم عن عالم المحسوسات وما يدرك به من المعانى المشوبة ليس الا صورا منتزعة من الجزئيات المحسوسة على حسب الاستعدادات المختلفة بل هو من عالم الامر اى عالم الابداع الذى هو عالم الذوات المجردة عن الهيولى والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكه لانكم المحصورون بالكون لقصور ادراككم عنه فالجواب المذكور اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بلوازم تميزه عما يلتبس به ولذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلاة والسلام في جواب ومارب العالمين على ذكر بعض صفاته وان ارادوا بسؤالهم عن الروح انه هل هو قديم او حادث يكون الجواب بانه من امر ربى بمعنى انه حادث بتكوينه وموجود بامره اى بقوله كن ولفظ الامر حينئذ بمعنى الفعل كما في قوله تعالى وما امر فرعون

(ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لتكذيبهم وكفرهم به (واذا انعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (اعرض) عن ذكر الله (ونأى بجانبه) لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض (واذا مسه الشر) من مرض او فقر (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل يعمل على شاكلته) قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (ويسألونك عن الروح) الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره (قل الروح من امر ربى) من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه

برشيد اى وما معه برشيد وقوله مجانبا امر دا اى معلما فقوله تعالى قل الروح من امر ربى اى من فعل ربى وانه حادث حصل بفعل الله وتكوينه وابداعه ﴿قوله وقيل مما استأثره الله بعلمه﴾ الظاهر ان يقال مما استأثر الله بعلمه بدون الضمير بمعنى استبدّ وتفرّد بعلمه واستعماله متعديا غير معهود فى اللغة ومعنى الجواب حينئذ قل معرفة الروح من شأن الله تعالى لا من شأن غيره على ان يقدّر المضاف بعد قوله قل ويكون الامر بمعنى الشأن وهذا التوجيه يطابقه قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولم يرض المصنف بهذا الوجه لان معرفة الروح ليست اعظم شأنا من معرفة الله تعالى واذا كانت معرفته تعالى ممكنة بل حاصلة فاى مانع يمنع من معرفة الروح مع ان مسألة الروح يعرفها اوساط العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف يليق بالرسول الذى هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء ان يقول انا لا اعرف هذه المسألة وانما علمها من امر ربى وشأنه فلذلك اختار ان يكون السؤال عن حقيقة الروح او عن قدمه وحدوثه وانه عليه الصلاة والسلام اجاب عن ذلك السؤال من بين لهم ما سألوه فى قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفى قوله فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا حيث سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف جبريل فى نفسه وكيف قيامه فى تبليغ الوحى فقال قل الروح من امر ربى اى انه من عالم الامر او موجود بامره وتكوينه او ينزل ويبلغ بامر ربه كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام وما نتنزل الا بامر ربك ﴿قوله وقيل خلق﴾ اى قيل ان الروح المسئول عنه فى هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو اعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا روى عن على رضى الله عنه انه قال انه ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها وما خلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومابين بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيمة عن يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى اليوم بعد الحجب السبعين ويقرب الى الله عز وجل يوم القيامة وهو يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره ﴿قوله وقيل القرآن﴾ اى وقيل المراد بالروح المسئول عنه فى هذه الآية القرآن لانه تعالى سمى القرآن فى كثير من الآيات روحا منها قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره ولان القرآن تحصل به حياة الارواح والعقول اذ به تحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واحوال الآخرة والارواح انما تحيى بهذه المعارف فسمى بالروح اللائق بهذا الموضع القرآن لانه تقدمه قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وجاء بعده ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك الى قوله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان ما قبل هذه الآية وما بعدها فى وصف القرآن ناسب ان يكون المراد بالروح المذكور فى هذه الآية ايضا القرآن ولما استعظم القوم امر القرآن وسألوا انه هل هو من جنس الشعر والكهانة اجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام الشعر وانما هو كلام ظهر بامر الله تعالى ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من امر ربى اى القرآن انما ظهر بامر ربى ووحيه ﴿قوله ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس﴾ جواب عما يقال سلمنا ان علم الانسان منحصر على ما يستفيده بواسطة الحواس لكن كيف يلزم منه ان يكون معلومه شيأ قليلا بالنسبة الى معلومات الله تعالى ومعلومات النفوس المجردة عن الحجب الطبيعية والغواشى الجسمانية واشار بقوله من احساس الجزئيات اى بطريق الاحساس المستفاد من احساس الجزئيات المعرفة لذاته الى ان الانسان يجوز له ان يعلم شيأ من الابداعيات على سبيل التشبيه والمقايسة بما شاهده فى عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الآخرة بهذا الطريق ﴿قوله ومحوناه من المصاحف والصدور﴾ اشارة الى جواب من زعم ان هذه الآية تدل على ان القرآن مخلوق لان العدم لا يعمل الازالة والاذهاب لما تقرر من ان ما ثبت قدمه يمتنع عدمه وتقرير الجواب ان المراد بهذا الاذهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة النقش الدال عليه من المصاحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول بحاصله محدثا روى محيى السنة فى تفسيره عن عبد الله بن مسعود انه قال اقرأوا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليهم ليلا فيرفع ما فى صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيأ ولا يجدون فى المصاحف شيأ ثم يفيضون فى الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب تعالى مالك فيقول يارب

وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من وحيه (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيأ من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور

(ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) من توكل علينا استرداده مسطورا محفوظا (الا رحمة من ربك) فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لا يأتون بمثله) وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

(ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه من كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا (ولقد صرفنا) كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس (فأبى اكثر الناس الا كفورا) الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) تعنتا واقتراحا بعدما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) او يكون لك بستان يشتمل على ذلك (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرا وفعل بمعنى مفعول كالطحن

الى ولا يعمل بى الى ولا يعمل بى «قوله بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به» يعنى انه على تقدير ان يكون الاستثناء منقطعا يكون استدراكا على قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا وعلى تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى منه قوله وكيلا بناء على ان الرحمة من جنس الوكيل مندرجة فيه كما قال ابو البقاء «قوله ولولا هى» اى اللام الموطئة فان القسم مقدر معها لجاز ان يكون قوله لا يأتون جواب الشرط غير مجزوم بناء على ان حرف الشرط اذا لم يعمل فيما هو اقرب منه فلأن لا يعمل فى الابعد اولى كما فى البيت فانه رفع يقول فيه مع انه جواب الشرط لما ذكرنا «قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ» يعنى ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن والانس فلما ظهر عجز كل واحد من الفريقين عن اتيان مثله ظهر ان القرآن ليس من نظم هذين الفريقين ولم يلزم منه كونه وحيا الهيا لجواز كونه من نظم الملائكة وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة ووقع التحدى مع جميع الفرق الثلاث فلم يذكر الملائكة. اجاب عنه اولا بان المقصود من تحقيق اعجاز القرآن دفع شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر او الجن ولم يذهب احد منهم الى احتمال كونه تأليف الملائكة فلذلك لم يذكر الملائكة فى مقام التحدى وثانيا بانه لا وجه لذكر الملائكة فى هذا المقام من حيث كونهم وسائط فى اتيانه ووصوله الى البشر «قوله ويجوز ان تكون الآية تقريرا» لا بيانا لكونه معجزا بعد الاثبات بتنزيله ثم باعجازه كما يفهم ذلك من التقرير السابق «قوله كررنا بوجوه مختلفة من كل معنى» اشارة الى ان قوله تعالى من كل مثل مفعول صرفنا وكلمة من فيه زائدة فى المفعول وقد جوز الكوفيون والاخفش زيادتها فى الاثبات والمعنى ولقد صرفنا تقرير كل معنى من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمواعظ وتقرير الدلائل الدالة على حقية ما هو الحق فى باب الاعتقاد والعمل وبطلان ما هو الباطل منهما من وجه الى وجه آخر وكرر ما تقرره بوجوه مختلفة ليذكروا ويدعوا الى الحق فابى اكثر اهل مكة الا جحودا للحق واصرارا على الكفر والعناد «قوله وانما جاز ذلك» يعنى ان قوله الا كفورا استثناء مفرغ فى الكلام الموجب وقد تقرر ان عدم ذكر المستثنى منه انما يجوز فى غير الموجب ولا يجوز فى الموجب لفساد المعنى فكان القياس ان لا يجوز ان يقال ابى اكثر الناس الا كفورا الا انه جاز من حيث ان قوله ابى اكثر الناس فى قوة لم يفعلوا ولم يرضوا الا كفورا وفسر الكفور بالجحود لانه تعالى اثبت نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ببيان كون القرآن معجزا وانه عليه الصلاة والسلام اظهره على وفق دعواه وحينئذ يتم الدليل على كونه نبيا صادقا لان كل من ادعى النبوة واظهر المعجزة على وفق دعواه فهو نبى صادق فصح انه نبى صادق عليه الصلاة والسلام وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها لانه يستلزم ان لا ينتهى الامر فيه الى حد يقطع عنده صدق الصادق بن لانه كلما اتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر لا الى نهاية فكفار مكة بعد ان ظهر كون القرآن معجزا التمسوا منه عليه الصلاة والسلام ستة انواع من المعجزات فالتماسهم هذا ليس الا تعنتا وجحودا «قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر» بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فجرت الماء فانفجر بمعنى بجسته فانبجس ويؤيد هذه القراءة كون الينبوع واحدا وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة مضارع فجر للتكثير واتفقوا على ان الثانية بالتشديد لتصريح مصدرها «قوله لا ينضب ماؤها» بضم الضاد اى لا يغور فى الارض ولا ينقطع ونبع الماء ينبع اى خرج واليعبوب الفرس الكثير الجرى والنهر الشديد الجرى وقوله عب الماء اذا زخر وكثر وارتفع يقال زخر الوادى اذا امتلأ وارتفع ماؤه وبحر زاخر والعباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه اقترح القوم وقالوا له عليه الصلاة والسلام ازل عنا جبال مكة وفجر لنا الينبوع ليسهل علينا امر الزراعة والحراثة ثم قالوا فان لم تستطع انهار الخير فاظهر الشر بان تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اى قطعا جمع كسفة وهى القطعة مثل قربة وقرب وانتصابه على الحال من السماء «قوله وحفص فيما عدا الطور» الظاهر انه معطوف على ابن كثير كأن قوله وابن عامر وقوله ونافع وابو بكر معطوفان عليه فيكون المعنى وسكنه حفص فيما عدا الطور وهو مخالف لما ذكره الامام الرازى فى تفسيره وهو قوله قرأ ابن عامر كسفا بفتح السين ههنا وفى سائر القرآن بسكونها وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم ههنا وفى الروم بفتح السين وفى باقى القرآن بسكونها وقرأ حفص فى سائر القرآن بالفتح الا فى الطور وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى فى الروم بفتح السين وفى سائر القرآن بسكونها هذه عبارة الامام فى الكبير وفى تفسير الامام ابى الليث وحاشية الطيبى وتيسير القراءة هكذا قرأ نافع وعاصم وابن عامر كسفا بفتح السين والباقون باسكانها والله اعلم من فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع

(او تأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه او شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله * ومن يك امسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة (او يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة (او ترقى في السماء) في معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرأه) وكان فيه تصديقك (قل سبحان ربي) تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن

كثير وابن عامر قال سبحان ربي اى قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) اى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق (الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لو كان في الارض ملائكة يمشون) كما يمشي بنو آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) يهدونه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها او يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصامّوا من استماع الحق وابوا ان ينطقوا

وكسرة وكسر ومن سكنه جعله ايضا جمعا على وزن فعل بفتح العين لكنه سكن عينه تخفيفا كما خففت سدر واصله سدر بفتح الدال جمع سدرة او جعله فعلا بمعنى المفعول كالطحن بمعنى المطحون والكاف في قوله كما زعمت صفة محذوف اى اسقاطا مثل مزعومك على ان ما مصدرية والمصدر بمعنى المفعول والمراد بمزعومه عليه الصلاة والسلام ما حكى عنه تعالى من قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم اى لا يصدقون انها كسف ساقطة للعذاب فمرادهم ان ما حكى عنهم في هذه السورة من قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا انما يقولونه عنادا وتمردا لا لتحصيل اليقين ﴿قوله كفيلا او مقابلا او جماعة﴾ فسر القبيل بثلاثة اوجه الاول الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل قبالة والثاني المقابل كالعشير بمعنى المعاشر والثالث الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالروم والزنج والعرب والقبيل بهذا المعنى يجمع على قبل ومنه قوله تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اى قبيلا واذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير او تأتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا واذا كان مقابلا كان التقدير تأتي بالله مقابلا والملائكة مقابلين وعلى الوجهين يكون قبيلا حالا من الله وحال الملائكة محذوف لدلالة المذكور عليه كما حذف خبر قيار في قوله

* فمن يك امسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب *

اى فاني لغريب وقيار كذلك وان كان قبيلا بمعنى جماعة يجوز ان يكون حالا من الله والملائكة وان يكون حالا من الملائكة فقط اى فوجا بعد فوج وكل فوج من الجن والانس قبيل ﴿قوله في معارجها﴾ قدر المضاف لان هذا الفعل اذا عدى بكلمة في انما يعدى الى ما هو آلة الارتقاء يقال رقى في السلم وفي الدرجة والرقى الصعود يقال رقى بكسر العين يرقى بالفتح رقيا على وزن فعول اصله رقوى فادغم بعد قلب الواو ياء ﴿قوله ولن نؤمن لاجل رقيك وحده﴾ روى عن عبد الله بن ابي انه قال لن نؤمن لك حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معك اربعة من الملائكة يشهدون لك ان الامر كما تقول فقال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل سبحان ربي ﴿قوله حتى يتخيروها على﴾ اى حتى يحكموا على باختيارها يقال تخير عليه اى اقترح عليه في اختيار الخير ﴿قوله باظهار المعجزة على وفق دعواي﴾ اذ كان ذلك شهادة منه تعالى على كونه عليه الصلاة والسلام صادقا في دعوى الرسالة ومن شهد الله تعالى على صدقه فهو صادق فكل من قال بعد ذلك يجب ان يكون الرسول ملكا لا انسانا يكون كلامه مهملا لا يلتفت اليه ﴿قوله لا يبصرون ما يقر اعينهم﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف يحشرون عميا وبكما وصما وقد قال تعالى ورأى المجرمون النار وقال سمعوا لها تغيظا وقال دعوا هنالك ثبورا وقال يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات انهم يرون ويسمعون وينطقون فكيف قال ههنا عميا وبكما وصما واجاب عنه المصنف اولا بان المعنى انهم يحشرون عميا بحيث لا يرون شيئا يسرهم صما لا يسمعون شيئا يلتذون بسماعه بكما لا ينطقون بحجة ثم اشار الى الجواب ثانيا بقوله ويجوز ان يحشروا الخ يعني انهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولا ان يسمعوا الزام حجة الله عليهم الا انهم اذا اخذوا يذهبون من الموقف الى النار يجعلهم الله تعالى عميا وبكما وصما ﴿قوله مؤوف القوى﴾ من الآفة يقال ايف الزرع على ما لم يسم فاعله اى اصابته آفة فهو مؤوف ﴿قوله توقدا﴾ اشارة الى ان السعير مصدر بمعنى التسعير وهو التوقد والتلهب كالنذير والنكير بمعنى الانذار والانكار ويجوز ان يكون السعير بمعنى النار المسعورة يقال سعرت النار بمعنى هيجتها والهبتها وقد تشدد العين لتكثير المبالغة فان قيل قال تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله كلما خبت يدل على ان العذاب يخفف عنهم في ذلك الوقت اجيب بان قوله كلما خبت معناه كلما ارادت ان تخبو زدناهم تسعرا وتلهبا ﴿قوله تعالى ذلك جزاؤهم﴾ مبتدأ وخبر والباء في قوله بانهم كفروا بآياتنا السببية اى ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدم جزاؤهم بسبب انهم كفروا بآياتنا الدالة على صدق مدعي النبوة مكابرة وعنادا وعطف على كفرهم بالآيات المذكورة قولهم وقالوا أئذا كنا عظاما الخ يعني انهم كما انكروا النبوة انكروا البعث والحشر واستبعدوا ان يعود الانسان بعينه بعد ان يصير عظاما ورفاتا واجاب الله تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعني ان من خلق السموات والارض كيف يستبعد منه ان يقدر على اعادتهم باعيانهم واراد بخلق مثلهم خلق انفسهم ثانيا فان مثل الشئ لما كان مساويا له في حالته جاز ان يعبر به عن الشئ نفسه الا ترى انه يقال مثلك لا يفعل هذا ويراد انت لا تفعله وقيل المراد انه قادر

بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوف القوى والحواس (مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها بان اكلت (على) جلودهم ولحومهم (زدناهم سعيرا) توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة فانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا)

على ان يخلق عبيداً آخرين يوحدونه ويقرون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر الشبهات الفاسدة وما اختاره المصنف انسب بالمقام وتم الجواب عند قوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم ثم عطف عليه وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهي قوله اولم يروا الخ فانه في قوة قد رأوا فليس هو داخلا في حيز الانكار بل هو معطوف على جملة برأسها وقوله لاريب فيه صفة لاجلا اي اجلا غير مرتاب فيه فان اريد به اجل الموت فوجه الافراد واضح وان اريد به اجل القيامة يكون المقصود من هذه الجملة بيان ان لوقوعه ودخوله في الوجود وقتا معلوما عند الله وبيان انه في نفسه امر ممكن الوجود بناء على ان اعادة امثالهم اهون في عقولهم من خلق السموات والارض ابتداء

﴿قوله وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده﴾ اي وليس بمرفوع على الابتداء لان كلمة لو للشرط والتعليق والمعلق عليه لابد ان يكون من الاحوال المتغيرة الغائبة الفائتة ولا يجوز ان يعلق الحكم على الذوات وكان من حقها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على الذوات والافعال تدل على المعاني والاحوال فلابد ان يليها الفعل ظاهرا او مضمرا ولما وقع الاسم بعدها في الآية وجب ان يقدر ان ذلك الاسم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو اذ لا يمكن ثبوته متصلا بعد حذف رافعه ونظيره في وجوب تقدير الفعل قوله وان احد من المشركين استجارك اي وان استجارك احد وقول حاتم * لو ذات سوار لطمتني * اي لو لطمتني ذات سوار لان لو طالبة للفعل فلم يوجد لفظا جعل مقدرا والمعنى لو لطمني من كان كفؤا لي لها علي ولكن لطمني من هو غير كفؤ وقيل اراد لو لطمني حرة فكني بكون اللاطمة ذات سوار عن الحرة لان العرب قلما يلبسون الاماء السوار فالمعنى لو كانت اللاطمة حرة لكان اخف علي وذكر العدول من الظاهر الى طريق الحذف والتفسير فائدتين الاولى المبالغة في ترتب الجزاء على الشرط لان تكرار الشرط يقتضي تكرار الجزاء الثانية الدلالة على الاختصاص وهو التعليق وذلك ان انتم وان كان فاعلا لفعل مقدر الا انه لما كان عبارة عن ضمير يملكون المتأخر ومتحدا معه بالذات كان من حيث المعنى فاعلا له قدم عليه وقد تقرر في علم المعاني ان تقديم الفاعل المعنوي يفيد الاختصاص فقوله تعالى لو انتم تملكون يدل على انهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل فانه من المعلوم ان خزآئن الله تعالى غير متناهية لا يتصور نفادها بكثرة الانفاق فمن ملكها واستولى عليها من غير مشارع ومزاحم ثم امسكها ولم يقض بها حاجة احد من المحتاجين يكون في غاية الشح ونهاية البخل ﴿قوله لصنفهم﴾ اشارة الى ان امسكتم لا يقدر له مفعول ويجعل لازما لتضمنه معنى بخلتم ويجوز ان يجعل متعديا ويقدر له مفعول اي لامسكتم المال والخيرات التي ملكتموها الا انه لا يحصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق مفعول له لقوله امسكتم وقيل انه مصدر في موضع الحال اي لامسكتم خاشين الانفاق وفيه نظر لان المصدر المعرف لا يقع موقع الحال الا شاذا نحو وارسلها العراك ولا يقاس عليه والانفاق مصدر انفق اذا اخرج المال وجعله المصنف مصدر انفق بمعنى افنى وفي الصحاح نفق الزاد ينفق نفقا اي نفد وانفق الرجل اي افتقر واذهب ماله فعلى هذا خشية الانفاق معناه خشية الفاقة والافتقار ﴿قوله اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب كافة الانسان خطابا عاما ويصفهم بالبخل المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان في الانسان من هو جواد كريم وتقرير الجواب وصف كافة الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث خلق محتاجا الى ما يتمتع به ويتقوى به والمحتاج لابد وان يحب ما به يدفع حاجته وان يمسكه لنفسه ولا يؤثر به غيره وان انفق او يؤثر به غيره انما يفعل ذلك لطلب عوض يفوق ما انفق مثل ان يحمد ويذكر بالجميل او يخرج من عهدة الواجب او يتقرب به الى الله تعالى وقلما ينفق لا للعوض وفائدة تصل اليه فكان المنفق بهذه الكيفية بهذا الغرض في الحقيقة بخيلا فان الجود هو العطاء تفضلا من غير داع يدعو اليه سوى الكرم ودفع حاجة المحتاج ثم اشار الى وجه آخر وهو انه وصف الكل بالبخل على عادة الاكثر مقام الكل لان البخلاء اغلب فيهم وقيل الخطاب في قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزآئن رحمة ربي الآية ليس للكل بل هو خطاب الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فانهم لما طلبوا اجرآء الانهار والعيون في بلدهم لتكثر اموالهم اجابهم الله تعالى بانكم لو تملكون خزآئن رحمة ربي لبقيتم على بخلكم وشحكم ولما اقدمتم على ايصال النفع الى احد فلا فائدة في اسعافكم بما طلبتموه وقوله تعالى قتورا اي بخيلا ممسكا يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اي ضيق عليهم في الانفاق وقصر وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات ﴿قوله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل﴾ اذ لو اريد بها

(أولم يروا) اولم يعلموا (ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق
مثلهم) فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة
اصعب عليه من الابدآء (وجعل لهم اجلا
لاريب فيه) هو الموت او القيامة (فأبى
الظالمون) مع وضوح الحق (الا كفورا)
الا جحودا (قل لو انتم تملكون خزآئن
رحمة ربي) خزآئن رزقه وسائر نعمه
وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول
حاتم * لو ذات سوار لطمتني * وفائدة هذا
الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة
على الاختصاص (اذن لامسكتم خشية
الانفاق) لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره
بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن
بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه
هذا وان البخلاء اغلب فيهم (وكان الانسان
قتورا) بخيلا لان بناء امره على الحاجة
والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض
فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق
البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل
الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الثلاث الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا
سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال
ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا
ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي
يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرآئع سميت
بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم
مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه
سياق الكلام

الاحكام المطلقة سوآء كانت عامة اوخاصة فلما كان الجواب مطابقا للسؤال لان الآيات المذكورة فى الجواب عشر والسؤال عن تسع كانه عليه الصلاة والسلام قال اعلموا معاشر اليهود ان الآيات التى اوتيها موسى عليه الصلاة والسلام ولم تلحقها شريعة ونكون نحن وانتم فيها سوآء هذه المذكورات لكن آية اخرى تخصص بكم وهى هذه الآية العاشرة قيل فى ارتباط هذه الآية بما قبلها انها جواب عن قولهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه الآيات المعجزات وتقريره انه تعالى قال انا قد آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التى طلبتموها بل اقوى منها واعظم فلو حصل فى علمنا ان جعلها فى زمانك مصلحة لفعلناها كما فعلنا فى زمان موسى لكن لما علمنا ان جعلها فى زمانك لامصلحة فيه لم نفعلها وقوله تعالى بينات يجوز ان يكون منصوبا على انه صفة للعدد وان يكون مجرورا على انه صفة للمعدود ﴿قوله فسأله سلهم من فرعون﴾ على ان يكون قوله تعالى فاسأل خطابا لموسى عليه الصلاة والسلام اذلو كان الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم لما احتيج الى تقدير القول فالمسؤل هو فرعون والمسؤل عنه انقاذ بنى اسرآئيل من ايدى القبط فانهم كانوا بمنزلة الاسرى فى يد فرعون والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فارسلناه الى فرعون وملائه وقلنا له اذجاءهم سل بنى اسرآئيل وخلهم وشأنهم فالسؤال بمعنى الطلب من قولهم سألته الشئ لامن قولهم سألته عن الشئ واذجاءهم متعلق بقلنا المقدر ﴿قوله اوسلهم عن حال دينهم﴾ على ان يكون الخطاب ايضا لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول الا ان المسؤل حينئذ بنو اسرآئيل والمسؤل عنه شأن دينهم والمعنى فقلنا لموسى سل بنى اسرآئيل اذجاءهم عن حال دينهم وقل لهم هل انتم ثابتون على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اودخلتم فى دين فرعون واذمتعلقة بقلنا المقدر ايضا ﴿قوله ويؤيده﴾ اى يؤيد كون الخطاب لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول ووجه التأييد ان تلك القرآءة صريح فى ان السائل هو موسى عليه الصلاة والسلام لان ضمير سال عائد اليه والمعنى فطلب موسى بنى اسرآئيل من فرعون اوسألهم عن حال دينهم واذجاءهم فى هذه القرآءة متعلقة بسال ﴿قوله اوفسل يامحمد﴾ عطف على قوله فقلنا له سلهم من فرعون اى ويجوز ان يكون السائل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والمسؤلون بنى اسرآئيل والمسؤل عنه ماجرى بين موسى وفرعون بعد ان اظهر موسى له ما آتاه الله من المعجزات التسع اى سلهم ان فرعون هل قبل آيات موسى وآمن بها اوانكرها واصر على الكفر لتسلى نفسك ولاتضطرب من تعنت المشركين اوسلهم عن الآيات العامة الغير المنسوخة التى آتاها الله تعالى موسى فانه امر محقق عندهم ثابت فى كتابهم وليس المقصود حقيقة السؤال بيان شئ من العام بل كونهم اى المسؤلين من اهل علمه ولهذا لم يسأل عليه الصلاة والسلام منهم ﴿قوله وعلى هذا كان اذمنصوبا بآتينا﴾ اى ظرفاله وتكون جملة فاسأل بنى اسرآئيل معترضة بين الظرف وعامله وفائدة الاعتراض لزدياد اليقين فان تظاهر الادلة يوجب طمأنينة القلب اوهو من باب التهييج والالهاب وزيادة التثبيت والطمأنينة على اسلوب قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اذجاء بنى اسرآئيل او فرعون وملاءه فاسأل عن ذلك من مسلمى اهل الكتاب يخبروك به كما اخبرت ﴿قوله اوباضمار يخبروك﴾ الذى هو جواب قوله فاسأل بنى اسرآئيل فلايكون اذجاءهم ظرفا ليخبروك اذلايتصور وقوع اخبارهم عن حال الآيات التسع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى زمان مجئ موسى عليه الصلاة والسلام الى بنى اسرآئيل بل يكون مفعولا له واخبارهم اياه عليه الصلاة والسلام ذلك الزمان عبارة عن اخبارهم اياه ماوقع فى ذلك الزمان من القصة بتمامها والمعنى سل بنى اسرآئيل عن حال الآيات التسع فانهم يخبرونك القصة بتمامها من لدن مجئ موسى من مدين الى مصر عند ابائهم ودعائه الى فرعون وطلبه منه ارسال بنى اسرآئيل معه والقائه النبوة واظهار تلك الآيات القاهرة باسرها وعجز فرعون وعناده الا انه يجب ان يكون قوله اذجاءهم بمعنى اذجاء آباءهم بتقدير المضاف لان الخطاب لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وبنو اسرآئيل هم الموجودون فى زمانه وموسى عليه الصلاة والسلام ماجاءهم بل جاء آباءهم وان كان اذجاءهم منصوبا باضمار اذكر على انه مفعول به جاز ان لايجعل فاسأل اعتراضا بان يجعل اذكر بدلا من اسأل لما سبق من ان المقصود من السؤال بيان كون المسؤلين من اهل علمه والفاء فى قوله فقال له فرعون على هذه الاوجه فصيحة والمعنى اذجاءهم فذهب الى فرعون فادعى النبوة واظهر المعجزة وكذبه فقال ﴿قوله وقرأ الكسائى بالضم﴾ والقرآءة بفتح التاء

(فاسأل بنى اسرآئيل اذجاءهم) فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك اوسلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضى بغير همز وهو لغة قريش واذمتعلق بقلنا اوبسال على هذه القرآءة اوفسل يامحمد بنى اسرآئيل عما جرى بين موسى وفرعون اذجاءهم اوعن الآيات ليظهر للمشركين صدقك اولتتسلى نفسك اوتعلم انه تعالى لوأتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم اوليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذنصبا بآتينا اوباضمار يخبروك على انه جواب الامر اوباضمار اذكر على الاستئناف (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت) يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه (ما انزل هؤلاء) يعنى الآيات (الارب السموات والارض بصائر) بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال

(وانى لاظنك يا فرعون مثبورا) مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حوم اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) ان يستخف موسى وقومه وينفيهم (من الارض) ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد فرعون واغراقه (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى اراد ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة (جئنا بكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) اى وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره (وما ارسلناك الا مبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصى من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار (وقرآنا فرقناه) نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به او لا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله) تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزاله القرآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لا محالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) كما يزيدهم علما ويقينا بالله

اسود لان احتجاج موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون يعلم فرعون انه اوكد من الاحتجاج مع تعسه ﴿قوله فان ظن فرعون كذب محض﴾ فانه وصف موسى بكونه مسحورا امر الاصه العقل ولا شك انه كذب محض لا دليل عليه ولا امارة وموسى وصف فرعون بكونه مثبورا اى مصروفا عن الخير وهالكا وتصدقه الامارات المتظاهرة وهى ان موسى عليه الصلاة والسلام اثبت نبوته بالمعجزات القاهرة التى لا يرتاب العقل فى انها من عند الله تعالى وانه تعالى انما اظهرها على يده تصديقا له فى دعواه وكل من انكرها لا يحمله على الانكار الا الحسد والعناد والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك تكون عاقبته الهلاك والثبور ﴿قوله وقرئ وان اخالك﴾ مضارع فولك خلت الشئ خيلا وخيلة ومخيلة اى ظننته وفى المثل من يسمع يخل وهو من باب ظننت وتقول فى مستقبله اخال بكسر الهمزة وهو الافصح وبنو اسد تقول اخال بفتح الهمزة وهو القياس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرآن وكمالاته فى الدلالة على صدق مدعى النبوة عاد الى تعظيم القرآن وبيان شأنه فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق وتثبيته فلما اردنا هذا المعنى انزلناه وقع وحصل نزوله بسبب الحق فعلى هذا يكون بالحق متعلقا بانزلنا ونزل والباء سببية وعلى ما ذكره المصنف تكون الباء متعلقة بمحذوف والجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من مفعول انزلناه او فاعل نزل والحق الاول عبارة عن الحكمة الداعية لانزاله والحق الثانى هو الثابت الذى لا يزول كما ان الباطل هو الزائل الذاهب وكل ما اشتمل عليه هذا الكتاب الكريم من دلائل التوحيد وصفات الاكرام وكون الملائكة عبادا لا يقبل الزوال ﴿قوله الا محفوظا بالرصد﴾ تفسير لقوله بالحق وبيان لكونه منصوبا على انه حال من المفعول وكل واحد من لفظى الحق على هذا عبارة عن الثابت المقابل للباطل والذى لا يكون انزاله ونزوله الا حال كونه ثابتا غير باطل لا يكون الا محفوظا بالرصد كذلك الآيات لا تكون فى نفسها الداخل الا محفوظة بالرصد وهو جمع راصد كالحرس جمع حارس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرآن بين عظم شأن رسوله فقال وما ارسلناك الخ اى من آمن بك واتبع دينك بما اظهرته من المعجزات فقد اهتدى ومن عاندك واقترح معجزات اخر فلا عليك من كفرهم شئ لانك ما ارسلت الا مبشرا ونذيرا فبس لك وراء ذلك شئ من اكراههم على الدين او نحو ذلك وقرأنا فرقناه قرأنا منصوب بالنصب فان قيل النصب على الاشتغال انما يجوز حيث يجوز فى الاسم المذكور الرفع بالابتداء وقرآنا نكرة لا يصلح للابتداء فكيف يجوز فيه النصب على الاشتغال فالجواب ان التنكير فيه للتعظيم فكان فى حكم المخصص بالوصف فكانه قيل وقرآنا اى قرآن بمعنى قرآن عظيم فرقناه ﴿قوله تعالى على مكث﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل لتقرأه ثم انه تعالى خاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والانكار فقال قل آمنوا به او لا تؤمنوا اى فقد انزل الله تعالى وبلغ الرسول فاختاروا ما تريدون وهو فى معنى الامر بالاعراض عنهم كانه قال له اتركهم ولا تبال بهم والفرق بين كون قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وبين كونه تعليلا لقل هو ان المقصود بقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم على الاول هو تحقير اهل مكة وتجهيلهم وما حصل من تسليته عليه الصلاة والسلام بايمان العلماء انما يحصل فى ضمن هذا المقصد والمقصود على الثانى انما هو التسلية وما حصل من تجهيل القوم وعدم المبالاة بهم انما يحصل تبعا وضمنا ﴿قوله وذكر الذقن﴾ جواب عما قال المقصود من قوله تعالى ويخرون اى يسقطون حكاية الهيئة الحاصلة لهم عند استماع القرآن التى هى هيئة السجود وهى انما تحصل بالسقوط على الجبهة والانف والظاهر ان يقول ويسجدون اى ويخرون على وجوههم او على جباههم وانوفهم فما وجه ذكر الاذقان فيه واجاب عنه بان الذقن اول ما يلقى الارض من وجه الساجد وفيه بحث لان الظاهر ان اول ما يلقى الارض من وجه الساجد هو الجبهة والانف دون الذقن الا ان يقال المراد بكون الذقن اول ما يلقى الارض كونه اقرب الى الارض واقدم من سائر ما يلقى الارض من اجزاء الوجه والقدم الذى بصدد السجود فالاولية بمعنى الاقدمية عبر عن خرور الساجد بخرور اقرب اجزاء وجهه الى الارض واقدمها ﴿قوله واللام فيه لاختصاص الخرور به﴾ فيه بحث لان اختصاص الخرور بالذقن عبارة عن كون سقوط الساجد مقصورا على الذقن لا يتعدى الى سائر الاعضاء على ما قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى له الملك وله الحمد قدم الظرفان ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ومن المعلوم انه لا اختصاص لخرور الساجد بالذقن الذى هو مجتمع اللحيين بل هو لا يسقط عليه اصلا الا ان يقال ليس المقصود من الآية بيان انهم يسجدون حقيقة اذا تلى عليهم القرآن بل المقصود بيان انهم يتبادرون لما سمعوا ويخضعون له كمال الانقياد والخضوع فاخرج الكلام على

(قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد آلهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين

بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله (ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في ايا من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيه (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك سبيلا) بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول انا اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) في الالوهية (ولم يكن له ولي من الذل) ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفي عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك * روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سبيل الاستعارة التمثيلية بان شبهت الهيئة الحاصلة من كمال الانقياد والخضوع بهيئة من يخص الخرور بالذقن من حيث ان هيئة الخرور على الوجه اقصى هيئات الخضوع ثم ان الذقن مع كونه ابعد شئ من الارض من اجزاء الوجه من خر على وجهه انما يخص الخرور به كان وصوله سائر اجزاء الوجه الى الارض اتم واولى فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها تصويرا لغاية خضوعهم ونظيره في كون الكلام محمولا على التمثيل دون الحقيقة قوله تعالى انقلبتم على اعقابكم وقوله فنبذوه وراء ظهورهم ﴿ قوله وهو اجوب ﴾ اى كون المراد من الآية انه لا رجحان لاحد الاسمين على الآخر بل هما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود اجوب لما ذكر بعده وذلك لان اعتراض اليهود كان تعييرا للمسلمين على ترجيح احد الاسمين على الآخر واعتراض المشركين كان تعييرا على الجمع بين اللفظين فقوله تعالى ايا ما تدعوا مطابق للرد على اليهود لان المعنى اى اسم من الاسمين سميتموه به فهو حسن لا رجحان لاحدهما على الآخر في الحسن ولا يظهر كونه ردا على من يقول كيف تعبدون آلهين وتجمعون بينهما ﴿ قوله حذف اولهما ﴾ اى في الموضعين لان المفعول هو المسمى وهو محذوف فيهما واما المذكور فيهما هو المفعول الثاني وهو الاسم والتقدير سموا معبودكم الله او سموه الرحمن اى هذين الاسمين تدعوه وتسموه فقوله ايا منصوب بتدعوا على انه مفعول ثان له والظاهر ان قوله وأو للتخيير مبني على كون الآية مسوقة للرد على اليهود الذين رجحوا تسميته تعالى باسم الرحمن وطعنوا في المسلمين تعليلهم ذكر هذا الاسم فان الجواب بالتخيير انما يناسب الرد على من زعم رجحان التسمية باحد الاسمين ولو كانت الآية مسوقة للرد على المشركين الذين حظروا الجمع بين الاسمين لكان المناسب ان تحمل كلمة او على الاباحة فانها وان كانت لاحد الشيئين او الاشياء الا انها اذا وقعت حيث يحصل بالجمع بين الفعلين او الافعال فضيلة وشرف في الغالب تحمل على الاباحة نحو تعلم الفقه او النحو وجالس الحسن او ابن سيرين وان وقعت حيث لا يحصل به ذلك تحمل على التخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولا شك انها اذا وقعت في جواب من منع الجمع بين الاسمين يكون حملها على الاباحة انسب لكون المقام مقام الترغيب في الجمع فيهما ذكر في شرح الرضي ان أو اذا كان في الامر فله معنيان التخيير والاباحة فان حصل للمأمور بالجمع بين الامرين فضيلة وشرف في الغالب فهي للاباحة نحو تعلم الفقه او النحو والا فهي للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا او امرق بينهما ان الاباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على احدهما وفي التخيير يحتم احدهما ولا يجوز الجمع ﴿ قوله بقراءة صلاتك ﴾ بتقدير المضاف او على اطلاق اسم الكل وارادة الجزء فان الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والمخافتة من عوارض الصوت يقال خفت صوته يخفت خفتا وخفوتا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت اى ضعيف خفي روى انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ وجه التنبيه انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان يخص الحمد والثناء بالاله المنزه عن جميع صفات النقصان المتفرد بالملك المنعم على الاطلاق ثم امره بان يصفه بصفة الكبرياء المطلق في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه ويعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ويعتقد ان كل ما كان صفة له فهو من صفات العظمة والجلال والعز والكمال وان كل واحدة من تلك الصفات ازلية قديمة سرمدية منزهة عن التغير والزوال وان كل واحدة منها متعلقة بما لا نهاية له من التعلقات ويعتقد ان كل ما يجري في ملكه وسلطانه واقع بقضائه وقدره ومشيئته وقالت المعتزلة انا نكبر الله تعالى ونعظمه من ان يكون فاعلا لهذه القبائح والفواحش بل نعتقد ان حكمته تقتضي التنزه والتقدس عنها وعن ارادتها قال واحد من رؤساء المعتزلة يقال له القاضي عبد الجبار الهمداني حيث رأى الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ ابو اسحق سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ويعتقد انه ملك مطاع وله الامر والنهي والرفع والخفض ولا اعتراض لاحد عليه في شئ من احكامه ثم انه تعالى اكد التكبير المأمور به فقال تكبيرا اى اقصى ما يقدر عليه الانسان الضعيف بان يجتهد ويسعى في تعظيمه وتقديسه حسبما يسعه قدرته ثم يعترف بان عقله وفهمه لا يفي بمعرفة جلال الله تعالى ولسانه لا يفي بشكره وثنائه وبجوارحه واعضائه لا تفي بخدمته فيكبر الله تعالى على قدر طاقته فانه جل عن ان يكبره تكبيرا يليق بعزه ومجده ﴿ قوله اذا افصح الغلام ﴾ اى فهم ما يقوله في اول ما يتكلم وخلص كلامه من اللكنة والمراد بهذه الآية قوله تعالى وقل الحمد لله الى آخر السورة عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها قيل افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام واختتمت

(بخاتمة)

خاتمة هذه السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الكهف وهي مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله رتب استحقاق الحمد ﴾ اشارة الى ان ليس تقدير الكلام قولوا الحمد لله بل هو جملة اسمية لامحل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الحمد وجميع افراده مختصة به تعالى وانه المستحق لها لانه الذي وصلت الى كل احد نعمته وان الذي وصلت النعمة على يده طريق لوصولها الى الحامد وذلك الغير وان استحق الحمد ايضا في مقابلة سعيه واجتهاده في قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكين والاقدار على ذلك السعي ليس الا منه تعالى وتوفيقه ما يتوجه الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى وانه تعالى مستعمل لذلك الغير في ايصال نعمته الى العبد الا ان الحمد لا يجب ان يكون في مقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة الفضائل الغير المتعدية كما اشار اليه بقوله في آخر السورة السابقة ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات ويدل عليه ايضا انه تعالى ذكر الحمد لنفسه ليدل على كماله ويدل على آثره اما ما يدل على قدرته وسلطانه فكقوله تعالى الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض واما ما يدل على انعامه وافضاله فكقوله تعالى الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ﴿ قوله وهو في المعاني ﴾ قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يقال في دينه عوج كذا في الصحاح ﴿ قوله او قيما بمصالح العباد ﴾ يقال فلان قيم المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد فيما يشأنه وكذا قيم الاطفال فالقرآن لما كان سبب الهداية للخلق قائما باصلاح الارواح البشرية كان كالقيم المشفق القائم بمصالح الاطفال ﴿ قوله او على الكتب ﴾ عطف على قوله بمصالح العباد فان بعض اهل التأويل فسر القيم بالشاهد وقال القرآن قيم على الكتب المتقدمة وشاهد عليها في الزيادة والنقصان وفي التغيير والتحريف مبين ما ازادوا فيها وما نقصوا او ما حرفوا او غيروا والحاصل ان قيما اذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيما فيكون بمعنى غير ذي عوج الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته كقوله تعالى محصنات غير مسافحات فانه اذا كن محصنات لم يكن مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فهما يؤديان معنى واحدا الا انه كرره على عادة العرب وكذا قوله تعالى لينذر بأسا شديدا فان الشديد هو البأس وكرر تأكيدا هذا اذا لم يقدر لقوله قيما متعلق واما اذا قدر له متعلق فاما ان يقدر على نحو ما في قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي رقيب حفيظ شهيد فيكون تتميما لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى حينئذ انه كامل في نفسه مكمل لغيره فيكون بالغا في الاستقامة جدا ويقدر له الباء على نحو قولهم فلان قيم بهذا الامر اي قائم بمصالحه فيكون تكميلا بمعنى انه مستقيم في نفسه قيم بامور غيره ﴿ قوله تقديره جعله قيما ﴾ زيادة بل اضمار اي ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما وقوله قيما سواء كان منصوبا بمضمر او على انه حال من الضمير في له يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جملة الصلة بخلاف ما اذا كان قيما حالا من الكتاب فانه حينئذ لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل الكتاب لئلا يلزم الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي فان الحال من تمام المعطوف عليه وبعض منه والمعطوف اجنبي فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي وعلى تقدير ان يكون قوله ولم يجعل معطوفا على انزل قال بعض اهل التأويل الكلام محمول على التقديم والتأخير اي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه ان يجعل قيما منصوبا بمضمر لان الظاهر ان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فلو جعل قيما حالا من الكتاب لزم العطف قبل تمام الصلة وحمل الكلام على التقديم والتأخير بعيد جدا وكذلك جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كانه قيل انزله متباعدا عن العوج بعيد خلاف الظاهر واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا سكتة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيما ليس متصلا بعوجا وانما هو من صفة الكتاب وغيره لم يعبأ بهذا الوهم ولم يسكت اتكالا على فهم المعنى وفعل حفص في مواضع من القرآن مثل ما فعله هنا من سكتة لطيفة دافعة لوهم الفاسد منها انه يقف على من مرقدنا ويبتدئ بقوله هذا ما وعد الرحمن ليفهم من الوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعده كلام غيرهم قيل هم الملائكة وقيل المؤمنون ومنها انه يقف على من في قوله كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق ويبتدئ براق لئلا يتوهم انها كلمة واحدة على فعال اسم مبني للمبالغة من مرق يمرق فهو مراق ومنها انه يقف على لام بل في قوله تعالى بل ران

﴿ سورة الكهف مكية وقيل الا قوله ﴾
﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ﴾
﴿ ربهم وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزا
تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي
الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما
ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل
عوجا) شيأ من العوج باختلال في اللف
وتنافٍ في المعنى او انحراف من الدعوة ا
جناب الحق وهو في المعاني كالعو
في الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افرا
فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكو
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او ع
الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصا
بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضم
في له او من الكتاب على ان الواو
ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كا
للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض
المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقد
وتأخير وقرئ قيما

(لينذر بأسا شديدا) اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه (من لدنه) صادرا من عنده وقرأ ابوبكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) هو الجنة (ماكثين فيه) في الاجر (ابدا) بلا انقطاع (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره (مالهم به من علم) اى بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه (ولا لآبائهم) الذين تقولوه بمعنى التبنى (كبرت كلمة) عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية (تخرج من افواههم) صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام (ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك) قاتلها (على آثارهم) اذا ولوا عن الايمان شبهه لما داخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بهذا القرآن (اسفا) للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية

ويتأدى برأن لما تقدم ﴿قوله صادرا من عنده﴾ اشارة الى ان من لدن متعلق بمحذوف منصوب على انه صفة لبأسا او حال من الضمير فى شديدا وان لدن بمعنى عند ﴿قوله وقرأ ابو بكر﴾ اى لدنه باسكان الدال واشمامها شيأ من الضم وبكسر النون والهاء موصولة بياء ووجهه انه سكن الدال تخفيفا كتسكين عين عضد وسبع فالتقى ساكنان فكسر النون لالتقاء الساكنين فكان حقه ان يكسر الاول على القاعدة المعروفة الا انه يلزم منه العود الى مافر منه ثم لما كسرت النون كسرت الهاء ايضا اتباعا ووصلها بياء واشمام الدال شيأ من الضم اشارة الى اصلها وقرأ الباقون من لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء وابن كثير يصلها بواو وغيره لا يصلها بشئ ﴿قوله استعظاما لكفرهم﴾ فان الخاص قد يعطف على العام تنبيها على مرتبة الخاص وتنزيل تلك المرتبة منزلة المتباين حكما اذ لا يعلم حكم احد المتباينين ببيان حكم المباين الآخر بل لابد من ذكر الآخر بعده والتنصيص على حكمه فكذا يعطف الخاص على العام ويبين حكمه قصدا واصالة بناء على تنزيله منزلة المباين بالنسبة العام المذكور قبله بطريق تنزيل التغاير فى الوصف منزلة التباين فى الذات وقوله تعالى مالهم به من علم لا يستدعى تحقق المعلوم فى نفسه لان انتفاء العلم بالشئ قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه فى نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به وما نحن فيه من قبيل الثانى وهذا معنى قوله يقولونه عن جهل مفرط اى لا يحكم به عقولهم ولا يؤدى اليه فكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان بل هو مجرد لقلقة لسانهم يجرى على ألسنتهم ليس فى قلوبهم من معناه شئ ووصفت الكلمة بالخروج الذى هو من صفات الاجسام بناء على ان الاصوات والحروف والكلمات المركبة منها انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فوصفت الاعراض المذكورة بوصف ما يكون سببا لحدوثها والا فالاعراض لا يصح عليها الخروج والانتقال ﴿قوله فانهم كانوا يطلقون الاب الخ﴾ لعل هذا الاطلاق كان جائزا فى شريعة من قبلنا كما يجوز فى شريعتنا نسبة الغضب والرحمة ونحوهما اليه تعالى على ارادة غاياتها الا انه لم يجر فى شريعتنا اطلاق الاب عليه تعالى ولا اطلاق الابن على بعض عبيده لايهامه معانى فاسدة ﴿قوله وكلمة نصب على التمييز﴾ لانها ترفع الابهام المستقر عن ذات مقدرة وهى النسبة الملحوظة فى قولك كبرت اسناده او الكلمة فانها مبهمة لان من سمع تلك الجملة يجوز ان يكون المراد ان تلك المقالة كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما اضمر فاعل كبرت فيه حصل الابهام واحتاج الى رفعه بخلاف ما اذا قرئ برفع الكلمة على الفاعلية فانه لا يضمر فيه شئ فيكون حينئذ على طريق قولك عظم فلان وعلى تقدير الاضمار يكون ذلك راجعا الى مقالتهم المفهومة من قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اى كبرت مقالتهم تلك كلمة ومعنى الكلام التعجب اى ما اكبرها كلمة وقوله تخرج من افواههم صفة الكلمة تؤذن باستعظامها لان بعض ما يخطر بالبال لا يجترئ الانسان على اظهاره بالنطق ﴿قوله وقيل صفة محذوف﴾ يعنى قيل ان كبرت بمعنى بئس وفاعله مضمر مفسر بالنكرة المنصوبة بعده على التمييز كما فى قولك بئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة الخارجة من افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء واشمام الضم وهى لغة تميم ﴿قوله قاتلها﴾ ابخع الاهلاك يقال بخع الرجل نفسه بخعا وبخوعا اى اهلكها على وجد والمقصود من الآية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يعظم حزنك واسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا وبشيرا واما تحصيل الايمان فى قلوبهم فلا قدرة لك عليه والفاء فى قوله فلعلك جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه وحقه التأخير وقال الجمهور جواب الشرط محذوف لدلالة قوله فلعلك قبل كلمة لعل وهو للاشفاق الذى يقصد به التسلى والحث على ترك الحزن والتأسف ثم قيل الاسف هو النهاية فى الغضب كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم قال اهل التأويل المعنى فلما اغضبونا وقيل الاسف هو النهاية فى الحزن كقوله تعالى يا اسفا على يوسف اى يا حزنا فانه عليه الصلاة والسلام كادت نفسه الكريمة تهلك حزنا عليهم واشفاقا من ان تلف انفسهم فى النار بتركهم الايمان وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والاتلاف وانما يقاتلهم ليسلموا ويتخلصوا من الهلاك الابدى فان من كان باخعا نفسه اشفاقا عليهم من الهلاك كيف يقاتلهم للاهلاك وقوله تعالى على آثارهم متعلق بقوله باخع اى باخع نفسك من بعد هلاكهم حال بعد آثارهم وعلاماتهم وعدم اندراسها بالكلية فانه يصح ان يقال مات الثانى فى اثر الاول اى حال بقاء أثره ﴿قوله وقرئ ان بالفتح﴾ قرأ الجمهور ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة على انها شرطية فعلى هذه القراءة يكون باخع للاستقبال فيعمل لان الشرطية للاستقبال كانه قيل لعلك بخع نفسك الآن او غدا ان لم يصدر منهم ايمان

(انا جعلنا ما على الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) ولاهلها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه (ام حسبت) بل احسبت (ان اصحاب الكهف والرقيم) في ابقاء حياتهم مدة مديدة (كانوا من آياتنا عجبا) وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همدا *

او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في شطره مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فأتت وسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (اذ أوى الفتية الى الكهف) يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف

وقرئ شذا بفتح الهمزة على حذف الجار اي لان لم يؤمنوا فعلى هذه القراءة المناسب ان يكون باخع للمضي لان لم يؤمنوا ماض ولا ضرورة تدعو الى صرفه عن معناه فلا يعمل الا اذا جعل حكاية حال ماضية كانه قيل لعلك بخعت نفسك لاجل ان لم يؤمنوا فجيء باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها وان لم يحمل على حكاية الحال الماضية لا يعمل فيجب اضافته الى ما بعده ﴿قوله وفيه تسكين﴾ اي تسكين لوجده واغتمامه على عدم ايمانهم ووجه التسكين ان الآية لما دلت على ان اهل الارض لم يعط لهم ما عليها من الزينة لينتفعوا به بعينه وانما اعطي لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم ما علم الله تعالى انه يكون منهم فيجازي كل واحد من آثر الحياة الدنيا وزينتها ومن آثر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده ونيته ظهر له عليه الصلاة والسلام ان شأنه وما يليق به ليس الا الاشارة للمطيع والانذار للعاصي وانه تعالى هو المطلع على اعمالهم ونياتهم ومن يستحق لان يخلق فيه الاهتداء او الضلالة فيسكن بذلك وجده وغضبه والزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشيء وعن الشيء بمعنى واحد اي لم يرده ولم يرغب فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوي من الارض وقيل هو وجه الارض مطلقا والجرز الذي لا نبات فيه ولا ماء ﴿قوله بل احسبت﴾ اشارة الى ان ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة وبل هي التي للانتقال لا للابطال ما سبق والهمزة للانكار وذكر الله تعالى اولا من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها ثم ذكر انه يزيل ذلك كله ويجعله كأن لم يكن ثم اضرب عنه وقال ام حسبت كانه قيل يتعجب من قصة اصحاب الكهف ولا يتفكر في سائر الآيات فان تزيين الارض بانواع المعادن والحيوان والنبات وازالتها بالكلية بعد ما اخذت الارض زخرفها وازينت اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عادته ان يتعجب من شيء قل ابتلاؤه به وان كان الذي يحضره اعجب منه قال الامام تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسألوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا من آياتنا عجبا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم زين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خاليا من الكل كيف يستبعدون قدرته على حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة او اكثر في النوم روي ان قريشا بعثوا الى المدينة رهطا وقالوا لهم سلوا احبار اليهود عن محمد وصفته واخبروهم عن قوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرج الرهط حتى قدموا المدينة فسألوا احبار اليهود عن احوال محمد صلى الله عليه وسلم فقال احبار اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ما هو فان اخبركم عن اثنين ولم يخبركم عن الثالث فهو نبي والا فهو متقول فلما قدم الرهط مكة قالوا قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد واخبروا بما قالت اليهود فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال عليه الصلاة والسلام اخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك حتى ارجف اهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم مضى خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك ثم جاءه جبريل من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة الله تعالى اياه على حزنه وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وعجبا في قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه لانه في الاصل صفته فلما قدم صار حالا قال امية بن ابي الصلت

* وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همدا *

استشهد على ان الرقيم الكلب وعلى ما يدل على ان قصة اصحاب الكهف كانت في علم العرب وان لم يكونوا عالميها على وجهها والوصيد فناء البيت وهو مفعول مجاورا والهمد جمع هامد بمعنى الراقد والنائم يعني ان اصحاب الكهف كانوا رقودا في الغار وكلبهم مجاورا لوصيدهم كما قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴿قوله او لوح رصاصي﴾ فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب قال تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب ﴿قوله تعالى اذ أوى الفتية﴾ منصوب بعجبا او باذكر المقدر لا بقوله ام حسبت لانه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة فلا يجوز حسبانه عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت الذي أووا فيه الى الكهف اي صاروا اليه وكانوا فتية اي شبانا متماثلين في الاسنان من اولاد عظماء الروم آمنوا بربهم وكان ذلك الايمان منهم سرا

وتفكرا منهم فى عظمة الله تعالى وملكه وقدرته لم يأتهم بذلك وحى ولم يقرأوا كتابا ولم يدركوا زمان نبوة وكانوا فى زمن فترة قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام ثم بعثه الله تعالى وهم فى الكهف راقدون ولبث فى امته ثلاثا وثلاثين سنة ثم رفعه الله ومضى بعده زمان طويل ثم بعثهم الله تعالى وايقظهم واطلع اهل ذلك العصر على حالهم ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة آتية ﴿قوله او اجعل امرنا كله رشدا﴾ على ان تكون كلمة من فى قوله من امرنا رشدا تجريدية اذ هو الامر بعينه مبالغة فى ارشاده ولهذا قال اجعل امرنا كله رشدا والتجريد من المحسنات البديعية المعنوية وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مماثل لذلك الامر ذى الصفة فى تلك الصفة لاجل المبالغة فى كمال تلك الصفة فى ذلك الامر ذى الصفة حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فان جعلت كلمة من فى الآية تجريدية يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم فى الرشد والهداية حدا يصح مع ذلك الحد ان يستخلص منه امر آخر مثله فى الرشد وفى الوجه الاول تكون من متعلقة بهيئ ويكون المعنى انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس وطلبوا سلامة الدين سألوا ربهم ان يهيئ لهم الرشد والاستقامة فى مفارقتهم الكفار ﴿قوله بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات﴾ يعنى ان ضرب الحجاب المانع من ان تصل الاصوات الموقظة الى آذانهم واسماعهم كناية عن الانامة الثقيلة وانما صلح كناية عنها لان الصوت والتنبيه طريق ازالة النوم فسد طريقه يدل على استحكام النوم وثقله وخصت الآذان دون العيون مع ان النوم يتعلق بها دون الآذان لان ضرب الحجاب على العين لا يصلح كناية عن المبالغة فى النوم لان سد الابصار انما يدل على كمال ان لا يكون ما هو طريق الازالة مؤثرا فى زواله ﴿قوله بنى على امرأته﴾ اى بنى عليها القبة عند دخوله عليها فان العرس كان يبنى على اهله حجابا ﴿قوله ظرفان لضربنا﴾ الاول ظرف مكان والثانى ظرف زمان والمعنى انمناهم فيه سنين ذوات عدد وقد بينها الله تعالى بقوله ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴿قوله ليتعلق علمنا تعلقا حاليا﴾ لما كان قوله تعالى لنعلم متعلقا بقوله بعثناهم دل الكلام على ان يكون علمه تعالى حادثا مترتبا على ايقاظهم دفع ذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى سرمدى لا يجوز عليه التغير والزوال وانما التغير فى المعلومات وانه تعالى عالم بها فى الازل على ما ستكون عليه فى اوقات حدوثها وبقائها وكلما تجدد لها حال من الاحوال تعلق علمه تعالى بتلك الحال عند تجددها فالتجدد والتغير انما هو فى تعلقات العلم لا فى نفسه وقال هشام انه تعالى لا يعلم الحوادث قبل وقوعها ولا يعلمها الا عند حدوثها واحتج عليه بهذه الآية ﴿قوله المختلفين منهم او من غيرهم﴾ اشارة الى ان اهل التأويل اختلفوا فى الحزبين قال مجاهد رضى الله عنه ان الحزبين من الفتية لان اصحاب الكهف لما انتبهوا اختلفوا فى انهم كم ناموا ويدل عليه قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاصحاب الكهف كانوا حزبين استقل احدهما مدة لبثهم واستطالها آخرون وهم الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين اختلفوا فى مدة لبثهم فى الكهف قبل خروجهم منه فبعثهم الله تعالى ولم يبين ذلك بل ابهمه وليس لنا حاجة الى تعيين ما ابهم الله تعالى بيانه ﴿قوله ولما لبثوا حال منه﴾ اى من امدا لانه لو تأخر عنه لكان نعتا له فلما قدم عليه صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا لزمان لبثهم فى الكهف وان كانت اللام لام العلة يكون المعنى حينئذ لنعلم اى الحزبين احصى اى علم كقوله احصاه الله ونسوه للسبب الذى لبثوا فيه لاجله ﴿قوله وقيل احصى اسم تفضيل﴾ لم يرض به لان افعل من كذا لا يبنى من باب افعل يفعل وقولهم ما اولاه للخير وما اعطاه للمال من الشواذ والشاذ النادر لا يقاس عليه والمذلق يروى بالدال والذال وهو رجل من بنى عبد شمس وابوه واجداده يعرفون بالافلاس قال الشاعر فى حقه

* فانك ان ترجو تميما ونفعها * كراجى الندا والعرف عند المذلق *

وقوله وامدا نصب بفعل دل عليه احصى اى دل احصى الذى هو التفضيل على ذلك الفعل المضمر من جنسه واحتيج الى الاضمار لان افعل التفضيل لا يعمل فى مظهر واول البيت

* ولم ار مثل الحى حيا مصبحا * ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا *
* اكر واحمى للحقيقة منهموا * واضرب منا بالسيوف القوانسا *

المصبح المغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل ما يحق على الرجل ان يحميه والدفاع عنه من اهل بيته والقوانس

(قالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو (وهيئ لنا من امرنا) من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء (فضربنا على آذانهم) اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته (فى الكهف سنين) ظرفان لضرب (عددا) اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده (ثم بعثناهم) ايقظناهم (لنعلم) ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا (اى الحزبين) المختلفين منهم او من غيرهم فى مدة لبثهم (احصى لما لبثوا امدا) ضبط امدا لزمان لبثهم وما فى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله * واضرب منا بالسيوف القوانسا

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق
(إنهم فتية) شبان جمع فتى كصبي وصبية
(آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بالتثبت
(وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر
على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة
على اظهار الحق والرد على دقيانوس
الجبار (اذ قاموا) بين يديه (فقالوا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من
دونه الها لقد قلنا اذا شططا) والله لقد
قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق
مفرط في الظلم (هؤلاء) مبتدأ (قومنا)
عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر
وهو اخبار في معنى انكار (لولا يأتون) هلا
يأتون (عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين)
ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه
دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات
مردود وان التقليد فيه غير جائز (فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه
(واذ اعتزلتموهم) خطاب بعضهم لبعض
(وما يعبدون الا الله) عطف على الضمير
المنصوب اى واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون
ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم
وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على
انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد
معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم
(فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم) يبسط
الرزق لكم ويوسع عليكم (من رحمته)
في الدارين (ويهيئ لكم من امركم مرفقا)
ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك
لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى
وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر
الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض
فان قياسه الفتح (وترى الشمس) لو رأيتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او
لكل احد (اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل
عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان
الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها
عنه

جمع قوس وهو اعلى البيضة من الحديد ويطلق على ما بين اذني الفرس ايضا يمدح كلا الفريقين اعداء واصحابه يقول لم ار معشرا مثلهم من الذين صحبتهم ولا من غيرهم مثلنا يوم لقيناهم وصف المعز عليهم بكمال الشجاعة ليكون ادل على شجاعة من غلب عليهم فالقوانس في البيت منصوب بفعل مقدر من جنس افعل التفضيل اى يضرب القوانس لا بنفس افعل التفضيل لانه لا يعمل في المظهر فكذا في نصب مصدره فان قيل انه انما لا يعمل في مظهر فاعل او مفعول به فلم لا يجوز ان يكون امدا منصوبا على التمييز ويعمل فيه احصى كما في اكثر منه مالا واحسن وجها اجيب بان التمييز في امثال ذلك انما هو فاعل في المعنى لان المال هو الذي كثر والوجه هو الذي حسن وليس الامد هو الذي احصى ﴿ قوله تعالى آمنوا بربهم ﴾ فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ لو جاء على نسق قوله نحن نقص عليك لقيل بربنا وقوله زدناهم وربطنا التفات من هذه الغيبة الى التكلم ايضا ﴿ قوله وقويناها بالصبر ﴾ يعني ان قوله تعالى وربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وحملها على الصبر على الشدائد التي تحملوها بربط الدابة وشدها بالرباط وهو الحبل فان ربط الدابة شدها بالرباط والمربط ايضا هو الحبل ومن المجاز ربط الله على قلوبهم لانه يتعدى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت كلمة على الاستعلائية للدلالة على كون الربط والتقوية مستولية على قلوبهم مستقرا عليها كما في قوله يخرج دوما في عراقيبهم نصلي ﴿ قوله اذ قاموا ﴾ منصوب بربطنا والمعنى قوينا قلوبهم اذ قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اقروا بربوبية الله تعالى بين يدي ذلك الجبار بتقوية الله تعالى اياهم على مخافته وعصيانه وقيل انهم كانوا عظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال اكبرهم انى لأجد في نفسي شيئا وهو ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ﴿ قوله والله لقد قلنا قولا ذا شطط ﴾ يعني ان قوله لقد قلنا جواب قسم مضمر وشططا مصدر شطت الدار تشط اى بعدت وشط الرجل اى بعد عن الحق والشطط مجاوزة القدر في كل شئ اشار اليه بقوله مفرط في الظلم وانتصابه على انه صفة مصدر محذوف اى قولا ذا شطط لان اذا جواب وجزاء ﴿ قوله تعالى لولا يأتون ﴾ تحضيض فيه معنى الانكار وقوله عليهم تقديره على عبادتهم وعلى اتخاذهم فحذف المضاف اليه ولم يكتفوا بالانكار على اتخاذهم الشركاء وعبادتهم اياهم من غير ان يجيئوا برهانا قاطعا على صحته بل قالوا من اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه بصنعه ان الحكم بان له تعالى شريكا وولدا مع فقدان ما يدل عليه ظلم وافتراء عليه تعالى ﴿ قوله تعالى وما يعبدون ﴾ ذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان ما بمعنى الذي والعائد محذوف اى واعتزلتم الذي يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبوديهم وقوله الا الله مستثنى متصل من الذي يعبدونه والثاني ان تكون ما مصدرية وان يكون الا الله مستثنى متصلا ايضا بتقدير المضاف اى واذ اعتزلتموهم اى تركتموهم وعبادتهم الا عبادة الله والثالث ان تكون نافية وتكون الجملة من كلام الله تعالى وقعت معترضة بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والا مستثنى مفرغ اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لا يعبدون غيره ﴿ قوله من امركم ﴾ متعلق بالفعل قبله ومن لابتداء الغاية او للتبعيض وقيل هي بمعنى بدل كما في قوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف ﴿ قوله تعالى مرفقا ﴾ قرأ الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء قيل هما لغتان بمعنى واحد في الجارحة وفي ما يرتفق به اى ينتفع به وقد يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما الجارحة فبكسر الميم فقط ﴿ قوله لنصوع يقينهم ﴾ اى خلوص يقينهم من شوب الشك والناصع الخالص من كل شئ ﴿ قوله لو رأيتهم ﴾ يعني ان قوله تعالى وترى ليس المراد به ان المخاطب يرى هذه الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك الكهف الى جهة الشمال بحيث تكون الشمس طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فيؤذيهم حرها وتغير الوانهم فالمعنى انك لو رأيتهم على هذه الصورة ثم اخبر انهم كانوا في متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء فقال وهم في فجوة منه اى من الكهف والفجوة متسع في مكان الراحب في فجوة اى في ساحة واسعة ﴿ قوله لان الكهف كان جنوبيا ﴾ اى كانت ساحة الغار وداخله في جانب الجنوب وذلك يقتضي ان يكون بابه في جانب الشمال ﴿ قوله او لان الله تعالى زورها عنه ﴾ يعني ان للمفسرين في تفسير الآية قولين الاول ان باب ذلك الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لا يقع فيه شعاع الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما

واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزورّ كتحمرّ وقرئ تزوارّ كتحمارّ وكلها من الزور بمعنى الميل (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتصرم عنهم (ذات الشمال) يعني يمين الكهف وشماله لقوله (وهم في فجوة منه) اى وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدّل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم (ذلك من آيات الله) اى شأنهم وايواؤهم الى كهف شأنه كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته (من يهد الله) بالتوفيق (فهو المهتد) الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم والتنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها (ومن يضلل) ومن يخذله (فلن تجد له وليا مرشدا) من يليه ويرشده (وتحسبهم ايقاظا) لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم (وهم رقود) نيام (ونقلبهم) في رقدتهم (ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم (وكلبهم) هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مرّوا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل (بالوصيد) بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة (لو اطلعت عليهم) فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو (لوليت منهم فرارا) لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال (ولملئت منهم رعبا) خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضي الله عنه انه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل (وكذلك بعثناهم) وكما انمناهم آية على كمال قدرتنا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم

بين ذلك من حيث ان الشمس اذا طلعت تطلع عن يمين الكهف واذا غربت تمر عن شماله فضوء الشمس ما كان يصل الى داخل الكهف وكان الهواء الطيب والنسيم الموافق يصل اليهم فلاجرم بقيت اجسامهم مصونة عن العفونة والفساد والقول الثاني ان الله تعالى منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان ذلك خلافا للعادة وكرامة عظيمة خص الله تعالى بها اصحاب الكهف قاله الزجاج واستدل على صحته بقوله ذلك من آيات الله قال ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لما كان ذلك كرامة عجيبة من آيات الله ﴿قوله واصله تتزاور﴾ وذلك لانه اختار قراءة تزاور بفتح الزاي المشددة واصله تتزاور فاسكنت التاء الثانية فادغمت في الزاي وقرأ الكوفيون تزاور بحذف احدى التاءين للتخفيف وابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاي وتشديد الراء من الازورار وهو العدول من الشيء والزور بالتحريك الميل يقال زور عنه وازورّ عنه وتزاور عنه تزاورا كله عدل عنه وانحرف ﴿قوله وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين﴾ اى خلاصة المعنى ان الشمس حين طلوعها تميل عن كهفهم جهة اليمين الا ان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرر ان كلمة ذو وذات موضوعة لان يوصف بها النكرة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهني فيكون كالنكرة معنى ولو قال جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر ﴿قوله والمراد به اما الثناء عليهم﴾ لانهم تفكروا في دلائل وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته من غير ان يأتيهم بذلك وحي النبي ومن غير ان يقرأوا كتابا سماويا وان يجالسوا اهل التوحيد والمعرفة لكونهم في زمان فترة من الرسل قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي كالتذييل للكلام السابق من قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الى ههنا وجيء به عاما في كل من سلك طريق المهتدين ومن آثر الغواية وقلبه قلب اسلافه الضالين ليدخل اصحاب الكهف في الاولين دخولا اوليا ويدخل دقيانوس الضال في الآخرين كذلك والتذييل هو ان تقطع الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا ولا محل له من الاعراب ﴿قوله او التنبيه الخ﴾ على ان يكون قوله من يهد الله فهو المهتدي مرتبطا بقوله ذلك من آيات الله وفي التيسير قيل ذلك من آيات الله اى ما اخبرنا من قصتهم آية صدقك في دعوى النبوة من هداه الله بها صدقك لذلك فآمنوا بالله تعالى ووحدوه واعتزلوا اهل الشرك والضلال وآثروا المواضع الخالية في الجبال على طيب العيش في الاوطان والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال ﴿قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بكسر السين ومعناه كما ذكر في قوله وترى الشمس اى لو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان ورقود جمع راقد كقاعد وقعود ﴿قوله او كلب راع مرّوا به﴾ اى مروا براع غنم فقال لهم اين تذهبون فقالوا نفرّ من هذا الجبار فقال الراعي ما بال عني من ربي مثلكم فنزل عنهم ولحق بهم فتبعه كلبه ﴿قوله وقيل الوصيد الباب﴾ قيل الكهف لا يكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة ﴿قوله وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو﴾ وقرأها الجمهور بكسر الواو على ما هو الاصل في التقاء الساكنين وقرئ بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه غزا مع معوية غزوة المضائق نحو الروم فمرّوا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فقال لهم اذهبوا فادخلوا الكهف فارسل الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا في الوسيط ﴿قوله ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم﴾ فانه يجوز ان حالة غريبة تدل على كمال قدرة الله تعالى فيزدادون هدى وبصيرة وفي شرح التأويل اخبر الله تعالى انه انما بعثهم للتساؤل فعند ذلك لا تكون اللام لام كي بل هي لام العاقبة لانه لما علم منهم ما يكون عند بعثهم من التساؤل بعثهم لذلك وكذلك جميع ما خلق ويشاء انما خلق لما يعلم انه كذا فيظهر ما علم على ما علم وهو كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ذرأهم لما علم انه يكون منهم وهو ان يعملوا عمل اهل جهنم فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة خلقه كذلك والحاصل ان كل ما يخلقه الله تعالى انما يخلقه لما يعلم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يجري الفعل لذلك مجرى العجز او الجهل بالعواقب وهو متعال عن ذلك علوا كبيرا او يخرج الفعل لذلك مخرج العجز او الجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان وما يكون وتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيأ بغير ما علم انه يكون وهكذا يكون في الشاهد فان من عمل عملا لغير ما علم انه يكون فهو عابث وجاهل

(ثامنة)

(قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) بناء على غالب ظنهم لان النائم لايحصى مدة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم علموا ان الامر ملتبس لاطريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد بانه مدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس (فلينظر ايها) اي اهلها (ازكى طعاما) احل واطيب واكثر وارخص (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لايغبن او في التخفي حتى لايعرف (ولايشعرن بكم احدا) ولايفعلن مايؤدي الى الشعور (انهم ان يظهروا عليكم) ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها (يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (او يعيدوكم في ملتهم) او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا (ولن تفلحوا اذا ابدا) اذ دخلتم في ملتهم (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم (ليعلموا) ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) بالبعث او الموعود الذي هو البعث (حق) لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لاريب فيها) وان القيامة لاريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها (اذ يتنازعون) ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون (بينهم امرهم) امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان ليرتفع الخلاف ويبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة

بمائة عام وكم في قوله تعالى كم لبثتم استفهامية منصوبة بالفعل الذي بعدها كما في قولك كم يوما صمت لان الفعل الذي بعدها غير مشتغل بضميرها وفي مثله تكون كم معربة على حسب اقتضاء العامل والمميز محذوف تقديره كم يوما لبثتم حذف لدلالة الجواب عليه واو في قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكر من ان جوابهم هذا مبني على غالب الظن قيل انهم دخلوا الكهف اول النهار فناموا وحين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا من الشمس بقية قالوا او بعض يوم وهم في هذا الجواب وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به ﴿ قوله ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى ﴾ يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وان ما بعده بدل منه وعلى الاحتمال الثاني يكون اصحاب الكهف ثلاث فرق قال واحد منهم كم لبثتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الآخرون بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روى ان ابن عباس استدل بهذه الآية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لان الله تعالى قال في اول الآية قال قائل منهم هذا واحد وقال في جواب قول هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا بصيغة جمع اقله ثلاثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخر سواهم حاصله ان هذا الجمع الاول بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فكان المجيبون ستة والسائل واحدا فالمجموع سبعة ﴿ قوله ثم لما علموا ان الامر ملتبس لاطريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم ﴾ بيان لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الآية بما قبله الذي هو تذاكر حديث اللبث مع انه لامناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الآية من باب اسلوب الحكيم كقوله

اتت تشتكي عندي مزاولة القرى	وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
فقلت كأني ما سمعت كلامها	هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

وكقول بعضهم للحجاج وقد قال الحجاج له متوعدا لاحملنك على الادهم يعني القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اي على الفرس الادهم يعني الذي غلب سواده والاشهب الذي غلب بياضه فان المتكلم قد يتلقى المخاطب بغير كلامه لحمله على وجه آخر وقوله وقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اي باسكان الراء وفتح الواو والباقون بكسر الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرئ بالتخفيف اي باسكان الراء وكسر الواو بادغام القاف في الكاف وبعدم ادغامها ﴿ قوله وحملهم له ﴾ اي حمل اصحاب الكهف الورق يدل على ان امساك الزاد امر مشروع لاينافي التوكل ﴿ قوله من العود بمعنى الصيرورة ﴾ كما قال للآخرة معاد لانه من العود بمعنى التحول لامن العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول ﴿ قوله اذ دخلتم في ملتهم ﴾ فذره لكون اذا مضافا اليه فان قيل أليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروه لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا من انهم لو ردوا الى الكفر وبقوا مظهرين لذلك الكفر مدة فربما تميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصيرون كافرين في الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك ﴿ قوله اطلعنا عليهم ﴾ اي على احوالهم غيرهم يقال عثرت على كذا اي علمته واختلفوا في السبب الذي عرف الناس طول مدة اصحاب الكهف على وجهين الاول انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم قد طالت طولا خارجا عن العادة والثاني ان ذلك الرجل الذي بعثوه الى المدينة لما ذهب الى السوق ليشتري الطعام اخرج الدراهم التي عليها اسم دقيانوس فقال صاحب الطعام هذه الدراهم غير موجودة في هذا اليوم وانما كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس اليه وحملوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بالامس شيئا من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه لم يجد كنزا بل الله تعالى بعثه بعد موته ﴿ قوله ليعلموا ان وعد الله بالبعث ﴾ على ان الوعد مصدر على حاله اي ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعد الله تعالى وخبرا منه حق فان القوم لما علموا ان الله تعالى انامهم مدة طويلة وابقاهم من غير طعام ولا شراب في تلك المدة على ان الانسان لايبقى من غير طعام ولا شراب في مدة اسبوع فضلا عن مثل تلك المدة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر واذى وابقائهم فيها قادر على البعث والاحياء بعد الموت ولايعجز عن شيء يريد كونه ﴿ قوله حين اماتهم الله تعالى ثانيا ﴾ فان الملك وقومه لما رأوا

او قال طائفة تبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى (قالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين فى زمانهم او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او من المتنازعين لرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حتى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما اتوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا (سيقولون) اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين (ثلاثة رابعهم كلبهم) اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا (رجما بالغيب) يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله (قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل فيه محرد الاولين بان اتبعهما رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت

اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم الله تعالى فعند هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام كالمرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا ﴿قوله او قال طائفة تبنى عليهم بنيانا﴾ عطف على قوله فقال وقوله بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع بنيانة وان يكون مصدرا ﴿قوله وقيل لما انتهوا الى الكهف﴾ اى وروى ان الملك واهل المدينة لم يدخلوا عليهم وعمى عليهم مكانهم حين دخله الفتى وهو ضعيف وانما علم اهل المدينة حقيقة البعث وحقيقة استدلاله باخبار الفتى عنهم وثبت عندهم صدقه بما شاهدوا من حاله وما معه ﴿قوله قيل هو قول اليهود﴾ وهذا القول يستدعى ان يكون اطلاع اهل المدينة على حال اصحاب الكهف قبل بعثة موسى عليه الصلاة والسلام لان علم اليهود باحوالهم يستلزم ان تكون احوالهم مذكورة فى التوراة وذكر فى شرح التأويلات انه اختلف فى وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وقال بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو قول الحسن وابى بكر وغيرهما وهذا اشبه لانهم انما سألوا عنه اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنون بعيسى ولا بالانجيل ﴿قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم﴾ اى امر اصحاب الكهف قيل المراد به الملك المسلم وقيل اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لان من له الغلبة فى هذا النزاع لا بد ان يكون احد هؤلاء ذكر فى القصة ان الملك جعل على باب الكهف مسجدا وجعل عنده عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وعن الزجاج انه قال هذا يدل على انه لما ظهر امرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لان المساجد للمؤمنين بهم انه تعالى اخبر انه سيقع نزاع فى عددهم وقد وقع ذلك لما وفد نصارى نجران على النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية منهم كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقالت المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ولفظ يقولون فى المواضع الثلاثة جميعا للاستقبال اما الاول فلكونه مصدرا بسين الاستقبال واما الآخران فلكونهما معطوفين على يقولون الاول فيكونان داخلين فى حكم السين وهو المتبادر من قوله اكتفاء بعطفه على ما هو فيه لان الواو لما كانت لمطلق الجمع كان معنى يقولون بعد سيقولون انه سيحصل منهم الاقوال الثلاثة فلو قيل سيقولون بعد سيقولون لكان تكرارا لما يدل على الاستقبال وان جعل الاخيران معطوفين على قوله سيقولون يحملان ايضا على الاستقبال لاشتراك لفظ المضارع بين الحال والاستقبال واختصاصه فى هذا الموضع بالاستقبال بقرينة المقام كاختصاص الاول به بواسطة السين ﴿قوله يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به﴾ اشارة الى ان رجما منصوب بمقدر من لفظه اى يرجمون رجما وان الرجم معناه الرمى واتيان الكلام والتكلم به من غير تدبر وعلم بحقيقة كلامه والمطلع مصدر ميمى بمعنى الاطلاع ويحتمل ان يكون اسم فاعل من باب الافعال ﴿قوله وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة﴾ فان الجملة اذا وقعت صفة للنكرة جاز ان يدخلها الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فان الصفة نوع اتصال بالموصوف فاذا اريد تأكيد ذلك الاتصال واللصوق وسط بينهما هذه الواو لتؤذن ان هذه الصفة غير منفكة عن الموصوف لازمة له غير مفارقة عنه كما تتوسط بين الجملة الواقعة حالا وبين ذى الحال تأكيدا لما بينهما من اللصوق والاتصال وتنبيها على اللصوق والاتصال الا ترى ان ما وقع صفة للنكرة اذا تقدم عليها وهى نعتها تصير حالا ولو لم يكونا متحدين معنى لما كان كذلك سواء كان فى الصورة اى فى اعتبار المعرفة والنكرة او فى المعنى ايضا لما ذكرنا فلما توسطت الواو بين الجملة والمعرفة التى قبلها لمجرد الربط وتأكيد الاتصال توسطت بين الجملة والنكرة ايضا لذلك وما قيل من ان دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما وتأكيد اللصوق يقتضى شيئين مبنى على ان تكون الواو فى مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة وليست كذلك بل هى تجردت لمعنى الجمعية واللصوق فان واو العطف تقتضى المغايرة وتتضمن معنى الجمعية فاذا اريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم الكل على الجزء كهمزة الاستفهام فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فان الهمزة فيه مسلوبة الدلالة على معنى الاستفهام متمحضة لمجرد الاستواء كتمحض النداء فى قولك انا افعل كذا ايتها العصابة فانه لمجرد الاختصاص ومسلوب عنه معنى طلب الاقبال وقيل انها واو الثمانية فان السبعة عند العرب كانت متميزة عن سائر اسماء العدد من حيث دلالتها

(على)

على الكثرة والمبالغة فى العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة على معنى ان تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا سبعة جاؤا بالواو لتدل على ان السبعة دالة على الكثرة والمبالغة فى العدد وان مدخولها تام فلما كانت السبعة اصلا فى المبالغة فى العدد عندهم كانوا اذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف فقالوا وثامنهم وكان قريش اذا عدّوا يقولون واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة وكان العقد عندهم سبعة كما انه اليوم عندنا عشرة فاذا جاوزوا السبعة جاؤا بالواو على الاستئناف ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله تعالى فى حق ازواج النبى صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكنّ ان يبدله ازواجا خيرا منكنّ مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا فان قوله والناهون عن المنكر هو الثامن ومنه قوله تعالى اذا جاؤها وفتحت ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وكذا قوله وابكارا ثامن ما تقدم ولم يذكر المصنف هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت فى اللغة وقد انكرها حذاق النحاة ﴿قوله واسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشادنوش اصحاب يساره﴾ وكان الملك يستشير هؤلاء الستة وكانوا يتصرفون فى مهماته والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس قيل اسمه كفشططيوش وروى عن ابن عباس ان اسماءهم مكشلينيا ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس ودونوانس وكفشططيونس قال عبد الله بن عمر اذا وضع بالطريق فى موضع فكتبت هذه الاسماء على قمقمة وطرحت فى الطريق خلى باذن الله تعالى ﴿قوله فلا تجادل فى شأن الفتية﴾ فان المراء فى اللغة الجدال يقال مارى يمارى مماراة ومراء اى جادل والمراد بكون الجدال ظاهرا ان لا يتعمق بل يقتصر على ما اوحى اليه فى القرآن وهو انه لا يعلم عددهم الا القليل فوجب التوقف وترك قطع النزاع ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ونقل عن القراء انه اتاه صلى الله عليه وسلم فريقان من نصارى نجران يعقوبى ونسطورى فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن عدد اصحاب الكهف فنهى عنه بقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا ﴿قوله ولم يستثن﴾ اى لم يقل ان شاء الله سمى قولك ان شاء الله كلمة استثناء لانه عبر عنها بقوله الا ان يشاء الله قيل احتبس الوحى بعده خمسة عشر يوما وفى رواية اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهى وذكر لتعلقه به وجهين الاول ان يجعل الا ان يشاء الله مستثنى مفرّغا من اعم الاحوال بان يقدّر المضاف بعد الباء المقدّرة بعد الا ويحذف معمول المشيئة وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله انى فاعل ذلك اى لا تقولنّ انى فاعله غدا فى حال من الاحوال الا فى حال كونك ملتبسا بذكر مشيئة الله والثانى ان يجعل مستثنى مفرّغا من اعم الاوقات اى لا تقولنّ ذلك من تلقاء نفسك فى وقت ما الا فى وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه وفيه وجه ثالث وهو الا ان يشاء الله فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل فلا تقولنّه من تلقاء نفسك ابدا فيحصل الاستثناء على تأكيد النهى والمبالغة على هذا الوجه فهو وجه تعلقه به ﴿قوله ولا يجوز تعليقه بفاعل﴾ لان قوله تعالى الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله انى فاعل لا يخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشيئة بالفعل او اعتراضها فيه ولا وجه لشئ منهما اما الاول فلان المشيئة المقترنة بالفعل سواء كانت مشيئة الفعل او الترك توجب الفعل ولا تنافيه حتى يصح استثناؤه من قوله انى فاعل ذلك بكل حال ومشيئة الله تعالى ترك الفعل لا يمكن اقترانها بفعل العبد حتى يصح استثناؤها منه واما الثانى فلانه لو كان المراد انى فاعل ذلك غدا بكل حال الا فى حال ان تعترض مشيئة الله تعالى ترك الفعل لا فاد كون هذا القول منهيا عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان يقول انى فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تعالى منى ترك الفعل لان تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشيئة الترك فكيف ينهى عن تقييد الفعل بانتفائها وتعليقه عليه فلما امتنع تعلقه بقوله انى فاعل تعين تعلقه بالنهى على احد الوجهين نهى الله تعالى عن ان يعد الانسان عدة ولا يستثنى فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يستقل فى افعاله فلذلك امر بان يلحق الاستثناء بها لئلا يلحقه معرّة الخلف فى الوعد اذا لم يفعل ما وعد فقول الواعد ان شاء الله يدفع عنه حنث خلف الوعد على تقدير عدم وفائه بعهده لان ارادة الله تعالى لا يقدر العبد على اجتنابها فلا يحنث بتركه الا انهم اختلفوا فى ان الاستثناء هل يجب ان يكون متصلا بما قبله فى اللفظ لدفع الحنث او لا يجب فذهب ابن عباس ومن تبعه الى انه لا يجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسى ان يقول ان شاء الله ثم تذكر بعد سنة وقاله كفى

وعن على رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم
كلبهم واسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش
ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم
واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل
منهم (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) فلا تجادل
فى شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما فى القرآن من غير
تجهيل لهم والرد عليهم (ولا تستفت فيهم
منهم احدا) ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم
سؤال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت
تريد تفضيح المسئول عنه وتزييف ما عنده
فانه مخل بمكارم الاخلاق (ولا تقولنّ لشئ
انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) نهى
تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود
لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف
وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا اخبركم
ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما
حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من
النهى اى ولا تقولنّ لاجل شئ تعزم عليه
انى فاعله فيما يستقبل الا ان يشاء الله اى
الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا
وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك
فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لا يناسب النهى

في دفع الحنث واحتج عليه بقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام متصل بما قبله والتقدير
انه اذا نسي ان يقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكر وقوله واذكر غير مختص بوقت معين بل يتناول جميع الاوقات
فوجب ان يكون دافعا للحنث في اى وقت ذكره • واعلم ان استدلال ابن عباس ظاهر في ان الاستثناء لايجب
ان يكون متصلا واما الفقهاء فقالوا انا لو جوزنا ذلك لزم ان لايستقر شئ من العهود والايمان حكي انه بلغ المنصور ان
اباحنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك
فانك تأخذ البيعة بالايمان كما يقول المبايع ابايعك على السمع والطاعة ثم يؤكدها بالايمان بان يقول والله لااخرج
من هذه البيعة فلو جاز انفصال الاستثناء جاز ان يخرج من عندك ويستثني بان يقول الا ان يشاء الله كذا او الا ان
او ان يفعل كذا فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه • قال الامام حاصل كلامهم يرجع الى تخصيص النص
بالقياس وفيه ما فيه وايضا فلو قال ان شاء الله تعالى في نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو معتبر ودافع
للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذي ذكروه حاصل فثبت ان الذي عولوا عليه ليس بقوي والاولى ان يحتج على
وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل آخر ﴿قوله ولذلك جوز﴾ اى لما ذكر من الآية ولما روي انه عليه
الصلاة والسلام قال ان شاء الله لما نزل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ولما روي عن ابن عباس استدل المصنف
بهما على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر دليل عامة الفقهاء على عدم جوازه على سبيل المعارضة
لدليل المجوز ثم اجاب عن دليل المجوز بقوله وليس في الآية والخبر وتقريره ان معنى الآية قل ان شاء الله اذا سبق
منك وعد وفرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وهو انما يدل على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ان
لو كان الاستثناء المتدارك به من القول السابق ولم يلزم ذلك لانه يجوز ان يكون الاستثناء من مقدر يدل عليه
القول السابق مثلا اذا قال اكرمك فيما يستقبل ونسي الاستثناء ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله تعالى جاز
ان لايتعلق هذا الاستثناء بالوعد السابق بل بمقدر يدل عليه ذلك الوعد وكذا الحال فيما روي من الخبر فان قوله
عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ليس متصلا بقوله السابق في هذا الخبر كما بل بمقدر يدل هو عليه ولم يندفع به
حنث خلف الوعد الذي هو من قبيل ترك الاولى والافضل ﴿قوله ويجوز ان يكون المعنى﴾ عطف على
قوله مشيئة ربك بحسب المعنى وهو جواب آخر من قبل عامة الفقهاء عن ان يكون معنى الآية واذكر مشيئة ربك
واستثن اذا ذكرته وباحتمال عدم ارتباطها بما قبلها وضبط ماذكره من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذا نسيت
اما ان يكون متعلقا بما قبله اولا بل يكون كلاما مستأنفا فان تعلقه بما قبله فيه احتمالان الاول ان يكون المعنى اذا
نسيت ان تقول ان شاء الله حين وعدت فقله اذا تذكرت والثاني ان يكون المعنى اذا نسيت ذلك استغفر الله وتب اليه
ويكون المقصود من الامر بالاستغفار المبالغة في الحث على الاستثناء على سبيل التغليظ والتشديد على تركه
بايهام ان تركه من الذنوب التي تجب فيها التوبة وان لم يتعلق بما قبله بل كان كلاما مستأنفا ففيه قولان فعلى
القول الاول يقدر مفعول تركت وهو قوله بعض ما امرك به لاعلى الثاني بل يجري مجرى اللازم فسر قوله
اذا نسيت بقوله اذا تركت بعض ما امرك به لان النسيان قد يستعمل في الترك مجازا بطريق اطلاق المسبب
وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو ما كان مستندا الى السبب الاختياري والمعفو من
نحو ما روي في الحديث • رفع عن امتي الخطأ والنسيان • هو مالم يستند الى سبب كذلك وهنالك قول ثالث وهو
ان يحمل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها فيكون مفعول نسيت مقدرا هو اداء
الصلاة والظاهر هو الاحتمال الاول وان يكون واذكر ربك اذا نسيت متعلقا بما قبله لانه على تقدير ان يكون
كلاما مستأنفا يلزم جواز عدم ارتباط بعض الآيات ببعضها وهو بعيد ﴿قوله واظهر دلالة﴾ عطف
تفسير لقوله اقرب رشدا فسر اقرب باظهر وفسر رشدا بقوله دلالة والرشد مصدر رشد يرشد من باب علم ومعناه
ضد الغواية لا الدلالة التي هي ارشاد الغير فتفسيره بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون
تسمية المعجزة بالرشد للمبالغة في كونها سببا له على تأويل انها ذو رشد وجعل لفظ هذا في قوله لاقرب من هذا رشدا
اشارة الى نبأ اصحاب الكهف فكان المعنى ايها المشركون انكم قد استعظمتم الاخبار عن حالهم وبيان نبأهم
وقصتهم وقد بينت لكم ما اوحي الي واني لأطمع من ربي ان يعطيني من الآيات الدالة على نبوتي ما هو اعظم في الدلالة
عليها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فانه افتتح القصة بتقليل

(واذكر ربك) مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي (وقل عسى ان يهدين ربي) يدلني (لاقرب من هذا رشدا) لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداني لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المتطاولة الى قيام الساعة

شأنها ثم اعقبها بانباء ماهو اعظم منها واقرب ارشاداً للمسترشدين ﴿ قوله اولاً قرب رشداً وادنى خيراً من المنسى ﴾ فعلى هذا يكون قوله تعالى وقل عسى مرتبطا بقوله واذكر ربك لا بمجموع القصة بل يكون معطوفا على ماهو العامل في قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف على معنى اذكر اذ أوى الفتية وقل عسى ان يهدين ربي ويكون المعنى على الوجه الثاني واذكر ربك اذا نسيت شيأ والجمع منه ان يهديك لشئ آخر بدل المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لشئ آخر وهو اقرب رشداً ومنفعة من المنسي فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسي ﴿ قوله وهو بيان لما اجمل ﴾ اى بقوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا فانه تعالى اجمل قصتهم بقوله اذ أوى الفتية الى قوله نحن نقص عليك بأنهم ثم شرع في تفصيلها بقوله نحن نقص وسيق الكلام في تفصيلها الى ان بين في آخر مدة لبثهم في كهفهم احيا ناهموشة اجسادهم ﴿ قوله على وضع الجمع موضع الواحد ﴾ فانه لاوجه لقراءة الاضافة سوى ان يكون سنين تمييزا وحق مائة ان يضاف الى تمييزه مفردا ويقال ثلاثمائة سنة كما يقال ثلاثمائة رجل وثلاثمائة درهم قال ابن الحاجب مميز مائة والالف وتثنيتهما وجمعهما مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل في الاستعمال افراد مميز مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة في الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد في قوله تعالى بالاخسرين اعمالا فان الاصل فيه بالاخسرين عملا لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد اخف لكن اوثر الجمع مبالغة وتنصيصا على الانواع من كل نوع كأنه جنس مستقل يكون زيادة خسرانهم هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع الواحد وسوغه ههنا امران الاول ان مافي لفظ سنين من علامة الجمع ليست متمحضة لكونها علامة الجمع بل هي جبر لما حذف من لفظ سنة فكانت كأنها من تمام بناء الواحد قيل اصل سنة سنهة مثل جبهة لانها من سنهت النخلة وتسنهت اذا اتت عليها السنون وقيل المحذوف منه الواو وتشهد اللغات العرب على كل واحد من القولين فانهم يقولون سنهت عنده وتسنيت عنده واستأجرته مسانهة ومسانية وتقول في التصغير سنية وسنيهة والثاني ان الاصل اى القياس المرفوض في العدد اضافته الى الجمع لكون المعدود جماعة اى مما فوق الواحد والاثنين لان العدد المضاف ليس الا مافوق اثنين الا انه قد يعدل عنه الى المفرد لغرض فلما اضافه الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض وقوله ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث جعله صاحب الكشاف عطف بيان له وهو الظاهر لان جعله بدلا يستلزم ان لا يكون تبيين مدة لبثهم مقصودا وليس كذلك بل المقصود ذلك لانه لما قيل ثلاثمائة لم يعرف انها ايام او شهور او سنون فبين انها سنون وقوله تسعا مفعول به لقوله ازدادوا على وزن افتعلوا ابدلت تاء افتعل دالا لوقوعها بعد زاى وقلبت الياء ألفا فصار ازدادوا وكان زاد متعديا الى اثنين نحو زادهم مرضا وزدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدى الى واحد والاصل ازدادوا تسع سنين فحذف التمييز لدلالة ماتقدم عليه اذ لا تقول عندي ثلاثمائة درهم وتسعة الا وانت تريد تسعة دراهم ولو اردت تسعة ثياب او نحوها لم يجز لانه ليس من جنس ماقبله حتى يدل عليه فلما نزل قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اى انه تعالى اعلم بمقدار لبثهم من اهل الكتاب المختلفين فيه لانه المتفرد بعلم ماغاب في السموات والارض عن العباد وادراكهم فيكون عالما بمدة لبثهم لامحالة ﴿ قوله ومحله الرفع على الفاعلية ﴾ فان المعنى ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع زيدت الباء في الفاعل اصلاحا للفظ قال نجم الدين الاستراباذي في شرح الكافية واما احسن بزيد فعند سيبويه لفظه لفظ الامر ومعناه الماضي من افعل اى صار ذا فعل كالحم اى صار ذالحم والباء بعده زائدة في الفاعل وضعف قوله ان الامر بمعنى الماضي فانه لم يعهد بل جاء الماضي بمعنى الامر وبان افعل بمعنى صار ذا كذا قليل وبان زيادة الباء في الفاعل قليل والمطرد زيادتها في المفعول ﴿ قوله والنصب ﴾ اى ومحله النصب على المفعولية فان قولك احسن بزيد امر لكل احد بان يجعل زيدا حسنا اى بان يصفه بالحسن فكأنه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل مايمكن ان يكون في الشخص وهذا معنى مناسب للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة صار ذا كذا والحمل على ماهو اكثر شئ مما قلنا مطردا هذا اصل هذا التركيب فالمعنى الامر والخطاب لكل واحد وصار مخصصه انشاء التعجب فهمزة افعل ان كانت للجعل والتعدية فالباء مزيدة في المفعول وان كانت للصيرورة كانت الباء للتعدية ﴿ قوله وقرأ ابن عامر بالتاء ﴾ اى بتاء الخطاب والجزم عطفا على قوله ولا تقولن لشئ وقوله واذكر ربك اذا نسيت وقوله وقل عسى اى ولا تشرك انت ايها الانسان

اولا أقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي
(ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادو
تسعا) يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على
آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه
حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا
في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم
ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي
ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع
الجمع موضع الواحد ومحسنه ههنا ان
علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد
وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع
ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث
(قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات
والارض) له ماغاب فيهما وخفي من احوال
اهلها فلا خلق يخفى عليه علما (ابصر به
واسمع) ذكر بصيغة التعجب للدلالة على
ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك
السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ
ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير
وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله
الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه
وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل
الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير
لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله
تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند
الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل
احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة (مالهم) الضمير
لاهل السموات والارض (من دونه من ولي)
يتولى امورهم (ولا يشرك في حكمه) في
قضائه (احدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا
وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء
والجزم على نهي كل احد عن الاشراك

ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال (واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك) من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله (لا مبدل لكلماته) لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (واصبر نفسك) احبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير (يريدون وجهه) رضى الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا فقال نبت وعلت عنه عينه اقتحمته ولم تعلق به والغرض في هذا اعطاء معنيين اي لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ من اعداه وعدّاه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف في القراءة المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها (ولا تطع من اغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) كأمية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله (واتبع هواه) وجوابه ما مرّ غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة (وكان امره فرطا) اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره

وقرأ الباقون بالياء التحتانية ورفع الفعل على انه نفي محض مسند الى ضمير الباري تعالى اي لا يشرك الله في حكمه وقضائه احدا من خلقه فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما انزل الله وحكم به وليس لاحد ان يحكم من ذات نفسه فيكون شريكا لله تعالى في حكمه **قوله امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه** فان كفار قريش لما سألوه عليه الصلاة والسلام عن قصة اصحاب الكهف وقالوا له ان اخبرتنا بما سألناك صدقناك واتبعناك واخبرهم بها قالوا له عليه الصلاة والسلام ان اردت ان نجالسك فاطرد عنك هؤلاء الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتبعك فانزل الله تعالى واتل ما اوحي اليك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا فقام عليه الصلاة والسلام يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات * قال الامام من هذه الآيات الى قصة موسى والخضر كلام واحد نزل في قصة واحدة وهي ان اكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان نؤمن بك فاطرد من عندك من هؤلاء الذين آمنوا بك فنهاه الله تعالى عن ذلك ومنعه منه وبين في جملة هذه الآيات ان الذي اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد ثم قال قوله تعالى واتل ما اوحي الخ يتناول القرآن ويتناول الاتباع ايضا فيكون المعنى الزم قرآءة الكتاب الذي اوحاه اليك ربك والزم العمل به **قوله لا احد يقدر على تبديلها** اي بطريق من طرق النسخ مع ان النسخ ليس بتبديل في الحقيقة بل المنسوخ مغيى الى وقت طريان الناسخ فالنسخ كالغاية له فكيف يكون تبديلا **قوله وفيه ان غدوة علم في الاكثر** والاعلام لا يدخلها الالف واللام الجوهري الغد اصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض قال لبيد

* وما الناس الا كالديار واهلها * فيوم بها حلوا وغدو بلاقع *

يجاء به على اصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس يقال اتيته غدوة غير مصروفة لانها معرفة مثل سحر **قوله وتعديته بعن** جواب عما يقال من ان قوله ولا تعد من عداه اذا جاوزه وهو يتعدى بنفسه كما اشار اليه بقوله ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وكان الظاهر ان يقال ولا تعدهم عيناك فلم جيء بكلمة عن * واجاب عنه بان عدا لما ضمن معنى نبا عدي تعديته يقال نبا الشيء عنه ينبو اي تجافى وتباعد ونبا بصري عن الشيء اذا اقتحمه ولم يعلق به ويقال اقتحمته عيني اي ازدرته واختير التضمين لتحصيل مجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى الاقتحام ولو قيل ولا تنب عيناك عنهم لعم معنى الاقتحام ولم يفهم معنى المجاوزة فجمع بين مادة العدو وكلمة عن لتحصيل مجموع المعنيين وذلك ابلغ من افادة المعنى الواحد **قوله والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال اليه تعالى** اعلم ان اصحابنا احتجوا بهذه الآية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال لان قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى فالمعنى من خلقنا غفلة الكفر في قلبهم باختيارهم الكفر وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى اغفلنا خلق الغفلة وايجادها في القلب بل هو من قبيل قول عمرو بن معدي كرب لبني سليم * قاتلنا كم فما اجبنا كم * وسألنا كم فما ابخلنا كم * وهجونا كم فما افحمنا كم * اي ما وجدنا كم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين فان الهمزة فيه للوجدان فكذا في الآية ويحتمل ان تكون الهمزة في هذه الافعال لنسبة الفاعل الى اصل الفعل فكذا في الآية واحتجوا على ان الاغفال في الآية ليس للايجاد والتكوين بقوله تعالى بعده واتبع هواه فانه لو كان المعنى اوجدنا الغفلة في قلبه حقيقة لكان المناسب ان يقال فاتبع هواه ليدل على ان الاغفال سبب في الاتباع فلذا اسند الاتباع الى شهوتهم لا الى مشيئة الله وقد مر مرارا ان القدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى فلذلك قال قل كل من عند الله وان العبد له قدرة كاسبة يصح اسناد افعاله الاختيارية اليه بسببها والعامة قرأوا من اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ونصب قلبه على انه مفعول به وقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام ورفع قلبه على الفاعلية على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا دلت الآية على ان اشر احوال الانسان ان يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوأ من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق **قوله اي تقدما على الحق** يعني ان اصل الكلمة ينبئ عن العجلة والسبق يقال فرط منه قول قبيح اي سبق وفرس فرط اي سريعة تتقدم الخيل وفي الصحاح فرط عليه اي عجل وعدا ومنه قوله تعالى اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وفرط عليه سبق وفرطت القوم افرطهم فرطا اي سبقتهم الى الماء فانا فارط والجمع فراط وفراط القطا من الغنم متقدماتها الى الوادي والماء وافرط في الامر اي جاوز فيه الحد والاسم منه الفرط بالتسكين

والفرط بالتحريك الذي يتقدم الواردة ليهيئ لهم الارشية والدلاء ويمدر الحياض ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت اللهم اجعله لنا فرطا اي اجرا يتقدمنا وامر فرط اي مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى وكان امره فرطا الى هنا كلام الجوهري فالفرط على قوله فعل بمعنى المفعول والمعنى لا تطع من كان اموره التي يلابسها مجاوزا فيها الحد والحق بحيث كان ما امامه ورآء ظهره ﴿قوله ومنه الفرط﴾ يجوز ان تكون الفاء فيه مفتوحة والراء ساكنة وان تكونا مفتوحتين ﴿قوله الحق ما يكون من جهة الله﴾ يعني ان الحق مبتدأ ومن ربك خبره والجملة مقول القول ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يلتفت الى اولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء من عندك وخليت لنا مجلسك نؤمن بك ونجلس معك امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق ما يكون من عند الله لا ما يقتضيه الهوى فان شئتم اهواءكم وقبلتم الحق الذي جاءكم من عند الله اصبتم وعاد نفعه عليكم وان لم تقبلوه عاد ضرره عليكم ولا مدخل لي اصابة الحق والاهتداء به لكون اهل مجلسي فقراء او اغنياء خاملين او مشهورين بالعزة والجاه لانه تعالى رتب عليه وعيد من كابر عنه وعاند ربه وترك الحق الصريح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الآيات ﴿قوله ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف﴾ تقديره هذا الحق او الذي أتيتكم به الحق كائنا من ربكم والحق هو العامل في الظرف والمشار اليه بهذا عبارة عما ذكر من اول السورة الى هنا او عما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واياما كان يكون قوله تعالى وقل الحق من ربكم كالتذكرة لما ذكر من مفتتح السورة او لجميع ما جاء به عليه الصلاة والسلام [illegible] عليه والمعنى ما جئتكم به من حديث الكتاب الحق المنزه من كل الاعوجاج الظاهر الاعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوي على مكارم الاخلاق المزيح للعلل والاعذار المزيل للريب والشبهات حق كائن من الرب العزيز الحكيم ﴿قوله وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله﴾ جواب عن قول المعتزلة ان قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح في ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض الى العبد واختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن وتقرير الجواب ان صريح الآية وصريح العقل ايضا يدل على ان نحو الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية يمتنع حصوله بدون مشيئة العبد وقصده اليه واختياره له الا ان تلك المشيئة والقصد ليست بمشيئة اخرى سابقة عليها والا لزم ان يكون كل قصد ومشيئة مسبوقا بقصد آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى من غير قصد سابق عليه واذا توقف فعل العبد على ذلك القصد الذي لا مدخل له فيه فكيف يصح ان يقال ان العبد مستقل في فعله بل يجب القول بان الكل من عند الله ﴿قوله شبه به ما يحيط بهم من النار﴾ فتكون الاضافة في سرادقها بمعنى من كما في خاتم فضة فان الاغنياء الذين يتفاخرون في الدنيا تحيط بهم النار من الملابس والطعام والشراب وغير ذلك كما قال سرابيلهم من قطران وقال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في حق شرابهم يغاثوا بماء كالمهل والله اعلم والحجرة كل مكان محجور عن الغير اي ممنوع عنه من الحجر وهو المنع اثبت الله تعالى للنار شيئا شبيها بما يحيط بهم من جميع الجهات بحيث لا خلاص لهم منها ولا فرجة فيها يتفرجون بالنظر الى ما وراءها من النار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذي وصفه الله تعالى في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط ﴿قوله وقيل حائط من نار﴾ روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة والمعنى انهم وراء هذه الجدر محيطة بهم ﴿قوله كالجسد المذاب﴾ يعني قيل ان المهل كل شيء اذيب من الاجساد المنطبعة المذابة كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها وقيل هو دردي الزيت ﴿قوله وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم﴾ يعني قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد على طريق التهكم بهم وتحقيرهم حيث ذكرت الاغاثة بما هم فيه من شدة العطش واريد ما يضاد الاغاثة وهو ان يؤتى بماء كالمهل اذا قرب اليه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه واذا شرب منه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره فالمعنى ان يستغيثوا اي يطلبوا الغوث والمدد بما هم فيه من شدة العطش يؤتوا بماء كالمهل مكان ما يغاث به المستغيث من العطش فسمى ايتاء ذلك الماء اغاثة على سبيل التهكم والتحقير كما في قوله

● غضبت تميم ان تقتل عامر ● يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ●

يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومـ
الفرط (وقل الحق من ربكم) الحق ما يكو
من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجو
ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن
ربكم حالا (فمن شاء فليؤمن ومن شـ
فليكفر) لا ابالي بايمان من آمن ولا كـ
من كفر وهو يقتضي استقلال العبـ
بفعله فانه وان كان بمشيئته فليست
الا بمشيئة (انا اعتدنا) هيأنا (للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها) فسطاطهـ
شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق
الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل
سرادقها دخانها وقيل حائط من نا
(وان يستغيثوا) من العطش (يغاثو
بماء كالمهل) كالجسد المذاب وقيل كدردي
الزيت وهو على طريقة قوله فأعتبو
بالصيلم (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لـ
او حال من المهل او الضمير في الكاف

(بئس الشراب) المهل (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا) خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم اومستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اوخبرها (اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار) وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر اوخبر ثان (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى للابتداء والثانية لبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة اواسوار في جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة (من سندس واستبرق) مارق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين (متكئين فيها على الارآئك) على السرر كما هو هيئة المتنعمين (نعم الثواب) الجنة ونعيمها (وحسنت) الارآئك (مرتفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا) للكافر والمؤمن (رجلين) مثال رجلين مقدرين اوموجودين هما اخوان من بني اسرآئيل كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ماحكاه الله تعالى وقيل المثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابوسلمة عبدالله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (جعلنا لاحدهما جنتين) بستانين (من اعناب) من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل اوصفة للرجلين (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آتت اكلها) ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيأ) يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا

والثار بكسر النون ماء لبني عامر والصيلم الداهية والامر العظيم واعتبوا اى ارضوا واريل عصبهم جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذي يجري بين الاحبة تهكما بهم والشوى انضاج اللحم من غير مرقة تكون مع ذلك الشئ المشوى ﴿قوله واصل الارتفاق نصب المرفق﴾ وهو موصل الذراع والعضد فسر المرتفق في الآية بالمتكأ وهو موضع الاتكاء على مرفق يده بان ينصبه ويجعله دعامة نحره وذلك انما يكون للاستراحة ولا استراحة لاهل النار فلا اتكاء ﴿قوله وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا﴾ يعني اثبات المرتفق لاهل النار مع انه لاارتفاق لهم مبني على المشاكلة لقوله تعالى في حق ارآئك اهل الجنة وحسنت مرتفقا فان الآية التالية المقابلة لهذه الآية لما كانت مفصولة بذكر الارتفاق جعلت هذه الآية ايضا مفصولة بذكره لاجل المشاكلة لان اثبات المرتفق للكفار مبني على التهكم كاثبات الاغاثة لهم في قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الضالين اردفه وعد الصالحين فقال ان الذين آمنوا الآية وقوله تعالى انا لانضيع اجر من احسن عملا يجوز ان يكون خبر ان الذين آمنوا بحذف العائد اى منهم اوبتنزيل العموم منزلة العائد كما في قولك نعم الرجل زيد على قول من يجعل المخصوص مرفوعا بالابتدآء وماقبله خبره وهو المختار فان قولك نعم الرجل جملة فعلية والجملة الواقعة خبرا للمبتدأ لابد ان تكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدأ واستغنى عنه في باب نعم لتنزيل استغراق الرجل وعمومه للمبتدأ وغيره منزلة العائد واما على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ويجعل الكلام مبنيا على تقدير سؤال وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا قيل من هو فقيل زيد اى هو زيد فحينئذ يكون الكلام جملتين ليس في شئ منهما خبر جملة حتى يحتاج الى العائد اوباقامة قوله من احسن عملا مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومتحدا معهم في المعنى كما في الجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن فانها لما كانت عبارة عن الضمير المذكور استغنى فيها عن العائد ﴿قوله اوخبرها اولئك﴾ عطف على قوله هي الثانية بما في حيزها ﴿قوله اوخبر ثان﴾ عطف على قوله استئناف ﴿قوله وهو جمع اسورة﴾ واسورة جمع سوار وهو زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك كانوا يسورون في ايديهم ويتوجون على رؤسهم وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله اساوير وقوله في جمع سوار احتراز عن قول من قال ان اساور جمع اسوار بكسر الهمزة اوضمها في الصحاح وقد يكون اساور جمع اسوار واسوار قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها سوار قال الشاعر

* والله لولا صبية صغار * كأنما وجوههم اقمار * اخاف ان يصيبهم اقتار * اولاً ملم ليس له سوار *
* لما رأني ملك جبار *

على كل واحد منهم ثلاث اسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * فان قيل ما السبب في انه تعالى قال في الحلي يحلون على مالم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون باسناد اللبس اليهم * قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الالهي وان يكون الحلي اشارة الى ماتفضل به عليهم ابتدآء تفضلا زآئدا على مقدار الوعد ثم انه تعالى لما بين عاقبة الغافلين الذين اغتروا بزينة الدنيا وزخارفها وافتخروا بها على فقرآء المسلمين وآثروها على ماعند الله تعالى من الثواب الجزيل وبين ايضا عاقبة من آمن بالله وبالبعث واخرآه وعمل بمقتضى ايمانه شبه حال الفريقين بحال رجلين موصوفين تصويرا للامر المعقول بصورة المحسوس زيادة الايضاح والبيان فقال واضرب لهم مثلا الآية فتبين به ان كثرة الاموال والاتباع لاتصلح لان يفتخر بها لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغني فقيرا بل الفخر انما هو بطاعة الله التي هي زينة المؤمنين وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين ان كان بيانا وتفسيرا للمثل لايكون له محل من الاعراب وان كان صفة لجنتين يكون في محل النصب ﴿قوله مؤزرا بها﴾ اى ملفا وفي الاساس ومن المجاز الزرع يؤازر بعضه بعضا اذا التف وتأزر النبت اى التف وتلاصق ﴿قوله ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه﴾ لاشتماله على الكروم المحفوفة بالنخل وكون كل واحد منهما في احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا لما ذكر ومتواصل العمارة ويكون منفعته متواصلة لاتيانه في كل وقت بمنفعة جديدة وثمرة مرغوبة ﴿قوله وافراد الضمير﴾ في آتت والظاهر ان يقال آتتا مبني على رجوعه الى كلتا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب اللفظ والمعنى اعطت كل واحدة

(وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف (وكان له ثمر) انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك واحيط بثمره (فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجعه في الكلام من حار اذا رجع (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجبه وكفره (قال ما اظن ان تبيد هذه) ان تفنى هذه الجنة (ابدا) لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته (وما اظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربي) بالبعث كما زعمت (لاجدن خيرا منها) من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاهما لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه (قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب) لانه اصل مادتك او مادة اصلك (ثم من نطفة) فانها مادتك القريبة (ثم سواك رجلا) ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه (لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا) اصله لكن انا فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على نون لكن فتلاقت النونان وكان الادغام وقرأه ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو والجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ ولكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) وهلا قلت عند دخولها (ما شاء الله) الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف والمراد اقرار بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها (لا قوة الا بالله) فهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره

من الجنتين اكلها اي ثمرها تاما ولم تظلم اي لم تنقص منه شيأ والظلم النقصان يقال ظلمني حقي اي نقصني وله وصفهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقصان ووصفهما بما هو اصل الخير ومادته وهو امر الشرب فقال وفجرنا خلالهما نهرا والعامة على تشديد الجيم للمبالغة في وفائه شربا لهما فانه وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان يتلى ويصل الى جوانب كل الجنتين ويدوم في كل وقت كان كالانهار وقرئ بالتخفيف على الاصل لانه نهر واحد والعامة على فتح هاء نهر وقرئ بسكونها قرأ عاصم كان له اي صاحب البستان ثمر بفتح الثاء والميم فيه وفي قوله واحيط بثمره وهو جمع ثمرة كشجر وشجرة وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم فيهما والباقون بضم الثاء والميم فيهما ومن ضمهما يقول انه جمع ثمار يقال ثمار وثمر ككتب ومثل كالحمار والحمر والكتاب والكتب ويجوز ان يكون ثمر بضمتين جمعا لثمر بفتحتين كخشب وخشب والسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة انه بالضم انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر وكان ابن عباس يقرأ بالضم ويقول هو انواع المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد ان الثمر هو الذهب والفضة خاصة وقيل هو المال والولد ﴿قوله تعالى فقال له صاحبه﴾ يعني قال صاحب البستان للمؤمن وقوله وهو يحاوره يجوز ان يكون حالا من الفاعل او من المفعول فيه المهيئة اذ لا يبرم من القول المحاورة وهي مراجعة الكلام من حار اي رجع قال تعالى انه ظن ان لن يحور وقال امرؤ القيس

○ وما المرء الا كالشهاب وضوئه ○ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ○

والنفر العشيرة الذين يذبون عن الرجل وينفرون معه والمعنى ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم اراد ان يظهر للمؤمن كثرة ماله وصنوف ما يملكه مما يوجب البهجة والسرور فاخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها يريه بهجتها وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ ﴿قوله لان المراد ما هو جنته﴾ اي ما يقال له انه جنة فلان على ان التعريف فيه للعهد الذهني والمعهود هو الفرد الملحوظ بالاضافة اليه مع قطع النظر عن كونهما قطعتين بينهما مزارع او قطعة واحدة من غير ان يراد بها ما شاهده وقت الدخول او يراد دخول كل واحدة منهما على حدة او باعتبار كونهما بمنزلة جنة واحدة نظرا الى اتصالهما وخلوهما عن نكتة تقيد بها احداهما ﴿قوله تعالى وهو ظالم﴾ حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام فيه مزيدة لتقوية العامل لكونه فرعا وقوله قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الظاهر انه مستأنف جيء به بيانا لسبب ظلمه فانه لما راقه واعجبه حسنها وزهرتها ظن انها لا تفنى ابدا وما اكتفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما اظن الساعة قائمة فجمع بين كفرين فان قيل هب انه شك في البعث والقيامة فكيف قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا مع ان الحس يدل على ان ما في الدنيا كلها في معرض الزوال والفناء اجيب بان مراده انها لا تبيد مدة حياته ﴿قوله وانما اقسم على ذلك﴾ يعني ان الكافر بنى جرمه بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى انما اعطاه الجاه والمال في الدنيا لكونه اهلا مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت والمقدمة الاولى كاذبة لان فتح باب الدنيا على الانسان كثيرا ما يكون للاستدراج ﴿قوله لانه اصل مادتك﴾ نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية النباتية المتولدة من التراب فكان التراب مادة بعيدة للانسان والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهي الى الغذاء النباتي المنتهي الى التراب ﴿قوله او مادة اصلك﴾ فان آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من التراب وخلقه سبب في خلق كل احد ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون منشأ كفره بالبعث شكه في كمال قدرة الله تعالى علل انكاره على كفره بالله تعالى باثبات قدرته تعالى لاثبات وجوده ثم ان المؤمن وبخ الكافر على كفره بان قال له ولولا اذ دخلت لما تقرر من ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضي يكون للتوبيخ وكلمة ما ان كانت شرطية تكون في محل النصب على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوابه محذوف احتج اصحابنا بهذه الآية على ان كل ما اراده الله تعالى واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى لم يرد ايمان الكافر وطاعة العاصي فكانت حجة لنا على المعتزلة ومعنى الآية هلا قلت عند دخولك جنتك ورؤيتك ما انعم الله تعالى به عليك ما شاء الله من اغنائها وافنائها كان لا معارض لمشيئته وشكرت على انعامه اليك بدل الاشتغال والافتخار بالجنة عن المنعم وملاحظة التمتع بها دهرا طويلا بناء على طول الامل وتماديا في الغفلة والاغترار بالمهلة روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعطي خيرا من اهل او مال فيقال عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها كذا في الكواشي

(ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) يحتمل ان يكون انا مصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد (فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا او فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط (ويرسل عليها) على جنتك لكفرك (حسبانا من السماء) مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة (فتصبح صعيدا زلقا) ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها (او يصبح ماؤها غورا) غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق

(فلن تستطيع له طلبا) للماء الغائر ترددا فى رده (واحيط بثمره) واهلك امواله حسبانا وتعدية صاحبه وآثره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم (فاصبح يقلب كفيه) ظهر البطن تلهفا وتحسرا (على ما انفق فيها) فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اى متحسرا على ما انفق فيها (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها (ويقول) عطف على يقلب او حال من ضميره (يا ليتنى لم اشرك بربى احدا) كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه (ولم تكن له فئة) وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه (ينصرونه) يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك والاتيان بمثله (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه (هنالك) فى ذلك المقام وتلك الحال (الولاية لله الحق) النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) اى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائى الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) اذكر لهم ما تشبهه الحياة فى الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة (كماء) هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير (انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته (فاصبح هشيما) (ومن) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا

﴿ قوله يحتمل ان يكون انا مصلا ﴾ هذا الاحتمال على تقدير ان يكون الرؤية علية لانها ان كانت بصرية تعين ان يكون انا تأكيدا لياء المتكلم لان ضمير الفصل يشترط ان يقع بين المبتدأ والخبر او بين ما اصله المبتدأ والخبر ﴿ قوله وهى الصواعق ﴾ وقيل الحسبان سهام صغار ترمى فى القسى الفارسية سميت حسبانا لكونها سهاما معدودة محسوبة تجمع فترمى بمرة واحدة وقيل الحسبان العذاب الا ان ابابكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا ويقال اصاب الارض حسبان اى جراد ولعل اصل الحسبان السهام التى ترمى واطلاقه على الصواعق على سبيل الاستعارة وهى القطع من النار تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان ينبغى ان يحمله بمعنى اسم المفعول اى شيأ مما يعد اى يدخل فى الحساب ويعتد به من انواع العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المصنف ان يكون المراد بالحساب الحكم الازلى والتقدير الالهى المتعلق بتخريب الجنة وبارساله وقوع المعلوم المترصد تعلق الارادة بوقوعه او يكون الحساب على اصل الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون او عذاب معطوفا على قوله التقدير وقوله حساب الاعمال منصوبا بنزع الخافض اى بحسابها والصعيد وجه الارض والزلق والغور فى الاصل مصدران وصف بهما مبالغة والمعنى عسى ان يصبح ماؤها وهو النهر الذى فى خلالها غائرا ذاهبا فى الارض بحيث لا يبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وترده الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ارجو ان ارزق ما هو خير وافضل من جنتك وان تهلك جنتك ﴿ قوله ظهر البطن ﴾ منصوب على انه مفعول مطلق اى يقلب كفيه تقليبا خاصا بالنادمين الملهفين فان قوله يقلب كفيه كناية عن الندم لان النادم يفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا لمعنى يندم عدى بعلى ﴿ قوله او حال ﴾ عطف على قوله متعلق بيقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب اى متحسرا على ما انفق ﴿ قوله او حال من ضميره ﴾ على اعتبار حذف المبتدأ لتكون الجملة اسمية اى يقلب وهو يقول لما تقرر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها ﴿ قوله كأنه تذكر موعظة اخيه ﴾ من قوله أكفرت بالذى خلقك لكنا هو الله ربى الى قوله ان ترن اقل منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى ويرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك ما انعم به عليك ويخرب بستانك ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى بالياء ﴾ اى بياء التذكير فى لم يكن لتقدم الفعل ووجود الفصل واقامته مقام علامة التأنيث ﴿ قوله النصرة له وحده ﴾ يعنى ان الولاية لى وهى بالفتح بمعنى تولى الامر والنصرة وانما فى ذلك الموضع وتلك الحال يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدائه لا يتولى الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزازه ويخذل من يشاء اذلاله وقرأ حمزة والكسائى الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لا يغلب او لا يعبد غيره بل يلتجئ اليه كل مضطر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر يا ليتنى لم اشرك بربى احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته فى التوحيد بناء على النظر فى الادلة وامتثالا لامر الله وتصديقا لكتابه ونبيه لكان ايمانا مقبولا عند الله تعالى لكن كان ندمه وتوبته عند مشاهدة البأس مبنيا على اعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك ومتعظا بموعظة اخيه لبقيت عليه جنته فلم يقبل ولم يصر به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا لا خالصا لوجه الله تعالى فالآية بهذا المعنى تكون نظير قوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴿ قوله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد ﴾ فانه يؤكد مضمون الجملة التى لها محتمل غيره نحو زيد ابوك حقا وهنالك فى محل النصب على انه ظرف معمول لما تعلق به خبر الولاية وهو قوله لله ﴿ قوله اذكر لهم ﴾ اى للمشركين الذين استكبروا على فقراء المسلمين وافتخروا باموالهم واعوانهم يريد انه يجوز ان يحمل اضرب بمعنى اذكر فيتعدى الى واحد وعلى هذا يكون كماء انزلناه خبر مبتدأ محذوف اى هو كماء وان يكون بمعنى صير فيكون كماء مفعولا ثانيا ﴿ قوله او نجع فى النبات ﴾ اى نفذ فتكون الباء فيه للتعدية لا للسببية لان الماء لرقته هو الذى ينفذ فى النبات ولا ينفذ النبات فى الماء فكان حق العبارة فاختلط بنبات الارض ونجع فيه يقال نجع فيه الدواء اذا نفعه ونجع الطعام اذا هنئ ورف النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وتلألأ ﴿ قوله مهشوما ﴾ من الهشم وهو كسر الشئ اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر ﴿ قوله من الصلوات الخمس الخ ﴾ عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهى الحسنات يذهبن السيئات وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) عائدة (وخير أملا) لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا (ويوم نسير الجبال) واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو أو نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت (وترى الأرض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على البناء للمفعول (وحشرناهم) وجمعناهم إلى الموقف ومن قبلها تسيير وترى تحقيق لحشر أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال بإضمار قد (فلم نغادر) فلم نترك (منهم أحدا) يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء (وعرضوا على ربك) شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم (صفا) مصطفين لا يحجب أحد أحدا (لقد جئتمونا) على إضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى أو أحياء كخلقتكم الأولى لقوله (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتا لإنجاز الوعد بالبعث والنشور وأن الأنبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة إلى أخرى (ووضع الكتاب) صحائف الأعمال في الأيمان والشمائل أو في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا) ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات (ما لهذا الكتاب) تعجبا من شأنه (لا يغادر صغيرة) هنة صغيرة (ولا كبيرة إلا أحصاها) إلا عدها وأحاط بها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا في الصحف (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) كرره في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم أولا في زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والأعمال الصالحة خير وأبقى من أنفسها وأعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن (كان من الجن) حال بإضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) فخرج عن أمره بترك السجود أو صار فاسقا كافرا بسببه وفيه دليل على أن الملك لا يعصي البتة وإنما عصى إبليس لأنه كان جنيا في أصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة

وعن الصحابة أنها الفرائض وفي رواية عن ابن عباس أنها الكلام الطيب وفي رواية عنه أنها جميع الأعمال الحسنة على جميعها باقيات لعائد أجرها ونفعها وحيث صالحات لأنه لا فساد فيها وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خذوا جنتكم قالوا أحضر عدو قال جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنهن يأتين مقدمات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقولوها فإنهن الباقيات الصالحات ﴿قوله لا يحجب أحد أحدا﴾ إشارة إلى أن اصطفافهم عبارة عن ظهورهم مجتمعين بحيث يرى جماعتهم كما يرى كل واحد وقوله تعالى صفا حال من مرفوع عرضوا وهو في الأصل مصدر يقال صف صفا ثم يطلق على جماعة المصطفين واختلف في صفا هل هو مفرد وضع موضع الجمع والمراد صفوف فدليل ما ورد في الحديث الصحيح وهو أنه يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا وفي حديث آخر أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا فوضع المفرد موضع الجمع كقوله تعالى يخرجكم طفلا أي أطفالا وقيل على الحال أنهم يكونون صفا واحدا وهو أبلغ في القدرة وأما الحديثان فمحمولان على اختلاف الأحوال يوم القيامة لأنه طويل مقداره خمسون ألف سنة فتارة يكونون فيه صفا واحدا وتارة صفوفا وقيل صفا صفا بمعنى قياما لقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف أي قياما ﴿قوله على وجه يكون حالا﴾ أي عرضوا مقولا لهم لقد جئتمونا أو عاملا في يوم نسير الجبال أي نقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا كما خلقناكم وليس المراد تشبيه حال البعث من القبور بحال النشأة الأولى من كل وجه لأنهم خلقوا صغارا لا عقل لهم ولا قدرة بل المراد تقريع المشركين المنكرين للبعث المفتخرين على فقراء المسلمين بالأموال والأعوان بأن يقال لهم قد جئتمونا بغير أموال ولا أعوان ولقد بعثتم وشاهدتم أن البعث والقيامة حق واقع كما وقع خلقكم أول مرة ﴿قوله وبل للخروج من قصة إلى أخرى﴾ يعني أن الإضراب ههنا ليس لإبطال القصة الأولى بل للانتقال إلى ما هو أهم منها فإنه تعالى لما بين حال الدنيا بتمثيل حالها بحال النبات الذي يكون بعد حسنه ونضارته هشيما تذروه الرياح فيصير كأن لم يكن ثم بين بعض أحوال القيامة ثم أضرب عن بيانها وانتقل منه إلى تقريع الكفار الذين ينكرون البعث والحساب وأن في قوله أن لن نجعل مخففة من الثقيلة أي بل زعمتم أن الشأن أن لن نجعل لكم موعدا للبعث تبعثون فيه وتحاسبون ﴿قوله ينادون هلكتهم التي هلكوها﴾ الويلة والويل الهلكة لما رأوا أعمالهم محصاة عليهم في كتابهم وعلموا أنهم معذبون بها ومهلكون نادوا بالويل والهلاك فإن كل من وقع في مهلكة يدعو بها كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد فإنه نداء للحسرة عليهم كأنه قيل لها تعالي يا حسرة فإن هذه الحال من الأحوال التي حقك أن تحضري فيها إلا أنهم لما نادوا الويلة المضافة إلى أنفسهم حيث قالوا يا ويلتنا كان المدعو هلكتهم التي هلكوها لا مطلق الهلاك ﴿قوله هنة صغيرة﴾ الهنة يكنى بها عن المحقرة المستهجن في فلان هنات أي خصلات شر ولا يقال ذلك في الخير ﴿قوله قرر ذلك﴾ أي قرر قبح الكبر والافتخار ببيان أنه من سنن إبليس فإنه امتنع من السجود لآدم استكبارا وافتخارا بأن أصله نار وأصل آدم تراب والنار علوي نوراني لطيف فيكون أشرف من التراب الذي هو سفلي ظلماني كثيف وأداه ذلك الكبر إلى أن صار ملعونا مطرودا بعد أن كان رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم وأشدهم اجتهادا في العبادة حتى لم يبق في سبع السموات ولا في سبع الأرضين موضع قدم شبر إلا وقد عبد الله تعالى عليه بسجدة حتى امتلأت من العجب نفسه حيث لم يرض بما سواه فأبى أن يسجد لآدم استكبارا فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحاني العلوي كان من طبعهم الانقياد لأمر الله تعالى والخدمة والعبودية فلذلك لما أمروا بالسجود لآدم لم يمتنعوا من ذلك وسجدوا طوعا ورغبة امتثالا لأمر الله تعالى واعتقادا لحكمته كما قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف إبليس فإنه تعالى لما خلقه في ضلاله والعناد والضلال والأهواء خلق من النار التي طبعها الاستعلاء والاستكبار ولعنه الله في صف الملائكة مع خبثه وكمال كفره فالملائكة لشدة امتثالهم تعبدا لا تعجبا حتى عد من جملتهم وذكر قدرهم ثم لما زاد عليهم في الاجتهاد بالعبادة والاعتقاد فحسدوه رغبا وخوفا لما رأوا فيه من الاجتهاد والازدياد في الاجتهاد بالإرادة عن نقض السجود لآدم في جملة الملائكة ظهر ما خبثه

الجنة وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت تلك العادتات وتلاشت منه تلك العبادات وعاد المشوم الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فسجدت الملائكة وأبى ابليس واستكبر من غيه وظهر انه كان من الجن كأنه قال ما كان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الذين تولدوا من الجان وهو ابو الجن واصله واول من عصى ربه كما ان آدم عليه الصلاة والسلام اول الانس وابوهم روى انه تعالى لما خلق الارض خلق الجان من مارج من نار يعني من لهب من نار لا دخان لها فكثر نسله وهم الجن بنو الجان فاسكنهم الارض فعبدوا الله دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم البغي والحسد فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله تعالى اليهم جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم من وجه الارض الى شعوب الجبال وجزائر البحور وروى ان الملائكة سبوا ابليس من بين الجن ونشأ عند الملائكة وكان مغمورا مغلوبا بالالوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا فيهم بالتغليب تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قد كان ملكا من جملة الملائكة فغير الله تعالى صورته وطبعه وصيره الى صورة الجن وطبعهم وسيرهم بعد ابائه واستكباره وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بني آدم فصاروا قردة وخنازير الا انه لما سأل النظرة الى قيام الساعة بقي وصار له نسل والحال ان سائر الممسوخات لا تبقى بعد ثلاثة ايام ولا يصير لها نسل فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من الكافرين وقيل معناه كان في علمه الازلي انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه وابائه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه كان في علم الله تعالى انه سيكون كافرا الآن جمهور الحنفيين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه كان مؤمنا ثم صار كافرا برده امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا كفرة وقت عبادتهم ثم صاروا مؤمنين بالتبري منها الى انه لما كان الاعتبار في الايمان والكفر بالخواتيم وموافقة الموت قيل ان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبله اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهذه المقالات منسوبة الى الشيخ الاشعري رحمه الله تعالى ﴿قوله أعقيب ما وجد منه تتخذونه﴾ حكى الله تعالى اولا عداوة ابليس وذريته لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال والاتباع في تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكأنه قال تعالى لهم انكم في هذا الفعل اقتديتم بابليس في تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس عدو لكم فكيف تقتدون به في طريقته المذمومة وكل من كان غرضه من اظهار العز والمناظرة التفاخر والتكبر فهو مقتد بابليس فيدخل في هذا الانكار والتعجب روى عن الشعبي انه قال كنت جالسا يوما اذ اقبل رجل فقال اخبرني هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني فعلمت انه لا يكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه او ذكره في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين والله اعلم ثم انه تعالى لما قرر ان القول الذي قالوه في الافتخار على الفقراء والاستكبار عليهم اقتداء بابليس عاد بعده الى تهويل احوال يوم القيامة فقال ويوم يقول اى اذكر لهم يوم يقول عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي اى ادعوا من زعمتم انهم شركائي حتى اهلتموهم للعبادة ﴿قوله نادوهم للاعانة﴾ بان قالوا لهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴿قوله مهلكا يشتركون فيه﴾ على ان يكون الموبق اسم مكان يعني ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين في موضع الهلاك وهو النار ويجعل آلهتهم في موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه الصلاة والسلام في الجنة ويجعل الملائكة الذين ادعوا انهم شركاء لله في موضع آخر اراده الله تعالى من دار الكرامة فتكون جهنم موبقا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى عليهم السلام ﴿قوله او عداوة هي في شدتها هلاك﴾ على ان يكون الموبق مصدرا وعبر عن العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة في استلزامها الهلاك واما على المجاز باعتبار ما يؤول اليه كأنه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتؤديهم الى الهلاك والتلف كقوله ولا يبغضك تلفا اى ولا يكن بغضك بحيث يجر الى التلف والهلاك والكلف من كلفت بهذا الامر اى اولعت به وهو اشد الحب ونهاية التكلف الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة ومنه قول عمر رضي الله عنه وعثمان كلف باقاربه اى شديد الحب لهم

(أفتتخذونه) اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب (وذريته) اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا (اولياء من دوني) فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى ابليس وذريته (ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه (ويوم يقول) اى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون (نادوا شركائي الذين زعمتم) انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته (فدعوهم) نادوهم للاعانة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم (وجعلنا بينهم) بين الكفار وآلهتهم (موبقا) مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك

﴿ قوله وقيل البين الوصل ﴾ فلا يكون ظرفا بل يكون مفعولا اولا لجعل او يكون موبقا مفعولا ثانيا وان جعل ظرفا يكون موبقا مفعولا اولا لجعل ويكون الظرف المتقدم مفعولا ثانيا له ويجوز ان يكون جعل بمعنى خلق فيتعدى الى واحد ويتعلق الظرف حينئذ بالجعل او منصوب على انه حال من موبقا ﴿ قوله مخالطوها ﴾ فسر المواقعة بالمخالطة لان مخالطة الشئ لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة ﴿ قوله من كل جنس يحتاجون اليه ﴾ لما كان لفظ المثل في اصل اللغة بمعنى الشبه وفي عرف الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه بمورده ويطلق مجازا على كل حالة غريبة وصفة عجيبة وقصة بديعة تشبيها بالمثل السائر في الغرابة والمثل الذى تكرر تقريره في القرآن بوجوه مختلفة ليس المثل باحد هذه المعاني بل الذى تكرر فيه هو تقرير دلائل الوحدانية والنبوة وتحقيق احوال البعث والقيامة وبيان الاحكام والوعد والوعيد والقصص والامثال وهذه الامور ليست من قبيل المثل المفسر باحد التفاسير المذكورة الا انها لما كانت امورا مهمة يحتاج الانسان الى سماعها اشد الاحتياج صح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها لها بالمثل السائر فلذلك قال المصنف في تفسير الآية من كل جنس يحتاجون اليه والظاهر ان مفعول صرفنا محذوف وقوله تعالى من كل مثل صفة لذلك المحذوف والمعنى ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس معنى من كل جنس يحتاجون اليه ويجوز ان يكون من كل مثل هو المفعول على ان تكون كلمة من زائدة على رأى الاخفش والكوفيين وشئ في قوله تعالى اكثر شئ جدلا وضع موضع الاشياء لتي يتأتى منها الجدل اى اخصها واحدا واحدا والمعنى ان الانسان اكثر شئ جدلا من كل شئ يجادل والتفضيل مستفاد من اضافة اصل التفضيل الى النكرة فانه اذا اضيف الى النكرة المفردة واريد بيان كون صاحب اصل رأسا على ما اضيف اليه في المعنى المدلول عليه بالمصدر الذى اشتق منه اصل التفضيل يجب ان يكون المفضل داخلا فيمن اضيف اليهم فردا منهم لحصول المقصود من التركيب بدونه فاذا اضيف الى النكرة المفردة نحو زيد افضل رجل واكثر شئ جدلا يجب ان تكون النكرة بمعنى الجنس المتناول للمفضل وامثاله ليكون المفضل بعضا منهم ومشتركا معهم في اصل الفعل وراجحا عليهم فيه فاذا قيل زيد افضل رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال كان معناه زيد افضل من كل رجل وهما افضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما وذكر في شرح الرضي في بحث الاضافة ومذهب سيبويه ان اضافة افعل التفضيل حقيقية مطلقا وذلك انه في حال الاضافة على ضربين احدهما ان يكون بعض المضاف اليه فيدخل فيه اى فيما اضيف اليه والمعنى ان صاحبه مفضل في المعنى الذى وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد مما يدخل معه بعده من اجزاء المضاف اليه فاذا قلت زيد افضل الناس فمعناه مفضل في الفضيلة على كل واحد ممن يدخل معه بعده ولا يلزم منه تفضيل الشئ على نفسه لانك لم تفضله على جميع اجزاء المضاف اليه بل على ما بقى من المضاف اليه بعد خروج هذا المفضل منه فالاضافة في هذا المعنى بتقدير اللام كما في قولك بعض القوم وكلهم وجزؤهم واحدهم فاذا كانت اضافته بهذا المعنى كاضافة بعض الى القوم يكون بتقدير اللام فيكون بعضه بدليل قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيهما ان يكون صاحب افعل مفضلا على جميع افراده مطلقا ثم تضيفه الى شئ للتخصيص سواء كان ذلك الشئ مشتملا على امثال المفضل نحو زيد افضل اخوته او لم يكن نحو زيد افضل بغداد اى افضل افراد نوع الانسان وله اختصاص ببغداد فالاضافة اليه لاجل التخصيص كما في غلام زيد ومصارع مصر لا لتفضيله على اجزاء المضاف اليه فهذه الاضافة لاجل التخصيص حقيقية ايضا بمعنى اللام ثم تقول افعل بالمعنى الاول اما ان تضيفه الى المعرفة او النكرة فان اضفته الى المعرفة لم يجز ان تكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيد اذ لا يمكن كونه بعض المضاف اليه الا اذا كان ذلك الواحد من اسماء الاجناس التى يقع لفظ مفردها على القليل والكثير نحو البرنى اطيب التمر جاز والرجل ليس منها بهذا المعنى فتقول زيد افضل الرجلين اى احدهما المفضل على الآخر وافضل الرجال اى احدهم المفضل على كل واحد من الباقين واما اذا اضفته الى النكرة فتصور اضافته الى الواحد والمثنى والمجموع نحو زيد افضل رجل والزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال اى احدهم فيتطابق صاحب افعل والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا والمعنى اى رجل هو واى رجلين هما واى رجال هم مع ان المجرور في جميعها ليس في الظاهر جملة معينة تكون المضاف بعضا منها لان المراد بكل واحد من هذه المجرورات الجنس المستغرق الجميع من المشترك ومن امثاله فيكون في الحقيقة مضيفا الى المشترك وامثاله حتى اى رجل اى قسم من اقسام الرجال

وقيل البين الوصل اى جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (انهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) انصرافا او مكانا ينصرفون اليه (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) من كل جنس يحتاجون اليه (وكان الانسان اكثر شئ) يتأتى منه الجدل

(جدلا) خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز (وما منع الناس أن يؤمنوا) من الإيمان (إذ جاءهم الهدى) وهو الرسول الداعي والقرآن المبين (ويستغفروا ربهم) ومن الاستغفار من الذنوب (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) إلا طلب أو انتظار أو تقدير أن تأتيهم سنة الأولين وهو الاستئصال فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (أو يأتيهم العذاب) عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرأ ﴿ ٢٦٦ ﴾ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه أو جمع قبيل بمعنى أنواع وقرئ قبلا بفتحتين وهو استئناف يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير أو العذاب (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) ليزيلوا بالجدال (الحق) عن مقره ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها وذلك قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك (واتخذوا آياتي) يعني القرآن (وما أنذروا) وإنذارهم أو والذي أنذروا به من العقاب (هزوا) استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فأعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكر بها (ونسي ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وإفراده للمعنى (وفي آذانهم وقرا) يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) تحقيقا ولا تقليدا لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون وإذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم فإن حرصه على إسلامهم يدل عليه (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) استشهاد على ذلك بإمهال قريش مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر أو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولا ملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه (وتلك القرى) يعني قرى عاد وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره (أهلكناهم) أو مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر (لما ظلموا) كقريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصي (وجعلنا لمهلكهم موعدا) لإهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا (أو تحمل) بتأخير العذاب عنهم وقرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض (وإذ قال موسى) مقدر باذكر

إذا قسموا رجلا رجلا وأي رجلين أي أي قسم من أقسام هذا الجنس إذا قسم رجلين رجلين وكذا يجوز زيد أفضل رجل أي أفضل أقسام هذا الجنس إذا قسم رجلا رجلا إلى هنا كلام الرضي رحمه الله تعالى ﴿قوله خصومة بالباطل﴾ فإن القرآن الكريم قد كرر الله فيه تقرير جميع ما يحتاج إليه الإنسان في كل واحدة من الشؤون بوجوه مختلفة وأساليب عجيبة بحيث يتحير الناظرون فيها بالتأمل والاستبصار من أجل فضل الله تعالى ورحمته لعباده ومع هذا فإنهم لا يتدبرون دلائله وما فيه من الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وبها يقطعون الطريق على أنفسهم فتارة يجادلون مع الأنبياء ولا يقبلونهم بالنبوة والرسالة ويقاتلونهم وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ما أنزل الله على بشر من شيء وتارة يجادلون في متشابهاتها وتارة في ناسخها ومنسوخها وتارة في قدمها وحدوثها ونحو ذلك ولو تنزعوا من المجادلة إلى المعاندة والمجاهدة ومن المنازعة إلى التعلم والمطاوعة لامتلأت قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا بذلك إلى خير الدارين وكان الإنسان ظلوما جهولا ﴿قوله من الإيمان﴾ أورد كلمة من لتوضيح المعنى ولا ضرورة إلى تقديرها لأن منع قد يتعدى إلى مفعوله الثاني بنفسه تقول أعطيته مالا ومنعته شرا فإن قوله أن يؤمنوا منصوب المحل على أنه مفعول ثان لمنع وقوله إلا أن تأتيهم مرفوع المحل على الفاعلية وإذ ظرف لمنع ﴿قوله وهو الاستئصال﴾ أي سنة الله تعالى في المصرين على الكفر والعناد بعد قيام الحجة وظهور الآيات أن يعمهم بعذاب الاستئصال وذلك لم يتحقق بعد في حقهم حتى يجعل مانعا من إيمانهم فوجب تقدير المضاف إذ هم لا يجعلون إيمانهم موقوفا على نزول عذاب الاستئصال أو عذاب الآخرة لأن العقل لا يرضى بحصول هذين الأمرين إلا أنه قيل في حقهم إنهم يزعمون أن الإيمان متوقف على نزول أحد الأمرين وعلى عدم حصول الموقوف عليه تشبيها لحالهم بحال من يعتقد توقف الإيمان على أحدهما ويترقب نزوله من عدمه وحصول المعنى لم يمنع الناس من الإيمان إلا التعنت والعناد لأنه قد ظهر لهم من الحجج والآيات ما لو لم يعاندوا ولا كابروا لزمهم الإيمان به والتصديق لكن منعهم من الإيمان ما ذكر من عنادهم وقيل معنى الآية ما منع كفار مكة من الإيمان بعد قيام البرهان إلا أن قدرت في حقهم ما هو سنتي فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب فتكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر ﴿قوله وهو لغة فيه﴾ الجوهري رأيته قبلا وقبلا بالضم أي مقابلة وعيانا ورأيته قبلا بكسر القاف أي عيانا أو القبيل الكفيل والجماعة من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قال الأخفش أي قبيلا وقال الحسن عيانا ﴿قوله استهزاء﴾ من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والآيات القرآن وإنذارهم العقاب المنذر به ليس شيء منهما استهزاء فإنما المستهزأ به الجوهري الهزؤ والهزؤ السخرية تقول هزئت منه وهزئت به واستهزأت به والهزأة بالتحريك من يهزأ بالناس ﴿قوله على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم﴾ متعلق بقوله وجواب وقوله فإن حرصه على إسلامهم بيان لما يدل على المقدر يعني أن الجملة الشرطية جواب لقوله عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بما هو عليه من حرصه على إسلامهم فإنه عليه الصلاة والسلام لما قيل له إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا كأنه قيل له إنهم ما أوقعوا القلوب والآذان فأعرض عنهم واترك دعوتهم فنزل لكمال حرصه على إسلامهم منزلة من يسأل ويقول ما لي لا أدعوهم وقد حثثت الدعوة فأجيب عن هذا السؤال المقدر بأنك إن تدعهم إلى الهدى فلن يتأثروا بدعوتك إذا أي في تلك الحال وهي كونهم مطبوعا على قلوبهم وآذانهم ولما اشتمل الجواب على الشرط الذي هو سبب كان ما بعد إذا متأخرا مسببا عنه فصح أن إذا جواب وجزاء ﴿قوله ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما﴾ أي إما في تلك أو في القرى أي أهل تلك القرى أو تلك أصحاب القرى ﴿قوله لإهلاكهم﴾ إشارة إلى أن المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدر أهلك ومن قرأه بفتحتين جعله مصدرا قياسيا للثلاثي على القياس ﴿قوله مقدر باذكر﴾ عطف على قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة أي واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين على فقراء المسلمين قصة موسى عليه الصلاة والسلام وتواضعه الذي ذهب إليه يتعلم منه وفيه تقريعهم على تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه أيضا تعريف أهل الكتاب والمشركين أن أخبار أصحاب الكهف وذي القرنين عن محمد صلى الله عليه وسلم وتأخر الوحي عنه لا يدل على أنه ليس نبي فإن موسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا اصطفاه الله تعالى بكلامه وبإنزال التوراة عليه ثم ذهب يتعلم من العلم ما عند غيره وأي مدح في أن يكون العالم الكامل في أكثر العلوم يجهل بعض الأشياء فيحتاج في تعلمها إلى من دونه علما

أن يعلم موسى عليه الصلاة والسلام أن الخضر وقومه هم [illegible] عمهم أن هذه القصة مع كونها قصة مستقلة لم يذكر منها شيء بعد في غير المحصور من القصتين المستقلتين ﴿ قوله وقوله حتى أبلغ ﴾ مجرور بالعطف على المجرور بالاضافة في قوله لدلالة حاله وقوله عليه أي على الخبر المحذوف بالدلالة ووضح المقام أن لا أبرح يجوز أن يكون من الافعال الناقصة فيقدر خبرا محذوفا من قولهم لا أبرح أصل ذلك أي لا أزال عليه من دون زوال ويجوز أن يكون من الافعال التامة فيقدر ماله الى الخبر من قولهم برح مكانه أي زال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض فلا أبرح معناه لا أخرج من زوال وزوال لا وأراد المصنف هنا ذكر المصنف أنه على الاول من الافعال الناقصة فيكون حذف خبره لأن الحال والكلام دالان عليه معا أما الحال فلأنها كانت حال السفر وما شاكله وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون معنى لا أبرح ولا أزال أسير وأما قوله حتى أبلغ فهو الخبر لكونه من الافعال الناقصة وهو بين في الكلام حذف مضاف تقديره لا يبرح مسيري ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعه ضميرا بعد أن كانت مجرورة فصار مرفوعا وكذا صار الفعل من الغيبة الى التكلم وبقي حتى أبلغ هو الخبر وهذا بحث وهو أن الجملة خالية من ضمير يربطها ويعود الى قوله مسيري فكيف يكون خبرا عن مسيري في الاصل والضمير الذي فيها يعود الى ضمير المتكلم الذي صار فاعلا للمسير وذلك لا يكفي في الربط إلا أن يقال المقدر مضاف تقديره حتى أبلغ أي مسيري أو يقال جعله خبرا على طريق التوسع والمسامحة وهو بيان لحاصل المعنى والتقدير لا يبرح مسيري حاصلا أو مستمرا حتى أبلغ ويرجح هذا الوجه على الوجه الأول مع اشتراكهما في حذف الخبر أن حذف الخبر في الوجه الثاني مرجح على حذف المضاف من الاسم بخلاف الوجه الأول فإنهما متساويان في التصريح بهما وإن تساويا في الاحتياج الى حذف الخبر ثم ذكر وجها آخر وهو أن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول على حقيقته أي لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أتركه حتى أبلغ وعلى هذا الوجه لا يحتاج الى حذف الخبر لكن حذف معمول الفعل الصريح بالحذف لا بد منه على كل واحد من التقديرين ﴿ قوله وعد لقاء الخضر فيه ﴾ وروي أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال موسى إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان حتى ناما فجمع بينهما فرقد موسى فاضطرب الحوت عند الصخرة فطفر الى البحر وسرب وقيل إن يوشع توضأ في ذلك المكان من عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا إلا حيي فسقط الماء على الحوت المالح فعاش ووثب في الماء وقيل إن الخضر هناك عين من الحياة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهي في المكتل فاضطربت وعاشت ودخلت في البحر والحاصل أنه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام أن هذا العالم موضعه مجمع البحرين وما بين له موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على مسكنه المعين ﴿ قوله والمعنى حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب ﴾ حقبا منصوب على الظرفية ﴿ قوله أو حتى أبلغ إلا أن ﴾ معنى أو كلمة أو بمعنى إلا أن أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين إلا أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات مجمع البحرين ﴿ قوله فأعجب بها ﴾ أي استحسن تلك الخطبة لبلاغتها واشتمالها على المعارف والعلوم لكثيرة من علمه أفضى هذا الى خطبته ﴿ قوله وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر ﴾ وهو من أولاد سام بن نوح لقي إبراهيم عليه الصلاة والسلام فطاف الدنيا والخضر على مقدمته وسد يأجوج ومأجوج وهو الاسكندر به وأما ذو القرنين الأصغر فهو اليوناني الذي قتل دارا وسلب ملكه وتزوج ابنته واجتمع له ملك الروم وفارس وطاف الدنيا وبلغ الظلمات وقال الإمام اختلف الناس في أن ذا القرنين من هو وذكروا أقوالا الأول أنه هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني قالوا والدليل عليه أن القرآن دل على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل قوله تعالى حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة وأيضا بلغ ملكه أقصى المشرق وأن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال فدليل أن السد المذكور في القرآن يقال في كتب التواريخ أنه مبني في أقصى

(لفتاه) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده (لا أبرح) أي لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) عليه من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فإن موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (أو أمضي حقبا) أو أسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب أو حتى أبلغ إلا أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي أن موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في أيام أفريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي الى أيام موسى وقيل إن موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان

الشمال فهذا المسمى بذي القرنين قد دل القرآن على ان ملكه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يبقى مستترا والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك انه لما مات ابوه فيلبوس جمع ملوك الروم بعد ان كانوا طوائف ثم جمع ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحهم ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه الى دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدائن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذي هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلبوس اليوناني ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم وهو على مذهبه فتعظيم الله تعالى اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه واجيب عنه بما روي من ان الخضر كان على مقدمة ذي القرنين فدعاه الخضر عليه السلام الى الاسلام فاسلم وكان على ملة الخليل عليه الصلاة والسلام وقد استوزره ثم قتل منه وانقطع بسببه وبهذا يندفع الاشكال المذكور ان صح والله اعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر البحر فطلبه ابوه فلم يقدر عليه ﴿قوله اي مجمع البحرين﴾ يعني ان ضمير بينهما للبحرين وان حق الاجتماع ان يضاف الى البحرين لا الى البين وانه اضيف الى البين توسعا قال الامام اجمع المفسرون على ان المعنى انطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين لارجاع ضمير بينهما الى البحرين ويحتمل ان يرجع الى موسى والخضر عليهما السلام ويكون المعنى فلما بلغا الموضع الذي هو مجمع موسى وصاحبه الذي كان يقصده لان ذلك الموضع الذي وقع فيه نسيان الحوت هو الموضع الذي كان الخضر يسكن فيه او يسكن بقربه والظاهر ان لفظ البحرين على هذا الاحتمال باق على اصل معناه لا كما قيل من ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام ﴿قوله نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله﴾ قيل النسيان فعل يوشع وحده والكلام على حذف المضاف اي نسي احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمصنف لم يرض به بل جعل النسيان مسندا اليهما على معنى نسيا امر الحوت نسي موسى ان يتعرف حاله ونسي يوشع ان يذكر لموسى ما شاهد من الحوت وهو اضطرابه ووثبته في البحر ذاهبا فيه وقدر المضاف ومن المعلوم ان ليس المراد من نسيان الحوت نسيان ذاته بل نسيان حاله قيل انهما خرجا من الشام وذهبا نحو ارمينية فانتهيا الى الصخرة التي قيل لموسى انك تجد عندها العبد الصالح الذي تطلبه فلما انتهيا اليها وضع موسى عليه الصلاة والسلام رأسه فنام فاضطرب الحوت ووثب في البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره موسى ونسي يوشع ان يذكر امره لموسى وتوضيح الفرق بين قوله نسي موسى ان يطلبه وبين قوله وقيل نسيا تفقد امره الخ يتوقف على بيان مقدمة وهي انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان موضع الخضر بمجمع البحرين ثم ان ذلك المجمع لما كان متسعا عريضا لا يتعين ان موضع ملاقاة الخضر من ذلك المكان المتسع اي موضع هو جعل فقدان الحوت المشوي علامة دالة على الظفر بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان المتسع الذي عبر عنه بمجمع البحرين فلما بلغ ذلك المجمع الذي يتعين به مكان الخضر بنوع تعين كان على موسى عليه الصلاة والسلام ان يطلب ما به يتعين خصوص مسكنه ويتعرف حاله هل هو باق في المكتل او مفقود ذاهب وكان على يوشع ان يذكر له ما رأى من حاله فنسي كل واحد منهما ما هو اللائق بحاله وارتحلا من ذلك الموضع من غير ان يطلب موسى عليه الصلاة والسلام الحوت ويتعرف حاله ومن غير ان يذكر يوشع ما رأى من حياة الحوت ودخوله البحر وهذا ما اختاره المصنف وذكره بقوله نسي موسى ان يطلبه الخ ولم يرض بقول من قال ان ما نسيه كل واحد منهما امر واحد وهو تفقد ما يكون امارة على الظفر بالمطلوب من احوال الحوت لان هذا هو الذي نسيه موسى واما يوشع فقد شاهد من الحوت هذه الامارة واغانسي ان يذكره لموسى ﴿قوله مسلكا﴾ على ان السرب مصدر كالطلب اريد به الموضع والمذهب يسرب فيه اي يسلك ويذهب فيه من قولهم سرب اي ذهب على

(فلما بلغا مجمع بينهما) اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب (فاتخذ سبيله في البحر سربا) فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ (فلما جاوزا) مجمع البحرين

(قال لفتاه آتنا غداءنا) هو ما يؤكل أول النهار (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم ينصب حتى جاوز الموعد بجاوزه وحصل له و لفتاه الضجر الى عليه الجوع والنصب
وفيه حمل موسى في سفر ميرو بالتعبد باسم الاثر (قال أرأيت) أي تنبه (إذ أوينا إلى الصخرة) بذلك المكان (فإني نسيت الحوت) ... فقد موسى وقيل هي الصخرة
التي عند مجمع البحرين (فإني نسيت الحوت) فقدته او نسيت ذكره بما رأيته (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) اي وما انساني ذكره الا الشيطان بأن اذكره
بدل من الضمير وقرئ ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى

بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها (واتخذ سبيله في البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا (قال ذلك) اي امر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لانه امارة المطلوب (فارتدا على آثارهما) رجعا في الطريق الذي جاءا فيه (قصصا) يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او متبعين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس (آتيناه رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة (وعلمناه من لدنا علما) مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن) على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف (مما علمت رشدا) علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه (قال انك لن تستطيع معي صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل

ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) معك غير منكر عليك (ولا اعصي لك امرا) عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلاف وفيه
دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى

وجهه في الارض والسرب ايضا بيت في الارض لا منفذ له واذا كان له منفذ يقال له نفق اه جوهري النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان قيل وجه السرب في الآية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال جعل سبيله في البحر سربا انه دخل في البحر كما دخل في السرب كأن الله ارتفع بجسمه فصار كالطاق والكوة حتى دخل الحوت فيه فصار امسك على الحوت كالطاق وصار الحوت في البحر كأنه في السرب ﴿ قوله تعالى ما تحمو ﴾ بفتح الدال ما يعد للاكل غدوة والعشاء ما يعد للاكل عشية ﴿ قوله لم ينصب حتى جاوز الموعد ﴾ فيكون حكمة هذا الاشارة الى سيرهما بعد المجاوزة وكان هذا السير تعبا لهما حائقا لان وجه المطلوب بقرب البعد والجنة بعد التقريب ولهذا ورد في الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يعتب الا بعد مجاوزة الموضع الذي حده الله تعالى ﴿ قوله أرأيت اذ أوينا ﴾ يعني ان قوله أرأيت بمعنى اخبرني حذف مفعوله الذي هو المستخبر عنه وهو المقرون بقوله اذ أوينا وهو ظرف قوله فاني نسيت الحوت وحذف لدلالة المقام عليه فيه قد الرسم ... لكونه اتجاه الريت على شاطئه ﴿ قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ﴾ قرأ حفص بضم الهاء وهو في سورة الفتح عليه الله والباقون بكسرها فهم ان اذكر في محل النصب على انه بدل من هاء انسانيه على بدل الاشتمال اي انساني ذكره ﴿ قوله سبيلا عجبا ﴾ على ان يكون عامل اتخذ ضمير الحوت وسبيله المفعول الاول وفي البحر يجوز ان يتعلق بقوله اتخذ وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاول او الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف كما هو المعروف ﴿ قوله او اتخاذا عجبا ﴾ على ان عجبا صفة مصدر محذوف متعلق لاتخذ وفي البحر هو المفعول الثاني ﴿ قوله او موسى في جوابه ﴾ عطف على المستتر في قال فيتم الفصل مقام التأكيد اي قال فتى موسى في آخر كلامه عجبا اي تعجبت عجبا حكى الله تعالى ذلك ثم قال موسى ذلك في جواب فتاه فحكى الله تعالى ذلك منه وهذا الاحتمال الاخير ليس بما يعول عليه لان موسى عليه الصلاة والسلام لما قال ليوشع آتنا غداءنا اجابه بقوله ارأيت اذ أوينا الى الصخرة وهي كله تعجب وانه نحو سبيله في البحر اي عجب فتى موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجبه والارتياب في نسبة التعجب الى موسى بل ينبغي ان يكون هذا قول فتى موسى ﴿ قوله يقصان قصصا ﴾ على ان قصصا مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه او مصدر لقوله فارتدا على آثارهما لان ارتدادهما كقصاص آثارهما ﴿ قوله او متبعين ﴾ على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل منصوب على الحال ﴿ قوله تعالى علما ﴾ مفعول ثان لعلمناه ولو كان مصدرا لعلمناه مفعولا مطلقا لقيل تعليما ويجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من علما ﴿ قوله وهو في موضع الحال من الكاف ﴾ يعني ان المعنى اي اتبعك باذلا لي علمك ﴿ قوله او مصدرا باضمار فعله ﴾ اي على ان تعلمني وترشدني رشدا مما علمت وارشدت رشدا ﴿ قوله فاستجهل نفسه ﴾ حيث قوله على ان تعلمني اقرارا منه على نفسه بالجهل ومن استاذنه فانه قوله هل اتبعك فانه من باب التلطف حيث طلب التعليم بعض ما علم كأنه يقول لا اطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك ان تعطيني جزءا من اجزاء علمك كما يطلب الفقير من الغني روي انه لما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وببني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرني بهذا فقال له انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا كثيرة منكرة بحسب الظاهر ولا يجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وخبرا تمييز لقوله لم تحط وهو منقول من الفاعل اذ الاصل ما لم يحط به خبرك اي علمك ويجوز ان يكون مصدرا منصوبا من غير لفظ الفعل لان قوله لم تحط به بمعنى لم تخبره خبرا الجوهري من ابن خبرت هذا الامر اي عرفته على حقيقته والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشيء وقولهم لاخبرن خبرك اي لاعلمن علمك ﴿ قوله وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة تعالى ﴾ لان الصبر فعل من افعال العبد وهو مأمور به فهو كان جميع ما امر الله به او نهى عنه اذا تعلق بمشيئة الله تعالى فكل تعلق بمشيئة الله فهو ... فقوله ستجدني ان شاء الله ستجدني صابرا ان شاء الله كوني صابرا وهذا يقتضي وقوع الشك في ان الله تعالى هل يريد كونه صابرا او لا وكونه مشكوكا فيه يدل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما امره به وانه تعالى قد يأمر بالشيء مع انه لا يريده لا كما زعمت المعتزلة من ان الامر يستلزم الارادة ولما كان تعلق مشيئة الله تعالى بما لا يعلم حصوله الا هو جعل حصول فعله كل شيء بالله تعالى الصبر ... لها من الصبر حصولها موهما لكونه غير

(قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء) فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته (حتى احدث لك منه ذكرا) حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة (فانطلقا) على الساحل يطلبان السفينة (حتى اذا ركبا في السفينة خرقها) اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها (قال أخرقتها لتغرق اهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل (لقد جئت شيأ امرا) اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم (قال ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا) تذكير لما ذكره قبل (قال لا تؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه (ولا ترهقني من امري عسرا) ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين (فانطلقا) اي بعد ما خرجا من السفينة (حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل فتل عنقه وقيل ضرب رأسه بالحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك (قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس) اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله (لقد جئت شيأ نكرا) اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين (قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة (قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) اي وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك (قد بلغت من لدني عذرا) قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن الدعامة كقوله • قدني من نصر الخبيبين قدي • وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل ارمينية (استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه (المازل) اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال • يريد الرمح صدر ابي براء • ويعدل عن دماء بني عقيل • وقال آخر • ان دهرا يلف شملي بجمل • لزمان يهم بالاحسان •

عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون تعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر لا لكونه غير عازم على الصبر كتعليق من قال انت طالق ان شاء الله فانه لا يقع الطلاق ولا يكون الزوج عازما على الطلاق بهذا القول والمقصود من هذا الكلام دفع ما يقال من ان ما حكاه الله تعالى عن الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام يستلزم صدور الكذب من احدهما فان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وكل واحد من صدق القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحدهما وصدور الكذب من احدهما ينافي عصمة الانبياء • وتقرير الجواب انه لم يحصل صدور الكذب من واحد منهما اما من الخضر فلتحقق عدم الصبر من موسى باعتباره عما رأى من الخضر وانكره نظرا الى ظاهره واما من موسى فانه قد استثنى في جوابه وقال ستجدني ان شاء الله صابرا فان التعليق بالمشيئة يدفع الحنث وينافي الكذب وقيل انه من معاريض الكلام بان لا يكون النسيان بمعنى الترك بل اراد به ما يقابل الذكر الا انه لا يريد به نسيان وصيته بل النسيان في الجملة اذ الانسان لا يخلو عن نسيان المروي عن ابن عباس انه عني انسانا لانه عهد اليه فنسي والتعريض خلاف التصريح وذلك يكون بان تصرح بذكر شيء وتميل كلامك الى عرض وناحية لم تذكر كقولك ما اقبح البخل تعرّض بمخاطب انه بخيل على الاول فكان موسى نسي وصية الخضر حقيقة ونهاه عن المؤاخذة معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثاني لم ينس في نفس الامر بل نهاه عن اخذه بالنسيان موهما من قبيل المعاريض او حمل النسيان على الترك لان المؤاخذة بالنسيان حقيقة مما لا يصدر من النبي فلا يحتاج الى النهي عنها وجعل صورة النهي في الوجه الاول طريقا الى الاعتذار بالنسيان الناشئ عن قلة التحفظ ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيأ نكرا فان النكر اعظم من الامر في القبح لان ما يتشدد ويعظم من الامور لا يلزم ان يكون منكرا والشيء انما يكون نكرا اذا انكرته العقول ونفرت عنه الطباع والنفوس ﴿قوله قدني من نصر الخبيبين قدي﴾ اكتفى بتحريك الدال عن قدي عن نون الوقاية والخبيبان عبد الله بن الزبير وابنه خبيب وقيل هو واخوه مصعب ويروى الخبيبين على الجمع اراد ثلاثتهم وقرأ ابو بكر لدني بضم الدال وتشديد النون وعن الزجاج قال اجود القراآت تشديد النون لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الاصلية فتقول من لدني كما تقول مني وعني ومن قال لدني لم يجز له ان يقول مني وعني بتركه نون الوقاية لان لدن اسم غير متمكن فلا ضير في تحريك آخره بخلاف من وعن فانهما حرفان والدليل على ان الاسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدي في قدني فان قد اسم غير متمكن قال الجوهري بعد ما ذكر ان كلمة قد حرف لا تدخل الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حسبك فهو اسم وتقول قدي وقدني ايضا بالنون على غير القياس لان هذه النون انما تزاد في الافعال وقاية لها من صورة الجر مثل ضربني وشتمني ﴿قوله تعالى استطعما اهلها﴾ اي سألا منهم الطعام فان آخر كسب الجائع الاقدام على المسألة والاستطعام وهو امر مباح في كل الشرائع وربما يجب ذلك عند خوف التلف والضرر الشديد عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لئاما • قال الامام رأيت في كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء حتى تصير القراءة هكذا فأتوا ان يضيفوهما اي اتوا لان يضيفوهما اي اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يدفع عنا هذا اللؤم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله وذلك يوجب القدح في الالهية فعلمنا ان تغيير هذه النقطة الواحدة يوجب بطلان الربوبية والعبودية ﴿قوله فاستعيرت الارادة﴾ فانها لكونها من صفات الاحياء لا يوصف الجدار بها حقيقة فشبه مشارفة الجدار الى الانقضاض بالارادة بجامع الميلان بينهما فاستعيرت لها فهي استعارة تبعية ﴿قوله يلف شملي﴾ اي يجمع ما تشتت من امري وجمل اسم محبوبته يقول ان دهرا يجمع بيني وبين محبوبتي دهر همه الاحسان لا الاساءة فنسبه مساعدة الزمان لاجتماعه مع محبوبته بالهم فاستعير لها ﴿قوله وقرئ ان ينقض﴾ على بناء المفعول من النقض بمعنى الهدم يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه وان ينقاص من قاصه يقيصه اي كسره وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا ﴿قوله لينحتا﴾ اي ليتقويا ويرتفعا انحطاط الصدور يقال نعشه الله اي رفعه وانتعش

[illegible]

(قوله الإشارة إلى الفراق الموعود) فإن المشار إليه لا يجب أن يكون موجودا حاضرا وقت الإشارة بل يكفي أن يكون موجودا ذهنا ويدل عليه [illegible]

[illegible]

أو تعريضا بأنه يسوّل [illegible]
كأنه لما رأى الغلمان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان
[illegible] إلى الأخبيات وأظهر ابن كثير
[illegible]
(قال هذا فراق بيني وبينك) [illegible]
إلى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني
أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت أي
هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت
وقته وإضافة الفراق إلى البين إضافة
المصدر إلى الظرف على الاتساع [illegible]
على الأصل (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع
عليه صبرا) بالخبر الباطن فيما لم تستطع
الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر
(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر) [illegible]
[illegible]
[illegible] من ضعف [illegible]
[illegible] كانت لعشرة إخوة [illegible]
يعملون في البحر (فأردت أن أعيبها)
أن أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك)
قدامهم أو خلفهم (وكان رجوعهم عليه)
واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن
جلندي الأزدي (يأخذ كل سفينة غصبا)
من أصحابها وكان حق النظم أن يتأخر
قوله فأردت أن أعيبها عن قوله وكان
وراءهم ملك [illegible]
عن خوف الغصب

وانما قدم العاية اولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزءين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما) ان يغشاهما (طغيانا وكفرا) لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالأته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى (فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه) ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه (زكاة) طهارة من الذنوب والاخلاق الردية (واقرب رحما) رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وابو عمرو ويبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور (وكان تحته كنز لهما) من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وكان ابوهما صالحا) تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) اي الحلم وكمال الرأي (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف وتقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط (وما فعلته) وما فعلت ما رأيته (عن امري) عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم

مرجع السفينة عليه حتى يكون خرقها فائدة وقوله تعالى غصبا يحتمل ان يكون مصدرا في موضع الحال وان يكون مفعولا مطلقا لبيان نوع الاخذ نحو رجع القهقرى ﴿قوله وانما قدم العاية﴾ يعني قدم السبب الذي هو ارادة التعييب على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق المسبب ان يترتب على السبب ويتأخر عنه لوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه العناية ان موسى عليه الصلاة والسلام بنى انكاره على خرق السفينة على كون خرقها مؤديا الى اغراق اهلها فبين خرقها انما يريد اغراق اهلها فكان الاهم بالنسبة الى المجيب ان يدفع مبنى انكاره فدفعه بان خرقها لارادة تعييبها لا لاجل الاغراق وثانيهما ان السبب ليس مجرد خوف غصب السفينة بل كون السفينة للمساكين جزء سبب التعييب وذكر الجزء الآخر عقيبه على سبيل التقييد لانه حال من فاعل اردت باضمار قد ﴿قوله او يقرن بايمانهما﴾ عطف على قوله فيلحقهما شرا يعني ان اتيان الطغيان واغشاءه اياهما يحتمل ان يكون المراد به ان يؤذيهما ويلحقهما شرا بسبب عقوقه او ان يجمع بين كفره وايمانهما في بيت واحد يقال قرنت الشيء بالشيء اي وصلته به ويقال غشيه غشيانا اذا جاءه واغشاه اياه غيره كذا في الصحاح ﴿قوله او يعديهما بعلته﴾ عطف على ما قبله ايضا وهو من العدوى بمعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه الى غيره يقال اعدى فلان فلانا من خلقه او من علة به او جرب اي يحتمل ان يكون المراد باغشائه الطغيان اياهما ان يحملهما على ان يتابعاه على دينه او يرتدا باضلاله والممالأة المساعدة يقال مالأته على الامر ممالأة اي ساعدته عليه وشايعته ﴿قوله اي فكره كراهة من خاف﴾ على ان يكون قوله فخاف استعارة تبعية متفرعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب وهو خوف سوء العاقبة على المسبب الذي هو الكراهة واسندت الكراهة المبنية على الخوف اليه تعالى تشبيها لكراهيته تعالى بكراهية الخائف ﴿قوله ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى﴾ عطف على قوله وانما خشي ذلك والمعنى ان الله تعالى اعلمه بحال الغلام واطلعه على سره وقال له اقتل الغلام لانا نكره كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يغشى الغلام والديه طغيانا وكفرا ولما قال الخضر واما الغلام فكان ابواه مؤمنين درج قول الله تعالى فخشينا في اثناء كلامه ولم يقل فخشيت اعلاما الى اضمحلال ارادته في ارادة الله تعالى واعلاما بان علمه مقتبس من المشكاة القدسية ولا شوب فيه رأيه وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا كما قال جبريل عليه السلام لمريم لاهب لك غلاما والواهب هو الله تعالى وهو مبلغ لكلام الله تعالى اياها ﴿قوله وبين الاب الذي حفظا فيه﴾ اي روعي جانبهما لاجله وكرامته وفي المغرب الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال ﴿قوله ومبنى ذلك﴾ اي مبنى ما فعله الخضر في المسائل الثلاث تحمل ادنى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة الاولى فلان الخضر علم انه لو لم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها بالكلية وان خرقها ينقص بعض ماليتها وهو اهون بالنسبة الى الضرر الاول فوجب تحمله دفعا لما هو اعظم منه وكذا المسئلة الثالثة لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار لو سقط لضاع اولئك الايتام وفيه ضرر شديد قيل وقال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قد القيتك امك في اليم فلم تغرق فلم خفت الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى ولما قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس قال انك قتلت القبطي بالوكزة فلم تعاتبني بهذا ولما قال له لو شئت لتخذت عليه اجرا قال انك سقيت لابنتي شعيب فلم تطلب لذلك اجرا ثم تأمرني بذلك فكان له وجوه تنبيه في هذه القصة قال وهب ثم انطلق موسى والخضر حتى قعدا على الصخرة فاقبل طائر فغمس منقاره في البحر ثم اخرجه فنفضه على جناحيه فقال الخضر انه يقول ما علم الخلق في علم الله الا بقدر ما حملت بمنقاري وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه اوصني قال لا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئ بخطيئته وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم لغد وروى ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ﴿قوله يعني اسكندر الرومي﴾ فيه نظر لان الاسكندر الرومي هو ذو القرنين الاول كان مؤمنا عبدا صالحا وقيل كان نبيا وقد اسلم على يدي ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان وزيره الخضر وهو اول التبابعة وكانت مدة ملكه الفي سنة لانه كان في زمن الخليل الى ان ادركه سيل العرم وما بعده وكانت امه رومية وكان يقال لها فيلسوف لعقلها وذو القرنين الثاني كان فيلسوفا حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف كذا نقل من تاريخ ابن كثير وفي تفسير الكواشي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله

وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كانت له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة (قل سأتلو عليكم منه ذكرا) خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله (انا مكنا له في الارض) اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول (وآتيناه من كل شيء) اراده وتوجه اليه (سببا) وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة (فأتبع سببا) اي فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن همزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله (قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب) اي بالقتل على كفرهم (واما ان تتخذ فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله (قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ﴿قوله [illegible]﴾ [illegible] ذي القرنين [illegible] ﴿قوله وآتيناه﴾ [illegible] ﴿قوله سببا﴾ [illegible] ﴿قوله وجدها﴾ [illegible] ﴿قوله حمئة﴾ [illegible] كعب الاحبار [illegible] ﴿قوله [illegible]﴾ [illegible]

(وأما من آمن وعمل صالحا) وهو ما يقتضيه الإيمان (فله) في الدارين (جزاء الحسنى) فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاءً منونا منصوبا على الحال أي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها أو على المصدر لفعله المقدر حالا أي يجزى بها جزاء أو التمييز وقرئ منصوبا غير منون على أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على أنه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز أن يكون أما وأما للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن أصر على الكفر والثاني لمن تاب منه ونداء الله إياه إن كان نبيا فبوحي وإن كان غيره فبإلهام أو على لسان نبي (وسنقول له من أمرنا) مما نأمر به (يسرا) سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين (ثم أتبع سببا) ثم أتبع طريقا يوصله إلى المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولا من معمورة الأرض وقرئ بفتح اللام على إضمار مضاف أي مكان مطلع الشمس فإنه مصدر (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها

سترا) من اللباس أو البناء فإن أرضهم لا تمسك الأبنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية (كذلك) أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكانة وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات والعدد والأسباب (خبرا) علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير (ثم أتبع سببا) يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب إلى الشمال (حتى إذا بلغ بين السدين) بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا أرمينية وأذربيجان وقيل جبلان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لأنه في الأصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه (قالوا يا ذا القرنين) أي قال مترجموهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم (إن يأجوج ومأجوج) قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث (مفسدون في الأرض) أي في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس (فهل نجعل لك خرجا) جعلا نخرجه من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي (قال ما مكني فيه ربي خير) ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي إليه وقرأ ابن كثير مكنني على الأصل (فأعينوني بقوة) أي بقوة فعلة أو بما أتقوى به من الآلات (أجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا وهو أكبر من السد من قولهم ثوب مردم إذا كان رقاعا فوق رقاع (آتوني زبر الحديد) قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لأن الإيتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة أبي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل (حتى إذا ساوى بين الصدفين) بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد

الواحدي عن الأنباري أنه قال إن كان ذو القرنين نبيا فالله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم أو بوحي أي لا بالإلهام ﴿قوله فله الحسنى﴾ اختار قراءة من عدا حفصا وحمزة والكسائي وهي رفع جزاء من غير تنوين بإضافته إلى الحسنى وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿قوله وتقديره ذا يسر﴾ يعني أن يسرا صفة مصدر محذوف أي قولا ذا يسر وتقييده بقوله من أمرنا للدلالة على أنه من قول الله كما هو كذلك على تقدير أن يكون حكاية قول جبريل ثم إن ذا القرنين لما وصل إلى أقرب الأماكن المسكونة من مغرب الشمس انصرف وقصد أقرب الأماكن المسكونة من مطلع الشمس فاتبع طريقا يوصله إليه والعامة على كسر اللام من مطلع وهو اسم مكان بحسب استعمال العرب ومن فتح اللام لا يريد المكان لأنه خلاف ما تواطأ عليه أهل اللغة بل يريد المصدر فيحمل الكلام حينئذ على إضمار المضاف إلا أن عبارة أبي البقاء تشير إلى أنه لا فرق بين فتح اللام وكسرها في جواز حمل الكلمة على المعنيين حيث قال مطلع الشمس ﴿قوله لغرابة لغتهم﴾ أي لكونهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم ما كانوا يفقهون اللسان الذي يتكلم به ذو القرنين وقوله تعالى من دونهما بمعنى أمام السدين ﴿قوله أي قال مترجموهم﴾ لما وصفهم الله تعالى بأنهم لا يفقهون قولا ولا يفقهون غيرهم احتاج أي ذو القرنين في فهم كلامهم وتفهيم كلامه إياهم إلى من يترجم عنه وعنهم ووجود ذلك المترجم من جملة الأسباب التي آتاه الله تعالى إياها ﴿قوله تعالى حتى إذا ساوى﴾ فيه إضمار أي فأتوه بها فنضدها أي وضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث سدت ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ عليها فنفخ فيها حتى صارت كالنار ثم صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا بين جانبي الجبلين سمي كل جانب من الجبلين صدفا لكونه مصادفا ومقابلا للآخر من قولك صادفت الرجل أي لاقيته وقابلته وصارت الزبر المنضودة مساوية لهما كالحشو فيما بينهما واعلم أن هذا معجز قاهر لأن هذه الزبر الكثيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين عليها قيل كان بعد ما بين السدين مائة فرسخ وحفر له الأساس حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وجعل حشو الأساس الصخور وطينه النحاس يذاب فيصب عليها فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض فلما حشو الأساس بهذا الوجه وبلغ وجه الأرض جعل بناء السد من زبر الحديد بينها الحطب والفحم فصار زبرا صفا ووضع عليها الحطب والفحم صفا ثم يصف الزبر صفا آخر ويصف فوقها الحطب والفحم وهكذا إلى أن بلغ ارتفاع السد مائتي ذراع فصار السد في ارتفاعه مساويا للجبلين ثم قال للعملة انفخوا على الزبر والحطب بالكير فنفخوا فصارت كالنار فإن الحديد إذا أحمي يصير كالنار فأكلت النار ما في خلال الحديد من الفحم والحطب وصب عليه القطر وهو النحاس المذاب الصالح لأن يقطر كالماء فصار النحاس مكان الحطب وتخلل خلال الحديد ولصق كل واحد منهما بالآخر وامتزجا بحيث صار المجموع جبلا صلدا صلبا ﴿قوله وبه تمسك البصريون إلخ﴾ فإنهم يقولون المختار إعمال ثاني المتنازعين مع تجويز إعمال الأول أيضا والكوفيون يختارون إعمال الأول مع تجويز إعمال الثاني ثم إنهم اتفقوا على أنه إن أعمل الأول وأعطي الثاني المفعول أضمر ذلك المفعول لعدم استلزامه الإضمار قبل الذكر مع أنه يدفع به التباس المفعول بغيره وإن جاز الحذف أيضا كسائر الفضلات فوجه استدلال البصريين على مذهبهم بهذه الآية أنه لو أعمل الأول لقيل آتوني أفرغه بالضمير الراجع إلى قطرا بناء على أن المختار أن لا يحذف ضمير المفعول في الثاني لأنه يؤدي إلى اللبس وحذف المفعول وإن جاز لكن لا يليق بفصاحة القرآن حمله على خلاف المختار ﴿قوله تعالى قال هذا رحمة من ربي الآية﴾ يعلمنا أن الله تعالى من كمال حكمته وقدرته ورحمته جعل لوجود كل شيء سببا من أسباب السموات والأرض ولبلوغ كل أحد إلى مقام من مقامات الدنيا والآخرة وإلى قربة من قربات الحضرة الإلهية سببا مناسبا له فإذا أراد بلوغ أحد إلى مقام أو قربة أو رتبة يسر له ذلك ووفقه لاتباع ذلك السبب كما آتى ذا القرنين من كل شيء سببا ووفقه لاتباع السبب فاتبع سببا حتى بلغ به مشرق الأرض ومغربها وجوانبها كلها وسخر الخلق له وحصل مقاصد الملك والسياسة باتباع أسبابها كذلك آتى كل رسول ونبي وولي ومؤمن ومسلم وفاسق ومنافق وكافر أسباب بلوغه إلى الرسالة والنبوة والولاية والإيمان والإسلام والفسق والنفاق والكفر ووفقهم لاتباع الأسباب التي آتاهم إياها إلى مقاماتهم ودرجاتهم ودركاتهم حتى يبلغ كل مقام قربه من الجنة أو النار ﴿قوله تعالى ونفخ في الصور﴾ لما كان إندكاك السد

إذ لو كان قطراً مفعول آتوني لأضمر مفعول أفرغ حذراً من الإلباس وقرأ حمزة وأبو بكر قال ائتوني موصولة الألف (فما اسطاعوا) بحذف التاء حذراً من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة
بالإدغام جامعاً بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صاداً (أن يظهروه) أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه (وما استطاعوا له نقباً) لثخنه وصلابته
وقيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صار كالنار
فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً وقيل بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها
(قال هذا) هذا السد أو الإقدار على تسويته (رحمة ﴿ ٢٧٥ ﴾ من ربي) على عباده (فإذا جاء وعد ربي) وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة (جعله دكاً) مدكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أي أرضاً مستوية (وكانوا وعد ربي حقاً) كائناً لا محالة وهذا آخر حكاية قول ذي القرنين (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون بعضهم في بعض مزدحمين في البلاد أو يموج بعض الخلائق في بعض ويضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويؤيده (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم جمعاً) للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) وأبرزناها وأظهرناها لهم (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) استماعاً لذكري وكلامي لإفراط صممهم عن الحق فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم بالكلية (أفحسب الذين كفروا) أفظنوا والاستفهام للإنكار (أن يتخذوا عبادي) اتخاذهم الملائكة والمسيح (من دوني أولياء) معبودين نافعين أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسبُ الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة وأن بما في حيزها مرتفع بأنه فاعل حسب فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فإنهم خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فإنه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) لعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة (ولقائه)
بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه (فحبطت أعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً أو لا نضع لهم
ميزاناً توزن به أعمالهم لانحباطها (ذلك) أي الأمر ذلك وقوله (جزاؤهم جهنم) جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به
أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) أي بسبب ذلك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس أعلى درجات الجنة وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل (خالدين فيها) حال مقدرة
(لا يبغون عنها حولاً) تحولاً إذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود (قل لو كان البحر مداداً) ما يكتب به وهو اسم ما يمد به

وهو خروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعده النفخ في الصور لقيام الساعة
قيل الصور قرن من نور تجعل فيه الأرواح يقال إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق عن مجاهد
أنه كالبوق ذكره البخاري فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده فإذا هم
من الأجداث إلى ربهم ينسلون أي من القبور ينسلون أي يخرجون سراعاً وقد روي أن الله خلق الصور حين
فرغ من السموات والأرض وأن عظم كل دائرة فيه كغلظ السموات والأرض وفي حديث أبي هريرة والذي
نفسي بيده إن عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والأرض وروي أن له رأسين رأس بالمشرق ورأس بالمغرب
والله أعلم واختلف في عدد النفخات فقيل ثلاث نفخة الفزع لقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الأرض إلا من شاء الله ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وهذا اختيار ابن العربي وقيل هما نفختان
ونفخة الفزع هي نفخة الصعق لأن الأمرين متلازمان فإنهم فزعوا فزعاً ماتوا منه قيل تجتمع الروايات على
أن بين النفختين أربعين سنة وذلك ليجمع الله ما تفرق من الأجساد في بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الأرض
وما أصاب النيران منها بالحرق والبلى بالغرق وما لحقته الشمس وذرته الرياح فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها
ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح في الصور وأمر إسرافيل عليه الصلاة والسلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور
فرجع كل روح إلى جسده بإذن الله تعالى وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرناً قال أبو الهيثم
من أنكر أن يكون الصور قرناً فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب لها تأويلات ﴿قوله عن آياتي التي ينظر
إليها فأذكر﴾ يعني أن نظر الآيات الدالة على الألوهية والصفات الدالة على القدرة الباهرة كان سبباً لذكر الله
تعالى عند مشاهدتها كما يقال ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فأطلق المسبب وأراد السبب وإنما احتيج إلى
حمل الآية على المجاز المرسل لأن المقصود وصفهم بالتعامي عن الآيات كما يفهم من قوله الذين كانت أعينهم في غطاء
عن ذكري إذ الذكر لا يقال فيه أعينهم في غطاء عنه على ما يساعده الظاهر ﴿قوله كأنهم أصميت أسماعهم﴾ أي
أصمت وأبطلت قواهم السامعة من قولهم أصميت الصيد إذا رميته فقتلته وأنت تراه وفي بعض النسخ أصمت أي
جعلت صماء لا حس فيها ﴿قوله أفظنوا الملائكة والمسيح﴾ يعني أن قوله أن يتخذوا في محل النصب على أنه
أول مفعولي حسب والثاني محذوف والمراد بقوله عبادي الملائكة وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقال ابن عباس
يعني الشياطين تولوهم وأطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعني الأصنام سماهم عباداً كما في قوله إن الذين تدعون
من دون الله عباد أمثالكم ﴿قوله وقرئ أفحسب﴾ بسكون السين ورفع الباء على أنه مبتدأ وما بعده من أن مع ما في حيزها
خبره فحسب مبتدأ مضاف إلى الذين كفروا وأن يتخذوا خبره ويجوز أن يكون حسب بمعنى اسم الفاعل أي كافي الكافرين أن يتخذوا
فاعله لاعتماد اسم الفاعل على الهمزة فساوى الفعل في العمل ﴿قوله وجمع لأنه من أسماء الفاعلين﴾
يعني أن اسم الجنس وإن كان يتناول آحاد مدلوله إلا أنه لا يدل على اختلاف أنواعه ولا على تنوع مدلوله فجمع ليدل
على أنواع الأخسرين ﴿قوله الأمر ذلك﴾ على أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف والمعنى الأمر ذلك الذي
ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ مشاراً به إلى ما ذكر من أعمالهم
وجزاؤهم مبتدأ ثانياً وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الأول والعائد محذوف أي جزاؤهم به ويجوز أن يكون
ذلك مبتدأ إشارة إلى الجزاء المذكور في الذهن ويكون جزاؤهم بدلاً منه وجهنم خبره لما بين الله تعالى سوء
مصيرهم بقوله أولئك إلى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً كان الذهن إلى معنى الجزاء كأنه أشير إليه بقوله ذلك وجعل خبره
أو جعل جهنم خبره أو عطف بيان للخبر ثم إنه تعالى لما بين وعيد الكفار وأن جهنم نزلهم أتبعه
وعد المؤمنين وبين أن جنة الفردوس نزلهم وإضافة جنات إلى الفردوس إضافة تبيين عن قتادة الفردوس
وسط الجنة وأعلاها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس
من فوقها فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال بعضهم إنه تعالى
جعل الجنة كلها نزلاً للمؤمنين والكريم إذا أعطى النزل أولاً فلا بد أن يتبعه بالخلعة والإكرام إذ النزل يكون قبل الجنة
الا رؤيته تعالى وكذلك في الآية الأولى لما جعل الله تعالى جهنم نزلاً للكافرين لم يبق عذاب آخر بعد جهنم

الا كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿قوله وهو اسم ما يمد به الشيء﴾ اى يزاد يقال امددت الجيش بمدد والاستمداد طلب المدد والحبر اسم خاص لما يوضع فى المحبرة ويكتب به والمداد يطلق على كل ما يمد به غيره كالحبر للدواة والزيت للسراج قال ابن الانبارى سمى الحبر مدادا لامداد الكاتب واصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء ويقال قربت الدى يوقد به السراج مداد لكونه مجدا لما فنى منه بالاشتعال والمعنى لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب كلمات الله وحكمته لنفد البحر قبل ان تنفد تلك الكلمات فان كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيف ما فرض فى الاتساع والعظمة متناه والمتناهى لا يفى البتة بغير المتناهى قيل فى سبب نزول هذه الآية انهم لما سألوا عن الروح وعن كذا وكذا ونزل فى جواب الروح فى آخر الآية وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود انه يقول انا قد اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا مع قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية اى وان كانت الحكمة وهى القرآن خيرا كثيرا وقد آتانيه الله تعالى ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فانه كما لا غاية لذات الله تعالى ولصفات كماله فى علمه وحكمته فكذا لا غاية للكلمات الدالة عليها ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ يعنى ان حمزة والكسائى قرأ ا ينفد بالياء من تحت لكون تأنيث الكلمات غير حقيقى والباقون بالتاء من فوق لتأنيث اللفظ والعامة على قراءة مددا بفتح الميم وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التمييز على انها جمع مدة وهى اسم ما يستمده من المداد على القلم وجواب ولو جئنا محذوف لعلم به تقديره لنفد ﴿قوله يأمل حسن لقائه﴾ الحسن فيه مستفاد من قوله يرجو لان الرجاء ظن المنافع الواصلة اليه كما ان الخوف ظن المضار الواصلة اليه ﴿قوله فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه﴾ وروى انه عليه الصلاة والسلام قال فى جواب جندب فله اجران اجر السر واجر العلانية فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد به الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به كما هو دأب الكاملين روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام من كل فتنة تكون وان خرج الدجال عصم منه » وقد تمت سورة الكهف بحمد الله تعالى وعونه

﴿ سورة مريم عليها السلام وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله امال ابو عمرو الهاء﴾ امالة الالف ضد تفخيمها واشباعها وهى ان ينحو بالالف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة ليتجانس الصوت فان سبب ذلك ان يقع بقرب الالف كسرة سواء كانت الكسرة متقدمة على الالف كما فى عماد او متأخرة كما فى عالم وكذا تمال الالف اذا كانت الالف منقلبة عن حرف مكسور كما فى خاف او عن ياء كما فى هاب وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة موضع ياء كما فى دعوى فان الفها تصير ياء فى دعويان وكما فى حبلى كقولك حبليان ولا خلاف فى الاسماء الثلاثة وهى كاف وعين وصاد فانها لا تمال بالاتفاق وذلك لان اسماء حروف التهجى على نوعين ثنائى وثلاثى وجرت عادة العرب على ان ينطقوا بالثنائيات مقطوعة عما بعدها فيقولون باتاثا وكذلك امثالها وعلى ان ينطقوا بالثلاثيات التى وسطها الالف باشباع فتحتها فيقولون دال ذال كاف صاد وكذلك امثالها واما اسم الزاى فقد اختلفوا فى التلفظ به فمنهم من اظهر الياء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو لا يميله ومنهم من لم يظهر الياء وجعله ثنائيا فهو يميله والاصل فى جميع هذه المواضع اشباع الفتحة والامالة فرع عليه وعلى هذا يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات والعامة على تسكين اواخر اسماء هذه الحروف حتى ان بعضا من القراء يقف على كل واحد منها وقفة يسيرة ويفصل بعضها عن بعض بادنى سكتة مبالغة فى تمييز بعضها عن بعض ثم انهم اختلفوا فى امالة ياوها وتفخيمهما مع كونهما ثنائيين فاختار ابو عمرو امالة ها وتفخيم يا بناء على ان اشباع الفتحة اصل والامالة وان كانت فرعا الا انه فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احد الاسمين وامال الآخر ليكون القارئ جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر وخصوا ها بالامالة فرقا بينها وبين ها التى للتنبيه فانها لا تمال قط وقول المصنف لان الفات اسماء التهجى ياآت محل بحث لان هذه الاسماء لا اشتقاق لها حتى يحكم بان الفاتها ياآت فى الاصل وان هذا التعليل يستدعى امالة كلمة يا ايضا فلا بد من الفرق بين كلمتى ها ويا حتى يختص الاول بالامالة دون الثانى لذلك الا ان يقال لما لم يكن لها اصل حملوها على المنقلبة من الواو تارة فلا يميلوها وحملوا المنقلبة عن

(لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه (قبل ان تنفد كلمات ربى) فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه (ولو جئنا بمثله) بمثل البحر الموجود (مددا) زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتقرأون وما اوتيتم من العلم الا قليلا (قل انما انا بشر مثلكم) لا ادعى الاحاطة على كلماته (يوحى الى انما الهكم اله واحد) وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يأمل حسن لقائه (فليعمل عملا صالحا) يرتضيه الله (ولا يشرك بعبادة ربه احدا) بان يرائيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ سورة مريم مكية الا آية السجدة ﴾
﴿ وهى ثمان او تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجى ياآت

الياء اخرى فمالوها [illegible] الامرين [illegible] الحكم وحصول الاعتبار المؤدي الى الامالة [illegible] وبين هذا النسبة ﴿قوله وابن عامر وحمزة الياء﴾ يعني اما لا ليه وقصد الهاء بجعلها بين مرتبة الاصل والفرع المشهور وجعل الهاء فرع لان الكسرة من جنس الياء فامالة حركة الياء الى ما يجانسها وهو الكسرة اولى من امالة حركة الهاء ومن اما لهما جميعا نظر الى الوجه الذي اعتبره ابو عمرو وابن عامر وحمزة [illegible] فقد تمسك بالاصل ﴿قوله ونافع بين بين﴾ يعني انه امال الالف فجعلها بين مخرج الالف ومخرج الياء على السواء لانه حمل امالتها نحو الياء لئلا يلزم [illegible] ابن كثير وعاصم يفخمون [illegible] على ذلك لانه الاصل [illegible] ﴿قوله فانه مشتمل عليه﴾ اي ان ما سماه وهو كهيعص سمي اول السورة او القرآن مشتمل على ذكر رحمة الله عبده زكريا فيصح ان يحكم على كهيعص بانه الذكر بمعنى انه ما ذكر ومن لم يجعله اسما للذكر والسابق وهو كأنه جواب عن قول من [illegible] القرآن قوله تعالى ذكر رحمة ربك خبر الحروف المقطعة [illegible] لان الخبر [illegible] وليس في الحروف المقطعة ذكر رحمة ولان ذكر الرحمة مضاف وذكر مصدر مضاف [illegible] معموله وهو الرحمة [illegible] مصدر مضاف الى فاعله وعبده مفعول رحمة وفاعل الذكر [illegible] وتقديره ذكر الله رحمته عبده زكريا وقيل ان ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بمعنى الذكر والتقدير ذكرت الرحمة [illegible] او [illegible] او منصوب [illegible] على قراءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قراءة اخرى [illegible] على صيغة الماضي [illegible] وتشديدها وان يقرأ على صيغة الامر من باب التفعيل [illegible] رحمة على قراءة التشديد مفعول [illegible] على الاول وهو عبده [illegible] القرآن [illegible] والتقدير [illegible] او ذكر الله عبده رحمته [illegible] ذكر رحمته [illegible] ان يكون رحمة ربك هو المفعول الاول [illegible] على الرحمة [illegible] وعلى قراءة [illegible] منصوبا على انه مفعول [illegible] وعبده [illegible] زكريا [illegible] على انه [illegible] او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى قراءة ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاول محذوفا ورحمة منصوبا على المفعول الثاني وعبده منصوبا على انه مفعول رحمة اي ذكر [illegible] رحمة ربك عبده زكريا ويكون كهيعص كلاما [illegible] بمعنى [illegible] الولد في سن الكبر وفيه وابن [illegible] بالكسر والتشديد وفيه [illegible] كل [illegible] اي [illegible] ﴿قوله او لان ضعف الهرم اخفى صوته﴾ عطف على قوله لان الاخفاء والجهر [illegible] في [illegible] من رفع الصوت [illegible] الصوت [illegible] لو [illegible] لكن [illegible] يكون قوله نادى ربه [illegible] على ظاهره [illegible] الاقبال بالجهر ورفع الصوت [illegible] وصايح [illegible] زكريا [illegible] في الوضع [illegible] زكريا [illegible] مع [illegible] لئلا يلام على طلب الولد في زمن الكبر [illegible] الذين [illegible] لان [illegible] الجهر لا [illegible] في [illegible] الذي [illegible] في الاطلاع على ضميره [illegible] الا على [illegible] والاشارة [illegible] لان الاخفاء والجهر [illegible] ﴿قوله تفسير للنداء﴾ يعني لم يعطف على [illegible] لكمال [illegible] من حيث كونه تفسيرا [illegible] ﴿قوله ولانه اصلحاء﴾ الفرق بين الوجهين [illegible] في [illegible] واحد منهما [illegible] وهو جميع البدن [illegible] الوجه الاول يستلزم ضعف جميع البدن من حيث كون العظم عماد جميع البدن [illegible] والوجه الثاني [illegible] من حيث كونه اصلب ما في البدن مع [illegible] من كونه [illegible] واصل [illegible] ولما كان كل واحد من كون العظم عمود البدن وكونه [illegible] وصلبه [illegible] الى ضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان كل واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم بالذكر وقيل في الفرق [illegible] الاول [illegible] على تشبيه البدن [illegible] وتشبيه العظم [illegible] [illegible] البدن واصل [illegible] والثاني ليس كذلك [illegible] العظم عمود البدن واصل بنائه وقد ذكره [illegible] لا [illegible] الوجه الاول [illegible] التشبيه ﴿قوله وتوحيده لان المراد به الجنس﴾ وان كان العظم الذي هو عمود [illegible] الوهن [illegible] الاعضاء [illegible] هو [illegible]

الاجزآء والاعضاء اولى ولا دخل لجمع العظام فى افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض المسوق له الكلام حينئذ العدد لا الجنس ولا مدخل لاعتبار العدد فى هذا المقام ﴿ قوله شبه الشيب ﴾ اى تشبيها مضمرا فى النفس بشواظ النار اى بلهبها الخالص من الدخان واقتصر من طرفى التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه فى انشبت المنية اظفارها ودل على هذا التشبيه باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه المنية بالسبع باثبات الاظفار لها فتشبيه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخييلية وشبه انتشار الشيب فى شعر الرأس باشتعال النار ودل عليه باثبات لازم المشبه به حيث اقتصر واخرج التشبيه الثانى مخرج الاستعارة التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازى واشتق منه لفظ اشتعل فكان استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه قرينة للاستعارة بالكناية * فان قيل اللفظ المستعار فى الاستعارة التخييلية يجب ان لا يتحقق معناه لا حسا ولا عقلا بل يكون معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار فان الوهم اخترع للمنية صورة شبيهة بصورة الاظفار المحققة ثم عبر عن تلك الصورة الشبيهة باسم المشبه به وهو الاظفار فمعناه صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا والمعنى الذى عنى بلفظ اشتعل ليس صورة وهمية بل هو امر ثابت للشيب فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار والنشور امر محقق ثابت للشيب حسا الا ان الاشتعال المطلق الذى هو من لوازم المشبه وهو الشواظ اثباته له باختراع الوهم وهذا القدر كاف فى كونها استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية وكونها صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا ﴿ قوله واسند الاشتعال الى الرأس ﴾ يعنى ان الاشتعال بمعنى الانتشار والنشور حقه ان يسند الى الشيب لانه من الصفات القائمة به لكنه اسند الى مكان الشعر الذى هو محل الشيب للمبالغة فى الدلالة على شمول الاشتعال لشيبه واعلم ان اصل الكلام المتعارف الاوساط فى هذا المقام ان يقال انى شخت عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو شاب رأسى لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل شيب رأسى فانه ابلغ من شاب رأسى اذ ليس فيه تعريض لانتشار الشيب ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل رأسى شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب رأسى من جهات احداها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق بين وثانيها ما فى التمييز من التفصيل بعد الاجمال وثالثها تنكير شيبا لافادة الكمال ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل الرأس شيبا لما فيه من مزيد التقرير لان التعويل فيه على شهادة العقل دون اللفظ فلما اشتمل الكلام على هذه اللطائف ترقى الى اعلى درجات البلاغة ﴿ قوله ايضاحا للمقصود ﴾ فان شيبا تمييز منقول من الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الرأس فقصد سلوك طريق التفصيل بعد الاجمال ابهم ما هو المشتعل حقيقة ثم ميز بقوله شيبا لتعين ان المشتعل هو الشيب ﴿ قوله بل كلما دعوتك ﴾ اشارة الى ان قوله بدعائك من اضافة المصدر الى مفعوله اى بدعائى اياك وقوله شقيا اى خائبا فان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى بها اذا خاب ولم ينلها ﴿ قوله يعنى بنى عمه ﴾ بناء على ان تعريف الموالى للعهد الخارجى وان المولى وان كان يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب الا ان المراد فى الآية ابن العم قال الشاعر

* مهلا بنى عمنا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا *

وقوله وانى خفت الموالى وان خرج على لفظ الماضى لكنه يبدأ انه فى المستقبل ايضا كقولك انى خفت وخشيت ان يكون كذا تريد انا خائف بعد لا انه قد زال الخوف منى وكذا قوله وكانت امرأتى عاقرا ﴿ قوله وعن ابن كثير ﴾ قرأ الجمهور ورآئى بالمد اى بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن ابى كثير روايتان احداهما بالمد كالجمهور والاخرى بالقصر اى بدون الهمزة وفتح الياء فى كل واحدة من قرآءتى المد والقصر ﴿ قوله وهو متعلق بمحذوف ﴾ يريد بالتعلق تعلق الظرفية لا التعلق المعمولية لان خفت اخذ مفعوله وهو الموالى وليس ظرفا لخفت لفساد المعنى وهو كون خوفه من الموالى الكائنين فى الحال وانما بعد موته لان معنى من ورآئى بعد موتى وعلى ان يكون ظرفا لمعنى الولاية يكون المعنى خفت الذين يلون الامر بعد موتى ﴿ قوله وقرئ خفت الموالى ﴾ بفتح الخاء والفاء المشددة من الخفة بمعنى القلة او بمعنى قداى ويقال درج القوم اذا انقرضوا والدرج بمعنى الطى استعير للموت والموالى فى هذه القرآءة مرفوع على انه فاعل خفت وفى قرآءة العامة منصوب على انه مفعول به وقوله تعالى من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه

(واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه فى الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة لدلالته على ان علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد (ولم اكن بدعائك رب شقيا) بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه (وانى خفت الموالى) يعنى بنى عمه وكانوا اشرار بنى اسرآئيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم (من ورآئى) بعد موتى وعن ابن كثير المد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالى اى خفت فعل الموالى من ورآئى او الذين يلون الامر من ورآئى وقرئ خفت الموالى من ورآئى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى او خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتى عاقرا) لا تلد

[illegible] ولياً لأنه في الأصل [illegible] ﴿قوله [illegible] من لدنك﴾ [illegible]
[illegible] وقال الا [illegible] ولياً من صلبه استشهاداً
[illegible]
﴿قوله [illegible]﴾ [illegible]
﴿قوله [illegible]﴾ [illegible]
﴿قوله [illegible]﴾ [illegible]
﴿قوله [illegible]﴾ [illegible]

(فهب لي من لدنك) [illegible]
[illegible]
قوله (وليا) من صلبي (يرثني [illegible]
آل يعقوب) [illegible]
[illegible] جواب الدعاء [illegible]
[illegible]
وقيل [illegible] كان نبياً [illegible]
[illegible]
[illegible]
السلام [illegible] وارث آل يعقوب [illegible]
[illegible] الضمير [illegible]
[illegible] وارث من آل يعقوب [illegible]
[illegible]
[illegible] (رضيا) [illegible]
[illegible]

في صفات الجلال والجمال فان اول الآية فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ومعلوم ان مجرد تفرده بالاسم لا يوجب عبادته فان قيل لو كان السمي في الآية بمعنى المثل لزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين قبله كآدم ونوح وابراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام وذلك باطل فاجيب بان المراد هل تعلم له شبيها فيما خص به من الاوصاف وهو ان كل الناس انما سماهم آباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم في الوجود واما يحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى هو الذي سماه قبل دخوله في الوجود فكان ذلك من خواصه ولم يكن له شبيه في هذه الخاصية وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات ولا يقرب اللعب واللهو ﴿قوله لانه حيي به رحم امه﴾ وزال عقرها الذي هو بمنزلة الموت للرحم وقيل سمي يحيى لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة فانه تعالى سمى المطيع حيا والعاصي ميتا بقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه قيل ان يحيى اول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك وذلك ان ام يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحيى يا مريم أحامل انت فقالت مريم لماذا تقولين كذا فقالت اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك وقيل احياه الله تعالى بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وقد عصى او هم بمعصية الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعملها ﴿قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ حال من ياء المتكلم في قوله أنى يكون لي غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتي وقد مقدرة فيها والمعنى أنى يكون لي غلام حين بلوغي هذا السن مع ان العقر صفة قديمة لامرأتي لم يولد لي منها غلام حال شبابي وحال كهولتي لكون امرأتي عاقرا من ابتداء انشائها فكيف تلد حال شيخوختي مع قدم عقرها وتمكن هذه الصفة فيها وضعف بدني وعجز قوتي ﴿قوله جساوة﴾ اي يبسا وانجمادا يقال عتا الشيخ يعتو عتوا اي بلغ غاية السن وقحل الشيء قحولا اي يبس وقحل الشيخ قحلا يبس جلده على عظمه ﴿قوله ثم قلبت الثانية وادغمت﴾ فصار عتيا بضم العين وكسر التاء وهي قراءة غير حمزة والكسائي وحفص فانهم قرأوا عتيا وصليا وجثيا بكسر اولها للاتباع وقرأ حمزة والكسائي بكسر العين والباقون بضم اول ذلك كله ﴿قوله وانما استعجب الولد الخ﴾ جواب عما يقال الظاهر ان الاستفهام في قوله تعالى أنى يكون لي ولد ليس استفهام انكار بل هو استفهام تعجب ومن المعلوم انه هو الذي طلب الولد في حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم علمه بكونه تعالى قادرا على هبة الولد لهما فما وجه تعجبه حال ما بشر به مع علمه بقدرة الله تعالى عليه وتقرير الجواب ان علمه بامكان حصول الولد من صلبهما لكونه تعالى قادرا على كل الممكنات لا ينافي ان يتعجب ويستعظم كمال قدرة الله تعالى على تكوين الاشياء من غير توسط الاسباب والوسائط ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون قول زكريا عليه الصلاة والسلام أنى يكون لي غلام اعترافا بكمال قدرة الله وبان تأثيرها لا يتوقف على الاسباب بان قال كذلك على ان محل الكاف رفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير الامر كذلك وقوله قال ربك ابتداء كلام مستأنف به جوابا لما يقال ماذا قال الله تعالى بعد تصديقه زكريا فاجيب قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقد تقرر ان الكاف الذي بمعنى مثل في كذلك تكون مقحمة لتأكيد الامر ان لفظ المثل في قولهم مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل فالمعنى في الآية انه تعالى قال مثل ذلك الكلام هو علي هين فيكون الكاف بمعنى مثل زائدا في الآية اشارة الى ما سبق ذكره وهو قول زكريا رب أنى يكون لي غلام الخ او ما وعده الله تعالى اياه بقوله يا زكريا انا نبشرك بغلام ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو ان يكون كذلك خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة مقول قال الاول على قراءة من قرأ وهو علي هين بالواو فان تخلل الواو فيه بين الجملة وذلك يمنع من كون ذلك اشارة الى مبهم وكون الجملة تفسيرا لان المفسر يتعين ان يكون محله هو علي هين وان جعلت الكاف منصوبة بقال الثانية تكون قال الثانية مع ما في حيزها مقول قال الاولى وانتظام القول الثاني على قراءة الواو تكرارا ﴿قوله او كما وعدت﴾ لا فائدة يعتد بها فيه فيران الاول فتح التاء والموعود له هو ان يحصل له الغلام المبشر به في المستقبل فيكون هين بمعنى يهون حصوله علي والثاني بضم التاء والذي وعده الله تعالى بالنسبة اليه تعالى هين ازلا وابدا وان كان بالنسبة الى زكريا لا يهون عليه ﴿قوله بل كنت معدوما﴾ ومن قدر على الخلق والايجاد من العدم الصرف كان قادرا على تبديل صفات الشيخ الضعيف والشيخة العاقرة بان يعيد اليهما القوة التي منها يتولد الماآن اللذان يخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم ليس بشيء عند اهل السنة وبعض المعتزلة خلافا لبعضهم ومنهم من قال المعدوم شيء ﴿قوله علامة اعلم بها

والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتو وكقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائي عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك (قال) اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له (كذلك) الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في (قال ربك) وذلك اشارة الى مبهم تفسيره (هو علي هين) ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف اي افعل ذلك وهو علي هين (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك (قال رب اجعل لي آية) علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به (قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن

المارة الحق والله اعلم ﴿قوله لتستأنس بكلامه﴾ فانه لو ظهر فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه ﴿قوله ولعله﴾ اى ولعل تمثله فى تلك الصورة البهية تهيج شهوتها اطلق الروح على جبريل عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالروح فى انه سبب لحياة الدين كما ان الروح سبب لحياة البدن وهذه استعارة فى مجرد الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو قرينة الاستعارة ﴿قوله وتحمل﴾ اى تتصرف وتذهب يقال حمله فاحتمل اى جلوته عن مكانه فاجتلى ﴿قوله ويجوز ان يكون للمبالغة﴾ اى فى عودها بالرحمن عطف على ماقبله من حيث المعنى فان محصول ماقبله ان قوله ان كنت تقيا لتقييد الحكم المدلول عليه بما قدم آنفا ثم قال ويجوز ان لايكون المقصود منه تقييد الحكم بل يكون للمبالغة فى عوذها بالرحمن كأنها قالت انى عائذة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تتق كقوله عليه السلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان الشرط فيه للمبالغة فى نفى العصيان على انه لو لم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليزول عنها ذلك الخوف اى ليس بى ما تخافين منى لاجله وانما شأنى الرسالة من قبل ربك فى هبة الغلام واسند الهبة الى نفسه لكونه سببا فى هبته من حيث انه تعالى وهب الغلام لمريم بواسطة نفخ الملك فى درعها ويجوز ان يكون ضمير أهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكيا لها كلام ربها بقول مضمر كأنه قال انما انا رسول ربك لابلغ اليك ما قاله الله تعالى فى حقك وهو قوله اهب لك غلاما ﴿قوله ولم يباشرنى رجل بالحلال﴾ جواب عما يقال قولها ولم يمسسنى بشر كاف فى مقصودها وهو ان تقول انما يكون عن البشر وليس بى ذلك فما فائدة قولها ولم ابغ بعده وتقرير الجواب انها حملت المس على المس المشروع وهو ما يكون مسبوقا بالنكاح فلذلك احتاجت الى ان تقول ولم اك بغيا كأنها قالت الولد لايكون الا بنكاح او سفاح ولم يتحقق شئ منهما عندى ونحو المس والمباشرة والقربان مما يكنى به عن الغشيان المشروع وان كان بحسب المفهوم المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات على الوطئ المشروع ولا يكنى عن الزنى الا بما فيه تعبير وتقبيح نحو خبث بها وفجر ﴿قوله ولذلك لم تلحقه التاء﴾ اى ولكونه فعولا بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بغى للذكر الفاجر والمرأة التى تبغى الرجال لم تلحقه التاء وانما يفرق بينهما بالتاء اذا كان بمعنى المفعول فيقال ناقة حلوبة مثلا وان جعل البغى فعيلا بمعنى فاعل ينبغى ان يكون بتاء التأنيث نحو امرأة بصيرة وقديرة الا انه لم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كذا قاله ابو البقاء وتبعه المصنف ووجه التعليل بهما ان التاء انما تلحق اسماء الفاعلين حملا لها على الفعل وانما تحمل عليه اذا كانت جارية عليه وموافقة له لفظا ومعنى بان تكون للحال او الاستقبال والفاعل الذى يكون للمبالغة والنسب يكون للدوام والثبوت لا للحال ولا للاستقبال فلم يجر على الفعل لفظا ولا معنى لم تلحقه التاء فرقا بينه وبين ما يجرى عليه لفظا ومعنى وكذا لا تلحق التاء ما كان للنسب مما هو على فاعل نحو تامر ولابن وحائض اذا اريد بها ذات تمر وذات لبن وذات حيض فكذا بغى اذا كان بمعنى ذات بغى وتعليل الاستواء بكون الصفة للمبالغة مطلقا لاوجه له لانهم صرحوا بان ابنية المبالغة من الثلاثى ثلاثة اقسام الاول ما يفرق فيه بين المذكر والمؤنث مطلقا اى سواء كان جاريا على الموصوف اولا يكون كصبار وصديق وامير فجعلوا نحو امير مما يلحقه التاء مطلقا والثانى ما يستويان فيه مع الموصوف ويفترقان بدونه كنعام ومسكين وفعول الذى لايكون بمعنى مفعول كناقة ركوبة والثالث ما يستويان فيه مطلقا كضحكة وعلامة ﴿قوله ونفعل ذلك لنجعله﴾ يعنى ان قوله ولنجعله علة لمعلل محذوف وجملة التعليل مع المعلل معطوفة على قوله هو على هين ﴿قوله اولنبين به قدرتنا ولنجعله﴾ على ان يكون معطوفا على علة مضمرة عطف مفرد على مفرد وحمل الكلام على اضمار المعلل اولى لان اضماره يغنى عن اضمار العلة بخلاف اضمار العلة فانه لايغنى عن اضمار المعلل اذ لم يذكر قبل العلة المضمرة ما يصح تعليله بها اذ لا يصح ان يقال هو على هين لنبين به قدرتنا بل لابد ان يجعل التقدير هو على هين ونفعلنا ذلك لنبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير فى قوله هو على هين راجع الى خلق ذلك الغلام بغير ذكر وكذا ضمير نجعله آية فان ذلك الخلق آية على كمال قدرة الله تعالى لانه قد تقرر انه تعالى لما خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى ظهر انه تعالى قادر على انواع الخلق يخلق كيف يشاء وانه على كل شئ قدير الا ان عطف قوله ورحمة منا على قوله آية يستدعى ان يكون ضمير نجعله للغلام لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فانه النعمة لمن تبعه فى دنياه وآخرته

فيباشر فى مغتسلها اتاها جبرائيل متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها (قالت انى اعوذ بالرحمن منك) من غاية عفتها (ان كنت تقيا) تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى فانى عائذة منك او فتتعظ بتعوذى او فلا تتعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما انا رسول ربك) الذى استعذت به (لاهب لك غلاما) اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده قراءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنى فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله (ولم اك بغيا) عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله) اى ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لأهب على طريقة الالتفات (آية للناس) علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا (ورحمة منا) على العباد يهتدون بارشاده

[illegible]

(وكان امرا مقضيا) اي يتعلق به قضاء [illegible]
في الازل او مقدرا مسطرا في اللوح او كا[illegible]
امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في موضع خال (مكانا قصيا) بعيدا من اهل[illegible]
وراء الجبل وقيل اقصى الدار

فالاولى السكوت عنها ﴿قوله كالمتمالم﴾ مفعول من تعلله الحبيع اى عجزه ﴿قوله من تحتها عيسى﴾ عليه الصلاة والسلام قدم هذا الاحتمال لان من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احدا والذى علم كونه تحتها هو عيسى عليه الصلاة والسلام فوجب ان يكون هو المراد به ولان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة فلا يليق بالملك ان يكون فى ذلك الموضع بمنزلة القابلة فالمعنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد فى اول الامر ما يبشرها لتطييب القلبها من علو شأن ذلك الولد ومن قال المنادى هو جبريل عليه الصلاة والسلام قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها فى اول الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة وكان المراد بالنداء هنا الخطاب لا الصيحة برفع الصوت كما فى قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا ولما كان هذا الكلام مبنيا على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف عليه احتمال ان يكون المعنى من تحت مكانها بان يكون المنادى فى مكان اسفل من مكانها وفيه وجهان الاول ان يكونا معا فى مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين لتلك النخلة فكل من كان اقرب منها كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادى والثانى ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة انها كانت حين ولدت على داسة وجبريل عليه السلام كان اسفل منها والداسة الاكمة المرتفعة عن الارض ﴿قوله ان لا تحزنى اى لا تحزنى﴾ على ان يكون ان مفسرة لتقدمها ما هو بمعنى القول وكلمة لا على هذا ناهية وحذف نون تحزنى للجزم وقوله او بان لا تحزنى على ان يكون ان مصدرية ولا نافية وحذف النون للنصب ﴿قوله هكذا روى مرفوعا﴾ اى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن السرى فقال هو الجدول وهو النهر الصغير وسمى سريا لان الماء يسرى فيه ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى فكلى واشربى فان تفريعه على ذكر السرى وتساقط الرطب الجنى انما يحسن بان يراد بالسرى الجدول حتى يجمع فى تسليتها بين الماء والرطب فتؤمر بان يقال فكلى واشربى قال صاحب الكشاف فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قذفوها به بمعزل وان لها امورا خارجة من العادات خارقة لها الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها ﴿قوله وقيل سيدا من السرو﴾ يقال سرا يسرو سروا من باب نصر وسرى يسرى سرى من باب علم وسرو يسرو سراوة من باب حسن والجميع بمعنى صار سريا اى سيدا وجمع السرى سراة وجمع السراة سروات والمراد بالسرى ههنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويؤيد هذا القول ان النهر لا يكون تحت الانسان بل يكون الى جنبه ومن قال السرى هو النهر استشهد بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ضرب عيسى او جبريل بعقبه الارض فظهر ماء عذب يجرى النهر وقيل انه كان هناك ماء جار والاول اقرب نظرا لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يشعر بالحدوث فى ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكر ذلك تعظيما لشأنها وذلك لا يثبت الا على الاول ﴿قوله وامليه اليك﴾ اشارة الى ان الهز متضمن معنى الامالة لان الهز بمعنى التحريك لا يتعدى الى بل يتعدى بنفسه فالباء زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتقدير حركى جذع النخلة مميلة ذلك اليك ﴿قوله او افعلى الهز والامالة به﴾ على ان ينزل الفعل المتعدى منزلة اللازم للمبالغة على طريق قولهم فلان يعطى ويمنع ثم يعدى كما يعدى الفعل اللازم فتكون الباء الظرفية فلا تكون زائدة بل تكون للتعدية كما فى قول الشاعر

* فان تعتذر بالمحل من ذى ضروعها * الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى *

فانه جعل الجرح لازما ثم عداه بفى اراد بذى ضروعها الابل الذى فى الضرع والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا ويجرح بجواب الشرط ونصلى فاعله والمراد بالنصل السيف والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن بسبب المحل وخلو الارض من الكلا اذبحها للضيفان ﴿قوله او هزى الثمرة بهزه﴾ اى بهز الجذع على ان يكون مفعول الهز محذوفا وتكون الباء للاستعانة كما فى قولك كتبت بالقلم * فان قلت ان الهز والتحريك يقع على الجذع اصالة وعلى الثمر تبعا فتقديم الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعا والتبع اصلا فلا وجه لارتكابه مع قيام المعنى بدونه بان يجعل الباء صلة لتأكيد التعلق * قلنا هز الثمر وان كان تابعا بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان

(فاجاءها المخاض) فألجأها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كآتى فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العذق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فيها وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت يا ليتنى مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته (منسيا) منسى الذكر بحيث لا يخطر بالبال وقرئ بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضمير احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة (ان لا تحزنى) اى لا تحزنى او بان لا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريا) جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى (وهزى اليك بجذع النخلة) وامليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلى الهز والامالة به او هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع (تساقط عليك) تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ يتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع

(المقصود)

[illegible]

(رطباً جنياً) تمييزاً ومفعولاً روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخوصاً ورطباً وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلي واشربي) أي من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره (وقري عيناً) وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه (فاما ترين من البشر احداً) فان ترى آدمياً وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (فقولي اني نذرت للرحمن صوماً) صمتاً وقد قرئ به او صياماً وكانوا لا يتكلمون في صيامهم (فلن اكلم اليوم انسياً) بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة مجادلة السفهاء والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه كاف في قطع الطاعن (فأتت به قومها تحمله) راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) بديعاً منكراً من فري الجلد

فلان يفري الفري اى يأتي بالعجب في عمله وظاهر اللفظ يحتمل ان يراد بذلك فقد جئت شيأ عجيبا خارجا عن العادة من غير قصد التعيير والذم الا ان المصنف حمله على الذم حيث اتبعه بقوله منكرا لقولهم بعد يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء فان ظاهر هذا القول التوبيخ ﴿قوله وكانت من اعقاب من كان معه﴾ اى كانت مريم من نسل هرون النبي عليه الصلاة والسلام في طبقة الاخوة بان تكون مريم من نسل اخت هرون او اخيه وقيل ليست من نسل اخت هرون او اخيه بل كانت من نسل نفسه عليه السلام وانما قيل لها يا اخت هرون يعني يا واحدة من قبيلة هرون بان يراد بهرون القبيلة التي هو ابوها كما يقال يا اخا همدان اى يا واحدا منهم وهمدان اسم قبيلة ﴿قوله او لما رأوا قبل من صلاحها﴾ عطف على قوله تهكما يعني انهم شبهوها بالرجل الصالح المسمى بهرون وسموها باسمه على سبيل الاستعارة التهكمية المبنية على تشبيه احد الضدين بالآخر بجامع الضدية تنزيلا للتضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم او على سبيل الاستعارة التصريحية على معنى كنت عندنا مثله في الصلاح ﴿قوله او شتموها به﴾ عطف على قوله شبهوها به الاول نشر لقوله هو رجل صالح والثاني نشر لقوله او طالح والمعنى انت في الدناءة مثله والتخصيص بالقائل اشبه بالفاسق سمي له روي انه كان في بني اسرائيل رجل صالح يسمى هرون فنسب اليه كل من عرف بالصلاح ويدل ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون بهرون تبركا به وباسمه ﴿قوله وصبيا حال﴾ اي وليس بخبر لكان لانها زائدة لا تطلب الخبر والمعنى كيف نكلم من استقر في المهد حال كونه صبيا وقيل كان تامة بمعنى وجد فصبيا حال من الضمير فيه وقيل انها دائمة اى ناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها ترادف ما زال ولفظ كان وان كان يفيد تقييد مضمون الجملة بالزمان الماضي مطلقا الا ان المراد منه في الآية الزمان القريب بقرينة المقام والمعنى كيف نكلم من كان بالامس وقريبا من هذا الوقت في المهد وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبي به وان عيسى لم يبرح بعد عنه ولو تكلم من هو بالمهد لم يكن فيه اهلية تلك الوكالة من حيث ان حاله كالشاهد على ذلك ﴿قوله او بمعنى صار﴾ اى كيف نكلم من صار في المهد صبيا فصبيا على هذا خبرها فلم يبق المهد محرابها لما روي انها اخذته في خرقة فأتت به قومها فقالوا او ما قالوا ما قالوا والمهد يطلق على المقر مطلقا كما في قوله تعالى وجعل لكم الارض مهادا وقيل هو مهد الصبي اى كيف نكلم صبيا سبيله ان ينام في المهد ومن اهله وان لم يكن في تلك الحال موضوعا فيه * فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم حتى اجيب عنه بان جبريل او عيسى عليهما الصلاة والسلام نادى من تحتها ان لا تحزني وامرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالتنبيه لها على ان المجيب هو عيسى او لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او بالوحي اليها على سبيل الكرامة لها ﴿قوله ورد على من زعم ربوبيته﴾ يعني ان الحاجة في ذلك الوقت وان كانت الى دفع تهمة الزنى عن امه الا ان الله تعالى انطقه اول ما تكلم بان يقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل لئلا يتخذه النصارى الها لانه تعالى جعل ازالة التهمة عن ذاته المقدسة اولى من ازالة التهمة عن مريم فلذلك انطقه اول ما تكلم بقوله انى عبد الله ﴿قوله نفاعا معلما للخير﴾ حيث ينفع اصحاب الآفات بسبب دعائه فانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا عن قبل انفسهم لا من قبل نفسه ﴿قوله وامرني بالصلاة﴾ قيل قوله واوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على انه تعالى اوصاه باداء تهما في الحال بل بعد بلوغه حد التكليف وحصول شرائط الوجوب والاداء ولا يبعد ان جعله الله تعالى لما انفصل عن امه قوي التركيب كامل العقل بحيث يمكنه اداء الصلاة والزكاة مع صغر جثته وآتاه الكتاب وسائر ما خص به من الفضائل ولكن هذا هو الاوفق لقوله مادمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حياته والآية تدل ايضا على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى ﴿قوله ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره﴾ لما كان المقصود من عطف هذه الجملة على ما قبلها تأكيد مضمون ما قبلها كان المعنى وجعلني برا خاضعا متواضعا لا اى ولم يجعلني عاتيا متكبرا مضيعا لحق والدتي التي تأكد حقها لقيامها مقام الوالدين الا انه عليه الصلاة السلام عبر عن هذا المعنى بما يستلزمه وهو كونه جبارا شقيا في مرتبة لكون الكناية ابلغ من التصريح ﴿قوله والتعريف للعهد﴾ والمعهود هو السلام المذكور في قصة يحيى عليه الصلاة والسلام وهو قوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا فالمعنى والسلام الموجه اليه في المواطن الثلاثة موجه الي ايضا لكن السلام المعين الذي توجه الى يحيى يستحيل ان يتوجه الى شخص آخر وغاية

(يا اخت هرون) يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به (ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش (فاشارت اليه) الى عيسى ان كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار (قال انى عبد الله) انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات والرد على من زعم ربوبيته (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا وجعلني مباركا) نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا (اينما كنت) حيث كنت (واوصاني) وامرني (بالصلاة والزكاة) زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل (ما دمت حيا وبرا بوالدتي) وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اى وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة (ولم يجعلني جبارا شقيا) عند الله من فرط تكبره (والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى

[illegible]

[illegible]

لا يستحقون الاجابة لسابق التغيير الكلام [illegible]
السابق [illegible] وقيل صفة [illegible]
[illegible]
وقرأ ابن عامر [illegible] بالنصب على [illegible]
مصدر [illegible] قال الحق وهو [illegible]
القول (الذي فيه يمترون) في امره [illegible]
او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (اذا قضى [illegible]
[illegible]
من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان [illegible]
[illegible] الحلق والحاجة في [illegible]
الالات وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على
الجواب

بالمراد من حيث كونه موجبا لو قوعه يجرى مجرى امر الآمر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الارادة به يجرى مجرى امتثال المأمور المنقاد لاوامر مولاه فعبرالله عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة التمثيلية ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا احدث شيأ قال له كن وهذا ضعيف لانه تعالى اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه فان كان الاول كان ذلك خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان الثانى فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاى تأثير لقوله كن فيه ومنهم من زعم ان المراد بقوله كن هو التخليق وهو التكوين وذلك لان القدرة على الشئ غير تكوين الشئ فانه تعالى قادر فى الازل وغير مكوّن فى الازل ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكوّن لها فالقادرية غير المكوّنية والتكوين ليس نفس المكوّن لانا نقول المكوّن انما حدث لان الله تعالى كوّنه واوجده فلو كان التكوين نفس المكوّن لكان قولنا المكوّن انما وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكوّن انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكوّن فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين ﴿قوله سبق تفسيره﴾ وهو ان المقصود من هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق وهو الاستكمال بحسب القوة النظرية اصلا ويتفرع عليه الامر بالتوحيد فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد الحق الذى عمدته الاعتقاد بوجود الاله المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال ووحدته فقال ان الله ربى وربكم وفرّع عليه الاستكمال بحسب القوة العملية الكائن بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهى فقال فاعبدوه فان قيل ان قائل ان الله ربى وربكم لا يصح ان يكون هو الله تعالى فمن قائله قلنا فيه قولان الاول ان قائله هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد ان الله ربى وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من مريم والثانى ان قائله هو عيسى وان الواو فى وان الله ربى عطفت ما بعدها على قوله انى عبد الله آتانى الكتاب وجه ضعف لانه يقتضى وقوع قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله كن فيكون وهو كلام الله اعتراضا بين كلامى عيسى والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرأ وان الله بفتح الهمزة بناها على حذف حرف الجرّ متعلقا بما بعده والتقدير ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله اى ولان المساجد لله فلا تدعوا واللام متعلقة بلا تدعوا والتقدير فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لان المساجد لله فعلى هذا يعمل ما بعد الفاء السببية فيما قبلها بخلاف الجزائية وقيل فى وجه هذه القرآءة انه معطوف على الصلاة فى قول عيسى اى او صانى بالصلاة وبان الله ربى ويؤيده ما فى مصحف ابىّ وبان الله ربى باظهار الباء اقول هذا القول ضعيف لكثرة الفواصل بين المتعاطفين ولا يؤيده ظهور الباء فى مصحف ابىّ لان الباء باء السببية والمعنى وبسبب ان الله ربى وربكم فاعبدوه فهى كاللام ومن قرأ وان بكسر الهمزة جعله كلاما مستأنفا ويؤيدها قرآءة ابىّ ان الله بكسر الهمزة بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على وصف الربوبية فى قوله تعالى هو ربى وربكم فاعبدوه يدل على انه انما يلزمنا عبادة الله تعالى لكونه ربا لنا ومنعما علينا بانواع النعم لما تقرر من ان ترتيب الحكم على الوصف المشتق مشعر بالعلية لاسيما اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق من حيث انه يؤدى الى الجنة ﴿قوله اليهود والنصارى﴾ قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار والنصارى مختلفون فيما بينهم فى شأنه عليه الصلاة والسلام قال قتادة بنوا اسرآئيل بعدما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء افترقوا اربع فرق فاخرج كل قوم عالمهم فاختلفوا فى شأنه فقال احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيى من احيى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة له كذبت ثم قال اثنان للثالث قل فيه فقال هو ابن الله اظهره ما شاء ثم رفعه الى السماء وهم النسطورية فقال له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين منهم للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وامه اله وهو نفسه الثالث وهم الاسرآئيلية ملوك النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله وكلمته وهو المسلم الموحد قال اما تعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله تعالى لا يجوز ذلك عليه فخاصمهم فقام لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهروا على المسلمين منهم ﴿قوله من شهود يوم عظيم هوله﴾ يعنى ان مشهد اصله الشهود بمعنى الحضور او من الشهادة واياما كان فاما ان يكون مصدرا ميميا او اسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة فالمراد اما الشهادة عليهم او شهادتهم فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام فهذه تسعة اوجه واضافة مشهد الى يوم فى الجميع بمعنى فى كضرب اليوم ﴿قوله او من وقت الشهود او من مكانه﴾ اى من زمان شهودهم هول الحساب فى يوم

(وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان انّ بالفتح على ولأن وقيل انه معطوف على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم) اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو ثالث ثلاثة وموحدون قالوا هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزآؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها

(لتبعة)

[illegible]

وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه [illegible]

[illegible]

وابصارهم (يوم يأتوننا) اي يوم القيامة [illegible]

[illegible] امرا بان [illegible]

[illegible] ذلك اليوم و [illegible]

[illegible] والجبابرة [illegible] على الا [illegible]

[illegible] موضع [illegible] على [illegible]

[illegible] (لكن الظالمون اليوم في ضلال [illegible])

[illegible] بانهم [illegible]

والنظر [illegible]

بانه ضلال بين (وانذرهم يوم [illegible])

[illegible] الناس [illegible]

والمحسن [illegible] (اذ قضى الامر) [illegible]

[illegible]

متعلقة [illegible] في ضلال مبين [illegible]

[illegible]

الارض ومن عليها) [illegible]

[illegible]

حرج آخر [illegible] من البطن

[illegible]

[illegible] عذاب الدنيا [illegible] الاخر [illegible]

[illegible]

(اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا (لابيه يا ابت) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر الاستعطاف ولذلك كررها (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى

خضوعك (ولا يغني عنك شيئاً) في جلب نفع ودفع ضرّ دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضرّ ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم من عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السويّ فقال (يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا) ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضرّ فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال (يا ابت لا تعبد الشيطان) واستهجن ذلك وبين وجه الضرّ فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجرّه اليه فقال (يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا على موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (قال أراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم) قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد (بين) فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بنيّ وأخره وقدّم الخبر على المبتدأ وصدّره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل

كل فضيلة وملاك كل كمال وخير ولما كان الصديق اعم من النبي لان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب ان يكون كل صديق نبيا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل التصديق على قوله ملازما للصدق بل جعلهما جميعا تفسيرا للصدق على سبيل الترقي لما كذب الله تعالى النصارى فيما زعموه في حق عيسى عليه الصلاة والسلام بين ضلال عبدة الاصنام بالشروع في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وحقية دينه على ما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم فكأنه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لآبائكم كما تقولون انا وجدنا آباءنا على امة فمعلوم ان اشرف آبائكم واجلهم قدرا هو ابراهيم فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا فيما اقام من الدليل الدال على بطلان الشرك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان ﴿قوله ولا يقال يا ابتي﴾ اي لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه ويقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء ﴿قوله دعاه الى الهدى واحتج عليه وثم دعاه وثم ثبطه﴾ امور متقاطعة ﴿قوله ابلغ احتجاج﴾ منصوب على انه معمول مطلق للنوع وقوله وارشقه عطف عليه والرشاقة الصباحة يقال رجل رشيق القد اي لطيفه والركون الميل اليسير والعبادة الخضوع لمن هو في غاية التعمل والاحسان وقوله يا ابت لا تعبد الشيطان بمعنى لا تطعه فيما يوسوس اليك ويضل والشار المصنف اليه بقوله ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص حيث عبر عن عبادة الشيطان بمطاوعته فيما امر به واشار الى ان قوله عصيا للمبالغة بقوله ان الشيطان مستعص اي بالغ في العصيان كأنه يطلب من نفسه ان يعصي ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون في عبادتها بانها تماثيل الكواكب المدبرة لهذا العالم او انها تماثيل اشخاص معظمة عند الله يتطلعون لان يكونوا شفعاء ونحو ذلك من الاعذار الفاسدة فما ذكره ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق التماثيل بانها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن عابدها شيئا من الاغناء لا يبطل اعذارهم بحسب الظاهر الا انه عليه الصلاة والسلام احتج عليهم بذلك بناء على انهم يزعمون ان عبادتها تنفعهم وان طريقتهم مقبولة مستحسنة فبين عليه الصلاة والسلام فساد زعمهم ﴿قوله او ثابتا على موالاته﴾ اي على الدخول في جملة اعوانه واولاده وعدم الخروج عنهم بالدخول في زمرة اولياء الله فالثبات على موالاة الشيطان عبارة عن ثبات حكم الموالاة الواقعة بينهما في الدنيا وثباتها بهذا المعنى لا ينافي قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ ﴿قوله فانه اكبر﴾ جواب عما يقال رتب الله تعالى كونه وليا للشيطان على مس العذاب بالفاء السببية وهو ان يكون ولاية الشيطان اسوأ حالا واعظم عقوبة من مس العذاب نفسه حيث جعل هو موصلا اليها وجعلت هي نتيجة له والظاهر ان الامر بالعكس فان الموالاة مؤدية اليه معنى لانه مقابل الرضوان وقد قال الله تعالى في حق الرضوان انه اكبر من الثواب نفسه فيكون ما يقابله اسوأ حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب ولاية الشيطان على العذاب نفسه بالفاء السببية وجعلها اعظم محذور او اسوأ حالا منه ﴿قوله وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب﴾ جواب عما يقال المقام يقتضي ان يقال اعلم واتقى لان عذاب الشرك مقطوع به وان المس والتنكير يدلان على تقليل عذاب الشرك مع ان عذابه غليظ واجاب عنه بان ذلك مبني على اللياقة بالجميل وترك التغليظ او على عدم علمه بان اباه مبعوث على الكفر فانه يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواب يمنع القطع في حقه ﴿قوله ولعل اقتصاره الخ﴾ جواب عما يقال للشيطان وصفان كل واحد منهما يصلح علة للنهي عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى بترك سجوده لآدم امتثالا لامره تعالى اياه بذلك وثانيهما عداوته للانسان قال تعالى فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو فلم اقتصر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه عليه الصلاة والسلام لم يلتفت الى معاداته لآدم وذريته بل اقتصر من جناياته على ذكر ما يختص منها برب العزة لعلو درجته في كونه ربانيا اي متألها عارفا بالله وبما يليق بشأنه فلم يرض بما ارتكبه الشيطان في حق الله تعالى جناية والثاني ان عصيانه لرحمن ملاك جناياته كلها واصلها الذي يتفرع عليه غيره فان ملاك الشيء ما يتفرع عليه الشيء ويتقوم به والثالث ان عصيانه منبه على معاداته لآدم عليه الصلاة والسلام من حيث انه نشأ من حسده لآدم ومعاداته اياه ﴿قوله وقدم الخبر على المبتدأ﴾ جعل قوله أراغب خبرا مقدما وانت مبتدأ مؤخرا وان جاز ان يكون اراغب مبتدأ لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل سد مسد الخبر بل هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه والثاني انه لا يلزم فيه الفصل

لا يجعلك [illegible] (نداء) [illegible] طويلا من الملاوة [illegible] (قال سلام عليك) [illegible] ولا [illegible]
مكروه ولا [illegible] (سأستغفر لك ربي) [illegible] التوبة والايمان [illegible] لاستغفار الكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وتقدم
تحريره في سورة التوبة (إنه كان بي حفيا) بليغا في البر والالطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة بديني (وأدعو ربي) واعبده وحده (عسى
ألا أكون بدعاء ربي شقيا) خائبا ضائع [illegible] السعي [illegible] التهكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على

أن الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الامر خاتمته وهو غيب (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) [illegible] (وهبنا له إسحق ويعقوب) [illegible] من فارقهم من الكفرة [illegible] الشام [illegible] إسحق ويعقوب [illegible] بالذكر [illegible] الانبياء [illegible] (وكلا جعلنا نبيا) [illegible] (ووهبنا لهم من رحمتنا) النبوة والاموال والاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) [illegible] [illegible] في الآخرين [illegible] [illegible] الصدق [illegible] (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) [illegible] (وكان رسولا نبيا) [illegible] (وناديناه من جانب الطور الأيمن) من ناحيته اليمنى من اليمين [illegible] (وقربناه نجيا) [illegible] (ووهبنا له من رحمتنا) [illegible] (أخاه) [illegible] (هارون نبيا) [illegible] (واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد) [illegible]

[illegible] (قوله ونادينا طويلا) [illegible] (قوله ولم نجعل) [illegible] (قوله واجعل لي لسان صدق) [illegible] (قوله وكان رسولا نبيا) [illegible] (قوله من جانب الطور الأيمن) [illegible] (قوله نجيا) [illegible] (قوله وقربناه) [illegible] (قوله إنه كان صادق الوعد) [illegible] (قوله وكان يأمر أهله بالصلاة) [illegible] (قوله وهو شيث) [illegible]

[illegible] (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) [illegible] (وكان عند ربه مرضيا) [illegible] (واذكر في الكتاب إدريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح [illegible]

(انه كان صديقا نبيا و رفعناه مكانا عليا) يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة (اولئك) اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس (الذين انعم الله عليهم) بانواع النعم الدينية والدنيوية (من النبيين) بيان للموصول (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية (وممن حملنا مع نوح) اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية (وممن هدينا) ومن جملة من هديناه الى الحق (واجتبينا) للنبوة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبرا لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء (فخلف من بعدهم خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون (اضاعوا الصلاة) تركوها او اخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بناء المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) شرا كقوله

* فمن يلق خيرا يحمد الناس امره *

* ومن يغو لا يعدم على الغي لائما *

او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها

آدم وينتهي اليه نسب نوح عليه الصلاة والسلام فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ الذي هو ادريس وكان خياطا واول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار ﴿قوله يعني شرف النبوة﴾ يعني قال المراد بالمكان العلي رفعة المكانة والمنزلة عند الله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع وذلك المكان اما الجنة واما السماء السادسة ومن قال بالاول قال انه اذيق الموت ساعة ثم احيي ثم ادخل الجنة ولم يخرج منها فهو حي هناك لا يموت بعد واختلف الذين قالوا انه في السماء اهو حي في السماء ام ميت فقيل هو ميت وقيل حي قيل اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقصة ادريس آخر القصص ثم انه تعالى اثنى على كل من تقدم ذكره من الانبياء بالثناء الشامل لهم بعد ما اثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الثناء ﴿قوله بيان للموصول﴾ يعني ان كلمة من في من النبيين بيانية لان المنعم عليه يجوز ان يكون نبيا وغير نبي والانبياء كلهم منعم عليهم والخاص يبين العام وحملها على التبعيض باطل لان المنعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم الا ان المنعم عليهم بعض من ذرية آدم فجاز ان تكون من الثانية للتبعيض كما جاز ان تكون بيانا بدلا من النبيين في قوله من النبيين فوجب ان يحمل تعريف الموصول على الجنس للمبالغة كما في قوله ذلك الكتاب وان يقدر مضاف اي بعض اولئك بعض الذين انعم الله عليهم من النبيين وجمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بانهم ممن حمله الله تعالى في السفينة مع نوح فقال وممن حملنا مع نوح والذي اختص بكونه من ذرية آدم من غير ان يكون ممن حمل مع نوح هو ادريس عليهما السلام فانه كان سابقا على نوح لما مر من انه جد اب نوح واسمعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم كانه قيل ومن ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد اسرائيل وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام كما قال تعالى واسرائيل عطفا على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكلهم من ذرية آدم ولكن جعل من قرب من آدم من ذريته وجعل من بعد منه من ذرية من قرب منه تشريفا لكل واحد بأب يقرب منه فرتب الله احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فهم في منزلة الفضل باولادهم من هؤلاء الانبياء ثم قال وممن هدينا اي الى الحق واجتبينا اي اصطفينا تنبيها بذلك على انهم كما اختصوا بهذه المنازل اختصوا بهداية الله تعالى لهم وانه تعالى اختارهم للرسالة وقوله تعالى وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والمعنى على الاول انعم الله عليهم من النبيين وممن هدينا واجتبينا وعلى الثاني انعم الله عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم وبعض ممن حملنا مع نوح وبعض ممن هدينا واجتبينا ﴿قوله والبكي جمع باك﴾ على خلاف القياس والقياس في جمع اسم الفاعل من الناقص ان يجمع على فعلة نحو قاض وقضاة ورام ورماة ولم يسمع بكاة في جمع باك بل المستعمل في جمعه بكي واصله بكوي مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ومن قال في بكيا انه مصدر فقد اخطأ لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه وسجدا حال مقدرة لانهم حال الخرور ليسوا ساجدين والمراد بآيات الله تعالى ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم بما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والمعنى ان الانبياء المذكورين مع ما انعم الله عليهم من انواع النعم كان شأنهم اذا تتلى عليهم آيات الله وكتبه المنزلة عليهم يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وخوفا وطمعا ثم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا لنا في التأسي بطريقهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف اي جاء من بعد هؤلاء الانبياء خلف من اولادهم يقال خلفه اذا عقبه ثم قد يكون بمعنى الخير خلف بفتح اللام وفي جانب الشر خلف بالسكون كما قالوا في جانب الشر وعيد وفي جانب الخير وعد قال الشاعر

* خلفت خلفا ولم تدع خلفا * ليت بهم كان لا بك التلفا *

﴿قوله كشرب الخمر﴾ عن ابن عباس قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب ﴿قوله وركوب المنظور﴾ اي الفرس والبغل لا للجهاد بل لاجل ما ينظر اليه ﴿قوله كقوله من يلق خيرا﴾ قابل الغي بالخير فدل على ان المراد بالغي الشر وما قبل البيت

* أمن حلم اصبحت تنكت واجما * وقد تعتري الاحلام من كان نائما *

يقال نكت في الارض اذا جعل يخط وينقر باصبعه وهو كناية عن التفكر لان المتفكر يفعل ذلك والواجم الحزين يقول أمن اضغاث احلام تصبح حزينا تنكت في الارض ومن كان نائما تعتريه الاحلام ثم قال

[illegible]

من المكر وثم شاع استعماله في الاكرام حتى لايفهم منه غيره ولهذا لو تركته لحملت صاحبك على الاهانة ﴿قوله على عادة المتنعمين﴾ جواب عن سؤال مقدر وهو ان المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة فما الوجه في مدح الجنة به واجاب عنه بوجهين الاول ماروى عن الحسن من انه تعالى اراد ان يرغب كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير وهي من عادة العجم والارائك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت عادة اشراف اليمن ولاشئ كان احب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك والثاني انه كناية عن اعتدال احوال اهل الجنة من حيث المطاعم والمشارب فان اعدل احوال المطاعم وابعدها عن الضرر هو التغدي والتعشي وهي عادة محمودة متوسطة بين الزهادة من الطعام والتعرض فيه بالاكل في اليوم والليلة مرة وبين الرغابة والافراط فيه وهي الاكل متى وجدوه مرة بعد اخرى ثم نقل جوابا ثالثا وهو ان ذكر البكرة والعشي لبيان دوام رزق اهل الجنة لالبيان ان الرزق انما يحصل لهم في هذين الوقتين المعلومين كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ويراد دوام الحضور عنده في كل وقت فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشي بالنسبة الى اهل الجنة ولاصباح ولامساء ولاليل ولانهار بالنسبة اليهم قال تعالى لايرون فيها شمسا ولازمهريرا وقال عليه الصلاة والسلام لاصباح عند ربك ولامساء بل هم في نور ابدا واجيب بان المراد انهم ياكلون مطلقا الا ان في الجنة غدوة وعشيا اذ قيل انهم فيها يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها وروى ان بين غدائهم وعشائهم ست ساعات ﴿قوله نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم﴾ شبه اعمال المتقي بالمورث وشبه ثمرة تلك الاعمال بتركة المورث اذا قضى تحقيقا للوارث ماله كذلك اعمال المتقين تنقضي وتبقى ثمرتها لهم وهو الجنة فعبر عن ابقاء تلك الثمرات لهم بالايراث واشتق منه نورث فصار استعارة تبعية ونكتة العدول الى المجاز التنبيه على ان تمليك تلك الثمرات لهم اقوى وجوه التمليك كانه قيل نملك الجنة اياهم اقوى تمليك والآية تدل على ان المتقي يدخل الجنة وليس فيها دلالة على ان غير المتقي لايدخلها وايضا صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق لكونه متقيا عن الكفر فيدخلها ﴿قوله حكاية قول جبريل عليه السلام﴾ ولاشك ان قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله تعالى فلا وجه لعطف هذه الجملة المحكية عليه بل هي معطوفة على ماتقدم من اول السورة الى هنا عطف القصة على القصة واللازم في مثله تناسب القصتين المتعاطفتين في الغرض الذي سيق الكلام لاجله وذلك التناسب موجود ههنا فان المقصود من ذكر أقاصيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته وهي المقصودة من هذه الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من اقاصيص الانبياء وذيلها ببيان مااحدث الخلف بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم وقال في حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبريل عليه السلام كانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انك وان اشتقت الي ولكني اليك اشوق الا ان امرنا موكول الى الله عز وجل يتصرف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لااعتراض لاحد عليه وليس احتباسي عنك لاجل ان ربك ودعك وقلاك كما يقول المشركون وما كان ربك نسيا تاركا لك ولاشك ان في ذكرها زيادة التسلية له عليه الصلاة والسلام ﴿قوله ثم نزل ببيان ذلك﴾ اي ثم نزل جبريل ببيان مايجيب لمن سأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها ونزل حينئذ قوله تعالى وماننزل الا بامر ربك وقوله ولاتقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة والضحى ﴿قوله وقيل ان الآية حكاية قول المتقين الخ﴾ القائل له اختاره ليناسب ماقبله ويظهر عطفه عليه والتنزل هنا من النزول في المكان اي مانحلها وننزل منازلها كما اشار اليه بقوله ننزل الجنة لكنه خلاف الظاهر وايضا مقتضاه بامر ربنا لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم كما في الوجه الاول غير ظاهر الا ان يكون حكاه الله على المعنى لان ربهم وربه واحد ولو حكاه على لفظهم لقال ربنا وانما حكى كذلك ليجعل تمهيدا لما بعده وكذا وما كان ربك نسيا اذ لم يقل ربهم ومرضه لانه لايوافق سبب النزول واما كون الخطاب من جماعة المتقين لواحد منهم فبعيد وقوله ولعله اشارة الى ان الامر هنا امر تكريم ولطف كقولك ادخلوها بسلام آمنين ﴿قوله وما كان ربك ناسيا الاعمال العاملين﴾ اشارة الى ان المتقي اصل النسيان لازيادته حتى يقتضي ثبوت اصله وانما المبالغة باعتبار كثرة من فرض

(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لاتعقب بفسخ ولا استرجاع ولاتبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد (وماننزل الا بامر ربك) حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر مايجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ماتقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي (له مابين ايدينا وماخلفنا ومابين ذلك) وهو مانحن فيه من الاماكن والاحايين لاننتقل من مكان الى مكان اولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تاركا لك اي ماكان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل ان الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه ومانجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ربك ناسيا الاعمال العاملين وماوعد لهم من الثواب عليها

وقوله (رب السموات والأرض وما بينهما)

بحسب الظاهر والا فالهمزة مقدرة فيه وليس بتعين كما ذكره العرب وقوله من الارض فالخروج حقيق او من حال الموت فهو مجاز عن الانتقال من حال الى اخرى ﴿ قوله لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة الخ ﴾ يعني ان تقديم الظرف لان الاخراج الى الحياة ليس بمنكر مطلقا وانما المنكر كونه بعد الموت فقدم الظرف لانه محل الانكار والاصل في المنكر أن يلي الهمزة ويحتمل انه اريد انكار وقته بعينه مبالغة لانه بعيد انكاره بطريق برهاني كما ذكره الطيبي ولما كان وقت اخراجه وخروج الروح ليس وقت اخراجه حيا بل بعده بزمان طويل قال الرضي ان فيه معطوفا محذوفا لقيام القرينة عليه والمعنى ائذا مامت وصرت رميما ابعث اي مع اجتماع الامرين كقوله ائذا متنا وكنا عظاما ورفاتا انبعث خلقا جديدا ومن قال انه لاحاجة اليه لم يصب الهم الا ان يراد بحال الموت زمان ممتد الى اول زهوق الروح كما هو المتبادر منه وربما يكون في كلام المصنف رحمه الله اشارة اليه او يقال انهم اذا احالوه في تلك الحال علم احالته اذا كانوا رفاتا بالطريق الاولى وفي كلام الفاضل المحشي هنا شيء فتأمل ﴿ قوله وانتصابه بفعل دل عليه اخرج ﴾ سواء كان من لفظه او معناه كابعث ونحوه وعدّ المانع اللام وحدها دون سوف لانها لاتمنع على الصحيح خلافا لابن عطية قيل ان الرضي ذكر ان كلمة الشرط تدل على لزوم الجزاء للشرط ولتحصيل هذا الغرض عمل في اذا جزاؤه مع كونه بعد حرف لايعمل مابعده فيما قبله كالفاء في فسبح وان في قولك ان جئتني فانى مكرم ولام الابتداء في قوله ائذا مامت لسوف اخرج حيا انتهى • قال قلت هذا مبناه على ان العامل الجواب والجمهور على انه الشرط كما في المغني • قلت دائر في اذا الشرطية وعدم ظرفية انتهى ولايخفى ان كلام الرضي ليس بمتفق عليه كما في كتب العربية واما ماذكره من السؤال والجواب فانه لايصح ان يكون على كلام الرضي فانه مخالف لتصريح كلامه من جعلها شرطية ولا من قبل المصنف رحمه الله فانه لايعارض كلام الرضي فلا حاجة لايراده برمته وسياقه يأباه فتدبر ﴿ قوله وهي مخلصة الخ ﴾ هذا بناه على ان اللام اذا دخلت على المضارع خلصته للحال وهو قول النحاة ومن قال انها لاتخلصه يحتج بمثل هذه الآية ولايحتاج الى دعوى تجريدها للتوكيد وقوله كما خلصت بصيغة المجهول وهذا ايضا بناء على ان اصله الاله وال فيه للتعريف والتعويض من الهمزة المحذوفة فانها اذا اجتمعت مع حرف النداء جعلت لمحض التعويض لئلا يجتمع معرفان وهذا احد الاقوال المشهورة فيه ايضا ولذا قطعت همزته وقوله فساغ الخ تفليل لما مضى فيه ﴿ قوله مع ان الاصل ان يتقدمها الخ ﴾ تبع في هذا الزمخشري حيث قال وسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولايذكر حال النشأة الاولى حتى لاينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب الخ وهو مخالف لمذهبين في مثله بحسب الظاهر من انها مقدمة من تأخير فاصله والايذكر الخ او داخلة على مقدر واصله ايقول كذا ولا الخ واما كونها مؤخرة من تقديم فلم نقله احد مع انه قيل عليه ان الهمزة ليست من المعطوف لتقدمها عليه ولا من المعطوف عليه لتأخرها عنه وكيف يدخل الانكار على يقول مع تأخر الهمزة عنه وفيه ابطال صدارتها فالاولى ان يقال لايذكر معطوف على يقول مقدر بعد الهمزة لدلالة الاول عليه فيرتفع الاشكالان وقيل لايخلو اما ان يعطف لايذكر على يقول المذكور او على المقدر فعلى الاول لايستقيم تقريره المعنى بقوله ايقول ذلك ولايذكر لان التقدير حينئذ او لايذكر وعلى الثاني لايصح قوله ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قيل ويمكن ان يجاب باختيار الاول وقوله ايقول ذلك ولايذكر بيان لحصل المعنى لا لتقدير اللفظ وذلك لان الهمزة افادت انكار الجمع لدخولها على الواو المفيدة له وكأنه قيل اينكر الجمع بين القول وعدم التذكر فصح قوله ايقول ذلك ولايذكر واما السؤال ببطلان صدارة الهمزة فلا وجه له لما ثبت من التوسع فيها خاصة انتهى • اقول في هذا كله تكلف ما لاحاجة اليه مع خروجه كله عن القانون النحوي اما الاول فلأن كلامهم غير محتاج لما ذكروه كما ستسمعه عن كثب واما الثاني فمخالفته لما ذهب اليه النحاة من المذهبين لانه لم يقل احد انها مؤخرة من تقديم وايضا صدارتها انما هو بالنسبة الى جملتها بالاتفاق وتقدمها على الواو أتم فيه كما صرح به في المغني فلا حاجة الى التوسع المذكور كما انه لاحاجة الى ماقيل ان وجوب التصدير انما هو اذا بقيت على معناها الاصلي الاستفهامي واما اذا تولد منها معنى آخر كالانكار والتوبيخ فلا يبقى وجوب التصدير ولذا قال المصنف رحمه الله مع ان الاصل الخ اذا عرفت هذا فمعنى كلام الشيخين هنا وهو بيان لمعنى النظم مبنى على القول بعدم التقدير انه لما دخل حرف الانكار على العاطف فتوسط في الكلام مع ان القول المذكور منكر كعدم التذكر فاجابوا بانه وان كان اصل المعنى المراد منه هذا ومقتضاه ان يقال ايقول

وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان مابعد اللام لايعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يالله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولا يذكر الانسان) عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه

[illegible]

[illegible] اخوتهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا
وان كان مخصوصا بمن ساغ نسبته الى الجنس
باسره فانهم لما حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا بجماعتهم
(ثم لنحضرنهم حول جهنم) [illegible]

[illegible]

يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم
[illegible]
(ثم لننزعن من كل شيعة) [illegible]
من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها
وفي ذكر الأشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن
كثير من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة
فالمراد انه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم
[illegible]

الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
[illegible]

للظرف مضافة الى ما هو حق الموصول وهو الياء مبني على هذا منصوبة محلا والجملة بعدها الصدر منه المبتدأ لا محل لها من الاعراب والقراءة بالنصب من طلحة تقتضى انها معمول لننزعن وقد خطئ في هذا بانه لم يسمع مثله وبانه يقول باعرابها اذا افردت من الاضافة فكيف اذا اضيفت كما في المعنى وهو منفصل في محله وقوله ومرفوع معطوف على قوله منصوب المحل ﴿ قوله والجملة محكية ﴾ اى بالقول الذى هو صلة الموصول المحذوف الذى هو معمول لننزعن واى استفهامية لا موصولة كما بينه وهذا قول الخليل رحمه الله ولما كان لا معنى لجعل النزع لمن يسأل عنه بهذا الاستفهام اوله بعضهم بانه مجاز عن تعرف احوالهم وتشابههم في العتو حتى يستحق ان يسأل عنها او المراد الذين يجاب بهم عن هذا السؤال وهو مع تكلفه فيه حذف الموصول مع بعض الصلة وهو تكلف على تكلف ومثله لا ينقاس وقوله او معلق عنها فالجملة في محل نصب والمعنى لننزعن جواب من يسأل عنه بهذا ولما كان التعليق عند الجمهور يختص بافعال القلوب اجاب عنه بانه نزع شيء عن شيء يقتضى الرازه وتمييزه عنه وهو سبب للعلم به فهو لتضمنه معنى يلزمه العلم عومل معاملته والاولى ان يقال انه مستلزم العلم لعلم من يراهم بذلك ومن لا يرى التعليق مختصا بافعال القلوب كيونس لا يحتاج الى التأويل ﴿ قوله او مستأنفة ﴾ اى استئنافا نحويا او بيانيا ان كانت اى موصولة كأنه قيل من المرءوسون فقيل هم الذين هم اشد واما اذا كانت استفهامية فالظاهر الاول ويجوز الثاني على التأويل السابق وحمل من زائدة على مذهب الاخفش الذى يجوز زيادتها في الاثبات وكونها معمولا لتأويلها باسم وهو بعض قيل هو على تقدير تخصيصه بالكفر وفيه نظر ﴿ قوله واما شيعة ﴾ معطوف على قوله بالابتداء وهذا منقول عن المبرد في الاعراب فى قال انه لم ينقله غير المصنف لم يصب قال ابو البقاء يعنى ان ايهم فاعل لتضمنه شيعة من معنى الفعل والتقدير لننزعن من كل فريق يشيع ايهم اشد واى موصولة بمعنى الذى فتأمل وقيل اى هنا شرطية ﴿ قوله وعلى البيان الخ ﴾ يعنى ان الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف او بمصدر مبين لان المعنى على من هو الصلى عادة كما في سقياه ورعياه كأنه قيل على من عتوا فقال عتوا على الرحمن وعادا يصلون فقيل يصلون بالنار لا بالمصدر المذكور لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فى حوزه مطلقا او في الجار والمجرور التوسع فيه جوزه هنا وكذا من قال ان عتيا وصليا جمع عات وصال وهو منصوب على الحالية ﴿ قوله لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى الخ ﴾ قيل هذا على كون صليا تمييزا عن النسبة التى بين اولى والمجرور وما بعده على انه تمييز عن النسبة التى بين المبتدأ والخبر وقيل ان الاول على تقدير كونه للبيان وما بعده على تعلقه بافعل فتأمل وقوله وقرأ حمزة الخ وقع في بعض النسخ وقد قرأ به في جثيا كما مر وهو اتباع وكذا في عتيا فالاولى ذكره ايضا وقوله ويجوز وكان المراد اولا الفرق باجمعها ﴿ قوله التفات ﴾ اى من الغيبة للحضور وهو جار على التفسيرين في الانسان بالعموم والخصوص وعلى الثانى الورود بين ويجوز ان يكون خطابا للناس دون التفات لما مر كما في الكشاف وقوله الا واصلها الخ يعنى ان المراد بالورود داخلوها حقيقة لكنها لا تحرقهم بل تصير عليهم بردا وسلاما كنار ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث وعليه كثير من سلف المفسرين واهل السنة او المراد به الجواز على الصراط او القرب منها او الجثو حولها ورجحه الشيخان كغيرهما لانه يلائم قوله ثم ننجى الذين الخ لان الظاهر منه انه تفصيل وتفريق بعد ما اشتركوا فيه ويقدر فيه مضاف ايضا اى ثم ننجى فيما حولها بقرينة قوله لنحضرنهم حول جهنم والمراد المرور على الصراط بعده واما على التفسير الاول فلا يحتاج الى تأويله فتأمله وقوله خامدة بالخاء المعجمة والجيم والاول اولى اى ساكنة وتنهار اى تسقط وتقع والمراد انها تحرقهم وتشملهم كما يقال وقع في البلد حريق ﴿ قوله واجبا ﴾ اى كالواجب في تحتم وقوعه والمقصود المبالغة اذ لا يجب على الله شيء عند اهل السنة واليه اشار بقوله وقضى الخ هو تفسير مقضيا كما ان ما قبله تفسير حتما ﴿ قوله وقيل اقسم عليه ﴾ اى معنى كان حتما مقضيا كان قسما لازما والمقصود منه انشاء القسم وقد يقال ان على ربك المقصود منه اليمين كما تقول لله على كذا اذ لا معنى له الا تأكد اللزوم والقسم لا يذكر الا لذلك وعلى ورد في كلامهم كثيرا للقسم كقوله

علىّ اذا ما جئت ليلى ازورها ٭ زيارة بيت الله رجلان حافيا

فان صيغة النذر قد يراد بها اليمين كما صرحوا به او المراد بهذه الجملة القسم كقولهم عزمت عليك الا ما فعلت كذا وورد في الحديث لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم فقال ابو عبيد وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالقسم في الحديث قوله وان منكم الا واردها الآية واعترض الازهرى في التهذيب بانه

والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض شيعة كل وامّا شيعة لانها بمعنى تشيع وعلى البيان او متعلق بافعل وكذا الثانى فى قوله (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ولو يجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد (وان منكم) وما منكم التفات الى الانسان يؤيده انه قرئ وان منهم (الا واردها) الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال انهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان على ربك حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بانه وعده وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه

[illegible] وهذا مراد من قال ان الواو [illegible]

[illegible] ﴿ قوله [illegible]

[illegible]

(ومنهم الذين اتقوا) يساقون الى الجنة [illegible]
وقرأ الكسائي ويعقوب [illegible]
[illegible] (وقيل [illegible]
جيئا) [illegible] كانوا [illegible] دليل على ان [illegible]
[illegible]
[illegible] الى الجنة [illegible]
[illegible] (وانا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاعلام (قال الذين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقرأ [illegible] الضم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والدخول عليها [illegible]
الاقتصار [illegible]
زيادة [illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ومن قرن [illegible] اهل [illegible]

مسمع عنده والخرثى بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وثاء مثلثة ومثناة تحتية مارث اى قدم و بلى وقيل مابيس وقيل ارداً المتاع ﴿ قوله والرى المنظر فعل من الرؤية الخ ﴾ يعنى انه على هذا فعل بمعنى مفعول واما على القراءة الاخرى فيحتمل انه منه ايضا لكن ابدلت همزته ياء وادغمت ويحتمل انه لا ابدال فيه وانه من روى من الماء يروى ريا ضد عطش ولما كان الرى به النضارة والحسن استعمل فيه كما يقال هو ريان من النعيم كما قال ريان من ماء النعيم يلفه ورق الشباب * وقوله على انه من الرى ان كان بفتح الراء فهو ظاهر لان الرى اسم مأخوذ من ذلك المصدر وان كان بالكسر كما ضبط بالقلم في اكثر ها فهو مصدر والمعروف فتح اوله ويجوز كسره الشيخ والنزه فانى من الاشارة المنصبة لتعارضهما كما في الكشاف مع اتحادهما لفظا ومعنى لان مدخول من معناه الحقيقى هو النزه والمراد به هنا على طريق المجاز او الكناية المنظر الجميل والهيئة الحسنة وقيل انه نظر الى المغايرة باعتبار كونه مذكورا فى النظم ومنقولا عن اهل اللغة اولى ان الثانى مصدر والاول اسم اسم فانه كذلك فى القاموس وهذا اولى تكما مارة وقوله على القلب اى القلب المكانى بتقديم اللام على العين ووزنه فلع كما يقال فى رأى رآء ﴿ قوله كالطحن ﴾ بكسر الطاء وسكون الحاء المهملتين ووزن الطحن المطحون والخبر بكسر الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وراء مهملة من خبر الارض اذا زرعها وهو مصدر بمعنى المزارعة وبمعنى ما يزارع عليه اسم كالطحن كما ذكره ابن السيد فى مثلثاته ﴿ قوله وقرئ ريا بحذف الهمزة ﴾ اى والقصر وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرئ ايضا بالمد ومعناه ما مر آنفا بعضهم نصا كما فى النشر المنصوب واما هذه القراءة فقد خرجت على وجهين احدهما ان يكون اصلها ريا بالتشديد الياء فخففت بحذف احدى الياءين وهى الثانية لانها التى حصلت بها الثقل ولان الآخر محل التغيير والثانى ان يكون اصلها رئيا بياء ساكنة بعدها همزة فنقلت حركة الهمزة الى الياء ثم حذفت على القاعدة المعروفة ﴿ قوله وزيا من الزى الخ ﴾ الزى الثانى بالفتح مصدر زواه بمعنى جمعه لان الزى بمعنى الهيئة ويكون بمعنى الاثاث ايضا كما ذكره البرد فى قول الثقفى

* اشاقتك الظعائن يوم بانوا * بذى الزى الجميل من الاثاث *

وهو واوى لا يائى كما فى القاموس وقوله فانه من الزى بالكسر ﴿ قوله ثم بين الخ ﴾ اى بين بعد نقض الجواب عن تمسكهم وقوله وانما العيار وهو من قولهم عايرت بين المكيال والميزان اذا امتحنته وعيره يطلق تضمنه معنى الدلالة والفضل هنا بمعنى الزيادة ولذا قابله بالنقص ﴿ قوله فيمده ويمهله بطول العمر ﴾ اشارة الى ان معنى مده وهو تطويل الحبل ونحوه ما زيد به تطويل العمر وقوله وانما اخرجه الخ اشارة الى ان صيغة الامر مستعارة للخبر كاستعارة الخبر للامر وقد اشار اليه بقوله او لا يمده لانه لكونه كائنا لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع اعذارهم وتقوم عليهم الحجة كما فى الآيتين المذكورتين او هو دعاء بامهالهم وتنفيس مدة حياتهم كما فى الكشف ﴿ قوله غاية المد ﴾ فيه تسمح لان الغاية مجموع الشرط وجوابه ان قلنا ان المجموع هو الكلام او مضمون الجواب ان قلنا انه هو الكلام والشرط قيد له وعلى القول الثانى فانه بهما اعتراض ومن ثمة ابعده وصاحب الكشاف لم يختار هذا وقدمه ﴿ قوله تفصيل للموعود ﴾ التفصيل مستفاد من ما ذكره الصلاة ولا كلام فيه وانما الكلام فى قوله يوم القيامة فان قيل ان المد والقول يتقطعان حين الموت وعند معاينة العذاب ولذلك يؤمن عنده كل كافر فالمراد بالساعة ما يشمله ومن مات فقد قامت قيامته ولا يحتاج الى ما ذكره من التأويل لتتصل الغاية بمغيا لا يناسب ما فى النظم لان الساعة لا تطلق عليه كيوم القيامة وامر الفاصل سهل لان امور هذه الدار وانها لا تعد فاصلة لتنصيصه الآتى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا والنسب وجعلهم بعيشهم بعدونه فى الدارين لانه ابدال على الحرى ﴿ قوله والجملة محكية بعد حتى ﴾ فهى مستأنفة وحتى ليست جارة ولا عاطفة وهكذا هى حيث دخلت على اذا الشرطية عند الجمهور وهى منصوبة بالشرط او الجزاء على الخلاف المشهور وذهب ابن مالك الى انها جارة كما فى المغنى وقوله محكية اشارة الى انها غاية للقول باحد القولين فهو جار عليهما فليس هذا على انه غاية للدائم ما بعده صريح فيه ﴿ قوله اى فئة وانصار الخ ﴾ وجه التقابل فيه ظاهر فالمراد بالندى من فيه كما قال المجلس المحل للتعظيم فلذا عبر به وبالمقام ثمة وصرحها بالمكان والجند اشارة الى ان الاول فيه مسرة وحبور بخلاف هذا فانه مكان شر ومحاربة فتأمل ﴿ قوله عطف على الشرطية المحكية بعد القول الخ ﴾ فى هذه الجملة وجوه فقيل انها مستأنفة لا محل لها ومن ادعى انها معطوفة على جواب

والرى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبر وقرأ قالون وابن ذكوان ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الرى الذى هو النعمة وابو بكر رئيا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانها محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون فى الآخرة بقوله (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير حتى اذا رأوا ما يوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال (فسيعلمون من هو شر مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى (واضعف جندا) اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله

من وهو قوله فليمدد الخ واختاره في الكشاف * واعترض بانه غير مناسب معنى اذ لا يحسن ان يقال من كان في الضلالة يزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا اعرابا سوآء كان دعاء او خبرا في صورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت موصولة وفي موضع الجزآء ان كانت شرطية فهو في حكم الجزآء وعلى كلا التقديرين فهي خالية من ضمير يربط الخبر بالمبتدأ والجواب بالشرط * واجيب بان المعنى من كان في الضلالة زيد في ضلالته وزيد في هداية اعدآئه لانه مما يغيظه ومن شرطية لا موصولة واشتراط ضمير يعود من الجزآء على اسم الشرط غير الظرفي ممنوع فانه غير متفق عليه عند النحاة كما في الدر المصون مع انه مقدر كما سمعته وفي كلام المصنف اشارة اليه لكنه لما كان لا يخلو من تكلف لم يعتزه والثالث ما اختاره المصنف وهو انه عطف على مجموع الجملة الشرطية ليتم التعديل فانه صلى الله عليه وسلم امر ان يجيبهم فلبوت بذكر القسمين اصالة كما في الاول وهذا اولى كما في الكشف ﴿قوله اراد ان يبين الخ﴾ ارادة الخير والتعويض من قوله والباقيات الصالحات الخ فهذا بدل من قصور حظوظه الدنيوية التي كانت لغيره للاستدراج وقطع المعاذير وقوله وقيل قد علمت وجه تمريضه وقوله كأنه قيل الخ فلا يرد عطف الخبر على الانشاء ولا عدم الربط المعنوي واللفظي كما مر وانه وضع فيه الظاهر موضع الضمير ﴿قوله الطاعات التي تبقى عائدتها﴾ اي فائدتها ابدا او هي باقية ثوابها وقوله ويدخل اشارة الى ان المراد بها ما ذكر وان ما وقع في بعض التفاسير المأثورة من تفسيرها بما ذكر على سبيل التمثيل لا التخصيص والحصر ﴿قوله المدبجة﴾ اي الناقصة وقوله صيغة تعجب لانه اجازه الرضي وقال ابو حيان انه لم يسمع في كلام العرب وقوله كما اشار اليه الخ لان المرد مايرد اليه والمراد به العاقبة وهي بمعنى المآل وقيل انها بمعنى المنفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهو قريب منه ﴿قوله والخير هنا اما لمجرد الزيادة الخ﴾ جواب عما قيل كيف فضلوا عليهم في خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضي المشاركة فيه وهم لا ثواب لهم وعاقبتهم لا خير فيها وهو ظاهر وقوله ههنا اي في هذه الآية اي في الموضعين كما صرح به بعض ارباب الحواشي لا في قوله خير مردا فقط لانه لما فسر الثواب بالعائدة الشاملة للفائدة الدنيوية لا بالثواب المتعارف لم يحتج الى تأويل الخيرية فيه كما قيل وستري تفصيله فاجاب اولا بان المقصود مجرد الزيادة بقطع النظر عن مفضل عليه مخصوص يشاركه في ذلك وتحقيقه كما ذكره بعض علماء العربية ان لافعل اربع حالات احداها وهي الاصل ان يدل على ثلاثة امور اتصاف من هوله بالحدث الذي اشتق منه وبهذا كان وصفا ومشاركة مصحوبه في تلك الصفة ومزيد موصوفه على مصحوبه فيها وبالاخير فارق غيره من الصفات والثانية ان يخلع عنه ما امتاز به عن الصفات ويتجرد للمعنى الوصفي والثالثة ان تبقى عليه معانيه الثلاثة ولكن يخلع عنه المعنى الثاني ويخلعه قيد آخر فان الاشتراك مقيد بتلك الصفة التي هي المعنى الاول ويصير مقيدا بالثالث وهو الزيادة لكن لا في المعنى المشتق منه كقولهم العسل احلى من الخل فان العسل زيادة في حلاوته وهي اكثر من زيادة الخل في حموضته قال ابن هشام في شرح التسهيل وهو بديع جدا والرابعة ان يخلع عنه المعنى الثاني وهو المشاركة وقيد المعنى الثالث وهو كون الزيادة على مصاحبه فيكون للدلالة على الاتصاف بالحدث وعلى الزيادة مطلقا لا مقيدة وذلك نحو يوسف احسن اخوته انتهى وهذا الاخير هو الذي اراده المصنف رحمه الله بجوابه الاول فالمعنى ان ثوابهم ومردهم متصف بالزيادة في الخيرية على من اتصف بها بقطع النظر عن هؤلاء المفتخرين بدنياهم فلا يلزم مشاركتهم في الخيرية حتى يرد السؤال وثانيا بانه على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء يعني ليس المراد تفضيل نفس الباقيات على ما تمتع به الكفرة من حيث المنفعة بل في الكلام حذف واضمار والمعنى ان كل واحد من ثواب المؤمنين وعقاب الكفرة وان كان بالغا الى ما هو غاية الكمال في بابه لكن بلوغ الثواب غايته اريد واكثر من بلوغ العقاب غايته كيف لا وفي الجنة من الضعف والاضعاف ما لا يقادر قدره والنار من عدله تعالى لا يزيد عقاب العاصي على مقدار معصيته والمقصود من بيان حال ثواب المؤمنين ليس تهديد اضدادهم بل هو في نفسه مقصود بالبيان فلا يرد ان يقال هذا الجواب غير مناسب لمقام التهديد مع انه في حيز التمني ايضا ﴿قوله كان لخباب عليه مال فتقاضاه﴾ اي خباب بن الارت قال كنت في الجاهلية اي في حال الجاهلية فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده مال فاتيته اتقاضاه فقال لي الخ ﴿قوله ولما كانت الرؤية﴾ يعني ان الرؤية مجاز عن الاخبار في الاعلام لجامع السببية

اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما متع به الكفرة من النعم المدبجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدآئم كما اشار اليه بقوله (وخير مردا) والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده (افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد او لغة فيه كالعرب والعرب

والاستفهام مجاز عن الامر بجامع الطلب فكأن ارأيت بمعنى اخبر بعد ذلك اى عقيب ذلك من قال أئذا ما مت لسوف
اخرج حيا فانه تعالى حكى اولا قول منكرى الحشر على وجه الانكار عليهم ثم اقام الدليل على صحته ثم قال ارأيت
وعطف قصة هذا الكافر على الحكاية السابقة بقوله او لا يذكر الانسان ثم عدد المنكرين وساق الكلام الى ههنا فحكى
ههنا كلام من قال على سبيل الاستهزاء والطعن فى القول بالبعث لأوتين مالا وولدا ﴿قوله تعالى اطلع﴾
بهمزة واحدة مفتوحة لانها هى همزة الاستفهام وهمزة الافتعال محذوفة فى الوصل ومثله أفترى على الله كذبا
﴿قوله وتألى عليه﴾ اى حلف عليه الجوهرى آلى يولى ايلاء حلف وتألى وائتلى مثله فان قوله لأوتين جواب
قسم محذوف والجملة القسمية فى محل النصب على انها مقول القول ﴿قوله الا باحد هذين الطريقين﴾ وهو
ان يبلغ المرء من شأنه الى ان يرتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار او يتقرب اليه ويأخذ منه عهده بان
يؤتيه فى الآخرة مالا وولدا ﴿قوله فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد﴾ فى اتخذ العهد عند الرحمن صالحا
لوجهه قيل عهده الرحمن وعده التوبة والاكرام واعده عنده وسمى العمل الذى عهد الله عامله بالثواب عهدا
لكونه سببا لنيل عهد الله ﴿قوله سنظهر له﴾ يعنى ان سين التسويف وان دخلت فعل الكتبة التى لا تتأخر
عما يصدر من المكلف من القول والعمل كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان المراد بتسويف
الكتبة تعريف ثبوتها وظهورها على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من ان تقرى بها بدا *
فان قوله لم تلدنى جواب واذا ظرف لما يستقبل من الزمان وليس المراد عدم الولادة فى المستقبل لان الولادة قد
وقعت قبل الانتساب بل المراد ان يتبين ويظهر فى المستقبل انه لم تلده فى الماضى لئيمة وقوله لم تجدى بدا اى فراقا
وخلاصا يقال لابد من كذا اى لا فراق منه يقول اذا انتسبنا وبين كل واحد منا من اتصلت نسبته اليه علمت باعلانه
انى لست بابن لئيمة وظهر لك ما تضطرى الى الاقرار به فاقتصر الشاعر على ذكر الام لان الام اذا كانت من الكرام
فالاب اولى ويجوز ان يريد به التعريض بكون ام المخاطبة لئيمة ﴿قوله او سننتقم منه﴾ على ان يراد بالكتبة
الموقوفة التى هى عبارة عن اثبات العمل فى الصحيفة ما يؤدى ذلك اليه من المجازاة والانتقام على طريق اطلاق اسم
السبب وارادة المسبب ﴿قوله ونطول له من العذاب﴾ على ان يكون المد بمعنى تطويل مدة العذاب والخلود
فيه كما يقال مد الله فى عمره ومده فى عيشه اى امهله وطول له فيكون من المد لا من المدد واشار بقوله ما يستأهله الى
ان قوله من العذاب صفة موصوف محذوف اى نطول له شيأ من العذاب اى نوعا من العذاب يستحقه هذا
الكافر الذى قال لأوتين مالا وولدا ﴿قوله او نزيد عذابه﴾ على ان يكون قوله مدا من المدد وتضعيف العذاب
كما قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فان مده وامده يستعملان بمعنى واحد اى زاده وألحق به ما يقويه ويقال
مد الجيش اذا ألحق به المدد ﴿قوله تعالى ونرثه ما يقول﴾ يجوز ان يكون الضمير فيه فى محل النصب بنزع
الخافض فيكون ما يقول مفعولا به والتقدير ونرث منه ما يقول اى مسمى ما يقوله ومدلوله لا نفس قوله ويجوز
ان يكون ضمير نرثه مفعولا صريحا وما يقول بدلا منه بدل اشتمال فالمعنى نرث ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه
ويأتينا فردا فقد سلب منه ما كان له فى الدنيا من علاقة الابوة والمالية وهذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه
حلنا بينه وبين ان يقول ويأتينا فردا غير قائل به ثم انه تعالى لما بالغ فى تحقيق الحشر والنشر والرد على
من انكرهما شرع بعده فى الرد على عباد الاصنام فقال واتخذوا من دون الله آلهة والمراد بالفردية الانقطاع عنهما
فى العاقبة بالكلية ولا شك ان مثل هذه الفردية لا يحصل الا للكافر والا فالمؤمن والكافر سواء عند البعث
فى كونهما منفردين عن المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة ثم يتفاوتون بعد ذلك
فالمؤمن يلاقى احبابه واولاده وما اشتهاه والكافر يحال بينه وبين ما يشتهيه ويفرد عنه ابدا ﴿قوله سيجحد
الآلهة الى قوله او سينكر الكفرة﴾ يعنى ان ضمير يكفرون يجوز ان يرجع الى الآلهة لانه اقرب مذكور وقيل انه تعالى
يحيى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرأوا منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ويجوز ان يرجع الى
المشركين وقوله بعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان عاد الضمير المجرور فيه الى المشركين العابدين والى المفعول ان
عاد الى الآلهة وضمير يكونون يتعين ان يكون للآلهة على تقدير ان يفسر الضد بضد العز وكذا على تقدير ان يفسر
بالعون لان ما يكون ذلا على التضاد المشركين وما يكون عونا فى عذابهم هم الآلهة والعاون قد يسمى ضدا لانه
يضاد العدو وينافيه باعانته عليه واما ان فسر الضد بالكفر وترك العبادة فضمير يكونون حينئذ يكون للمشركين

(ويكون)

(أطلع الغيب) أقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) او اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه (كلا) ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه (سنكتب ما يقول) سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * اى تبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (ونمد له من العذاب مدا) ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (ونرثه) بموته (ما يقول) يعنى المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون عليهم ضدا) يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اى ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها

ويكون عليهم بمعنى اعدآئهم وصدًّا خبر بعد خبر والمعنى ويكون المشركون اعدآء الآلهة ويكفرون بهم بعد ان كانوا يعبدونها فقول المصنف او جعل الواو للكفرة قسيم لجملة قوله ويؤيد الاوّل اذا فسر الضدّ الخ ﴿قوله وتوحيده﴾ جواب عما يقال كيف افرد قوله ضدًّا مع انه خبر عن جمع • وتقرير الجواب انهم وان كانوا اضدادا فى نفس الامر الا انهم كشئ واحد من حيث اشتراك الجميع فى المعنى الذى به مضادتهم فلذلك جعلوا ضدًّا واحدا ونظيره انه عليه الصلاة والسلام جعل المؤمنين مع كثرتهم يدا واحدة لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وموافقتهم فجعلهم كشئ واحد لذلك واوّل الحديث • المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم • قوله عليه الصلاة والسلام تتكافأ دماؤهم اى يتساوون فى القصاص والديات والكفؤ النظير والمساوى وقوله وهم يد على من سواهم اى هم مجتمعون على اعدآئهم لايسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا على جميع الاديان كأنه جعل ايديهم يدا واحدة وفعلهم فعلا واحدا ونظيره احعل الفساق يدا يدا اى فرّق بينهم فان افردت اليد فى مقام الجمع دل على الاتفاق والاجتماع وان جمعت اريد الشتات والافتراق ﴿قوله وقرئ كلا﴾ بفتح الكاف والتنوين على انها كلا التى للردع والتنوين الذى فيه للترنم وهذا التنوين يلحق آخر الابيات والانصاف المصرّعة ويلحق الفعل والاسم المعرّف باللام قال

• اقلى اللوم عاذل والعتابن • وقولى ان اصبت لقد اصابن •

الاصل لقد اصابا والعتابا باشباع فتحة الباء للوزن ثم قلب الاشباع نونا وهذا التنوين فى الحقيقة لترك الترنم لانه انما يؤتى به اشعارا بترك الترنم وذلك لان الالف والواو والياء فى القوافى تصلح للترنم لانها من المدّ فيبدل منها التنوين اذا قصد الاشعار بترك الترنم لخلوّ التنوين من المدّ فيجوز ان يكون تنوين كلا من التنوين الذى لترك الترنم وان يكون تنوين التنكير ومثل هذا التنوين يسمى التنوين النائب مناب حرف الاطلاق على ان يكون كلا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كأنه تعالى لما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا قال تعالى ردًّا عليهم كل هذا الرأى كلا وتكون هذه الجملة مستأنفة ويكون قوله سيكفرون استئنافا آخر ﴿قوله وكلا﴾ اى وقرئ كلا بضم الكاف والتنوين على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المعمول لان المراد من سيكفرون انكار الآلهة وكل ما نسب المشركون اليها من الشفاعة والنصرة والابعاد من النار الدال عليه ليكونوا لهم عزا فلذلك قدر الناصب سيجحدون لكونه مناسبا له ثم انه تعالى لما ذكر حال المشركين مع الاصنام فى الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين فى الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الآية قيل فى تفسير ارسلناهم سلطناهم اى قيضناهم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وهما فى المعنى واحد لانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيضوا وقرن بعضهم ببعض • قال الامام احتج الاصحاب بهذه الآية على انه تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت فلانا على فلان موضوع لافادة انه سلطه عليه لارادة ان يستولى عليه قال عليه افضل الصلاة والسلام قل باسم الله وارسل كلبك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يفيد ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ويتأكد هذا بقوله تعالى تؤزهم أزا فان معناه لتؤزهم ازا ويتأكد هذا بقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم ثم قال لايجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية لانه تعالى كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بين الصالحين من عباده وبينهم ثم انه تعالى خص الكافر بانه ارسل الشياطين عليه فلابد لتخصيص الكافر بما ذكر من فائدة زائدة ههنا ولابد ان يكون من الله تعالى معنى فى الكفار ليس ذلك المعنى فى المؤمنين ومعنى فى المؤمنين ليس ذلك المعنى فى الكفار وهو انه تعالى لما علم من المؤمنين الرغبة فى الاجابة وفقهم لذلك وهداهم ولما علم من الكفار اباءهم لما ذكر سلطهم عليهم والأز والهز والاستفزاز اخوات معناها التهييج وشدة الازعاج ﴿قوله فانه لم يبق لهم﴾ اى لم يبق بينك وبين ما تطلبه من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة والعدّ كناية عن سرعة تقضى آجالهم وقلة ايامهم عدًّا لان الكثير بما يستر عدّه لكثرته ﴿قوله تعالى يوم نحشر﴾ منصوب باضمار اذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدًّا او بما بعده من قوله لايملكون الشفاعة قال ابن عباس هم الذين اتقوا بطاعته واجتناب معاصيه وقوله تعالى الى الرحمن اى الى جنته ودار كرامته ويدل عليه ما ذكر بعده وهو قوله ونسوق المجرمين الى جهنم لانه مقابله ﴿قوله ولعله لان مساق الكلام فى هذه السورة لتعداد نعمه

وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله • أقلى اللوم عاذل والعتابن • او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم (الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين) بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء (تؤزهم أزا) تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة (فلا تعجل عليهم) بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعد لهم) ايام آجالهم (عدًّا) والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة (يوم نحشر المتقين) نجمعهم (الى الرحمن) الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها

(وفدا) واقدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما يساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء (لا يملكون الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم (لقد جئتم شيأ ادا) على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والادّ بالفتح والكسر العظيم المنكر والادّة الشدّة وأدّنى الامر وآدنى اثقلني وعظم على (تكاد السموات) قرأ نافع والكسائى بالياء (يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف (وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا) تهد هدّا او مهدودة او لانها تهد اى تكسر وهو تقرير لكونه ادّا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او لان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها

الجسام ﴿ فدل بذكر اسمه الرحمن على انه انما نعمهم متفضلا ورحمة لعباده وذكر مع عند شرح احوال الكافرين بيانا لسوء حالهم وتعكيسهم لما ينبغى فان حق من تفرد بانعام اصول النعم وفروعها ان يختص بعبادته التعظيم والاكرام ولا يشكر غيره وهم به كفروا وضيعوا حقوقه وعبدوا غيره ﴿قوله كما يفد الوفاد على الملوك﴾ اى ركبانا على هيئة حسنة ومحاسن نحو ما عن على رضى الله عنه انه قرأ هذه الآية ثم قال لا والله ما على ارجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربون ابواب الجنة ﴿قوله عطاشا الخ﴾ الورد جمع وارد وهو الذى يسير الى الماء ولما كان العطش لازما للورود صح ارادة عطاشا اى طلابا للماء من لفظ وردا على انه مجاز مرسل بطريق لفظ الملزوم وارادة اللازم ﴿قوله الضمير فيه للعباد﴾ اى لاهل المحشر كلهم واختلف فى ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم والمصنف قدم الاحتمال الاول وقرره على وجهين الاول مبنى على ان يراد بالعهد الايمان وما يترتب عليه من الاعمال التى وعد الله تعالى لصاحبها سعادة الآخرة وكرامتها والمعنى لا يملك احد من اهل المحشر ان يشفع لاحد بشفاعته الا ان يكون الشافع ممن قدم ما اتخذ عند الله بصاحبه الوجاهة عند الله تعالى سماه بالعهد لكون عاملها موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخروية التى من جملتها ان يستأهل صاحبها بسببها الى ان يشفع فى العصاة فقوله على ما وعد الله متعلق بقوله يستعد به ويستأهل والوجه الثانى مبنى على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدى بالباء وهى محذوفة فى الآية كما فى قوله امرتك الخير ﴿قوله ومحله الرفع﴾ اى ومحل قوله تعالى من اتخذ الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين اى على انه بدل من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة على تقدير المضاف فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرر ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب والبدل كقولك ما جاءنى احد الا زيد والا زيدا ﴿قوله وقيل الضمير للمجرمين﴾ عطف على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة شفاعة غيرهم لهم لا شفاعتهم لغيرهم لان المجرم لا يستأهل ان يشفع فى مجرم مثله وقوله بالاسلام عطف بيان لقوله به موضح له اشارة الى ان المجرم يستعد ان يشفع له بمجرد ايمانه وان كان من اصحاب الكبائر فالمعنى المجرمون لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا فيدخل فيه صاحب الكبيرة لانه باقراره واعتقاده بالتوحيد والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق ان يشفع له كما يستحق اصحاب الصغائر لذلك فان كل واحد منهما مجرم موكول امره الى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه تفضلا او بشفاعة الشافعين فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق التعذيب فعلى هذا التأويل تكون الآية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له ومن كان مغفور الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة متعلق على مذهبهم ومما يدل على ان المجرم يستحق الشفاعة بمجرد الايمان والاقرار بالشهادتين ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا انى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا تؤديه الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد طبع الله عليه طابعا ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة هكذا رواية الامام الواحدى فى البسيط والطبع الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه يقال طبع الكتاب وعلى الكتاب طبعا اذا ختمه والطابع بالفتح الخاتم يريد به انه يختم عليه ويوضع كما يصنعه الانسان بما يعز عليه وقال الامام الرازى ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر ﴿قوله الضمير يحتمل الوجهين﴾ يعنى قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون للمجرمين كما يحتملهما ضمير لا يملكون ثم لما رد الله تعالى على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا كما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون فى هذه الآية ﴿قوله مرة﴾ اشارة الى ان بناء التفعل للتكثير نحو تبضع الرجل اى خرج بضعه قليلا قليلا والبضع العرق ووجه التكثير فيه انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموتت البهائم فيكثر ما يطاوعه ضرورة فلذلك كان يتفطرن ابلغ من ينفطرن لان الانفعال مطاوع فطر الثلاثى ولا دلالة فيه على الكثرة والمبالغة ولان بناء التفعل

(ان دعوا للرحمن ولدا) يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي هو مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه (وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يستطيع له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله (ان كل من في السموات والارض) اي مامنهم (الا آتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل (لقد احصاهم) حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته (وعدهم عدا) اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرآئيل احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرآئيل فينادى في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل (فانما يسرناه بلسانك) بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك (لتبشر به المتقين) الصائرين الى التقوى (وتنذر به قوما لدا) اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم (هل تحس منهم من احد) هل تشعر باحد منهم وتراه (او تسمع لهم ركزا) وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع

﴿ سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طه) فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص وقالون عن نافع ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف

لما كان المتكلف دل قوله يتفطرن على ان السموات تشققت وتكلفت في حصول التشقق فيهن من شؤم مقالة هؤلاء الكفرة وليس في بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولا يستفاد منه ما يحصل بالمد والاشقاق يكون ادفع * فان قيل كيف يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى في انفطار السموات وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفها بهم وخرور الجبال واطباقها عليهم * اجيب بان الله تعالى يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال هذه الافاعيل عند صدور هذه الكلمة منهم غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة ويجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض والجبال تكاد تفعل كذلك لو كانت تعقل من فظاعة هذا القول وهدمه لاركان الدين وقواعده وقوله تعالى يتفطرن في محل النصب على انه خبر تكاد وقوله هدا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل لتقاربهما معنى لان الخرور والسقوط والهد الانهدام من قولك هد الحائط يهد هدا وقوله اي تكسر تفسير لقوله تعالى تخر وبيان لوجه انتصاب هدا لا لبيان الاحتياج الى تقدير العامل اذ لا حاجة الى تقدير العامل او مصدر من المتعدي واقع موقع الحال اي مهدودة مهدومة من هدته اذا هدمه اي هدمه وصعصعه والثاني ان يكون مفعولا من اجله اي لانها تهد والهد ليس فعل الجبال اذا بني للفاعل الا انه فعلها اذا بني للمفعول فصح ان يكون مفعولا له واليه اشار بقوله او لانها تهد اي تكسر ﴿ قوله يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام ﴾ اي ويحتمل النصب بنزع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له صريحا لانتفاء شرط النصب وهو اتحاد فاعل الفعل المعلل وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضمارها هو ان المضمر مقدر يصير كالملفوظ به لبقاء اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكلية صورة وحكما ﴿ قوله وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين ﴾ يقال دعوته زيدا بمعنى سميته زيدا او دعوته بمعنى ناديته وهذا معنى غير مراد في هذا المقام وهو ظاهر فلا بد ان يكون دعوا بمعنى سموا الا انه حذف المفعول الاول ليعم كل من سماه المشركون ولدا للرحمن من عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا قال الشاعر

دعتني اخاها بعدما كان بيننا ※ من الفعل مالا يفعل الاخوان

وقد قرئ فيهما بالياء ﴿ قوله ولا يستطيع له ﴾ اي لا يحصل له ولو طلبه فرضا على طريق فرض المحال بمعنى ان ينبغي الشئ مطاوع امو لك بغيت الشئ اي طلبته يقال بغيت الشئ فانبغى كما يقال طلبت الشئ فانطلب ﴿ قوله تعالى ان كل من في السموات والارض ﴾ كلمة من فيه نكرة موصوفة وصفتها الجار بعدها ويجوز ان تكون موصولة واضافة كل اليها لا يأبى كونها موصولة لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المعهود المشخص يجوز ايضا ان يراد به العموم والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كما في قوله * وكل الذي حملتني اتحمل * والفاء في قوله تعالى فانما يسرناه فصيحة تفصح عن مقدر عطفت بها ما بعدها عليه والتقدير بلغ هذا المنزل فانما يسرناه على لسانك بانزاله على لغة العرب او فانما انزلناه بلغتك على ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر ببشاراته المتقين وتنذر اي وتخوف بانذاراته قوما لدا وهو جمع ألد وهو الخصم المجادل بالباطل الآخذ في كل لديد اي جانب من الخصومة ولديدا الوادي جانباه ويجوز ان يكون الضمائر في قوله تعالى يسرناه لتبشر به وتنذر به لهذه السورة الكريمة المشتملة على ذكر التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بتأويل المنزل وان تكون للقرآن كله وضمير قبلهم لهؤلاء القوم اللد وهم اهل مكة هل تحس اي هل تجد وتشاهد من هؤلاء الهالكين من احد ومنهم حال من احد اذ هو في الاصل صفته فلما قدم عليه انقلب حالا ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرئ تسمع بضم التاء وفتح الميم مبنيا للمفعول والركز الصوت الخفي من عيدان يتعلق بفم ويتركب من حروف مثل صوت بارز كز في الارض تم هنا ما يتعلق بسورة مريم عليها السلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين آمين

﴿ سورة طه عليه الصلاة والسلام ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله لاستعلائه ﴾ فيناسبه التفخيم والهاء من المنخفضة فيناسبها الامالة والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك اطبقت او لم تطبق والانخفاض بخلافه والمستعلية سبعة احرف اربعة منها مطبقة الصاد والضاد والطاء والظاء وثلاثة منها غير مطبقة وهي الغين والخاء والقاف ونسبة الاستعلاء الى الحرف مجاز فان الاستعلاء بالحقيقة انما يكون للسان لا للحرف والاطباق ان تطبق على مخرج الحرف من اللسان ما حاذاه من الحنك والانفتاح بخلافه

وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل اصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لاقدس الله اخلاق الملاعين * ضعيف

لجواز ان يكون قسما كقوله حم لاينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت من يطأ الفا كقوله * لاهناك المرتع * ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيارجل او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مؤول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ماانزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به (الا تذكرة) لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لايتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف او القرآن او المفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة (لمن يخشى) لمن فى قلبه خشية ورقة تتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به

﴿قوله على لغة عك﴾ وهى قبيلة باليمن الجوهرى عك بن عدنان اخو معد وهو اليوم فى اليمن ولم يرض المصنف بهذا القول حيث حكاه بقوله وقيل ثم قال فان صح الخ اى احتاج فى توجيهه الى التكلف البعيد فان ابدال حرف النداء بلفظ ها والاقتصار على ها التنبيه من هذا بعيد غير معهود فى لسان العرب وان سلم انه معهود فى لغة عك فلا يخلو من البعد فان خطابه تعالى نبيه القرشى بلغة غير قريش بعيد ومعنى البيت ان السفاهة ياهؤلاء فى خلائقكم وهو جمع خليقة بمعنى الطبيعة لاقدس الله اى لاطهر الله طبائعكم فانكم ملاعين فوضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ﴿قوله وقرئ طه﴾ اى على وزن هب باسقاط الالف بعد الطاء والهاء الساكنة على انه امر له عليه الصلاة والسلام بان يطأ الارض بقدميه معا ولا يقوم قائما يتعب به كل التعب لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما انزل عليه الوحى اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى تهجده لطول قيامه فى الصلاة وكان يصلى الليل كله فكان يقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى اذا طال القيام ثم قيل انه مأخوذ من يطأ وكان اصله طأ كما اخذ دع من يدع فقلبت همزته هاء كما قالوا اياك فى اياك وهرقت فى ارقت فالهاء فى طه ليست هاء السكت على هذا بل مبدلة من لام الفعل وقيل قلبت الهمزة فى يطأ الفا كما قلبت فى لاهناك المرتع اصله لاهنأك ولما كان قلب الهمزة المتحركة الفا نادرا اورد له مثالا فاذا بنى منه الامر يكون ط كما يكون الامر من يرى ر ثم الحق به هاء السكت فصار طه كما يقال قه وره ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على الوجه الثانى وهو ان يكون طه بسكون الهاء مأخوذا من يطأ بعد قلب همزته الفا يحتمل ان يكون اصله بالتنبيه طاها فانه يجاز قلب الهمزة المتحركة الفا فى يطأ كان قلب الساكنة اولى فقلبت فصار طه الآن نقوش الكتابة لما كانت دلائل الالفاظ وجب ان تكون هيئة الخط مشتملة على ما يدل على كل واحد من الحروف الملفوظة وجب ان يكون الرسم حينئذ طاها بالفين من صورتين سوا قيل ان اصله طأها او باهذا وعلى تقدير كون طه من اسماء الحروف كتبت على صورة الحرفين الذين هما مسميا طاها لا على صورة اسميهما لمعنى يختص باسامى الحروف وهو ما ذكره صاحب الكشاف فى اول سورة البقرة وهو قوله الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء ويقع فى الكتابة الحروف انفسها حملت على تلك المشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح انتهى كلامه ومن المعلوم ان التلفظ بالاسماء ورسم اسم المسميات امر مخصوص بحروف التهجى لايجرى فى الكلمات المبدلة ﴿قوله او اكتفى﴾ عطف على قوله على انه امر اى او على انه ليس بامر بل هما من اسماء حروف التهجى كما فى القرآن المشهورة واصله طاها فاكتفى من الاسم الاول وهو طا بحرفه الاول ومن الاسم الثانى وهو ها بحرفه الاول ايضا فصار طه ثم سكن الهاء لاجل الوقف فصار طه ﴿قوله ومنه اشقى من رائض المهر﴾ اى اتعب من يعمل المهر وهو ولد الفرس صالحا للركوب بان تزول منه الصعوبة وينقاد لصاحبه وفى ذلك العمل مشقة وتعب لرائض ولذلك يضرب به المثل ﴿قوله ولعله عدل اليه﴾ جواب عما قال الشقاء وان شاع فى معنى التعب الا انه فى الاصل مقابل لسعادة فلو ذكر التعب هنا لتوهم خلاف المراد وهو سعادة الدارين فاختياره هنا دون ذلك لدفع هذا التوهم والله اعلم فتأمل اى فلو ذكره هنا لتوهم خلاف المراد بالتكتة فى اختياره ﴿قوله ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين﴾ اى جنسى التذكرة والشقاوة فانهما مختلفان غاية الاختلاف فان احداهما ليست هى عين الاخرى ولا بعضها ولا مشتملة عليها فلا يتصور جعل التذكرة بدل كل ولا بعض ولا اشتمال من الشقاوة ضرورة ان ما يقوم مقام الشئ يجب ان يكون بينهما مجانسة بوجه ما فى مناسبة ما ولو كانت بدلا منها لكانت بدل الغلط وهو لايصدر عن تصدو روية فلا يوجد فى كلام بليغ فضلا عن ان يوجد فى كلامه تعالى ﴿قوله فان الفعل الواحد لايتعدى الى علتين﴾ فان انزلنا تعدى الى مفعول له وهو لتشقى فلا يتعدى الى آخر من جنسه الا بالبدلية او العطف وفيه بحث وهو ان ما ذكره انما يدل على عدم جواز كونه مفعولا له لنفس انزلنا مع قطع النظر عن كونه معللا بالعلة الاولى ولا يبرهن ان لايكون مفعولا له لانزلنا معللا لجواز ان يكون الانزال المعلل بالشقاء معللا بالتذكرة بطريق الحصر بالنفى والاستثناء بان لايكون مجيئ اداة النفى لنفى علية التعب للانزال بل انما جيئ بها لتستفاد منه الانزال المعلل بتعب الخاطب ليست الا الموعظة وتذكير الاحكام على طريق قولك ماضربت غلامى للتأديب الا معذرة الودى فلا حاجة الى ان يجعل لتشقى متعلقا بمحذوف كما قيل وليس فيه ايضا تعدية الفعل الواحد الى علتين كما لا تصاب تنزيلا اربعة اوجه الاول ان يكون منصوبا باضمار فعله اى نزل تنزيلا والثانى ان يكون مفعولا له لقوله

يخشى اى انزلناه تذكرة لمن يخشى تنزيل الله تعالى و الثالث انتصابه على المدح و الاختصاص و الرابع انتصابه على انه بدل من تذكرة على ان يكون مصدرا و اقعا موقع الحال فيكون تنزيلا مصدرا بمعنى المفعول اى ما انزلناه الا مذكرا منزلا فيكون منزلا بدل الكل من مذكرا لكونهما متحدين ذاتا ﴿ قوله او معنى ﴾ اى على تقدير كونه منصوبا على الاستثناء المنقطع فان جعل تذكرة مفعولا له على احد الوجهين و جعل تنزيلا بدلا منه يكون المعنى ما انزلنا القرآن الا تنزيلا و هو تعليل الشئ بنفسه ان جعل الانزال و التنزيل بمعنى واحد و بنوعه ان جعل التنزيل عبارة عن الانزال على التدريج فانه نوع من مطلق الانزال ﴿ قوله بعرض تعظيم المنزل ﴾ اى باظهار مايدل على تعظيمه * الجوهرى عرضت الشئ فاعرض اى اظهرته فظهر وهو من النوادر قال تعالى و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فالمراد اى ابرزناها حتى نظر اليها الكفار فنظم القرآن المنزل بذكر مايدل على عظمة منزله ترغيبا فى تدبره و العمل بمدلوله * فان قيل لم عطف الجمع على المفرد فى قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات مع ان الاولى رعاية التطابق بين المعطوف و المعطوف عليه * اجيب بان الالف و اللام اذا دخل فى اسم غير علم مفردا كان او جمعا يصرف التعريف الى الجنس اذا لم يمكن حمله على المعهود وان امكن فلا ولا وجه لحمل تعريف السموات على الآحاد المعدودة فتعين صرفه الى الجنس فليس فى الكلام عطف الجمع على المفرد بل فيه عطف الجنس على الجنس وفيه رعاية التطابق ﴿ قوله ثم اشار الى وجه احداث الكائنات ﴾ يبين وجه ارتباط قوله تعالى الرحمن على العرش استوى بقوله خلق الارض و السموات و جعل قوله الرحمن على العرش استئنافا لبيان طريق خلق ماذكره وقوله بان قصد العرش متعلق بقوله احداث الكائنات وتدبير امرها على طريق الشرع وهو يشعر بانه حمل العرش على الذى تحمله الملائكة و يحفون حوله وحمل الاستوآء على العرش على القصد اليه الا انه عدى بعلى لتضمنه معنى الاستيلاء و الظهور كما قيل فى قوله تعالى ثم استوى الى السماء معناه ثم قصد و اشار الى وجه تخصيص العرش بالذكر مع ان الاستيلاء حاصل بالنسبة الى جميع الكائنات بقوله بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و انزل منه الاسباب و القصد المسند الى الله تعالى ليس المراد به حقيقة القصد لانه اسم للارادة باعتبار الحدوث وارادته تعالى منزهة عنه بل هو استعارة تبعية شبه خلق السماء بعد خلق ماذكر قبله بمباشرة الخلق فعلا بعد فعل آخر فانها تكون مسبوقة بالقصد الحادث فيعرض تعلق الارادة الازلية بخلق السماء بالاستوآء بمعنى القصد فاشتق منه لفظ استوى وفى الصحاح المساواة بين الشيئين المعادلة بينهما تقول سويت الشئ فاستوى اى عدلته فاعتدل و استوى على ظهر دابته اى استعلى واستقر عليه واستوى الى السماء اى قصد و استوى على كذا ظهر قال الشاعر

* قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق *

انتهى وقد تمسك المشبهة بهذه الآية فى اثبات معبودهم جالس مستقر على العرش و هو باطل بالعقل و النقل واختلف اهل الحق فى تأويل هذه الآية فقال بعضهم انا نقطع بان الله تعالى منزه عن المكان و الجهة و انه تعالى لم يرد من الاستوآء الجلوس و الاستقرار بل مراده به شئ آخر الا انا لانشتغل بتعيين ذلك المراد خوفا من الخطأ وقال البعض الآخر لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستوآء على معنى الاستقرار لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشئ الواحد منزها عن المكان وحاصلا فيه معا ولا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع النقيضين معا وهو باطل ولا الى ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل النقل فانه مالم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع و علمه و قدرته و بعثه الرسول لم يثبت النقل فالقدح فى العقل لاجل تصحيح النقل يقتضى القدح فى العقل و النقل معا فلم يبق الا ان نقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل ثم انهم اختلفوا فى تأويله فقال بعض العلماء المراد من الاستوآء الاستيلاء و الاقتدار كما فى قول الشاعر قد استوى بشر على العراق * و المراد من العرش هو الذى تحمله الملائكة * وقال صاحب الكشاف العرش سرير الملك و الاستيلاء عليه كناية عن الملك لانه من توابع الملك وروادفه فانه يقال استوى فلان على العرش قصدا للاخبار عنه بانه ملك وان لم يقعد على العرش البتة و التعبير عن الشئ بطريق الكناية ابلغ و اوقع من الايضاح بذكره لانك مع الكناية كمدعى الشئ بالبينة ﴿ قوله ليدل بذلك على كمال قدرته ﴾ فان مافى السموات من الملك و النجم و غيرهما ومافى الارض من المعدن و النبات و الحيوان و الانسان و مابينهما من العناصر و ماتحت الثرى

(تنزيلا) نصب باضمار فعله او بيخشى او عل...
المدح او البدل من تذكرة ان جعل حا...
وان جعل معمولا له لفظا او معنى فلا لا...
الشئ لايعلل نفسه ولا بنوعه (ممن خلق
الارض والسموات العلى) مع مابعد...
الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأ...
المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعال...
وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل
فبدأ بخلق الارض والسموات التى هي
اصول العالم وقدّم الارض لانها اقرب ال...
الحس واظهر عنده من السموات العلى
وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار ال...
وجه احداث الكائنات وتدبير امرها با...
قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقاد...
وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقاد...
حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئ...
فقال (الرحمن على العرش استوى ...
مافى السموات وما فى الارض وما بينه...
وماتحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدر...
وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارا...
وهى لاتنفك من العلم عقب ذلك باحاط...
علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها ...
سوآء فقال

(وان تجهر بالقول فانه يعلم السرّ واخفى) اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنيّ عن جهرك فانه يعلم السرّ واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتقرير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرّع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بيّن انه المتفرّد بها والتوحد مقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن في ممن خلق الارض صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة التفنن في الكلام وتفخيم المنزّل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرآئيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجرّ صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتدآء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها (وهل أتاك حديث موسى) قفّى تمهيد نبوّته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوّة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدآئد فان هذه السورة من اوآئل ما نزل (اذ رأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليه الصلاة والسلام في الخروج الى امّه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا (فقال لاهله امكثوا) اقيموا بمكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيه (اني آنست نارا) ابصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به (لعلي آتيكم منها بقبس) بشعلة من النار وقيل جمرة (او اجد على النار هدى) هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين من افكار الابرار مانة اليا في كل ما يس لهم

عما لا يعلمه الا الله اذا كانت خلقا وملكا تحت قدرته وامره لا يمتنع شيء منه عن نفاذ قدرته وارادته فيه دل ذلك على كمال قدرته وارادته ❊ فان قيل الثرى هو السطح الاخير من العالم ولا يكون تحته شيء فكيف يكون لله تعالى ما تحته اجاب الامام عنه بان الثرى في اللغة التراب الندي فيحتمل ان يكون تحته شيء وهو اما الثور او الحوت او الصخرة او البحر او الهواء على اختلاف الروايات فقوله وما تحت الثرى معناه وما تحت الارض لان ظاهر الارض تراب جاف وما هو اسفل منه فهو تراب مبتل وهو الثرى اي يعلم ما تحت الارض عما بطن فيها كما يعلم ما ظهر منها وما بينها وبين السماء ومن السدي ما تحت الثرى هو الصخرة التي تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون اراد الثرى الذي تحت الصخرة التي على الثور الذي تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم احد ما فوق السدرة الا هو قيل السدرة شجرة في السماء السابعة عن يمين الجنة عروقها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تظل امة من الامم تغشاها الملائكة كانهم فراش من ذهب عليها الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه الصلاة والسلام في وسطها ﴿قوله اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك﴾ جواب ما يقال ان قوله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى جزاء الشرط ومن شرط الجزاء ان يكون مسببا عن الشرط وعلمه تعالى بشيء ما ليس مسببا عن شيء من الممكنات فكيف يكون مسببا عن جهر المخاطب بالقول ❊ وتقرير الجواب ان جزاء الشرط لا يكون الا جملة والمشروط المسبب عن الشرط قد يكون نفس مضمون تلك الجملة التي هي وقوع نسبة تلك الجملة اولا وقوعها كما في قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرّا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون المشروط اعلام المخاطب بمضمون تلك الجملة لا نفس مضمونها كما في قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فان الشرط فيه وهو استقرار النعمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله تعالى بل هو سبب للاخبار بانها من الله وما نحن فيه من هذا القبيل فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزآء بل هو سبب للاعلام به فمعنى هذا الظاهر ان يقول فاعلم انه يعلم السرّ واخفى الا انه عدل عنه الى ما اختاره للاشارة الى ان ما هو جزآء حقيقة حذف في الآية واقيم مقامه ما يدل عليه فان علم السرّ والاخفى مستلزم للغنى عن الجهر وتحقق الملزوم دليل على تحقق اللازم فلذلك اطلق الملزوم واريد اللازم ﴿قوله وهو ضمير النفس﴾ اي المراد بالاخفى ما تضمره النفس ولم تظهره لاحد لا سرّا ولا جهرا والسرّ ما اسررته الى غيرك والجهر ما ترفع به صوتك ﴿قوله قفى تمهيد نبوته بقصة موسى﴾ اي اتبع الله تعالى ما ذكر تمهيدا لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية قصة موسى عليه الصلاة والسلام يقال قفوت فلانا اي اتبعته وقفيته فلانا اي اتبعته اياه يريد به ان قوله وهل اتاك حديث الى آخر الآية جملة معطوفة على قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى على طريق عطف القصة على القصة ليكون بمثاله وحملا على الاقتدآء بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل اعباء النبوّة فان هذه السورة من اوآئل ما نزل فاحتيج فيها الى ارشاد طريق التبليغ وتقوية قلبه وتسليته عما ناله من عناد المعاندين والمعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاساة العتاة من اعدآء الاسلام ومقابلتهم وغير ذلك كما انزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام التوراة وقوله تعالى وهل اتاك يحتمل ان يكون اوّل ما اخبر الله تعالى به من امر موسى عليه الصلاة والسلام فيكون الاستفهام في هل اتاك للانكار اي لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وهذا قول الكلبي ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام تقريرا فكأنه قال أليس قد اتاك ﴿قوله في ليلة شاتية﴾ اي ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا اي اقمت به الشتاء ﴿قوله مثلجة﴾ اي ذات ثلج وفي الكشاف فاقتدح فصلد زنده اي صوّت ولم يخرج نارا يقال صلد الزند يصلد بالكسر صلودا اذا صوّت ولم يخرج نارا قيل كان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا غيورا لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلذلك اخطأ الطريق ﴿قوله بشعلة من النار﴾ اي بشيء فيه لهب مقتبس من معظم النار وقيل القبس الجمرة الغير المشتعلة يقال قبست منه نارا في رأس عود او فتيلة او غيرها قال اكثر المفسرين ان الذي رآه موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن نارا بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا فلما دنا منه رأى شجرة خضرآء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدّة ضوء تلك النار وشدّة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة

تغير صوت النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما قال الامام والصحيح انه رأى نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لايجوز على الانبياء ﴿ قوله ولما كان حصولهما ﴾ اى حصول الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين ومتوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع فقال لعلي ولم يقطع بان يقول اني آتيكم لئلا يعد مالم يتيقن الوفاء به والنكتة فيه احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته حيث لم يقل آتيكم بل قال لعلي آتيكم وانما قال او اجد على النار هدى لان النار قلما تخلو من اهلها وناس عندها ﴿ قوله كما قال سيبويه في مررت بزيد ﴾ تأكيد لقوله او مستعلون المكان القريب منها فانه جعل الصوق بمكان يقرب من النار بمثابة استعلاء نفس النار ﴿ قوله قيل انه لما نودي قال من المتكلم ﴾ قال وهب لما نودي موسى اجاب سريعا وهو لايدرى من دعاه فقال انى اسمع كلامك ولاارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لاينبغي الا لربه فايقن بان المنادي هوالله تعالى وايضا لما سمعه من جميع الجهات بحيث لايتصور سماعه من بعض الجهات على سماعه من الجهات الاخر علم بذلك انه ليس بكلام المخلوقين وعلم بذلك انه سمع ذلك الكلام وانه لما رأى النار في الشجرة الخضراء بحيث لاتضر خضرة الشجرة ورأى خضرتها بحيث لاتطفئ تلك النار وكل واحد من هذه الامور لايقدر عليه احد الا الله علم بذلك علما استدلاليا ان ماسمعه كلام الله تعالى وقال اصحابنا يجوز ان يخلق الله له علما ضروريا بذلك ومنع المعتزلة ذلك وقالوا لوحصل العلم الضروري بكون هذا النداء كلام الله تعالى لحصل العلم الضروري بوجود الصانع لاستحالة ان يكون الصفة معلومة بالضرورة وتكون الذات معلومة بالاستدلال ولو حصل العلم الضروري بوجود الصانع لخرج موسى عن كونه مكلفا لان حصول العلم الضروري ينافي التكليف وقد علم قطعا انه عليه الصلاة والسلام لم يخرج عن التكليف فعلمنا ان الله تعالى عرفه ذلك بان نصب له من الدلائل مايدل عليه ﴿ قوله وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه ﴾ اى كلامه القديم الذي ليس من جنس الحروف والاصوات وذلك لان الكلام لايتلقف منه تعالى تلقفا حسيا لان الحاسة الجسمانية لاتتلقف الكلام القديم القائم بذات الله تعالى وانما تتلقف تلقفا روحانيا وهو ان يلهم الله تعالى به من خصه بكلامه بشرا كان او ملكا والمعتزلة لما انكروا وجود ذلك الكلام قالوا انه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها لان صريح القرآن دل على ان الله تعالى ناداه وكلمه ولا كلام له سوى مايلتقف بالحاسة الجسمانية وذلك الكلام حادث فيمتنع ان يقوم بذاته تعالى فلا جرم يكون نداؤه تعالى عبارة عن خلقه اياه في جسم وانه تعالى قادر عليه يفعله متى شاء واهل السنة لما اثبتوا الكلام النفسي الازلي قالوا انه تعالى اسمعه ذلك الكلام اسماعا روحانيا معنويا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما قال عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء دل على ان ذلك الكلام تمثل لبدنه ﴿ قوله وقيل معناه فرغ قلبك ﴾ يعني مال اهل الاشارة الى ان النعل في النوم يعبر بالزوجة فيكون قوله فاخلع نعليك اشارة الى ان لايلتفت بخاطره الى اهله وماله وان لايبقى مشغول القلب بامرهما ﴿ قوله والمقدس يحتمل المعنيين ﴾ وهما طهارة القلب عن العلائق وطهارة القلب عما ينافي التواضع والادب يعني ان قوله تعالى انك بالواد المقدس يصلح ان يكون تعليلا لقوله تعالى فاخلع نعليك على كل واحد من الاحتمالات المذكورة في وجه الامر ﴿ قوله بتأويل المكان ﴾ فان طوى يكون منصرفا على تقدير ان يأول بالمكان اذ ليس فيه حينئذ سوى العلمية وان اول بالبقعة كان غير منصرف للتأنيث والعلمية فلا يدخله التنوين حينئذ فابن عامر والكوفيون قرأوا طوى بضم الطاء والتنوين والباقون بضمها من غير تنوين وقرئ بكسر الطاء منونا وبكسرها غير منون فان كان اسما فهو نظير صب وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى وعن الحسن البصري انه بمعنى الثني بالكسر والقصر والثني المكرر مرتين فيكون المعنى على هذه القرآءة انه طهر مرتين فيكون منصوبا بصفة المقدس لانه بمعناه كأنه قيل المقدس مرتين من التقديس او منصوبا بلفظ نودي قال الجوهري قال بعضهم طوى بالضم مثل طوى بالكسر وهو الشئ المثنى وقالوا في قوله تعالى بالواد المقدس طوى اى قدس مرتين ﴿ قوله تعالى وانا اخترتك ﴾ عطف على قوله انا ربك اى نودي وقيل انى انا ربك وانا اخترتك وقرأ حمزة وانا اخترناك بفتح الهمزة وبضمير المتكلم المعظم نفسه عطفا على قوله انى انا ربك فان قوله انى هنا بهمزة مفتوحة على تقدير الباء اى بانى لان النداء يوصل بها تقول ناديته بكذا

ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على
الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك
حققه لهم ان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى
الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون
عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب
منه (فلما اتاها) اى النار وجد نارا بيضاء تتقد
في شجرة خضراء (نودي ياموسى انى انا ربك)
فتحه ابن كثير وابو عمرو اى بانى وكسره
الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه
وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه
لما نودي قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس
اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا
عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات
وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه
الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا
روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى
الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة (فاخلع نعليك) امر بذلك لان
الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف
حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد
حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من
الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل
للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين
(طوى) عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر
والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى
من الطي مصدر لنودي او المقدس اى نودي
نداءين او قدس مرتين (وانا اخترتك)
اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك
(فاستمع لما يوحى) للذي يوحى اليك او للوحى

فعمت همزة ما عطف عليه ايضا وجوّز ابو البقاء ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع قال الواحدي ويجوز وانا اخترناك بالكسر ولم يقرأ به وقال شهاب الدين وقرأ السلمي والاعمش وابن هرمز وانا اخترناك بكسر الهمزة ﴿قوله واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين﴾ بان يكون الكلام من باب التنازع بين اخترناك وبين استمع كأنه قيل اخترناك لما يوحى واستمع لما يوحى والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة في المفعول كما في ردف لكم ﴿قوله دال على انه﴾ اي ان ما يوحى مقصور على تقرير التوحيد والامر بالعبادة ووجه الدلالة ان البدل هو المقصود بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للمبدل منه ﴿قوله وهي تذكر المعبود﴾ فقوله لذكري من اضافة المصدر الى مفعوله اي اقمها لتذكرني وتكون ذاكرا لي فان ذكر الله تعالى عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والاركان فكأنه قيل اقم الصلاة لتكون ملابستها ذاكرا لي ويكون من قبيل اضافة المصدر الى فاعله على تقدير ان يكون المعنى لاني ذكرتها في كل كتاب ولم اخل منها شريعة وامرت بها كل امة وكذا على تقدير ان يكون المعنى لان اذكرك بالمدح والثناء كما قيل في تفسير قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله لعبده اكبر من ذكر العبد اياه والفرق بينهما ان المذكور على الاول هو الصلاة وعلى الثاني هو العبد ﴿قوله لاوقات ذكري﴾ على ان تكون اللام في قوله تعالى لذكري لام التاريخ بمعنى في كما في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي اي قدمت الخيرات او الطاعات في اوقات حياتي في الدنيا ولام التاريخ لا تدخل الا على الوقت شهرا او مقدرا فلذلك قال لاوقات ذكري اي صلاتي ﴿قوله او لذكر صلاتي﴾ اما على تقدير المضاف او على ان يكون المضاف ذكر الله مجازا من ذكر الصلاة على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان ذكر الصلاة سبب لذكر الله تعالى فيكون المعنى اقم الصلاة اذا ذكرتها بعد نسيانها اي ان نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها وقد نقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدي اقم الصلاة لذكري معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها او لم تكن وهذا قول عامة المفسرين وروى ذلك مرفوعا وذكر باسناد عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي عليه الصلاة والسلام قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غيره وقرأ اقم الصلاة لذكري رواه مسلم قال المصنف في هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما انه لا يكفرها غير قضائها والآخر انه لا يلزمه في نسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة في ترك صوم رمضان من غير عذر وكما تلزم المحرم اذا ترك شيأ من نسكه فدية من دم او طعام وليس عليه الا ان يصلي ما ترك فقط قال ابو حنيفة من فاته صلوات يجب الترتيب في قضائها ما لم تزد على صلاة يوم وليلة واحتج عليه بقوله تعالى اقم الصلاة لذكري اي لتذكرها واللام بمعنى عند كما في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اي عند دلوكها فمعنى الآية اقم الصلاة المتذكرة عند تذكرها وذلك يقتضي رعاية الترتيب كذا ذكره الامام وقوله تعالى ان الساعة آتية كالتعليل للامر بالعبادة واقامة الصلوات واعلام بان القيامة التي هي موعد جزاء الاعمال آتية وان كل امرئ يجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿قوله اريد اخفاء وقتها﴾ كاد وان كان موضوعا للمقاربة الا انه من الله تعالى للتحقيق والوجوب والمعنى انا اخفي وقتها عن الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت كما ان عسى في قوله تعالى قل عسى ان يكون قريبا للقطع بقربه اي هو قريب وقيل المراد اخفاء نفس وقوعها والمعنى اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الله تعالى للعباد لما اخبرت به وقيل المعنى اكاد اخفي الساعة واتيانها واخفي احوال الجنة ونعيمها واحوال النار وعذاب جحيمها لئلا تكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهي كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقولها كاد اخفيها على ان تكون همزة اخفيها للازالة والسلب اي ازيل خفاءها نحو اعجمت الكتاب اي ازلت عجمته واشكيته اي ازلت شكواه والمعنى انها تحقق وقوعها وقربها كاد اظهرها واقرب اظهارها كما قال تعالى اقتربت الساعة وان اقتضت الحكمة تأخرها برهة من الزمان وقرئ اخفيها بفتح الهمزة من خفاه يخفيه اذا اظهره ﴿قوله من تصديق الساعة﴾ على ان ضمير عنها للساعة والمراد التصديق باتيانها فيكون ضميرين لا يؤمن بها ايضا للساعة وعلى تقدير ان يكون ضمير عنها للصلاة يكون ضمير بها للساعة والمعنى لا يصدنك عن الصلاة من لا يؤمن بالساعة والاول اولى لان الاصل في الضمير ان يرجع الى اقرب مذكور وهو الساعة ومن جعل ضمير عنها للصلاة نظر الى انها هي المقصودة بالذكر وقوله تعالى ان الساعة آتية انما ذكر على وجه التعليل للامر بها ﴿قوله فان صد الكافر انما يكون بسبب صده فيه﴾ اي في دينه علة لكون نظم الآية مبنيا على انه ينبغي

(ان يكون)

واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين (انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني) بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل (واقم الصلاة لذكري) خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهي تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة او لذكر صلاتي لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية) كائنة لا محالة (اكاد اخفيها) اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بفتح من خفاه اذا اظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة او عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت وحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه

ان يكون ثابتا قويا فى دينه يعنى ان ضعف الرجل فى دينه لما كان سببا لصد الكافر اياه عن دينه كأنه نهى الكافر عن الصد المسبب عن الضعف تنبيها و دليلا على نهى الرجل عن الضعف الذى هو سبب لصد الكافر فكأنه قيل لا تكونن رخوا ضعيفا فى امر دينك فيصدك عنه الكافر فالآية من قبيل قولهم لا ارينك ههنا فان المتكلم نهى نفسه عن ان يرى المخاطب واراد النهى عن ان يحضر عنده ويكون بمرءاه فذكر المسبب الذى هو ان يرى المخاطب واراد السبب وهو ان يحضر المخاطب عنده واشار الى ان النكتة فى العدول الى المجاز التنبيه على انه لا يصد عن الحق بنفسه وان سلامة فطرته محمله على ترجيح الحق واختياره وان موضع الاحتياط ليس الا ما يأتيه من الصد الخارجى ﴿قوله استفهام يتضمن استيقاظا﴾ يعنى ان حقيقة الاستفهام ممتنعة فى حقه تعالى فوجب ان يكون الاستفهام الواقع فى كلامه تعالى لحكمة وهى ههنا ايقاظ السامع وتنبيهه على معظم مايخترعه ويتدعه فى الخشبة اليابسة فانه عليه الصلاة والسلام لما سئل وما تلك بيمينك اجاب عنها بانها قطعة خشبة يابسة لا تصلح الا لما يصلح له امثالها متقرر شأنها وحقارتها فاذا اظهر الله تعالى منها تلك الآيات العظيمة كانقلابها حية عظيمة ونحوها ظهر كمال قدرة الله تعالى بتقدير المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتقرر فى قلبه بمشاهدة هذه المعجزة الباهرة انه تعالى ينصره ولا يخذله بين يدى الاعداء وما فى قوله تعالى وما تلك بيمينك استفهامية مبتدأ وتلك خبرها وبيمينك متعلق بمحذوف منصوب على انه حال عامله معنى الاشارة فى تلك كقوله هذا بعلى شيخا والتقدير ماهى قارة او مأخوذة بيمينك وجوز الزمخشرى ان تكون تلك موصولة بمعنى التى وبيمينك صلتها اى ما التى التبست بيمينك وهذا ليس مذهب البصريين فانهم لم يجعلوا شيأ من اسماء الاشارة موصولا الا كلمة ذا واما الكوفيون فيجوزون ذلك فى جميعها ولم يقل بيدك لاحتمال ان يكون فى يده اليسار شئ من الخاتم ونحوه فلو ابهل اليد لحصل الالتباس فى الجواب ﴿قوله على لغة هذيل﴾ فانهم ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه لمكان الالف فعملوها الى الياء لكونها اخت الكسرة وادغموها فى ياء المتكلم فقالوا عصى وبشرى والتوكؤ على العصا الاتكاء عليها سواء كان حال المشى او حال الوقوف على رأس الماشية ويقال هش الورق اذا خبطه اى ضربه بالعصا ليسقط والهشاشة الارتياح والخفة للمعروف وشئ هش وهشيش اى رخو لين وهش الخبز يهش بكسر الهاء اى صار هشا ﴿قوله وقرئ اهش﴾ اى بكسر الهاء قيل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف اى اهش الورق او الشجر اى اضرب بها اوراق الشجر او اغصانها ليسقط ورقها على غنمى لتأكله وقرئ اهس بضم الهاء والسين المهملة وهو السوق والزجر ﴿قوله انحى﴾ يقال انحى عليه بالسوط اذا رفعه موهما ضربه والمراد ما يفعله الرعاة لاغنامهم ﴿قوله علق بها ادواته﴾ الادوات جمع اداة وهى الآلة كالقوس والكنانة والحلاب ونحوها وفى اكثر النسخ اداوته وهى المطهرة وتجمع على اداوى على وزن مطايا ﴿قوله وعرض الزندين﴾ اى وضعهما على شعبتى العصا عرضا من قولهم عرضت العود على الاناء والزند العود الذى تقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان وفى المثل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كذا فى الصحاح والعرض والاناء مأرية واحدة للاستظلال * روى عن وهب انه قال كانت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ذات شعبتين ومحجن فاذا طالت الشجرة حناها بالمحجن واذا حاول شيأ لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق فيها ادواته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان فى البرية ركزها وألقى كساءه عليها فكان ظلا وفيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عدوه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت وتغصنت واثمرت وكانت تحمل زاده وسقاءه فتماشيه ويركزها فينبع الماء من تحتها فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام وقوله وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم الخ جواب عما يقال لما قال هى عصاى تم الجواب لانه سئل عما تلك من حقيقة ما فى يده وماهيته الموجودة فلما قال هى عصاى تم الجواب فلم ذكر منافعها مفصلا ومجملا وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام فهم ان هذا السؤال لا للاستفهام لانه تعالى منزه عن ذلك بل المقصود منه ان يذكر ويستحضر حقيقتها وما يعلم من منافعها وقوله علم ان ذلك آيات باهرة جواب اذا فى قوله حتى اذا رآها وقوله فذكر حقيقتها عطف على قوله فهم ان المقصود وقوله قيل لما القاها جواب عما يقال كيف ذكر الذى انقلب اليه العصا بالفاظ مختلفة وهى الحية والثعبان والجان فان الحية وان كان اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير الا ان الجان والثعبان متنافيان فان الثعبان اكبر ما يكون من الحيات والجان الحية الصغيرة الخفيفة

(واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصده (وما تلك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك (ياموسى) تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه (قال هى عصاى) وقرئ عصى على لغة هذيل (اتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع (واهش بها على غنمى) واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها (ولى فيها مآرب اخرى) حاجات اخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه (قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى) قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان (قال خذها ولا تخف) فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها

(سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران (تخرج بيضاء) كانها مشعة (من غير سوء) من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه (آية اخرى) معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او معمول باضمار خذ او دونك (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها (اذهب الى فرعون) بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة (انه طغى) عصى وتكبر (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري) لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره

السريعة الحركة والسعي المشي بسرعة وخفة حركة قيل انها لما القاها فاذا هي اعظم ثعبان نظر اليه الناظرون تمشي سريعة ولها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا لها وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتبتلعها وتطعن بنابها في اصل الشجرة العظيمة فتأكلها وتهز ويسمع لها صريف عظيم فلما رأى موسى ذلك اخذه من الفزع ما يأخذ البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب فعند ذلك قال أما تستحيي من ربك يكلمك وتهرب بفزعهم ولعل الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الزمان وهو اول زمان الوحي وتحمل الرسالة ان يشاهد انقلابها اولا ويزول ما يطرأ للطبيعة البشرية من الخوف والفزع الحاصل بمعاينة مثل ذلك حتى لا يطرأ عليه الخوف بمشاهدة ذلك عند فرعون ﴿قوله تجوز بها للطريقة﴾ يعني ان بناء السيرة في الاصل لنوع من السير ثم اتسع فيها فعبر بها عن المذهب والهيئة مطلقا وذكر اولا ان سيرتها منصوب على انه مفعول به غير صريح اى سنعيدها الى سيرتها الاولى وثانيا انه مفعول به صريح على انه مفعول ثان لقوله نعيد لان عاد لما كان متعديا الى واحد عدي بالهمزة الى ثان وثالثا انه ظرف اى سنعيدها في الهيئة التي كانت عليها قبل ورابعا انه مفعول مطلق لفعله المقدر فعلى هذا الوجه يكون انقلاب الحية عصا مفهوما من مجرد قوله سنعيدها لان المعنى حينئذ سنعيد العصا بعد ما ذهبت وبطلت صورة العصا فيها بانقلابها الى صورة الحية وقوله تسير سيرتها الاولى له معنى زائد على انقلاب الحية عصا وهو ان تعود المنافع العائدة بانقلاب العصا حية بخلاف الوجوه الاخر فان انقلاب الحية عصا انما يفهم من مجموع قوله سنعيدها سيرتها الاولى اى على تلك الوجوه ﴿قوله قيل لما قال له ربه ذلك﴾ اى لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه الى ان ادخل يده في فم الحية واخذ بلحييها فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها فيه اذا اتكأ والمراد ادخاله يده في فم الحية واخذه بلحييها من غير ان يتضرر به معجزة وانقلاب العصا حية معجزة اخرى فهما توالي معجزات مع الآيات التي تقدمت ﴿قوله لانه يجنحهما﴾ اى يميلهما كما قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴿قوله كانها مشعة﴾ اى ذات شعاع والمراد بمعنى ضم اليد الى الجناح ما قال في آية اخرى وادخل يدك في جيبك وروي انه عليه الصلاة والسلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر او اشد ضوءا ثم اذا ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول بلا نور وبريق واتفق المفسرون على ان السوء كناية عن البرص فانه ابغض شيء الى العرب ولهم منه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مابجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا يصرح باسمه وقوله من غير سوء يجوز ان يتعلق ببيضاء لكونها صفة مشبهة فيها معنى الفعل كانه قال تبيض من غير سوء ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في بيضاء ﴿قوله اى دللنا بها او فعلنا ذلك﴾ نشر على ترتيب قوله او بما دل عليه الآية او القصة اى خذ هذه الآية بعد الآية التي هي قلب العصا حية او دللنا بها او فعلنا ما فعلنا بك من ندائك واسماع كلامي اياك واختيارك للنبوة واظهار المعجزة القاهرة لنريك بعض آياتنا الكبرى او لنريك الآية الكبرى حال كونها من آياتنا على ان يكون الكبرى مفعولا ثانيا لنريك ومن آياتنا حال منها وعلى الاول يكون المفعول الثاني وهو ضعيف لانه ليس في اليد الا تغير اللون اما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عودها بعد ذلك عصا كما كانت فهي اعظم قطعا فلابد ان يكون المعنى خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك فلا دلالة على كون اليد كبرى بالنسبة الى العصا ثم انه تعالى لما اظهر له هذه الآيات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك بانه طغى اى جاوز حد العبودية بدعوى الربوبية ثم جاوز المعنى الحد في تلك المجاوزة حيث لم يقنع بدعوى المشاركة فيها حتى قال انا ربكم الاعلى روي عن وهب انه قال قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام اسمع لما يوحى من كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جبة سلطاني تستكمل بها القوة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة والعهد الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره من نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يطرف ولا يتنفس

وانشرح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة ل
ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر
الصدر والامر تأكيد او مبالغة (واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي) فانما يحسن
التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمر
ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فأخذ
لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت
آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها
في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل
احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها
فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال
الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف
في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك
بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج
بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد
يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل
عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام
ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر
ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان
يكون صلة احلل (واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي) يعينني على ما كلفتني به واشتقاق
الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن
اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير
يعتصم برأيه ويلجأ اليه في اموره ومنه
الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت
همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا
اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به
ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف
بيان للوزير او وزيرا ومن اهلي ولي تبيين
كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على
الوجوه بدل من هرون او مبتدأ خبره
(اشدد به ازري واشركه في امري) على
لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على
انهما جواب الامر (كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا) فان التعاون يهيج الرغبات
ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده (انك كنت
بنا بصيرا) عالما باحوالنا وان التعاون مما
يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به
(قال قد اوتيت سؤلك يا موسى) اي مسؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والمأكول (ولقد مننا عليك مرة اخرى)
اي انعمنا عليك في وقت آخر (اذ اوحينا
الى امك) بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم

الاعلى فكلمه كلاما طويلا قال فمكث موسى عليه الصلاة والسلام سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري الآية ﴿قوله ويفسح قلبه﴾ اشارة الى ان المراد بالصدر القلب كما في قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان قد يراد به العضو الذي فيه القلب كما في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان المراد بشرح القلب توسيعه حتى لا يضيق بمدافعة المعاندين وجدالهم ولا يخاف من شوكتهم وكثرتهم ويجترئ على مخاطبة فرعون ومكافحته فانه تعالى اذا وسع قلبه وعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده وايضا سأل الله تعالى ان يوسع قلبه ليفهم ما ينزل عليه من الوحي كأنه قال رب اشرح لي صدري لافهم عنك ما انزلت علي من الوحي ﴿قوله وفائدة لي﴾ جواب عما يقال ما فائدة لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري مع ان الكلام يستقيم بدونه وتقرير الجواب انه ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر المشروح والميسر وهما الصدر والامر فكان الرفع بعد الابهام تأكيدا لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على التصريح بالمراد ابتداء لان الرفع بعد الابهام تكرار للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل ﴿قوله ولعل تبيض يده كان لذلك﴾ اي لكونها سبب خلاص موسى من ان يقتله فرعون او لكونها آلة لاخذ لحيته فرعون ونتفها ﴿قوله كقلبها في موازر﴾ اصله مؤازر قلبت همزته واوا لانضمام ما قبلها فصار موازر وقد ثبت في الازر ايضا وان لم ينضم ما قبلها حملا للنظير على النظير فانهما اخوان في المعنى فيكون كل واحد منهما نظيرا للآخر من حيث المعنى وحملا على المضارع وهو يوازر ﴿قوله ومفعولا اجعل﴾ مبتدأ اضيف فيه التثنية الى لفظ اجعل وقوله وزيرا وهرون خبره ووجه العناية بالمفعول الثاني ان المقصود الاهم طلب الوزير ﴿قوله ولي صلة﴾ اي يجوز ان يكون قوله لي صلة لفعل الجعل متعلقا به ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا لانه في الاصل صفة لوزيرا فلما قدم عليه انتصب حالا ﴿قوله او لي وزيرا﴾ عطف على قوله وزيرا وهرون اي يجوز ان يكون مفعولا اجعل قوله لي وزيرا فيكون الثاني مقدما على المفعول الاول وهو وزيرا ومن اهلي يجوز ان يكون صفة لوزيرا او ان يتعلق باجعل ﴿قوله وهرون عطف بيان الوزير﴾ فيه ان عطف البيان يشترط فيه التوافق بينه وبين متبوعه تعريفا وتنكيرا وقوله وزيرا نكرة فكيف يكون هرون عطف بيان له والظاهر ان يجعل هرون بدلا من وزيرا ﴿قوله او وزيرا ومن اهلي﴾ اي يجوز ان يكون مفعولاه وزيرا من اهلي فيكون وزيرا مفعولا اولا ومن اهلي مفعولا ثانيا وفيه ان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية منهما وانت لو ابتدأت بوزيرا واخبرت عنه بقولك من اهلي لم يجز اذ لا مسوغ للابتداء به ﴿قوله وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر﴾ فانه قرأ اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على معنى الخبر عن نفسه اي انا افعل ذلك وجزم كل واحد من الفعلين على انهما جواب الامر وان قرئ اشدد على لفظ الامر يكون المعنى قو به ظهري واجعله شريكا لي في امر الرسالة ﴿قوله اي انعمنا عليك﴾ يعني انه من قولهم من عليه بمعنى انعم عليه لا من قولهم من عليه منة بمعنى امتن عليه لان المنة تهدم الصنيعة والمقام مقام التعطف بناء على انه تعالى راعى مصلحته قبل من غير ان يسألها موسى فكيف لا يعطيه مراده بعد السؤال والمعنى مننا عليك الآن بايتائك سؤلك وقد سلفت لنا منن عليك اخرى ﴿قوله في وقت آخر﴾ اشارة الى ان مرة ظرف منا اي منا عليك في وقت آخر في مرة والمرة واحدة المر الذي هو مصدر قوله مر يمر مرا ومرورا اي ذهب فكأنه قيل لم قال مرة اخرى مع انه تعالى ذكر مننا كثيرة فاجيب بانه ليس المراد مرة واحدة من المن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير والمنن المذكورة ههنا ثمان الاولى قوله اذ أوحينا الى امك ما يوحى والثانية قوله وألقيت عليك محبة والثالثة قوله ولتصنع على عيني والرابعة قوله اذ تمشي اختك والخامسة قوله تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم والسادسة قوله وفتناك فتونا والسابعة قوله فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى والثامنة قوله واصطنعتك لنفسي ﴿قوله بالهام او في منام﴾ يعني ان المراد من هذا الوحي ليس هو الوحي الواصل الى الانبياء لان ام موسى ما كانت من الانبياء فان المرأة لا تصلح للامارة والقضاء فكيف تصلح للنبوة ويدل عليه قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فلذلك اختلف في المراد من هذا الوحي على وجوه احدها ان ام موسى رأت رؤيا تأويلها وضع موسى عليه الصلاة والسلام في التابوت وقذفه في البحر وان الله يرده اليها وثانيها ان المراد بالوحي الالهام بان اوقع الله تعالى في قلبها

مرضعة جازمة على ان تلقيه فى التابوت ثم تقذف التابوت فى اليم وهو نيل مصر فى قول جميع المفسرين فان اليم يقع
على البحر والنهر العظيم وثالثها ان المراد بالوحى اليها انه تعالى اوحى ذلك الى بعض الانبياء المبعوث فى ذلك الزمان
كشعيب عليه الصلاة والسلام او غيره ثم ان ذلك النبى عرّفها مااوحى اليه اما مشافهة او مراسلة ورابعها انه
تعالى بعث اليها ملكا لاعلى وجه النبوة بل على طريق بعث جبريل الى مريم فى قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا وبلغ ذلك الملك اليها مااوحى اليه ﴿قوله ولا يخل به﴾ بضم الياء وفتح الخاء من اخل الفارس
بمركبه اذا ترك موضعه الذى عينه له الامير وقوله لعظم شأنه تعليل لقوله لايعلم الا بالوحى ﴿قوله وفرط الاهتمام
به﴾ تعليل لقوله ينبغى ان يوحى على طريق اللف والنشر المرتب وان فى قوله ان اقذفيه يحتمل ان تكون مصدرية
ومفسرة والمراد بقذفه فى التابوت جعله فيه كما فى قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ﴿قوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا﴾ تمامه سيمياء لاتشق على البصر فقوله غلام اى هو غلام ورماه الله صفة غلام اى هو غلام حصل
الله فيه الحسن ووضعه فيه ويافعا اى شابا واليافع من اليفاع وهو ماارتفع من الارض وايفع الغلام اى ارتفع
فهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر والسيمياء العلامة والمراد بها هنا الحسن وقوله لايشق على البصر اى يفرح
به من ينظر اليه ولا يمل من تكرار النظر اليه لكونه فى غاية الحسن ﴿قوله لما كان القاء البحر اياه الى الساحل﴾
جواب عما يقال جعل الله البحر مأمورا بامتثال امره مع ان الامر لايكون الا للمميز العاقل والبحر ليس كذلك وتقرير
الجواب ان قوله فليلقه اليم وان كان امرا صورة الا ان معناه الخبر اى ان تفعل ماامرت به يلقه اليم بالساحل لتعلق
ارادتى بذلك واخرج الكلام على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية حيث شبه اليم فى النفس بمأمور ذى تمييز
امره آمر مطاع بالالقاء من حيث كون القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول كحصول المأمور به من
المأمور المطيع وجعل امر اليم بقوله فليلقه اليم قرينة التشبيه المضمر وفائدة اخراج الكلام على هذه الصورة
التأكيد والمبالغة فى حصول الالقاء ﴿قوله والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى عليه الصلاة والسلام﴾
لانه لو جعل ضمير ان اقذفيه ويأخذه وعدو له لموسى وضمير فاقذفيه وفليلقه اليم للتابوت لزم تفكيك الضمائر
وتنافر النظم فان قيل المقذوف فى البحر وكذا الملقى الى الساحل هو التابوت فقلنا نعم ان المقذوف بالذات والملقى
بالذات هو التابوت الا ان موسى عليه الصلاة والسلام مقذوف وملقى بالتبع لكونه فى جوف التابوت فينبغى
ان يجعل ضمير فاقذفيه وفليلقه اليم ايضا لموسى حتى لاتفترق الضمائر ولما كان فليلقه اليم امرا من حيث اللفظ
انجزم جوابه فى قوله يأخذه ﴿قوله اولان الاول﴾ وهو كون فرعون عدوا لله تعالى حال اخذه
موسى لكفره بالله تعالى وعتوه امر واقع حينئذ وكونه عدوا لموسى عليه الصلاة والسلام حينئذ غير واقع
لان موسى فى ذلك الوقت لم يكن بحيث يعاديه احد بل هو بحيث يؤول امره الى المعاداة فعدو لو قيل يأخذه
عدو لى وله لفهم ان عداوته لموسى من قبل عداوته لله تعالى ﴿قوله ثم قيره﴾ اى طلته بالقير وهو الزفت
﴿قوله وكان يشرع﴾ اى يدخل من اليم يقال شرعت الدواب فى الماء شرعا وشروعا اى دخلت
﴿قوله اصبح الناس﴾ اى اكثرهم صباحة اى بهجة يقال صبح الصبى صباحة فهو صبيح اى جميل حسن
﴿قوله اى محبة كائنة منى﴾ على ان منى ظرف مستقر متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اى محبة حاصلة منى
وعلى الثانى يكون ظرفا لغوا متعلقا بألقيت وعلى التقديرين كلمة من ابتدائية والفرق بين الاحتمالين ان الملقى
على الاحتمال الاول محبة الناس اياه لكن لما كانت المحبة حاصلة واقعة بتخليق الله تعالى من حيث انه تعالى ركزها
فى القلوب وصفها بقوله كائنة منى فلذلك احبه عدو الله فرعون وكل من ابصره وعلى الاحتمال الثانى يكون
الملقى بالذات هو محبة الله تعالى واما محبة الخلق اياه فانها نشأت وتفرعت عن محبة الله تعالى اياه واليه اشار بقوله
اى احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب وقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض
﴿قوله وظاهر اللفظ﴾ جواب عما يقال ان ماقيل مخالف لما يفهم من ظاهر لفظ القرآن فان ظاهره يدل على
ان اليم ألقاه بساحله وان موسى عليه الصلاة والسلام التقط من الساحل لامن البركة وان ماقيل يدل على ان ام
موسى ألقته فى اليم فقذفه اليم الى النهر المتشعب منه الشارع الى بستان فرعون فاداه النهر الى بركة فى البستان
فاخذ من البركة لامن الساحل واشار الى وجه التوفيق بينهما بان حمل لفظ القرآن على ان معناه ألقاه اليم بساحل

(مااوحى) مالايعلم الا بالوحى او مماينبغى
ان يوحى ولايخل به لعظم شأنه وفرط
الاهتمام به (أن اقذفيه فى التابوت) بان
اقذفيه او اى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول
(فاقذفيه فى اليم) القذف يقال للالقاء
وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم
الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا (فليلقه اليم بالساحل) لما كان
القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب
الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه
ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب
مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها
لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر
والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات
فموسى بالعرض (يأخذه عدو لى وعدو له)
جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة اولان
الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع
قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته
فيه ثم قيرته وألقته فى اليم وكان يشرع منه
الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأداه
الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا
على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم
فامر به فأخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح
الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال
(وألقيت عليك محبة منى) اى محبة كائنة
منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لايكاد يصبر
عنك من رآك ولذلك احبك فرعون ويجوز
ان يتعلق منى بألقيت اى احببتك ومن
احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ
ان اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه

فيه فوهة نهر فرعون يجري منه الى البركة ﴿قوله لان الماء يسحله﴾ تعليل لما دل عليه المعنى كأنه قال يرمي الشاطئ ساحلا لان الماء يسحله اي يقشره وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره فان السحل في اللغة القشر يقال قشرت العود وغيره اقشره قشرا اي نزعت عنه قشره والمطرة القاشرة هي التي على وجه الارض ﴿قوله ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك ومراقبك﴾ فسر قوله لتصنع بقوله لتربى ويحسن اليك من قولهم صنع اليه معروفا اذا احسن اليه وفسر قوله على عيني بقوله وانا راعيك اشارة الى انه حال من الضمير المستتر في لتصنع لا صلة له وقوله لتصنع منصوب باضمار ان بعد لام كي وهذه العلة معطوفة على علة مقدرة قبلها والفعل المعلل هو قوله تعالى وألقيت اي ألقيت عليك المحبة اي ليتعطف عليك ولتصنع ويجوز ان تكون هذه اللام متعلقة بمعلل محذوف وجملة المعلل مع علته معطوفة على الجملة السابقة اي ألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني فعلت ذلك والعين مجاز عن الرعاية والحراسة بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الناظر الى الشئ يحرسه عما لا يريد في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه ﴿قوله وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها﴾ على انها ليست لام كي بل هي لام امر الغائب والاصل فيها ان تكون مكسورة ويجوز سكونها بعد الواو والفاء وثم وذلك في القرآن كثير نحو وليوفوا نذورهم وليطوفوا وقرأ العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول ونصب الفعل باضمار ان بعد لام كي وقرئ ولتصنع بالنصب وفتح التاء ﴿قوله ظرف لألقيت او لتصنع﴾ والمعنى على الاول وألقيت عليك محبة مني وقت مشي اختك وعلى الثاني لتربى ويحسن اليك في هذا الوقت وكونه ظرفا لتصنع اولى لان تقييد التربية بزمان مشي اخته صحيح لان التربية انما وقعت زمان مشي اخته وردها الى امه بخلاف القاء المحبة عليه فانه وقع قبل ذلك من اول ما التقطه فرعون فلا وجه لكونه ظرفا لألقيت الا باعتبار الاتساع في زمان المشي ﴿قوله او بدل من اذ أوحينا﴾ والمعنى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ أوحينا الى امك اذ تمشي اختك ﴿قوله على ان المراد بها وقت متسع﴾ جواب لما يقال كيف يكون اذ تمشي اختك بدلا من اذ أوحينا مع ان احد الزمانين غير متحد مع الآخر صدقا بل هما مختلفان متباعدان وليس احدهما بعضا من الآخر ولا مشتملا عليه ايضا واذا اريد بكلمة اذ وقت يسع كل واحد من الفعلين اتحد الزمانان ولا يختلفان الا باعتبار اختلاف الفعل الواقع فيهما فيصح ابدال احدهما من الآخر ومعنى يكفله يضمه اليه ويحضنه ويربيه وتذكير الضمير في يكفله لفظا من وان كان عبارة عن المؤنث ولما التقطه آل فرعون وأحبوه وحرصوا على تربيته عندهم طلبوا امرأة ترضعه وتربيه فلم يقبل ثدي امرأة منهن لان الله تعالى قد حرم عليه المراضع غير امه وجعل ذلك طريقا لرده الى امه فاضطروا الى الاستقصاء في تتبع النساء وبذلك فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما من النيل وانه لا يقبل ثدي كل امرأة يؤتى اليه بها فلما علمت ذلك اخت موسى جاءت اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ﴿قوله ثم قتله﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما قتل القبطي خطأ ووكزه اي ضربه بجمع يده على ذقنه حين استغاثه الاسرائيلي عليه حصل له الغم من وجهين احدهما من عذاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكاه الله تعالى عنه بقوله فأصبح في المدينة خائفا يترقب والآخر من عقاب الله تعالى حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله تعالى من الغمين اما من فرعون فبأن وفقه الله تعالى للمهاجرة الى مدين واما من عقاب الآخرة فبأن غفر الله تعالى له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ﴿قوله وابتليناك ابتلاء﴾ على ان فتونا مصدر كالشكور والجلوس جيء به تأكيدا لفعله كأنه قيل وفتناك فتنا والفتنة الامتحان والاختبار تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته كذا في الصحاح قال صاحب الكواشي وفتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا بما وقعت فيه من المحن وتخليصك منها وقال صاحب الكشاف الفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة سأل سعيد بن جبير ابن عباس عن قوله وفتناك فتونا فقال خلصناك من محنة بعد محنة اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يقتل فيها الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ثم ألقته امه في البحر وهو في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجمرة بدل الدرة ثم قتل قبطيا وخرج الى مدين هاربا خائفا بلا زاد ولا دليل وآجر نفسه عشر سنين مهر الصغرى ابنة شعيب وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول عند ذكر كل واحدة من هذه فهذه فتنة يا ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث والذي في قوله تعالى وفتناك فتونا من ملاحظة

لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يأول الساحل بجنب فوهة نهره (ولتصنع على عيني) ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك ومراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري (اذ تمشي اختك) ظرف لألقيت او لتصنع او بدل من اذ أوحينا على ان المراد بها وقت متسع (فتقول هل ادلكم على من يكفله) وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى امك) وفاء بقولنا انا رادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) هي بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور وبدور في حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد وآجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره

التخليص من المحنة اياها بمعنى فتناك بمعنى خلصناك من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه اوعلى ان يكون
فتناك بمعنى اختبرناك ولم يذكر صلته والتقدير اختبرناك اختبارا بما علك في امرى وتخليصك منها وذلك لانه تعالى
قال له عليه الصلاة والسلام ولقد مننا عليك مرة اخرى ثم عدّ لى وذكر منها قوله وفتناك فتونا ونعمة بمعنى المحنة
ليست من قبيل الانعام الا ان يقال انها لكونها موجبة للثواب من قبيل النعم والمصنف جعل قوله تعالى وفتناك فتونا
اجمالا لما ناله في سفر هجرته من مصر الى مدين ثم جوّز ان يكون اجمالا لما سبق ذكره من وضع امه اياه في التابوت
وقذفه في اليم الى غير ذلك وقدم الاحتمال الاوّل لان عدّ ما ناله الطفل فتنة في حقه لا يخلو عن بعد ﴿قوله قضاء
لأوفى الاجلين﴾ اى الذى خيره شعيب عليهما الصلاة والسلام في قضائه مما شاء مهرا في تزويج بنته اياه قال تعالى
حكاية عنه انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقضى
موسى عليه الصلاة والسلام اوفاهما وهذا صريح في ان موسى لما قضى الاجل المشروط سار باهله الى مصر
ولم يمكث في اهل مدين بعد قضائه ويدل عليه قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله وهو الاجل المشروط
عليه في تزوجه صفوراء بنت شعيب وروى عن وهب انه قال لبث موسى عند شعيب ثمانى وعشرين سنة منها عشر
سنين مهر امرأته والباقى يستكمل الوقت الذى يوحى فيه الى الانبياء بناء على انه جاء مدين وهو ابن ثنتى عشرة سنة
فمكث فيه ثمانى وعشرين سنة ليبلغ سنه اربعين سنة وتقدير الآية وفتناك فتونا فخرجت هاربا الى اهل مدين
فلبثت سنين فيهم ثم جئت من عندهم مستقرا او كائنا على قدر معين فقوله على قدر متعلق بمحذوف منصوب على انه
حال من فاعل جئت ﴿قوله على قدر اوعلى مقدار من السن﴾ اشارة الى ان قوله على قدر لا بد فيه من تقدير
مضاف اليه لان القدر لا يكون الا لامر من الامور اى على قدرى الذى قدرته لان اكلمك او على مقدار من السن فالقدر
على الاوّل عبارة عن تعلق الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص بالاشياء في اوقات
حدوثها وتلك الارادة الازلية هي المسماة بالقضاء وعلى الثانى القدر بمعنى المقدار قال عليه الصلاة والسلام
مابعث الله نبيا الا على رأس اربعين سنة ﴿قوله واصطنعتك لنفسى﴾ اى اخترتك لنفسى لتتصرف على ارادتى
وتشتغل بما امرتك به من اقامة حجتى وتبليغ رسالتى وان تكون في حركاتك وسكناتك لوجهى لا لنفسك
ولا لغيرك والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع اليه معروفا واصطنع فلان لفلان
اتخاذه صنيعا مخلصا اليه بتقريب منزلته وتخصيصه بالتكريم والاجلال من افتعال قال اصطنعتك اصله من
قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان
﴿قوله مثله فيما خوّله﴾ اى اعطاه جواب عما يقال كيف قال لنفسى مع انه تعالى منزه عنه فلا يجوز حمل الكلام
على ظاهره فلذلك حمله على الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال موسى فيما خوّله الله تعالى من التقريب والتكليم
والتكريم بحال من قربه الملك واستخلصه لنفسه ووجه الشبه منتزع من عدة امور فكانت الاستعارة تمثيلية
﴿قوله ولا تنيا﴾ يعنى انه من ونى يني ونيا مثل وعد يعد وعدا بمعنى فتر وقصر والحكمة في هذا التكليف ان من
ذكر جلال الله تعالى وعظمته استصغر غيره فلا يخاف احدا غيره ويتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف في مقصود
﴿قوله وقيل في تبليغ ذكرى﴾ على ان يكون المراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع في كل العبادات وتبليغ
الرسالة من اعظمها قدرا فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روى انه تعالى لما نادى موسى عليه الصلاة
والسلام بالوادى المقدس واعطاه سؤله وارسله الى فرعون انطلق من ذلك الموضع الى فرعون وشيعته الملائكة
يصافحونه وخلف اهله في الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين به حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم
فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز بنو اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه
فبعث بهم شعيب الى موسى بمصر ولما انطلق موسى من الطور الى جانب مصر كان لا علم له بالطريق وليس له زاد
ولا حمولة ولا صحبة شئ الا العصا يظل صائما ويبيت طاويا ويصيب من ثمار الارض ومن الصيد شيئا قليلا حتى ورد
ارض مصر الى تمام الامر ﴿قوله قيل اوحى الى هرون﴾ جواب عما يقال كيف اجتمع مع هرون حتى خاطبهما
بقوله اذهبا الى فرعون روى انه تعالى اوحى الى هرون انه قد بعث أخاه موسى وارسله الى فرعون وقومه وانه جعلك
وزيرا وشريكا له في رسالته فاذا كان يوم السبت لغرة ذى الحجة فاخرج اول طلوع الشمس الى شط النيل فانه الساعة التى
تلتقى انت واخوك فيها واقبل موسى في ذلك الوقت وخرج هرون من عسكر بنى اسرائيل حتى التقيا على شط

(فلبثت سنين فى اهل مدين) لبث فيهم عشر
سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمانى
مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدرته
لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين
ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى
فيه الى الانبياء (ياموسى) كرره عقيب
ماهو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك
(واصطنعتك لنفسى) واصطفيتك لمحبتى
مثله فيما خوّله من الكرامة بمن قربه الملك
واستخلصه لنفسه (اذهب انت واخوك
بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) ولا تفترا
ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (فى ذكرى)
لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى
والدعاء الىّ (اذهبا الى فرعون انه طغى)
امر به اوّلا موسى وحده وههنا اياه واخاه
فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى
موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله

التيل ﴿قوله وقيل عداه﴾ هو تثنية امر الحاضر من وعد يعديعني قيل المراد بالقول اللين ان موسى أتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لايهرم وملكا لاينزع منه الا بالموت وان تبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لايقطع امرا دون هامان وكان غائبا حينئذ فلما قدم اخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورأيا انت رب وتريد ان تكون مربوبا وانت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رأيه وحكى عن عمرو بن دينار انه قال بلغنى ان فرعون عمر اربعمائة سنة وتسع سنين فقال له موسى ان اطعتنى عمرت مثل ما عمرت فاذا مت دخلت الجنة ﴿قوله على رجائكما وطمعكما﴾ يعنى لعل الترجى الا انه بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اى اذهبا وقولا مترجيين وطامعين ملاحظين دون اليأس منه ويستحيل ان يكون ذلك الترجى بالنسبة الى الله تعالى لانه عالم بعواقب الامور ﴿قوله فان الراجى يجتهد﴾ علة لكون الذهاب والقول اللين مقيدين بكونهما فى حال الرجاء دون اليأس يعنى انهما كلفا بالتبليغ على هذا الوجه لانه انفع لهما فى دعائه الى الحق فان الرسل انما يبعثون لان يدعوا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم ﴿قوله والتذكير للمتحقق﴾ اى للمتيقن الحق والجوهرى حققت الامر واحققته ايضا اذا تحققته وصرت منه على يقين وحققت قوله وظنه تحقيقا اى صدقت والمعنى فلولا له ذلك راجيين ان يترك الاصرار على انكار الحق وتكذيبه اما ان يتذكر اى يتعظ ويقبل الحق قلبا وقالبا او بان يتوهم انه حق فيخشى بذلك من ان يصر على الانكار ويبقى مترددا ومتوقفا بين الامرين وذلك خير بالنسبة الى الانكار والاصرار عليه ﴿قوله ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة﴾ فيتعطل المطلوب من الارسال اليه * فان قيل كيف يخاف موسى وقد آتاه الله تعالى سؤله وشرح صدره وشرح الصدر يتا فى حصول الخوف * قلنا الاسلم ذلك لانه قد مر ان السؤال ان يوسع الله قلبه بتحمل أعباء دعوة فرعون الى عبادة الله تعالى والصبر على مشاقه وتلقى ما يوحى اليه على وجه لا يتطرق اليه السهو والتحريف وحصول الشرح بهذا المعنى لا ينافى حصول الخوف من استعجال فرعون فى عقوبتهما قبل اتمام الدعوة واظهار المعجزة وان تفوت الفائدة المطلوبة من ارسالهما اليه من الزام الحجة وقطع المعذرة ونحو ذلك ﴿قوله واطلاقه﴾ اى عدم تقييد قوله او ان يطغى بذكر متعلقه بان يقال او ان يطغى عليك كما ذكر متعلق يفرط وهو علينا فى قوله ان يفرط علينا لان تجريده عن القيد من حسن الادب والتحاشى عن النطق بالقبيح فان المعنى او ان يطغى بالتخطى الى ان يقول بك ما لا ينبغى لجرأته عليك ﴿قوله تعالى لا تخافا﴾ ليس المراد منه النهى عن الخوف لانه من حيث كونه امرا طبيعيا لا مدخل للاختيار فيه لا يدخل تحت التكليف ثبوتا وانتفاء بل المراد التسلى بوعد الحفظ والنصرة فانه ليس المراد من المعية المعية المكانية بل المراد منها ما يلزمها من الحفظ والنصرة كانه قيل انى حافظكما وناصركما ﴿قوله أسمع وارى ما يجرى بينكما وبينه﴾ يعنى ان قوله تعالى اسمع وارى فعلان متعديان لم يذكر مفعولهما وليسا منزلين منزلة اللازم بل قصد تعلقهما بالمفعول الغير المذكور فوجب تقديره على حسب تعيين القرينة ان عاما فعام وان خاصا فخاص والقرينة تقتضى تقدير العام اى أسمع وارى جميع ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل الخ وذلك لان قوله تعالى اسمع وارى ذكر تأكيدا لقوله انى معكما اخبر اولا بانه حافظهما وناصرهما ثم اخبر بانه يسمع ويرى الدلالة على انه يفعل بهما ما يوجب حفظهما ونصرتهما على اتم الوجوه واكملها والحفظ والنصرة انما يتمان ويكملان اذا كان الحافظ والناصر عالما بجميع ما ينال من يراد حفظه وهذا يقتضى ان يقدر المفعول عاما بان يقال اسمع وارى جميع ما يجرى بينكما وبينه ليتم الحفظ ويكمل ويزول خوفهما بالكلية فحذف المفعول قصدا للتعميم مع الاختصار ﴿قوله ويجوز ان لا يقدر شئ﴾ بان ينزل الفعلان منزلة اللازم ولا يقصد تعلقهما بالمفعول فضلا عن عمومه وخصوصه وان يكون القصد الى شأن الحفظ والنصرة والى ما به يتأتيان بسببه من السمع والبصر مع قطع النظر عن تعلقهما بالمسموع والمبصر لانهما انما ذكرا تتميما لقوله انى معكما لكونهما مما يتم به الحفظ والنصرة ولا مدخل فى ذلك الاعتبار لتعلقهما بالمفعول والتتميم ان يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة مثل مفعول او حال او نحوهما مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام لنكتة وهى التحسين فى الكلام وان اوتى بها فى كلام يوهم خلاف المقصود لدفع ذلك الايهام سمى اتيانها تكميلا كقوله

* فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى *

(قوله فقولا له قولا لينا) مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احترازا عما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت (لعله يتذكر او يخشى) متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجى يجتهد والآيس يتكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسى او جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية (او ان يطغى) ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب (قال لا تخافا اننى معكما) بالحفظ والنصرة (اسمع وارى) ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لا يقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ

(فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل) اطلقهم (ولا تعذبهم) بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام ولعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهمّ من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون التدريج فى الدعوة (قد جئناك بآية من ربك) جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشئ مبين (والسلام على من اتبع الهدى) سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم (انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اوّل الامر أهمّ وانجع وبالواقع أليق (قال فمن ربكما ياموسى) اى بعدما أتياه وقالاله ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (قال ربنا الذى اعطى كل شئ) من الانواع (خلقه) صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدّم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه (ثم هدى) ثم عرّفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنىّ القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه فى حدّ ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير الاصرف الكلام عنه

اى تسيل والدعة المطر الذى يدوم يوما وليلة فان قوله غير مفسدها منصوب على انه حال من فاعل سق وهو صوب الربيع اى مطره جئ بها ليدفع مايوهمه قوله سق ديارك امطار الربيع والديم من كونها مخربة للديار فان المطر قد يؤول الى خرابها وعلى هذا الوجه يكون قوله اسمع وارى حالين من المستكن فى قوله تعالى معكما فلذلك قال فى معنى انى حافظكما سامعا مبصرا ﴿ قوله من دعوى الرسالة ﴾ بيان للكلام السابق والمراد بما تضمنه الكلام السابق هو المجئ بالآية فان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى اظهار المعجزة وكانت دعوى الرسالة متضمنة لدعوى بينتها ﴿ قوله لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها ﴾ يعنى ان المراد بقوله بآية جنس ما يكون برهانا لدعوى الرسالة مع قطع النظر عن وحدته وتعدده فلذلك وحدها وقوله سلام الملائكة جعل السلام بمعنى التحية من الملائكة وخزنة الجنة للمهتدين فيكون المقصود من الكلام ترغيب المخاطبين فى الاهتداء بتصديق الرسول واتباع ماجاء به من التكاليف والاحكام وبشارة المهتدين بكونهم من اهل الجنة ثم جوّز ان يكون السلام بمعنى السلامة كالرضاع والرضاعة قال بعض المفسرين قوله والسلام على من اتبع الهدى قول الله تعالى لهما كأنه قال فقولا له انا رسولا ربك وقولا له السلام على من اتبع الهدى وقال آخرون بل كلام الله تعالى تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبلهما لمن آمن وصدّق بالسلامة له من عقوبات الدنيا والآخرة فتكون الجملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب ويكون على بمعنى اللام اى والسلام لمن اتبع الهدى كما ان اللام تكون بمعنى على كما فى قوله تعالى ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اى عليهم اللعنة وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ويكون قوله انا قد اوحى الينا استئنافا للتعليل كأنه قيل السلامة من العذاب للمهتدين لانه اوحى الينا ان العذاب على المكذبين للرسل ﴿ قوله ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ﴾ يعنى ان تعريف العذاب فى قوله تعالى ان العذاب للعهد والمعهود هو العذاب المختص بالمشركين وهو عذاب الخلد فى النار وماوجد فى اكثر النسخ وهو ان عذاب المرتابين اى الشاكين لقبر والنار لا يليق ان ينسب الى المصنف ﴿ قوله ولعل تغيير النظم ﴾ يعنى هذه الجملة ذكرت فى مقابلة قوله والسلام على من اتبع الهدى وكان الظاهر ان تذكر على اسلوب تلك الجملة بان يقال والعذاب على من كذب وتولى بل بأن يقال وعدم السلام عليه لانه هو المقابل للسلامة لكنه صرح بالوعيد وصدّرت الجملة بانّ وجعل مضمون الجملة مما اوحى اليهما لكون التخلية من الرذائل فى اوّل الامر أهمّ بالنسبة الى التحلية بالفضائل كما ان شمة من يعالج البدن مصروفة فى اوّل الامر الى تنقية البدن من فضول الاخلاط ثم الى تقويته بالاغذية الصالحة وهكذا الحال فيمن يعالج النفوس فان اللائق بشأنه الاهتمام بالتخلية اوّلا ﴿ قوله اعطى كل شئ من الانواع ﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل لاعطى وخلقه بمعنى مخلوقه ثانيهما وضمير خلقه لكل شئ والمعنى اعطى كل شئ من انواع المخلوقات مخلوقه الذى هو صورته وشكله المطابق لكمال المودع فيه فالمراد بمخلوق كل شئ المخلوق الذى يختص بذلك الشئ ويناسبه ويليق به ويتم به الغرض الذى خلق لاجله بدل عليه اضافة الخلق الى الشئ ﴿ قوله او اعطى خليقته ﴾ على ان خلقه اوّل المفعولين وكل شئ ثانيهما قدّم على الاوّل لان الغرض منوط بذكر اعطائه كل شئ فلذلك صار المفعول الثانى اهمّ فقدّم على الاوّل والخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله ايضا فالخلق ايضا بمعنى المخلوق الا ان ضمير خلقه يرجع الى الذى وهو الرب تعالى وحينئذ يجب ان يختص كل شئ بما يحتاج اليه المخلوقات وينتفعون به فان الارتفاق هو الانتفاع ﴿ قوله وقيل اعطى كل حيوان نظيره ﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل الا انه خص بالحيوان وخلقه بمعنى مخلوقه هو الثانى وضميره لكل شئ ويراد بمخلوق كل حيوان زوجه ومعنى الاختصاص المستفاد من الاضافة كونه نظيرا له فى الخلقة ﴿ قوله وقرئ خلقه ﴾ اى بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة يحتمل ان يكون فى محل النصب على انها صفة كل او فى محل الجر على انها صفة شئ وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثانى محذوفا اما على وجه الاختصار اعتمادا على دلالة المقام عليه والمعنى اعطى كل شئ خلقه ما يحتاج اليه واما على وجه الاقتصار والمعنى ان كل شئ خلقه الله لم يخله من اعطائه وانعامه واقتصر الامام الواحدى فى البسيط على هذا الوجه ولم يتعرض للاوّل كما اقتصر المصنف على الاوّل ولم يتعرض للثانى ﴿ قوله ولذلك بهت الذى كفر ﴾ لاتفاق العقلاء على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد فى نفسه انه خالق هذه السموات والارضين والشمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فلذلك الحم فرعون ولم يتأتّ له ان يتعرض للدليل الذى اقامه

موسى عليه الصلاة والسلام على وجود الصانع القادر على كل شيء ويدل على كون هذه القضية مسلمة معلومة بالضرورة قول موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فان كلمة الذي تقتضي وصف المعرفة بجملة معلومة الانتساب اليها فلابد وان يكون مضمون الصلة معلوما مسلما عند فرعون الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وزورا وبهتانا ويحتمل ان يكون جاهلا بربه بناء على كونه دهريا قائلا لا صانع سوى الدهر اصلا ويكون ادعاؤه الربوبية لنفسه بمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد له والاعراض عن طاعة غيره ثم ان موسى لما ذكر دليلا ظاهرا وبرهانا باهرا على وجود الاله العليم القادر على كل شيء والجم فرعون من الدخل عليه قال معترضا على موسى فما بال القرون الاولى كقوم نوح وعاد وثمود فان اكثرهم لم يقروا بالله وبما دعوا اليه وانما عبدوا الاوثان فلو كان ما ذكرته من الدليل حقا لوجب على اهل القرون الماضية ان لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد وقال معترضا على موسى هكذا وهو اعتراض فاسد مبني على التقليد المحض غير مستند الى حجة ودليل فلذلك لم يلتفت موسى الى قوله وقال علمها عند ربي ولم يشتغل بغرضي باحوالهم ثم عاد الى تقوية كلامه الاول وابراز سائر الدلائل فقال الذي جعل لكم الارض الآية ﴿ قوله علمها عند ربي ﴾ جملة اسمية وقوله في كتاب متعلق بمحذوف على انه خبر ثان اي علمها مستقر عند ربي مثبت في اللوح المحفوظ اثبته فيه ليكون ما كتب فيه ظاهرا للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة * فان قيل علم الله تعالى صفة قائمة بذاته فكيف يكون مثبتا في كتاب والصفة القائمة بالشيء لا تكون مثبتة في غيره * فالجواب ان المراد باثباته اثبات متعلقاته التي هي الاحكام المعلومة به واشار المصنف الى جوابه بقوله ويجوز ان يكون تمثيلا اي يجوز ان لا يكون المعنى ان علمها مثبت في الكتاب حقيقة بل يكون قوله انه مثبت في الكتاب استعارة تمثيلية شبه تمكن بال القرون الماضية في علمه ببقاء المكتوب في الكتاب فكأنه قيل ان بالها في استقرار علمه عندالله بحيث لا يزول شيء منها من علمه تعالى كالشيء الذي استحفظه العالم وقيده بالكتبة فيكون المقصود بقوله في كتاب تأكيد قوله علمها عند ربي ﴿ قوله ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ قال الظاهر انه استئناف لا محل له من الاعراب جيء به تعليلا لما سبق من استقرار حال القرون الاولى عنده تعالى استقرار الشيء المكتوب في الكتاب ووجه التعليل انه عليه الصلاة والسلام لم يذكر مفعول لا يضل ولا ينسى ليعم الاشياء كلها فلما كان تعالى بحيث لا يضل ولا يخطئ شيأ من الاشياء بحيث لا يهتدي اليه بل كانت بأسرها حاضرة عنده بذواتها لا يغيب عنه شيء منها وما علم من ذلك لا ينساه ابدا ثبت بذلك ان علم احوال القرون الاولى مستقر عنده كأنه في كتاب فيكون انتظام الكلام هكذا ان فرعون طلب بقوله فما بال القرون الاولى تفصيل ما سبق من قوله والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى فأجابه موسى بقوله علمها عند ربي وانها مع ذلك مثبتة في اللوح المحفوظ ايضا لحكمة لا يعلمها الا هو او بقوله علمها عند ربي كأنها في كتاب ثم علل احاطة علمه تعالى بها بقوله لا يضل ربي اي لا يخطئ ربي شيأ من الاشياء بمعنى انه عالم بكل المعلومات وما علم منها لم ينسه ابدا بل يبقى ذلك العلم ابد الآباد وهذا على تقدير كون قوله لا يضل ربي ولا ينسى مستأنفا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان يكون في محل الجر على انه صفة لكتاب والعائد محذوف والتقدير في كتاب لا يضله ربي بحيث لا يهتدي اليه اي لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينساه اي لا ينسى ما فيه يقال ضللت الشيء اضله من باب ضرب وضللت الشيء اضله من باب علم وكلاهما لغتان مشهورتان واللغة الاولى اشهر ﴿ قوله ويجوز ان يكون سؤاله دخلا ﴾ عطف على قوله فلما رأى الاصرف الكلام عنه اي عن السؤال عن ربهما من هو الى ان يسأل عن تفصيل حال الامم الماضية فانه لما سأل عن الاله بقوله فمن ربكما وكان سبيل الجواب عنه الاستدلال على وجوده بما يدل عليه من الآثار التي لا يقدر عليها الا من كان واجب الوجود لذاته مستجمعا لجميع صفات الاجلال والاكرام منزها عن سمات الحدوث والامكان واجاب عليه الصلاة والسلام بالاستدلال عليه بهت الكافر والجم عن الدخل على ما اقامه من الدليل وصرف الكلام الى وجه آخر على كونه خصما غير قادر على الدخل وقيل ما بال القرون الاولى ليس مبنيا على كونه خصما عن الدخل بل اورده على طريق الدخل على قوله عليه الصلاة والسلام ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتقرير الدخل ظاهر من تقرير المصنف ﴿ قوله اي كالمهد تمهدونها ﴾ التعريف فيه للعهد الذهني فلذلك وصف بالجملة كما في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني * ووصفه بها تنبيها على ان المهد وان كان بمعنى الممهود وهو الفروش المبسوط الا

(قال فما بال القرون الاولى) فما حالهم بعد
موتهم من السعادة والشقاوة (قال علمها
عند ربي) اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما
انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به
(في كتاب) مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز
ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه
العالم وقيده بالكتبة ويؤيده (لا يضل ربي
ولا ينسى) والضلال ان تخطئ الشيء
في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب
عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على
العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا
على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه
ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان
ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها
والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي
مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم
وباجزائهم وباحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت
عنده لا يضل ولا ينسى (الذي جعل لكم
الارض مهدا) مرفوع صفة لربي او خبر
لمحذوف او منصوب على المدح قرأ الكوفيون
مهدا اي كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمي به
والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش
او جمع مهد

(وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها (وانزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق (ازواجا) اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان وصفة لازواجا وكذلك (شتى) ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا وارعوا انعامكم) وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية (منها خلقناكم) فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم (وفيها نعيدكم) بالموت وتفكيك الاجزاء (ومنها نخرجكم تارة اخرى) بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها (ولقد اريناه آياتنا) بصرناه اياها او عرفناه صحتها (كلها) تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هى الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه وعدد عليه ما اوتى غيره من المعجزات

انه مخصوص بما بسطه العباد ليقعدوا او يناموا عليه ولذلك كان قوله جعل لكم الارض مهدا من باب التشبيه البليغ والمهد والمهاد واحد من حيث ان المراد بكل واحد منهما ما يمهد ويفرش ولا فرق بينهما الا ان المهد فى الاصل مصدر بمعنى الفرش والبسط سمى به الممهود والمهاد اسم فى الاصل ويجوز ان يكون جمع مهد مثل كعب وكعاب وفرخ وفراخ ﴿قوله وجعل لكم فيها﴾ قال السلك ادخال الشئ فى الشئ فالمعنى ادخل فى الارض لاجلكم طرقا تسلكونها لتبلغوا الى مقاصدكم ﴿قوله عدل به من لفظ الغيبة﴾ يعنى ان قوله فاخرجنا به من كلام موسى لكونه معطوفا على ما قبله والذى قبله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام فينبغى ان يكون ما عطف عليه من كلامه فلما كان من كلامه كان ينبغى ان يكون جاريا على اسلوب ما قبله بأن يقال فاخرج به الا انه عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم بناء على ان موسى سمع هذه الكلمات من الله تعالى بعينها فادرجها فى كلامه محكيا كما هى على طريق الاقتباس ونكتة العدول عن مقتضى الظاهر الى طريق حكاية كلام الله بعينه كون هذا العدول ادل على كمال القدرة والحكمة بالنسبة الى ان يقال فاخرج به وايضا لما كان هذا العدول مشتملا على وضع ضمير الجمع موضع المفرد كما هو عادة الملوك فى التعبير عن انفسهم وعلى وصف النبات الخارج به بالاختلاف والتشتت دل الكلام على انه ملك مطاع تنقاد المخلوقات على اختلافها وتفرقها لارادته ولما عدل موسى الى طريق الحكاية لكلام الله تعالى حكى الله تعالى كلامه لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى ورد من موسى ﴿قوله وعلى هذا نظائره﴾ اى وعلى كون العدول من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم للتنبيه والايذان المذكورين قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله فانبتنا به حدائق بلفظ التكلم بعد التعبير بلفظ الغيبة وان لم يكن العدول الى التكلم فيهما على وجه الحكاية لكلام الله والوجه فى كون العدول الى التكلم فى مثل هذا المقام دالا على كمال القدرة والحكمة ان من اشتهر بالقدرة القاهرة والحماقة الظاهرة اذا قال من جعل كذا فهم منه ان اثر القدرة الباهرة لا يقدر عليه غير المتكلم والامر كذلك هنا فان الماء واحد والارض واحدة والمخرج مختلف الوانها فلا يكون ذلك الا بايجاد قادر مختار لا يمتنع شئ من ارادته ومشيئته ﴿قوله فانه من حيث انه مصدر﴾ جواب ما يقال شتى جمع شتيت فكيف يصح ان يكون صفة لنبات وتقرير الجواب ان النبت والنبات وان سمى بكل واحد منهما النابت الا ان كل واحد منهما مصدر فى الاصل الخ ﴿قوله لذوى العقول﴾ اشارة الى ان النهى جمع نهية كغرفة وغرف وفى الصحاح النهية بالضم واحدة النهى وهى العقول لانها تنهى عن القبيح ﴿قوله واول مواد ابدانكم﴾ فان بنى آدم انما يتولدون من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذاء اما حيوانى او نباتى والحيوان ينتهى الى النبات والنبات انما يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لا ينافى كوننا مخلوقين من النطفة ﴿قوله بصرناه اياها او عرفناه صحتها﴾ يعنى يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى الابصار وان يكون من الرؤية بمعنى المعرفة وعلى التقديرين اذا نقل الى باب الافعال يتعدى الى مفعولين لكن التزم على الوجه الثانى حذف المضاف حيث قال عرفناه صحتها اى او صحة وجه الدلالة فيها ولا ضرورة الى ارتكاب الحذف اذ لو قيل عرفناه آياتنا لاستقام المعنى ولا يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى العلم والا لزم حذف المفعول الثالث من باب اعلم وهو غير جائز والآيات تتناول ما يدل على الوحدانية وما يدل على النبوة فالذى يدل على التوحيد ما ذكر فى هذه السورة من قوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذى جعل لكم الارض مهدا الى قوله وفى سورة الشعراء قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما والذى يدل على صدق مدعى النبوة هى الآيات التسع المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام وهى العصا واليد وفلق البحر والطور والقمل والجراد والضفادع والدم ونتق الجبل واضاف تعالى اراءة الآيات الى نفسه مع ان المظهر لها هو موسى بناء على انه تعالى هو الذى اجراها على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه حيث قال فنفخنا فيه من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام ﴿قوله كلها تأكيد لشمول الانواع﴾ فان الجمع المضاف يفيد الشمول والاستغراق وكلها تأكيد لذلك الشمول والآيات انواع منها ايجاد المعدوم كايجاد الضوء من اليد ومنها اعدام الموجود كاعدام حبال السحرة ومنها تغيير الموجود كقلب العصا حية واعادتها عصا ولما ورد ان يقال ان قوله كلها يفيد العموم والله تعالى ما اراه جميع الآيات لان من الآيات ما اظهرها على يد الانبياء الذين كانوا قبل موسى والذين كانوا بعده اجاب عنه اولا بان التعريف الحاصل باضافة الآيات للعهد والمعهود الآيات التسع المختصة بموسى

عليه الصلاة والسلام فيكون كلها شمول تلك الآيات وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام اراه الآيات المصنفة به واخبره بآيات غيره من الانبياء اجمالا وتفصيلا وما اخبر به فكأنه اراه لانه نبي صادق لافرق بين ما يخبر عنه وبين ما يراه عيانا وفيه بعد لان الاخبار بالشيء لايسمى اراءة الا بمجاز بعيد الا ان يجعل الاراءة بمعنى التعريف ﴿ قوله فكذب موسى وابى الايمان والطاعة ﴾ حذف مفعول كل واحد من كذب وابى اختصارا لكونه معلوما بدلالة المقام عليه ﴿ قوله فان الاخلاف لايلائم الزمان ﴾ علة لتفسير الموعد بالمصدر يعني ان الموعد اما زمان او مكان او مصدر والاولان باطلان فتعين الثالث اما بطلانهما فلان قوله لانخلفه صفة لموعدا فلو كان اسم زمان او مكان لزم ان يتعلق الاخلاف بالزمان او المكان والاخلاف انما يتعلق بالوعد لا بالزمان والمكان يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه او مكانه والجعل ههنا بمعنى التصيير وموعدا معمول اول والظرف هو الثاني والجملة التي هي لانخلفه نحن ولا انت صفة لموعدا ونحن تأكيد مصحح لعطف على الضمير المرفوع المستتر في نخلفه ومكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر كانه قيل اجعل بيننا وبينك وعدا ثم قيل عدنا مكانه ﴿ قوله لانه ﴾ اي لايجوز انتصاب مكانا بنفس المصدر لانه وصف قبل العمل بقوله لانخلفه والمصدر اذا وصف قبل العمل لايعمل عند الجمهور لان معمول المصدر من تتمته ولا يوصف الشيء الا بعد تمامه ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اي على تقدير ان ينتصب مكانا سوى بكونه بدلا من موعدا بان يقدر مكان مضاف الى موعدا يكون سؤال فرعون بقوله اجعل بيننا وبينك موعدا طباق جواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة ولما ورد ان يقال انه ليس بمطابق لمسئول فرعون لان الموعد المذكور في الجواب بمعنى زمان الوعد والا لما صح ان يخبر عنه بقوله يوم الزينة فقوله زمان وعدكم يوم الزينة كيف يطابق قول فرعون اجعل بيننا وبينك مكان وعده ذكر المصنف في وجه صحة المطابقة احتمالين الاول ان الجواب وان لم يطابق السؤال لفظا الا انه يطابقه من حيث المعنى لانه عليه الصلاة والسلام لما اجابه بتعيين زمان الوعد بانه يوم الزينة فقد اجابه بتعيين مكانه ايضا لانهم لابد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فالجواب بتعيين زمان الوعد بيان لمكانه ايضا كما اذا قلت لصاحبك اين اراك فقال يوم عرفة فقد اجابك بتعيين مكان الرؤية من حيث المعنى فكانه قال تراني في عرفات والاحتمال الثاني ان يقدر مضاف في الجواب كما يقدر في السؤال فكأن فرعون لما قال اجعل بيننا مكان موعد اجاب بقوله مكان موعدكم مكان يوم الزينة وقدر المكان في الخبر ايضا ليصح الاخبار عن مكان الوعد بانه يوم الزينة ﴿ قوله كما هو على الاول ﴾ اي كان انطباق الجواب على تقدير الاول باضمار والمراد بالوجه الاول ان يراد بقوله اجعل موعدا المصدر ولا يقدر مكان مضاف بل ينتصب مكانا سوى بفعل دل عليه موعدا اي عدنا مكانا سوى فيكون مسئول فرعون على هذا الوجه ايضا مكان الوعد وايضا بجواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة لاينطبق على مسئوله الا باعتبار الاضمار ثم ان نظر الى قول فرعون عدنا مكانا فالطباق بان يقدر مكان موعدكم مكان يوم الزينة وان نظر الى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا فالطباق بان يقدر وعدكم وعد يوم الزينة وهذا اولى فليتأمل ﴿ قوله وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ﴾ اذ لو كان الموعد زمانا او مكانا لكان المعنى زمان وعدكم او مكانه واقع يوم الزينة فيلزم حصول الزمان او المكان في الزمان وهو محال فتعين انه مصدر وحينئذ لابد من ان يقدر المضاف قبل موعدكم اذ ليس المراد ان نفس وعدكم واقع يوم الزينة لانه واقع قبل ذلك بل المراد ان انجاز موعدكم واقع يوم الزينة فيكون الجواب بالزمان والمطابقة من حيث المعنى لان المسئول عنه تعيين المكان من حيث ان قوله مكانا سوى منصوب بالفعل المدلول عليه بالمصدر ﴿ قوله وهو في النعت ﴾ وفي الصحاح العدى بكسر العين الاعداء وهو جمع لانظير له قال ابن السكيت ولم يأت فعل في النعوت الاحرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى وقوم عدى اي اعداء مثل سوى وسوى بكسر العين وضمها ﴿ قوله عطف على اليوم او على الزينة ﴾ فعلى الاول يكون في محل الرفع ويكون التقدير موعدكم يوم كذا وموعدكم ان يحشر الناس اي حشرهم وعلى الثاني يكون في محل الجر اي موعدكم يوم الزينة ويوم ان يحشر الناس اي حشرهم وضحى منصوب على انه ظرف يحشر ﴿ قوله تعالى فتولى فرعون ﴾ اي اعرض عن قبول الحق وقيل ترك ما كان فيه من الشئون الا هذا الامر ويجوز ان يكون المعنى رجع من المكان الذي وقع فيه المواعدة ﴿ قوله بأن تدعوا ﴾ اي تسموا آياته ومعجزاته سحرا فان من سماها سحرا فقد جعل الله تعالى ساحرا فيكون هذا افتراء على الله تعالى

(فكذب) موسى من فرط عناده (وابى) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا) ارض مصر (بسحرك ياموسى) هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه (فلنأتينك بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) وعدا لقوله (لانخلفه نحن ولا انت) فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لابه لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار (وان يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم او على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه (فتولى فرعون فجمع كيده) ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم (ثم اتى) بالوعد (قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فيسحتكم بعذاب)

بان جعل السحر وانه ساحر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿ قوله فيهلككم ويستأصلكم ﴾ يقال سحته الله سحتا من باب فتح وأسحته الله اسحاتا اذا اهلكه واستأصله واصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر اى استقصاه ولم يترك منه شيأ ويستعمل فى الاهلاك والاذهاب ﴿ قوله حين سمعوا كلامه ﴾ وهو قوله لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ٭ واسرار السحرة نجواهم اسماتهم ما تناجوا بينهم عن فرعون قيل نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل هو قولهم ان كان موسى ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء كما قال فله الامر وقيل هو قولهم ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم والنجوى المناجاة والمكالمة سرا ﴿ قوله وقيل الضمير لفرعون وقومه ﴾ اى من السحرة وغيرهم وهو عطف على قوله اى تنازعت السحرة ٭ وتلفيق الحديث ضم كلماته الى بعضها احترازا من هذا بعضهم من غير قصد الى حكاية ما فى الواقع واظهاره وبناء التفعيل فيه للتكلف يقال لفقت الثوب ألفقه اذا ضممت شقة منه الى اخرى فخطتهما والاحاديث ملفقة اى اكاذيب مزخرفة ﴿ قوله على لغة بلحارث ﴾ بفتح الباء وسكون اللام اصله بنى الحارث حذف النون للتخفيف واوصل الباء بالحارث ٭ واعلم ان القراء اختلفوا فى قرآءة قوله تعالى ان هذان لساحران قرأ ابن كثير وحده ان هذان بتخفيف ان وتشديد النون من هذانّ وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان وقرأ ابو عمرو انّ بالتشديد وهذين بالياء وتخفيف نون هذين والباقون كذلك الا انهم قرأوا هذان بالالف فاما القرآءة الاولى وهى قرآءة ابن كثير وحفص فأصح معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت على ماهو الاصح لانها لا تعمل الا لمشابهة الفعل من وجوه ولما خففت زال الشبه اللفظى فلا تعمل فلا اشكال فى رفع هذان ولما اهملت كما هو الاصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجئ باللام فارقة فى الخبر فهذان مبتدأ ولساحران خبره ووافقت خط المصحف فان رسم هذن بدون الالف قال ابو عبيدة رأيتها فى مصحف الامام عثمان هذن ليس فيها الف وهكذا رأيت رفع الاثنين فى ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والجر كتبوه بالياء ولا يسقطونها وتشديدهم نون هذانّ من ابن كثير للفرق بين الاسماء المتمكنة وغير المتمكنة واما الكوفيون فعلى ان ان هنا نافية بمعنى ماهذان الا ساحران واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم هنا قرآءة بعضهم ماهذان الا ساحران واما قرآءة ابى عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى اما الاعراب فهذين اسم ان المشددة وعلامة نصبه الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام تأكيدا واما من حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر باطلاق اداة التأكيد لكل واحد من طرفى الجملة لكن فيها اشكال من حيث الخط وذلك انه رسم هذن بدون الف ولا ياء فاثباته بالياء زيادة على خط المصحف واما قرآءة الباقين ان هذان فقد ذكر المصنف لها وجوها الاول ان هذان اسم انّ ولساحران خبرها وعلى هذا كان الظاهر ان يقرأ هذين كقرآءة ابى عمرو الا انه قرئ بالالف على لغة بنى الحارث فانهم يجعلون الاسم المثنى كالمقصور فيثبتون ألفه فى جميع الاحوال ويقدرون اعرابه بالحركات ويقولون رأيت رجلان واشتريت ثوبان ويقلبون كل ياء ينفتح ماقبلها ألفا قال شاعرهم

٭ ان اباها وابا اباها ٭ قد بلغا فى المجد غايتاها ٭

اى غايتيها وقيل انهم يجعلون ذلك فرارا الى الالف التى هى اخف حروف المد ويقولون كسرت يداه وركبت علاه بمعنى يديه وعليه والوجه الثانى ان قوله هذان ليس اسم ان بل اسمها ضمير الشأن المحذوف وقوله هذان لساحران جملة اسمية فى محل الرفع على انها خبر ان اى انّ الشأن هذان لساحران وفيه ضعف من حيث انه يؤدى الى دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ من غير ان يؤكد مضمون الجملة بان المكسورة ومثله لا يقع الا فى الضرورة كقوله

٭ ام الحليس لعجوز شهربه ٭ ترضى من اللحم بعظم الرقبه ٭

والوجه الثالث أن انّ هنا ليست هى التى تنصب الاسم بل هى بمعنى نعم وهذان مبتدأ ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله

٭ بكر العواذل فى المشيب يلمننى والومهنه ٭
٭ ويقلن شيب قد علا ٭ ك وقد كبرت فقلت انه ٭

اى فقلت نعم والهاء للسكت وروى ان اعرابيا اتى ابن الزبير يستجديه فلم يعطه شيأ فقال الاعرابى لعن الله ناقة حملتنى اليك فقال ابن الزبير انّ وراكبها اى نعم وراكبها وهذا مروى من الرد ﴿ قوله

(وقيل)

فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويستوى بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه (فتنازعوا امرهم بينهم) اى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة (وأسروا النجوى) بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله (قالوا ان هذان لساحران) تفسير لأسروا النجوى كأنهم تشاوروا فى تلفيقه تحذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر

وفيهما ﴾ اى وفى الوجه الثانى والثالث ان لام الابتداء لاتدخل خبر المبتدأ وانما تدخل على المبتدأ لكونها موضوعة لتأكيد موصوفية المبتدأ بالخبر وتلك الموصوفية لما كانت من احوال المبتدأ وجب ان يختص مايدل عليها بالمبتدأ لان العلة الموجبة لحكم فى محل لابد ان تكون مختصة بذلك المحل فوجب ان تختص لام الابتداء بالمبتدأ ولاتدخل على الخبر ولايرد ان يقال هذا الدليل يستلزم ان لاتدخل اللام على الخبر فيما اذا دخلت ان على المبتدأ لان ذلك لاجل الضرورة وهى امتناع اجتماع حرفى التأكيد على المبتدأ ولاضرورة فيما اذا لم تدخل ان على المبتدأ ﴿ قوله وقيل اصله ﴾ اى قيل فى جواب ماورد على الوجهين الاخيرين ان اللام ليست داخلة على خبر المبتدأ بل هى داخلة على المبتدأ المقدر وتقدير الكلام على الوجه الثانى ان الشأن هذان لهما ساحران وعلى الوجه الثالث نعم هذان لهما ساحران وتقدير قوله ام الحليس لعجوز ام الحليس لهى عجوز ورد المصنف هذا الجواب بان المؤكد بلام الابتداء لايليق به الحذف لان الحذف ينافى الغرض المطلوب من التأكيد ﴿ قوله بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب ﴾ يعنى ان المثلى تأنيث الامثل وهو افضل الاشبه بالحق وان المراد بالطريقة المذهب الذى يسلكونه ويتدينون به وسموه بالطريقة المثلى والسنة الفضلى بناء على زعمهم فان كل حزب بمالديهم فرحون والزجاج جعل الآية من باب حذف المضاف اى ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى وعظماء ابنائها لانفسهما وقال الفراء الطريقة الرجال الاشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه ومنه قوله تعالى كنا طرائق قددا اى كنا فرقا مختلفة الاهواء والجوهرى القدد ايضا الطريقة والفرقة من الناس اذا كان هوى كل واحد على حدة والمقصود على التقديرين ان يصرفوا قومهم عن موسى وهرون بانهما يريدان ان يذهبا باشراف قومكم واكابركم وهم بنوا اسرائيل واحتجوا هذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام ارسل معنا بنى اسرائيل وسموا بنى اسرائيل بذلك لانهم كانوا اكثر القوم يومئذ عزا وعددا واموالا وعلى التقادير الباء فى قوله بطريقتكم للتعدية واعلم انه تعالى لما ذكر ماأمروه من الفتوى حكى عنهم ما اظهروه وبحوه عنه يدل على التنفير عن موسى ومتابعة دينه من وجوه احدها قولهم هذان لساحران وهذا طعن منهم فى معجزة موسى مبالغة فى التنفير عنه لان كل طبع سليم ينفر عن السحر ويستكره رؤية الساحر من حيث ان الانسان يعلم ان السحر تمويه وتلبيس لابقاء له ومن كان السحر مبنى امره يأبى كل احد من اتباعه وثانيها قولهم يريدان أن يخرجاكم من ارضكم وهو يفيد نفرة عظيمة لان مفارقة المولد والمنشأ شديدة على القلوب وهذا هو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون بقوله أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى فكان السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها على قومهم وثالثها قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تأثير شديد فى تنفير القلوب فان العدو اذا جاء واستولى على جميع ماتعتز به القوم من المناصب والمراتب ويعرضون فيه يكون ذلك فى نهاية المشقة على القلب ﴿ قوله فأزمعوه ﴾ اى فاعزموا عليه فان كلا واحد من العزم والاجماع يتعدى بعلى يقال عزمت على كذا عزما وعزما بالضم والفتح وعزيمة وعزيما اذا اردت فعله وقطعت عليه الا انه حذف صلة أجمعوا فى نظم التنزيل كما حذف صلة العزم فى قوله تعالى ولاتعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلذلك حذفها المصنف فى قوله فأزمعوه اى اعزموه واما ان قرئ فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع بمعنى لاتدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به فحينئذ لاحاجة الى اعتبار حذف الصلة فان جمع يتعدى بنفسه ﴿ قوله مصطفين ﴾ فيكون من قبيل تسمية الحال باسم الحال ﴿ قوله وهو اعتراض ﴾ يعنى ان قوله قد افلح اليوم من كلام الله تعالى جيئ به بين كلامهم ومقولهم فهو اعتراض باعتبار كونه اجنبيا وقع بين كلامهم وفيه بحث لان الظاهر انه من كلامهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على الاجماع والاتفاق على كيدهم والجد والاهتمام فلا اعتراض حينئذ ﴿ قوله تعالى قالوا ياموسى ﴾ استئناف جيئ به لبيان ماادى اليه تواصيهم بالاجماع على كيدهم واتيان مكان الوعد ذوى صف اى فأتوا المكان وقالوا اما ان تلقى مامعك قبلنا واما ان نلقى مامعنا قبلك وهذا التخيير مع تقديمه عليه الصلاة والسلام فى الذكر حسن ادب منهم فلاجرم رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم انه عليه الصلاة والسلام قابل ادبهم بأدب فقال بل ألقوا والظاهر انه عليه الصلاة والسلام امرهم بذلك ليظهر الفرق بين السحر وبين المعجزة الالهية كأنه قال ألقوا فستروون مافعله سحركم وان الله سيبطله وينصر رسوله ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴿ قوله وتغيير النظم ﴾ مجرور بالعطف على قوله بذكر الاول فان مافى شقهم من الكلام ابلغ مما فى شقه عليه الصلاة والسلام من حيث ان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى

وفيهما ان اللام لاتدخل خبر المبتدأ وقيل اص
انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ا
المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ ابو عم
ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص
هذان على انها هى المخففة واللام هى الفار
او النافية واللام بمعنى الا (يريدان ان يخرجا
من ارضكم) بالاستيلاء عليها (بسحر
ويذهبا بطريقتكم المثلى) بمذهبكم الذى ه
افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء د
لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد
اهل طريقتكم وهم بنوا اسرائيل فانهم كا
ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا
اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القو
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغير
(فأجمعوا كيدكم) فأزمعوه واجعلوه مجم
عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عم
فأجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والض
فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبع
(ثم ائتوا صفا) مصطفين لانه اهيب فى صد
الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حب
وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة (وقد ا
اليوم من استعلى) فاز بالمطلوب من غلب وه
اعتراض (قالوا ياموسى اما ان تلقى واما
نكون اول من ألقى) اى بعد ما اتوا مراعاة للاد
وأن بمابعده منصوب بفعل مضمر او مرفو
بخبر محذوف اى اختر القاءك اولا او القاءنا
الامر القاؤك او القاؤنا (قال بل ألقوا) مقا
أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا
بما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاو
فى شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ

ولأن سحروا اعينهم واستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) اي فألقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ نخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل (فأوجس في نفسه خيفة موسى) فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) ما توهمت (انك انت الاعلى) تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق ما في يمينك) ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فألقه (تلقف ما صنعوا) تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته (ان ما صنعوا) ان الذي زوروا وافتعلوا (كيد ساحر) وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال (ولا يفلح الساحر) اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ما اعدت * في سعي دنيا طالما قد مدت

كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحري

على المصنف قوله عليه الصلاة والسلام بل ألقوا مع علمه والاسعاف بالحاجة مساوق ﴿قوله ويستنفدوا﴾ اي ويستفرغوا من نفد الشيء بالكسر نفادا اي فني ﴿قوله فيدمغه﴾ تمثيل لتشبيه ابطال الباطل بالحق بالخصم المنتصب في مقام مجادلة يقال دمغه دمغا اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامغة ﴿قوله اي فألقوا فاذا حبالهم﴾ يعني ان الفاء في قوله تعالى فاذا حبالهم عاطفة بها على جملة محذوفة دل عليها ما سبق في الكلام فهي فاء فصيحة وقوله فألقوا معطوف على قوله قال بل ألقوا ﴿قوله والتحقيق انها ظرفية﴾ اي ان اذا المفاجأة كاذا الظرفية ظرف بمعنى الوقت لكنها خصت باسم آخر لاختصاصها بكون عاملها فعل مفاجأة فاضيفت الى المفاجأة لملابسة بينها وبين المفاجأة يقال فاجأه الموت اي اخذه بغتة وفاجأه السبع اي اتاه بغتة والجملة التي يضاف اليها اذا المفاجأة ابتدائية اي اسمية فانه لا يقع بعدها الا المبتدأ والخبر فقوله حبالهم وعصيهم مبتدأ ويخيل خبره وانها تسعى معمول يخيل اقيم مقام الفاعل اي يخيل اليه سعيها على قراءة الجمهور يخيل بضم الياء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وقوله حبالهم وعصيهم يخيل لما ضم اليه كله صار في حكم المفرد وهو تخيل حبالهم وعصيهم وكذا قوله انها تسعى لما كان معمول يخيل صار في معنى سعيها فاذا قدر فاجأ فعل كلمة اذا عاملا فيها صار التقدير فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل حبالهم وعصيهم سعيها الا ان المصنف قال في تقدير المعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم فأضاف تخيل الى معموله ولم يذكر فاعله واضاف السعي الى لفظ حبالهم وعصيهم بدل اضافته الى ضمير سعيها وهذا تصوير لاعراب نظم الآية والمعنى على تخييل مفاجأة موسى بالحال ولعصي مخيلة سعيها وعلق فعل المفاجأة في تصوير المصنف بظرفه تعلقه بالمفعول به اتساعا في الظرف مثل الاتساع في اضافة اسم الفاعل الى الظرف في قوله تعالى مالك يوم الدين اي انه تعالى مالك الامور كلها في يوم الدين ﴿قوله وقرأ ابن عامر﴾ اي برواية ابن ذكوان تخيل بضم التاء الفوقانية على معنى تخيل الحبال والعصي وانها تسعى بدل اشتمال من المستكن في تخيل وقرئ نخيل بنون العظمة على ان الله تعالى هو المخيل لاجل الامتحان والابتلاء وتخيل بفتح التاء والياء اصله تتخيل فحذف احدى التاءين كما في قوله تعالى تنزل الملائكة اسند الفعل الى ضمير الحبال وانث لتأنيث جماعة الحبال والعصي وقوله انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير كما في قراءة تخيل بضم التاء وفتح الياء ﴿قوله مؤكدا بالاستئناف﴾ كأنه لما قيل له لا تخف سأل كيف لا اخاف والحال تقتضي استشعار الخوف فاجيب انك انت الاعلى ووجه دلالة الاستئناف على التأكيد انه يدل على الاهتمام بشأن المستأنف ووجه دلالة تعريف الخبر عليه ان اللام لتعريف الجنس وقد دخلت على الخبر فافادت ان جميع العلو والغلبة مختص بك لا يتعدى الى غيرك ﴿قوله تحقيرا لها﴾ كأنه لحقارتها لم يوضع لها اسم بل اكتفي في التعبير عنها بلفظ اسم الجنس او النوع ووجه دلالة الابهام على التعظيم انه يدل على ان العصا بلغت في الكمال وعظم الشأن الى الغاية التي تعجز العبارة عن بيان ماهيتها بالخصوص فتعين ان يعبر عنها بشيء من عوارضها العامة ﴿قوله تلقف﴾ قراءة العامة فتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على انه جواب الامر وقراءة حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرئ تلقف بالرفع اما على الحال او الاستئناف وانث الفعل في تلقف حملا على معنى ما لان معناه العصا ويحتمل ان يكون تلقف صيغة المفرد المذكر المخاطب ويكون المستتر فيه موسى ويسند اليه التلقف باعتبار كونه سببا له بالقاء العصا ﴿قوله على ان ما كافة﴾ تكف وتمنع الحروف المشبهة من العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها ما دامت عاملة لا تدخل على الفعل ويحتمل ان تكون ما مصدرية والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وذكر لقراءة كيد سحر ثلاثة اوجه الاول تقدير المضاف اي كيد ذي سحر والثاني تسمية الساحر سحرا على المبالغة فانه لكثرة ملابسة السحر وتوغله فيه صار كأنه نفس السحر والثالث انه من قبيل اضافة المبهم الى مميزه نحو مائة درهم وألف دينار او اضافة الجنس الى نوعه نحو علم فقه وعلم نحو فان الكيد وهو الحيلة يكون سحرا وغيره فاضيف الى السحر للبيان فكأنه قيل كيد هو سحر ﴿قوله وتنكير الاول﴾ مع ان المقصود به الجنس وهو يقتضي تعريفه الا انه لو عرف لصار المضاف ايضا معرفة والمقصود تنكيره لان المراد به نوع من الكيد وهو السحر فنكر ليتوصل بتنكيره الى تنكير المضاف وتنكيره لا ينافي ان يراد به الجنس كما نكر دنيا في قوله في سعي دنيا مع ان المراد بها المعلوم المعين بتنكير السعي اذ لو عرف الدنيا لصار السعي معرفة والمراد تنكيره اذ المعنى في سعي ما دنيوي واوله

الحمد لله الذي استقلت * باذنه السماء واطمأنت * باذنه الارض وما تعنت * اوحى لها القرار فاستقرت

* وشدها بالراسيات الثبت * والجاعل لغيث غيات المسنت * والجامع الناس ليوم الموقت *
* بعد الممات وهو محيي الموت * يوم ترى النفوس ما اعدّت * من نزل اذا الامور غبت *
* في سعي دنيا طالما قدمدّت *

فقوله ماتعت اى ماتصت الارض بالمخالفة لله تعالى مل اطاعته حيث اوحى لها القرار يقال عتى بالكسر يعتى عتاء اى تعب وتصب وعيثه الاتبسة فتمى وبعد ان يكون من تعت وتصلب بمعنى قال غيره طلب زلته وقوله ما اعدّت اى ماجعلته عدة وقوله من نزل بيان ماعدّت وغيت الامور اى بلغت مايتها وآخرها والمعنى اذا الامور بلغت اواخرها وقوله في سعي دنيا ظرف غيث او ظرف طال ان كانت ما في طالما مصدرية اى مدّت في سعي دنيا يقول يوم القيامة ترى النفوس ما جعلته عدة من نزل يوم القيامة * حين تبلغ الامور اواخرها وقد مدّت * اى امهلت في جمعها وتهيئة اسبابها ﴿قوله حيث كان واين اقبل﴾ فان الذهاب والاتيان يعبر بهما عن الكون والاقبال يقال اينما ذهبت واتيت فانت كذا اى اينما كنت واقبلت ﴿قوله فألقاهم ذلك﴾ اى تحقق ان ماظهره موسى عليه الصلاة والسلام ليس بسحر بل هو معجزة الهية والاعتاب الرجوع عما كان عليه من الاساءة الى الاسترضاء والاطاعة * واروى آخر الحروف من فواصل الآية قيل لما ألقى موسى عصاه فاذاهى اعظم من حبالهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادي ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة وكانت ضربت لفرعون قبة يجلس فيه وينظر اليهم وكان طول القبة ستين ذراعا ثم هبطت فأكلت كل ما عملوا من الكيد والناس ينظرون اليه لا يحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح فرعون بموسى فاخذها فاذاهى عصا كما كانت ونظر السحرة فاذاهى لم تدع من حبالهم وعصيهم شيأ الا اكلته فعرفوا بذلك انه ليس بسحر وقالوا لو كانت سحرا لبقيت الاشياء واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل عاقل يعلم بالضرورة انه لا يقدر على ايجاد الحيوان من الجماد وتعظيم جثتها جملة واحدة ثم تصغيرها وتصييرها كما كانت جملة واحدة الا الاله القادر على كل شئ واستدلوا بظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا من عند الله تعالى فلا جرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود قال الزمخشري ما اعجب امرهم ألقوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود ولما خاف فرعون ان يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم في الايمان بالله ورسوله أتى لهم في الحال بشبهتين الشبهة الاولى قوله لهم آمنتم له قبل ان آذن لكم يعني انكم اعتمدتم في الايمان به والاتباع له على اوّل خاطر خطر بالكم من غير بحث ونظرة وامعان مرّة بعد اخرى في امره فلم يكن ايمانكم عن بصيرة والشبهة الثانية انه لكبيركم في علم السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز عن معارضته ترويجا لامره وتعظيما لشأنه ثم هددهم صرفا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم فقال لاقطعن ايديكم الآية وبناء التقطيع والتصليب لتكثير المفعول ﴿قوله كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو﴾ فان القطع لما ابتدئ من العضو الذي هو موضع الخلاف صار كأنه قد ابتدئ من نفس الخلاف لانه محل الخلاف وموضعه من الملابسة ﴿قوله بالتخفيف﴾ اى تخفيف عين الفعل على انه ثلاثي لا بتثقيله للتكثير ﴿قوله شبه تمكن المصلوب بالجذوع﴾ اى في الجذوع جواب عما يقال ان فعل الصلب يتعدى الى المفعول الثاني بعلى فلم عدى بها بكلمة في * وتقرير الجواب ان الكلام هاهنا من قبيل الاستعارة التبعية شبه متعلق كلمة على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمتعلق كلمة في وهو التمكن بطريق الظرفية ثم استعير التمكن المشبه به للتمكن المشبه استعارة اصلية فاستعمل في التمكن المشبه كلمة في الموضوعة للدلالة على تمكن الظرفية الذي هو المشبه به فجرت الاستعارة اوّلا واصالة في تمكن الظرفية وتبعية في كلمة في الدالة عليه ﴿قوله لقوله آمنتم له﴾ يعني انه يدل على ان المراد من قوله اينا شدة نفسه الخبيثة وموسى عليه الصلاة والسلام لانه معنى آمنتم له اى لاجله وبسببه لانكم خفتم على انفسكم ان يعذبكم ان لم تؤمنوا له ﴿قوله وقيل رب موسى﴾ اى قيل يريد نفسه ورب موسى فلمعنى ولتعلمن ايها السحرة ايّانا على ايمانكم برب موسى او رب موسى على تركهم الايمان به اشدّ عذابا لكم وأدوم * فان قيل كيف يعقل من فرعون ان يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهزئ بموسى ويقول اينا اشدّ عذابا مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية وما لها من الآثار الهائلة حتى انها قصدت ابتلاع قبة فرعون واضطر هو الى ان استغاث بموسى من شرّ ذلك الثعبان فمع قرب عهده ذلك بعد منه ان يتجاسر على ماذكر من التهوّر * اجيب بانه يجوز ان يكون اشدّ الخوف في قلبه ومع ذلك كان يظهر

(حيث أتى) حيث كان واين اقبل (فألق
السحرة سجدا) اى فألقى فتلقفت فتحقق عند
السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله
ومعجزة من معجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم
سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما
لما رأوا (قالوا آمنا برب هرون وموسى)
قدّم هرون لكبر سنه او لروى الآية اولأن
فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر
على موسى او قدّم ذكره فربما توهم ان المراد
فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى
انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها
(قال آمنتم له) اى لموسى واللام لتضمين
الفعل معنى الاتباع (قبل ان آذن لكم)
في الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم في فنكم
واعلمكم به او لاستاذكم (الذي علمكم السحر)
وانتم تواطأتم على ما فعلتم (فلاقطعنّ ايديكم
وارجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل
اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدئ
من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها
في موضع النصب على الحال اى لاقطعنها
مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن
بالتخفيف (ولاصلبنكم في جذوع النخل)
شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف
بالظرف وهو اوّل من صلب (ولتعلمن اينا)
يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع
الايمان في كتاب الله لغير الله تعالى اراد به توضيع
موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب
في شئ وقيل رب موسى الذي آمنوا به
(اشد عذابا وابقى) وأدوم عذابا

(قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا) موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما (من البينات) المعجزات الواضحات (والذى فطرنا) عطف على ما جاءنا او قسم (فاقض ما انت قاض) ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة كقولك صيم يوم الجمعة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الكفر والمعاصى (وما اكرهتنا عليه من السحر) فى معارضة المعجز روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه (والله خير وابقى) جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرما) بان يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة مهنأة (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) فى الدنيا (فاولئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام الله (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر بعبادى) اى من مصر (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله (فى البحر يبسا) يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأن قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا

او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا (لا تخاف دركا) حال من المأمور اى آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر (ولا تخشى) استئناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق

الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا لامره ﴿قوله لن نختارك﴾ اى لن نختار طاعتك والايمان بك وهذا يدل على ان فرعون طالبهم بالرجوع عن الايمان والاصل يهم ما اوعدهم به فأجابوه بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة فى اصول الدين وانهم لا يؤثرون رضى المخلوق المستوجب معصية الخالق وعقابه الدائم لان مصار الدنيا لا تصد العاقل من الثبات على ما يؤدى الى سعادة الآخرة ﴿قوله وقرئ تقضى﴾ على البناء للمفعول ورفع الحياة ووجهها ان الحياة فى القراءة المشهورة لما انتصب على الظرفية اتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة لما علم السحرة انهم متى أصروا على الايمان اوقع بهم فرعون ما اوعدهم به قالوا اقض ما انت قاض لا على وجه الامر لكن اظهروا به ان ذلك الوعيد لا يصدهم عن الايمان البتة ثم بينوا ما لاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى قضاؤك وحكمك انما يكون فى هذه الحياة الدنيا وهى فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الآخرة وهى باقية والعقل يقتضى تحمل الضرر الفانى للتوصل الى السعادة الباقية ﴿قوله وما اكرهتنا عليه من السحر فى معارضة المعجزة﴾ يعنى انهم وان كانوا سحرة يعلمون السحر باختيارهم الا انهم كانوا مكرهين فى الحضور واظهار السحر على طريق معارضة المعجزة به لقوله وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فانه يدل على انهم حضروا وفعلوا ما فعلوا بالحشر والاكراه وايضا انهم لما رأوا ان العصا تحفظه وهو نائم ابوا ان يعارضوه وقالوا ما هذا سحر فحملهم فرعون كرها على ان يعارضوه ﴿قوله حياة مهنأة﴾ اى حياة تعد نعمة يهنأ بها ﴿قوله قد عمل الصالحات﴾ يدل على ان الجزاء الموعود انما يكون ان كان اتيا بكل الصالحات وذلك غير معتبر بالاتفاق ولا يمكن فينبغى ان يحمل ذلك على اداء الواجبات ﴿قوله والآيات الثلاث﴾ وهى قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما الى قوله تزكى يحتمل ان تكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال المجرمين واحوال المؤمنين فى عرصة القيامة والهاء فى انه ضمير الشأن والجملة الشرطية خبرها ومجرما حال من فاعل يأت وقوله لا يموت يجوز ان يكون حالا من الهاء فى له وان يكون حالا من جهنم لاشتماله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ فى دعوة فرعون وأراه الآيات المتتابعة التى اظهرها الله تعالى على يده فلم يزد الا عتوا وفسادا اوحى الله اليه ان أخرج بنى اسرائيل ليلا فان السرى سير الليل والاسراء مثله ﴿قوله فاجعل لهم﴾ يعنى ان طريقا منصوب على انه مفعول به لقوله فاضرب بناء على انه بمعنى اجعل او اتخذ والمعنى اجعل لاجل عبورهم طريقا فى البحر يبسا ليس فيه ماء ولا طين ولا ندوة ﴿قوله وصف به الواحد مبالغة﴾ جعل الطريق لفرط يبسها كأشياء يابسة كما جعل المعى لفرط جوعه كجماعة جياع او لان المراد بقوله طريقا الجنس وهو فى حكم الجمع لتعدده معنى لما صح على ما روى ان البحر انفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ﴿قوله كأن قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا﴾ وبعده قوله

على وحشية خذلت خلوج	وكان لها طلا طفل فضاعا
فكرت تبتغيه فصادفته	على دمه ومصرعه السباعا

القتود جمع قتد على خلاف القياس والقتد خشب الرحل والحوالب عروق الضرع وهما حالبان اى عرقان مكتنفان بالسرة وضمت بضم الضاد اى ضربت يقال ضمه بالعصا اذا ضربه بها وحوالب مفعول ضمت وغرزا صفة حوالب بتقدير المضاف اى ضربت ذات حوالب والغرز بتقديم المهملة على المعجمة جمع غارزة وهى من النوق القليلة اللبن والغزيرة بتقديم المعجمة هى التى كثر لبنها وعلى وحشية خبر كان وخذلت اى تأخرت قال الاصمعى اذا تخلف الظبى عن القطيع قيل خذل والخلوج من النوق التى اختلج عنها ولدها فقل لذلك لبنها والطلا الولد من ذوات الظلف والسباع منصوب بمضمر يفسره قوله صادفته شبه حالة قتود رحله حين وضعت على ناقته الموصوفة بالضمور بحالة وضعها على وحشية فقدت ولدها على طريق تشبيه الهيئة بالهيئة ﴿قوله حال من المأمور﴾ اى من فاعل اضرب اى اضرب غير خائف او صفة ثانية لطريقا والعائد محذوف اى لا تخاف فيه والدرك والدرك اسمان من ادرك اى لا يدركك فرعون وجنوده ومن قرأ لا تخاف مرفوعا جعل قوله ولا تخشى باثبات الالف معطوفا عليه اى لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشى الغرق واما من قرأ لا تخف مجزوما فانه لم يقرأ قوله ولا تخشى الا باثبات الالف فذكر المصنف فى توجيه اثباتها ثلاثة اوجه الاول انه كلام مستأنف منقطع عما قبله اخبر الله تعالى

به انه لا يحصل له خوف والواو استئنافية والثاني انه مجزوم بالعطف على المجزوم قبله وعلامة جزمه سقوط لام الفعل المعتلة وهذه الالف ليست لام الكلمة وانما هي الف الاشباع اتي بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي فهي كالالف في قوله الرسولا والسبيلا والظنونا والثالث انه حال من فاعل لا تخف على حذف المبتدأ اي وانت لا تخشى الغرق وانما احتيج الى تأويل الجملة الحالية بالاسمية لان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم مباشرة الواو له ﴿قوله والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه﴾ على ان أتبع متعد الى اثنين حذف ما هو الثاني في الذكر والباء في قوله بجنوده للابسة والمصاحبة وهي مع المجرور في محل النصب على انه حال من المفعول المحذوف وقرئ فاتّبعهم بتشديد التاء فيتعدّى بنفسه الى واحد ويتعدى بالباء الى آخر وقيل الباء زائدة في المفعول الثاني والتقدير فأتبعهم فرعون جنوده كما في قوله لا تأخذ بلحيتي وقوله أسرى بعبده ﴿قوله وذادهم خلفهم﴾ اي ساق جنوده خلف موسى وقومه فان الذود السوق يقال ذدت الابل اي سقتها ﴿قوله وفيه﴾ اي في ابهام فاعل غشيهم مبالغة وتعظيم لما اصابهم وسترهم من اليم مع وجازة اللفظ واختصاره ومن في قوله من اليم للتبعيض ولا يأباه تعظيم ما غشيهم وقيل بل المعنى علاهم وسترهم من ماء البحر قدر ما غرّقهم فيكون الابهام للتحقير ﴿قوله والفاعل هو الله او فرعون﴾ وعلى هذين التقديرين يكون ما غشاهم مفعولا ثانيا ﴿قوله وهو تهكم به﴾ التهكم ان يؤتى بعبارة والمقصود عكس معناها فقوله تعالى وما هدى اي ما هدى قومه يدل على كونه مهتديا عالما بطريق الهداية الا ان هدايته لم تتعلق بقومه وفرعون مع كونه رئيس الضالين كيف يتوهم كونه مهتديا عالما بطريق الهداية فيكون ما يدل على ذلك تهكما في حقه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحليّ والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة الف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظام فأخذوها وقال موسى عليه الصلاة والسلام للعجوز احتكمي فقالت أكون معك في الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف الف وخمسمائة ألف سوى الجناحين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هاهنا امرت فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهي طرق رطبة فدعا ربه فهبت الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق في بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار البحر كما ترى وكان على فرس حصان واقبل جبريل عليه الصلاة والسلام بين يدي فرعون على فرس حجر وهي الانثى من الخيل فابصر الحصان الحجر فاقتحم بفرعون على اثرها وصاحت الملائكة في الناس الحقوا فرعون حتى اذا دخل آخرهم وكاد اولهم يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا ما هذا يا موسى قال اغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله حتى يخرجهم لنا فننظر اليهم فدعا فلفظهم البحر الى الساحل واصابوا من سلاحهم وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ضرب بعصاه البحر حصل اثنا عشر طريقا يابسا وبقي الماء قائما بين كل طريقين كالطود العظيم وهو الجبل فأخذ كل سبط من بني اسرائيل في طريق من هذه الطرق كما قال تعالى فصار كل فرق كالطود العظيم ومنهم من قال انما حصل طريق واحدة لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس وقوله الايمن منصوب على انه نعت للجانب وجانب مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي اتيان جانبه الذي هو على يمين السالك من مصر الى الشام قال المفسرون ليس للجبل يمين ولا يسار بل المراد ان طور سينا عن يمين من انطلق من مصر الى الشام وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب او على انه نعت للطور وصف بذلك لما فيه من اليمن ﴿قوله للابسة﴾ اي للابسة المواعدة بهم من حيث انه تعالى وعد موسى وحده او وعده مع النقباء السبعين ان يأتوا جانب الطور الايمن فيكلم موسى ويعطيه التوراة لاجل بني اسرائيل وبيان دينهم وشرح شريعتهم لما انعم الله تعالى على قوم موسى بانواع النعم ذكر لهم تلك النعم وحثهم على شكرها وقدم منها ازالة المضرة لكون المنفعة لا يتمتع بها مع المضرة فقال قد انجيناكم من عدوكم ثم ثنى بذكر النعمة الدينية وهو قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ثلث بذكر النعمة الدنيوية وهي قوله ونزلنا عليكم المنّ والسلوى ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند الله ﴿قوله لذائذه﴾ يعني المراد بالطيبات اما ما يستطيبه الطبع من لذائذ الاطعمة كالمنّ والسلوى

(فأتبعهم فرعون بجنوده) وذلك ان موس...
خرج بهم اول الليل فأخبر فرعون بذ...
فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفس...
ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقي...
فأتبعهم بمعنى فاتّبعهم ويؤيده القراءة به والب...
للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهـ...
جنوده وذادهم خلفهم (فغشيهم من اليـ...
ما غشيهم) الضمير لجنوده او له ولهم وفيـ...
مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصت...
ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهـ...
ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعـ...
هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لا...
التي ورطهم للهلاك (واضل فرعو...
قومه وما هدى) اي اضلهم في الديـ...
وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكـ...
الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجـ...
(يا بني اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهـ...
من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلـ...
او للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليـ...
وسلم بما فعل بآبائهم (قد انجيناكم من عدوكم...
فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطو...
الايمن) لمناجاة موسى وانزال التوراة عليـ...
وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او لـ...
وللسبعين المختارين للابسة (ونزلنا عليكـ...
والسلوى) يعني في التيه (كلوا من طيبات...
ما رزقناكم) لذائذه او حلالاته وقرأ حمز...
والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكـ...
على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدنا...
والايمن بالجر على الجوار مثل جحر...

(ولا تطغوا فيه) فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق (فيحل عليكم غضبي) فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام على الهدى المذكور (وما اعجلك عن قومك ياموسى) سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم (قال هم اولاء على اثري) ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم الرفقة بها بعضهم بعضا (وعجلت اليك رب لترضى) فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادته منهم الا اثنا عشر الفا (واضلهم السامري) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرآئيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه) بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة (غضبان) عليهم (اسفا) حزينا بما فعلوا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم (ام اردتم ان يحل عليكم) يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادة ما هو مثل في الغباوة (فاخلفتم موعدي) وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له

او يستطيبه الشرع كالحلالات التي من جملتها المن والسلوى فانهم قد انزلهما الله تعالى عليهم ولم تمسهما ايدي الآدميين ﴿قوله فيحل عليكم عذابي﴾ هذا المعنى على ان يقرأ يحل بكسر الحاء فان قرآءة العامة بكسر الحاء في الاول وكسر اللام الاولى في الثانية على انهما من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن قرأهما بالضم جعلهما من حل بمعنى نزل وقوله تعالى وما اعجلك عن قومك ياموسى متصل بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن واضمر ههنا فتعجل موسى وقلنا له وما اعجلك دلت الآية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرآئيل يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم موسى عليه الصلاة والسلام ثم تعجل من بينهم شوقا الى ما يأمر به وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فالمراد بقوله النقباء السبعون وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن ممنوعا عن التقدم عليهم وما وجد نص يدل على المنع عن ذلك ولا على الاجتماع معهم في المجيء ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه بناء على اجتهاده ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فاخطأ في ذلك الاجتهاد من حيث ان العجلة نقيصة في نفسها وقد انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فاستوجب العتاب لذلك يقال اعجلت الشيء اذا تركته على ذكر منك ولم ترد ان يقال قوله وما اعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان المطابق في الجواب ان يقال عجلت اليك طلبا لزيادة رضاك او شوقا الى كلامك او مسارعة الى تنجيز موعودك الذي هو اتيان الجانب الايمن من الطور ونحو ذلك والجواب بقوله هم اولاء على اثري لا يطابقه ظاهرا اشار الى الجواب عنه بقوله سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها يعني انه لما تضمن الانكار قدم الاعتذار عما انكر عليه فاعتنى به لكون الاعتذار عنه اهم بالنسبة الى بيان السبب ﴿قوله ابتليناهم بعبادة العجل﴾ يعني ان المراد بالفتنة المحنة التي فيها شدة اذى وبلايا والمعنى ألقينا قومك الذين خلفتهم مع هرون في محنة وفتنة بعبادة العجل وخلقنا فيهم الكفر والضلال لسوء اختيارهم وميلهم الى جانب التقليد والهوى وعدم اتباعهم الدلائل القاطعة التي اقامها صاحب المعجزات القاهرة واسند الاضلال الى السامري لانه كان سبب ضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى والا لم يملك احد اضلال احد واسند الفتنة الى نفسه لانه خالق الاعيان والاعراض باسرها والسامري انما باشر ما يؤدي الى تكون العجل من الذهب والحلي والله تعالى هو الذي جعله جسدا ملتبسا بلحم ودم ونفخ فيه الروح وجعل له خوارا فلذلك وجه اضافة الفتنة اليه تعالى وقرأ العامة واضلهم السامري على انه فعل ماض مسند الى السامري وقرئ اضلهم مرفوعا بالابتدآء وهو افعل تفضيل بمعنى اشدهم ضلالا والسامري خبره ﴿قوله اذ ليس في الآية ما يدل عليه﴾ تعليل لعدم القطع بصحة ما ذكر من الامرين الذين اولهما انهم اقاموا على الدين الذي تركهم موسى عليه الصلاة والسلام عليه حين انطلاقه الى الجبل عشرين ليلة ثم ارتدوا بعبادة العجل وثانيهما كون خطاب فانا قد فتنا قومك متوجها اليه عند قدومه الى الطور قبل وقوع المخبر به ثم قال ان صح هذان الامران وكان خطاب قد فتنا قومك بلفظ الماضي واقعا قبل وقوع الفتن بعشرين ليلة كان وجه التوفيق بينهما انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته كقوله ونادى اصحاب الجنة ﴿قوله وكان منافقا﴾ اي آمن بموسى ظاهرا وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر راسخا في نفسه والظاهر ان كلمة ام في قوله تعالى ام اردتم متصلة معادلة لهمزة الاستفهام والمعنى أفطال عليكم زمان مفارقتي فنسيتم ما امرتكم به ووعدتم اياي من الثبات على ديني الى ان ارجع اليكم من الطور بسبب طول الزمان ام تعمدتم فعل ما يكون سببا لغضب ربكم اي لعقابه فاخلفتم لذلك موعدكم اياي فكأنه قيل أنسيتم ذلك الوعد ام تعمدتم المعصية المؤدية الى غضب ربكم وقوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد للمسبب بالعرض صح هذا الكلام والمصنف جعل الوعد في قوله فاخلفتم موعدي مصدرا مضافا الى مفعوله ولم يرتض باحتمال كونه مضافا الى فاعله على معنى فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين ذي القعدة وتمامه عشر ذي الحجة ملتبسا بكتاب منزل من ربكم فيه شرح دينكم وبيان الفرآئض والاحكام بناء على ان هذا الاحتمال لا يناسب ترتيب قوله فاخلفتم موعدي على ما ذكره من الترديد لطالب سبب وقوعهم في الفتنة فلو جعل المصدر مضافا الى فاعله لما كان في الترديد لطلب سبب وقوعهم في الفتنة وجه وايضا ذلك الاحتمال لا يناسب قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فان تعمدهم المعصية لا يصلح سببا لكونه عليه الصلاة والسلام مخلف وعده اياهم بالعود بعد الاربعين وايضا ذلك

(الاحتمال)

(قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسوّل لنا السامرىّ لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثتها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) حملنا احمالا من حلىّ القبطى التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردّوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها

آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربىّ (فقذفناها) اى فى النار (فكذلك ألقى السامرىّ) اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدّة قد كملت قال لهم السامرىّ انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلىّ القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائى وابوبكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف (فأخرج لهم عجلا جسدا) من تلك الحلىّ المذابة (له خوار) صوت العجل (فقالوا) يعنى السامرىّ ومن افتتن به اوّل ما رأوه (هذا الهكم واله موسى فنسى) اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور اوفنسى السامرىّ اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان (أفلا يرون) أفلا يعلمون (ان لا يرجع اليهم قولا) انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يردّ عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان أن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم (ولقد قال لهم هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اوقول السامرىّ كأنه اوّل ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم (ياقوم انما فتنتم به) بالعجل (وان ربكم الرحمن) لاغير (فاتبعونى واطيعوا امرى) فى الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) وهذا الجواب يؤيد الوجه الاوّل (قال ياهرون) اى قال له موسى لما رجع (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألا تتبعن) ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ان لا تسجد (أفعصيت امرى) بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (قال يابن ام) خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) اى بشعر رأسى قبض عليهما يجرّه اليه من شدّة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل (انى خشيت ان تقول فرّقت بين بنى اسرآئيل) لو قاتلت اوفارقت بعضهم ببعض (ولم ترقب قولى) حين قلت اخلفنى فى قومى وأصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك

الاحتمال لا يناسب جوابهم بقولهم ما اخلفنا موعدك بملكنا فانه اعتذار عن خلفهم عما وعدوا اياه عليه الصلاة والسلام لا عن وجدانهم الخلف فى وعده لهم بالعود بعد اربعين ﴿ قوله حملنا احمالا ﴾ الظاهر ان المصنف اختار قرآءة من قرأ حملنا بفتح الحاء والميم المخففة حيث تعرّض لكون انفسهم حاملين ومستقرّين ولم يتعرّض لحملهم على الاستعارة واحمل فان نافعا وابن كثير وابن عامر وحفصا قرأوا حمّلنا بضم الحاء وكسر الميم شديدة والباقون بفتحهما مع تخفيف الميم ونسبة الفعل الى انفسهم وعلى القرآءة الاولى نسبوا الفعل الى غيرهم فقيل ذلك الغير هو موسى عليه الصلاة والسلام حيث امرهم باستعارة الحلىّ والخروج بها فكأنه ألزمهم بذلك والاوزار الاحمال والاثقال وسموا الحلىّ التى استعاروها من القبط اوزارا لانها آثام من حيث انها تلبس للفخر والخيلاء والترفع على الفقرآء ولانها ما دام اصحابها احياء وتصرّفوا فيها باذن اصحابها حل لهم الانتفاع بها فما هلك اصحابها صار حكمها حكم الغنيمة ولم يحل لهم الانتفاع بالغنائم بعد فأثموا بسببها لان بنى اسرآئيل كانوا مستأمنين بالنسبة الى القبط وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى اى ليس له ان يأخذه الا باذنه حتى لو اخذ ماله بطريق الرباجاز عند ابى حنيفة وان جرى ذلك بينه وبين مسلم اسلم هناك كما يجوز للمسلم المستأمن اخذه من الحربى برضاه وقوله من زينة يجوز ان يتعلق بحملنا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لاوزارا وقوله فكذلك نعت لمصدر محذوف اى فالقى السامرىّ ما كان معه من الحلىّ او من التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل حين عبر البحر وذلك انه رأى ما تحت حافره يخضرّ فعلم ان له شأنا فأخذ منه شيأ فجعله فى عمامته فألقاه فى الحلىّ المقذوف فى النار الذى القاه بنو اسرآئيل مما معهم من الحلىّ المقذوف فى النار ﴿ قال الامام قولهم فى حق ذلك العجل الجسد هذا الهكم فيه اشكال لان القوم ان كانوا فى الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول فى تلك الساعة هو الخالق السموات والارض فهم مجانين وليسوا مكلفين ولان مثل هذه السفاهة على مثل ذلك الجمع العظيم محال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى واجاب بان القوم لعلهم كانوا من الحلولية الذين يجوّزون حلول الاله او حلول صفة من صفاته فى ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا فى غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية لكن لعل القوم كانوا فى نهاية البلادة كيف لا وانهم قالوا لنبيهم بعد ما رأوا الآيات العظام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قالوا ذلك والحال ان اقدامهم ما جفت من ماء البحر ﴿ قوله فنسيه موسى ﴾ فيكون هذا من كلام السامرىّ وان كان ضمير فنسى للسامرى يكون هذا من كلام الله تعالى ويكون النسيان مجازا عن لازمه الذى هو الترك كأنه تعالى اخبر عن السامرى انه ترك ما كان عليه من اظهار الايمان او انه استدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين ما يستدل به على ذلك بقوله أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اى استدل على انه لا يصلح ان يكون الها بأن من لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر كيف يكون الها والحال ان الاله ينبغى ان يكون سامعا مجيبا لمن دعاه نافعا لمن دعاه ضارا لمن عصاه مثيبا ومعاقبا كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ وقرأ العامة ان لا يرجع رفع يرجع على ان كلمة ان هى المخففة من الثقيلة ويدل على ذلك وقوع اصلها وهى الثقيلة فى قوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا روى عن الزجاج انه قال الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا تكون ولا وجه لكون الرؤية ههنا بصرية لان عدم ردّه عليهم جوابا ليس مما يبصر وأن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين لانها تجعل الجملة فى تأويل المفرد فيلزم الاقتصار على احد المعمولين وهو غير جائز فى هذه الافعال ﴿ قوله يؤيد الوجه الاوّل ﴾ وهو ان يكون هرون عليه الصلاة والسلام قال لهم ذلك بعدما شاهد منهم افتتانهم بعبادة العجل قبل مجئ موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما قال السامرىّ ما قال ووجه التأييد ان جوابهم بان قالوا لن نبرح مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى انما يلائم الوجه الاوّل دون الثانى ﴿ قوله ان تتبعنى فى الغضب ﴾ يعنى ان المراد باتباع هرون اياه اما الاتباع فى اخلاق اخيه وسيرته او اللحوق به وترك المقام بين اظهر المرتدّين ، والمحاماة المحاصبة والمحافظة يقال حميت عليه بالكسر اذا غضبت ، واعلم ان المصنف حمل الامر فى قول موسى عليه الصلاة والسلام لاخيه أفعصيت امرى على امره اياه بالصلابة فى الدين واظهار الغضب والخصومة مع الضالين وحمل القول فى قول هرون له ولم ترقب قولى على قول موسى له اخلفنى فى قومى واصلح لئلا يرد ما يقال قول موسى له افعصيت أمرى يدل على انه امره بشئ وان اخاه لم يمتثل امره فكيف يحسن ان يقول اخوه

فى جوابه انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولى فهل يصدر مثله من العاقل وعلى تفسير المصنف يكون حاصل الجواب خالفت امرك اياى بالصلابة فى الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم ترقب قولى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح ولا تصور فى هذا الجواب غاية ما فى الباب ان هرون فهم امر موسى اياه بالصلابة فى الدين بان لا تكون تلك الصلابة مؤدية الى تفرقة الدهماء بين بنى اسرآئيل واختلال انتظامهم ﴿ قوله اى ماطلبك له ﴾ اى اى شئ طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباحه وقوله عالم يبصروا به ان قرئ بالتاء الفوقية من فوق يكون الخطاب لموسى وقومه اوله وحده على طريق التعظيم كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وان قرئ بياء الغيبة يكون مسندا الى بنى اسرآئيل يقال بصر بالشئ اى علمه وابصره اى نظر اليه وقيل بصر بالشئ وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد فى الماضى ومضارعه وقرئ بكسر الصاد فى الماضى وفتحها فى المضارع وهى لغة وقرئ كل واحد من الماضى والمضارع على بناء المفعول اى اعلمت بما لم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبريل عليه الصلاة والسلام وبأثره التراب الذى اخذه من حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا فى انه متى رآه فقال الاكثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامرى من بين الناس ولعله لم يسمه جبريل او روح القدس او نحوهما من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبريل انما عرفه بانه رسول روحانى فلا جرم يكون التراب الذى اصابه حافر فرسه خاصة احياء ما لصق به فلذلك قال فى جواب موسى قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميقات الذهاب الى الطور والعامة على فتح القاف من قبضة وهى المرة من القبض وهى مصدر سمى به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر وقرئ قبضة بضم القاف وهى اسم لما يقبض وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاول بجميع الكف ونحوهما الخضم والقضم فان القضم الاكل باطراف الاسنان والخضم الاكل بجميع الفم ﴿ قوله وقيل انما عرفه ﴾ عطف على ما قبله من حيث المعنى فانه دل على انه انما عرفه بالامر العرضى الذى يعمه وغيره وهو انه رسول روحانى جاءه ليذهب به الى حيث امره الله تعالى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان السامرى اختص برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس بناء على انه رآه فى صغره بسبب ان فرعون كان قد امر بذبح اولاد بنى اسرآئيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها بحيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرى ممن اخذه جبريل وجعل كف نفسه فى فيه فارتضع منه العسل واللبن ولم يزل يختلف اليه وهو يعرفه فلذلك عرفه حين رآه راكب حيزوم وقد ارسله الله تعالى اليه ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة ﴿ قوله يغذوه حتى استقل ﴾ اى يربيه حتى استغنى عن تربية الغير والغذاء ما يتغذى به من الطعام والشراب والموطئ موضع القدم من وطئت الشئ برجلى ﴿ قوله ان تقول لا مساس ﴾ اى لا يمس بعضنا بعضا فكان بعد ذلك يعيش فى البرية مع السباع والوحوش لا يمس ولا يمس وان اتفق ان يمس احدا رجلا كان او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه فصار فى الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية فان من لزمه القتل فى الحل فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له عند ابى حنيفة الا انه لا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج فيقتل هنالك فاذا اراد احد ان يمسه يصيح قائلا لا مساس اى لا تمسنى ولا امسك خوفا من الحمى ثم قيل المراد من المماسة المنفية المس الحقيقى وقيل ما يعم جميع انواع المعاملة من المكالمة والمواكلة ونحوهما قرأ العامة لا مساس بكسر الميم وفتح السين الاخيرة وهو مصدر فاعل كالقتال مصدر قاتل وقرئ بفتح الميم وكسر السين وهو علم للمسة وهى المرة الواحدة من المس كما فجار علم للفجرة فان فعال على اربعة اقسام اسم كحرام وصفة للمؤنث كحذاق بمعنى حاذقة وعلم للاعيان المؤنثة كقطام وعلم للمصدر كفجار وحماد ويسار فانها اعلام الفجرة والمحمدة والميسرة ثم قال موسى عليه الصلاة والسلام للسامرى ان لك مع هذا النوع من عذاب الدنيا عذابا وعده الله لك فى الآخرة لن تخلفه بضم التاء وفتح اللام وهى قرآءة الجمهور اسند الفعل الى المفعول الاول وترك الثانى على حاله اى لن يخلفك الله الوعد وينجزه لك على شركك وفسادك وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وذكر المصنف لها وجهين الاول ان لا يكون الاخلاف على اصل معناه ويكون المفعول الاول محذوفا فكما ان الواعد يجوز ان يخلف الموعود له وعده فكذا يجوز ان يخلف الموعود له الواعد وعده بان لا يجئ اليه ويتخلص منه بالهرب والفرار والثانى ان تكون همزته

(قال فما خطبك يا سامرى) اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له او ما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه (قال بصرت بما لم يبصروا به) وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رأيت ما لم تروه وهو ان جبرآئيل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرآئيل يغذوه حتى استقل (فقبضت قبضة من اثر الرسول) من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول الاخذ بجميع الكف والثانى الاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرآئيل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرآئيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) فى الحلى المذاب او فى جوف العجل حتى حيى (وكذلك سولت لى نفسى) زينته وحسنته لى (قال فاذهب فان لك فى الحياة) عقوبة على ما فعلت (ان تقول لا مساس) خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) فى الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله

(الخلف)

(وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) اى بالنار ويؤيده قرآءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قرآءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه رمادا اومبرودا وقرئ بضم السين (فى اليم نسفا) فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتكم (الله الذى لا اله الا هو) اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة (وسع كل شئ علما) وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا (كذلك) مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى (نقص عليك من انباء ما قد سبق) من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (من أعرض عنه) عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما (خالدين فيه) فى الوزر او فى حمله والجمع فيه والتوحيد فيما قبله للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حملا) اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى (يوم ينفخ فى الصور) وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك

احسن فلو حداى بمعنى لن تجد فيه خلفا وقرئ لن نخلفه بضم نون العظمة وكسر اللام على اسناد الفعل الى الله تعالى وحذف المفعول الاول اى لن نخلفكه موسى اعايقول ذلك على حكاية قول الله تعالى عنه كما فى قول جبريل لأهب لك ﴿قوله ظلت على عبادته﴾ اى امضيت نهارك انت واصحابك مقيمين على عبادته يقال ظلت اعمل كذا اذا عملته بالنهار دون الليل قرأ العامة بحذف احدى اللامين للتخفيف وابقاء الظاء مفتوحة على حالها وقوله لنحرقنه جواب قسم محذوف اى والله لنحرقنه والعامة على ضم النون وكسر الراء مشددة من حرقه يحرقه بالتشديد بمعنى احرقه بالنار وشدد للكثرة والمبالغة او برده بالمبرد على ان يكون من حرق الشئ يحرقه ويحرقه بضم الراء وكسرها اذا برده بالمبرد ويؤيد الاحتمال الاول قرآءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من الاحراق ويعضد الثانى قرآءة لنحرقنه بفتح النون وكسر الراء وضمها خفيفة اى لنبردنه ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامرى عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله ﴿قوله فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا﴾ اى صار ما هو فاعل فى المعنى مفعولا لان من شأن التعدية ان يصير الفاعل مفعولا كما اذا قلت فى خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا بتصيير الفاعل مفعولا وعلى القرآءة المشهورة كان تمييزا من نسبة وسع الى الضمير المستتر وهو فى المعنى فاعل فصار مفعولا بنقل الفعل الى باب التفعيل ﴿قوله مثل ذلك الاقتصاص﴾ اشارة الى ان محل الكاف نصب على انه نعت لمصدر المحذوف ﴿قوله من انباء﴾ صفة لمحذوف الذى هو مفعول نقص والتقدير نقص عليك شيأ من انباء ما قد سبق فصار مثل اقتصاص قصة موسى فرعون اولا ثم مع السامرى ثانيا ﴿قوله تبصرة لك الخ﴾ بيان لفائدة ذكر الاقاصيص فى القرآن الكريم فان اشتماله على ما فيه من الاقاصيص كما هى عليه من جملة وجوه كونه معجزا الى غير ذلك من الفوائد ﴿قوله كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص﴾ اشارة الى ان القرآن يسمى ذكرا على طريق تسمية الذات بالمصدر للمبالغة فى اتصافها به فان القرآن العظيم كما انه معجز بنظمه الفائق معجز باشتماله على ذكر اقاصيص الاولين على الوجه المطابق لما ذكر فى الكتب الالهية المتقدمة مع انه عليه السلام ما سمعها من احد ولا قرأها فى كتاب وعلى ذكر جميع ما يحتاج اليه الناس من امور دينهم ودنياهم وايضا يسمى ذكرا لكونه حقيقا بالذكر والتذكر والاتعاظ والتفكر والاعتبار قال تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقال يا ايها الذى نزل عليه الذكر ثم يحتمل ان يكون المراد بالذكر الذكر الجميل والصيت العظيم وفى الصحاح الصيت الذكر الجميل الذى ينتشر فى الناس دون القبيح يقال ذهب صيته فى الناس قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ﴿قوله سماها وزرا﴾ يعنى استعير لها الحمل الثقيل ونقض ظهره اى نقله ﴿قوله والجمع فيه﴾ اى جمع ضمير خالدين وتوحيد ضمير اعرض من مع انهما عبارتان عما عبر عنه بكلمة من لحمل الاول على معنى من والثانى على لفظه ﴿قوله اى بئس لهم﴾ يعنى ان ساء هذه هى التى بمعنى بئس لا التى بمعنى احزن ومن شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرفا باللام او مضافا الى المعرف به او مضمرا مفسرا بنكرة منصوبة وان يذكر بعد ذلك المخصوص وههنا لم يذكر فاعل ساء فلا بد ان يكون مستترا فيه مميزا بقوله حملا فيكون المستتر فيه ضميرا عبارة عن مميزه ولم يذكر المخصوص ايضا فوجب ان يكون محذوفا وتقديره ساء الحمل حملا وزرهم ﴿قوله اشكل امر اللام﴾ اذ لا يقال احزن لهم بل يقال احزنهم ويقال ساءه يسوؤه سوأ بالفتح نقيض سره واشكل ايضا نصب حملا كما فى قولك احزن لهم الوزر حملا اذ لا وجه لكون حملا تمييزا للوزر ولا غير التمييز لا وجه له ايضا قيل يمكن ان يقال اللام للبيان كما اذا كان ساء بمعنى بئس وحملا تمييز من النسبة والمعنى احزنهم حمل الوزر وثقله ﴿قوله تعالى يوم ينفخ فى الصور﴾ بدل من يوم القيامة او بيان له او منصوب بتخافتون او باضمار اذكر قرأ الجمهور ينفخ بضم الياء وفتح الفاء على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده وقرئ ننفخ بفتح نون العظمة على بناء الفاعل على طريق اسناد الفعل الى الآمر وهو البارى تعالى والعدول عن المباشر للنفخ وهو اسرافيل مجاز والنكتة فى المجاز اما تعظيم الآمر بأن لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء ولا يحدث حادث الا بامره وتكوينه او تعظيم النافخ بانه ملك مقرب مكرم عند الله يبلغ فى قربه منه تعالى ومكانته لديه الى حيث يصح ان يسند ما يصدر عنه من الفعل الى ذاته تعالى قرأ الجمهور فى الصور بسكون الواو فقيل هو القرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويؤيده قرآءة من قرأ الصور بفتح الواو والاول اولى لقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور والله تعالى يعرف الناس احوال الآخرة بامثال ما شوهد فى الدنيا فان عادة الناس النفخ فى البوق عند ارادة الاجتماع فى الاسفار وفى العساكر والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية

قوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فانه يدل على ان النفخ في الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا ﴿قوله اسود الكبد﴾ كأنه لشدة عداوته احترق كبده والسبال جمع سبلة وهي الشارب والصهبة حمرة يعلوها سواد وهي من الالوان المختصة بالشعر يقال رجل اصهب وامرأة صهباء ويقال زرقت عينه بالكسر وازرقت ازرقاقا وازراقت ازريقاقا ولكون الزرقة من العيوب يبنى منها باب الافعلال فان كان الزرق بمعنى زرق العيون يكون مجازا عن قباحة الصورة لان زرقة عيونهم مستلزمة لكون صورتهم منكرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فكأنه قيل نحشرهم على اقبح الصورة وان كان بمعنى العمى يكون كناية لان الزرقة من لوازم العمى ﴿قوله اي في الدنيا او في القبر﴾ يؤيد الاول قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويؤيد الثاني قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فان اللبث المضاف الى يوم البعث هو لبثهم في القبور لا لبثهم في الدنيا ﴿قوله يستقصرون مدة لبثهم فيها﴾ اي في الدنيا فانهم عالمون بمقدار عمرهم فيها لكنهم قالوا ذلك استقلالا لمدة لبثهم فيها اما لزوالها والزائل وان طالت مدته قصير بالانتهاء والزوال واما لانهم لما قاسوا اعمارهم في الدنيا باعمار الآخرة وجدوها في نهاية القلة فقال بعضهم ما لبثنا في الدنيا الا عشرة ايام فقال اعدلهم ما لبثنا الا يوما واحدا اي فمدة لبثنا في الدنيا بالقياس الى لبثنا في الآخرة كعشرة ايام بل كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل في امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد واما لانهم لما عاينوا الشدائد وتذكروا ايام النعمة والسرور وتأسفوا عليها وصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار قال الشاعر

✽ تمتع بأيام السرور فانها ✽ قصار وايام الهموم طوال ✽

﴿قوله اشد تقالا﴾ اي استقلالا وهو تفاعل من تقال بمعنى استقل اي عده قليلا رجح الله تعالى قول من بالغ في التقليل لابتنائه على الحكم المذكور ثم انه تعالى لما وصف امر يوم القيامة وبين عظم ما نال المجرمين من الحيرة التي تخافتوا بها بمثل هذا الجنس من المقال حكى سؤال من لا يؤمن بالحشر فقال ويسألونك عن الجبال روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزلت والنسف القلع ومنه نسف البعير النبت اذا اقتلعه بفيه من اصله والنسف ايضا التذرية ومنه قوله تعالى ثم لننسفنه في اليم نسفا قال الخليل يقلعها وقال ابو عبيد يستأصلها ويطيرها كما قال وبست الجبال بسا ﴿قوله فالاولان﴾ وهما كون مقرها قاعا وصفصفا فان الاستواء المدلول عليه بهما استواء بحكم الاحساس بخلاف الاستواء المدلول عليه بقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا فانه استواء حقيقي تام لا يحصل بالمراجعة الى الحس وانما يحصل برأي المهندس وعرضه على المقاييس الهندسية ولما كان العوج المنفي بقوله لا ترى فيها عوجا العوج الخفي الذي لا يدرك بالاحساس الحق بالمعاني فلذلك عبر عنه بالعوج بالكسر والا لكان المناسب ان يقال عوجا بالفتح لان الارض من قبيل الاعيان وما فيها من الاعوجاج من الكيفيات المحسوسة فقوله لا ترى فيها عوجا بالكسر ابلغ في وصف الارض بالاستواء بالنسبة الى ان يقال عوجا بالفتح وهذا التوجيه يخدشه قوله تعالى لا ترى فان الظاهر منه رؤية العين وهي لا تتعلق بالعوج بالكسر وجعله من رؤية القلب لا يناسب عموم الخطاب لان كل واحد لا يعلم الهندسة حتى يتأتى منه علم ذلك ﴿قوله وهو النتوء﴾ اي الارتفاع يقال في تفسير الكعب هو العظم الناتئ ﴿قوله على اضافة اليوم﴾ ذكر لانتصاب قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي وجهين الاول ان يكون ظرفا ليتبعون والتقدير يوم اذ نسفت الجبال يتبعون والثاني ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة في قوله تعالى وساء لهم يوم القيامة حملا البدل الاول يوم ينفخ والثاني يومئذ وحينئذ يكون العامل فيه ساء لانه هو العامل في المبدل منه والتقدير ساء لهم حملا يوم اذ نسفت الجبال ولم يجعل بدلا من يوم ينفخ لان البدل لا يكون له بدل لانه يفضي الى ان يكون البدل مقصودا وغير مقصود معا الا ان هذا الوجه لا يخلو عن بعد للفصل الكثير ولاستلزامه ان يكون يتبعون غير مرتبط بما قبله وقيل انه اوجه ليجيء قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة بدلا ثالثا على النسق اي ساء لهم حملا يوم اذ يتبعون الداعي فان قلت اضافة يوم الى اذ اضافة زمان الى زمان فيلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال اجيب بان المراد بالزمان المضاف المسمى وبالزمان المضاف اليه الاسم كما في شهر

(ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ يحشر المجرمون (زرقا) زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق (يتخافتون بينهم) يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه (ان لبثتم الا عشرا) اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (نحن اعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول امثلهم طريقة) اعدلهم رأيا او عملا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم (ويسألونك عن الجبال) عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف (فقل ينسفها ربي نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (فيذرها) فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن اجزاءها على صف واحد (لا ترى فيها عوجا ولا امتا) اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين (يومئذ) اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة

(يتبعون الداعى) داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه (لاعوج له) لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت لمهابته (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن) الاستثناء من الشفاعة اى الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن (ورضى له قولا) اى ورضى لمكانه عنده قوله فى الشفاعة او رضى لاجله قول الشافع فى شأنه او قوله لاجله وفى شأنه (يعلم ما بين ايديهم) ما تقدمهم من الاحوال (وما خلفهم) وما بعدهم مما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحى القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حمل ظلما) وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) لان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلا يخاف ظلما) منع ثواب مستحق بالوعد (ولا هضما) ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (انزلناه قرآنا عربيا) كله على هذه الوتيرة (وصرفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة (او يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم (الملك) النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) فى ملكوته يستحقه لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد

رمضان ويوم الخميس وذات يوم وذات ليلة وذات اليمين وذات الشمال والصابر من اضافة الاسم الى الخاص كما فى شجر الاراك ﴿ قوله يدعو الناس قائما ﴾ فيقول يا ايها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون من كل اوب الى صوبه وصوته لا يعدلون ﴿ قوله لا يعوج له ﴾ اى لدعائه اى يستوون اليه من غير انحراف ﴿ قوله او من اعم المفاعيل ﴾ اى لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن فى ان يشفع له فمن على هذا عبارة عن المشفوع وعلى الاول عن الشافع ﴿ قوله يخفق اقدامهم ﴾ اى يضربها على الارض ضربا خفيفا وكل ضرب بشئ عريض خفق ﴿ قوله اى ورضى لمكانه ﴾ على تقدير ان يكون الاستثناء من الشفاعة فلام اذن له صلة اذن ولام رضى له للتعليل وقوله او رضى لاجله على تقدير ان يكون الاستثناء من اعم المفاعيل وان تكون اللام فى رضى له متعلقة برضى وعلى الثانى تكون متعلقة بقوله قولا والمعنى الا من اذن له الرحمن فى ان يشفع له ورضى قول الشافع لاجله وفى شأنه ﴿ قوله ما تقدمهم من الاحوال ﴾ اى ما تقدمهم من احوال الدنيا بقوله يتبعون الداعى ولو فسر قوله ما بين ايديهم بما يستقبلونه من الاحوال وقوله وما خلفهم بما مضى منها لكان اقرب الى المتبادر ﴿ قوله ولا يحيط علمهم بمعلوماته ﴾ اشارة الى ان تمييز محول من الفاعلية وان قوله به فيه مضاف مقدر ليكون قوله ولا يحيطون به علما مقابلا لقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لانه اذا لم يقدر المضاف وقيل المعنى ولا يحيطون بذاته لم يصح التقابل وقيل فى اظهار التقابل من غير تقدير المضاف فى به ان الضمير فى به يرجع الى ما بين ايديهم وما خلفهم بتقدير احدهما لا على التعيين او مجموعهما فيؤول المعنى الى ان الخلق لا يحيطون بمعلوم الله علما الا بما شاء الله والعناة جمع عان وهو الاسير ويسمى الاسير عانيا لخضوعه وذلته لمن هو فى يده ﴿ قوله وظاهرها يقتضى العموم ﴾ وذلك لانه تعالى لما اجاب عن سؤال من قال كيف تكون الجبال يوم القيامة شرح احوال ذلك اليوم فى حق عامة الخلائق فقال اولا يومئذ يتبعون وقال ثانيا وخشعت الاصوات للرحمن وقال ثالثا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن وقال رابعا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وقال خامسا وعنت الوجوه فالظاهر ان المراد ذوات المكلفين والقسم ذكر الوجوه واريد اصحاب الوجوه لان قوله عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كما فى قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان آثار الخضوع والذلة تظهر فيها وتتبين بها فالظاهر ان جملة قوله وقد خاب من حمل ظلما حال من الوجوه بحذف العائد اى من حمل ظلما منهم وان خص الوجوه بوجوه المجرمين وجعلت تلك الجملة حالا منهم يكون قوله من حمل ظلما قائما مقام العائد لكونه عبارة عنهم وقوله فلا يخاف فى موضع الجزم على انه موضع جواب الشرط والتقدير فهو لا يخاف والخيبة اليأس من كل خير ﴿ قوله اى مثل ذلك الانزال ﴾ المشتمل على بيان الغيوب عما كان وما يكون انزلنا هذا الكتاب قرآنا عربيا بلسان العرب ولغتهم وصرفنا فيه من الوعيد من كل ما حل بالقرون الماضية وما سيقع بالامم المكذبة للانبياء والكتب اشارة لعلهم يتقون اى لكى يحذروا ما يوجب سخط الله تعالى ﴿ قوله مكررين فيه آيات الوعيد ﴾ يدل على انه جعل قوله وصرفنا فيه من الوعيد حالا او قيدا للانزال وهذا لان كون انزال القرآن كله على ما ذكر فيه من الآيات متضمنا للوعيد انما هو باعتبار تكرر آيات الوعيد فيه لا مطلقا ولان قوله لعلهم يتقون متعلق بالانزال المقيد بالتصريف لا لمطلقه ولا بالتصريف كذلك فلا بد من التقييد ﴿ قوله ولهذه النكتة ﴾ وهى كون المراد بالاتقاء الاستمرار على التقوى الحاصل قبل تكرير آيات الوعيد وهو جواب عما يقال لم اضيف الذكر الى القرآن ولم تضف التقوى اليه وتحصيل الجواب انه لما كان المقصود ان يقال انزلناه كذلك ليستمر المتقون على تقواهم وان لم يوجد المتق فلا اقل من ان يحدث لهم القرآن عظة واعتبارا حين يسمعونه وجب اسناد التقوى اليهم والاحداث الى القرآن المرتل حال تكرير آيات الوعيد فيه ﴿ قوله الحق فى ملكوته ﴾ اى الثابت فى ملكيته يستحق تلك الملكية لذاته وتذكير ضمير الملكوت لكونه مصدرا مقدرا بان مع الفعل ﴿ قوله نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يتعجل ويبادر جبريل عليه الصلاة والسلام بالقراءة قصد تبليغ القرآن خشية الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال لا تعجل بالقرآن ﴿ قوله ومساوقته ﴾ اى متابعته يقال فلان فى ساقة العسكر اى فى آخره وهو جمع سائق وهو يساوقه اى يتبعه وتساوقت الابل اى تتابعت والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا ﴿ قوله على سبيل الاستطراد ﴾ جعل النهى المذكور استطرادا لكونه اجنبيا بالنسبة الى ما سيق له الكلام فان الكلام مسوق لبيان ان اصلاح بنى آدم يتوقف على ذكر مرة بعد اخرى

وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه (وقل رب زدني علما) اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لا محالة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمان (فنسي) العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجد له عزما) تصميم رأي وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود الناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مقدر باذكر اى اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات (فسجدوا الا ابليس) قد سبق فيه القول (ابى) جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (من الجنة فتشقى) افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها

بتكرير آيات الوعيد وتجديد ما يدعوهم الى اجابة الرب المجيد كما قال وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد الخ ولا شك ان النهي اجنبي بالنسبة الى هذا المقصود وذكر في اثنائه لتأدية ذكر شأن القرآن الى تذكره ولم يجعله اعتراضا لانه ليس له فائدة ترجع الى تأكيد مضمون الكلام السابق واللاحق ﴿قوله وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا﴾ لم يرتض به لما فيه من تقييد المطلق وهو القرآن في قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن ولانه يأبى عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴿قوله تقدم الملك اليه﴾ الراغب قدمت اليه بكذا امرته قبل وقت الحاجة الى الفعل اى قبل ان يدهمه الامر او الناس واوعزت اليه في كذا اى قدمت وكذلك وعزت عليه توعيزا وقد يخفف فيقال وعزت عليه وعزا ﴿قوله وانما عطف قصة آدم قوله وصرفنا فيه﴾ يعني انها معطوفة على الجملة التي قبلها على طريق عطف القصة على القصة والجملة الثانية وان كانت انشائية والاولى خبرية لكن الانشائية مشتملة على ذيل وقصة في حكم الخبرية فعطفت على الخبرية كما تعطف الخبرية على مثلها ووجه المناسبة بين القصتين انه تعالى بين بالجملة الاولى ان الانسان انما يثبط عن المعاصي والمنكرات بتكرير آيات الوعيد وتجديد التهديدات حيث قال وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ثم اردفه بقصة آدم كأنه قال ان طاعة بني آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوس الشيطان امر قديم فانا قد عهدنا الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد فظهر ان امر البشر في ترك التحفظ امر قديم ﴿قوله ولم يعن به﴾ اى لم يهتم به ولم يعتد به الاعتداد الصادق يقال عنيت بحاجتك بضم اوله اعنى بها عناية قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اى يهمه ﴿قوله تصميم رأي﴾ معنى العزم في اللغة توطين النفس على الفعل فالمعنى لم نجد له رأيا معزوما عليه حيث جرى على ما وسوس اليه ابليس اللعين الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل لم نجد له حفظا لما امر به وقيل صبرا عما نهي عنه ﴿قوله ويذوق شريها واريها﴾ الشري بفتح الشين وسكون الراء المهملة الحنظل والاري بفتح الهمزة وسكون الراء العسل اى لعله كان ما وقع منه من نسيان العهد وعدم الثبات على الامر قبل ان يذوق مر الامور وحلوها لا من نقصان عقله وقصور حلمه فانه ارجح الناس عقلا واوفرهم حلما لما روى من الحديث وقال الحسن كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده ثم قال تعالى ولم نجد له عزما ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام مع ذلك اثر فيه وسوسته فكيف في غيره ﴿قوله وعلى هذا لا يقدر له مفعول﴾ لان قوله ابى السجود لا يصلح جوابا لقول من قال لم لم يسجد بخلاف ابى بمعنى انه فعل الاباء واظهره وانه من اهل الاباء عن طاعة المولى ولا فائدة في افادة هذا الغرض لبيان تعلقه بمعموله فلذلك نزل منزلة اللازم ثم انه تعالى اشار بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك الى علة اخرى لعصيانه وهو حسده الذي هو سبب عداوته لهما فان اللعين كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله في حق آدم حسده فصار عدوا له فكيف يقدم على ان يسجد له مع عداوته اياه وفيه اشارة الى ان كل من حسد احدا يكون عدوا له ويريد هلاكه ويسعى في افساد حاله ثم لما كان المخرج من الجنة حقيقة هو الله تعالى كان قوله فلا يخرجنكما من الجنة من قبيل اسناد الفعل الى السبب فان اللعين بوسوسته يكون سببا لخروجهما من الجنة ثم ان ظاهر الآية وان كان نهي الشيطان عن ان يكون سببا لاخراجهما الا ان المراد نهيهما عن ان يكون منهما ما يكون سببا لطمع الشيطان في ان يغويهما ويسعى فيما يؤدي الى خروجهما من الجنة كأنه قيل كونا شديدي الشكيمة قويي العزيمة في رعاية ما كلفتماه والاحتراز عما نهيتما عنه بحيث يكون الشيطان خائبا من ان يطمع في زلتكما ويقدم على اغوائكما وقوله تعالى فتشقى منصوب باضمار ان في جواب النهي اى لا تباشرا اسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة مثل الحرث والزرع والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك مما لا يخلو الناس عنه في امر معيشتهم ﴿قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها﴾ لك خبر ان وان لا تجوع في محل النصب على انه اسم ان والتقدير ان لك عدم الجوع والعري وهو تجرد الجلد عما يستره يقال عري يعرى عريا ﴿قوله ولا تضحى﴾ اى وان لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس يقال ضحى الرجل للشمس اذا برز وتعرض لها قال الجوهري ضحيت للشمس بالكسر ضحاء بالمد اذا برزت لها وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى في اللغتين جميعا والكن السترة الحائلة من الشمس والجمع اكنان قال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا فهو تعالى لما ذكر ما له في الجنة من الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان ذكر نقائضها كان ذكرها على هذا الوجه كأنه تفسير الشقاء المذكور في قوله فتشقى

(قوله)

والعطف وان ناب عن ان لكنه من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الثمرة والقوى نقصها (فوسوس اليه الشيطان) فانهى اليه وسوسته (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه (وملك لا يبلى) لا يزول ولا يضعف (فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه) باكل الشجرة (فغوى) فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لزلته وزجر بليغ لاولاده عنها (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع (فتاب عليه) فقبل توبته لما تاب (وهدى) الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال (بعضكم لبعض عدو) لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله (فاما يأتينكم مني هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداي فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة (ومن اعرض عن ذكري) عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي (فان له معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة اعمى) اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير

﴿قوله والعطف وان ناب عن ان﴾ اي المكسورة جواب عما يقال ان المكسورة لا تدخل على ان المفتوحة كراهة اجتماع الحرفين بمعنى واحد وهو التحقيق وكراهة اجتماع عاملين يعملان عملا واحدا فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان المكسورة وقائمة مقامها كما في قولك ان زيدا في الدار وعمرا ثم ادخلت عليها في قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها * وتقرير الجواب ان الواو ليست موضوعة للتحقيق حتى يجتمع حرفان بمعنى واحد والمفتوحة مع ما في حيزها لما كانت في تأويل المفرد جاز اجتماعها مع الواو النائبة عن العامل ﴿قوله او عن المأمور به﴾ وهو التباعد عن الشجرة فانه مأمور به في ضمن قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة والظاهر ان يقال فغوى وضل عن الانتهاء عما نهي عنه بقوله ولا تقربا الا ان النهي عن الشيء لما تضمن الامر بضده عند الشافعية وكان معنى قوله لا تقربا هذه الشجرة ابعدا عنها قال او عن المأمور به قرأ الجمهور فغوى بفتح الواو بعدها الف بمعنى ضل وقرئ بكسر الواو وفتح الياء بمعنى بشم ﴿قوله وفي النعي عليه بالعصيان﴾ اي وفي تشهيره به يقال نعى فلان على فلان ذنوبه اي اشهر ذنوبه وشهره بها والعصيان ترك الامر وارتكاب المنهي عنه فان كان عمدا يسمى ذنبا وان كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على انه عليه الصلاة والسلام صدر عنه عمد المعصية والمصنف سماها زلة بناء على انه عليه الصلاة والسلام انما ترك الانتهاء عن اكل الشجرة اجتهادا لا بان تعمد المعصية ووجه الاجتهاد انه عليه الصلاة والسلام حمل النهي على التنزيه دون التحريم او حمل قوله تعالى هذه الشجرة على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر ان هذه الواقعة انما كانت قبل نبوته عليه الصلاة والسلام ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه وتاب عليه بالمغفرة وهداه الى التوبة حين قال ربنا ظلمنا انفسنا روي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود عليه الصلاة والسلام لكان بكاؤه اكثر ولو جمع ذلك الى بكاء نوح عليه الصلاة والسلام لكان بكاء نوح اكثر وانما سمي نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع ذلك كله الى بكاء آدم عليه الصلاة والسلام على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر قال وهب انه لما كثر بكاؤه امره الله تعالى بان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين فقالها آدم ثم قال قل لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني وانت ارحم الراحمين فقالها آدم ثم قال له قل سبحانك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم قال ابن عباس هن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ﴿قوله ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم﴾ جواب عما يقال خطاب اهبطا للاثنين وهما آدم وحواء او آدم وابليس وما بعده من الخطاب للجمع فكيف جاز ان يخاطب شخصان بما يخاطب به الجماعة * وتقرير الجواب انهما وان كانا شخصين معينين في انفسهما الا انهما لما كانا اصلي ما تفرع منهما من الذرية جعلا بمنزلة الجماعة فخوطبا بما يخاطب به الجماعة فقال بعضكم لبعض عدو فان ذرية آدم وحواء يتعادون لامر المعاش وكذا ذرية آدم وابليس يتعادون لاختلال حال كل واحد من نوعي البشر والشياطين بواسطة الآخر فان نوع البشر اخرجوا من النعيم المقيم بسبب وسوسة ابليس وان ابليس طرد من بين المقدسين ومقام المقربين بسبب ابائه عن السجود لآدم وهذا معنى اختلال كل من النوعين بواسطة الآخر ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو ان يكون الخطاب لآدم وحواء لا له وابليس ووجه التأييد ان خطاب يأتينكم لا يدخل فيه ابليس وذريته لانهم آيسون من رحمة الله وملعونون الى يوم القيامة ﴿قوله مصدر وصف به﴾ مبالغة او بتقدير ذات ضنك يقال ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكا من باب نصر ينصر وخلاصة المعنى ان من اتبع كتاب الله تعالى ومواعظ رسوله هداه الله تعالى فلا يضل في امر دينه ما دام حيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ومن اعرض عنه ضاق عيشه في الدنيا لانه لا يجد الخلف في الانفاق في الدنيا ولا المثوبة في العقبى فلا جرم يضيق الانفاق ويلازم الشح فيكون محروما من الخلف في الدنيا والمثوبة في الآخرة بخلاف من اتبع الهدى فانه يتسع قلبه في ذلك رجاء الخلف والاجر وتطيب نفسه بالقناعة التي هي كنز لا يفنى فيكون في سعة الدنيا والآخرة فيكون المراد بضيق معيشة المعرض ضيق قلبه في شأن اعراض الدنيا وان كثر ما في يده منها مع انه يضيق على الكافر ويوسع على المؤمن قال الله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقيل المراد بالمعيشة الضنك عذاب الآخرة في جهنم فان طعام اهلها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقيل المراد بها عذاب القبر روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن

فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر ثم قال أتدرون فيم انزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا وأتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر فى قبره والذى نفسى بيده ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينهشونه فى جسده ويلدغونه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة قرآءة العامة ونحشره بالنون ورفع الفعل على الاستئناف تخفيفا وقوله اعمى منصوب على الحال والظاهر ان المراد بالعمى عمى البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى وقيل المعنى نحشره اعمى عن الحجة بمعنى انه لا حجة له يهتدى بها الى ما كان عليه من الضلالة قال القرآء انه يبعث بصيرا ثم يعمى اذا حشر الى جهنم وقيل يكون ذلك بعد ما حوسب وقرأ الكتاب ﴿ قوله اى مثل ذلك فعلت ﴾ على ان الكاف فى محل النصب على انه معمول به اى مثل ذلك الفعل الذى فعلنا بك فعلت انت بنفسك ﴿ قوله من ضنك العيش ﴾ ان كان المراد بالفصل الحشر على العمى الذى لا يزول ابدا يكون المفضل عليه ضنك العيش فانه يزول وينقضى وان كان المراد بالفصل عذاب النار يكون المفصل عليه ضنك العيش والحشر على العمى جميعا فان عذاب النار اشد من كل واحد منهما اما من ضنك العيش فظاهر واما من العمى فلقوله ولعله اذا دخل النار زال عماه ويحتمل ان يكون المعنى وتركنا اياه فى العمى او فى عذاب النار اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم انه تعالى لما بين ان من اعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الاحوال الواقعة فى الدنيا بمن كذب الرسل فقال افلم يهد لهم اى افلم يتبين لهم وان كان قوله يهد مسندا الى ضمير الله تعالى او ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام يكون كم اهلكنا سادا مسد مفعوليه لان كم الاستفهامية معلقة له فلا يعمل فيها والتعليق وان كان من خصائص افعال القلوب وفعل الهداية ليس منها الا انه جار مجرى باب علمت لان الهداية وهى الدلالة على ما يوصل الى المطلوب فيها معنى الاعلام والتبيين ومعنى الاستفهام فيه التقرير اى يبين الله تعالى لكفار مكة كثرة اهلاكه القرون للاعتبار او بين الرسول كثرة اهلاكنا ولو اهملت فعل الهداية واظهرت مفاعيله الثلاثة لقلت افلم يعلمهم كثيرا من القرون مهلكا ﴿ قوله او ما دل عليه كم اهلكنا ﴾ قال ابو البقاء ويحتمل ان يكون الفاعل ما دل عليه اهلكنا اى اهلاكنا والجملة مفسرة له انتهى فيكون مفعوله محذوفا والمعنى افلم يبين لهم اهلاكنا القرون المكذبين طريق الاعتبار والاتعاظ ولا يكون كم فى كم اهلكنا فاعلا ولا معمولا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو منصوب باهلكنا وهو مفعول مقدم اى وكثيرا من القرون اهلكنا ﴿ قوله او الجملة بمضمونها ﴾ اى ويحتمل ان يكون فاعله هذا الكلام الذى بعده وهو كم اهلكنا الخ بناء على ان المراد لفظه الدال على معناه كما ذهبنا آمنوا فى قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا اللفظ الدال على معناه لا مجرد لفظه بل باعتبار دلالته على معناه وهو كثرة ما اهلك من القرون جعله هاديا لهم كما جعل واعظا وزاجرا ويمشون فى موضع الحال من الضمير فى لهم والضمير فيه لكفار مكة والمعنى انهم يمشون فى مساكن الهالكين من القرون المكذبين فى متاجرهم الى الشام ذاهبين وراجعين ويشاهدون كون ديارهم خرابا بلقعا فينبغى ان يعتبروا بهم ويجتنبوا عما ادى بهم الى عذاب الاستئصال لئلا يحل بهم ما حل بهؤلاء وقرئ يمشون بالتشديد بلكثرة تمشوا فى مساكنهم ﴿ قوله تعالى ان فى ذلك ﴾ اى فى اهلاكهم بسبب كفرهم بالانبياء ﴿ قوله لكان مثل ما نزل بعاد ﴾ يريد ان اسم كان فى قوله لكان لزاما ضمير راجع الى الاهلاك المدلول عليه بقوله اهلكنا على حذف المضاف اى لكان مثل اهلاك عاد لازما لهؤلاء الكفرة اما على ان لزاما مصدر لازم وصف به او اسم آلة على انه فعال بمعنى مفعل سمى به اللازم تشبيها له بآلة اللزوم فى فرط اللزوم فان اللازم لا ينفك عن الملزوم كما ان الآلة لا تنفك عما جعلت آلة له وكون فعال بمعنى مفعل واطلاقه على الفاعل مثل قولهم فلان لزاز خصم اى ملح شديد الخصومة يقال لززه يلززه لزا ولززا اى شده ولصقه ورجل ملز اى شديد الخصومة لزوم لما طلب ولاززته اى لاصقته ﴿ قوله عطف على كلمة ﴾ فيكون الكلام على التقديم والتأخير واشار اليه بقوله لولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى الخ لكان العذاب لزاما ثم بين نكتة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بتوسط جواب لولا بقوله والفصل لدلالة الخ ثم انه لا شك فى ان الحكمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه فى اللوح المحفوظ ان امة محمد وان كذبوا فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال واختلفوا فيما لاجله لم يفعل ذلك بامة محمد عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لانه علم ان فيهم من يؤمن وقال آخرون علم ان فى نسلهم من يؤمن ولو نزل بهم استئصال لهم الهلاك وقال آخرون المصلحة فيه خفية لا نعلمها

(قال كذلك) اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها (وكذلك) ومثل تركك اياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من اسرف) بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وخالفها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى والنار بعد ذلك (اشد وابقى) من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (أفلم يهد لهم) مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه (كم اهلكنا قبلهم من القرون) اى اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجرى مجرى اعلم ويدل عليه القرآءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) ويشاهدون آثار اهلاكهم (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة (لكان لزاما) لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (واجل مسمى) عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب

الا الله تعالى وقال اهل السنة له تعالى بحكم المالكية ان يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بقهره وعذابه من غير علة تقتضي ذلك ﴿قوله ويجوز عطفه﴾ اى عطف قوله واجل مسمى على ضمير المستتر فى كان الفصل على الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق فيكون الفصل بالخبر للاهتمام ببيان لزوم الاخذ العاجل لانتفاء المدة تأخير عذاب هذه الامة والمعنى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لعذابهم الاجل لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود واضرابهم ولم يفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل الا ان هذا الاحتمال انما يكون على تقدير كون قوله لزاما مصدرا وصف به لان المصدر لا يثنى ولا يجمع ان يفرد على كل حال بخلاف ما اذا كان اسم آلة بمعنى ملزم فانه حينئذ كان ينبغى ان يطابق فى التثنية فيقال لزامين وجوز ابو البقاء ان يكون لزاما جمع لازم كقيام جمع قائم ثم انه تعالى لما اخبر نبيه عليه الصلاة والسلام انه لا يهلك احدا قبل استيفاء اجله امره بالصبر على ما يقولون من أنهم ويؤذونه مثل تكذيبهم اياه الى ان يأتيهم من القوة فقال فاصبر على ما يقولون اى على ما تسمع منهم مما يؤذيك الى ان يحكم الله فيهم وهذه الآية منسوخة بآية القتال ثم امره بالتسبيح عقيب امره بالصبر لان التسبيح سواء كان بمعنى التنزيه والاجلال او بمعنى الصلاة بطريق اطلاق الجزء على الكل من قبيل ذكر الله تعالى وذكره يفيد السلوة والراحة وينفى جميع ما اصاب من الهموم والاحزان الا بذكر الله تطمئن القلوب ﴿قوله معترفا بانه مولى النعم كلها﴾ الاعتراف به مستفاد من لفظ الحمد لان الحمد الاصطلاحى انما يكون فى مقابلة النعم وتأكيد النعم بقوله كلها مستفاد من اطلاق الحمد حيث لم يقيد بكونه فى مقابلة شئ من النعم ﴿قوله ومن ساعاته﴾ اى فسبح بعض ساعاته والآناء جمع انى كمعى وقيل جمع انى كرحى يقال انى يأنى انيا اى حان ﴿قوله وانما قدم زمان الليل﴾ اى الزمان الذى هو الليل يعنى قدم قوله ومن آناء الليل على عامله واخر عنه قوله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اهتماما بشأن الليل حيث ان ما كان بالليل من العبادة افضل مما كان بالنهار لان الشواغل الداعية الى تفريق الخواطر تقل بالليل فيكون ما وقع فيه من العبادة مقرونا بحضور القلب وموافقة القلب اللسان فيكون ادخل فى استحقاق الاجر والفضل وايضا النفس فيه اميل الى الاستراحة فان العبادة الناشئة اى الحادثة فى الليل اشد وطئا اى كلفة او ثبات قدم واقوم قيلا اى اشد قراءة لانتفاء الشواغل ﴿قوله ومجيئه بلفظ الجمع﴾ جواب عما يقال النهار له طرفان فكيف قيل واطراف النهار والظاهر ان يراد لفظ التثنية كما قال واقم الصلاة طرفى النهار وتقرير الجواب انه ذكر لفظ الجمع فى موضع ذكر لفظ التثنية لعدم التباس المراد فانه لا يلتبس على احد ان النهار له طرفان لا غير وذكر لفظ التثنية فى آية اخرى للتنصيص على المراد وزيادة البيان كما عبر الشاعر عن الامرين تارة بلفظ التثنية واخرى بلفظ الجمع فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين ٭ لذلك وقبله ومهمهين قذفين مرتين ٭ وبعده قطعتهما بالسمت لا بالسمتين ٭ المهمه المفازة البعيدة والقذف الارض المستوية والمرت بسكون الراء المفازة التى لا نبات بها ولا ماء وقطعتهما اى قطعتهما ولم يحتج الى الامارة واحدة بسمت واحد لا بسمتين ليتميز كل واحد من المهمهين من الآخر يصف الشاعر نفسه بالفطانة والمهارة فى سلوك المفاوز وبالجرأة والاقدام على المهالك وانما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين التثنيتين احداهما فى المضاف والثانية فى المضاف اليه كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما ﴿قوله او امر بصلاة الظهر﴾ عطف على قوله تعالى تكرير لصلاتى الصبح والمغرب فان قوله واطراف النهار منصوب بالعطف على محل قوله ومن آناء الليل كانه قيل وسبح اطراف النهار التى هى ما بعد الزوال وما قبله وعبر بلفظ اطراف باعتبار انه ذو حظ من طرفى النهار ولا بد مع هذا الاعتبار من الذهاب الى قول من قال اقل الجمع اثنان ﴿قوله فانها نهاية النصف الاول﴾ اى فان وقت صلاة الظهر اى وقت الزوال الذى هو نهاية النصف الاول الخ ﴿قوله او لان النهار جنس﴾ يتناول كل فرد من افراد النهار فلما كانت صلاة الظهر تتكرر فى كل نهار جمع وقته لتعدد النهر الذى اضيف هو اليها لا لتعدده فى نفسه ﴿قوله او بالتطوع فى اجزاء النهار﴾ عطف على قوله بصلاة الظهر فى قوله او امر بصلاة الظهر فقوله تعالى واطراف النهار فيه ثلاثة اوجه ﴿قوله اى نظر عينيك﴾ ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون له مثله وفيه دليل على ان النظر الغير الممدود معفو عنه لانه لا يمكن الاحتراز عنه ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل له عليه السلام ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما عليه جبلت البشر ولقد شدد المتقون فى وجوب غض

ويجوز عطفه على المستكن فى كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك) وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما فى آخر النهار او العصر وحده (ومن آناء الليل) ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد (فسبح) يعنى المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطئا واقوم قيلا (واطراف النهار) تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع فى اجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) اى نظر عينيك (الى ما متعنا به) استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله (ازواجا منهم) اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم

(زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا اوبالبدل من محل به اومن ازواجا بتقدير مضاف ودونه اوبالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجهرة فى الجهرة اوجمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) لنبلوهم ونختبرهم فيه اولنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) وماادخرلك فى الآخرة اومارزقك من الهدى والنبوة (خير) مما منحهم فى الدنيا (وابقى) فانه لاينقطع (وأمر اهلك بالصلاة) امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولايهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة (واصطبر عليها) وداوم عليها (لانسألك رزقا) ان ترزق نفسك ولا اهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوي التقوى روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلاهذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) بآية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة اوبآية مقترحة انكارا لما جاءبه من الآيات اوللاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وانفعها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولاشك ان العلم اصل العمل وأعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ماكان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال (اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى) من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة مافيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتى بها امى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كمايدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى مايشهد على صحتها قرأ نافع وابوعمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل محمد او البينة والتذكير لانها فى معنى البرهان او المراد بها القرآن (لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل) بالقتل والسبى فى الدنيا (ونخزى) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما (قل كل) اى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون من اصحاب الصراط السوى) المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد والسوءى والسوء اى الشر والسوى وهو تصغيره (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط

البصر من ابهة القلة واحتيال الصنعة فى اللباس والمركب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار فالنظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله يقول لك بعنى كذا وكذا من الدقيق او اسلفنى الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال لا والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لو باعنى او اسلفنى لقضيته وانى لأمين فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا قال ابو الدرداء الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم لاتتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم عبيدا وأزواجا منصوب على انه مفعول متعنا او على انه حال من الهاء به وهى لفظ مارة فافرد الراجع اليها ومعناها اخرى فجمع ماكانت عبارة عنه ومنهم مفعول متعنا على ان من فيه للتبعيض اى بعضهم اونفسا منهم وذكر لانتصاب زهرة ستة اوجه الاول ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة والثانى ان يكون مفعولا ثانيا لمتعنا على تضمينه معنى اعطينا وازواجا مفعوله الاول وزهرة هو الثانى والثالث ان ينتصب على انه بدل من محل به والرابع والخامس ان يكون بدلا من ازواجا على حذف المضاف اى ذوى زهرة اومن غير حذفه بان يجعل اصناف الكفرة نفس الزهرة على المبالغة والسادس ان يكون منصوبا على الذم وهو النصب على الاختصاص بتقدير اعنى والمسموم الموصول او ضميره ذمه لكونه زينة الدنيا الا آخرتوعلى تقدير ان يكون زهرة بفتح الهاء جمع زاهر كفاجر وفجرة وبار وبررة تكون صفة ازواجا اى اصنافا زاهرى الدنيا اى مشرقى الوجوه متلألئى الالوان والهيئات يقال زهرت النار زهورا اى اضاءت وازهرتها انا والازهر النير ورجل ازهر اى ابيض مشرق الوجه والمرأة زهراء وصف المتعمون بانهم زاهروا هذه الحياة الدنيا لصفاء ألوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ماعليه الصلحاء من تغير الالوان والتلبع بالقوت والاكتفاء بالرثاث من الثياب ﴿قوله او لنعذبهم﴾ يؤيده قوله تعالى ولاتعجبك اموالهم ولااولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ﴿قوله على خصاصتهم﴾ قال فى النهاية الخصاصة الجوع والضعف واصلها الفقر والحاجة الى الشئ ﴿قوله انكارا لماجاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا﴾ يعنى ان قول الكفار هلا يأتينا محمد عليه الصلاة والسلام بآية يجوز ان يكون طلبا لآية تدل على صدقه اية آية كانت انكارا لما جاءبه عمايدل عليه وان يكون طلبا لآية مقترحة مثل العصا والناقة مع اعتدادهم عماجاءبه تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر على مايقولون توطئة لحكاية هذه المقالة من الكفرة ويكون المراد عمايقولون مقالتهم هذه قرأ نافع وابوعمرو وحفص اولم تأتهم بتأنيث الفعل لتأنيث فاعله والباقون بالياء من تحت لكون التأنيث غير حقيقى وقرأ العامة بينة مااضافة بينة الى ما مرفوعة وهى واضحة وقرئ بتنوينها مرفوعة فعلى هذه القرآءة تكون ما بدلا من بينة بدل كل من كل او خبر مبتدأ محذوف اى هى مافى الصحف الاولى كالتوراة والانجيل من البشرة بنبينا محمد بارساله نبيا عربيا موصوفا بماله من النعوت الكريمة ﴿قوله تعالى ولو أنا اهلكناهم بعذاب الآية﴾ بيان انه لاعذر لهم فى ترك الشرائع وسلوك طريق الضلال ووجه تمامه انه تعالى ختم السورة بضرب من الوعيد ونوع من الزجر والتهديد فقال قل كل متربص الآية قرأ العامة السوى على وزن فعيل بمعنى الذى المستوى المستقيم وقرئ السواء بفتح السين والمد بمعنى الوسط الجيد وقرئ السوءى تأنيث الحسنى لان الصراط لكونه بمعنى السبيل يجوز تأنيثه وقرئ الصراط السوء بفتح السين وسكون الواو بمعنى الشر وقرئ السوى بضم السين وفتح الواو وتشديد الياء تصغير سوء والمعنى على القرآءات الثلاث الاخيرة ستعلمون من اصحاب الطريق المعوج والدين الباطل ﴿قوله ومحلها الرفع على الابتداء﴾ ومابعدها الخبر والجملة فى محل النصب سادة مسد المفعولين ومن لما كانت استفهامية بمعنى اينا لم يعمل فيها ستعلمون ﴿قوله على ان العلم بمعنى المعرفة﴾ اذ لو كان على بابه لاحتيج الى تقدير مفعول ثان لعدم جواز الاقتصار على احد مفعوليه وعلى تقدير ان تكون من الثانية موصولة تكون فى حيز مفعول فستعلمون على معنى فستعلمون الذى اهتدى او فى حيز خبر من الاستفهامية على معنى اينا اصحاب الصراط السوى والذى اهتدى او فى حيز المجرور باضافة اصحاب اليه على معنى اينا اصحاب الصراط السوى واصحاب الذى اهتدى على ان المراد بالذى اهتدى النبى عليه الصلاة والسلام

﴿ سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله بالاضافة الى مامضى ﴾ جواب عما يقال كيف وصف وقت الحساب بالاقتراب مع انه قد عدّ من بعد نزول هذا القول اكثر من تسعمائة سنة يقال قرب الشيء واقترب اذا دنا والحساب بمعنى المحاسبة وهو اظهار ماللعبد وماعليه ليجازى على ذلك قيل المراد به وقت حسابهم وهو يوم القيامة كما قال اقتربت الساعة فسمى يوم القيامة بيوم الحساب تسمية الزمان باعظم ماوقع فيه واشده وقعا فى القلوب فان الحساب هو الكاشف عن حال المرء فنى تسميته به تخويف عظيم للكلفين ﴿ قوله واللام صلة لاقترب ﴾ الفرق بين كونها صلة وكونها تأكيدا للاضافة ان اللام الجارة اذا كانت صلة لاقترب كان المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا وكان المعنى دنا من الناس حسابهم واذا كانت تأكيدا للاضافة لم يكن المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا العلم به فيصير المعنى كما قيل اقترب حساب الناس اى الحساب الذى للناس فلما كانت اللام لتأكيد الاختصاص المستفاد من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنوّ وقت حسابهم وهو يحصل من هذا التركيب ثم قدّم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة وعرف الحساب تعريف الجنس فصار اقترب للناس الحساب على ان الناس ظرف مستقر قدم على الحساب لكون العناية مصروفة الى ذكر المقترب له وبيان ان الحساب لهم لالغيرهم وفى التقديم والتصريح باللام وتعريف الحساب مبالغات ليست فى قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف من الحساب واضيف الى ضمير الناس تأكيدا لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام الاختصاص * فان قيل اذا كان اقترب للناس مقدما فى الاعتبار على ان يقال اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تأكيدا للاضافة بل يكون الامر بالعكس * فالجواب انه اذا كان احدهما تأكيدا للآخر كان كل واحد منهما مؤكدا بالآخر فصح جعل اللام تأكيدا للاضافة ومعنى التأكيدان كل واحد من اللام الجارة والاضافة مفيدة عن الاخرى فاذا جمع بينهما كانت احداهما تأكيدا للاخرى ﴿ قوله معرضون عن التفكر فيه ﴾ فان العقول السليمة متطابقة على انه لابد من الحساب والجزاء والا لزم التسوية بين المطيع والعاصى والمتقين والفجار وهى بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة ﴿ قوله محدث تنزيله ﴾ يعنى ان المراد بالذكر كلام الله تعالى الذى يذكرهم مالهم وماعليهم وهو صفة ازلية قديمة الا انه تعالى انزله بالتفاريق واحدث تنزيله فى كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة فذات المنزل ازلى قديم والمحدث انما هو تنزيله فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن محدث قائلين ان القرآن ذكر لقوله تعالى فى صفة القرآن ان هو الا ذكر للعالمين والذكر محدث بهذه الآية فالقرآن محدث * واجيب عنه ايضا بان الموصوف بالاتيان وبانه ذكر هو المركب من الحروف والاصوات وحدوثه مما لانزاع فيه وانما النزاع فى قدم كلام الله تعالى عزوجل بمعنى آخر فقوله تعالى مايأتيهم من ذكر الآية بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يجدد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم الموعظة ليتعظوا فما يزيدهم ذلك الا استكبارا قرأ العامة محدث بالجر على انه صفة لذكر محمول على لفظه وقرئ مرفوعا حملا على محله لان من مزيدة فيه كما فى مايأتيهم من احد ﴿ قوله لاهية قلوبهم ﴾ اى متشاغلة عن التأمل فيه من لهيت عن الشيء الهى لهيا ولهيانا بالضم من باب علم اذا غفلت عنه قدم ذكر اللعب على اللهو كما فى قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذى معناه السخرية والاستهزاء معلل باللهو الذى معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق ﴿ قوله اى استمعوه جامعين ﴾ على تقدير ان يكونا حالين مترادفين من واو استمعوه وان كان لاهية حالا من واو يلعبون يكون من قبيل الاحوال المتداخلة لكون الحال الاولى عاملة فى الثانية ﴿ قوله بالغوا فى اخفائها ﴾ جواب عما يقال من ان النجوى اسم من التناجى فلاتكون الا خفية فما معنى قوله تعالى واسرّوا النجوى فاجاب عنه اولا بان معناه بالغوا فى اخفائها وثانيا بان المعنى جعلوها بحيث لايعلم احد تناجيهم ولايعلم انهم متناجون ﴿ قوله بدل من واو اسرّوا ﴾ فيكون واو اسرّوا ضميرا عائدا الى ماعاد اليه سائر الضمائر المذكورة ويكون المقصود من ابدال قوله الذين ظلموا من الواو الاعلام بانهم الظالمون فى الظلم وذلك لانه جعل الذين ظلموا مفسرا لهم بهذا الابدال وان كان الذين ظلموا فاعلا يكون واو اسرّوا حرفا جيئ به للدلالة على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء للدلالة

﴿ سورة الانبياء مكية وهى مائة ﴾
﴿ واثنتا عشرة آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى مامضى اوعند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مماتعدون اولان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ماانقرض ومضى واللام صلة لاقترب اوتأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة معرضون) اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون (مايأتيهم من ذكر) ينبههم من سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر اوصلة ليأتيهم (محدث) تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (لاهية قلوبهم) اى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير (واسرّوا النجوى) بالغوا فى اخفائها اوجعلوها بحيث خفى تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو واسرّوا للايماء بانهم ظالمون فيما اسرّوا به اوفاعل له والواو لعلامة الجمع اومبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسرّوا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم اومنصوب على الذم

(هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون) بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة (قال ربي يعلم القول في السماء والارض) جهرا كان او سرا فضلا عما أسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله وأسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليه ما تسرون ولا ما تضمرون (بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر) اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لأقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما ارسل الاولون) اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (ما آمنت قبلهم من قرية) من اهل قرية (اهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتي به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (الآية)

على ان الفاعل مؤنث ﴿قوله وانما اسروا به تشاورا﴾ لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره لاجرم اسروا به لان عادة المتشاورين ان يجتهدوا في كتمان سرهم عن اعدائهم ﴿قوله جهرا كان او سرا﴾ اشارة الى جواب ما يقال هلا قيل يعلم السر حتى يطابق قوله واسروا النجوى وتقريره ان القول عام يشمل السر والجهر فكان العلم بالقول العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر الواقع كان قوله يعلم السر آكد من قوله يعلم سرهم مع انه مطابق لقوله واسروا النجوى لان النجوى هو القول الواقع بطريق المسارة والمطلق مطابق لكل واحد مما تحته ﴿قوله ولا ما تضمرون﴾ اشارة الى ان متعلق قوله العليم هو ما اضمروه في نفوسهم من غير ان يتكلموا به لا سرا ولا جهرا لقوله تعالى يعلم السر واخفى قال الامام قدم السمع على العلم لانه لا بد من سماع الكلام اولا ثم حصول العلم بمعناه ولا يخفى ان هذا التوجيه لا يصح فيما اسند اليه تعالى من السماع ﴿قوله اضراب لهم﴾ يعني ان الاضرابات المذكورة في هذه الآية واقعة في كلام الذين ظلموا حكاها الله تعالى عنهم كما وقعت في كلامهم فدلالة على كونهم متحيرين خابطين خبط عشواء لا يميزون بين مضرب عنه ومضرب منه لا يدرون ما يقولون ولا يجدون متمسكا يخصمهم في هدم امره واظهار فساد ما ادعاه من الرسالة ولما كان هذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات المذكورة لو كانت واقعة في كلام الكفرة وانه تعالى حكاها عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا مقدما على بل بأن يقال قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضرابهم وتقديم بل على قالوا لا يفيد ذلك قال المصنف والاظهر ان تكون بل الاولى اضرابا منه تعالى من حكاية قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون الى حكاية قولهم في حق القرآن انه اضغاث احلام او يكون اضرابا عن محكي اي من التحاور في شأنه عليه الصلاة والسلام وفي شأن ما جاء به من الخوارق الى التقاول في امر القرآن وان تكون بل الثانية والثالثة من كلام الكفرة اضربوا ايضا عن قولهم في امر القرآن انه اضغاث احلام الى انه مفترى الى انه كلام شعري ثم جوز ان تكون كلها بل من كلام الله تعالى لا محكية عن الكفرة لان الكلام المحكي ما يقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث من الثاني والرابع من الثالث ووجه افادة بل هذا المعنى ان الاضراب قد يكون لابطال الكلام الاول وقد يكون للانتقال منه الى خبر آخر أهم من الاول والاضراب الواقع في كلام الله تعالى لا يحمل على الاول لانه يستلزم ان يكون الاول باطلا في نفسه او غلطا والله تعالى منزه عن ذلك فلا بد ان يكون الاضراب الواقع فيه للانتقال الى الاهم والاهم في مقام بطلان مقالة القوم بيان ما هو افسد بالنسبة الى الاول فيكون ما بعد بل في مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ما قبلها ﴿قوله وليس فيه ما يناسب قول الشعراء﴾ لان الشعر تخيلات ملفقة وتمويهات مزخرفة يدعو الى الهوى والشيطان والقرآن يدعو الى الهدى وطاعة الرحمن وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقولهم انه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلا في نفسه لان القوة البشرية وان استفرغت طوقها لا تطيق الاتيان بمثله فهو ابعد من قولهم انه اضغاث احلام مع كونه فاسدا في نفسه من حيث ان الكتاب الذي احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كيف يتصور كونه من تخاليط الاحلام فهو اشد فسادا بالنسبة الى قولهم انه سحر لان تشبيه النظم المعجز الفائق بالسحر اقرب من جعله من تخليط الاحلام لقوله عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا والاضغاث الحزم من النبات وغيره فاستعير التخاليط والاباطيل شبهت تخاليط الاحلام واباطيلها بحزم من اخلاط النبات في كونها مخلوطة من اشياء غير متناسبة ثم استعملت في الاباطيل بقرينة اضافتها الى الاحلام والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرؤيا وضم اللام ايضا لغة فيه فالاحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة او صحيحة واضيف الاضغاث بمعنى الاباطيل اليها على طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان ﴿قوله وصحة التشبيه﴾ جواب عما يقال محل الكاف في قوله كما ارسل الاولون اما جر على انه صفة آية او نصب على انه صفة مصدر محذوف فالتقدير على الاول بآية مثل ارسال الاولين وعلى الثاني اتيانا مثل ارسال الاولين وما مصدرية على الوجهين ولا وجه لتشبيه الآية ولا لتشبيه اتيانها بارسال الاولين وتقرير الجواب ان الارسال يتضمن اتيان الآية ويستلزمه فذكر الارسال الذي هو ملزوم لاتيان

الآية وارتد لازمه مجازا فكأنه قيل بآية مثل آية الاولين او اتيانا مثل اتيان الاولين واشار المصنف بقوله كما ارسل الاولون الى جواب آخر وهو ان كلمة ما فى قوله تعالى كما ارسل الاولون موصولة وعائدها محذوف والمعنى بآية مثل الآية التى ارسل بها الاولون وتشبيه الآية بالآية تشبيه واضح لاخفاء فيه ثم ان مشركى مكة ما اقترحوا آية شبيهة بآية الاولين فى انها لايتطرق اليها احتمال انها اضغاث احلام او كلام مفترى او قول شاعر اجابهم الله تعالى بان الامم التى اهلكناهم باصرارهم على التكذيب بعد ما اتيتهم الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا بآياتها فلو أتاهم ما اقترحوه لما آمنوا ايضا لكونهم اعتى منهم فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لان الحكمة الالهية قد اقتضت ان من كذبوا بعد الاجابة الى ما اقترحوه لابد ان ينزل بهم عذاب الاستئصال وقد سبق وعده فى حق هذه الامة ان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة فلذلك لم يجابوا الى ما اقترحوه للابقاء عليهم اى للترحم بهم يقال ابق على فلان اذا رحمه ﴿قوله والاحالة اليهم﴾ اى احالة المشركين الى اليهود والنصارى فى استعلام ان البشرية لاتنافى الرسالة اما للالزام والاسكات لا لاثبات الحكم المتعلق بالاعتقادات بما تقول الكفرة فان اليهود والنصارى وان انكروا نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام الا انهم لاينكرون ان الرسل كانوا بشرا ثم انهم لما كانوا يوافقون المشركين فى معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون لايكذبونهم فيما قالوا فى حق الرسل واما لانه لافرق بين المؤمنين والكفار فى حصول العلم بخبرهم اذا بلغ حد التواتر ﴿قوله وقرأ حفص نوحى بالنون﴾ اى بنون العظمة مبنيا للفاعل اى نوحى نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول وهذه الجملة فى محل النصب على انها صفة رجالا ﴿قوله نفى لما اعتقدوا انها﴾ انث العائد الى ما لكونها عبارة عن الخاصة فان عدم الاحتياج الى الطعام والخلود بمعنى عدم طريان الموت من خواص الملائكة نفاها عن الرسل تحقيقا لكونهم ابشارا جمع بشر مثلهم وابطالا لزعم ان البشرية تنافى الرسالة فان نفى الخاصة اللازمة للملكية يستلزم نفى الملزوم فتحقق كونهم ابشارا مثلهم ﴿قوله وقيل جواب﴾ عطف على قوله نفى لما اعتقدوا وتوضيح هذا القول ان الكفرة كانوا يطعنون فى الرسالة باشياء منها قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فالزمهم الله تعالى بان الرسل الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر وان رسالتهم صحت بما اظهر الله تعالى على ايديهم من الخوارق والمعجزات فلما صحت رسالتهم بذلك فقد صحت رسالة سيد المرسلين بما يظهره الله تعالى على يديه من الآيات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرا ومنها قولهم ان الذى يدعى الرسالة يأكل الطعام ويشرب وينكح ويمشى فى الاسواق كغيره من الناس كما اخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ونحوه فالزمهم واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون الطعام ويشربون ويمشون فى الاسواق ويقضون حوائجهم فقال وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين اى فى الدنيا وقال فى آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل ممن كان يأكل ويشرب وينكح وانه بشر وهو رسول كسائر الرسل ولم يرض المصنف بهذا التأويل لان جعل الكلام اجنبيا عما سيق له الكلام مع امكان ربطه بالمقام لايخلو عن بعد ﴿قوله وتوحيد الجسد﴾ جواب عما يرد من ان جعل فى الآية الظاهر بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين ثانيهما جسدا ومفعوله الاول وهو هم جمع فكيف يصح ان يخبر عن الجمع بالمفرد وايضا الظاهر ان قوله لايأكلون فى محل النصب على انه صفة لجسد فكيف يصح ان يرجع اليه ضمير الجمع وان جعل تقدير الكلام وماجعلناهم ذوى جسد غير طاعمين او وماجعلنا كل واحد منهم جسدا كقوله ثم نخرجكم طفلا اى نخرج كل واحد منكم طفلا سقط الايراد وفى الصحاح الجسد البدن والجسم والجسد ايضا الزعفران او نحوه من الصبغ وهو الدم ايضا والجسد ايضا مصدر قولك جسد به يجسد اذا لصق فهو جاسد وجسيد ويقال الجسد له اشبع صبغه من الثياب ويقال للزعفران الجساد ﴿قوله اى فى الوعد﴾ يعنى ان صدق يتعدى الى مفعولين الى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف ويقال صدقتك الحديث اى فى الحديث كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه اى من قومه والمعنى صدقناهم الرسل وعدهم الله تعالى بانجائهم وانجاء من صدقهم وآمن بهم واهلاك من كذبهم ويدل عليه قوله تعالى فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين اى بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لانه اخبار عما مضى * والصيت الذكر الجميل الذى ينشر فى الناس دون القبيح يقال له ذكر فى الناس اى صيت

(وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى امر النبى عليه السلام ويثقون بقولهم اولان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون (وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين) نفى لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر فى الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لايطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشئ واشتداده (ثم صدقناهم الوعد) اى فى الوعد (فانجيناهم ومن نشاء) يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال (واهلكنا المسرفين) فى الكفر والمعاصى (لقد انزلنا اليكم) ياقريش (كتابا) يعنى القرآن (فيه ذكركم) صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق (أفلا تعقلون) فتؤمنون به

وشرف وفى القرآن صيت لقريش لانه بلسانهم ولغتهم منزل على نبي منهم يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لانهم حملته والمرجوع اليهم فى حل معاقده وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى كلا انها تذكرة وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز ان يراد بالذكر ما يكون سببا للذكر الجميل من مكارم الاخلاق التى من تخلق بها تنتشر صيته فى الناس وقوله تعالى فيه ذكركم معناه فى علمه والعمل بما فيه جميع ما تحتاجون اليه فى امر دينكم ودنياكم من حسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم امر الله والشفقة على عباده وصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وغير ذلك فذكر الذكر واريد به مكارم الاخلاق الموجبة للثناء الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وارادة السبب * واعلم ان قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على قوله وما ارسلنا قبلك اى قد ارسلنا قبلك رسلا يوحى اليهم ايثارا مثلك ثم صدقناهم الوعد محمد عليه الصلاة والسلام نبي كسائر الانبياء بشر منهم ولابد ان يصدقه الله تعالى فى وعده فاحذروا يا قريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه ثم قال تعالى لقد انزلنا واجاب عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ما آمنت ثم اجاب عن قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا وادرج فيه التهديد ايضا بقوله ثم صدقناهم الوعد ثم بين انه قد اتاكم ما يكفيكم ويغنيكم عن اقتراح الآيات ويوجب ايمانكم به وهو الكتاب الذى فيه ذكركم أفلا تعقلون فتؤمنون به وترتدعون عن اقتراح الآيات وعن القدح فيه بما لا يليق به وتقضى بداهة العقول ببطلانه ﴿قوله فلما ادركوا الخ﴾ لما لم يجب ان يكون ما اصاب المهلكين من الناس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة جعل قوله تعالى أحسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم البأس بادراك المحسوس فاطلق عليه اسم الاحساس واشتق منه قوله أحسوا ﴿قوله راكضين دوابهم او مشبهين بهم﴾ يعنى ان الركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك ويجوز ان يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا فى سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم ﴿قوله تعالى الى ما اترفتم فيه﴾ اى الى نعمكم التى خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم عن من خولها لكم اى عن حمده وشكره قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه والمعنى ارجعوا الى نعمكم والى مساكنكم التى تسكنونها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او ارجعوا اليها واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون كعادة المخدومين او ليسألكم الناس عما فى ايديكم ويستشيروكم فى المهمات والنوازل او ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة ﴿قوله يا لثارات الانبياء﴾ اللام فيه للاستغاثة والثأر الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال ثأر القتيل بالقتل اى قتل قاتله وبابه منع والمقصود من نداء الثارات الاخبار عن موجب دعائهم على انفسهم بالويل حيث قالوا يا ويلنا وبينوا وجه استحقاقهم به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل قال تعالى فما زالت تلك الكلمة وهى يا ويلنا دعواهم اى دعاءهم فتلك مرفوع وعلى انه اسم ما زالت وان جعلت الدعوى منصوبة المحل على الخبرية او منصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لانهما معرفتان * وحصيدا من باب التشبيه البليغ اى مثل ذلك الزرع المحصود والفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿قوله وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى﴾ وليس كل واحد منهما مفعولا على حدة لان جعل لا يتعدى الى ثلاثة مفاعل فانه قد تعدى الى مفعوله الاول وهو ضمير الجمع فلا يتعدى به الى مفعولين آخرين فلذلك جعل حصيدا خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا حامضا فانه فى معنى جعلته جامعا للطعمين وكذلك ما نحن فيه فان معناه جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ﴿قوله او صفة له﴾ عطف على قوله بمنزلة المفعول الثانى اى يجوز ان يكون خامدين صفة لحصيدا فانه مفرد فى معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستكن فى حصيدا وقوله خامدين استعارة تبعية شبه الموت بخمود النار وانطفائها فاطلق عليه اسم الخمود ثم اشتق منه خامدين ﴿قوله فينبغى ان يتسلقوا بها﴾ اى ان يرقوا ويصعدوا بسببها كأن تسلق مطاوع لقولك سلقته سلقا اذا القيته على ظهره وربما قالوا سلقيته سلقاء بزيادة الياء واشار المصنف به الى وجه تعلق هذه الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوه وهو انهم ضيعوا ما خلقه الله تعالى لفوائد دينية ودنيوية اما الدينية فهى ان يتفكر المكلفون

(وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه (وانشأنا بعدها) بعد اهلاك اهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لا تركضوا) على ارادة القول اى قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثمة من المؤمنين (وارجعوا الى ما اترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التى كانت لكم (لعلكم تسألون) غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل (قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسببا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال

(فيها)

فيها ويستدلوا بها على عظمة الله وكبريائه وكمال قدرته وحكمته واما الدنيوية فهي ما تتعلق بها من المنافع التي لاتعد ولاتحصى فمن اغتر بزخارفها ولم يتعلق بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية فجدير بان يهلك ويجعل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى لما ذكر انه لم يخلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط ومابينهما من بدائع الموجودات وغرائب المصنوعات لان يتلهى به ويلعب بين انه لم يتخذ ما يتلهى به ويلعب من حيث ان الحكمة صارفة عنه لامن جهة عدم القدرة على اتخاذه فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا اي ماتتلهى به على انه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشئ والتهيت الهو لهوا اذا لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكنا لم نتخذه لعدم ارادتنا اتخاذه ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد اخرج الكلام عن الالتئام بما قبله قال الامام الواحدي اللهو طلب الترويح للنفس ثم المرأة تسمى لهوا وكذا الولد لانه يتروح بكل واحد منهما ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه والمعنى لو اردنا ان نتخذ امرأة ذات لهو وولدا اذا لهو لاتخذناه من لدنا اي مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء وقال المفسرون اي من الحور العين وهذا رد لقول اليهود في عزير وقول النصارى في المسيح وامه من كونهما ولدا وصاحبة ومعنى من لدنا من عندنا اي بحيث لايجرى لاحد فيه تصرف لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره انتهى ﴿قوله ويدل على جوابه﴾ يعني ان كلمة ان في الآية شرطية وجواب الشرطية محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لايليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى لتعلق الاتخاذ بالارادة والثانية لتعلق الاتخاذ المرتب على الارادة بكونه ممن يفعل ذلك وتقتضيه حكمته ﴿قوله والجملة كالنتيجة الشرطية﴾ كأنه قيل لو اردنا لفعلناه ولكن لم نرده فما كنا فاعلين ثم انه تعالى اضرب عن حديث تعلق اتخاذ ما يتلهى به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له ان يفعل ذلك وجعله كالمسكوت عنه الى بيان ماهو اهم بالنسبة الى ماقبله وهو ان شأنه تعالى ان يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهبه فيهلكه ﴿قوله وانما استعار لذلك﴾ اي استعار القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمغ للمحق والمحو بان شبه الحق بالجرم الصلب الثقيل وشبه الباطل بالجرم الرخو الاجوف فقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فدمغه على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس فان كل واحد من الحق والباطل من قبيل المعقول والجرم الصلب والرخو من قبيل المحسوس وعبر عن هذه الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع فضل تمكن قال صاحب المفتاح اصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل ونحوه فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي وقرآءة فيدمغه بالنصب ضعيفة لما تقرر في النحو من ان مابعد الفاء انما ينصب باضمار ان في جواب الاشياء الستة الامر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض وقوله فيدمغه لم يقع بعد احد هذه الاشياء ولعل من نصبه نظر الى ان المضارع فيه شبه النفي ولهذا قيل انه في الآية اضعف مما في البيت لان المضارع فيها للاستمرار وقيل في توجيه النصب ان المضارع كالتمني والترجي في كونهما مترقبين وانما شرطوا في نصب مابعد الفاء السببية كون ماقبلها احد الاشياء المذكورة لان الفاء السببية تقتضي ان يكون ماقبلها سببا لما بعدها والسببية لاتتحقق الا في تحقق احد هذه الامور ولذا لم يجز النصب في الموجب الا في ضرورة الشعر كما في البيت المذكور وذلك لان الاشياء الستة مأولة بالمصادر فيكون ماقبل الفاء كالشرط المحقق الوقوع ويكون مابعد الفاء بمنزلة المسبب عنه ولما كان المضارع المنصوب بان مفردا وماقبل الفاء المذكورة جملة ولايجوز عطف المفرد على الجملة جعلوا ما بعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المتقدم فتقدير زرني فاكرمك ليكن منك زيارة فاكرام مني وكذا المنصوب بعد الواو فانه ايضا معطوف على المصدر المقدر من الفعل قبله فتقدير قولك زرني وازورك ليكن منك زيارة وزيارة مني فاذا تقرر هذا ظهر ان مراد المصنف بقوله ووجهه مع بعده ان وجه انتصاب فيدمغه مع كون النصب بعيدا لعدم وقوع الفاء بعد احد الاشياء المذكورة ان تجعل الجملة التي قبل الفاء في تأويل المفرد كالتي بعدها فانها في تأويل المفرد بأن المضمرة فاذا اول ماقبل الفاء ايضا بالمفرد تطابق المعطوفان في الافراد فتأويل الكلام بل نريد قذف الحق على الباطل فدمغه بعطف قوله فدمغه على القذف المتحصل من الجملة قبله وجعله ابو البقاء معطوفا على الحق اي بل نقذف بالحق فالدمغ وكذا أوّل البيت واريد اللحوق بالحجاز فالاستراحة ﴿قوله وذكره

(لو اردنا ان نتخذ لهوا) ما يتلهى به ويلعب ...
(لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا او من ...
عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات ...
لامن الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة ...
كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها ...
وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو ...
الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به ...
الرد على النصارى (ان كنا فاعلين) ذلك ...
ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ...
ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية (بل ...
نقذف بالحق على الباطل) اضراب ...
من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن السـ ...
اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من ...
جملته الجد على الباطل الذي من عداده ...
اللهو (فيدمغه) فيمحقه وانما استعار ...
لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم ...
لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر ...
الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى ...
زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة ...
فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك ...
منزلي لبني تميم • والحق بالحجاز فاستريحا ...
ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف ...
على الحق (فاذا هو زاهق) هالك والزهوق ...
ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز

لترشيح المجاز ﴾ فان قوله فيدمغه استعير من الشجة التي تبلغ الدماغ لمحو والبطلان وقرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه فان ذهاب الروح انما يلائم المعنى الاصلي فدمغ فان الدماغ مجمع الحواس فاذا بلغت الشجة اليه يموت الحيوان ﴿ قوله وهو في موضع الحال ﴾ اى قوله مما تصفون حال من الويل والعامل الاستقرار الذي تعلق به الخبر اى استقر لكم الويل واقعا مما تصفون اى مما تصفون الله تعالى به مما لا يليق به من الصاحبة والولد وتصفون كلامه بانه سحر واضغاث احلام ونحو ذلك من الاباطيل ثم انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين في النبوات وتعنتهم باقتراح الآيات واجاب عن شبههم بانواع التهديدات بين انه منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات والملائكة لمقربون مع كراماتهم وعلو قدرهم عند الله اذا كانوا خاضعين له تعالى خائفين منه تعالى فالبشر مع ضعفه اولى ان يطيعوه فقال وله من في السموات والارض ﴿ قوله يعني الملائكة المنزلين منه لكراماتهم الخ ﴾ يعني ان المراد من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وان كان من الظروف المكانية الا انه شبه قرب الشرف والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به ﴿ قوله وافراده للتعظيم ﴾ يعني ان قوله ومن عنده معطوف على من في السموات والمراد به الملائكة باجماع المفسرين فيكون عطفه على من في السموات من قبيل عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه لان من في السموات يتناول من عنده لا محالة وقوله لا يستكبرون حال من قوله من في السموات وما عطف عليه ان جعل مرفوعا على انه فاعل الظرف على رأى الاخفش وان جعل مرفوعا على الابتداء وله خبره فحينئذ لا ينتصب الحال الا على رأى من يجوز مجيء الحال من المبتدأ لا عند غيره فيكون اما من الضمير المستكن في عنده الواقع صلة ومن الضمير المستكن في له الواقع خبرا ويحتمل ان يكون من عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره وتكون هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها ﴿ قوله او لانه اعم منه من وجه ﴾ فان قوله من عنده بمعنى المكرم عنده وفي منزلة منه كما يتناول ملائكة السموات والارض يتناول الملائكة الذين لا يتبوأون في المكان فان ملائكة السموات مخصوصون مخلوقون مما خلق منه السموات ومن الملائكة نوع متعال عن التبوء في السماء والارض لتجردهم من المواد العنصرية فلا يكون من عنده اخص مطلقا بالنسبة الى من في السموات والارض بل يكون اخص منه من وجه ويجوز ان يكون مباينا له بان يراد به النوع المتعالي عن التبوء ﴿ قوله وانما جيء بالاستحسار ﴾ جواب عما يقال المناسب لمقام توصيف الملائكة بالاجتهاد في العبادة ومواظبتهم عليها ان يقال لا يحسرون بمعنى انهم لا يطرأ عليهم شيء من الاعياء والفتور ولا يستحسرون لا يفيد هذا المعنى لانه يدل على انه لا يطرأ عليهم غاية الحسور والقصاء وهذا المعنى لا يلائم المقام يقال حسر البعير يحسر حسورا اذا اعيى واحسر مثله واستحسر ابلغ منهما وقد يكون استفعل بمعنى فعل نحو قر واستقر فلا سؤال ولا جواب والتسبيح بالنسبة الى الملائكة كالنفس بالنسبة الينا فكما ان قيامنا وقعودنا وتكلمنا وغير ذلك من افعالنا لا يشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من افعالهم ولا تلحقهم منزلة الفراغ منه ﴿ قوله بل اتخذوا ﴾ اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة حكى الله تعالى عنهم اولا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وثانيا قولهم بل قالوا اضغاث احلام الى قوله كما ارسل الاولون ثم اجاب عن كل واحد منهما بضرب من التهديد والوعيد وساق الكلام الى ههنا ثم اضرب عن الحكاية المذكورة وتوجه الى انكار فعلهم الذي هو اشنع من قولهم فقال ام اتخذوا آلهة وقوله من الارض يجوز ان يتعلق بمحذوف هو صفة الالهة اى عملوا وصنعوا آلهة كائنة من الارض ومنسوبة اليها كما يقال فلان من مكة بمعنى انه منسوب اليها ومعنى نسبتها الى الارض كونها مستقرة عليها ومعبودة وهي عليها ويجوز ان يتعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الارض بان صنعوها ونحتوها من بعض الحجارة اومن بعض جواهرها كالفضة والصفر والمقصود منه على التقديرين تحقير المتخذ دون تخصيصه لان المنكر حينئذ يكون عدم اتخاذهم الالهة السماوية اى المستقرة عليها والمعمولة من اجزائها ولا وجه له وقولهم هم ينشرون جملة منصوبة المحل على انها صفة آلهة اى آلهة لا يقدر على احياء الموتى الاهم وحدهم قرأ العامة ينشرون بضم الياء وكسر الشين وقرئ بفتح الياء وضم الشين ونشر يكون لازما ومتعديا يقال انشر الله الميت اى احياه فنشر نشورا ونشره نشرا بمعنى انشره انشارا والانكار عليهم باتخاذهم الالهة التي تنفرد باحياء الموتى يدل على انهم يعتقدون ان آلهتهم تحيي الموتى بل تستقل في ذلك وهم لا يعتقدون ذلك كيف وانهم ينكرون البعث رأسا فضلا عن ان تكون الاصنام قادرة عليه

(ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة (وله من في السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده) يعني الملائكة المنزلين منه لكراماتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم اولانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزهونه ويعظمونه دائما (لا يفترون) حال من الواو في يسبحون او هو استئناف او حال من ضمير قبله (ام اتخذوا آلهة) بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم وقوله (من الارض) صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم

مستحقة عليه الا ان اتخاذهم الالهية في حقها لما استلزم اعتقادهم بذلك صح ان ينكر عليهم ذلك اللازم على طريق التجهيل والتهكم ثم انه تعالى لما انكر عليهم اتخاذهم الآلهة استدل على بطلانه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اي لو فرض ذلك وقدر كافتراض المستحيلات لفسد ما خلقناه بالحق كما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين قال اهل النحو في قوله تعالى الا الله لفسدتا الا فيها بمعنى غير صفة لنكرة قبلها لانه لما تعذر الاعراب فيها جعل ما استحقه من الرفع على ما بعدها والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا ولا يجوز ان تكون الا للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله لا يحصل الفساد وذلك باطل لانه لو كان فيهما آلهة سواء كان الله معهم او لم يكن معهم فالفساد لازم ولما بطل حملها على الاستثناء ثبت ما ذكرنا وهو ان المعنى لو كان في السماء والارض آلهة غير الله خربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة فان كل امر صدر عن اثنين فصاعدا لا يبقى على نظام واحد وانتفاء الفساد اللازم للتعدد دليل على انتفاء الملزوم وهو التعدد لكن في هذه الملازمة وفي انتفاء التالي نوع خفاء لانه ان اريد بالفساد الفساد بالفعل اي خروجهما بالفعل عن هذا النمط المشاهد فهذا لا يلزم من مجرد التعدد بل يلزم من تحقق التغالب والتمانع ومجرد التعدد لا يقتضي التمانع لجواز التوافق وان اريد امكان الفساد فالملازمة مسلمة ضرورة ان اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم امكان تمانعهما المستلزم لامكان فساد المعلول لكن لا نسلم بطلان التالي اذ لا دليل على امتناع الفساد بل النصوص شاهدة على وقوعه كقوله تعالى اذا السماء انشقت واذا النجوم انكدرت ويوم تبدل الارض غير الارض فظهر ان حجية الآية اقناعية والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات فان العادة جارية بتحقق التغالب والتمانع عند تعدد الحكام والملوك على ما اشير اليه بقوله ولعلا بعضهم على بعض واشار المصنف الى ان المراد بالفساد الفساد بالفعل وجعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على انه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور واحد وقد بين استحالته في الكلام ﴿قوله لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها﴾ فان ما قبلها جمع منكر والجمع اذا كان نكرة لا يستثنى منه عند جماعة من المحققين اذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء ثم استدل على تعذر الاستثناء بانه يدل على خلاف المراد وبيانه ان الاستثناء قيد للحكم المتعلق بالمستثنى منه فيكون الشرط كون آلهة فيهما بقيد ان لا تكون معه تعالى فيكون الفساد لازما لكون الآلهة فيهما دونه تعالى ﴿قوله حملا لها﴾ علة لقوله وصف بالا يعني ان الاصل في الا الاستثناء وفي غير الصفة وقد يحمل كل واحد منهما على الآخر ﴿قوله لانه متفرع على الاستثناء﴾ اي لان البدل فيما بعد الا مشروط بصحة الاستثناء وقد ثبت تعذر الاستثناء ولانه قد تقرر ان الواقع بعد الا غير الصفة اذا وقع في كلام موجب يجب نصبه وان البدل انما يجوز في كلام غير موجب وكلمة لو اذا دخلت في الكلام الموجب لا تجعله منفيا كما لا تجعله كلمة ان منفيا من حيث ان كل واحدة منهما لمجرد الملازمة فلم يكن الكلام غير منفي فدخول لو عليه لم يجز البدل فيما بعد الا الواقع فيه والسر فيه ان ما بعد الا لو جعل بدلا في الكلام الكائن الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات وهو ممتنع فيه ولا يمتنع في طرف النفي فانه يصح ان يقال ما في الدار الا زيد ولا يصح ان يقال كان في الدار الا زيد لانه يستلزم ان يكون في الدار جميع الاشياء الا زيد وهو ممتنع فلو جعل ما بعد الا في هذه الآية على البدل رجع المعنى الى قولنا لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لان المبدل منه في حكم المطروح فيقع الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات ثم انه تعالى لما اقام الدليل الدال على وحدانيته فرع عليه كونه منزها عما يصفه المشركون فقال فسبحان الله وادرج تقريعهم في زعم كون الجماد الذي لا يعقل ولا يحس شريكا في الآلهية لرب العرش العظيم ولمن هو القاهر فوق عباده ﴿قوله لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه﴾ وكون افعاله مبنية على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فلا مساغ لسائل ان يقول له لم فعلت هذا على طريق طلب حكمة فعله وذلك لانه تعالى حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة وانما يسأل عن حكمة فعله من يحتمل فعله السفه واما من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يمكن ان يسأل لم فعلت وقيل معناه لا يسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه وان جاز ان يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله تعالى رب لم حشرتني اعمى واستدل اهل السنة على انه تعالى لا يسأل عما يفعل بانه تعالى فاعل كل شيء ولا علة لفعله لانه لو فعل لغرض لا يخلو اما ان يكون وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه على السواء او لا يكون

(لو كان فيهما آلهة الا الله) غير الله وصفت
بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها
لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون
الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها
مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني
بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل
لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان
يكون في كلام غير موجب (لفسدتا) لبطلتا
لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها
ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر
وان تخالفت فيه تعاوقت عنه (فسبحان الله
رب العرش) المحيط بجميع الاجسام الذي
هو محل التدابير ومنشأ التقادير (عما يصفون)
من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد
(لا يسأل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه
وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية (وهم
يسألون) لانهم مملوكون مستعبدون
والضمير للآلهة او العباد (ام اتخذوا من دونه
آلهة) كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا
لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما
لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار
ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى او وجدوا
آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما
وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا
في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم
متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على
الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني
ما يدل على فساده نقلا

(قل هاتوا برهانكم) على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى امته ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدمها (بل اكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلى من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجودين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائى نوحى بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه عن ذلك (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد (مكرمون) مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (لا يسبقونه بالقول) لا يقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه (وهم بامره يعملون) لا يعملون قط ما لم يأمرهم به (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) ان يشفع له مهابة منه

فان كان على السواء احتمال ان يكون غرضا وان لم يكن على السواء لزم كونه تعالى ناقصا فى ذاته وكاملا بغيره وذلك محال * فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة اليه على السواء الا ان وجوده اولى من عدمه بالنسبة الى العباد * فالجواب ان تحصيل ما هو الاولى فى حق العباد ان كان مساويا لعدم تحصيله بالنسبة اليه لا يكون غرضا له وان كان تحصيله اولى يكون مستكملا بالغير وهو محال ﴿قوله من الكتب السماوية﴾ حال من قوله تعالى ذكر من معى وذكر من قبلى والعامل فيه معنى التنبيه او الاشارة المدلول عليهما بقوله هذا واراد به الاشارة الى الموجود بين اظهرهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والانجيل والقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة والتوراة والانجيل ذكر للامم المتقدمة استدل بهذه الكتب على صحة التوحيد وهى انما توقف على وجود الآله فلا دور ﴿قوله وقرئ بالتنوين والاعمال﴾ العامة على اضافة ذكر الى من الموصولة اضافة المصدر الى مفعوله كقوله بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بفتح الميم وسكون النون منصوب بانه مفعول له بالمصدر كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بكسر الميم وهو قول المصنف وبه وبمن الجارة على ان مع اسم بمعنى عندى ومن قبلى اى جئت به كما جاء به الانبياء من قبل ﴿قوله وبعدمه﴾ اى وقرئ هنا ذكر معى وذكر قبلى بالتنوين فيهما بدون من ﴿قوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق﴾ اى رأسا اضراب من قوله قل هاتوا برهانكم لكونه ادخل فى تضليلهم فان من انتفى عنه العلم رأسا وكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل مطلقا لا يقبل الالزام بان يقال له لا يصح القول بما لا دليل عليه فان من يبرهن يدل على صحة مذهبه والا فلا يحوم حول ذلك ﴿قوله وسط للتأكيد﴾ يعنى ان قوله هو الحق جملة معترضة وسطت بين السبب الذى هو الجهل والمسبب الذى هو الاعراض تأكيدا لسببية الاول للثانى والحكم بالسببية مستفاد من الفاء فى قوله فهم معرضون كأنه حكم اولا بان اعراضهم بسبب الجهل ثم قال الحكم بان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل والعامة على نصب الحق على انه معمول به لا يعلمون الذى قبله ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى قبله كما تقول هذا عبد الله الحق وعلى قراءة الرفع يكون قوله لا يعلمون مطلقا غير مقيد بالمتعلق على طريق قولك فلان يعطى ويمنع فاذا وقف على قوله لا يعلمون كان جائزا من حيث اللفظ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث المعنى لان المسبب والسبب كالشئ الواحد وقرأ حمزة والكسائى وحفص نوحى بالنون وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله ارسلنا وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على البناء للمفعول وهذه الآية مقررة لما سبق من آيات التوحيد لكونها من قبيل التعميم بعد التخصيص ﴿قوله الملائكة بنات الله﴾ واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة ﴿قوله على مدحض القوم﴾ اى على موضع زلة من زعم انهم بنات الله فانهم لما رأوهم مكرمين مقربين لهم صفات فاضلة ليست لغيرهم زلت ارجلهم من هذا الموضع وزعموا انهم اولاد الله وعموا عن كونهم عبادا مقربين منقادين لله تعالى وانه تعالى منزه عن اتخاذ الصاحبة والولد كما انه منزه عن ان يكون له شريك فى ملكه والوهيته ﴿قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين﴾ وجه التعريض انه تعالى لما قال لا يسبقونه بالقول فهم منه معرفة السباق والقدم ان هناك من صدر عنه السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله ما لم يطلعهم عليه ادنى علم وعمل من ان لله تعالى شريكا وولدا ونحو ذلك ونسب السبق المنفى اليه تعالى واليهم تنبيها على ان السبق المعرض به وان كان سبق قولهم قوله الا انه بمنزلة سبق انفسهم عليه تعالى فى لعبة وقحة والذى يدل على هذا التعريض ان حال لا يسبقونه بقولهم الا انه انيب اللام عن الاضافة اختصارا فى المعنى بترك التعريض للمضاف اليه وقرئ لا يسبقونه بضم الباء على انه مضارع سبقه اى غلبه فى السبق ومضارع فعل المغالبة مضموم العين مطلقا يقال سابقه فسبقه يسبقه فالسبق المنفى على هذه القرآءة هو السبق على طريق المغالبة على معنى ان تكلموا فان يغلبوه فى السبق بالقول لا تساعدهم فيه نفوسهم وتأبى عنه عقولهم لما ركز فى قلوبهم من الخشية المسببة عن معرفة جلال الله وعظمته ثم انه تعالى بعد ما بين ان قولهم تابع لقوله وانه لا يسبق قولهم قوله بين ان عملهم ايضا تابع لامره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ومن كانوا فى نهاية الخضوع وكمال العبودية بهذا الحد كيف يكونون آلهة واولادا وكذا الخشية والاشفاق المذكور ان بعد ان من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما الها واحدا ﴿قوله وهو كالعلة لما قبله﴾ يعنى انه استئناف لبيان ما دعاهم الى ما ذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعا لقوله

وعلمهم تابعا لامره والمعنى انهم لما علموا كونه تعالى عالما بجميع المعلومات مجازى كل نفس حسب عملها علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى ماذكر من كمال الخضوع ومراقبة الاقوال والاعمال وهو ايضا كالتمهيد لقوله تعالى ولايشفعون الالمن ارتضى لان علمهم بذلك يقتضى كمال التأدب وقوله يعلم مابين ايديهم اى ماقدموه من اعمالهم وماخلفهم اى وماهم عاملون ابه بعد وقيل على العكس ﴿قوله تعالى وهم من خشيته﴾ اى من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون وجلون خائفون فلايقصرون فى عبادة الله تعالى والمؤمنون يخافون الله تعالى من كثرة ذنوبهم روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى والخشية والاشفاق متقاربان فى المعنى والفرق بينهما ان المنظور اليه فى الخشية جانب المخشى منه وهو عظمته ومهابته وفى الاشفاق جانب الخائف وهو الاعتناء بشأنه وعدم الامن من ان يصيبه مكروه ثم ان الاشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتى من وعلى يقال اشفق عليه وهو مشفق منه اى حذر فان عدى بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر من معنى الاعتناء وان عدى بعلى يكون معنى الاعتناء اظهر من معنى الخوف ﴿قوله اولم يعلموا﴾ يعنى ان الرؤية قلبية وان مع مافى حيزها سادة مسد المفعولين وليست بصرية لانهم مارأوها كذلك البتة قال تعالى مااشهدتهم خلق السموات والارض اورد الله تعالى ههنا ستة انواع من الدلائل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته تأكيدا لدليل وحدانيته وتقريرا لبرهان تنزهه من الشركاء والاضداد فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب فى هذا العالم كيف يصح ان يكون له شريك فى الوهيته وملكه * والرتق مصدر بمعنى الضم والالتئام فقوله السموات والارض رتق من قبيل رجل عدل ولذلك قال ذات رتق او مرتوقتين ولم يقل كانتا رتقين لان المصدر لايثنى ولايجمع كقوله وماجعلناهم جسدا لاياكلون الطعام واختلف المفسرون فى وجه فتقهما بعد الالتئام * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المعنى كانتا شيأ واحدا ملتزقة احداهما بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هى واقر الارض واشار المصنف اليه بقوله كانتا بحيث لافرجة بينهما ومرج وهو ماقيل انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس على هيئة الفهر عليها دخان لازق بها فاصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعه وخلق منه الارض وبسطها قال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما به وقيل المعنى كانت السموات طبقة واحدة ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك كانت الارض طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها واحوالها فجعلها سبع ارضين وقيل المعنى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة ففتقها بالهيئة كما جاء فى الحديث المشهور * اول ماخلق الله جوهرة فنظر اليها نظر الرحمة فارتعدت فجمد نصفها فخلق منه العرش فاضطرب فكتب عليه لااله الا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء يرتعد على حالته الى يوم القيامة وذلك قوله وكان عرشه على الماء فحصل من تلاطم الماء ادخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منه السموات والارض طباقا وكانتا رتقا فخلق الريح ففتق بين طباق السموات وطباق الارض ثم جمد ذلك الزبد على وجه الماء ودحى فصارا رضا بقدرته * وقيل المعنى ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لاتمطر وكذا الارض كانت رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ففتق السماء وهى اشد الاشياء واصلبها بألين الاشياء وهو الماء وكذلك فتق الارض بألين الاشياء وهو النبات مع شدتها وصلابتها فالآية على هذا القول نظير قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجح هذا القول بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شئ حى وذلك لايليق الا اذا كان للماء تعلق بماتقدم ولايكون كذلك الا اذا كان المراد بالرتق والفتق ماذكرنا * فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لاينزل من السموات بل من سماء واحدة وهى سماء الدنيا * اجيب بانه اطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار ويجوز ان يراد بلفظ الجمع السموات بأسرها وجعلها متوحدة متوقفة بالمطر مبنى على ان لها مدخلا فى الامطار ففتق السموات والارض بعدما كانتا رتقا على اى معنى كان هو الدليل الاول من الدلائل الستة المذكورة فى هذه الآية ﴿قوله فان الفتق عارض﴾ لانه من جملة الممكنات والممكنات بأسرها حادثة مفتقرة الى مخصص يخصص احد طرفيها بالوقوع ﴿قوله وانما قال كانتا﴾ يعنى ثنى الضمير الراجع الى الجمع باعتبار ان المرجوع اليه جماعتان ﴿قوله وقرئ رتقا بالفتح﴾ اى بفتح التاء فان كان مصدرا على وزن طلب فوجه الاخبار به عن المثنى ظاهر واختار المصنف انه فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض فكان ينبغى

(وهم من خشيته) عظمته ومها
(مشفقون) مرتعدون واصل الخشية خو
مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفا
خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف
اظهر وان عدى بعلى فبالعكس (ومن يق
منهم) من الملائكة او من الخلائق (انى اله
دونه فذلك نجزيه جهنم) يريد به نفى النبو
وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين
بتهديد مدعى الربوبية (كذلك نجز
الظالمين) من ظلم بالاشراك وادعاء الربو
(اولم ير الذين كفروا) اولم يعلموا وق
ابن كثير بغير واو (ان السموا
والارض كانتا رتقا) ذات رتق او مرتوقت
وهو الضم والالتحام اى كانتا شيأ واحد
وحقيقة متحدة (ففتقناهما) بالتنو
والتمييز او كانت السموات واحدة ففتق
بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكان
الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفيا
واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث
لافرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لاتمط
ولاتنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكو
المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتب
الآفاق او السموات بأسرها على ان لها مدخ
ما فى الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك ف
متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض
مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوس
او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب و
قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموا
وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح عل
تقدير شيأ رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعن
المرفوض

ان يطابق المعبر عنه فى التثنية الا انه افرد بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد فى اللفظ والتقدير كانت اشياء رتقا وقوله تعالى وجعلنا يحتمل ان يكون بمعنى خلقنا فيتعدى الى واحد وهو كل شئ وحى صفة شئ ومن ابتدائية متعلقة بالفعل المذكور قبلها فان اريد بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ خلق الحيوان ظاهرا كما فى قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وان اريد بالماء حقيقة الماء الذى هو احد العناصر يكون جعلها مبدأ مجازا كما فى قوله تعالى خلق الانسان من عجل فان شبه جعل الله تعالى كل حيوان مفرط الاحتياج الى الماء بحاله قبيل المعبر عنه بخلقه اياه من الماء ثم قيل جعلناه وانشأناه منه بمعنى جعلناه شديد الاحتياج اليه بحيث لا يعيش بدونه فيكون جعلنا استعارة تصريحية تبعية ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيتعدى الى اثنين ثانيهما من الماء وعلى هذا كلمة من اتصالية والمعنى صيرنا كل حى متصلا بالماء ملابسا له كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى متشابك بعضهم متصل به لا ينفك عنه وانما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب ان يكون مفعوله الاول متصلا بالثانى ولا يتأتى ذلك الا بكونها اتصالية يقال هذا بسبب منه اى ملابسه ومخالطه لا ينفك عنه ولكون الشئ بسبب الغير يستلزم الملابسة والاتصال القوى بينهما فسر المصنف قوله تعالى من الماء بقوله بسبب من الماء الا ان من فى كلامه بيانية لا اتصالية وكذا يحتمل الامرين على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه صفة كل وان نصب على انه مفعول ثان يتعين كونه بمعنى صيرنا وكون الشئ مخصوصا بالحيوان سواء اريد به الجسم الحساس المتحرك بالارادة او ما يعم النبات لانه يصير ناميا ذا رطوبة وخضرة ونور وثمر بسبب الماء ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيى الارض بعد موتها وهذا هو الدليل الثانى من الدلائل المذكورة فى هذه الآية اخبر الله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم ثم ذكر انه جعل بالماء حياتهم ثم ذكر انه جعل لهم الارض بحيث تقر باهلها وتسكن بهم بان اثبت عليها الجبال الراسيات ثم ذكر انه جعل لهم فيها سبلا فجاجا ليهتدوا بها الى مصالحهم التى جعلت لهم فى البلاد النائية وذكر ايضا نعمته فى رفع السماء بلا عمد وحفظها من ان تسقط عليهم وذكر ايضا نعمته فى جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر وما فيها من المنافع الراجعة اليهم ليتذكروا ان من قدر على هذه الامور العظيمة وانعم عليهم بانعم النعم البديعة منزه عن الشريك والولد وانه اله واحد وسلطان عزيز مجيد ﴿ قوله كراهة ان تميل ﴾ يعنى ان قوله ان تميد مفعول له اما بتقدير المضاف او بحذف لام العلة ولا النافية بحذف ما حذف لعدم الالتباس قال ابن عباس ان الارض بسطت على وجه الماء فكانت تميد باهلها كما تميد السفينة على الماء فارساها الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة ﴿ قوله مسالك واسعة ﴾ يعنى ان اصل التركيب وجعلنا فيها سبلا فجاجا على ان سبلا هو المفعول وفجاجا صفة له قدم عليه فانتصب حالا ليدل على انه تعالى حين خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال يدل على هيئة ذى الحال حين تعلق العامل به ﴿ قوله او ليدل منها ﴾ اى ويجوز ان يكون فجاجا هو المفعول وسبلا بدلا منه تفسيرا للفجاج وبيانا لكونها واسعة مسلوكة فان الفج قد يكون غير مسلوك فيصح ما فى البدل من التأكيد والمبالغة باعتبار السبيل المختلفة فى الطرقات ﴿ قوله بيان لبعض تلك الآيات ﴾ فان خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والنجوم وسيرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب آيات باهرة دالة على وجود الصانع المدبر الحكيم ﴿ قوله والمراد بالفلك الجنس ﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد الشمس والقمر يسبح فى فلك مع ان لكل واحد منهما فلكا على حدة فان قولنا كلهم فى دار مثلا وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم فى دار على حدة لانه خلاف المتبادر والمتبادر ان يكونوا مجتمعين فى دار واحدة ونظر هذا المعنى الى الفهم امارة لكون اللفظ حقيقة فيه وتقرير الجواب كون كل واحد منهما فى فلك على حدة لما كان ثابتا بالرصد كان ذلك قرينة صارفة عن حمل لفظ فى فلك على الواحد بالشخص فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل عليه لفظ حلة بقرينة امتناع ان يكتسى الجماعة حلة واحدة بالشخص وقوله يسبحون استعارة تبعية تشبيها لاسراع كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد منهما وان كان واحدا بالشخص الا انه اعيد اليه ضمير الجمع لتعدده باعتبار المطالع واحتج ابو على بن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى يسبحون وبقوله انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال الجمع بالواو والنون لا يكون الا للاحياء العقلاء العالمين والجواب عنه ما اشار اليه المصنف من انه لما اسند اليهم ما هو من افعال العقلاء عبر عنهم بضمير العقلاء

(وهو)

(وجعلنا من الماء كل شئ حى) وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده فى التركيب او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات (وجعلنا فى الارض رواسى) ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت (ان تميد بهم) كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لا من الالباس (وجعلنا فيها) فى الارض او الرواسى (فجاجا سبلا) مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى يحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة (معرضون) غير متفكرين (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل فى فلك) اى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة (يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم

وهو السباحة والمقصود تنزيلهن منزلة العقلاء فعبر عنهن بضمير العقلاء ولما جعل يسبحون خبر كل وجعل جملة كل
في فلك يسبحون حالا من الشمس والقمر ورد ان يقال كيف جاز ان يخص المعطوف بكونه ذا حال مع ان الحال قيد
في متعلق العمل في ذي الحال والعامل كما تعلق بالشمس والقمر تعلق بالليل والنهار ايضا فينبغي ان يكون مضمون
الجملة الحالية قيدا في المتعلق بالجميع فأجاب عنه بقوله وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس لظهور ان السباحة في الفلك
انما تكون للشمس والقمر دون الليل والنهار كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة اي مظهرة زينتها واختلف الناس
في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه اما ان يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك
في الماء الراكد واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفة لجهة حركته او موافقة لها
واما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء او مخالفة واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب ساكنة قالت
الفلاسفة الرأي الاول باطل لانه يوجب خرق الافلاك وهو محال وكذا الرأي الثاني فانه ايضا باطل لعين ما ذكر
فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان يكون الكوكب مغروزا في الفلك واقفا فيه والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب تبعا
لحركة الفلك قال الامام واعلم ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق وهو باطل بل الحق ان الاحتمالات كلها ممكنة
والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لفظ القرآن ان تكون الافلاك واقفة والكواكب جارية فيها كما
يسبح السمك في الماء ﴿قوله قالوا نتربص به ريب المنون﴾ الريب ما يريبك من المكاره والمنون الموت والمعنى
ننتظر به ان تصيبه مكاره وحوادث تؤديه الى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر والشماتة الفرح
ببلية العدو ولما كانوا يشمتون بموته عليه الصلاة والسلام ابطل الله تعالى شماتتهم بهذه الآية اي قضى الله ان لا يخلد
بشرا في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت أيبقى هؤلاء فالهمزة في المعنى دخلت
على الخلود لانه هو المنكر بعد تقرر ذلك اي ان مت أفهم الخالدون جيء بالهمزة لانكار هذا المعنى واكد الله تعالى
هذا الانكار بقوله كل نفس ذائقة الموت واشار المصنف الى ان المراد بالنفس النفس الناطقة التي هي الروح الانساني
وان موتها عبارة عن مفارقتها جسدها وذكر المرارة المستعارة لما يصيب النفس من ألم المفارقة تشبيها له بالكيفية
المطعومة وجعل الذوق ترشيحا للاستعارة فلا يرد ما ذكره الامام من ان عموم كل نفس لابد ان يراد منه المخصوص
لان له تعالى نفسا كما قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفوس
وهي لا تموت فانه انما يتجه ان لو كان النفس بمعنى الذات وليس كذلك روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
استأذن ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات وسجي عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه
بين عينيه ووضع يده على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب وقال في خطبته من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية ثم انه تعالى قرر القضاء بتسوية الامر بين الخلق وبين وجه الحكمة فيه
بان المقصود من هذه الدنيا الابتلاء بالمكاره التي تسمى شرا وهي المضار الدنيوية من الخوف والجوع ونقص
من الاموال والانفس والثمرات والشهوات العاجلة التي تسمى خيرا كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ليظهر ما في عبده من شكر الشاكرين على النعم وصبر الصابرين على المحن
ويتميز او امر اضدادهما ويجازي كل احد على حسب ما وجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ما قصر فيه بترك
ما وجب عليه منهما وهذه الحكمة لما لم تسعها دار التكليف فلابد من دار اخرى لا يصار اليها الا بالموت والنشور
فلابد لكل نفس ان تموت ثم تبعث فقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم انه تعالى رجع الى تعنتهم
وتقبيح حالهم التي هي استهزاؤهم بمن بعث صارفا عن الغواية والعذاب الاليم داعيا الى الهدى والنعيم المقيم مع
انهم مستحقون لان يهزأ بهم فقال واذا رآك الذين كفروا الخ وان في قوله ان يتخذونك نافية وهي مع ما في حيزها
جواب اذا الشرطية وهزؤا مصدر وقع موقع اسم المفعول اي مهزوا به والهزؤ السخرية والجملة الاستفهامية بعده
محكية بقول مضمر معطوف على جواب الشرط اي ويقولون أهذا الذي يذكر ﴿قوله لدلالة الحال﴾ فانه يقال
فلان يذكر الناس ويراد انه يعيبهم ويذكرهم بالعيوب ويقال فلان يذكر الله ويراد انه يصف الله تعالى بالعظمة والجلال
ويثني عليه بما هو اهله ويطلقون لفظ الذكر اعتمادا على دلالة الحال والمقام وجملة قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون

فى موضع النصب على انها حال من فاعل القول المقدر او من فاعل يتخذونك اى يقولون ذلك وهم على هذه الحالة او يتخذونك هزؤا وهم على حال هى اصل الهزؤ والسخرية وهى الكفر بالله الموجب للهزؤ والسخرية والمصنف اختار الثانى حيث قال فهم احق بان يهزأ بهم وهم الاولى مبتدأ وكافرون خبره وذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون منكرون لذكر الرحمن وهم الثانية تأكيد لفظى للاولى ليبعد الاختصاص ووقوع الفصل بين المبتدأ والخبر بمعمول الخبر واضافة الذكر الى الرحمن اما من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله اى وهم بان يذكروا الرحمن بما يجب من الوحدانية والتنزيه من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك واما من قبيل اضافته الى الفاعل اى بان يذكر الرحمن عباده بارشادهم الى الصراط المستقيم ببعث الرسل وانزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد بالذكر القرآن المنزل الذى هو ذكر للعالمين وموعظة لهم ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولاحتياج الى التأويل فى جعل العجل مبدأ خلق الانسان قيل انه على القلب والمعنى خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم وهو بعيد لانه مهما امكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه لا وجه لان يقال انه مقلوب روى عن ابن عباس انه قال نزلت الآية فى النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية ﴿ قوله والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ﴾ جواب عما يقال كيف نهى عن الاستعجال الذى جبل عليه الانسان والامور الجبلية لا تنفك عن الانسان فالنهى عنها من قبيل تكليف ما لا يطاق وهو لا يتم بالنهى وتقرير الجواب ان الامور الجبلية انما تكون من لوازم الانسان اذا خلى الانسان ونفسه وهو لا ينافى ان يكون تركها مقدورا له بان يقهر نفسه الامارة بالسوء ويخالف هواها ويتبع الادلة العقلية والسمعية الا ترى انه تعالى ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها بما اعطاه من القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ونحوهما من الامور الجبلية وانه تعالى جعل فى وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا متأنيا بالرياضة وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية اخبر انه تعالى خلقه جزوعا منوعا شحيحا ثم قال الا المصلين فان استثناء المصلين منهم يدل على ان الانسان يتحول بالرياضة من الحالة التى خلقه الله تعالى عليها الى حالة اخرى ﴿ قوله وقت وعد العذاب ﴾ اى وقت العذاب الموعود على ان الوقت المقدر مبتدأ ومتى خبره قدم عليه لانهم كانوا يستعجلون العذاب الموعود لمن اصر على الكفر والتكذيب ويقولون متى هذا الوعد فاراد الله تعالى نهيهم عن الاستعجال وبيان انه نازل بهم فى الوقت المقدر له بجعل ذم الانسان على افراط العجلة وبيان انه مطبوع عليها ذريعة الى نهيه وزجره عن الاستعجال فقولهم متى هذا الوعد هو الاستعجال المذموم الذى اريد نهيهم عنه ﴿ قوله تحيط بهم النار من كل جانب ﴾ اشارة الى ان قوله عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم عبارة عن جميع الجوانب كأنه قيل من قدامهم وخلفهم وقوله لما استعجلوا جواب لو المقدر وحسن حذفه لان ما تقدم يدل عليه والمعنى لكنهم استعجلوا لجهلهم بهول ذلك الحين وما فيه من العذاب المهين ﴿ قوله ويجوز ان يترك مفعول يعلم ﴾ اى مفعول لفظ يعلم الذى هو اسم علم ليعلم الذى هو اللفظ الدال على معنى فى نفسه مقترن باحد الازمنة الثلاثة لانه لو اريد به معنى لفظ يعلم لما وقع مضافا اليه لان الاضافة من خواص الاسم وقد نص المحققون على ان كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على اللفظ الذى يصدق عليه حد الاسم او الفعل او الحرف الا ترى انك تقول ضرب فعل ومن حرف فتجعل كل واحد من ضرب ومن محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه فليتأمل ويجوز ان ينزل يعلم منزلة اللازم مبالغة فى تجهيل المستعجلين على معنى لو كانوا من اولى العلم لما استعجلوا لكنهم استعجلوا لفرط جهلهم وعظم الجهل مستفاد من تنزيل يعلم منزلة اللازم فانه يدل على انهم لا يعلمون شيأ فعلى هذا الوجه يكون حين منصوبا بفعل مضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا مبطلين فى استعجالهم وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم فتكون هذه الجملة كلاما مستأنفا فانه لما نفى عنهم العلم رأسا بان قال لو يعلم الذين كفروا توجه ان يقال متى يعلمون ويزول عنهم هذا الجهل العظيم فاجيب بقوله حين لا يكفون فكان العامل فى حين ما يدل عليه قول من قال متى يعلمون ﴿ قوله بل تأتيهم العدة ﴾ على ان يكون الضمير المؤنث فى تأتيهم للوعد لكونه فى معنى العدة او للنار او للحين لانه فى معنى الساعة وانتصاب بغتة اما على المصدرية لان البغت نوع من الاتيان او الحالية من فاعل تأتيهم اى باغتة يقال بغته اى فجأه ولقيته بغتة اى فجأة والمباغتة المفاجأة وقوله تعالى بل تأتيهم اضراب

(خلق الانسان من عجل) كأنه منه خلق لفرط استعجاله وقلة تأنيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد وروى انها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل العذاب (سأريكم آياتى) نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) وقت وعد العذاب او القيامة (ان كنتم صادقين) يعنون النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) محذوف الجواب وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك (بل تأتيهم) العدة او النار او الساعة (بغتة) فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين (فتبهتهم) فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او للحين وكذا فى قوله (فلا يستطيعون ردها) لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة (ولا هم ينظرون) يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا

استئناف حكى الله تعالى انهم يستعجلون العذاب الموعود ويقولون متى هذا الوعد وبين ان سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه وما فيه من العذاب الشديد ثم اضرب وانتقل من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال بل تأتيهم بغتة ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى ويتحرج من استهزائهم نزل قوله تعالى ولقد استهزئ الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام وقوله او لا يعلم الذين كفروا الآية لايخلو ايضا عن التسلية ودفع الحزن عن قلبه المنير فان بيان ما لصاحب هذا الاستهزاء من العذاب الشديد يفيد تسلية المهزوء به وازالة حزنه لامحالة ﴿ قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ﴾ اى جزاء ما كانوا فكأنه قيل سيصيبهم جزاء استهزائهم كما اصاب جزاء استهزاء من قبلهم بانبيائهم فلاتبال باستهزائهم وكن متسليا فارغ البال ثم انه تعالى لما بين استحقاقهم لما اصاب الاولين وانه سيصيبهم لامحالة مثل ما اصاب الاولين وان عدم اصابة ذلك اياهم عاجلا انما هو بحفظه وكلاءته حيث امهلهم مدة بمقتضى رحمته العامة ومشيئته وحكمته الباهرة امره عليه الصلاة والسلام ان يسألهم عن الكالئ ليقرّوا ويتنبهوا على أنهم فى قبضة قدرة الله تعالى مقهورون لحكمته ومشيئته لينتهوا عن الاستهزاء والتكذيب ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى دعهم عن هذا السؤال لانهم لايصلحون له لاعراضهم عن ذكر الله تعالى فلا يخطرونه ببالهم حتى يخافوا بأسه ثم اذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا ان الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عنه ثم اضرب عن امر التسجيل عليهم بانهم لايصلحون للسؤال الى ما هو أهم وهو الانكار عليهم فيما زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم مما استحقوا من العذاب منعا يتجاوز منعنا وحفظنا على ان قوله تعالى من دوننا صفة مصدر محذوف والذى اضيف اليه دون ايضا محذوف وتقدير الكلام تمنعهم منعا كائنا من دون منعنا اى من غير منعنا ويحتمل ان يكون من دوننا بمعنى من عندنا فيكون صفة لمحذوف تعلق بقوله تمنعهم والتقدير تمنعهم من عذاب يكون من عندنا كأنه قيل دعهم عن هذا السؤال لاغفلتهم واعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم آلهة تستقل فى حفظهم وانظر الى من اعرضوا عن ذكر ربهم اليها فان هذا غريب وأغرب لان من لايقدر على نصر نفسه ولايصحبه نصر من الله عز وجل كيف ينصر غيره ثم أضرب عما توهموه من ان ما هم فيه من الكلاءة من جهة ان لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأس اليهم فقال بل متعنا هؤلاء وآباءهم الآية كأنه قيل دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ما هم فيه من الحفظ انما هو منا لامن غيرنا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بانواع السرّاء لكونهم من اهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم الى العذاب العظيم والعقاب الاليم ويحتمل ان يكون اضرابا عن الاستئناف السابق كأنه قيل دع ما بين بطلان ما اعتقدوه من ان يكون لهم آلهة تمنعهم واعلم انهم انما وقعوا فى ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب انه تعالى متعهم بما يشتهون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغترّوا واعرضوا عن التأمل فى قول الرسول المبلغ عن الله واتبعوا ما سوّلت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة لقساوة قلوبهم وخباثة طباعهم والا فقد اتضح الحق من الباطل وتبين الرشد من الغىّ فابق الان يتقم منهم على سبيل التدريج بان يعاجلهم بنكال الدنيا ثم يضطرهم الى عذاب النار فى العقبى واشار الى هذا المعنى بقوله عز من قائل أفلا يرون اى أغفلوا وعموا فلا يرون كيف شرعنا فى ذلك بان ننقص دار الكفر من جوانبها ونفتح البلاد والقرى من حوالى مكة وندفعها فى ملك نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وننقص ما فيها من المشركين واحدا بعد واحد بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها بحيث لايقدرون على دفعهم عن انفسهم وديارهم أفهم الغالبون ام المغلوبون فالفاء فى أفلا يرون لعطف الجملة على المقدر والتى فى قوله افهم الغالبون لعطفها على المنفى والعبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ان يقال أفلا يرون ان عساكر الموحدين المطيعين يأتون ارض المشركين وينقصونها من اطرافها الا انه تعالى اسند فعل المسلمين الى ذاته تنبيها على ان المجازى والمنتقم والمخرّب هو الله تعالى حقيقة وان ظهر ذلك بتسلط المسلمين وتمكينهم من التخريب والاهلاك والذى ورد عليه نظم التنزيل تصوير للامر على ما هو عليه فى نفس الامر ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين وانذارهم بانواع العذاب قرّر ذلك واكد بقوله قل انما انذركم بالوحى الى من القرآن الكريم ﴿ قوله وقرأ ابن عامر ولاتسمع ﴾ اى بضم تاء الخطاب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انهما مفعولا به وقرأ الحسن على قرآءة ابن عامر الا انه يضم ياء الغيبة على ان فيه ضميره عليه الصلاة والسلام وقرأ باقى السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع الصم

(ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم (فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) وعد
بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء ما فعلوا يعنى جزاءه (قل) يا محمد
للمستهزئين (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل
والنهار من الرحمن) من بأسه ان اراد بكم
وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير
رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته (بل هم
عن ذكر ربهم معرضون) لايخطرونه
ببالهم فضلا من ان يخافوا بأسه حتى
اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا
للسؤال عنه (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا)
بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
او من عذاب يكون من عندنا والاضراب
عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن
المعرض الغافل عن الشئ بعيد ومن المعتقد
لنقيضه ابعد (لايستطيعون نصر انفسهم ولا
هم منا يصحبون) استئناف بابطال ما اعتقدوه
فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره (بل متعنا
هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر)
اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعى
الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع
بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على
بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى
متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت
اعمارهم فحسبوا ان لايزالوا كذلك وانه
بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه
امل كاذب فقال (أفلا يرون انا نأتى الارض)
ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بتسليط
المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى
على ايدى المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله
والمؤمنين (قل انما انذركم بالوحى) بما اوحى
الىّ (ولايسمع الصم الدعاء) وقرأ ابن عامر
ولاتسمع الصم على خطاب النبى صلى الله
عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره

وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ما ينذرون) منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار او للمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم (ولئن مستهم نفحة) ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما فى النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة (من عذاب ربك) من الذى ينذرون به (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (ونضع الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة) لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقه او من الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) اى وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع مثقال على كان التامة (أتينا بها) احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من أعطينا او من المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع (بالغيب) حال من الفاعل او المفعول (وهم من الساعة مشفقون) خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر) يعنى القرآن (مبارك) كثير خيره (انزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة

ونصب الدعاء ﴿قوله للدلالة على تصامهم﴾ وجه الدلالة ان تعريف الصم للعهد والمعهود هؤلاء المنذرون وهم ليسوا بصم حقيقة فلما عبروا عنهم بالصم دل على انهم شبهوا بالصم لتصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم ستصير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به كمس ريح الشئ فضلا عن مس جسمه فعند ذلك يسمعون ويتذكرون ويعترفون على انفسهم بالظلم حيث لا ينفعهم فقال ولئن مستهم نفحة اى ادنى شئ مما انذروا به بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول واصل النفح هبوب الريح يقال نفحت الريح اى هبت هبوبا لينا ونفحه بنائل اى بشئ يسير من العطاء ﴿قوله توزن بها صحائف الاعمال﴾ يعنى ان الله تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال وقد روى انه ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه الصلاة والسلام فان قيل كيف توزن الاعمال وانما هى اعراض لا توصف بالخفة والثقل المختصين بالجواهر اجيب بان فى كيفية وزنها وجهين الاول ان توزن صحائف الاعمال والثانى انه تعالى يجعلها صور الجواهر فيضع فى كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سوداء مظلمة والمعتزلة عن آخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا يجب ان يحمل ما ورد فى القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت اصلا فوضع الموازين عندهم عبارة عن ارصاد المحاسبات السوية والمجازاة على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين الحقيقية لتوزن بها الموزونات لتعديل وتسوية الحقوق وعامة اهل السنة على انه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها صحف الاعمال وجمع الموازين مع ان الميزان الموضوع واحد نظرا الى تعدد ما يوزن فيه او لتعظيم شأنه فى احاطة حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يعنى ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اى اذهبت حسناته سيئاته كذا روى عن ابن عباس وهو اوفق لما ذهب اليه المعتزلة ﴿قوله لجزاء يوم القيامة﴾ يعنى ان اللام فيه اما للتعليل على حذف المضاف او هى لام التوقيت بمعنى فى كما فى قولك جئت لخمس خلون اى مضين وذهب صاحب الكشاف الى انها لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجئ بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص وضع الميزان بيوم القيامة ﴿قوله شيأ من حقه او من الظلم﴾ الاول على ان يكون شيأ مفعولا ثانيا لتظلم لانه بمعنى لا تنقص ونقص يتعدى الى مفعولين يقال نقصه حقه وقال تعالى لم ينقصوكم شيأ والثانى على ان يكون مفعولا مطلقا وقرأ العامة أتينا بها بقصر الهمزة من الاتيان بمعنى احضرنا وقرئ بمد الهمزة فيحتمل ان يكون وزنه افعلنا من آتى يؤتى ايتاء او فاعلنا ويؤيده قوله بها لان ما هو بوزن افعلنا يتعدى الى مفعوليه بنفسه قال تعالى وآتينا ثمود الناقة ثم انه تعالى شرع فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على اداء الرسالة وتسلية له بانه ليس اول من بعث الدعوة المنكرين ووجه ربط قصة موسى بما قبلها انه تعالى لما امر رسوله عليه الصلاة والسلام ان يقول انما انذركم بالوحى اتبعه بانه عادة الله تعالى فى الانبياء قبله فقال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الالهى لكونه فارقا بين الحق والباطل وما بعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شئ واحد هو التوراة فالمعنى ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعداء كما فى قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعنى يوم بدر حين فرق بين الحق والباطل ﴿قوله حال من الفاعل﴾ يعنى يخشون ربهم او عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فيأتمرون باوامره وينتهون عن نواهيه او وهم غائبون عن الآخرة لم يروا ما فيها من الاهوال او وهم غائبون عن الناس لا كالذين يجتنبون المعاصى بمحضر الناس ويرتكبونها فى الخلوات او من المفعول بمعنى يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد او يخشون ربهم وهو غائب عن الحس لا تدركه الابصار وانما يؤمنون به ايمانا غيبيا استدلاليا ﴿قوله مبالغة وتعريض﴾ من حيث انه يفيد حصر الخوف من الساعة فى المتقين والحصر ليس اصل الخوف بل هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم بانتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم ﴿قوله استفهام توبيخ﴾ عير الله اهل مكة بانكار القرآن مع اشتماله على جميع ما اشتمل عليه التوراة من الاوصاف مشتمل على امر زائد على ما فيها وهو كونه معجزا لاشتماله على الامور الغيبية والبلاغة البديعة وعلى الادلة العقلية وبيان الشرائع الحكمية فمثل هذا الكتاب لا يتجاسر على انكاره من له ادنى تمييز ﴿قوله وقرئ رشده﴾ بفتح الراء والشين والعامة على ضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالعدم

(والعدم)

والعدم يقال رشد بالفتح يرشد رشدا ورشد بالكسر يرشد رشدا كلاهما بمعنى والاضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى ولقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا ابراهيم رشدا يليق بمثله وبمثال من انتصب للرسالة وخلة الرحمن ولو قيل الرشد او ترك اللام وضمير الحامد لما افاد الكلام هذا التفخيم فان الرشد وان كان متفاوتا الى الآن بين رشد المؤمنين والرشد الذى اوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بونا بعيدا ﴿ قوله علمنا انه اهل لما آتيناه ﴾ اى من الرشد المفسر بالاهتداء لوجوه الصلاح فى امور الدين والدنيا فيكون تفصيلا لما قبله وعلى الثانى يكون تأكيدا له لان ايتاء الاهتداء المذكور والعلم بكونه جامعا لمحاسن الاوصاف والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل فى المعنى الثانى فانك اذا قلت فى حق احد من الفضلاء انا عالم بفلان معرفتك هذا فى الدلالة على كونه جامعا لوجوه الفضل اشد واقوى مما اذا فصلت صفاته كلها ﴿ قوله فان التمثال ﴾ يعنى انه اسم الشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى واصله من مثلت الشئ بالشئ اذا شبهته به واسم ذلك الممثل التمثال فتمثيله عليه الصلاة والسلام لهم بان هذا الكلام الدال على تحقير اصنامهم لينكر فيها ويردونه من شبهة ميطلها عليهم ﴿ قوله ويجوز ان تؤول ﴾ اى ويجوز ان لا ينزل عاكفون منزلة اللازم ويجعل اللام للتعدية باحد الوجهين ﴿ قوله جواب عما لزم الاستفهام ﴾ اى جواب عما قال انه عليه الصلاة والسلام سألهم عن حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم اجابوه ببيان ما حملهم على عبادتها فلا انطباق بين السؤال والجواب وتقرير الجواب انه ليس جوابا لنفس الاستفهام بل عما لزمه من السؤال عن المقتضى لعبادتها وذلك السؤال اللازم هو أى شئ حملكم على عبادتها مع ان شأنها من الحقارة ما رأيتموه والقوم لما لم يجدوا فى جوابه الا طريقة التقليد فاجابوا ببيان آبائهم سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتفوا به لاجرم اجابهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به ﴿ قوله ومن السموات ﴾ فانه ليس من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم لما سمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقالة القوم وعلم ان استبعادهم ذلك مبنى على انهم حسبوا انه عليه الصلاة والسلام انما انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب قال بل ربكم رب السموات الآية كأنه قال ما ضللتكم انما قلته على سبيل الجد واظهار الحق ولى برهان على ذلك كأنه ليس المراد من الشهادة فى قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه لا شهادة من المدعى بل استعيرت الشهادة لتحقق الدعوى بالحجة والبرهان اى لست من اللاعبين فى الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذى تقطع به الدعاوى ﴿ قوله من المحققين ﴾ اى من المتيقنين له يقال تحققت الشئ اذا صرت منه على يقين والشاهد من تحقق الشئ وحققه فقوله من الشاهدين من باب التشبيه البليغ اظهر عليه الصلاة والسلام كونه صادقا جادا فيما خاطبهم به فى حق اصنامهم اولا بقوله بل ربكم رب السموات والارض فدل بذلك على ان من خلقهما على هذا الوجه البديع لمنافع العباد هو الذى يحسن ان يعبد لان من يقدر على ذلك يقدر على ان يضر وينفع فى الدار الآخرة بالعقاب والثواب واظهره ثانيا بالطريقة العملية المدلول عليها بقوله وتالله لأكيدن اصنامكم فان قيل لماذا قال لأكيدن اصنامكم والكيد هو الاحتيال على الغير فى ضرر لا يشعر به والاصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه وايضا ليست هى مما يحتال فى ايقاع الكسر عليها لان الاحتيال انما يكون فى حق من له شعور اجيب بان ذلك من قبيل التوسع فى الكلام فان القوم كانوا يزعمون ان الاصنام لهن شعور ويجوز عليهن التضرر فقال ذلك بناء على زعمهم وقيل المراد لأكيدنكم فى اصنامكم لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغم قرأ العامة تالله بالتاء المثناة من فوق وقرئ بالباء الموحدة والاصل فى حروف القسم الباء لان تلك الحروف انما تدخل على المقسم به لان تصلق فعل القسم بالمقسم به والاصل فى تأدية معنى الالصاق هو الباء وابدلت الواو من الباء للمناسبة بينهما من حيث كونهما شفويتين ومن حيث ان الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الالصاق والتاء بدل من الواو كما فى وراث وفى التاء معنى زائد ليس فى اختيها وهو التعجب وذلك لان المقسم عليه بالتاء يجب ان يكون امرا نادر الوقوع وان الشئ المتعجب لا يكثر وقوعه والا لم يكن عجبا ومن ثمة قيل استعمال التاء لا يكون الا مع اسم الله تعالى فكأنه عليه الصلاة والسلام تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه منه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته لا سيما فى زمن نمرود مع عتوه وقوة سلطانه وبعد منصوب بلأكيدن ومدبرين حال مؤكدة

(من قبل) من قبل موسى وهرون او محمد
وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال
انى وجهت (وكنا به عالمين) علمنا انه اهل
لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم
الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار
وحكمة وانه عالم بالجزئيات (اذ قال لابيه
وقومه) متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف
اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله (ما هذه
التماثيل التى انتم لها عاكفون) تحقير لشأنها
وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح
فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص
لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى
انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول
بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم وهو
جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما
اقتضى عبادتها وحملهم عليها (قال لقد
كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين)
منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل
لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان
جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق
(قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين)
كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان
ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله
ام تلعب به (قال بل ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهن) اضراب عن كونه
لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن
للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل
فى تضليلهم والزام الحجة عليهم (وانا على
ذلكم) المذكور من التوحيد (من الشاهدين)
من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد
من تحقق الشئ وحققه (وتالله) وقرئ
بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو
المبدلة منها وفيها تعجب (لأكيدن
اصنامكم) لأجتهدن فى كسرها ولفظ
الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر
وتوقفه على نوع من الحيل (بعد ان تولوا)
عنها (مدبرين) الى عيدكم لعله قال ذلك سرا

لان التولى والادبار بمعنى واحد قرأ العامة تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى مشددا وقرئ تولوا بفتحهما مضارع تولى واصله تتولوا فحذف احدى التاءين ويؤيد قرآءة الجميع فتولوا عنه مدبرين والمعنى بعد ذهابكم عنى وذهابكم الى عيدكم قال السدى كان لهم فى كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا اذا اجتمعوا فيه ورجعوا منه دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابنه ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فلما مضوا وبقى ضعفاء الناس نادى فى آخرهم وقال تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اى الى عيدكم فسمعوها منه واحتج هذا القائل عليه بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال الكلبى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام من اهل بيت ينظرون فى النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه ارانى اشتكى غدا وهو قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم واصبح فى الغد معصوبا رأسه فخرج القوم الى عيدهم ولم يتخلف احد غيره والتحسر ذلك فى جماعة منهم قال تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دخل بيت الاصنام وكانت فى بيت بهو عظيم وهو بيت المقدس امام البيوت فوجد فيه سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفأس فى عنقه ولم يكسره فقوله الا كبيرا لهم استثناء من مفعول قوله فجعلهم ولهم صفة لكبير وضمير اليه يرجع الى ابراهيم والمعنى انه فعل ذلك ثم قال فى نفسه لعلهم يرجعون الىّ فى هذه الحادثة فابكتهم بان اقول لهم بل فعله كبيرهم هذا ويجوز ان يرجع الى الكبير والمعنى لعلهم يرجعون الى الكبير قائلين ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس فى عنقك وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم اولعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم ومن فى قوله تعالى من فعل هذا بآلهتنا يحتمل ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين استئنافا لامحل له من الاعراب ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين فى محل الرفع على انه خبر للموصول ﴿قوله ويذكر ثانى مفعولى سمع﴾ لان سمع انما يتعدى الى واحد اذا تعلق بالكيفية المسموعة كقولك سمعت قرآءته واما اذا تعلق بالاعيان التى لا يتعلق بها السماع فحينئذ يتعدى الى اثنين فيكون فتى مفعولا اولا ويذكرهم فى محل النصب على انه مفعول ثان فانه لايجوز لك ان تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع وجعله صفة لفتى ابلغ فى نسبة الذكر اليه لاستوآء الوجهين والاشتمال على نسبة الفعل الى الفاعل واختصاص الوجه الثانى بنسبة الوصفية فيكون قوله يقال له ابراهيم صفة ثانية لفتى الا ان المفعول الثانى لابد منه لسمع لما مر من انك لاتقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما سمعت ﴿قوله هو ابراهيم﴾ على ان يكون ارتفاع ابراهيم على انه خبر محذوف ثم جوز ان يكون نائب فاعل ما لم يسم فاعله بمعنى يقال له ويطلق عليه الاسم ولو اريد به المسمى لما جاز قيامه مقام الفاعل لان معمول القول لا يكون الا جملة بخلاف ما اذا اريد لفظ ابراهيم فانه حينئذ يجوز ان يقوم مقام الفاعل لان اللفظ فى حكم الجملة فى جواز كونه مقول القول فيؤدى لكون القول حينئذ بمعنى التسمية كانه قيل يسمى ابراهيم واختلف النحاة فى جواز تسلط القول على المفرد الذى لا يؤدى معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة ولا هو مصدر لقال ولا صفة لمصدر نحو قلت زيدا اى قلت هذا اللفظ فأجازه جماعة منهم الزمخشرى ومنعه آخرون واما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولك قلت خطبة او قصيدة او شعرا او اقتطع من جملة كقوله

* اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما يجيء به التجر *

اوكان مصدرا نحو قلت قولا او صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه يتسلط عليه القول اجماعا ﴿قوله بمرأى منهم﴾ يعنى ان قوله على اعين الناس فى محل النصب على انه حال من الهاء فى به اى ائتوا به وجيئوا به ظاهرا مكشوفا بمرأى منهم ومنظر واورد حرف الاستعلاء بناء على طريق التشبيه اى تشبيه تمثل صورته فى اعينهم باستعلاء الراكب على مركبه وتوضيح المقام ان المعنى فأتوا به مستقرا على اعين الناس مستعليا عليها وذلك بان شبه انطباع صورة المرئى فى القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب ثم ذكر كلمة على واريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها

(فجعلهم جذاذا) قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالضم وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة (الا كبيرا لهم) للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون) لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيبكتهم اولانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك اوالى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم (قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه (يقال له ابراهيم) هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم (قالوا فأتوا به على اعين الناس) بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب (لعلهم يشهدون) بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له

اعين الناس فالمراد بالاتيان اتيان مثاله لما سمع بعض القوم قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتالله لأكيدن اصنامكم وسمعوا سبه لآلهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذى يظن انه الذى فعل هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه فقالوا فيما بينهم فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه الذى فعل قيل كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل انه ليس من الشهادة بل هو من الشهود وهو الحضور والمعنى لعلهم يحضرون عقوبتنا اياه ﴿قوله حين احضروه﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا والتقدير فأتوا به فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه صنعه موبخين له ءانت فعلت هذا وفى قوله ءانت وجهان الاول انه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر بعده والتقدير أفعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لا محل لفعلت الملفوظ به لانها مفسرة والثانى انه مبتدأ والجملة التى بعده فى محل الرفع على الخبرية وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو ان اداة الاستفهام اذا دخلت على الفعل يكون الشك فى انه هل وقع اولا ولا شك فى فاعله واذا دخلت على الاسم لا يكون الشك فى وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعا به ويكون المشكوك فيه هو الاسم الذى دخلت عليه اداة الاستفهام ويشك فى انه هل هو الفاعل او غيره فاذا قلت أقام زيد كان الشك فى قيامه واذا قلت أزيد قام وجعلته مبتدأ كان الشك فى ان الفعل هل صدر منه او من غيره والوجه الاول هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدم ما يطلبه وهو اداة الاستفهام ﴿قوله اسند الفعل اليه﴾ جواب عما يقال كيف اسند الفعل الى كبيرهم وانه كذب لا يليق بالنبى المعصوم * فاجاب عنه اولا بان اسناد الفعل اليه من قبيل اسناده الى السبب الحامل فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى الاصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمزيد التواضع والخضوع اشتد بعضه وغيظه له فحمله ذلك الغيظ على ما فعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لا لانه هو المباشر للفعل الا انه ابقى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام وكسرها ليورد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر جهلهم فى عبادة الاصنام وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى مع الاستهزاء بالكبير لان اثبات الفعل الدائر بين شخصين لمن هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز واثبات القادر منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط وهو امى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على انظر مشق الماسخة بل كتبته انت فان قصدك بهذا الجواب تقرير الكتبة لك مع الاستهزاء بالامى لا نفيه عنك واثباته للامى وثالثا بانه لم يسند الفعل اليه اعتقادا بل اسنده حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كأنه قال كيف تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا الفعل وعلى ما هو اعظم منه ويؤيد هذا الجواب ما يحكى انه قال لهم بل فعله كبيرهم بناء على انه غضب من ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها هيئة واشرف جوهرا فانه لا وجه لهذا القول الا بان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم من مذهبهم ورابعا بان اسناد الفعل الى الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد انهم ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسألوهم اعتراض بين الشرط والجزاء وهذا الجواب يتضمن تجهيل القوم واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المصنف بحمل جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى لكونه تعسفا ومخالفا لظاهر النظم وخامسا بان الكذب انما يلزم على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى كبيرهم ولا نسلم ذلك لم لا يجوز ان يكون مسندا الى ضمير فتى او ابراهيم * ولما ظهر بهذه الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم ليس بكذب ورد ان يقال فكيف اثبت عليه صلوات الله وسلامه لابراهيم ثلاث كذبات وهى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى * فاجاب المصنف عنه بانه عليه الصلاة والسلام سماها كذبات تشبيها لها بالكذبات لكونها على صورة الكذبات ولما قال لهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ازاما للحجة عليهم فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم اى تفكروا بقلوبهم وراجعوا عقولهم قال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال تسألون هذا الرجل وآلهتكم حضور فاتركوا مسألته واسألوا آلهتكم التى بحضرتكم وقرأ الجمهور نكسوا مبنيا للمفعول مخففا الكاف وقوله على رؤسهم حال اى كائنين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل المذكور قبله والنكس والتنكيس لغتان بمعنى وهو قلب الشىء ورد آخره على اوله وقرئ نكسوا بالتشديد وليس

(قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) حين احضروه (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءأنت كتبته هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته (فرجعوا الى انفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (انكم انتم الظالمون) بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين

التشديد فيه للتعدية ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى المخفف وقرئ نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى هذا يكون المفعول محذوفا تقديره نكسوا انفسهم على رؤسهم قال المفسرون اجرى الله الحق على ألسنتهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فردّوا الى الكفر بعدما اقروا على انفسهم بالظلم شبه انقلابهم الى الكفر والمجادلة بالباطل بعد الاعتراف بالحق بصيرورة اسفل الشئ مستعليا الى اعلاه فعبر عنه بالنكس ثم اشتق منه نكسوا فهو استعارة تبعية وقيل المعنى انهم قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا بما بهتهم به ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما احاروا الا ما هو حجة عليهم حيث قالوا فى جواب قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالهم فأقروا بهذه الحيرة التى لحقتهم وجملة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اى نكسوا قائلين والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال كيفية القصة انه لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم عليه الصلاة والسلام حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ثم جمعوا الحطب الكثير حتى ان المرأة لو مرضت قالت ان عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها فتلقيه فى ذلك البنيان احتسابا فى دينها قيل جمعوا له الحطب من اصناف الخشب على ظهر الدواب اربعين يوما ثم اوقدوها فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير فى اقصى الجو لاحترق من شدة وهجها وروى انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتى القرب منها فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد وكان اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا ما فى ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فأذن لنا فى نصرته فقال تعالى ان استغاث باحد منكم فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فانه خليلى ليس له خليل غيرى وانا الهه ليس له اله غيرى فلما ارادوا القاءه فى النار اتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء واتاه خازن المياه فقال ان شئت اخمدت النار فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد فى السماء وانا الواحد فى الارض ليس فى الارض من يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل وحين ألقى فى النار قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه فى المنجنيق ورموه الى النار فأتاه جبريل فقال له يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قيل بردت نار الدنيا كلها يومئذ ولم ينتفع بها احد من اهلها ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد ابدا ولو لم يقل وسلاما بعد قوله بردا لمات ابراهيم من بردها وقيل جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغة فانها كانت تنفخ النار وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الوزغة وقال كانت تنفخ النار على ابراهيم قيل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما بقى فى النار كان فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا ومنا من الايام التى كنت فيها فى النار قيل لما رموه فى النار اخذت الملائكة بضبعى ابراهيم واقعدوه فى الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه قال ابن اسحق فبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فجاء فقعد جنب ابراهيم يؤنسه واتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبابى ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابراهيم فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشى حتى خرج منها قال نمرود من الرجل الذى رأيته معك فى صورتك قال ذلك ملك الظل ارسله ربى ليؤنسنى فيها فقال له نمرود انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك وانى ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال نمرود لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له ثم ذبحها وكف عن ابراهيم وروى انهم لما رأوه سالما لم يحترق منه غير وثاقه قال هاران ابو لوط عليه الصلاة والسلام ان النار لا تحرقه لانه سحر النار لكن اجعلوه على شئ واوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر واوقدوا تحته فطارت شرارة فى لحية ابى لوط فاحرقته وروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى

(ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول (قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم) انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم (قالوا) اخذوا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة (حرقوه) فان النار اهول ما يعاقب به (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) ان كنتم ناصريها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمرود

(قلنا يا نار كونى بردا وسلاما) ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركته قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله (على ابراهيم واراد وابه كيدا) مكرا فى اضراره (فجعلناهم الاخسرين) اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل فلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص يعقوب ولا بأس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم ائمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بامرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (واوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات

فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل فى تفسير قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار باردة لا تضر ببردها من غير ان يكون هناك قول وخطاب كقوله تعالى ان يقول له كن فيكون اى تكونه وذهب اكثر المفسرين الى ان ذلك القول قد وجد والقائل اما جبريل عليه الصلاة والسلام فانه امر الله تعالى او القائل هو الله تعالى والمصنف مال الى القول الاول حيث قال وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة اى فى ورود النوال على هذا النظم مبالغات فى اظهار عظمة الله تعالى وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وارادته حيث عبر عن تأثير قدرته فى تبريد النار بما يدل على جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة مع انه ليس هناك امر وامتثال بل ليس هناك الا تسخيرها للقدرة والارادة لان اثر القدرة هو كون النار باردة لا كونها نفس كيفية البرد والعبارة الدالة على هذا المعنى ان يقال ابردى الا انه اقيم كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة فى الدلالة على زوال كيفية الحرارة والاحراق من النار بحيث تكون ذاتها كانها برد وسلام كما فى قوله

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ☼ فانما هى اقبال وادبار ☼

اى ذات اقبال وادبار **قوله** وقيل كانت النار بحالها الا انه تعالى خلق فى جسم ابراهيم عليه الصلاة والسلام كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم فى الآخرة وكما انه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث فى النار ولم يرتض به لان ظاهر قوله تعالى يا نار كونى بردا يقتضى ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تأثيرها الا ان [illegible] و[illegible] **قوله** من العراق الى الشام قيل كانت وقعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمرود بكوثى فى حدود بابل من ارض العراق فنجاه الله تعالى من تلك البقعة الى الارض المباركة ثم قيل انها مكة وقيل هى ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقد كان لوط النبى عليه الصلاة والسلام آمن بابراهيم بن تارخ عليهما الصلاة والسلام كما قال تعالى فآمن له لوط وكان ابن اخيه هاران بن تارخ ويقال بالخاء وهو لوط بن هاران بن تارخ بن ناحور وآزر لقب تارخ ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهاران فكان هاران وابراهيم اخوين وآمنت به ايضا سارة بنت عم ابراهيم وهى سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثى مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والتخلص الى عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى ثم ارتحل منها ونزل فلسطين وهى برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد الى ارض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبيا الى اهلها روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالهجرة الثانية الهجرة الى الشام والمقصود ترغيب الناس فى المقام بها **قوله** عطية قال الجوهرى النفل والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نافلة الصلاة والنافلة ايضا ولد الولد والنوافل العطايا والنوفل الرجل الكثير العطاء فالنافلة المذكورة فى الآية يجوز ان تحمل على العطية الواقعة تفضلا من غير ان تكون جزاء مستحقا متبرعا على ما يدعو اليه فتكون حالا من المفعول وما عطف عليه جميعا اى وهبناهما حال كون كل واحد منهما عطية متبرعا بها وقيل انه منصوب على انه مصدر ووهبنا له من غير لفظه بمعنى ووهبناه هبة مبتدأة ويجوز ان تحمل على ولد الولد لان يعقوب ولد اسحق عليهما الصلاة والسلام وعلى الزيادة على ما سأل كما فى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى زيادة على الفرائض فانه عليه الصلاة والسلام سأل الله ولدا حيث قال رب هب لى من الصالحين وهو سؤال الولد فاجاب الله تعالى دعاءه ووهب له اسحق ولدا ليستأنس به من وحشة الغربة واعطاه يعقوب من اسحق من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشئ المتبرع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد فعلى هذين الوجهين يكون حالا من المعطوف عليه فقط كما مر فى قوله تعالى كل فى فلك يسبحون من انه حال من الشمس والقمر فقط لعدم اللبس **قوله** ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم تعليل لما ذكر ثالثا فى وجوه مدحهم فانه تعالى مدحهم اولا بصلاحهم فى انفسهم وكونهم عاملين بطاعة الله تعالى ثم باصلاحهم غيرهم بامر ربهم وارسالهم اياهم لتكميل عباده ثم بان علمهم واوحى اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ليتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم فالظاهر ان

يقول بدل قوله ليحثوا عليه ليكون صلاحهم واصلاحهم سببا على العلم الا ان ترتب العلم على الايحاء لما كان ظاهرا مكشوفا لم يتعرض له بل جعل فائدة الايحاء اليهم حث الامة على فعلها فان معظم ما يوحى الى الانبياء هو التكاليف المتعلقة بالامة فلذلك جعل فعل الخيرات مصدرا من المبنى للمفعول فانه لو جعل من المبنى للفاعل وكان مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم وكان التقدير فعلهم الخيرات واقامتهم الصلاة وايتاءهم الزكاة لفهم ان يكون هذه المذكورات من الاحكام المختصة بالموحى اليهم وليس كذلك بل هي من التكاليف العامة التي يشترك فيها الانبياء والامم فالاصل ان يقال واوحينا اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ثم فعلا الخيرات لانه في معنى الاول لان ان مع الفعل في معنى المصدر ثم فعل الخيرات اى صيغ ذلك الحرف المصدرى مع مابعده مصدرا منونا ناصبا لمابعده ثم اضيف ذلك المصدر الى معموله ثم خص من بين الخيرات اقامة الصلاة وايتاء الزكاة تنبيها على مزيد فضلهما وشرفهما بالنسبة الى سائر الخيرات ﴿ قوله وحذف تاء الاقامة المعوضة عن احدى الالفين ﴾ احداهما الف الافعال والاخرى الالف المبدلة من واو اقوام يعنى ان مصدر افعل يجيء على افعال فان كان صحيح العين جاء تاما كالاكرام وان كان معتل العين حذف منه احدى الالفين وعوض عنها تاء التأنيث فلما قيل في نظم التنزيل واقام الصلاة بدون التاء اعتذر عن حذفها بقيام المضاف اليه مقامها وقد ورد اثباتها ايضا مع الاضافة قال تعالى يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ثم انه تعالى لما بين اصناف ما انعم عليهم وفاء بعهد الربوبية بين اشتغالهم بالطاعة والعبادة توفية لعهد العبودية فقال وكانوا لنا عابدين ﴿ قوله ولوطا آتيناه ﴾ منصوب على شريطة التفسير اى وآتينا لوطا آتيناه حكما والجملة معطوفة على قوله ووهبنا له يجمع ابراهيم ولوطا عليهما الصلاة والسلام في قوله ونجيناه ولوطا ثم بين ما انعم به على كل واحد منهما فقال ووهبنا له اسحق ثم قال ولوطا آتيناه فذكر الله تعالى مما آتاه من النعم اربعة امور احدها الحكم وثانيها العلم وثالثها انجاؤه من عمل الخبائث ورابعها ادخاله في رحمته او جنته وان فسر الحكم بالحكمة فالمراد بها هنا اتيان ما يجب فعله وتقتضيه الادلة القاطعة والعقل المميز لما اشتهر بين القوم من انها العلم الذى يتصل به العمل بما يناسبه فان عطف قوله وعلما عليها يأبى حملها على ذلك المعنى ووجه تفسير الحكم بالنبوة كونها سببا لتقييد الحكم على الامة وسدوم اعظم القرى بالمؤتفكة وهى قرى قوم لوط التى قلبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها ﴿ قوله تعالى ونوحا ﴾ منصوب على العطف على لوطا فيكون مشتركا معه فى عامله الذى هو آتينا المفسر بآتيناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحا آتيناه حكما وعلما وداود وسليمان آتيناهما وعلى هذا يكون اذ بدلا من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال ويجوز ان يكون نوحا منصوبا باضمار اذكر اى اذكر نوحا وداود وسليمان اى اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا تكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدر اى خبرهم الواقع فى وقت كذا وكذا ﴿ قوله ونصرناه مطاوعه انتصر ﴾ يعنى ان نصرناه ههنا بمعنى منعنا الذى يطاوعه انتصر بمعنى امتنع قال الله تعالى هل ينصرونكم او ينتصرون اى هل يمنعونكم او يمتنعون والحاصل ان نصر ههنا بمعنى منع لا بمعنى اعان ويدل عليه تعديته بمن فان نصر بمعنى اعان يتعدى بعلى يقال نصره الله على عدوه فلما قيل ههنا ونصرناه من القوم علم ان المعنى ومنعناه وحميناه منهم ومنه قوله تعالى فمن ينصرنا من بأس الله اى يمنعنا من عذابه والانتصار كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام ايضا ﴿ قوله رعته ليلا ﴾ النفش ان تنتشر الغنم ليلا وترعى بلا راع من باب دخل وضرب جميعا وانفشها صاحبها اذا تركها ترعى كذلك قال الشاعر * عالها الهبة من النفش * قال المفسرون دخل رجلان على داود عليه الصلاة والسلام وعنده ابنه سليمان احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ فاعطاه رقاب الغنم فقال سليمان غير هذا ارفق بهما يطلق اصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من البانها ومنافعها وتقوم اصحاب الغنم على الحرث حتى اذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء حرثهم فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك واكثر المفسرين على ان الحرث كان كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا كذا فى البسيط وجمع الضمير فى حكمهم لكونه عبارة عن الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف الى احدهما فقط لان اضافته الى الفاعل على سبيل القيام به واضافته الى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معنيان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملا فيهما معا وايضا فيه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان اضافته الى الفاعل حقيقة

وكذلك قوله (واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة عن احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة (ولوطا آتيناه حكما) حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم (وعلما) بما ينبغى علمه للانبياء (ونجيناه من القرية) قرية سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) يعنى اللواط وصفها بصفة اهلها او اسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وادخلناه فى رحمتنا) فى اهل رحمتنا او فى جنتنا (انه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى (ونوحا اذ نادى) اذ دعا الله على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل المذكورين (فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناه واهله من الكرب العظيم) من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوعه انتصر اى جعلناه منتصرا (من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين) لاجتماع الامرين الخبيثين تكذيب الحق والانهماك فى الشر ولم يجتمعا فى قوم الا واهلكهم الله (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده (اذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين (ففهمناها سليمان) الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان

والى المفعول مجاز فالجواب ان هذه الاضافة لمجرّد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف اليه فاعلا او مفعولا على طريق عموم المجاز كأنه قيل كنا شاهدين لقضية الواقعة بينهم من اصابة احد الحاكمين وخطأ الآخر واستيفاء كل واحد من المتحاكمين حقه على النهج المستقيم ﴿ قوله وعلمهما قالا اجتهادا ﴾ قال بعض العلماء قال بجواز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار والانبياء ائمة اولى الابصار واصلهم فكيف لا يجوز لهم الاعتبار مع ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب ان يكون للانبياء نصيب منه والا لكان كل واحد من المجتهدين افضل منهم فى هذا الباب ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء فيستلزم ان تكون درجة الاجتهاد ثابتة للانبياء ليرث العلماء منهم ذلك ومنهم من لا يجوّز لهم الحكم بالاجتهاد ويقول انهم مستغنون عنه بالوحى فان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص والنص ليس بمفقود فى حق الانبياء فلا يجوز لهم الاجتهاد عند اكثر العلماء بخلاف اهل السنة فانهم يجوّزون لهم الحكم بالاجتهاد فجاز ان يجتهدوا ويكون اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فرجع ابوه داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه لان الحكم الواقع بالاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر ويجوز ان يكون الثانى وحيا وحينئذ ينقض الحكم بالاجتهاد وقيل حكما جميعا بالوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان واختار المصنف انهما حكما بالاجتهاد لا بالوحى لانهما لو حكما بالوحى لما اختص سليمان بقوله تعالى ففهمناها سليمان بخلاف ما اذا قالا بالاجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابا او اصوب فانه يجوز ان يقال فى حقه ففهمناها سليمان ولما كان الاجتهاد فى نفسه مفتقرا الى العلم ولا يصح دونه قيل وكلا آتينا حكما وعلما وقيل لو كانا بالاجتهاد لما نقض حكم سليمان حكم داود لان الاجتهاد لا ينقض الاجتهاد فتبين انهما كانا بالوحى والجواب ما مرّ من انهما اجتهدا وكان اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه فقد روى فى الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بت الحكم فى ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وروى ان داود ناشده وقال له بحق النبوّة والابوّة الا اخبرتنى بالذى هو ارفق بالفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث الخ ﴿ قوله والاوّل ﴾ اى حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى انه اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى ولى الجناية او يعطى ارش الجناية فان موجب جناية العبد عنده صيرورة العبد جزاء جنايته قلت الجناية او كثرت وللولى ان يختار الفداء بالارش فكذا الحال فى حادثة الحرث فان الغنم فيه بمنزلة العبد الجانى فكانت نفس الغنم جزاء جنايتها وقال سليمان لا يزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين ملكه بان يدفع الغنم الى اهل الحرث لينتفعوا بها مقابلة ما فات عنهم من الانتفاع بالحرث الى ان يزول ما طرأ على الحرث من النقص والضرر ويصير كما كان ونظيره قول الامام الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق من يده فانه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول انه يضمن قيمة العبد ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوّته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد ردّ لبقاء ملك كل واحد منهما فيما فات عنه وحيل بينه وبينه ﴿ قوله الا ان يكون معها حافظ ﴾ اى الا ان يكون مع البهيمة سائقها او قائدها فانه يضمن ما اتلفته وعن سائقها او قائدها والذى اتلفته بعد انتهاء سوقها او قودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلاة والسلام جرح العجماء جبار اى هدر والامام الشافعى يوجب ضمان ما اتلفته ليلا لما روى فى الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ناقة رجل ضارية دخلت حائط رجل فأفسدت ما فيه فكلم النبىّ عليه الصلاة والسلام فيها فقضى ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشى بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل وقد روى ايضا انه عليه الصلاة والسلام قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شئ ولعل ابا حنيفة يجعله منسوخا بقوله جرح العجماء جبار ﴿ قوله دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه ﴾ اى لا يجعله آثما حيث انه تعالى وان اثنى على سليمان باصابته حيث قال ففهمناها سليمان لكنه تعالى اثنى على المخطئ ايضا بعلمه المؤدّى الى الاجتهاد ولم يأثم بخطأه حيث اثنى عليه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما فان العلم المؤدّى الى الاثم والعقاب لا يكون سببا للاثناء عليه والمدح بسببه اختار المصنف قول من ذهب الى ان المجتهد يخطئ ويصيب وان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام قالا بالاجتهاد الا ان داود اخطأ واصاب سليمان وانه يجوز الخطأ على الانبياء الا انهم لا يقرّون واما العلماء فلهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة فاذا اخطأوا فلا اثم عليهم روى انه عليه الصلاة والسلام قال اذا حكم الحاكم واجتهد فأصاب فله اجران واذا حكم واجتهد فاخطأ فله اجر معنى انه يؤجر على اجتهاده

وعلمهما قالا اجتهادا والاوّل نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذا قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه

في الحق لان الاجتهاد عبادة لانه يؤجر على الخطأ الا ان الاثم في الخطأ مرفوع عنه اذا بذل جهده في اصابة الحق والحاصل ان في كل حادثة حكما معينا عند الله تعالى و عليه دليل قطعي او ظني فمن وجده اصاب ومن فقده اخطأ ولم يأثم * فان قيل لو تعين الحكم فالمخطئ له لم يحكم بما انزل الله فيفسق او يكفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الآية فالجواب انه لما امر بالحكم بما ظنه وان اخطأ فقد حكم بما انزل الله وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لا ينافي ان يكون البعض منهم مخطئا لان خطأ المجتهد لا يوجب ان لا يكون له علم وحكم فان كل مجتهد لابد ان يكون عالما قادرا على استنباط الاحكام من النصوص اذ لو لم يكن عالما بالغا الى مرتبة الاجتهاد لم يجز له ان يجتهد ويحكم بالاجتهاد

﴿قوله وقيل على ان كل مجتهد مصيب﴾ فيما عليه من الاجتهاد في الحادثة كما ذهب اليه ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى * قال صاحب الكشاف وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا على الصواب ووجه الاستدلال انه لو كان المصيب واحدا منهما وكان مخالفه مخطئا لما صح ان يقال وكلا آتينا حكما وعلما وفيه انه انما يكون دليلا على كونهما من اهل الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبا وانما يدل عليه ان لو قيل وكلا آتينا حكمه وعلما بما حكم الله تعالى به في تلك الحادثة وليس نظم التنزيل هكذا فيجوز ان يكون المراد به آتيناه علما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام وهو لا يستلزم كونه مصيبا للدليل الذي اقامه الله تعالى ليدل على ما حكم به في تلك الحادثة وايضا القول بان كل مجتهد مصيب مخالف لما يفهم من قوله تعالى ففهمناها سليمان فانه يدل بطريق المفهوم على ان داود لم يفهم الحكم الذي هو الحكم عند الله وانه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبا في حكمه واجتهاده المؤدي اليه ثم اشار بقوله ولولا النقل الى جواب ما يقال لا نسلم ان القول المذكور مخالف لمفهوم قوله ففهمناها سليمان وانما يخالفه ان لو كان داود وسليمان قد اختلفا في الحكم وليس كذلك لما روي عن ابي بكر الاصم انه قال انهما لم يختلفا في الحكم البتة بناء على انه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان واتفقا على ذلك الحكم * ولما ورد ان يقال لو اتفقا في الحكم بتفهيم الله تعالى اياهما ذلك لكان الظاهر ان يقال ففهمناها اياهما ولا يخص سليمان بالذكر اشار الى دفعه بقوله على ان قوله ففهمناها اياهما الا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما اختص بصغر السن والفهم منه اعرب خص بالذكر اظهارا لما تفضل به عليه في صغره وتقرير ما اشار اليه بقوله ولولا النقل لاحتمل توافقهما ان احتمال التوافق بناء على ان تخصيص سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره وهذا التخصيص لاجل اظهار ما تفضل عليه في صغره يتنبه ما نقل انهما قد اختلفا في القول والحكومة فان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد اتفقوا على ان داود قال لصاحب الحرث اذهب فان الغنم لك فلما خرج الخصمان كان من عنده ومرا على سليمان قال كيف قضى بينكما فاخبراه بما قضى به فقال عليه الصلاة والسلام لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا وروي انه عليه الصلاة والسلام قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبرا داود بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما وعلى الرواية الثانية انه دعا سليمان فقال بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ان تسلم الغنم الى صاحب الحرث حتى يرتفق بمنافعها وان يعمل صاحب الغنم في اصلاح الحرث حتى يصير كما كان ثم ترد الغنم الى صاحبها والحرث الى صاحبه ولا يخفى ان اجماع الصحابة في بيان كيفية القصة على الوجه المذكور ينفي احتمال توافقهما في الحكم لما بين الله تعالى ما آتاه داود وسليمان عليهما السلام ذكر ما خص به داود فقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن وهو العامل في مع وهو نظير قوله تعالى يا جبال اوبي معه ويسبحن حال من الجبال والطير معطوف على الجبال وقيل الواو فيه بمعنى مع كذا اعرب ابو البقاء وان جعل يسبحن استئنافا جوابا لمن قال كيف سخرهن يكون قوله مع داود حالا من الجبال اي سخرنا الجبال كائنة مع داود والمراد بكونها معه اما تسبيحها مع تسبيحه واما سيرها مع سيره على ان يكون يسبحن المشدد بمعنى يسبحن الثلاثي من السبح الذي هو السباحة نقل الى باب التفعيل للتكثير ولو لم يقصد الكثرة لقيل يسبحن وان كان من التسبيح بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح دلالة فانهن يسبحن الله تعالى ويذكرنه بدلالة الحال قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا ان التسبيح بهذا المعنى لا يختص بكونها مع داود ولعل وجه التخصيص انه عليه الصلاة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال وما فيها من الاحجار والاشجار فيزداد يقينا وتعظيما ونشاطا في التسبيح والتقديس واشتياقا اليه ويدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر مع ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ويحتمل ان يكون

وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره

(المراد)

المراد بتسبيح الجبال معه ان يتمثل له صوت التسبيح من جهتها على طريق انعكاس الصدى من الاجرام الصقيلة العالية كما روى عن ابن وهب انه قال كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح ويجوز ان يكون تسبيح الجبال بان يخلق الله تعالى فيها الكلام فان المتكلم والمسبح عند اهل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلا لهما لامن يوجدهما بخلاف المعتزلة فان المتكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جمادات لايصح منها الفعل ولا يصح اسناد التكلم اليها بان يخلق الله تعالى فيها الكلام لان المتكلم هو الله تعالى لا الجبال على زعمهم ﴿ قوله وقيل يسرن معه ﴾ عطف على قوله يقدسن ﴿ قوله وقرئ بالرفع ﴾ اى برفع الطير على انه مبتدأ حذف خبره اى والطير مسخرات ايضا او على انه معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى يسبحن وهو ضعيف لانه لم يؤكد ولم يفصل بينهما واجاز الكوفيون مثله من غير استقباح ويجوزه البصريون ايضا لكن على قبح ﴿ قوله فى الاصل اللباس ﴾ اى يطلق على مايلبس درعا كان او غيره حتى استعمل فى البيت فيما هو شبيه باللباس الحقيقى وقوله البس بكسر الهمزة وفتح الباء امر من لبست الثوب لبسا بضم اللام من باب علم لامن قولك لبست عليه الامر لبسا بفتح اللام من باب ضرب بمعنى خلطت وتمام البيت ٭ اما نعيمها واما بوسها ٭ اى البس فى كل حالة مايلائمها ويصلح لها وليس المراد لبس ماهو ثوب حقيقة بل المراد عدّ لكل زمان مايليق به وكانت الدرع قبل داود صفائح اى قطع حديد عراضا فاول من سردها وحلقها داود عليه الصلاة والسلام فجمعت بين الخفة والتحصين ووجه المعجزة فيه انه عليه الصلاة والسلام عمل ذلك من غير استعانة باداة وآلة من نحو الكير والنار والمطرقة كما قال تعالى وألنا له الحديد ﴿ قوله بدل منه ﴾ اى ان لام كى فى قوله لتحصنكم متعلقة بعلمنا كما تعلقت به اللام التى فى لكم ٭ فان قيل كيف يجوز ان يتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد ٭ اجاب عنه بانه بدل منه كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال لان لتحصنكم فى تأويل لاحصانكم وبين الاحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال وقرأ نافع وابن كثير وحمزة والكسائى وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت وباسناد الفعل الى داود او اللبوس وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق على اسناده الى الصنعة او اللبوس على تأويله بالدرع وقرأ ابو بكر ورويس بنون العظمة جريا على طريقة علمناه والبأس ههنا الحرب وان وقع على السوء كله والمعنى ليمنعكم ويحرسكم من مكاره بأسكم كالقتل والجرح بنحو السيف والسهم والرمح ٭ الجوهرى البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب تقول منه بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس والخطاب المدلول عليه بقوله تعالى لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم لهذه الامة من اهل مكة ومن بعدهم الى يوم القيامة اخبر الله تعالى ان اول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارثها الناس فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق الى آخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على هذه النعمة فلذلك اوجب عليهم الشكر فقال فهل انتم شاكرون اى اشكروا الله تعالى على مايسر الله عليكم هذه الصنعة وحرسكم بها من مضار البأس والحرب قال محيى السنة يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمتى بطاعة الرسول انتهى كلامه يريد ان الخطاب المذكور يجوز ان يكون لداود واهل بيته بتقدير القول اى فقال لهم بعد ما انعمنا عليهم بهذه النعم هل انتم شاكرون ما اعطى من النعم التى ذكرت من تسخير الجبال والطير والانة الحديد وعلم صنعة اللبوس ﴿ قوله امر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴾ فان تقريع الاستفهام عن مباشرة الفعل بعد بيان مايوجب مباشرته ابلغ فى ايجابه من الايجاب بصورة الامر لتضمنه التقريع على تركه بعد تحقق مايوجبه ومثله كثير ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون قيل ان داود عليه الصلاة والسلام خرج يوما متنكرا لداود ابا من يسأله عن سيرته فى مملكته فاستقبله جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة آدمى ولم يعرفه داود عليه الصلاة والسلام فقال له كيف ترى سيرة داود فى مملكته فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام نعم الرجل هو لولا ان فيه خصلة واحدة قال وماهى قال بلغنى انه يأكل من بيت المال وليس شئ افضل من ان يأكل الرجل من كد يده فرجع داود عليه الصلاة والسلام وسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من كد يده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك فذلك قوله تعالى وعلمناه اى الهمناه وقال علمناه بالوحى صنعة لبوس ثم انه تعالى لما ذكر النعم التى خص بها داود ذكر بعدها النعم التى خص سليمان بها فانه تعالى ورّث سليمان من داود ملكه ونبوته وزاد عليه امرين سخر له الريح والشياطين فقال ولسليمان الريح والعامة على نصب الريح بعامل مقدر اى وسخرنا الريح لسليمان وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله وعاصفة حال من مفعول سخرنا المقدر

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا (والطير) عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف (وكنا فاعلين) لأمثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها ٭ قيل كانت صفائح فحلقها وسردها ٭ (لكم) متعلق بعلم او صفة للبوس (لتحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او اللبوس وفى قرآءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس على تأويل الدرع وفى قرآءة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل (فهل انتم شاكرون) ذلك امر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (ولسليمان الريح) وسخرنا له الريح

على قرآءة من نصب او من فاعل الاستقرار الذى تعلق به الخبر على قرآءة من رفع والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللينة ﴿ قوله ولعل اللام فيه دون الاول ﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى تخصيص داود بلفظ مع وسليمان بلفظ اللام حيث قال فى حق داود وسخرنا مع داود الجبال وقال فى حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح وراعى هذا الاسلوب ايضا فى قوله ياجبال اوّبى معه وقال وسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء وتقرير الجواب ان ما كان خارقا فى حق كل واحد منهما وان كان معجزا تشرف به صاحبه الا ان سليمان لما كان مستخدما لما هو مسخر له استخدام المالك لمملوكه نسب اليه باللام دون داود فانه تشرف به من حيث موافقته له عند تسبيحه وليس نسبة مسخره اليه كنسبة المملوك الى مالكه فنسب مسخر سليمان اليه بلام التمليك ولم ينسب مسخر داود اليه بتلك اللام ﴿ قوله تبعد بكرسيه ﴾ الباء فيه للتعدية يعنى انها تحمل على الريح العاصفة مع كونها لينة فى نفسها فان منزله عليه الصلاة والسلام كان بالشام وكانت الريح تحمله من نواحى الارض اليها فى مدة يسيرة بعد ما سارت به منها بكرة وكانت تذهب به غدوة من الشام الى اى ناحية من نواحى الارض بينها وبين الشام مسيرة شهر الى وقت الزوال ثم ترجع من ما بعد الزوال الى الشام عند الغروب كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر والرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس الى الليل وقد يكون مصدر قولك راح يروح رواحا وهو نقيض قولك غدا يغدو غدوا قال الحسن لما شغلت الخيل نبى الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب فعقر الخيل فطفق مسحا بالسوق والاعناق فأبدله الله مكانها خيرا منها واسرع وهو الريح تجرى بأمره حيث شاء وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيبيت بارض الشام قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ من ذهب فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الغروب وكان عليه الصلاة والسلام امر الفاصفة من الغرو ولا يسمع فى ناحية من الارض ملكا الا اتاه ودعاه الى الحق ﴿ قوله ومن عطف ﴾ يعنى ان من فى قوله من يغوصون سوآء كانت موصولة او نكرة موصوفة يجوز ان تكون فى محل النصب بالعطف على الريح اى وسخرنا له من يغوصون ويعملون تحت امره وان تكون فى محل الرفع على الابتدآء والخبر الجار والمجرور قبله وجمع الضمير العائد اليه حملا على معناه وحسن ذلك تقدم الجمع فى قوله الشياطين وقوله دون ذلك صفة لعملا والمراد بحفظ الشياطين حفظهم من ان يعصوا ويتمردوا عليه كما قال ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقيل المراد بحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا روى ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوه وافسدوه ثم قال الامام الرازى فى تفسيره ان الجبائى سأل نفسه وقال كيف تهيأ لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لطيفة لا يقدرون على عمل الثقيل وانما يمكنهم الوسوسة واجاب عنه بانه تعالى كثف اجسامهم وقوّاهم وزاد فى عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما مات سليمان ردّهم الله تعالى الى خلقتهم الاولى لانتهاء الحكمة الداعية الى تغيير خلقتهم ثم قال الامام الرازى واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجن من الاجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز وتكون الجن منهم فان قلت لو كان الامر كذلك لكان مثلا للبارى تعالى ولو جسمان غير البارى منهم عاجز عنهم فيلزم ترك الواجب قلت هذا ضعيف لان الاشتراك فى اللوازم الثبوتية لا يدل على اشتراك الملزومات فكيف فى اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لا يجوز حصول القوّة على هذه الاعمال الشاقة فى الجسم اللطيف وكلامه مبنى على ان البنية تشترط فيه وليس فى يده الا الاستقرآء الضعيف سلمنا انه لا بدّ من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت بانه لا بدّ من ردّها الى الخلقة الاولى بعد موت سليمان فان زعمت ان ابقائهم على الخلقة الثانية يفضى الى التلبيس اى تلبيس النبى على الخلق بان يدّعى النبوّة ويجعل ذلك معجزة لنفسه قلت كيف يفضى الى التلبيس وللخلق ان يقولوا لم لا يجوز ان يكونوا مخلوقين كذلك او تكون قوّة اجسامهم معجزة لنبىّ آخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يمكن النبى من الاستدلال به على نبوّته ﴿ قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه ﴾ كقوله ونوحا وما بعده فى الوجهين المذكورين اى وكذلك آتينا ايوب حكما وعلما او اذكر ايوب اى اذكر خبره اذ نادى وقد كان تعالى قد اصطفى ايوب

ولعل اللام فيه دون الاوّل لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاوّل امر يظهر فى الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه (عاصفة) شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال غدوّها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته (تجرى بامره) بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها (الى الارض التى باركنا فيها) الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة (وكنا بكل شىء عالمين) فنجريه على ما تقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) فى البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهى نكرة موصوفة (ويعملون عملا دون ذلك) ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل (وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم (وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر)

(واستنبأه)

واستنبأه وبسط له اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين ولم يكن في اهل عصره
افضل منه في كثرة الاموال والاهل والاولاد من الرجال والنساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل
ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وعرفوا فضله وكان احدهم من اليمن اسمه اليفن
ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد وللآخر صافر وكانوا كهولا فابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الابل
مع رعاتها بان اصابها من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على
آخرها فجاء ابليس عليه اللعنة في زي بعض الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا ايوب
هل تدري ما صنع ربك الذي اخترته احرق ابلك ورعاتها فقال ايوب انها ماله اعارنيه فهو اولى به اذا شاء نزعه
قال ابليس صار الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيأ وما كان في غرور ومنهم من يقول
لو كان اله ايوب يقدر على شئ لمنع من وليه ومنهم من يقول هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه
فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اكون في التراب وعريانا
احشر الى الله عز وجل ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجارني منك
ولكنه علم منك شرا فاخرك ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الغنم ورعاتها بان سلط عليها من صاح صيحة فماتت
جميعا ومات رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بصورة قهرمان الرعاة الى ايوب فقال له مثل قوله الاول ورد عليه ايوب بمثل
الاول فرجع ابليس صاغرا ذليلا ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك سائر امواله من الخيل والحمير والبقر والبساتين
وحراسها ومن يقوم عليها حتى اهلك اهله واولاده جميعا قيل كان له سبعة بنين وثلاث بنات وقيل سبعة بنين
وسبع بنات وكلما هلك صنف منها جاء ابليس الى ايوب عليه الصلاة والسلام واخبره بذلك واجتهد في ترقيق قلبه
وحمله على الجزع والشكوى وترك الصبر فصبر ولم يجزع واسترجع وفوض الامر الى مالك الملك وقيل لما سمع بهلاك
اهله واولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه وقال ليت امي لم تلدني فتدارك الامر من
ساعته فندم على ما فعل واستغفر وتاب ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه حتى خرج من قرنه الى قدمه ثآليل
مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة
حتى اذا لم يجد منها شيأ حكها بالفخار والحجارة الخشنة ثم تقطع لحمه وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية منها وجعلوه
على كناسة وجعلوا له عريشا هناك ورفضه الناس كلهم خوفا من العدوى الا امرأته فهي التي كانت تصلح اموره
وتختلف اليه بما يحبه ويحتاج اليه قيل ان ابليس لما رأى ان ايوب عليه الصلاة والسلام كلما اشتد عليه انواع
المكاره والبلايا لم يزدد الا صبرا وحمدا لله انطلق حتى اتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك
يا امة الله قالت هو ذاك المقروح الذي تتردد الديدان في جسده فلما سمع منها هذه الكلمة طمع ان تكون كلمة جزع
فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعيم والمال وذكرها جمال زوجها ايوب وشبابه فصرخت فلما صرخت
علم ان قد جزعت واتاها بسخلة فقال ليذبح هذه ايوب لي فيبرأ فجاءت الى ايوب تصرخ فقالت يا ايوب الى
متى يعذبك ربك ألا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين الصديق اين اللون الحسن اين جسمك الذي
قد بلي وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان اذبح هذه السخلة لابليس واسترح قال ايوب عليه الصلاة والسلام
اتاك عدو الله ونفخ فيك فاجبته ترين ما ابتلينا به من البلايا ولا تذكرين ما كنا فيه من الرخاء فكم متعنا الله تعالى
بنعمائه قالت ثمانين سنة قال فكم مدة ابتلائنا بهذا البلاء قالت سبع سنين واشهرا قال ويلك ما انصفت ربك
ألا صبرت في البلايا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح
لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذي تأتيني به فطردها فذهبت فلما نظر ايوب
في شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين فقال الله عز وجل يا ايوب قد صدق فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي ارفع رأسك فقد استجبت لك ورددت اليك
مالك وولدك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وقدوة للصابرين اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء لك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض
برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة ولا جراحة الا سقطت وبرئ ثم ضرب برجله مرة
اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار

بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار
القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح
شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس
كمرض وهزال (وانت ارحم الراحمين) وصف
ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها
واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا
في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق
استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه بهلاك
اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله
والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث
عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات
روي ان امرأته ماخر بنت ميشا بن يوسف
او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو
دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي .

احسن ما كان عليه ثم كسى حلة ثم قام فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضعفه الله تعالى حتى ذكر ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صورة جراد من ذهب فجعل يضم بيده الى نفسه فأوحى الله تعالى اليه يا ايوب الم اغنك عما ترى قال بلى ولكنه لايشبع من فضلك فخرج من ذلك الموضع حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه قد طردنى أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت مارأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة التى كانت ورأت الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وكان ذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل عنه فأرسل اليها ايوب ودعاها فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك ذلك المبتلى فبكت وقالت بعلى فقال أتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد رآه انتى كان فى خدمته ثمانين سنة فتبسم ايوب وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال لها انك امرتنى ان اذبح سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وفى هذه القصة روايات كثيرة والله اعلم بما هو الاصح منها قالت العلماء قول ايوب انى مسنى الضر لم يكن جزعا من ايوب لانه تعالى وصفه بالصبر حيث قال انا وجدناه صابرا بل هو دعاء منه الا ترى الى قوله تعالى فاستجبنا له اى اجبناه واليه اشار المصنف بقوله واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفه فى السؤال قيل لبعض العلماء الراجين بالله هل يسأل ربه قال يعرض اى يسأل حاجته بالكناية قيل له مثل ايش قال مثل قول ايوب رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين على ان الجزع انما هو الشكوى الى الخلق واما من شكا الى الله فليس بجازع الا ترى الى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله قال ابن مسعود وقتادة والحسن فى قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم انه تعالى احيى اولاده الذين هلكوا فى بلائه واوتى مثلهم فى الدنيا وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته وزاد فى شبابها حتى ولدت ستة وعشرين ذكرا واهبط الله تعالى اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج الى اندرك فبعث الله سحابة حمراء فهبطت اليه بجراد الذهب والملك قائم معه وكانت الجرادة تذهب من الاندر فيتبعها حتى يردها الى اندره فقال الملك يا ايوب اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه بركة من بركات ربى ولست اشبع منها ﴿ قوله رحمة على ايوب وتذكرة لغيره ﴾ فلا يكون رحمة وذكرى متنازعين فى العابدين بل يكون متعلق الرحمة محذوفا وهو ايوب لما لا كلام فيه وعلى الثانى يتوجه كل واحد منهما الى العابدين على سبيل التنازع ولا يخفى ان عدم تخصيص الرحمة بايوب وجعلها متوجهة الى عامة العابدين لدخول ايوب فيهم دخولا اوليا اوفق بما هو الواقع وأنسب للمقام من تخصيص الرحمة بايوب والذكرى بغيره والذكرى على الاول بمعنى التذكرة وعلى الثانى بمعنى الذكر ولعل الوجه فى اظهار اللام فى الوجه الثانى مع تحقق شرائط نصب المفعول له فى كل واحد من الوجهين الاشارة الى ترجيحه فان تصريح لام التخصيص مع صحة تعدية الفعل الى العلة بنفسها يشعر بان تلك العلة لها مزيد اختصاص باستدعاء الفعل ﴿ قوله او تكفل منه ﴾ اى او لانه كان ذا كفالة متصلة به تعالى من حيث كون المكفول به مما يبتغى به وجه الله تعالى كما قيل انه رجل كفل مائة من الانبياء اى ضمهم الى نفسه حتى يجأهم من القتل وقيل انه رجل تكفل ان يصلى بالليل ولا ينام وان يصوم بالنهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب ووفى به فشكر الله تعالى له وجعله نبيا وقيل انه زكريا سمى به لكفالته مريم وبالجملة ان كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذى الكفل رجل كان ذا تكفل منه تعالى وان كان بمعنى النصيب او الضعف فالمراد به من كان ذا نصيب من فضل الله وثوابه او من كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم فلما ذكر الله تعالى صبر ايوب وانقطاعه اليه اتبعه بذكر هؤلاء لانهم ايضا كانوا من الصابرين على طاعة الله وعن معاصيه فان اسمعيل صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر فى بناء البيت على ما فيه من المشاق فلاجرم اكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين وكذا الآخران ﴿ قوله وصاحب الحوت ﴾ يعنى ان ذا بمعنى صاحب والنون الحوت والمراد بذى النون يونس عليه الصلاة والسلام سمى بذلك لانه ابتلعه الحوت قيل خمسة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿ قوله لما برم ﴾ اى مل لطول دعوتهم على قول من يقول انه

(فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) بالشفاء من مرضه (وآتيناه اهله ومثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان او احيى ولده وولد له منهم نوافل (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم (واسمعيل وادريس وذا الكفل) يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكاليف وشدائد النوائب (وادخلناهم فى رحمتنا) يعنى النبوة او نعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر

(عليه)

عليه الصلاة والسلام وقع في بطن الحوت بعد اشتغاله بأداء الرسالة وقيل انه وقع في بطن الحوت قبل اشتغاله بأداء الرسالة بناء على ما روي عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فأوحى الله تعالى الى شعياء النبي عليه الصلاة والسلام ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له وجه نبيا قويا أمينا حتى يلقي في قلوب أولئك أن يرسلوا بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الأنبياء فقال يونس بن متى فانه قوي أمين فدعاه الملك وأمره ان يخرج فقال يونس هل أمرك الله تعالى باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا فقال يونس وههنا أنبياء غيري فألحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هيؤوا سفينة فركب معهم فلما لججت السفينة تكفأت بهم فكادوا يغرقون فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق لأن السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاص ومن رسمنا اذا ابتلينا بهذا البلاء أن نقترع فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر ولأن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس عليه الصلاة والسلام فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في البحر فجاء حوت فابتلعه فأوحى الله تعالى الى الحوت أن لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنا له ولم أجعله طعاما لك ثم لما أنجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس له شعر ولا جلد أنبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فيبست فبكى عليها يونس عليه الصلاة والسلام فقيل له أتبكي على شجرة ولم تبك على مائة ألف أو يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم ثم أوحى الله تعالى اليه وأمره ان يذهب اليهم فتوجه اليهم حتى دخل أرضهم وهم منه غير بعيد فأتاهم يونس وقال لملكهم ان الله تعالى أرسلني اليك فأرسل معي بني اسرائيل قالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا وقد أتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان الأمر كما تقول لمنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاثة أيام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فأوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا أمرهم وأمر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه في المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشية فلما يئسوا أغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها دوابهم ولا غنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا الصبيان والأمهات ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان وثغت الأغنام والبقر فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل فعلى هذه الرواية كانت رسالة يونس بعد نبذ الحوت ودليل هذا القول قوله تعالى في سورة والصافات فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وأكثر العلماء على ان قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبا انما وقعت بعد ان أرسله الله اليهم وبعد ان رفع العذاب عنهم بسبب توبتهم واخلاصهم في الدعاء وذكر المصنف في سبب خروجه وغضبه أمرين الأول انه غضب عليهم لطول ما ذكرهم وأقاموا على كفرهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت والثاني انه لما أخبر قومه ان الله تعالى ينزل العذاب بهم لأجل معلوم وفارقهم ثم علم بعد مضي الأجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لأي سبب لم يعذبهم فخشي ان ينسب الى الكذب ويعير به فقال لا أرجع الى قومي كذابا فذهب مغاضبا فرجوع اليهم كارها له والغضب والكراهة وان كان من قبله خاصة الا انه أخرج على بناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه لأن أكثر استعمال بناء المفاعلة في المبالغة ولا شك ان ما صدر بطريق المبالغة يكون أتم ويحتمل ان يكون البناء على بابه من باب المشاركة من حيث انه أغضب قومه حين لم يؤمنوا بدعوته وأصروا على الكفر مدة وأغضبوه أيضا حين خرج من بينهم لخوفهم لحوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم ﴿قوله لن نضيق عليه﴾ فان قدر قد يكون بمعنى ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق ومن قدر عليه رزقه اي ومن ضيق وقد يكون بمعنى قضى يقال قدر الله الشيء وقدره اي قضاه فالمعنى فظن ان لن نقدر عليه بشدة وعقوبة وروي ان ابن عباس مر على معوية يوما فقال له معوية لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها ولم أجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي يا معوية فقرأ هذه الآية وقال أو يظن نبي الله ان لا نقدر عليه

وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن أن لن نقدر عليه) لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا (فنادى في الظلمات) في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل (أن لا إله إلا أنت) بأنه لا إله إلا أنت (سبحانك) من أن يعجزك شيء (إني كنت من الظالمين) لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له

تعالى فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة وقوله اولن نعمل فيه قدرتنا على ان يكون نقدر من القدرة التي هي مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب فان بين القدرة والفعل علاقة السببية فلا يبعد جعل احدهما مجازا من الآخر ويحتمل ان يكون قوله فظن ان لن نقدر استعارة تبعية واردة على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه حاله في خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله تعالى بحال من ظن انه تعالى لا يقدر عليه والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم وأن في قوله ان لن نقدر عليه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف ولن نقدر هو الخبر والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال وقرئ نقدّر بضم النون وتشديد الدال يقال قدّر الشئ تقديرا وقدره يقدره قدرا بمعنى واحد وقرئ بفتح الياء التحتانية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء المفعول واسمها ضمير شان محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها ويجوز ان تكون مفسرة لورودها بعد ما هو بمعنى القول نزه عليه الصلاة والسلام ربه عن كل النقائص التي من جملتها العجز مثل ان يفعل ما فعله ظنا او عن شهوة الانتقام وان يعجز عن تخليص المكروب او عن مؤاخذة الخائف ولعل قوله ان يعجزه شئ مبنى على انه اختار من محتملات معنى نقدر الاحتمال الاخير وهو ان يكون المراد بالظن الخطرة الوهمية وان يكون هذا التسبيح استعظاما منه عن توهم العجز به تعالى ﴿قوله تعالى وكذلك﴾ اى وكما انجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت اذ دعانا ننجي المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا فالكاف به صفة مصدر محذوف ﴿قوله وفي الامام نجي﴾ لا يدل الا على ان هذه الكلمة رسمت بنون واحدة ولا دلالة فيه على ان القرآءة بتشديد النون وجعله وجها لاخفاء جماعة القرآء النون الثانية من ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجى واخفاء الحروف حالة بين اظهارها وادغامها وهو لا يكون الا بسكونها وقد يطلق الاخفاء على اختلاس حركة الحرف وهو عدم اتمام الحركة كما اخفى في قوله تعالى مالك لا تأمنا على يوسف حركة النون الاولى والمراد بالاخفاء ههنا تلفظ النون الثانية على حالة شبيهة بادغامها في الجيم ثم ذكر ان ابن عامر وابا بكر قرآ نجي بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء وقال الزجاج هذه القرآءة لحن لا وجه لها وقال بعضهم راوي هذه الرواية غلط في الرواية فانها ننجي بنونين كما هي قرآءة العامة لكن النون الثانية من ننجي تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الاخفاء بالادغام فظن انه ادغام فذكر المصنف ان اصلها ننجي بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالي المثلين فحذفت الثانية كما في قوله تعالى ما تنزل الملائكة وكما حذفت في قوله تذكرون وتظاهرون ونحوهما ولكن ابو البقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين الاول ان النون الثانية اصل لا زائدة فالكلمة فحذفها بعيد جدا والثاني ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف تظاهرون الا ترى انك لو قلت تتحامى المظالم لم يسغ حذف التاء الثانية والمصنف اجاب عن كل واحد مما ذكره في وجه الاستضعاف وهو حذف احد المثلين عند اختلاف الحركة في نحو تتحامى الظالم وتقرير الجواب ظاهر ﴿قوله وقيل﴾ اى وقيل في توجيه قرآءة نجي انه فعل ماض مبني للمفعول وانما سكنت لامه تخفيفا كما سكنت فيما بقي من الربا في القرآءة الشاذة واسند هذا الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول به الصريح كما في قرآءة من قرأ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون وقد ذهب الى جوازه الكوفيون والاخفش قال ابو البقاء وهو ضعيف من وجهين احدهما تسكين آخر الفعل الماضي والآخر اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح فان الفعل المبني للمفعول ينبغي ان يسند الى المفعول به كما يسند الفعل المبني للفاعل الى الفاعل وانما يسند الى غيره اذا لم يذكر المفعول به ﴿قوله لا تذرني﴾ وان كان على صورة النهي الا ان مثل هذه العبارة اذا كان من العبد فيكون تضرعا وتعوذا ودعاء ولما بلغ عمر زكريا عليه الصلاة والسلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعا وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب ان يرزقه الله تعالى من يؤنسه ويقويه على امر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته فدعا ربه بان لا يتركه وحيدا بلا ولد وهو كقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ثم رد الامر الى مولاه مستسلما منقادا لمشيئته فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به والمراد باصلاح زوجه اما جعلها صالحة للولادة بان ازال عقرها قال الكلبي كانت عقيما فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة واما تحسين خلقها وكانت حردة اي غضبانة سيئة الخلق فمعنى قوله واصلحناه على الوجه الاول اصلحناها للولادة لاجل دعاء زكريا وعلى الثاني

(فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة (وكذلك ننجي المؤمنين) من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فلذلك حذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) وحيدا بلا ولد يرثني (وانت خير الوارثين) فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه) اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او زكريا بتحسين خلقها وكانت حردة (انهم) يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء عليهم السلام (كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون الى ابواب الخيرات

اصلحناها لصحبة زكريا وحسن المعاشرة ويجوز ان يراد باصلاحها جعلها ذات هيئة حسنة ومنظر بهي بحيث يرغب فيها زوجها لان النساء اذا طعن فى السن لا سيما زوجة زكريا بكن من القواعد اللاتى لا يرغب فيهن احد ﴿ قوله يعنى المتوالدين ﴾ لفظ الجمع ليتناول زكريا وامرأته ويحيى عليه الصلاة والسلام علل استجابة دعاء زكريا واصلاح زوجته وما يترتب عليهما من هبة المولود الصالح بقوله انهم كانوا يسارعون الآية وذكر فى التعليل ثلاثة شروط احدها المسارعة فى الخيرات لان الوسيلة متقدمة على الطلب وثانيها ان يكون الداعى بين الخوف والرجاء يخاف تقصيره ولا يعتمد على عمله لان العمل بالخواتم ويرجو مع ذلك رحمة الله الواسعة وثالثها ان يكون خاشعا لامر آيبا كما قال ابراهيم التيمى الخشوع ان يرى الله تعالى من العبد الاخلاص اذا ارتقى العبد منزه واطلق بابه فالخشوع انما يكون بالقلب لا بالجوارح فان يأكل العبد خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولا يراقب ويتصنع وان كان المراد بقوله انهم المذكورين سابقا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يكون المقصود تعليل استجابة حيثهم مثل انجاء موسى وهرون الغرق وتبريد النار واحمائها لابراهيم وانجائه وهجرة لوط من العراق الى الشام ثم انجائه عما نزل بقومه وانجاء نوح ومن كان معه فى السفينة من كرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الانبياء المذكورين والمراد بمسارعتهم فى الخيرات مبادرتهم الى طاعة الله مراعين لحدود الشرع وهى محمودة والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب وقرأ العامة رغبا ورهبا بفتح العين والهاء وهما اما مصدران على وزن طلب وقعا موقع الحال من فاعل يدعون بتقدير المضاف اى يدعون ذوى رغب ورهب واما جمعان لراغب وراهب مثل خادم وخدم اى راغبين وخائفين ﴿ قوله مخبتين ﴾ اى متواضعين قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب ﴿ قوله تعالى والتى احصنت فرجها ﴾ يجوز ان ينتصب بالعطف على ما قبله وان ينتصب باضمار اذكر وان يرتفع بالابتدآء والخبر محذوف اى وفيما يتلى عليكم التى احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا ولما كان نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه كما فى قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى اى احييته كان المفهم من قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا احييناها وليس المراد احياء مريم فلذلك جعل تقدير الكلام فنفخنا الروح فى عيسى فيها والمعنى واحيينا عيسى فى جوفها فيكون قوله فيها حالا من المفعول المحذوف وهو عيسى فانه مفعول من جهة ان المعنى احيينا عيسى كائنا فى جوف مريم فالمراد بالروح روح الانسان الذى هو من امر الله وخلقه والمراد بنفخه فى عيسى ادخاله فى بدنه تشبيها لايراد الروح فى البدن بنفخ النافخ فى الشئ فيكون نفخنا استعارة تبعية ﴿ قوله وقيل ﴾ اى ويجوز ان يراد فعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا الذى هو جبريل عليه الصلاة والسلام فلا يكون المراد بالنفخ ايراد الروح فى البدن بل يكون المراد به معناه الحقيقى ويتنزل نفخنا منزلة اللازم ويكون اسناد النفخ الى البارى تعالى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر فان جبريل هو الذى نفخ فى درع مريم بامر الله تعالى فوصل اثر النفخ الى جوف مريم فحملت عيسى عليهما الصلاة والسلام ثم انه تعالى لما فرغ من قصص الانبياء تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على تبليغ الرسالة وتسليته بانه ليس اوّل من بعث لدعوة المعاندين خاطب الناس كافة فقال ان هذه امتكم امة واحدة والامة الملة واصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من أم بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة قال تعالى انا وجدنا آباءنا على امة اى على دين وملة قرأ الجمهور امتكم مرفوعا على انه خبر ان وامة واحدة منصوب على انه حال من الامة الاولى اى اشير اليها امة واحدة غير مختلف فيها والمعنى لا دين سوى دينى ولا رب غيرى فانا المستحق للعبادة فلا تعبدوا غيرى ﴿ قوله صرفه الى الغيبة ﴾ يعنى ان اصل الكلام وتقطعتم وتفرقتم الا انه صرف الكلام الى طريق الغيبة على الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء حيث جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا فاصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بتقطع دينهم كانهم قطع شتى تلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ثم انه تعالى توعد هؤلاء الفرق المختلفة بانهم اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال تفرقت بنو اسرآئيل على احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان امتى ستفرق على اثنين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة

(ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوى رغب اوراغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة وخائفين من العقاب او المعصية (وكانوا لنا خاشعين) مخبتين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال (والتى احصنت فرجها) من الحلال والحرام يعنى مريم (فنفخنا فيها) فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها (من روحنا) من الروح الذى هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرآئيل (وجعلناها وابنها) اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى (ان هذه امتكم) ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها (امة واحدة) غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران (وانا ربكم) لا اله لكم غيرى (فاعبدون) لا غير (وتقطعوا امرهم بينهم) صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم (كل) من الفرق المتفرقة (الينا راجعون) فنجازيهم

قال الجماعة اى الجماعة المعهودة المتمسكة بما جاء به الله تعالى ورسوله من غير ان يشوبوا ذلك شيأ من الهوى وطعن بعضهم فى صحة هذا الخبر بان قال ان اراد بالثنتين والسبعين فرقة اصول الاديان فهى لم تبلغ هذا القدر قال الامام فى الجواب عنه المراد منه تفرق امتى فى حال ما وليس فيه دلالة على ان افتراقها فى سائر الاحوال لا يجوز ان يزيد وينقص ﴿ قوله استعير لمنع الثواب ﴾ يعنى ان الكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار كما ان الشكر عبارة عن تعظيم المنعم والاقرار بفضله واحسانه شبه قبول العمل واعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للنعم فاطلق عليه الشكر مجازا فقيل ان الله تعالى انه شكور بهذا المعنى قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا مثابا عليه وكذا شبه ردّ العمل ومنع الثواب بالكفر والجحود فاطلق عليه الكفران كما فى قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه ﴿ قوله ونفى نفى الجنس ﴾ يعنى ان مجازاة المكلفين واثابتهم على اعمالهم وحرمانهم من الثواب لا يتولى على شئ من ذلك سوى الله فانه مالك يوم الدين فكان الظاهر ان يقال فلا نكفر سعيه الا انه نفى جنس الكفر ان للمبالغة لان نفى الماهية يستلزم نفى جميع افرادها فالتعبير عن النفى المراد بنفى الجنس بمنزلة اثبات المطلوب بالبينة ﴿ قوله وممتنع على اهلها ﴾ جعل الحرام مستعارا لممتنع الوجود بجامع ان كل واحد منهما غير مرجوّ الحصول لتعذر حمله على معناه الحقيقى وهو فعل مقدور للمكلف منع الشارع تناوله بالنص القاطع ورجوع من قضى الله باهلاكه الى التوبة وكذا رجوع من جعله الله تعالى هالكا الى الحياة الدنيوية ليس حراما بهذا المعنى هذا على تقدير ان تكون كلمة لا فى قوله تعالى لا يرجعون زائدة كما فى قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وكذا ان لم تكن صلة وكان المعنى حرام على الكفرة المهلكين عدم رجوعهم الى دار الجزاء فالمقصود ابطال قول من ينكر البعث فان عدم الرجوع اليها ليس حراما حقيقة وانما هو حرام بمعنى انه ممتنع الوجود ﴿ قوله وقرئ حرم ﴾ اى بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان كالحل والحلال ﴿ قوله وهو مبتدأ ﴾ يعنى ان قوله انهم لا يرجعون مبتدأ خبره حرام على معنى رجوعهم او عدم رجوعهم ممتنع الوجود ويجوز ان يكون حرام مبتدأ لا خبر له لفظا ولا تقديرا لكونه صفة مشبهة بكيان رافعة الظاهر بعدها على الفاعلية وذلك الظاهر قائم مقام خبره وهو قول المصنف او فاعل له سادّ مسدّ خبره وفيه بحث فان الصفة انما ترفع الظاهر الذى بعدها على الفاعلية بشرط اعتماد لايجوزه الاعلى رأى الاخفش فانه لا يشترط ذلك ﴿ قوله او دليل عليه ﴾ اى ويجوز ان يكون حرام مبتدأ وما بعده خبره دليل على الفاعل كأنه قيل حرام عليهم ثوابهم او حياتهم على ان تكون لا صلة او عدم بعثهم على ان لا تكون صلة ﴿ قوله او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون ﴾ عطف على قوله رجوعهم الى التوبة الخ ويجوز ان يكون قوله وحرام خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الذى ذكر من العمل الصالح المقرون بالايمان حرام عليهم وما بعده علة له بحذف لام التعليل مع انهم ويؤيده قرآءة انهم بكسر الهمزة فان كسرها يقتضى ان يتم الكلام قبله ولا بدّ لتمامه من تقدير المحذوف ﴿ قوله وقيل حرام عزم ﴾ اى معزوم بمعنى قيل الحرام هنا بمعنى الموجب فانه قد يستعمل بمعنى الواجب كما فى قوله تعالى أتل ما حرّم ربكم عليكم ان تشركوا فان ترك الشرك واجب ويدل عليه ايضا قول الخنساء

* وانّ حراما لا ارى الدهر باكيا * على شجوه الا بكيت على صخر *

اى وان واجبا وايضا كثيرا ما يطلق احد الضدين على الآخر مجازا ﴿ قوله اى يستمرّ الامتناع الى قيام الساعة ﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله حرام والمعنى ويمتنع على قوم قدرنا اهلاكهم رجوعهم الى التوبة الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا الآية او يمتنع على الذين اهلكناهم حقيقة رجوعهم الى ان تقوم القيامة فحينئذ يبعثون ويحاسبون ﴿ قوله او الهلاك ﴾ على ان تكون حتى غاية لمحذوف كأنه قيل حرام على الهالكين رجوعهم الى الحياة بل يستمرّ بهم الهلاك الى قيام الساعة ﴿ قوله او عدم الرجوع ﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله لا يرجعون وذلك بان يكون حرام خبر مبتدأ محذوف ويكون المعنى وذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على من قدرنا اهلاكهم لانهم لا يرجعون من الكفر الى قيام الساعة فكيف لا يمتنع عليهم ذلك العمل والمراد فتح يأجوج ومأجوج فتح سدّهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسعيه) فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة (وانا له) لسعيه (كاتبون) مثبتون فى صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما (وحرام على قرية) وممتنع على اهلها غير متصوّر منهم وقرئ حرم (اهلكناها) حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة (انهم لا يرجعون) رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له سادّ مسدّ خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الآية ويؤيده القرآءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمرّ الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سدّ يأجوج ومأجوج

في قوله وحرام على قرية اي على اهلها ﴿قوله وحتى هي التي﴾ مبتدأ وخبر قال اكثر المفسرين نصيري قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون ليأجوج ومأجوج فانه قد روي ان يأجوج ومأجوج لابد وان يسيروا في الارض ويعلوا على الناس من كل موضع مرتفع والحدب النشز وهو المكان المرتفع ﴿قوله تسد مسد الفاء الجزائية﴾ فان الجملة الاسمية اذا وقعت جوابا للشرط يجب دخول الفاء عليها لتدل على انها جواب وجزاء الا اذا صدرت باذا المفاجأة فانها تسد مسد الفاء فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ما بينهما من الاتصال ﴿قوله والضمير للقصة﴾ يعني ان لفظ هي ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر ضمير القصة لانه لا يخبر الا بجملة مخبرها ويحتمل ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار كما فسر ضمير أسروا بقوله الذين ظلموا في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا اذ هو بدل من واو اسروا تفسيرا وهذا اقتراب الوعد الحق على فتح سد يأجوج يدل على ان قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روي عن حذيفة انه قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهر اي ولد الفرس فان قيل الشرط هو مجموع فتح سد يأجوج ومأجوج واقتراب الموعود الحق وهذا المجموع انما يحصل في آخر ايام الدنيا والجزاء وهو شخوص ابصار الذين كفروا وارتفاعها من شدة الاهوال بحيث لا تكاد تطرف انما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لابد ان يكونا متقاربين فالجواب ان التفاوت القليل يجري مجرى العدم ﴿قوله يحتمل الاوثان﴾ اي بعمومه ادعى ان ما يعم العقلاء وغيرهم واستدل عليه بانه عليه الصلاة والسلام لم يرد على ابن الزبعري في تعميمه ما تعبدون للعقلاء بل سلم له ذلك واجابه بوجه آخر الا ان جوابه محل تأمل لانه لا يبقى كون اليهود واخوانهم عبدوا هؤلاء المكرمين وانه يدل على انهم عبدوا الشياطين باطاعتهم الشيطان فيما امرهم به من عبادة هؤلاء المكرمين فكيف يصلح جوابا عن قول ابن الزبعري ويمكن ان يقال من عبد من غير ان يستحق العبادة لذاته ومن غير ان يأمر بها ويحث ويرضى ان يعبد لا يكون معبودا في الحقيقة وانما يكون معبودا صورة ومجازا ويكون المعبود في الحقيقة من امر بذلك لان العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وليس ذلك الا لمن امر بها فلذلك نفى عليه الصلاة والسلام دخول هؤلاء المكرمين تحت قوله وما تعبدون فقال بل هم عبدوا الشياطين ﴿قوله وعلى هذا﴾ اي على تقدير ان يحمل ما تعبدون من دون الله على ما يعم الاوثان وغيرها يكون الخطاب في قوله تعالى انكم وما تعبدون متناولا للمشركين وغيرهم كاليهود والنصارى وبني مليح وهم بطن من خزاعة قالوا صاهر الله تعالى سروات الجن فولدت له الملائكة بخلاف ما اذا حمل ما تعبدون على الاصنام خاصة فان الخطاب يخص المشركين ﴿قوله أليس اليهود عبدوا عزيرا﴾ لا وجه لسؤال ابن الزبعري لان كلمة ما لا تتناول من يعقل فقوله تعالى وما تعبدون لا يتناول الملائكة فان الملائكة من العقلاء بل يقتصر على الاصنام لكنه عليه الصلاة والسلام جاراه والزمه بوجه آخر تنبيها على ان لدفع شبهته طرقا متعددة ﴿قوله بيان التجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب﴾ الاول على تقدير ان يكون المقصود من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم لغير اهل الحسنى من العقلاء والثاني على تقدير ان يكون المقصود تخصيص ما تعبدون بغير اهل الحسنى مع كونه في نفسه يعم اهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى من قبيل بيان التفسير ومثل هذا البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق لانه تكليف ما لا يطاق واما جواز تأخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية جوزه الشافعية استدلالا بهذه الآية ووجه الاستدلال ما اشار به المصنف من انه تعالى انزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون اي تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوز او بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعري وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى واجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بان قوله وما تعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيرا والملائكة حقيقة لان ما لغير العقلاء الا ترى ما روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال له ما اجهلك بلغة قومك يا غلام اما علمت ان ما لما لا يعقل فيكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى على هذا بيان تقرير وبيان التقرير يصح متراخيا وسؤال ابن الزبعري وارد على طريق التعنت بناء على انه جعل ما مستعارة بمعنى من مجازا او حمله على التغليب فسأل بناء على عمه العامة ثم انه عليه الصلاة والسلام اجابه بقوله ما اجهلك فقد رد عليه بان ما لك

وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد (وهم) يعني يأجوج ومأجوج او الناس كلهم (من كل حدب) نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر (ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار (يا ويلنا) مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا في غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر (انكم وما تعبدون من دون الله) يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب

(حصب جهنم) ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر (انتم لها واردون) استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة عن على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لأجلها (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها (وكل فيها خالدون) لا خلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام (وهم فيها لا يسمعون) من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة (اولئك عنها مبعدون) لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول (لا يسمعون حسيسها) وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به (وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به (لا يحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت على صورة كبش املح (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم مهنئين (هذا يومكم) يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول (الذي كنتم توعدون) في الدنيا (يوم نطوي السماء) مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول (كطي السجل للكتاب) طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه (كما بدأنا اول خلق نعيده) اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء.

لا يعقل فلا يرد ما اوردته على الآية من النقض بالملائكة ونحوهم وان صح انه عليه الصلاة والسلام اجاب بان قال انهم ما عبدوا ما ذكرته من اهل الحسنى وانما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فهو جواب بطريق التسليم اي لو سلم ان قوله تعالى ما تعبدون يتناول العقلاء الفضلاء لكن لا نسلم انهم عبدوا اولئك الكرمين في الحقيقة بل عبدوا الشياطين الذين امروا بذلك والتعبير عنهم بلفظ ما ليس مبنيا على حمله على المعنى المجازي بل مبني على ذمهم اي على عد الشياطين في عداد الاصنام الجامدة التي تبعد مراحل من العقل والتمييز وكذا قوله عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ان صح ذلك عنه مبني على التسليم ايضا والحاصل ان المراد بقوله ما تعبدون الشياطين وعلى التقديرين لم يكن قوله وما تعبدون مستعملا في العقلاء مجازا ولا متناولا لاهل الحسنى حتى يقال قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان التجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله الشافعية بل ليس ذلك الا بيان تقرير يصح متراخيا عن الخطاب فليس في الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فان المقام محل الالتفات ﴿قوله ما يرمى به﴾ يعني ان الحصب بفتح الحاء والصاد اسم لما يحصب اي يرمى في النار ولا يقال له حصب الا وهو في النار فاما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك ﴿قوله او بدل من حصب جهنم﴾ ويجوز ابدال الجملة من المفرد اذا كانا بمعنى واحد والتقدير انكم انتم لها واردون والحصب بسكون الصاد مصدر بمعنى الرمي ﴿قوله لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها﴾ هذا الكلام بالشياطين أليق لان المؤاخذة لا تليق بالاصنام الا ان يقال عباد الاصنام في الحقيقة عباد الشياطين الذين امروا بعبادتها فكأنهم اتخذوا الشياطين آلهة والضمير في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون قيل يرجع الى المعبودين اي لا يسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لا يغيثونهم ولا ينفعونهم كما يقال سمع الله لمن حمده اي اجاب الله دعاءه وقيل يرجع الى الكفار والمعنى انهم لا يسمعون شيأ اصلا من حيث انهم يحشرون صما عميا زيادة في عذابهم او انهم لا يسمعون ما ينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة ثم انه تعالى لما شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الابرار فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فهي عامة في حق كل المؤمنين وشرح من احوال ثوابهم خمسة امور احدها قوله اولئك عنها مبعدون وثانيها قوله لا يسمعون حسيسها والمراد به تأكيد بعدهم عنها لان من لم يدخلها وقرب منها فقد يسمع حسيسها وثالثها قوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ورابعها قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وفسره المصنف باربعة اوجه الاول انها النفخة الاخيرة والثاني ان يؤمر بالعبد الى النار والثالث اطباق جهنم على اهلها اي وضع الطبق عليها بعد ما اخرج منها من اخرج فيفزع اهلها حينئذ فزعا شديدا لم يفزعوا فزعا اشد منه والرابع ذبح الموت بين الفريقين والنداء يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ويناسبه قوله وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور او على ابواب الجنة ﴿قوله او تتلقاهم﴾ فان قيل تلقي الملائكة على ابواب الجنة وطي السماء متقدم عليه بزمان كثير فكيف يكونان في يوم واحد فالجواب ان اسم يوم الطي يطلق على الزمان الممتد الذي مبدأه زمان الطي ومنتهاه زمان دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﴿قوله او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون﴾ اي توعدون ذلك اليوم مقدرا كونه يوم نطوي السماء طيا مثل طي الرجل ما يحق به من الطومار لاجل الكتابة لان الكتاب مصدر كالكتابة وما فيه من اللام للتعليل فان قلت نشر الطومار شرط لاجل الكتابة فكيف يصح طيه علة لها قلت انه يطوي اولا ويحفظ مطويا لاجل ان ينشر ويكتب فيه وقت الحاجة فالمراد من طيه هذا الطي السابق ﴿قوله او لما يكتب او كتب فيه﴾ على ان الكتاب بمعنى المكتوب ﴿قوله السجل ملك يطوي كتب الاعمال﴾ اي كتب بني آدم اذا رفعت اليه قال السدي السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان رفع اليه كتابه فيطويه على هذا الكتاب والكتب على اختلاف القراءتين هي الصحائف واللام فيه زائدة كما في قوله ردف لكم ﴿قوله او كاتب كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام﴾ وهو بعيد لان كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا رجالا معروفين وليس فيهم من سمي بهذا الاسم ﴿قوله في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء﴾ ذكر الامام انهم اختلفوا في كيفية الاعادة فمنهم من قال ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة ومنهم من قال انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الآية تدل على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب الاجزاء المتفرقة بل عن الايجاد

بعد العدم وجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج القائلون بالمذهب الاول بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض فهذا يدل على ان اجزاء الارض باقية لكنها جعلت غير هذه الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيامة بانه يوم تطوى فيه السماء كطي السجل وصفه ايضا بانه يعاد فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلهما ﴿ قوله وما كافة ﴾ تكف الكاف من العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها آلة قد تكون كافة عن العمل نحو انما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان الباء فيه لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورا بها فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها مفعولا به والمفعول به لا بد له من عامل فعلا كان او معناه فلا بد ان يكون اسناد ما تتعلق هي به بخلاف الكاف المكفوفة هنا فانها لا تستدعي ما تتعلق هي به لان مجرورها لم يكن مفعولا به حتى تستدعي ما ينصبه من فعل او ما في معناه والفرق بين كون ما كافة وبين كونها مصدرية انها على تقدير كونها كافة يكون قوله اول خلق نعيده كلاما تاما ويكون قوله كما بدأنا جملة مطلقة من ذلك على معنى تحقق الاعادة مثل تحقق البدء وليس المعنى على اعادة مثل البدء ومحل الكاف في مثله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿ قوله واول مفعول لبدأنا ﴾ ظاهر نظم التنزيل وان كان يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس المراد باول الخلق من سبق وجوده وجود الآخرين في نشأة الدنيا لان الكلام ليس في اعادتهم وابدائهم خاصة بل الكلام في ابداء مجموع المكونات واعادتها فان هذا المجموع اذا اهلك ثم تعلقت الاعادة به يوصف بالاولية بالنسبة الى ما تعلق به من الايجاد ثانيا فهذا المجموع الموصوف بالاولية كيف يكون مفعول بدأنا مع ان ابداع البدء عليه متفرع على اعادته لانه قبل تعلق الاعادة به لا يوصف بالاولية اصلا فالظاهر ان يكون الكاف في محل النصب على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير والتقدير نعيد اول الخلق اي الخلائق الاولين نعيد ويتم الكلام هنا ان جعلت ما كافة وان جعلت مصدرية يكون التقدير نعيد اول الخلق اعادة مثل بدئنا اياه نعيده وكلمة ما ان كانت موصولة تكون الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فان مفعول نعيد حينئذ اول خلق لا الكاف ﴿ قوله تأكيدا لنعيده ﴾ يعني انه مصدر وقع مؤكدا مضمون جملة لا تحتمل لها غير الوعد فهو من المصدر الذي يسمى تأكيدا لنفسه وناصبه مضمر اي وعد ذلك وعدا او هو منصوب بقوله نعيده لكونه في معنى الوعد ﴿ قوله وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة ﴾ فقوله ولقد كتبنا في الزبور معناه ولقد كتبنا في التوراة والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بعد الذكر اي من بعد ما كتبناه في اللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وكتب فيه كل ما يكون ليعتبر الملائكة ويعلموا ان الله تعالى احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا ﴿ قوله او الذين كانوا يستضعفون ﴾ نشر مرتب على قوله او الارض المقدسة واراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام وجهاتها الشرقية والغربية فقال الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هي الارض المقدسة يرثها الصالحون ودليله قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ثم بالآخرة يرثها امة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام ﴿ قوله لان ما بعثت به سبب لاسعادهم ﴾ لو تدبروا فيه واتبعوا احكامه لفازوا بسعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فانما وقع في المحنة من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب ما يقال كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال وورد في الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم اصابني من هذه الرحمة اني كنت اخشى عاقبة الامر فأمنت بك لما اثنى الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين بين معظم اسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيا الى التوحيد والطاعة فانه بعث والناس في جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة في امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم بحيث لم يكن للطالب الحق سبيل البتة ﴿ قوله فالاول لقصر الحكم على الشيء ﴾ يعني ان كلمة انما سواء كانت مفتوحة الهمزة او مكسورتها قد تكون لقصر الحكم على الشيء نحو انما يقوم زيد وقد تكون لقصر الشيء على الحكم نحو انما زيد قائم فقوله تعالى انما يوحى الي الآية من قبيل قصر الحكم على الشيء حيث يدل على ان حكم ما يوحى اليه عليه الصلاة والسلام منحصر في مضمون قوله تعالى

وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأ
او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف
متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل
الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال
من ضمير الموصول المحذوف (وعدا
مقدر بمعناه تأكيدا لنعيده او منتصب
لانه عدة بالاعادة (علينا) اي علينا انجاز
(انا كنا فاعلين) ذلك لا محالة (ولقد كتبنا
في الزبور) كتاب داود (من بعد الذكر
اي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس
الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ
(ان الارض) ارض الجنة او الارض
المقدسة (يرثها عبادي الصالحون) يعني
عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى ا
عليه وسلم (ان في هذا) فيما ذكرنا من الاخبار
والمواعظ والمواعد (لبلاغا) لكفاية
او لسبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين
همهم العبادة دون العادة (وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين) لان ما بعثت به سبب
لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعاد
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف
والمسخ وعذاب الاستئصال (قل انما يوحى
الي انما الهكم اله واحد) اي ما يوحى الي
الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لا
المقصود الاصلي من بعثته مقصور على
التوحيد فالاول لقصر الحكم على الشيء
والثانية على العكس

انما الهكم اله واحد فانه فى محل الرفع على انه قائم مقام فاعل الفعل السابق اذ التقدير انما يوحى الىّ وحدانية الله تعالى وان قوله انما يوحى الىّ مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد اى يقوم زيد لا غيره فكانه قيل لم يوح الىّ شئ الا التوحيد ❊ وللمورد ان يقال كيف يصح هذا الحصر مع انه قد اوحى اليه اشياء غير التوحيد ❊ اشار المصنف الى دفعه بقوله وذلك لان المقصود الاصلى يعنى ان ما ذكر انما يرد على تقدير ان يكون الحكم المقصود ما اوحى اليه مطلقا وليس كذلك بل المراد ما اوحى اليه مقصودا بالقصد الاصلى الاولىّ وقوله تعالى انما الهكم اله واحد من قبيل قصر الشئ على الحكم بمنزلة انما زيد قائم اى لا يفعل زيد سوى القيام ❊ فان قلت هذا الحصر يستلزم ان لا يكون الله تعالى موصوفا بغير الوحدانية مع ان له تعالى من صفات الجلال والكمال ما لا يحصى ❊ فالجواب ان الحصر ليس حقيقيا اذ المقصود نفى ما يعتقده المشركون ﴿ قوله وقد عرفت ان التوحيد الخ ﴾ اشارة الى ما ذكره فى تفسير قوله تعالى فى هذه السورة هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اذ التوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ❊ ووجه الفاء فى قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان مثل هذا الكلام انما يذكر اذا تقدم ما يوجب المسارعة والاقدام على شئ من الامور فيؤتى به للتعريض عليه والتوبيخ على تركه وههنا لما اوقع فى امر التوحيد ما سيق من الحصرين عقبه بالمبالغة فى ايجاب المسارعة الى التوحيد فلذلك اخرج الامر على صورة الاستفهام وكون التوحيد مما يصح اثباته بالسمع وان اشتهر بين المتكلمين الا انه لا يخلو عن اشكال وهو ان حجية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف على كون المرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدا اذ التعدد يستلزم الامكان كما بين فى موضعه فظهر ان حجية السمع موقوفة على الوحدانية ولو توقفت الوحدانية ايضا على السمع لزم الدور فالاحكام التى يستدل عليها بالنص هى التى لا يتوقف النص على ثبوتها فالتوحيد ليس من تلك الاحكام التى يستدل عليها بالنص فلا يستدل بالنص على ثبوته ﴿ قوله مستوين فى الاعلام به ﴾ على ان يكون قوله على سواء فى محل النصب على انه حال من مفعول آذنتكم ﴿ قوله او مستوين انا وانتم ﴾ على انه حال من الفاعل والمفعول معا وعلى التقديرين يكون آذنتكم منقولا من اذن بمعنى علم وعلى قوله او حربى لكم وان كان منقولا منه ايضا فان المراد بالايذان ايذان الحق الا ان ايذان الحرب مستفاد من استعماله فى مقام الانذار والتهديد كانه قيل قد بذلت وسعى الى الآن فى اعلام الحق وارشادكم اليه فاذا لم تقبلوه ولم تلتفتوا اليه فتهيئوا لحرب ما عادكم ﴿ قوله او ايذانا على سواء ﴾ على انه صفة مصدر محذوف ﴿ قوله وقيل اعلمتكم انى على سواء ﴾ على انه خبر ان المحذوفة مع اسمها والجملة استئنافية ﴿ قوله أقريب ام بعيد ما توعدون ﴾ فى محل النصب بادرى لانه علق ادرى باداة الاستفهام واصل الكلام اقريب ما توعدون ام بعيد الا انه أخر المستفهم عنه لروى الآى وقوله ما توعدون يجوز ان يكون مبتدأ وما قبله مع ما عطف عليه خبره ويجوز ان يكون فاعل قريب لاعتماده على الف الاستفهام والمقصود من قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول الآية تعليل الامر المدلول عليه بقوله فهل انتم مسلمون والنهى عن الطعن فى الاسلام جهرا وعن اضمار الاحن والاحقاد للمسلمين وبيان ان تأخير العذاب عنهم ليس لخفاء ما اسروا به وما اعلنوا بل لحكمة اقتضت ذلك ثم قال لعل وجه الحكمة فى التأخير الاستدراج وزيادة الاستحقاق لعقوبة العذاب ولما كان الاستدراج سببا للفتنة والعذاب اطلق عليه لفظ الفتنة مجازا مرسلا وقوله او امتحان اى معاملة شبيهة بالامتحان على سبيل الاستعارة التمثيلية وقرأ العامة رب احكم بكسر الباء وحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وقرئ بضم الباء على انه منادى مفرد معرفة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يدعو باستعجال العذاب على قومه ويقول رب اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل فان العدل فى حقهم ان يعجل العذاب عليهم ولا يمهلهم فلا جرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر وقرئ ربى بسكون الياء وأحكم على بناء اصل التفضيل وهما مبتدأ وخبر وقرئ احكم بفتح الهمزة والميم على انه فعل ماض من الاحكام مرفوع المحل على انه خبر ربى ايضا ❊ تمت سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الحج مستعينا بالله تعالى

﴿ سورة الحج سبعون واربع آيات مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ﴾ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال المعنى يا أهل مكة احذروا

(فهل انتم مسلمون) مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) من التوحيد (فقل آذنتكم) اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم (على سواء) مستوين فى الاعلام به او مستوين انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير (وان ادرى) وما ادرى (أقريب ام بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين او من الحشر لكنه كائن لا محالة (انه يعلم الجهر من القول) ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ما تكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان ادرى لعله فتنة لكم) وما ادرى لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثير الرحمة على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

﴿ سورة الحج مكية الا ست آيات من هذا خصمان الى صراط الحميد ﴾

﴿ وهى ثمان وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم

عقاب ربكم بطاعته فان التقوى المأمور بها انما تتحقق بالاتقاء عن جميع المحرمات والاتقاء عن ترك شئ من الواجبات وبالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الاتقاء عن كل مايؤثم من فعل او ترك وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى في عرف الشرع الا ان الملائم لتخصيص الخطاب باهل مكة ان يراد بالتقوى المرتبة الاولى منه وهو التوقى عن العذاب المخلد بالتبرئ من الشرك كما هو المراد بقوله تعالى فألزمهم كلمة التقوى فانه تعالى امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بهول صفة والمعنى ان بالتقوى يندفع هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى والزلزلة تضعيف الزلة يقال زلت قدمه اذا زالت عن مكانها بسرعة ويقال زللت يافلان تزل زللا اذا زلت في طين او منطق ويصير متعديا بالتضعيف فيقال زلزل الله تعالى الارض زلزالا فتزلزلت هي وقد يستعمل لازما بمعنى تزلزل فقوله تعالى ان زلزلة الساعة معناه ان تزلزل الساعة ولهذا فسرها الكواشي رحمه الله تعالى بقوله اى حركتها الشديدة بازعاج فيكون المصدر مضافا الى فاعله وفسرها المصنف رحمه الله تعالى بالتحريك وجعلها اولا من اضافة المصدر الى فاعله المجازى على طريق اسناد الفعل الى زمانه وثانيا من اضافة المصدر الى ظرفه بتقدير في وثالثا من غير تقدير والفرق بين الوجهين الاخيرين ان المضاف اليه في كل واحد من الاحتمالين وان كان ظرفا للمضاف حقيقة الا انه قد توسع فيه واجرى مجرى المفعول به واضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به من غير تقدير كلمة في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال ياسارق الليلة اهل الدار في احد الاحتمالين بخلاف الاحتمال الآخر فان الظرف لم يتوسع فيه وكانت الاضافة اليه بتقدير في كما في ضرب اليوم واضافة المصدر معنوية سوآء اضيف الى ظرفه او الى فاعله لانه ليس بصفة والاضافة انما تكون لفظية بان يكون المضاف صفة مضافة الى معمولها اى الى مرفوعها او منصوبها **﴿قوله وقيل هي زلزلة الخ﴾** عطف من حيث المعنى فان ماذكر ثانيا يدل على ان الساعة اما فاعل مجازى لهذه الزلزلة او ظرف لها وعلى التقديرين هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر **﴿قوله فيبقوا على انفسهم﴾** اى يترحموا عليها بمعنى ابقيت على فلان اى ارعيت عليه ورحمته وفي الصحاح تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته **﴿قوله اذا دهشت﴾** اى اذا ادهشت الزلزلة التي ألقمت الرضيع ثديها حمل لفظ المرضعة على التي تلابس الارضاع بالفعل استدلالا بالحوق التاء اياه فان الاصل في الصفات المختصة بالمؤنث ان لاتلحقها تاء التأنيث اذا قصد بها التي من شأنها ان تلابس الفعل واما اذا قصد بها الدلالة على الملابسة بالفعل فحينئذ يجب ان تلحقها التاء فيقال حائضة وطالقة ومرضعة وطامثة فلما قيل في الآية مرضعة بالتاء علم ان المراد بها التي باشرت الارضاع بالفعل وألقمت ثديها الصبي **﴿قوله وما موصولة﴾** فلا بد من تقدير العائد اى عن الذي ارضعته وهو الطفل وان كانت مصدرية فلا حاجة الى التقدير اى عن ارضاعها **﴿قوله جنينها﴾** مبنى على ان الحمل بالفتح ماكان في البطن او على رأس الشجرة وبالكسر ماكان على الظهر واستدل به من قال ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لانه لامرضعة ولا حامل يوم القيامة ومن قال انها تكون يوم القيامة يقول هذا على جهة التمثيل اى لو كان ثمة مرضعة اى لو كان مثلها في الدنيا لذهلت المرضعة عما ارضعت ولتضع الحامل حملها من غير تمام من شدة دهشها **﴿قوله فارهقهم هوله﴾** والمعنى ولكن ما ارهقهم من خوف عذاب الله تعالى هو الذي اذهب عقولهم يقال رهقه بكسر الهاء اى غشيه وارهقه طغيانا اى اغشاه اياه والهول مصدر هاله الشئ اى افزعه ولاشك انه تعالى اذا بسط بساطه اى بساط عزته وسلطان جبروته وسرادق كبريائه بحيث اخذ الملتين الى ان قالوا نفسى نفسى يحصل هوله وافزاعه بحيث يغشى اهل الموقف فأسرهم بحيث هذه من امارات مايكون من ذلك الموقف قرأ العامة رحمة الله عليهم وترى الناس بفتح التاء من ترى ونصب الناس على صيغة خطاب الواحد بمعنى تبصر الناس اول مفعوليه وسكارى ثانيهما وقرئ بضم التاء وكسر الراء على بناء الفاعل وهو ضمير الزلزلة او الساعة فلا بد حينئذ من تقدير المفعول الاول ليتم به المعنى اى وترى الزلزلة او الساعة اهل الموقف الناس سكارى فهو مفعول ثالث ويؤيد هذه القرآءة قرآءة من قرأ وترى الناس بضم التاء وفتح الراء على مالم يسم فاعله ونصب الناس مضارع مبنى من المتعدى الى ثلاثة مفاعيل الاول قائم مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب والناس سكارى هما المفعولان الباقيان وهذا معنى قول المصنف رحمة الله عليه وقرئ ترى من اريتك قائما او الاصل وترى الزلزلة او الساعة اياك الناس سكارى ويجوز ان يكون مضارع رأيت المتعدى الى اثنين والمعنى

ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء على
الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيها
فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في
او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه
مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل
طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة
لانها من اشراطها (شئ عظيم) هائل علل
امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها
بعقولهم ويعلموا انه لايؤمنهم منها سوى
التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم
ويقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما ارضعت) تصوير لهولها
والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل
وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما
اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب
عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان
هولها بحيث اذا دهشت التي ألقمت الرضيع
ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة
او مصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها)
جنينها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى
(وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن
عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله بحيث طير
عقولهم واذهب تمييزهم

وترى أيها الرسول قوماسكارى فبنى للمفعول واسند الى مفعوله الاول وترك الثانى منصوبا على حاله وهو معنى قوله رحمه الله عليه او رأيتك قائما وقوله بنصب الناس ورفعه على ترتيب القسمة والمورد ان يقال لما اسند الفعل الى الناس كان ينبغى ان يقال ويرى بالياء التحتانية فاجاب عنه بقوله وتأنيثه على تأويل الجماعة ﴿قوله وافراده بعد جمعه﴾ افراد الفعل وجمعه عبارة عن اسناده الى ضمير الواحد والجمع يعنى افراد فاعل الرؤية فى ترى الناس وجمعه فى يوم ترونها مبنى على ان الرؤية فى يوم ترونها الزلزلة او الساعة وفى قوله وترى الناس جميع الناس رآئيا الزلزلة لكونها امرا مغايرا للناس بخلاف الحالة القائمة فان كل احد لايرى الا ماقام بغيره ولايرى الجميع ماقام بالجميع والا لزم ان يرى كل احد ماقام بنفسه وفيه بحث ظاهر وهو ان اسناد الفعل الى الجميع انما يقتضى قيامه بالجميع ولا يقتضى وقوع ماقام به من الجميع وما ذكره مبنى على ان يكون الخطاب فى قوله تعالى وترى النـاس لكل من يصلح ان يكون مخاطبا على سبيل البدل ولو كان الخطاب لواحد بعينه وهو النبى صلى الله عليه وسلم لماقيل يراها الجميع اى يرى كل احد ماقام بغيره ﴿قوله سكرى كعطشى﴾ ووجه الشبه كون كل واحد منهما جمعا على فعلى مع كون واحده على وزن فعلان ولو قال كجرحى وقتلى ومرضى لصح التشبيه من حيث ان كل واحد منهما جمع على وزن فعلى الا ان المشابهة بين سكرى وعطشى أتم لما ذكرناه يقال رجل عطشان وقوم عطشى كما يقال جوعان وجوعى وكسلان وكسلى والمفظ انما يجمع على فعلى اذا كان مأخذه من قبل العلل والادواء نقل عن الفرآء رحمه الله تعالى انه قال والعرب تجمل فعلى جمعا لكل ذى زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أكان واحده فاعلا أو فعيلا او فعلان ﴿قوله وهى تعمه واضرابه﴾ حال من فاعل نزلت لما امر الله تعالى مشركى اهل مكة بالاتقاء من عقابه بملازمة طاعته خص من بينهم من هو متوغل فى المخالفة والعصيان ووصفه بالمخاصمة فى دين الله تعالى ووحدانيته وفيما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بمجرد زعمه الفاسد وظنه الباطل من غير سند يسوقه اليه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المريد المتمرد على الله تعالى يقال مرد الشئ اذا جاوز حده مثله واصله العرى يقال غلام امرد وغصن امرد اذا عرى من الثمر والورق ﴿قوله كتب عليه على الشيطان﴾ صفة للشيطان والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انّ من يقبل منه فهو ضال والكتبة والكتاب الحكم والقدر ويكون بمعنى الرقم والاثبات فالمعنى قضى عليه اورقم ماثبت فى ام الكتاب وهو اللوح اى قدقضى الله تعالى على كل شيطان من الجنّ والانس انه من تبعه وتولاه فانه يضله عن الصراط المستقيم والدين القويم فاما الشيطان الجنى فبالوسواس والتسويلات والقاء الشبهات واما الشيطان الانسى فبايقاعه فى مذاهب اهل الهوى والبدع كالفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والحساب ويخبون عليهما البراهين المموهة المشوبة بشوآئب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فالجاهل تقبل منه تلك الشبهات الزآئغة والدلائل الباطلة فيعتقدون بمقالته ويصيرون من جملته ويدخلون فى زمرته كما قال تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم قال صاحب الكشاف والكتبة عليه مثل اى كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله جعل الكتبة بمعنى الرقم والاملاء ولما تعذر حمله على الحقيقة حمله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الاضلال عليه ظهور المكتوب على ما كتب عليه واليه اشار المصنف بقوله والمعنى كتب عليه اى اثبت عليه ورقم فصار كأنّ الاضلال شئ اثبت عليه ورقم ﴿قوله على تقدير فشأنه انه يضله﴾ يعنى فتح الهمزة فى قوله تعالى فانه يضله مبنى انه خبر مبتدأ محذوف اى فشأنه وحاله انه يضله قال صاحب الكشاف رحمه الله تبارك وتعالى عنه وقرئ انه بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح جعل الاول نائب فاعل كتب والثانية عطفا عليها ولم يرض المصنف به حيث قال لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام يعنى ان كلمة ان الاولى لو كانت مرفوعة المحل على انها قائمة مقام فاعل كتب وكانت الثانية ايضا فى محل الرفع على كونها معطوفة على الاولى مؤكدة لها لزم عطف جملة تامة على كلام غير تام لان قوله من تولاه مبتدأ لم يستوف خبره بعد لان كلمة من فيه ان قدرتها موصولة فلا خبر لها وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام فى عطف الجمل فاعراب الآية أنّ كتب مبنى للمفعول على قرآءة العامة وانه فى الموضعين مفتوح الهمزة اما الاولى فلكونها مع مافى حيزها فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وكلمة من فى قوله تعالى من تولاه يجوز ان تكون شرطية والفاء فى جوابها وان تكون موصولة والفاء زائدة فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ﴿قوله على حكاية المكتوب﴾ فان كلمة ان الواقعة فى الكلام المحكى

وقرئ ترى من ارتك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائى سكرى كعطشى اجرآء للسكر مجرى العلل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرءآن اساطير الاولين ولابعث بعد الموت وهى تعمه واضرابه (ويتبع) فى المجادلة او فى عامة احواله (كل شيطان مريد) متجرد للفساد واصله العرى (كتب عليه) على الشيطان (انه من تولاه) تبعه والضمير للشان (فانه يضله) خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب

مكسورة لكونها واقعة فى ابتدآء الكلام ولابدّ فى الحكاية ان تحفظ صورة الكلام المحكى ولاتغير عماهى عليه من هيئتها ﴿قوله اواضمار القول﴾ فيكون عليه فى موضع الرفع على انه قائم مقام الفاعل لقبل المصير ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم يجادلون فى الله بغير علم وكان من جملة ماجادلوا فيه نفى صحة حقية البعث والحشر اورد مايدل على صحته بقوله تعالى ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث الآية قيل تحريك الوسط فى كل ما كان فيه العين من حروف الحلق قياس مطرد كالشعر والنهر وقيل ليس بقياس بل هما لغتان بمعنى كالجلب والجلب والطرد والطرد فيتوقف على السماع ثم انه تعالى ذكر فى مراتب النشأة الاولى ومباديها ستة امور الاول التراب فانه مبدأ لجميع الافراد الانسانية امابواسطة كونه مبدأ لاصلهم آدم عليه الصلاة والسلام اوبواسطة الغدآء وكونه مبدأ للمنى ودم الطمث فانه اماحيوانى اونباتى وغدآء الحيوانات ينتهى الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله فانا خلقناكم من تراب على كل واحد من الاعتبارين فقوله فانظروا فى بدء خلقكم الخ اشارة الى ان قوله تعالى فانا خلقناكم ليس جزآء فى الحقيقة لكنه اقيم مقام الجزآء من حيث كون الاخبار به سببا مؤديا الى النظر فى مضمونه الذى هو مزيل لريبهم والمرتبة الثانية النطفة وهى ماء الفحل فان قلب التراب اليابس ماء رطبا لطيفا مبنى على قدرة باهرة لايبعد عنها اعادة الموتى والمرتبة الثالثة العلقة وهى قطعة الدم الجامدة ولاشك ان بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة والمرتبة الرابعة المضغة وهى القطعة الصغيرة قدر مايمضغ والمرتبة الخامسة ماذكره بقوله ثم نخرجكم طفلا والسادسة ماذكره بقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم والسابعة ماذكره بقوله ومنكم من يتوفى وقسم المضغة الى المخلقة وغير المخلقة اى الى المسوّاة الملساء المنزهة عن العيب يقال صخرة خلقاء اى ملساء لاعيب فيها وخلقت السواك اى سوّيته وملسته وقيل المخلقة هى التى تم وكل خلقها ونفخ الروح فيها وهو الذى يولد لتمام مدة الحمل حيا وغير المخلقة ماتسقطه المرأة غيرحى ولم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه وقيل المخلقة مابدا خلقه وصورته وغير المخلقة مالم يصوّر بل تسقطه المرأة نطفة بيضاء او علقة اومضغة لم تبن خلقته وقدم الوجه الاول لانه اوفق لبناء التفعيل الدال على تكثير الخلق فان الانسان ذواعضاء متباينة وقوى متفاوتة فاذا كمل فيه جميع مايترتب خلقة النوع فقد كثر فيه الخلق واللام فى قوله تعالى لنبين متعلقة بمحذوف اى نقلناكم من حال ومن خلق الى خلق لنبين لكم بهذا التدريج من قدرتنا وحكمتنا مالايسعه الذكر ولايحيط به الوصف واشير الى هذا التعميم بحذف المفعول وقوله تعالى ونقرّ فى الارحام مرفوع على الاستئناف وليس علة ماقبله حتى ينصب عطفا على العلة المتقدمة روى عن الزجاج رحمة الله تعالى عليه انه قال قوله تعالى ونقرّ فى الارحام لايجوز فيه الاالرفع ولايجوز ان يكون المعنى فعلنا ذلك لنقرّ فى الارحام لان الله تعالى لم يخلق الانام ليقرّوا فى الارحام وانما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم ونقل المصنف رحمة الله تعالى عليه قرآءة النصب فيه وفى قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا واشار الى دفع ماذكره الزجاج رحمه الله تعالى عليه بقوله ونقرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حدّ التكليف يعنى ليس الاقرار فى الارحام وحده علة الخلق المذكور حتى يرد ماذكر بل العلة هى مجموع الاقرار فى الرحم الى تمام مدة الولادة والتولد طفلا والانشاء والبلوغ الى حدّ التكليف والعلة فى الحقيقة هى الاخير يعنى بلوغ حدّ التكليف اى حتى يكلفوا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وطاعته فينالوا سعادة الآخرة لكن لما كان الاقرار فى الرحم وماتلاه من مقدّمات البلوغ ادخل فى التعليل فقدر لام العلة ايذانا بذلك وخص قوله لتبلغوا باعادة اللام لتنبيه على ان المقصود اوّلا وبالذات هو الثانى لاالاوّل من بين اجزآء الغرض وهو الجزء الثانى الاخير الذى هو البلوغ المذكور لانه اوان التكليف فقوله تعالى ثم لتبلغوا على هذه القرآءة معطوف على قوله تعالى ثم نخرجكم وقد اشار اليه المصنف بقوله حتى يولدوا وينشأوا وعلى قرآءة الرفع معطوف على قوله تعالى لنبين لكم • فان قلت مامعنى ثم فى الموضعين • فالجواب انه يحتمل ان يكون التراخى فى الرتبة وهو الاظهر الانسب بالمقام ويحتمل ان يكون التراخى فى الزمان فان بلوغ الاشدّ متراخ عن الاخراج طفلا وهو غير الاقرار فى الارحام ولو باعتبار ابتدآء الاقرار فى الارحام ﴿قوله وقرئا بالياء﴾ اى وقرئ قوله تعالى ليبين ويقرّ بالياء التحتانية فيهما باسناد كل واحد من الفعلين اليه تعالى كما فى قرآءة النون وقرئ ويقرّ بفتح الياء من تحت وكسر القاف ونصب الرآء اى ويقرّ الله تعالى وهو من قرّ الماء اذا صبه وقرأ يعقوب فى رواية ونقرّ بفتح النون وضم القاف ورفع الرآء من قرّ الماء يقرّه

اواضمار القول اوتعيين الكتب معنا
(ويهديه الى عذاب السعير) بالحمل على
مايؤدّى اليه (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب
من البعث) من امكانه وكونه مقدورا وقرئ
من البعث بالتحريك كالحلب (فانا خلقناكم)
اى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم
فانا خلقناكم (من تراب) اذخلق آدم منه
والاغدية التى يتكون منها المنىّ (ثم من نطفة)
منىّ من النطف وهو الصب (ثم من علقة)
قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة
من اللحم وهى فى الاصل قدر مايمضغ
(مخلقة وغير مخلقة) مسوّاة لانقص فيها
ولاعيب وغير مسوّاة اوتامة وساقطة
اومصوّرة وغير مصوّرة (لنبين لكم) بهذا
التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ماقبل التغيير
والفساد وتكون مرّة قبلها اخرى وان من قدر
على تغييره وتصويره اوّلا قدر على ذلك
ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله
يتبين بها من قدرته وحكمته مالايحيط به
الذكر (ونقرّ فى الارحام مانشاء) ان نقرّ
(الى اجل مسمى) هو وقت الوضع وادناه
بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ
ونقرّ بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلا)
عطفا على نبين كان خلقهم مدرّجا لغرضين
تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى
يولدوا وينشأوا ويبلغوا حدّ التكليف
وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقرّ بالياء ونقرّ من
قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت
على تأويل كل واحد اوالدلالة على الجنس
اولانه فى الاصل مصدر (ثم لتبلغوا اشدّكم)
كمالكم فى القوّة والعقل جمع شدّة كالانعم
جمع نعمة كانها شدّة فى الامور (ومنكم
من يتوفى) عند بلوغ الاشدّ اوقبله وقرئ
يتوفى اى يتوفاه الله (ومنكم من يردّ الى ارذل
العمر) الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم

(لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت (وانبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به تتحقق الاشياء (وانه يحيى الموتى) وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة (وانه على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وان الساعة آتية لاريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وان الله يبعث من فى القبور) بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله (ولا هدى ولا كتاب منير) على انه لا سند له من استدلال او وحى او الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه (ثانى عطفه) متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له (له فى الدنيا خزى) وهو ما اصابه يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) المحرق وهو النار (ذلك بما قدمت يداك) على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى (وان الله ليس بظلام للعبيد) وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر (فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه) روى انها نزلت فى اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا فاطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت (خسر الدنيا والآخرة) بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع (من)

اذا صبه وقوله كالكم فى القوة والعقل يعنى ان الاشد كمال القوة فى الحواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين الثلاثين والاربعين وقيل من ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى ست وثلاثين سنة ﴿قوله تعالى لكيلا يعلم﴾ متعلق بقوله يرد * فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيأ مع انه يعلم بعض الاشياء كالطفل * اجيب بان المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيأ فان مثل ذلك قد يذكر فى مقام نفى العقل للمبالغة ﴿قوله تحركت بالنبات﴾ الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يقال اهتز فلان لنكبة وكيت الا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع قيل الاصل اهتز وربا نباتها فحذف المضاف واسند كل واحد من الفعلين الى نفس الارض فى قرأ ربت جعله من الربو وهو الزيادة من اى جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسره بقوله ارتفعت وزادت من جهة العلو وقوله تعالى وان الساعة يحتمل ان يكون معطوفا على المجرور بالباء وان يكون خبر مبتدأ محذوف حذف لدلالة المقام عليه والتقدير والامر ان الساعة آتية ولا ريب فيها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ يعنى ان هذه الآية نزلت ايضا فى النضر بن الحارث وفائدة التكرير المبالغة فى الذم وليرتب عليه انه لا سند له فى مجادلته من دليل عقلى ولا وحى سماوى كالاسند فى مجادلته من العلم الضرورى والنظرى كانه قيل انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وقيل الآية الاولى واردة فى التابعين المقلدين وهذه الآية فى المتبوعين المقلدين فان كل واحد من الفريقين يصدق عليه انه يجادل من غير علم وان كان احدهما تبعا والآخر متبوعا ويؤيد هذا القول قوله تعالى ليضل عن سبيل الله بغير علم فان المضل هو المقلد المتبوع لا التابع * والثنى اللى والعطف بكسر العين الجانب الذى يعطفه الانسان ويلويه ويميله عند الاعراض عن الشئ وهو عبارة عن التكبر والخيلاء والعطف بفتح العين التعطف والبر ﴿قوله على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه﴾ متعلق بقراءة من قرأ ليضل بفتح الياء فانه لما ورد على هذه القراءة ان يقال المجادل ما كان مهتديا حتى يخرج بالجدال من الهدى الى الضلال اجاب عنه بانه لما كان متمكنا من الاهتداء بان يتذكر فيما نصب من الدلائل والآيات فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وورد ايضا ان يقال ما كان غرضه من الجدال ان يضل عن الهدى او يضل غيره عنه فكيف قيل ليضل فاجاب عنه بان الضلال لما كان عاقبته مترتبة على جداله شبه بالغرض المطلوب منه فادخل عليه لام العلة لذلك ﴿قوله وهو ما اصابه يوم بدر﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هذه الآية نزلت فى النضر بن الحارث فانه قتل يوم بدر ومن قال انها نزلت فى واحد بعينه جعل خزى الدنيا على ذم المؤمنين ولعنهم وقهرهم اياهم فان الخزى هو الهوان والفضيحة لا يلزم ان يكون بالقتل وقوله عذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة والاصل العذاب الحريق اى المحرق كالسميع بمعنى المسمع وجعله المصنف رحمه الله تعالى عليه من اضافة المسبب الى سببه وجعل الحريق عبارة عن النار ﴿قوله والمبالغة لكثرة العبيد﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال انه تعالى ليس بظالم للعبيد لينفى اصل الظلم وفى كونه مبالغا مفرطا فى الظلم لا ينفى اصله * وتقرير الجواب ان المراد نفى اصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبنى على كثرة العبيد فانه تعالى لو اتصف بالظلم لكثر ظلمه لكثرة العبيد ﴿...﴾ المجادلين فيه عقبه بذكر حال المتزلزلين فى الدين بقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فقوله على حرف حال من فاعل يعبد والحرف والناحية والوسط والطرف من صفات الاجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال من يعبد الله تعالى حال كونه على قلق فى دينه من غير ثبات وطمأنينة قلب بحال من يكون على طرف من العسكر ونحوه فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر ﴿قوله تعالى وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ المراد بها ههنا ما يستكرهه الطبع ويثقل على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن والا لما صح ان يجعل مقابلا للخير لانه ايضا فتنة وامتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولم يقل وان اصابه شر مع انه هو المقابل للخير لان ما ينفر عنه الطبع ليس شرا فى نفسه بل هو سبب للقربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء ﴿قوله مهرا سريا﴾ اى خطيرا كريما ﴿قوله ووضع الظاهر﴾ بالجر عطفا على قوله والفاعلية فان الظاهر ان يكون قوله انقلب مسندا الى ضمير مستتر راجع الى من فى قوله تعالى ومن الناس من مثل ضمير قوله تعالى اطمأن به فلما جعل خاسر الدنيا مرفوعا على انه فاعل انقلب فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر فى انقلب تنصيصا على خسران المنقلب ﴿قوله مستعار من ضلال من ابعد فى التيه﴾ اى شديد ضلال

من عبد من دون الله تعالى مالا يضره لن لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده من سوآء السبيل وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادا او عملا بضلال من ابعد في التيه ضلالا فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد فان القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان اثبات البعد له استعارة تخييلية قرينة للاستعارة بالكناية فالظاهر انه شبه العدول عن الحق المشبه بالمسافة الحسية والصراط المسلوك فيها حسا بالضلالة عن الصراط المستقيم وشبه التوغل في ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسي فعبر عن التوغل في العدول عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية ثم لابد مع اعتبار هذه الاستعارة من تقدير مضاف في البعيد اى البعيد مسافته واضافة المسافة الى الضلال لادنى الملابسة فان الضلال واقع في تلك المسافة ﴿ قوله لمن ضره بكونه معبودا ﴾ اشارة الى دفع ما يقال كيف نفي النفع والضر عن الاصنام في قوله تعالى يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه واثبتهما لها في قوله تعالى لمن ضره اقرب من نفعه وتقدير الدفع ان معنى الآية الاولى ان الكافر لنهاية جهله وحماقته يعبد جمادا لا يضر ولا ينفع بنفسه والضرر المثبت للاوثان في الآية الثانية ليس ضررها بانفسها ليلزم التناقض بل المراد من ضررها كون عبادتها سببا للضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس واضافة الاضلال اليهن من حيث كونهن اسبابا للضلال فكذا ههنا نفي الضرر عنهن اولا بمعنى كونهن فاعلة له واضاف الضرر اليهن في هذه الآية بمعنى كون عبادتهن سببا للضرر وكذا النفع المضاف اليهن ليس نفعها في نفسها بل هو النفع في زعم العابدين وتوهمهم ﴿ قوله والزعم قول مع اعتقاد ﴾ جواب عما يقال كيف يكون يدعو معلقا بلام الابتدآء وليس هو من افعال القلوب وكذا الزعم والتعليق من خصائص افعال القلوب وفيه اشارة الى جواب آخر عن سؤال التناقض وتقريره ان نفي الضر والنفع عن الاصنام حكم من الله تعالى حكم به على الكافر المتقلب على وجهه انه يدعو ويعبد من دون الله تعالى مالا يضره ولا ينفعه بنفسه ثم حكى عنه انه يزعم اى يقول ويعتقد يوم القيامة حين استضراره بسبب عبادة الاصنام لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى وباختلاف الحاكم يندفع التناقض فجملة لمن ضره في حيز معمول يدعو الا انه علق الفعل بلام الابتدآء ﴿ قوله اجرآءله مجرى يقول ﴾ يعني ان المقام مقام حكاية قول الكافر الا انه وضع يدعو موضع يقول ليدل على قول فيه صراخ ودعاء فكان يدعو الثاني بمعنى يقول متضمنا معنى الدعاء والصراخ كان لنفي الضرر والنفع عن الاصنام هو الله تعالى والمثبت لهما هو الكافر فاندفع التناقض بهذا الوجه ايضا ﴿ قوله اومستأنفة ﴾ عطف على قوله واللام معلقة كانه قيل جملة قوله لمن ضره في محل النصب على انها في حيز مفعول يدعو مستأنفة لا محل لها من الاعراب فيكون يدعو الثاني تكريرا للاول وتأكيدا له فلا معمول له لفظا ولا تقديرا كانه قيل يدعو من دون الله الذى لا يضره ولا ينفعه يدعو فيكون قوله ذلك هو الضلال البعيد جملة معترضة بين المؤكد والمؤكد لان فيها تشديدا وتأكيدا للكلام ويكون قوله تعالى لمن ضره كلاما مستأنفا و للام فيه للابتدآء ومن موصولة وضره مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة من ولبئس جواب قسم مقدر والقسم المقدر مع جوابه خبر المبتدأ الذى هو الموصول ثم انه تعالى لما ذكر المشركين المجادلين بالباطل الذين يعبدون الله على حرف وبين مآل امرهم ذكر المؤمنين المتمسكين على الايمان والاعمال الصالحة وبين ثوابهم في الآخرة ثم قال ان الله يفعل ما يريد باهل طاعته من اهل الكرامة واهل معصيته من اهل الهوان والفضيحة ﴿ قوله كلام فيه اختصار ﴾ فان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه يستدعي كلاما قد ذكر فيه ان الله ينصر رسوله في الدنيا والآخرة ومنكرا ينكر ذلك حسدا وعداوة ويطمع انه تعالى لا يفعل ذلك ويغيظه حتى يكون هذا الكلام مرقا له واقناطا وترهيبا وقهرا ﴿ قوله وقيل المراد بالنصر الرزق ﴾ على ان يكون ضمير ينصره راجعا الى من في قوله تعالى من كان يظن بناء على ان من حق الضمير ان يرجع الى المذكور اذا امكن ذلك ومن ذهب الى انه يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجر ذكره في هذه الآية قال قد ذكر فيها ما يدل عليه عليه الصلاة والسلام وهو ان الايمان لا يتم الا بالله ورسوله على تقدير ان يكون النصر بمعنى الرزق يكون المعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته ولابد للعبد من الرضى بقسمته فان من لم يرض برزق الله تعالى وليس به صبر واستسلام لما قسم الله تعالى له فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجلب القسمة والسبب الحبل والسماء قيل المراد بها سقف البيت بناء على ان كل ما علاك فهو سماء

(يدعو لمن ضره) بكونه معبودا ...
يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآ...
(اقرب من نفعه) الذى يتوقع بعباد...
وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تع...
واللام معلقة ليدعو من حيث انه بـ...
يزعم والزعم قول مع اعتقاد اوداخلة ...
الجملة الواقعة مفعولا اجرآءله مجـ...
يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصر...
حين يرى استضراره به اومستأنفة ...
ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ وخـ...
(لبئس المولى) الناصر (ولبئس العشيـ...
الصاحب (ان الله يدخل الذين آمـ...
وعملوا الصالحات جنات تجرى ...
تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) من ا...
الموحد الصالح وعقاب المشرك لادافـ...
ولا مانع (من كان يظن ان لن ينصره ...
في الدنيا والآخرة) كلام فيه اختصـ...
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الـ...
والآخرة فمن كان يظن خلاف ذ...
ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنـ...
الرزق والضمير لمن (فليمدد بسبب ...
السماء ثم ليقطع) فليستقص في ازالة غيـ...
اوجزعه بان يفعل كل ما يفعله الممـ...
غضبا اوالمبالغ جزعا حتى يمد حبلا ...
سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق ...
المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه اوفلـ...
حبلا الى السماء الدنيا ثم ليقطع به المسـ...
حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصـ...
اوتحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عـ...
وابن عامر ليقطع بكسر اللام

(فلينظر) فليتصور في نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك وحمله على الاول كيدا لانه منتهى مايقدر عليه (مايغيظ) غيظه

او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم من المسلمين استبطأ وا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلناه) أي القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدي) ولأن الله يهدي به او يثبت على الهدى (من يريد) هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او بالجزاء فيجازي كلا مايليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض) يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة

وقيل المراد بها سماء الدنيا والمعنى فليمدد الذي يغيظه نصر الله تعالى ورسوله او عز عمه فلة رزقه بحبل الى السماء المظلة ثم ليقطع بالمسافة الخ وجانب السماء جانبها الذي يعترض لك من اقطارها ومن في قوله تعالى من كان يظن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة فقوله فليمدد اما جزاء الشرط او خبر للموصول والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهل يذهبن في محل النصب على اسقاط الخافض اي في انه هل يذهبن ﴿ قوله فليتصور في نفسه ﴾ لما دل ظاهر نظم الآية على ان الامر بالنظر بعد الاختناق لا يصح ان يحمل على النظر والتأمل صرف الكلام عن ظاهره وجعل النظر المأمور به عبارة عن ان يتصور انه ان فعل ذلك هل يذهب الذي يغيظه من نصر الله تعالى وهو سابق على الاختناق كانه قيل فليتأمل انه ان فعل ذلك هل يذهب كيده ومايغيظه والفاء في فلينظر محمول على التراخي الرتبي ثم انه تعالى لما قال وان الله يهدي من يريد اتبعه بيان من يهديه ومن لا يهديه فقال تعالى ان الذين آمنوا الآية وان الثانية مع اسمها وخبرها في محل الرفع على انه خبر ان الاولى كما في قولك ان زيدا ان الخير عنده لكثير والصابئون من صبأ الرجل عن دينه اذا خرج منه الى دين آخر وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها وقال قتادة هم قوم كانوا يعبدون الملائكة وقال مجاهد هم قبيلة بين اليهود والمجوس قيل كانوا يعبدون النار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون بان العالم الهين نور وظلمة ﴿ قوله بالحكومة بينهم او الجزاء ﴾ يعني ان المراد بالفصل اما الفصل بالحكم بان هذا محق وذلك مبطل او الفصل بالجزاء بان لا يجمع الجمع في موطن واحد بل يجازي كل واحد بما يليق به ويدخله الدار المعدة له ﴿ قوله يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره ﴾ لما دخل كفرة الانس ومردة الجن والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات في عمومه اي في عموم قوله من في السموات وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا لله تعالى حمل السجود على معنى مجازي يتصور في كل موجود ممكن وهو كونه منقادا مسخرا لقدرته ومشيئته تعالى غير متأب عن شئ مما يحدث فيه من افعاله وتدبيره تشبيها لهذا الانقياد والمطاوعة بالسجود الحقيق الصادر عن المكلف واطلاقا لاسم السجود المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ثم اشتق من هذا السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة اليه تبعا والمعنى تنقاد له المكونات باسرها ﴿ قوله او يدل بذله على عظمة مدبره ﴾ عطف على قوله يتسخر يعني ان السجود في الآية مجاز اما عن المسخرية والانقياد او عن الدلالة على عظمة الملك المدبر فان السجود الحقيق انما يكون على طريق الخضوع والتعظيم فيدل لا محالة على العظمة والكبرياء فكذا جميع هذه المذكورات تدل عليها بما فيه دلالتها عليها السجود الحقيق فاطلق عليها اسم السجود ﴿ قوله وقرئ والدواب بالتخفيف ﴾ اي بتخفيف الباء بحذف الباء الاول كراهية التضعيف او الجمع بين الساكنين ﴿ قوله عطف عليها ان جوز الخ ﴾ جواب عما يقال السجود بمعنى المسخرية للقدرة والارادة او بمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام في حق الناس جميعا فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة وتخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند الى الكثير السجود الحقيق وذلك يستلزم ان يكون لفظ يسجد مستعملا في المعنيين باطلاق واحد وتقرير الجواب ان من جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احد مفهوميه الى امر وباعتبار مفهومه الآخر الى امر آخر فلا شك ان المسند الى كثير من الناس هو السجود الحقيق والى الآحاد الباقية وسائر المذكورات السجود بالمعنى المجازي والسجود بهذا المعنى وان صح اسناده الى كثير من الناس ايضا الا ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند اليهم سجود مخصوص مغاير للسجود المسند الى الافراد الباقية ومن لم يجوز ذلك لا يجعل قوله وكثير من الناس معطوفا على ماقبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر او فاعل فعل مضمر وتقدير الآية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى العبادة والطاعة ﴿ قوله وان يعطف به ﴾ اي ويجوز ان يكون قوله وكثير حق عليه العذاب موصوفا وصفة عطف به على ماقبله ويكون العامل في جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام وماذكر من ان تخصيص الكثير بالذكر يكون لغوا حينئذ فالجواب عنه ان ذكر الكثير ليس لتخصيص الحكم بهم ونفيه عما عداهم حتى يكون لغوا باطلا بل المراد بذكره تفصيل الناس الى من هو ساجد بذاته وبظاهره والى من هو ساجد بذاته متمرد بظاهره وبيان ان الكل ساجد لله تعالى بالمعنى العام ﴿ قوله وقرئ حق بالضم ﴾ فان حق يستعمل لازما

(ومتعديا)

(هذان خصمان) اى فوجان مختصمان ولذلك قال (اختصموا) حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون (في ربهم) في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن أحق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) نيران تحيط بهم احاطة الثياب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار (يصهر به ما في بطونهم والجلود) اى يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف (كلما ارادوا ان يخرجوا منها) من النار (من غم) من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار (اعيدوا فيها) اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها (وذوقوا) اى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) النار البالغة في الاحراق (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم (يحلون فيها) من حليت المرأة اذا البستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد (من أساور) صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار (من ذهب) بيان له (ولؤلؤ) عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابوبكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وقرئ لولو بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء ولِيليا بقلبهما ياءين ولول كأدل (ولباسهم فيها حرير) غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد (وهدوا الى صراط الحميد) المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع لذلك حسن عطفه على الماضي

ومتعديا يقال حققت الشئ بمعنى اثبته وحق الشئ اى ثبت ثم انه تعالى بين ان الناس قسمان منهم من يجحد ومنهم من حق عليه العذاب ولا شك ان طريق الفريقين يستلزم بيان الاختصام بينهما فذكر الله تعالى كيفية اختصامهما فقال هذان خصمان ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون الخصم صفة لموصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى كالفوج والفريق وكان قوله خصمان في معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكثرة صح اسناد اختصموا الى ضمير الجمع كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فثنى قوله هذان اعتبارا للفظه ولو عكس جاز كما جاز اعتبار المعنى فقط بان قيل هؤلاء خصمان اختصموا واعتبار اللفظ بان قيل هذان خصمان اختصما ﴿ قوله نيران تحيط بهم احاطة الثياب ﴾ يعني ان قوله تعالى ثياب مستعار للنيران التي يقطعها الله تعالى ويلبسها لهم على مقادير جثثهم تشبيها لها بالثياب الملبوسة في احاطة البدن ﴿ قوله تعالى يصهر به ﴾ اى يذاب يقال صهرت الشئ فانصهر اى اذبته فذاب فهو صهير اذا ذاب روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لو سقطت قطرة من الحميم الذي يصب على رؤس اهل النار على جبال الدنيا لأذابتها وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال ان النار تصعر بهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وفي الحديث الشريف لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوها ﴿ قوله النار البالغة في الاحراق ﴾ اشارة الى ان الحريق بمعنى المحرق كالسميع بمعنى المسمع والعدول الى صيغة الفعيل للدلالة على المبالغة ﴿ قوله غير الاسلوب ﴾ فانه من تمام فصل الخصومة مقابل لقوله تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار فالاسلوب المناسب له ان يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات اعدت لهم جنات ﴿ قوله صفة مفعول محذوف ﴾ اى يحلون فيها حليا كائنا من اساور او ملبوسا كائنا من اساور وفيه بحث لان حليت وحليت مشددا ومخففا بمعنى واحد لا يتعدى شئ منهما الا الى مفعول واحد يقال حليت المرأة احليها حليا وحليتها تحلية اذا جعلت لها حليا فكيف يقدر ليحلون مفعول منصوب الا ان يجعل يحلون بمعنى يلبسون والظاهر ان تجعل من ابتدائية متعلقة بيحلون ﴿ قوله الا ان يراد المرصعة ﴾ على ان يكون المعنى ان الاساور قد تكون متخذة من الذهب وحده ومن اللؤلؤ وحده الا ان اتخاذ السوار من اللؤلؤ وحده غير معهود وانما يجوز عطفه على ذهب على ان يكون المعنى من اساور منهما بان يرصع اللؤلؤ في الذهب وظاهر ان السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده ويضم بعضه الى بعض غاية ما في الباب انه لا يكون ذلك معهودا في زمان المفسرين وقرأ نافع وعاصم بنصب لؤلؤا والباقون بجره وقد ذكر المصنف رحمه الله عليه وجه كل واحد منهما واختلف في رسم هذه اللفظة في الامام فنقل الاصمعي رحمة الله تعالى عليه انها في الامام لؤلؤ بغير الف بعد الواو ونقل انها ثابتة بعدها في الامام بعد الواو وقرأ حفص عن عاصم لؤلؤا بهمزتين وروى ابوبكر عنه ايضا لولو بقلب الهمزة الثانية واوا وقرئ لوليا بالواو اولا وبالياء آخرا والاصل لؤلؤا بهمزتين ابدلت كل واحدة منهما واوا فصار آخر الاسم المتمكن واوا قبلها ضمة وهو غير معهود في كلام العرب الا في كلمة هو فعمل فيها ما فعل بادل جمع دلو بان قلبت الواو ياء والضمة كسرة ونقل هذا من قرأ ايضا ليليا بياءين ثم اتبع الواو الاولى الثانية في القلب وقرئ ولول بالجر عطفا على المجرور قبله والاصل لؤلؤ ابدلت الهمزتان واوين ثم اعل اعلال ادل بان قلبت ضمة اللام كسرة والواو ياء ثم اعل اعلال قاض ﴿ قوله غير اسلوب الكلام ﴾ يعني الظاهر ان يقال ولؤلؤا وحريرا بجر المعطى او نصبهما على طريق عطف المفرد على المفرد الا انه عدل عنه الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات ﴿ قوله او للمحافظة على هيئة الفواصل ﴾ فانه لو قيل وحريرا بالنصب لم تكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق والحميد حال الوقف بخلاف ما لو قيل وحرير بالجر فانه لا تفوت محافظة هيئة الفواصل حينئذ فهذا التعليل انما يتم ان لو قرئ وحريرا بالنصب دون الجر ﴿ قوله وهو الجنة ﴾ اى المحمود نفسه الجنة والمحمود عاقبته الحق كانه قيل وهدوا الى صراط الجنة التي هي المحمودة نفسها او الى صراط الحق المحمود عاقبته او الى صراط الله تعالى المستحق لذاته الحمد ثم انه تعالى لما فصل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء فقال تعالى ان الذين كفروا قيل نزلت في ابي سفيان واصحابه حين صدوه عليه الصلاة والسلام عام الحديبية عن البيت فكره صلى الله عليه وسلم قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود في العام القابل ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون قوله يصدون لا يقصد به الدلالة على زمان معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب

حسن عطفه على الماضي ﴿ قوله وقيل هو حال من فاعل كفروا ﴾ لم يرض به لان الحال الحالية اذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا امتنع دخول الواو عليه قال تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تعط حال كونك تعد ما تعطيه كثيرا وورد منه على قلة كقول بعض العرب قمت واصك وجهه * وقول من قال فلما خشيت اظافيرهم * اى اسلحتهم * نجوت وارهنهم مالكا * مؤوّل بحمل الكلام على حذف المبتدأ اى وانا اصك وانا ارهنهم فلا يحمل عليه القرآن العظيم وعلى القولين خبران محذوف لدلالة آخر الآية عليه فظاهر كلام المصنف رحمة الله عليه يدل على ان موضع تقديره بعد قوله عن سبيل الله وتقدير الخبر قبل تمام الاسم بمتعلقاته لا يخلو عن بعد وقد قدّره صاحب الكشاف بعد قوله تعالى والمسجد الحرام وقيل انه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو خبر ان لان قوله الذي جعلناه صفة للمسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذي جعلناه للناس فالظاهر ان موضع التقدير بعد قوله تعالى والباد والزمخشري عفى الله تبارك وتعالى عنه ان يجيب عما توجه اليه من الاعتراض بان يقول لا نسلم ان قوله الذي جعلناه صفة للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب بتقدير اعني او مرفوع بتقدير هو ﴿ قوله واوّله الحنفية بمكة ﴾ وقالوا المراد من المسجد الحرام الحرم كله كما في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقد اسرى به من بيت ام هانى واستدلوا على ان اراضي مكة لا تملك بهذه الآية وقالوا انها لو ملكت لما استوى العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المسجد واستدلوا عليه ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام مكة مناخ لمن سبق اليها وقال الامام الشافعي رحمة الله عليه يجوز بيع دور مكة واجارتها وقال قوله سوآء العاكف فيه والباد المراد به استوآؤهما في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه واليه اشار المصنف بقوله وهو مع ضعفه ووجه الضعف انه لا يلزم ان يكون المراد بقوله سوآء المساواة في الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز ان يراد به الاستوآء في تعظيمه والعبادة فيه بمعنى انه ليس للمقيم ان يمنع من العبادة فيه البادي وبالعكس ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * يا بني عبد المطلب من ولى منكم من امور الناس شيأ فلا يمنعن احدا طاف بهذا البيت او صلى فيه ساعة من ليل او نهار * واحتج الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه على من لا يرخص في كرآء دور مكة وبيعها بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فقال اضاف الديار الى مالكها او الى غير مالكها وبقوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن * وقال اشترى عمر بن الخطاب دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها او من غير مالكها قرأ الجمهور سوآء بالرفع وقرأ حفص عن عاصم بالنصب ووجه الرفع كونه خبرا مقدما والعاكف والبادي مبتدأ مؤخرا وانما وحد الخبر وان كان المبتدأ شيئين لان سوآء في الاصل مصدر وصف به والجملة الاسمية في محل النصب على انها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا وقوله تعالى للناس متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلنا اى جعلناه حال كونه معبدا للناس سوآء العاكف فيه ﴿ قوله والا ﴾ اى وان يكن للناس حالا من العائد جعل مفعولا ثانيا لجعلناه ويكون جملة سوآء العاكف حالا منه اى من عائد الموصول والوجه في انتصاب سوآء كونه مفعولا ثانيا او حالا من هاء جعلناه وللناس هو المفعول الثاني وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر وصف به وهو في حكم اسم العامل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف ﴿ قوله عام ترك مفعوله ﴾ والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم وقوله وقرئ بالفتح اى فتح الياء اى من اتى فيه بالحاد فدل على ان الباء للتعدية ﴿ قوله واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة ﴾ المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع واصل التبوء جعل المكان مباءة ومقرّا ومعناه ههنا جعله لابراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعبادة والعمارة وعن الزجاج رحمة الله عليه بوّأناه ههنا اى بيناله ههنا مكان البيت ليبنيه ويكون مباءته ولعقبه يرجعون اليه ويحجونه لانه رفع زمان الطوفان فبينه الله تعالى بان ارسل ريحا جوجيا فكشفت الاساس القديم الا انه لما كان المقصود من التبيين والتعيين ان يجعله مقرّا ومباءة اتبعه المصنف رحمة الله تعالى عليه قوله وجعلناه له مباءة ولما كان منقولا من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر ان يقال واذ بوّأنا ابرهيم بدون اللام واشار المصنف رحمة الله عليه بقوله وجعلناه له مباءة الى ان مكان البيت مفعول به لبوّأنا وان ايراد اللام مبني على تضمين بوّأنا معنى جعلنا ولم يرض المصنف رحمة الله عليه بقول من قال اللام زآئدة في المفعول به ومكان البيت ظرف لما تقرر من ان اللام انما تزاد اذا تقدم

وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبران محذوف دل عليه آخر الآية اى معذبون (والمسجد الحرام) عطف على اسم الله واوّله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله (الذي جعلناه للناس سوآء العاكف فيه والباد) اى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرآء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسوآء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه) عام ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود (بالحاد) عدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار وصلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب اليم) جواب لمن (واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت) اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زآئدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم

المعمول وكان العامل فرعا وشيء منهما غير متحقق ههنا ولان مكان البيت ظرف حقه ان يتعدى الفعل اليه
بكلمة في ه روى ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة اياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء
ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام روى انه تعالى لما امر ابراهيم
ببناء البيت لم يدر اين يبنى فارسل الله تعالى اليه السكينة وهي ريح خجوج فتطوقت موضع البيت كالجحفة فكشفت
البيت اى ما حول البيت واظهرت الاساس القديم فبناها عليه الصلاة والسلام على اسها القديم والمرة الثالثة
بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان عليه الصلاة والسلام
يومئذ رجلا شابا فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فارادت كل قبيلة ان تتولى رفعه ثم توافقوا على
ان يحكم بينهم اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقضى
بينهم ان يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى عليه الصلاة والسلام فرفعوه اليه فوضعه
في مكانه وكانوا يدعونه الامين قيل بناء الكعبة قبل البعث بخمس عشرة سنة والمرة الرابعة بناء عبدالله بن الزبير
والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم ﴿ قوله من حيث انه تضمن معنى تعبدنا ﴾ جواب عما يقال
كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا لتبوئه وليس فيه معنى القول ه وتقرير الجواب
ان فيه معنى القول من حيث انه لايقصد الامر لاجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم فقلنا له لاتشرك بي شيأ
والتعبد فيه معنى القول لان تعبد الشخص عبارة عن تصييره كالعبد له في التكليف بالامر والنهي فكأنه قيل
كلفنا ابراهيم ان لاتشرك بي شيأ الخ ﴿ قوله او مصدرية ﴾ ولايجوز ان تكون مخففة من الثقيلة لان صلة
المخففة لاتكون امرا ولانهيا ولاغيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا وكذا صلة المصدرية على الاشهر واجاز سيبويه
رحمه الله عليه ان يكون صلة المصدرية ذلك نحو امرته ان اقرأ وامرته ان قم اى بان قم على معنى بالقيام فالمصدرية
التي تنصب المضارع توصل بالفعل الماضي والمضارع والامر والنهي ضده فكلمة ان في الآية الكريمة يجوز
ان تكون مصدرية موصولة بالنهي مجرورة المحل بلام علة مقدرة متعلقة بمحذوف والمعنى فعلنا ذلك لئلاتشرك
كما كان قولك امرته أن قم بمعنى امرته بان تقوم الا ان الظاهر على هذا الوجه ان يقال ان لايشرك بياء الغيبة
وقد قرئ به ووجه قرآءة العامة بالتاء ان يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب فظهر بما
ذكرنا انه يجوز ان تكون كلمة ان في الآية مصدرية ناصبة مع كون لاتشرك مجزوما بلا الناهية وكان المعنى بوّأنا
له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لي شريكا في العبادة ﴿ قوله ولعله عبر عن الصلاة باركانها ﴾ وهي القيام
والقرآءة والركوع والسجود واختار ان القائمين هم المصلون لان المصلي لابد ان يكون في صلاته جامعا بين القيام
والركوع والسجود وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون
المراد بالطائفين من يطوف به وهو آفاقي غير مقيم هناك ﴿ قوله وقرئ آذن ﴾ اى بالمد وتخفيف الذال بمعنى
اعلم ويبعده قوله في الناس اذ كان ينبغي حينئذ ان يقال آذن الناس بدون في لانه يتعدى بنفسه وذهب اكثر
المفسرين الى ان المأمور بالنداء هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء
البيت قال له الله تعالى اذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتي قال الله تعالى عليك الاذان وعليّ البلاغ
فصعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الصفا وفي رواية على جبل ابي قبيس وفي اخرى على المقام فارتفع
حتى صار كطول الجبال فادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس
الا ان ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم
من النار فسمعه اهل ما بين السماء والارض فما بقي شيء سمع صوته الا اقبل يلبي ويقول لبيك اللهم لبيك فقيل
اول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه من اجاب مرة حج مرة ومن اجاب
مرتين حج مرتين او اكثر على وفق ذلك المقدار ﴿ قوله تعالى رجالا ﴾ نصب على الحال وعلى كل ضامر عطف
عليها كأنه قيل رجالا وركبانا والضمر الهزال يقال ضمر يضمر ضمورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللحاج
الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال صلى الله عليه وسلم
الحسنة بمائة الف حسنة وقال مجاهد رضي الله عنه حج ابراهيم واسمعيل ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما

(أن لاتشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائ
والقائمين والركع السجود) ان مفسرة لبوّ
من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبو
من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنه
اى فعلنا ذلك لئلاتشرك بعبادتي وتطهير بي
من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي ف
ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على
كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف و
اجتمعت وقرئ يشرك بالياء (وأذن في النا
ناد فيهم وقرئ آذن (بالحج) بدعوة ا
والامر به روى انه عليه السلام صعد ابا قبي
فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه ا
من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما ب
المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج و
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ا
بذلك في حجة الوداع (يأتوك رجالا) مش
جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الر
مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى (و
كل ضامر) اى وركبانا على كل بعير مهزو
أتعبه بعد السفر فهزله

والكاف في يأتوك ضمير ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال من اتى الى الكعبة حاجا فانه قد اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه يجيب نداءه ونون يأتين ضمير كل ضامر لانه في معنى الجمع والضامر على صوامر من جماعة الابل ﴿ قوله او استئناف ﴾ عطف على قوله صفة لضامر لانه قال اولا واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا استأنف فقال يأتين من كل فج عميق وقوله تعالى ليشهدوا يجوز ان يتعلق بقوله واذن وان يتعلق بقوله يأتوك رجالا واختلفوا في المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهو ان يتجروا في ايام الحج وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهو العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو الاولى ﴿ قوله وقيل كنى بالذكر عن النحر ﴾ لكون الذكر من لوازم نحر المسلمين وهو معطوف على ماقبله من حيث المعنى فانه اختار ان قوله ويذكروا اسم الله لم يذكر ليشتقل منه الى الملزوم وانما ذكر ليدل على استحباب الذكر عند اعداد الهدايا والضحايا وحمل الذكر على التسمية على الذبائح مع ان غير ذي الحجة يكثر فيها ذكر الله تعالى بالتلبية والتكبير لانه ذكر بعده على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام هو التسمية على نحرها قال الحسن رضي الله تعالى عنه وقتادة ومجاهد الايام المعلومات هي ايام العشر من ذي الحجة قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها لكون الحج في آخرها ولايام المعدودات هي ايام التشريق وهو اختيار الامام الشافعي رضي الله عنه وابي حنيفة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عنه ان الايام المعلومات هي ايام الحج وهي يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل هي ايام النحر وهو قول ابي يوسف ومحمد رضي الله عنهما تصريحا بما ذكر بعده وهو قوله تعالى على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام يدل على التسمية على المناحر والجواب من هذا لمن قال بالاول ان اليوم العاشر منها من ايام النحر وهو افضلها وكلمة في لمطلق الظرفية فلا تقتضي الاستغراق والبهيمة اسم لكل ذات اربع في البر والبحر فبهيمة الانعام هي الابل والبقر والضأن والمعز لان الهدي والذبيحة لايكونان من غيرها ﴿ قوله وازاحة لما عليه اهل الجاهلية ﴾ فانهم ما كانوا يأكلون من ذبائحهم ترفعا على الفقراء فأعلم الله تعالى ان ذلك جائز ان شاء اكل وان شاء لم يأكل وقيل امر ندب لما فيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقراء واستعمال التواضع والبائس هو الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار وهو مأخوذ من فقار الظهر وقيل البائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي ليس له غنى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البائس الذي ظهر بأسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لايكون كذلك بل تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني واتفق العلماء على ان الهدي ان كان تطوعا كان للمهدي ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روي انه عليه الصلاة والسلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثا وستين بدنة بنفسه ونحر علي رضي الله عنه ما بقي ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر فجعل ذلك وطبخت فأكل من لحمها وحسا من مرقها وكان هدي تطوع واختلفوا في الهدي الواجب مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبرا للنقصان والذي وجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل شيأ منها فذهب قوم الى انه لايجوز للمهدي ان يأكل شيأ منها ومنهم الامام الشافعي رحمة الله عليه وذهب الائمة الحنفية الى ان يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لادم الجناية ولايأكل من واجب سواهما ﴿ قوله ثم ليزيلوا وسخهم ﴾ يريد ان التفث هو الوسخ يقال للرجل ماتفثك وما درنك اي ما اوسخك وان قضاءه ازالته واذهابه قال الزجاج اشعث اغبر وكل مايستقذر من الشعث من طول الشعر والظفر ونحوهما تفث فيزيل جميع ذلك متضمنا الاحلال والخروج من الاحرام فيحلق رأسه ويقص شاربه ويقلم اظفاره وينتف ابطه ويحلق عانته ويدهن رأسه والمراد بنذورهم ماينذرونه من اعمال البر في الحج فانه اذا حج او اعتمر فقد اوجب على نفسه من الهدي وغيره مالولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه وقيل المراد بها ما اوجبه الدخول في الاحرام من انواع المناسك التي تجب بالدخول في الحج وسميت نذورا تشبيها للايجاب بطريق الفعل بالايجاب قولا وان كان على الرجل نذور مطلقة فالافضل ان يتصدق بها على اهل مكة ﴿ قوله طواف الركن ﴾ اعلم ان طواف الحج ثلاثة الاول طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لاشيء على تاركه والثاني طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لايحصل التحلل من الاحرام مالم يأت به وعن عائشة رضي الله عنها

(يأتين) صفة لضامر محمولة على معناه او استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لاينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله (في ايام معلومات) هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر (على مارزقهم من بهيمة الانعام) علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضي الذكر (فكلوا منها) من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في التطوع به دون الواجب (واطعموا البائس) الذي اصابه بؤس اي شدة (الفقير) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه

قالت حاضت صفية يوم النحر فقالت عائشة ما اراها الا حابستكم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أطافت يوم النحر فقيل نعم فقال فانفروا فثبت بهذا انها ان لم تطف يوم النحر طواف الافاضة فلا يجوز لها ان تنفر والطواف الثالث لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع ثم ان الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع ﴿قوله اى الامر ذلك﴾ اى الذى ذكر من قوله تعالى واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت الى قوله تعالى وليطوّفوا بالبيت العتيق فان هذه الآيات مشتملة على الاحكام المأمور بها والمنهى عنها ﴿قوله احكامه﴾ اى احكام الله تعالى المتعلقة بافعال المكلفين بالايجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لا يحل هتكه من نحو البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والاحرام والهتك خرق الستر عما وراءه والحرمة بهذا المعنى تم جميع ما لا يحل هتكه وقد تخص بالحرم وجميع التكاليف المتعلقة بالحج وقد تخص بالحرمات الخمس التى من جملتها الحرم حتى يحل والحرمة بهذا المعنى وان كانت اخص من الحرمة بالمعنى الاول الا انها اعم من الحرمة بالمعنى الثالث وهو ما ليس من قبيل التكاليف المذكورة ﴿قوله عند ربه﴾ يدل على الثواب المؤخر لانه لا يقال عند ربه فيما حصل من الخيرات ﴿قوله الا المتلو عليكم تحريمه﴾ اشارة الى ان ما موصولة وان ما يسند اليه يتلى محذوف وان الاستثناء متصل لكون المستثنى منه عبارة عما حرم من الانعام ولا شك فى دخوله فى المستثنى منه قبل الاستثناء قال الله تعالى فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وقال تعالى فى اولها احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ولما جاز ان يذهب الوهم الى ان الاحرام انما حرم الصيد المباح قتله فانه يحرم الانعام ايضا بين الله تعالى ان الاحرام لا يحرم الانعام فهى محللة للمحرم كما تحل لغيره ثم استثنى منه ما حرم لعارض وفرع الامر باجتناب الاوثان وقول الزور على قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله مع كون الاجتناب عنهما داخلا فى تعظيم حرماته للتنبيه على ان التوحيد وصدق القول من اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور فى سلك واحد لان الشرك من باب الزور بل هو رأس الزور فان المشرك يزعم ان الوثن يحق له العبادة وكان اهل الجاهلية يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا لك تملكه وما ملك فكأنه قيل فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيأ منه لما علمت بشئ من قبيل عبادة الاوثان واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى وجه ارتباط قوله تعالى واحلت لكم الانعام وقوله فاجتنبوا الى قول الزور بقوله كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه قوله واحلت لكم الانعام ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب واتبعه بقوله ايضا فاجتنبوا الرجس من الاوثان واتبعه بقوله تعالى واجتنبوا قول الزور ردا لافترائهم على الله تعالى بانه حكم بذلك ﴿قوله وقيل شهادة الزور﴾ عطف على قوله تعميم بعد تخصيص فانه يدل على ان المراد بالقول الزور ما يعم كل قول منحرف مصروف عن الواقع سواء كان من قبيل الشهادة او لا روى انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل بوجهه الكريم وقال الزور الاشراك بالله ثلاث مرات وتلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿قوله تطوح به﴾ اى حمله تأثيرا رمى به ههنا وههنا الجوهرى طوّحه اى توهه وذهب به ههنا وههنا وتسوّح فى البلاد اى رمى بنفسه ههنا وههنا ﴿قوله ويجوز ان يكون من التشبيهات﴾ عطف على ما فهم من حيث المعنى فان معنى ما ذكره اولا يدل على انه من قبيل التشبيه المفرق حيث اشار الى ان كل واحد من طرفى المشبه والمشبه به امور متعددة شبه كل واحد مما فى طرف المشبه بكل واحد مما فى طرف المشبه به فالذى فى طرف المشبه هو الايمان والشرك والاهواء والشيطان والذى فى طرف المشبه به السماء والساقط من السماء والطير المختطفة والريح شبه الايمان فى علوه بالسماء وشبه المشرك المتمكن من الايمان والقادر عليه بفطرته الاصلية بالذى صعد الى السماء وسقط منها وشبه الاهواء التى فرق افكاره بالطير المختطفة وشبه الشيطان الذى توّهه فى اودية الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ثم جوز ان يكون من التشبيهات المركبة ومعنى كون التشبيه مركبا ان يقصد الى عدة اشياء مختلفة فينتزع منها هيئة منتزعة ويجعلها مشبها او مشبها به ولهذا صرح صاحب المفتاح فى تشبيه المركب بالمركب بان كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة مما فى الآية

(ذلك) خبر محذوف اى الامر ذلك وه…
واشاله يطلق للفصل بين كلامين (ومن
يعظم حرمات الله) احكامه وسائر ما لا يحل
هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام
والشهر الحرام والمحرم (فهو خير له
فالتعظيم خير له (عند ربه) ثوابا (واحلت
لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) الا المتلو
عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض
كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها
غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبوا
الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس
الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها
والتنفير عن عبادتها (واجتنبوا قول
الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان
رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات
أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء
على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور
لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية
والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك
من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع (حنفاء لله) مخلصين له
(غير مشركين به) وهما حالان من الواو
(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء
لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر
(فتخطفه الطير) فان الاهواء المردية
توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد
الطاء (او تهوى به الريح فى مكان سحيق
بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة
وأو للتخيير كما فى قوله او كصيب او للتنويع
فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم
من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد
ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة
فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك
نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين

ان كان من قبيل التشبيه المركب بان جعل المشبه المشرك بالله تعالى والمشبه به من خرّ من السماء فبعد ذلك اختطفته الطير وعصفت به الريح فى مكان سحيق فكلا طرفى التشبيه مركب اما المشبه به فظاهر واما المشبه فلأن المشرك من ترك الايمان بالله تعالى واشرك به ﻫ فان قلت ينبغى ان تكون السماء والطير والريح استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه به ﻫ قلت قد دخلت اداة التشبيه فى مجموع قوله خرّ من السماء والاستعارة انما تكون اذا كان الكلام خاليا من اداة التشبيه ﴿قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ اى الامر والشأن ماذكر من ان تعظيم حرمات الله تعالى خير وان الاجتناب عما ذكر من الاشراك وقول الزور امر حتم لا محيص عنه واعراب ذلك هنا كاعراب ذلك المتقدم والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة من الاشعار وهو الاعلام والشعور العلم واختلف فى شعائر الله قال بعضهم يدخل فيه كل عبادة يتقرب بها الى الله تعالى كصيام ودعاء وذبيحة وطواف ورمى لان كل ذلك من اعلام دينه تعالى ويؤيد هذا القول قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله بمن التبعيضية وقيل المراد به العبادة المتعلقة بالحج ومواضع نسكه فان كل ذلك اعلام الحج وقيل المراد به الهدى خاصة وتسمى البدن شعيرة من حيث انها تشعر بان تطعن فى سنامها من الجانب الايمن والايسر حتى يسيل الدم فيعلم انها هدى فلا يتعرض لها احد فهى من جملة معالم الحج بل من اظهرها واشهرها علامة وهذا القول اوفق لظاهر قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فان ظاهره يدل على ان للهدى ان ينتفع بهديه الى وقت النحر بان يركبها اذا احتاج اليها ويشرب لبنها ويأخذ وبرها وان يمكن ان يكون المعنى لكم فيها منافع الى اجل ينقطع التكليف عنده والبرة الحلقة التى تكون فى انف البعير والنجيبة الناقة الكريمة ﻫ وروى ان عمر رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيع تلك النجيبة ويشترى بثمنها بدنة فنهاه عن ذلك فقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدنة مجللة بالقباطى اى بالثياب القبطية وهى ثياب بيض رقاق من كتان تجلب من مصر فيتصدق بجلالها والقبط اهل مصر ﴿قوله فحذفت هذه المضافات والعائد الى من﴾ هذه العبارة تقتضى ان يكون التقدير فان تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب بزيادة كلمة منه ولم اجد تلك فيما عندى من النسخ ولعلها سقطت من الناسخين اذ لا بد منها بناء على ان الجملة الجزائية لا بد من اشتمالها على مايربطها بجملة الشرط وقيل عموم ذوى تقوى القلوب يغنى غناء الضمير فهو المراد بقوله والعائد الى من بناية ما فى الباب انه تعرض لحذفه بهذه العبارة مع دخوله فى جملة المضافات المحذوفة للتنبيه على انه احتاج الى تقديره لمعنيين احدهما فائدة الربط والاخرى فائدة تعيين اصحاب الافعال فان المقام يقتضى تقدير كل واحد من المضافات المقدرة مع قطع النظر عن فائدة الربط اما الحاجة الى تقدير التعظيم المضاف الى ضمير الشعائر فلأن المقصود من ايراد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر والتحريض عليه واما الحاجة الى تقدير المضافين الاخيرين فلأن المعنى ان تعظيمها بعض افعال ذوى التقوى فان التقوى فى عرف الشرع عبارة عن التوقى عن كل مايؤثم من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات ولم يتوق عن شئ منها لا يكون متقيا عرفا ضرورة ان الكل ينتفى بانتفاء الجزء اى جزء كان وليس المعنى ان تعظيمها صادر وناشئ من تقوى القلوب حتى يرد ماقال وماذكر من تقدير المضافات انما يحتاج اليه على تقدير ان تحمل كلمة من على التبعيض فانها ان جعلت للابتداء لم يحتج الى تقدير الالفاظ المذكورة اذ المعنى فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب اى من تقوى قلوبهم على ان اللام بدل من المضاف اليه على ماذهب اليه الكوفيون فاذا كان الالف واللام بدلا من الضمير حصل الربط وتم المعنى ﴿قوله لكم فيها﴾ اى فى الشعائر التى هى الهدايا المشعرة لتعرف انها هدى منافع دنيوية الى ان تنحر عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه فانه جوّز للهدى ان ينتفع بلبن الهدى وصوفه ووبره وركوب ظهره الى ان ينحره وذهب اكثر المفسرين الى ان المهدى انما يجوز له ذلك قبل ان يسميها هديا ويقلدها فاذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله تعالى الى اجل مسمى فان المهدى لو ملك منافع الهدى لجوّز له ان يؤجرها للركوب وليس له ذلك اتفاقا وفيه ان مولى ام الولد يملك الاستمتاع بها وليس له ان يبيعها ولا يجوز ان يكون الهدى كذلك لا يملك المهدى بيعه واجارته ويملك ان ينتفع به ﴿قوله ثم وقت نحرها منتهية الى البيت﴾ اشارة الى ان المحل اسم زمان بتقدير المضاف بمعنى وقت نحرها اى وقت حلول نحرها ووجوبه لان المحل مشتق من حل الدين اذا وجب ومحلها معطوف على قوله منافع والى ان قوله تعالى الى البيت حال من ضمير فيها والعامل فى الحال الاستقرار الذى تعلق به كلمة فى

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ دين الله او فرائض الحج ومواضع النسك او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿فانها من تقوى القلوب﴾ فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما ﴿لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق﴾ اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى مايليه من الحرم

وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل امة) ولكل اهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك (ليذكروا اسم الله) دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما (فالهكم اله واحد فله اسلموا) اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك (وبشر المخبتين) المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها (والصابرين على ما اصابهم) من الكلف والمصائب (والمقيمى الصلاة) فى اوقاتها وقرئ المقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (والبدن) جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره (جعلناها لكم) ومن رفع جعله مبتدأ (من شعائر الله) من اعلام دينه التى شرعها الله (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها) بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت

والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهى وقت نحرها حال كونهما منتهية الى البيت العتيق اى الى الحرم الذى فى حكم البيت فان المراد به الحرم كله كما فى قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اذ الحرم فى حكم البيت كله فان البيت وما حوله من مكة منزه عن اراقة دم الهدايا وجعل منى منحرا ولا شك ان القربة التى هى اعظم المنافع الدينية فى الشعائر هى نحرها خالصا لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها غاية عظيمة مبالغة فى ذلك فان وقت الفعل اذا كان فائدته جليلة فما ظنك بنفس الفعل ﴿قوله وهو على الاولين﴾ اى قوله تعالى لكم فيها منافع الآية على ان يكون المراد بشعائر الله جميع ما يتقرب به الى الله تعالى من معالم الدين وعلى ان يراد به فرائض الحج ومواضع النسك المعلمة بعلامات يستدل بها على الاعمال الواقعة فيها ﴿قوله متعبدا او قربانا﴾ مصدر ان بمعنى التعبد والتقرب اى جعلنا لكل امر أمة نوعا اى ضربا من التعبد والتقرب والمراد به اراقة الدماء لوجه الله تعالى والمعنى شرعنا لكل امة مؤمنة ان ينسكوا لله تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكة ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان وقرئ بكسر السين وهما لغتان فى المصدر والفتح اكثر فيه ويجوز ان يكون بالكسر موضع النسك او وقته ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ اى وفى تبيين البهيمة باضافتها الى الانعام تنبيه على ان البهائم التى ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها فى القرابين ﴿قوله فان الاخبات صفتهم﴾ علة لتفسير المخبتين باحد التفسيرين يعنى ان الخبت هو الموضع المطمئن من الارض وحقيقة المخبت من صار فى خبت من الارض تقول اخبت الرجل اذا صار فى الخبت ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية عنهما ﴿قوله وقرئ المقيمين الصلاة﴾ باثبات النون ونصب الصلاة على الاصل فان الاصل فى جمع اسماء الفاعلين ثبوت النون ونصب معمولها وسقوط النون حال اضافتها الى مفعولها لايثار الخفة الا ان قرآءة العامة اسقاط نون المقيمين باضافتها اليها وقرئ بحذف النون ونصب الصلاة بجعل النون مقدرة وكون حذفها لمجرد التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلة فجر لفظ الصلاة مع الموصول لا لموجب من اضافة ونحوها كما حذفها الشاعر فى قوله

الحافظوا عورة العشيرة لا ۞ يأتيهم من ورائهم نطف

اى تلطخ عيب والعامة على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب لتقدم جملة فعلية على جملة الاشتغال وتسكين الدال وقرئ بضمها ايضا واختار المصنف رحمه الله تعالى عليه ان الضم هو الاصل وان التسكين تخفيف من المضموم ويحتمل ان يكون السكون ايضا اصلا على ان يكون البدن جمع بادن كبادل والبدنة اسم يقع على الابل والبقر عند ابى حنيفة واصحابه رضى الله عنهم لاشتمالها على البدانة وقيل البدنة فى اللغة اسم للابل خاصة وانما صارت فى الشريعة متناولة للابل والبقر لانه عليه الصلاة والسلام ألحق البقر بالابل فى الاجزاء عن سبعة فلما اخذت البقر حكم الابل اطلق اسم البدنة عليها فى الشريعة لا لكون اللفظ حقيقة لغوية فى كل واحد من الجنسين والمصنف رحمه الله تعالى جعل قوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة دليلا على ان اسم البدنة مختص بالابل ويدل عليه الآية ايضا وقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فان هذا الوصف مختص بالابل لان البقر يضجع ويذبح كالغنم والتى تنحر قائمة هى الابل ﴿قوله ومن رفع﴾ اى وقرئ البدن مرفوعا على الابتداء فتكون الجملة التى بعدها فى محل الرفع على الخبرية وقوله تعالى من شعائر الله فى محل النصب على انه مفعول ثان لجعل بمعنى التصيير واضيف الشعائر الى اسم الله تعالى تعظيما لها كبيت الله وقوله تعالى لكم فيها خير حال من مفعول جعلناها ﴿قوله اللهم منك واليك﴾ اى عطاء منك وتقرب بها اليك وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها قيل فيه حذف اى اذكروا اسم الله على نحرها وذبحها ﴿قوله قائمات﴾ يعنى ان قوله صواف كناية عن كونها قائمات لان قيام الابل يستلزم ان تصف ايديها وارجلها ﴿قوله وقرئ صوافن﴾ الصوافن انما يستعمل فى الخيل لقوله تعالى الصافنات الجياد فيكون استعمالها فى الابل استعارة ﴿قوله وصوافيا﴾ بالتنوين اصله صوافيا بالالف فلو وقفت عليه قلت صوافيا وقد تحذف تلك الالف ويعوض عنها التنوين كما فى قوله «اقلى اللوم عاذل والعتابن» اصله والعتابا وهذا التنوين يسمى تنوين الترنم وصواف بالكسر والتنوين اصله صوافى فاسكنت الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا ثم حذفت اكتفاء بالكسرة مع ثقل الجمع ثم عوض التنوين عنها كما فى جوار رفعا وجرا ﴿قوله سقطت على الارض﴾ يقال وجب الحائط يجب وجبة اذا سقط والمعنى اذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام وقدم

(فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال (والمعتر) المعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) اي المتصدق بها (ولادماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه مايصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله (لتكبروا الله) اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لايقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح (على ماهداكم) ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه ويذرونه (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه (ان الله لايحب كل خوّان) في امانة الله (كفور) لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم (اذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله (للذين يقاتلون) المشركين والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى الذين يقاتلهم المشركون (بانهم ظلموا) بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد مانهي عنه في نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعدلهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم (الذين اخرجوا من ديارهم) يعني مكة (بغير حق) بغير موجب استحقوا به (الاان يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * وقيل منقطع

ان هذه التوسعة تختص بهدى التطوع والشكر دون الجناية والكفارة والقانع الذي يقنع بما تيسر ويجلس في بيته ولايسأل من القناعة والمعترّ الذي يعتريك ويسألك وقيل كلاهما الذي لايسأل والقانع الذي يرضى بما عنده من الشئ اليسير ولايسأل والمعترّ الذي يتعرّض لك او يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولايسألك ﴿قوله او السائل﴾ عطف على قوله الراضي بما عنده وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال القانع السائل الذي يسأل ومصدره قنوع من باب فتح قال الشاعر

* العبد حرّ ان قنع * والحرّ عبد ان قنع *
* فاقنع ولا تقنع فما * شئ يشين سوى الطمع *

﴿قوله قرئ القنع﴾ اى بغير الالف قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه القنع هو الراضي لاغير يعني ان القنع هو الراضي بما عنده من القناعة لامن القنوع بخلاف القانع فانه مشترك بين المعنيين والكاف في قوله تعالى كذلك صفة مصدر محذوف اى سخرناها لكم مع عظمها وقدرتها وقوتها تسخيرا مثل ماوصفنا من حالها وقت النحر من كونها صواف او صوافنا بمعنى منّ الله تعالى على عباده بذلك التسخير وطلب الشكر منهم عليه حيث قال لعلكم تشكرون ثم لما بين الله تعالى ان البدن المشعرة والمقلدة من جملة شعائر الدين وامر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالاكل منها واطعامها بين ان المعتبر في نحرها ليس مجرد اراقة دمائها واطعام لحومها بل المعتبر مايصحب ذلك من التقوى التي تدعو الى تعظيم الله تعالى والتقرب اليه والاخلاص له فقد قال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وهذا وجه انتظام الآية بماقبلها وقيل في وجه انتظامها كان اهل الجاهلية الخ ﴿قوله وقيل هو التكبير الخ﴾ وقيل المراد بالتكبير ههنا الشكر على ما انعم الله تعالى عليهم من الهداية لدينه ومعالم حجه ونسكه والمعنى لتشكروا الله بان تكبروا وتهللوا عند الاحلال او الذبح فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدّى تعديته بعلى وختم الله تعالى افعال الحج بقوله وبشر المحسنين وهم الذين يعبدون الله تعالى كانهم يرونه ويبتغون بذلك فضله ورضوانه لايحملهم على مايأتونه ويذرونه الاهذا الابتغاء وامارة ذلك ان لايستثقل ولايتبرم بشئ مما فعله اوتركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الاحسان في جميع اعمال الحج ونحوه ﴿قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام لما اوعد الكفرة الذين يصدّون عن الجهاد والهجرة والمسجد الحرام وفرّع عليه بيان اعمال الحج ومناسكه ومافيه من منافع الدنيا والآخرة انتقل ايضا الى ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدّونهم عن طاعة الله تعالى فقال وبشر المؤمنين باعلائهم على الكفرة واخبر انه يدفع عنهم غائلة المشركين وعلل ذلك بان الكفار خوّانون في امانة الله تعالى حيث اهلكوا انفسهم بانهم كفروا بالله ورسوله فاى خيانة اعظم منه فان ذكر غير اسم الله تعالى والتقرب الى الاصنام بذبيحة لايكون الاكفرا للنعمة فكيف ينصرهم او يتركهم على ما كانوا عليه من اذى المؤمنين ومن قرأ ان الله يدافع ولولا دفاع الله الناس اختار صيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة في الدفع كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يكون اقوى وابلغ وقوله تعالى اذن للذين اشارة الى ان قتال الكفار بغير اذن الله تعالى لايجوز ولهذا لما وكز موسى عليه الصلاة والسلام القبطي الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لانه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونا من الله تعالى في ذلك والباء في قوله تعالى بانهم ظلموا متعلقة بقوله اذن ليبين انهم انما اذنوا في القتال لانهم ظلموا ثم فسر ذلك الظلم بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اى اخراجا بغير موجب استحقوا الخروج به فالحق مصدر قولك حق الشئ يحق بالكسر اى وجب واستحققته اى استوجبته وانتفاء الوجوب لما كان بانتفاء الموجب قال المصنف رحمه الله تعالى عليه بغير موجب ﴿قوله في نيف وسبعين﴾ النيف الزيادة يخفف ويشدّد يقال عشرة ونيف ومائة ونيف وكل مازاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني قيل نسخت هذه الآية سبعين آية امر عليه الصلاة والسلام فيها بالصبر والصفح لانها اول آية نزلت في الاذن بالقتال وقوله تعالى الذين اخرجوا في موضع الجرّ على انه بدل او صفة لقوله تعالى الذين يقاتلون ويجوز ان يكون في موضع النصب على المدح وفي موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله وقيل منقطع﴾ والمعنى لكن قولهم ربنا الله وحده وهذا وجب تعظيمهم وتقريرهم في ديارهم دون الاخراج والتسيير لان الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين (لهدّمت) لخرّبت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف (صوامع) صوامع الرهبانية (وبيع) وبيع النصارى (وصلوات) وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرانية فعربت (ومساجد) ومساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) صفة للاربع او للمساجد خصت بها تفضيلا (ولينصرنّ الله من ينصره) من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم (ان الله لقوىّ) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شئ (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل عن من ينصره (ولله عاقبة الامور) فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد للوعد (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين) تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه (وكذب موسى) غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنوا اسرآئيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع (فأمليت للكافرين) فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة (ثم اخذتهم فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا (فكأين من قرية اهلكناها) باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكتها بغير لفظ التعظيم (وهى ظالمة) اى اهلها (فهى خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هى خالية وهى على عروشها اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأين بمقدر يفسره اهلكنا وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع

ثم انه تعالى بعد مابين سبب الاذن بقوله بانهم ظلموا اشار الى علة اخرى للاذن فقال تعالى ولولا دفع الله الناس اى ولولا ان الله اذن للمجاهدين فى قتال اعدآء الدين لانقطعت العبادات وخربت المتعبدات فمنّ سبحانه وتعالى على المؤمنين بدفع عائلة المشركين عنهم وبين ان عادته ان يحفظ دينه بان يأذن لاهل دينه فى مجاهدة الكفار وانه لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اى كنائس ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون فى زمان امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتابين الذين فى زمنهم فهدموا متعبدات الفريقين والصوامع جمع صومعة وهى موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة والبيع جمع بيعة وهى كنائس النصارى التى يبنونها فى البلدان ليجتمعوا فيها لاجل العبادة والصوامع لهم ايضا الا انهم يبنونها فى المواضع الخالية كالجبال والصحارى لتجرد العبادة والصلوات لليهود ولا بد من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها اى موضع صلوات او من تضمين هدمت معنى عطلت وقيل هى كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا بالثاء المثلثة وهى فى لغتهم بمعنى المصلى ولا حاجة الى تقدير المضاف وقدم ماسوى المساجد عليها فى الذكر لكونه اقدم فى الوجود بالنسبة اليها ﴿قوله وهو ثناء قبل بلاء﴾ اى قبل وقوع الصنيع الحسن الذى هو البلاء الحسن قال الجوهرى رحمه الله تعالى عليه البلاء الاختبار يكون فى الخير والشر يقال ابلاه الله بلاء حسنا وابليته قال زهير

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم ○ وابلاهما خير البلاء الذى يبلو

اى خير الصنيع الذى يختبر به عباده ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى وفى ثناء المهاجرين قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا ووجه الاستدلال بهذه الآية على امامة الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم انه تعالى وصف المهاجرين بانهم ان مكنهم فى الارض واعطاهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق اتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بكل معروف والنهى عن كل منكر وقد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة فى الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الاربعة والا لزم الخلف فى مقاله تبارك وتعالى واذا كانوا آتين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت هذه الآية على امامتهم ﴿قوله تسلية له﴾ فانه فيما سبق ما يدل على ايذآء المشركين اياه بان كذبوه وحملوه مع من آمن على ان يخرجوا من ديارهم بغير حق ثم بين انه اذن للمظلومين فى مقاتلتهم وضمن له عليه الصلاة والسلام النصرة عليهم واكد ذلك بقوله ولله عاقبة الامور ولما كان المقام مقام التسلية سلاه بقوله تعالى فقد كذب قوم نوح نبيهم نوحا وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابراهيم وقوم لوط نبيهما ابراهيم ولوطا واصحاب مدين شعيبا عليهم الصلاة والسلام ثم قال فقد اعطيت هؤلاء الانبياء جميع ما وعدتهم من النصرة على اعدآئهم والتمكين لهم فى الارض فاخذت كل واحدة من المكذبين بعقوبة مختصة بهم فكيف كان نكيرى اى انكارى وهذا استفهام معناه التقرير يقول كيف تكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب ثم انه تعالى اجمل بعد التفصيل فى الاخبار عن اهلاك كثير من الامم المكذبة فقال تعالى وكأين من قرية فقوله وكأين يجوز ان يكون فى محل النصب على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكناها اى وكثيرا من اهل القرى الذين كذبوا انبياءهم سوى المكذبين المذكورين فى الآية المتقدمة اهلكنا اهلكناها وان يكون فى محل الرفع على الابتدآء والخبر اهلكناها اى وكثير اهلكناها ﴿قوله وقرأ البصريان﴾ يعنى بهما ابا عمرو ويعقوب فانهما قرآ اهلكتها على وفق قوله فأمليت للكافرين ثم اخذتهم وقرأ الباقون اهلكناها بالنون على وفق قوله ان مكناهم فى الارض ﴿قوله ساقطة حيطانها على سقوفها﴾ يعنى ان الخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط والعروش السقوف لان كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والمراد بالضمير القرية حيطانها ﴿قوله او خالية﴾ على ان يكون الخاوى بمعنى الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله فحينئذ يكون على عروشها ظرفا مستقرا فى موضع النصب على انه حال من ضمير خاوية وتتعلق بخاوية تعلق الحال بعامله لا تعلق الجار والمجرور بعامله فانه انما يكون كذلك اذا كان خاوية بمعنى ساقطة ﴿قوله ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر﴾ عطف على قوله متعلق بخاوية فانه اذا كان خبرا بعد خبر لا يكون له تعلق بخاوية بل يكون متعلقا بمطلة وهى بالطاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال اطل عليه اذا كان داخلا فى ظل ظلله اى تخصصه ﴿قوله فلا محل لها﴾ اى على تقدير ان تكون جملة فهى خاوية معطوفة على اهلكناها لا يكون لها محل من الاعراب ان جعل اهلكناها مفسرا لناصب كأين لان الفعل المفسر لا محل له من

بئر معطلة) عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد)
مرفوع او مجصص اخليناه من ساكنيه وذلك يقوى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر
بئر على سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما (أفلم يسيروا فى الارض) حثلهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (او آذان يسمعون بها) ما يجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من يشاهد آثارهم (فانها) الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) عن الاعتبار اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى أفأكون فى الآخرة اعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) المتوعد به (ولن يخلف الله وعده) لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى يعدون بالياء (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخر لعادته تعالى (أمليت لها) كما امهلتكم (وهى ظالمة) مثلكم (ثم أخذتها) بالعذاب (والى المصير) والى حكمى مرجع الجميع (قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار
على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة فى غيظهم

والاعراب فكذا ما عطف عليه فان حمل على عكسه حيث كان يكون جهة خاوية فى محل الرفع ايضا ﴿ قوله اى وكم بئر عامرة ﴾ يعنى ان معنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وفى المشيد قولان احدهما انه المجصص لان اهل المدينة يسمون الجص شيدا والثانى المرفوع المطول وتوصيف البئر بالمعطلة والقصر بالمشيد يؤيد ان يكون على بمعنى مع فى قوله على عروشها فان كون كل واحد منها موصوفا بالوصف المذكور ادخل فى الاعتبار روى ان هذه البئر نزل عليها صالح النبى عليه السلام مع اربعة آلاف ممن آمن به ونجاهم الله تعالى وهى بحضرموت وانما سميت به لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حضرموت بناها قوم صالح وامروا عليهم جلس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم الا ان قوله وخرب قصورهم ينافى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه اخليناه عن ساكنيه الا ان يراد بتخريبها اخلاؤها عن ساكنيها ﴿ قوله حثلهم على ان يسافروا ليروا ﴾ يحتمل انهم ما سافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافر ولم يرحلوا سفرهم الخالى عن المقصود فلذلك قيل فى حقهم على سبيل الانكار أفلم يسيروا فى الارض وقوله فتكون منصوب على جواب الاستفهام اى أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم حال الامم المكذبة ما فعلوا وما فعل بهم او يسمعوا بآذانهم اخبارهم ﴿ قوله او مبهم يفسره الابصار ﴾ اى ويجوز ان يكون ضمير انها ضميرا مبهما يفسره الابصار لا على كون الابصار تمييزا كما فى نحو ربه رجلا والا لوجب ان يكون نكرة منصوبة كما هو الحق فى التمييز بل المراد انه يعلم به المراد من الضمير بناء على ان الابصار ليس فاعل تعمى والا لما كان مفسرا للمبهم بل هو خبر مبتدأ محذوف وفاعل تعمى ضمير مستتر فيه راجع الى ما يرجع اليه ضمير انها فكانه لما قيل فانها لا تعمى سئل ما هى فاجيب الابصار اى هى الابصار ثم انه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين صدهم عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وعظيم ما هم عليه من التكذيب اتبعه بذكر قصة اخرى من قبائحهم وهى استعجالهم بالعذاب قيل نزلت فى النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بالعذاب ان استمروا على كفرهم ولهذا قال الله تعالى ولن يخلف الله وعده وقد انجز ذلك يوم بدر وانكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وبين وجه الانكار بان الاستعجال انما يكون لخوف الفوت وما اوعده الله تعالى لا يفوت بل يصيبهم لا محالة ولو بعد حين وقوله ولو بعد حين مستفاد من كلمة لن فى قوله تعالى لن يخلف الله وعده لانها لتأكيد نفى الاستقبال وهذا النفى لا يتصور كونه تعالى صبورا يبين تناهى صبره بقوله تعالى وان يوما عند ربك واشار بتشبيه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين الى ان من لا يجرى عليه الزمان بل هو الخالق للزمان يتساوى عنده الزمان ويكون وجود الايام والزمان وعدمها وقلتها وكثرتها سواء اذ ليس عنده صباح ولا مساء ولا يوم ولا ليلة فقوله تعالى وان يوما على هذا متعلق بقوله ولن يخلف الله متمم لما يقصد منه وعلى قوله او لتمادى عذابه الخ يكون متعلقا بقوله ويستعجلونك بالعذاب وبيانا مستقلا لوجه الانكار عليهم فى استعجال عذاب يكون يوم واحد من ايام عذابه كالف سنة عندهم كانه قيل يستعجلون بعذاب يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة من سنيكم اما من حيث طول ايام عذابه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة ﴿ قوله فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام ﴾ يعنى ان مقتضى الظاهر ان تكون لفظ القرية مجرورة بالاضافة لا بمن وان يرجع الضمائر الى الاهل لا اليها وان يجعل متعلق الاملاء والظلم والاخذ بالاهل لانها الاصل الا ان القرية لما اقيمت مقام الاهل اعطيا قامت مقامه فى جميع ما ذكر من الامور ﴿ قوله لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير ﴾ فان قوله تعالى فأمليت للكافرين لما كان مرتبا على جواب الشرط فى الوقوع كان حقه ان يعطف عليه بالفاء وكان قوله فكيف كان نكير استفهاما واردا للتعجيب والتهويل من انتقام المتراخى عن وقت التكذيب فكان حقه ايضا ان يعطف عليه بالفاء لكنه قيل ثم اخذتهم فانكرت عليهم ابلغ انكار فان حق التعجيب من الشئ ان يذكر عقيب ذلك الشئ ولما كان قوله فكأين من قرية فى حكم قوله فكيف كان نكير فى كونه مرتبا على قوله فأمليت للكافرين ثم اخذتهم كان بدلا منه لكونه اوفى منه فى تأدية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة الى الاول فاعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب

(فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما ندر منهم (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله (والذين سعوا في آياتنا) بالرد والابطال (معاجزين) مسابقين مشاقين لساعين فيها بالقبول والتصديق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة (اولئك اصحاب الجحيم) النار الموقدة وقيل اسم دركة (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولم يوح اليه في المنام (الا اذا تمنى) اذا زور في نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان في امنيته) في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) فيما يفعله بهم قيل حدثت نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه

قال الماهر فاعتبروا ... مقابل فوله وكان من قرينة فانه في حكم ابجلس المتسابقين بالواو في كونه حالا لا لاجل الاستقبال فلذلك جعله عليها بالواو الحاصة ﴿قوله بالرد والابطال﴾ السعي وان كان عبارة عن مطلق الجد والاهتمام سواء كان لتحقيق الاتمام او الرد والابطال الا ان الثاني متعين هنا بقرينة المقام لان من ورد في قرينة والذين آمنوا الايكون سعيهم في شأن القرآن الا بالرد ﴿قوله على انها حال مقدرة﴾ لان الاعجاز والتعجيز فيما صدر من سعيهم في ابطال الآيات بل متأخران عنه كما اشار اليه بقوله من عاجزه فعجزه وعجزه بخلاف معاجزين فانه حال مقارنة لان المعاجزة تكون حال السعي ﴿قوله انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام﴾ قيل هذا الحديث رواه ابو ذر رضي الله عنه وهو من الآحاد والاولى ان لا يتعرض لعدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد ان يخرج منهم من هو فيهم او يدخل فيهم من ليس منهم وقوله عليه الصلاة والسلام جما غفيرا ابتداء كلام اي كانوا جماعة كثيرة ﴿قوله وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا﴾ قاله صاحب الكشاف رحمه الله ولعل المصنف رحمه الله تعالى لم يرض به بناء على ان عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام اكثر من عدد الكتب لان عدد الكتب مائة واربعة ويلزم على هذا القول وعلى القول الذي اختاره المصنف رحمه الله تعالى عليه ان لا يكون اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهرون وسليمان عليهم الصلاة والسلام رسلا لانهم ما جاؤا بشريعة مجددة وكتاب ناسخ ﴿قوله ليغان على قلبي﴾ اي ليغطي عليه يقال غان على ذلك اي غطى عليه ﴿قوله فيبطله﴾ اي يزيل تأثيره وهو اشارة الى ان المراد بالنسخ النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الكتاب ولا يبين الله تعالى طرق الوسوسة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام من كيفية ازالتها فقال فينسخ الله الى آخره ﴿قوله تلك الغرانيق﴾ جمع غرنوق او غرنيق بكسر الغين وفتح النون فيهما او غرنوق بالضم وهو الشاب الناعم ويجمع على غرانق بالفتح وغرانيق وغرانقة ويصدق الجمع على السادات ﴿قوله وهو مردود عند المحققين﴾ يعني ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام في اغتمامه بما سبق به لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن فمنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنه ايضا قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم واما السنة فهو انه روي عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد وسجد المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكر حديث الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفي في تيسيره بقوله والصحيح المعتمد عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجري ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر وهو صلى الله عليه وسلم جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره واما ان يجري الشيطان ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم واما ان يقع ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود لانه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة خصوصا في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطأ في كل واحد من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقراءته صلى الله عليه وسلم

وقيل تمنى بمعنى قرأ لقوله * تمنى كتاب الله اوّل ليله * تمنى داود الزبور على رسل * فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظنّ السامعون انه من قرآءة النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد ردّ بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرّق الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقى الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق بعيد) عن الحق او عن الرسول والمؤمنين (وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك) ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته فى جنس الانس من لدن آدم (فيؤمنوا به) بالقرآن او بالله (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادى الذين آمنوا) فيما اشكل عليهم (الى صراط مستقيم) هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) فى شك (منه) من القرآن او الرسول او مما ألقى الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه (حتى تأتيهم الساعة) القيامة او الموت او اشراطها (بغتة) فجأة (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل (الملك يومئذ) التنوين فيه ينوب عن الجملة التى دلت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم (لله يحكم بينهم) بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاوّل تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكفار مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا) فى الجهاد (او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما سوّى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف انفه فى الوعد لاستوآئهما فى القصد (الملك) واصل العمل روى ان بعض الصحابة قالوا يا نبىّ الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت (وان الله لهو

فوقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو الذى تكلم بها فتكون القاء فى قرآءة النبى صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم فى زمن الوحى كما ذكر انه ظهر فى صورة شيخ نجدى على المشركين الذين اجتمعوا فى دار الندوة على قصد المكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وتكلم فى شوراهم واستصوب رأى بعضهم وخطأ آخرين وذكر ايضا انه نادى يوم احد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى وابتلاء لعباده لكنه انما يجوز فى غير مقام تبليغ الوحى واداء الرسالة لانا لو جوّزنا ذلك لارتفع الاطمئنان الى شرعه وجوّزنا انّ كل ما نسمعه الينا من الله تعالى يضم اليه غيره بخلط الشيطان فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية ما فى الباب ان جمعا من المفسرين رحمة الله تعالى عليهم ذكروها لكنهم ما بلغوا فى الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية والمتواترة فلذلك قال المصنف فى تفسير الآية ألقى الشيطان فى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا ولم يقل ما يوافق تشهيه من الكلام ثم قال وان صح فابتلاء والظاهر ان مبنى الصحة ان يتكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام بعد قوله ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب الاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى ما من رسول ولا نبىّ قبلك الا مكنا الشيطان ان يلقى فى قرآءتهم مثل ما القى فى قرآءتك عند ما تمنيت فلا تهتم لذلك فانا نفعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين لتميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه ﴿ قوله وقيل تمنى بمعنى قرأ ﴾ عطف على قوله تمنى زوّر فان التمنى جاء فى اللغة بمعنيين تمنى القلب والقرآءة قال الله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى اى الا قرآءة لانّ الامى لا يعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قرآءة وقال رواة اللغة الامنية القرآءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضى الله تعالى عنه وهو تمنى كتاب الله اوّل ليله وقيل الاولى فى تأويل الآية ان يقال التمنى بمعنى القرآءة فقوله تعالى ألقى الشيطان فى امنيته اى عند تلاوته القرآن ألقى فى قلوب الكفرة ما يجادلون به الرسول ويحاجونه ويوقعون به شبهة فى قلوب اتباعه ليمنعوهم من اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول حرّمت عليكم الميتة انه يحل ذبيحة نفسه ويحرّم ذبيحة الله تعالى فينسخ الله تعالى ما يلقى الشيطان فى قلوب الكفرة بازال قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين به انه انما حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرّم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ان عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله تعالى والملائكة ايضا عبدوا من دون الله مع انه تعالى لا يحرقهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فبين الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله ما تعبدون من دون الله بان المراد بما الاصنام فقط ﴿ قوله علة لتمكين الشيطان ﴾ اى المدلول عليه بقوله القى الشيطان فتكون لام كى فى قوله تعالى ليجعل متعلقة بألقى الشيطان باعتبار ما دل عليه من التمكين والظاهر ان هذه اللام لام العاقبة وتسميتها لام العلة باعتبار انها فى الاصل للعلة والمعنى مكنه الله تعالى من الالقاء ليجعل ما يلقيه الشيطان سببا لتقرير المنافقين والمشركين ولتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من العلم بالتوحيد وبان القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى وقوله تعالى فيؤمنوا عطف على قوله ليعلم ولما كان الايمان بالقرآن مترتبا على العلم بانه هو الحق النازل من عند الله تعالى عطفه عليه بالفاء وكذا الايمان بالله تعالى مترتب على العلم بان التمكين حق صادر من الله تعالى ثم انه تعالى بين ان هذا الايمان والاخبات انما هو بلطف الله تعالى وهدايته اياهم فقال تعالى وان الله لهادى الذين آمنوا ﴿ قوله فيصرن كالعقم ﴾ اى كأنهن لم يلدنهم فالعقم صفة النساء الا انه اسند الى يوم القيامة اى الى اليوم الذى يعقمن فيه على طريق صائم نهاره والعقم على الوجه الثانى صفة الحرب من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقى الحرب بلا ولد والظاهر ان يجعل الحرب مجازا لانه جعل عقيما تشبيها لقتل اولاده بعقمه ثم استعار العقم بهذا المعنى الى يوم الحرب مجازا ففى التركيب على هذا الوجه مجازان احدهما فى المسند والثانى فى الاسناد وحاصل الوجه الرابع ان كل يوم له مثل الا يوم بدر فانه عقيم لا مثل له كانه لم يعقبه مثل بجعل عقيما كما جعل يوم القيامة اذ لا يوم بعده ﴿ قوله او يوم القيامة ﴾ عطف على قوله يوم حرب والمورد ان يقال كيف يصح ان يفسر اليوم العقيم يوم القيامة وهو معطوف على الساعة فاجاب عنه بوجهين الاوّل ان المراد بالساعة شراطها ومقدماتها والثانى ان التقدير او يأتيهم عذابها الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للتهويل ﴿ قوله تعالى والذين هاجروا ﴾ لما ذكر ان

الملك له يوم القيامة وانه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين منهم واختلف في المهاجر فقيل المراد من هاجر الى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله تعالى وقال آخرون بل المراد من جاهد فخرج مع الرسول او سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الامرين ثم انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اما الرزق فبقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا واما المسكن فبقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه على ان يكون ليدخلنهم جملة مستأنفة ويجوز ان يكون بدلا من ليرزقنهم الله رزقا حسنا وتقرير المصنف رحمه الله تعالى عليه اوفق لهذا الاحتمال الذي ذكرناه وقد بين انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا وماتوا بعد مابين انه تعالى يحكم بين الذين آمنوا والذين كفروا وقوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا يدل على ان حال المقتول في الجهاد والميت في فراشه سوآء اذا استويا في القصد والتقرب الى الله تعالى ونصرة رسوله وفي اصل العمل وهو الهجرة من حيث انه تعالى جمع بينهما في الوعد ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية والا لا يبقى لتخصيصهما بالذكر فائدة **﴿قوله الامر ذلك﴾** يعني ان ذلك خبر مبتدأ محذوف وما بعده مستأنف ومن عاقب مبتدأ خبره لينصرنه الله والعقوبة اسم لما يعاقب به ويعقب الجرم من الجزآء وسمى المكروه الذي اوقع ابتدآء عقوبة حيث قيل بمثل ما عوقب به مع انه ليس جزآء لعقوبة الجريمة اما للمشاكلة واما على سبيل المجاز المرسل فان ما وقع ابتدآء سبب لما وقع جزآء وعقوبة فسمى السبب باسم المسبب قيل معنى الآية ان من قاتل من كان يقاتله ابتدآء ثم كان المقاتل مبغيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة الوطن او ابتدئ بالقتال لينصرنه الله ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اولا ثم قال في هذه الآية اني مع اكرامي لهم في الآخرة بهذا الوعد لا ادع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم **﴿قوله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه﴾** اشارة الى وجه تعليله تعالى نصرته للمعاقب بكونه عفوا غفورا مع ان العفو والغفران يقتضيان سابقة الجناية من المعفو عنه ولا جناية من المعاقب في الانتصار لانه استوفى حقه فلم يظلم احدا وحاصله ان العفو وان اقتضى سابقة الجناية لكن الجناية لا يلزم ان تكون بارتكاب المحرم بل قد تكون لترك ما ندب اليه وتسمى جناية على سبيل الزجر والتغليظ **﴿قوله وفيه﴾** اي وفي تعليل نصرته تعالى المعاقب بكونه عفوا تعريض بالحث على العفو وتنبيه على انه تعالى قادر على عقوبة البادي **﴿قوله بسبب ان الله تعالى قادر﴾** بيان لوجه كون ايلاج كل واحد من الملوين في الآخر سببا للنصر الموعود في حق المعاقب وحاصله ان السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات الا انه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها **﴿قوله بان يزيد فيه﴾** اي في الآخر متعلق بقوله ايلاج احد الملوين فانه لما ورد ان يقال كيف يعقل ايلاج الليل المظلم في النهار المضيء حقيقة وكذا عكسه مع ان ذلك يقتضي اجتماع الظلمة والنور في زمان واحد دفعه بان معنى الايلاج المذكور ليس ادخال الزمان المظلم في الزمان المضيء ليلزم ما ذكر بل معناه ادخال ما نقص من ساعات احد الزمانين في الزمان الآخر فاللازم تفاوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لا اجتماع الضدين في زمان واحد وانما يلزم ذلك ان لو كانت الظلمة والضياء مما تقتضيهما ذوات تلك الساعات الزائدة والناقصة وليس كذلك بل هما مستندان الى طلوع النير وغروبه ثم جوز ان يكون معنى ايلاج الليل والنهار تحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار الخ روى الامام رحمه الله تعالى عليه عن مقاتل رضي الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى ومن عاقب بمثل ما عوقب به الآية في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون بان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فوقع في نفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء فانزل الله تعالى هذه الآية وعفا عنهم وغفر لهم فعلى هذه الرواية يكون وجه تعليل قوله تعالى لينصرنه الله بقوله تعالى ان الله لعفو غفور ظاهرا لا احتياج فيه الى ان يقال حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه **﴿قوله ولا شيء اعلى منه الخ﴾** بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها المحلى بالالف واللام قال الامام الشافعي رحمه الله عليه من احرق احرقناه ومن اغرق اغرقناه اي يعاقب وفق الجناية وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يقتل بالسيف واحتج الامام الشافعي رحمه الله تعالى على ما ذهب اليه بهذه الآية فقال ان الله تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل

(ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد في الاقتصاص وانما سمى الابتدآء بالعقاب الذي هو الجزآء للازدواج اولانه سببه (ثم بغي عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) لا محالة (ان الله لعفو غفور) للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) اي ذلك النصر (بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى افعالهما فلا يهملهما (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداها او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما (وان ما يدعون من دونه) الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة (هو الباطل) المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية (وان الله هو العلي) على الاشياء (الكبير) عن ان يكون له شريك ولا شيء اعلى منه شأنا واكبر منه سلطانا

ماعوقب به ووعده النصرة عليه ثم انه تعالى لما دل على قدرته بما ذكره من ولوج الليل فى النهار والعكس اتبعه بانواع اخر من دلائل قدرته تعالى وهى ستة اولها قوله تعالى الم تر اى الم تعلم فان الماء النازل وان كان مرئيا بالبصر الا ان كونه تعالى منزلا له من السماء غير مرئى به فوجب ان يحمل الرؤية على العلم الذى هو المقصود من الرؤية فان الرؤية اذا لم يقترن العلم بها صارت كأنها لم تحصل ﴿ قوله ولذلك رفع فتصبح ﴾ يعنى ان قوله تعالى فتصبح وان وقع بعد لفظ الاستفهام فكان الظاهر ان ينصب على جواب الاستفهام الا ان الاستفهام هنا لما كان استفهام تقرير بمعنى الخبر اى بمعنى قد رأيت لم يكن له جواب فلذلك رفع المضارع بعده عطفا على انزل وقوله اذ لو نصب جوابا علة لقوله استفهام تقرير ولذلك رفع المضارع بعده عطف على انزل اى اذ لو كان الاستفهام بمعناه ونصب ما بعده جوابا له لافاد الكلام عكس المقصود الذى هو اثبات الاخضرار اذ لو نصب الفعل بعده لانقلب المعنى الى نفى الاخضرار كما اذا قلت الم تر انى انعمت عليك فتشكر ان رفعت فتشكر فقد اثبت شكر المخاطب وان نصبت فقد نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه فان اداة الاستفهام فى مثله تثبت ما تدخل عليه وان كان منفيا تنفى الجواب فيلزم من هذا اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا جواب الاستفهام ينعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط وجزاء كقوله الم تسأل فتخبرك الرسوم والمعنى ان تسأل تخبرك الرسوم لان ما بعد الفاء انما ينصب اذا كان المستفهم عنه سببا له وهو ههنا لا يصح ان يجعل تقدير الكلام ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان رؤية المخاطب ليست سببا لاخضرار الارض وان اخضرارها ليس مرتبا على رؤية المخاطب ذلك بل هو مرتب على نفس الانزال ولما كان انتصاب المضارع بعد الفاء فى جواب الاشياء الستة مبنيا على صحة تقدير ان فعلت فعلت ولم يصح هذا التقدير فى الآية لم يجز نصب قوله فتصبح الارض مخضرة ﴿ قوله يصل علمه او لطفه ﴾ الاول مبنى على ما قيل اللطيف العالم ببواطن الاشياء والثانى على ما قيل انه الرفيق فى افعاله وقيل اللطيف من يدق حكمته فيما يفعل ويحكم والخبير العالم بمصالح الخلق ومنافعهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان ﴿ قوله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ ﴾ والمعنى انه تعالى خلق ذلك مقدارا له غير ممتنع من التصرف فيه واختص بجميع ذلك به خلقا وملكا لا لاحتياجه الى شئ منه فانه كامل لذاته غنى عن كل ما عداه فى كل الامور لكنه لما خلق الناس ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم والاجلال ويستعدوا بذلك للسعادة الابدية واقتضت الحكمة احتياجهم فى تعيشهم الى بركات السموات والارض خلق هذه الاشياء رحمة لهم وانعاما عليهم لا لمنفعة تعود اليه فلا جرم كان حميدا مستحقا للحمد فظهر بذلك كمال قدرته وعلو شانه وكبريائه وعظم رحمته واحسانه تبارك الله رب العالمين ﴿ قوله حال منها ﴾ اى من الفلك على تقدير كونها عطفا على ما او قوله او خبر على تقدير كون الفلك عطفا على اسم ان او مرفوعا على الابتداء وجريان الفلك وان كان مسندا الى كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجريانها الا ان تلك الحالة لما ثبتت لها بامره تعالى وتكوينه نسب جريها الى امره تعالى فان ذلك انسب لعظمته وكمال قدرته ﴿ قوله من ان تقع او كراهة ان تقع ﴾ فيكون ان تقع على الاول فى محل النصب بنزع الخافض او فى محل الجر على ارادته وعلى الثانى يكون فى محل النصب على انه المفعول من اجله فالبصريون يقدرون كراهة ان تقع والكوفيون يقدرون لئلا تقع وهذا الخلاف مبنى على مسألة كلامية وهى ان الارادات والكراهات هل تتعلق بالعدم اولا فمن منع ذلك ذهب الى ان التأويل الثانى هو الصحيح ومن جوزه ذهب الى الاول والظاهر ان قوله الا باذنه استثناء مفرغ من اعم الاحوال وهو لا يقع فى الكلام الموجب الا ان قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض فى قوة النفى فلذلك جاز فيه التفريغ اذ التقدير ولا يتركها تقع فى حال من الاحوال الا فى حال كونها ملتبسة بامره ﴿ قوله متعبدا ﴾ اى مألفا يألفونه اماكنا معينا او زمانا معينا لاداء الطاعات او شريعة او مذهبا كلفوا بها روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المنسك شريعة لهم او شريعة عاملون بها ويؤيده قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروى عنه ايضا انه قال عيدا يذبحون فيه وقيل قربانا يذبحونه وقيل موضع عبادة قيل القول بان المنسك هو الشريعة اولى لانه مأخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص بعضها ولا وجه لحمله على موضع العبادة ووقتها لان قوله ناسكوه اليق بالعبادة فيه بالوقت والمكان لان المنسك لو لم يكن مصدرا بل كان اسم مكان او زمان لقيل هم ناسكون فيه لان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بكلمة فى غالبا الا ان يتسع فى الظرف

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الارض مخضرة) عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به من صيغة الماضى للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان (ان الله لطيف) يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة والباطنة (له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان الله لهو الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وافعاله (الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض) جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم (والفلك) عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء (تجرى فى البحر بامره) حال منها او خبر (ويمسك السماء ان تقع على الارض) من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار (وهو الذى احياكم) بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا (ثم يميتكم) اذا جاء اجلكم (ثم يحييكم) فى الآخرة (ان الانسان لكفور) لجحود للنعم مع ظهورها (لكل امة) اهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا (هم ناسكوه) ينسكونه

فيجرى مجرى المفعول به فيتعدى الفعل الى ضميره بنفسه كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * اى شهدنا فيه وقوله ومشرب اشربه اى اشرب فيه * فان قيل لم جاء نظير هذه الآية معطوفا بالواو فيما تقدم وهذه بغير واو * وقلنا لان تلك وقعت بعد ما يناسبها ويدانيها من الآى الواردة فى امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع الاباعد اى بعد الآى المتباعدة من معناها فلم تجد ما تعطف هى عليه فانه تعالى ذكر ثواب المهاجرين فى الآخرة ثم بين انه مع ذلك ينصرهم فى الدنيا ايضا على من بغى عليهم ثم بين قدرته على ذلك بالدلائل المذكورة وختم ذلك ما يتعلق بقوله الملك يومئذ لله الذى يحكم بينهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجد فى الدعاء الى الدين وعرفه وجه المعاملة معهم والاحتجاج عليهم فقال تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اى شرعنا لكل امة حنت حربا من العبادة هم عاملوه وناسبون عليه فلا ينازعنك اى فليس لاحد من بقايا تلك الامم ان ينازعك فى الامر اى فيما تأمر به امتك من الشرائع اذ كانت لهم شرائع يخالف بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة وان خالفت تلك الشرائع فليس لهم ان ينازعوك فيها ﴿قوله او النسائك﴾ هو جمع نسيكة وهى الذبيحة وهو مبنى على ان يكون الآية نازلة فى كفار خزاعة الذين نازعوه صلى الله عليه وسلم فى حرمة اكل الميتة التى قتلها الله تعالى ﴿قوله وقيل المراد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام﴾ عطف على قوله فلا ينازعك سائر ارباب الملل من حيث المعنى وقيل كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات الى قولهم لانه يؤدى الى منازعتهم ويستلزمها فيكون من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم على اسلوب لا اريتك ههنا وقيل هو كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن المنازعة معهم لان المنازعة تكون بين اثنين فنهى احد الشريكين منها يستلزم نهى الآخر فجعل احد النهيين كناية عن الآخر ﴿قوله وهذا انما يجوز﴾ اى كون نهى احد الفاعلين كناية عن نهى الآخر انما يجوز فى افعال المغالبة لان التلازم انما يتحقق فيها ولا يجوز ان يكون قولك لا يضربنك زيد مثلا كناية عن قولك لا تضربن انت اياه لعدم التلازم بين النهيين وقوله انما يجوز بالحصر محل تأمل لان مثل قوله تعالى لا يغرنكم بالله الغرور يجوز ان يكون كناية عن لا تغتروا مع ان الغرور ليس من افعال المغالبة وقد مر فى سورة طه ان قوله تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها وان كان نهيا للكافر عن ان يصد موسى عنها فالمراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن ان ينصد عنها مع ان هذا الفعل ايضا ليس من افعال المغالبة ﴿قوله وقرئ فلا ينزعنك﴾ من النزع بمعنى الجذب يقال نزعت الشئ من مكانه واذا قلعته منه اى اثبت فى دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمورد ان يقال كيف يكون نهى الكفار من نزعه عليه الصلاة والسلام عن دينه كناية عن امره بالثبات على دينه مع ان النزع ليس من افعال المغالبة فدفعه بانه ليس من النزع الصادر من الواحد بل من النزع المسند الى الغالب من المتنازعين يقال نازعته فنزعته انزعه اى غلبته فى النزع فمعنى الآية لا يغلبنك فى المنازعة الا ان كسر عين المضارعة فى باب المغالبة غريب لم يذهب اليه غير صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فانه قال بضم عين المضارعة فى باب المغالبة مطلقا اذا لم يكن عينه او لامه حرف حلق واما اذا كان احدهما حرف حلق فان الفعل حينئذ يترك على قاعدة الاستعمال ﴿قوله تعالى وادع الى ربك﴾ لم يذكر معمول ادع للتعميم والمعنى انك مبعوث الى الناس كافة وكلهم مأمورون باتباعك والتدين بشرعك ودينك فادعهم الى دين ربك ولا تخص امة دون امة بالدعوة اليه فكل الناس امتك ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه بان يعتزل المجادلين بعد لزوم الحجة ووضوحها من حكم يوم القيامة اتبعه بما يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد وانه يحكم بينهم بالعدل لا بالجور فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض وان ما يعمله الكفار المجادلون محفوظ عند الله تعالى لا يضل عنه ولا ينسى فان كل ما يحدثه الله تعالى فى السموات والارض فقد كتبه فى اللوح المحفوظ * فان قيل ان ذلك يوهم ان علمه تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فما فائدة ذلك الكتاب * اجيب عن الاول بان كتبه تلك الاشياء فى ذلك الكتاب قبل حدوثها على الوجه المطابق للموجودات من ادل الدلائل على انه تعالى غنى فى علمه عن ذلك الكتاب وعن الثانى بان الملائكة ينظرون فيه ثم اذا ارادوا جعل الحوادث داخلة فى الوجود على وفقه صار ذلك دليلا لهم زائدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات ثم انه تعالى بين ما عليه الكفرة من الشرك والعصيان مع ظهور دلائل وحدانيته وعلو شأنه وكبريائه وسبوغ آلائه ونعمائه فقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اى لم ينزل لجواز عبادته حجة سماوية ولا علما حاصلا لهم بضرورة عقولهم او بالاستدلال فلا حجة لهم

(فلا ينازعنك) سائر ارباب الملل (فى الامر) فى امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحجة (فقل الله اعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب (يوم القيامة) كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ او الحكم بينكم (على الله يسير) لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) حجة تدل على جواز عبادته (وما ليس لهم به علم) حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله (وما للظالمين) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم (من نصير) يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ من القرآن ﴿ بينات ﴾ واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية ﴿ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى للجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او مايقصدونه من الشر ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ يثبون ويبطشون بهم ﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ماتلوا عليكم ﴿ النار ﴾ اى هو النار كأنه جواب سائل قال ماهو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ﴿ وعدها الله الذين كفروا ﴾ وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها ﴿ وبئس المصير ﴾ النار ﴿ يا ايها الناس ضرب مثل ﴾ بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اى مثل في استحقاق العبادة ﴿ فاستمعوا له ﴾ لمثل او لبيانه استماع تدبر وتفكر ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة مابين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ بجوابه المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين ﴿ وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ﴾ جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاد مااختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ عابد الصنم ومعبوده

اذا في عبادتها اصلا وانما يعبدونها عن محض الجهل ثم وبخهم بانهم مع جهلهم المفرط اذا تليت عليهم الآيات البينات الدالة على المنهج القويم والصراط المستقيم تعرف في وجوههم المنكر اى اثر الانكار لماتلى عليهم او الامر المنكر اى مايدل عليه وهو قصد الشر بمن تلا عليهم تلك الآيات وقوله تعالى يكادون يسطون حال اما من المضاف اليه وهو الموصول وجاز انتصاب الحال منه لكون المضاف جزأه واما من المضاف وهو الوجوه بناء على ان المراد اصحابها كما في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وضمن يسطون معنى يبطشون فعدى تعديته والا فهو متعد بعلى يقال سطا عليه واشار الى هذا بقوله ويبطشون بهم واما قوله يثبون فهو تفسير لاصل معناه فان السطو معناه الوثوب والحمل والمعنى واذا تتلى عليهم آياتنا تعرف في وجوههم ذلك في حال كونهم يقربون من ان يثبوا ويبطشوا بالذين تلوا عليهم القرآن وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم من شدة الغيظ على التالين الذى يلحقهم بسبب سماعه فأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ان يقابلهم بالوعيد فقال قل لهم أفأنبئكم الآية ﴿ قوله ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله ﴾ فهذه الجملة الاسمية لا محل لها لكونها مفسرة للجملة المتقدمة كأنه قيل ماشر من ذلكم فقيل النار وعدها الله وان قرئ النار مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف او منصوبا بتقدير اعنى او مجرورا على انه بدل من بشر تكون جملة وعدها الله مستأنفة لا محل لها ويجوز ان تكون حالا من النار على تقدير كونه منصوبا او مجرورا لا على تقدير كونه مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف لانه ليس في جملة هو النار مايصح ان يعمل في الحال بخلاف ما اذا كان منصوبا او مجرورا قال ابو البقاء قوله تعالى النار يقرأ بالرفع وفيه وجهان احدهما انه مبتدأ ووعدها الخبر والثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو النار ووعدها على هذا مستأنف اذ ليس في الجملة مايصح ان يعمل في الحال واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى هذا بقوله او حالا منها فانه معطوف على قوله استئنافا وقد فرع احتمال كونها مستأنفة على قراءة النصب والجر فيكون احتمال الحالية ايضا متفرعا عليهما ﴿ قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل ﴾ متصل بقوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا بين اولا انهم يعبدون من دون الله مالم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا الجأهم اليه علم ضرورى ولا حملهم عليه دليل عقلى ثم ذكر بهذه الآية مايدل على بطلان مذهبهم وفساد عقلهم وصلهم وقولهم وعبر عن دعواهم بان الله تعالى شريكا بالمثل تشبيها لها بالمثل السائر في الغرابة فان لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر واستعارة في الحال المستغربة والقصة العجيبة بادعاء المشركين ليليق اليهم حاله غريبة او قصة رائعة متلقاة بالاستحسان والقبول وهى انهم اتخذوا الهة مخلوق الله تعالى وادعوا شريكه في الالوهية واستحقاق العبادة جل عن ذلك وتعالى وعبر عن هذه الحالة الغريبة بلفظ الماضى وهو ضرب المستدعى لتحقق الضرب والبيان فيما مضى مع انه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء بناء على ان ماورد من تلك الحالة الغريبة غاية وضوحها بمنزلة امر تقدم بيانه ثم انه تعالى بين ما اجمله والعمه بقوله ضرب مثل بان قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله الآية ولاشك ان اتخاذ من لا يقدر على خلق احقر خلق الله قدرا ويجعلونها معبودا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر واقرب منها انه لا يقوى على مقاومة هذا المخلوق الاحقر الادنى ويعجز عن ذبه عن نفسه ﴿ قوله او جعل لله مثل ﴾ روى ان الاخفش قال ان قيل فأين المثل الذى ذكره الله تعالى في قوله ضرب مثل قيل ليس ههنا مثل يضرب من الامثال وانما معناه شبه بى الاوثان وجعلت لى امثالا وشركاء ولا يخفى ان القول بان ضرب بمعنى جعل لا يخلو عن بعد ﴿ قوله لا يقدرون على خلقه ﴾ تصوير لمعنى تأكيد النفى المستفاد من كلمة لن لان نفى القدرة على الفعل آكد من نفى نفس الفعل لكون نفيها نفيا للفعل بدليل بخلاف نفى اصل الفعل فانه نفى مجرد ﴿ قوله لان لن بما فيها من تأكيد النفى ﴾ علة لتصوير معنى تأكيد النفى لنفى القدرة على الخلق فان تحقق المنافاة بين المنفى والمنفى عنه انما يكون بعدم القدرة على الفعل المنفى ﴿ قوله وجمعه اذبة وذبان ﴾ يعنى ان الذباب اسم جنس وجمعه القليل اذبة ويجمع في الكثرة على ذبان بكسر الذال وضمها والمذبة مايطرد بها الذباب ﴿ قوله بجوابه المقدر في موضع حال ﴾ قد تقرر ان الواو في مثل هذا التركيب عاطفة لهذه الجملة الحالية على حال محذوفة اى انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو كانت فيهم هذه الحالة المقتضية لخلقه لخلقوه وكأنه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على حقارتها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وشريكا لخالق السموات والارض ﴿ قوله عابد الصنم ومعبوده ﴾ فان عابده يطلب منه

او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب او الصنم والذباب كانه يطالبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات (ماقدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها (عزيز) لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي (ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك (ان الله سميع بصير) مدرك للاشياء كلها (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) عالم بواقعها ومتوقعها (والى الله ترجع الامور) واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها (وجاهدوا في الله) اى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعي اليه وفي قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد

بعبادته اياه ان ينفعه ويشفع له فالطالب هو العابد والمطلوب هو الثواب والنفع والمطلوب منه هو الصنم الا انه اطلق المطلوب على الصنم على طريق الحذف والايصال ﴿قوله او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب﴾ فعلى هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب المسلوب والمطلوب منه هو الصنم واطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والايصال ايضا ﴿قوله او الصنم والذباب﴾ فعلى هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه هو الذباب الا انه سمى مطلوبا على طريق الحذف ايضا والايصال ﴿قوله تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم﴾ هو علة لقوله يبين ان له عبادا مصطفين يختار من بينهم رسلا للنبوة فاصطفاؤه بعض الناس للرسالة ليس بامر غريب طريق من عبد غير الله تعالى من الملائكة بقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا بعد ما ابطل قول من عبد الاوثان في الآية المتقدمة فالمقصود من هذه الآية ابطال قول عبدة الملائكة وبيان ان علو درجتهم ليس من حيث كونهم آلهة يستحقون العبادة بل من حيث انهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم السلام قيل ويحتمل ان يكون المراد باصطفاء الملائكة انه تعالى يختار من الملائكة رسلا الى الملائكة في بعض ما كلفهم به من انواع العبادات والطاعات فيبعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك كما اختار من الانس رسلا اليهم يبعثهم فيما كلفهم به وفي الآية الشريفة دلالة على انه تعالى انما اصطفاهم للرسالة لا لشيء يستوجبون به ذلك ولكن كان ذلك تفضلا منه وانعاما لهم حيث قال تعالى يصطفى لا كما قالت المعتزلة من انه تعالى لا يختار للرسالة الا من كان فيه ما يستحق به ذلك وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم اى من امر الدنيا وما خلفهم اى من امر الآخرة اشارة الى العلم التام وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية ثم انه تعالى لما قدم ذكر ما يتعلق بالالهيات ثم ذكر ما يتعلق بالثواب اتبعه بذكر ما يتعلق بالشرائع والاحكام وكلفهم اولا بما هو اجل العبادات وهو الصلاة او الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان الناس كانوا في اول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ثم كلفهم بما يتناول الصلاة وغيرها من انواع العبادات التي يقصد بها التعظيم لامر الله فقال تعالى واعبدوا ربكم ثم كلفهم بما يتناول خدمة المعبود وتعظيم امره ويتناول الاحسان الى خلقه الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى من افعال الخير كصلة الرحم ومكارم الاخلاق فكأنه تعالى قال كلفتكم بالصلاة ثم كلفتكم بما هو اعم منها وهو العبادة ثم كلفتكم بما هو اعم منها وهو الخيرات والفلاح الظفر بنعيم الآخرة وذكره الله تعالى بكلمة الترجي لان الانسان قلما يخلو في اداء ما كلف به من التقصير فليس هو على تيقن في خروجه من عهدة ما كلف به حتى يتيقن بترتيب الثواب الموعود لى اتى به ثم كلفهم وابتلاهم بان يجاهدوا في الله حق الجهاد اى جهادا فيه ولاجله وانتصابه على المصدر فحذفت كلمة في واضيفت كلمة الجهاد الى الضمير على طريق الاتساع كما في قوله • ويوم شهدناه سليما • من حيث ان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة واختصاص وقد تحقق كونه حقا باستغراق الطاقة فيه • واصل المعنى جاهدوا في الله تعالى من اجله جهادا حقا وتوصيف الجهاد بالحق يفيد ان هناك جهادا واجبا والمطلوب منهم الاتيان بذلك فاذا عكس واضيف الصفة الى الموصوف بعد اضافته الى الله تعالى افاد اثبات جهاد مختص بالله تعالى وان المطلوب القيام بواجبه وشرائطه على وجه التمام والكمال بقدر الوسع والطاقة وهو معنى قوله واضيف الحق الى الجهاد مبالغة فانه تضاف الصفة الى الموصوف لتدل على ان المراد به ما هو الكامل في شأنه ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ يعني ان قوله تعالى هو اجتباكم استئناف لبيان علة الامر بالجهاد فان نصرة الدين انما تكون بجهاد اعدائه ﴿قوله في اغفال بعض ما امرهم به﴾ اى في تركه مع ذكره كما يترك المسافر الصوم في السفر ويترك اتمام الاربع بالقصر ويترك المتوضئ غسل رجليه ويمسح على الخفين ومن لم يستطع ان يصلي قائما يترك القيام فيها ويصلي قاعدا ومن لم يستطع ذلك يصلي مومئا وعن عمر رضي الله عنه انه قال من جاءته رخصة فرغب عنها كلفه الله يوم القيامة ان يحمل مثل ثبير حتى يقضي بين الناس وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله تعالى ايسرهما • وقيل معنى قوله تعالى ما كان عليكم في الدين من حرج ما جعل الله عليكم من حرج اذ المؤمن لا يبتلى من الذنوب بشيء الا جعل الله تعالى له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم وبالقصاص وارش الجناية والديات وبعضها بالكفارات وليس في دين الاسلام ذنب الا ويجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من العذاب منه

(ملة ابيكم ابراهيم) منصوبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن في الكتب المتقدمة (وفي هذا) وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بانواع الفضل والشرف (واعتصموا بالله) وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه (هو مولاكم) ناصركم ومتولي اموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه في الحقيقة ❊ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

﴿ سورة المؤمنين مكية وهي مائة ﴾
﴿ وتسع عشرة آية عند البصريين ﴾
﴿ وثماني عشرة عند الكوفيين ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد افلح المؤمنون) قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول (الذين هم في صلاتهم خاشعون) خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم

﴿ قوله بفعل دل عليه مضمون ما قبلها ﴾ فان نفي الحرج وهو حال الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل دل عليه مضمون قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج لكن لا بد من تقدير المضاف ويجوز ان يكون منصوبا على الاغراء اي الزموا ملة ابيكم واتبعوها ﴿ قوله كان بسبب تسميته من قبل ﴾ اي لما كان تسمية الله تعالى هذه الامة مسلمين بسبب انه تعالى استجاب دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وجعلها هذه الامة صار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه سببا لتسميتهم بذلك في القرآن كأنه سماهم مسلمين في القرآن ﴿ قوله شهيدا عليكم بانه بلغكم ﴾ الظاهر انه ليس المراد بشهادته انه عليه الصلاة والسلام يشهد على المكذبين من امته بانه بلغهم لان الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا ولقوله تعالى سماكم المسلمين بل المراد بكونه شهيدا عليكم انه بلغكم تبليغا يترتب عليه تصديقكم اياه وقبولكم ما جاء به ليظهر به اسلامكم وعدالتكم بحيث يقبل الله شهادتكم على منكري تبليغ المرسلين رسالتهم الا ان هذه الشهادة في الحقيقة تعديل منه وتزكية لهم وليست شهادة لنفسه حتى يرد ان يقال شهادته عليه الصلاة والسلام على امته بانه بلغهم شهادة لنفسه فكيف تقبل فاجاب بانها تقبل لكونه معصوما ويمكن ان يقال تعديله عليه الصلاة والسلام لامته لما توقف على تبليغه اياهم ولم يثبت ذلك الا بشهادته كان ذلك التعديل في الحقيقة شهادة لنفسه ومع ذلك قبلت لعصمته ولما كانت شهادته عليه الصلاة والسلام في حق امته المؤمنين بمعنى التعديل كان الظاهر ان يقال شهيدا لكم بدل عليكم الا انه لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على امته عديت بكلمة على فانها قد تستعمل بمعنى اللام كما في قوله تعالى وما ذبح على النصب وقال المصنف رحمه الله تعالى عليه في سورة البقرة روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم واقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم ﴿ قوله لما خصكم ﴾ اي الله بهذا الفضل والشرف اشارة الى ان تفريع قوله تعالى فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة بالفاء على قوله تعالى هو اجتباكم وقوله تعالى هو سماكم المسلمين يشعر بعلية ما ذكر سابقا لوجوب التقرب اليه تعالى عليهم بانواع العبادات وان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكون الاولى اشرف الاعمال البدنية والثانية اشرف الاعمال المالية ❊ تم ما يتعلق بسورة الحج والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين وهي مكية

﴿ سورة المؤمنين مائة وثماني عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله وقد تثبت المتوقع ﴾ كلمة قد سواء دخلت على الماضي او المضارع تفيد التحقيق ويضاف اليه كونه متوقعا لمخاطبه واذا دخلت على الماضي يضاف الى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو قد ركب الامير لمن يتوقع ركوبه اي حقا قد حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الامير واذا دخلت على المضارع يضاف اليهما في الاغلب معنى التقليل نحو ان الكذوب قد يصدق اي حقا قد يقع منه الصدق وان كان قليلا وقال البغوي رحمه الله تعالى عليه قد حرف تأكيد وقال المحققون قد تقرب الماضي من الحال فدل على ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه في الحال وهو معنى قول المصنف رحمه الله تعالى عليه وتدل على ثباته اي على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو الدليل على انها تقريب الماضي من الحال ﴿ قوله على لغة اكلوني البراغيث ﴾ اي على ان يكون الواو حرفا دالا على ان الفاعل جمع كما ان تاء فعلت دالة على انه مؤنث وليست ضمير الفاعل او على ان يكون ضميرا مبهما يفسره المؤمنون ﴿ قوله وافلح ﴾ اي بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو ﴿ قوله وافلح على البناء للمفعول ﴾ يعني بمعنى ادخلوا في الفلاح فيكون من افلح متعديا يقال افلحه اي اصاره الى الفلاح فيستعمل افلح لازما ومتعديا ❊ واعلم انه تعالى اشار الى ان الفلاح الحقيقي لا يحصل بمطلق الايمان بل انما يحصل بالايمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط التي هي مذكورة في هذه الآية منها كون العبد مؤديا للصلاة حال كونه ملابسا للخشوع والخضوع واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من

جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاولى والخاشع فى صلاته لابد
ان يحصل له مما يتعلق بالقلب والقالب وجميع مايدل على ظاهره وباطنه نهاية الخضوع والتذلل للمعبود اما
خشوع الظاهر والقالب فما يكون بالرأس تنكيسه ومايكون بالعين تعاميه عن الالتفات ومايكون بالاذن تذلله
للاستماع ومايكون باللسان القراءة بالحضور ومايكون باليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد ومايكون
بالظهر انحناؤه فى الركوع مستويا ومايكون بالفرج لايظهر فيه اثر من آثار الخواطر الشهوانية ومايكون بالقدمين
ثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة التى لاتكون من افعال الصلاة واما خشوع الباطن فخشوع النفس
بسكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الخضوع وخشوع السر بمراقبة
المذكور وترك الخطاب الى المكونات وخشوع الروح باستغراقه فى بحر المحبة وفنائه عند تجلى الجمال والجلال
قال الامام رحمه الله تعالى عليه فان قيل هل ذلك واجب فى الصلاة قلنا انه واجب عندنا ويدل عليه امور احدها
قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها والتدبر لايتصور بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى ورتل
القرآن ترتيلا معناه والله تبارك وتعالى اعلم قفوا على عجائبه ومعانيه وثانيها قوله واقم الصلاة لذكرى
ظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة بذكره تعالى وثالثها
قوله تعالى ولاتكن من الغافلين ظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ماتقولون تعليل لنهى السكران عن قربان
الصلاة وهو مطرد فى الغافل المستغرق المهتم بالدنيا ورابعها قوله صلى الله عليه وسلم « انما الصلاة تمسكن
وتواضع » فكلمة انما للحصر وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله تعالى
الا بعدا » وصلاة الغافل لاتمنع عن الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من قيامه التعب
والنصب » وما اراد به الا الغافل « وقيل اجمعت العلماء رضى الله تعالى عنهم على انه ليس للعبد من صلاته الا ماعقل
منها روى انه صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد ليصلى الصلاة لايكتب له سدسها ولاعشرها وانما يكتب للعبد
من صلاته ماعقل منها » يعنى لايقبل من صلاته الا ماعقل منها والصلاة وان لم تقبل التجرى جوازا وصحة الا انها
تقبل التجزى قبولا وبين الامرين فرق وعن بشر الحافى انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن رضى
الله عنه كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه من
عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له قال الغزالى المصلى يناجى ربه كما ورد به الخبر
والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة لانها لاتتحقق الا اذا كان اللسان معبرا عما فى القلب من التضرعات ولاشك ان
المقصود من القرآن والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء خطاب والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان القلب
محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله تعالى وكبريائه ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فانه بعيد
عن القبول وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس الا التعظيم تعالى والامتثال لامره تعالى وايقاع هذه
الافعال لقصد التعظيم والامتثال لايمكن مع غفلة القلب عن المعبود والمقصود تعظيمه ولو جاز ان تكون
هذه الاعمال تعظيما لله تعالى مع ان القلب غافل عنه لجاز ان تكون تعظيما لصنم بجنبه وهو غافل عنه ومما يدل
على ان الصلاة لابد فيها من الخشوع والحضور ان الفقهاء اختلفوا فى انه ينوى المصلى بالسلام عند الجماعة
والانفراد هل ينوى الحضور او الغيب والحضور معا فاذا احتيج الى التدبر فى معنى السلام الذى هو آخر الصلاة
احتيج الى التدبر فى معنى التكبير والتسبيح والقراءة الواقعة فى اثناء الصلاة ثم قال الحضور عندنا ليس شرط
الاجزاء بل هو شرط القبول والمراد من الاجزاء ان لايجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب والفقهاء
انما يبحثون عن حكم الاجزاء لاعن حكم الثواب وغرضنا فى هذا المقام هذا ثم قال هب ان الفقهاء حكموا
بالاجزاء بجوازه أليس الاصوليون واهل الورع ضيقوا فيه الامر فهلا اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار
الامامة فقيل له فى ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبنى الشافعى رحمة الله تعالى عليه وان قرأتها مع الامام
يعاتبنى ابو حنيفة رضى الله عنه فاخترت الامامة طالبا للخلاص من هذا الاختلاف ﴿ قوله والزكاة تقع على
المعنى والعين ﴾ اى تقع على معنى التزكية والعين اى القدر الذى يخرجه صاحب النصاب منه ويدفعه الى الفقير
فان اريد بها العين فى الآية الشريفة فلابد من تقدير المضاف اى والذين هم لاداء الزكاة فاعلون واللام فى قوله
للزكاة مزيدة فى المعمول لتقدمه على عامله ولكون العامل فرعا ﴿ قوله لايبذلونها ﴾ يعنى ان قوله حافظون

روى انه عليه السلام كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) عما لايعنيهم من قول وفعل (معرضون) لمابهم من الجد مايشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لايلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله (والذين هم للزكاة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ماتوجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه او الثانى على تقدير مضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) لايبذلونها

(الاعلى ازواجهم او ما ملكت ايمانهم) زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة حافظين من قولك احفظ على عنان فرسي او حال

اى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج او التسرى او لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا (فانهم غير ملومين) الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك (فمن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فاولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق (راعون) قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها فى الاصل مصدر (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها (اولئك) الجامعون لهذه الصفات (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوارثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها خالدون) انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون من ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين

وان كان اثباتا صورة الا انه فى معنى النفى لان الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه اى لا يبذلهما فيما لا يعنيه والمعنى والذين هم لفروجهم لا يبذلون الا على ازواجهم وانما احتيج الى اعتبار تضمين معنى النفى على تقدير ان تكون على صلة حافظين لان قوله تعالى الا على ازواجهم استثناء مفرغ وهنا لا يكون الا بعد النفى او ما فى معناه وفعل الحفظ يتعدى بعلى باعتبار تضمينه معنى الامساك والقصر فان كلا منهما يتعدى بعلى قال الله تعالى أمسك عليك زوجك ويقال احفظ على عنان فرسى بتضمينه معنى أمسك ولولا اعتبار التضمين لما تعدى بعلى فكون كلمة على صلة حافظون يتوقف على اعتبار التضمين وجواز الاستثناء المفرغ فى الاثبات يتوقف على كونه فى معنى النفى ﴿ قوله او سرياتهم ﴾ جمع سرية بضم السين وتشديد الراء والياء جيء بها فعلية من السر وهو الجماع وهى جارية بوأها المولى للتناسل والتسرى وطء الجارية سرا اى وطأ مستمرا والاصل التسرر قلبت الراء الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى ﴿ قوله وانما قال ما ﴾ اى ولم يقل او من ملكت مع ان الاماء عقلاء اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن وضعفهن وامتهانهن فى الاعمال الخسيسة كسائر الحيوانات والبهائم ومن ابتغى اى طلب سوى الزوجات والسرارى فاولئك هم الكاملون فى العدوان حيث لم يقتنعوا بما وسع الله تعالى عليهم من تزوج الاربع من الحرائر والتسرى بما شاء من الجوارى والعدوان الظلم او مجاوزة ما حده الله تعالى وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء رضى الله تعالى عنهم قال عطاء سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هؤلاء وروى انه تعالى عذب امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿ قوله لما يؤتمنون عليه ﴾ فان الامانة والعهد مصدران فى الاصل ثم سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا تسمية بالمصدر قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى الاعيان لا المعانى والمؤتمن عليه لا الامانة نفسها ﴿ قوله جمعه غير حمزة والكسائى ﴾ فانهما قرآ على صلاتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع قالوا وحدت اولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة اى صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والنوافل المروية ﴿ قوله الجامعون لهذه الصفات ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وما بعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع وحدة الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينها والحصر المستفاد من قوله تعالى فاولئك هم الوارثون من قبيل حصر الكمال واشار اليه بقوله الاحقاء بان يسموا وراثا والوارث هو الباقى بعد فناء المورث والقائم مقامه فى الاستعداد بما يستحقه مورثه فالجامعون لهذه العبارات والاوصاف المذكورة من حيث بقاؤهم بعد فناء اعمالهم التى هى من قبيل الاعراض بمنزلة لورثات الدفين بعد فناء مورثهم من حيث ان تلك الاعمال اورثتهم ما وعدهم الله تعالى بازائها من الثواب الجزيل ﴿ قوله وقيل انهم يرثون من الكفار ﴾ روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منكم من احد الا له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله » وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « خلق الله تعالى ثلاثة اشياء خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى وجلالى لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث » قالوا يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث قال صلى الله عليه وسلم « هو الذى يقر السوء لاهله » ﴿ قوله من خلاصة ﴾ يعنى ان السلالة ما سل من الشئ اى نزع واستخرج على وجه الخفية والتخليص من كدره قال صاحب الديوان فعالة اسم لما يبقى بعد المصدر فالسلالة ما يبقى بعد السل كالفضالة والبراية اسم لما يبقى بعد الفضل والبرى وفيها دلالة على القلة فاذا قبضت على الطين بكفك فخرج من بين اصابعك صفوه وخالصه فهى سلالة وقال ابو عبيدة السلالة الخالص من كل شئ وقيل سمى التراب الذى خلق منه آدم سلالة لانه سل من كل تربة وسمى الولد سلالة لان اصله وهو الماء سل من تحت كل شعرة فقول صاحب الديوان رضى الله تعالى عنه مخالف لقول غيره واختار المصنف قول غيره رحمة الله تعالى عليهم ومن الاولى ابتدائية متعلقة بخلقنا والثانية تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تكون الثانية لبيان الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان على تقدير ان تكون السلالة هو الطين ﴿ قوله او بمعنى سلالة ﴾ عطف على قوله بمحذوف اى او من الثانية متعلقة بمعنى السلالة اى من صفوة مسلولة من طين فتكون ابتدائية كالاولى واختلف اهل التفسير فى الانسان فقال ابن عباس وعكرمة

(وقتادة)

وقتادة رضي الله تعالى عنهم المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه خلق من طين انسل من كل تربة وخلقت ذريته من ماء مهين فقوله تعالى ثم جعلناه مبني على حذف المضاف اى ثم جعلنا نسله ويحتمل ان يكون ضمير جعلناه للانسان الذي هو آدم على طريق الاستخدام فان لفظ الانسان اسم شامل لآدم عليه الصلاة والسلام ولاولاده فيراد بالانسان نفس آدم وبضميره ولد آدم ومثله يسمى استخداما في عرف اهل البديع ﴿ قوله او الجنس فانهم خلقوا من سلالات ﴾ اى من صفوات مسلولة من الماء والطين وهي الاغذية النباتية التي سل منها لحم والانسان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ وهو اشارة الى ما ذكره الامام بقوله الانسان انما يتولد من النطفة وهي انما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفوة الارض والماء فان الانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا قال وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى التكليفات ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى امر بالعبادات في الآية المتقدمة ومن المعلوم ان الاشتغال بعبادة الله تعالى لا يصح الا بعد معرفته تعالى فعقبه بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية وذكر من الدلائل انواعا النوع الاول تقلب الانسان في اطوار الخلقة وهي تسعة اطوار اولها كونه سلالة من طين وآخرها ما ذكره الله تعالى بقوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون وهذه الجملة اعني قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان جواب قسم محذوف اى والله لقد خلقنا الانسان ﴿ قوله بان خلقناه منها ﴾ لما كان جعل الانسان نطفة غير معقول اذ المعقول ان تجعل النطفة انسانا لم يحمل قوله تعالى جعلناه على معنى صيرناه بل حمله على معنى خلقناه وجعل انتصاب نطفة بنزع الخافض ﴿ قوله او ثم جعلنا السلالة نطفة ﴾ اى ثم صيرنا الاغذية المسلولة من الطين نطفة وقوله تعالى في قرار متعلق بمحذوف على انه صفة النطفة ويجوز ان يتعلق بجعلنا على ان يكون المراد بالقرار صلب الرجل ويكون ضمير جعلناه للسلالة ويكون الجعل بمعنى التصيير فان جنس الانسان يخلق من المسلول من طين وذلك المسلول لا يصير نطفة في الصلب الا بعد زمان والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر الذي اريد به الرحم سمي بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة للمستقر فيه لاحد سببين اما على المجاز كطريق سائر وانما السائر من فيه واما لمكانتها في نفسها لانها تمكنت في نفسها وجعلت مكينة حصينة محكمة محفوظة وضمن خلق في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة وما بعده معنى جعل بمعنى التصيير فعدى الى اثنين كما ضمن جعل معنى خلق فعدى الى واحد نحو قوله تعالى جعل الظلمات والنور ﴿ قوله لتفاوت الاستحالات ﴾ فان خلق نسل آدم من النطفة متراخ رتبة وزمانا عن خلق نفسه من سلالة من طين وكذا تصيير السلالة متراخ رتبة عن خلق الانسان من تلك السلالة وكذا الحال في تحويل النطفة علقة بالنسبة الى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف الصيرورات الباقية فانها امور متعاقبة ﴿ قوله والجمع ﴾ اى وجمع العظام في الموضعين وهو قراءة العامة مع ان لفظ العظم لكونه اسم جنس يغني عن الجمع لدلالته على ما بين افرادها من الاختلاف في الهيئة والصلابة ﴿ قوله تعالى احسن الخالقين ﴾ نعت للجلالة ويجوز ان يكون بدلا من لفظ الجلالة والاول اولى لان البدل بالمشتق قليل ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو أحسن والاصل عدم الحذف ومنع ابو البقاء كونه صفة قال لانه نكرة ان اضيف الى المعرفة لان المضاف اليه عوض من كلمة من وهكذا جميع باب افعل من وهذا المنع مبني على احد القولين في افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة اولا والصحيح الاول قالت المعتزلة لولا ان يكون غير الله تعالى قد يكون خالقا لما جاز القول بانه احسن الخالقين كما انه لو لم يكن في عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال في حقه انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين والمصنف رحمه الله تعالى عليه اشار الى جوابهم بتفسير الخالقين بالمقدرين فان الخلق هو التقدير قال زهير

● ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ●

اى ولأنت تقدر امرا فتمضيه وبعض القوم يقدر ولا يمضي والآية انما تكون حجة للمعتزلة اذا كان التقدير مستلزما للايجاد وليس كذلك والمعنى احسنهم خلقا وتقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المصير الى الموت امرا ثابتا لا محالة ذكر النعت الذي هو الثبوت وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ما هو للحدوث وهو اسم الفاعل وهذه الاطوار التي يتقلب الانسان فيها لا يقدر عليها غيره تعالى فهي دليل على وجوده وكمال قدرته

او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد الطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله فحذف المضاف (نطفة) بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء (في قرار مكين) مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقة) بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بان صلبناها (فكسونا العظام لحما) مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر (ثم انشأناه خلقا آخر) هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه في قدرته وحكمته (احسن الخالقين) المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) للمحاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه اولانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات اوعن جميع المخلوقات (غافلين)

مهملين امرها بل نحفظها من الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ماقدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة (وانزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فأسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا (في الارض وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل واعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزروعها (تأكلون) تغديا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير ان للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) اي تنبت ملتبسة بالدهن ومستصحبة له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل *

او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ

وعلمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقه السموات بقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرآئق اي سبع طبقات متطارق بعضها فوق بعض ﴿قوله مهملين امرها﴾ اشارة الى ان المراد بالخلق السموات السبع واللام فيه للعهد وانه بمعنى المخلوق بين الله تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعدما بين قدرته بخلق نفسها كأنه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عما تحدث وما تجري فيها او من حفظها وامساكها ان تقع عليكم غافلين ويحتمل ان يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة في خلقها كأنه قيل انا خلقناها فوقهم لنفتح لهم ابواب الرزق والبركات عليهم منها وينتفعوا بمنافعها فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم ثم انه تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية تأثيره في النبات فقال تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر اي انزلناه بتقدير يكثر نفع ذلك التقدير ويقل ضرره فقوله بقدر صفة مصدر محذوف واما ان كان القدر بمعنى المقدار فحينئذ يكون صفة لقوله ماء والتقدير لايقتضي مقيسا عليه بخلاف المقدار فلذلك اضاف المقدار الى المقيس عليه ولم يضف التقدير اليه واختلف المفسرون رحمهم الله تعالى عليهم في ان المراد بالسماء ماهو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بها المظلة الخضراء وان مياه الارض كلها نازلة منها وجعل الله تعالى منابع الارض متصلة بمنابع السماء مع بعد مابينهما وبين ذلك من منشئهما ومدبرهما واخذ عالم بدائه وذهب الآخرون الى ان المراد بها السحاب وسماه سماء لسموه وارتفاعه والمعنى انه تعالى اصعد الاجزاء المائية من البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية ثم انزل تلك المياه لتفرقتها في قعر الارض والله تبارك وتعالى اعلم بحقيقة الحال ثم انه تعالى امتن علينا بابقاء الماء الذي هو قوام مصالح الدنيا والدين قال تعالى وانا على ذهاب به اي بالماء لقادرون وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ورفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد فقد اهلها خيري الدنيا والدين هو اعلم ان الماء نعمة في نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخرى فلاجرم امتن الله تعالى اولا بانزاله وابقائه ثم ذكر ما يحصل به من النعم فقال تعالى فانشأنا لكم به جنات الآية ﴿قوله او ترزقون﴾ تفسير ثان لقوله تعالى تأكلون فان الاكل حقيقة في ابتلاع المطعوم والتغذي به ويطلق ايضا على تحصيل ما يتمتع به الانسان في تعيشه من المأكل والملبس ونحوهما مجازا مرسلا بطريق التعبير عن الشيء باسم معظم ما يقصد منه ﴿قوله ومنع صرفه﴾ اي منع صرف سيناء بكسر السين والمد وهي قرآءة نافع وابن كثير وابي عمرو بخلاف عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر ويعقوب فانهم قرأوا سيناء بفتح السين والمد والاعمش بالكسر والقصر وليس في كلامهم فعلاء بكسر الاول وهمزته للتأنيث بل هي للالحاق كحرباء وقرطاس كما في علباء فتكون الهمزة فيها منقلبة عن ياء او واو لان الالحاق لايكون الا بهما ولما وقع حرف العلة متطرفا بعد الف زآئدة قلب همزة كما في رداء وكساء ﴿قوله اي تنبت ملتبسة بالدهن﴾ اي وفيها الدهن على ان يكون بالدهن حالا من فاعل تنبت ويجوز كونه مفعولا به غير صريح لتنبت ومن قرأ تنبت بضم التاء وكسر الباء جعل انبت بمعنى نبت كما في بيت زهير

* رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل *

قوله رأيت على لفظ الخطاب والقطين الخدم والاتباع جمع قاطن اي رأيت الفقرآء والمساكين مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوآئجهم حتى اذا نبت البقل وظهر الخصب فحينئذ ينتجعون وينقلعون من حولها ويجوز ان يكون انبت متعديا حذف مفعوله اي تنبت زيتونها وفيه الزيت فقوله تعالى بالدهن على الوجهين في موضع الحال وفيه وجه ثالث لم يتعرض له المصنف رحمه الله تعالى عليه وهو ان تكون الباء فيه زآئدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ تنبت بالدهن بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من انبتها الله تعالى وبالدهن حال من المفعول القآئم مقام الفاعل اي ملتبسة بالدهن وفي حرف تثمر بالدهن وقرئ تخرج بالدهن مضارع

(وان لكم فى الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما فى بطونها) من الالبان اومن العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض اوللابتدآء (ولكم فيها منافع كثيرة) فى ظهورها واصوافها وشعورها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها مايحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البرّ قال ذوالرمة سفينة برّ تحت خدى زمامها فيكون الضمير فيها كالضمير فى وبعولتهن احق بردّهن (وعلى الفلك تحملون) فى البرّ والبحر (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ماعدّد عليهم من النعم المتلاحقة وماحاقهم من زوالها (مالكم من اله غيره) استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجرّ على اللفظ (أفلا تتقون) أفلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لاتحصونها (فقال الملأ) الاشراف (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) اى يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولوشاء الله) ان يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) رسلا (ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاوّلين) يعنون نوحا اى ماسمعنا به انه نبى أوماكلمهم به من الحث على عبادة الله ونفى الهغيره او من دعوى النبوّة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا فى فترة متطاولة (ان هو الارجل به جنة) اى جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق من جنونه (قال) بعدماآيس من ايمانهم (رب انصرنى) باهلاكهم او بانجاز ماوعدتهم من العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياى او بسببه (فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا) بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد (ووحينا) وامرنا وتعليمنا كيف تصنع (فاذا جاء امرنا) بالركوب او نزول العذاب (وفار التنور) روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل ممايلى باب كندة وقيل عين وردة بالشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر (من كل زوجين اثنين) من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد

يخرج وتخرج الدهن مضارع اخرج وتنبت بالدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح والصبغ والصباغ مايصبغ به اى يؤكل مع الادام صبغا لان الخبز يلوّن به ان غمس فيه ونحوهما لدبغ والدباغ لمايدبغ به ثم انه تعالى لما استدل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بانزال الماء واخراج انواع النبات به استدل عليه بأنواع الحيوانات ايضا فقال تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة ثم فصل مافيها من وجوه الاعتبار وذكر منها اربعة اوجه الاوّل قوله نسقيكم مما فى بطونها والمراد جميع وجوه الانتفاع بألبانها ووجه الاعتبار فيها أنها تجتمع فى الضروع وتتخلص من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوة وتصير غذاء فمن استدل بذلك على قدرته تعالى وحكمته تكون هذه النعمة فى حقه من النعم الدينية ومن انتفع به فى امر معاشه تكون فى حقه من النعم الدنيوية والثانى قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة والثالث قوله تعالى تأكلون افرد منفعة الاكل بالذكر لكونها انتفاعا مغايرا لما سبق من حيث كونها انتفاعا بأعيانها بعد ذبحها بخلاف المنافع السابقة فانها انتفاع بمنافعها الخارجة من ذواتها وهى حية باقية باعيانها ورابعها قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون

﴿قوله فيكون الضمير فيها كالضمير الخ﴾ اى على تقدير ان يراد بالضمير الابل خاصة يكون الضمير فيها كالضمير فى قوله تعالى وبعولتهن بعد قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء فى كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان ضمير بعولتهن يرجع الى بعض المطلقات وهو المطلقات طلاقا رجعيا فكذا الضمير عليها ان اريد به الابل خاصة ثم انه تعالى لمابين دلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة فى سائر السور الكريمة وابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام قيل الحكمة فى تكرير القصص ان فى كل قصة كرّرها ألفاظا وفوآئد ونكتا ماليس فى الاخرى وفى تكريرها تأكيد الحجة وتجديد العظة ارسله الله تعالى ليدعو الناس الى عبادة الله تعالى وحده فلما دعاهم الى ذلك ولم ينفع فيهم الدعاء واصرّوا على عبادة غيرالله حذرهم بقوله افلاتتقون لينصرفوا عماهم عليه ثم انه تعالى حكى عنهم خمس شبه الشبهة الاولى قوله تعالى حكاية عنهم ماهذا الابشر مثلكم يشاركم فيمابكم من الاوصاف ولوكان رسولا من الله تعالى لكان معظما عنده ومميزا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والمرتبة فلما لم يكن كذلك علمنا انه ليس برسول الا انه ادّعى الرسالة ليتفضل عليكم اى يطلب الفضل عليكم بدعوى الرسالة وليس كذلك وبناء التفعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة وهو يريد ان يتصف به كالتمفهد والتكرّم وبناء التفاعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة التى لايريد كونها فيه كالتعامى والتمارض والتجاهل والشبهة الثانية قوله تعالى حكاية عنهم ايضا ولوشاء الله لأنزل ملائكة لان انزالهم اشدّ افضاء الى المقصود بالنسبة الى ارسال البشر لان الملائكة لعلوّ شأنهم وشدّة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولايشكون فى رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى لم يرسل رسولا بشرا والشبهة الثالثة قوله تعالى حكاية عنهم ماسمعنا بهذا اى بنوح وبماتكلم به من الحث على عبادة الله تعالى او من دعوى الرسالة وهو يشير الى آبائنا الاوّلين فانهم كانوا لايعوّلون فى شئ من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى الآباء فلذلك لم يسلكوا الطريقة بالنظر ولم يعوّلوا الا على التقليد والشبهة الرابعة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا قولهم لعوامهم ان هو الارجل به جنة فانه عليه الصلاة والسلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فكان الرؤساء يقولون للعوام انه مجنون فكيف يجوز ان يكون رسولا والشبهة الخامسة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا فتربصوا به حتى حين لعله يفيق فيرجع عن قوله او يموت على جنونه فتستريح منه

﴿قوله بحفظنا﴾ يعنى ان لفظ الاعين استعير للحفظ تشبيها لحفظ الله تعالى اياه بجماعة الحفاظ يكلؤنه بعيونهم ويسمون اعينا لكون العين اعظم مايتوسلون به الى الحفظ فصاروا بذلك كأنهم عيون بانفسهم وكذا الجاسوس يسمى عينا لذلك

﴿قوله وقيل عين وردة﴾ اى قيل ان محل التنور الذى نبع منه الماء موضع بالشام يقال له عين وردة قال المصنف رحمه الله عليه فى سورة هود وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع فيها انتهى كلامه والمشهور ان ارض الجزيرة فى ناحية ديار بكر والله تبارك وتعالى اعلم

﴿قوله يقال سلك فيه﴾ اى دخله بنفسه وسلكه غيره ومنه الآية ويعرف بينهما بالمصدر يقال سلكه فيه سلكا وسلك فيه سلوكا قرأ العامة من كل زوجين اثنين بالاضافة وقرأ عاصم فى رواية حفص رحمهما الله تعالى بالتنوين فان قرئ بالاضافة يكون قوله اثنين مفعول اسلك اى اسلك فيها اثنين واسلك فيها ايضا اهلك فوجب ان يقدر مضاف آخر بين المضاف والمضاف اليه ويكون التقدير من كل امتى زوجين اذ لو لم يقدر هذا المضاف لم يستقم المعنى لانه لوحمل الكلام على ظاهره لزم ان يحمل الزوجان جميعا لان الكلام حينئذ بمنزلة

(واهلك) واهل بيتك او ومن آمن معك (الا من سبق عليه القول منهم) اى القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيئ بعلى لان السابق ضار كما جيئ باللام حيث كان نافعا فى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (انهم مغرقون) لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب انزلنى) فى السفينة او فى الارض (منزلا مباركا) يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال (وانت خير المنزلين) ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار (وان كنا لمبتلين) لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد او ثمود (فارسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم (ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره) تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (افلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح

ان قال احمل من كل زوجين زوجين واحمل من كل اثنين اثنين والاثنان المحمولان لا يكونان من اثنين بل هما كل نفس الاثنين فلا يستقيم المعنى الا بتقدير المضاف اذ يكون المعنى حينئذ احمل من كل صنف الذكر والانثى فردين من زوجين لئلا ينقطع نسل ذلك الصنف من الحيوان روى انه عليه الصلاة والسلام لم يحمل فى السفينة الا ما يلد ويبيض واما غير البق والذباب والدود فلم يحمل منها لانها انما تخرج من الطين ولا ينقطع نسلها ان لا تحمل ﴿قوله تعالى واهلك﴾ عطف على قوله اثنين على قراءة الاضافة وعلى قوله زوجين اثنين على قراءة التنوين والمراد باهله اهل بيته وهو امرأته وبنوه ونساؤهم واستثنى منه ابنه كنعان وامه واهله فانهم كانوا كافرين فقال الا من سبق عليه القول منهم قال تعالى فى سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ولم يذكر فى هذه الآية من آمن اكتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من اهل بيته فانه يدل على انه تعالى امر بادخال جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته وجوز المصنف رحمه الله تعالى عليه ان يكون المراد بقوله واهلك جميع من آمن به سواء اتصل به نسبا او لم يتصل فيكون قوله الا من سبق عليه القول استثناء منقطعا ولا يخلو عن بعد وقوله تعالى انهم مغرقون استئناف لبيان علة نهيه عليه الصلاة والسلام من الدعاء للذين ظلموا بالانجاء فانه تعالى لما حكم عليهم بالاغراق واخبر بذلك وجب ان ينهاه عنه اى عن دعاء الانجاء فى حق بعضهم لانه تعالى ان اجابه اليه فقد صير خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشأنه عليه الصلاة والسلام ﴿قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك﴾ اى اذا تمكنت فيها معتدلا متمكنا تمكن المستوى على الشئ فاحمد الله تعالى على نعمة الانجاء حمده الله تعالى بان استواءهم على السفينة سبب لنجاتهم من الغرق ولهلاك الظالمين الذين حرموا من الدخول فيها فامره بان يحمده على هذه النعمة ثم انه تعالى بعد ان امره بالحمد على النعمة المذكورة امره بان يدعو لنفسه بان يقول عند النزول فى السفينة او من السفينة الى الارض رب انزلنى منزلا مباركا والاحتمال الاول اظهر لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره فى السفينة فيكون هى المنزل دون غيرها ﴿قوله وقرئ منزلا﴾ اى بضم الميم وفتح الزاى وهى قراءة من عدا ابى بكر واما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الزاى وهو يحتمل ان يكون اسما لمكان النزول وان يكون مصدرا ميميا بمعنى النزول على اقامة مصدر الثلاثى مقام مصدر الرباعى كما فى قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا والمنزل بضم الميم ايضا يحتمل ان يكون اسم مكان الانزال وقوله تعالى وانت خير المنزلين ثناء على الله تعالى بعد دعائه وامره الله تعالى بان يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه لان ثناء المحتاج على الغنى الكريم يغنى عن السؤال ويقوم مقامه واذا شفع السؤال به يؤكده ويقويه ﴿قوله وانما افرده بالامر﴾ اى حيث قال تعالى فقل الحمد لله ولم يقل فقولوا مع انه المناسب لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لان معناه فاذا استويتم ﴿قوله اظهارا لفضله﴾ لان الامر خطاب من الآمر مع المأمور ولا شك ان كون العبد مخاطب الله تعالى خطاب الارشاد والتعليم غاية الشرف والفضل له ولا يليق به الا ملك مقرب او نبى مكرم فلذلك افرد نوح عليه الصلاة والسلام بالامر اظهاراً لفضله وايضا لما كان نبيا لهم واماما وكانوا اتباعا له داخلين فى حكمه كان قوله فى حكم قولهم ودعاؤه فى حكم دعائهم فكان افراده بالامر اشعارا بذلك من حيث كونه متولى امورهم وان ولايته محيطة بهم ﴿قوله وان هى المخففة﴾ اى من الثقيلة والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او مختبرين ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ليظهر من يعتبر ويتذكر ونظيره قوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿قوله هم عاد﴾ اى قوم هود ويشهد لهم مجيء قصة هود على اثر قصة نوح فى سورة الاعراف وهود والشعراء وما حكى الله تعالى عنه من قوله لقومه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم قوم صالح استدلالا بالصيحة من ذكر الصيحة التى ذكرت فى قصة ثمود دون قوم هود فانهم اهلكوا بالريح العقيم لقوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية ﴿قوله وانما جعل القرن موضع الارسال﴾ اشارة الى ان كلمة فى فى قوله تعالى فارسلنا فيهم رسولا ليست صلة للارسال لانه يتعدى بالى بل هى ظرفية وبيان ان القرن فى موضع الارسال قطع ارسلنا عن صلته وجعله مطلقا عن التعلق بالمرسل اليه على طريق تعدى الفعل بالمفعول به ثم عدى الفعل اليه فى مبالغة وجعل ظرفا للفعل كقوله تعالى واصلح لى فى ذريتى فان قوله ذريتى قطع عن كونه مفعولا به وذهب به الى كونه ظرفا للصلح اى اجعل ذريتى موضعا للصلاح وكذا قوله يجرح فى عراقيبها نصلى ﴿قوله لعله ذكر بالواو﴾ اى ذكر قول الملأ فى جواب هذا الرسول بالواو وذكر فى جواب نوح عليه الصلاة والسلام بالفاء لعل الوجه فيه

وحيث استؤنف به على تقدير سؤال (وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء مافيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (واترفناهم) ونعمناهم (في الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد

(ماهذا الا بشر مثلكم) في الصفة والحال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه (ولئن اطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم (انكم اذا لخاسرون) حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة من اللحوم والاعصاب (انكم مخرجون) من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول أكده لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المتقدم او فاعل الفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة (هيهات هيهات) بعد التصديق او الصحة (لما توعدون) او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء (ان هي الا حياتنا الدنيا) اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا بان تعيينها مغن عن التصريح بها كقوله

هي النفس ماحملتها تتحمل * ومعناه لا حياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي مابعدها نفي الجنس (نموت ونحيي) يموت بعضنا ويولد بعض (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ماهو (الا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله له او فيما يعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني) عليهم وانتقم لي منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياي (قال عما قليل) عن زمان قليل وما صلة لتأكيد معنى القلة او نكرة موصوفة (ليصبحن نادمين) على التكذيب اذا رأوا العذاب

ان كلام الملأ الثاني لم يتصل بكلام الرسول اى لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف عليه بفاء التعقيب بل اجتمع في الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف عليه بالواو للدلالة على اجتماعهما في الوجود ﴿ قوله وحيث استؤنف به ﴾ جواب عما يقال ذكر الله تعالى جواب قوم هود له في سورة الاعراف وفي سورة هود بغير واو وهو قوله قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وقوله قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وذكره هنا بالواو فأي فرق بينهما وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله وما خبرية ﴾ اى موصولة والعائد في قوله ماتشربون اما منصوب والتقدير تشربونه او مجرور اى تشربون منه ﴿ قوله او انكم مخرجون مبتدأ ﴾ مؤول بمصدر مرفوع على الابتداء والظرف المقدم خبره والجملة خبر انكم الاولى والتقدير أيعدكم انكم اخراجكم كائن ومستقر وقت موتكم ﴿ قوله او فاعل ﴾ عطف على قوله مبتدأ اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى انكم مخرجون مؤولا بمصدر مرفوع على انه فاعل فعل مقدر وذلك الفعل المقدر جواب اذا الشرطية واذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاولى والتقدير أيعدكم انكم اذا متم وقع اخراجكم فكلمة اذا على الوجهين الاولين ظرفية وعلى هذا الوجه شرطية ﴿ قوله ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا ﴾ والتقدير أيعدكم انكم اذا متم مخرجون وهذا المقدر هو العامل في الظرف وان الثانية وما في حيزها بدل من الاولى ﴿ قوله لا ان يكون الظرف ﴾ اى لا يجوز ان يكون خبر الاولى الظرف لان اسم الاولى جثة وظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة وانما يكون خبرا عن الحدث والاظهر هو الوجه الاول وهو ان يكون خبر ان الاولى هو مخرجون وهو العامل في اذا وكررت الثانية تأكيدا لما طال الفصل * فان قيل ما في حيز ان لا يعمل فيما قبله فكيف تقول ان عامل الظرف في الوجه الاول هو مخرجون * قلنا مخرجون ليس في حيز ان الثانية بل في حيز الاولى والثانية انما جيء بها لمحض التأكيد ولا يجوز ان يكون العامل في اذا متم لانه مضاف اليه فلا يعمل في المضاف ﴿ قوله بعد التصديق ﴾ يعني ان هيهات اسم لفعل لازم وهو بعد فلا بد له من فاعل مرفوع واشار المصنف رحمه الله عليه الى ان فاعله مضمر يتعلق به قوله لما توعدون اى هيهات الصحة والتصديق لما توعدون وكرر هيهات للتأكيد ﴿ قوله او بعد ما توعدون واللام ﴾ اى بيان المستبعد وهو بيان لحاصل المعنى لان ما توعدون المذكور لا يكون فاعل هيهات على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرا مفسرا بقوله ما توعدون كما في ربه رجلا ﴿ قوله وقيل هيهات بمعنى البعد ﴾ فان قيل اذا لم يكن هيهات اسم فعل وهو موقع بعد كيف يكون مبنيا على الفتح مع انه في الاصل اسم فعل وان استعمل ههنا بمعنى المصدر وهذا القدر كاف في بنائه وقيل الذي اوجب بناءه شبهه بالاصوات ﴿ قوله وقرئ بالفتح منونا للتنكير ﴾ والفرق بين المنون وغير المنون على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك صه وصه ومه ومه في ان تقديرهما في الاول اسكت السكوت والكف وفي الثاني اسكت سكوتا وكما روي عن الزجاج رضي الله تعالى عنه انه قال في تفسير هيهات البعد لما توعدون فمن لم ينون وبعد لما توعدون فمن نون نزل منزلة المصدر معرفا ومنكرا قيل هيهات بالفتح لفظ مفرد وتاؤها للتأنيث مثلها في ظلمة وغرفة ولذلك يقلبها الواقف هاء فيقول هيهاه والفها مقلوبة عن ياء لان اصلها هيهية كزلزلة واما المكسورة فجمع المفتوحة واصلها هيهيات حذفت اللام التي هي الياء الثانية والوقف عليها بالتاء كمسلمات وقيل من نون اعتقد تنكيرها وتصور معنى المصدر النكرة كأنه قيل بعدا بعدا ومن لم ينون اعتقد تعريفها وتصور معنى المصدر المعرفة كأنه قيل البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف ولا يوجد تنوين التنكير الا في بعض اسماء الافعال واسماء الاصوات وليس بقياسي بمعنى انه ليس لك ان تنون منها ماشئت بل ماسمع تنوينه اعتقد تنكيره وقيل من فتح في القراءة المتقدمة فللخفة ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم فشبه بقبل وبعد ومن سكن فلان اصل البناء السكون ومن وقف بالهاء فاتباعا للرسم ومن وقف بالتاء فعلى الاصل سواء كسرت التاء او فتحت لان اسماء الافعال سواء او اكثر ذلك من نعير العبث ﴿ قوله يموت بعضنا ويولد بعض ﴾ اى ليس المراد موت شخص واحد وحياته لانه يستلزم القول بالاعادة والبعث وهم بصدد انكارهما انهم لما فرغوا من الطعن في صحة الحشر بنوا عليه الطعن في نبوته عليه الصلاة والسلام فجعلوه مفتريا على الله تعالى فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدهم من الحشر والحساب فقالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما يئس من ايمانهم دعا الله تعالى فقال رب انصرني الآية ﴿ قوله وما صلة ﴾ ذكر في كلمة ما وجهين احدهما انها مزيدة بين الجار والمجرور كما زيدت بعد الباء في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وبعد من في قوله

(فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح (بالحق) بالوجه الثابت الذى لادافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لايستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ماتسبق من امة اجلها) الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق (ومايستأخرون) الاجل (ثم ارسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتوجل ويتقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو

عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا (كلما جاء امة رسولها كذبوه) اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجيء الذى هو منتهاه اليهم (فاتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم الاحكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى مايتحدث به تلهيا (فبعدا لقوم لايؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا) بالآيات التسع (وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ماافكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات النبوة وحجة بينة على مايدعيه النبى (الى فرعون وملئه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم ويعلمون مالاينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد (وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (لنا عابدون) خادمون منقادون كالعباد (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق فى بحر قلزم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرائيل ولايجوز عود ضميره الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وامه آية) بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما الى ربوة) ارض بيت

تعلق بما حطاياهم وان عليل صفة لمحذوف اى زمان قليل وتابعها اهاعيرا آمة ما هى بكرة بمعنى شئ او زمان وقليل صفته والجار متعلق بقوله ليصبحن اى ليصبحن عن زمان قليل نادمين على قول من يجوز تقديم معمول مابعد لام القسم عليه ومن لم يجوز ذلك يقول انه متعلق بمحذوف تقديره ننصرك عما قليل حذف لدلالة مافيه عليه وهو قوله رب انصرنى فالفراء يجوز تقديم معمول مابعد لام القسم عليها مطلقا وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقا وذهب بعض النحاة الى التفصيل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فجوزه فيهما للاتساع ومنع فى غيرهما فلا يجوز فى والله لاضربن زيدا ان يقال زيدا لاضربن لانه غير الظرف وعديله ﴿ قوله واستدل به على ان القرن قوم صالح ﴾ فان المشهور فى قصتهم ان جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فماتوا جميعا واما عاد قوم هود فقد قال الله تعالى فى حقهم فاهلكوا بريح صرصر عاتية وان كان المراد بالقرن قوم هود كما قيل فقد روى فى قصة عاد انهم لما خرجوا مع شداد عازمين على دخول ارم ذات العماد التى بناها وبلغوا منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه من قومه صيحة من السماء فاهلكتهم اجمعين رواه سعيد بن منصور عن ابى وائل عن كعب رضى الله تعالى عنهم وقيل المراد بالصيحة العذاب المستأصل وهو الريح العقيم ههنا قال الشاعر

صاح الزمان بآل برمك صيحة * خروا لشدتها على الاذقان

﴿ قوله شبههم فى دمارهم بغثاء السيل ﴾ قال الخشى او صاف الغثاء ما يحمله السيل فلا ينتفع به ابدا فشبهوا به تشبيها بليغا فى دمارهم وجعل ههنا بمعنى التصيير وغثاء مفعوله الثانى ﴿ قوله متواترين ﴾ اشارة الى ان تترى منصوب على انه حال من رسلنا اى واحدا بعد واحد او متتابعين على حسب الاختلاف فى معناه فعن الاصمعى ان معناه واحدا بعد واحد بينهما مهلة وقال غيره هى من المواترة وهى التتابع من غير مهلة وقال الراغب التواتر تتابع الشئ وترا وفرادى قيل انه مصدر واقع موقع الحال والفه للتأنيث كالف دعوى لان الرسل جماعة ﴿ قوله كتوجل ويتقور ﴾ اصلهما وولج وويقور على فيعول التولج كناس الوحش الذى يلج فيه والتاء بدله من الواو وهو فوعل لانك لاتجد فى الكلام تفعل اسما وفوعل كثير والتيقور بمعنى الوقار والتاء مبدلة من الواو ﴿ قوله لان الارسال منه والمجيء اليهم ﴾ يعنى ان الاضافة وان كانت لملابسة وان الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا الا انه روعيت ملابسة المرسل مع فعل الارسال وملابسة المرسل اليه مع فعل المجيء لكون الارسال منه والمجيء اليهم ﴿ قوله تعالى وجعلناهم احاديث ﴾ اى اخبارا يسمر بها ويتعجب منها اى بلغ اهلاكهم مبلغا صار وامعه اخبارا ولم يبق منهم عين ولا اثر ولم يبق منهم الاالحديث الذى يذكر ويعتبر به ﴿ قوله لانه فى حكم المصدر ﴾ حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كثير قال تعالى انكم اذا مثلهم وقال من الارض مثلهن فأتوا بسورة من مثله ﴿ قوله لايعود عليهم الفكر برادة ﴾ اى بفائدة يقال هذا الامر لا برادة له اى لا فائدة له ولا فائدة وفى بعض النسخ زيادة وهو قريب من الاول ﴿ قوله بولادتها اياه من غير مسيس ﴾ يعنى انه تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد فى الصغر واجرى على يده ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وجعل مريم ايضا آية بان حملته من غير ذكر وقال الحسن رضى الله تعالى عنه تكلمت مريم فى صغرها حيث قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتقم ثديا قط وذلك معجزة زكريا عليه الصلاة والسلام او كرامة لمريم او ارهاص لعيسى عليه الصلاة والسلام الا انه تعالى افرد آية ولم يقل آيتين لانه لم يرد ان كل واحد منهما آية على حدة بل المراد بانهما آية واحدة من جهة الولادة لانه عليه الصلاة والسلام ولد من غير ذكر وولدته امه من غير ان يمسها ذكر فاشتركا جميعا فى هذا الامر العجيب الناقض للعادة فهو امر واحد مضاف اليهما فلذلك افرد آية ﴿ قوله تعالى وآويناهما ﴾ اى جعلناهما يأويان الى ربوة وقصد انهما اويا لهما والربوة المكان المرتفع بالحركات الثلاث فى الراء ومثلها الرباوة بالكسر والضم قيل هى ارض بيت المقدس وهى اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا ﴿ قوله مستقر من ارض منبسطة ﴾ فسر القرار بالمستقر وهو موضع الاستقرار ثم بين المستقر بقوله من ارض منبسطة اى مستوية تصلح لاستقرار المستقرين فيها ثم قيل ان المراد بكون الربوة ذات قرار انها ذات ثمار وماء على هذا تكون كناية لان كون الموضع ذا ثمار وماء يستلزم كونه مستقرا للمستقرين فاطلق اللازم وهو كونها ذات قرار اى ذات مستقر واريد الملزوم وهو كونها ذات ثمار وماء فعلى هذين الوجهين قرار بمعنى المستقر ولكن

(ومعين) وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشى اومن الماعون وهو النعمة لانه نفاع اومفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم عليه (وان هذه) اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او اعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف (امتكم امة واحدة) ملتكم ملة واحدة اى متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال (وانا ربكم فاتقون) في شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا امرهم بينهم) فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها اولها (زبرا) قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل (كل حزب) من المتحزبين (بما لديهم) من الدين (فرحون) معجبون معتقدون انهم على الحق (فذرهم في غمرتهم) في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم (حتى حين) الى ان يقتلوا او يموتوا

الوجه الثاني بطريق الكناية والوجه الاول بطريق التصريح اى من غير كناية ﴿قوله فعيل من معن الماء او مفعول من عانه﴾ يعني اختلف في ان ميم معين هل هي زائدة واصله معيون اى مبصر بالعين فاعل اعلال مبيع يقال عانه اذا ادركه بعينه كما يقال رأسه اذا اصاب رأسه وكبده اذا ضرب كبده ومعين في الآية الكريمة صفة موصوف محذوف اى وماء معين مدح الربوة بان ماءها جار ظاهر على وجه الارض بحيث يدرك بالعيون وقيل ميمه اصلية ووزنه فعيل مشتق من المعن وهو الجرى مع الاسراع والابعاد يقال معن الفرس اذا تباعد في عدوه وامعن بحق فلان اذا ذهب به ورجل معين في حاجته اى مسرع في طلبها فكله راجع الى معنى الجرى والسرعة وقيل انه مشتق من الماعون الذي يتعاونه الناس في العادة كالفأس والقدر الجوهري الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما ويسمى الماء ماعونا قال الشاعر ٭ يمج صبيره الماعون صب ٭ اى الماء والصبير السحابة البيضاء والماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية وفي الاسلام الطاعة والزكاة والنعمة موضع النعم وهو ما ينتفع به كالمأسدة والمسبعة فانهما اسمان لموضع الاسد والسبع وقيل المعن السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى والماعون ما سهل على معطيه قيل سبب ايوائهما الى ربوة انها فرت بابنها عيسى عليه الصلاة والسلام الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ما مات ملكهم وههنا اخر القصص ولما ختمها ببيان ان الله تعالى هيأ لعيسى عليه السلام اسباب النعم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباحة الطيبات لم تكن في حقه عليه الصلاة والسلام خاصة بل هي شرع قديم نودي وخوطب بها كل نبي في زمانه ليعلم السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وليس يا ايها الرسل خطابا مع كل الرسل دفعة لان ذلك غير ممكن بناء على انهم ارسلوا في ازمنة مختلفة فلا يمكن توجيه الخطاب اليهم جميعا دفعة ﴿قوله او حكاية لما ذكر لعيسى عليه الصلاة والسلام وامه﴾ عطف على قوله بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه من حيث المعنى فان المراد منه ان هذا الكلام ألقي على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على وجه الحكاية وانما ألقي عليه ابتداء تنبيها له عليه الصلاة والسلام على ان تهيئة اسباب النعم لم يكن له خاصة ثم جوز ان يكون ذلك على وجه الحكاية كانه قيل وآويناهما الى ربوة واعلمناهما ناديناكل رسول في زمانه وخاطبناه ﴿قوله اى ولان هذه﴾ قرأ ابن عامر وحده وان هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها وتشديدها والباقون بفتحها والتثقيل وذكر المصنف رحمه الله تعالى في توجيه قراءة الباقين ثلاثة اوجه الاول انها مبنية على حذف لام التعليل اى ولان هذه والثاني ان في الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه امتكم والثالث انها معطوفة على قوله بما تعملون اى انى عليم بما تعملون وبان هذه امتكم وعلى قراءة ابن عامر ان هى المخففة من الثقيلة ولابد من التوجيه باحد الوجوه الثلاثة المذكورة في توجيه ان المثقلة ﴿قوله اى متحدة في العقائد واصول الشرائع﴾ جواب عما يقال اذا كانت شرائعهم مختلفة فكيف تكون ملتهم واحدة ﴿قوله في شق العصا﴾ اى مفارقة الجماعة يقال شق فلان العصا اى فارق الجماعة ﴿قوله وجعلوه اديانا﴾ كاليهودية والنصرانية ونحوهما وبناء تفعل قد يكون متعديا نحو تقطعه وتمزقه ومنه تقطع ولذلك فسره الجوهري رحمه الله تعالى عليه بقوله اى قطعوه ثم جوز ان يكون لازما بمعنى تفرقوا وتحزبوا فيكون امرهم منصوبا بنزع الخافض او التمييز وضمير تقطعوا لارباب الامر والزبر بضم الباء جمع زبور بمعنى الفرقة والطائفة وقيل بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه والمعنى جعلوا دينهم الحق الذي هو دين واحد وهو الاسلام اديانا دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخر والمراد بالكتب ما كتبوه بايديهم لا ما هو المنزل من السماء لانه غير مجعول بجعلهم والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهي القطعة من الشيء المتحد من المعدنيات المتجسدة كالفضة والحديد قال تعالى آتوني زبر الحديد استعيرت لامر الدين تشبيها له بها في التعدد والاختلاف ثم ان المفرقين دينهم لما كانوا في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان يحسبوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين الله تعالى ان الامر على خلاف ذلك فقال تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين الى آخره وحق ما هذه ان تكتب مفصولة من أن لانها اسمية الا انها كتبت موصولة بها متابعة لمصحف الامام لان المتابعة له سنة في باب الكتابة فان ما موصولة بمعنى الذي وهي اسم ان ونمدهم به صلتها وعائدها ومن مال حال من الموصول او بيان له فيتعلق بمحذوف ونسارع خبر ان والعائد من هذه الجملة الى الاسم محذوف تقديره ونسارع لهم به او فيه ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لان ما اعطاهم الله تعالى

(أيحسبون انما نمدهم به) ان ماتعطيهم ونجعله مددا لهم (من مال وبنين) بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره (نسارع لهم فى الخيرات) والراجع ضمير محذوف والمعنى أيحسبون ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم (بل لايشعرون) بل هم كالبهائم لافطنة بهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لامسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مشفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لايشركون) شركا جليا ولاخفيا (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اى يفعلون مافعلوه من الطاعات (وقلوبهم وجلة) اى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به (انهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه اومن ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم (اولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها اويسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم (وهم لها سابقون) لاجلها فاعلون السبق اوسابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة اوسابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون (ولانكلف نفسا الا وسعها) قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس (ولدينا كتاب) يعنى اللوح او صحيفة الاعمال (ينطق بالحق) بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع (وهم لايظلمون) بزيادة عقاب اونقصان ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (فى غمرة) فى غفلة غامرة لها (من هذا) من الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة (ولهم اعمال) خبيثة (من دون ذلك) متجاوزة لما وصفوا به او متحطة عما هم عليه من الشرك (هم لها عاملون) معتادون فعلها

وجعله مددا لهم كان من مال فلا يعاب عليهم حسبان ذلك وقوله تعالى بل لايشعرون اضراب عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى ماذكر المصنف رحمه الله تعالى عليه من انهم اشباه البهائم لاشعور لهم حتى يتفكروا فى ذلك الامداد أهو استدراج ام مسارعة فى الخير روى عن يزيد بن ميسرة رضى الله تعالى عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء أيفرح عبدى ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له منى ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهو اقرب له منى ثم تلا قوله تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ﴿قوله وقرئ يمدهم على الغيبة﴾ وباسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى وقياسه ان يقرأ يسارع بياء الغيبة ايضا ومن قرأ نمدهم بالنون ويسارع بالياء احتمل ان يجعله مسندا الى ضمير البارى تعالى والى ضمير ما الموصولة وقرئ نسرع بالنون من اسرع وبالياء ايضا ثم انه تعالى بين صفات من يسارع فى الخيرات وذكر لهم اربع صفات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى من خوف عذابه حذرون والخوف اسم جنس والخشية اخص منه وهى الخوف لعظمة المخوف منه ولهذا كان استعمال الخشية من الله تعالى اكثر كما ان استعمال الخوف فى حق العباد اكثر واغلب والشفقة ايضا اخص من الخوف فانها عبارة عن الخوف مع الرقة والرحمة فى حق المخوف عليه كشفقة الام على ولدها فانه يقال خافت الام او خشيت على ولدها بل يقال اشفقت ويلي من هذه التفاسير قول من قال

اخشى من الفقر و ما ان يلم بها	فيكشف الستر من لحم على وضم
تهوى حياتى واهوى موتها شفقا	والموت اكرم نزال على الحرم

والمصنف رحمه الله تعالى فسر هذا التركيب فى سورة الانبياء اى قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون بقوله وهم من عظمته ومهابته مرتعدون ثم قال واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فاذا عدى بمن تحقق معنى الخوف فيه وظهر وان عدى بعلى فبالعكس وحمل الخشية ثمة على مجرد عظمة المخوف منه وحمل الاشفاق منه على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرائص وماذكره فى هذه الآية اوفق للمعنى الاصلى حيث اشار الى عظمة المخوف منه باضافته الى الله تعالى والى الرحمة والاعتناء بشأن المخوف بقوله حذرون فان من كان خائفا من عذاب الله تعالى العظيم وعقابه الاليم كان ملازما لطاعته مجدا فى طلب رضاه والاحتراز عن معصيته المؤدية الى سخطه وعقابه رحمة على نفسه واعتناء بشأنها ﴿قوله بتصديق مدلولها﴾ لان التصديق بوجود الآيات المنصوبة وهى الموجودات الدالة على وجود الصانع لايوجب ان يمدح صاحبه وكذا التصديق بوجود الآيات المنزلة فاعتبار التصديق بمدلولها ﴿قوله وجلة اى خائفة﴾ الوجل ايضا اخص من الخوف لانه خوف يزاحمه طمع اى والحال ان قلوبهم بين خوف الرد ورجاء القبول ثم انه تعالى بين علة ذلك الوجل بقوله انهم الى ربهم راجعون وقوله اولئك يسارعون فى الخيرات اى خيرات الذين هم من خشيته والمراد بالخيرات اما طاعتهم واعمالهم الصالحة واما المثوبات الموعودة باداء تها والمعنى على الاول انهم يبادرون الى الطاعات لشدة رغبتهم فيها وعلى الثانى انهم يسارعون فى نيل ماوعدهم من المثوبات بعقابة اعمالهم الصالحة وانما جعلوا مسارعين اليه لانهم اذا سورع بما لهم فقد سارعوا فى نيلها واشار بقوله فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم الى ان الوجه الثانى اوفق لما سبق من قوله تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فانه تعالى نفى فى تلك الآية ان يسارع الكفار الى ان يجعل لهم من ثواب اعمالهم ماهو خير لهم واثبت ذلك لاضدادهم وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم ﴿قوله لاجلها فاعلون السبق﴾ على ان يكون ضمير لها للخيرات واللام للتعليل وان لايقدر للسبق مفعول وانما الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم مع قطع النظر الى من سبقوه بخلاف الوجه الثانى فانه يقدر للسبق مفعول فى ذلك الوجه واللام ايضا للتعليل اى وهم سابقون الناس لاجلها ﴿قوله اوسابقونها﴾ على ان لها معمول سابقون واللام زائدة فى المعمول لتقوية العمل وحسن زيادتها شيآن لو انفرد كل واحد منهما لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وتقدم معموله عليه كما فى قولهم هم لها عاملون اى عاملون اياها وكقولك هو لزيد ضارب اى ضارب زيدا ثم اشار الى ان جميع ماوصف به السابقون من الخصال الاربع داخل فى وسع الانسان وطوقه غير خارج عنه وكذا كل ماكلف به عباده وان اعمال العباد كلها مثبتة فى الكتاب فلا يضيع لعامل جزاء عمله ثم انه تعالى عاد الى ذكر الكفار بقوله قلوبهم فى غمرة من هذا الذى وصف به المؤمنون السابقون الى الخيرات ولهم اعمال من دون

(حتى اذا اخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) يعني القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مصر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة (اذاهم يجأرون) فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب (لاتجأروا اليوم) فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لاتجأروا (انكم منا لاتنصرون) تعليل للنهي اي لاتجأروا فانه لاينفعكم اذلا تمنعون منا اولا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) الضمير للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اعني من سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين اولان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله (سامرا) اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر وسمار (تهجرون) من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قرآءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة (أفلم يدبروا القول) اي القرآن ليعلموا انه الحق من جهة اعجاز لفظه ووضوح مدلوله (ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وكتبه ورسله واطاعوه (ام لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء (فهم له منكرون) دعواه لأحد هذه الوجوه اذ لاوجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد (ام يقولون به جنة) فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا (بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه ولقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهته للحق (ولو اتبع الحق اهواءهم) بان كان في الواقع آلهة شتى

ذلك الذي ذكر من اعمال المؤمنين وقيل غفلتهم وجهلهم وقيل المراد اعمالهم التي هم عليها في الحال وقيل بل هو اخبار من الله تعالى عما سيعملونه من اعمالهم الخبيثة التي كتب عليهم لابد ان يعملوها وحتى في قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم غاية لغمرتهم واعمالهم التي يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها اذاهم يجأرون واذا الثانية تنوب عن الفاء اي فهم يجأرون والمعنى الاخبار بانهم لاينفكون عن حالهم المذكورة الى ان يأخذ الله متنعميهم ورؤساءهم بالعذاب والجؤار رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ لشدة ما نالهم والسنين جمع السنة وهي الجدب ﴿قوله انكم لاتمنعون منا﴾ اي لاينفعكم الجؤار والاستغاثة ولايخلصكم منا اي من عذابنا على ان تكون كلمة من صلة النصر المتضمن معنى المنع والحفظ وعلى الثاني تكون ابتدائية ثم انه تعالى بين السبب في ان لاينفعهم ذلك بقوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم ﴿قوله فانها بمعنى كتابي﴾ ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا فضمن الاستكبار معنى التكذيب فعدى تعديته وهو معنى قوله والباء متعلقة بمستكبرين الخ ثم جوز ان لاتكون الباء للتعدية بل تكون للسببية ويكون المعنى مستكبرين على المسلمين بسبب القرآن واستماعه واصل السمر ظل القمر سمي به لانهم يجلسون فيه بالليل فيتحدثون ويجوز ان تكون الباء في به متعلقة بقوله سامرا اي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكان سمرهم بالليل حول البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك وسب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قوله وهو في الاصل مصدر﴾ كانه بيان لوجه افراده سامرا مع انه حال من ضمير مستكبرين قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه السامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقال الزجاج السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلا على تقدير ان يتعلق به بقوله سامرا قدم عليه لانه لما كانت عادة سمرهم بذكره صاروا كأنهم لايسمرون الا به وقرأ العامة تهجرون بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وقد يكون بمعنى الهجران والترك والقطع اي تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيها ولاتصلونها وقد يكون بمعنى الهذيان يقال هجر المريض هجرا اذا هذى والهجر بضم الهاء اسم بمعنى القول القبيح يقال هجر يهجر هجرا بالفتح وهجر واهجر في منطقه اذا قال قولا قبيحا والاسم منه الهجر بالضم وقرئ بهن جميعا اي قرئ تهجرون وتهجرون ثم انه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين فرقوا دينهم ردعليهم بان بين ان اقدامهم على هذه الجهالة والضلالة لابد ان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لايتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز الذي يستلزم التدبر فيه معرفة الصانع ووحدانيته وجميع مايجب على المكلف في باب الاعتقاد والعمل فلم لايتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم امر غريب لم يسمع ولم يرو عن الامم السالفة وليس كذلك لانهم قد عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت ترسل الى الامم على سبيل التتابع ويثبت كل واحد منهم ما ادعاه من الرسالة باظهار المعجزات وكانت الامم بين مصدق ناج ومكذب هالك بعذاب الاستئصال وانما دعاهم الى ذلك عدم تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام وثالثها ان لايكونوا عالمين امانة مدعي الرسالة وصدقه قبل ادعائه النبوة وليس كذلك فانهم عرفوا منه عليه الصلاة والسلام قبل ادعائه الرسالة كونه في نهاية الامانة والصدق والتنزه من الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الصادق ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون ويقولون انه حمله على ادعائه الرسالة جنونه وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان يأتي بمثل ما اتى به من الدلائل القاطعة والشرائع الكاملة ثم انه تعالى لما ذكر مبنى ضلالتهم وبين فساده قال بل جاءهم الحق اي ليست ضلالتهم مبنية على شيء من هذه الامور بل انه عليه الصلاة والسلام جاء بالحق وهو القرآن فلم يوافق اهواءهم وما نشأوا عليه من التقليد واتباع الشهوات فلذلك كرهوه ولم يقبلوه وقول المصنف رحمة الله تعالى عليه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع ناظر الى قوله تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين وقوله او الشخص ناظر الى قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم وقوله او بحث عما يدل عليه ناظر الى قوله تعالى افلم يدبروا القول اي افلم يدبروا ما جاءهم من القول وهو القرآن العظيم ﴿قوله لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه﴾ ان يقولوا ترك دين آبائه لا كراهة للحق كما حكي عن ابي طالب فانه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع انه يعرف بقلبه حقيته ويقر بلسانه لكنه لم يقبل ذلك لمانع على زعمه ويدل عليه قوله حين اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ

❁ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ❁ حتى اوسد في التراب دفينا ❁

(لفسدت السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به
العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم وانقلب الحق شركا خاداة بالقادة واهلكت العالم من فرط عصته

اولو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (ام تسألهم) قيل انه قسيم قوله ام به جنة (خرجا) اجرا على اداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة فى هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لناكبون) لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) يعنى القحط (للجوا) لتبتوا واللجاج التمادى فى الشئ (فى طغيانهم) افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعمهون) عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم (ساعة) التضرع وهو استشهاد على ما قبله (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك

* فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا *
* ودعوتنى وزعمت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم امينا *
* وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا *
* لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك يقينا *

وقد اقر ابو طالب بانه عليه الصلاة والسلام خير فتيان قريش فى الفضائل الانسانية فى الخطبة التى خطبها فى تزويج خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوا هاشم ورؤساء مضر وهى قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل واصطفانا من عنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش الا رجح عليه فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل وامر حائل ومحمد من عرفتم له قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وذكر لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل كذا ذكره صاحب الكشاف فى اواخر سورة آل عمران ﴿قوله كما سبق تقريره﴾ وهو قوله انها لو اتفقت فى المراد لتواردت علل مستقلة على معلول واحد وان تخالفت فيه لتفاوتت منه ﴿قوله وهو على اصل المعتزلة﴾ اى القول بانه تعالى لو اتبع اهواءهم لخرج عن الالوهية مبنى على اصل من يقول الحاكم بحسن الاشياء وقبحها هو العقل وان ما يستحسنه العقل يجب عليه تعالى فعله وان ما يستقبحه يجب عليه تركه والمتابعة لما يشتهيه الكفرة تنافى الالوهية على زعمهم ﴿قوله تعالى بل أتيناهم بذكرهم﴾ متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اذ ليس فيما جاءهم به ما يكرهونه بل هو ذكرهم اى وعظهم او صيتهم اى شرفهم وفخرهم كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك ولقومك لكونه بلسانكم ولفتكم ثم نبه تعالى ووبخ الكفرة بوجه آخر على عدم ايمانهم الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانكر عليهم اولا بقوله تعالى افلم يدبروا القول وهو استفهام بطريق الانكار اى الم يتذكروا ليعلموا انه حق فيؤمنوا به فيحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا الاستفهام الانكارى الى استفهام انكارى آخر فقال تعالى ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين اى بل أنكروا الايمان به لمجيئهم ما لم يسمعوا شيأ من نوعه فانكروا ذلك واستبعدوه ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أنكروا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أنكروا ذلك لزعمهم فى حقه كونه مجنونا ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أنكروا ذلك لكونه يسألهم على تبليغ الوحى جعلا يعطونه اياه فيثقل عليهم قبوله وليس الامر كذلك لان ما يعطيك الله تعالى من الاجر والثوبة فى الدنيا والآخرة خير من اجرهم وفيه مندوحة لك عن عطائهم فلا عذر لهم فى الاباء عن قبول قولك البتة ﴿قوله فى الضريبة على الارض﴾ وهى ما يضربه الامام على الارض ويجعله بمنزلة الاجرة المضروبة عليها والوجه فى كون الخراج مشعرا بالكثرة كثرة الضرب بكثرة الاراضى واما وجه كونه مشعرا باللزوم فايجاب الشارع اياه على اصحاب الاراضى الخراجية ثم انه تعالى لما بين طريقة القوم انهم مصرة ما داموا بما يدعوهم اليه الرسول واشار الى علة نكوب من عدل عنه فقال تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ونكره للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد فى قوله تعالى عن الصراط لناكبون اى لعادلون الناكب عنه لعدم ايمانهم بالآخرة والنكوب من باب دخل ﴿قوله انشدك الله تعالى والرحم﴾ اى اسألك بالله تعالى وبالرحم وهو قسم استعطاف واسترحام والعلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى سنى المجاعة وقيل هو القراد مع الصوف كانوا يدفونهما مختلطين ﴿قوله قتلت الآباء بالسيف﴾ المراد به ما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم حيث قتل منهم سبعون واسر من صناديدهم سبعون وهو جمع صنديد وهو السيد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الآيات مدنية وان ما اصاب قريشا من القحط سبع سنين من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد الهجرة وقد ذهب المفسرون الى ان هذه السورة مكية الا ان يقال هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية اعتبارا للاغلب والمعنى لو كشف الله تعالى عنهم هذا الضر برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا الانكسار والتملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على مفهوم هذه الشرطية بانا اخذناهم بعذاب يوم بدر فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل فانكسروا

طاعة ولا خضعت رقابهم فارسلوا اليك انشدهم شكية فى العباد بستعطفك واستكان استفعل من الكون ومعناه تحوّل من كون الى كون كاستحال بمعنى تحوّل من حال الى حال اى ماتحوّلوا عن الحال السيئة التى هم عليها الى الحال الحسنة فان باب الاستفعال قد يكون للتحوّل نحو استحال الحجر ويجوز ان يكون افتعل من السكون اصله استكنوا فأشبعت الكاف فتولدت منها الالف اى ماسكنوا وما ذلوا وما خضعوا لربهم وماتضرّعوا بل مضوا على تمرّدهم وحتى غاية لنفى الاستكانة والتضرّع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التى انعم بها عليهم ليؤدّوا بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم التى هى السمع والبصر والفؤاد التى بهما يتوصل الى معرفة كل نافع وضارّ وكل طيب وخبيث فاخبرالله تعالى انه اعطاهم مايعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث مشاهدة وسماعا وما به يميزون بعض الاشياء ويختارون ماهو المختار عندهم ليتأدّى بذلك شكره وشكر كل نعمة استعمالها فى طاعة المنعم وعبوديته كاستعمال الحواس فى استعمال مانصب من الآيات واشتغال القلب فى تفكر تلك الآيات والاستدلال بها على مايجب عليهم من الاستكمال والتحلى بالكمالات العلمية والعملية وادرج فيه توبيخ العباد بان الشكر منهم قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور فقال تعالى وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وقليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف وما مزيدة للتأكيد اى حقا انكم تشكرون شكرا قليلا وقيل ليس المراد ان لهم شكرا قليلا بل هو من قبيل قولك فكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان للنعمة ثم بين كمال قدرته وقوّة سلطنته بقوله تعالى وهو الذى ذرأكم فى الارض وعطف عليه انه لم يخلقهم عبثا وانما خلقهم للبعث بعد الموت والحشر اليه فانّ خلق الخلائق وتكليفهم بالاوامر والنواهى لمجرّد ان ينتهى حالهم الى الموت والفناء من غير ان يميز بين المطيع والعاصى عبث ولعب تبارك الله وتعالى شأنه عن امثاله علوّا كبيرا ثم فصل دلائل قدرته على البعث بقوله تعالى وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار فان من ملك وقدر على احياء الموتى واماتة الاحياء لقادر على البعث والاعادة فان من قدر على انشاء الليل بعدما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعدما ذهب اثر الليل لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ثم قال أفلا تعقلون انّ من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزاء بعدما صرتم ترابا وعظاما فكيف تشركون غيره فى عبادتكم اياه وتصرفون الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم قال تعالى بل قالوا مثل ماقال الاوّلون اى لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعد ذلك بل قالوا مثل ماقال اسلافهم أئذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أئبعث وهذا محال ﴿ قوله لانه يستعمل فيما يتلهى به ﴾ علة لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء افعولة يجيئ لمافيه التلهى والسخرية نحو اضحوكة واعجوبة واحدوثة والكفار كانوا يقولون ذلك بطريق التلهى والطعن فى القرآن فيكون الانسب لهذا المقام جعله جمع اسطورة ثم امر الله تعالى رسوله ان يسألهم مايلزمهم الاقرار والاعتراف عما كانوا ينكرون فقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فاجيبونى عما اقول لكم ثم اخبر عن جوابهم بقوله تعالى سيقولون لله قل أفلا تذكرون اى أفلا تعلمون بعد هذا الاعتراف فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لايشرك به بعض خلقه فى الربوبية واستحقاق العبادة لان المستحق لهما هو الرب الخالق دون الرب المربوب المخلوق الذى لايضرّ ولا ينفع فقوله تعالى أفلا تذكرون معناه الترغيب فى التدبر ليعلموا بطلان ماهم عليه قال تعالى اوّلا أفلا تذكرون ثم قال تعالى بعده أفلا تتقون لانهم بتذكرهم يصلون الى المعرفة وبعد ان يعرفوه يعلمون انه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته وفى قوله تعالى سيقولون لله اشارة الى انهم لايجدون بدّا من ان يقولوا لله ويعترفوا به لانهم لو انكروا ذلك جهلهم النبىّ صلى الله عليه وسلم فيظهر جهلهم عند كل الخلائق فلما اضطرّوا الى الاعتراف بذلك توجه عليهم الالزام بان يقال لهم فاذا عرفتم ان ذلك كله لله تعالى وهو خالقكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم امره وانا لا ادعوكم الا الى ان توحدوه وتخصصوا العبادة له تعالى وعلى هذا الاسلوب قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله اى لابدّ لهم من ان يقرّوا بذلك فقل لهم اذا عرفتم ذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وامر نعمته وكذلك قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ الآية ذكر اوّلا الارض ومن فيها ثم ترقى الى ذكر ماهو اعظم من ذلك وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر مايعم الموجودات بأسرها واختصاصه بملكوته والملكوت الملك

﴿ وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار ﴾
تحسوا بها مانصب من الآيات ﴿ والافئدة ﴾
لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من
المنافع الدينية والدنيوية ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها
استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها
من غير اشراك وما صلة للتأكيد ﴿ وهو الذى
ذرأكم فى الارض ﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل
﴿ واليه تحشرون ﴾ تجمعون يوم القيامة بعد
تفرّقكم ﴿ وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف
الليل والنهار ﴾ ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه
غيره فيكون ردّا لنسبته الى الشمس حقيقة
او مجازا او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص
احدهما وازدياد الآخر ﴿ أفلا تعقلون ﴾
بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا
الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ
بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب
المؤمنين ﴿ بل قالوا ﴾ اى كفار مكة
﴿ مثل ماقال الاوّلون ﴾ آباؤهم ومن دان
بدينهم ﴿ قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أئنا لمبعوثون ﴾ استبعادا ولم يتأملوا
انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا
﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا
الا اساطير الاوّلين ﴾ الا اكاذيبهم التى كتبوها
جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به
كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع
اسطار جمع سطر ﴿ قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل
العلم اومن العالمين بذلك فيكون استهانة بهم
وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل
هذا الجلىّ الواضح والزاما بما لايمكن لمن
له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن
جوابهم قبل ان يجيبوا فقال ﴿ سيقولون لله ﴾
لان العقل الصريح قد اضطرّهم بادنى نظر الى
الاقرار بانه خالقها ﴿ قل ﴾ اى بعدما قالوه ﴿ أفلا
تذكرون ﴾ فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها
ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس
اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل
﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم ﴾ فانها اعظم من ذلك

(سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال (قل أفلا تتقون) عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته (قل من بيده ملكوت كل شيء) ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه (وهو يجير) يغيث من يشاء ويحرسه (ولا يجار عليه) ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) من اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث انكروا ذلك (ما اتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة احد (وما كان معه من اله) يساهمه في الالوهية (اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقرآء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرّد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اما تريني) ان كان لا بدّ من ان تريني لان ما والنون للتأكيد (ما يوعدون) من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بما ورآءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرّع وجؤار (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) لكننا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله ردّ لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزآء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة (ادفع بالتي هي احسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤدّ الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل (نحن اعلم بما يصفون) اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك بخلاف حالك واقدر على جزآئهم فكل الينا امرهم (وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين) وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرآئض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرآئضة الدواب على المشي والجمع للمرّات او لتنوّع الوساوس او لتعدّد المضاف اليه (واعوذ بك رب ان يحضرون) ويحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقرآءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه (حتى اذا جاء احدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام (مأأدى) او بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردّوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله

وبذلت التوحيد بالبلغة فيتناول الملك والملك وقيل المعنى خزآئن كل شيء وقيل ملكوت كل شيء روحه الذي هو من عالم الملكوت وذلك الشيء قائم به يسبح الله تعالى كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشيء بيد الله تعالى ﴿قوله تعالى سيقولون لله﴾ ذكر في هذا الموضع ثلاث مرات اما الاولى فبا للام باتفاق القرآء جميعهم واما الثانية والثالثة فقد قرئتا بوجهين سيقولون لله والله فمن قرأ الله فعلى لفظ السؤال لانك لو قلت من رب الدار فقال جوابه زيد ومن قرأ لله فقد حمل الجواب على معنى السؤال لان قولك من رب الدار معناه لمن الدار قال الشاعر

* اذا قيل من رب السنان بموقف * ورب الجياد الجرد قيل لخالد *

وقيا تكواتبي الثاني والثالث في جميع المصاحف بغير الف كالاوّل الا في مصحف البصريين فانهما وجدا بالف فيه ﴿قوله تعالى وهو يجير﴾ اي يؤمن من يشاء من الخائفين ويمنعه من السوء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخاف الله تعالى ولا يمنع منه من اراده بسوء وقوله تعالى سيقولون لله لا يناقض قوله اولا ان كنتم تعلمون لانه تعالى انما قال ذلك اولا استهانة لهم ويجوز في حقهم ان يجهلوا مثل هذا الصدر لفرط جهالتهم بالديانات وذلك يستلزم انتفاء علمهم بذلك ﴿قوله فمن اين تخدعون﴾ يعني ان قوله فأنى بمعنى فمن اين وقوله تعالى تسحرون استعارة تبعية بمعنى تخدعون شبه الانخداع بالمسحورية في الدلالة على اختلال العقل فاستعير له اسم المسحورية والخادع هو الشيطان والهوى ثم قال تعالى بل أتيناهم بالحق اي ليس انخداعهم لقصور البيان من قبلنا بل أتيناهم بالحق وما تبين به الرشد من الغي وانهم لكاذبون فيما يدعونه من الشرك والولد وانكار البعث ونحو ذلك مما يخالف ما أتيناهم به من الحق ثم صرّح في جملة ما كذبوا باعادة قول بعض الكفار الملائكة بنات الله تعالى وزعم آخرين ان الاصنام آلهة وكذبهم فيهما بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولما ورد ان يقال كلمة اذن لا تدخل الا على كلام هو خبر او جواب فكيف دخلت على قوله لذهب كل اله بما خلق ولم يتقدمها شرط ولا سؤال سائل حتى تقع جزآء الشرط او جوابا للسؤال اشار الى دفعه بقوله جواب محاجتهم وجزآء شرط حذف وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد وان كان دليلا على بطلان الملزوم الذي هو ان يكون معه آلهة الا ان المصنف رحمه الله تعالى جعله دليلا على بطلان اللازم وهو ان يستبدّ كل اله بما خلق وان يقع بينهم التحارب والتغالب بناء على ان ما دل على بطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم وذكر الله تعالى امرين احدهما قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وثانيهما وما كان معه من اله واستدل عليهما بدليل واحد لان انتفاء تعدّد الآلهة يستلزم انتفاء الولد لانه تعالى لو اتخذ ولدا لكان ذلك الولد الها اذ الولد من جنس الوالد ومن جوهره وانما كان الها لذهب اذا كل اله بما خلق اي لانفرد واستبدّ بخلقه وبطلان اللازم يستلزم بطلان الملزوم ﴿قوله واصل الهمز النخس﴾ اي الطعن يقال نخسه بعود اي طعنه اذ النخس هو الطعن والمهمز والمهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض ورائض الفرس الصعب من ألانها واذال صعوبتها ﴿قوله والجمع للمرات﴾ يعني ان الهمزات جمع همزة لا جمع همز حتى يقال انه مصدر فكيف يجمع ويجوز ان يكون الجمع لقصد الانواع من الوساوس او لتعدّد المضاف اليه فان الهمز الواقع من جماعة الشياطين يمتنع ان يكون همزا واحدا ﴿قوله متعلق بيصفون﴾ يعني ان حتى غاية لقوله بما يصفون او لقوله وانهم لكاذبون اي لا يزالون على سوء الذكر والكذب الى هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر ولم يقل او بكاذبون لانه لا يصح ان يكون متعلقا بحتى لعدم دلالته على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فانها تدل عليه كما يدل عليه يكذبون ويصفون ﴿قوله والواو﴾ اي في قوله ارجعون مع ان الخطاب للواحد وهو الرب تعالى لتعظيم المخاطب كما في قوله

* فان شئت حرّمت النساء سواكم * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا *

وقال المازني في قوله ألقيا في جهنم كل كفار عنيد معناه ألق ألق ثني الضمير للدلالة على تكثير الفعل اي تكريره مرّتين فيكون بجعله ههنا للدلالة على تكريره ثلاث مرّات فاخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية ﴿قوله وقيل في المال او في الدنيا﴾ فالمعنى على الاوّل لعلي اعمل صالحا فيما تركت

[illegible]
للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة والقرآءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد قرئ وأن الصور ايضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) اى ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا انفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على اضمار القول اى يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائى شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة (وكنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسأوا فيها) اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ (ولا تكلمون) فى رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون ألف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون ألفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء (انه) ان الشأن وقرئ بالفتح اى لانه (كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية (حتى انسوكم ذكرى) من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم عن ذكرى فلم تخافونى فى اوليائى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) على اذاكم (انهم هم الفائزون) فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا (قال) اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار (كم لبثتم فى الارض) احياء او امواتا فى القبور (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم

ما أدى حقوق الله تعالى فيه واتقرب به الى الله كما قال لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدق وعلى الثانى فى الموضع الذى تركته وهو الدنيا يقول اى تركت فيها التوحيد والطاعة فردونى اليها اعمل الطاعة والتوحيد فيها ﴿قوله واما الكافر فيقول رب ارجعون﴾ يدل على ان خطاب ارجعون للملائكة لوقوعه فى جواب قولهم أنرجعك الى الدنيا فيكون ذكر الرب للقسم فكأنهم قالوا عند معاينة الموت بحق الرب ارجعون وقال الامام المحقق رحمة الله عليه يستغيث اولا بالله تعالى فيقول رب ثم يقول للملائكة الذين حضروه ليقبضوا الروح ارجعون اى ردونى الى الدنيا ﴿قوله والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم﴾ كقوله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها لبيد

الا كل شئ ما خلا الله باطل ۞ وكل نعيم لا محالة زائل

وقوله تعالى هو قائلها صفة لكلمة اى انها كلمة لا يسكت عنها البتة لاستيلاء الحسرة والندم عليه وهو قائلها بلسانه لا تنفعه ولا يجاب اليها وذلك لان التركيب من باب انا عارف فان اعتبر أن هو مبتدأ وقائلها هو الخبر فهو من باب تقوى الحكم فيكون المعنى هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ﴿قوله امامهم﴾ يعنى ان لفظ وراء مشتق من توارت عنك اذا استترت واحتجبت عنه فكل ما توارى عنك سواء كان امامك او خلفك فهو وراءك والبرزخ فى الاصل الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى وجعل بينهما برزخا والمراد به ما يحول بينهم وبين الرجعة والقبر فانه مانع من الرجوع الى الدنيا ﴿قوله والضمير للجماعة﴾ يعنى جمع الضمير فى ورائهم بعد التوحيد لشيوع هذا النهى فى جنس الكفار وجماعتهم ﴿قوله وهو اقناط كلى﴾ دفع لما يتوهم من ان ظاهر قوله تعالى الى يوم يبعثون يدل على انهم يرجعون الى الدنيا بعد يوم البعث بناء على ان حكم ما بعد كلمة الغاية مغاير لحكم ما قبلها فلما قيل لما منهم برزخ يصدهم عن الرجوع الى يوم يبعثون وفهم منه انهم يرجعون الى الدنيا بعده دفعه بان الكلام يدل على انهم لا يرجعون الى الدنيا ما قبل يوم البعث واما بعده فقد علم انه لا رجوع بعد يوم البعث الا الى احد الدارين الجنة او النار ثم انه تعالى لما قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ فى الصور والمعنى فاذا بعث الناس قيل الصور آلة اذا نفخ فيها ظهر صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرن ينفخ فيه وقيل الصور جمع صورة والمعنى فاذا نفخ فى الصور كلها ارواحها وهو قول الحسن رضى الله تعالى عنه وكان يقرأ بفتح الواو وضم الصاد وكسرها وقوله بينهم ليس منصوبا بقوله فلا أنساب لان اسم لا اذا بنى لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف وذلك المحذوف هو العامل ايضا فى يومئذ وقوله تنفعهم او يفتخرون بها اشارة الى ان نسب الانساب لا ينقطع يومئذ انما المنقطع فيه الانتفاع به والتفاخر ﴿قوله لانه عند النفخة﴾ يعنى ان عدم التساؤل عند النفخة فان اهل البعث فى يوم القيامة مشغولون بانفسهم عن التساؤل وقيل يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة فيه ازمنة واحوال مختلفة فيتعارفون ويتساءلون فى بعضها ويتحيرون فى بعضها لشدة الفزع وقيل التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا وتعارفوا وتساءلوا وقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن ﴿قوله واللفح كالنفح﴾ اى فى الدلالة على معنى الهبوب والضرب يقال نفحت الريح اى هبت قال الاصمعى رحمة الله تعالى عليه ورضى عنه ما كان من الرياح نفح فهو برد وما كان لفح فهو حر ﴿قوله والكلوح تقلص الشفتين﴾ قيل تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ صدره ﴿قوله وهما مصدرا سخر﴾ تقول سخرت منه وبه اسخر من باب علم سخرا وسخرا وسخريا وسخريا اذا هزئت به والذى يدل على ان المراد منه الهزؤ قوله تعالى وكنتم منهم تضحكون والضحك انما يلائم السخرية والهزؤ فظهر انهما لغتان بمعنى واحد ﴿قوله تعالى حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون﴾ اى تسببوه باشتغالكم بالاستهزاء بهم فنسب الانساء الى عباده المؤمنين وان لم يفعلوا لما كانوا سببا فى ذلك كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس لكون الاصنام سببا للاضلال ﴿قوله على الامر﴾ يعنى انهم قرأوا قل كم لبثتم على معنى انه امر للملك او لبعض رؤساء اهل النار ان يسأل اهل النار ويقول كم لبثتم فى الارض احياء وامواتا فى القبور الى ان بعثتم وكم فى موضع النصب على ظرف الزمان اى كم لبثتم سنة وعدد بدل من كم قاله ابو البقاء والصحيح ان عدد سنين هو التمييز والمقصود من هذا السؤال هو التبكيت والالزام لانهم كانوا ينكرون اللبث فى الآخرة رأسا ويقولون لا لبث الا فى دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت

(ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) تصديق لهم في تقالهم (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي الم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث (وانكم الينا لا ترجعون) معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله الملك الحق) الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال (لا اله الا هو) فان ما عداه عبيده (رب العرش الكريم) الذي يحيط بالاجرام وتنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب (ومن يدع مع الله الها آخر) يعبده افرادا او اشراكا (لا برهان له به) صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك (فانما حسابه عند ربه) فهو مجاز له مقدار ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين) عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة ومن عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان او اربع وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة) اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة (انزلناها) صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك او نحوه (وفرضناها) وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها (وانزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال (الزانية والزاني) اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو اجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزاني بلا ياء

يدوم ما هم فيه ولا بعث بعده ولما حصلوا في النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سئلوا كم لبثتم في الارض تذكيرا لهم ان ما ظنوه دائما طويلا فهو قليل يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا ويتقنون خلافه فان قيل كيف يصح ان يقولوا في الجواب لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع الكذب في الآخرة فالمصنف رحمه الله تعالى عليه اشار الى جوابه بقوله استقصارا لمدة لبثهم فيها بالاضافة الى آخره وقيل انهم نسوا قدر لبثهم في الارض لكثرة ما هم فيه من الاهوال وعظم ما هم بصدده من العذاب ويدل عليه قولهم فاسأل العادين او لان المنقضي ليس له قدر في مقابلة الباقي فهو اقل من كل قليل ولهذا صدقهم الله تعالى في استقلالهم تلك المدة حيث قال ان لبثتم الا قليلا اي زمانا قليلا او لبثا قليلا وجواب لو مقدر اي لو انكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة كذا قاله ابو البقاء رحمة الله تعالى عليه يعني انه تعالى صدقهم في اصل الاستقلال وجهلهم في تعيين المدة ثم انه تعالى لما بكتهم في انكارهم البعث ولبث الآخرة وبخهم على تماديهم في الغفلة وتركهم النظر الصحيح في يدل على حقية البعث والقيامة فانه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصي والصديق من الزنديق فيكون خلق العالم عبثا فقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا ثم نزه نفسه عن العبث بقوله فتعالى الله الملك الحق والمراد من الرجوع الى الله تعالى الرجوع الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه لا الرجوع من مكان الى مكان فيه الله تعالى وذلك ظاهر والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة النور مدنية وهي ستون وآيتان او اربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

روى الامام الواحدي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله تعالى عنهم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور » يعني النساء ﴿قوله اي هذه سورة﴾ على ان سورة خبر مبتدأ محذوف وعلى الثاني هي مبتدأ والخبر محذوف وانزلناها على التقدير صفة سورة للمدح والتأكيد بناء على ان الانزال يفهم منها اي السورة لانها اسم لطائفة من القرآن المنزل علم ابتداؤها وانقطاعها بالتوقيف فان قلت ما فائدة هذا الحمل مع ان كل واحدة من فائدتي الخبر ولازمها منتف فيها فالجواب ان احدى الفائدتين انما تطلب من الكلام الذي يقصد به افادة المخاطب ويكون المتكلم في صدد الاخبار والاعلام واما الكلام الذي يقصد به الامتنان والمدح والترغيب فلا يجب فيه شيء منهما ﴿قوله وفرضنا ما فيها﴾ على طريق ذكر المحل وارادة الحال وقال ابو علي اي فرضنا فرائضها بينتها المذكورة فيها فحذف المضاف ﴿قوله فتتقون المحارم﴾ اشارة الى ان قوله تعالى تذكرون من تذكر ما علم قبل لا من تذكر بمعنى الاتعاظ كأنه قيل انزلنا فيها آيات بينات لتعلموها وتذكروها وقت الحاجة اليها قال الامام رحمه الله تعالى عليه في اول هذه السورة انواع من الاحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله تعالى وفرضناها اشارة الى الاحكام التي بينها اولا ثم قال تعالى وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى ما بين فيها من دلائل التوحيد والذي يؤكد هذا التأويل قوله تعالى لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها انتهى كلامه وجعل دلائل التوحيد في قوة المعلوم لمسارعة العقول السليمة الى قبولها وابتنائها على مقدمات مسلمة مركوزة في القلوب ﴿قوله اي فيما فرضنا﴾ على ان قوله الزانية والزاني مبتدأ حذف خبره ثم بين حكمهما بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية والفاء فيه لعطف تفصيل المجمل على المجمل كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي فان الفاء العاطفة للتفصيل فتفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر لان مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها في الزمان ﴿قوله وقرئ بالنصب﴾ اي على الاضمار على شريطة التفسير والتقدير اجلدوا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ودخلت الفاء في اول الفعل المفسر ايذانا بانه واقع في موقع جزاء لشرط محذوف والاصل ان اردتم معرفة حكم الزانية والزاني فاجلدوهما اجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فحذف الشرط اعتمادا على دلالة سياق الكلام عليه وحذف الفعل الاول ثم فسر لتكون التفسير بعد الابهام اوقع في النفس فصار فالزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ثم قدم المفعول على الفاء ليصير عوضا من الشرط المحذوف كما ترى ﴿قوله لاجل الامر﴾ فان الفعل الواقع بعدما اضمر عامله على شريطة التفسير اذا كان امرا او نهيا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية وهي اولى ان امكن اختصاص الطلب بالفعل الاثري

الى الاختصاص حروف الطلب والعمل كحرف الاستفهام والعرض والتحضيض فلو رفع الزانية على الابتداء لكان فعل الامر خبرا والامر لا يقع خبرا الا بتأويل وقوله والزان بلا ياء اي وقرئ والزان بلا ياء اكتفاء بالكسرة عنها كما فى قوله يوم يدع الداع ﴿قوله والجلد ضرب الجلد﴾ كما يقال رأسه وبطنه اذا ضرب رأسه وبطنه هكذا يقال جلده اذا ضرب جلده والزنى عبارة عن ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم قطعا ﴿قوله وهو حكم يخص من ليس بمحصن﴾ يعنى ان الآية تتناول جميع الزناة والزوانى من المحصن وغيره الا ان ما نقل الينا بطريق التواتر من انه صلى الله عليه وسلم رجم من زنى محصنا خص الآية بغير المحصن فان تخصيص القرآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقا قال الامام رحمه الله تعالى عليه واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وقال عمر رضي الله عنه اذا طال الزمان على الناس ربما يقول قائل لا نجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضل بترك فريضة انزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبران الذى فرضه الله تعالى هو الرجم ﴿قوله وزاد الامام الشافعى عليه الخ﴾ وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه يجلد اما التغريب فمفوض الى رأى القاضى وهو الامام واحتج ابو حنيفة على نفى وجوب التغريب بوجوه منها ان ايجاب التغريب يقتضى نسخ الآية ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز وتقرير النسخ من ثلاثة اوجه الاول انه سبحانه وتعالى رتب الجلد على فعل الزنى بالفاء وحرف الفاء للجزاء وقد صرح ائمة العربية رحمة الله تعالى عليهم بذكر الشرط والجزاء وفسروا الشرط بالذى دخلت عليه كلمة ان والجزاء بالذى دخل عليه حرف الفاء والثانى ان الجزاء اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم جزاه اى كفاه وقال صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزى بعدك احدا اى يكفيك ومنه قول القائل اجزيت الابل بالعشب عن الماء وانما تقع الكفاية بالجلد اذا لم يجب معه شئ يقتضى نسخ كونه كافيا والثالث ان المذكور فى الآية لما كان هو الجلد كان ذلك هو كل الحد فلو جعلنا التغريب معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحد لا كل الحد فيفضى الى نسخ كونه كل الحد واجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى عليه بانه ليس فى الآية ما يفيد دفع وجوب التغريب اذ ليس فيها الا ادخال حرف الفاء على الامر بالجلد واما كون مدخولها جزاء كافيا فى العقوبة فليس من كلام الله تعالى ولا من كلام رسوله عليه الصلاة والسلام بل هو قول بعض الادباء فلا يكون حجة وليس فى الآية الشريفة الا وجوب الجلد وليس فيها ما يدفع شيأ آخر بوجوبه والنسخ المقبول نسخ الكتاب بالسنة المتواترة والمردود منه نسخه بالآحاد فانه مردود عند الحنفية رضى الله تعالى عنهم ﴿قوله وله فى العبد ثلاثة اقوال﴾ احدها تغريب سنة كما فى الحر لان التغريب الايحاش وذلك معنى يرجع الى الطبع فيستوى فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وثانيها تغريب نصف سنة لقوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والتغريب يقبل التنصيف فينصف كما ينصف الجلد فانه يجلد نصف جلد الاحرار وثالثها انه لا يغرب كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليحدها الحد كما وجب عليها ولم يؤمر بالتغريب لان ما فيه تعبد فى تغريبه اضرار بالسيد واعلم ان كون الزنى موجبا للرجم تارة والحد اخرى مشروط بالعقل والبلوغ بل هما معتبران فى العقوبات كلها اما كونه موجبا للرجم فلا بد فيه مع العقل والبلوغ من شروط اخر الشرط الاول الحرية واجمعوا على ان الرقيق لا يجب عليه الرجم لنصه كما اجمعوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة وكذا العبد عند الجمهور وقال اهل الظاهر يجلد العبد مائة جلدة كالحر عملا بعموم قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما الآية الشرط الثانى التزوج بنكاح صحيح فلا يحصل الاحصان بالاصابة بملك اليمين ووطئ الشبهة وبالنكاح الفاسد الشرط الثالث الدخول ولا بد منه لقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب وانما تصير ثيبا بالوطئ وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه ان تكون الاصابة بالنكاح الصحيح بعد البلوغ والحرية والعقل لانه شرط اكمل الاصابات وهو ان تكون بنكاح صحيح وشرط ان تكون الاصابة فى حال الكمال والاسلام ليس شرطا فى كون الزنى موجبا للرجم عند الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وابى يوسف ايضا وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه هو شرط ايضا واحتج بان الذمى الذى يزنى بعد الاحصان لا يجب عليه القتل فبيان الاول قوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن وبيان الثانى ان المسلم الذى لا يكون محصنا لا يجب عليه القتل لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق ولما لم يكن الذمى

واتما قدم الزانية لان الزنى فى الاغلب
يكون بتعرضها الرجل وعرض نفسه
عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليه
والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص
عن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن
هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب
الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية
ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا
مقبولا او مردودا وله فى العبد ثلاثة
اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل
والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية
الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه
السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك
بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى
يقتص له من المسلم

محصن لم يجب قتله باقدامه على الزنى واجاب المصنف رحمة الله تعالى عليه عن هذا الاحتجاج بان معنى الحديث الشريف ان من اشرك بالله تعالى فليس بمحصن اى بمحصن الدم فلا يقتل قاتله المسلم قصاصا فان القصاص انما يجب بقتل من احصن دمه ابدا والمشرك ليس ممن احصن دمه ابدا فلا يقتص من المسلم لاجله واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم « لا يقتل مسلم بكافر » ويقتل المسلم بالذمى عندنا لما روى انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويجب القصاص فى الاطراف بين المسلم والكافر اجماعا واعلم ان عقوبة الزانى كانت فى اول الاسلام ان يحبس الى ان يموت فى حق الثيب وان يؤذى بالكلام فى حق البكر قال الله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما ثم نسخ ذلك بجعل حد الثيب على الزنى الرجم وحد البكر الجلد والتغريب روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال خذوا عنى انه قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واحتج الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه بهذا الحديث على ما ذهب اليه من الجمع بين الجلد والتغريب فى البكر وبين الجلد والرجم فى حق الثيب ﴿ قوله تعالى لا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ﴾ اى لا تدرككم الرأفة والشفقة عليهما بحيث تؤدى الى تعطيل حد الله تعالى وترك الاقامة او المسامحة فيه فان الايمان يوجب الاتيان بامر الله تعالى والتشديد فيه دون اللين والمسامحة وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال لم نقصته فيقول رحمة بعبادك فيقال له انت ارحم واعلم منى فيؤمر به الى النار ويجوز ان يكون هذا الحديث تفسيرا لقوله صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » وعن ابى هريرة رضى الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة ﴿ قوله وقيل واحد ﴾ احتجاجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله او اثنان احتجاجا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وكل ثلاثة فرقة والخارج من الثلاثة واحد او اثنان والاحتياط بوجوب الاخذ بالاكثر ثم انه تعالى لما بين عقوبة الزنى وحكمه وعقوبة من ارتكبه بين حكما ثانيا فقال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة الآية ولما كان ظاهر النظم اخبارا بان الزانى لا ينكح المؤمنة العفيفة وان الزانية لا ينكحها المؤمن التقى وكان هذا الحصر عرفا غير ظاهر الصحة فى حكم هذه الشريعة لان الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وكذا قوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين فانه ايضا غير ظاهر الصحة فان المؤمن يحل له ان يتزوج بالمرأة الزانية اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بان حمل الاخبار المذكور على الاعم الاغلب على طريق قولك لا يفعل الخير الا رجل تقى مع ان بعض من لا يكون تقيا قد يفعل خيرا فراد القائل بيان ان ما وقع من الخير انما يقع غالبا من التقى وهو لا ينافى وقوعه من غير التقى على قلة فكذا ههنا او من حمل التحريم على التنزيه قال الامام النسفى واصح الاقاويل فى هذه الآية الشريفة انها تزهيد فى حق نكاح البغايا وتأويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لا يرغبوا الا فى المسلمات العفيفات واما الزانى فهو انما يميل الى من كان على مذهبه فى الزنى او الى من لا يعتقد الايمان فضلا عن ان يتفكر فى العفة والزانية ايضا انما تميل الى احد الرجلين اما الى زان مثلها او الى مشرك شرع مثلها ﴿ قوله فكان حق المقابلة ﴾ اى فى قوله تعالى الزانى لا ينكح اى لا يتزوج انما يقابله قولنا الزانية لا تنكح ولا تتزوج الا من هو زان الا انه لما كان المقصود بيان احوال الرجال وان طائفة تميل الى المسافحات مع ميل الى الفواجر لم يراع حق المقابلة ﴿ قوله والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه ﴾ فالمعنى وحرم نكاح البغايا قصدا للتوسع بما يأخذن فى الزنى كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة ان يتزوجوا بهن الى ان يغنيهم الله تعالى عنهن فاللام والالف فى قوله تعالى الزانى وفى قوله تعالى على المؤمنين وان كان العموم ظاهرا لكن المراد به الاقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم فتقدير الآية والله تبارك وتعالى اعلم اولئك الزناة لا ينكحون الا الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحهن الا اولئك الزناة وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين « والايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امرأة وسئل عليه الصلاة والسلام ان من زنى بامرأة هل له ان يتزوجها فاجاب بقوله صلى الله عليه وسلم اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال » وشبهه ابن عباس بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية الشريفة واذا باشرها كان زانيا ﴿ قوله وهو فاسد ﴾

(ولا تأخذكم بهما رأفة) رحمة (فى دين الله) فى طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه فلذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهييج (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير (الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك) اذ الغالب ان المائل الى الزنى لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهن لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى (وحرم ذلك على المؤمنين) لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهى الزانى عن الزنى الا بزانية والزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد

لان الاشكال باق لانا نرى ان الزانية قد ينكحها الرجل العفيف والزانى قد ينكح العفيفة ويتزوجها ولو قلنا بان المراد ان الزانى لا يطأ بطريق الزنى الا الزانية يصير كلاما لا فائدة فيه ﴿قوله لوصف المقذوفات بالاحصان﴾ بيان للقرينة المعينة لكون المراد بالشئ المقذوف به الزنى فان ظاهر الآية الشريفة لا يدل الا على الشئ الذى رمى به المحصنات وذكر الرمى لا يدل على الزنى لان المحصنات قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلا بد من قرينة تدل على تعيين المراد واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على ان المراد بالرمى الزنى بقرينة تقدم ذكر الزنى لانه تعالى وصف المقذوفات بالاحصان وهو العفة عن الزنى فدل ذلك على ان المراد وصفهن بعدم العفاف لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء اى على صدقهم فيما رموهن به وكون الشهود اربعة انما يشترط فى المقذوف بالزنى فان القذف بغير الزنى يكفى فيه شاهدان وان الواجب فيه التعزير دون الحد ثم ان اقر المقذوف على نفسه بالزنى او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد وجب لافترائه على البرئ وقد ثبت صدقه ﴿قوله ولا فرق فيه﴾ يعنى لا فرق بين المحصنين والمحصنات فى ان قذفهم بالزنى يوجب جلد القاذف ثمانين جلدة الا ان النص ورد فى قذف المحصنات لما ذكره ﴿قوله لخصوص الواقعة﴾ على ما قيل من ان هذه الآية نزلت فى حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه حين تاب عما قال فى حق عائشة رضى الله عنها ﴿قوله ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء﴾ لان الاتيان باربعة شهداء يصدق على الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين قياسا على سائر الاحكام فانها تثبت بشهادة الشهود بها سواء شهدوا بها مجتمعين او متفرقين فكذا حكم الزنى وقال ابو حنيفة رضى الله عنه اذا شهدوا متفرقين لا يثبت الزنى وعليهم حد القذف لان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذف المشهود عليه ولم يأت باربعة شهداء فيجب عليه الحد وتعبير القذف بلفظ الشهادة لا يخرجه عن كونه قاذفا ولو أتى القاذف باربعة شهداء فساق فشهدوا على المقذوف بالزنى قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه فى احد قوليه يحدون واحتج ابو حنيفة بانه أتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحد والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرائط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة ﴿قوله لضعف سببه﴾ اى بالنسبة الى سبب ضرب الزنى فان سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتمل الصدق والكذب وسبب ضرب الزنى فعل يثبت بالشهود العدول ولا شك انه اقوى فى كونه جنايا بالنسبة الى القول فخفف ضربة القول الضعيف واحتمال صدق مقال القاذف يقتضى سقوط الحد رأسا الا انه وجب صيانة للعرض وردعا عن هتكه ﴿قوله خلافا لابى حنيفة رضى الله تعالى عنه﴾ فان عدم قبول شهادته متوقف على اقامة الحد عليه عنده حتى اذا تاب قبل اقامة الحد عليه او قبل تمام حده تقبل شهادته عنده فمعنى الآية والله تبارك وتعالى اعلم عنده ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا بعد اقامة الحد عليهم فلا تقبل شهادة المحدود فى قذف وان تاب وصار من الاتقياء وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه تقبل شهادته اذا تاب لقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومن لا ذنب له تقبل شهادته فيجب ان تقبل شهادة من تاب عن القذف وهذه المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل يرجع الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة الاخيرة فعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى عليه الاستثناء المذكور عقيب الجمل الكثيرة يختص بالجملة الاخيرة وعند الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه يرجع الى الكل لان الواو للجمع المطلق فقوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون جمل متعاطفة بالواو فصار الجميع كأنه ذكر معا لا تقدم لبعض على البعض فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقى اذ لم يكن لبعضها تقدم على البعض فى المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ويؤيده انا اجمعنا على انه لو قال عبده حر وامرأته طالق ان شاء الله تعالى فانه يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه واحتج اصحاب ابى حنيفة رحمه الله عليهم على ان الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بانه لو رجع الى جميع الجمل المتقدمة لوجب ان لا يجلد القاذف اذا تاب وهو باطل بالاجماع فوجب ان يختص بالجملة الاخيرة فقال المصنف رحمه الله تعالى عليه بناء على مذهبه ان الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيا للجلد ورد الشهادة ابدا والتفسيق والمعنى من قذف محصنة فاجلدوا له الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا من القذف واصلحوا فان الله تعالى يغفر لهم جناية قذفهم فلا يعاقبهم عليها * ولما ورد ان يقال فعلى هذا يلزم ان القاذف اذا تاب من القذف قبل ان يجلد يسقط عنه الحد وهو لا يسقط بالاجماع فاشار الى جوابه بقوله ولا يلزمه

(والذين يرمون المحصنات) يقذفونهن بالزنى لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنى ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة اولان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه اخف من ضربات الزانى لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولا تقبلوا لهم شهادة) اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده (ابدا) ما لم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره (واولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) عن القذف (واصلحوا) احوالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف

سقوط الحد به كما قيل لان من تمام توبته الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف فان للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف قبل ان تشهد الشهود ويثبت القذف واما بعد أن يرفع للقاضي ويثبت القذف باقامة الشهود عليه فليس له ان يعفو بعده لان المقذوف وان استحق على القاذف ان يستوفي منه الحد الا انه لما اجتمع فيه حقان وحق الشرع فيه غالب فليس للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته ﴿قوله ومحل المستثنى النصب﴾ لما تقرر في النحو من انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا في كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور كقولك ما مررت باحد الا زيد بالجر على البدل من احد والا زيدا بالنصب على الاستثناء ويجب نصبه في كلام موجب وما في الآية لما كان راجعا الى اصل الحكم وكان المعنى ومن قذف المحصنات فاجمعوا لهم هذه الامور كان الاستثناء في كلام موجب فيجب النصب ﴿قوله وقيل الى النهي﴾ اي وقيل الاستثناء الواقع في هذه الآية يرجع الى قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وهو كلام غير موجب وحق المستثنى ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وقال صاحب الكشاف والامام الشافعي جعل جزاء الشرط جملتي فاجلدوا ولا تقبلوا وجعل الاستثناء متعلقا بجملة الثانية منها لا بمجموع جملتي الامر والنهي لان التوبة لا تسقط حق العبد ولم يرض المصنف رحمه الله تعالى عليه بهذا النقل لكونه مخالفا لما اشتهر من الامام الشافعي رحمه الله تعالى عليه من كون الاستثناء المذكور عقيب الجمل يرجع الى الكل ﴿قوله وقيل منقطع﴾ اي عاقبته والمعنى لكن الذين تابوا من صدقات واصلحوا فان الله غفور رحيم فقوله الا الذين مبتدأ خبره قوله فان الله غفور رحيم اي غفور لهم فحذف الجار والمجرور لعلمه وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء قال عاصم بن عدي الانصاري رضي الله تعالى عنه ان دخل رجل منا بيته فرأى رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وكان له امرأة يقال لها خولة بنت كبش فأتى عويمر عاصما فقال له لقد رأيت شريك بن سحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك فقال اخبرني عويمر ابن عمي انه رأى شريك بن سحماء على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله لقد رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله تعالى ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل النظر ويتحدث معي فحملته الغيرة على ما قال فأنزل الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات ونزل ايضا قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات وبين به ان حكم قذف الزوجة اللعان بعد ما بين حكم قذف الاجنبيات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يؤذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجي لمن الكاذبين وقالت في الثانية اشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى الا منه وانه لمن الكاذبين وقالت في الرابعة اشهد بالله ما رأى علي فاحشة وانه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة بنت كبش ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ثم قال عليه الصلاة والسلام ان جاءت بولده مشابها له فهو له وان جاءت به مشابها لمن قيل فيه فهو له ثم جاءت به غلاما يشبه من نسب اليه فقال لولا الايمان لكان لي وفي هذه الواقعة آيات اخر منها ما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله نزلت في هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم ﴿قوله واربع نصب على المصدر﴾ لانه في حكم المصدر باضافته اليه وناصب هذا المصدر مصدر مثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ﴿قوله وثبوت حد الزنى على المرأة﴾ عطف على قوله سقوط حد القذف عنه واعلم انه اذا قذف الرجل امرأته بالزنى يجب عليه الحد ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في قذف

والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده (فان الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم) نزلت في هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير (فشهادة احدهم اربع شهادات) فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها (انه لمن الصادقين) اي فيما رماها به من الزنى واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا (والخامسة) والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين ورفع لعنة هنا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنى على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) اي الحد (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماني به (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وما جلكم بالعقوبة

الاجنبي اذ لا يختلف موجبه باختلاف الحالين فانهما يختلفان في المحصن فان قذف الاجنبي لا يسقط الحدّ من القاذف الا باقرار المقذوف او بينة تقوم على الزنا وفي قذف الزوجة يسقط الحدّ عن القاذف باحد هذين الامرين وباللعان ايضا وهو قول المصنف رحمه الله تعالى عليه وحكمه سقوط حدّ القذف عنه ولعان الزوج لما كان بمنزلة الشهادات التي يثبت بها الزنى اوجب عليها حدّ الزنى نقل الامام عن الشافعي رحمه الله تعالى عليهما وكلما تثبت بمجرّد لعانه ولا يفتقر فيها الى لعانها ولا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقة واستدل المصنف رحمه الله تعالى عليه على ثبوت حدّ الزنى على المرأة بقوله ويدرأ عنها العذاب بناء على انه حمل العذاب على الحدّ كما في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وحمله الحنفيون رحمه الله تعالى عليهم على الحبس والحبس على اللعان والمعنى ويدفع عن المرأة ان تجبر وتحبس على ان تلاعن او تصدّق زوجها فيما رماها به فانها اذا امتنعت عن اللعان حبست واجبرت عليه حتى تلاعن **﴿قوله﴾** انه عليه افضل الصلاة والسلام استصحبها **﴾** وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يسافر اقرع بين نسائه فايتهن خرج اسمها خرج بها معه فاقرع بين نسوانه في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج فيها اسم عائشة رضي الله تعالى عنها فخرجت معه عليه الصلاة والسلام والجزع الخرز وظفار على وزن قطام مدينة باليمن فقوله من جزع ظفار اي من خرز منسوب اليها والمنشد من عرّف الضالة والناشد من يطلبها فالانسب ان يقال كي يرجع اليها ناشد والتعريس نزول القوم في السفر آخر الليل والمراد هنا مطلق النزول ويقال ادلج القوم اذا ساروا من اوّل الليل والاسم الدلج ويقال ادّلج من الافتعال اذا سار من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها لما اصبح صفوان عند منزلي رأى سواد انسان نائم فعرفني حين رآني وقد رآني قبل ان يضرب عليّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته ووطئ على يدها اي يد راحلته فركبتها فانطلق يقود بي حتى اتينا الجيش في نحر الظهيرة فهلك فيّ من هلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابيّ بن سلول وخاضوا في حديثي وافشوه في العسكر وخاض اهل العسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدّث به بعضهم بعضا قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء من ذلك غير انه يريبني في مرضي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي وانما يدخل عليّ فيقول كيف تيكم فيريبني ذلك ولا اشعر بالشرّ فلما رأيت ذلك قلت يا رسول الله لو اذنت لي فانقلب الى ابويّ يمرّضاني فقال لا بأس فانقلبت الى بيت ابويّ وكنت فيه الى ان نقهت من مرضي بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت في بعض الليالي ومعي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرّزنا ولا نخرج الا ليلا وكان عادة اهل المدينة حينئذ انهم لا يتخذون الكنف في بيوتهم انما كانوا يذهبون في فسيح المدينة على عادة العرب الاوّل في التبرّز تأذيا من اتخاذ الكنف في بيوتهم فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم وامها بنت صخر ابن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما فرغنا من شأننا واقبلنا الى جانب البيت عثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي قلت يا امه ما يتحدث الناس قالت اي بنية هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثّرن عليها قالت قلت سبحان الله تعالى أوقد تحدّث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعليّ بن ابي طالب حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله فاما عليّ بن ابي طالب فانه قال لم يضيّق الله تعالى عليك في النساء والنساء سواها كثير فاستبدل واما اسامة بن زيد فاشار اليه بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم في نفس النبي صلى الله عليه وسلم من الودّ فقال يا رسول الله ما علمت منها الا خيرا فلا تفعل وانظر واسأل اهلك قالت فسأل حفصة فقالت حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله ما رأيت عليها سوءا قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل بريرة فقال اي بريرة هل رأيت شيئا يريبك من عائشة قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما رأيت عليها امرا قط اغمصه عليك غير انها لا اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت فقام النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل حتى دخل عليّ وعندي ابواي ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل فيّ ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى

(ان الذين جاؤا بالافك) ابلغ مايكون
من الكذب من الافك وهو الصرف لانه
قول مأفوك عن وجهه والمراد مااُفك به
على عائشة رضي الله عنها وذلك انه عليه
الصلاة والسلام استصحبها في بعض
الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل
فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل
فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع
ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي
كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله
على مطيها وسار فلما عادت الى منزلها
لم تجد ثمة احدا فجلست كي يرجع اليها
منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي
قد عرّس وراء الجيش فادلج فاصبح عند
منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها
فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به (عصبة
منكم) جماعة منكم وهي من العشرة الى
الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
بن ابيّ وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن
ساعدهم وهي خبر ان وقوله (لاتحسبو
شرا لكم) مستأنف والخطاب لرسول
صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة
وصفوان والهاء للافك (بل هو خير لكم)
لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم
على الله بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم
وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم
فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه (منهم) من الخائضين وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوهو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين (له عذاب عظيم) فى الآخرة او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن أبى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله (وقالوا هذا افك مبين) كما يقول المستيقن المطلع على الحال (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقرر ان لكم (لمسكم) عاجلا (فيما افضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد

اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة قد بلغنى عنك كذا وكذا ان كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله تعالى وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قلص دمعى حتى ما احس منه قطرة فقلت لابى اجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادرى ما اقول فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم هذا حتى استقر فى انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله تعالى يعلم انى بريئة منه لتصدقنى به والله ما اجد لى ولكم مثلا الا ما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وانا والله حينئذ اعلم انى بريئة وان الله تعالى يعلم براءتى وانى والله ما كنت اظن ان ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان احقر فى نفسى من ان يتكلم الله تعالى فىّ بامر يتلى ولكنى كنت ارجو ان يرى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئنى الله تعالى بها قالت فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله تعالى جبريل على نبيه واخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى انزل عليه فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى عنه وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال أبشرى يا عائشة اما والله فقد برأك الله تعالى فقلت بحمد الله تعالى ولا بحمدك ولا بحمد اصحابك فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله عز وجل قالت فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه الى آخر الآيات العشر فى براءتى ولما انزل الله تعالى هذه الآيات قال ابو بكر الصديق وكان ينفق لمسطح او على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق شيأ ابدا بعد الذى قال لعائشة ما قال فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر بلى أحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه وقال لا انزعها منه ابدا ه والعصبة عشرة الى اربعين وهى صفته والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ان الذين اتوا بالكذب فى امر عائشة جماعة كائنة منكم فى كونهم موصوفين بالايمان وعبد الله ايضا كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا **﴿قوله فانه بدأ به واذاعه﴾** قالت عائشة رضى الله عنها ركبت الراحلة واخذ صفوان بالزمام يقودها فمررنا بملأ من المنافقين فيهم عبد الله بن ابى فقال من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال نعى الله امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها قالت وهو الذى تولى كبره منهم فانه لما كان مبتدأ لذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ه وروى انه لما نزلت آية براءة عائشة رضى الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب عبد الله بن ابى ومسطحا وحسانا او حدهم حد القذف **﴿قوله لولا هلا﴾** يعنى ان لولا هذه تحضيضية بمعنى هلا فان لولا اذا وليت الفعل تكون للتحضيض كقوله تعالى لولا اخرتنى وحرف التحضيض يلزم الفعل لفظا او تقديرا ومعناها اذا دخلت على الماضى التوبيخ واللوم على ترك الفعل واذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر ولا يكون التحضيض فى الماضى لان الطلب لا يتصور فيه فمعنى الآية يا ايها الذين سمعوا قول القاذف عائشة بصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ما قيل فى حقهم وجعل المؤمنين كنفس واحدة كما فى قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وحق الكلام ان يقال ظننتم وقلتم وعدل عنه الى الغيبة مع التصريح بصفة الايمان تنبيها على ان اللائق بالمؤمن ان لا يظن بمؤمن مثله الا الخير وان يبرئه من السوء ومبالغة فى التوبيخ فان اصل التوبيخ وان حصل بان قيل لولا ظننتم بانفسكم خيرا لكنه يزداد بالالتفات الى الغيبة اذ فيه اشارة الى ان شأن الايمان يقتضى ان يظن المؤمن باخيه خيرا ويذب عنه الطاعنين فيه بقوله هذا افك مبين فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الايمان وهذه المبالغة لا تحصل الا بالاسلوب الاول **﴿قوله وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف﴾** يتضمن السؤال من شيئين الاول ان حرف التحضيض يجب ان يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف والثانى ان الظرف ههنا معمول لقوله ظن المؤمنون وقالوا فلم قدم على عامله فاجاب عن الاول بان الظروف شأنا ليس لغيرها وهو تنزيلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها من غير انفصال عنها وعن الثانى بان الفائدة فى تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا عن

(الاثم)

من تلقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه (وتقولون بافواهكم) اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب (ما ليس لكم به علم) لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم

ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعة فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما ينبغي لنا وما يصح (ان نتكلم بهذا) يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك) تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله ان تعودوا لمثله) كراهة ان تعودوا لمثله او في ان تعودوا (ابدا) ما دمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع منه وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (ان تشيع) ان تنتشر (الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة) بالحد والسعير الى غير ذلك (والله يعلم) ما في الضمائر (وانتم لا تعلمون) فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وان الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكا) ما طهر من دنسها (منكم من احد ابدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكي من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) لمقالتهم (عليم) بنياتهم (ولا يأتل) ولا يحلف افتعال من الألية او ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين (اولوا الفضل منكم) في الدين

الاثم والحلي اول ما سمعوا بالافك بان يظنوا بالمؤمنين خيرا ويقولوا هذا افك مبين ولا يتكلموا به ولا يذيعوه فقد كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه ﴿قوله يأخذه بعضكم من بعض﴾ يعني ان تلقي القول اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفسر التلقي باخذ بعضهم من بعض لان كل واحد من المتلقي والملقى منه داخل في هذا الخطاب وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بألسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا ناد الا ذكر فيه فكأنهم سعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظائم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به والاخبار بالشيء يجب ان يكون مستقرا بان تستقر صورته في القلب اولا ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتهم ويدور في افواههم من غير ان يستقر العلم به في قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جريمة عظيمة عند الله تعالى اي في حكمه ﴿قوله ما ينبغي لنا وما يصح﴾ اشارة الى فائدة زائدة مع ان الكلام سديد بدونه بان يقال ما لنا ان نتكلم بهذا ونظيره قوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فانه بمعنى ما ينبغي وما يصح ﴿قوله تعجب ممن يقول ذلك﴾ اي الافك وعظمه او ممن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى في حق هؤلاء الكرام ثم بين وجه استعارة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال واصله اي والاصل في ذكر هذه الكلمة ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صانعه تبريها له من ان يخرج مثله عن قدرته ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه ﴿قوله او تنزيه﴾ عطف على قوله تعجب وقوله ينفر عنه اي عن النبي فيفوت ما هو المقصود من ارساله فان الانبياء انما بعثوا الى الكفار ليدعوهم الى الدين والى قبول ما تلقوه عن الله تعالى من الاحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل اذا كان في الانبياء ما ينفر الكفرة عنهم فجاز ان تكون امرأة النبي صلى الله عليه وسلم كافرة لان الكفر ليس مما ينفر عنهم ولا يجوز ان تكون فاجرة لان الكشخنة من اعظم المنفرات والكشخان الذي امرأته فاجرة تدعو الرجال الى نفسها وهو يعرف حالها اي زوج الفاجر والبهتان مصدر بهته اي قال عليه ما لم يفعله سمي به المبهوت به ان كانت الاشارة بقوله هذا الى الافك بمعنى القول الكاذب وان كانت الاشارة الى الافك بمعنى الكذب والافتراء يكون البهتان ايضا مصدرا فقوله تعالى هذا بهتان عظيم معناه هذا الافك افتراء عظيم يتحير من عظمه روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ثم انه تعالى قال يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب فان فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الآخرة كراهة ان تعودوا او يعظكم في ان تعودوا حتى لا تعودوا الى مثله ابدا ﴿قوله بالحد والسعير الى غير ذلك﴾ فيه اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك وان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليس معناه مجرد وصفهم بانهم يحبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير قصد ان يشيعوها ويظهروها فان ذلك القدر لا يوجب الحد في الدنيا بل المعنى ان الذين يشيعون الفاحشة والزنى في الذين آمنوا كصفوان وعائشة رضي الله تعالى عنهما عن قصد ومحبة لاشاعتها والخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين وبالفتح مصدر خطوت خطوة للمرة والمراد بها ههنا سيرة الشيطان وطريقته والمعنى لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووساوسه باشاعة الفاحشة والاصغاء الى الافك والقول به ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو كون يأتل يفتعل من الألية لا من الألو انه قرئ ولا يتأل فانه من الألية يقال آلى يؤلي ايلاء والية وائتلى يأتلي ائتلاء وتألى يتألى تأليا كلها بمعنى حلف ﴿قوله وفيه دليل على فضل ابي بكر﴾ وذلك لان الفضل المذكور في الآية اما في الدنيا واما في الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره في معرض المدح والمدح بكثرة الدنيا غير جائز من الله تعالى ولانه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة تكريرا لا تأسيسا فتعين ان يكون المراد منه الفضل في الدين والمنزلة من الله تعالى فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا فلما اثبت الله تعالى له الفضل غير مقيد بكونه بالنسبة الى شخص دون شخص ثبت كونه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق المفسرون على ان المراد بقوله اولوا الفضل هو ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﴿قوله على ان لا يؤتوا﴾ باسقاط الخافض وهو كثير شائع وكذا حذف كلمة لا في اليمين كثير ايضا قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا يعني مخافة ان لا تبروا وقال امرؤ القيس

(اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود (وليعفوا) لما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغماض عنه (الا تحبون ان يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن ابي (لعنوا في الدنيا والآخرة) لما طعنوا فيهن (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة (يوم تشهد عليهم) ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل (ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) لمعاينتهم الامر (ان الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (اولئك) يعني اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان (مبرؤن مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته

فقلت بلى والله ابرح قاعدا اي لا ابرح وهذا التأويل على تقدير ان يكون قوله ولا يأتل اولوا الفضل افتعالا من الالية واما على تقدير كونه افتعالا من الالو فالتأويل ما اشار اليه بقوله او لا يقصروا في ان يؤتوا اي لا يقصر اولوا الفضل في ان يحسنوا ﴿قوله فيكون ابلغ في تعليل المقصود﴾ بناء على ما اشتهر من ان تعليق الحكم بالمشتق يفيد علية المأخذ وان جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام ابلغ في تعليل المقصود وهو نهي الصديق من حلف يمينه على ان لا ينفق على مسطح فان جعل الكلام من قبيل عطف الصفات فقد افاد الكلام تعليل المقصود لان كل واحد من الصفات المذكورة اذا كان مانعا من محلوف اليمين فيكون الشخص الموصوف بتلك الصفات مانعا منها بطريق الاولى ﴿قوله تعالى وليعفوا﴾ اي عن ذنبهم وليصفحوا اي وليعرضوا عن لومهم فان العفو ان يتجاوز عن الجاني والصفح ان يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب ﴿قوله استباحة لعرضهن﴾ منصوب على انه مفعول له لقوله تعالى يرمون المحصنات واشارة الى جواب ما يقال هذه الآية تدل على ان قاذف المحصنات كافر لا تقبل توبته اما انه كافر فلقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر اعداء الله الى آخر الآيات الثلاث ولقوله ولهم عذاب عظيم هو عذاب الكفر واما انه لا تقبل توبته فلقوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولم يذكر استثناء بان قال الا الذين تابوا فهذا يدل على ان قاذف المحصنات الغافلات ملعون في الدارين تاب او لم يتب وقد قال في اول السورة ان الذين يرمون المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة فالمصنف رحمه الله تعالى حمل هذه الآية على القذف على وجه يستلزم الكفر والظاهر ان يدفع هذا بان يحمل الوعيد المذكور فيها مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا وحصلت عنه التوبة صار مغفورا بمقتضى الوعد الالهي ﴿قوله وقيل هو حكم كل قاذف﴾ عطف على ما قبله من حيث المعنى كأنه قيل هو حكم القذف استباحة وطعنا وقيل حكم كل قاذف ما لم يتب ولم يرض المصنف رحمه الله تعالى عليه لان الوعيد المذكور انما يليق بالكفرة ومجرد قذف المحصنة المؤمنة لا يوجب الكفر وقيل لابن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله تعالى في الدنيا والآخرة قال ذلك لمن قذف عائشة رضي الله تعالى عنها خاصة وجمع المحصنات الغافلات وان اريدت عائشة وحدها لان من قذف واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد قذفهن جميع فكأنه قذف النبي صلى الله عليه وسلم وقذفه كفر بالاتفاق وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال هذا فيمن قذف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم اذ ليس له توبة ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة ﴿قوله لانه موصوف﴾ والمصدر الموصوف لا يعمل لان اعماله يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وذا لا يجوز ووصف المصدر باجنبي عنه بمعنى انه ليس معمولا له والوجه فيه ان المصدر عند العمل مؤول بان مع الفعل وان موصول حرفي ومعمول المصدر في الحقيقة معمول الفعل الذي هو صلة ان ولا يجوز الفصل بين بعض الصلة وبعضها باجنبي ﴿قوله بانطاق الله تعالى﴾ فان البنية ليست مشروطة للحياة فيجوز ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علم وقدرة وكلاما وفي الجسم المركب منه اولى ويحتمل ان لا تكون شهادة الجوارح عليهم بانطاق الله تعالى اياها بل تكون بظهور آثار ما كانوا يعملون عليها كما تشهد في الدنيا على الصبة آثارها من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع ﴿قوله جزاءهم المستحق﴾ فان الدين يستعمل في الجزاء كقولهم كما تدين تدان اي كما تفعل تجازى به وانتصاب الحق على انه صفة للدين فان القدر المستحق في الجزاء موصوف بانه الحق ﴿قوله الخبائث﴾ اي الزواني يتزوجن الخباث اي الزناة وكذا الخبيثون من الرجال يتزوجون الخبائث كما قال تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فان قيل على هذا الوجه يلزم ان لا يتزوج الرجل العفيف زانية والجواب ما تقدم في قوله الزاني لا ينكح الا زانية الخ ولما كان عقد التزوج والتصاحب لا يكون الا كمال خباثة وطيبا تقتضي براءة الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة عما قيل في حقهما وبراءتهما تستلزم براءة صفوان فيكون اول الآية كالدليل على براءة الجميع اذ لو صدق ما قيل في حقها لكانت خبيثة غير صالحة لكونها زوجة لاطيب الطيبين ويحتمل ان لا يكون الخبيثات والطيبات بمعنى الزواني من النساء والعفائف منهن بل يكون بمعنى الاقوال خبيثة والطيبة فيكون المعنى الخبيثات من الكلمات تقال او تعد للخبيثين من الرجال وتليق بهم والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات وعلى عكسه الطيبات من الكلمات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلمات والمعنى كل كلام انما يحسن في حق اهله فيضاف سيئ

(لقول)

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن (حتى تستأنسوا) تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم الحال

مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن لكم من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تعرفوا هل ثمة انسان من الانس (وتسلموا على اهلها) بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع (ذلكم خير لكم) اى الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروى ان رجلا قال للنبي عليه السلام أأستأذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف اى انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم (فان لم تجدوا فيها احدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما تخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا (هو ازكى لكم) الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفع لدينكم ودنياكم (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت (فيها متاع) استمتاع (لكم) كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) اى ما يكون نحو محرم

القول الى من يليق به وكذلك الطيب من القول وعائشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبائث من الاقوال فلا يصدق فيها لانها طيبة فيضاف اليها ثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج رحمه الله تعالى عليه معناه ولا يتكلم بالخبائث من القول الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات منه الا الطيب من الرجال والمقصود ذم من قذف عائشة رضي الله تعالى عنها ووقع في حقها بالخبيث ومدح من وصفها بالطهارة ﴿ قوله من آنس الشيء ﴾ يعني انه استفعال من آنس الشيء اذا ابصره مكشوفا وعلمه قال تعالى فان آنستم منهم رشدا اى اذا علم لان الرشد لا يبصر ولهذا قيل في معنى الآية الشريفة حتى تستعلموا وتعرفوا أيؤذن لكم ام لا وطلب العلم بانه يؤذن لكم ام لا معناه الاستئذان فلذلك فسر الآية بالاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش فان من يأتي باب غيره لا يدري أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس ولهذا يقال في جواب القادم المستأذن مرحبا واهلا وسهلا اى وجدت مكانا واسعا واتيت اهلا لا اجانب واصبت مكانا سهلا لا خشنا ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى الى ان يؤذن لكم وهو من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن ويتبعه فوضع موضع الاذن حيث ذكر الاستئناس اللازم واريد الاذن الذي هو الملزوم ﴿ قوله او تعرفوا هل ثمة انسان ﴾ عطف على قوله تستأذنوا كقوله او يؤذن لكم اى ويجوز ان يكون الاستئناس من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وما قيل من انه لا يلائم المقام اذ يصير المعنى حينئذ لا تدخلوا ما لم تعرفوا ان هناك انسانا فاذا تعرفتم ان هناك انسانا فادخلوها سواء اذن لكم ام لا وليس المقصود من الآية هذا فليس بشيء لانه انما يكون المعنى ما ذكره ان لو اقتصر في غاية النهي على قوله حتى تستأنسوا وليس كذلك بل عطف عليه قوله تعالى وتسلموا على اهلها وانما جعل غاية النهي مجموع الاستئناس والتسليم بان يقال السلام عليكم أأدخل كيف يكون المعنى ما ذكره وهل يقول به عاقل بل يكون المعنى لا تدخلوا حتى تعرفوا انه هل ثمة انسان ثم تسلموا عليه ثم تستأذنوه في الدخول وهو كما قيل السلام قبل الكلام ثم انه اذا اذن له فدخل بعد ذلك يسلم على اهله ثانيا لقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانا امرنا بالسلام بعد الدخول عن ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث كما رواه المصنف رحمه الله تعالى عليه بالمرة الاولى يستنصتون وبالثانية يستصلحون وبالثالثة يأذنون او يردون فكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غير بيته صباحا قال حييتم صباحا واذا دخل مساء قال حييتم مساء قال الجوهري رحمه الله تعالى عليه الحياة ضد الموت والحي ضد الميت وحياه الله تعالى فحيي وحي ايضا والادغام اكثر الى ان قال التحية الملك قال زهير * ولكل ما نال الفتى * قد نلته الا التحية
ويقال حياك الله اى ملكك والتحيات لله قال يعنون اى الملك لله ﴿ قوله فان المانع من الدخول ﴾ وهو الدخول بغير اذن فاعلم ان السلام من سنة المسلمين وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودة ونافٍ للحقد والضغينة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك يا آدم اذهب الى هؤلاء الملائكة وهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك ورجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذريتك وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ثم انه اذا عرض له امر في داره من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فحينئذ لا يجب الاستئذان والتسليم فان كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ما قاله الفقهاء رحمه الله تعالى عليهم من ان مواضع الضرورات مستثنيات من قواعد الشرع لان الضرورات تبيح المحظورات قال صاحب الكشاف رضي الله تعالى عنه وكم باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك ثم انه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اى بغير استئذان قال المفسرون لما نزلت آية الاستئذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من اربابها فنزلت الآية الشريفة ﴿ قوله تعالى فيها متاع لكم ﴾ اى منفعة من اتقاء الحر والبرد وحفظ السلع ونحو ذلك من منافع المسافر ﴿ قوله اى ما يكون نحو محرم ﴾ يعني ان كلمة من للتبعيض والمراد غض البصر وحبسه عن النظر الى ما لا يحل لهم النظر اليه وان لا ينظر الا الى ما يحل النظر اليه والغض اطباق

(ويحفظوا فروجهم) الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها (ذلك ازكى لهم) انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهن) بالتستر او التحفظ عن الزنى وتقديم الغض لان النظر بريد الزنى (ولا يبدين زينتهن) كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) سترا لاعناقهن وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي بكسر الجيم (ولا يبدين زينتهن) كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره (او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن) لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم (او نسائهن) يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف

الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ما حرم النظر اليه من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه بجعل ما تعلق بالمحرم بعضا من البصر وامر بغضه قال الاخفش رحمه الله تعالى عليه كلمة من زائدة فيهما فانه يجوز زيادتها في الاثبات خلافا لسيبويه فانه لا يجوزها ﴿قوله ولما كان المستثنى منه﴾ اي من الفرج وهو جواب عما يقال لم دخلت كلمة من على الابصار دون الفرج مع ان المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ما تعلقا به فاجاب عنه بان المستثنى من البصر كثير فان الرجل يحل له النظر الى جميع اعضاء ازواجه وجميع اعضاء ما ملكت يمينه وكذا لا بأس عليه في النظر الى شعور محارمه وصدورهن وثديهن واعضادهن وسوقهن وارجلهن وكذا من امة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الاجنبية الى وجهها وكفيها وفي رواية والقدم عند ارادة العقد بخلاف المستثنى من الفرج فانه شيء قليل نادر وهو فرج زوجته وامته فلذلك اطلق حفظ الفرج ولم يعتد بما استثنى منه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعيض وقيل كل ما في القرآن من حفظ الفرج فالمراد به حفظه من الزنى الا ما في الآيتين فان المراد فيهما الستر فلذلك اطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعيض لانه وان جاز للرجل ان ينظر الى جميع بدن زوجته وبدن امته التي يحل له الاستمتاع بها حتى الى فرجها الا انه يكره له النظر الى الفرج بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لانه روي انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها ﴿قوله تعالى ذلك﴾ اي غض البصر وحفظ الفرج انفع لهم على ان الزكاء بمعنى النماء والنفع ﴿قوله بريد الزنى﴾ اي يحمل الناظر على الزنى ويؤدي اليه والبريد البغلة التي تحفظ في الرباط وتهيأ للرسول ليركب عليها وهو تعريب بريده دم ثم سمي به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة وزاد الله تعالى في نهي المؤمنات وراء غض الابصار وحفظ الفروج حكما آخر حيث قال تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن والزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او صبغ فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة وهي ما لا فص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلا بأس بابدائه للاجانب بشرط الامن من الشهوة وما خفي منها كالسوار والدملج وهي حلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها ابداؤها الا لهؤلاء المذكورات فيما بعد بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى آخر الآية ولا شك ان اظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المرأة ليس منهيا عنه والمنهي عنه اظهارها وهي في مواضعها لان مواضع الزينة الخفية كالذراع والساق والعضد والعنق والرأس والاذن والصدر فلا يحل للاجانب النظر اليها مجردة عن هذه رأسا فهيا اولى وانما سومح لها في ابداء الزينة الظاهرة للاجانب حالة الامن من الاشتهاء لما في التصون عن ابداء مواضعها في الاخذ والاعطاء والمشي حالة الخروج وحمل الشهادة عليها من الحرج الذي لا يخفى خصوصا في حق الفقيرات منهن وعلى تقدير ان يراد بالزينة مواضعها او ما يعم المحاسن الخلقية التي خلق الانسان عليها يكون المراد بقوله تعالى الا ما ظهر منها الوجه والكفين لانها ليست بعورة ثم قال المصنف رحمه الله تعالى عليه والاظهر الخ اي انها عورة في حق النظر اليها وان لم تكن عورة في الصلاة ﴿قوله كرره﴾ فالاول لتقسيم الزينة الى الظاهرة والخفية ولبيان ان الظاهرة يجوز ابداؤها مطلقا والثاني لبيان من يحل له ابداء الزينة الخفية ومن لا يحل له ذلك ﴿قوله تعالى بخمرهن﴾ الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وتستره وما ليس بهذه الصفة فليس بخمار والجيب ما جيب من القميص اي قطع لادخال الرأس ويضربن ضمن معنى يلقين فعدي بعلى والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن واعناقهن عن الاجانب قيل ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليغطي بذلك ما كان ينكشف بارسال خمرهن من خلفهن ﴿قوله لانهم في معنى الاخوان﴾ من حيث كون الجد سواء كان اب الاب او اب الام في معنى الاب فيكون ابنه في معنى الاخ وايضا كل من له قرابة المحرمية كالاخ فانه محرم فكذا ابنه الا انهم لما كان العم والخال محرمان لا ابناؤهما فالاولى للمرأة ان تستتر من اعمامها واخوالها حذرا من ان يصفوها لابنائهم لان تصور الابناء لها بالوصف بمنزلة نظرهم اليها ﴿قوله لا تتحرجن﴾ اي تتأثمن من الحرج بمعنى الاثم فلما لم يكن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال الاجانب معدودا من جملة الآثام عند الكافرات احتمل ان يصفنها للاجانب فيكون تصور الاجانب اياها بمنزلة نظرهم اليها بخلاف المؤمنات فانهن يحترزن عن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهن ان يبدين زينتهن للمؤمنات دون الكافرات هذا قول اكثر السلف رحمة الله تعالى عليهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

(او ماملكت ايمانهن) يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها (او التابعين غير اولى الاربة من الرجال) اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الاهمام والممسوخون وفى المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يذكر (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال

فان تنكحى انكح وان تتأيمى ❊ وان كنت افتى منكموا تأيم

وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون لنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته (عليم) يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به وبالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به ❊

ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل ذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ماملكت ايمانهن وكتب عمر الى ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات ❊ قال الامام رحمه الله تعالى عليه قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله تعالى او نسائهن جميع النساء ❊ قوله وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها ❊ خصيا كان او فحلا وهو قول ابى حنيفة وعليه عامة العلماء واحتجوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام ❊ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر سفرا فوق ثلاثة ايام الا مع ذى محرم ❊ والعبد ليس بذى محرم فلا يجوز له ان يسافر بها واذا لم يجز ان يسافر بها لم يجز له النظر الى مواقع زينتها الخفية وعن سعيد بن جندب رضى الله تعالى عنه انه قال لا يغرنكم هذه الآيات فانها نزلت فى الاماء وكذا روى هذا القول عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنهما ❊ فان قيل ما الفائدة فى تخصيص الاماء بالذكر بعد قوله تعالى او نسائهن ❊ فالجواب والله تبارك وتعالى اعلم انه لما قال او نسائهن دل ذلك على ان المرأة لا يحل لها ان تبدى زينتها للكافرات سواء كن حرائر او اماء لغيرها او لنفسها فلما قال او ماملكت ايمانهن مطلقا اى مؤمنات او مشركات علم انه يحل للامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت او كافرة لما فى كشف مواضع الزينة الباطنة لامتها الكافرة فى احوال استخدامها من الضرورة التى لا تخفى فعارقت الحرة الكافرة بذلك ❊ قوله تعالى او التابعين غير اولى الاربة من الرجال ❊ اى او الرجال الذين هم اتباع اهل البيت ولا حاجة لهم فى النساء والاربة والارب الحاجة وكذلك المأربة وقرئ غير بالخفض نعتا للتابعين وبالنصب على الاستثناء من التابعين او الحال منهم والمعنى يبدين زينتهن للتابعين الا ذوى الاربة منهم او حال كونهم غير ذوى اربة بخلاف ما لو كانوا ذوى اربة فانهن لا يبدين زينتهن لهم والشيخ الهم بكسر الهاء الشيخ الفانى والممسوخ بالخاء المعجمة هو الذى حولت قواه واعضاؤه عن سلامتها الاصلية الى حالة المنافية لها الداعية من ان يكون له حاجة والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معا من الجب وهو القطع والخصى من قطع خصيتاه والصحيح ان الخصى والمجبوب والعنين ليسوا من التابعين وانهم فى حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لانهم يشتهون ويشتهون ❊ وقوله وقيل البله عطف على الشيوخ والظهور على الشئ قد يكون بمعنى الاطلاع عليه كما فى قوله تعالى ان يظهروا عليكم اى ان يشعروا بكم وقد يكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كما فى قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين قال قتادة كانت المرأة فى الجاهلية تضرب رجلها لتسمع قعقعة الخلخال فنهيت عن ذلك وقيل كانت احداهن تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم ان لها خلخالين ❊ قوله وهو ابلغ الخ ❊ وذلك انه لما نهى عن استماع الصوت الدال على الزينة فلأن ينهى عن اظهار نفس الزينة اولى وفى الآية الكريمة فائدة اخرى وهو انه اذا كان استماع صوت خلخالها للاجانب حراما فكان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت وقد وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار اما لان العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وان اجتهد فى رعاية تكاليف الله تعالى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عمر رضى الله تعالى عنه يا ايها الناس توبوا الى ربكم فانى اتوب الى الله تعالى فى كل يوم مائة مرة واما لان المراد توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية ❊ فان قيل قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه الآية ❊ اجيب عنه بما قال بعض العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر ذلك الذنب ان يجدد التوبة عنه لانه يلزمه ان يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه ❊ قوله لما نهى ❊ اى نهى مبالغة فى الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب والنسب لا بد من اعتباره فى بقاء النوع وصلاح العالم لكونه مقتضيا للالفة الخ ❊ قوله تزويج المولية ❊ وهى التى ينفذ فيها تصرف الولى فكل من ولى امر واحد فهو وليه وذلك الواحد مولى او مولية ❊ قوله كيتامى ❊ جمع يتيم يقال يتم الصبى ييتم من باب علم والايامى جمع ايم يقال آم الرجل وآمت المرأة تئيم ايمة وايما وايوما واصل ايامى ايايم كما ان اصل يتامى يتايم فقلبا فصار ايامى ويتامى ❊ قوله وان كنت افتى ❊ هو افعل من الفتى اى وان كنت احدث منكم سنا اى فانا مثلكم فى حالتى التزوج والتأيم وهذه الشرطية معترضة بين الشرط وجزائه ❊ قوله اسبابه ❊ لما كان الظاهر ان يكون النكاح بمعنى العقد والتزوج وكان حمله عليه مقتضيا لتقدير المضاف بناء على انه لا معنى لوجدان نفس العقد وعدم وجدانه حمله على معنى العقد اولا وقدر المضاف ثم قال ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به على طريق اطلاق اسم

المسبب على السبب كالقوام لما يقام به والجمام لما يجم به وحرام ما يحرم به فلا حاجة الى تقدير المضاف وقوله وبالوجدان التمكن منه فانه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء هو غير واجد له وان كان موجودا معينا فيكون النكاح بمعنى العقد من غير حاجة الى تقدير المضاف لان الربط المعنوى وان لم يصح ان يوصف بالوجدان الا انه يصح ان يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى الذين لا يتمكنون من النكاح ﴿قوله المكاتبة﴾ يعنى ان الكتاب مصدر كالمكاتبة والعتق والذين يطلبون المكاتبة يقال كاتب فلان عبده كتابا ومكاتبة اذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة فيعتق اذا ادى الجميع ومعنى صيغة المفاعلة فى هذا العقد ان المولى يكتب على نفسه ان يعتق المكاتب اذا ادى البدل ويكتب العبد على نفسه ان يؤدى البدل من غير اخلال او ان المولى يكتب على عبده اداء المال والعبد يكتب على مولاه العتق عند الاداء فلهذا سمى هذا العقد كتابة اخذا من الكتاب فان كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه امرا وايضا بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبا او من الكتب بمعنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للعسكر وسمى العقد به لانه يضم النجوم بعضها الى بعض ويضم مال المكاتب الى نفسه فان عقد الكتابة لا يجوز على اقل من نجمين عند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه تجوز الكتابة على واحد لان ظاهر قوله تعالى فكاتبوهم ليس فيه تقييد ﴿قوله والامر فيه للندب﴾ يعنى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر استحباب عند الفقهاء رحمهم الله تعالى واليه ذهب الامام مالك وابو حنيفة والامام الشافعى رحمة الله تعالى عليهم واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم «لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه» وروى «الا عن طيب نفس منه» وقال بعضهم امر ايجاب فيجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا وان سأله بدون قيمته لم يجب عليه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها انها نزلت فى كلام عبد سأل مولاه ان يكاتبه فأبى فانزل الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا ﴿قوله واحتجاج الحنفية رحمة الله تعالى عليهم﴾ اى لا تجوز الكتابة الحالة عند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه وتجوز عند ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه ووجه قول الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه ان العبد ليس له ملك يؤديه فى الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه فى الحال فان عجز عن الاداء رد الى الرق فلا يحصل مقصود العقد كما لو اسلم فى شئ لا يوجد فى المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز له ان يتصور ان يكون له ملك فى الباطن فلا يتحقق العجز عن الاداء ووجه قول ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلق يتناول الكتابة الحالة والمؤجلة وايضا فانهم اجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق فى الحالين الا ان فى احدهما العتق معلق على شرط الاداء وفى الآخر معلق موجب ان لا يختلف حكمهما ﴿قوله امانة وقدرة على اداء المال﴾ قال الامام الشافعى رحمة الله عليه اراد بالخير الامانة والقوة على الكسب لان المقصود من الكتابة لا يحصل الا بهما فانه ينبغى ان يكون المكاتب كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرفه فى نجومه ولا يضيعه فاذا فقد الشرطان او احدهما لا يستحب ان يكاتبه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «ان علمتم لهم حرفة والا فلا تدعوهم كلا على الناس» وحمل الخير على المال ضعيف اما من جهة اللفظ فانه لو اراد ذلك لقيل ان علمتم لهم خيرا لانه انما يقال لفلان مال ولا يقال فيه مال واما من جهة المعنى فلان العبد لا مال له فان كل ما فى يده حين يكاتب فهو لسيده اكتسبه العبد فى حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز للسيد ان يعوض بعض ماله ببعض واما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة فانه مال مختص به بدأ ﴿قوله وهو شرط الامر﴾ اى علم الموالى فيهم خيرا شرط لاستحباب العقد المستفاد من قوله تعالى فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز ﴿قوله وفى معناه حط شئ من مال الكتابة﴾ يعنى انه تعالى امر الموالى ان يبذلوا لمماليك شيأ من اموالهم المملوكة لهم الا ان الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه ذهب الى ان معنى الآية حطوا شيأ عنهم من بدل الكتابة ما احببتم ربعا فما دونه جعل حط ذلك فما دونه فى معنى بذل شئ من ماله ولا يخلو عن بعد لان الايتاء هو الاعطاء والتمليك المطلق فلا يقع على الحط لان بدل الكتابة ليس فى حكم المال المطلق الذى آتاه الله تعالى الموالى وبدل الكتابة ليس بدين صحيح لانه دين له على عبده والمولى لا يثبت له دين صحيح على عبده حتى يكون حطه عنه اعطاء وتمليكا له فالظاهر ان يقال انه امر للموالى بان

(والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت ايمانكم) عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره (فكاتبوهم) او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل (ان علمتم فيهم خيرا) امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشترى ويدل عليه قوله عليه السلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية

بدفعوا اليهم شيأ مما اخذوه منهم اوهو امر لعامة المسلمين بان يعطوهم سهمهم الذى جعله الله تعالى لهم من الصدقات فى قوله تعالى وفى الرقاب نقل الامام عن الامام الشافعى رحمهما الله تعالى انه قال يجب على المولى ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزأ من مال الكتابة او يدفع اليه جزأ مما اخذ منه وقال الامام مالك وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى انه مندوب اليه وليس بواجب ﴿قوله شرط للاكراه﴾ يعنى ان ارادة التحصن شرط للاكراه لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فانهن لو لم يردن التحصن لكان زناهن بالطبع لا بالاكراه وان جعلت الارادة المذكورة شرط النهى يتوهم انه اذا انتفت الارادة ارتفع النهى وارتفاعه يستلزم جواز الاكراه وليس كذلك لان ارتفاع النهى انما يستلزم جواز الاكراه ان لو كان الاكراه متصورا حال انتفاء الارادة ولا شك انه لا يتصور اكراه العائمة على الزنى فثبت ان عدم الارادة لا يستلزم جواز الاكراه والحاصل ان اكراههن على الزنى حرام حال ارادتهن التحصن ويمتنع حال ارادتهن الفجور وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس المقصود منه تقييد النهى بل المقصود منه تعيير المخاطبين وتوبيخهم بان الاماء اذا رغبن فى التحصن فانتم احق بذلك مع ما فيه من الاشارة الى تقبيح حالهن ايصا بكونهن زانيات فى الزنى مائلات الى البغاء حيث لم يكن ثمة ان دون ادا ﴿قوله ولذلك حرم على المكره القتل﴾ وفى الهداية وان اكره بقتل على قتل غيره لم يسعه ان يقدم عليه ويصبر حتى يقتل فان قتله كان آثما لان قتل المسلم لا يستباح لضرورة ما فكذا لهذه الضرورة والقصاص على المكره عند ابى حنيفة ومحمد وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى يجب عليهما اى المكره والمكره وقال زفر يجب على المكره ثم ان الاكراه انما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضى تلف النفس فاما اليسير من التخويف فلا تصير به مكرهة ﴿قوله واو ضحت فيها الاحكام﴾ لما كان المبين حكايات هذه السورة ووصفت نفس آياتها بكونها مبينات اشار الى ان اصل الاحكام يبين فيه فاتسع فى الظرف بان حذف حرف الجر واجرى المجرور مجرى المفعول به وقوله تعالى ومثلا عطف على آيات اى وانزلنا مثلا من امثال الذين مضوا من قبلكم اى قصة عجيبة من جنس قصصهم فان قصة عائشة رضى الله تعالى عنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام فى الغرابة فان قصتهما ذكر فيها تهمة من برئ مما اتهم به فيوسف عليه الصلاة والسلام اتهمته زليخا ومريم اتهمها اليهود مع براءتهما وقيل المراد بالآيات القرآن ❊ قال الامام رحمة الله تعالى عليه انه تعالى لما ذكر فى هذه السورة هذه الاحكام وختم الكلام فى الاحكام بهذه الآية وصف القرآن بصفات ثلاث احدها قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات اى مفصلات وثانيها قوله تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وروى عن الضحاك انه قال يريد بالمثل ما ذكر فى التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل فى القرآن مثله وروى عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال قوله تعالى ومثلا اى شبها من حالهم بحالكم فى تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام يعنى بينا لكم ما احل بهم من العقاب لتمردهم على الله تعالى فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم فى المعصية كنتم مثلهم فى استحقاق العقاب وثالثها قوله تعالى وموعظة للمتقين والمراد به الوعيد والتحذير من فعل المعاصى ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه انزل آيات مبينات واقام دلائل واضحات وقصة عجيبة من جنس قصص من قبلنا متضمنة لموعظة ينتفع بها المتقون عقبه بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة اى مظهرهما من العدم الى الوجود فان معنى النور فى اللغة هو الذى يبين الاشياء ويظهرها للابصار ❊ واعلم ان النور على اربعة اوجه اولها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كنور الشمس وامثالها فانه يظهر الاشياء الحسية ولا يراها وثانيها نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكنه يراها وهذا النور اشرف من الاول وثالثها نور العقل وهو يظهر الاشياء المعقولة الخفية فى ظلمة الجهل للبصائر وهو يدركها ويراها ورابعها نور الحق تعالى وهو يظهر الاشياء المعدومة الخفية فى العدم للابصار من الملك والملكوت وهو يراها فى الوجود كما كان يراها فى العدم بانها موجودة فى علم الله تعالى وان كانت معدومة فى ذواتها فما تغير علم الله تعالى ورؤيته باظهارها فى الوجود بل كان التغير راجعا الى ذوات الاشياء وصفاتها عند الايجاد والتكوين فقوله تعالى الله نور السموات والارض معناه والله تبارك وتعالى اعلم انه مظهرهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الازلية كما حققه المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره الخ وذكروا وجوها اخر فى تأويل الآية الشريفة وعلى كل تأويل تكون هذه الآية الشريفة كالتعليل لما قبلها ﴿قوله وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى﴾ ضرورة ان حدوث الاجسام بامرها يستلزم حدوث الكيفيات

(ولا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) على الزنى كانت لعبد الله بن ابى ست جوار يكرههن على الزنى وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ان اردن تحصنا) تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه واشار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) اى لهن اوله ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص (ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين اولانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم (وموعظة للمتقين) يعنى ما وعظ به فى تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن وبالصفات المذكورة صفاته (الله نور السموات والارض) النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض

و لاعراض القائمة بها فكيف يصح اطلاق الكيفية عليه تعالى والقول بكونه تعالى حالا فى الاجسام بما يحكم بداهة العقل باستحالته فان الله تم بالغير محتاج اليه والمحتاج الى الغير كيف يكون الها ولما ثبت فى الشرع اطلاق اسم النور عليه تعالى وانه من جملة اسمائه الشريفة الحسنى مست الضرورة من فضلاء العلماء فى توجيه اطلاقه عليه تعالى وجاء كل واحد منهم بما فى وسعه وطاقته واشار المصنف رحمه الله عليه الى ما ذكروه من الوجوه لحصول الجميع انه تعالى ليس فى ذاته نورا بل انما يطلق عليه اسم النور اما بتقدير المضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوّز وذكر فيه وجوه اخر فاندفع به ما يقال من ان قوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضى ظاهرا انه تعالى فى ذاته نور وقوله مثل نوره يقتضى ان لا يكون هو فى ذاته نورا بل يكون هو امرا مغايرا له مضافا اليه وبينهما تناقض فقوله تعالى الله نور السموات والارض بمعنى صاحب النور او من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة على معنى انه منوّر لكل مستنير بحيث كأنه عين نوره ومعنى تنويره انه تعالى نوّر العالم بالانوار التى تصدر من الكواكب او انه تعالى نوّر العالم العلوى بالملائكة والعالم السفلى بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على تشبيه الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام بالنور بمعنى الكيفية المدركة اولا فى كونهما سبب الادراك فان الكيفية المذكورة انما احتصت بالفضيلة والشرف بسبب كون المرئيات ظاهرة متجلية بسببها وشاركها فى هذه الفضيلة اشياء اخر منها البصر وهو العين الظاهرة المدركة للاضواء والالوان ومنها البصيرة وهى القوة العاقلة التى تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات ولما كان كل واحدة من القوة الحساسة والعاقلة مشابهة للكيفية المذكورة فى كونها سبب الادراك صح اطلاق اسم النور عليه مجازا ومنها القرآن العظيم والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان القوة العاقلة قد يعتريها الزيغ والخلل فى العلوم النظرية فلا بد لها من هاد ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء فلآيات القرآنية بالنسبة الى عين العقل بمنزلة نور الشمس الى الباصرة فلذلك سمى القرآن نورا فى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا ونفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام ايضا بمنزلة نور الشمس فكما ان الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبى تفيد الانوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا يستفيد النور العقلى من كل شئ من الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بانه سراج منير وقد ثبت ان الانوار الحاصلة فى ارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مقتبسة من الانوار الحاصلة فى ارواح الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو لا يكون الا بواسطة الملائكة فلما كان ارواح الملائكة كالمعادن لانوار عقول الانبياء كانت ارواحهم بمنزلة الانوار ايضا واقوى من عقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا هو وجه قول المصنف رحمه الله تعالى عليه انه تعالى منوّر السموات والارض بالملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ **قوله** او مدبرهما ﴾ بان شبه التدبير الحسن بالنور فى كون كل واحد منهما سبب الاهتداء الى المصالح فاطلق اسم النور على التدبير الحسن على سنن الاستعارة التصريحية واطلق النور بهذا المعنى عليه تعالى على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ﴿ **قوله** او موجدهما ﴾ على ان يكون قوله الله نور هما من باب التشبيه البليغ اى كالنور بالنسبة اليهما من حيث كونه مظهرا لهما اى موجدا فان اصل التنوير هو الظهور من ظلمة العدم وانما ظهر بأثر قدرته تعالى ﴿ **قوله** او الذى به تدرك ﴾ على ان يكون المراد منه انه تعالى نور بالنسبة الى نفس السموات والارض وقوله او يدرك اهلها على ان يكون تقدير الكلام الله نور اهل السموات واهل الارض وعلى التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البليغ ايضا حيث شبه تعالى بالنور بمعنى الكيفية من حيث انه تعالى سبب لادراك السموات والارض بالباصرة ولادراك ما فيهما من وجود الدلالات على وجود الصانع ذى الجلال والاكرام بالبصيرة وذلك لان هذه الادراكات ليست مقتضى ذات البصيرة والا لما فارقتها بل هى مستندة الى سبب خارج من ذاتها يفيض تلك الادراكات عليها وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذى به تدرك او به يدرك اهلها فشابه النور بمعنى الكيفية فلذلك قيل على سبيل التشبيه البليغ الله نور ﴿ **قوله** من حيث انه يطلق على الباصرة الخ ﴾ استشهاد على اطلاق النور على ما يكون سبب الادراك كالبصيرة والباصرة وان جاز ان يكون اطلاق النور على الباصرة لكونها متعلقة بالنور ومدركة اولا وبالذات ثم انه لما

وقد قرئ به فانه تعالى نوّرهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا

بين ان الباصرة تشارك النور فى توقف الادراك على كل واحد منهما بين ان ادراك المرتب على البصيرة اقوى الادراك المرتب على الباصرة فلما كان وجه الشبه بينهما و بين النور اقوى كان اطلاق لفظ النور عليها اقرب و اولى فان القوة الباصرة لاتدرك نفسها و لاتدرك ادراكها و لاتدرك آلتها ايضا اما انها لاتدرك نفسها و لاادراكها فلانهما ليسا من الامور المبصرة بالعين واما انها لاتدرك آلتها التى هى العين فظاهر و البصيرة تدرك نفسها و تدرك ادراكها و تدرك آلتها و هى القلب و الدماغ وايضا القوة العاقلة تدرك الكليات و الجزئيات الموجودة و المعدومة و القوة الباصرة لاتدرك الا الجزئيات الموجودة وايضا القوة العاقلة تدرك ظواهر الاشياء و بواطنها بخلاف القوة الحسية فانها لاتدرك من الانسان مثلا الا السطح الظاهر من جسمه و الالوان القائمة بذلك السطح بالاتفاق و ليس الانسان عبارة عن مجرد السطح و اللون فالقوة الباصرة و ان كانت بالنسبة الى الظاهر نورا الا انها بالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوة العاقلة اشرف من الباصرة من هذا الوجه و ايضا القوة العاقلة تتصرف فى بواطن مدركاتها بالتركيب و التحليل فانها تضم الجنس الى الفصل فتستحدث منهما طبيعة نوعية مركبة منهما و تحلل تلك الطبيعة الواحدة المتوجهة الى مقوماتها و الى عوارضها اللازمة و المفارقة ثم تحلل مقوماتها الى الجنس و جنس الجنس و الفصل و فصل الفصل و جنس الفصل و فصل الجنس الى غير ذلك و القوة الباصرة عاجزة عن النفوذ فى بواطن الماهية و اجزائها ﴿قوله و يقرب منه﴾ اى من قوله الله نور السموات و الارض قول ابن عباس معناه الخ فانه الذى بمنزلة السموات لانه لما كان معنى قوله تعالى الله نور السموات و الارض انه تعالى به تدرك او يدرك اهلهما على معنى انه تعالى يجعل للمكلفين من المعارف و العلوم ما يهتدون به و يتخلصون به من ظلمات الكفر و الضلالات و ورطات الزيغ و الجهالات بوحى ينزله و بنبى يرسله و هو قريب من قول حبر الامة رضى الله تعالى عنه معنى كونه تعالى نور السموات و الارض انه هادى من فيهما فهم بنوره مهتدون قال المصنف و يقرب منه الخ فعلى هذا شبهت الهداية بالنور فى كونها سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم اطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل ﴿قوله و اضافته اليهما﴾ مع ان كونه تعالى نورا بأى معنى كان ليس بالاضافة اليهما فقط فانه تعالى صاحب النور جميع المستنيرات و منورها و مدبر أمرها و موجدها ﴿قوله لم يكن على ظاهره﴾ و هو انه تعالى فى ذاته نور بل هو مؤول باحد التأويلات المذكورة ﴿قوله كصفة مشكاة﴾ اشارة الى ان ثمه مضافا محذوفا اى كمثل مشكاة و هو خبر لقوله مثل نوره و هذه الجملة تفسير للمثل فلا محل لها و قوله فيها مصباح صفة لمشكاة ﴿قوله درى﴾ قرأ ابو عمرو و الكسائى درئ بكسر الدال و ياء بعدها همزة و قرأ حمزة و ابو بكر عن عاصم رحمهما الله تعالى بضم الدال و ياء بعدها همزة و الباقون بضم الدال و تشديد الياء من غير همزة و المعنى انه يشبه الدر لصفائه و لمعانه و يحتمل ان لا يكون منسوبا بل تكون الياء الاخيرة مقلوبة من الهمزة الاصلية و يكون اصله درئ على وزن فعيل كزريق و هو حب العصفر و هو القرطم ﴿قوله و قد قرئ به مقلوبا﴾ اى و قد قرئ بكسر الدال و قلب الهمزة ياء ﴿قوله تعالى توقد﴾ على وزن تفعل فعلا ماضيا مسندا الى ضمير عائد على المصباح و لا يعود على الكوكب لفساد المعنى و هى قراءة ابن كثير و ابى عمرو و التفعل التوقد و الاشتعال و من فى قوله من شجرة لابتداء الغاية و ثمه مضاف محذوف اى من زيت شجرة و الذبالة بضم الدال الفتيلة و قوله زيتونة بدل من شجرة ﴿قوله و قرأ نافع و ابن عامر و حفص بالياء﴾ اى يوقد بضم الياء من تحت و فتح القاف على بناء المفعول من اوقد و الضمير المستتر فيه يعود على المصباح و قرأ باقى السبعة كذلك الا انه بالتاء من فوق و الضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اى يوقد مصباح الزجاجة و قرئ توقد بفتح التاء من فوق و ضم الدال مضارع توقد اصله تتوقد بتاءين فحذفت احداهما و الضمير ايضا للزجاجة ﴿قوله و قرئ يوقد﴾ اى بالياء من تحت و ضم الدال مضارع توقد اصله يتوقد بياء من تحت و تاء من فوق فحذفت التاء من فوق و هذا الحذف شاذ غريب اذ لم يتوال مثلان و لم يبق فى اللفظ ما يدل على المحذوف بخلاف نحو تنزل و تتلظى فان فيه تاءين و الباقى منهما يدل على ما حذف ﴿قوله تعالى لاشرقية﴾ صفة لشجرة دخلت عليها لا لتفيد النفى و قرئ لاشرقية بالرفع على اضمار مبتدأ اى لاشرقية هى و الجملة ايضا فى محل الجر على انها صفة لشجرة و كذا قوله يكاد زيتها يضيء و جواب قوله و لو لم تمسسه نار محذوف اى لاضاء حذف لدلالة ما قبله عليه و الجملة حالية جئ بها لاستقصاء الاحوال حتى فى هذه الحالة ﴿قوله فى مقنأة﴾ المقنأة و المقنوة المكان الذى لاتطلع

و يقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون و اضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية و العقلية و قصور الادراكات البشرية عليهما و على المتعلق بهما و المدلول لهما (مثل نوره) صفة نوره العجيبة الشأن و اضافته الى ضميره سبحانه و تعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره (كمشكاة) كصفة مشكاة و هى الكوة غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب و قيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل و المصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح فى زجاجة) فى قنديل من الزجاج (الزجاجة كأنها كوكب درى) مضئ متلألئ كالزهرة فى صفائه و زهرته منسوب الى الدر او فعيل كزريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء و يدل عليه قراءة حمزة و ابى بكر على الاصل و قراءة ابى عمرو و الكسائى درئ كشريب و قد قرئ به مقلوبا (توقد من شجرة مباركة زيتونة) اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته بزيتها و فى ابهام الشجرة و وصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها و قرأ نافع و ابن عامر و حفص بالياء و البناء للمفعول من اوقد و حمزة و الكسائى و ابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف و قرأ ابن كثير و ابو عمرو توقد بمعنى تتوقد و قرئ يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين و هو غريب (لاشرقية و لاغربية) تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج و زيتها اصفى او لانابتة فى شرق المعمورة و غربها بل فى وسطها و هو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا و فى الحديث لاخير فى شجرة و لا فى نبات فى مقنأة و لاخير فيهما فى مضحى

الشمس عليه هذا قول ابي عمرو وقال غيره مليئة ومضيئة بغير همزة من ضوء المصباح يقال ضحيت للشمس بكسر الحاء ضحاء بالمد اذا برزت لها وضحيت بالفتح والمستقبل اضحى في اللغتين جميعا قال تعالى انك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴿قوله نور على نور﴾ اي فكان زيتها نورا على نور بمعنى نور المصباح على نور الزجاجة او نور النار ونور المصباح او نور الزجاجة وقوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف اي النور الذي شبه به نور الله تعالى هو نور على نور واعلم ان الامور التي اعتبرها الله تعالى في هذه الامثال مما يوجب كمال الضوء فاولها ان المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته واذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكان اشد انارة والذي يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في المشكاة او كان في بيت صغير فانه يظهر من ضوئه اكثر مما اذا كان في البيت الكبير وثانيها ان المصباح اذا كان في زجاجة صافية والاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى بعض كان اكمل في الضوء والنور من غيره لما في الزجاجة من الصفاء والشفافة والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية قوى حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الآخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالته بخلاف حالته اذا كان كدرا ورابعها ان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى انها بارزة للشمس في كل حالة كان ثمرها اشد نضجا فيكون زيته اكثر صفاء فاذا اجتمعت هذه الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لنور الله تعالى ﴿قوله الاول انه تمثيل الهدى﴾ اعلم انه لا بد في التشبيه من امرين المشبه والمشبه به واختلف اهل التفسير في ان المشبه ههنا اي شيء هو وذكروا وجوها احدها وهو قول جمهور المتكلمين ان المراد به الهدى الذي هو الآيات البينات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت في ذلك بمنزلة مشكاة يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء او ان هداية الله تعالى من حيث انها في غاية الظهور والجلاء وانها محفوفة بظلمات اوهام الناس بمنزلة المصباح الموصوف بانه مع كونه في غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة فان قيل لم شبه بذلك وقد قالوا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير اجيب بانه سبحانه وتعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق واوفق ﴿قوله وانما ولي الكاف المشكاة﴾ بمنزلة دخولها على المصباح ولهذا قال بعض المفسرين ان هذه الآية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح في مشكاة لان المشبه به نوره تعالى هو الذي يكون معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة ﴿قوله او تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن﴾ وهو نور الايمان والعلوم المتعلقة بمعاني آيات كتاب الله تعالى ومعرفة المبدأ والمعاد والشرائع وهذا النور وان كان محله قلب المؤمن الا انه نور الله تعالى من حيث انه تعالى هو الذي نور قلبه والمقصود من التمثيل بيان ان ايمان المؤمن وما في قلبه من العلوم والمعارف قد بلغ في الصفاء من الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المنعوتة ﴿قوله او تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة﴾ ذكر الامام الغزالي نفعنا الله به آمين ان القوى الدراكة انوار من حيث انه يظهر بها اصناف الموجودات وان مراتب القوى المدركة الانسانية خمس احداها القوة الحساسة وهي التي تتلقى ما تدركه الحواس الخمس وتسمى الحس المشترك وثانيتها القوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية التي هي فوقها عند الحاجة اليه وثالثتها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعتها القوة المفكرة وهي التي تأخذ المعارف فتؤلفها تأليفا فتستنتج من تأليفها انباء علم بالمجهول وخامستها القوة القدسية التي يختص بها الانبياء وبعض الاولياء وتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملك والملكوت واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور التي ذكرها الله تعالى وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فشبه الله تعالى القوة الحساسة بالمشكاة من حيث ان محلها اي مأخذ ما ارتسم فيها كالكوى فان الحس

(يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه (نور على نور) نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه الهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة التي نوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم

والقوة القدسية التي يتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الآلهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية اولوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولاتعليم اوتمثيل القوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن أن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولولم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور (يهدي الله لنوره) لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها (ويضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا (والله بكل شيء عليم) معقولا كان اومحسوسا ظاهرا كان اوخفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها

المشترك انما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وكل واحد من تلك الثقب تشبه كوة غير نافذة وهي المشكاة ﴿قوله ووجهها الى الظاهر﴾ اي القوة الحساسة وجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراء تعمقها وانما تدرك مافوقها كالكوة لاتنظر الى ماوراءها لكونها غير نافذة وايضا اضاءتها ليست بنفس ذاتها بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة لاتضيء بالذات بل بواسطة ماوضع فيها من المصباح وشبه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث انها تقبل صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الانوار الحسية من الجوانب ومن حيث انها تضبط الانوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الانوار الحسية عن الانطفاء والزوال ومن حيث انها تستنير بما تشتمل عليه من المعقولات كما تستنير الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوة العقلية بالمصباح لاضاءتها بالادراك والمعارف كما يضيء المصباح بالانوار الحسية وشبه القوة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدي الى نتائج كثيرة وهي بمنزلة الثمرة فان المفكرة تنتج نتائج هي ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات مقدمة ثم تعود لامثالها حتى تؤدي الى ثمرات لانهاية لها فبالحري ان يكون مثلها في هذا العالم هي الشجرة المباركة الكثيرة النفع والزيتونة المثمرة عطف على قوله كالشجرة المباركة فالاول توضيح لكون المفكرة كالشجرة المباركة والثاني توضيح لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتون لها فضيلة على سائر الاشجار من حيث ان لب ثمرتها هو الزيت الذي له منافع كثيرة ومن جملتها انه مادة المصابيح والانوار الحسية وله من بين سائر الادهان زيادة الاشراق مع قلة الدخان فلذلك ابدل قوله زيتونة من قوله شجرة مباركة تفخيما لشأن الشجرة ﴿قوله التي لاتكون شرقية ولاغربية﴾ صفة لقوله والمفكرة ولما اعتبر في جانب المشبه بها كونها لاشرقية ولاغربية تعرض لكونها معتبرة في جانب المشبه ايضا لتكون المشبهة من هذا الوجه فان القوة المفكرة لما كانت مجردة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولاغربية فلذلك شبهت بشجرة لاشرقية ولاغربية ﴿قوله اولوقوعها بين الصور والمعاني﴾ علة لكون المفكرة لاشرقية ولاغربية ولما لم يكن استعمالها مختصا بجانب الصور ولابجانب المعاني شبهت بشجرة لاشرقية ولاغربية فالموجودات الخارجية لما كانت محققة بالاصالة وكانت المعاني بحسب الاغلب منتزعة منها بافاضة الفاعل المختار اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مخاصة واستعدادات شتى كان جانب الصور اشبه بكونه شرقيا وجانب المعاني بكونه غربيا وشبهت القوة القدسية بالزيت الذي يكاد يضيء من غير أن تمسسه نار فان القوة القدسية لكمال صفائها وشدة استعدادها لاتحتاج الى تعليم وتنبيه في الاستنارة بالعلوم والمعارف ولما كانت هذه القوى مترتبة حيث كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل ناسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح ﴿قوله اوتمثيل القوة العقلية في مراتبها﴾ كما ذهب اليه ابو علي ابن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة الاولى مرتبة الاستعداد لحصول الكمال والثانية مرتبة حصول نفس الكمال ثم ان الاستعداد على ثلاث مراتب اضعفها الاستعداد المحض والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد المتوسط يحصل بعد حصول المعقولات الاولى وتمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى المطالب النظرية والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوي هو استعداد استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس في هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى في مرتبة الكمال وهي مرتبة حصول المطالب ومشاهدتها بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الاسامي على النفس هذه المراتب ايضا ثم حصول المطالب من المبادي الاول ان كان بترتيبها والانتقال من بعضها الى بعض بطريق الحركة في الكيف يسمى تحصيلها بهذا الطريق فكرا وان لم يكن بطريق الترتيب والانتقال من بعضها الى بعض يسمى حدسا وهذه المراتب يصح اطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل الى ظهور المدركات والقوة العقلية في مرتبة العقل الهيولاني تشبه بالمشكاة لخلوها في بدء الامر عن الانوار الحسية المستعدة للاستنارة بها وفي مرتبة العقل بالملكة تشبه بالزجاجة المتلألئة في نفسها الشبيهة بالكوكب الدري القابلة للانوار الفائضة عليها من النير الخارجي وقد مر ان القوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنه من تحصيل النظر منه بطريق الاول بتمكن الزجاجة من التوقد من شجرة الزيتونة فان توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج الى تكلف واعمال مثل ان يعصر زيتونها ويستخرج دهنها وروي

(في بيوت) متعلق بما قبله اى كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بعض بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او محذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم (اذن الله ان ترفع) بالبناء او التعظيم (ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) يتزهون او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق الوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل

العقلية بزيتها فكذلك الاستحصال من تحصلت بطريق التفكر فان النفس تحتاج فيه الى مزاولة الفكر والاعمال فكان قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة اشارة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتونة وقوله تعالى يكاد زيتها اشارة الى تشبيه تمكنها بطريق الحدس بتوقد الزجاجة من الزيت ثم ان القوة النسانية المتمكنة من الاستحصال اذا بلغت وقويت في صفائها من الكدورات الطبيعية الى غاية اللطافة يكون استخلاصها من عالم الغيب في غاية الكمال والقوة حتى تكاد تعلم وان لم تتصل بعالم الوحي والالهام فكان قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة قدسية بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها الى ان تمس النار زيتها بل تشتعل بمجرد صفاء الزيت الحاصل فيها فظهر بما قررناه ان القوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات ثلاثة اعتبارات تمكنها منه بطريق الفكر وبطريق الحدس وبالقوة القدسية وشبهت بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجر وبالاعتبار الثاني بالزجاجة المتوقدة بالزيت الذي مسته النار وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها الى ان يتصل زيتها بالنار ثم انها شبهت في مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذي اشتعلت فتيلته اشتعلة بالزيت بمماسة النار اياها فان المدركات النظرية في هذه المرتبة وان لم تكن بحيث تشاهدها النفس بالفعل الا انها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لا تحتاج في استحضارها الى تجشم كسب جديد فصح تشبيهها في هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت في مرتبة العقل المستفاد بالنور المتضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت مشاهدة اياها يحصل لها نور على نور اعني نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال منها الى النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام انه تعالى مثل نوره الذي اعطاه الانسان المكرم اعني النور المعنوي الذي هو مراتب النفس الانسانية من بداية الاستكمال الى نهايته وقواها الفائضة عليه وهي القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكره من المشكاة والزجاجة والشجرة والزيتونة والزيت الذي مسته النار والزيت الذي يكاد يضيء من غير ان تمسه النار والمصباح ونور على نور فظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور في الآية ﴿قوله متعلق بما قبله﴾ اى صفة لمشكاة او متعلق بمحذوف او متعلق بقوله توقد ولما ورد ان يقال ان المقصود من التمثيل تعظيم شأنه اى شأن نور الله تعالى من حيث الوضوح والجلاء وتشبيهه بما هو في غاية الانارة والجلاء علاقة ان يكون لكل واحد من القيود المعتبرة في المشبه به مدخل في ذلك ولا مدخل لكون المشكاة المعونة في المساجد ولا لكون المصباح الكائن فيها يوقد في المساجد في زيادة المصباح المذكور انارة واضاءة فاي فائدة في اعتباره في جانب المشبه به اشار الى دفعه بقوله فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان اصل التحبير قد حصل بباقي القيود المذكورة وباعتبار كونها في المساجد تحصيل المبالغة في التحبير وفي الصحاح تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وقوله او تمثيلا عطف على قوله تحبيرا وهو مبني على ان يكون المشبه نور المؤمن فانه لما اعتبر في جانب المشبه به كون المشكاة التي فيها المصباح واقعة في المساجد لزم ان يعتبر في جانب المشبه ايضا كون القلب المنور واقعا فيما يشبه المساجد وهو اما صلاته او بدنه فان كل واحد من الصلاة والبدن لما كان محلا لانواع العبادات شبه بالمسجد كأنه قيل مثل ما نوره الله تعالى به قلب المؤمن وهو في الصلاة او قلبه الموضوع في بدنه كمثل المشكاة المعونة فيكون التشبيه مفردا شبه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح الموصوف وصلاته وبدنه بالمسجد ﴿قوله ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة﴾ جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون قوله في بيوت صفة مشكاة وهي واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون في بيوت وحاصل الجواب ان التنكير في قوله تعالى كمشكاة وفي قوله تعالى فيها مصباح وفي قوله تعالى في زجاجة وفي قوله تعالى كأنها كوكب دري للنوعية لا الفردية ﴿قوله وفيها تكرير﴾ جواب عما يقال لا وجه لكون قوله تعالى في بيوت متعلقا بالفعل المذكور بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حينئذ في بيوت اذن الله تعالى يسبح له فيها فيكون قوله فيها تكرارا بلا فائدة فاجاب عنه بان التكرير لاجل التأكيد كثير ﴿قوله او محذوف مثل سبحوا في بيوت﴾ وهذه الجملة مرتبة على قوله تعالى الله نور السموات والارض اى الله نور السموات فسبحوه في بيوت الا انه ترك لما علم به كأنه قال قد علمتم ذلك المراد [illegible] ﴿قوله والمراد بها المساجد﴾ اى لا مطلق البيوت لان المراد بالاذن الامر وفي البيوت ما لم يأمر الله تعالى بان يرفع سواء كان الرفع بمعنى البناء كما في قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او بمعنى التعظيم

وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورة لتأنيث الجمع وفتحها على الاسناد الى اوقات الغدو (لاتلهيهم تجارة) لاتشغلهم معاملة رابحة (ولابيع عن ذكر الله) مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار (واقام الصلاة) عوض فيه الاضافة عن التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله * واخلفوك عد الامر الذي وعدوا * (وايتاء الزكاة) مايجب اخراجه من المال للمستحقين (يخافون يوما) مع ماهم عليه من الذكر والطاعة (تتقلب فيه القلوب والابصار) تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذبهم ويؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح اولاتلهيهم او يخافون (احسن ماعملوا) احسن جزاء ماعملوا الموعود لهم من الجنة (ويزيدهم من فضله) اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير الزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عندالله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو مايرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة (يحسبه الظمآن ماء) اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة (حتى اذا جاءه) جاء ماتوهمه ماء او موضعه (لم يجده شيئا) مما ظنه (ووجد الله عنده) عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه (فوفاه حسابه) استعراضا او مجازاة (والله سريع الحساب) لايشغله حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (او كظلمات) عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا والسراب فى الآخرة (فى بحر لجى) ذى لج اى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) اى امواج مترادفة متراكمة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر (ظلمات) اى هذه ظلمات (بعضها فوق بعض) وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى واضافة السحاب اليها فى رواية البزى (اذا اخرج يده) وهى اقرب مايرى اليه (لم يكد يراها) لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله واذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح *

وربع القدر وايضا فيها مالم يأمر الله تعالى بان يذكر فيه اسمه فهذه الاوصاف انما تليق بالمساجد اى مسجد كان وتخصيصها بالمساجد الثلاثة المسجد الحرام الذى بناه ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسجد بيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومسجد المدينة الذى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتناول المسجد الذى فيه الروضة المنورة ومسجد قبا الذى اسس على التقوى تخصيص بلا دليل والغدو مصدر يقال غدا يغدو غدوا اذا دخل فى وقت الغدو وهو مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لايقع فيه الفعل فلابد من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه فقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو من قبيل آتيك طلوع الشمس اى وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر واما الآصال فانه اسم للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب كشريف واشراف ويجمع الاصيل ايضا على اصل واصائل ﴿ قوله وقرأ ابن عامر وعاصم ﴾ اى برواية ابى بكر فانه يقرأ على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كباقى السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلاثة اعنى له فيها بالغدو ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر دل عليه يسبح الظاهر لانه لما قيل يسبح له فيها فكأنه قيل من يسبحه فقيل رجال اى يسبحه رجال كما فى قوله * ليبك يزيد ضارع لخصومة * كأنه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان رجال يعامل معاملة المؤنث فى بعض الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على اسناد الفعل الى الاوقات المذكورة بعده وكون الباء زائدة والاصل تسبح الغدو والآصال بمعنى تسبح الاوقات التى يعبر عنها بالغدو والآصال جعل الاوقات مسبحة على طريق صام نهاره والمراد يسبح رب هذه الاوقات فيها ﴿ قوله وفيه ايماء بانهم تجار ﴾ الا انهم مع ذلك لايشغلهم عن ذكر الله تعالى شئ من ضروب المعاملات وقيل ان الآية نزلت فى الذين لايشتغلون بالتجارة والبيع بل كانوا فرغوا انفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء اذ ماذكره هذا القائل لايتبادر اليه الاذهان قال الحسن رضى الله تعالى عنه اما والله انهم كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شئ فقاموا بالصلاة والزكاة ﴿ قوله واقام الصلاة ﴾ اى باتمامها برعاية جميع مااعتبره الشرع فيها من الاركان والشرائط والسنن والآداب من تساهل فى شئ منها لايكون مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو ألفا فاجتمع ألفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فبقى اقام ثم ادخلت الهاء عوضا عن الالف المحذوفة فبقى اقامة ثم حذفت تلك الهاء حال الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام الهاء المحذوفة فى كونها عوضا قيل المراد بذكر الله تعالى الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به جميع مايختص ذكره تعالى وتخصيص اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر بعد التعميم تعظيم لشأنهما لكونهما أهم اقسام ذكره تعالى وقوله تعالى يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من معمول لاتلهيهم ويوما مفعول به لاظرف على الاظهر وتتقلب صفة ليوما ﴿ قوله وتخصيصه ﴾ يعنى تخصيص الظمآن بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سواء كان ظمآن ام لايظنه ماء جاريا لان من ليس بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة عما احتاج اليه بخلاف العطشان فانه يصير خائبا عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه ان كان ماأتى به من اعمال البر فى الدنيا كصلة الرحم واقراء الضيف واعتاق الرقاب واراقة الدماء ونحو ذلك مما يعتقد ان له ثوابا عليه فهو لايستحق عليه ثوابا وان كان من اعمال الاثم فهو يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فحين كان يعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى فاذا اتى عرصة القيامة ولم يجد الثواب الذى يحتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبه حاله حال الظمآن الذى تشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد يتعلق قلبه به ويرجو النجاة مما هو فيه ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجد شيئا مما حسبه وهو الماء فحينئذ يعظم عليه ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا المثال فى غاية الحسن ﴿ قوله لم يجده شيئا مما ظنه ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا وقوله لم يجده شيئا ينفى ماأثبته وهو تناقض ﴿ قوله استعراضا ﴾ اى يوفيه الله تعالى حسابه بان يقول له اعرض على ماعملته وماادخرته ليومك هذا من قولهم استعرضت فلانا اذا قلت له اعرض على ماعندك وقوله اومجازاة على عمله بان يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فاحسبه خيرا يعود عليه شرا وماطمع فيه ثوابا اعقبه الله عقابا لانه تعالى ابطله بكفره ﴿ قوله رسيس الهوى ﴾ فعيل بمعنى فاعل من رس الحب فى الفؤاد اذا ثبت فالرسيس الشئ الثابت

والصغار الواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدّر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فماله من نور) بخلاف الموفق الذي له نور على نور (ألم تر) ألم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال (أن الله يسبح له من في السموات والارض) ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره (كل) كل واحد مما ذكر او من الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدى اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض) فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) واليه مرجع الجميع (ألم تر ان الله يزجي سحابا) يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد (ثم يؤلف بينه) بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله (وينزل من السماء) من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها (من برد) بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول

(بدل)

الذي لا يتلك عاقبته وبالجملة مايصدر من الكافر من العقائد والاقوال والاعمال ذكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقائد والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يهتدى بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره الى ما هو الحق المقبول عند الله تعالى فلا يدرى الحق ولا يدرى انه لا يدري ويعتقد انه يدري فيشتد اصراره على ما هو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قعر البحر ذى اللجة اى التي هي معظم الماء البحر البعيد القعر الذي يغشاه اى يعلو ذلك البحر اللجى موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان في هذه الظلمات يكون حاله خلاف من احاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع لسيرة العلماء والصالحين فكانوا في نور على نور ﴿قوله الم تعلم﴾ يعنى ان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لا يتعلق به رؤية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا ان المراد التقرير اى قد علمت ويقنت بالوحى والاستدلال وعبر عن الرؤية بالعلم للدلالة على ان المقصود تقرير العلم المنزل منزلة المشاهدة والعيان في الوثاقة والايقان وحمل من في السموات والارض على اهلهما مطلقا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن المعلوم ان اهلهما مطلقا لا يعقلون التسبيح ولا يتكلمون به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها عن النقائص بلسان المقال او الحال وقوله او الملائكة عطف على اهل السموات وقوله بما يدل متعلق بينزه ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان تكون كلمة من لتغليب العقلاء وغيرهم لكونه اظهر دلالة على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته ﴿قوله اى قد علم الله﴾ على ان يكون علم مسندا الى ضمير اسم الله تعالى ويكون ضميرا صلاته وتسبيحه راجعين الى كل ويكون المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله صلاته اى دعاءه وتسبيحه له فيما يحتاج اليه اى يعلم صلاته كيف يصلي وتسبيحه كيف يسبح ويؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى في قوله والله عليم بما يفعلون اى بما يفعل الحيوان اختيارا والجماد طبعا من الصلاة والتسبيح وغيرهما ﴿قوله او علم كل﴾ على ان يكون الضمائر كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيحه على معنى انهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعية بان شبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم الى النفع اختيارا او طبعا بحال من يعلم التسبيح والصلاة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف رحمه الله تعالى عليه وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون ضمير علم راجعا الى كل وضمير صلاته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من هذه الاجناس قد علم صلاة الله وتسبيحه روى عن ابي ثابت رضي الله تعالى عنه انه قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال رضي الله عنه أتدري ماذا تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفهمون ويعلمون ويبصرون ويشاركنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة انها اشد نقصانا من الصبى الذى لا يعرف هذه الامور فبان يمتنع ذلك منها اولى واذا ثبت انها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله تعالى الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم رحمة الله تعالى عليهم انا نشاهد ان الله سبحانه وتعالى الهم الطيور وسائر الحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان الامر كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة لسائر الامور التي يعرفها الناس فالمصنف رحمه الله تعالى عليه اختار ما ذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قول هذا البعض بقوله مع انه لا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ ﴿قوله فانه الخالق لهما الخ مع قوله واليه مرجع الجميع﴾ اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدئ جميع الكائنات ومعيدها وكفى بهما مزجرا فهو موعظة ﴿قوله بان يكون قزعا﴾ وهو بفتحتين جمع قزعة وهي قطعة من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة الى دفع ما يقال من ان لفظ بين لا يقع الاضافة الى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شئ واحد وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وعلى ما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره والركم جعل شئ فوق شئ حتى تجعله مركوما مجتمعا ﴿قوله اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد﴾ على ان تكون من الاولى لابتداء الغاية وهي كذلك والثانية كذلك الثانية بمعنى الهامع مجرورها بدل من الاولى

بدل اشتمال باعادة العامل ولا تستقيم البدلية الا بتو افقهما فى المعنى كقولك خرجت من مصر من محلة كذا لا تكون الاولى والثانية الا لابتدآء الغاية وبين الجبال بقوله من برد اى ينزل جبال فى السماء هى برد وقدرت ينزل لان البدل فى حكم تكرار العامل فعلى هذا الوجه وجب ان يكون معمول ينزل محذوفا وهو بردلان المنزل من الجبال وهى البرد برد وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال معمول ينزل والمعنى وينزل من السماء بعض الجبال التى هى البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد وان جعلت الاولى والثانية للابتدآء والثالثة للتبعيض يكون المعمول من برد والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اى قطع عظام كائنة فى السحاب تشبه الجبال فى عظمها وفى جمودها وصلابتها فان الجسم الشديد التحجر يقال له جبل لتحجره وجموده ﴿ قوله وقد يبرد الهوآء ﴾ يعنى ان ما ذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكون فى الاغلب من تكاثف ابخار وقد يتكون من تكاثف الهوآء اما الاول فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان فى الهوآء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ يتحلل وينقلب هوآء وان كان البخار كثيرا ولم يكن فى الهوآء من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ فى صعودها الى الطبقة الباردة من الهوآء او لا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا او لا فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزآء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها سحابا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثانى نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهوآء وذلك عند ما يبرد الهوآء بردا مفرطا ﴿ قوله والضمير ﴾ اى ضمير به للبرد اى يصيب الله بذلك البرد من يشاء من الناس فيضره فى زرعه وثمرته وماشيته ويصرفه عمن يشاء من الناس فلا يضره فى شئ منها ﴿ قوله ضوء برقه ﴾ يعنى ان السنا مقصورا بمعنى الضوء يقال سناء يسنو سنا اى اضاء يضيئ والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه والبرق الذى يكون منه ذلك لا بد ان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الهوآء والبرد فظهوره فى خلال السحاب يقتضى ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ﴿ قوله فيما تقدم ذكره ﴾ اى من عجائب صنعه من قوله يزجى سحابا الى قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار ثم اعلم انه تعالى استدل على وحدانيته اولا بقوله تعالى ألم تر ان الله يسبح له من وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجى سحابا فالاول استدلال باحوال اهل السماء والارض والثانى استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتدآء الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سوآء عنى الماء الماء المطلق الذى هو احد العناصر الاربعة او عنى به الماء المذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح قال تعالى خلقته من تراب وقال فنفخنا فيها من روحنا واشار المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق ما يمشى ويتحرك بل هى اسم للحيوان الذى يدب على الارض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن واشار الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى بان المراد بالماء ما هو احد العناصر وبكونه مبدأ الخلقة كونه جزأ من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لا تخلو عن رطوبة ما فالظاهر على هذا ان تنوين دابة للافراد وان يكون كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبائعها من شئ واحد وهو عنصر الماء او النطفة فلا بد ان يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شئ ثم اشار بقوله وقيل من ماء متعلق بدابة اى متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد النقض بشئ مما ذكر ﴿ قوله وانما سمى الزحف مشيا ﴾ يعنى ان المشى هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق فى الآية على المرور مطلقا على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان تكون الكلمة موضوعة للحقيقة مع قيد فتستعمل تلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد يسميه صاحب المفتاح مجازا مرسلا ويشترط فى الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمبالغة فى التشبيه بان ينسى التشبيه ويدعى ان المشبه من عداد المشبه به كاستعمال لفظ الاسد فى الرجل الشجاع مثلا ولا فائدة فى مثل هذا المجاز لكون كل واحد من المعنيين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير

وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوآء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزآء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهوآء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بما لها واوقاتها واليه اشار بقوله (فيصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء) والضمير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع (يذهب بالابصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك (ان فى ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبرة لاولى الابصار) لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا من النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية وانما سمى الزحف مشيا

على الاستعارة او المشاكلة (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشي على اربع) كالنعم والوحش

ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة (يخلق الله مايشاء) مما ذكر وممالم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور في الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء (لقد انزلنا آيات مبينات) للحقائق بانواع الدلائل (والله يهدي من يشاء) بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها (الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم (واطعنا) اي واطعناهما (ثم يتولى) بالامتناع من قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما اولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولي منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) اي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا او المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لاتحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) اي الحكم لاعليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص (أفي قلوبهم مرض) كفر او ميل الى الظلم (ام ارتابوا) بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك (ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكومة

الى المراد من المعنى فان المشي والزحف على البطن كالمترادفين وكذا نحو المرسن والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون عليه الرسن الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه ﴿ قوله الاستعارة او المشاكلة ﴾ والنسخة المشهورة على الاستعارة لتشاكله بجعل قصد المشاكلة علة لايثار قصد طريق الاستعارة وجعلها علة مستقلة لها صحيح ايضا كما وقع في الكشاف ﴿ قوله وتذكير الضمير ﴾ مع ان ظاهر النظم يقتضي تأنيثه لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر عن جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم ناسب ان يعبر عن الاصناف المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك الاصناف بكلمة من التي حقها ان تطلق على العقلاء ﴿ قوله والترتيب ﴾ اي حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على اربع والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث ان الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ومشي من يمشي بغير آلة المشي اعجب لها ثم مشي من يمشي على رجلين اعجب لها بالنسبة الى مشي من يمشي على اربع اذ اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأشكالها واعضائها وطبائعها ومقادير ابدانها واعمارها لابد وان يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل مايشاء ﴿ قوله نزلت في بشر المنافق ﴾ عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وهو منافق يقول ان محمدا يحيف علينا ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي ولم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصمني اليك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد مضت قصتهما في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض فتقاسماها فوقع الى علي مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها فتقابضا فقيل للمغيرة اخذت ارضا لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها فلا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت والحيف الجور والظلم ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى ذكر دلائل الوحدانية والالوهية اولا وجعل ذكرها توطئة لذم قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روي عن الحسن البصري انه قال نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر ﴿ قوله ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه ﴾ اي يتولى بذلك عن قوله واطعنا ﴿ قوله وسلب الايمان عنهم لتوليهم ﴾ الذي هو من امارات التكذيب فعلى هذا يكون المراد بالقائلين جميع من ادعى الايمان مخلصا كان او منافقا والايمان انما سلب عمن تولى منهم ﴿ قوله او الثابتون عليه ﴾ مبني على ان تكون الاشارة الى الفريق المتولي منهم على طريق اللف والنشر المرتب والحاصل ان الضمير في قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولي التولي عن الطاعة بعد التزامها بقولهم واطعنا وكلمة ثم يجوز ان تكون للتراخي الزماني وان تكون لاستبعاد التولي عن قولهم آمنا واطعنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين جميعا ويجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى يتولى ان بعضهم لايثبتون على الايمان وبعضهم يثبتون عليه فتكون الاشارة الى الفريق المتولي ﴿ قوله اي ليحكم النبي عليه الصلاة والسلام فانه الحاكم ظاهرا ﴾ جواب عما يقال كيف افرد ضمير ليحكم بعد قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اي الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله لانه من المعلوم البين انهم لايدعون الى نفس ذاته تعالى وكان الظاهر ان يقال ليحكما بينهم وتقرير الجواب ان الداعي يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن ذلك الحكم انما يظهر ويتبين بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعو اليه بحسب الظاهر هو الرسول وكان ذكر الله لتعظيمه عليه الصلاة والسلام بالاشعار بمكانته عند الله فان حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى ﴿ قوله تعالى أفي قلوبهم مرض ﴾ استفهام تقرير لذم والتوبيخ كما في قوله

أ لست من القوم الذين تعاهدوا ۞ على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

ويقع فى مقام المدح والثناء ايضا كما فى قوله

* ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح *

وكلمة ام فى قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون منقطعة مقدرة ببل والهمزة اى بل ارتابوا بل يخافون بين الله تعالى سبب اعراضهم وامتناعهم عن المحاكمة الى الرسول على سبيل الاستفهام التقريرى فقال ان ذلك لكفرهم او لميلهم الى ظلم من له الحق عليهم ثم اضرب عن ذلك قائلا ان السبب فيه أهو اطلاعهم على جاريهم فى عدله وامانته ثم اضرب عنه الى انه هل هو مجرّد خوفهم من ظلمه عليهم من غير ان يطلعوا على جاريهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخيرين بابطالهما ليتعين الاحتمال الاوّل السببية ويحتمل ان تكون كلمة ام متصلة مؤدية لمساواة الاحتمالات المذكورة فى كونها سببا للاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام ويكون الاضراب الاخير ابطالا للاحتمالين الاخيرين ﴿قوله وظلمهم بمخلل عقيدتهم﴾ لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى لما بين احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم لاقوالهم بين ان الواجب على الذين يقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا حين دعوا الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا اى سمعنا الدعاء واطعنا بالاجابة والقبول والجمهور على نصب قول المؤمنين على انه خبر كان والاسم ان المصدرية مع ما فى حيزها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان وخبره ان يقولوا والنصب اقوى لانه متى اجتمع معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف منهما الاسم والآخر خبره وقوله ان يقولوا سمعنا اعرف من قول المؤمنين وذلك لان الفعل المصدّر بأن المصدرية فى تأويل المصدر المضاف الى الفاعل فاذا كان فاعله معرفة كما فى هذا المقام كان فى معنى المصدر المضاف الى المعرفة فيكون معرفة ولا يمكن تنكيره لان عزل الفعل عن فاعله غير متصوّر بخلاف قول المؤمنين لانه اذا لم يضف وقيل قول للمؤمنين عاد نكرة ولان ان بصلتها تشبه المضمر من حيث انه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر من قول المؤمنين الا ان سيبويه لم يفرق فى هذه التفرقة بل جوّز ان يكون كل واحد من المعرفتين اسما والآخر خبرا وان كان الثانى اوغل فى التعريف من الاوّل ﴿قوله واسناده الى ضمير مصدره﴾ اى ليحكم الحكم بينهم لان ليحكم دال على مصدره فيكون مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اى لقد وقع التقطع بينكم ﴿قوله وقالون عن نافع بلا ياء﴾ يعنى انه قرئ يتقه بكسر القاف والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الاصل فيما اذا تحرك ما قبل الهاء وما روى عن نافع مبنى على ان الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية فلم تعتبر الحركة التى قبل الهاء فحركت الهاء من غير صلة قال مكى يجب على من اسكن القاف ان يضم الهاء لان هاء الكناية اذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن ياء تضم نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وأبقى الهاء على كسرتها التى كانت عليها قبل سكون القاف ﴿قوله وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء﴾ اى مع كسر القاف وقرأ حفص يتقه ساكنة القاف فان العين تسكن اذا كانت من كلمة واحدة نحو كبد وكتف فى كبد وكتف ثم اجرى ما اشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل بناء على ان تقه من قولنا يتقه بمنزلة كبد وكتف فسكن وسطه كما سكن وسطهما ومنه قوله * قالت سليمى اشترلنا سويقا * بسكون الراء ﴿قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه﴾ عن مقاتل وغيره قالوا لما بين الله اعراض المنافقين وامتناعهم من قبول حكمه عليه الصلاة والسلام اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فأنزل الله تعالى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم فجهد ايمانهم منصوب على انه مصدر فعله المحذوف والاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اى يبالغون فى اليمين ويبلغون غاية شدّتها ووكادتها من قولهم جهد فلان نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها وفى المغرب جهده اى حمله فوق طاقته من باب منع ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون اقصى وسع اليمين ويبلغون غاية شدّتها ووكادتها وطاقتها كان قوله يجهدون اليمين استعارة شبه مبالغتهم فى اليمين بجهد النفس وتكليفها المشقة وذكر جهد اليمين واريد المبالغة فيها ثم قيل يجهدون ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدّم المصدر على المفعول واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد ايمانهم ولما كان الفعل المحذوف مع ما فى حيزه فى موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع موقعه فى حكم الحال كانه قيل واقسموا بالله مبالغين فى تأكيد حلفهم جاهدين أيمانهم ﴿قوله جواب لاقسموا

(بل اولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاوّل ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوّته وفرط امانته يمنعه فتعين الاوّل وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعوّ الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون) على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمرانه اوفى الفرائض والسنن (ويخش الله) على ما صدر عنه من الذنوب (ويتقه) فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف والهاء فى الوقف ساكنة بالاتفاق (فاولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم (واقسموا بالله جهد أيمانهم) انكار للامتناع عن حكمه (لئن امرتهم) بالخروج عن ديارهم واموالهم (ليخرجن) جواب لاقسموا على الحكاية (قل لا تقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة أمثل منها او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة (ان الله خبير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه) اى على محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من الامتثال (وان تطيعوه) في حكمه (تهتدوا) الى الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادّى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب الرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان (ليستخلفنهم في الارض) ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرّف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعني بني اسرآئيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون فتحهما واذا ابتدأوا كسروا الالف (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعدآء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف (أمنا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوّة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة (يعبدونني) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن (لا يشركون بي شيأ) حال من الواو اى يعبدونني غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتدّ او كفر هذه النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد او حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم حيث ارتدّوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به

لان الموطئة في قولهم لئن امرتهم جعلت ما يأتي بعد الشرط المذكور جوابا للقسم لا جزآء للشرط وكان جزآء الشرط مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم وجواب الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط الا انه جواب على حكاية قول المنافقين حين اقسموا للرسول فانه تعالى لما حكى عنهم قسمهم بقوله واقسموا ذكر القسم عليه ايضا على سبيل الحكاية فقال ليخرجنّ بطريق الغيبة فان نص كلامهم معه عليه الصلاة والسلام هكذا والله انا لنقبل جميع احكامك ونطيعك في جميع ما تأمرنا لئن امرتنا بالخروج لنخرجنّ معك غير الكلام الى الغيبة عند الحكاية ﴿قوله امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية﴾ عند تعالى لانه لو كان قوله اطيعوا الله الى آخر الآية من كلام الرسول خاطب به قومه لكان الظاهر ان يقول واطيعوا الله واطيعوني فان توليتم فانما عليّ ما حملت من تبليغ الرسالة وان تطيعوني تهتدوا وما عليّ الا البلاغ المبين فلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر انه كلام الله تعالى وحكاية رسوله اياه وانه تعالى امر رسوله ان يبلغ هذا الخطاب اليهم غاية ما في الباب انه تعالى لم يقل اطيعوني بل عبر عن ذاته المقدسة بلفظ الغيبة ايماء الى علة وجوب طاعته عليهم ﴿قوله مبالغة في تبكيتهم﴾ علة لقوله خاطبهم الله به ووجه المبالغة في التبكيت على تقدير ان يكون الله تعالى هو الذي خاطبهم بذلك ان توجه خطاب الله اليهم وروده عليهم ألزم للحكم واقمع للخصم بالنسبة الى ان يخاطبهم الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة نفسه فان في مخاطبته تعالى اياهم من دهشة المخاطب وعجزه عن التزام الجواب ما ليس في خطابه عليه السلام بذلك ﴿قوله خطاب الرسول والامة﴾ سوآء كانت الامة امة دعوة او اجابة فتكون كلمة من في قوله منكم للتبعيض فان الذين تحقق منهم الايمان وقت نزول الآية بعض من الامة مطلقا واما اذا كان خطاب منكم له عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين فحينئذ يكون من للبيان لا للتبعيض لان الموعودلهم هم المخاطبون لا بعض منهم ﴿قوله بالتقوية والتثبيت﴾ متعلق بقوله وليمكنن يعني ان المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره على الاديان كلها لانه تعالى اذا أعز الاسلام ونصر المسلمين على اعدآء الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء لا جرم تصير المسلمون متمكنين في الارض مستولين عليها فيعلو الاسلام على سائر الاديان ويقوى وقرأ العامة كما استخلف على بناء الفاعل وقرأ ابو بكر وليبدلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله صلاحا تعدّى بمعنى رزقه صلاحا بدل الغي ويقال ابدله الله من الخوف امنا قال ابو العالية في هذه الآية مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احدهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿قوله بالاخبار عن الغيب على ما هو به﴾ فان الاستخلاف الموعود لا شك انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر مثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدّعي النبوّة ثم انه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضي في قوله آمنوا وعملوا وخطاب المشافهة في قوله منكم ان يستخلفهم استخلافا كاستخلاف بني اسرآئيل في مصر والشام بعد الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذي هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون في الارض باستخلاف الله اياهم واختيارهم على غيرهم • فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم في ذلك • قلت كانوا هم الاصول والملوك وكان سائر الناس اتباعا لهم في ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير وقد حصل في ايامهم الفتوحات العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام • الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا • اذ كانت خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثنتي عشرة وخلافة علي ستّ سنين ﴿قوله وقيل الخوف من العذاب﴾ عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعدآء امنا منهم ﴿قوله او كفر هذه النعمة﴾ قال المفسرون اوّل من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غيّر الله تعالى ما بهم من الامن وأدخل عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين ﴿قوله ولا يبعد عطف ذلك﴾ يعني ان بعد ما بين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبنى على تحقيق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان

المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان شدة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل بينهما مع ان الفصل ههنا فائدة جليلة وهى الاشعار بان الجملة المفصلة وهى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم الآية مما هو مهم بشأنه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه وهو قوله تعالى فان تولوا كأنه قيل فان توليتم من الطاعة فاضرر تموهم وانما ضررتم انفسكم لانه عليه الصلاة والسلام قد خرج من عهدة ما كلف به واما انتم فعليكم ما كلفتم به من الطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فبأن يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل الكفر والعصيان ويعذبهم بايدى المؤمنين بل يستأصلهم بالمرة فكان الفاصل من تتمة المعطوف عليه وقوله ولا يبعد يشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله اطيعوا الله ولعل وجهه ان قوله واقيموا الصلاة من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب كأنه قيل يعبدوننى ولا يشركون بى شيأ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الرسول والذى يحسن هذا الالتفات الخطاب الذى فى قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلاة وايتاء الزكاة على قوله يعبدوننى ابدا ابا بشر منهما ومزيد قدر هما عند الله تعالى لانه من باب عطف جبرائيل على الملائكة ﴿ قوله وتعليق الرحمة بها ﴾ على تقدير ان يكون المعنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول على رجاء الرحمة ﴿ قوله او بالمندرجة هى فيه ﴾ لتعليق الرحمة بمجموع الامور التى اندرجت فيها طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على رجاء الرحمة كما علق الهدى بالطاعة فى قوله وان تطيعوه تهتدوا ﴿ قوله لا تحسبن يا محمد ﴾ قرأ العامة تحسبن بتاء الخطاب وجل هذا الحسبان وان كان لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام الا انه نهى عنه مبالغة فى تسليته ولان خطابه فى حكم خطاب امته لكونه رئيسهم وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هما الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله ضمير النبى عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون لا تحسبن خطابا عاما لكل من يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وايذائهم والمعنى لا تحسبنهم يسبقونا اى يفوتون عذابنا فانه لاحق بهم لا محالة اما عاجلا واما آجلا وذكر على القراءة بياء الغيبة ثلاثة اوجه الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والذين كفروا معجزين مفعوليه والمعنى لا يحسبنهم النبى معجزين والثانى ان يكون الفاعل الذين كفروا وفى المفعول حينئذ احتمالان الاول ان يكون معجزين فى الارض مفعوليه والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله ثابتا فى الارض حتى يطمعوا بذلك فى ان يعجزوا الله ويفوتوا عذابه وحسابه على ان معجزين اول المفعولين وفى الارض ثانيهما وحق المفعول الاول فى باب حسبت ان يكون معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون معجزين صفة موصوف اى احدا يعجز الله ولما كان احدا واقعا فى سياق النفى افاد العموم فجاز وصفه بالجمع بذلك الاعتبار والاحتمال الثانى على تقدير ان يكون الذين كفروا هو الفاعل وان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعوله الاول محذوفا والاصل لا يحسبن الذين كفروا معجزين اى لا يحسبن الكفرة انفسهم معجزين والاقتصار على احد مفعولى باب حسبت وان كان ضعيفا عند البصريين الا انه سوغه فى الآية كون الفاعل والمفعولين عبارة عن شئ واحد فاكتفى بذكر اثنين منها عن ذكر الثالث ﴿ قوله عطف عليه ﴾ اى على قوله لا يحسبن الذين كفروا وهى جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلا وجه لعطف احداهما على الاخرى الا ان الجملة الفعلية الانشائية لما كانت فى حكم الاسمية الخبرية جاز ان تعطف عليها الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لا يغير المعنى الاصلى فكان قوله لا يحسبن الذين كفروا معجزين فى قوة ان يقال الذين كفروا ليسوا معجزين لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿ قوله والمراد به ﴾ اى بقوله يا ايها الذين آمنوا خطاب الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعا وان كان الظاهر كونه خطابا للرجال فقط ووجه الاستدلال بما روى على دخول الفريقين فى الخطاب بطريق التغليب ان الآية لما نزلت بسبب كراهة الانثى دخول الغلام عليها بغير استئذان دل ذلك على عموم الخطاب الفريقين جميعا واعلم ان ظاهر الآية امر المماليك والاطفال بالاستئذان والمقصود امر المؤمنين بان يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم فى هذه الاوقات اذ لو كان المقصود المماليك والاطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه واما الوجه فى عدم نداء المماليك والاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالى والاولياء الاشارة الى انهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب وان

فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه بقوله (لعلكم ترحمون) كما علق به الهدى (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين او لا تحسبن الكفار فى الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه او لا يحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول فى الاحتمالات (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز (ولبئس المصير) المأوى الذى يصيرون اليه (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال

السادات والاولياء هم المخاطبون بتعليم من هو في عيالهم وتحت ايديهم والقيام بما يحتاجون اليه في امر دينهم ودنياهم والتأديب على ذلك ان بنت سوءسهم عن الامثال ﴿قوله بنت ابي مرثد﴾ روى بالشين المعجمة في نسخ وروى بالثاء المثلثة قيل هذه الآية احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه اذ روى عنه انه قال وافقني ربي في ثلاث في الاستئذان وفي الحجاب حيث قال الله تعالى فاسألوهن من وراء حجاب وفي الاتخاذ من مقام ابراهيم مصلى وهذه الآية دلت على ان من لم يبلغ الحلم يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فانه تعالى امرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم على تركها وهم ابناء عشر وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه انما يؤمر بذلك تمرينا له ليعتاد ويسهل عليه بعد البلوغ ﴿قوله تعالى ثلاث مرات﴾ على انه ظرف زمان اي ليستأذنكم ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وقيل انه منصوب على المصدرية اي ثلاث استئذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام الاستئذان ثلاث وهذا وجه ظاهر لولا القرينة الصارفة عن هذا المعنى وهي التفسير بالاوقات الثلاثة المذكورة والقيلولة النوم في الظهيرة والالتحاف التغطي يقال التحفت بالثوب اي تغطيت به ﴿قوله اي هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم﴾ يعني ان ثلاث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف قال اولا ليستأذنكم المماليك والاطفال ثلاث مرات ثم فصل الثلاث بقوله من قبل صلاة الفجر الآية ثم اجمل بعد التفصيل فقال هذه ثلاث عورات لكم تنبيها على علة وجوب الاستئذان عليهم في هذه الاوقات والعورة الخلل الذي يرى فيه ما يراد ستره وسميت الاوقات المذكورة عورات مع انها ليست نفس العورات بل هي اوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلا لها والمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس الاختلال بل اوقاتا له ﴿قوله وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان﴾ يعني انه قد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستئذان واجب في كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الآية في غير هذه الاحوال الثلاث فقال المصنف لا منافاة بين ان يستأذن الاحرار البالغون في جميع الاحوال وبين ان لا يستأذن الاطفال ومماليك المدخول عليهم الا في هذه الاحوال الثلاث حتى يصار الى النسخ ﴿قوله وفيه دليل﴾ اي في قوله طوافون عليكم وكذا في الفرق بين هذه الاوقات الثلاثة وبين ما عداها بانها اوقات عورات دون ما عداها دليل على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام الشرعية اذا امكن وان كل حكم شرعي له علة تلك العلة هي الحكمة في مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم اما على الابتداء او على انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه اي المماليك والاطفال يطوفون عليكم للخدمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة اي في هذه الاوقات الثلاثة وغيرها لضاق الامر عليكم فلذلك رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الاوقات الثلاثة ﴿قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم﴾ اي من الاحرار فليستأذنوا في الدخول استئذانا مثل استئذان الذين بلغوا من قبلهم يعني ان من تجدد فيه البلوغ يجب ان يستأذن للدخول في كل الاوقات كما يستأذن الكبار الذين تقدم بلوغهم كذلك ووجه الاستدلال بهذه الآية على استئذان العبد على سيدته ان لفظ الاطفال يتناول المماليك والاحرار من الصبيان فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين اذا بلغ الحلم بحكم هذه الآية كما ذهب اليه الحنفية قال الامام النسفي في تفسير قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن الى قوله او نسائهن ان المراد بنسائهن الحرائر المسلمات وبما ملكت ايمانهن اماؤهن فلا يتناول الغلام والجارية جميعا قالتا قال سمرة بن جندب لا تغرنكم هذه الآية فانها نزلت في الاماء انتهى وقال المصنف في تفسير او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد واستدل عليه بالحديث ثم قال وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي واجاب ههنا عن الاستدلال المذكور بان تعريف الاطفال للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرج المماليك فيهم ﴿قوله تعالى والقواعد﴾ جمع قاعد وهي المرأة التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها ولم تدخلها تاء التأنيث لاختصاصها بالمرأة قيل واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة قال الامام الواحدي ان لا يعتبر قعودهن

لما روى ان غلاما اسمه [illegible] بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار عبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله (ثلاث مرات) في اليوم والليلة مرة (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) اي ثيابكم اليقظة للقيلولة (من الظهيرة) بيان للحين (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) اي هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وما بعده خبره واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين (طوافون عليكم) اي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات (بعضكم على بعض) بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) اي الاحكام (والله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما شرع لكم (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان (والقواعد من النساء) العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه لكبرهن

من الحيض لان ذلك ينقطع عنهن بآفة دون بلوغهن الى سن لا يرغب فيهن الرجال فالمراد قعودهن عن حال
التزوج وذلك لا يكون الا اذا طعن في السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال والقواعد مبتدأ ومن النساء حال من
المستكن في القواعد واللاتي صفة القواعد لا النساء وجملة فليس عليهن جناح خبر المبتدأ والفاء لتضمنه معنى
الشرط لان الف واللام فيه بمعنى اللاتي اولان المبتدأ موصوف بالاسم الموصول ولو كان الموصول مبتدأ جاز
دخول الفاء في خبره فجاز ذلك ايضا اذا كان صفة للمبتدأ وغير متبرجات حال من عليهن ﴿قوله اى الثياب
الظاهرة﴾ خص الثياب بالظاهرة لانه لاشك في انه تعالى لم يأذن لهن في ان يضعن جميع ثيابهن لما فيه من
كشف العورة كلها ﴿قوله من استقذارهم﴾ اى من استكراه الاصحاء المؤاكلة معهم لان الاعمى
ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه فيضيق على جليسه
والمريض لا يخلو من رائحة كريهة او انف يذن او جرح يبض اذا احد بها يسيل ونحو ذلك ﴿قوله
او اكلهم﴾ عطف على مؤاكلة الاصحاء وقوله مخافة علة لقوله يتحرجون في اكلهم من بيت من يدفع اليهم
المفتاح قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح بيوتهم
ويقولون قد احللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من بيوتهم ويقولون لا ندخلها وهم
غيب فنزلت رخصة لهم ﴿قوله او من اجابة﴾ عطف ايضا على مؤاكلة الاصحاء يعني ان ضعفاء المؤمنين كانوا
يدخلون على بعض اصدقائهم لطلب الطعام فاذا لم يكن عندهم طعام يطعمونه يدعونهم ويذهبون بهم الى بيوت
آبائهم او اولادهم او اقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا
ان تكون تجارة عن تراض منكم اى بيعا فعند ذلك امتنع الناس ان يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه
الآية وعلل المصنف تحرجهم بقوله كراهة ان يكونوا كلا عليهم والكل بفتح الكاف وتشديد اللام الملال والتعب
والثقل والجمع الكلول ولم يجمع ههنا لكونه مصدرا في الاصل ﴿قوله وهذا﴾ اى انتفاء الحرج في اجابة
من يدعوهم الى البيوت المذكورة ويأخذ الاكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت باذنه صريحا او بما هو
قرين الاذن وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك وقيل بجواز الاكل من هذه البيوت بغير اذن مالكيها
كان في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام «لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس» ومما يدل
على هذا النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم من لهن الآباء والاخوال وقد عم النهي عن دخول بيوتهم الا بعد الاذن في الدخول وفي الاكل
﴿قوله وقيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد﴾ اى لا فيما يتعلق بالاكل والمعنى ليس على هؤلاء حرج
في القعود عن الغزو ولا عليكم في ان تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا كلام صحيح في نحو جمع لا ستواء الطائفتين
في نفي الحرج عنهم وهذا مثل ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر
فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك جناح في ان تقدم الحلق على النحر ولم يرض المصنف بهذا التأويل حيث قال
وهذا لا يلائم ما قبله ولا ما بعده فانه قبل اولا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن وقيل آخر او لا على انفسكم
ان تأكلوا فبين فيهما ما نفى كونه جناحا ولم يبين ذلك في قوله ليس على الاعمى حرج فينبغي ان يبين بما يلائم
ما قبله وما بعده والقعود عن الغزو لا يلائم شيأ منهما ﴿قوله من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم﴾ اى
ليس المعنى ان تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بانفسكم وفيها طعامكم وسائر اموالكم لان الناس لا يتحرجون
عن اكل طعامهم في بيوت انفسهم فينبغي ان يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم انفسكم لشدة الاتصال
بينهم وبينكم كالازواج والاولاد ونحوهما فان بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد ولذلك يضيف الزوج بيت
زوجته الى نفسه وكذا الاب يضيف بيت ولده الى نفسه ﴿قوله وقيل بيوت المماليك﴾ لم يرض بان يفسر ما ملكتم
مفاتحه ببيوت المماليك لان بيوتهم داخلة في عموم قوله تعالى ان تأكلوا من بيوتكم فلا وجه لافراده بالذكر وملك
المفاتح كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه فالمعنى ليس عليكم جناح ان تأكلوا من اموال لكم يد عليها لكن لا من
اعيانها بل من اتباعها وغلاتها كثمرة البستان ولبن الماشية ﴿قوله والمفاتح جمع مفتح﴾ والمفاتيح جمع مفتاح
وكلاهما آلة الفتح وقيل المفاتح الخزائن كقوله وعنده مفاتح الغيب اى خزائنه واريد بالخزائن ما يخزن فيه الطعام
المأكول ونحوه من بين البيوت قيل اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج

(فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) اى
الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان
اللام في القواعد بمعنى اللاتى او لوصفها
(غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة
امرن باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن
واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من
قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج
سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها
كله لا يغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة
زينتها ومحاسنها للرجال (وان يستعففن خير
لهن) من الوضع لانه ابعد من التهمة (والله
سميع) لمقالتهن للرجال (عليم) بمقصودهن
(ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج) نفي لما كانوا
يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من
استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم
المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى
الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون
ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم
الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم
كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون
اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة
او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى
طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن
الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده (ولا على
انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم) من البيوت
التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه
السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب
ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
(او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه) وهو ما يكون
تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح
جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه

(او صديقكم) اوبيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم وأسرّ به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم اوكان فى اوّل الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لاقطع بسرقة مال المحرم (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا) مجتمعين او متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الامعه او فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى النزازة والنهمة (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على انفسكم) على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون من صلة التحية فانه طلب الحياة وهى من عنده وانتصابها على المصدر لانها بمعنى التسليم (مباركة) لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوّابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال (لعلكم تعقلون) اى الحق والخير فى الامور (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم (واذا كانوا معه على امر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) مايعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر

الاستئذان ونقل كل قدم اليه الطعام فاستأذن صاحبه فى الاكل منه قيل انطلق رجل يدعى بالحارث بن عمرو مغازيا واستخلف مالك بن يزيد فى اهله وخزائنه فلم يأكل من ماله شيأ حتى صار مجهودا اى ضعيفا فنزل الله تعالى او صديقكم ﴿قوله فلا احتجاج للحنفية﴾ اذ لا احتجاج بالمنسوخ احتج ابو حنيفة بهذه الآية على ان من سرق من ذى رحم محرم انه لايقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم بغير اذنهم فلا يكون محرزا ولا يلزم منه ان لايقطع اذا سرق من صديقه لان من اراد سرقة ماله لايكون صديقا له ﴿قوله لاختلاف الطباع﴾ اى طباع الطاعمين وفى بعض النسخ لاختلاف الناس والنهم مفتحتين افراط الشهوة فى الطعام والنزازة ضده وحاصل المعنى لاختلاف الطباع فى قلة الاكل وكثرته يعنى انهم لما تحرجوا فى الاجتماع على الطعام لاختلاف احوال الأكلة فى الاستقلال والاستكثار من الطعام ازال الله هذه الآية وبين انه لاحرج عليهم فى ان يأكلوا مجتمعين او متفرقين او اشتاتا جمع شت والشت مصدر بمعنى التفرق فوصف به وشتى جمع شتيت كرضى ومريض قال الامام النسفى دل قوله تعالى ان تأكلوا جميعا على جواز التناهد فى الاسفار والتناهد اخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه ﴿قوله فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت﴾ خص بيوتا المنكر بالبيوت المذكور سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا فى دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على اهله ومن فى بيته وروى مرفوعا اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقيل المراد بها كل بيت وقيل هى المساجد جعل الله تعالى اهل البيت من المسلمين انفس الداخلين ايذانا بان المسلمين كالنفس الواحدة كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم فان لم يكن فى البيت احد ولا فى المسجد فليسلم على نفسه بان يقول السلام علينا من قبل ربنا او بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روى ان الملائكة تردّ عليه وقيل ان كان فى البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى ثم قيل يحصل بهما التسليم قوله تحية من عند الله مباركة طيبة حتى روى عنه عليه الصلاة والسلام انه يصلى صلاة الضحى وهى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر رمح ثم يصلى اربعا او ستا او ثمانى وهو الذى اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق وهو ظهور تمام نوره بارتفاعها من مواراة الخضرات والغبارات ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج عليه الصلاة والسلام على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فقال الا ان صلاة الاوّابين اذا رمضت الفصال روى عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد ولا انسان فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لايحصل به هذا القول لانه صفة السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق لمعنى فسلموا على طريق قولك قعدت جلوسا كأنه قيل فحيوا تحية وقوله من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة تحية اى تحية ثابتة بامره مشروعة من لدنه وان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب الحياة والسلامة من الله للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن ترجى بها من الله تعالى الاجابة بزيادة الخير وطلب الكمال والجمال ﴿قوله وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك﴾ اى التبيين وهو قوله والله عليم حكيم وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو التعقل والدراية لاحكام الله من الاوامر والنواهى ﴿قوله ووصف الامر بالجمع للمبالغة﴾ فى كونه سببا لاجتماع القوم فان الامر لكونه مهما عظيم الشان صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل اسناد الفعل الى السبب وقرئ امر جميع بمعنى جامع او مجموع له قيل نزلت الآية فى حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات ثمة فيه حتى دخلت فى حد القضاء وكان قوم يتسللون من بينهم بغير اذن قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحيال النبى عليه الصلاة والسلام حتى يراه فيعرف به استئذانه فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد اذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون عدم الاستئذان منقصا فى كمال الايمان حيث جعل من الايمانين شرطا لثالثه اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فان جعل المستأذنين هم المؤمنين عكس الاسلوب الاوّل وفيه تأكيد للاوّل بالله ورسوله فيكون مصداقا ودليلا على صحة الايمان وصدقهما قيل المراد بقوله ان الذين يستأذنونك انه استئذان عمر بن الخطاب فى غزوة تبوك فى الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ماانت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام ﴿قوله وفيه﴾ اى فى قوله لبعض شأنهم مبالغة فى الاهتمام بشأن الاستئذان كاعادته على الاسلوب الابلغ حيث لم يطلق الاذن فى شأنهم بل قيد بالبعض تعليقا

(عليهم)

(فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه عليه الصلاة والسلا
ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان
الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقدي
لامر الدنيا على امر الدين (ان الله غفور
لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليه
(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا) لا تقيسوا دعاءه اياكم على
دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض
والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن
فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة
بغير اذنه محرم وقيل لا تجعلوا نداءه وتسمي
كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به
والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظ
مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير
والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلو
دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض
فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا
تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم
يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب
(قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) ينسلون
قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج
وتدخل (لواذا) ملاوذة بان يستتر بعضكم
ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق
معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ
بالفتح (فليحذر الذين يخالفون عن امره)
يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض
او يصدون عن امره دون المؤمنين من
خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف
المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف
عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة
او للرسول فانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم
فتنة) محنة في الدنيا (او يصيبهم عذاب اليم)
في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض
لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل
على حسنه المشروط بقيام المقتضي له
وذلك يستلزم الوجوب (ألا ان لله
ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه)
ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق
والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد
الوعيد (ويوم يرجعون اليه) يوم يرجع
المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون
الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ
عليم) لا يخفى عليه خافية * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بق

عليهم امر الذهاب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القدر الميسور وماس الحاجة اليه وتضيق الادب بالمشي مع ذلك العذر ومن ان ذكر الاستغفار للمستأذنين بالاذن دليل على ان الاحسن والافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه حيث احتاجوا في خروجهم من الجماعة الى ان يستغفر لهم الرسول وان كان ذلك الخروج بمشيئته ﴿قوله ومن منع ذلك﴾ اي منع تفويض بعض الاحكام الى رأيه واجتهاده وقال انه عليه افضل الصلاة والسلام يتبع الوحي في جميع احكامه قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدق المستأذن في ان له عذرا شرعيا مرخصا للذين استأذنوا فيه فحينئذ تكون المشيئة مستندة الى الشرع الثابت بالوحي فلا تكون مشيئته واذنه في ذلك بمجرد رأيه قال المصنف في اصوله يجوز له عليه الصلاة والسلام ان يجتهد لعموم فاعتبروا ووجوب العمل بالارجح ولانه اشق وادل على الفضيلة فلا يتركه ومنعه ابو علي وابنه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى فما هو مأمور به فليس بهوى ﴿قوله ولا تقيسوا دعاءه اياكم﴾ الى شيء من الامور فيكون المصدر فيه مضافا الى فاعله كما في الوجه الثالث والرابع فان الداعي في الجميع هو الرسول بخلاف الوجه الثاني فان المصدر فيه مضاف الى المفعول والمعنى لا تقولوا عند دعائكم اياه يا محمد ويا ابن عبد الله كما يدعو بعضكم بعضا بل عظموه وشرفوه في ندائه والمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا امره اياكم ودعاءه لكم الى شيء كما يكون من بعضكم الى بعض فان امره كان فرضا لازما ومثله قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ﴿قوله ينسلون﴾ اي يخرجون مستخفين يقال انسل الرجل اي انصرف من الناس وفارقهم بحيث لا يعلمون واللواذ والملاوذة ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ويستتر بعضهم ببعض وهو حال من ضمير يتسللون ويقال تدرج اذا استعلى درجة درجة وتدخل اذا دخل قليلا قليلا فان تفعل قد يكون للعمل المتكرر في مهلة ﴿قوله وقرئ بالفتح﴾ اي بفتح اللام على انه مصدر لاذ الثلاثي مثل طاف طوافا ويحتمل ان يكون مصدر لاوذ الا انه يجب فتح الفاء اتباعا لفتحة العين قيل كان المنافقون يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبي عليه الصلاة والسلام وخطبته فيلوذون ببعض اصحابه عليه الصلاة والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيرهم من غير استئذان وقيل كانوا ينسلون من صف القتال وقيل كان هذا في حفر الخندق ﴿قوله يخالفون امره﴾ لا يريد ان كلمة عن صلة والا لكان هذا وجها مستقلا من غير ان يضم اليه قوله وعن لتضمنه معنى الاعراض بل المقصود منه مجرد بيان أن يخالفون يتعدى بنفسه حيث يقال يخالفون امره وانما جيء بكلمة عن لتضمنه معنى الصدود والاعراض وقيل عن ههنا بمعنى بعد كما في قولك اطعمتهم عن جوع اي بعد جوع ﴿قوله وحذف المفعول﴾ والاصل يخالفون المؤمنين عن امر الله وعن امر رسوله على معنى يخالفونهم صادين عن امره فيكون عن امره حالا من فاعل يخالفون كما ان حقيقة قولك خالفه عن الامر خالفه صادا اي معرضا عن الامر فيكون عن الامر حالا من فاعل خالف ومحصول كونه مخالفا له صادا عن الامر دونه وكذا اذا قلت خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه اي ذاهبا الى الامر فيكون الى الامر حالا من فاعل خالف ايضا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي ذاهبا الى ما انهاكم عنه ﴿قوله فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر﴾ يعني ان مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه والاخلال به كما ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه ورعايته ولما امر الله تعالى من خالف الامر وترك مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر عنه ولا يحسن الحذر عن العذاب الا عند قيام ما يقتضي نزوله فثبت ان ترك مقتضى الامر يقتضي نزول العذاب فلولا ان المأمور به واجب لما كان تاركه مستحقا للعذاب ثم انه تعالى لما هدد من خالف امره بأحد العذابين اورد عقيبه ما هو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال الا ان لله ما في السموات والارض وجعله ذريعة الى تحقيق علمه باحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وأكد علمه بما هم عليه بان ادخل كلمة قد على يعلم وذلك ان قد في المضارع تفيد التقليل كربما اذا دخلت عليه فكما ان ربما تستعار للتكثير كما في قول الشاعر

* ان تمس مهجور الفناء فربما * يأتيك من بعد الوفود وفود *

كذلك كلمة قد تستعار له ايضا فتفيد التحقيق والتأكيد وجعلت كلمة قد في الآية على هذا المعنى لاقتضاء الوعيد اياه وفي البيت لاقتضاء مقام المدح اياه ﴿قوله تعالى ويوم يرجعون اليه﴾ منصوب على انه مفعول به لا ظرف لعطفه

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع ﴾
﴿ وسبعون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرءآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس الكتب السماوية (ليكون) العبد او الفرقان (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة (الذي له ملك السموات والارض) بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال (وخلق كل شيء) احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة (فقدره تقديرا) فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا

على قوله ما انتم عليه اي ويعلم الذي انتم عليه ويعلم يوم يرجعون اليه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قرأ العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو مبنيا للفاعل وعلى كلا القراءتين يجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله ما انتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون والثاني ان يكون قوله ما انتم عليه خطابا عاما لكل احد ويكون الضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله ما انتم عليه ايها المكلفون وقوله ويوم يرجع المنافقون اليه والى الاول بقوله ويجوز والله سبحانه وتعالى الموفق الهادي الى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بالطائف وهي قوله تعالى الم تر الى ربك كيف ﴾
﴿ مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تكاثر خيره ﴾ قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تحصوا اي احصاءها فضلا عن افرادها على هذا المعنى لا بد من تقدير المضاف اي تبارك خير الذي ولا حاجة اليه على المعنى الثاني ﴿ قوله او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله ﴾ قال الله تعالى ليس كمثله شيء فالعبد وان كان له حظ في صفاته وافعاله الا ان ماله من الصفات والافعال لا يماثل شيأ مما له تعالى وذلك معلوم ببداهة العقل ﴿ قوله وترتيبه على انزال الفرقان ﴾ اي تعليقه به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله لما فيه من كثرة الخير مبني على تفسير تبارك بقوله تكاثر خيره وقوله او لدلالته على تعاليه مبني على تفسيره بقوله او تزايد على كل شيء ﴿ قوله وقيل دام ﴾ عطف على قوله تكاثر يعني قيل الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام والمعنى انه تعالى باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباق في صفاته ممتنع التبدل ولم يرض به لان ترتيبه على انزال الفرقان لا يلائم هذا المعنى * فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم على ما يعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف والقوم ما كانوا يعرفون انه تعالى هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذي * اجيب بانه لما ثبت كونه من عند الله بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزله الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوة دليله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ ﴿ قوله للجن والانس ﴾ اي لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك بين اجناس ما يعلم به الخالق مما سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدد الاجناس واستغراق كل واحد منها اذ لو افرد منكرا لفهم واحد من تلك الاجناس ولو افرد معرفا لتوهم ان القصد الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التي هي القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع منكرا لم يكن نصا في الاستغراق للاختلاف في استغراق الجمع المنكر وجمع بالياء والنون لان المقصود استغراق افراد العقلاء من جنسي الجن والانس فان جنس الملائكة وان كانوا من اجناس العالم الا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجن والانس فهو عليه الصلاة والسلام رسول لهما جميعا فالآية حجة لابي حنيفة في قوله ليس للجن ثواب اذا اطاعوه سوى النجاة من العذاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للعالمين نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم نجاتهم من العذاب الاليم على تقدير المضاف ولم يذكر لهم ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان ﴿ قوله منذرا او انذارا ﴾ الاول على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثاني على ان الضمير للفرقان اي لتنزيله المدلول عليه بقوله نزل فكأنه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان نفسه لا يكون انذارا ﴿ قوله بدل من الاول ﴾ فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما بشيء اجنبي من الكلام لان المبدل منه صلة نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الا به ﴿ قوله احدثه احداثا مراعى فيه التقدير ﴾ يعني ان الخلق هو الاحداث المتفرع على التقدير والتسوية في علم الصانع فان الصانع اذا لم يقدر مصنوعه في عقله قبل الايجاد يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله او بالنقصان عن حد ما به تمامه * ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدره تكرار بناء على ان الخلق

فيه بمعنى التقدير فكأنه قيل وقدّر كل شئ فقدّره تقديرا اشار الى دفعه اوّلا بقوله فقدّره وهيأه لما اراد منه وحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرّع عليه بالفاء فان الاوّل عبارة عن تسوية المحدث في علمه الازلي كما اوجبته الحكمة بتعيين مادّته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوّى الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر صنعه والتقدير المتفرّع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المرتبة على وجوده فلا تكرار فكأنه قيل اوجد كل شئ على تقدير اوجبته الحكمة وقدّر له ما يصلحه ويتم به ما اراد منه من الخصائص والافعال وثانيا بقوله فقدّره فابقاه الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا متفرّع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشئ يكون بعد احداثه كأنه قيل احدثه فجعل لوجوده غاية محدودة وثالثا بقوله وقد يطلق الخلق لمجرّد الايجاد فلا يكون قوله فقدّره تكرارا وتكون الفاء فيه للترتيب في الاخبار فكأنه قيل اوجد كل شئ فقدّره في ايجاده ولم يوجده بحيث يحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذي اقتضته الحكمة ﴿قوله لان عبدتهم ينحتونهم﴾ اشارة الى ان فاعل اتخذوا هم عبدة الاصنام ولا يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة ولان السورة مكية نزلت ردّا على المشركين فيما ذهبوا اليه ويجوز ان يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قوله واتخذوا صيغة جمع وقوله آلهة جمع ايضا واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخولهم في فاعل اتخذوا ثم انه تعالى لما ردّ على الطاعنين في التوحيد شرع في الردّ على الطاعنين في النبوّة بقوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اي ما هذا القرآن الا كذب افتراه محمد واختلقه من عند نفسه واعانه عليه اي على افترائه قوم آخرون اي اليهود وقيل جبر مولى عامر ويسار غلام ابن حضرمي وعداس وقيل عائش مولى حويطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلاثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا يقرأون التوراة ويحدّثون منها احاديث فلما اسلموا وكان النبي عليه افضل الصلاة والسلام يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الآية واجاب عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا اي فقد اتوا ظلما وعلوه حيث وضعوا صفة الافك في غير موضعها ولو امكن ذلك لعارضوه واتوا بمثله حين اتاهم به لانهم مثله عليه الصلاة والسلام في معرفة اللغة وفي التمكن من الاستعانة ووصف كلامهم هذا بانه زور ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبة ماهو برئ منه اليه وقالوا في حق القرآن ايضا اساطير الاوّلين كاحاديث رستم واسفنديار واساطير جمع اسطار جمع سطر اوجمع اسطورة كاحدوثة واساطير خبر مبتدأ محذوف اي هذا اساطير وقوله اكتتبها خبر ثان لهذا اوحال من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه والاشارة كقوله وهذا بعلي شيخا ﴿قوله كتبها لنفسه﴾ اي باعتبار كونه سببا آمرا بكتابتها فان بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه ﴿قوله او استكتبها﴾ على ان يكون اكتتب بمعنى أمر ان يكتب له كما يقال احتجم وافتصد اذا امر بذلك وقوله فهي تملى عليه متفرّع على قوله اكتتبها على كل واحد من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن القاء الكلام على الغير ليكتبه فان فسر الاكتتاب بالاستكتاب فالامر ظاهر لان املاءها اي القاءها على الكاتب متفرّع على طلب ان يكتب له الكاتب الا ان املاءها على من يكتبها له عليه الصلاة والسلام بمنزلة كتابته عليه الصلاة والسلام بنفسه فلذلك جعل الاملاء على الكاتب بمنزلة الاملاء على نفسه وهذا على تقدير ان يحمل الاملاء على حقيقته ويجوز ان يكون قوله تملى استعارة تبعية بان يشبه القاء الكلام على الامي ليحفظه بالقائه الى الكاتب ليكتبه لكون صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب فاطلق الاملاء على الالقاء على الحافظ واشتق منه تملى وكذا ان فسر اكتتبها بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاسناد المجازي وروى الامام عن الحسن البصري انه قال قوله وهي تملى عليه كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم فكأنه تعالى قال ان هذه الآيات تملى عليه بالوحي حالا بعد حال فكيف يقال في حقها انها اساطير الاوّلين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه في هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولا شك ان هذا القول اقرب لانه تعالى اجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله قل انزله الذي يعلم السرّ ووجه كونه جوابا ان القرآن لكونه معجزا من حيث كونه في اقصى مراتب الفصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لايعلمها الا علام الغيوب يستحيل ان يلقيه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ولو اخذه

(واتخذوا من دونه آلهة) لما تضمن
الكلام اثبات التوحيد والنبوّة اخذ في
الردّ على الطاعنين فيهما (لايخلقون شي
وهم يخلقون) لان عبدتهم ينحتونهم
ويصوّرونهم (ولايملكون) ولايستطيعون
(لانفسهم ضرّا) دفع ضرّ (ولانفعا)
ولاجلب نفع (ولايملكون موتا ولا
حياة ولانشورا) ولايملكون اماتة احد
ولا احياءه اوّلا وبعثه ثانيا ومن كان
كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن
لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون قادرا على
البعث والجزاء (وقال الذين كفروا ان
هذا الا افك) كذب مصروف عن وجهه
(افتراه) اختلقه (واعانه عليه قوم
آخرون) اي اليهود فانهم يلقون اليه
اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل
جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله
انما يعلمه بشر (فقد جاؤا ظلما) بجعل
الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود
(وزورا) بنسبة ماهو برئ منه اليه
واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل ويعدّيان
تعديته (وقالوا اساطير الاوّلين) ما سطره
المتقدمون (اكتتبها) كتبها لنفسه
او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه
امّيّ واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام
وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبه
اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل
للضمير فاستتر فيه (فهي تملى عليه بكرة
واصيلا) ليحفظها فانه امّيّ لايقدر
ان يكرّر من الكتاب او ليكتب (قل انزله
الذي يعلم السرّ في السموات والارض)
لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته ولتضمنه
اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة
لايعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه
اساطير الاوّلين (انه كان غفورا رحيما)
فلذلك لايعجل في عقوبتكم على ما تقولون
مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان
يصب عليكم العذاب صبا

(وقالوا مالهذا الرسول) مالهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم (يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشي في الاسواق) لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فماله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) ليعلم صدقه بتصديق الملك (او يلقى اليه كنز) فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش (او تكون له جنة يأكل منها) هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون (وقال الظالمون) وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه (ان تتبعون) ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى (تبارك الذي ان شاء جعل لك) في الدنيا (خيرا من ذلك) مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى (جنات تجري من تحتها الانهار) بدل من خيرا (ويجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله ٭ وان اتاه خليل يوم مسألة ٭ يقول لا غائب مالي ولا حرم ٭ ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة

من اساطير الاولين لما زاد على ما في كتبهم فظهر انه من عند من يعلم الغيوب وهو الله تعالى وانه بمعزل عن كونه من اساطير الاولين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ﴿ قوله وفيه ﴾ اي وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استهانة وتحقير له عليه الصلاة والسلام وفي تسميتهم اياه رسولا مع انهم بصدد انكار رسالته تهكم به عليه الصلاة والسلام ذكروا له عليه الصلاة والسلام خمس صفات وزعموا انها تخل بالرسالة زعما منهم ان فضيلة الرسول على غيره تكون بامور جسمانية وهي غاية الجهالة ونهاية السفاهة فأجاب الله عن هذه الشبهة بوجوه الوجه الاول قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال اي اتوا لك الاشباه حين زعموا انك مسحور محتاج متروك ناقص عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرة انه ساحر ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة مسحور ونحو ذلك من الاقوال الشاذة والاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي صلى الله عليه وسلم وهي الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية والى المميز بينه وبين المتنبي فان المميز بينهما يكون باظهار المعجزة وما ذكروه من الشبهة لا يقدح شيء في اظهارها فلا يكون شيء منها قادحا في النبوة كأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فائدة فيها لاجل ما هم بصدده من القدح في نبوتك واثبات كونك متنبئا والوجه الثاني من وجوه الجواب عن شبهة المنكرين ما ذكره بقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اي من ذلك الذي ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله جنات الخ ونبه بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه الصلاة والسلام ذلك الذي عيروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه تعالى يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشيئة ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه ابواب الدنيا وفي حق الآخر بالعكس من ذلك عن الضحاك قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه الصلاة والسلام لذلك فنزلت جبريل معزيا له وقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك فسلم عليه وقال ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور يتلألأ ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله مما ادخرت في الآخرة جناح بعوضة فنظر النبي عليه الصلاة والسلام الى جبريل كالمستشير له فأومأ اليه ان تواضع فقال رسول الله بل نبيا عبدا قال فكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل بعد ذلك متكئا حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ﴿ قوله وقرئ بالنصب ﴾ اي بنصب يجعل باضمار ان على انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جني هو كقولك ان تأتني آتك واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور في كتب النحو انما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهي وغيرهما وقرأ باقي القراء بجزم يجعل وادغام لامه في لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والقصور جمع قصر والقصر هو المسكن الرفيع والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فتكون كلمة بل لترك الاول والاخذ فيما هو أهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين الاولين لانهما يفيدان ما ذكروه في القدح لنبوته وهو لا يصلح قادحا فيها وهذا الجواب يبين العلة الداعية لهم الى انكار النبوة فان من كذب بالساعة لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر في الدلائل الدالة على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل فلذلك لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل فقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذي والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية والحطام والهشيم هو الشيء اليابس المتكسر استعير لاسباب الدنيا المرغوبة لزوالها وقلة مكثها ﴿ قوله او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن ﴾ فيكون معطوفا على قوله وقالوا مالهذا الرسول ﴿ قوله او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ﴾ وهو قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستئناف بوعد ما يكون له في الآخرة فيكون معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاستئناف

الاوّل انه على الاوّل اضراب عنه الى جواب آخر أهمّ من الاوّل على هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم لايلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة ﴿ قوله اولا فلا تعجب الخ ﴾ فيكون معطوفا على جملة باحكى عنهم بمايدل على تكذيبه والقدح فى نبوّته فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى وهو اعجب واغرب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله فيكون صرفه باعتبار المكان ﴾ يعنى اذا كان اسما لجهنم لوجب منع صرفه للعلية والتأنيث الا انه صرف تأويلا لجهنم بالمكان ﴿ قوله اذا رأتهم ﴾ جملة شرطية فى موضع النصب على انها صفة لقوله سعيرا وكذا قوله واذا القوا منها مكانا ضيقا الخ ﴿ قوله اذا كانت بمرأى منهم ﴾ يعنى ان السعير سواء كانت بمعنى النار الملتهبة او جهنم ليست لها عين ولا رؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشئ بمقابلة الناظر وبمرآه لازم للرؤية اذ لا تمكن الرؤية بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية واريد اللازم وهو كون الشئ بحيث يرى والانتقال من الملزوم الى اللازم يكون مجازا لا كناية قال عليه الصلاة والسلام «المؤمن والكافر لاتتراأى ناراهما» اى لاتتقاربا ولا يكون احداهما بمرأى من الاخرى والمقصود النهى عن تقاربهما ويقال دور فلان تتناظر اى تتقابل وهذا التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا فى الحياة عندهم فالنار على ماهى يجوز ان يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ماروى انه عليه الصلاة والسلام قال «من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعده» قالوا هل لها عينان قال «نعم الم تسمعوا قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد» قيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات عينين عندهم فقوله تعالى فى صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا لايمكن اجراؤه على الظاهر عندهم بل يمكن ذلك عندنا اذ لا امتناع من ان تكون النار حية متغيظة على الكفار واما المعتزلة فانهم لما شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات حياة عندهم احتاجوا الى التأويل قال الجبائى ان الله تبارك وتعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله تعالى واسأل القرية اى اهلها ﴿ قوله صوت تغيظ ﴾ لما كان التغيظ عبارة عن شدّة الغضب وذلك لايكون مسموعا ذكر فى توجيه الكلام ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع مايدل عليه من الصوت كما يقال اما رأيت غضب الملك على فلان اذا رأى مايدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت التغيظ ﴿ قوله فى مكان ﴾ يعنى ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها فى محل النصب على الحال من مكانا لانه فى الاصل صفة ومقرنين حال من مفعول ألقوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان جهنم لتضيق على الكافر كما يضيق الزج على الرمح والزج الحديدة التى فى رأس الرمح وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال «والذى نفسى بيده انهم يكرهون فى النار كما يكره الوتد فى الحائط» ولقد جمع الله على اهل النار انواع البلاء حتى ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابا فوق عذابهم ﴿ قوله والاستفهام الخ ﴾ جواب عما يقال كيف يتصوّر الشك فى انهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز لقائل ان يقول السكر خير ام الصبر واجاب بان ذلك يحسن فى معرض التقريع والتهكم فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعدّ لمن كذب بالساعة اتبعه بما يؤكد حسرته وندامته تقريعا له وتهكما وجنة الخلد هى الدار التى لاينقطع نعيمها ولا ينتقل اهلها منها ولما ورد ان الجنة اسم للدار المخلدة فاى فائدة فى اضافتها الى الخلد اشار الى جوابه بقوله واضافتها للمدح كما ان الصفة للمدح فكذا الاضافة اولان اسم الجنة لا يدل الا على البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود فى مفهومه فاضيف اليه للدلالة على خلودها ﴿ قوله بالوعد ﴾ اى لا بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لايجب على الله عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعود لايكون واجبا على من وعده قبل الوعد وانما يجب عليه بمجرد مقتضى الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزاء بالاستحقاق بوجهين الاوّل ان اسم الجزاء لا يتناول الا المستحق واما الموعود بمحض التفضل فانه لايسمى جزاء والثانى انه لوكان المراد من الجزاء الامر الذى يصيرون اليه بمجرد الوعد لم يبق فرق بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة وقال اصحابنا لانزاع فى كونه جزاء انما النزاع فى كونه جزاء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس فى الآية مايدل على التعيين والمذهب انه ثبت بالوعد للادلة المنصوصة وقوله

او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه
(واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا)
نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم
فيكون صرفه باعتبار المكان (اذا رأتهم)
اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة
والسلام لاتتراأى ناراهما اى لاتتقاربا بحيث
تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز
والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم (من مكان
بعيد) وهو اقصى مايمكن ان يرى منه
(سمعوا لها تغيظا وزفيرا) صوت تغيظ شبه
صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره
وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة
لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق
الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل
ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف
المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) اى فى مكان
ومنها بيان تقدم فصار حالا (ضيقا) لزيادة
العذاب فان الكرب مع الضيق والروح
مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها
السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون
الياء (مقرنين) قرنت ايديهم الى اعناقهم
بالسلاسل (دعوا هنالك) فى ذلك المكان
(ثبورا) هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه
فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك (لاتدعوا
اليوم ثبورا واحدا) اى يقال لهم ذلك
(وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم انواع
كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته اولانه يتجدد
كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اولانه
لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور (قل أذلك
خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون) الاشارة
الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد
للتقريع مع التهكم اوالى الكنز والجنة
والراجع الى الموصول محذوف واضافة
الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها
او التمييز عن جنات الدنيا (كانت لهم)
فى علم الله او اللوح اولان ماوعده الله فى
تحققه كالواقع (جزاء) على اعمالهم بالوعد

كانت بلفظ الماضي مع ان الجنة ستصير لهم جزآء ومصيرا في المستقبل مبني على انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم وكان ذلك في علمه الازلي ﴿قوله ولا يمنع كونها جزآء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم﴾ جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لا يعفو عن اصحاب الكبائر ولا يدخلهم الجنة بهذه الآية فانهم قالوا الجنة حق المتقين جزآء على اعمالهم لقوله تعالى كانت لهم جزآء واهل الكبائر وان كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفا الله عنهم وادخلهم الجنة التي اختصت بالمتقين وكانت جزاء لهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان لغيره لا يجوز وتوجيه الجواب بين ظاهر ﴿قوله ولعله تقصر همم كل طائفة﴾ جواب عما يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد ان يريدوها ويسألوه فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤون وفي قوله ما تشتهي الانفس وايضا فالاب اذا كان ولده في دركات النار واشد العذاب اشتهى ان يخلصه الله من ذلك فان فعل الله ذلك قدح في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤون وفيها ما تشتهيه الانفس وتقرير الجواب ان المراد لهم فيها ما يشاؤونه بما يليق برتبتهم وانه تعالى لا يلقي في خواطرهم ان يسألوا رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشتغل كل واحد بالالتذاذ بما يليق برتبته ولا يلتفت الى حال غيره ﴿قوله حال من احد ضمائرهم﴾ والمعنى الذي يشاؤونه حال كونهم خالدين حاصل لهم او الذي يشاؤونه حاصل لهم حال كونهم خالدين ﴿قوله وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده﴾ والمعنى كان الذي يشاؤونه موعودا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد الكريم الذي يمتنع الخلف في وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لكونه جزآء واجرا مستحقا عنده لان العبد لا يستوجب عليه تعالى شيأ بل كل ما يصل اليه من الخير فهو تفضل محض ولما ورد ان يقال لو وجب عليه انجاز الموعود وان كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف في وعده لزم منه انه تعالى ملجأ الى الانجاز وغير قادر على تركه ومن كان ملجأ الى الفعل وغير قادر على تركه لا يكون مستحقا للمدح والثناء مع ان ذلك هو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذي هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل فوجب الفعل لانه لو لم يفعله لانقلب خبره الصادق كذبا وعلمه جهلا والوجوب اللازم من الاخبار والعلم لا يستلزم كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعلق الارادة الازلية بالفعل متقدم على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لا يكون صادرا على سبيل الالجاء ويكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء ﴿قوله تعالى ويوم نحشرهم﴾ اي واذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني واختار المصنف هذه القرآءة ﴿قوله وهو على تلوين الخطاب﴾ اي على الالتفات من التكلم الى الغيبة ﴿قوله يعم كل معبود سواه﴾ اي من الملائكة والمسيح وعزير والاوثان بشهادة قوله تعالى من دون الله الا ان جواب المعبودين بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يأبى دخول الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلائم الانبياء والملائكة المعصومين ولما ورد ان يقال كيف يعم كل معبود ولفظ ما لا يستعمل في العقلاء دفعه بما محصوله انا لا نسلم ان كلمة ما لا تستعمل الا فيما لا يعقل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل تستعمل ايضا فيما يتناوله وغيره كما اذا استعملت في الذوات التي يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر عن كونها عقلاء او غير عقلاء كما في ما نحن فيه ثم انها لا تستعمل فيما علم كونه عاقلا وانما تستعمل فيه كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انه انسان قلت حينئذ من هو ووضعه ثانيا بانه اريد به الوصف فانه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى والسماء وما بناها اي وبانيها وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اي معبودي وقول فرعون وما رب العالمين اي خبريهم وقولك اذا اردت السؤال عن صفة زيد مثلا ما زيد تريد طويلا ام قصيرا فقيها ام طبيبا وثالثا بانه عبر عن مطلق المعبود بكلمة ما تغليبا للاصنام على العقلاء المعبودين تحقيرا لشأنهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية وقوله او اعتبارا لغلبة عبادها عطف على تحقيرا ﴿قوله او يخص الملائكة وعزيرا او المسيح﴾ عطف على قوله يعم كل معبود وقوله او الاصنام عطف على الملائكة ولما ورد ان يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه

(ومصيرا) ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزآء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم (لهم فيها ما يشاؤون) ما يشاؤونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيأ والكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة (خالدين) حال من احد ضمائرهم (كان على ربك وعدا مسئولا) الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزآء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (وما يعبدون من دون الله) يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا او المسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل (فيقول) اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون

(ءأنتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) لأخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله ءأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لاتقدر على شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد (ما كان ينبغى لنا) يصح لنا (ان نتخذ من دونك من اولياء) للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اوليائه ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى (ولكن متعتهم وآباءهم) بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات (حتى نسوا الذكر) حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة (وكانوا) فى قضائك (قوما بورا) هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ (فقد كذبوكم) التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون (بما تقولون) فى قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا (فما يستطيعون) اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين (صرفا) دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف اى يحتال (ولا نصرا) يعينكم عليه (ومن يظلم منكم) ايها المكلفون (نذقه عذابا كبيرا) هى النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا

الله ء اجاب عنه اولا بانه تعالى يخلق فيه الحياة ويجعله صالحا لان يسأل ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال كما قيل فى تسبيح الدواب وكلام الايدى والارجل **﴿قوله وهو استفهام تقريع﴾** جواب عما يقال انه تعالى كان عالما فى الازل بحال المسئول عنه فما فائدة هذا السؤال ء وتقرير الجواب ان فائدته تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله لانهم اذا سئلوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة وحيرتهم ويبكتون بتكذيب المعبودين اياهم وتبرئهم من امرهم بالشرك وعبادة غير الله فلذلك سألهم بذلك والا فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال **﴿قوله واصله ءاضللتم ام ضلوا﴾** لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوى معلوم الا ان ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وهذا المعنى يحصل بان يقال ءاضللتم عبادى ام ضلوا بانفسهم من غير ان يراد انتم وهم الا انه غير النظم بزيادة انتم بين همزة الاضلال والهمزة وبزيادة هم بين هل الضلال والهمزة ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو فعل من تولى الفعل وباشره لا اصل الضلال اذ لا شبهة فى تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل هؤلاء الضالون لابد لهم من مضل وان ذلك المضل هل هو انتم او هم ضلوا بانفسهم فان الضال من غير ان ينقاد لمضل خارجى هو الذى يضل نفسه لامحالة فزيد لفظ انتم وهم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال ثم انه ذكر فى قوله سبحانك ثلاثة معان الاول انه تعجب مما قيل لهم واسند اليهم من الاضلال مع كونهم معصومين او عاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل فى التعجب والثانى ان قولهم سبحانك كناية عن كونهم مسبحين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا عباده والثالث انه يستعمل فى التنزيه كما هو اصله والمراد تنزيهه تعالى عن الانداد **﴿قوله فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك﴾** جعل قولهم ما كان ينبغى لنا كناية عن استبعاد ان يدعوا احدا الى اتخاذ ولى دونه تعالى لان نفس قولهم نصر بعيد لا يفيد المقصود وهو نفى مانسب اليهم من اضلال العباد وحملهم على اتخاذ الاولياء من دون الله **﴿قوله من اتخذ الذى له مفعولان﴾** اولهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله من اولياء ومن للتبعيض اى ما كان ينبغى لنا ان نتخذ بعض اولياء وقرأ العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن اولياء مفعوله وزيدت من فيه لتأكيد النفى **﴿قوله فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة﴾** فانهم قالوا فى هذه الآية دليل بين لقول من يقول ان الله تعالى يضل عباده فى الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا ههنا قسم ثالث غيرهما وهو الحق وهو انك اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم الى انفسهم علمنا ان الله لايضل احدا من عباده ء فان قيل لانسلم ان المعبودين ماتعرضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا ولكن متعتهم وآباءهم نعم الدنيا فلما لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يكون الله محجوجا فى يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا مفحما فلوما هذا تمام تقرير كلام المعتزلة فى الآية وتقرير المصنف ظاهر فى عدم انتهاض الآية حجة للمعتزلة علينا فانه لما تضمن كلام المعبودين انما يضلهم ولم يحملهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستغراقهم فى الشهوات واسناد له الى ما فعل الله بهم فكأنه قيل لكن اضللتهم ان ضلت بهم مايؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك ادلو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق الجواب لان السؤال انما هو عن اضلهم **﴿قوله التفات الى العبدة﴾** يعنى انه كلام الله تعالى خاطب به المشركين بعد ما عبر عنهم بلفظ الغيبة فى قوله ويوم يحشرهم واصل الآية فقلنا قد كذبكم المعبودون ايها المشركون فى قولكم انهم آلهة او فى قولكم هؤلاء اضلونا على ان الباء بمعنى فى ويحتمل ان تكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير المفعول فى كذبوكم كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون والباء صلة كذبوا كما فى قولك كذب بالحق فان كذب انما يتعدى الى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء وقد عدى ههنا الى كم بنفسه فلا جرم ان تكون بدلا منه وان قرئ بما يقولون بلفظ الغيبة تكون الباء للآلة كما فى قولك كتبت بالقلم اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا **﴿قوله والشرط وان عم﴾** جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بان قالوا قوله تعالى ومن يظلم يعم الكافر والفاسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الآية ان الفاسق لايعفى عنه بل يعذب وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاحباط بالطاعة

(وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس (وجعلنا بعضكم) ايها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذاؤهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر (أتصبرون) علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (انزل علينا الملائكة) فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا (او نرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا في انفسهم) اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله ٭ وجارة جساس ابأنا بنابها ٭ كليبا غلت ناب كليب بواؤها ٭

ان يريد ذلك العز بسرعة هي اعظم من ذلك العز لما كان اقتضاء هذا الشرط للجزاء المذكور مقيدا بان لا يوجد ما يزيل ذلك الظلم فلم تتولوا انه لم يوجد ما يزيله حتى تطمئنوا بتعذيبه ﴿قوله الا رسلا انهم﴾ يعني كسرت همزة انهم لوقوعها في صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف واعلم ان في الآية حذفين والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا رسلا انهم يأكلون الطعام فحذف احدا واقيمت صفته وهي من المرسلين مقامه وكذا حذف رسلا واقيمت الجملة التي صفته مقامه وجاز استثناء رسلا من احد لانه في معنى الجمع كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ويجوز ان تكون الجملة التي بعد الا حالا من اعم الاحوال والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين في حال من الاحوال الا وهم يأكلون الا انه اكتفى فيها بالضمير عن الواو ﴿قوله وهو جواب لقولهم﴾ يعني انه احتجاج عليهم في قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام وتقض له بحال الرسل جميعا كانه قيل لو كان موافقة الرسل المرسل اليهم في الاحوال مما يوجب ان لا يكون احد من المرسلين فيك رسولا يأكل وهو باطل فاذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فانك لا تكون مخالفا لهم وقرئ يمشون بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرئ يمشون بضم الشين على بناء الفاعل لكثر المشي لكان له وجه لولا ان الرواية بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب مناصبة اي شاركته في المحاربة والمعاداة قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه السلام على ما قالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كانه قيل لا تتأذ بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلي اشراف الناس بأسافلهم وذوو انسابهم بموالیهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس ورؤساء المشركين بفقراء الصحابة فانه اذا اراد الشريف ان يسلم ورأى الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم وقال لا اسلم بعده فيكون له حق السابقة والفضل فيقيم على كفره وهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه فلا عجب من ان يبتلى المرسلون بالمرسل اليهم بانواع اذاهم وان يبتلى المرسل اليهم بالمرسلين حسدا لهم ويأسا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين ﴿قوله وفيه دليل على القضاء﴾ اي في قوله تعالى وجعلنا دليل على ان الكائنات كلها واقعة بقضاء الله وقدره لانه لا شك ان المراد منه وحكمنا في الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض فالذي حكم الله تعالى عليه بذلك وعلم ذلك منه واثبته في اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يجب ان يقع في اوقات حدوثه على وفق ما تعلق به العلم الازلي والا لصار العلم جهلا ولصارت الكتابة المثبتة في اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال وما يستلزم المحال محال فثبت مسألة القضاء والقدر والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها ﴿قوله علة للجعل﴾ يعني ان الفتنة بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار فجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سببا لامتحان البعض بالبعض الآخر فكان تعلق اتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن عملا فكما ان المعنى ثمة ابتليناكم بالتكليف لنعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم ايكم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على ايذاء بعضكم بعضا فصبروا فانزل الله تعالى فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا ﴿قوله تعالى وكان ربك بصيرا﴾ اي عالما بمن يصبر وبمن يجزع فهو تبشير وانذار لمرتقبين وقيل عالما بالصواب فيما يبتلى به الخلق وغيره فلا يضيقن صدرك يا محمد ﴿قوله ومنه الرؤية﴾ اي ومن وجوه الوصول الى الشيء وطرقه رؤيته فان معنى اللقاء جنس تحته انواع احدها نوعه الرؤية ونوعه الآخر الاتصال والمماسة والملاقاة بهذا المعنى يمتنع ان يتعلق بذاته تعالى فتعين ان يكون المراد الوصول الى جزائه ورؤية ذاته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير وهذه الآية اشارة الى شبهة رابعة لمنكري نبوته وهي قولهم لو كان نبيا لانزل الله ملائكة يشهدون انه صادق في دعوى النبوة او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه رسوله الينا لان هذا الطريق احسن واقوى في الافضاء الى الايمان والتصديق ولما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى ما اراد تصديقه ﴿قوله ابأنا بنابها كليبا﴾ اي قد جعلناه بابها كليبا وهو رئيس تغلب بن وائل يقال ابأت فلانا بفلان اذا قتلته به وجعلته كفؤا له والناب المسنة من النوق وجساس رئيس بكر بن وائل وجارته امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس رأى كليب بن وائل يوما ناقة تلك المرأة في حماه وقد كسرت بيض طير كان قد اجاره فرمى ضرعها بسهم فقتلها فشكت بسوس الى جساس فقال جساس لجارته لتقتلن غدا جملا هو اعظم من ناقتك فبلغ ذلك كليبا فظن انه فحله الذي يسمى عليان فقال كليب دون عليان

خرط القتاد وكان جساس اراد بالفحل نفس كليب فقتل جساس كليبا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر وتغلب بن وائل اربعين سنة حتى ضرب بها المثل فى الشؤم * وقيل اشأم من بسوس * وسميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل فى عزة الشئ وقيل * امنع من حمى كليب * والبواء الكفؤ واستأنف بقوله علت ناب كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى ما اغلى نابا بواؤها كليب وكذا معنى الآية ما اشد استكبارهم وما اكثر عتوهم ثم انه تعالى اجاب عن قولهم لولا انزل علينا الملائكة بقوله يوم يرون الملائكة فبين ان الذى طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون ﴿قوله ويوم نصب باذكر﴾ فيكون لابشرى استئنافا او معمولا لقول مضمر اى اذكر يوم يرون الملائكة يقولون لابشرى وجملة القول حال من الملائكة ﴿قوله او بما دل عليه لابشرى﴾ ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انه مصدر والمصدر لا تعمل فيما قبله والثانى انها منفية بلا وما بعد لا لا تعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون اما على انه تأكيد لفظى له واما على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ خبر لابشرى والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين تبيينا كقوله لابشرى لما فيه من الابهام او خبرا ثانيا له ﴿قوله او ظرف﴾ عطف على قوله تكرير اى ويحتمل ان يكون يومئذ ظرفا لما تعلق به اللام او لبشرى اذا جعلتها غير مبنية فان المبنية لا تعمل ﴿قوله وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم﴾ اى حكم الذين لا يرجون لقاءنا من طريق البرهان بان يقال ان الذين لا يرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لابشرى لهم فالذين لا يرجون لقاءنا لابشرى لهم ﴿قوله ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ﴾ اى حين يرون الملائكة عند الموت او يوم القيامة نفى البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة وذلك ان قوله لابشرى يومئذ للمجرمين نكرة فى سياق النفى فعم جميع انواع البشرى فى جميع الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشرى فوجب ان لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين ﴿قوله عطف على المدلول﴾ اى على الفعل الذى يدل عليه لابشرى وهو يعدمون البشرى بالجنة او يعدمونها وقولهم حجرا محجورا كلمة تقال عند لقاء عدو او هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وحجرا من المصادر التى التزم اضمار ناصبها ولا يتصرف فيه نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك اى اعوذ بالله معاذا يقال عذت بفلان واستعذت به اى لجأت اليه وهو عياذى اى ملجئ وقعدك الله وعمرك الله اى عمرك الله تعميرا وقعدك الله تقعيدا حذف زوائد المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول وحجرا مصدر حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه ولا يلحقه به والمعنى نسأل الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحاء وقرئ بضمها وهى لغة فيه وحكى ابو البقاء فيه لغة ثالثة وهى فتح الحاء وقد قرئ به ﴿قوله واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص﴾ وهو موضع الانتصاب على المصدرية بفعل مضمر أمن فيه من الالتباس وقوله غير جواب لما اختص ومحجورا صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ليل لائل وموت مائت ﴿قوله وعمدنا الى ما عملوا﴾ لم يجز اسناد حقيقة القدوم اليه تعالى لكون القدوم عبارة عن مجئ المسافر بعد مدة وذلك يكون بالحركة التى هى من خواص الاجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها ولذلك استدل الخليل بافول الكواكب على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث ولذلك اوّل قوله تعالى وقدمنا بقوله وعمدنا لان القصد هو المؤثر فى القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب فيكون المجاز فى المفرد وليت شعرى كيف احتيج الى اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرح به حيث قال وهو تشبيه حالهم بحال قوم وفى مثله تكون المفردات مستعملة فى معانيها الاصلية وانما التصرف فى المعنى التركيبى والظاهر انه ليس مراد المصنف بقوله اى وعمدنا جعل القدوم مجازا عن العمد بل يريد به ان يعبر عن الهيئة المشبهة التى جعل نظم الآية مجازا عنها ﴿قوله او مفعول ثالث﴾ عطف على قوله صفته واراد ان منثورا لما كان بمنزلة خبر ثان كان الخبر مع المفعول الاول الذى هو فى الاصل مبتدأ بمنزلة ثلاثة مفاعيل والافعل سواء كان بمعنى خلق او صير لا يتعدى الى ثلاثة مفاعيل ثم انه تعالى لما بين حال الكفار فى الخسار الكلى والخيبة التامة شرح وصف اهل الجنة تنبيها على ان الحظ كل الحظ فى طاعة الله فقال مستقر اهل الجنة خير من مستقر اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم * فان قيل كيف يكون مستقر اهل الجنة خيرا من مستقر اهل النار مع انه لا خير فى النار اذ لا يقال العسل احلى من الخل * فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم كما فى قوله أذلك خير ام جنة الخلد ولما دلت الآية على ان مستقر اهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقر بالمكان الذى يستقر به فى اكثر الاوقات

(يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه (لابشرى يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما تعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها (ويقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وحال اعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثر والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث (واحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه

أو لأنه لا يخلو من ذلك غالباً اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقاً او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار (ويوم تشقق السماء) اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة تنزيلاً) في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة وقرئ ونزلت وانزل ونزل وتنزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن (وكان يوماً على الكافرين عسيراً) شديداً (ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجاً من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر علياً فقتله وطعن ابيا بأحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات

والمقيل المكان الذي يؤوى اليه للتمتع بالازواج ﴿قوله اذ لا نوم في الجنة﴾ لان اهلها ابداً في نعيم يعرفونه كما ان اهل النار ابداً في عذاب يعرفونه فلا نوم لواحد منهما ﴿قوله وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور﴾ اي حسن صور ازواجهم من الحور العين والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمي به ما يحسن به الشيء من الزخارف كالتصانيف والتضاعيف سمي به تصاريف الزمان واثناء الشيء ﴿قوله تعالى ويوم تشقق﴾ العامل في يوم اما اذكر او الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن تقديره تفرد الله بالملك يوم تشقق قرأ الكوفيون وابو عمرو تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصل القراءتين تتشقق حذف الاولون احدى التاءين تخفيفاً والباقون ادغموا تاء التفعل في الشين لما بينهما من المقاربة وهذه الآية مرتبطة ايضاً بما يرجونه من انزال الملائكة فبين الله تعالى ان ذلك يحصل في يوم له صفات منها ان السماء تتشقق في ذلك اليوم ومنها ما ذكره بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه ﴿قوله بسبب طلوع الغمام منها﴾ يعني ان الباء في قوله بالغمام سببية فان طلوع الغمام منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض بالنبات لكون طلوع النبات منها سبباً لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات آلة للانشقاق لان آلة الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل وليس الطلوع متقدماً على الانشقاق في الوجود حتى يكون آلة له الا انه شبه بالآلة في كونه سبباً للفعل والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منه وفي الغمام الملائكة عليهم الصلاة والسلام ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اي ملتبسة بالغمام او عليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه اي وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن اي عن الغمام ومعنى انشقت الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا في قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعاً فتتشقق السماء عن الغمام بان تزول السماء فيبقى الغمام فوق رؤس الخلائق يظلهم قال الامام النسفي الغمام فوق السموات السبع وهو سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وهو اثقل من السموات فاذا اراد الله ان يشق السموات القى ثقله عليه فانشقت فذلك قوله تعالى تتشقق السماء بالغمام اي بثقل الغمام فيظهر الى هنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام فان الباء وفي يتعاقبان كثيراً وروي في الخبر انه تتشقق سماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثلي من في الارض من الجن والانس فيقولون لهم الخلق أفيكم ربنا يعنون هل جاء امر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الارض من الملائكة والانس والجن ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سموات ثم ينزل الامر بالحساب فذلك قوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً الآية فقد ثبت ان الارض بالقياس الى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش وكيف تسع الارض كل هؤلاء الملائكة والعلم عند الله تعالى ﴿قوله وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة﴾ اي بنونين ثانيتهما ساكنة مضارع انزل من الانزال ونصب الملائكة على انه مفعول به فكان من حق المصدر في هذه القراءة ان يجيء على الانزال الا انه لما كان انزل ونزل بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر مثل قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلاً وقرأ الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاي المشددة وفتح اللام ماضياً مبنياً للمفعول ورفع الملائكة لقيامه مقام الفاعل وقرئ ونزلت بالتشديد مبنياً للمفعول وقرئ وانزل ونزل كل واحد منهما على الفاعل وهو الله تعالى عدى الفعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ انزل على بناء المفعول ايضاً وقرئ ونزل بالفتحات الثلاث مخففاً مبنياً للفاعل وهو الملائكة وقرئ ونزل الملائكة بضم النون وتشديد الزاي ونصب الملائكة والاصل ننزل بنونين حذفت احداهما ﴿قوله فهو الخبر﴾ يعني ان الملك مبتدأ ويومئذ ظرف معمول له والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق والمعنى الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحمن او متعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله الحق ﴿قوله او صفة﴾ عطف على الخبر في قوله فهو الخبر ويحتمل ان يكون الحق صفة للمبتدأ وللرحمن خبره ويومئذ من صلة المبتدأ او من صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة الحق لان ما كان في حيز المصدر لا يتقدم عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر وعض اليد كناية عن الغيظ وقيل المراد به حقيقة العض والاكل يعني قوله يعض الظالم انه يأكل يديه الى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه اكلهما ندامة على

ما فعل وقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه منصوب به ثم ان كان تعريف الظالم للعهد وكان المعهود عقبة بن ابي معيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو ابيّ بن خلف وكان يتمنى عقبة يوم القيامة ان لا يتخذ ابيا خليلا في الدنيا وان كان التعريف فيه للجنس او الاستغراق يكون كناية عن كل من اطاع في معصية الله تعالى وروى الضحاك انه قال لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثره فيه حتى الموت ﴿قوله يقول ياليتني﴾ هذه الجملة حال من فاعل يعض ﴿قوله طريقا الى النجاة او طريقا واحدا﴾ يعني ان التنكير في قوله سبيلا اما للنوعية او للافراد وهو سبيل الحق ﴿قوله ولم يتشعب بي﴾ اي لم يفرقني يقال شعبت الشئ اذا فرقته ويقال التأم شعب بني فلان اذا اجتمعوا بعد التفرق والباء في قوله بي للتعدية ومعنى تفريق طرق الضلال اياه انه لما كان تارة في هذا الطريق من طرق الضلالة وتارة في تلك كان طرق الضلال كانها فرقته ﴿قوله وقرئ بالياء على الاصل﴾ فان اصل هذه اللفظة كسر التاء التي بعدها ياء صريحة فابدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فرارا من اجتماع الكسر مع الياء ﴿قوله كما ان هنا كناية عن الاجناس﴾ يعني ان كل واحد من لفظي فلان وهن اسم وضع لان يعبر به عن شئ الا ان لفظ فلان يكنى به عن اسم علم شخص من العقلاء ولفظ هن يكنى به عن المسمى الذي يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له لقبحه يقال كانت بينهم هنات ومن المعلوم انه ليس المراد بالهنات الالفاظ وانما يكنى بها عن اشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا عن لفظ الفرج ﴿قوله يعني الخليل المضل﴾ يعني ان خليله يسمى شيطانا لان فعله فعل الشيطان وهو الاضلال وكلام الظالم تم عند قوله بعد اذ جاءني ثم قال الله وكان الشيطان للانسان خذولا حيث تبرأ في الآخرة من نصرة من اضله في الدنيا ويجوز ان يكون هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذي قبله بقوله حين خذله الشيطان او خليله ولم ينفعه في الآخرة ثم اخبر الله عن شكوى رسوله قومه اليه بقوله وقال الرسول يارب وهذه الشكوى وقعت منه عليه الصلاة والسلام في الدنيا حين اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت وقيل انه عليه الصلاة والسلام يقوله في الآخرة شهادة على من كذبه وعصاه وليس المقصود من حكاية هذا القول للمخاطب وهو الرسول الاخبار والاعلام لان كل واحد من فائدة الخبر ولازمها معلوم له عليه الصلاة والسلام بل المقصود منها تعظيم لشكايته وتخويف لقومه لان الانبياء اذا التجأوا الى الله تعالى وشكوا قومهم حل بهم العذاب ولم يمهلوا ﴿قوله او هجروا فيه﴾ اي ويحتمل ان لا يكون قوله مهجورا من الهجر الذي هو ضد الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى الهذيان فانه كما يقال هجره هجرا وهجرانا اذا تركه وصد عنه يقال ايضا هجر المريض هجرا اذا هذى في منطقه ثم انه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى يحتمل معنيين الاول انهم هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه بان يخلطوا هجرهم به ليبق غير مفهوم على السامعين والثاني انهم زعموا انه هذيان وهجر واساطير الاولين وهذا كما لو نقل اليك كلام فقلت هجر فيه اي هذى قائله في هذه المقالة وعلى كل واحد من المعنيين يكون اصله مهجورا فيه لان هجر بمعنى هذى لازم لا يجيء منه اسم المفعول ما لم يعدّ بحرف الجر لان الهجر بمعنى الاهجار هو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لا طائل فيه ولا معنى له فظاهر انه لا يستدعي المفعول ويجوز ان لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرا بمعنى الهجر اطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والمردود بمعنى الجلد والعقل والرد والمعنى على هذا جعلوا قراءة القرآن والتكلم به هجرا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما شكا اليه تعالى قومه قال الله تعالى تسلية له وكذلك جعلنا اي وكما جعلت قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبيّ عدوّا وهذا صريح في ان تلك العداوة كانت بجعل الله وتلك العداوة كفر فثبت به انه تعالى خالق الخير والشرّ جميعا وليس للعبد خصمة من الحق اصلا ثم انه تعالى حكى عن منكري النبوة شبهة اخرى وهو قول اهل مكة تزعم انك رسول من عند الله هلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم الصلاة والسلام وقوله جملة حال من القرآن اذ هي في معنى مجتمعا ﴿قوله اي كذلك انزلناه مفرقا﴾ يريد ان الكاف منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدر او على الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء اي الامر كذلك ويكون قوله لنثبت صلة لمحذوف اي لنثبت فعلنا ذلك وهو جواب عن شبهتهم ﴿قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ﴾ فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم بعض الآي على بعض في النزول لم يعلم ايها ناسخة وايها منسوخة واما اذا نزلت منجمة فحينئذ يعلم ان ما تأخر نزوله ناسخ للمتقدم ولانه اذا نزل مفرقا بحسب اسئلتهم والوقائع

(يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب بي طرق الضلالة (ياويلتا) وقرئ بالياء على الاصل (ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد اضلني عن الذكر) عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة (بعد اذ جاءني) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جنّ او انس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعولا من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله (يارب ان قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا فيه ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّا من المجرمين) كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشرّ والعدوّ يحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن) اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله تخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو ألقي اليه جملة تعنّى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة

الواقعة بهم حصل فائدة جليلة لاتحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة لما حصل الا الدلالات العقلية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ما اذا نزل نجوما فانه ينضم اليها حينئذ القرآئن الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولا شك ان انضمامها اليها يعين على البلاغة وبالجملة انزال القرآن مفرقا منجما فضيلة خص بها نبينا من بين سائر النبيين فان المقصود من انزاله ان يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره ويتحلى بصفاته وعلومه وهذه القوة انما تكمل بانزاله منجما حالا بعد اخرى الا ترى ان الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها اذا نزل مفرقا الى ان يستوي الزرع ﴿ قوله ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ﴾ كأنهم قالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة كنزول الكتب الثلاثة فيكون قوله لنثبت متعلقا بمحذوف تقديره انزلناه مفرقا لنثبت كما يتعلق به على تقدير ان يكون من كلام الله تعالى وقوله ورتلناه ترتيلا معطوف على ذلك المحذوف الذي تعلقت اللام به والترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير دون قطع النفس قال ابن عباس ورتلناه ترتيلا اى بيناه بيانا وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابي ما اعلم الترتيل الا التحقيق والتبيين وقيل امرناه بالترتيل في قرآءته ودلت قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اى اقرأه بترتيل وتثبت قيل معنى الترتيل حفظ الوقوف واداء الحروف ومنه حديث عائشة في صفة قرآءة النبي صلى الله عليه وسلم لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها ومحصول ما ذكره المصنف انزلنا بعضه بعد بعض وعلى اثر بعض بزمان يسير بينهما ولم ننزله مرة واحدة وهو معنى قوله ونزلناه تنزيلا ثم انه تعالى لما قرر هذه السورة الكريمة بما يتضمن اثبات التوحيد والنبوة ثم اورد اباطيل الضالين فيهما وردهم في كل واحدة من تلك الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة ختم الكلام بقوله ولا يأتونك بمثل اى لا يأتونك بشبهة وسؤال من جنس الشبهات المذكورة الواضحة البطلان كانها مثل يمثل بها الا جئناك بالحق الذي يدمغ ما جاؤا به من المثل ويبطله كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق يعني ما يوردونه من الشبه مثلا وما يدفع به الشبهة حقا وقوله الا جئناك بالحق استثناء مفرغ والجملة في محل النصب على الحال اى لا يأتونك بمثل في حال من الاحوال الا في حال اتياننا اليك بالحق وبما هو احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة ﴿ قوله او معنى ﴾ على ان يكون التفسير وهو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا عن نفس المعنى المبين اطلق اسم التفسير والبيان على المعنى لما بينهما من العلاقة فان كل واحدة من الشبهات التي اوردوها قدحا في نبوته لا معنى لها ولا نفع فيها بصدده وما جاء الله به في دفعه وجوابه احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة اى احسن معنى واصلح جوابا ورد الما من سؤالهم الذي لا نفع لهم فيه وحاصل الجواب على هذا الوجه انهم كلما سألوا سؤالا عجيبا اجبناك عنه بجواب هو احسن من سؤالهم مثلا انهم سألوا عن انزاله جملة واحدة لم لم يكن فاجبنا بانا انزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك وهو احسن معنى ومؤدي لما فيه من بيان الحكمة ولا نفع لهم من سؤالهم اصلا والمعنى على الوجه الثاني كلما يأتونك بصفة عجيبة قائلين لم لم يكن على هذه الصفة مع انها هي المناسبة للنبوة واظهر في الدلالة على انك نبي جئناك على صفة هي اشد مناسبة للنبوة ودلالة على انك نبي حق فان قيل قد ذكر اولا ان السؤال مثل في البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن منه فان الحسن ليس مشتركا بينهما فالجواب من وجهين الاول لما كان السؤال حسنا بزعمهم قيل الجواب احسن من السؤال والثاني ان مثل قولهم الصيف احر من الشتاء يريدون به ان حر الصيف اشد من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب في باب الحق والحسن اقوى وادخل من سؤالهم في باب القبح والبطلان ﴿ قوله اى مقلوبين او مسحوبين اليها ﴾ الفرق بين الوجهين ان معنى الآية على الاول ان الذين يمشون الى جهنم حال كونهم مقلوبين وجوههم الى القفا وارجلهم الى فوق ويقوي ذلك عنه عليه افضل الصلاة والسلام فانه قد ورد في الاخبار ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي امشاه على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه وعلى الثاني ان الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين اى مجرورين على وجوههم وما ذكر من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر في اعراب الذين ثلاثة اوجه على ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعني ومرفوعا على الذم اى على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين وان يكون مبتدأ وخبره اولئك شر مكانا اى منزلا ومصيرا واضل سبيلا اى اخطأ دينا وطريقا ﴿ قوله والمفضل عليه هو الرسول ﴾ اشارة الى ان الآية متصلة بقوله ولا يأتونك بمثل فان مقصودهم

و كذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا) وقرأناه عليك شيأ بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك (الا جئناك بالحق) الدامغ له في جوابه (واحسن تفسيرا) وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره (اولئك شر مكانا واضل سبيلا) والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا

وقيل انه متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي

ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازرون عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعني فرعون وقومه (بآياتنا فدمرناهم تدميرا) اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة (اغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم او قصتهم (للناس آية) عبرة (واعتدنا للظالمين عذابا اليما) يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم (وعادا وثمودا) عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة (واصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر (وقرونا) واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ما ذكر (كثيرا) لا يعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال (وكلا تبرنا تتبيرا) فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ من ضميره (ولقد أتوا) يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام (على القرية التي امطرت مطر السوء) يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة

من تبيان معنوي كالمثل في الضلال لتحقير منزلته ومكانه وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فأسلوب لا يتبعه احد ﴿قوله وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير﴾ من حيث ان ذلك في بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا في صفة اهل النار وسوء مصيرهم ولم يرض به لان تقسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انه لما ذكر قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرّفه ما نزل بمن كذبهم من اممهم تسلية له عليه الصلاة والسلام وايعادا لقومه كأنه قيل لست اول نبي كذب بل كذب قبلك انبياء مؤيدين بالآيات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب قال الزجاج الوزير في اللغة هو الذي يرجع اليه ويعمل برأيه ويتحصن به والوزر ما يتحصن به ومنه كلا لا وزر اي لا ملجأ ولا منجا قيل ولذلك لا يوصف تعالى بانه وزير او لا بانه وزر لان الالتجاء اليه في المشاورة والرأي على هذا المعنى لا يتصور ولما ورد ان يقال كون هرون وزيرا كالمنافي لكونه شريكا له في النبوة لانه اذا صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا اجاب عنه بقوله ولا ينافي ذلك مشاركته ﴿قوله والتعقيب﴾ جواب لما يقال ان الفاء في قوله تعالى فدمرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون بل بعد مدة مديدة والجواب ان فاء التعقيب محمولة هنا على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع ﴿قوله وقرئ فدمرتهم﴾ يعني ان العامة قرأوا فدمرناهم فعلا ماضيا على بناء المتكلم المعظم نفسه معطوفا على محذوف اي فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا وقرئ فدمراهم امرا لموسى وهرون وقرئ ايضا فدمرانهم كذلك ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة وقرئ ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهي تشبه القراءة التي قبلها في الخط ﴿قوله تعالى وقوم نوح﴾ يجوز ان يكون منصوبا عطفا على مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم ويترجح هذا لتقدم جملة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اي اذكر قوم نوح ﴿قوله ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل﴾ لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجز وذلك يقتضي تكذيب الكل ولانهم متفقون في اصول الدين فمن كذب واحدا منهم في شيء من ذلك فقد كذب الكل فيه ﴿قوله كالبراهمة﴾ فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه برهام منكرون لكل الرسل وبعثتهم ﴿قوله عطف على هم﴾ لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمود أوله بالحي دون القبيلة ومن جعله غير منصرف أوله بالقبيلة ﴿قوله مروا مرارا﴾ تكرار المرور لا يفهم من هذه الآية ولعله اخذ من قوله تعالى في سورة الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وضمن الاتيان معنى المرور للاشارة الى وجه تعدية اتوا بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة الى الا انه عدي بعلى لتضمنه معنى مروا وقوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اي امطار السوء وان يكون نعت مصدر محذوف اي امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفة غيرها ﴿قوله يعني سدوم﴾ عن الليث انه بالدال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل ان اسم صاحب القرية وكانت قرى قوم لوط خمسا اهلك الله منها اربعا بأهلها وبقيت واحدة اهلك الله اهلها وهي سدوم قال الله تعالى في حقها التي امطرت مطر السوء قيل كان كل حجر منها قدر انسان وقيل ذلك كان في ريح حاصب وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغي لكفار قريش ان يتعظوا لما رأوا ما حل بهؤلاء فيمتنعوا من مخالفة رسول الله ويلتزموا طاعته عند ذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل منه الى التوبيخ بوجه آخر وهو انهم كفرة لا يرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت ولما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور خيرا مؤديا الى المسرة في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور الى الكافر حتى يصح اثباتها او انتزاعها احتيج الى توجيه قوله لا يرجون نشورا فذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر جميعا فامكن ان تتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور فحكم بوقوعها ووضع الرجاء موضع التوقع ونفي عن الكافر لانه انما يتوقع الحياة بعد الموت من يؤمن بالله ورسوله فكأنه قيل بل كانوا لا يتوقعون نشورا فلذلك لم يتعظوا بما نزل بهم ومروا بقريتهم كما مرت ركابهم وجمالهم والثاني ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالنشور نشورا فيه خير وسرور كنشور المسلمين فانه يتصور نسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور نفيها فنفيت بان قيل انهم لا يأملون نشورا كما يأمله المسلمون طمعا في الثواب

(أفلم يكونوا يرونها) في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب اولا يخافونه على اللغة التهامية (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزؤا) ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به (أهذا الذي بعث الله رسولا) محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا (ان كاد) انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات (لولا ان صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه) بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار (ام تحسب) بل أتحسب (ان اكثرهم يسمعون او يعقلون) فتجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا او خوفا على الرياسة (ان هم الا كالانعام) في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم اضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم

(ويكون)

قال من لم يؤمن ولم يعمل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة ويتصور نسبته الى الكافر وقيها ﴿قوله الا موضع هزؤ﴾ على ان يكون هزؤا مصدرا على تقدير المضاف وان كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير مهزوأ به وكلمة ان في قوله ان يتخذونك نافية وفي قوله ان كاد ليضلنا مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهزؤا مفعول ثان والجملة المنفية جواب اذا الشرطية وقوله هذا الذي في محل النصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل النصب على انه حال من فاعل ان يتخذونك اي ما يتخذونك الا هزؤا قائلين ذلك والمعنى لم يقتصروا على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليها الاستهزاء والاستحقار اذا رأوك قال اشارتهم اليه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استحقار تنزيلا لدنو مكانه عليه الصلاة والسلام بزعمهم منزلة دنو مكانه يقتضي سفاهتهم وضلالتهم * ولما ورد ان يقال مضمون الصلة يجب ان يكون معلوم الانتساب الى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا صلة مع انهم منكرون بعثه عليه الصلاة والسلام * اجاب عنه بانه مبني على التهكم والاستهزاء ﴿قوله ولولا في مثله﴾ اي فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدم عليها مما يدل على جوابها تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ فان لولا مع ما دخلت هي عليه قيد لجوابها لفظا ان ذكر جوابها لفظا وان لم يذكر لا تكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه لما تقدم حكم يدل على جوابها المطلق وهو قوله ان كاد ليضلنا كانت لولا قيدا له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه ﴿قوله فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له﴾ بيان لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم يستلزم ويقتضي كونه عليه الصلاة والسلام ضالا من حيث ان احدا لا يضل غيره الا اذا كان ضالا في نفسه والمعنى سيظهر لهم من الضال غاية الضلال فيفيد نفي ما هو لازم قولهم ونفي اللازم نفي للملزوم فيكون كالجواب لقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة استفهامية متعلقة بيعلمون فهي سادة مسد مفعوليه ان كان على بابه وان كان بمعنى يعرفون تكون سادة مسد مفعول واحد وفيه وعيد من حيث انه يدل على انه لا محيص لهم من العذاب وان تأخر وقوله ودلالة الخ عطف تفسير وكلمة أرأيت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعته ﴿قوله الهه هواه﴾ مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف فان مفعولي اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدم هو المبتدأ والمؤخر هو خبره فيكون الهه مفعولا اولا وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا ان المصنف جعل تقدير الكلام أرأيت من اتخذ هواه الهه وقال انما قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لا ينكر ان المركبين انما قدم فهو المبتدأ الا ان النظر الى جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود يقتضي ان يكون الهه خبرا في الاصل ويكون المقصود من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كأنه قيل لا اتعجب ممن جعل هواه بمنزلة الاله في التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى ولما كان المشبه به ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به ان يكون متأخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التأخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد فلما قدم عليه صار مزالا عن موضعه الاصلي غير قار فيه فلهذا جعل من باب تقدم المعمول الثاني على الاول ﴿قوله والثاني للانكار﴾ اي لست موكلا على حفظه تمنعه من اتباع هواه وعبادة من يهواه من دون الله تعالى ولا تقدر عليه ولا تحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ما تقوله سماع تدبر ويعقلون ما تورده من الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما تعجب ممن جهل من اتباع هواه وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية فاولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل كلمة الى مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر وكيف منصوبة بمد وهي معلقة لقوله ألم تر وهو ان كان من رؤية العين يجب ان يكون المنظور فيه مما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل الكلام ألم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف مده ربك وبسطه على وجه الارض حين احدثها الا انه غير النظم الى ما عليه التنزيل للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى ماذا للظل كالمشاهد المرئي لوضوح برهانه لدى هو دلالة حدوث الظل وتصرفه على الوجه النافع الدال على كونه فعل الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية ثم اشار الى احتمال ان يكون قوله ألم تر من رؤية القلب بمعنى ألم تعلم الا انه عدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء فقال او ألم ينته علمك

فيكون الكلام على ظاهره لان الظل وان كان من المبصرات الا ان تأثير قدرة الله تعالى في تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكره من البرهان الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطا على وجه الارض فيما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تنسخه وتزيله شيأ فشيأ الى الزوال ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس فيئا ووجه الاستدلال به على وجود الصانع ما اشار اليه من ان حدوثه بعد العدم وعدمه بعد الوجود وتغير احواله بالزيادة والنقصان والانبساط والتقلص على الوجه النافع لا بد له من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكمل وما هو الا الله عز وجل ﴿قوله ثابتا من السكنى﴾ وهو الاستقرار والثبات في مكان يقال سكن الدار سكنى اذا استقر فيها فالمعنى ولو شاء لجعله ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الارض بان لا تطلع الشمس ابدا والمعنى على تقدير كونه من السكون الذي هو عدم الحركة ولو شاء لجعله ساكنا لا تحركه حركة انقباض ولا انبساط بان تجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ودليل واحد ودليل الشئ ما يكون ظهوره للعقل سببا لظهور الشئ فيه فشبهت الشمس بالنسبة الى الظل بالدليل بالنسبة الى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سببا لظهور الظل للحس او من حيث كون حركتها سببا لحدوثه وتغير احواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل لان الناظر الى الجسم الملون حال قيام الظل عليه لا يظهر له شئ سوى الجسم ولونه اذ الظل ليس امرا ثابتا للحس ولا يعرف به ثم اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ظهر ذلك الظل للحس فلولا الشمس ووقع ضوئها على الاجرام لما عرف الظل كما انه لولا الظلمة لما عرف النور فكأنه تعالى لما طلع الشمس ووقع ضوؤها على الارض وزال الظل به فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الظل اولا بما فيه من المنافع واللذات ثم اهتدينا العقول الى معرفته وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجوده والقبض جمع المنبسط من الشئ والمراد به ههنا الازالة فقوله تعالى ثم قبضناه الينا معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل لا دفعة بل جزأ فجزأ يسيرا يسيرا فكلما زاد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب الغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة واحدة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرا يسيرا لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما ﴿قوله وثم في الموضعين لتفاصل الامور﴾ لا للتراخي الزماني اذ لا يصح جعلها له في هذا المقام اذ ليس المعنى انه تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ يجعل الشمس عليه دليلا فوجب حمله على المجاز بان تجعل كلمة ثم استعارة تبعية بان شبه تفاصل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزماني فاستعير لجانب المشبه لفظ ثم الموضوعة للتراخي الزماني ووجه كون الامور متباعدة في الرتبة والفضل ان حدوث الظل ممدودا مبسوطا على وجه الارض وان كان في نفسه دالا على وجود الصانع الحكيم الا ان جعل الشمس دليلا عليه لدلالته على امر زائد مرتب على ذلك افضل منه رتبة وقبض الظل قبضا يسيرا اعظم من الثاني لان الازالة مع التدرج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الاجرام تحصل بها المنافع المرتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهي منفعة زائدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والاوقات التي يناط بها اكثر احكام الشرع ولان في التدرج حكما ومصالح اخرى ﴿قوله وقيل مد الظل﴾ عطف على قوله لتفاصل الامور اي وقال بعضهم ثم في احد الموضعين مستعملة في اصل معناها وهو التراخي الزماني فان خلق الشمس مسلطة على الظل متراخ زمانه عن انبساط ظل السماء على الارض ثم في قوله ثم جعلنا الشمس عليه للتراخي بخلافها في قوله ثم قبضناه ﴿قوله ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة﴾ اي لو اراد جعله الظل على تلك الحالة ممدودا على وجه الارض فما خلق الشمس ليكون باقيا على امتداده لكن اراد تغييره فخلق الشمس وسلطها على الظل فان الظل تابع للشمس كما يتبع المدلول الدليل والمراد بكون الظل تابعا للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى عليه معمولا ثانيا لجعلنا وقوله دليلا حالا من الشمس وتكريرا للمفعول الثاني كما مر في قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا وكون الشمس دليلا على الظل عبارة عن كونها مستتبعة اياه استتباع دليل العلم لمدلوله واستتباع دليل الطريق لمن يهديه فان الشمس باختلاف احوالها في مسيرها تستلزم اختلاف احوال الظل من كونه ثابتا في مكانه وزائلا عنه ومنبسطا

(الم تر الى ربك) الم تنظر الى صنعه (كيف مد الظل) كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود (ولو شاء لجعله ساكنا) ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها (ثم قبضناه الينا) اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى البسط عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاصل الامور او لتفاصل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نيرودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال

ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه بتفاوت بحركتها وتحوّل بتحوّلها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان تنتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه ظلامه باللباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعثا من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور ومن لقمان يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدام المطر (وانزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث بمعنى المضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى (لنحيى به بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا) يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة

(بالذكر)

ومنقبضا وعلى ذلك فيصح ان يستدل بكل حال من احوالها على كل حال من احوال الظل ﴿قوله او دليل الطريق﴾ عطف على فاعل يستتبع وقوله من يهديه عطف على مفعوله اى او كما يستتبع دليل الطريق من يهديه فالشمس على الاوّل بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثانى بمنزلة دليل الطريق بالنسبة الى من يهديه ﴿قوله بتفاوت بحركتها وتحوّل بتحوّلها﴾ استئناف لبيان كون الشمس مسلطة عليه مستتبعة اياه والنوع الثانى من دلائل الوحدانية ما ذكره بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرّق فى وجوه المصالح ويحتمل ان يكون بمعنى الحياة لانه لما كان فى النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرّف والعمل كان فى اليقظة معنى الحياة * فى بعض الكتب * ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث والنوع الثالث منها ما ذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسل ورسول والمعنى ارسلها ناشرات للسحاب فى الجوّ كما ينشر الشئ المطوى المضبوط وقرأ ابن عامر وابو عمرو فى رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى كالاوّل وقرأ حمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا فى الآية اسما لما يتطهر به كالسحور والوقود استدلالا بقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وضعف كونه مبالغة الطاهر لخلوّه عن بيان منفعته وهى كونه مطهرا للانسان من الحدث والنجاسة ﴿قوله وللاسم كالذنوب﴾ وهو اسم بمعنى الصب ويقال ايضا للدلو الملأى ذنوب ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب * فان قيل الطهور مشتق من طهر يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته بتطهيره غيره * قلنا انه حينئذ لا يكون من الصفات المشتقة كالصبور والشكور بل يكون من قبيل الاسماء الجامدة * فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسما لما يتطهر به وقد قال الله تعالى فى صفة اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر * عذاب الثنايا ريقهنّ طهور * قلنا كونه اسما له لا ينافى استعماله فى مبالغة طاهر ﴿قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى توصيف الماء المنزل لاحياء الارض وسقى الحيوان بقوله طهورا مع ان الوصف فى مثله يؤذن بكون ما وصف شرطا لترتب الحكم على الفعل المعلل كما اذا قلت اعطانى الناس الفاخر لا تزينه ووصفه بالطهارة لا دخل له فى ترتب الاحياء والسقى على انزال الماء * وتقرير الجواب ان الاحياء والاسقاء المذكورين وان امكنا بدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على انزال ذات الماء وتتميما للمنة الزائدة المستفادة من قوله لنحيى به ونسقيه فان عدّ الاحياء والسقى امتنانا يدل على ان الماء الطهور اهنأ وانفع وتنبيها على ان الطهور اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتن علينا بان انزل ماء يطهر ابداننا من الحدث والنجاسات تبين بذلك ان ظواهرنا مما ينبغى ان تطهر ومن المعلوم ان باطن الشئ اولى بالحفظ من التلوث من ظاهره فكان الامتنان بانزال ما يطهر الظاهر تنبيها على ان الباطن اولى به ﴿قوله ولانه غير جار على الفعل﴾ اى لم يقل بلدة ميتة لان الميت ليس على وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل وفعيل بمعنى مفعول وفى مثله يجوز التذكير وان جرى على المؤنث لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له جاز ان لا يطابق موصوفه فى التأنيث فان الفعل يطابق فاعله فى التذكير والتأنيث فكذا ما يشابهه بخلاف ما لم يوازن الفعل من المشتقات فانه اجرى مجرى الجوامد قرأ الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم فى رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال سقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم ويقال سقيته اسقيه واسقيت ماشيته وارضه والاسم السقى بالكسر وقوله تعالى مما خلقنا يجوز ان يتعلق بقوله نسقيه اى نسق ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام والاناسى وانتصابهما على البدل من محل الجار والمجرور فى قوله مما خلقنا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من انعاما ولعل قوله يعنى اهل البوادى مبنى على الاوّل وقوله وتخصيصهم جواب عما يقال كيف خص اهل البوادى بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب ﴿قوله وسائر الحيوانات﴾ اى ما عدا الانعام من الوحوش والطيور وان كانت تعيش بالماء لكنه تعالى خص الانعام بالذكر لان سائرها لا يعوزه الشرب ولا يكون عاجزا عن نيله غالبا يقال اعوز ما لشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه ﴿قوله مع ان مساق هذه الآيات﴾ وجه ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استواء سائر الحيوانات فى الاحتياج الى الشرب وحاصله ان ليس المقصود مجرد بيان الحكمة فى انزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة فى حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام

والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب حياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا (واناسى) بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او فى الانهار والمنابع (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم (فأبى اكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح اجاج) بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد

بالذكر لانها قنية الانسان اى مقتناها ونصدها لنفسه لا للتجارة. الجوهرى قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة. وعلية جمع علىّ بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبى ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون علية ما يتعيشون به هى الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الانعام احياء الارض فان الارض وحياتها سبب لحياة الانعام وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الانسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الارض بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام ﴿قوله واناسى﴾ عطف على قوله نسقيه اى كما قرئ نسقيه بفتح النون كذلك قرئ اناسى بحذف ياء افاعيل وذهب سيبويه الى ان اناسى جمع انسان اصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وادغم فيها الياء التى قبلها كما قيل فى جمع ظربان ظرابى اصله ظرابين والظربان على وزن قطران دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الاعراب انها تفسو فى ثوب احدهم اذا صادها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفى المثل فسا بينهم الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال الفراء والمبرد والزجاج انه جمع انسى وفيه نظر لان فعاليل انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسى فى جمع كرسى فلو اريد بياء كرسى النسب لم يجئ جمعه على كراسى ﴿قوله صرفنا هذا القول﴾ يعنى ضمير صرفناه اما ان يرجع الى ما ذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا كأنه قيل ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال المطر بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب ليتفكروا ويعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذى هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لا ينزله على نسق واحد بل ينزله فى مكان دون مكان وفى وقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه وروى عن ابن عباس انه قال ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يفرقه فى الارض ثم قرأ هذه الآية وروى عن ابن مسعود عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ما من عام بأمطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا واخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل اضعف المطر والديمة المطر الذى يدوم اياما ﴿قوله او فى الانهار والمنابع﴾ عطف على قوله فى البلدان المختلفة اى ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس اجراءه فى الانهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقى الزرع ونحوهما ﴿قوله بخلاف من يرى انها﴾ اى من يرى ان الله هو الذى خلق الامطار وجعل الانواء دلائل وامارات عليها لا يكفر والحاصل ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فان حقها ان يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه ويشتغل بشكر احسانه ومن اشتغل بها وقصر فى شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه النعم الى الافلاك والكواكب ويجحد كونها صادرة من الله فانه لا شك انه كافر بالله تعالى والانواء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع فى تعظيم رسوله فقال ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا كأنه قيل ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة الى كل العالمين بان نبعث فى كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك ﴿قوله لان مجاهدة السفهاء بالحجج﴾ لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لان السورة مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان ﴿قوله فيما بين اظهرهم﴾ خبر قوله او لان مخالفتهم ولا شك ان مخالفة العتاة العالين فيما بينهم اكبر المجاهدة ﴿قوله او لانه جهاد مع كل الكفرة﴾ فيكون ضمير به فى قوله وجاهدهم به راجعا الى ما دل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا لكافة القرى فانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته بأقصى الوسع فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك فلذلك قال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات ثم انه تعالى انتقل الى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو الذى مرج البحرين كأنه تعالى يقوى به قلبه عليه الصلاة والسلام على امتثال ما امر به من المجاهدة الكبيرة واصل المرج الارسال والتخلية يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مقول قول مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب

(وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ منه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) يعنى الذى خمر به طينة آدم او جعله جزأ من مادة البشر ليجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة (فجعله نسبا وصهرا) اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) يعنى الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم (وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) للمؤمنين والكافرين (قل ما اسألكم عليه) على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا (من اجر الا من شاء) الا فعل من شاء (ان يتخذ الى ربه سبيلا) ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل

فرات وهذا ملح اجاج كما يقال وجدت الناس اخبر تقله اى مقولا فيهم ذلك ويحتمل ان يكون جملة مستأنفة لا محل لها كأنه قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات اذا كان فى غاية العذوبة ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح ومليح على وزن عمل وعمل وقرئ بهما وقلما يقال مالح والاجاج الشديد الملوحة الذى يحرق الباطن من ملوحته من اجيج النار اجيجا اذا اشتد حرها ﴿قوله وتنافرا بليغا﴾ لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قوله برزخا دالا على انه تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوذ من الآخر ويقول له حجرا محجورا اى حراما محرما عليك ان تغلب على وتزيل صفتى وكيفيتى ومن المعلوم ان البحر ليس من شأنه ان يتعوذ ويقول قولا جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوين يتحاربان فى المعركة يريد كل واحد منهما ان يتقى صاحبه ويتعوذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين هذا الكلام ﴿قوله وقيل حدا محدودا﴾ اى وجعل بينهما حدا لا يتجاوز كل واحد منهما ذلك الحد وفى الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرته من حائط فهو حجر ﴿قوله وذلك كدجلة﴾ يعنى ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء كان عذبا كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله ههنا ثم بين انه تعالى كيف مرج بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لا يمتزجان حتى يجعل موضع التعجب فقال كدجلة تدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض بين وجه الاستدلال على قدرة الصانع على العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض والماء فلابد من الاستواء وان لم تكن كذلك فلابد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة ويفصل بين اجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحائل بينها على حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت ﴿قوله وتسلس﴾ اى تلين وتنقاد ذكر فى الماء الذى خلق منه البشر ثلاثة احتمالات الاول انه الماء الذى خمر به طينة آدم عليه الصلاة والسلام والثانى انه الماء الذى يجعل جزأ من مادة كل بشر بل مادة كل حيوان كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين ﴿قوله اى قسمه قسمين﴾ اى ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد ذا نسب تنسب اليه الفروع وذات صهر يصاهر بها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت هذا كان من قبل زوج البنت فهم اصهار يتوصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اى اللاتى يصاهر بهن ليست الا البنات بخلاف ذوى النسب اى الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر

❁ لا تزرين امرأ من ان يكون له ❁	ام من الروم او سوداء عجماء ❁
❁ فانما امهات الناس اوعية ❁	مستودعات وللآباء ابناء ❁

بين الله قدرته اولا ببيان انه خلق من الماء بشرا واظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما النسب فبه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر فلانه من اسباب التواصل والتوالد والتوادد ثم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين فى عبادة الاوثان فقال ويعبدون من دون الله الى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اى وكان الكافر بشركه ومداوته الحق عون الشياطين على عصيان ربه يحثه على الاصرار عليه ﴿قوله والمراد بالكافر الجنس﴾ فحينئذ يحتمل ان تكون المظاهرة مظاهرة بعض الكفار لبعض لا مظاهرة الكافر الشيطان ثم انه تعالى لما بين انه ارسل رسوله الى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اى حال ارسله فقال وما ارسلناك الا مبشرا ﴿قوله الا فعل من شاء﴾ يعنى ان الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرب اليه بالايمان والطاعة صور فعل من شاء ان يتقرب اليه بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كونه المقصود من التبليغ واستثناه من الاجر لفوائد احداها ان يقلع شبهة طمعه فى الاجر من اصله كأنه قيل ان اعطيتم اياى اجرا فاعطوني ذلك الفعل فانى لا اسأل غيره وثانيها اظهار الشفقة البالغة عليهم بانه عد سعيهم لانفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه اجرا وافرا مرضيا به

(وثالثها)

(وتوكل على الحيّ الذي لايموت) فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه من صمات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه (وكفى به بذنوب عباده) ماظهر منها ومابطن (خبيرا) مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا (الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج (الرحمن) خبر الذى ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحيّ او بدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجر صفة للحيّ (فاسأل به خبيرا) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبرائيل او من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقوك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيئ ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر مابعده والسؤال كما يعدّى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وماالرحمن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) اى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده او لأمرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معرّبا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض (وزادهم) اى الامر بالسجود للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب

وبالتنبيها الاشعار بانهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب هو ايضا عليه بسبب دلالته اياهم بحكم ان الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعا يكون المعنى لا اطلب من اموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء انفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فانى لا امنعه عنه ﴿قوله فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم﴾ يعنى ان الآية متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسألكم عليه من اجر فانه تعالى لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه وامره بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه فى دفع جميع المضار وفى جلب جميع المنافع ﴿قوله تعالى وكفى بربك﴾ اى حسبك الحيّ الذى لايموت خبيرا بذنوب عباده ولا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد ﴿قوله فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء﴾ اشارة الى ان الباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وفى قول علقمة

فان تسألونى بالنساء فاننى ❊ خبير بادواء النساء طبيب

وان ضمير به يرجع الى ماذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش ﴿قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى﴾ على ان يكون قولهم وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المصنف هذا علة لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسألوا عن مسماه او كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال له رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا اى الذى تأمرناه بتقدير تأمرنا بسجوده فحذف ماحذف منه على التدريج حذف الجار واوصل الفعل كما فى امرتك الخير فقيل تأمرنا سجوده ثم حذف المفعول الذى هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تأمرناه ثم حذف الضمير ايضا فصار لما تأمرنا على ان ما موصولة بمعنى الذى او مصدرية اى لامرك على معنى لاجل امرك لنا من غير عرفان ﴿قوله وقيل لانه كان معرّبا لم يسمعوه﴾ عطف على قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله اى وقيل قولهم وما الرحمن ليس سؤالا عن المسمى بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار ان امرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شأنه وباهر سلطانه مالو تفكروا فيه لاضطروا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك وتعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وهى الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى ثمانية وعشرون منزلا واسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتان للمريخ والثور والميزان للزهرة والجوزاء والسنبلة لعطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والدلو والجدى بيتا زحل وهذه البروج مقسومة الى الطبائع الاربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج الحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدى ارضية والجوزاء والميزان والدلو هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية وقوله تعالى وجعل فيها اى فى البروج لا فى السماء لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فى الانارة والاشراق ﴿قوله ذا قمر﴾ جواب عما يقال القمر مؤنث فينبغى ان يؤنث صفته بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالى ذوات القمر لانه جمع ليلة قمراء اى ذوات القمر وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذوات قمر منير على ان يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذو قمر اى ذو ليال قمر لان الليلة انما تكون قمراء بالقمر فصار القمر كأنه صاحب تلك الليلة فقيل له انه ذو قمر بمعنى صاحب تلك الليالى القمر ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالى الا انه لما قام مقام المضاف وهو مذكر بقى حكم المضاف فيه فقيل فى صفته منيرا لا منيرة كما فى قول حسان

يسقون من ورد البريص عليهم ❊ بردى يصفق بالرحيق السلسل

يريد ماء بردى وهو نهر بدمشق فحذف المضاف واقيم بردى مقامه وبقى حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق والتصفيق الخلط والمزج ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف

الحدث ﴿قوله اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر﴾ يعنى ان الخلفة مصدر النوع فلا يصلح ان يكون مفعولا ثانيا لجعل الليل او حالا من مفعوله فان خلفة لا يخلو من ان تكون مفعولا ثانيا او حالا الاول على ان يكون جعل بمعنى صير والثانى على ان يكون بمعنى خلق فلا بد من تقدير المضاف على التقديرين اى ذوى خلفة ثم ان خلفة تستعمل بمعنيين بمعنى كان خليفته او بمعنى جاء بعده يقال خلفه فى قومه خلافة ومنه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى ويقال ايضا خلفته اذا جئت بعده والخلفة فى الآية يحتمل ان تكون من خلفه بكل واحد من المعنيين وهو قول المصنف يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه او بان يعتقبا ويؤيد الاول قول ابن عباس انه جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط فى عمل احدهما بأن فاتت عليه العمل الذى اتخذه وردا قضاه فى الآخر وما روى عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القرآن بالليل يا ابن الخطاب لقد انزل الله فيك آية وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اى ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه فى نهارك وما فاتك فى النهار فاقضه فى ليلك وان كان المعنى جعلهما ذوى اعتقاب يكون المقصود بيان انه تعالى جعلهما مختلفين يجئ هذا ويذهب ذاك ويجئ ذاك ويذهب هذا ولم يجعل واحدا منهما سرمدا نهارا لا ليل له ولا ليلا لا نهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار فى المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم فيكون فى الآية تذكير لنعمه وتنبيه على كمال حكمته وقدرته ﴿قوله ان يشكر الله تعالى﴾ يعنى ان الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح مبالغة الشاكر فقوله شكورا بمعنى شكر شكرا اى جعلهما خلفة ليتفكر المتفكرون فى اختلافهما ويشكروا نعمة الله فى ذلك وقوله او ليكونا وقتين عطف على هذا المعنى اى جعلهما خلفة ليكونا وقتى تدارك المتذكرين والشاكرين قرأ العامة ان يذكر بالتشديد اصله ان يتذكر فادغمت التاء فى الذال وقرأ حمزة بالتخفيف قال الفراء فى وجهه ان يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى واذكروا ما فيه ويجوز ان يكون المعنى ليذكر الله فيهما من اراد ان يذكره ويطيعه بالتسبيح والطاعة ولعل وجه عطف قوله او اراد شكورا بكلمة او دون الواو التنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه معلولا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين ويحتمل ان يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذى يريد ان يتفكر فى اختلافهما ويجعلهما موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد واخلاص العبادة وبالمعطوف المؤمن الذى يريد ان يتعظ ويشكر نعم الله فكأنه قيل جعلناهما خلفة ليتفكر الكافر فى اختلافهما ويجعله معتبرا على قدرته وتوحيده او يتعظ المؤمن به ويجعله متنبها لذكره وطاعته ﴿قوله وكذلك ليذكروا﴾ فى قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فان العامة قرأت بالتشديد وحمزة بالتخفيف والكسائى ايضا ﴿قوله واضافتهم الى الرحمن للتخصيص﴾ اى لان تضيفهم خصوصية وشرفا وتفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات والاخلاق كأنهم عباده ﴿قوله هينين او مشيا هينا﴾ الاول على ان يكون انتصاب هونا على الحالية من فاعل يمشون والثانى على ان يكون صفة مصدر محذوف ﴿قوله تسلما منكم﴾ يعنى ان سلاما منصوب على انه مصدر فعل محذوف والاصل نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم فالمعنى اذا خاطبهم السفهاء الجهال بالقول بأذى وكلام قبيح قالوا نتسلم منكم تسلما اى لا نجاهلكم ولا نتلبس بشئ من اموركم وهو الجهل وما ينبنى على خفة العقل والمتاركة الموادعة ﴿قوله او سدادا﴾ اى صوابا من القول فعلى هذا الوجه يكون سلاما اشارة الى ما قالوه من حيث المعنى ولا يكون سلاما عين عبارتهم ﴿قوله لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء﴾ وهو امر مستحسن فى الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض واوفق للورع فليس بمنسوخ ابدا قال عليه السلام اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان من فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة نعم اجر العاملين ﴿قوله فى الصلاة﴾ فان كل من ادركه الليل فقد بات نام او لم ينم يقال بات فلان قلقا عن ابن عباس قال من صلى ركعتين او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما والظاهر انه وصفهم باحياء الليل او اكثره كما قال الله تعالى فى حق المتقين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال

(وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة (لمن اراد ان يذكر) ان يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد (او اراد شكورا) ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او (الذين يمشون على الارض) واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هونا) هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شرا او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار احوالهم

من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة ﴿ قوله اى بئست مستقرا او أحزنت ﴾ يعنى ان ساءت يجوز ان تكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقرر ان فاعلهما يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف بها او مضمرا مميزا بنكرة منصوبة وهى فى الآية مستقرا ومقاما اى موضع قرار واقامة فالضمير الذى فى بئست لايعود الى اسم ان ولا الى شئ آخر قبله بل ضمير مبهم يفسره الظاهر وهو مستقرا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هى وان كان ساءت بمعنى أحزنت تكون من الافعال المتصرفة الناصبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها يعنى جهنم أحزنتهم اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون تمييزا وان يكون حالا ﴿ قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء ﴾ وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرأ باقى السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد يعنى ان القتر والاقتار والتقتير لغات بمعنى واحد وهو التضييق الذى هو ضد الاسراف والاسراف هو مجاوزة الحد فى النفقة فليعتمد على هذا التصحيح فان النسخ مختلفة فى هذا المقام ﴿ قوله وسطا وعدلا ﴾ يعنى ان القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين الشيئين سمى به ذلك لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لايترجح احدهما على الآخر بالنسبة اليه لكونه وسطا بينهما كمركز الدائرة فانه يكون نسبة جميع اجزاء الدائرة اليه على السواء وتغير كون القوام من الاستقامة لسواء من الاستواء ﴿ قوله وهو خبر ثان لكان ﴾ واسمه الضمير المستتر فيه العائد الى الانفاق المدلول عليه بقوله انفقوا او بين ذلك خبره وقواما خبر بعد خبر او بين ذلك خبره وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأى من يرى اعمالها فى الظرف قال الفرآء وان شئت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا فيكون معنى الآية وكان الوسط من طرفى الاسراف والتقتير قواما عدلا وضعف هذا التأويل ظاهر لانه فى قوة ان يقال وكان الوسط وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر من جملة صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنى ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء لحقه جزاء آثامه ويستقر عليه ثم استثنى منه التائب ﴿ قوله بمعنى حرم قتلها ﴾ لان الحرمة والحل من صفات الافعال ولا يوصف بها الاعيان ﴿ قوله متعلق بالقتل المحذوف ﴾ اى حرم الله قتلها بجميع الاسباب الا بسبب الحق او بلا يقتلون اى لايقتلون بسبب من الاسباب الا بالحق اى بالسبب الذى يحل به قتل لامرئ المسلم وهو الردة بعد الايمان او الزنى بعد الاحصان او قتل النفس المعصومة من غير ان يطرأ عليها ما اوجب قتلها فان الاصل فى النفوس البشرية العصمة وحرمة القتل وحقن الدماء وجواز القتل انما يثبت بعارض فمن يحل قتله بسبب العارض يدخل فى النفس التى حرم الله قتلها نظرا الى حد نفسها ﴿ قوله نفى عنهم امهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات الخ ﴾ كأنه جواب عما قال ما الفائدة فى نفى هذه القبائح فان الموصوف بالخصال المرضية السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا وجه لنفيها عنهم لانه انما يحسن نفى صفة عن احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصال السابقة لايستلزم الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات قد يتدين بالشرك ويقتل النفس بغير حق ويتلبس بالزنى فبين الله تعالى ان المرء لايصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر ايضا الا انه خص من الكبائر امهاتها واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الآية موعود للجامعين بين التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذآئل وفى هذا النفى ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كأنه قيل وعباد الرحمن هم الذين لايدعون مع الله الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون نفسا بغير حق وانتم تقتلون ولا يزنون وانتم تزنون ونحو التعريض ان لم يكن النفى عنه مفيدا لثبوت المنفى له روى عن ابن عباس انه قال ان ناسا من اهل الشرك قتلوا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت ﴿ قوله جزاء اثم او اثما ﴾ يعنى ان الاثام عبارة عن عقوبة الاثم وجزآئه وقد يطلق على نفس الاثم فان كان المراد به فى الآية نفس الاثم فلابد من تقدير المضاف لان الاثم لايلقى نفس اثمه بل يلقى جزآءه قال ابن مسلم الاثام والاثم واحد والمراد ههنا جزآء الاثام فاطلق اسم الشئ على جزآئه وقيل الآثام اسم من اسماء جهنم وقيل اسم واد فى جهنم وقيل بئر فيها ﴿ قوله تعالى يضاعف ﴾ مجزوم فى قرآءة العامة على انه بدل من الجزآء كان قوله تلم بدلا من الشرط فى البيت ابدل تلم من قوله تأتنا لان الالمام وان كان بمعنى النزول الا انه فى معنى الاتيان

(انها ساءت مستقرا ومقاما) اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل لعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد (وكان بين ذلك قواما) وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوآئهما وقرئ بالكسر وهو مايقام به الحاجة لايفضل عنها ولاينقص وهو خبر ثان لكان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه (والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله) اى حرمها بمعنى حرم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون (ولا يزنون) نفى عنهم امهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال (ومن يفعل ذلك يلق اثاما) جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لانه فى معناه كقوله
متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ويضعف له العذاب

والحرك ماعظم من الحطب اليابس والأجيج تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا اذا تلهبت قبل الالف في قوله تأججا بدل من نون التأكيد الخفيفة اصله تأججن ودخلت نون التأكيد في تأججن مع خلوه عن معنى الطلب للضرورة قال سيبويه يجوز في الضرورة انت تفعلن وقيل تأججا فعل ماض والالف فيه للاشباع وذكر ضمير النار فيه لتأولها بالشهاب وقيل هو ماض والالف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار ﴿ قوله ويدل عليه ﴾ اي على انضمامها الى الكفر وجه الدلالة ان استثناء التائب من الكفر والمعصية جميعا يدل على ان عنهما في المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكبائر مع الشرك ﴿ قوله الامن تاب ﴾ المشهور بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل لا يظهر مع الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فانه لا يضاعف له العذاب فالاولى ان يكون استثناء منقطعا والمعنى لكن من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة انتهى ماقيل واجيب عنه بان الظاهر ماقاله جمهور المفسرين وماقاله القائل المذكور غير لازم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ماذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يحتمل وجهين احدهما انه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم من الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا كما روى عن ابي هريرة انه قال ليأتين اقوام يوم القيامة وتمنوا لو انهم استكثروا من السيئات قيل له يا ابا هريرة من هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات واليه اشار المصنف بقوله بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كأنهم لم يعملوا في الدنيا سوى الطاعة والوجه الثاني ان يكون التبديل في الدنيا بان يبدل الله قبائح اعمالهم الواقعة في الشرك بمحاسن الاعمال في الاسلام فيبدل الله لهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا فكأنه تعالى يبشرهم بان يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان مشركوا مكة قالوا قبل نزول قوله الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فنزلت هذه الآية بمكة وعنه قال قرأنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله ويخلد فيه مهانا ثم نزلت الآية الامن تاب فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشيء فرحه بها وبانا فتحنا لك فتحا مبينا ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء في قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لانه في قوة ان يقال من تاب وصلى فانه يصلي صلاة وليس في مثله فائدة ظاهرة اشار المصنف الى توجيه الكلام بوجوه حاصلها ان الجزاء فيه معنى زائد على ما في الشرط وذلك المعنى مستفاد اما من قوله متابا وتنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه رجوعا الى الله عز وجل فان الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي بتركها والندم عليها الى الطاعة بان يتدارك بها مافرط او بمعنى مجرد ترك المعاصي والدخول في الطاعة والجزاء هو الرجوع الى الله تعالى وتعالى علوا كبيرا رجوعا مرضيا عند الله مرتبا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات وانواع الكرامات او مستفاد من لفظ الجلالة في قوله فانه يتوب الى الله متابا فان الله تعالى لما كان موصوفا ومعروفا بانه يحب التائبين ويحبهم ويفعل بهم ما يستوجبون كان قوله تعالى يتوب الى الله في قوة ان يقال يتوب الى من يعرف حق التائبين ويحسن اليهم ويتفضل عليهم فكأنه قيل من تاب من المعاصي وعاد الى الطاعة في الدنيا فان تلك التوبة منه في الحقيقة توبة الى الله تعالى او مستفاد من لفظ المضارع بان يراد بقوله يتوب الرجوع الى ثوابه في الآخرة بخلاف الوجهين الاولين اذ ليس المراد به فيهما الرجوع في الآخرة بل المعنى فيهما ان ما أتى به من التوبة في الدنيا فهو التوبة الى الله تعالى ﴿ قوله وهو تعميم بعد تخصيص ﴾ يعني ان متعلق التوبة في قوله الامن تاب هو امهات المعاصي وههنا مطلق المعاصي ﴿ قوله لا يقيمون الشهادة الباطلة ﴾ على ان يشهدوا من الشهادة وان انتصاب الزور على المصدر والاصل لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿ قوله او لا يحضرون ﴾ على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور ويكون انتصاب الزور على انه مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة الاخبار بصحة الشيء عن

ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه او بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصي بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به مافرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب

فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مرّوا باللغو) ما يجب ان يلغى ويطرح (مرّوا كراما) معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكّروا بآيات ربهم) بالوعظ والقرآن (لم يخرّوا عليها صمّا وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبّوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرّياتنا قرّة اعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سرّ بهم قلبه وقرّت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وذرّيتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرّة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آمّ كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (اولئك يجزون الغرفة) اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقّون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلّمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلّم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي (خالدين فيها) لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) مقابل ساءت مستقرّا معنى ومثله اعرابا

مشاهدة عيانه والزور والكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه حق ﴿قوله فان مشاهدة الباطل شركة فيه﴾ اي من حيث ان الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذي حمل اهله عليه استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه ﴿قوله معرضين﴾ يعني ان كراما جمع كريم منصوب على الحالية والمعنى مرّوا مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو ويتنزّهون عن الدخول فيه والاختلاط باهله يقال تكرّم فلان عما يشينه اذا تنزّه واكرم نفسه عنه قال تعالى في حقهم واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض عنه ان يذكر ما يستهجن التصريح به بما يكنى به عنه ﴿قوله بالوعظ والقرآن﴾ متعلق بقوله تعالى ذكّروا اي اذا وعظوا بالقرآن او اذا تلي عليهم القرآن لم يقيموا عليها صمّا لم يسمعوها وعميانا لم يبصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانتفعوا واداة النفي وان دخلت على فعل الخرور الا ان المقصود ليس نفي الخرور بل اثبات الخرور ونفي ما جعل قيدا له وهو الصمم والعمى على ما تقرّر من ان نفي المقيد يرجع الى نفي قيده والمعنى انهم اذا ذكّروا بها اكبّوا عليها واقبلوا على المذكّر بها حرصا على استماعها وسمعوها باذان واعية وابصروها بعيون راعية ﴿قوله بتوفيقهم للطاعة﴾ يعني ان المراد بالقرّة المسئولة بها تحصيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين تقرّ اعينهم بصلاح ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شيء اقرّ لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزينتها ولا تقرّ اعينهم الا بما يحبونه وقرّة اعين منصوب على انه مفعول هب وهو مصدر قولك قرّت عينه قرّا وقرورا وصف بها الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من في قوله من ازواجنا وذرّياتنا تجريدية والمعنى اجعلهم لنا قرّة عين وهو من قبيل رأيت منك اسدا اي انت اسد ويجوز ان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح يقال قرّت به عيني وقررت به عينا اقرّ قرّا وقرورا فهما اما من القرور اي رضيت به حتى تقرّ عيني فلم تطمح الى ما فوقه او من قولهم قرّ يومنا من القرّ بالضم وهو البرد وقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة بين الله اوّلا معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يؤذون احدا واذا آذاهم اهل الجهل والسفه لا يعارضونهم بالاذى ولكن يتحملون ذلك ويتجاوزون عنه ويقولون قولا سدادا ثم بين معاملاتهم مع الحق ودعاءهم الجليل بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن صنعهم في اموالهم بانهم ينفقون قواما ثم بين انه مع تحليهم بهذه الفضائل التي هي اصول الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصي ثم بين معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم في حقهم وفي حق انفسهم فان قولهم واجعلنا يعود به انفسهم وذرّياتهم ومن قرأ ذرّيتنا على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال اقوام وارهاط ﴿قوله وتنكير الاعين﴾ اي مع ان المراد بها اعين القائلين وهي معينة فلاي شيء نكّرت والجواب عنه انه لما قصد تنكير القرّة لتعظيم نكّر المضاف اليه فانه لا سبيل لك الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه فنكّر المضاف لذلك فكأنه قيل هب لنا سرورا لا يكتنه كنهه ﴿قوله وتقليلها﴾ يعني ان القائلين جمع غير قليل فلم قالوا اعينهم حيث عبّروا عن عيونهم بجمع القلة واجاب عنه بان عيون المتقين قليلة بالاضافة الى الغير وفيه ان التعبير بجمع القلة لا يكفي فيه ان يكون المعبّر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة فما دونها والقلة الاضافية لا تستلزم ذلك ﴿قوله وتوحيده﴾ اي مع انه مفعول ثان لقوله واجعل فينبغي ان يطابق المفعول الاوّل في الافراد والجمع بان يقال واجعلنا ائمة ﴿قوله بصبرهم﴾ على ان ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالتعلق بل اطلق ليتسع في كل مصبور عليه والمضض وجع المصيبة ﴿قوله دعاء بالتعمير والسلامة﴾ يعني ان التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر المحيي اياهم وهم في الغرفات ويمكن ان ذلك هو الله لقوله سلام قولا من رب رحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وان يكون بعضهم يحيي بعضا ويسلّم عليه ﴿قوله او تبقية دائمة﴾ عطف على قوله دعاء بالتعمير اي ويجوز ان يكون المعنى ويلقون في تلك الغرفة نفس التبقية الدائمة ونفس السلامة من كل آفة اي يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بان يقيمهم في الجنة خالدين سالمين وعلى هذا المعنى يكون التركيب مستعملا في اصل معناه لان معنى التحية الاحياء والتبقية يقال حيّاه تحية اي احياه احياء كما يقال بقّاه تبقية بمعنى ابقاه ابقاء وعلى المعنى الاوّل يكون مجازا لانه بنزل الدعاء

بالتحية منزلة التحية فان من دعا بان يحييه ويخلده كان كمن احياه وخلده بناء على ان تعالى وعد باجابة الدعاء حيث قال ادعوني استجب لكم وقوله تعالى خالدين حال من يجزون او يلقون اي مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عباده العابدين وعدّد خصالهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عباداتهم امر رسوله بان يقول للناس صريحا ان مبالاة الله واعتناءه بشأنكم حيث خلق السموات والارض وما بينهما ارادة لانتظام امور الكم وقضاء حوائجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق المنعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكليفات وتفوزوا بالسعادة الابدية والا فهو تعالى غنيّ عنكم وباي وجه يحتاج اليكم وهو غنيّ عن العالمين يقال ما عبأت به اي ما اعتنيت به ولا باليت ومعناه ما يصنع بكم اي ما عبأ اذا احتاج اليه وعبأ له اذا هيأ له وعبأته ﴿قوله لولا دعاؤكم﴾ ذكر فيه وجهين احدهما لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المعمول وثانيهما كون المصدر مضافا الى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتدلل بالوجوه المبينة في الشرع واختار المصنف ان يكون الخطاب في قوله تعالى قل ما يعبأ بكم وفي قوله لولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير تقييد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسناد العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه لما وجد في صنف من اصناف العبادة وفي صنف آخر من اصناف التكذيب صح اسنادهما اليه وكان تقدير قراءة فقد كذب الكافرون اي منكم الا ان دخول الصالحين الابرار في خطاب فقد كذبتم فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال في تأويله فقد كذب صنف منكم لا يخلو من بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات الله تعالى وتسميتهم القرآن باساطير الاوّلين وطعنهم في رسول الله بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما ذكر المؤمنين فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لولا دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه اي لولا دعاؤكم ما خلقكم ولما اعتنى بشأنكم وقوله تعالى فقد كذبتم موضوع موضع ان يقال فقد تركتم عبادتي وخالفتم حكمي على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مستلزم لترك العبادة والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه يجعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط محذوف ﴿قوله فسوف﴾ جزاء لذلك الشرط المحذوف كأنه قيل اذا اعلمتكم اني لا اعبأ بعبادي الا لعباداتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثم تكذيبكم حتى يكبكم في النار فاني لا اعتدّ بمن لا يشتغل بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب ﴿قوله تعالى لزاما﴾ خبر يكون واسمه مضمر والمعنى يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون اللزام مصدرا كالقيام اقيم مقام الفاعل كما يقوم العدل مقام العدل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب ﴿قوله حتى يكبكم﴾ بفتح الياء من كبه لا بضمها من اكب لانه لازم يقال كبه لوجهه اي صرعه فاكب على وجهه وهو من النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت والاوّل بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازما او لازما ❁ تمت سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الشعرآء مائتان وست او سبع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

﴿قوله بالامالة﴾ اي بامالة فتحة الطاء والفها لان فواتح السور ليست بحروف بل هي اسماء لما يتهجى به فجازت الامالة فيها وقرأ الباقون بتفخيم الفها على الاصل واظهر حمزة نون سين اي لم يدغمها في الميم لان حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها فوجب اظهارها الا انها اما تلفظ متصلة بحرف من حروف الفم واذا لم تتصل بها لم يوجد شيء يوجب لفصلها عما ظاهرا والباقون يدغمون النون في الميم نظرا الى اتصالها بحرف الشفة ﴿قوله والاشارة الى السورة او القرآن﴾ يعني ان طسم اسم لهذه السورة او القرآن وتلك اشارة الى المسمى بهذا الاسم واختص في الاشارة لفظ البعيد مع انه لم يتخلل شيء بين اسم الاشارة والمشار اليه وهو طسم لبعد المشار اليه باعتبار ان الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى او باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه فقوله طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات الكتاب المبين خبر المبتدأ الثاني وهذه الجملة خبر المبتدأ الاوّل وهو طسم بتقدير المضاف ليصح الاخبار عنه بان تلك آيات الكتاب المبين والتقدير آيات طسم بمعنى آيات هذه السورة او آيات جملة القرآن العظيم تلك آيات الكتاب المبين وهو من ابان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قوله آيات

(قل ما يعبأ بكم ربي) ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتدّ بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سوآء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اي عبء يعبأ بكم (فقد كذبتم) بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون لزاما) يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿ سورة الشعرآء مكية الا قوله ﴾
﴿ والشعرآء يتبعهم الغاوون الى ﴾
﴿ آخرها وآيها مائتان وست او سبع ﴾
﴿ وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مرّ في اوّل البقرة

(لعلك باخع نفسك) قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اى أشفق على نفسك ان تقتلها (أن لا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه (فظلت اعناقهم لها خاضعين) منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف واكن على فأصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح (وما يأتيهم من ذكر) موعظة او طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيه الى نبيه (محدث) مجدد انزاله بتكرير التذكير وتنويع التقرير (الا كانوا عنه معرضين) الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث ادّى بهم الى الاستهزاء به المخبر عنه ضمنا فى قوله (فسيأتيهم) اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة (انباء ما كانوا به يستهزؤن) من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدّق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها (ان فى ذلك) ان فى انبات تلك الاصناف او فى كل واحد (لآية) على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة (وما كان اكثرهم مؤمنين) فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم او العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذ نادى ربك موسى) مقدر باذكر او ظرف لما بعده (ان ائت) اى ائت او بأن ائت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم

طسم تلك آيات الكتاب المبين ان هذه السورة الكريمة او القرآن العظيم كتاب مبين اى ظاهر اعجازه وصحيح انه كلام الله تعالى اذ لو لم يكن كذلك لقدروا على الاتيان بمثله ولما عجزوا عن معارضته ﴿قوله ولعل للاشفاق﴾ اى الخوف وهو تعالى منزه عن الخوف والمعنى انه تعالى يأمره ان يخاف على نفسه فلا يتحسر لئلا تؤديه الحسرة الى الهلاك وهو قول المصنف اى أشفق على نفسك ﴿قوله لئلا يؤمنوا﴾ يعنى أن قوله ان لا يؤمنوا فى موضع النصب على انه مفعول بحذف لام التعليل من ان كما هو المشهور او بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير خيفة ان لا يؤمنوا ولما كانت الخيفة فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل النبى لم يحتج الى اللام فى تعلق المفعول به او انه حذف اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمر لا لكونه مفعولا له ﴿قوله تعالى فظلت﴾ معطوف على ننزل لكنه جيء به ماضيا لتحقق كون اعناقهم خاضعين حينئذ ﴿قوله واصله فظلوا لها خاضعين﴾ جواب عما يقال قوله خاضعين مسند الى ضمير الاعناق وهى ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء وتقرير الجواب ان الخضوع صفة اصحاب الاعناق واخبر عن الاعناق بقوله خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع كان ينبغى ان يغير الكلام الى خاضعة او خاضعات الا انه ترك الخبر على اصله لدلالة عليه ﴿قوله وظلت عطف على ننزل﴾ جواب عما يقال كيف عطف الماضى على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضى يمتنع ان يكون عقيب المستقبل وان يكون مسببا عنه وتقرير الجواب ان ننزل وان كان مستقبلا لفظا الا انه فى قوة الماضى لانه لو اورد بدله لفظ الماضى لكان صحيحا كما عطف اكن المجزوم على أصدّق المنصوب لكونه فى موضع الجزاء من حيث ان المعنى ان اخرتنى اتصدّق واكن بين الله ان آيات هذه السورة الكريمة من حيث كونها آيات الكتاب الظاهر الاعجاز كافية فى الدلالة على وجوده وانه قادر على ما يشاء وعلى صدق مدّعى الرسالة فى دعواه فهى كافية فى دخولهم فى الايمان وفى قبولهم جميع ما فيها من الاصول الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ فى الحزن والاسف على تماديهم على الكفر والضلال وأشفق على نفسك ان تقتلها بلا فائدة فصبره الله تعالى وعزاه وعرّفه ان غمه وحزنه لا ينفع فى ايمان من سبق حكم الله بعدم ايمانه كما ان الكتاب المبين الاعجاز لم ينفع فى ايمانه ثم بين ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه الا انه لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبنى على القسر والالجاء ثم بين أنه من جهة وفور رحمته وفضله واحسانه يجدد لهم الانذار والتذكير وقتا بعد وقت وكلما نزل عليهم شيأ من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن الذى أصرّوا على ما كانوا عليه من الاعراض والتكذيب والاستهزاء المدلول عليه بقوله فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن والفاء فى قوله فقد كذبوا للتعقيب كما اشار اليه بقوله اى فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم المؤدّى الى التكذيب المؤدّى الى الاستهزاء بناء على ان ما كذبوه واستهزأوا به هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم او بالتكذيب والاستهزاء ثم انه تعالى بعد ما بين انه كلما نزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت لم يزدهم ذلك سوى النفور والاعراض بين ايضا انه اظهر لهم ادلة تحدث فى الارض وقتا بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمر اكثرهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فقال اولم يروا الى الارض وبخهم على تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما فى الارض من العجائب او رأوا الا انهم لم يؤمنوا بسببها وكم فى قوله تعالى كم انبتنا خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذى بعدها على المفعولية اى كثيرا من الازواج انبتنا وكل زوج تمييز جيء به لدلالة على ان الكثير الذى انبته الله تعالى ليس من بعض اصناف النبات بل من جميع اصنافه على التفصيل ﴿قوله وهو صفة﴾ يعنى ان الكريم اسم وصف به كل ما يحمد ويرضى فى بابه وماله من المنافع والكمالات التى لا يقدر على اثباتها الا رب العالمين ومنه وجه كريم اى محمود مرضىّ فى حسنه وجماله وكتاب كريم اى مرضىّ فى لفظه ومعانيه وفوائده وفارس كريم اى مرضىّ فى شجاعته وبأسه ووصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين الاول انه صفة مقيدة له مخصصة بما هو النافع من نوعى النبات فانه على نوعين نافع وضارّ فبين الله كثرة ما انبت فى الارض من جميع اصناف النباتات النافع وترك ذكر الضارّ والثانى ان يكون صفة مادحة لا مخصصة فيعم جميع اصناف النبات نافعه وضارّه وفى وصف جميعها بالكرم تنبيه على انه تعالى ما انبت شيأ الا وفيه فائدة ومنفعة جليلة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لمعنى صحيح وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون ﴿قوله او ظرف لما بعده﴾ اى قال رب انى اخاف

ان يكذبون اذ نادى ربك وقيل انه مقدر قبله اى واتل على قومك اذ نادى الله موسى فيما تتلو ويدل عليه قوله تعالى في بعد واتل عليهم نبأ ابراهيم وذلك حين رأى موسى الشجرة والنار ﴿قوله ولعل الاقتصار على القوم﴾ يعني انه لاشك ان موسى كان مبعوثا الى فرعون وقومه من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى ولم يذكر في بعضها الاتباع حيث قال الى فرعون وملئه والملأ هم الرؤساء دون الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا اصلا انتهم الاتباع في الايمان كان ذكرهم يغني عن ذكر الاتباع فلذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكره وذكر رؤساء قومه وتصبير في هذه الآية على ذكر قومه من الرؤساء والاتباع للعلم بان نفس فرعون كان اولى بذلك ﴿قوله ألا يتقون استئناف﴾ لامحل له من الاعراب وهو متعين على قراءة يتقون بياء الغيبة واما على القراءة بتاء الخطاب فانه يحتمل ان يكون التقدير ائت القوم الظالمين وقل لهم ألا تتقون باضمار القول فلا التفات حينئذ وانما يكون التفاتا على تقدير كونه استئنافا وطريق الالتفات انه تعالى بصدد الشكاية من قوم فرعون وظلمهم لنبيه موسى فلما اشتد غضبه عليهم قطع ست الشكوى الى موسى واقبل عليهم يوبخهم بالغضب والمعاتبة وقال لهم ألا تتقون * ولما ورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب والالتفات الى الجاني انما يصح اذا كان الجاني حاضرا في مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين في مجلس خطابه تعالى مع موسى في وقت المناجاة * اجاب عنه بقوله وهم وان كانوا غيبا حينئذ اى حين مخاطبة الله موسى عليه الصلاة والسلام * وتقرير الجواب انهم وان كانوا غيبا الا انهم حينئذ اجروا مجرى الحاضر وكلام الشخص الذي ارسل اليهم من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم وكان استماعه مبدأ استماعهم كان حضور ذلك الشخص مع المتكلم بمنزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم في كلام ذلك الشخص وان كانوا غيبا في نفس الامر وقت المكالمة معه مع ان في الالتفات اليهم بهذا الطريق مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده لانه لما وبخ المعاتب على ترك التقوى وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموبخ بالذات فالحاضر المتدبر يكون به اوفر حظا من الحث عليه ﴿قوله اكتفاء بها عن ياء الاضافة﴾ فان اصله على قراءة الكسر ألا يتقونني فحذفت احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون من ياء المتكلم فصار ألا يتقون ويحتمل ان تكون قراءة الكسر مبنية على ان يكون اصل الكلام الا ياناس اتقون بأن تكون الياء في يتقون حرف النداء وان يكون المنادى محذوفا كما في قوله الا يا اسجدوا فان اصله الا ياهؤلاء اسجدوا ويكون اتقون امرا حاضرا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسر ويكون النون فيه نون الوقاية ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول اى ان ائت القوم الظالمين قل لهم الا ياناس اتقون * فان قلت هذا التوجيه لايساعده خط المصحف * فالجواب ان خط المصحف سنة متبعة غير منوطة بالقياس ﴿قوله رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلاثة﴾ مبني على ان يكون قوله يضيق ولا ينطلق مرفوعين بعطفهما على خبر ان وهو اخاف لانهما اذا كانا منصوبين عطفا على يكذبون يكون استدعاء الضم مرتبا على علة واحدة وهي الخوف من الامور الثلاثة فان المعنى حينئذ اخاف ان يكذبون واخاف ان يضيق صدري واخاف ان لا ينطلق لساني وعلى قراءة الرفع يكون كل واحد من الامور الثلاثة علة مستقلة لاستدعاء الضم غاية مافي الباب ان يكون بعضها مرتبا على البعض في الوجود لان حاصل الكلام حينئذ انه لو لم يشركه هرون في الامر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وذلك من وجهين الاول ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة لانه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب واذا انقبضا الى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة في اللسان فالتأذي من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا بدأ عليه الصلاة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون افصح لسانا مني وليس في حقه هذا المعنى فكان ضمه الي وارساله معي لازما والثاني ان لي عندهم ذنبا فأخاف ان يبادروا الى قتلي وحينئذ لايحصل المقصود من البعثة واما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة بضمه الي ﴿قوله وليس ذلك تعللا منه﴾ جواب عما يقال كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام ان يأمره الله بامر فلا يقبله بسمع وطاعة ومن حقه ان يسارع في امتثال المأمور به بلا توقف * وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بذكر الامور الثلاثة الاستعفاء من تكليف الرسالة والتعلل

(قوم فرعون) بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك (ألا يتقون) استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى ألا ياناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا (قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون) رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لاتختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة ماخاف منه (ولهم علي ذنب) اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع (فأخاف ان يقتلون) به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة

وقوله (قال كلا فاذهبا بآياتنا) اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته (انا معكم) يعني موسى وهرون وفرعون (مستمعون) سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم

* بسر ولا ارسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا (ان أرسل معنا بني اسرآئيل) اي بان ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام (قال) اي فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك (ألم نربك فينا) في منزلنا (وليدا) طفلا سمي به لقربه من الولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز (وانت من الكافرين) بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالاهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم (قال فعلتها اذا وانا من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب او الناسين من قوله ان تضل احدهما (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) حكمة (وجعلني من المرسلين) رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرآئيل) اي وتلك التربية نعمة تمن علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرآئيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانهم السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي أوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة

يقابل اراد به تمهيدا لعذر في التماسه المعين فهو قد امتثل وقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس توقفا في امتثال الامر ولا تعللا فيه واراد بالذنب قتله القبطي بالوكزة دفعا عن السبطي الآخر واراد بكون ذلك القتل عليه أن تبعة ذلك الفعل اي موجبه وجزاءه ثابتة على زعمهم والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه ﴿قوله اجابة له الى الطلبتين﴾ تثنية طلبة بكسر اللام وهي ما طلبته من شئ طلب موسى امرين الاول ان يدفع عنه شرهم والثاني ان يرسل معه هرون فاجابه تعالى الى الاول بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه فانهم لن يقتلوك به فاني لا اسلطهم عليك بل اسلطك عليهم واجابه الى الثاني بقوله فاذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون ﴿قوله يعني موسى وهرون وفرعون﴾ فهو تعالى معهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر ﴿قوله سامعون﴾ حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء والله تعالى سامع غني عن الاستماع والاصغاء فلذلك حمل المعنى لسمع ما تقولانه وما يجيبوكما به وفي الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة امور ﴿قوله لانه مصدر وصف به﴾ مبالغة او بتقدير ذوا رسالة رب العالمين ﴿قوله بعدما أتياه فقالا له ذلك﴾ اشارة الى ان في الكلام حذفا اي فذهبا اليه فدخلا عليه وقالا له ما امرهما الله تعالى به فعند ذلك قال فرعون ما قال روي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأذن لهما فدخلا عليه وأديا الرسالة فعرف موسى عليه الصلاة والسلام فعدد نعمه عليه اولا ثم اساءة موسى عليه الصلاة والسلام اليه وهو الوليد الصبي الصغير وكان عنده الصلاة والسلام ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلا والفعلة بالفتح بناء المرة وكانت وكزة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فان تنكير الشئ وابهامه قد يقصد به التعظيم ﴿قوله او ممن تكفرهم الآن﴾ اي بعدنا والحال انك في ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن انهم كافرون اي كنت قبل الآن منا وعلى ديننا والآن جئت تكفرنا وهذا من غاية جهل اللعين لان الانبياء لم يزالوا على التوحيد والبرآءة من الشرك والله تعالى عاصم من يستنبئه من كل كبيرة فاطلاق بالكفر واذا في قوله فعلتها اذا حرف جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة قال سيبويه وان نص على انها الجزاء لكن شراح كتابه قد ذهبوا الى انها قد تتمحض للجواب وتتخلف منها الدلالة على المجازاة ﴿قوله من الجاهلين﴾ والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بالضلال الكفران لانه اراد به رد قوله وانت من الكافرين بل اراد به اما الجهل والسفه والمعنى وانا من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه من غير اتباع الوحي والدليل واما الخطأ في الفعل حيث قصد المنع والتأديب فحصل ووقع منه القتل واما الذهول عما يؤول اليه الوكز من القتل واما النسيان كما في قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان لان التذكر انما يكون بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه الصلاة والسلام على جميع التقادير ان ما وبخني به وتعده علي ذنبا انما فعلته على وجه لا يعاتب من فعله على ذلك الوجه فضلا عن ان يعد كافرا حقيقة او كافرا للنعمة فانه كيف يعاتب من فعل فعلا برأيه على قصد الاصلاح والتأديب بل يستحق لان يثنى عليه ويستحسن فعله وان ادى الى القتل والاهلاك وقوله لانه كان صدقا لان تربيته له امر ظاهر معلوم لا يسمع رده وانكاره فكان غير قادح في دعواه لما تقرر في العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم ينعم فلذلك لم يكن قول فرعون ألم نربك فينا وليدا نافعا له ولا ضارا لموسى فلذلك لم يصرح برده ﴿قوله وتلك التربية نعمة﴾ اشارة الى ان تلك مبتدأ اشير به الى التربية المدلول عليها بقوله الم نربك ونعمة خبره وتمنها علي صفة نعمة وان عبدت خبر مبتدأ محذوف اي وهي في الحقيقة تعبيدك قومي اقر عليه الصلاة والسلام بكون تلك التربية في صورة النعمة والاحسان ثم ابطل كونها نعمة بكونها مسببة عن النقمة التي هي قهره بني اسرآئيل بذبح ابنائهم فانه لو لم يفعل ذلك لتكفلت امه بتربيته ولما قذفته في اليم حتى يصل الى فرعون ويربي في تربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سببا له يقال عبدت فلانا واعبدته واستعبدته وتعبدته اذا اتخذته عبدا وقهرته وذللته ﴿قوله او بدل نعمة﴾ كأنه قيل وتلك نعمة تعبيدك بني اسرآئيل فيؤول المعنى الى ان تلك التربية تعبيدك بني اسرآئيل ولا شك في ان التربية ليست نفس التعبيد الا انها لما وقعت بسبب التعبيد

ونعمة له جعلت نفس التعبيد مبالغة في السببية والاستلزام **﴿قوله او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها﴾** كان محل الضمير البارز في تمنها كذلك فان تمنّ يتعدى بالباء فهي مضمرة والتقدير تمنّ بها او محذوفة كما في قوله تعالى واختار موسى قومه وعلى التقديرين يكون أن عبدت بدلا من ها تمنها **﴿قوله الى خصلة شنعاء مبهمة﴾** وصف الخصلة بالشنعاء دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار اليه تحقيره او تنزيل بعده عن ساحة الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الخارجية المتقدم ذكرها بل هو امر ذهني تصوّره عليه الصلاة والسلام واشار اليه بقوله تلك ثم فسره بما اخبر عنه فانه عليه الصلاة والسلام تصوّر قوله نعمة تمنها على ان عبدت بني اسرآئيل بانها من حيث انها نعمة تمنها على تكون خصلة شنعاء فاشار اليها بتلك وجعلها مبهمة ثم بينها بقوله أن عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ فكان المعنى هي تعبيدك بني اسرآئيل فكأنّ المعنى وان امتنّ بتربيته اياه الا ان تلك التربية لما كانت مسببة عن تعبيده بني اسرآئيل كان الامتنان بالتربية امتنانا بتعبيدهم **﴿قوله لم يرعو﴾** اى لم يكف ولم يمتنع وهو من ردّ ما يرعو اى كف عن الامر يقال ارعوى عن القبيح وتقديره ارعوو ووزنه افعلل ولم يدغم لسكون الياء المبدلة من الواو ولوقوعها رابعة في الطرف **﴿قوله شرع في الاعتراض على دعواه﴾** لم يذكر وافي نظم هذه الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام دخل على فرعون وادّى الرسالة وقال له انا رسول رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك كما ذكرناه هنالك وانه تعالى لما قال لهما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين استلزم ذلك أنهما اتياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين يسأل به عن حقيقته الخاصة ويقول أي شيء هو مما يطلق عليه اسم الشيء كأنه يريد به التعريض بانكار الاله ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين فأجابه عليه الصلاة والسلام بما فيه انكار الهيته وان يكون ربا للعالمين تعريضا حيث قال رب السموات والارض وما بينهما كأنه قال انت احقر من ذلك وادل فان رب العالمين رب السموات والارض ومدبر امرهما وامر اهلهما على التفصيل ثم قال ان كنت انت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك الها وسموك رب العالمين من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذي يؤديهم الى الايقان علمتم ان العالم عبارة عن كل ما يعلم به الخالق من السموات والارض وما بينهما وان ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر امورها يجب ان يكون واجبا لذاته مبدأ لجميع الممكنات وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب اللعين من جوابه فقال لمن حوله الا تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية ويزعم ان السموات ممكنة مربوبة وهي واجبة متحركة لذاتها فثنّى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاوّلين استدل اوّلا بامكان الاجرام العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يستند اليه جميع الموجودات ثم خص من جملة الموجودات بأسرها ما هو اقرب بالنسبة الى المستدل وهو نفسه ومن ولد هو منه فان دليل الانفس اقرب من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل اليه اشعارا بغباوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذاتها غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك في انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون وجوده مستندا الى مؤثر واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه الصلاة والسلام اليه وقوله ويشك منصوب معطوف على ان يتوهم وقوله ويكون مرفوع معطوف على قوله لا يمكن فعند ذلك اخذ اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا المقصود من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد تلك الخصوصية فهذا الذي يدّعي الرسالة مجنون لا يفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد نبي الله الى تعريف ثالث اوضح من الثاني فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار فظاهر ان التقدير على هذا الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر حكيم وهذا بعينه طريقة ابراهيم مع نمرود فانه عليه الصلاة والسلام استدل بالاحياء والاماتة حيث قال ربي الذي يحيي ويميت فلما عارضه نمرود اللعين بقوله انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

او الجرّ باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرآئيل نعمة تمنها عليّ وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون وما رب العالمين) لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والارض وما بينهما) عرّفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله (ان كنتم موقنين) اى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بدّ وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته (قال لمن حوله ألا تستمعون) جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الاوّلين) عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصوّر حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون) اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية

بامور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم وخشانتهم عارضهم بمثل مقالتهم (قال لئن اتخذت آلها غيري لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره الصانع وتعويه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا او اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك (قال أولو جئتك بشيء مبين) اى أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواى يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فأت به ان كنت من الصادقين) في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما هي فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه من دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (قالوا ارجه واخاه) أخر امرهما وقيل احبسهما (وابعث في المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل انتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا ﴿ او عبد رب اخا عون بن مخراق ﴾

اى ابعث احدهما الينا سريعا (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الأصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان (قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون) اى بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن

فبهت الذي كفر فكذا موسى عليه الصلاة والسلام عرف رب العالمين بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء والاماتة ثم عرفه بقوله رب المشرق والمغرب فانه بمنزلة قول الخليل فأت بها من المغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت مني تعريف حقيقته وقد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرفه بالآثار الخارجية والافعال المختصة به واني عرفت حقيقته بتلك الآثار فثبت ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب من عند السؤال الا ما ذكرته ﴿قوله لاينهم اولا﴾ جواب عما يقال كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ﴿قوله ارجه﴾ قرأه ابن كثير وهشام هنا وفي سورة الاعراف ارجئه بالهمزة وضم الهاء يصلها بواو وابو عمرو بالهمزة وضم الهاء من غير صلة وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء ولا يصلها بياء وقالون بغير همزة ويختلس الكسرة وورش بغير همزة ويصل الهاء بياء وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء والهاء في الوقف ساكنة بلا خلاف الا في مذهب من ضمها سواء وصلها او لم يصلها فان الروم والاشمام جائزان فيها كذا في تيسير القراءة يقال ارجأت الامر بالهمزة وارجيته بالياء كلاهما بمعنى اخرته وقرئ وآخرون مرجون لامر الله ومرجؤن لامر الله اى مؤخرون حتى ينزل فيهم ما يريد ﴿قوله شرطا يحشرون﴾ اشارة الى ان قوله حاشرين صفة موصوف وهو مفعول ابعث والشرط جمع شرطة بسكون الراء وفتحها وهي اسم لخيار الجند وهم اول كتيبة تحضر الحرب * الجوهري الشرط بالتحريك العلامة وأشرط فلان نفسه لامر كذا اى اعلمها واعدها قال الاصمعي ومنه سمي الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة وشرطة وقال ابو عبيدة سموا شرطا لانهم اعدوا ﴿قوله لما وقت به من ساعات يوم معين﴾ يعني ان الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق ايضا على المكان المعين له ومنه مواقيت الاحرام يقال هذا ميقات اهل الشام للموضع الذي يحرمون منه واضيف الميقات الى اليوم على طريقة اضافة الشيء الى زمانه لكون الميقات جزأ من ذلك اليوم وساعة من ساعاته فعين بالاضافة اليه كأنه قيل الميقات الذي هو في ذلك اليوم وجزؤه واليوم المعلوم هو يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم في كل عام وروي عن ابن عباس انه قال وافق يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل كان ذلك يوم عاشوراء وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار واختاره قوم فرعون ايضا ليظهر فساد قول موسى عليه الصلاة والسلام بمحضر الجمع العظيم ورضي فرعون بما قالوه وعمي عما شاهدوه لان حب الشيء يعمي ويصم وكان هذا ايضا من لطف الله تعالى في ظهور امر موسى ﴿قوله او عبد رب﴾ منصوب بالعطف على محل دينار فانه وان كان مجرورا لفظا بالاضافة الا انه في محل النصب على انه مفعول باعث ودينار اسم رجل وكذا عبد رب واخا عون منادى مضاف اى يا اخا عون ولو اريد بقوله هل انتم مجتمعون حقيقة الاستفهام لجيء بجواب الناس فعلم ان معناه استبطاء اريد به الحث على مبادرتهم الى الاجتماع وكذا في البيت * قال الامام روي ان العصا لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فصارت عصا ثم قال فان قيل كيف قال ههنا ثعبان مبين وفي آية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي آية ثالثة كأنها جان والجان ما يميل الى الصغر والثعبان الى الكبر فأجاب عنه بقوله اما الحية فهي اسم جنس ثم انها لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعة حركتها فصح الكلام اما ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقوله ثعبان انه بين لناظر انه ثعبان حقيقة بحركاته وبسائر ما فيه من العلامات وليس يشبه الثعبان في صورته فقط كما تظهره السحرة ﴿قوله والترجي باعتبار الغلبة﴾ اى والترجي الاتباع باعتبار ترجي الغلبة فالمراد انا نرجو ان تكون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم علقوا الترجي باعتبار غلبة السحرة عدولا الى طريق الكناية التي هي ابلغ ﴿قوله ولم يرد به امرهم بالسحر﴾ جواب عما يقال كيف جاز لموسى ان يأمر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز ﴿قوله وقرأ حفص تلقف بالتخفيف﴾ اى باسكان اللام مخففا والباقون بفتح اللام مشددا والتلقف تناول الشيء بسرعة واصله تتلقف بتاءين حذفت احداهما

والافك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ ومنه قوله قالوا أجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا جعل المصنف كلة ما موصولة بحذف العائد ثم جوّز كونها مصدرية والافك بالمعنى المصدرى لايصح ان يتعلق به التلقف سوآء حمل بمعنى الاخذ او بمعنى الابتلاع وجعل الافك بمعنى المأفوك وسمى الحبال بالافك مبالغة كانها عين الافك كما فى قولهم هذا ضرب الامير اى مضروبه ﴿ قوله وتزويق ﴾ اى تحسين قال زوّقت الكلام والكتاب اذا حسنته ووجه الدلالة على ان منتهى السحر تمويه وتزويق ان حقيقة الشئ لو انقلبت الى حقيقة شئ آخر بالسحر لما عدّوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حدّ السحر ولما خرّوا ساجدين عند مشاهدتهم حقيقته ووجه دلالته ان التبحر فى كل فن نافع اذ السحرة لو لم يكونوا فى الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالمين ان منتهى السحر انما هو التمويه والتزويق لما تيقنوا ان ما جاء به موسى ليس بسحر وما كان ذلك التيقن الا ببركة تبحرهم فى علم السحر ﴿ قوله وانما بدل الخرور بالالقاء ﴾ يعنى ان المعنى خرّوا وسقطوا ساجدين لكن عدل الى هذا القول للمشاكلة لقوله ألقوا ما انتم ملقون فألقوا حبالهم فألقى موسى عصاه وليدل على انهم لم يتمالكوا انفسهم حين ما شاهدوا امرا خارجا عن السحر فخرّوا بدون الاختيار كأنّ ملقيا اخذهم وألقاهم على وجوههم فقوله فألقى السحرة استعارة تبعية ﴿ قوله بدل من ألقى ﴾ فلذلك لم تفصل بينهما بعاطف ﴿ قوله ابدال للتوضيح ودفع التوهم ﴾ فان من قال انا الحدت الهجيرى وتعجب من نسبة الربوبية الى غيره فقال الانستعون لايبعد ان يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آمنا برب العالمين الايمان بربوبية اللعين فأبدلوا منه رب موسى وهرون ليندفع ذلك الوهم وتشعر اضافته اليهما ان الموجب لايمانهم به ما شاهدوا من آثار قدرته الباهرة وهو ما اجراه على ايديهما فلما سمع اللعين انهم باجمعهم آمنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الاعن معرفة بصحة امر موسى فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى ان يلبس على قومه وينفرهم عن موسى واتباعه فقال اوّلا للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اراد به وصفهم بسرعة الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر تصريحا بما ذكره اوّلا بطريق الرمز كأنه قال ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت الحاجة فاغتررتم وظننتم انه غلب عليكم بالمعجز الالهى وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوّة علم السحر لكونكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلطانهم بعصيانه وتغيير رعيته عنه كأنه قال لم تتفقوا فى اظهار صنعتكم والغلبة على خصمكم لمواطأة بينكم وبينه ليظهر امره ويتم مقصوده والاعاكيب عجزتم عن ان تفعلوا مثل ما فعله ساحر مثلكم ثم اوعدهم على الاجمال والابهام فقال فلسوف تعلمون ثم فصل ذلك الجمل وبين ذلك المبهم فقال لأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف اى من اجل خلاف ظهر منكم على ان كلة من للتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا وتفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى كما فى المحدود لايناسب حال فرعون وما هو بصدده لانه تخفيف العقوبة واعراض عن تفويت منفعة البطش والمشى على الجانى ومن لم يخطر بباله هذا التأويل قال قوله هذا دليل على حمقه حيث اوعدهم فى موضع التغليظ بما وضع للتخفيف وليس فى الآية ما يدل على انه فعل بهم ذلك او لم يفعل والله اعلم بذلك ﴿ قوله لاضرر علينا فى ذلك ﴾ تقدير للخبر المحذوف وليس مرادهم ان ما اوعدهم به ان وقع لا يضرهم اصلا بل المراد ان ذلك ليس ضررا بل نفعا عظيما لنا من حيث كون الصبر عليه مؤدّيا الى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات او من حيث انه من جملة اسباب الانقلاب الى ربنا وانه انفعها وارجاها فمعنى الاستئناف على هذا ان عدم وقوع ما توعدنا به لاينجينا من الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤدّيا اليه فان الانقلاب الى الموت الذى لا حاكم على الانسان بعده سوى الله امر كائن لامحالة باى سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شئ من اسبابه لكونه اضرّ من غيره كأنه قيل لاضرر علينا فى ذلك بالنسبة الى سائر اسباب الموت لانا مائتون لامحالة باى سبب كان فليمت بهذا السبب والمعنى الاوّل لاضرر علينا بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤدّيا الى الكرامة عند الله تعالى ﴿ قوله تعليل ثان لنفى الضير ﴾ هذا ظاهر على تقدير ان يكون خلاصة تعليل الاوّل انا منقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير فى بعضه بالنسبة الى الباقى واما على تقدير كون خلاصته انا الى كرامة ربنا منقلبون بذلك فالظاهر كونه تعليلا للعلة المتقدمة ﴿ قوله او على طريقة قول المدل بأمره ﴾ اى الواثق به فان ادل بالامر اذا وثق به واعتمد عليه ﴿ قوله

(فألقى السحرة ساجدين) لعلمهم بان مثله لايتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لاحقيقة له وان التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم بما خوّلهم من التوفيق (قالوا آمنا برب العالمين) بدل من ألقى بدل الاشتمال او حال باضمار قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وروح أآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم وقوله (لأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين) بيان له (قالوا لاضير) لاضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا منقلبون) بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا) لأن كنا (اوّل المؤمنين) من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بأمره ان احسنت اليك فلا تنس حقى

ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى أسر بهم حتى اذا
اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم
فأغرقهم (فأرسل فرعون) حين اخبر بسراهم (فى المدائن حاشرين) العساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) على ارادة القول وانما استقلهم
وكانوا ستمائة وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده اذ روى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها

ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون مايغيظنا (وانا لجميع حذرون) وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشار اوّلا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق مايدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به مايكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاوّل للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال

احب الصبى السوء من اجل امه *
وابغضه من بغضها وهو حادر *

او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم (فأخرجناهم) بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف (واورثناها بنى اسرآئيل فأتبعوهم) وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فلما ترآءى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان (قال اصحاب موسى انا لمدركون) لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم (ان معى ربى) بالحفظ والنصرة (سيهدين) طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال اين أمرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) القلزم او النيل (فانفلق) اى فضرب فانفلق
وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وأزلفنا) وقربنا
(ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم (وانجينا موسى ومن معه اجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا (ثم اغرقنا
الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك لآية) وأية آية (وما كان اكثرهم مؤمنين) وماتنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنو

من سرى ﴿ يعنى ان سرى واسرى لغتان بمعنى يقال سرى يسرى بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح واسرى ايضا اى سار ليلا روى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرآئيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى آمر الملائكة ان لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل اولاد القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف الخمير اى الذى لايختمر وكل شئ اعجلته عن ادراكه فهو فطير ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك امرى وموسى لايشعر به ﴿ قوله لفاعلون مايغيظنا ﴾ اى مايغضبنا يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والاوّل اشهر واكثر واختلف فى الفعل الذى غاظهم وضاقت به صدورهم فقيل ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فرادهم بالفعل الذى غاظهم ماأخذوه من العوارى وقيل المراد به خروجهم من عبودية فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد به مخالفتهم فى الدين وخروجهم عنه ﴿ قوله المؤدى فى السلاح ﴾ بالهمزة اسم فاعل من آدى الرجل اى قوى من جهة الاداة والسلاح ﴿ قوله بان خلقنا داعية الخروج ﴾ يعنى انهم وان خرجوا باختيارهم الا انه اسند الاخراج اليه تعالى اسنادا مجازيا من حيث انه تعالى خلق فى قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل وهو الخروج من جنات اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار جارية وكنوز اى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنوزا لان مالم يؤدّ منه حق الله تعالى كنز وان كان ظاهرا على وجه الارض وما يؤدّى منه حق الله تعالى ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين ويعنى بالمقام الكريم المنازل الحسنة من منازل الامراء والرؤساء التى تحدق بها الاتباع ﴿ قوله مثل ذلك الاخراج ﴾ يعنى ان محل الكاف اما النصب على انه صفة مصدر محذوف واما الجر على انه صفة مقام واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرأ العامة فأتبعوهم بقطع الهمزة من اتبعه بمعنى لحقه فالمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها على ان مشرقين حال اما من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول فى وقت شروق الشمس قائم بهم جميعا يقال شرقت الشمس شروقا اى طلعت وقيل حال اى اثرهم اى اتبعوهم حين طلوع الشمس ﴿ قوله وقرئ لمدّركون ﴾ اى بتشديد الدال وكسر الراء من الادّراك وهو التتابع فى الهلاك يقال ادّرك الشئ اذا تتابع بعضه بعضا فنى ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم فى الآخرة اى جهلوا علم الآخرة قبل الادراك والتتابع من الاسماء الغالبة فى الهلاك كالداهية والبيع والسعى والنكبة والقحط وقوله فانفلق عطف على محذوف والانفلاق والانشقاق اى فانشق البحر وتفرق اثنى عشر فرقا اى طريقا لكل سبط منهم طريق وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم كما قال تعالى كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل وعظمه لارتفاعه طولا نحو السماء ﴿ قوله وقربنا ﴾ وقيل جمعناهم ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وثمة ظرف مكان بعيد والمراد بذلك المكان حيث انفلق البحر والآخرين مفعول ازلفنا والمعنى قربناهم من بنى اسرآئيل او قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لاينجو منهم احد أو قدّمناهم الى البحر روى ان جبريل كان بين بنى اسرآئيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرآئيل ليلحق آخركم اوّلكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق آخركم اوّلكم وروى ان موسى قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكوّن لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا وهذا سحر عظيم من وجوه احدها انفلاق ذلك الماء وثانيها اجتماع ذلك الماء فرقا كل فرق كالجبل العظيم وثالثها انه ثبت فى الخبر انه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ماحيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل فيه عبور بنى اسرآئيل ورابعها ان الله تعالى جعل فى تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض وخامسها ان ابقى الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون ان يتخلصوا من البحر كتخلص موسى عليه الصلاة والسلام فجعل الله ذلك البحر طريقا يبسا لبنى اسرآئيل حتى خرجوا منه سالمين واغرق فرعون ومن معه فانه لما تكامل دخولهم فى البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا اجمعين ﴿ قوله وأية آية ﴾ يعنى ان التنكير فى قوله لآية للتعظيم والتفخيم وفيه تسلية النبى عليه الصلاة والسلام لانه قديغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقتدى بمن قبله من الانبياء فى الصبر على عناد قومه والانتظار لمجئ الفرج ﴿ قوله وبنو اسرآئيل بعدما نجوا ﴾ مبتدأ وسألوا خبره يعنى بعدما نجوا من الغرق ارتد اكثرهم وماداموا على الايمان يريد ان ضمير

(واتل عليهم) على مشركي العرب (نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة (قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين) فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل هنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة (اذ تدعون) عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم وبجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها (او ينفعونكم) على عبادتكم لها (او يضرون) من اعرض عنها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا (فانهم عدو لي) يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب (الا رب العالمين) استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله (الذى خلقنى فهو يهدين) لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين.

اكثرهم يعود الى من عاين هذه الآية العظيمة وأشاع امرها فيما بينهم سواء كان من القبط او من بني اسرائيل ويجوز ان يكون الضمير فيه راجعا الى القبط خاصة فانه روى انه لم يؤمن من اهل مصر غير امرأة فرعون وحزقيل من آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموسا التى دلت على عظام يوسف فان موسى عليه الصلاة والسلام لما اسرى ببني اسرائيل من مصر اراد ان يأخذ معه جسد يوسف فلم يجد من يعرف قبره سوى تلك المرأة ﴿ قوله سألهم ﴾ مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عبدة الاصنام فقال اى شئ تعبدون ليبين لهم على ضلالهم وكان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اى ينفقون العفو الا انهم اطالوا جوابهم بان زادوا قولهم نعبد ولم يقتصروا على زيادته بل زادوا ايضا قولهم فنظل لها عاكفين فانه كان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا نعبد اصناما ولم يقتصروا عليه بل عطفوا عليه فنظل لها عاكفين اظهارا لما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام والتبجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح يقال بجحه تبجيحا فتبجح اى فرحه ففرح ويقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملت بالنهار دون الليل والظاهر ان عبادتهم الاصنام لا تختص بالنهار فلذلك قالوا فنظل ههنا بمعنى ندوم ﴿ قوله يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون ﴾ يعنى ان حق يسمعون ان يتعدى الى مفعول واحد من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت كلامك وسمعت حديث زيد او يتعدى الى مفعولين اولهما من قبيل الجواهر العينية وثانيهما من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت زيدا يقرأ ولا يجوز سمعت زيدا ولا سمعت زيدا يقوم لان القيام ليس مما يسمع وقوله يسمعونكم من قبيل سمعت زيدا فلا بد ان يحمل على تقدير المضاف او على تقدير المفعول الثانى الذى يكون من قبيل المسموعات ﴿ قوله وبجيئه مضارعا ﴾ جواب عما يقال ان كلمة اذ ظرف لما مضى والزمان الماضى لا يكون ظرفا لما سيكون فالظاهر ان يقال هل سمعوا دعاءكم واسمعوكم الجواب اذ دعوتموهم وتقرير الجواب ان اصل الكلام ما قلتم الا انه عدل الى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناها استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا اذ دعوتموهم وتقرير الحجة التى ذكرها ابراهيم لابيه وقومه ان من عبد غيره لا بد ان يلتجئ اليه فى قضاء حاجته وان المعبود لا بد ان يكون عارفا مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له فى جلب منفعة او دفع مضرة فقال عليه الصلاة والسلام لهم اذا كان الذى تعبدونه ساقطا عن هذه المرتبة بالكلية كيف تعبدونه فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه ما يدفعون به حجته فتمسكوا بالتقليد فقالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اى وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على ان كذلك منصوب بيفعلون ويفعلون مفعول ثان لوجدنا ولما كان خلاصة جوابهم انا وافقنا آباءنا فيما ثبت بطلانه بما اتيته من الحجة قال لهم ابراهيم أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان الباطل لا ينقلب حقا بكثرة فاعليه وكونه دأبا قديما ثم انه عليه الصلاة والسلام ترقى فى تخطئتهم فقال ان ما كنتم تعبدون اعداء لعابديهم فضلا عن ان ينفعوهم او يضروهم فانهم يتبرأون من عبدتهم ويعادونهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴿ قوله من حيث انهم يتضررون من جهتهم ﴾ جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لا تتصور العداوة منها يعنى انها شبهت بالعدو من حيث كونها سببا للحوق المضرة بهم فسميت عدوا على سبيل الاستعارة وتقرير الجواب الثانى انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عداوتها اعدى عدو الانسان وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند وصف السبب الحامل الى مسببه ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير انهم وهو ما كان قومه يعبدون والمعنى لكن رب العالمين الذى شأنه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الغير الصريح لقوله يهدين ليعم كل ما هداه الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه بقوله لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد وقوله الذى خلقنى يحتمل ان يكون فى محل الرفع على الابتداء فحينئذ يكون مبتدأ ثانيا ويهدين خبره والجملة خبر الاول دخلت الفاء فى خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقوله والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ لا يخلو عن بعد لان المقصود هنا معين ليس بعام كما فى قولك الذى يأتينى فله درهم لان الصلة ليست مما يحتمل صدوره من المتعدد فلا تشبه الشرط فالظاهر ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ تكون زيادة الفاء فى خبره مبنية على ما ذهب اليه الاخفش من جواز زيادة الفاء فى الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون فى محل النصب على انه صفة

رب العالمين فتكون الفاء لعطف الجملة لاسمية على خلقني لتدل على ان هداية الله الى كل ما يحتاج اليه في امر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدد والاستمرار من حين ان خلقه الله فنفخ فيه الروح الى ابد الآباد والاصل هداه الى ان تغدى بالدم في بطن امه امتصاصا ومن هداه الى خروجه منها بانكسار رأسه والى معرفة الثدي عند الارتضاع والى معرفة البكاء عند الحاجة الى الغذآء او عند حدوث الالام والادوآء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ﴿قوله فيكون اختلاف النظم﴾ يعني قال خلقني بلفظ الماضي لان خلقه قد وقع على وجه لايتجدد في الدنيا بل لما وقع بقي الى الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدد كل حين ﴿قوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين﴾ اضاف الاطعام الى ولي الانعام لان الركون الى الاسباب مادة الانعام وليس الاطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما اياه بل يدخل فيهما اعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام حاله في الدنيا ونبه بذكرهما على ماعداهما قيل تقديم كلمة هو في هذه الصلات دليل على انه لايهدي ولايطعم ولايسقي ولايمرض ولايشفي الا الله وحده وذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان والاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فأعلم ابراهيم ان المؤثر في جميع ذلك ليس الا رب العالمين ﴿قوله ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب﴾ فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة وعليه بنى الشاعر قوله

عدوك من صديقك مستفاد	فلا تستكثرن من الصحاب
فان الدآء اكثر ما تراه	يكون من الطعام او الشراب

وقالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب انقطاع آجالكم لقالوا التخم وفي الحكمة ليس البطنة خير من خمصة تتبعها ﴿قوله وانما لم ينسب المرض اليه﴾ ولم يقل واذا امرضني مع ان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لاجرم لم يضفه اليه تعالى * ولما ورد على هذا الجواب ان يقال الاماتة اشد من المرض وقد اسندها عليه الصلاة والسلام اليه تعالى حيث قال والذي يميتني ثم يحيين * اجاب عنه بأنا لانسلم انها اشد من المرض بل ليس فيها ضرر اصلا لان الضرر ما يتأذى الانسان باحساسه وحال حصول الموت لايقع الاحساس به وانما الضرر في مقدماته وهي عين المرض ثم ترقى في الجواب وقال بقاء النفوس الزكية والارواح المطهرة الكاملة في العلوم والاخلاق المرضية في هذه الاجساد ضرر في حقهم فخلاصهم منها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة في حقهم فلذلك اضافه اليه تعالى ﴿قوله ولان المرض﴾ عطف على قوله لان مقصوده تعديد النعم اي لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه في غالب الامر يحدث بتقصير الانسان ولما كان للانسان مدخلية ظاهرة في حدوث المرض نسب اليه وان كان الكل من عند الله وايضا لما كان حدوث المرض باستيلاء بعض الاخلاط على بعض من حيث انها كانت مكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافر طبعا وذلك التنافر يستدعي استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعي وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر اخلاطه فلذلك اسند اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال النوعي وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليهما بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر يقهرها عليهما من حيث انها بطباعها مائلة الى التفرق واستيلاء بعضها على بعض والسبب القاهر هو الله فلذلك اسند الصحة والشفاء اليه واسند المرض الى العبد ﴿قوله قهرا﴾ منصوب على المصدرية لقوله باستحفاظ لانه نوع من الحفظ والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو طاف واستطاف ﴿قوله كمالا في العلم والعمل﴾ اي زيادة على ما اعطيتني من الحكمة وهي العلم الذي يفضي الى العمل بمقتضاه فان من يعلم شيأ ولايأتي بما يناسب علمه لايقال له حكيم ﴿قوله وحسن صيت﴾ الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح عبر عن الثناء الحسن والقبول العام في الامم التي تجيء بعده الى يوم القيامة باللسان لكون اللسان سببا في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد الى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضى الله ومحبته للعبد فانه تعالى اذا احب عبدا ألقى محبته الى اهل السموات والارض فتحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر

فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرا
الهداية وقوله (والذي هو يطعمني ويسقين)
على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلا
ماقبله عليه وكذا الثاني بعده وتكرير
الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل
واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحك
(واذا مرضت فهو يشفين) عطف على
يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث
ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان
المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض
اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض
باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث ان
لايحس به لاضرر فيه انما الضرر في مقدمات
وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة
الى نيل الحياة التي يستحقر دونها الحيا
الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلي
ولان المرض في غالب الامر انما يحدث
بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشار
وبما بين الاخلاط والاركان من التنا
والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ
اجتماعها والاعتدال المخصوص عليه
قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم (والذ
يميتني ثم يحيين) في الآخرة (والذي اطم
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ذكر ذلك
هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي
ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر له
ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه
من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلا
اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي
ضعيف لانها معاريض وليست خطا
(رب هب لي حكما) كمالا في العلم والعمل
استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق
(وألحقني بالصالحين) ووفقني للكمال
في العمل لانتظم به في عداد الكاملين
في الصلاح الذين لايشوب صلاحهم كبير
ذنب ولا صغيره (واجعل لي لسان صدق
في الآخرين) جاها وحسن صيت في الدنيا
يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك مامن امة
الا وهم محبون له مثنون عليه

والمذكور في الموافقة ﴿ قوله او صادقا من ذريتي ﴾ فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فتكون الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سأخبركم باوّل امرى انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام ﴿ قوله وقد مرّ معنى الوراثة فيها ﴾ وهو ان تشبه الجنة التى استحقها العامل بعمله بعد فناء عمله بالميراث الذى استحقه الوارث بعد فناء مورثه فيطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث ﴿ قوله واغفر لابى بالهداية والتوفيق للايمان ﴾ فانه يجوز الاستغفار للاحياء من المشركين لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لأحيائهم كناية عن طلب توفيقهم للايمان والذى لايجوز هذا الاستغفار لهم هو من تبين انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وان كان هذا الاستغفار منه بعد موت ابيه كان لظنه انه قد آمن باطنا وان كان على دين نمرود ظاهرا خوفا منه ولظنه هذا قد وعد اباه ان يستغفر له ملعله حيث قال لأستغفرنّ لك وان جاز ان يكون معناه لأطلبنّ مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ولاوجه لان يقال قوله ولذلك وعده به معناه ان اباه وعد ابراهيم بالايمان لانه روى ان اباه وعده به يوم فارقه الا انه لايناسب هذا المقام • قال الامام ان اباه قال له انه كان على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له بالمغفرة لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال فى دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه فى الحال ليس بضال لما قال ذلك انتهى وحاصله انه دعا لابيه حال حياته بالمغفرة على اعتقاد انه مؤمن باطنا وان قوله انه كان من الضالين معناه انه كان فيما مضى من المشركين وعلى تقدير كون معنى الاستغفار لابيه طلب توفيقه للايمان يكون معنى قوله انه كان من الضالين انه من المشركين فى الحال كما فى قوله كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فان كان فيه زائدة لتأكيد والمعنى من هو صبى فى الحال ﴿ قوله ولاتخزنى بمعاتبتى على مافرطت ﴾ حمل دعاءه عليه الصلاة والسلام بترك الاخزاء على الدعاء بترك المعاتبة على ماوقع منه مما هو من قبيل ترك الاولى كما هو المراد من الخطيئة فى قوله أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين بخلاف مالو حمل على ترك المعاتبة فان مغفرة الخطيئة لاتستلزم ترك المعاتبة فلذلك اورد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة ثم جوّز ان يكون المراد منه الدعاء بترك تعذيبه بناء على ان قوله اطمع ان يغفر لى مبنى على الدلائل الدالة على كون الانبياء معصومين مأمونين من سوء العاقبة وان دعاءه بترك تعذيبه يوم البعث مبنى على انه لايجب على الله تعالى لأحد شئ وانه يحسن منه كل شئ ولا اعتراض لأحد عليه فى شئ من افعاله فتكون العاقبة مخفية من هذا الوجه مع جواز التعذيب لان حسنات الابرار سيئات المقربين فكما ان درجات الابرار دركات المقربين فخزى كل واحد بمايليق به • الجوهرى خزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزى ايضا يخزى خزاية اى استحيى وتعجل فهو خزيان وهى خزيا وهم خزايا ﴿ قوله اى لاينفعان احدا الا مخلصا ﴾ على ان يكون مفعول لاينفع محذوفا وهو قوله احدا وتكون من نكرة موصوفة فى محل النصب على انها بدل من المفعول المحذوف او على الاستثناء المتصل منه ﴿ قوله او لاينفعان الامال من هذا شأنه ﴾ على ان يكون الامن اتى الله بدلا من فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من اتى ﴿ قوله اى لاينفع غنى الاغنياء ﴾ فان المال والبنين لكونهما من اسباب الغنى يمكن ان يراد بهما معنى الغنى مجازا مرسلا ثم يستثنى من جنس الغنى غنى من اتى الله بقلب سليم بناء على ادخال سلامة القلب فى جنس الغنى لاشتراكهما فى التأدية الى سعة الحال وقطع الاحتياج لانه من سلم قلبه من الشرك والمعاصى والاخلاق الذميمة يكون قلبه منوّرا بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله وكفالته فلا يحتاج الى احد سواه ويؤيده ماروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمنا اىّ المال خيرا لاتخذناه فقال عليه الصلاة والسلام • افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه • وقوله يوم لاينفع بدل من يوم يبعثون وقوله وازلفت الجنة عطف على قوله يبعثون كما ان قوله وبرزت الجحيم وقوله وقيل لهم اى وقيل للغاوين على جهة التقريع والتوبيخ اين آلهتكم التى كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون ويمتنعون عنه بانفسهم وباب افتعل هنا مطاوع فعل ثم يرميهم فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اى الالهة والغاوون ﴿ قوله تكرير الكب ﴾ اى تكرير عينه ونقله الى باب

او صادقا من ذريتى يجدّد اصل دينى ويدعو الناس الى ماكنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) فى الآخرة وقد مرّ معنى الوراثة فيها (واغفر لابى) بالهداية والتوفيق للايمان (انه كان من الضالين) طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفى الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار (ولاتخزنى) بمعاتبتى على مافرطت او بنقص رتبتى عن رتبة بعض الورّاث او بتعذيبى لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدى او ببعثه فى عداد الضالين وهو من الخزى بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) الضمير للعباد لانهم معلومون او الضالين (يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى لاينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصى وسائر آفاته او لاينفعان الامال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البرّ وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لاينفع غنى الاغنياء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه (وازلفت الجنة للمتقين) بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها (وبرّزت الجحيم للغاوين) فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (وقيل لهم اين ماكنتم تعبدون من دون الله) اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (او ينتصرون) بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (فكبكبوا فيها هم والغاوون) اى الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من ألقى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها

(قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين) على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله (اذ نسويكم برب العالمين) اي في استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها (وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين) كالمؤمنين من الملائكة والانبياء (ولا صديق حميم) اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل (فلو ان لنا كرة) تمنٍّ للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه (فنكون من المؤمنين) جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون (ان في ذلك) اي فيما ذكر من قصة ابرهيم (لآية) لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال شفقته عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول (وما كان اكثرهم) اكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم اخوهم نوح) لانه كان منهم (ألا تتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (اني لكم رسول امين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله (وما اسألكم عليه) على ما انا عليه من الدعاء والنصح (من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرئ وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك (قال وما علمي بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربي) ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون (وما انا بطارد المؤمنين) جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان انا الا نذير مبين) كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا علي ان اطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين او المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومي كذبون) اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بيني وبينهم فتحا) فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة (ونجني ومن معي من المؤمنين) من قصدهم او شؤم عملهم (فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون) المملوء (ثم اغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم

التفعيل لتكثير الفعل والكب الطرح والالقاء منكوسا يقال كببت الاناء اكبه كبا اذا قلبته فاصل كبكبوا كببوا فاستثقل اجتماع الباءات فابدلت الثانية كافا كما في زحزح من زحه يزحه اي نحاه عن موضعه ثم نقل الى باب التفعيل لتكثير الفعل فقيل زححه فابدلت الحاء الثانية زايا فقيل زحزحه اي باعده جعل التكرير في لفظ كبكب دليلا على التكرير في معناه كأنه اذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يبلغ قعرها ﴿قوله اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده﴾ فيكون الضمير الذي في قوله قالوا وهم فيها يختصمون للجنود ايضا اي يختصم الرؤساء منهم والاتباع ويجادل بعضهم بعضا بنحو ما ذكر في قوله تعالى فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى آخر الآية ﴿قوله او للضمير﴾ اي وان لم يجعل قوله وجنود ابليس مبتدأ يكون اجمعون تأكيدا لضمير كبكبوا وما عطف عليه من الغاوين والجنود ﴿قوله وكذا الضمير المتصل﴾ اي وكذا يكون الضمير المتصل في قوله قالوا وهم فيها وما يعود اليه في قوله يختصمون راجعا الى ضمير كبكبوا وما عطف عليه حينئذ اي على تقدير ان لا يكون الجنود مبتدأ لان الاختصام يكون بين هؤلاء المذكورين من الاصنام والعبدة والجنود اي شياطين ابليس وهم ذريته الذين اضلوا بني آدم يجادل بعضهم بعضا بان ينطق الله الاصنام فتخاصم العبدة ﴿قوله ويؤيده﴾ اي ويؤيد كون التخاصم بين العبدة والمعبودين بان يرجع الضمير وما يعود اليه الى ضمير كبكبوا وما عطف عليه خطاب المعبودين في قوله نسويكم وضمير قالوا العبدة ﴿قوله ويجوز ان تكون الضمائر﴾ اي الضمير المتصل وما يعود اليه للعبدة كضمير قالوا ويكون التخاصم لبعض العبدة مع بعض ويكون خطاب الجمادات في قوله اذ نسويكم على وجه الندامة والتحسر من غير ان يحييها الله وينطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف بالانهماك في الضلال عن الهدى يقولون وما اضلنا الا المجرمون اي الشياطين وقيل اي الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل كل من دعانا الى عبادة الاصنام من الجن والانس قال تعالى حكاية عنهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ﴿قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين﴾ ظرف للاستقرار الذي تعلق به كلمة في في قوله لفي ضلال وقوله او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم الفرق بين الاوجه الثلاثة ان المنفي في الوجه الاول مطلق الشفيع والصديق وفي الثاني شفاعة اشخاص معدودين مخصوصين وصداقتهم ممن عدوهم شفعاء واصدقاء وفي الثالث ما نفوا نفس الاصدقاء والشفعاء ولا شفاعتهم وصداقتهم وانما نفوا نفعهما على سبيل الكناية من حيث ان ما لا نفع له في حكم المعدوم ﴿قوله كالحنين﴾ مصدر حن اليه يحن حنينا اي اشتاق اليه فالحنين هو الشوق وتوقان النفس والصهيل صوت الفرس يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا ﴿قوله لتلاقيهما في معنى التقدير﴾ اي تقدير المعدوم وفرضه فان معنى ليت لي مالا تقدير المعدوم كما ان المعنى في قولك لو كان كذا لكان كذا تقدير المعدوم الا انه في التمني مقرون بالطلب وفي لو ليس كذلك ويدل على ان كلمة لو هنا للتمني انه نصب جوابه مع الفاء ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ولو وجدنا شفعاء واصدقاء وعلى هذا يكون نصب قوله فنكون بان مضمرة عطفا على كرة كقوله للبس عباءة وتقر عيني ﴿قوله تعالى واتبعك الارذلون﴾ جملة حالية من كاف لك باضمار قد والرذالة الخساسة والدناءة وانما استرذلوهم لقلة جاههم ومالهم ﴿قوله وايمانهم﴾ معطوف على اتباعهم ودليلا معطوف على مانعا اي وجعلوا اتباع المقلين دليلا على بطلان ما يدعوهم نوح اليه ﴿قوله وما علي﴾ الظاهر ان ما فيه استفهامية في محل الرفع على الابتداء وعلي خبره ويجوز ان تكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقديرين وعلى الثاني لا بد من اضمار الخبر ليتم الكلام ﴿قوله اظهارا لما يدعو عليهم لاجله﴾ يعني ان قوله رب ان قومي كذبون ليس لاخبار نوح الله تعالى بمضمون هذا الخبر ولا اعلاما بكونه عالما بمضمونه لعلمه انه تعالى عالم الغيب والشهادة ولكن اراد به اني لا ادعو عليهم لاجل تخويفهم اياي بالرجم واستخفافهم اياي بقولهم واتبعك الارذلون وانما ادعو عليهم لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاقض واحكم بيني وبينهم قضاء وحكما من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي به لفتحه المنغلق من الامر كما سمي فيصلا لفصله بين الخصومات واراد به الحكم بانزال العقوبة لقوله عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى وقوله تعبثون جملة حالية من فاعل تبنون والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهي في اللغة المكان المرتفع وكانوا يبنون في المواضع المرتفعة من الطريق اعلاما

تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده من عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين من المطامع الدنية والاغراض الدنيوية (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسوط او سيف (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء (واطيعون) فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم (واتقوا الذي امدكم بما تعلمون) كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال (امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) ثم اوعدهم فقال (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيي ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى طلع اناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار (وتنحتون

طول الابنية المارة بها في اسفارهم مع ان هودا عبثا لاستغنائهم عنها بالنجوم ﴿قوله مآخذ الماء﴾ يعني الحياض واحدها مصنعة ولعل هنا على بابها والمعنى وتتخذونها راجين الخلود وقيل معناها التشبيه اي كأنكم تخلدون اي تبقون فيها خالدين ويؤيده ما في مصحف ابي كأنكم تخلدون بضم التاء مخففة ومشددة وبخهم اولا باضاعتهم المال عبثا بلا فائدة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على طول الامل والغفلة اي تحصنونها تحصين من يؤمل الخلود فيها ﴿قوله غاشمين﴾ اي ظالمين من الغشم وهو الظلم والبطش السطوة والاخذ بعنف قال ابن عباس اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف وقتلتم على الجبارين كان ذلك ظلما وعلوا بلا رأفة ولا داعية حكمة والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب ﴿قوله وتغيير شق النفي﴾ يعني ان المقابلة تقتضي ان يقال ام لم تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ والنهي ومباشرته اصلا بمنزلة ان يقال سواء علينا اوعظت ام كنت حجرا صلدا ولا شك انه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال اوعظت ام لم تعظ ولقائل ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لو لم يكن قوله هو من الواعظين ابلغ من قولنا هو واعظ لكنه ابلغ منه ولهذا قالوا ان قول الزمخشري في خطبة المفصل الحمد لله على ان جعلني من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلني عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه بان المقابلة بين قوله وعظت وقوله ام لم تكن من الواعظين تأبى الحمل على الكمال وتوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من الواعظين اي من اهله ومباشريه اصلا ﴿قوله وقرأ نافع﴾ اي وقرأ الباقون وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام وهو اما بمعنى الاختلاق والكذب كما يقال خلق الافك واختلقه اي افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا او بمعنى الخلقة والتكوين فعلى الاول يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود عليه الصلاة والسلام وعلى الثاني يكون اشارة الى خلقة القائلين والخلق بضمتين وبواحدة العادة فعلى هذه القراءة يجوز ان يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود وان يكون اشارة الى ما هم عليه من الدين او من الحياة والموت ﴿قوله انكار لان يتركوا كذلك﴾ والمعنى أتظنون انكم تتركون في الذي استقر في هذا المكان من النعيم وان لا دار للمجازاة والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثاني تكون الهمزة لتقرير تخلية الله تعالى اياهم في اسباب تنعمهم آمنين بطريق الامتنان عليهم وعد النعمة ﴿قوله ثم فسره﴾ يعني ان قوله فيما ههنا مجمل فصله بقوله في جنات وعيون وزروع كما ان قوله امدكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدكم بانعام وبنين وجنات الخ ﴿قوله لطيف لين﴾ فيكون من الهضم بفتحتين وهو الرقة والهزال قال الجوهري الهضم بالتحريك انضمام الجنبين وهو في الفرس عيب يقال لا يسبق اهضم من غاية بعيدة ابدا وكون طلع النخل هضيما قد يكون للطف الثمرة وقد يكون النخل انثى فان طلع البرني ألطف من طلع اللون والبرني اجود التمر واللون الدقل وهو اردأ التمر واهل المدينة يسمون ما عدا البرني والعجوة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون هضيما بل يكون غليظا صلبا ثم فسر الطلع بقوله وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ ويقال له شمروخ ايضا كالعثكال والعثكول النهاية العثكال العذق فكل غصن من اغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من التمر بمنزلة العنقود والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذي فيه شماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زائدتان فاذا قطع منه الشماريخ يعوج ويبقى على النخل يابسا شبهه الله تعالى به القمر في ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كلا واحد منهما مقوس ﴿قوله او متدل منكسر﴾ عطف على قوله لطيف لين فيكون هضيم من الهضم بمعنى الكسر يقال هضمت الشيء اذا كسرته وهضمه حقه والمتدلي المتسفل والمتنزل عن موضعه اي متدل من الثمرة ﴿قوله وافراد النخل﴾ اي بالذكر مع ان اسم الجنة يتناول النخل وغيره بقصد انه في البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر النبات حتى كأنه ليس من جنس ما يدل عليه اسم الجنة تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات او لان المراد بالجنات ما عدا النخل لان اسم الجنة يصح ان يطلق على ما يشتمل على جميع اشجار البساتين وعلى ما يشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا ما يشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة البعض ﴿قوله بطرين او حاذقين﴾ قال ابو عبيدة فرهين وفارهين يقال هما بمعنى مرحين بطرين اشرين وفرق الجوهري بينهما وقال الفاره الحاذق بالشيء من فره بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر فمن قرأ بيوتا فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم * قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات

(فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين) استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا (الذين يفسدون في الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما انت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوى السحر وهى الرئة اى من الاناسى فيكون (ما انت الا بشر مثلنا) تأكيدا له (فأت بآية ان كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه ناقة) اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها (لها شرب) نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) اى العذاب الموعود (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) اى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لاجل استمتاعكم (من ازواجكم) لبيان ما خلق ان اريد به جنس الاناث او التبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا (بل انتم قوم عادون) متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال (قال انى لعملكم من القالين) من المبغضين غاية البغض

يدل على ان الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهو طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة انتهى كلامه فقال صالح عليه الصلاة والسلام لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ وتنحتون ثم قال فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون ويحتمل ان يقوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها ﴿ قوله استعير الطاعة ﴾ ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للآمر كما ان الامتثال يكون للامر يقال اطيعوا الله وامتثلوا أمره فلما قيل في هذه الآية ولا تطيعوا امر المسرفين تعين المصير الى المجاز وذلك اما بان يشبه الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يفضي الى وجود المأمور به فاطلق اسم المشبه به وهو الطاعة واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله ولا تطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى ولا تمتثلوا امرهم واما بان يحمل الكلام على الاسناد المجازي فان حق الطاعة ان تنسب وتعلق بالآمر فنسبت الى امره وجعل الامر مطاعا والمراد الآمر للملابسة بينهما ﴿ قوله وصف موضح لاسرافهم ﴾ حيث يتعين به ان المراد بالاسراف اسرافهم على انفسهم بالتمرد على الله تعالى فيدخل في المسرفين كل من افسد في الارض بالكفر والظلم ولا يصلح بالايمان والعدل من التسعة رهط الذين عقروا الناقة وغيرهم ﴿ قوله الذين سحروا كثيرا ﴾ على ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرة بعد اخرى وعلى الثاني يكون بناء التفعيل للنسبة الى السحر بفتح السين ﴿ قوله كما اقترحوها ﴾ متعلق بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا مثلها فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم * عن ابى موسى الاشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال فاذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم في اليوم الثاني لا تشرب هى فيه والثاني قوله ولا تمسوها بسوء ثم ان مصلعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار في عرقوبها ﴿ قوله لان عاقرها انما عقرها برضاهم ﴾ روى ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم ﴿ قوله أتأتون من بين من عداكم ﴾ على هذا الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل أتأتون انكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من بين جملة العالمين اى الناكحين وعلى الثاني يكون حالا من الذكران انكر عليهم اختيارهم الذكران من بين جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم ﴿ قوله فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ﴾ فتكون الآية دليلا على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات ﴿ قوله او احقاء بان توصفوا بالعدوان ﴾ العدو الظلم يقال عدا عليه وتعدى عليه واعتدى عليه كله بمعنى وعلى هذا الوجه لا ينظر الى متعلق العدوان اصلا فوجه الاضراب على هذا انه يجعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله أتأتون هذه الجريمة ثم اضرب عنه الى ما هو ابلغ في التوبيخ فقال بل انتم بارتكابها قوم عادون اى احقاء بان توصفوا بالعدوان بارتكابها كأنه قيل بل هى معظم الجرائم والمعاصي ولا يستحق المرء لان يوصف بالعدوان الا بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون تعلق عادون بالمعمول مرادا كانه قال لهم بعد توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون عن حد شهوة الناس بل الحيوانات او متجاوزون الحد في ارتكاب جميع المعاصي وهذا الاتيان من جملة تعديكم وافراطكم وهو كالايضاح لما قبله ﴿ قوله ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف ﴾ يعنى انهم لم يقولوا لنخرجنك بل قالوا لتكونن من المخرجين بلام العهد للمبالغة في الوعيد وللاشارة الى انهم يفعلون به من الاخراج على الحالة السيئة ما فعلوا بغيره ولا يبالون مع هذا الاحتمال ان تكون اللام لجنس المخرجين فتكون اشارة الى انهم اخرجوا كثيرا من الناس وهم قادرون على اخراجه ايضا قال المصنف ولعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله تعالى عن فرعون قوله لأجعلنك من المسجونين ﴿ قوله من المبغضين ﴾ يعنى ان قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله من القالين متعلق بمحذوف اى لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قال خبر قوله وانى ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل قوله من القالين خبرا لزم عمل القالين في عملكم فيفضى الى تقديم الصلة على الموصول قال ابو البقاء اى لقال من القالين في صفة الخبر متعلقة بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة اذ لو جعلت من القالين الخبر لأعملته في لعملكم ﴿ قوله

لاتف من الانكار عليه بالابعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جلتهم (رب نجنى واهلى مما يعملون) اى من شؤمه وعذابه (فنجيناه واهله اجمعين) اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) مقدرة فى الباقين فى العذاب اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج مع لوط (ثم دمرنا الآخرين) اهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الأيكة المرسلين) الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ (انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق (قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا) أتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال ربى اعلم بما تعملون) وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين والمراد نزول العذاب (وغيرهم) على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم

لا تف من الانكار عليه بالابعاد ﴾ كأنه قيل كيف اتهى من نهيكم وتشنيع امركم وانى لعملكم من القالين وقيل فى وجه كونه جوابا من ايعادهم اياه بالاخراج ان معناه كيف توعدوننى بالاخراج من بينكم وانى لعملكم الذى تعملونه من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية عملكم الذى تعملونه فيكون فى اخراجى ايصال الراحة الىّ ولولا امر الله تعالى اياى بالمقام فيكم لادعوكم الى الحق لما كنت اقيم بينكم لشدة بغضى عملكم ﴿ قوله مقدرة فى الباقين فى العذاب ﴾ يعنى ان فى الغابرين صفة لقوله عجوزا وان المراد بالغابرين الباقين فى العذاب ولما كان ظاهر النظم دالا على ان العجوز موصوفة بكونها باقية فى العذاب وقت تنجية لوط واهله وليس كذلك لكونها من الآخرين الذين دمرهم الله بعد تنجية الناجين بحكم كلمة ثم فى قوله تعالى ثم دمرنا الآخرين ذكر ان ليس معنى الكلام الا عجوزا غابرة اى باقية فى العذاب بل المعنى الا عجوزا مقدرا غبورها فى العذاب الشديد اذ كانت مع الخارجين من القرية المؤتفكة بالامطار عليهم فانها خرجت من بين القوم مع لوط كسائر اهله فصارت من شذاذ القوم فاهلكت بما اهلك الله به الشذاذ وهو صفة لها عند وقت التنجية ثم نقل توجيها آخر وهو ان يكون المعنى الا عجوزا غابرة فى القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التنجية ﴿ قوله على شذاذ القوم ﴾ اى على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بالائتفاك بدليل دمرنا عليهم والخسف بهم فيكون المعنى ان الله دمر قوم لوط بعذابين الائتفاك والامطار دمر من كان فى بلدهم بالائتفاك ومن كان خارجا عنها بالامطار قال الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل يقال ائتفكت البلاد باهلها اذا انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد التى قلبها الله على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها منقلبات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة ﴿ قوله الايكة غيضة ﴾ اى موضع يغيض فيه الماء ولا يسيل منه الى المواضع الغائرة فينبت فيه الشجر ﴿ قوله وقرئت كذلك مفتوحة ﴾ اى قرئ اصحاب ليكة بفتح التاء على ان ليكة غير منصرف للعلمية والتأنيث فلذلك فتحت فى موضع الجر ومن قرأ اصحاب ليكة بالجر قال اصله اصحاب الايكة على ان ايكة اسم جنس عرف بلام التعريف ثم حذفت الهمزة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت الساكنين واستغنى عن الف الوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الجر كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبته فى الخط على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلا يجوز حينئذ الا الجر بالاضافة كما لا يجوز فى الايكة الا الجر ﴿ قوله وكان اجنبيا منهم ﴾ اى وكان اجنبيا فى النسب فلذلك قال الله تعالى فى آية اخرى والى مدين اخاهم شعيبا ثم انه عليه الصلاة والسلام كانهم مأمور امرهم اولا بايفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف فى الكيل والوزن حيث قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اى من الناقصين له يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته اى نقصته ثم نهى عن نقص حق المستحقين باى طريق كان كنقص العدد والوزن ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرف بغير اذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا انقصته اياه ﴿ قوله ففعلاس بتكرير العين ﴾ الظاهر ان يقال فعلاس لان التكرير يقتضى ان يوزن المكرر بلفظ ما قابله ثم نهاهم عن الفساد شئ ما خالفه الله تعالى وصوره بقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقال عثا فى الارض يعثو اى افسد وكذلك عثى بالكسر يعثى واعقبه بقوله مفسدين لان افساد الصورة او الخلقة وان غلب فى الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الهدم المتعدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ﴿ قوله وذوى الجبلة ﴾ على ان الجبلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق بها الخلق فلا بد من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهى القطعة كسدر وسدر فى جمع سدرة فقال عليه الصلاة والسلام فى جوابهم ربى اعلم بما تعملون يريد انه اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب المنزل عليكم فى وقته المقدر لكم ﴿ قوله على نحو ما اقترحوا ﴾ بقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء هذا على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء السحاب لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعدما حبس عنهم الريح واستولى عليهم الحر الشديد سبعة ايام فأخذ بانفاسهم بحيث لا ينفعهم ظل ولا ماء فاظلتهم السحابة ووجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فأحرقتهم واما على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء المظلة فحينئذ يكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه ﴿ قوله والمراد نزول العذاب على تكذيب الامم الخ ﴾ جواب عما يقال لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط

وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وعما يقال ان الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ماقال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلى المؤمنون بانواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء القوم دليلا على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك ثم انه تعالى لما ذكر قصص الانبياء لرسوله صلى الله عليه وسلم اتبعه بذكر مايدل على نبوته فقال وانه اى وان القرآن وما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين اى المنزل على ان التنزيل بمعنى المنزل او لهو تنزيل على حذف المضاف وجاز عود ضميره الى القرآن وان لم يجر له ذكر لعلم به والقرآن المنزل لما كان مشتملا على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقريرا لحقية تلك القصص والباء فى به على القراءتين للتعدية او للملابسة فعلى الاول تتعلق بنزل وعلى الثانى تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك ولتكون متعلقان بنزل ويجوز ان يتعلقا بتنزيل والمعنى وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح الامين الا ان هذه الجملة اعتراضية جيئ بها للتأكيد فلم تكن اجنبية وان مثل هذا مغتفر فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وسمى جبريل روحا لكونه سببا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث ان الوحى الذى فيه الحياة من موت الجهالة يجرى على يده وقيل سمى روحا لانه روح وليس بجسم فيه روح وسمى امينا لانه مؤتمن على مايؤديه الى الانبياء ﴿ قوله والقلب ان اراد به الروح فذاك ﴾ اذ القرآن الملتبس بكسوة الحروف والالفاظ انما نزل على روح رسول الله لا على مجرد الجسد اذ ليس للجسد حظ من ادراك المعانى الروحانية والقلب وسائر الاعضاء والحواس آلات الادراك والمكاسب والمطالب والمدرك انما هو الروح لا الاعضاء والآلات الا انه يجوز ان يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلاقه فحينئذ يكون جعل القرآن نازلا على قلبه مع انه نزل عليه لا على عضوه مبنيا على كون القلب موضعا لقوة العقل والفهم فان الروح انما تدرك بتلك القوة المودعة فى القلب فلاجرم تنتقل المعانى الروحانية النازلة على الروح الى القلب لما بينهما من التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوة العقل والفهم هو الدماغ لا القلب استدلالا بان طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبان الحواس التى هى آلات الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المصنف الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التى يستعين بها الروح فى ادراك المعانى فلذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب وظهور آثاره فالقرآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به كساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله الى جبريل وجعله امينا عليه لئلا يتصرف فى حقائقه ثم نزل به كما هو على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعرفه ويتحلق بخلقه ويتنور بانواره ويتحلى بحقائقه ومعه وتمكن من تفهيمه لغيره فهو عليه افضل الصلاة والسلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من سائر الانبياء فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح والصحائف جملة واحدة فهى منزلة على صورهم وظاهرهم لا على قلوبهم ﴿ قوله فهو متعلق بنزل ﴾ فيكون صريحا فى ان القرآن انما انزل عليه عربيا كما فى آية اخرى انا انزلناه قرآنا عربيا لا كما زعمت الباطنية من انه تعالى انزله على قلبه عليه افضل الصلاة والسلام غير موصوف بلغة ولسان ثم انه عليه افضل الصلاة والسلام اداه بلسان العرب المبين من غير ان انزل كذلك ﴿ قوله وان ذكره ﴾ لما كان ظاهر النظم يدل على ان عين القرآن العربى المبين مثبت فى سائر الكتب السماوية وظاهر انه ليس كذلك لان هذا فاسد مخالف للنص والاجماع احتيج الى تقدير المضاف اى ان ذكر القرآن وانزاله على النبى عليه افضل الصلاة والسلام المبعوث فى آخر الزمان او ان اصل معانيه مثبت فى كتبهم على معنى انه تعالى اخبر فى كتبهم عن القرآن وانزاله فى آخر الزمان او انه تعالى بين اصول معانيه فى كتبهم لان جميع مافيه من الاحكام والامثال مثبت فيها وبه احتج ابو حنيفة فى جواز القرآن بالفارسية فى الصلاة وهذا كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقال مقاتل تقدير الآية وان محمدا عليه افضل الصلاة والسلام ونعته وذكره لفى كتب الاولين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ﴿ قوله وهو تقرير لكونه دليلا ﴾ يعنى ان الاستفهام فى أولم يكن استفهام تقرير يعنى قد كان علم علماء بنى اسرآئيل به آية اى علامة دالة على صحة نبوته لهؤلاء المنكرين نبوته فانه قد روى

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الرو[ح]
الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صل[ى]
الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلم
لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب
ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنز[ل]
اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدما[غ]
فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامي[ن]
جبرائيل فانه امين الله على وحيه وقر[أ]
ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشد[يد]
الزاى ونصب الروح والامين (لتكو[ن]
من المنذرين) عما يؤدى الى عذاب من فعـ[ـل]
او ترك (بلسان عربى مبين) واضح المعـ[ـنى]
لئلا يقولوا مانصنع بما لا نفهمه فهو متعلق
بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكو[ن]
ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصا[لح]
واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلا[ة]
والسلام (وانه لفى زبر الاولين) وان ذكر[ه]
او معناه لفى الكتب المتقدمة (أولم يكن
لهم آية) على صحة القرآن او نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه علماء بنى
اسرائيل) ان يعرفوه بنعته المذكو[ر]
فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا

وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة العجم

(فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك سلكناه) ادخلناه (فى قلوب المجرمين) والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا (لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فى الدنيا والآخرة (وهم لايشعرون) باتيانه فيقولوا (هل نحن منظرون) تحسرا وتأسفا (أفبعذابنا يستعجلون) فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) انذروا اهلها الزاما للحجة (ذكرى) تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون انه من قبيل ماتلقى الشياطين على الكهنة (وما ينبغى لهم) ومايصح لهم ان يتنزلوا به (ومايستطيعون) ومايقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الا من الملائكة (فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط

ان اهل مكة بعثوا رسولا الى اليهود الذين كانوا فى المدينة يسألهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نجد ذكره ونعته فى التوراة فهذا اوان خروجه فكان ذلك آية على صدقه وصحة امره ﴿قوله وقرأ ابن عامر تكن﴾ اى بالتاء من فوق ورفع آية والباقون يكن بالياء من تحت ونصب آية فيحتمل ان تكون كان فيها تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة تكون آية فاعلا لها وان يعلمه بدلا منها ولهم حالا منها او متعلقا بكان اى اولم يحصل آية كائنة لهم وهى علم علماء بنى اسرآئيل اولم يحدث لهم علامة علم علماء بنى اسرآئيل وان كانت ناقصة جاز ان يكون لهم خبر تكن مقدما على اسمها ويكون آية اسمها وان يعلمه بدلا او خبر محذوف وجاز ان يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وقوله آية ان يعلمه جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة المحل على انها خبر كان كما تقول كان زيد منطلق على معنى كان الامر هذا ولايجوز ان يكون آية اسم كان وان يعلمه خبرها لانه يتعين ان يجعل اسم كان هو المعرفة منهما وقد يجيئ عكس هذا فى الشعر ﴿قوله تعالى فيأتيهم﴾ معطوف على قوله يروا وقوله فيقولوا عطف على يأتيهم وظاهر النظم يدل على ان تكون مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجأته وليس كذلك بل الذى يقع اولا هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لاتكون كلمة الفاء فيهما للتراخى الزمانى بل تكون للتراخى الرتبى بان يكون المعنى لايؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الملجئ الى الايمان فهو اشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجأة فهو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها فانهم يرون العذاب عند معاينة ملائكة الموت او فى الآخرة وهم يعلمون فى ذلك الوقت ان لاخلاص لهم ولا امهال وانما يسألونه تعللا واستروا حالما انه تعالى لما وصف عذاب المجرمين بان رؤيته تلجئهم الى الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون الى سؤال النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها قال على سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب فى الدنيا بمثل قولهم امطر علينا حجارة من السماء وقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك أفبعذابنا يستعجلون اى فكيف يستعجلون ما يأتيهم بغتة ويسألون عند رؤيته الامهال فلا يمهلون لحظة والعاقل لايستعجل ما فيه هلاكه ثم قال تعالى افرأيت اى اخبرنى يامحمد ومعناه اعلم ﴿قوله تعالى ما اغنى﴾ كلمة مافيه يجوز ان تكون استفهامية فى محل النصب مفعولا مقدما لاغنى وما كانوا هو الفاعل وكلمة مافيه مصدرية والمعنى اى شئ اغنى عنهم كونهم ممتعين وان تكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنهم تمتعهم شيأ وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء من قولك امتع الله زيدا بكذا ﴿قوله ومحلها النصب على العلة﴾ اى لقوله منذرون والمعنى الا لها منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون مفعولا لاهلكنا فان النفى فيه لما انتقض بالا وكان المراد بالقرية القرية الظالمة آل المعنى الى قولك اهلكنا القرية الظالمة بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليها اهلاكا كهالك تذكرة لغيرها ويحتمل ان يكون ذكرى فى محل النصب على انه مفعول مطلق لقوله منذرون من قبيل قعدت جلوسا لان أنذر وذكر متقاربان كأنه قيل يذكرون تذكرة ويجوز ان يكون معمول فعل محذوف من لفظه اى يذكرون ذكرى ودل ذلك المحذوف عليه منذرون ثم انه تعالى بعدما وصف القرآن بانه تنزيل رب العالمين ونبه على اعجازه وعلى نبوة نبيه رد قول من زعم من الكفار انه من لقاء الجن والشياطين كسائر ما نزل على الكهنة فقال وما تنزلت به الشياطين ﴿قوله فى صفات الذات﴾ اى فى الصفات اللازمة لذوات الملائكة مثل كونهم اجساما نورانية خيرة طائعة لله تعالى طاهرة من دنس الذنوب والمعاصى مسبحين الليل والنهار لايفترون واعلم ان اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله كلها صفات الذات على معنى انها قديمة قائمة بذات الله لكن المعتزلة قسموا صفات الله الى صفات الذات وصفات الافعال وقالوا كل ما يصح ان يثبت وينفى فهو من صفات الفعل كالخلق والترزيق والاماتة والاحياء وماليس كذلك كان من صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات ﴿قوله ولطف لسائر المكلفين﴾ فان اكرم خلق الله تعالى عليه الصلاة والسلام لما خوطب بانك لو اتخذت من دونى الها لعذبتك مع انك اكرم الخلائق عندى كان زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين بعد تهييج عزيمته على ازدياد الاخلاص ﴿قوله مستعار من خفض الطائر جناحه﴾ شبه التواضع ولين الاطراف والجوانب عند مصاحبة الاقارب والاجانب بخفض الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق على المشبه اسم الخفض على سبيل الاستعارة

(التصريحية)

التصريحية ثم اشتق منه قوله واخفض جناحك ﴿قوله ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره﴾ فان قيل من التبيينية يجب ان يكون ماقبلها اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان ولم يظهر كون من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لايحتمل غير المؤمنين بل هما متصادقان فى الوجود ومتلازمان فى المفهوم فلا وجه للبيان فاجاب اولا بان المتبعين اعم فى نفس الامر من المؤمنين لانه يتناول من اتبعه عليه الصلاة والسلام فى امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لايتناول الا من اتبعه فى امر الدين وبهذا الاعتبار صح ان تكون كلمة من للتبيين لاللتبعيض لان مدخول من التبعيضية اعم مماقبلها على عكس من البيانية ولما جعل من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان تكون من تبعيضية وانما تكون كذلك ان لو اريد بمن اتبعك المتبعون فى امر الدين ظاهرا وباطنا وبالمؤمنين ماهو اعم من ذلك بان يراد بهم الذين شارفوا الايمان وكانوا بصدده وسماهم الله مؤمنين باعتبار مايؤول اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان تكون من للتبعيض بهذا الاعتبار كأنه قيل واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة او يراد بهم الذين صدقوا باللسان فانه ايضا اعم من الذين اتبعوا حقيقة ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر فتوكل﴾ اى بالفاء بان جعلا مابعد الفاء كالجزاء لقوله فان عصوك مرتبا عليه وجعلاه بدلا من الجزاء المتقدم وقرأ الباقون بالواو وجعلوه لمجرد عطف الجملة على جملة اخرى من غير ملاحظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على انه يقدر على قهر اعداء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصره عليهم واعلاء كلمته برحمته وقوله الذى يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وان يكون منصوب المحل على المدح ومجرور المحل على انه صفة اوبدل اوبيان ﴿قوله وتقلبك﴾ عطفه على مفعول يراك اى ويرى تقلبك لما وصف الله تعالى نفسه بالرحمة ليؤذن رسوله عليه الصلاة والسلام بانه بارّ رحيم عليه اتبعه ماهو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه الى التهجد فى جوف الليل وتقلبه فى تصفح احوال اهل التهجد ليطلع على اسرار امرهم ويحتمل ان يكون المعنى يراك حين تقوم فى الصلاة ويرى تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والقعود فقوله فى الساجدين معناه مع المصلين فى الجماعة فكان حاصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين * والدندنة الصوت الخفى يقال دندن اذا خفى كلامه وفى الصحاح الدندنة ان تسمع من الرجل نغمة ولاتفهم مايقول وقيل الدندنة الصوت والترنم ثم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبوا الى ان آباء النبى عليه الصلاة والسلام كانوا مؤمنين وتمسكوا فى ذلك بهذه الآية وبالخبر اماهذه الآية فقالوا قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين يحتمل الوجوه التى ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقول نحن واذا احتمل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة انه لامنافاة ولا رجحان واما الخبر فقوله عليه افضل الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابناء يعقوب نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق فسموا اسمعيل اباله مع انه كان عماله وقال عليه الصلاة والسلام ردوا على ابى يعنى العباس ويحتمل ان يكون متخذ الاصنام اباامه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جده من قبل الام * ثم قال الامام واعلم انا نتمسك بقوله تعالى لابيه آزر وماذكروه صرف اللفظ عن ظاهره واما حمل قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين على جميع الوجوه فغير جائز لمابيناه من ان حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث فهو خبر واحد فلايعارض القرآن ﴿قوله يلقون السمع﴾ فى محل الجر على انه صفة كل افاك لكونه فى معنى الجمع وتكون الصفتان كاشفتين للافاكين ﴿قوله يقرها﴾ بضم القاف اى يصبها يقال قررت على رأسه الماء اذا صببته عليه وقر الحديث فى اذنه يقره كأنه صبه فيها والذى قاله عليه الصلاة والسلام كان قبل ان اوحى اليه وبعد ذلك لن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال مقاتل ان الله تعالى اذا اراد امرا فى الارض اعلم به اهل السموات من الملائكة فتكلموا به فيما بينهم فيسمع الشياطين فترميهم الملائكة بالشهب فيختطفون الخطفة فذلك قوله تعالى يلقون السمع الخ فعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين وتكون جملة يلقون السمع حالا من الضمير فى تنزل

ومن التبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين
او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان
(فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برئ
مما تعملون) مما تعملونه او من اعمالكم (وتوكل
على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر
اعدآئه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر
فتوكل على الابدال من جواب الشرط
(الذى يراك حين تقوم) الى التهجد
(وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح
احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض
قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه
لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم
بذكر الله وتلاوة القرآن او تصرفك
فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود
والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى
بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد ان
وصفه بان من شأنه قهر اعدآئه ونصر
اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه
(انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه
(هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على
كل افاك اثيم) لما بين ان القرآن لايصح
ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك
بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لايصلح
لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه
انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان
اتصال الانسان بالغائبات لما بينهم
من التناسب والتواد وحال محمد صلوات
الله عليه وسلامه على خلاف ذلك وثانيهما
قوله (يلقون السمع واكثرهم كاذبون)
اى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان
علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم
اشياء لايطابق اكثرها كما جاء فى الحديث
الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه
فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة

ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون

به اليهم اذ يسمعونهم لاعلى نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم (والشعرآء يتبعهم الغاوون) واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله (ألم تر انهم فى كل واد يهيمون) لان اكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطرآء فيه واليه اشار بقوله (وانهم يقولون مالايفعلون) فكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعرآء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعد بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) استثناء للشعرآء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الايهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعرآء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

(اختتمت)

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث او اربع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله وقد فسر الاكثر بالكل﴾ جواب عما يقال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما حكم عليهم بان كل واحد منهم افاك وحاصله ان كونهم كاذبين معتبر فى الخبر فى اكثر مايحكيه عنهم لاينافى كونهم افاكين كثيرى الكذب وقوله ولا كذلك محمد فانه لايتلقى ماخبره من الشياطين فلذا لايقع فيه كذبات كما يقع للكهنة كيف ولم يعثر فى اخباره عليه الصلاة والسلام خلاف ماخبره ولما بين حال الكهنة بانهم كذابون كثيرو الاثم بخلافه عليه الصلاة والسلام فان حاله الدعوة الى الله تعالى وطاعته والترغيب فى الآخرة والتنفير عن الدنيا بين مايميزه عن الشعراء فقال والشعرآء يتبعهم الغاوون اى الضالون ثم بين غوايتهم بأمرين الاول انهم يهيمون ويذهبون فى كل واد والثانى انهم يقولون مالايفعلون فانهم يرغبون فى الجود وينفرون عن البخل ويقدحون فى الناس بأدنى شئ صدر عنهم ثم انهم لايرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه قد كان يزكى نفسه الكريمة اولا ثم لم يدع احدا من الناس الا الى ماهو راسخ او حدى فيه فكيف تشبه حاله حال الشعرآء والنسيب مصدر قولك نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا ذكر صفات حسنها وذكر حاله معها فى الشعر والغزل اسم لمحادثة النساء ومراودتهن وعرض الاشتياق اليهن والابتهار الاشتهار بحب واحدة من النساء يقال ابتهر فلان بفلانة اى اشتهر بها ويقال ايضا على ادعاء الشئ كذبا وحرم الرجل اهله ومكان حرمه من نحو زوجته وامه وبنته ثم انه تعالى لما وصف الشعرآء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لما بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى منهم شعرآء المسلمين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همتهم ومتجرهم وقيل المراد باكثار ذكر الله تعالى ان يكون شعرهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى وفى النبوة ودعوة الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ماظلموا اى لايذكرون هجوا الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ثم الشرط فيه ترك الاعتدآء فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم عن ابى رواحة رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعرآء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعرآء المسلمين وقال كعب بن مالك يارسول الله ماذا تقول فى الشعرآء فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأنكم تنضحونهم بالنبل او ترمونهم بالسيف عن عروة عن عائشة انها كانت تقول الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح واعلم ان الشعرآء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون وهم الشعرآء الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابى تمام والبحترى ولايستشهد بشعرهم ﴿قوله لما فى سيعلم من الوعيد البليغ﴾ لان السين تدل على ان ذلك كائن لامحالة ﴿قوله حين عهد اليه﴾ اى حين اوصاه من العهد وهو الوصية قال الله ألم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان اى ألم اوص اليكم روى انه لما أيس ابو بكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو هذا ماعهد ابن ابى قحافة الى المؤمنين فى الحال التى يؤمن فيها الكافر قال بعدما غشى عليه وأفاق انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظنى فيه وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال الزجاج اى منقلب منصوب بينقلبون على المصدر لابقوله سيعلم لان أيا وسائر الاسماء الاستفهامية لايعمل فيها ماقبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق سيعلم ساد مسد مفعوليه وقال ابو البقاء اى منقلب صفة مصدر محذوف اى ينقلبون انقلابا وردّ بان اى الواقعة صفة لاتكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لاتكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه فان أيا ينقسم الى اقسام كثيرة وهى الشرطية والاستفهامية والموصولة ومايكون صفة وغير ذلك * تمت سورة الشعرآء بعون الملك الوهاب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة النمل تسعون وخمس آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله الاشارة الى آى السورة﴾ يعلم ان طس اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات القرآن خبر الثانى والجملة خبر الاول والاشارة قائمة مقام العائد ولابد فى المبتدأ الاول من تقدير المضاف اى آيات طس لتصح الاشارة اليه بتلك ويخبر عنه بانها آيات القرآن وقرئ مرفوعا بالعطف على آيات وهذه القرآءة لما

استلزمت ان يشار الى شيئين احدهما مذكر والآخر مؤنث باسم اشارة المؤنث ولا وجه له لانه لا يقال تلك هند وزيد احتيج فى توجيه هذه القرآءة الى تقدير المضاف اى تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين ﴿ قوله وتأخيره ﴾ يعنى أخر الكتاب الذى اريد به اللوح عن القرآن فى هذه السورة وقدم عليه فى قوله تعالى فى سورة الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظرا الى الاعتبارين ﴿ قوله او القرآن ﴾ عطف على قوله اما اللوح فيكون عطف الكتاب على القرآن من قبيل العطف فى قوله

● الى الملك القرم وابن الهمام ● وليث الكتيبة فى المزدحم ●

﴿ قوله وتنكيره للتعظيم ﴾ والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة اليه لان المضاف الى العظيم عظيم بل المقصود تعظيم السورة التى هى عبارة عن مجموع ما فيها من الآيات ﴿ قوله الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴾ اى من هذين الجنسين فى كونها عبادة بدنية او مالية اشارة الى ان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما معظم انواع الطاعات والاعمال الصالحات وان الصلاة معظم الاعمال البدنية والزكاة معظم العبادات المالية ووصف آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرفة المبدأ والايمان به ومعرفة المعاد والايقان بما يتعلق به والاشتغال بعد ذلك بما يصلح المولى نفسه وماله ﴿ قوله وتغيير النظم ﴾ يعنى ان الظاهر على تقدير كونه من تتمة الصلة ان يقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة على العطف او وهم يوقنون بالآخرة على الحالية الا انه قدم قوله بالآخرة على متعلقه وهو يوقنون للعناية والاهتمام به واخراج الكلام على صورة ما عرفت حيث قدم ضميرهم على يوقنون وجعله مبتدأ وكرر ذلك المبتدأ على سبيل التأكيد اللفظى ليفيد الاختصاص والتأكيد لما تقرر من ان اعتبار تقديم الفاعل المعنوى على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى انهم اوحدون فى الايقان بالآخرة لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون للصفات المذكورة وجعل الجملة اسمية مكررا فيها المبتدأ للدلالة على قوة يقينهم وثباته ولما كان اقام الصلاة وايتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد فى اوقاتهما جعل الصلتين المتقدمتين جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الايمان بالآخرة امرا ثابتا مطلوبا دوامه اتى بالصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتدأ فى هذه الجملة فعلا مضارعا للدلالة على ان ايقانهم مستمر على سبيل التجدد غير منقطع ﴿ قوله او جملة اعتراضية ﴾ عطف على قوله من تتمة الصلة اى ويحتمل ان يكون قوله وبالآخرة هم يوقنون جملة مستأنفة غير داخلة فى حيز الموصول وتتم الصلة عند قوله ويؤتون الزكاة وجعلها معترضة نظرا الى اتصال ما بعدها بما قبلها من حيث ان ما قبلها لبيان ما للمؤمنين من البشرى بحسن العاقبة وما بعدها لبيان ما للكفار من سوء العذاب يوم القيامة ويحتمل ان يكون جعلها معترضة بناء على مذهب من يجوز وقوع الاعتراض فى آخر الكلام بان لا يلى الجملة المعترضة جملة اصلا او يليها جملة غير متصلة بها معنى ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها انها تؤكد مضمون قوله للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة من حيث ان الايقان بالآخرة حق الايقان المستلزم للخوف يستلزم تحمل المشاق والمتاعب حذرا من نيل ما يخاف منه فمضمون قوله وهم بالآخرة هم يوقنون يؤكد مضمون ما قبله من حيث كون مضمونه مستلزما لمضمون ما قبله فصح كونه اعتراضا وقوله كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون اشارة الى ان الضمير الاول وضع موضع اسم الاشارة من حيث ان اسم الاشارة يدل على ان المذكورين قبله أحقاء لما يرد بعده من اجل الخصائل التى عددت لهم كما فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى قوله اولئك على هدى من ربهم فكذا ههنا فان المعنى احقاء بان يوقنوا بالآخرة من اجل كونهم جامعين مشق التكليف من الايمان والاعمال الصالحة ﴿ قوله زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع ﴾ واسناد تزيينها اليه تعالى بهذا الوجه لا ينافى اسناده الى الشيطان فى قوله تعالى فزين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها لهم بان دعاهم الى ما تشتهيه طباعهم وتميل اليه نفوسهم ﴿ قوله ما يتبعها من ضر ﴾ على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله او نفع على تقدير ان يكون المزين اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضلال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد انهم مترددون فى اعمالهم واشغالهم ﴿ قوله كالقتل والاسر يوم بدر ﴾ حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لمقابلة قوله وهم فى الآخرة هم الاخسرون على قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب ﴿ قوله لتؤتاه ﴾ قال تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اى وما يؤتاها وقيل لتلقى كذا اى لتأخذ من لدنهم تلقنه وتقبله

وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود او القرآن واباته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته بالاعجاز وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (هدى وبشرى للمؤمنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة (وهم بالآخرة هم يوقنون) من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع (اولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم)

اى اخذته ﴿قوله اى حكيم واى عليم﴾ اشارة الى ان التنكير فيهما للتعظيم ﴿قوله مع ان العلم داخل في الحكمة﴾ فان الحكمة اتقان العمل بان يفعله على وفق العلم فان من يعلم امرا ولا يأتى بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فلما وصف الله تعالى نفسه بانه حكيم علم منه كونه عليما فما وجه الجمع بينهما وتقرير الجواب ان العلم الذى يدخل فى الحكمة هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلم النظرى ايضا وهو الذى يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يغنى عن ذكر العليم فلذلك وصف نفسه بالحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اى بالغ فى كمال العلم كأنه قيل مصيب فى افعاله لا يفعل شيأ منها الا على وفق علمه عليم بكل شىء واحواله سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب آخر مبنى على ان تكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال حينئذ ان الحكمة نفس العلم فذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب حينئذ ان الحكمة التى هى نفس العلم هى الحكمة المنقسمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرآئع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات والعلم اعم من الحكمة بهذا المعنى بحيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كالعلم بالقصص والعلم بالمغيبات فان شيأ منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلو اقتصر على قوله حكيم لما علم الا كونه تعالى عالما بما يتعلق باعمال المكلفين وعقائدهم وان علوم القرآن ليست الا ما هى حكمة فلما اتبع ذلك قوله عليم فهم منه ان علوم القرآن منها ما هى حكمة ومنها ما ليس كذلك ﴿قوله ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم﴾ يعنى ان قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم بعد قوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين ذكر تمهيدا لما ذكر بعده من العلوم التى ليست من قبيل الحكمة والا فعلوم انه عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن من قبله تعالى ﴿قوله والسين للدلالة على بعد المسافة﴾ جواب عما يقال التسويف لا يناسب المقام لان المفارقة عن الاهل فى الليلة الشاتية مع انفرادها لا تقبل التسويف فى الاتيان اليه اجاب عنه اولا بانه انما سوف الاتيان للتنبيه على بعد المسافة فلو لم ينبه على بعدها ربما حاجتها عند تأخر اتيانه شبهة وثانيا بان السين فيه ليست للتسويف بل للتأكيد والوعد بالاتيان مع قطع النظر عن التسويف والتأخير ﴿قوله شعلة نار مقبوسة﴾ اشارة الى انه اختار قرآءة من قرأ باضافة شهاب الى قبس اضافة بيانية وان الشهاب الشعلة وان القبس النار المقبوسة اى المأخوذة من قولك اقتبست منه نارا او علما اى استفدته منه فعل بمعنى مفعول كنقيض ونقض كأنه قيل بشعلة نار مقبوسة ﴿قوله والعدتان على سبيل الظن﴾ اشارة الى جواب ما يقال انه تعالى قال ههنا سآتيكم منها بخبر وفى سورة طه لعلى آتيكم منها بقبس وهما كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن وحصول الجواب انه لا تدافع بينهما لان الراجى اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك ﴿قوله والترديد﴾ يعنى ان كل واحد من الامرين مطلوب فالظاهر ان يقال سآتيكم منها بخبر وشهاب قبس بالواو الجامعة والجواب انهما وان كانا مطلوبين الا ان المطلوب حصول احدهما بناء على الظاهر او على سنة الله ان لا يجمع حرمانين على عبد ﴿قوله اى بورك﴾ يعنى ان فى كلمة ان ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول والثانى انها الناصبة للمضارع باسقاط الخافض اى نودى موسى بأن بورك والثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولما ورد ان يقال كيف جاز ان تكون مخففة وهى اذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الافعال المتصرفة وجب ان تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهى السين نحو علم ان سيقوم وسوف نحو ان سوف يقوم وقد نحو ليعلم ان قد ابلغوا او من حروف النفى نحو علمت ان لم يقم وان لن يقوم وان لا يقوم وما قام وما يقوم فرقا بينها وبين ان المصدرية فان ان المصدرية لا يفصل بينها وبين الفعل بشىء من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتأويل المصدر معنى فلا يفصل بينها وبين ما يؤثر فيها نصبها وتسمى النحاة هذه الحروف التى بعد ان المخففة حروف التعويض لكونها كالعوض عن احدى نونى ان ولما وردت هذه الشبهة اجاب عنها بقوله والتصيف وان اقتضى التعويض ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انه لا بد من حرف التعويض وهذا منه مبنى على ان بورك خبر لا دعاء فانه اذا قلنا انه دعاء لم يحتج الى الفاصل ومن فى النار قائم مقام الفاعل لبورك فان بارك يتعدى بنفسه ولذلك بنى للمفعول يقال باركك الله ويقال ايضا بارك الله عليك وبارك فيك وبارك لك قوله بورك من فى النار وعلى من فى النار وفى من فى النار سوآء قال الشاعر

اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرآئع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله (اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا) اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم (سآتيكم منها بخبر) اى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ (او آتيكم بشهاب قبس) شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده (لعلكم تصطلون) رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة (فلما جاءها نودى ان بورك) اى بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة (من فى النار ومن حولها) من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها

(فبوركت)

❁ فبوركت مولودا وبوركت ناشئا ❁ وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب ❁

ومعنى بورك من فى النار ومن حولها بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها والذى بوركت به البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر دينى فيها وهو تكليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وتخصيصه بالرسالة والاكرام واظهار المعجزات العظام له فيها ورب خير يحدث فى تلك البقاع فينشر الله تعالى بركته فى اقاصيها فكيف بمثل ذلك الامر الذى جرى فى تلك البقعة ﴿قوله الموسومة بالبركات﴾ فى قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين فان قوله للعالمين دليل ظاهر على ان الذى بورك فيه عام والكلمات مايكمشه فيه الشئ اى يضم ويجمع وفى الحديث «اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة» ومنه قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ﴿قوله من تمام مانودى به﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام نودى بمجموع الامرين ناداه وخاطبه اولا بقوله بورك من فى النار بشارة له بانه قد قضى له امر عظيم ثم ناداه بتنزيه رب العزة عما يليق به فى ذاته وحكمته لئلا يتوهم من سماع كلامه ان كلامه مركب من الحروف والاصوات وانه محل الحوادث كسائر المتكلمين وانه محيط به الزمان والمكان ونحو ذلك مما لايليق بذاته تعالى قال اهل السنة انه عليه الصلاة والسلام سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه كلام الله تعالى وصفته القائمة به فكما جاز ان ترى ذاته بلا كم وكيف فكذا جاز ان يسمع كلامه بلا حرف وصوت ﴿قوله والتعجيب﴾ عطف على قوله لئلا يتوهم يعنى انه تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام مما شاهده فى تلك البقعة المباركة وايذان له بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين كأنه قيل ما اعظم امرا مريده من هو رب العالمين فيكون قوله وسبحان الله رب العالمين كالتذييل والتأكيد لما يتضمنه قوله بورك الخ او هو تعجب من موسى بتقدير القول وهو معطوف على قوله من تمام مانودى به ﴿قوله او للتكلم﴾ عطف على قوله للشأن اى ويحتمل ان يكون ضمير انه راجعا الى مادل عليه ماقبله والمعنى ان من يكلمك انا ولفظ الجلالة بيان لانا ﴿قوله تعالى تهتز﴾ جملة حالية من مفعول رآها وقوله كأنها جان يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من فاعل تهتز فتكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب عطف على ولى والمعنى ولم يرجع على عقبه وكل راجع معقب قال

❁ فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ❁ ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا ❁

قيل ان العصا انقلبت حية عظيمة لكنها فى سرعة حركتها والتوائها كأنها جان وهى الحية الصغيرة فان الحية العظيمة لاتقدر عليها فلذلك خاف موسى عليه الصلاة والسلام فظن اى فى انقلاب العصا حية امرا اريد به هلاك نفسه ويدل على ان خوفه كان لذلك قوله تعالى ياموسى اى قلنا له ياموسى لاتخف من غيرى لانه عليه الصلاة والسلام نهى عن الخوف مطلقا فان الخوف اللازم للايمان والمعرفة لايفارق المرسلين ولايهون عنه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فمن كانت معرفته اكمل كان خوفه وخشيته اتم واوفر فلذلك قال عليه الصلاة والسلام «انا اخشاكم لله» وانما نهوا عن الخوف من غير الله تعالى وهم فى كنف عصمته آمنون فلذلك قيل له لاتخف مأمن الحية ويحتمل ان يكون المعنى لاتخف مطلقا فان حال خطاب الله تعالى اياهم ووصيته اليهم ينفى عنهم الخوف مطلقا لفرط الاستغراق لا الخوف من غيره تعالى فقط ﴿قوله او لايكون لهم عندى﴾ اى فى حكمى وقضائى وقوله او مطلقا كل واحد منهما معطوف على قوله اى من غيرى فالمعنى على الثالث لاتخف من سوء العاقبة اذ ليس لاحد من المرسلين سوء عاقبة فى حكمى فيخافون منه ﴿قوله استثناء منقطع﴾ وانما جعله كذلك لان المستثنى وهو من ظلم اى من زل من المرسلين غير مخرج من الحكم المذكور وهو عدم الخوف لانه كما لايخاف الرسل المعصومون من الزلات لايخاف ايضا من فرط منه ماغفر له ثم ترحم عليه لان المغفور له والمرحوم عليه كيف يخاف من الذنب الذى غفر له فاذا تعين انه لايخاف احد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجا من الحكم المذكور لم يكن الاستثناء متصلا وكانت كلمة الا بمعنى لكن التى للاستدراك لانه لما نفى الخوف عن المرسلين كلهم اختلج فى الصدور وهم وهو ان يقال كيف يصح نفى الخوف عمن ظلم اى زل من المرسلين فدفعه بان قال الا من ظلم اى زل ثم بدل حسنا اى توبة وندما بعد سوء بعد زلة كائنة ما كانت وهو فائدة التنكير فانى غفور رحيم وقيل انه متصل والمعنى لايخاف لدى المرسلون الا من ظلم فانه يخاف فيتم الكلام عند قوله الا من ظلم فيكون قوله ثم بدل حسنا مستأنفا معطوفا على محذوف واعلم ان الناس اختلفوا فى جواز الذنب على الانبياء

والظاهر انه عام فى كل من فى تلك البقعة وحواليها من ارض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم تنتشر بركته فى اقطار الشأم (وسبحان الله رب العالمين) من تمام مانودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته (ياموسى انه انا الله) الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوى القادر على مايبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير (وألق عصاك) عطف على بورك اى نودى ان بورك من فى النار وان ألق ويدل عليه قوله وان ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى انا الله بتكرير أن (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله (ياموسى لاتخف) اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله (انى لايخاف لدى المرسلون) حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس من الله او لايكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به مايختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها مايبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لايخاف ايضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة

وعدمه قالت الحشوية يجوز صدور الكبائر منهم عمدا وقالت المعتزلة لا يجوز صدور الكبائر منهم ويجوز صدور الصغائر الا ما ينفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة وقال الجبائي لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التأويل وقالت الرافضة لا يقع منهم ذنب قط لا قبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم * قال الامام والمختار عندنا انهم لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغيرة ولا الكبيرة وفي كلامه اشعار بأن ترك الاولى منهم كالصغيرة منا لان حسنات الابرار سيئات المقربين فتأويل الآية على رأينا الا من ظلم قبل النبوة ثم بدل بعدها حسنا او بؤده لعنة ثم تابها المراتي قال الحسن كان موسى والله اعلم عن ظلم بقتل القبطي ثم بدل حسنا فانه عليه الصلاة والسلام قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال المصنف وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي ﴿ قوله لانه كان مدرعة صوف لا كم لها ﴾ علة لامره عليه الصلاة والسلام بادخال يده في جيبه وسترها به يعني انه تعالى لما اراد ان يجعل يده بيضاء براقة كشعاع الشمس وان لا يجعلها كذلك الا وهي مستورة محتجبة بشيء وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث ان مدرعته لا كم لها امره بادخال يده في جيبه اي في مدرعته او قميصه والمدرعة جبة صغيرة يتدرع بها اي تلبس بدل الدرع وهو القميص والجيب كما يطلق على ما جيب من القميص اي قطع لخروج الرأس منه يطلق ايضا على نفس القميص وفي الصحاح الجيب القميص تقول جبت القميص اجيبه اذا قددت جيبه واختار المصنف ان يكون المراد بالجيب المدرعة لا القميص لما روي عن ابن عباس انه قال وكانت زربانقة من صوف والزربانقة جبة قصيرة كمها الى مرفقيه ولم تكن لها ازرار فادخل يده في جيبها فاخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق وقال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق وكان تعالى قادرا على ان يجعل يده بيضاء من غير ادخاله اياها في جيبه وايضا كان قادرا على ان يصير عصاه ثعبانا وهي في يده لكنه تعالى اختصه بالامر بادخال يده في جيبه وبالقاء عصاه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما يشاء من انواع المحن وقوله تخرج مجزوم على انه جواب لقوله ادخل اي ان ادخلتها تخرج على هذه الصفة وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غير سوء يجوز ان تكون حالا ثانية منه او من الضمير في بيضاء وان تكون صفة لبيضاء ﴿ قوله في جملتها او معها ﴾ على الاول تكون الآيات تسعا وتكون هاتان الآيتان داخلتين في جملتهن وعدادهن ويكون قوله في تسع آيات خبر مبتدأ محذوف اي هما داخلتان في جملة تسع آيات وعلى الثاني تكون لفظة في بمعنى مع ويكون في تسع آيات حالا من الضمير في بيضاء وتكون الآيات احدى عشرة وهما اثنتان والباقية تسع فكانه تعالى لما اراه هاتين الآيتين اشار الى ان لهما تسع معجزات أخرهن مثلهما في الاعجاز وكلمة في قد تكون بمعنى مع ولذلك قالت الائمة اذا قال لزيد علي عشرة في تسعة واراد المعية يلزمه تسعة عشر ومن جملة الآيات ان موسى عليه الصلاة والسلام دعا ربه بقوله ربنا اطمس على اموالهم فجعل الله تعالى اموالهم حجارة والطموس الدروس والامحاء ﴿ قوله ان يعد الاخيرين واحدا ﴾ لان الجدب والنقصان كالشيء الواحد غاية ما في الباب ان الجدب كان بالنسبة الى اهل البوادي ونقصان الزرع بالنسبة الى مزارعهم فسقط بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار ان المراد بالآيات التسع هذه الآيات التي بعث موسى بها الى فرعون وهي تسع لا غير وفلق البحر ليس من الآيات التي كانت لدعوة فرعون الى الايمان بل انما كان لاهلاكهم بشؤم اصرارهم وعنادهم ﴿ قوله او اذهب في تسع آيات ﴾ عطف على قوله في جملتها اي ويجوز ان يكون في تسع آيات متعلقا باذهب المقدر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محوطا متحصنا من بأس الاعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به من شر من يعاديه ﴿ قوله او ذات تبصر ﴾ على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن فيكون اثبات البصر لها تخييلا للاستعارة المكنية بان شبه الآيات بالشخص الهادي واثبت لها الابصار على وجه التخييل قرينة لها لان الاعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا عن ان يهدي غيره ﴿ قوله او مبصرة كل من نظر اليها ﴾ يعني ان الابصار في الحقيقة صفة من نظر وتأمل في الآيات وجعل انفس الآيات مبصرة على الاسناد المجازي للملابسة بينها وبين المتأملين فيها المتأملون انما يبصرون بسبب تأملهم فيها فلما كانت سببا لابصارهم نسب الابصار اليها اسنادا مجازيا جعل صيغة اسم الفاعل اولا بمعنى المفعول نحو ماء دافق اي مدفوق ثم جعلها للسبب ثم جعل ما فيها من الاسناد من قبيل الاسناد المجازي ﴿ قوله وقرئ مبصرة ﴾ بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة اذا كثر فيها السبع والاسد وانتصابها على القراءتين على انها حال من آياتنا ﴿ قوله

(وكذبوا)

﴿ وادخل يدك في جيبك ﴾ لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ آفة كبرص ﴿ في تسع آيات ﴾ في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿ الى فرعون وقومه ﴾ وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ تعليل للارسال ﴿ فلما جاءتهم آياتنا ﴾ بان جاءهم موسى بها ﴿ مبصرة ﴾ بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ واضح سحريته

(وجحدوا بها) وكذبوا بها (واستيقنتها انفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلما) لانفسهم (وعلوّا) ترفعا عن الايمان واتصابهما على العلة من جحدوا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة (ولقد آتينا داود وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اىّ علم (وقالا الحمد لله) عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما أتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له مافعلا وقالا الحمد لله (الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير (وورث سليمان داود) النبوّة او العلم والملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق فى التعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوّت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة التخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوّته القدسية التخيل الذى صوّته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوّت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدّة وتألم قلب والضمير فى علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) الذى لا يخفى على احد (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير فهم يوزعون) يحبسون يحبس اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا

وكذبوا بها ﴾ لما كان المشهور ان الجحود انكار الشئ بعد المعرفة ولا يحتاج الى تفسير بالانكار والتكذيب وكان حمله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنتها انفسهم مستدركا فسره بالتكذيب بها والمعنى كذبوا بألسنتهم كونها آيات الهية وقد استيقنت قلوبهم وضمائرهم بذلك وقوله ظلما وعلوّا يجوز ان يكون فى موضع الحال اى ظالمين وعالين وان يكون مفعولا له اى الحامل لهم على ذلك الجحود الظلم والعلوّ ﴿ قوله تعالى كيف ﴾ خبر كان قدّم عليها وعاقبة اسمها ﴿ قوله طائفة من العلم ﴾ على ان يكون التنكير للنوعية كما فى قوله وعلى ابصارهم غشاوة وقوله او علما اىّ علم على ان يكون التنوين للتعظيم ﴿ قوله عطفه بالواو ﴾ مع ان ظاهر الحال يقتضى عطفه بالفاء السببية لتؤذن بانهما انما حمدا الله تعالى شكرا على نعمة ايتاء العلم الذى هو من جلائل النعم لكن عطفه بالواو التى تستدعى معطوفا عليه مسببا عن تلك النعمة يشعر بان ما قالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قيل ففعلا شكرا له ما فعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالا بلسانهما الحمد لله فلو عطفه بالفاء لاقتصر على الشكر اللسانى وفات الاشعار المذكور ﴿ قوله وكانوا تسعة عشر ﴾ اى كان لداود تسعة عشر ابنا واعطى من بينهم سليمان ما اعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وكان داود اشد تعبدا من سليمان ﴿ قوله تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى واحسانه اليه وعلى طريق رفع ذلك الفضل واعلاء ذكره فقال نوّهت باسمه اذا رفعت ذكره واعليت شأنه ﴿ قوله بذكر المعجزة ﴾ متعلق بالدعاء الى التصديق ولا القيل بالمعجزة ﴿ قوله والنطق والمنطق فى التعارف ﴾ النطق فى الاصل مصدر نطق الرجل ينطق اى تكلم فاشار المصنف الى انه يستعمل فى عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال على ما فى الضمير ثم قال وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقا سواء صدر عمن له فؤاد وكلام نفسى ام لا اما على تشبيه صوت من لا فؤاد له بصوت العقلاء فى كونه صوتا مشعرا بما التخيل او بمجرد التبعية والاطراد بمعنى ان اسم النطق والمنطق لما اطلق على بعض الاصوات اطلق على البواقى ايضا على سبيل الاطراد ثم اشار الى وجه الشبه بقوله فان الاصوات الحيوانية الخ ثم انه لما بين وجه اطلاق المنطق على صوت الطير قال ولعل المراد بتعليم سليمان منطق الطير وصوته علمه بالتخيل الذى حمل الطير على ذلك الصوت وبالغرض الذى توخاه بصوته لانه يعلم انه يصوّت بتلك الصوت من غير ان يفهم التخيل الذى نشأ منه ذلك الصوت والعفاء بالمدّ وفتح العين الدروس وذهاب الاثر وقيل العفاء التراب قال تعالى فى صفة الهدهد فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين واخبر عنه انه عليه الصلاة والسلام علم كلام من لا صوت له كالنمل قال تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها وروى انه صاح ورشان فقال عليه الصلاة والسلام انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب والطاووس يقول كما تدين تدان اى كما تعمل تجازى والهدهد يقول كل حى ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدّموا خيرا تجدوه والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمواته وارضه والقطا يقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والدرّاج يقول الرحمن على العرش استوى والقنبر يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والنسر يقول ابن آدم عش ما شئت آخره الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والحمار يقول اللهم العن العشار والفرس يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والزرزور يقول اللهم انى اسألك قوت يوم بيوم يا رزاق فكل صنف من الطيور يفهم الغرض الذى توخاه الآخر والذى علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضها من بعض من مقاصدها واغراضها ولذلك قال يا أيها الناس تفضل الله علىّ بزيادة ما ورثته من ابى من النبوّة والملك والعلم بان علمنى منطق الطير اى فهمنى ما يقوله الطير ﴿ قوله والضمير فى علمنا ﴾ يعنى ان علمنا واوتينا من كلام المتكبرين فكيف يليق بسليمان ذلك واجاب عنه اولا بانه ليس ضمير المعظم نفسه وثانيا بانه ضمير المعظم نفسه الا انه لم يقله تكبرا بل قاله على عادة الملوك فانهم يتكلمون بمثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لرفعتهم وقدرهم فى قلوب الرعايا وقوله واوتينا من كل شئ اراد به كثرة ما اوتى كما يقال فلان يقصده كل احد ويراد كثرة قاصديه اقامة للتكثير مقام الكل ونحوه قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقوله ان هذا اى الذى اوتينا لهو الفضل المبين وارد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقوله شكرا لا فخرا ﴿ قوله من الجن وما بعده ﴾

بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجار حالا فيتعلق بمحذوف ايضا وكون طوائف الجن والانس والطير جنود السليمان يقتضي ان يكون كل واحد من هذه الاصناف متصرفا على مراده ممتثلا لامره ولا يكون كذلك الا مع العقل الذي يصح معه التكليف بان لا يكون كل واحد من تلك الاصناف اقل عقلا من المراهق الذي قد قارب حد التكليف فيلزم منه انه تعالى جعل الطير في ايامه من ذوات العقل والفهم وان لم تكن كذلك في ايامنا وكذا قوله تعالى قالت نملة يدل على انها تكلمت بذلك وليس بمستبعد لان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق قال المفسرون كان سليمان اذا اراد سفرا امر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط واحد نسجه الجن له من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى ويجمع له جنوده في مسيره من الاماكن المختلفة ومعنى الوزع في اللغة هو الكف يقال وزعه يزعه اذا كفه ومنه قوله ما يزع القرآن اكثر مما يزع السلطان وقال عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزعه القرآن وقالوا لابد للناس من وزعة اى من حكام يكفونهم عن الشر والعبث والفساد قال الشاعر

* ولم يزعه لبه وحياؤه * فليس له من شيب فوديه وازع *

﴿قوله تعالى حتى اذا اتوا﴾ متعلق بقوله يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم عن مفارقة بعضهم في مسيرهم ليجتمعوا احسن اجتماع في الهيئة والهيبة في الرؤية حتى اذا اتوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف اى فساروا حتى **﴿قوله وتعدية الفعل اليه بعلى﴾** مع انه قد يتعدى بنفسه وبكلمة الى يقال اتيته واتيت اليه اما لانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم اتيت عليه اذا قطعته وبلغت آخره والمعنى حتى اذا قطعوا الوادي كله وبلغوا آخره **﴿قوله كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي﴾** اى عند منقطعه لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا تخاف النملة حطمهم **﴿قوله كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي﴾** لما لم تكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما في ضمائرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرا فلذلك حمله المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينها وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها فقيل قالت نملة الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق الا ترى انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلاة والسلام وجعل جميع ذلك جنودا واعوانا منقادين له لا يخالفونه في شيء مما امرهم به وذلك لا يكون الا بجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يبعد ان يخلق الله تعالى العقل والنطق في النملة وقد روى ان سليمان لما سمع قول النملة قال ائتوني بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل من ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا يشعرون ومع ذلك اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ما انعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا في كفران النعم فلا اقل من ان يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها سليمان عظيني فقالت النملة أعلمت لم سمى ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم القلب والصدر ثم قالت أتدري لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكأنما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لا يشعرون يدل على انها عرفت ان النبي عليه الصلاة والسلام معصوم فلا يقع منه قتل وايذاء بغير ذنب الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء ولفظة نملة في قوله تعالى قالت نملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر والانثى فاذا اريد تمييز ذلك احتيج الى مميز خارجي نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة وعامة من المؤنثات اللفظية ذكر الامام ان قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رضي الله عنه كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقيل قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعهما على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعني ان التأنيث لفظي ومعنوي واللفظي لا يعتبر في لحوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل انه لا يصح قامت طلحة ولا حمزة على مذكر فتعين ان يكون اللحوق انما هو لتأنيث المعنوي **﴿قوله نهى لهم﴾**

(حتى اذا أتوا على وادي النمل) وادبالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة فنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في السعة (وهم لا يشعرون) انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء

من الحطم ﴾ يعني ان النهي في لا يحطمنكم متوجه الى سليمان وجنوده ظاهرا لكنه كناية في المعنى عن نهي النمل عن الوقوف في مكانهم فيحطمهم سليمان وجنوده كان النهي في لا اريتك ههنا متوجه بحسب الظاهر الى المتكلم لكنه كناية عن نهي المخاطب عن الوقوف في مكانه بحيث يراه فان وقوفه بحيث فيه ملزوم لرؤية المتكلم اياه فجعل النهي عن اللازم كناية عن النهي عن الملزوم والفاء في قوله فهو استئناف او بدل من الامر لتفريع جواز كل واحد من الامرين على كون النهي المذكور كناية عن نهي النمل عن الوقوف لانه لو كان النهي على ظاهره لما جاز كون لا يحطمنكم بدلا من قوله ادخلوا لان نهي الجماعة لا يصلح ان يكون بدلا من الامر لجماعة اخرى بخلاف ما لو جعل كناية فان المأمور والمنهي حينئذ يكون جماعة النمل فتصح البدلية ومعنى كلامه انه لما كان نهي الجنود عن الحطم كناية عن نهي النمل عن الوقوف جاز ان يكون لا يحطمنكم نهيا مستأنفا لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة الامر قبله وهي ادخلوا ولا مدخل لكون النهي كناية في جواز كونه نهيا مستأنفا وانما المتفرع عليه جواز كل واحد من الامرين ﴿ قوله وقيل استئناف ﴾ عطف على ما فهم من تقرير كلامه من ان قوله وهم لا يشعرون حال من فاعل لا يحطمنكم ﴿ قوله تعالى فتبسم ضاحكا ﴾ ليس معناه انه عليه الصلاة والسلام ضحك متبسما لان التبسم والضحك لا يجتمعان بل اراد انه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي اول مراتب الضحك وكأنه قيل فتبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة التي هي سماعه ما همس به بعض النمل الذي هو مثل في الصغر واحاطته بمعناه فان احدا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلا من ان يفهم غرضها منه ﴿ قوله اجعلني ازع شكر نعمتك ﴾ اشارة الى ان همزة اوزع للتعدية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع من يكف الرعية عن التظالم والفساد وقد مر آنفا ان قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يحبسون ويمنعون عن الانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم فانه احسن في الهيئة وأعجب في الرؤية سأل عليه الصلاة والسلام ان يجعله الله تعالى وازعا لجيش شكره فيكون قوله اوزعني ان اشكر استعارة مكنية حيث شبه الشكر بالجماعة النادرة وجعل تعليق الوزع والربط به تخييلا وقرينة للتشبيه المضمر في النفس وورد في الحديث والنعمة وحشية فقيدوها بالشكر فانها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت ﴿ قوله أدرج فيه ذكر والديه ﴾ اي ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما في ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه ﴿ قوله فان النعمة عليهما نعمة عليه ﴾ ضرورة ان انتساب الابن الى اب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر تلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن ﴿ قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴾ فان الابن اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك فاشتمل بشكر نعم الله تعالى على والديه ايضا اشعارا بان نعمتهما من آثار ما انعم به عليه ﴿ قوله في عدادهم الجنة ﴾ فعد الجنة بدل من العداد المقدر يعني ان المراد من ادخاله في العباد ادخاله في عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما هي لهم وهو الجنة لانه قد سأل ان يوفقه الله تعالى للاعمال الصالحة ودخوله في زمرة الصالحين بقوله وأن أعمل صالحا ترضاه فلو حمل قوله وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين على طلب التوفيق للاعمال الصالحة لكان تكرارا فالآية دليل على ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو من لا يعصي الله ولا يهم بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبي وولي ﴿ قوله وتعرف الطير ﴾ اي طلبه وبحث عنه والتفقد طلب ما فقد وغاب عنك ﴿ قوله ام منقطعة ﴾ لان قوله مالي لا ارى الهدهد تضمن عدم رؤية الهدهد وهو يستدعي كون حضور الهدهد مجزوما به عنده فلا وجه لكون الاستفهام لطلب التعيين بل يجب ان يكون للاضراب عن ظن كونه حاضرا عنده ﴿ قوله او جعله مع ضده في قفص ﴾ عد ذلك من العذاب الشديد لما قيل أضيق السجون معاشرة الاضداد قرأ ابن كثير ليأتينني بنونين اولاهما نون التأكيد المشددة المفتوحة وثانيتهما نون الوقاية المكسورة والباقون بنون واحدة مشددة مكسورة والاصل قراءة ابن كثير لكن حذفت النون التي قبل ياء المتكلم كراهة لاجتماع النونات ﴿ قوله والحلف في الحقيقة على احد الاولين ﴾ جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام حلف على ثلاثة اشياء اثنان منها فعله فيصح الحلف عليهما بأن يقول والله لأعذبنه او لأذبحنه والثالث فعل الهدهد وهو اتيانه بحجة بين عذره في غيبته فكيف يصح حلفه على ما هو فعل غيره ومن أين درى انه يأتي بسلطان بين حتى يقول او ليأتيني بسلطانه وتقرير الجواب

وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره (وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك) اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني (التي انعمت علي وعلى والدي) أدرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية (وأن أعمل صالحا ترضاه) تماما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) في عدادهم الجنة (وتفقد الطير) وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد (فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين) ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال مالي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فأضرب عن ذلك واخذ يقول بل اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له (لأعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل تأكله او جعله مع ضده في قفص (او لأذبحنه) ليعتبر به ابناء جنسه (او ليأتيني بسلطان مبين) بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما

ان الاشكال انما يرد ان لو حلف على وقوع الثالث بخصوصه وليس كذلك بل حلف ليكونن احد الامور الثلاثة وحصوله انه ان وقع الثالث لايكون ذبح ولا تعذيب وان لم يقع يكون احد الامرين لا محالة ولا محذور في الحلف على هذا الوجه ﴿قوله زمانا غير مديد﴾ يعني ان قوله عليه الصلاة والسلام غير بعيد صفة زمان ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي مكثا غير مديد فأتاه الهدهد بحجة تبين عذره في غيبته فقال احطت بما لم تحط به اي اطلعت على ما لم تطلع عليه وعلمته من جميع جهاته بحيث لا يخفى علي منه شيء فان الاحاطة بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته بحيث لا يخفى منه معلوم اصلا ﴿قوله باطباق وبغير اطباق﴾ الاطباق ان ترفع ظهر لسانك الى ما يحاذيه من الحنك الاعلى عند تلفظ حرف من الحروف المطبقة واختلفوا في ان الحروف المطبقة اذا ادغمت في غير المطبقة هل يبقى ما فيها من الاطباق اولا والظاهر ان الاطباق يقتضي بقاء المطبقة بحالها وعند ادغامها في غير المطبقة يصير ابدالها الى المدغم فيه فلا يبقى الاطباق مع ابدالها ﴿قوله غير مصروف﴾ اي قرأ من سبأ بفتح الهمزة للعلمية والتأنيث وقرأه الباقون بالجر والتنوين جعلوه اسما للحي او المكان وسبأ في الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسمي سبأ لانه اول من سبى ثم اطلق على القبيلة وعلى البلد ايضا والنبأ الخبر الذي له شأن ﴿قوله وكان الهدهد رائده﴾ اي طالبا يطلب له الماء يقال راد الكلأ يروده رودا وريادة اي طلبه فهو رائد وكان الهدهد قناقن سليمان وهو الدليل الهادي البصير بالماء تحت الارض وكيفية حفر القنى وكذلك الشاقن بالضم والجمع الشاقن بالفتح وكان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة ويعرف الفصل بين قربه وبعده فيدلهم على موضع الماء بان ينقره بمنقاره ثم الشياطين يحفرون عنه الارض كما يسلخ الاهاب من المذبوح ذكر ان ابن عباس رضي الله عنه لما قال ان سليمان طلبه لانه كان يعرف مسافة الماء ويبصره تحت الارض قيل له ان الصبي يضع له الفخ فيغطيه بالتراب فكيف لا يعرفه حتى يقع فيه فقال ويحك اما علمت ان القدر يحول دون البصر وانه اذا جاء القضاء عمي البصر ﴿قوله فرأى الهدهد﴾ اي آتاه ﴿قوله اذ حلق﴾ علة لقوله لم يجده وتحليق الطائر ارتفاعه في طيرانه ﴿قوله فتواصفا﴾ اي وصف كل واحد من الهدهدين ملك صاحبه ووصف هدهد سليمان للآخر ملك سليمان وما سخر له من كل شيء ووصف هدهد بلقيس ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف ﴿قوله والضمير في تملكهم لسبأ﴾ يعني ضمير تملكهم لسبأ ان اريد به القبيلة او لاهلها ان اريد بها البلدة فاضمار اهلها او بطريق الاستخدام حيث اريد بالاسم الظاهر احد معنييه وبضميره معناه الآخر ﴿قوله واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك﴾ حمل كل شيء في حق بلقيس على اسباب الدنيا ولوازم الملوك لئلا يلزم التسوية بينها وبين سليمان عليه الصلاة والسلام فان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام واوتينا من كل شيء ما اوتي من النبوة والعلم والحكمة والملك واسباب الدنيا ﴿قوله عظيم بالنسبة اليها او الى عروش امثالها﴾ جواب عما يقال كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن في الوصف بالعظم والسمك البعد الآخذ من السفل الى العلو وعكسه العمق وكان ابو بلقيس ملكا عظيم الشان وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لي وأبى ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فلما مات ابوها طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعوها وملكوها وفي الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس ﴿قوله فصدهم لان لا يسجدوا﴾ وقرأ الجمهور الا بالتشديد على ان اصلها ان لا فأن ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفي وان مع ما بعدها في موضع المفعول له لقوله فصدهم اي فصدهم عن سبيل الحق لاجل ان لا يسجدوا فحذفت لام الاجل وادغمت النون في اللام فصار الا يسجدوا والوجه الثاني ان تكون ان مع ما بعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراضا تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل والوجه الثالث ان تكون ان وما بعدها في موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض اي الى ان لا يسجدوا وتكون لا مزيدة كزيادتها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله وان قرئ الا مخففا يكون ألا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام ويا بعدها حرف نداء واسجدوا فعل امر فحق الخط على هذه القراءة ان يكون على صورة يا اسجدوا الا ان الصحابة استغنوا بألف يا عن همزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة

(فمكث غير بعيد) زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف (فقال احطت بما لم تحط به) يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه على ان في أدنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق (وجئتك من سبأ) وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة (بنبأ يقين) بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها (اني وجدت امرأة تملكهم) يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير في تملكهم لسبأ او لاهلها (واوتيت من كل شيء) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) عظيم بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) كأنهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان اعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم (فصدهم عن السبيل) سبيل الحق والصواب (فهم لا يهتدون) اليه (الا يسجدوا لله) فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله

يسجدوا كما قرئ فاتحدت القرآءتان لفظا وخطا واختلفتا تقديرا ومثل حذف المنادى مع بقاء حرف النداء بقوله

* فقالت الا ياسمع اعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق واصيبي *

اى الا ياصاحبي اسمع والخطة الخصلة المهمة وقوله فقلت سميعا اى ناديت سميعا ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على قرآءة التخفيف كما يجوز ان ينتهي كلام الهدهد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينتهي عند قوله لايهتدون ويوقف عليه ويكون قوله الا يسجدوا استئناف خطاب من الله تعالى للمشركين او من قبل سليمن عليه الصلاة والسلام لقومه بعد تمام كلام الهدهد وعلى قرآءة التشديد لايوقف الا على العرش العظيم ﴿قوله وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود في الجملة﴾ بمعنى انها لاتجب على الفور بل وقتها موسع فى اى وقت اديت تكون اداء لاقضاء وهو رد على من فرق بين القرآءتين فأوجبها على قرآءة التخفيف نظرا الى وجود لفظ الامر فيها ولم يوجبها على قرآءة التشديد لعدم وجود لفظ الامر فيها ولم يرض المصنف بهذا الفرق لان السجدة كما تجب بالامر بها تجب ايضا بذم من تركها وبمدح من اتى بها ففى قرآءة التشديد وان لم يصرح بالامر بها الا انها تدل على ذم من تركها فتدل على الوجوب ايضا وفى كلام الفارق بينهما بحث آخر وهو ان الامر المتحقق فى قرآءة التخفيف اما ان يكون من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالى فدلالته على الوجوب ظاهرة وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففى دلالته على الوجوب نظر الا ان يقال انه تعالى لما حكى كلامه على طريق الارتضاء والقبول كان كانه قرر مضمونه واوجبها ابتداء من قبل نفسه فكانت قرآءة التخفيف دليلا على الوجوب سوآء كان مافيها من لفظ الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد ﴿قوله وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة ها﴾ مع تشديدها وتخفيفها وقرئ الا تسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وتاء الخطاب واثبات نون الرفع فمن اثبت نون الرفع جعل الاحرف تحضيض او للعرض كما فى الا تنزل عندنا ﴿قوله والخبأ ما خفى فى غيره﴾ الخبأ فى الاصل مصدر خبأت الشئ اخبأه خبأ اى سترته واخفيته ثم اطلق على الشئ المخبوء ونحوه هذا خلق الله اى مخلوقه والمخبوء فى السموات كالكواكب والامطار اخرجها الله تعالى باشراق الكواكب وانزال الامطار والمخبوء فى الارض كالنبات اخرجه الله تعالى بانباته والانشاء ايجاد الشئ المسبوق بالمادة والابداع ايجاد ماليس بمسبوق بها والمقصود من وصفه تعالى بالتفرد بكمال القدرة حيث قيل يخرج الخبأ وبالتفرد بكمال العلم حيث قيل ويعلم ماتخفون وماتعلنون الحث على السجود له تعالى والرد على من يسجد لغيره كالشمس وتقرير كونه ردا عليه ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبأ وعالما بالخفيات والشمس مثلا ليست كذلك فهى لاتكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها اما ان الاله يجب ان يكون قادرا وعالما على الوجه المذكور فلانه يجب ان يكون واجبا لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه وكل ما كان متناهيا فى الذات كان متناهيا فى الصفات ﴿قوله فبين العظيمين﴾ احدهما عرش بلقيس والآخر عرش الله العظيم يعنى ان قوله تعالى لا اله الا هو رب العرش العظيم سوآء كان من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد يكون المقصود منه الاشارة الى البون البعيد بين العظيمين فان كان من كلام الهدهد يكون المقصود استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان كان من كلام الله يكون المقصود الرد عليه فى وصفه عرشها بالعظم ﴿قوله والتغيير للمبالغة﴾ فان ام كنت من الكاذبين ابلغ من ام كذبت لان معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا فى سلك الكاذبين ﴿قوله ماذا يرجع بعضهم﴾ اى ماذا يرد من الجواب من الرجع وهو الرد فان جعلت النظر بمعنى التأمل والتفكر كانت ما فى قوله ماذا يرجعون استفهامية وفيها حينئذ وجهان احدهما ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد منصوب بيرجعون على انه مفعوله تقديره اى شئ يرجعون وثانيهما ان تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وتقديره اى شئ الذى يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر فمحلها النصب على اسقاط الخافض اى انظر فى كذا وفكر فيه وان جعلتها بمعنى انتظر كما فى قوله انظرونا نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وهذا الموصول مع مافى حيزه مفعول به لانظر اى انتظر الذى يرجعونه ﴿قوله لكرم مضمونه﴾ اى مافى مضمونه من اللفظ والمعنى ﴿قوله او مرسله﴾ وعرفت كرم مرسله بناء على انها لما رأت الخاتم ارتعدت فرآئصها وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه

الا ياسمع اعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيبي * وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لايهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قرآءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة ها والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبأ فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون) وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبأ ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ماتخفون وماتعلنون بالتاء (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم (قال سننظر) سنتعرف من النظر بمعنى التأمل (أصدقت ام كنت من الكاذبين) اى ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم) ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) اى بعد ما القى اليها (يا ايها الملأ انى القى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه او مرسله

او لانه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان) استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان (وانه) اي وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه (بسم الله الرحمن الرحيم ان لاتعلوا علىّ) ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لاتعلوا او بدل من كتاب (واتوني مسلمين) مؤمنين او منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة (قالت يا أيها الملأ أفتوني في امري) أجيبوني في امري الفتيّ واذكروا ماتستصوبون فيه (ما كنت قاطعة امرا) ما ابت امرا (حتى تشهدون) الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة (قالوا نحن اولوا قوة) بالاجساد و لعدد (واولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والامر اليك) موكول (فانظري ماذا تأمرين) من المقاتلة والصلح نطعك وتتبع رأيك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها) تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من اموالهم وعمارتهم ثم ان الحرب سجال لايدري عاقبتها (وجعلوا اعزة اهلها اذلة) بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر (وكذلك يفعلون) تأكيدا لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل (واني مرسلة اليهم بهدية) بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انه بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقاقيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا اعظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال طلب الحق واخبر عما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء سليمان) اي الرسول او ماأهدت اليه وقرئ فلما جاؤا (قال أتمدونن بمال) خطاب للرسول ومن معه او الرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء (فما آتاني الله) من النبوة والملك الذي لامزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو (والباقون)

و عرفت الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها لطاعة الطير اياه وهيبة الخاتم ﴿قوله او لانه كان مختوما﴾ فان مجرد ختم الكتاب يكفي لصحة توصيفه بالكرم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لايقبلون الا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما نقشه اي الخاتم محمد رسول الله وقال مقاتل أتاها الهدهد وهي جالسة في قصرها فرفرف على رأسها ساعة والناس ينظرون فرفعت رأسها ناظرة اليه فألقاه في حجرها فقرأته وكانت عربية من قوم تبع ﴿قوله استئناف﴾ يعني انه من كلام بلقيس اجابت به لمن قال من هو او ماهو اي ماصفته وليس مما كتبه سليمان في كتابه حتى يقال كيف قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فان بلقيس اذا ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان ثم حكت ما في الكتاب بانه كيت وكيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا انه وانه بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف جوابا لسؤال قومها كأنهم قالوا ممن الكتاب وما فيه فأجابتهم بالجوابين وقرئ بفتح الهمزة فيهما اما على انه بدل من كتاب بدل اشتمال او بدل الكل من كتاب كأنه قيل القي الي أنه من سليمان وأنه كذا وكذا واما على اسقاط لام العلة والتقدير لانه من سليمان ولانه كذا وكذا كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدّرا بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قوله أن مفسرة﴾ بناء على ان بسم الله متعلقة بالقول كأنه قيل اقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم فسر القول بقوله ان لاتعلوا علىّ ولاتتكبروا وان كانت مصدرية تكون مع صلتها في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه بدل من كتاب كأنه قيل القي الي أن لاتعلوا ﴿قوله مع كمال الدلالة على المقصود﴾ وهو الدعوة الى الاستكمال بالقوة النظرية والعملية والتحلي بالفضائل العلمية والعملية والعلم مقدم على العمل فابتدأ بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لاشتماله على اثبات الصانع تعالى وصفاته صريحا والتزاما اما صريحا فظاهر واما التزاما فلان ماذكر صريحا يستلزم كونه تعالى حيا مريدا عالما قادرا موليا وورد ان يقال النهي عن الاستعلاء والامر بالانقياد قبل اقامة مايدل على رسالته حقا يدل على الاكتفاء بالتقليد والدعوة اليه * اجاب عنه بان لاتقليد والحال ان رسول سليمان الى بلقيس كان الهدهد ورسالة الهدهد معجزة والمعجزة تدل على وجود الصانع وعلى صفاته وتدل على صدق مدعي الرسالة فلما كانت رسالة الهدهد دليلا تاما على التوحيد والنبوة لم يحتج الى ذكر دليل آخر روي ان نسخة الكتاب كانت هكذا بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلاتعلوا علىّ واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لايطيلون ولايكثرون ويجوز ان يكون الكتاب اطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ماهو المقصود منه وهو دعاؤها الى التوحيد ﴿قوله في امري الفتيّ﴾ اي الحادث من قريب والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتوى هي الجواب في الحادثة والمعنى اشيروا علىّ بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث من الامر بلفظ مشتق من الفتاء في السن وهو لفظ الفتوى بجامع الحداثة ﴿قوله ليمالئوها﴾ اي ليعاونوها يقال مالأته على الامر ممالأة اي ساعدته عليه مساعدة وتمالأوا على الامر اي اجتمعوا عليه وتعاونوا فأجابه قومها بان ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم تعريضا منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك اي في القتال وتركه فلما احست منهم الميل الى المحاربة رأت ان من الرأي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن فرعت انه لاماذكروه وأرتهم انخطأ رأيهم وقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا اخربوها وقوله تعالى وكذلك يفعلون من تمام قولها ارادت وهذه عادتهم المستمرة التي لاتتغير لانها كانت ربيت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ويجوز ان ينتهي كلامها عند قولها اذلة ثم صدقها الله تعالى فيما قالت فقال وكذلك يفعلون اي وكما قالت هي تفعل الملوك ثم قالت الرأي المستقيم ان تبتدئ بارسال رسل ملتبسين بهدية فننظر بم يرجع المرسلون وقوله بم متعلق بيرجع لابقوله ناظرة لان اسم الاستفهام له صدر الكلام واعلم ان بلقيس كانت امرأة لبيبة حيث اختارت ان ترسل اليهم اي الى سليمان وقومه هدية وان تختبر بها أملك هو أم نبي وقالت ان يكن ملكا قبل الهدية ورضي بها وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا بان نتبعه على دينه فدلت قولها ناظرة بم يرجع المرسلون فان هذا الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول وجوزت الرد وارادت ان يكشف غرض سليمان ﴿قوله وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام﴾ اي ادغام نون الرفع في نون الوقاية واما الياء فان حمزة يحذفها وقفا ويثبتها وصلا على قاعدته والباقون بنونين على الاصل جمعوا بين المثلين ولم يدغموا لان الثانية ليست بلازمة فانها تزاد مع ضمير المتكلم واما الياء فان نافعا وابا عمرو كحمزة يثبتانه وصلا ويحذفانه وقفا وابن كثير يثبتها في الحالتين

(بل انتم بهديتكم تفرحون) لانكم لاتعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب من انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها (ارجع) ايها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لا طاقة لهم بمقاومتها ولاقدرة على مقاتلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (اذلة) بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون) اسرآء مهانون (قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها) اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه ام تنكره (قبل ان يأتوني مسلمين) فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها (قال عفريت) خبيث مارد (من الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخر (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوي امين) لا اختزل منه شيأ ولا ابدله (قال الذي عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ٭ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ٭

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) رأى العرش (مستقرا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا النعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربي) تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله تقدم في آية الاسراء

و ليأتون بحذفوتها في الحالتين وروى عن نافع انه يقرأ بنون واحدة خفيفة وياء على حذف النون الثانية التي لنصب ضمير المتكلم وحذف الاولى لحن لانها علامة ومعنى قوله أتمدونني بمال أتزيدونني مالا بهديتكم وهذا استفهام انكار اى لااطلب زيادة في المال فكأنه قيل لا اقبل هديتكم بل اردها عليكم ثم علل هذا الانكار بقوله فما آتاني الله خير مما آتاكم ثم اضرب عن انكار الاهدآء وتعليله الى ذمهم بالاعتزاز بالامور العاجلة وغفلتهم عن الفضائل الروحانية والامور الاخروية فقال بل انتم بهديتكم تفرحون كانه قال انا لا ارضى بالهدية والمصانعة بل انتم تفرحون بذلك لان نظركم مقصور على الزخارف الدنيوية وفرحي بالنبوة والعلم والامور الاخروية قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذا على ان يكون الهدية في قوله بهديتكم مضافا الى المهدى اليه فان الهدية اسم لما يهدى اى يبعث الى شخص تكرما كما ان العطية اسم لما يعطى فتضاف تارة الى المهدى وتارة الى المهدى اليه يقال هدية فلان فيراد اهداها فلان او اهديت اليه والمراد هنا الاضافة الى المهدى اليه والمعنى بل انتم بالاهدآء اليكم تفرحون ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهدآء مثلها فيكون وجه الاضراب حينئذ انه لما قال أتمدونني بمال وكان ذلك متضمنا معنى اتظنون اني افرح بهديتكم والمعنى اني لا افرح بهديتكم اضرب عنه بقوله بل انتم بهديتكم تفرحون ﴿قوله تعالى فلنأتينهم﴾ جواب قسم محذوف وكذلك ولنخرجنهم اى فوالله لنأتينهم فان قيل كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحفظ عنه خلف اجيب بانه معلق على شرط حذف لدلالة المقام عليه اى ان لم يأتوا مسلمين وحقيقة قوله لاقبل لهم لامقابلة ولا طاقة عليها قال ابن عباس رضي الله عنهما لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ارتحلت الى سليمان في اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف فلما قربت منه على مقدار فرسخ بينها وبين سليمان رأى سليمان وهجا قريبا اى توقد نار فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت بهذا المكان فاقبل سليمان على جنوده حينئذ فقال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين طائعين وقد روى انها لما خرجت الى طاعة سليمان امرت بان يجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ﴿قوله لانه يقال للرجل الخبيث﴾ تعليل لكون من التبيين فان ما قبلها يجب ان يكون اعم من مدخولها وههنا كذلك فان العفر والعفرية والعفريت والعفرية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه اى يلقيهم في التراب ومن الشياطين الخبيث المارد واشتقاقه من العفر وهو التراب ﴿قوله انا آتيك﴾ يجوز ان يكون فعلا مضارعا على وزن افعل نحو اضرب واصله أأتيك بهمزتين فأبدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل فالالف زائدة والهمزة اصلية على عكس الاول ﴿قوله والطرف تحريك الاجفان للنظر﴾ فالطرف بالنسبة الى النظر كالنظر بالنسبة الى الرؤية فان الناظر اذا اراد النظر الى شيء حرك اجفانه نحو ذلك الشيء فهو ارسال الطرف واذا اراد الامساك عنه رد الاجفان الى مكانها الاول فلما كان وضع الطرف موضع النظر عبارة عن امتداد النور من العين الى المرئي كان اغماض الجفن يوهم ان ذلك النور ارتد الى العين ورائدا في البيت نصب على الحال من طرفك وجواب اذا اتعبتك والرائد الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم اى اذا جعلت عينك رائدا لقلبك لطلب هواها اتعبتك مناظرها واوقعتك في اشق المكاره ثم ان الشاعر فصل ما اجمله في قوله اتعبتك المناظر بقوله في البيت الثاني

٭ رأيت الذي لا كله انت قادر ٭ عليه ولا عن بعضه انت صابر ٭

واختلف المفسرون في قوله قبل ان يرتد اليك طرفك على وجهين الاول انه اراد المبالغة في السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد والثاني ان يكون الكلام على ظاهره فان قيل كيف يجوز ان ينقل العرش من ناحية اليمن الى ارض الشام في هذا القدر من الزمان وهو يقتضي اما القول بالحركة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين اجيب عنه بان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعا وستين مرة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار لدى بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل

(فبلونی ءأشكر) ان اراه فضلا من الله بلا حول منی ولا قوة واقوم بحقه (ام اكفر) بان اجد نفسی فی البين او اقصر فی اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران (ومن كفر فان ربی غنی) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدی ام تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فی امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها (واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التی لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ای واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فی ذلك شكرا له (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) ای وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول ای صدها نشوؤها بين اظهر الكفار او التعليل له (قيل لها ادخلی الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) روی انه امر قبل قدومها فبنی قصر صحنه من زجاج ابيض واجری من تحته الماء والقی فيه حيوانات البحر ووضع سريره فی صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق واسؤق (قال انه) ان ما تظنينه ماء (صرح ممرد) مملس (من قوارير) من الزجاج

الممكنات زال السؤال قال المصنف فی سورة الاسراء والاستحالة مدفوعة بما ثبت فی الهندسة ان ما بين طرفی قرص الشمس ضعف ما بين طرفی كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فی اقل من ثانية وقد برهن فی الكلام ان الاجسام متساوية فی قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فی بدن النبی عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات روی ان آصف بن برخيا قال لسليمان ارسل طرفك فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار الكرسی تحت الارض ونبع لدى كرسی سليمان قبل ان يرجع اليه طرفه ﴿قوله نكروا لها عرشها﴾ ای اجعلوه منكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فالتنكير التغيير والتنكر التغير فلما امر سليمان عليه الصلاة والسلام الشياطين بذلك نكسوه ای جعلوا اسفله اعلاه وبنوا فوقه قبابا اخرى هی اعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الاحمر اخضر وبالعكس قيل لما جاءت بلقيس خاف الجن ان تفشی اسرارهم الى سليمان لانها كانت جنية وان يتزوجها سليمان فتلد له ولدا فلا ينفكون من التسخير فاحتالوا لتنفيره عنها فقالوا ان فی عقلها شيأ من الخفة وانها شعراء الساقين وان رجلها كحافر حمار فلما سمع سليمان ذلك امرهم بتنكير عرشها ليختبر بذلك عقلها وامر الشياطين بان يبنوا له صرحا ممردا ای قصرا املسا من قارورة يبصر تضطرب كأنها الماء لصفاء صفائها وجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها يقول لها عند مجيئها اليه ادخلی الصرح لتكشف عن ساقيها حيث ما اراد دخولها بناء على ظن انه ماء عظيم يعتبر بذلك حال ساقيها ورجليها وقيل امر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها بمثل ما فعلت هی به فی امر الوصفاء والوصائف وتنكيرها اياهم وامر الدرة العذراء والجزعة الموجة الثقب فاهتدى هو عليه الصلاة والسلام لنبوته ولم تهتد هی اليه فاستبان لها حاله بذلك فاطاعته واسلمت ﴿قوله تشبيها عليها﴾ ای تلبيسا من الشبهة بمعنى الالتباس وقالت فی الجواب كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس هو قال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ووقعت فی محل التوقف لئلا تكذب وذلك من كمال عقلها فقيل لها انه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وتسليط الحراس عليه ﴿قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها﴾ ان كان من كلام بلقيس يكون ضمير قبلها راجعا الى الحالة او المعجزة الدال عليه السياق كأنها قالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة بما شاهدناه من رسالة الهدهد ورد الهدية وسائر ما علمناه من قبل الرسل وان كان من كلام سليمان واتباعه يكون ضمير قبلها راجعا الى بلقيس فكأن سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت فی جوابها وهی عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى على ان خصهم بمزية التقدم فی الاسلام ﴿قوله وصدها عبادتها الشمس﴾ على ان يكون فاعل صد قوله ما كانت تعبد بمعنى عبادتها والظاهر ان هذه الجملة حينئذ تكون معطوفة على جملة واوتينا العلم على ان تكون من كلام سليمان واتباعه وان كانت من كلام بلقيس تكون هذه الجملة استئناف اخبار من الله بذلك ﴿قوله او وصدها الله﴾ على ان يكون فاعل صد ضمير البارى وعلى هذا يكون قوله ما كانت تعبد فی محل النصب على اسقاط الخافض ای ومنعها الله عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس ای منعها عن عبادة الشمس ﴿قوله انها كانت﴾ الجمهور على كسر همزة انها استئنافا وتعليلا وقرئ بالفتح على انها بدل مما كانت تعبد على تقدير كونها فاعل صد ای وصدها انها كانت او على اسقاط لام العلة ای لانها فهی قريبة من قراءة الجمهور ﴿قوله وقيل عرصة الدار﴾ ای قيل الصرح الصحن المنكشف من غير سقف وهو سواء كان بمعنى القصر او العرصة مأخوذ من التصريح بالشیء وهو كشفه واظهاره ﴿قوله حملا على جمعه﴾ يعنی انه سمع من العرب فی جمع ساق سؤوق واسؤق بالهمزة فاجری عليه الواحد قال ابن عباس لما كشفت عن ساقيها ظهر قدم لطيف وساق حسن مدمج ای ممتلئ لكنه اشعر قيل انه عليه الصلاة والسلام تزوجها وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت بلقيس انی لم يمسنی حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون ساقها كالفضة الملساء فاتخذوا النورة والحمام من يومئذ فلما ابصر سليمان ساقها وقدمها وعرف جمالها صرف بصره وقال انه صرح ممرد من قوارير وذلك لانه لم يحرم له النظر الى ساقها بعد ما تبين حال ساقها وانما جاز قبل ان يتبين حاله ولذلك اذاها بذلك حتى تستر ساقها والتمريد البناء يجعله املس يقال شجر امرد وغلام امرد ای لا ورق له ولا شعر فلما قيل انه ليس بماء بل صرح ممرد من

قوارير لرسلت ديلها وسترت ساقها وتعجبت من ذلك واستحكم ماشاهدته من دلائل الوحدانية والنبوة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدم من عمرها ومتثبتة لعقد الاسلام بكمال الرغبة والايقان رب انى ظلمت نفسى فيما سبق من عمرى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ارادت بظلمها نفسها سوء ظنها بسليمان حيث حسبت ان سليمان اراد ان يغرقها في اللجة قال محمد بن كعب القرظى لما ابصرت بلقيس الصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت ظلمت نفسى حيث اساءت به الظن ﴿قوله وقد اختلف فى انه زوجها﴾ والمشهور انه تزوجها واحبها حبا شديدا واقرها على ملكها فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له داود بن سليمان وامر الجن فبنوا لها مدينة بسيلحين وقصر غمدان بصنعاء وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان فانه قد روى ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت او مثلى يا نبى الله ينكح الرجال وقد كان لى فى قومى الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك ان تحرمى ما احل الله لك قالت فان كان ولا بد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وردها الى اليمن ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان فلما مات سليمان وعلمت الجن موته نادى زوبعة يا معشر الجن قد مات سليمان فارفعوا رؤسكم فرفعوها وتفرقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فسبحان من لا انقضاء لدوام لا هو ولا انتهاء لملكه * روى ان سليمان عليه السلام ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وقد ذكر قبل قصتهما قصة موسى عليه الصلاة والسلام فالآن ذكر الله تعالى قصة ثالثة وهى قصة صالح عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ﴿قوله اطيرنا﴾ اصله تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى الطاء وزيدت همزة الوصل ليتأتى الابتداء والتطير التشؤم سمى بروح الطير وهو ان يقابلك مباسرة بان يمر من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح لانه لا يمكنك ان ترميه حتى تنحرف وتتيمن بالسانح وهو الذى يقابلك ميامنة بان يمر من مياسرك الى ميامنك والمراد بالتطير فى الآية مطلق التشؤم فانه قد يستعمل فى التشؤم بكل ما يتشاءم به وان كان فى الاصل عبارة عن التشاؤم بالطير روى انهم قحطوا بعد مبعث صالح عليه السلام لتكذيبهم اياه فنسبوه الى مجيئه ونسبوا ما ابتلوا به كما ينسب اهل الجهل الشر الى الطائر فقال عليه الصلاة والسلام طائركم عند الله اى السبب الذى يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره وكل ما يصيب العبد من الخير والشر انما يصيبه بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه لا مانع لما اعطاه ولا معطى لما منعه اطلق الطائر على ما هو سبب حقيقى للخير والشر وهو قضاء الله وقدره تشبيها له بالطائر الذى هو سبب لهما فى زعمهم ويحتمل ان يكون الطائر مستعارا لاعمالهم التى كانت سببا لما اصابهم من الشدائد فانها مكتوبة عند الله تعالى كما ان القضاء والقدر صفتان قائمتان به تعالى ﴿قوله الى ذكر ما هو الداعى اليه﴾ وهو اختبار انهم هل يتوبون الى ان ما اصابهم من حسنة فمن فضل الله ورحمته وان ما اصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴿قوله وانما وقع تمييزا التسعة باعتبار المعنى﴾ يعنى ان مميز ما فوق الثلاثة الى العشرة يجب ان يكون مجموعا والرهط مفرد اللفظ ومع ذلك وقع تمييزا للتسعة لكونه فى معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس ﴿قوله اى شأنهم الافساد الخالص﴾ اشارة الى فائدة قوله ولا يصلحون بعد قوله يفسدون فى الارض وهى ان المفسدين قد يجيء منهم الاصلاح فى بعض الاوقات وهؤلاء التسعة كان حالهم بخلاف ذلك اذ لم يكن منهم الاصلاح اصلا وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم وهم الذين اجمعوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة وقوله يفسدون صفة تسعة او رهط فيكون فى موضع الرفع او الجر ﴿قوله امر﴾ اى يجوز فى تقاسموا ان يكون امرا اى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون بدلا من قالوا مفسرا له كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا من فاعل قالوا على اضمار قد اى قالوا ذلك متقاسمين ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى﴾ لتبيتنه بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء الثانية والباقون بنون المتكلم وفتح التاء ﴿قوله ثم لنقولن﴾ قرأ حمزة والكسائى بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام وقرئ بياء الغيبة فى الفعلين فاما قراءة الآخرين فان جعلنا تقاسموا فعل امر فالخطاب واضح رجوعا بآخر الكلام الى اوله وان جعلناه

(قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس
وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى
اللجة (واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فيما
امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها
او زوجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله)
بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها
الباء (فاذا هم فريقان يختصمون) ففاجأوا
التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر
فريق والواو لمجموع الفريقين (قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة) بالعقوبة فتقولون
ائتنا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة
فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا
يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ
(لولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلكم
ترحمون) بقبولها فانها لا تقبل حينئذ
(قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك)
اذ تتابعت علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق
منذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) سببكم
الذى جاء منه شركم (عند الله) وهو قدره
او عملكم المكتوب عنده (بل انتم قوم
تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء
والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ
ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه
(وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة انفس
وانما وقع تمييزا التسعة باعتبار المعنى والفرق
بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة
(يفسدون فى الارض ولا يصلحون) اى
شأنهم الافساد الخالص عن شوائب
الصلاح (قالوا) اى قال بعضهم لبعض
(تقاسموا بالله) امر مقول او خبر وقع
بدلا او حالا باضمار قد (لنبيتنه واهله)
لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة
والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم
لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
(ثم لنقولن) فيه القراءات الثلاث (لوليه)
لولى دمه (ما شهدنا مهلك اهله) فضلا
ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر
والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة
حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع
وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا

ماضيا او امرا فالامر بها واصح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قرآءة الغيبة فيهما فظاهرة على ان يكون
تقاسموا ماضيا رجوعا بآخر الكلام الى اوّله فى الغيبة وان جعلنه امرا كان لنبيتنه جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل
كيف تقاسموا فقيل لنبيتنه والبيات مباغتة العدوّ ومفاجأته بالقتل ليلا والمعنى لنقتلنه بياتا اى ليلا واهله اى قومه
الذين اسلموا معه ثم لنقولنّ لوليه اى لولى دمه ماشهدنا مهلك اهله اى ماحضرنا هلاكهم او موضع هلاكهم
اوزمانه او اهلاكهم او موضع اهلاكهم اوزمانه ولاندرى من قتلهم قرأ العامة مهلك بضم الميم وفتح اللام من
الاهلاك وحفص بفتح الميم وكسر اللام وابوبكر بفتح الميم واللام وكلاهما من الهلاك الا انه على قرآءة ابى بكر
لايكون الا مصدرا لان هلك من باب ضرب واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لايكون الا مكسور اللام
واما مهلك بكسر اللام فانه يحتمل الثلاثة وكذا مهلك بضم الميم وفتح اللام فتحالف القوم على ان يبيتوا صالحا واهله
ثم يكروا عند اوليائه انهم فعلوا ذلك اورأوه وكان هذا مكرا عزموا عليه هذا على تقدير ان يكون تقاسموا فعلا
ماضيا بمعنى النص قالوا ولايكون بمعنى القول ﴿قوله ونحلف انا الصادقون﴾ يعنى ان جملة انا الصادقون
فى محل النصب بنزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف على قوله لنقولن اى ثم نقول ما كذا ونحلف انا الصادقون
فيما قلنا او على انه حال من فاعل لنقولن وما اورد ان يقال كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع
وجحود لما فعلوه عمدا فاجاب عنه بوجهين الاوّل ان الكذب انما يلزمهم ان لو انكروا المباشرة ولم يكروه بل انكروا
الشهود وانكاره لايستلزم انكار المباشرة ليلزم الكذب والثانى انهم انما انكروا شهود مهلك اهله وحده وهم
صادقون فيه سمى الله مواضعتهم على قتل صالح واهله خفية مكرا لكونها مكرا فى الحقيقة لان المكر قصد الاضرار
على طريق الغدر والحيلة وسمى تدميره واهلاكه اياهم وهم لايشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكرا ايضا
تشبيها له بالمكر من حيث كونه اضرارا فى خفية لقوله وهم لايشعرون او للمشاكلة ﴿قوله فى الحجر﴾ وهو اسم
مدينة ثمود قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين والحجر مامور بالحجارة وبه سمى حجر الكعبة وديار ثمود
والشعب بالكسر ما انفرج بين الجبلين وقيل الطريق فى الجبل ﴿قوله زعم ان يفرغ منا الى ثلاث﴾ وذلك انهم لما
عقروا الناقة اخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم بعد انتهاء ثلاثة ايام فقالوا ذلك قال ابن عباس ارسل الله
الملائكة تلك الليلة الى دار صالح عليه السلام يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة
بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولايرون الملائكة فقتلوهم وهو قول الكلبى وقال قتادة والسدى دخلوا لبلاق
خرق جبل يحترسون فارسل الله تعالى عليهم صخرة فسدّت عليهم فم الخرق فهلكوا فيه واهلك الله تعالى سائرهم
بصيحة جبريل وقرأ الكوفيون انا دمرناهم بفتح الهمزة والباقون بكسرها على الاستئناف واختار المصنف قرآءة انا
بكسر الهمزة وجوّز حينئذ ان تكون كان تامة وناقصة وجوّز على تقدير كونها ناقصة ان تكون ان المكسورة مع ما
فى حيزها استئنافا وان تكون خبر مبتدأ محذوف ولاينافيه اقتضاؤها الصدارة لانها انما تقتضى ان تكون فى صدر
الجملة التى دخلت هى عليها وهذه الصدارة حاصلة سواء جعلت خبر ان او خبر كان الا انه لم يجوّز كونها خبر كان لان
المكسورة مع مافى حيزها جملة والجملة لاتكون خبرا بدون العائد بخلاف المفتوحة فانها مع مافى حيزها فى تأويل
المفرد فيصح كونها خبرا بدون العائد وعلى تقدير كونها مستأنفة بحيث يتم الكلام قبلها وذلك بان تكون كان تامة
وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها اى فانظر يامحمد على اى حال عاقبة امرهم او بان تكون ناقصة وعاقبة اسمها وكيف
خبرها ويجوز على تقدير ان تكون ناقصة ويتم الكلام قبل ان المكسورة ان يكون قوله انا دمرناهم بكسر الهمزة
خبر مبتدأ محذوف اى وهى انا دمرناهم على معنى وتلك العاقبة انا دمرناهم وعلى قرآءة الكوفيين يجوز ان يكون انا
دمرناهم خبر مبتدأ محذوف سواء جعل كان تامة او ناقصة فانه ان جعل كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها جاز
ان يكون انا دمرناهم خبر مبتدأ محذوف كما اذا كانت ناقصة وجاز ايضا ان تكون بدلا من عاقبة والمعنى كيف كان
تدميره اياهم بمعنى كيف حدث ووقع ويجوز هذا الوجه على تقدير ان يكون كان ناقصة ايضا كما اشار اليه بقوله
او بدل من اسم كان ولم يقل من فاعل كان ويجوز على تقدير كونها ناقصة ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم خبرها
وكيف حالا اى فانظر اى حال كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم اجمعين ولايجوز على تقدير كون كان ناقصة وعاقبة
اسمها وكيف خبرها ايضا ان يكون انا دمرناهم بدلا من كيف لان قوله انا دمرناهم ليس معه حرف الاستفهام والبدل
من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك أعشرون ام ثلاثون وكيف فلان أصحيح ام سقيم ولو قلت

(وانا لصادقون) ونحلف انا لصادقون
او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد
للشئ غير المباشر له عرفا اولانا ماشهدنا
مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم
كقولك مارأيت ثمة رجلا بل رجلين
(ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا
مكرا) بان جعلناها سببا لاهلاكهم
(وهم لايشعرون) بذلك روى انه كان
لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه
فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ
منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى
الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم
فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك
الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه
قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا
دمرناهم وقومهم اجمعين) وكان ان جعلت
ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف
او خبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد
وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون
ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر
محذوف او بدل من اسم كان او خبر له
وكيف حال (فتلك بيوتهم خاوية) خالية
من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة
من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل
فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف (بما ظلموا) بسبب ظلمهم
(ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون) فيتعظون
(وانجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه
(وكانوا يتقون) الكفر والمعاصى فلذلك
خصوا بالنجاة

مضمرون او صحيح بغير اعادة حرف الاستفهام لم يعر ﴿قوله واذكر لوطا او وارسلنا لوطا﴾ يعني ان لوطا منصوب اما باذكر مضمرا او بارسلنا المدلول عليه بذكر في القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر في فاتحتها ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا فيقدر لها مثله وابدل اشتمال من لوطا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام اياه ليس في زمان قوله لقومه أتأتون الفاحشة او ظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا حينئذ اذ لا يستقيم ان يقال وارسلنا وقت قوله والفاحشة الفعلة القبيحة وأراد بها اللواطة باتفاق المفسرين ﴿قوله او يبصرها بعضكم من بعض﴾ يعني ويجوز ان يكون تبصرون من بصر العين لا على ان المعنى وانتم تبصرون ما تأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلان المعصية معصية آكدة على اتيانها ﴿قوله بيان﴾ يعني ان قوله أئنكم لتأتون الرجال عطف بيان لقوله أتأتون الفاحشة لكونه اوضح في الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله شهوة مفعول له اي اتأتون الرجال لقضاء الشهوة متجاوزين النساء مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فاتيانكم الرجال للشهوة مضادة لحكم الله تعالى وحكمته ﴿قوله تفعلون فعل من يجهل قبحها الخ﴾ جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم اولا حيث قال وانتم تبصرون اي تعلمون فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما وجهلا معا فاجاب بثلاثة اجوبة الاول انه ليس المعنى انتم تجهلون فحشها ليلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من يجهل فحشها مع علمكم بذلك والثاني ان المراد بالجهل السفاهة والحماقة التي كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون القيامة وعاقبة العصيان ﴿قوله والتاء فيه﴾ جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغي ان تكون صفته بياء الغيبة لتطابق الصفة الموصوف ومحصول الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريا على انتم خبرا عنه فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لان الاصل في الكلام انما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما ﴿قوله يتنزهون عن افعالنا﴾ اي لا يوافقونا فيها بل ينفرون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة الا باخراجهم من بيننا قرأ الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدم وقرئ بالرفع والنصب احسن لان أن قالوا في تأويل قولهم فهو اعرف من جواب قومه لان المضاف الى المضمر أعرف من المضاف الى المضاف الى المضمر ولان أن قالوا لا يقبل التنكير بخلاف جواب قومه فانه يقبله بان يقال جواب لقومه ﴿قوله قدرنا كونها من الباقين﴾ يريد ان المضاف مقدر في قوله قدرناها لان التقدير متعلق بعبورها وكونها من زمرة الباقين في العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقي في القرية اهلكها الله بعذاب الائتفاك وان خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكت بان اصابها حجر في الطريق والمتبادر من هذه الآية ان امطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو امر شامل لجميعهم وان الباقين في القرى المؤتفكات اهلكوا بنوع آخر من العذاب ايضا ﴿قوله الزام لهم﴾ يعني ان الآية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام واستعلام انه تعالى خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها ولا وجه له ضرورة ان احدا من العقلاء لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شئ في معنى الخيرية بل المقصود الزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه رأيهم بين الله تعالى اولا اهلاك كفار الامم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين ثم خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم وامره ان يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفين بالتوحيد والايمان من عبيده او خاطب لوطا عليه الصلاة والسلام وامره بذلك ثم التفت الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والالزام بقوله آلله خير أم ما تشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة حمله على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم وام في قوله ام ما يشركون متصلة عاطفة بمعنى ايهما خير وما بمعنى الذي وقيل مصدرية على حذف المضاف من الاول اي أتوحيد الله خير ام شرككم وام في قوله أمّن منقطعة بمعنى بل والهمزة اشار اليه المصنف بقوله بل ام من لعدم تقدم همزة الاستفهام وقصد التسوية ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل ام من خلق السموات والارض خير اضرب عن السؤال بايهما خير الى تقريرهم اي حملهم على الاقرار بان من قدر على خلق العالم فهو خير من جماد لا يقدر على شئ كأنه قيل دعوا هذا السؤال انتم تقرون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو

(ولوطا) واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول ظرف على الثاني (أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون) تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر (من دون النساء) اللاتي خلقن لذلك (بل انتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب (فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا (فأنجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين في العذاب (وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مر مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير اما يشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء (أمّن) بل ام من (خلق السموات والارض) التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله

(وانزل لكم) لأجلكم (من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة (ءاله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ آءِلها باضمار فعل مثل أتدعون او أتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل الارض قرارا) بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) وسطها (انهارا) جارية (وجعل لها رواسي) جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والمالح او خليجي فارس والروم (حاجزا) برزخا وقد مر بيانه في الفرقان (ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون) الحق فيشركون به (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجأ الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر (ويكشف السوء) ويدفع عن الانسان ما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم (ءاله مع الله) الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة (قليلا ما تذكرون) اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء وهشام والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التي لا منار بها (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب (ءاله مع الله) يقدر على شيء من ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها (ومن يرزقكم من السماء والارض) اي باسباب سماوية وارضية (ءاله مع الله) يفعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) على ان غيره يقدر على شيء من ذلك (ان كنتم صادقين) في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) لما بين

استفهام تقرير ﴿قوله لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى﴾ فانه لو اخرج الكلام على مقتضى الظاهر وقيل فأنبت به حدائق لأفاد الكلام اختصاص الانبات به تعالى بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم في النعت ونسب الفعل الى ذاته تأكد ذلك الاختصاص حيث دل عليه بأمرين ﴿قوله من الاحداق وهو الاحاطة﴾ قال الحديقة كل روضة وبستان عليه حوائط وانشار محدقة اي محيطة به والنشز المكان المرتفع ﴿قوله أغيره يقرن به﴾ يعني انه استفهام انكار بمعنى هل معه معبود سواه اعانه على خلق اصول الكائنات وانزال ما ينبت به ارزاق المخلوقات وليس له شريك في ذلك وانما جاز الابتداء بالنكرة وهو اله لتخصيصه بالعموم المستفاد من همزة الانكار الداخلة على النكرة ﴿قوله يعدلون عن الحق﴾ على انه من العدول وقيل هو من العدل بمعنى التسوية والمعنى بل هم يعني كفار مكة قوم يعدلون بالله غيره وهو الاصنام ﴿قوله بدل من أمن خلق﴾ فتكون ام فيه منقطعة ويكون معنى الهمزة التقرير كما في المبدل منه ﴿قوله خلالها﴾ يجوز ان يكون ظرفا لجعل بمعنى خلق المتعدية الى مفعول واحد وان يكون في محل المفعول الثاني لجعل على ان يكون بمعنى صير ﴿قوله جبالا تتكون فيها المعادن﴾ بيان لوجه كون خلق الجبال في الارض من جملة وجوه الانعام وذلك لان اكثر العيون والانهار والمعدنيات انما تتكون في الجبال وفيما يقرب منها والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشيء يرسو اي ثبت ولم يذكر من منافع الجبال كونها حافظة للارض عن الميلان كما قال الله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم لان تلك المنفعة فهمت من قوله تعالى جعل الارض قرارا فانها لا تكون مستقرا للخلق الا بكونها ساكنة المتنعة عن الاضطراب ﴿قوله او خليجي فارس والروم﴾ الخليج من البحر ما تشعب منه قال بعضهم المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزا وحيث جزيرة لانحسار عنها الماء ذهب وقال بعضهم المراد بهما بحر الشام وبحر العراق ﴿قوله واللام فيه للجنس﴾ جواب عما يقال انه تعالى ذكر في جملة ما تفضل به على عباده انه يجيب المضطر اذا دعاه والمضطر اسم جنس محلى بلام الاستغراق فيفهم منه انه يجيب كل مضطر دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وبدونه والحذف وقرئ تتذكرون بتاءين وقليلا صفة مصدر محذوف كما ذكر ﴿قوله ولو صح ان السبب الاكثري الخ﴾ جواب عما يقال لا نسلم انه تعالى هو الذي يحرك الرياح ويرسلها قال الفلاسفة فالت الرياح انما تتولد من الادخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة اياها سواء كانت الحرارة حرارة الشمس او حرارة النار فانها اذا صعدت ادخنة كثيرة الى فوق فاذا وصلت الى الطبقة الباردة وانكسرت ببرد تلك الهواء لا محالة تثقل وتنزل فيحصل من نزولها تموج الهواء فيحدث الريح وقوله ولو صح اشارة الى منع ما ذكروه وذلك ان الريح قد تتحرك تارة يمنة ويسرة وربما تقوى على قلع الاشجار وهدم الجدر فلو كانت الريح عبارة عن الهواء المتموج بسبب حركة تلك الاجزاء الدخانية الى اسفل حركة طبيعية وجب ان تهدم سقوف البيوت عند وقوع تلك الاجزاء عليها لان الحركة الهابطة طبيعية فتكون اقوى من الحركة العرضية التي هي الحركة يمنة ويسرة ولا شك ان شيأ من السقوف لا يسقط بسقوط الاجزاء الدخانية عليه فظهر به فساد ما ذكروه ثم انه تعالى لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الآخرة فقال ام من يبدأ الخلق ثم يعيده فان نعم الآخرة لا تتم الا بالاعادة بعد الابداء والابلاغ الى حد التكليف وذلك لا يتم الا بالارزاق فلذلك قال بعده ومن يرزقكم من السماء والارض ٭ ولما ورد ان يقال كيف يمكن الزام الكفرة بذكر نعمة الاعادة وما يترتب عليها وهم منكرون للاعادة ٭ اجاب عنه بانهم وان انكروا الاعادة الا انهم لما لم يكن لهم عذر في انكارها من حيث قيام الادلة القاطعة الدالة على امكانها وكونها مقدورة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها نزلوا منزلة من اقر بها فتوجه اليهم الالزام والتجهيل بذلك ثم بين ان امر الدين لا يبنى الا على الحجة والبرهان ولا يصح بمجرد التقليد فقال قل هاتوا برهانكم وقررهما ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وبين بعده انه المختص بعلم الغيب ليثبت بمجموع الامرين تفرده تعالى بالالوهية واستحقاق العبادة فان الاله الحق هو الذي يحيط علمه بأعمال المكلفين من الطاعة والمعصية ويقدر على مجازاة كل احد جزاء وفاقا بحيث لا يزيد عقاب العاصي على قدر معصيته ولا يضيع شيأ من طاعة المطيع ﴿قوله والاستثناء منقطع﴾ لعدم دخوله تعالى في قوله من في السموات والارض والمستثنى المنقطع منصوب ابدا عند الحجازيين فانهم يقولون ما جاءني احد الا حمارا ورفع المستثنى المنقطع في الآية مبني على لغة

بنى تميم فانهم يقولون ماقى الدار احد الاحمار ويجعلون المستثنى المنقطع فى حكم المفرغ ويقولون قولك مافى الدار احد الاحمار اصله مافيها الاحمار على ان يكون المستثنى منه المقدر اسم العام يعنى مافى الدار شئ الاحمار الاان المتكلم لما ظن ان المخاطب يستبعد خلوّ الدار من الآدمى ذكر الاحد من جملة افراد المستثنى منه المقدر تأكيدا لنفى كون الآدمى فيها وابقى اعراب المستثنى مرفوعا على ماكان عليه فى الاصل تنبيها على الاصل وقد كان المستثنى فى الاصل مرفوعا على الفاعلية فلما ذكر الاحد كان بدلا منه فعلى هذا الوجه لايكون المستثنى المنقطع من قبيل المتصل حيث لم يعتبر دخول المستثنى فى المستثنى منه الذى جعل بدلا وهو الذى يفهم من قول صاحب الكشاف يقولون مافى الدار احد الاحمار كأنّ احدا لم يذكر الاان قوله بعد ذلك اخرج المستثنى مخرج قوله الااليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يدل على انه جعل المنقطع كالمتصل وقدّر دخوله فى المستثنى منه ليشتمل الكلام على التعليق بالمحال لتفيد الكلام المبالغة فى نفى علم الغيب عن اهل السموات والارض وهذه المبالغة لاتحصل على تقدير النصب لانه حينئذ يكون المعنى لايعلم من فى السموات والارض الغيب لكنّ الله يعلمه فيكون نصبه على انه اسم لكنّ وتفوت هذه المبالغة المبنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال ﴿قوله او متصل﴾ فلايحتاج فى رفع المستثنى الى العدول من مذهب الحجازيين الى مذهب بنى تميم لان المستثنى المتصل يجوز فيه النصب ويختار البدل فى كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا باتفاق الجمهور والآية الكريمة من هذا القبيل ووجه المراجعة تعالى فى من فى السموات والارض قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقول المتكلمين الله فى كل مكان على معنى أن علمه فى الاماكن كلها فكأنّ ذاته فيها ورد صاحب الكشاف هذا الوجه بانه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فى كلمة واحدة وبيانه ان الظرفية المستفادة من قوله من فى السموات حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة اليه تعالى ولايجوز الجمع بينهما فى كلمة واحدة عند اكثر العلماء وان قال به الامام الشافعى رحمه الله كما فى قولهم القلم احد اللسانين والخال احد الابوين ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى وجوّزه المصنف اما بناء على مذهبه واما بناء على ماذكره الامام وهو قوله لايقال كونه تعالى فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز غير جائز لانا نقول كونهم فى السموات والارض كما انه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم فى تلك الامكنة كذلك حاصل مجاز ايضا وهو كونهم عالمين بتلك الامكنة فاذا حملنا هذه الكونية على المعنى المجازى وهو الكون فيها بمعنى العلم دخل الرب سبحانه وتعالى فيه فصح الاستثناء ﴿قوله والضميران﴾ يعنى ان قوله ومايشعرون نوصف لاهل السماء والارض نفى اولا ان يكون لهم علم الغيب ثم نفى عنهم الشعور وقت البعث من بين جملة الغيب الدلالة على تقرّده بعلمه وقيل ضمير يشعرون لكفرة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لهم ايان مرساها انكارا لاصل البعث فوبخهم الله تعالى بقوله ومايشعرون ايان يبعثون مع استواء الخلائق بأجمعهم فى الجهل بوقت البعث والمقصود توبيخهم على انكار اصل البعث وقد اشار اليه المصنف بقوله وأكد ذلك بنفى شعورهم بماهو مآلهم لامحالة وهو اصل البعث الا انهم لما انكروه بقولهم اىّ وقت وقت ارسائها واقامتها وبخهم على انكار وقت البعث بذلك اشعارا بطريق انكارهم له واشارة الى ان الجهل بقرب وقته بمالاينبغى فصلا عن الجهل باصله ﴿قوله ما انتهى منهم﴾ اى من اهل السماء والارض وقوله بل أدرك قرآءة ابى بكر ادّرك بتشديد الدال واصله افتعل قلبت التاء دالا وادغمت وفى التيسير قرأ ابن كثير وابو عمرو بل أدرك بقطع الالف واسكان الدال من غير الف بعدها والباقون بوصل الالف وتشديد الدال بعدها الف وهذا صريح فى ان عاصما وافق من قرأ ادّارك من غير خلاف عنه فيكون من قرأ به خمسة نفر والله اعلم والمصنف اختار قرآءة ابن كثير وابى عمرو فانهما قرأ بل أدرك بهمزة القطع كأكرم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم ادّارك بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف اصله تدارك ابدلت التاء دالا وادغمت الدال فى الدال واجتلبت همزة الوصل للابتداء فصار ادّارك كاثاقل وجعل ادرك بمعنى بلغ وانتهى من قولهم ادركت الفاكهة اذا بلغت وتكاملت نضجا وقدّر مضافا بعد قوله أدرك حيث قال وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج وبين وجه الاضراب فى قوله بل أدرك علمهم مع كون ارتباطه بما قبله خفيا من حيث ان مدلول الآية المتقدمة انه تعالى وحده هو الذى يعلم الغيب ويعلم متى الساعة ولاتظهر المناسبة بينه وبين الآية الدالة على ان اسباب علمهم بان الآخرة والقيامة كائنة قد تكاملت واستحكمت

ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على
انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض
ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم
او متصل على ان المراد ممن فى السموات
والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها
اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى
العلم من خلقه وهو موصول او موصوف
(ومايشعرون ايان يبعثون) متى ينشرون
مركبة من اىّ وآن وقرئت بكسر الهمزة
والضميران وقيل للكفرة (بل أدرك علمهم
فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب واكد
ذلك بنفى شعورهم بماهو مآلهم لامحالة
بالغ فيه بأن اضرب عنه وبين ان ما انتهى
وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات
وهو أن القيامة كائنة لامحالة لايعلمونه كما
ينبغى (بل هم فى شك منها) كمن تحير فى امر
لايجد عليه دليلا (بل هم منها عمون)
لايدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم
وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات
والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل
البعض الى الكل

والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاوّل اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم بل اداركَ بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادّرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ ءادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادّرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وام ادرك وام تدارك ومافيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار ومافيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم ومابعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورد وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون) كالبيان لعمههم والعامل في اذا مادل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام (ان هذا الا اساطير الاوّلين) التي هي كالاسمار (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل مانزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم (ولاتحزن عليهم) على تكذيبهم واعراضهم (ولاتكن في ضيق) في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيّق اي امر ضيّق (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (بعض الذى تستعجلون) حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بأن الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه يجري وعد الله تعالى ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل (ولكن اكثرهم لايشكرون) لايعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه (قوله)

ل يستعجلون بجهلهم وقوعه (وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم) ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت ...

حتى تتوسط بينهما كلمة الاضراب وحصول ماذكره من المناسبة ان خلاصة ماسبق بيان عجزهم عن علم مالادليل عليه اصلا وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة وخلاصة قوله بل ادّارك علمهم في الآخرة بيان عجزهم عن علم ماتعاضدت الادلة على وقوعه لامحالة حيث لايعلمونه كما ينبغي فتظهر وجه المناسبة بينهما وصحة الاضراب الثاني عن الاوّل ثم قال والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم اي من حالة سيئة دنيئة الى ماهو اسوأ وادنى منها فانه تعالى وصفهم اوّلا بانهم لايشعرون وقت البعث اي لايعلمون متى يوم القيامة ثم بين ان حالهم ادون واسوأ من هذا بان قال بل ادرك علمهم في الآخرة اي تكاملت اسباب علمهم بان القيامة ستقوم وستقع وهم مع ذلك لايعلمونه كما ينبغي وهذه المرتبة اسوأ وارذل من الحالة الاولى لان اصل البعث ليس بغيب من حيث انه تعاضدت الادلة على حقيته ووقوعه فكأنه قيل لايعلمون الغيب بل ولا ماليس بغيب ولاشك ان الجهل بمثله اسوأ حالا من الجهل بما هو غيب ثم بين ان حالهم اسوأ حالا من هذه المرتبة اي من الجهل بان القيامة ستكون بقوله بل هم في شك منها اي هم مستقرّون في جهلهم لايطلبون التفصي منه بالتفكر في الدلائل المنجية من ظلمات الشكوك والاوهام فحالهم اسوأ حالا من حال الجاهل المتردد الذي يطلب الحق والتوصل الى الصواب ثم بين انهم اسوأ من هذا ايضا بقوله بل هم منها عمون بمعنى انه ليس لهم بصيرة يدركون بها دلائل وقوعها من حيث ان اشتغالهم باللذات النفسانية من هم البطن والفرج صيرهم كالبهائم والانعام وابطل استعدادهم للنظر والتفكر وهذه الحالة اسوأ من الحالة الاولى هو لما ورد ان يقال مضمون الاضرابات الثلاث على ماذكرتم مختص بالمشركين المنكرين للبعث فكيف ترجع الضمائر المذكورة في قوله علمهم وبل هم منها في شك وبل هم منها عمون الى قوله من في السموات والارض اجاب عنه بقوله وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض الخ ﴿ قوله وقيل الاوّل اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة ﴾ عطف على قوله بان اضرب عنه اي عن نفي علم الغيب عنهم اي وقيل في بيان المناسبة بين الآيتين ووجه الاضراب الاوّل ان المراد على هذا الوجه التهكم وقوله بل ادارك علمهم هو علمهم بانهم اياّن يبعثون وان القيامة شيء يقع واما على الوجه الاوّل فمعنى الآية نفي انهم لايعلمون ان البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه ﴿ قوله وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بين ان ماانتهى وتكامل الخ فانه يقتضي تفسير الادراك بالتكامل والاستحكام وعلى هذا التفسير لاحاجة الى تقدير المضاف ثم فسر قرآءة اداركَ بوجهين ايضا احدهما تدارك وتتابع حتى استحكم وثانيهما تتابع في الهلاك حتى انقطع ﴿ قوله وابو بكر ادّرك ﴾ عطف على قوله نافع فهذه القرآءة ايضا من السبعة على رواية ابي بكر عن عاصم ثم ذكر ثماني قرآءات من الشواذ ثنتان بأم وثنتان اخريان ببلى والباقية ببل وصحح الزمخشري قرآءة بل ادرك بقوله بالتخفيف وافتعل اي بتخفيف الهمزة ونقل حركتها الى اللام واصله ماقرأ به ابن كثير وابو عمرو ثم ذكر قرآءة اخرى بقوله بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أادرك على سبيل الاستفهام انتهى كلامه فيكون اصله اادرك على وزن افتعل دخل عليه همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار أدّرك بهمزة مفتوحة بعدها دال مشددة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام فصار بل ادّرك ولم يذكر المصنف هذه القرآءة بل ذكر احدى عشرة قرآءة ثم شرع في بيان معانيها فقال ومافيه استفهام صريح او مضمن كما في قرآءة ام ادرك وام تدارك فان ام فيهما بمعنى بل والهمزة فانكار لادراك علمهم اي لانتهائه وتكامله ﴿ قوله ومافيه بلى فاثبات لشعورهم ﴾ فانه لما قيل بلى أدرك بعد قوله ومايشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بادراك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لايعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ مايكون فقوله وتفسير له انما هو على قرآءة بلى أدرك بغير همزة الاستفهام واما على قرآءة بلى آادرك على الاستفهام فالمعنى حينئذ بلى يشعرون متى يبعثون بناء على ان بلى لاثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذي بعدها لانكار علمهم بوجود الآخرة وثبوتها والمعنى ماادرك علمهم بنفس وقوع الآخرة فضلا عن علمهم بوقت وقوعها على ان يكون المقصود من انكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفي علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهاني ﴿ قوله اورد وانكار لشعورهم ﴾ عطف على اضراب من التفسير يعني ان قوله تعالى بل هم في شك منها متعلق بالتفسير او بالنفي المستفاد من بلى وقوله عمون جمع عم وهو اعمى القلب يقال عمى عليه الامر اذا التبس ورجل عمي القلب اي جاهل

(وما من غائبة في السماء والارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة (الا في كتاب مبين) بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (ان ربك يقضي بينهم) بين بني اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بحقيقة ما يقضيه فيه وحكمته (فتوكل على الله) ولا تبال بمعاداتهم (انك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره (انك لا تسمع الموتى) تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من متابعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم (وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم) حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة تهدي العمي (ان تسمع) اي ما يجدي اسماعك (الا من يؤمن بآياتنا) من هو في علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من اسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب (اخرجنا لهم دابة من الارض) وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه الصلاة والسلام سئل من اين تخرج فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن (لا يوقنون) لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله

﴿قوله وهما من الصفات الغالبة﴾ جعلهما من قبيل الراوية دليل على انه ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التي غلبت عليها الاسمية لان الراوية ليست من تلك المقولة لكونها من ألفاظ المبالغة بمعنى كثير الرواية فينبغي ان يكون مراده الصفات الغالبة على آحاد جنسها من حيث القوة والكمال فتكون الغائبة والخافية بمعنى شديد الغيبوبة والخفية وتكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما في الراوية ويحتمل ان لا يكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فتكون التاء فيهما كالتي في العافية والعاقبة من حيث كونهما اسمين بنيا على التاء مثلهما ثم انه تعالى لما قص احوال الانبياء مع اممهم وانه دمر من خالفهم وعصاهم وانجى من آمن بهم واطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الالزام والتبكيت آلله خير اما تشركون وبين انه خير بتفصيل ما دل على قدرته الكاملة وآلائه المتكاثرة في تفرده بعلم الغيب والشهادة وهدد منكري البعث بحملهم على النظر في احوال المكذبين وما نزل بهم بشؤم تكذيبهم قال بعده ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون تحريكا للمشركين على اتباع القرآن فانه لما اشتمل على بيان الحكم والحق في اكثر ما اختلف فيه اهل الكتاب الذين هم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا مطعنا في شيء مما قصه وبينه وكان المشركون يرجعون اليهم في كثير من امورهم وعلوا عجزهم عن الطعن فيه ظهر لهم ان ما فيه من الشرائع واصول القواعد الدينية كالتوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى وبيان نعوت جلاله مطابق لما تقتضيه العقول السليمة وموافق لما في الكتب المتقدمة وذلك يحرك لهم داعية القبول والاتباع فان قيل ان بني اسرائيل يعلمون بأنفسهم ما اختلفوا فيه ولا يحتاجون في بيانه الى القرآن فالجواب والله اعلم ان المعنى ان هذا القرآن يبين لهم الحكم او يبين لهم الحق في اكثر ما كانوا يختلفون فيه وقيل ذكر في مواضع من القرآن ان فيه بيان كل حكم حيث قال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وههنا فاوجه قوله يبين لهم الحكم في اكثر ما كانوا يختلفون فيه واجيب بان المراد انه يبين لهم اكثر ما اختلفوا فيه على طريق التنصيص والتصريح ويبين الباقي بطريق الدلالة والاشارة فان البيان ضربان صريح ودلالة ﴿قوله بما يحكم به وهو الحق﴾ جواب عما يقال القضاء والحكم شيء واحد فقوله يقضي بحكمه بمنزلة ان يقال يقضي بقضائه او يحكم بحكمه فما معناه وما فائدته وتقرير الجواب ان الحكم بمعنى الحق المحكوم به او بمعنى الحكمة ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة ﴿قوله فان اسماعهم في هذه الحال ابعد﴾ بيان لفائدة التقييد بقوله اذا ولوا مدبرين فان الاصم اذا تولى مدبرا ثم ناديته كان ابعد من الاستماع حيث انضم الى صممه بعد المسافة ﴿قوله وقرأ ابن كثير ولا يسمع﴾ اي بفتح الياء التحتية ورفع الصم على الفاعلية والباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم والفاعل الضمير المستكن وفيه نصب الصم والدعاء على انهما مفعولاه ﴿قوله تعالى بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ اي مبعدهم عنها بالهدى كما يقال سقاه من العيمة اي ابعده عنها بالسقي والعيمة شهوة اللبن ثم انه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر اولا من العلامات الواقعة عند قيامها دابة الارض فقال واذا وقع القول عليهم واراد بالقول متعلقه ومدلوله وبوقوعه قربه من الوقوع بحيث يكون في حكم الواقع والجساسة بالجيم المعجمة من تجسس الحال وتفحص خبرها وتحقيقها قيل سميت الدابة جساسة لانها تجس الكفار اي تطلبه والزغب الشعرات الصفر على ريش الفرخ قيل في وصفها ان لها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وهو التيس الجبلي وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وروي ان رأسها يبلغ السحاب وما بين قرنيها فرسخ للراكب وروي انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وقيل لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وروي ان لها ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج قريبا من مكة ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد على الله حرمة يعني مكة لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد ما بين ركن الحجر الاسود وباب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط ذلك وقيل تخرج من الصفا ولا يخرج الا رأسها وعنقها يبلغ رأسها السحاب ويراه اهل المشرق والمغرب ثم تعود الى مكانها ثم تزلزل الارض في ذلك اليوم ست ساعات فيمشون حائرين واذا اصبحوا جاءهم الصريخ ان الدجال قد خرج ﴿قوله اذ قرئ تكلمهم﴾ بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم والجمهور على التشديد وهو من الكلام ويجوز ان يكون من الكلم ايضا ويكون للتعميل لكثرة كما في غلقت الابواب ﴿قوله وهو حكاية معنى قولها﴾ واعلم انه قرأ الكوفيون ان الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها ووجه القراءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة

اوعلة خروجها او تكلمها على حذف الجار قرأ الكوفيون أن الناس بالفتح وغير الكوفيين ان الناس بالكسر (ويوم نحشر من كل امة فوجا) يعني يوم القيامة (ممن يكذب بآياتنا) بيان الفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة من كثرة عددهم وتباعد اطرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر (قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال اى أكذبتم بها بادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها (أم ماذا كنتم تعملون) ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك (ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا) ليتحقق لهم التوحيد ويرشد الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم (انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة (ويوم ينفخ في الصور) في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق (ففزع من في السموات ومن في الارض) من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك

اما لان الكلام بمعنى القول كأنه قيل تقول لهم ان الناس او باضمار القول اى تكلمهم وتقول لهم ان الناس او حكاية على تقدير ان يكون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح اى يقع عندذلك حكاية منه لقول الله تعالى عند خروجها من الارض كأنه قيل وتحدثهم قول الله تعالى ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون * ولما ورد ان يقال لو كان الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقيل ان الناس بخروجي وسائر احوالي لا يوقنون * دفعه بقوله وهو حكاية بمعنى قولها لان قوله بآياتنا يمنع كونه نفس قولها فينبغي ان يكون قولها هكذا ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي وسائر احوالي لان تلك الاحوال لما كانت من آيات الله تعالى كان كلامها بمعناه ﴿قوله اوعلة خروجها او تكلمها على حذف الجار﴾ اى لان الناس وهو توجيه لقرآءة الكوفيين بفتح الهمزة ﴿قوله ويوم نحشر﴾ منصوب باذكر مقدرا اى واذكر يوم نجمع من كل امة من امم الانبياء زمرة المكذبين بآياتنا المنزلة على انبيائنا وبالآيات الدالة على وحدانيتنا في الانفس والآفاق فيحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب حتى اذا جاؤا الى ذلك الموضع قال الله تعالى موبخا لهم ومنكرا عليهم أكذبتم بآياتي وهو استفهام توبيخ وانكار ﴿قوله ام اى شيء كنتم تعملون﴾ يريد ان ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اى شيء منصوب المحل بتعملون الواقع خبرا عن كنتم ويحتمل ان تكون ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وذا بمعنى الذي وكنتم تعملون صلة والموصول مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف والتقدير اى شيء الذي كنتم تعملونه وام منقطعة والاستفهام الذي في ضمنه للتبكيت والزام الخصم بحمله على ان يقر بالذي سئل عنه اوّلا على طريق التوبيخ والانكار وبخهم اوّلا بقوله أكذبتم بآياتي بادى الرأى ثم اضرب عنه الى استفهام تقرير وتبكيت كأنه قيل دعوا ما انستم البكم من التكذيب وقولوا الى اى شيء كنتم تعملونه غير التكذيب ﴿قوله ووقع القول﴾ عطف على قوله قال أكذبتم بآياتي والقول بمعنى العذاب المقول الموعود للمكذبين وقوله بعد ذلك ظرف لقوله حل اى حل بهم العذاب الموعود بعد ان خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم في النار ثم قال فهم لا ينطقون كما قال في آية اخرى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق في مقاساة عذاب الجحيم وقال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة وقيل لا ينطقون بما يكون لهم حجة او عذرا في الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوفهم باهوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع عن الكفر فقال ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا يبصر فيه اما وجه دلالته على التوحيد فذكره بقوله لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص الخ واما وجه دلالته على الحشر فذكره بقوله وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور الخ واما وجه دلالته على بعثة الرسل فذكره بقوله وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم وهو بعثة الرسل ﴿قوله فان اصله ليبصروا فيه﴾ تعليل لكون التقابل مراعى من حيث المعنى في قوله ليسكنوا ومبصرا وان كان الاوّل علة لجعل الليل اى خلقه والثاني حالا من النهار من حيث الاعراب ووجه التعليل ان المعنى خلقنا الليل ليكون زمانا لسكون اهله وخلقنا النهار ليكون زمانا لابصارهم الا انه اسند الابصار الى النهار وجعل حالا من احواله اللازمة للمبالغة مثل صائم نهاره ضرورة ان الابصار لا يقوم بنفس النهار وانما يقوم باهله فلما قيل والنهار مبصرا تبين ان المراد ابصار اهله فيه وانما اسند الى نفس النهار للمبالغة في كونه ظرفا لابصار اهله ويوم ينفخ منصوب باذكر مقدرا وقيل ناصبه متأخر عنه وهو قوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ﴿قوله في الصور او القرن﴾ يعني يحتمل ان يكون الصور جمع صورة كالصور يقال صورة وصور وصور كما يقال سورة وسور وسور فحينئذ يكون النفخ في الصور عبارة عن نفخ الارواح في صور الخلائق واجسادهم ويحتمل ان يكون الصور عبارة عن شيء يشبه القرن وان اسرافيل ينفخ فيه باذن الله فاذا سمع الناس ذلك الصوت وهو في الشدة بحيث لا تحتمله طباعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون والى هذا القول ذهب اكثر المفسرين ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام * كيف وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ * روى عنه عليه الصلاة والسلام انه سئل عن الصور فقال * هو القرن وأن عظم دائرته اى فمه * مثل ما بين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق فينفخ نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كان وقت النفخة الثالثة جمعت الارواح

كلها في الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح منه كانها النحل وقد ملأت ما بين السماء والارض فيأتي كل روح الى جسده فيدخل فيه ويتمسك به من
قال النفخ ثلاث احداها الفزع وهو قوله ففزع من في السموات ومن في الارض ونفخة اخرى للموت وهو قوله
فصعق من في السموات ومن في الارض ونفخة ثالثة للبعث وهو قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وقال
بعضهم انما هي نفختان فالفزع والصعق كنايتان عن الهلاك والنفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل في قوله
تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض اي ماتوا بشدة الخوف وفي قوله فصعق من في السموات الآية اي
يبلغ منهم الفزع الى ان يموتوا ويحتمل ان لايكون هناك قرن فضلا عن ان ينفخ فيه حقيقة ويكون ذكر النفخ فيه
مستعارا لمسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعي تشبيها لانبعاثهم بمجرد سماع صوت
الداعي بانبعاث الجيش عند سماع الآلة من غير توقف ولا تخلف احد منهم ﴿قوله حاضرون الموقف﴾
اختار قرآءة آتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله فان حمزة وحفصا قرأ اتوه فعلا ماضيا والهاء في محل
النصب على المفعولية والباقون آتوه باسم فاعل مضاف الى الهاء ﴿قوله ثابتة في مكانها﴾ يقال جمد في مكانه
اذا لم يبرح وقوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى او مفعوله لان الرؤية بصرية وقوله وهي تمر جملة
حالية من مفعول تحسبها جامدة والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة في مكانها جمدا
لعظمتها لان النظر لايحيط بها وهي في الحقيقة تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام الكبار
اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية يظن من نظر اليها انها واقفة الا ترى السماء لاتحس
حركتها مع انها تدور وقد قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا اي يقلعها عن اماكنها ويسيرها كما يسير السحاب
بالريح حتى تقع على الارض فتستوي بها ﴿قوله مصدر مؤكد لنفسه﴾ يعني ان قوله صنع الله مفعول
مطلق وجب حذف عامله لكونه تأكيدا لمضمون الجملة المتقدمة التي لايحتمل لها غيره فان قوله وهي تمر مر السحاب
بل جميع ماتقدم من نفخ الصور المؤدي الى الفزع العام وحضور الكل الموقف ومافعل بالجبال انما هو من صنع الله
تعالى لايحتمل له غيره فلما كان هذا المصدر تأكيدا لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كأنه مؤكد
لنفسه ووجب حذف ناصبه لكون الجملة المتقدمة كالنائب عنه والاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف العامل
اضيف المصدر الى فاعله لانه لم يذكر في الجملة المتقدمة وهذا التقدير يقتضي ان يقال وهو مضمون الجملة المتقدمة
بدون اللام الجارة والمعنى وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة كما وجد في بعض النسخ الان الموجود
في اكثر النسخ وهو لمضمون الجملة باللام فالمعنى على هذا انه مصدر مؤكد لنفسه الذي هو الحدث المدلول عليه
بلفظ عامله المحذوف وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة ﴿قوله وقيل خير منها اي
خير حاصل من جهتها﴾ فيكون خير صفة بمعنى شيء فاضل مرغوب فيه وتكون من متعلقة بمقدر وهي مع
متعلقها المقدر في محل الرفع صفة لخير وعلى الاول يكون خير اسم تفضيل بمعنى الافضل ومن متعلقة به ولم يرض
المصنف بهذا التوجيه لان المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل وكون كلمة من الواقعة بعده صلة له لا لمقدر ومن
ذهب الى هذا التوجيه انما ذهب اليه دفعا لما يقال من ان الحسنة التي جاء بها العبد تتناول معرفة الله تعالى
والاخلاص في الطاعات والثواب الذي هو الجنة انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب
خير من معرفة الله تعالى ولما جعل معنى الآية من جاء بالحسنات في الدنيا فله في الآخرة ثواب وخير ينال من اجل
ماجاء به من تلك الحسنات لم يرد ذلك والمصنف اختار ان يحمل الآية على ماهو المتبادر منها وجعل ثواب الآخرة
خيرا من الحسنات التي جاء بها العبد في الدنيا لان اجل حسناته هي معرفة الله تعالى واخلاص العمل له لان
المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم اجل واشرف من المعرفة النظرية الحاصلة
في الدنيا وان ماجاء به من الاعمال الخالصة ثابتة مشوبة بأنواع التقصير واقعة بانواع المشقة ومخالفة الهوى وافعال
اهل الجنة سالمة من اللغو والتأثيم صافية عن كدر المشقة والتكليف وشأنهم حال استغراقهم فيما يشتهون من
اللذات مشاهدة جمال من انعم بها وتمجيد عظيم شأنه وعلو كبريائه والانس بتقديسه وتمجيده طبعا والتذاذا
لا فرضا وتكليفا وليس حالهم كحال المتنعمين في الدنيا من الاشتغال بالنعمة عن المتنعم فلا مناسبة بين احوالهم في الجنة
واحوالهم في الدنيا ﴿قوله يعني به خوف عذاب يوم القيامة﴾ اشارة الى دفع التدافع بين قوله ففزع من
في السموات ومن في الارض وبين قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فان من قرأ من فزع يومئذ بالاضافة يحمل

(وكل آتوه) حاضرون الموقف بعد النفخ[…]
الثانية اوراجعون الى امره وقرأ حمز[…]
وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه ع[…]
توحيد لفظ الكل (داخرين) صاغرين[…]
وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسب[…]
جامدة) ثابتة في مكانها (وهي تمر م[…]
السحاب) في السرعة وذلك لان الاجر[…]
الكبار اذا تحركت في سمت واحد[…]
تكاد تتبين حركتها (صنع الله) مصد[…]
مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقد[…]
كقوله وعدالله (الذي أتقن كل شي[…]
احكم خلقه وسواه على ماينبغي ([…]
خبير بما تفعلون) عالم بظواهر الافع[…]
وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال (من ج[…]
بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشرع[…]
بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواح[…]
وقيل خير منها اي خير حاصل من جهت[…]
وهوالجنة قرأ ابن كثير وابوعمرو وهش[…]
خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالت[…]
(وهم من فزع يومئذ آمنون) يعني
خوف عذاب يوم القيامة وبالاول مايلح[…]
الانسان من التهيب لما يرى من الاهوا[…]
والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن

وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدّى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها (ومن جاء بالسيئة) قيل بالشرك (فكبت وجوههم فى النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولاتلقوا بأيديكم (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها) امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيم

لشأنها وقرئ التى حرّمها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام (وان اتلو القرآن) وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل (فمن اهتدى) باتباعه اياى فى ذلك (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتى (فقل انما انا من المنذرين) فلا علىّ من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به (سيريكم آياته) القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او فى الآخرة (فتعرفونها) فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لاتنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالياء وعن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿ سورة القصص مكية وقيل الا ﴾
﴿ قوله الذين آتيناهم الكتاب ﴾
﴿ الى قوله الجاهلين وهى ثمان ﴾
﴿ وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك) نقرأه بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا (من نبأ موسى وفرعون) بعض نبئهما مفعول نتلو (بالحق) محقين (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر (وجعل اهلها شيعا) فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه يستعمل كل صنف فى عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله (يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم) بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه (انه كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض) ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة

(لاداله)

قوله الفزع على الفزع المختص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الاليم والعقاب الدائم واهل الجنة آمنون منه واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم على ما عليه الجبلة البشرية فانه يعم الكافر والمؤمن وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه فان اذ تضاف الى الجملة وقد حذفت ههنا وعوّض عنها التنوين واشار المصنف بقوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة الى انه اختار قراءة من قرأ باضافة فزع الى يوم وان الجملة التى اضيف اليها اذ فى الاصل هى قامت القيامة والاصل يوم اذ قامت القيامة وهو احسن من ان يجعل التقدير يوم اذ جاء بالحسنة او يوم اذ ترى الجبال او يوم اذ ينفخ فى الصور ﴿قوله وقرأ الكوفيون بالتنوين﴾ للافراد والتعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة وعلى قراءة التنوين يكون يومئذ منصوبا بالمصدر لكونه منوّنا بان مع الفعل تقديره وهم من ان يفزعوا يومئذ او بآمنون اى آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا الى اذ وهو غير متمكن ﴿قوله وآمن يعدّى بالجار﴾ كما فى هذه الآية فان من فيها صلة آمنون ﴿قوله فكبوا فيها﴾ لان ما يكبسو يلقى فى النار ليس وجوههم وحدها الا انه اسند الكب اليها ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها مكبوسين ووجه الايذان انه لما اكتفى بذكر الوجوه ومن المعلوم انه لايمكن القاء الوجوه فى النار مع كون ما وراءها خارجا عنها علم ان الوجوه اصل فى ذلك وانها اوّل ما يلابس النار وان ما وراءها تابع لها ﴿قوله وقرئ التى حرّمها﴾ صفة للبلدة وقرأ الجمهور الذى صفة للرب عز وجل والكلام مسوق لتعظيم الرب تعالى لا لتوصيف البلدة فلذلك كانت قراءة العامة واضحة والمعنى جعلها الله تعالى حرما آمنا لايسفك فيها دم ولايظلم فيها احد ولايختلى خلاها ولاينفر صيدها ولايعضد اشجارها واللاجئ اليها آمن والخلا بالقصر النبات مادام رطبا فاذا يبس فهو حشيش ومعنى لايعضد لايقطع ﴿قوله وان اواظب على تلاوته﴾ على ان يكون اتلو من التلاوة وهى القراءة ثم جوّز كونه من التلوّ وهو الاتباع لاوامره ونواهيه كما قال واتبع ما يوحى اليك ﴿قوله وقرئ واتل عليهم﴾ اى هذا القرآن امر الله عليه الصلاة والسلام بتلاوته على اهل مكة وهو معطوف على الامر المقدّر قبل قوله انما امرت فان تقديره قل للمشركين امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة وقد اشار اليه المصنف بقوله امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم ذلك وان قرئ وان اتل يكون على حكاية لفظ الامر وان يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالامر وان تكون مفسرة كما يقال امرته ان قم والحمد لله * تمت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

﴿ سورة القصص مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله نقرأه بقراءة جبريل عليه الصلاة والسلام﴾ فيكون اسناد التلاوة من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر اسنادا مجازيا وعلى الثانى يكون المجاز فى المفرد ويكون نتلو استعارة تبعية حيث شبه التنزيل بالتلاوة من حيث ان كل واحد منهما من قبيل التبليغ فاستعير اسم التلاوة للتنزيل استعارة اصلية ثم اشتق منه نتلو ﴿قوله محقين﴾ اشارة الى ان قوله بالحق فى موضع الحال من فاعل نتلو كقوله تعالى تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وقوله لقوم متعلق بقوله نتلو اى نتلوه لاجلهم ﴿قوله استئناف مبين لذلك البعض﴾ اى اسئ اجمل من قوله من نبأ موسى وفرعون كان قائلا قال وكيف نبأهما فقيل ان فرعون علا فى الارض ﴿قوله وذلك كان من غاية حمقه﴾ قال الزجاج والعجب من حمق فرعون ان هذا الكاهن ان كان عنده صادقا فما ينفع القتل وان كان كاذبا فما معنى القتل ﴿قوله او حال من يستضعف﴾ اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمنّ عليهم اى نمن عليهم بخلاصهم منه وقدّر نحن لتكون جملة اسمية حتى يصح دخول الواو فان المضارع المثبت اذا وقع حالا لايدخله الواو ولما جوّز كونه حالا ورد ان يقال جعله حالا يستلزم اجتماع المتنافيين وهما استضعاف فرعون اياهم وارادة الله المنة عليهم لان الله تعالى اذا اراد شيأ كان ولم يتوقف الى وقت آخر فيلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له وهما اجتماع المتنافيين لان ارادته تعالى ازلية مستمرة فتكون مقارنة لاستضعافه اياهم ويكون المراد حادثا عند تعلق الارادة به ولا استحالة فى ان يريد الله تعالى حال استضعافه اياهم ان يمنّ عليهم بالخلاص فى وقت قدّره وقضاه وانما الاستحالة فى ان تتعلق ارادته بخلاصهم حال الاستضعاف وذلك غير لازم من جعله حالا وهذا الجواب لايتأتى على مذهب المعتزلة فانهم قالوا ارادة الله تعالى حادثة لا فى محل قائمة بذاتها

(وتمكن لهم في الارض) ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسلط واطلاق

الامر (ونرى فرعون وهامان وجنودهم
منهم) من بني اسرآئيل (ما كانو
يحذرون) من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالي
وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع
(واوحينا الى ام موسى) بالهام اورؤ
(ان ارضعيه) ما امكنك اخفاؤه (فاذ
خفت عليه) بأن يحس به (فالقيه في اليم
في البحر يريد النيل (ولا تخافي) علي
ضيعة ولا شدة (ولا تحزني) لفراق
(انا رادوه اليك) عن قريب بحيث تأمني
عليه (وجاعلوه من المرسلين) روى انه
لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات
بحبالى بني اسرآئيل فعالجتها فلما وقع موسى
على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت
مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعه
من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح
فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون
في تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته في النيل
(فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدو
وحزنا) تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبت
ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل علي
وقرأ حمزة والكسائي حزنا (ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) في كل
شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجل
ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانو
يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن
ربي عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض
لتأكيد خطئهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به
وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين
الصواب الى الخطأ (وقالت امرأة فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت
(قرة عين لي ولك) هو قرة عين لنا لانهم
لما رأياه اخرج من التابوت أحباه اولانه
كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق
حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت
برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال
لك لالي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما
هداها (لا تقتلوه) خطاب بلفظ الجمع
للتعظيم (عسى ان ينفعنا) فان فيه مخايل

اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه لابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه (او نتخذه ولدا) او نتبناه فانه اهل له

لابداته تعالى فيلزم من كون قوله ونريد ان نمن حالا من فاعل يستضعف ان تقدر في الارادة الاستضعاف ومقارنتها له تستلزم مقارنة المراد له على مذهب المعتزلة وهي اجتماع المتنافيين والجواب عن مذهبهم ما اشار اليه بقوله مع ان منة الله بخلاصهم الخ وخلاصته ان الله تعالى لما اراد ان يمن على بني اسرآئيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه وكانت تلك المنة قريبة الوقوع جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم ﴿قوله وقرئ ويرى بالياء﴾ اي قرأ حمزة والكسائي ويرى بفتح الياء والراء مضارع رأى مسندا الى فرعون وما عطف عليه فلذلك قرأ الاسماء الثلاثة بالرفع وقرأ الباقون بضم النون وكسر الراء وفتح الياء بعدها مضارع أرى فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولا اولا وما كانوا هو ثاني المفعولين ومنهم متعلق بفعل الرؤية او الارادة لا بيحذرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله ﴿قوله واوحينا الى ام موسى بالهام اورؤيا﴾ ذهب عامة المفسرين الى ان الوحي اليها لم يكن بارسال رسول اليها من الملائكة واخبارها بواسطتهم لانه لو كان وحي رسالة لكانت رسولا وذلك لا يجوز كما قيل

وما كانت رسولا قط انثى ۞ ولا عبد وشخص ذو افتعال ۞

اي ولا رجل ذو كذب لانه يجب تصديق النبي عليه الصلاة والسلام والكاذب لا يجب تصديقه وكذا لا يجوز ان يكون العبد نبيا لان الرقية اثر من الكفر والكفر لا يجوز على الانبياء وكذا لا يجوز ان تكون المرأة نبيا فان اهل السنة والجماعة اتفقوا على ان الذكورة شرط الرسالة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم وفيه بحث لانه وان جاز ان تلهم هي ارضاعه والقاءه في اليم كيف يجوز ان تلهم انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فانه لا سبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بطريق المشافهة والقول الصريح من احد ويجوز ان يوحى اليها بارسال رسول يخبرها بذلك مشافهة ولا يستلزم ذلك كونها رسولا كما في قصة مريم من ان جبريل عليه الصلاة والسلام ارسل اليها وقال لها انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا فقد اوحى اليها بارسال الملك اليها ولم تصر بذلك رسولا فلم لا يجوز ان يكون الوحي الى ام موسى كذلك وكانت ام موسى بنت لاوي بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة﴾ اشارة الى الفرق بين الخوف والحزن اذ الخوف غم يلحق الانسان لتوقع لم يقع بعد وهو بصدده والحزن كالحزن لغتان بمعنى كالعدم والعدم غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويسكن قلبها وهو قوله تعالى انا رادوه اليك لتكوني انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام ﴿قوله فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا﴾ روى انه ذبح في طلب موسى تسعون الفا وليس ما فعلوا دافعا قضاء الله تعالى بالاطائل تحته ثم اخطأوا في التفطن بسبب هلاكهم وربوه بايديهم ونموه وليس ذلك الا لان قدر الله تعالى كائن لا محالة وان الحذر لا يغني من القدر ﴿قوله فالجملة اعتراض﴾ يعني ان قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وان قوله وقالت امرأة فرعون معطوف على قوله فالتقطه آل فرعون فقوله خاطئين ان كان مأخوذا من الخطأ ضد الصواب يكون الاعتراض لتأكيد خطئهم في الالتقاط فان معنى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا فاخطأوا والتقطوا عدوهم فأكد هذا المعنى بالمعترضة وان كان مأخوذا من الخطئ بمعنى الذنب يكون الاعتراض لبيان الموجب لما ابتلوا به كأنه قيل انهم خاطئين آثمين بالكفر والمعاصي فعوقبوا على ذلك بما جرى عليهم بسببه ﴿قوله هو قرة عين لنا﴾ يريد ان قرة عين خبر مبتدأ محذوف وقوله لي ولك صفتان لقرة روى انه لما رآه اعوان قوم فرعون قالوا هذا هو الذي تحذر منه فاذن لنا في قتله فهم به فرعون وبذلك قالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه فان الله تعالى اتانا به من ارض اخرى وليس من بني اسرآئيل وقالت عسى ان ينفعنا فلما قالت ذلك قال فرعون عسى ان ينفعك اما انا فلا اريد نفعه قال وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت امرأته آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله تعالى به ولكنه ابي الشقاء الذي كتبه الله عليه ومعناه انه لو لم يكن مطبوعا على قلبه لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت قال المفسرون كانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال لآسية سميه قالت سميته موشى لانا وجدناه في الماء والشجر فهو الماء وشى هو الشجر * قال الامام كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ هذه الا من البحر يؤخذ منه شبه الانس فتأخذ من ريقه فتلطخ به برصها فتبرأ

(وهم لايشعرون) حال من الملتقطين اومن القائلة والمقول له اى وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه اوفى طمع النفع منه والتبنى له اومن احد ضميرى نقتله على ان الضمير للناس اى وهم لايشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه ((واصبح فؤاد ام موسى فارغا) صفرا من العقل لمادهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله واقتدتهم هوآء اى خلاء لاعقول فيها ويؤيده انه قرئ فزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدرا ومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى اوسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه (ان كادت لتبدى به) انها كادت لتظهر بموسى اى بأمره وقصته من فرط الضجرة اوالفرح بتبنيه (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجرآء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله ((وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه (وهم لايشعرون) انها تقص اوانها اخته (وحرّمنا عليه المراضع) ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع اومرضع وهو الرضاع اوموضعه يعنى الثدى (من قبل) من قبل قصها اثره ((فقالت هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) لاجلكم (وهم له ناصحون) لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد أبى كل ثدى الاثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لااوتى بصبى الاقبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله (فرددناه الى أمه كى تقرّ عينها) بولدها (ولاتحزن) بفراقه (ولتعلم ان وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكنّ أكثرهم لايعلمون) ان موعده حق فيرتابون فيه

من ذلك وذلك فى يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على الشاطئ اذأقبل النيل بتابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته وفتحته فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا نور فى عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا الذى تحذر منه رمى فى البحر خوفا من ذبحه فهم فرعون ان يقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله ﴿قوله اومن احد ضميرى نقتله﴾ فتكون الجملة من كلام امرأة فرعون وعلى تقدير كونه حالا من آل فرعون اومن القائلة والمقول له يكون من كلام البارى ﴿قوله صفرا من العقل﴾ اى حتى ذهلت من الوحى الذى اوحى اليها ان ألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وروى انه جاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتوليت انت اهلاكه فألقيته فى البحر فأوقعه الجرى بدعوته ﴿قوله اومن الهم﴾ عطف على قوله من العقل والفرغ بكسر الفاء وسكون الرآء والغين المعجمة الهدر ﴿قوله انها كادت لتظهر﴾ يريد أن ان مخففة واللام فارقة والباء فى به مزيدة فى المعمول اى لتظهره وتقول انه ابنها اوتقول وا ابناه وقوله لولا ان ربطنا جوابه محذوف اى لابدت كقوله وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه ﴿قوله من فرط الضجرة﴾ مبنى على كون قوله فارغا بمعنى صفرا من العقل وقوله او الفرح مبنى على كونه بمعنى صفرا من الهم فكما ان فرط الضجرة يصح كونه مؤديا بها الى اظهار امر موسى فكذا الفرح بما سمعته من ان فرعون احبه واكرمه وتبناه يصح كونه مؤديا اليه ايضا لاسيما وقد انضم اليه الاعتماد على تكفل الله تعالى بحفظه فان قيل كيف يكون فؤادها فارغا من الهم والحزن والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون فلنا الحصر ممنوع فانه تعالى كما يربط على قلب الجازع الحزين يربط على قلب الواثق بوعد الله تعالى وضمانه ومعنى الربط على القلب الهامه الصبر وتقويته كما يربط على الشئ المتقلب ليقرّ ويطمئن وقوله لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اى ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله انا رادوه اليك وقوله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون مرتبط بقوله او الفرح بتبنيه ﴿قوله تعالى فبصرت به﴾ اى ابصرته فان بصربه وابصره بمعنى واحد ﴿قوله ومنعناه ان يرتضع﴾ لما كان التحريم الحقيق لكونه عبارة عن النهى واقتضاء ترك الفعل غير متصور ههنا لكونه فرع التكليف جعل التحريم مستعارا للمنع من الارتضاع فان شبه المنع بالتحريم لمناسبة بينهما فى التأدية الى الامتناع فأطلق عليه اسم التحريم واشتق منه حرّمنا فانه تعالى منعه أن يرتضع ثدى كل مرضع اما بان احدث فى طبعه عليه الصلاة والسلام النفرة عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرضع اواحدث فى لبنهن من الطعم ماينفر منه طبعه اووضع فى لبن أمه لذة فلما تعوّدها اى تعوّد موسى عليه الصلاة والسلام لبن امه لاجرم كان يكره لبن غيرها فانه روى ان أمه قد ارضعته ثلاثة اشهر حتى عرف ريحها فلا يبعد ان لايقبل لبن غيرها لذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع اومرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى اومصدر بمعنى الرضاع ﴿قوله يكفلونه لكم﴾ اى يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه لاجلكم والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد ﴿قوله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون﴾ اى قالت لا اعرف الغلام وانما قلت ذلك ليزول اضطراب الملك ويسكن قلبه فخلصت نفسها بهذه الكلمة من التهمة واحسنت وليس ببدع لانها من بيت النبوّة واخت نبى لابيه وامه فخفى لها امثال ذلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت قالوا لها من هى قالت امى قالوا ولأمك لبن قالت نعم لبن هرون اخى وكان هرون ولد فى سنة لم تقتل فيها الولدان فقالوا صدقت ﴿قوله واجرى عليها﴾ وفى الكواشى فدفعه اليها واجرى اجرتها عليها واخذتها لانه مال حربى لا انها اجرة حقيقة على ارضاعها ولدها فذهبت به الى بيتها وقيل لما دفعه اليها لم يبق من آل فرعون احد الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجواهر ﴿قوله علم مشاهدة﴾ اى علم مشاهدة لوعودها انها كانت عالمة قبل ذلك بطريق الوحى ان ماوعده الله تعالى اياها من انه يرده اليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الكشاف حمل الوعد على الوعد بجعله من المرسلين حيث قال اعلم الله وعده فى الردّ صدقها ثمت واستقر فى علمها انه سيكون

نبيا فان الله تعالى وعدم موسى امرين ردّ موسى اليها وجعله من المرسلين فحين حقق الامر الاوّل استقر في علمها انه تعالى يحقق الثاني ايضا ﴿ قوله او ان الغرض الاصلي ﴾ عطف على قوله علم مشاهدة يعني ان المراد من العلم اما العلم الحاصل بالمشاهدة او اصل العلم ﴿ قوله لا يزيد عليه نشؤه ﴾ اى شبابه و الناشئ الحدث الذي جاوز حدّ الصغر يقال نشأت في بني فلان نشأ اذا شببت فيهم ﴿ قوله او علم الحكماء ﴾ عطف على قوله نبوّة يعني ان قوله حكما وعلما يحتمل ان يراد به النبوّة وما يعرف بها من العلوم والاخلاق و يحتمل ان يراد به علم الحكماء واخلاقهم فعلم موسى عليه الصلاة و السلام قبل ان يبعث نبيا علمهم و يدل عليه قوله وكذلك نجزي المحسنين لانه تعالى جعل ايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسانه و النبوّة لا تكون جزاء على العمل وعلى تقدير ان يراد به النبوّة ليس في الآية دليل على أن هذه النبوّة كانت قبل قتل القبطي او بعده لان الواو في قوله ودخل المدينة لا تفيد الترتيب وقد روي انه لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين ﴿ قوله وقيل من منف ﴾ اسم مدينة من ارض مصر ومنف كان و يجوز في وجوه منع صرفه لاجتماع التأنيث و العلمية و العجمة يعني انه اختلف في المدينة فقيل هي مصر وقيل هي منف وقيل قرية تدعى حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل عين شمس وقوله على حين غفلة في موضع الحال من فاعل دخل اى دخل كائنا على حين غفلة اى مختفيا متجسسا للخبر او من المدينة اى دخلها حال غرّة اهلها واشتغالهم بعيدانهم وقيل بين المغرب و العشاء وقيل وقت الظهيرة عند المقيل وليس في طرقها احد لاشتغال اهلها بالقيلولة ومن اهلها صفة لغفلة اى غفلة صادرة من اهلها واختلف في السبب الذي لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها فقيل انه كان يسمى ابن فرعون وكان يركب ويركب معه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقيل ان موسى عليه الصلاة و السلام لما بلغ اشده وآتاه الله الحكم والعلم عاب فرعون وقومه على الباطل خالفهم في دينهم وعابهم ولحق بشيعة له من بني اسرائيل يسمعون منه و يقتدون به فلما عرف ذلك منه خافوه واخافهم فكان لا يدخل قرية فرعون الا خائفا فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها وقيل ليس المراد من قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة في تلك الساعة بل المراد الغفلة عن ذكر موسى عليه الصلاة و السلام و امره وذلك لان موسى حين كان صغيرا ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته فأراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير لا يعرف التمر من الجمر فجيء بجمرة فأخذها وطرحها في فيه فحصلت عقدة في لسانه فقال لا اقتله ولكن اخرجوه من الدار و البلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر و القوم نسوا ذكره فدخل وما على حين غفلة من اهلها ولا اعتبار بترجيح بعض الروايات على بعض اذ ليس في القرآن ما يدل على شئ منها ﴿ قوله والاشارة على الحكاية ﴾ اى رجلين مقولا فيهما هذا من شيعته وهذا من عدوّه كقوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط اى بمذق مقول فيه هذا القول ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكونه متضمنا معنى الاعانة والنصرة عدّى بعلى ﴿ قوله وقرئ فلكزه ﴾ الوكز و اللكز كلاهما بمعنى واحد وهو الضرب بجمع الكف على الصدر وقيل الوكز في الصدر واللكز في الظهر وجمع الكف بالضم الكف المقبوضة الاصابع وكان عليه الصلاة و السلام شديد البطش فلذلك لم يتحمل القبطي وكزه ومات قيل الاسرائيلي الذى اعانه موسى عليه الصلاة و السلام هو السامري والقبطي طباخ فرعون وكان يسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون ﴿ قوله فقتله ﴾ بيان لحاصل المعنى فان قضاء الشئ اتمامه والفراغ منه وكل شئ اتممته وفرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسى عليه الصلاة و السلام على القتل الصادر منه وان لم يكن قصده قتله فدفنه في الرمل وقال مشيرا اليه هذا من عمل الشيطان من حيث انه هيج غضبي وحملني على الوكز لسبب والقتل الى الشيطان من حيث كونه سببا له ﴿ قوله وسماه ظلما ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى وهذا من عدوّه يدل على ان القبطي كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا فلم جعل قتله من عمل الشيطان وظلم به نفسه واستغفر منه ومحصول الجواب انه قتل قبل ان يؤذن له في قتل الكافر فكان زلة يستغفر منها المتقون على عادتهم وان كانت محقرة صدرت خطأ ﴿ قوله اى اقسم بانعامك عليّ بالمغفرة ﴾ قدّر متعلق الباء وجعل ما مصدرية وجعل انعامه تعالى عليه بالمغفرة مشعرا به ولا ادري كيف علم ان الله تعالى غفر له وقد كان هذا قبل ان اوحى الله اليه و مبين ان الجواب المقدر هو قوله لاتوبنّ

او أن الغرض الاصليّ من الردّ علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون (ولما بلغ اشدّه) مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبيّ الا على رأس الاربعين (واستوى) قدّه او عقله (آتيناه حكما) اى نبوّة (وعلما) بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة في المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامّه (نجزي المحسنين) على احسانهم (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف او حابين او عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من اهلها) في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه) أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه) فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدّي بعلى وقرئ استعانه (فوكزه موسى) فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره (فقضى عليه) فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عدّه من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدوّ مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب اني ظلمت نفسي) بقتله (فاغفر لي) ذنبي (فغفر له) باستغفاره (انه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم (قال رب بما انعمت عليّ) قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك عليّ بالمغفرة وغيرها لاتوبنّ

(فلن اكون ظهيرا للمجرمين) او استعطاف اى بحق انعامك علىّ اعصمنى فلن اكون معينا لمن أدّت معاونته الى جرم وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوة اعن اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعداءك (فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) مترصد الاستقادة (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى انك لغوىّ مبين) مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدوّ لهما) لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل (قال ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قاله الاسرائيلى لانه سماه غويا ظن انه يبطش به او القبطى وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى (ان تريد) ما تريد (الا ان تكون جبارا فى الارض) تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب (وما تريد ان تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) يسرع صفة رجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر (فاخرج انى لك من الناصحين) اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول (فخرج منها) من المدينة (خائفا يترقب) لحوق طالب (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل) توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطريق فعنّ له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا فى الآخرين (ولما ورد ماء مدين) وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (امة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان اسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تمنعان اغنامهما من الماء لئلا تختلط باغنامهم (ولا)

اى لا أرجعن عما فرط منى من الزلة وبجعل قوله فلن اكون معطوفا على الجواب المقدر فتكون الجملة الخبرية التى أكدت بالجملة القسمية هى المجموع من المعطوف عليه المقدر وما عطف عليه ﴿قوله او استعطاف﴾ عطف على قوله قسم بجعل الاستعطاف قسيما للقسم مع أن النحاة صرحوا بان القسم على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة اخرى فان كانت الاخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف ولم يجعله المصنف والزمخشرى قسما لان القائل اذا قال بالله لأفعلن كذا انعقدت اليمين على القائل واما لو قال بالله افعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب فلذلك لم يجعلاه من القسم ومن جعله قسما من القسم اعتبر الظاهر لان صورته صورة القسم من حيث انه يؤكد الطلب على المستعطف وليس بقسم على الحقيقة لان شرطه ان يؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية ومن امثلة قسم الاستعطاف قول ابراهيم بن هرمة

* بالله ربك ان دخلت فقل له * هذا ابو هرمة بالباب *

وعلى تقدير كون قوله بما انعمت علىّ استعطافا مؤكدا لجملة طلبية مقدرة وهى اعصمنى يكون قوله فلن اكون جوابا للامر المقدر سببا عنه ﴿قوله وعن ابن عباس رضى الله عنه انه لم يستثن﴾ تأييد لكون قوله بما انعمت قسما لا استعطافا لان الابتلاء انما يكون بالزلة لا بعدم كونه مجاب الدعوة وقوله فابتلى به مرة اخرى فى اليوم الثانى قال الامام هذا ضعيف لانه فى اليوم الثانى لم يفعل باعانة المجرم بل ترك الاعانة وانما خاف منه ذلك العدو فقال ان تريد الا ان تكون جبارا الا انه وقع منه ذلك ﴿قوله وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوة الخ﴾ فعلى هذا القول لا تكون الباء للقسم ولا للاستعطاف بل تكون سببية اى بسبب ما انعمت علىّ من القوة اشكرك فلن استعملها الا فى مظاهرة اوليائك لا ادع احدا من اعدائك يغلب احدا من اوليائك ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قتل ذلك القبطى بالوكز اصبح اى صار خائفا على نفسه من ان يظهر انه هو القاتل ويستقاد اى يطلب ان يقتل قودا وتعريف المدينة للعهد والمعهود المدينة التى قتل فيها القبطى وخائفا خبر أصبح وفى المدينة متعلق به ويترقب بدل من خائفا او خبر ثان ومفعول يترقب محذوف أى يترقب وينتظر المكروه روى ان ولى الدم جاء فرعون وقال له قد قتل بنو اسرائيل منا قتيلا فخذ خصامهم فقال له اما علمت ان لا نقضى الا بالبينة فبينما هم يطوفون فى طلب البينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى فغضب عليه موسى فقال انك لغوى مبين اى بين الغواية والضلال على ان الغوى فعيل بمعنى الغاوى وقيل انه بمعنى المغوى والمعنى انى وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد أن توقعنى فى ورطة اخرى فلما اراد موسى ان يبطش بالقبطى الذى هو عدو لموسى عليه الصلاة والسلام وللاسرائيلى فوثب عليه ليمنعه من اخذ الاسرائيلى وتعييره ظن الاسرائيلى انه عليه السلام اراد ان يبطش به بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاطبه بقوله انك لغوى مبين ورأى الغضب عليه فقال له ياموسى أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فصار هذا القول منه سببا للظهور ان القتل الواقع امس صدر من موسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يطلع على ذلك الا الاسرائيلى فلما سمع القبطى قول الاسرائيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى امس فانطلق الى فرعون واخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى ﴿قوله او القبطى﴾ عطف على الاسرائيلى اى توهم من قول موسى عليه الصلاة والسلام له انك لغوى مبين انه الذى قتل القبطى بالامس لاجله قال الامام هذا هو الظاهر لقوله فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى فان الظاهر ان ضمير قال هو عدو لهما وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض لا يليق الا بالقبطى الجافى والجبار هو الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظلما لا ينظر فى العاقبة وقيل هو المتعظم الذى لا يتواضع لاحد ﴿قوله اذا جعل من اقصى المدينة صفة له﴾ يعنى ان يسعى مع كونه مؤخرا من النكرة انما يكون حالا منها اذا تخصصت بالصفة فان ذا الحال اذا كان نكرة وجب تقدم الحال عليه كما فى قوله * لعزة موحشا طلل قديم * ﴿قوله قرية شعيب﴾ هو شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان لابراهيم اربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين ومداين واليهما نسبت البلدتان مدين ومداين ﴿قوله جماعة كثيرة مختلفين﴾ الامة جماعة يجمعهم امر ما اما دين واحد او زمان او مكان واحد سواء كان الامر الجامع حاصلا لهم اختيارا او اضطرارا وأخذ اختلاف الناس من لام التعريف لانه ليس للاستغراق وهو ظاهر

ولا لجنس لان قوله يسقون يغني عن بيان أنّ المراد بالامّة جنس الناس فثبت انه للعهد والمعهود عرفا ان تكون
الجماعة المجتمعة للاستقاء اناسا مختلفين وفسر من دونهم بقوله في مكان ادون من مكانهم ويجوز أن يفسر بسوى
تلك الامّة والمراد بالامرأتين ابنتا شعيب عليه الصلاة والسلام قيل كبيرتهما اسمها صفرآء والاخرى صفيرآء
والرعاء جمع راع كقيام جمع قائم قيل الرعاء هم الذين يرعون المواشي والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة
﴿قوله دونه﴾ اي دون المعمول وبيانه ﴿قوله وقرأ ابوعمرو وابن عامر يصدر﴾ اي بفتح الياء وضم
الدال اي يرجع يقال صدر يصدر اذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى حتى ينصرف الرعاة وقرأ الباقون بضم اليا
وكسر الدال من الاصدار وهو متعدّ والمعنى حتى يردّوا ويصرفوا مواشيهم والرخال بكسر الرآء جمع رخل بكسر
الخاء وهو الانثى من ولد الضأن والرخال بضم الرآء اسم جمع ﴿قوله مع ما كان به من الوصب﴾ وكيف لا وقد
خرج عليه الصلاة والسلام من غير زاد ولا حذآء ولا ظهر ولم يطعم في الطريق الا ورق الشجر وسقط جلد قدميه
في الطريق وكانت خضرة البقل تترآءى في بطنه من الهزال وهو قتادبدن وجلده قيل لما سقت الرعاء مواشيهم ووضعوا
صخرة على البئر كما هو عادتهم في كل سقية وكانت عادة ابنتي شعيب ان تسقيا من فضل مواشيهم اتى موسى عليه
الصلاة والسلام الى البئر وقد اطبقت عليها الصخرة الموصوفة فاقتلعها بنفسه ثم سقى لهما غنمهما وفي رواية الكلبي
انه كان للبئر دلو يجتمع اربعون رجلا حتى يخرجوها من البئر فأتى موسى الماء فسألهم ان يهبوه دلوا من الماء فقالوا
ان شئت اعطيناك الدلو على ان تستقي انت فقال نعم فاخذ موسى الدلو فاستقى بها وحده فصب في الحوض ودعا فيه
بالبركة فقرّبنا غنمهما فروى منه جميع الغنم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما سمع قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من
رأس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل في وجه الجمع بين قوله وجد عليه امّة من
الناس يسقون وبين كون موسى هو الذي رفع الحجر وحده من رأس البئر أنّ معنى قوله يسقون يريدون ان يسقوا
الا انهم منتظرون لحضور الرعاة جميعا ليتعاونوا على رفع الحجر فرفعه موسى عليه الصلاة والسلام وسقى لهما قبل
اجتماع الرعاة وسقيهم وهو الاظهر ﴿قوله لاىّ شئ ازلت الىّ من خير﴾ جعل ما موصوفة بقوله ازلت
الىّ من خير ولما كان الوصف بالعام يفيد عموم الموصوف قال لاىّ شئ ازلت الخ والا فالظاهر ان يقال لشئ
ازلته الىّ وفي الوجه الثاني حمل ما موصولة لان ما ازلت في الوجه الاوّل عبارة عن شئ غير معلوم لان مطلوبه
شئ من جنس الخير اىّ شئ كان بخلاف الثاني لان ما ازلت في ذلك الوجه عبارة عن خير الدين وتنكير خير
في الوجه الاوّل للتعميم وفي الوجه الثاني للتعظيم ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولاجل ان قوله فقير ضمن معنى سائل
وطالب عدّى باللام فان قوله لما ازلت متعلق بفقير وكان الاصل فيه ان يعدّى بالى وقيل ليست اللام متعلقة
بفقير حتى يحتاج الى اعتبار التضمين لان المعنى انى وان صرت فقيرا في الدنيا الا ان ذلك الفقر انما اصابني لما ازلت
الىّ من الخير العظيم المتعلق بالدين وهو الخلاص من صحبة الظالمين وقوله لانه كان في سعة عند فرعون بيان
لكون خروجه من عنده سببا لفقره من جهة الدنيا وقال ذلك رضى بالبدل وفرحا به وشكرا ﴿قوله متخفرة﴾
على لفظ اسم الفاعل من الخفر بالتحريك وهو شدّة الحياء تقول منه رجل خفر بكسر الفاء وجارية خفرة متخفرة
اي مستحيية اشد الحياء ﴿قوله ولعل موسى عليه الصلاة والسلام الخ﴾ جواب عما يقال انه سقى اغنامهما تقربا
الى الله تعالى خالصا لوجهه فكيف يليق اخذ الاجرة عليه فان ذلك غير جائز في الشريعة روى انهما لما رجعتا
الى ابيهما قبل الناس قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا رحيما سقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فاستدعيه لي فتبعها
أمّه وبلغت اليه رسالة ابيها تبعها موسى فالصقت الريح ثوبها بجسدها فوصفت جسدها لموسى لان الريح
كانت تجيئ من خلفها فجعل موسى يعرض عنها مرّة ويغض بصره اخرى فناداها يا امة الله كوني خلفي واريني
الطريق بقولك وفي رواية بحجر ترمين به الى قدّامي ان اخطأت الطريق فلما دخل على شعيب وكان العشاء مهيأ
قال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك ألست بجائع قال بلى
ولكني اخاف ان يكون عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لانبيع شيأ من عمل الآخرة بملء الارض ذهبا فقال له
شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى يأكل قال الضحاك
لما دخل عليه قال له من انت يا عبدالله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وذكر له
جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال له

(قال ما خطبكما) ما شأنكما تذودان (قالتا
لانسقي حتى يصدر الرعاء) يصرف الرعـ...
مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجا...
وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يد...
على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دو...
وقرأ ابوعمرو وابن عامر يصدر اي يصرف...
وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخا...
(وابونا شيخ كبير) كبير السن لا يستطيع ا...
يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا (فسقى لهما...
مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعو...
على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجا...
او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب...
والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى...
عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى...
الظل فقال رب انى لما انزلت) لاىّ شئ انزلت...
(الىّ من خير) قليل او كثير وحمله الا كثرو...
على الطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدّي...
باللام وقيل معناه انى لما انزلت الىّ من خير...
الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعـ...
عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكـ...
على ذلك (فجاءته احداهما تمشي على استحياء...
اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهـ...
وقيل الكبرى واسمها صفورآء او صفرآء وهـ...
التي تزوّجها موسى (قالت ان ابي يدعوك...
ليجزيك) ليكافئك (اجر ما سقيت لنا) جزا...
سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرّك برؤ...
الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل...
روى انه لما جاءه قدّم اليه طعاما فامتنع عنه وقال...
انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب...
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل...
معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه (فلما جاءه...
وقصّ عليه القصص قال لا تخف نجوت من...
القوم الظالمين) يريد فرعون وقومه

شعيب عليه الصلاة والسلام لاتخف نجوت من القوم الظالمين اى لاسلطان له بارضنا ولسنا فى مملكته * فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم خرج على اثر موسى ركب فى ألف ألف وستمائة ألف والملك الذى هذا شأنه كيف يعقل ان لايكون فى ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار ملكه * والجواب ان هذا وان كان نادرا لكنه ليس بمحال والقصص مصدر قص قصا وقصصا سمى به المقصوص ﴿قوله استأجره﴾ اى اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ثم قالت ان خير من استأجرت القوىّ الامين من قوى على العمل وادى الامانة ﴿قوله وللمبالغة فيه الخ﴾ بيان لوجه العدول عن مقتضى الظاهر فان الظاهر ان يجعل القوىّ الامين اسم ان وخير من استأجرت خبرها وأن يؤتى بلفظ المضارع بدل استأجرت فعكس بجميع ذلك وجعل خير من استأجرت اسما وهو نكرة والقوىّ الامين خبرا وهو معرفة وعبر عن الآتى بلفظ الماضى للمبالغة فى الدلالة على انه محقق بالاستئجار وذلك لان ماهو اعنى فهو بالتقديم اولى فان شدة العناية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدمت وجعلت اسم ان ونظيره قول الشاعر

* الا ان خير الناس حيا وهالكا * اسير ثقيف عندهم فى السلاسل *

يعنى ان المناسب للمقام بيان ان موسى عليه الصلاة والسلام بخصوصه حقيق بالاستئجار لقوته وامانته لكونها فى صدد تعليل طلبها لاستئجار موسى بخصوصه وذكرت فى تعليله مادل على ان مطلق من وجد فيه القوة والامانة حقيق بالاستئجار لتستدل بهذه المقدمة الكلية المسلمة على مدعاها وهو استحقاق موسى للاستئجار ﴿قوله على ان تأجر نفسك منى﴾ على ان يكون المفعول الثانى محذوفا اى تأجر منى نفسك من قولهم أجرت دارى ومملوكى غير ممدود وآجرت ممدودا كلاهما بمعنى اكريتهما والاول اكثر ﴿قوله او تكون لى اجيرا﴾ من قولهم أجرته اذا كنت له اجيرا او هو من يأجرنى اى يصير اجيرى كما يقال ابوته اذا كنت له ابا وعلى التقديرين يكون ثمانى حجج منصوبا على الظرفية وعلى ان تأجرنى فى محل النصب على الحال من كاف انكحك ﴿قوله اوتثيبنى الخ﴾ على ان يكون تأجرنى من أجرك بمعنى اثابك فان اصل الاجر الثواب والعوض وكان عليه الصلاة والسلام يعزى بأن يقول أجركم الله الجنة والمفعول الثانى فيه محذوف اى تأجرنى العوض الجميل فيكون ثمانى حجج حالا ويجوز ان يكون مفعولا به بتقدير رعية ثمانى حجج لان العمل هو الذى يقع به الاثابة لانفس الزمان ﴿قوله فاتمامه من عندك﴾ اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجية فلامناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فانه لايجوز عندنا لمافيه من الهوان والذل والزوج قوام عليها بالنص والمراد بالقوامية المالكية وكونه مستخدما لها فلو جاز امهار الخدمة لصارت مالكة مستخدمة ولصار هو مملوكا خادما فهذا على موضوعه بالنقض ﴿قوله وهذا استدعاء العقد لانفسه﴾ جواب عما يقال كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز ونكاح المبهم لايصح لانه عقد موضوع لحل الاستمتاع وهو انما يرد على المعينة دون المبهمة وعلى تقدير تسليم ان المنكوحة معينة فالمهر غير معين لكونه رعية احدى المدتين وهو غير معلومة وايضا كيف تجوز الاجارة على وعد احدى الاجلين من غير تعيين مدة العمل وايضا كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه فى رعية غنم ابيها مع ان الصداق يجب ان يحصل للمنكوحة لالابيها باتفاق العلماء وذلك لانه بدل بضع المرأة فيجب ان تكون منفعة الى ماصلة لها لالابيها * واجاب عن الاول بان قول شعيب ليس انشاء لعقد النكاح حتى يجب تعيين النكاح بل هو مواعدة مع موسى عليه الصلاة والسلام ذكرله انه يريد شيئين احدهما انكاح احدى ابنتيه اياه وثانيهما ان يكون موسى اجيرا لرعى الغنم ولامحذور فى الابهام عند المواعدة والظاهر ان العقد جرى على المعينة وعن الثانى بان قوله على ان تأجرنى ثمانى حجج ليس المقصود منه جعل عمله مهرا لها بل المقصود ان يزوجها اياه بمهر آخر فكان هناك عقدان مختلفان عقد الاجارة بالاجرة المعلومة وعقد النكاح بالمهر المعين وعلى تقدير ان يكون العمل مهرا لها فلانسلم ان مدة العمل غير معلومة بل هى متعينة وهى الاجل الاول غاية مافى الباب ان موسى وعد له ان يوفى الاجل الاخير ان تيسر له قبل العقد وعن الثالث ان الاغنام للمنكوحة لالابيها ثم قال ويجوز ان يكون النكاح جائزا فى تلك الشريعة بشرط ان تكون منفعة العمل فى المدة المعلومة لولى المرأة كما يجوز فى شريعتنا بشرط رعى غنمها فى مدة معلومة ﴿قوله ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا﴾ اشارة الى ان ذلك مبتدأ والاشارة به الى ماتعاهدا عليه والظرف الذى بعده خبره واىّ فى ايما الاجلين منصوب بقضيت وما زآئدة مؤكدة لابهام اىّ وهى شرطية وجوابها فلاعدوان علىّ اى

(قالت احداهما) يعنى التى استدعته (ياابت استأجره) لرعى الغنم (ان خير من استأجرت القوىّ الامين) تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امر مجرب معروف روى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه (قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتىّ هاتين على ان تأجرنى) على ان تأجر نفسك منى او تكون لى اجيرا او تثيبنى من أجرك الله (ثمانى حجج) ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج (فان اتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك تفضلا لامن عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لانفسه فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفى الاخر ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرآئع فى ذلك (وما اريد ان اشق عليك) بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان مايصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بينى وبينك) اى ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لانخرج عنه (ايما الاجلين) اطولهما او اقصرهما (قضيت) وفيتك اياه

لايعتدى علىّ فى طلب الزيادة على ما اتممت ووفيت ومن المعلوم انه لايتعدّى عليه بطلب الزيادة على الاطول الاجلين لكن جمع بين الاطول الاجلين والاقصر منهما ليعلم ان الوفاء بالاقصر كالوفاء بالاطول فى ان طلب الزيادة عليه ظلم وعدوان كما ان طلب الزيادة على الاطول كذلك ﴿قوله او فلا اكون معتديا﴾ فعلى هذا يكون علىّ متعلقا بمحذوف واقع فى محل خبر لا اى ثابت علىّ او واقع علىّ وكذا على الوجه الاول هو متعلق بمحذوف واقع فى محل خبر لا لكن المعنيان مختلفان من حيث ان المراد بالعدوان على الاول اعتداء الغير عليه بطلب الزيادة وعلى الثانى اعتداؤه وظلمه على نفسه بارتكابه الاثم وهو ترك الزيادة عليه فهو على الثانى بمعنى لا اثم علىّ ولا يجوز ان يكون علىّ متعلقا بعدوان والا لكان عدوان مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده وما بعدهما متمم ومخصص لهما فكان يجب نصبه لما تقرر فى النحو من ان اسم لا التى لنفى الجنس اذا كان مضافا او مشابها له يجب نصبه ﴿قوله وهو ابلغ﴾ اى النظم الواقع فى التنزيل ابلغ فى تقرير كونه مخيرا بين الاجلين من ان يقال ان قضيت الاقصى فلا عدوان علىّ وان كان مقتضى الظاهر ان يقال هكذا اذ لا يتصور عدوان غيره عليه ولا عدوانه على نفسه على تقدير ان يقضى اطول الاجلين حتى يجمع بينهما لو قال ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علىّ ﴿قوله تنظرت نصرا والسماكين﴾ اى انتظرت رجلا مسمى بنصر والسماكين طلبا لمعروفهما ولم افرق بين نصر والسماكين فى الجود ولم اعلم ايهما استهلت مواطره علىّ من الغيث والسماكان نجمان السماك الاعزل وهو الذى لاشئ بين يديه والسماك الرامح وهو الذى بين يديه الكواكب وهل السحاب واستهل اذا انصب شديدا ونصر اسم الممدوح بالجود وايهما يكون الياء اصله ايهما فسكن الياء للضرورة ومن فى قوله من الغيث للبيان والمواطر جمع ماطرة اى سحابة ماطرة وقوله ايهما فيه حذف تقديره لا اعلم ايهما انصب علىّ ولما رضى موسى بان يرعى غنم شعيب هذه المدة باجرة معلومة وعلق شعيب انكاح احدى ابنتيه اياه بالرعى المذكور بان يرعى على ان ينكح هو ابنته ايله وتم العقد الذى جرى بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع من غنمه وكانت عصى الانبياء عنده فدخلت فاخذت عصا فاتته بها فلما رآها شعيب قال لها ردّى هذه العصا واتيه بغيرها فدخلت والقتها وارادت ان تأخذ غيرها فلم يقع فى يدها الا هى حتى فعلت ذلك سبع مرات فعلم شعيب ان لموسى شأنا واختلفوا فى تلك العصا فقيل كانت من آس الجنة هبط بها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب وقيل كانت تلك العصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل ولذلك لم يرض ان يعطيها لموسى وامر ابنته ان تردّها الى موضعها وتأتى بغيرها وقيل ما كانت الا عصا اخذها موسى عليه الصلاة والسلام من عرض واحد من جنس الشجر اى من جانب الشجر وعلى القولين الاولين لما اخذها موسى من شعيب واصبح قال له شعيب سق هذه الاغنام الى مفرق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس فيه عشب كثير ولا تأخذ جانب يسارك وفيه عشب كثير لكن فيه تنين اخاف منه عليك وعلى ماشيتك من المواشى فساق موسى المواشى الى مفرق الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها وسرّحها فى الكلأ ونام موسى فخرج التنين فقامت العصا فصار لها شعبتان من حديد وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعاد الى شعيب فمس الاغنام فاذا هى املئ ما كانت فسأله عن القصة فاخبره بها ففرح بذلك شعيب واراد ان يجزى موسى عليها فقال كل ما ولدت الاغنام فى هذه السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد فى تلك السنة كلها سودا فحازها كلها وفى السنة الثانية شرط ذلك فى البيض فولدت كلها بيضا فحازها جميعا وفى السنة الثالثة قال كل ما ولدته لونان سواد وبياض فهو لك فكان الكل كذلك فحازها كلها وعلم شعيب بذلك ان له عند الله منزلة ولما قضى موسى الاجل استأذن شعيبا فى ان يخرج الى مصر مع اهله ليصل امه واخته وقرابته التى فيها فاذن له فسار باهله اليها فاظلمت عليه ليلة من الليالى فى الصحراء وهبت ريح شديدة فرّقت ماشيته وضل الطريق واصابهم مطر وبرد شديد واخذ امرأته الطلق فعند ذلك ابصر من جانب الطور نارا فسار اليها ليطلب فيها من يدله على الطريق وهو قوله لعلى آتيكم منها بخبر فانه يدل على انه ضل الطريق وقوله او آتيكم منها بجذوة من النار لعلكم تصطلون يدل على انه اصابهم برد شديد وفى الجذوة ثلاث لغات فتح الجيم وضمها وكسرها مع سكون الذال وقرئ بهن جميعا وهى العود الغليظ سواء كان فى رأسه نار او لم يكن واورد بيتين استشهد بأولهما على ان الجذوة تطلق على العود الذى لم يكن فى رأسه نار وبالبيت الثانى على انها تطلق على ما فى رأسه نار فالبيت الاول قوله

(ولا عدوان علىّ) لايعتدى علىّ بطلب
الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر
لا اطالب بالزيادة على الثمانى او فلا اكون
معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علىّ
وهو ابلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين
فى القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر
فلا عدوان علىّ وقرئ ايما كقوله
تنظرت نصرا والسماكين ايهما *
علىّ من الغيث استهلت مواطره *
واى الاجلين ما قضيت فكون ما مزيدة
لتأكيد الفعل اى اىّ الاجلين جرّدت
عزمى لقضائه وقرئ عدوان بالكسر
(والله على ما نقول) من المشارطة (وكيل)
شاهد حفيظ (فلما قضى موسى الاجل
وسار باهله) بامرأته روى انه قضى
اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده
عشرا آخر ثم عزم على الرجوع (آنس
من جانب الطور نارا) ابصر من الجهة
التى تلى الطور (قال لاهله امكثوا انى
آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) بخبر
الطريق (او جذوة) عود غليظ سواء
كان فى رأسه نار او لم يكن قال
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها *
جزل الجذى غير خوّار ولا دعر
والقى على قبس من النار جذوة *
شديدا عليها حرّها والتهابها

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ۞ جزل الجذى غير خوّار ولا دعر

والمراد بحواطب ليلى جواريها التى يطلبن لها الحطب والجزل الحطب اليابس وما عظم منه ايضا والجذى جمع جذوة وفى الجمع ايضا ثلاث لغات كما فى مفرده والخوّار الضعيف من الخور وهو الضعف والدعر الردئ من قولك دعر العود بالكسر يدعر دعرا فهو عود دعر اى ردئ كثير الدخان ومنه اخذت الدعارة وهى الفسق والخبث والبيت الثانى قوله

والقى على قبس من النار جذوة ۞ شديدا عليها حرّها والتهابها

اى اهلك قبلة قيس بأن ألقى عليها نار الفتنة والعداوة والجذوة فى الآية هى التى فى رأسها نار بقرينة قوله لعلكم تصطلون ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لصحة اطلاق الجذوة على العود الذى فى رأسه نار بينه بقوله من النار جعلها لشدة تشبث النار بها كأنها نار كلها ﴿قوله اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى﴾ اشارة الى ان كلمة من فى قوله من شاطئ لابتداء الغاية وان الايمن من اليمن المقابل لليسار لامن اليمن وهو البركة وانه صفة للشاطئ لا للوادى وان كون الشاطئ ايمن انما هو بالنسبة الى موسى وشاطئ الوادى جانبه وطرفه ﴿قوله متصل بالشاطئ﴾ من حيث انه متعلق بمحذوف على انه حال من الشاطئ والبقعة قطعة من الارض لاشجر فيها ووصفت بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه ﴿قوله هذا وان خالف ما فى طه والنمل﴾ قال تعالى فى سورة طه نودى ياموسى انى انا ربك وقال فى سورة النمل نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وهما يخالفان لما فى هذه السورة من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافقة فى المقصود وهو فتح باب الاستنباء وسوق الكلام على وجه يؤدى اليه قال الامام لامنافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى فى كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء ﴿قوله تعالى وأن ألق﴾ اى و نودى ان ألق ﴿قوله اى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت﴾ اى تحركت يريد ان هذه الجمل الثلاث مضمرة فى الآية وصيرورتها ثعبانا قد نص عليها فى سورة الشعراء بقوله تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ولما كان الثعبان اسما لما يكون عظيم الجثة من الحيات والجانّ اسم للحية الصغيرة الدقيقة الملساء توهم ان يكون قوله كأنها جانّ مناقضا لقوله فاذا هى ثعبان مبين فأشار الى دفعه بقوله كأنها جانّ فى الهيئة والجثة او فى السرعة يعنى ان التناقض انما يكون ان لو قيل انها فى نفسها جانّ ولم يقل هكذا بل الله تعالى شبهها بالجانّ فلا يكون هذا متناقضا لانقلابها ثعبانا عظيم الهيئة والجثة الا ان تشبيهها بالجانّ فى الهيئة والجثة يقوّى جانب المناقضة ظاهرا فوجهه ان يكون مراده انها تشبه الجانّ فى الهيئة وقت انقلابها حية ولا ينافيه تورّمها وتزايد جرمها بعد ذلك الى ان تبلغ غاية عظم الثعبان لان مشابهتها بالجانّ فى اوّل حالها وبالثعبان فى مآلها ومنتهاها واما قوله او فى السرعة فواضح اذ لا منافاة بين كونها فى عظم الثعبان وجثته وبين كونها فى سرعة الجانّ وخفته ﴿قوله أدخلها﴾ عبر عن هذا المعنى ثلاث عبارات احداها فى هذه السورة وهو قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك وثانيتها قوله فى سورة طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء وثالثتها قوله تعالى فى سورة النمل وأدخل يدك فى جيبك اى فى مدرعتك والمدرعة ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل ينتهى كمه عند المرفقين ويقال لها زرباقة وقيل الجيب القميص ﴿قوله بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى﴾ فيكون ضم يده الى نفسه وادخالها فى الجيب متغايرين من حيث العبارة والمعنى اما اذا فسر ضم اليدين بادخالهما فى الجيب فلا يكون التغاير الا فى العبارة لا فى المعنى وجاز تكرير الفعل بالمعنى الواحد عند اختلاف الغرض فانه اذا كرر الفعل الواحد ليتعلق بكل غرض آخر صار كأنه فعلين باعتبار الغرضين كما فى هذه الآية فان الغرض فى قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك خروج اليد بيضاء وظهور معجزة اخرى وفى قوله واضمم اليك جناحك اخفاء الرهبة والخوف عن العشاصة وهى الذلة والنقصان لدى العدوّ فانه تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى عليه الصلاة والسلام واتقاها بيده اى جعل يده حاجزة بينه وبين الحوف فقال تعالى بعد ان امره بادخال يده فى جيبه واضمم اليك جناحك فكأنه قال اذا ألقيتها عند العدوّ اظهارا للمعجزة فانقلبت حية فلا تخف ولا تتق بيدك فان ذلك غضاضة ونقصان عند العدوّ بل اذا القيتها فانقلبت حية ادخل يدك فى جيبك ليحصل الامران احدهما اظهار الجرأة والخفض عما هو غضاضة عليك والثانى اظهار معجزة اخرى ﴿قوله ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات﴾ استعارة من حال الطائر حين

ولذلك بينه بقوله (من النار) وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات (لعلكم تصطلون) تستدفئون بها (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ او صلة لنودى (من الشجرة) بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ (أن ياموسى) اى ياموسى (انى انا الله رب العالمين) هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز) اى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جانّ) فى الهيئة والجثة او فى السرعة (ولّى مدبرا) منهزما من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع (ياموسى) نودى ياموسى (أقبل ولا تخف انك من الآمنين) من المخاوف فانه لايخاف لدىّ المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب (واضمم اليك جناحك) يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدوّ اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه

(من الرهب) من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر
بضم الرآء وسكون الهاء وقرئ بضمهما
وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات
(فذانك) اشارة الى العصا واليد وشدده
ابن كثير وابو عمرو ورويس (برهانان)
حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل
اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا
ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء
وقيل فعلال لقولهم برهن (من ربك)
مرسلا بهما (الى فرعون وملئه انهم كانوا
قوما فاسقين) فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم
(قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف
ان يقتلون) بها (واخى هرون هو افصح
منى لسانا فأرسله معى ردءا) معينا وهو
فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع
ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق
وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (انى اخاف
ان يكذبون) ولسانى لا يطاوعنى عند
المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقرير
وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل
الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى
بالرفع على انه صفة والجواب محذوف
(قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به
فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة
الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة
العضد (ونجعل لكما سلطانا) غلبة او حجة
(فلا يصلون اليكما) باستيلاء او حجاج
(بآياتنا) متعلق بمحذوف اى اذهبا بآياتنا
او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون
اى تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون
وبيان للغالبون فى قوله (أنتما ومن اتبعكما
الغالبون) بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له
على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى
(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا
الا سحر مفترى) سحر تختلقه لم يعمل قبل
مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر
موصوف بالافترآء كسائر انواع السحر
(وما سمعنا بهذا) يعنون السحر او ادعاء
النبوة (فى آبائنا الاولين) كائنا فى ايامهم
(وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده) فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ
ابن كثير قال بغير واو لانه قال ما قاله جوابا
لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد

صار ذلك الفعل مثلا فى امره شبه الانسان فى حال ثباته وضبطه نفسه بالطير الآمن ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو ضم الجناح ليكون تخييلا للاستعارة المكنية ﴿قوله اى اذا عراك الخوف﴾ اى اصابك عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك من اجل اصابة ذلك جعل الرهب الذى كان يصيبه عند رؤية الحية سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه عن مجاهد انه قال كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ الآية ﴿قوله وقرئ بضمهما﴾ اى فى الشواذ وقرأ حفص بفتح الرآء وسكون الهاء والباقى السبعة بفتحتين ﴿قوله مرسلا﴾ تقدير يتعلق قوله من ربك الى فرعون وانتصابه على انه حال من كاف الخطاب فى فذانك والعامل فيها معنى الاشارة اى انا نبئك بالاشارة اليهما مرسلا من ربك الى فرعون ويحتمل ان يكون من ربك متعلقا بمحذوف هو صفة برهانان والى فرعون متعلقا بمرسلا المقدر المنصوب على الحالية من كاف ربك والعامل فيها ما فى الاضافة من معنى الفعل وردءا حال من مفعول ارسله اى اجعله رسولا معى الى فرعون وقومه حال كونه معينا يقال ردأته على عدوه اذا اعنته عليه ردأ بالفتح والردء بالكسر اسم لما يعان به فعل بمعنى مفعول كالدفء والصبغ والشبع لما يدفأ به ويصبغ ويشبع فاطلق على المعين الذى يقع غيره معينا له تسمية للفاعل باسم ما يعمل به وقرئ يصدقنى بالرفع على الوصفية اى ردءا مصدقا وبالجزم جوابا لأرسله وليس طريق تصديقه اياه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق اخى موسى لانه لا يحتاج فيه الى اختصاصه بزيادة الفصاحة لان سحبان وباقلا فيه سوآء وانما طريق تصديقه ان يلخص الحق بلسانه ويجادل الكفار ببيانه وذلك يجرى مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان ﴿قوله فان قوة الشخص بشدة اليد﴾ يعنى ان سنشد عضدك عبارة عن قوله سنقويك فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب بمرتبتين فان شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص فشدة العضد سبب لقوة الشخص فى المرتبة الثانية فصح ان تطلق شدة العضد ويراد بها قوة الشخص على طريق المجاز المرسل ﴿قوله غلبة او حجة﴾ يعنى ان السلطان اما بمعنى التسلط والاستيلاء او بمعنى الحجة والبرهان سميت الحجة سلطانا لكونها سببا للتسلط والغلبة ﴿قوله او قسم جوابه لا يصلون﴾ فيه تساهل لان جواب القسم لا يتقدم عليه وايضا لا تدخل الفاء فى جواب القسم عند الجمهور ولعل مراده انه قسم حذف جوابه اعتمادا على دلالة ما قبله عليه ﴿قوله بمعنى انه صلة لما بينه﴾ كأنه قيل عاذا تغلب فأجيب بآياتنا فالباء متعلقة بمحذوف تقديره بآياتنا الغالبون ولا يتعلق بنفس الغالبون لان اللام فيه موصولة بمعنى الذى ولا يتقدم ما فى حيز الصلة عليها الا ان يكون اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى فحينئذ يجوز ان تتعلق الباء به ﴿قوله سحر تختلقه﴾ يريد ان يبين فائدة توصيف السحر بقوله مفترى مع انه قد علم كونه مفترى من تسمية المعجزة سحرا لان من اظهر المعجزة يدعى انها امر خارق للعادة خلقه الله تعالى على يده تصديقا له فى دعوى الرسالة فمن سماها سحرا لزمه ان يجعلها مفترى على الله فلا يظهر لتوصيف السحر به فائدة فالمصنف فسر قوله مفترى بثلاثة اوجه على الاولين يكون صفة مخصصة لقوله سحر لان كل سحر لا يكون كذلك وعلى الثالث يكون صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة الوجه الاول ان يكون مختلقا مصنوعا من قبله لم يسبقه احد فيه من قولهم فريت المزادة اى خلقتها وصنعتها وظاهر ان كل سحر لا يكون كذلك لانه كم من سحر يصنعه اكثر السحرة بل جميعهم والثانى ان يكون مسندا الى الله تعالى كذبا ولا يكون كل سحر مفترى على الله تعالى ويكون لفظ هذا اشارة الى خصوص ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام مع قطع النظر عن انه عليه الصلاة والسلام اظهره فيكون معجزة والثالث ان يكون بمعنى مكذوب فيه اى فى ادعاء ان حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانا مبينا بل هو من قبيل التمويه والتلبيس كما هو شأن كل سحر ﴿قوله كائنا فى ايامهم﴾ اشارة الى ان فى آبائنا فى محل النصب على انه حال من هذا فأجل موسى عليه الصلاة والسلام فى جوابهم تلطفا فى الخطاب وايثارا لأحسن الوجوه فى المجادلة معهم فقال ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده والمعنى ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربى عالم بذلك وانتم مبطلون ﴿قوله لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم﴾ فان الجملة الثانية اذا كانت كالمتصلة بالاولى لكونها جوابا لسؤال اقتضته الاولى تنزل الاولى منزلة السؤال فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال ويسمى الفصل لكون الثانية جوابا لسؤال اقتضته الاولى استئنافا كما تسمى نفس الجملة الثانية بذلك ووجه القرآءة المشهورة ان المراد حكاية قولهم ذلك وقول موسى هذا بعطف احداهما على الاخرى ليوازن الناظر بين القول والقول ويعرف فساد احدهما

(ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء (انه لا يفلح الظالمون) لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى) كأنه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال (واني لأظنه من الكاذبين) او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا انهم الينا لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم ائمة) قدوة للضلال بالحمل على الاضلال

وصحة الآخر فان الواو تفيد جمع القولين في ذهن السامع فيميز بين الصحيح والسقيم لان كل شئ يتميز بضده ﴿قوله لانها خلقت مجازا الى الآخرة﴾ يعني ان الدنيا خلقت لتوضع الجواز والمرور الى الآخرة والمقصود بالذات من الآخرة انما هو الثواب والجنة والعقاب انما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الاصلية للدنيا هي الجنة لان العاقبة السوءى لا اعتداد بها لانها من نتائج آثار الصفات العاجلة على الحظوظ العاجلة ومما يدل على ان المراد بالعاقبة العاقبة المحمودة قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن فان المراد من الدار الدنيا وقد صرح بان عقباها الجنة ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء﴾ اي من تحت للفصل بينه وبين اسمه ولكون تأنيث العاقبة غير حقيقي وقرأ العامة تكون بالتاء الفوقية لتأنيث العاقبة فانه اسم كان وله خبرها ﴿قوله نفى علمه باله غيره دون وجوده﴾ اي لم ينف وجود اله غيره بان يقول ليس لكم اله غيري بناء على انه لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بانتفائه وانتفت الهية نفسه حيث قال من اله غيري فكان عنده ما يقتضي الجزم بالهيته والظاهر انه لا يريد بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما فيهما من الذوات والصفات فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على احد فاشك في ذلك يقتضي زوال العقل بالكلية فاعتقد انه كان يظن ان حدوث الكواكب والافلاك كافية في خلق احوال هذا العالم السفلي فلا حاجة الى اثبات صانع فلهذا قال ما علمت لكم من اله غيري وكان يقول لا يجب على الناس الا ان يطيعوا ملكهم وينقادوا لامره كما قيل

* لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا *

وهذا هو المراد من ادعائه الالهية لانه لا يظن من انه يدعي كونه خالقا للسموات والارض الا ان قوله هذا فيه نوع مناقضة لقول اصحابه في حق موسى ويذرك وآلهتك فان من يزعم تفرده بالالوهية كيف يكون له آلهة فكأنه قال هذا الكلام لنفسه ولاشراف قومه بخصوصهم فانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها وجعل للملأ عبادة نفسه فانه لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام من حيث انه لم يرهم اهلا لعبادته ﴿قوله ولذلك امر ببناء الصرح﴾ اي امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال اوقد لي على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه والوجه في كون التعريض بتعليم الصنعة مبنيا على التعظيم ان ايقاد النار على الشئ المسمى بالطين امر هين حقير يقدر عليه العاجز والصبيان فيكون التصريح بالامر بطبخ الآجر الذي يكفي لبناء الصرح المذكور بقوله اوقد لي على الطين مبنيا على الاهانة بطبخه وعدم الاعتداد به ولان طبخ الآجر صنعة خسيسة لا يليق بالملوك وعظماء الناس ان يأمروا بها ويذكروا اسمها على ملأ الناس بهذا معنى قوله مع ما فيه من تعظيم وكذلك كل واحد من ندائه وزيره باسم العلم من غير تكنية وتلقيب وندائه بحرف يا الموضوع لنداء البعيد مع كون المنادى قريبا ونداؤه في وسط الكلام مع ان العادة تقديم النداء على المنادى له مبني على التعظيم والتجبر ودليل عليهما اما كون الاولين مبنيين على التعظم فظاهر واما كون الثالث مبنيا عليه فلأنه لو قدم النداء وقيل يا هامان اوقد لي توهم ان يقدم ذكر هامان على ذكر نفسه ولم يرض به تعظما وتجبرا ﴿قوله كأنه اخذهم مع كثرتهم﴾ روى ان جنوده يوم خرج خلف موسى كانوا الف الف وستمائة الف فان اعمال العباد واقعة باسباب ومرجحات تفيض عليهم من عنده تعالى وذلك ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعا كذا ذكره في شرح المصابيح ﴿قوله بالحمل على الاضلال﴾ متعلق بقوله وجعلناهم ائمة اي صيرناهم قدوة لاهل الضلال بان حملناهم على الاضلال اولئك فالآية من جملة ما تمسك به اصحابنا في انه تعالى خالق للخير والشر حيث ذكر فيها انه تعالى جعلهم قادة ورؤساء يدعون اتباعهم الى عمل يوجب النار من الكفر وانواع المعاصي كما ذكر في حق الرسل واهل الخير انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى الحق والهدى حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا فدل ذلك على انه كان من الله تعالى في حق اهل الخير صنع حتى صاروا بذلك ائمة الخير ولم يكن ذلك منه في حق اهل الشر والضلال ولو كان الامر كما زعمت المعتزلة من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى وهو منحة الالطاف لامتها ولم يكن من الله تعالى عناية خاصة بالرسل وقادة الخير بل كان ذلك منه لكل كافر وفاسق لما كان لقوله في حق احد الفريقين جعلناهم ائمة يدعون الى النار وفي حق الآخر جعلناهم ائمة يدعون الى الهدى والصراط المستقيم وجه فدل ذلك على انه كان منه في احد الفريقين ما صاروا به ائمة الخير وفي حق الآخر ما صاروا به ائمة الشر غاية ما في الباب انه جعل كل فريق اماما يقتدى به فيما هو عليه من الطاعة

والعصيان فكانوا ائمة بحسب اعمالهم فظن بذلك ان ما كان من الله تعالى اليهم هو على السوآء فيما بينهم وما كان بينهم من التفاضل ليس الا بحسب تفاوت اعمالهم لا بان الله تعالى جعل بعضهم ائمة الخير وبعضهم ائمة الشر وليس كذلك لان ما صدر عنهم من الخير والشر وان كان سببا لجعلهم ائمة فيما هم عليه من الخير والشر الا انه تعالى له صنع في ذلك السبب فان فعلهم لا يتحقق بلا اقدار الله تعالى اياهم عليه باعطاء الآلة والقدرة والاختيار ونحو ذلك فتى اضيف الجعل اليه تعالى نظر الى كونه تعالى موجدا لحقيقة الفعل والاسباب جميعا ولو اضيف الى فعل العباد نظر الى مجرد قيام الفعل بهم وكسبهم اياه من غير ان يكون لهم مدخل في اسباب وجوده فكان اضافته اليه تعالى وقد وجد منه حقيقة الفعل والاسباب اولى من اضافته اليهم ولم يوجد منهم الا الفعل دون الاسباب والفاعل ﴿ قوله وقيل بالتسمية ﴾ اي قالت المعتزلة الجعل محمول على التسمية كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكما في قولهم جعله بخيلا وفاسقا بمعنى سماه بخيلا بمعنى الآية وسميناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم كذلك وهو معطوف على قوله بالخلق وكذا او بمنع الالطاف وهي الامور المقربة الى الله تعالى يعني الايمان والطاعة والاجتناب عن المعاصي فانه تعالى يمنعها عمن علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تنفعه الآيات والنذر والقول بانه تعالى خذلهم ومنع عنهم الالطاف لا ينافي مذهبهم من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى لانهم يقولون انما خذلوا ومنع عنهم الالطاف من جهة تصميمهم وهو تصميمهم على الكفر ﴿ قوله من المطرودين ﴾ على انه من القبح بمعنى الابعاد والطرد يقال قبحه الله تعالى اي نحاه عن الخير ﴿ قوله انوارا لقلوبهم ﴾ يعني ان بصائر جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذي تبصر به المحسوسات وبصائر حال من الكتاب اي آتيناه الكتاب انوارا للقلوب اي مشبها بانوار القلوب من حيث ان القلوب لو كانت خالية عن انوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل فاوقع بصائر حالا من الكتاب ايذانا بشدة احتياج القوم الى ما تستضيء به قلوبهم العمياء ﴿ قوله ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر ﴾ يعني ان لعل للترجي الا انه لما كان مستحيلا منه تعالى صرف الى من يعرف حال الكتاب ويحكي بسببه من ادرك الحق وقبوله ومنهم من شبه الارادة بالترجي من حيث ان كل واحد منهما متعلق بامر كائن فاستعار الترجي للارادة فاصالة حرف لعل تبعا فيصير قوله تعالى لعلهم يتذكرون بقوله ارادة ان يتذكروا قال القاضي عبد الجبار وذلك يدل على ارادة التذكر من كل مكلف سوآء اختار ذلك ام لم يختره فيفيد ابطال مذهب الجبرية الذين يقولون ما اراد التذكر الا ممن يتذكر فاما من لا يتذكر فما اراد ذلك منه ونص القرآن دافع لهذا القول وهذه الدلالة مبنية على كون الترجي مستعارا للارادة وهو غير مسلم واشار المصنف بقوله وفيه ما عرفت الى انه تعالى لو اراد من كل مكلف ان يتذكر بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب ان لا يموت احد على الكفر والضلال لئلا يلزم تخلف المراد عن ارادة الله تعالى ﴿ قوله يريد الوادي ﴾ يعني ان الغربي صفة موصوف محذوف وهو الوادي او الطور والتقدير وما كنت بجانب الوادي الغربي من مقام موسى او بجانب الطور الغربي منه ولو جعل في ارتكاب الحذف ان الغربي لو جعل صفة للجانب وكان اصل الكلام وما كنت بالجانب الغربي لزم ان يكون اضافة الجانب الى الغربي من اضافة الموصوف الى صفته وهي ليست بجائزة عند البصريين لكونها في قوة اضافة الشيء الى نفسه فان الصفة هي الموصوف في المعنى فانك اذا قلت جاءني زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شيء مبهم في نفسه حصلت له الظرافة الا انه مجهول من حيث كونه مدلول هذا اللفظ فاذا اضفت زيدا الى الظريف لزم اضافة زيد الى زيد فلذلك ذهب البصريون الى امتناع اضافة الموصوف الى صفته وتأولوا في قوله تعالى بجانب الغربي وقوله ولدار الآخرة وقوله حق اليقين وقوله ولدار الآخرة الى تقدير موصوف وقالوا تقديرها جانب المكان الغربي ودين الملة القيمة وحق الشيء اليقين ودار الساعة الآخرة ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه والكوفيون جوزوا اضافة الموصوف الى صفته مطلقا والمصنف بنى قوله او الجانب الغربي منه على مذهبهم حيث جعل الغربي صفة للجانب ولم يقدر موصوفا آخر ﴿ قوله الموحى اليه او على الموحى اليه ﴾ الاول على ان يكون الشاهد من الشهود بمعنى الحضور والثاني على ان يكون من الشهادة والمعنى ما كنت حاضرا في المكان الذي اوحينا فيه الى موسى عليه الصلاة والسلام ولا كنت من جملة الشاهدين الموحى اليه او على الموحى اليه حتى يكون وقوفك على ما جرى من امر موسى عليه الصلاة والسلام في ميقاته واخبارك به من جهة المشاهدة * قال قبل لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت انه

وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف
الصارفة عنه (يدعون الى النار) الى
موجباتها من الكفر والمعاصي (ويوم
القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم
(واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طردا
من الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة
والمؤمنون (ويوم القيامة هم من المقبوحين)
من المطرودين او ممن قبح وجوههم (ولقد
آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى) اقوام نوح وهود
وصالح ولوط (بصائر للناس) انوار
لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق
والباطل (وهدى) الى الشرائع التي
هي سبل الله تعالى (ورحمة) لانهم
لو عملوا بها نالوا رحمة الله (لعلهم يتذكرون)
ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر
بالارادة وفيه ما عرفت (وما كنت بجانب
الغربي) يريد الوادي او الطور فانه كان
في شق الغرب من مقام موسى او الجانب
الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي ما كنت حاضرا (اذ قضينا
الى موسى الامر) اذ اوحينا اليه الامر الذي
اردنا تعريفه (وما كنت من الشاهدين)
الموحى اليه او على الموحى اليه

وهم السبعون المختارون لميقات والمراد
[illegible] على أن اخباره عن ذلك من قبيل
[illegible] عن المغيبات التي لاتعرف الا بالوحي
ولذلك استدرك عنه بقوله (ولكنا انشأنا
قرونا فتطاول عليهم العمر) اى ولكنا
اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة
بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت
الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست
العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه
(وما كنت ثاويا) مقيما (فى اهل مدين)
شعيب والمؤمنين (تتلو عليهم) تقرأ
عليهم تعلما منهم (آياتنا) التى فيها قصتهم
(ولكنا كنا مرسلين) اياك ومخبرين لك
بها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا)
لعل المراد به وقت اعطائه التوراة وبالاول
حين استنبأه لانهما المذكوران فى القصة
(ولكن رحمة من ربك) ولكن علمناك
رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة
(لتنذر قوما) متعلق بالفعل المحذوف
(ما اتاهم من نذير من قبلك) لوقوعهم
فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة
وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على
ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة
ببنى اسرآئيل وما حواليهم (لعلهم
يتذكرون) يتعظون (ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا) لولا الاولى امتناعية
والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها
بما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول
يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية
معنى السببية المنبهة على ان القول هو
المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به
وانه لايصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة
والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم
اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم
ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك
فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك
اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما
للحجة عليهم (فنتبع آياتك) يعنى الرسول
المصدق بنوع من المعجزات

لم يكن شاهدا لان الشاهد لابد وان يكون حاضرا فلا فائدة فى اعادة قوله وما كنت من الشاهدين مع ان الجواب يظهر بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شهدت ما وقع فيه مما جرى على موسى فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى ما كان فيه ﴿ قوله المختارون لميقات ﴾ الميقات هو الوقت المحدود المضروب للفعل ثم استعير منه للمكان كما فى قولهم مواقيت الحج وكان فى هذا الموضع لان المراد المكان الذى عينه الله تعالى لمناجاة موسى عليه الصلاة والسلام ربه وتكليمه فيه وقوله تعالى تتلو عليهم يجوز ان يكون حالا من الضمير فى ثاويا وان يكون خبرا ثانيا اى لم تشاهد ما تقدمك من الاحوال فتخبر بها اهل مكة عن مشاهدة ولكنا ارسلناك اليهم رسولا تحيى آثارهم وتظهر سننهم واعلامهم وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها ولما اخبرت بها والمقصود اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالمعجزة الدالة على صدقه فى دعوى النبوة فكأنه قال ان فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك لانه تعالى لايطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ﴿ قوله لعل المراد به ﴾ يعنى انه تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام قال لرسوله صلى الله عليه وسلم وما كنت بجانب الغربى ثم قال وما كنت ثاويا فى اهل مدين ثم قال وما كنت بجانب الطور للدلالة على انه عليه الصلاة والسلام لما لم يكن حاضرا فى هذه المواضع التى جرى فيها على موسى ما جرى من الاحوال العظيمة ثم اخبر بتلك الاحوال على ما جرت ووقعت من غير ان يشاهدها ويتعلمها من احد ثبت به انه رسول بعثه الله تعالى وعرفه هذه الاحوال رحمة من ربه وتفضلا منه عليه فوجب ان تكون المواضع المذكورة وما جرى فيها من الاحوال امورا متغايرة اختار المصنف فى وجه مغايرتها ان يكون المراد بالاول حيث استنبأه فى اثناء رجوعه من مدين الى مصر وبالثانى ما تقدم عليه من اقامته فى مدين مع شعيب وبالثالث وقت اعطائه التوراة بناحية الطور اذ جاء لميقات ربه مع السبعين فكلمه ربه واعطاه الالواح وناداه ربه بقوله ياموسى خذ الكتاب بقوة واشار اولا بقوله او على الموحى اليه الى جواز ان يكون المراد بالاول حيث انزل عليه التوراة فيكون المراد بالثالث حيث استنبأه فى ليلة المناجاة والله اعلم ﴿ قوله متعلق بالفعل المحذوف ﴾ اى ولكن علمناك او ارسلناك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وهم العرب على رجاء تذكرهم واتعاظهم فان دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام ان كانت مختصة ببنى اسرآئيل تكون العرب واقعة فى فترة بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين اسمعيل عليه الصلاة والسلام وان تناولتهم ايضا يكونون فى فترة بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله ما اتاهم من نذير فى موضع نصب على انه صفة لقوما وما بعده نافية ﴿ قوله لولا الاولى امتناعية ﴾ لولا الامتناعية هى التى تدل على امتناع القضية الثانية لوجود القضية الاولى والقضية الثانية هى جوابها وهو محذوف ههنا وهو ما ارسلناك اليهم وهى ههنا دلت على امتناع عدم الارسال لوجود قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الارسال ربنا هلا ارسلت الينا رسولا الخ وقوله ان تصيبهم فى موضع رفع بالابتداء وقوله فيقولوا عطف على ما فى حيز ان اى لولا اصابتهم مصيبة بسبب ما قدمته ايديهم من الشرك والمعاصى فقولهم ربنا لولا ارسلت الخ ما ارسلناك يعنى ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول ولما كان اكثر الاعمال مزاولا بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه بانه كسب اليد وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وحمل الاول تابعا للاكثر وعطف المعاصى على الكفر فى قوله بسبب كفرهم ومعاصيهم اشارة الى ان الكفار كما يعذبون بترك الايمان يعذبون بارتكاب ما علم حرمته بالدلائل العقلية من الكبائر والصغائر والفاء فى قوله فيقولوا عاطفة وفى قوله فنتبع فاء جواب لولا التحضيضية فانها مما اجيب بالفاء لكونها فى حكم الامر من حيث ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر فكذا فى جواب ما هو فى حكمه ﴿ قوله مفعول يقولوا ﴾ خبر بعد خبر لقوله لولا الثانية ﴿ قوله وانه لايصدر عنهم الخ ﴾ اى المنبهة على ان ذلك القول لايصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة اليه والمقصود الجواب عما يقال ما الفائدة فى هذا التطويل وما يكفى ان يقال لولا ان يقولوا هذا العذر لما ارسلناك وتقرير الجواب انه ارتكب هذا التطويل للدلالة على انهم لو لم يعاقبوا وقد عرفوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك القول بل انما يقولونه اذا لاحهم العقاب فيدل ذلك على انهم لم يذكروا هذا العذر تأسفا على كفرهم بل لانهم ما اطاقوا العذاب وفيه تنبيه على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم

(قوله)

(ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق) يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات (من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى) من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا (أولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل) يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد (قالوا ساحران) يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا (تظاهرا) تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام (وقالوا انا بكل كافرون) اى بكل منهما او بكل الانبياء (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) مما نزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (أتبعه ان كنتم صادقين) انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول له للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(فاعلم انما يتبعون اهواءهم) اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفي (بغير هدى من الله) في موضع الحال للتأكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى (ولقد وصلنا لهم القول) اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) اى بانه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة (اولئك يؤتون اجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم (ويدرأون بالحسنة السيئة) ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام أتبع الحسنة السيئة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للاغين (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريدها

﴿قوله يعني ابناء جنسهم﴾ يعني ان الكلام مسوق لتوبيخ اهل مكة بانهم اقترحوا من الآيات ما ظهر به عنادهم فقالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى فكأنه تعالى قال لو عذبناهم قبل الارسال لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا وقد ارسلنا الى اهل مكة فقالوا لولا اوتي مثل الخ فقبل البعثة تعللوا بشبهة وبعد البعثة بأخرى فليس شأنهم الا الدفع والعناد ثم قيل في حقهم لبيان ان اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرد التعنت والعناد اذ لو كان لطلب اليقين لما كفروا بما اوتي موسى عليه الصلاة والسلام وقوله اولم يكفروا بما اوتي موسى قبل التظاهر ان يكون ضمير يكفروا راجعا الى كفار مكة الا انهم لما لم يكفروا بما اوتي موسى حيث لم يكونوا موجودين في عصره بل الذين كفروا هم الذين كانوا في زمانه جعل ضمير لم يكفروا راجعا الى ابناء جنسهم وجعلهم مع كفار مكة بمنزلة جماعة واحدة من حيث اشتراكهم في التعنت والعناد فاحتج بما كفر هؤلاء بما شاهدوه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام فكفار مكة اولى بالكفر به لانهم مثل اولئك في العناد بل هم احمق واطغى او هو توبيخ للعرب بالذات بناء على ما روي عن الحسن انه قال قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم وقالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا ﴿قوله بتقدير مضاف﴾ اى ذوا سحرين وعلى هذا كان ينبغي ان يعود سحر لكنه ثنى تنبيها على التنويع ﴿قوله او اسناد تظاهرهما الى فعلهما﴾ اى الى ما فعلوه وظهروه من الكتابين وعلى الاولين يكون التظاهر مسندا الى نفس النبيين لان الضمير في قولهم ساحران راجع اليهما وعلى هذا يكون الضمير راجعا الى كتابيهما فيكون التظاهر مسندا الى الكتابين دلالة على سبب اعجاز القرآن ﴿قوله تعالى وقالوا انا بكل كافرون﴾ معطوف على قوله قالوا ساحران ولما اقترح المشركون تعنتا وعنادا بقولهم لولا اوتي مثل ما اوتي موسى واجاب الله تعالى عن اقتراحهم بقوله اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اى من قبل محمد عليه الصلاة والسلام او من قبل هذا القول بين كيفية كفرهم بما اوتي موسى من وجهين الاول قولهم ساحران تظاهرا والثاني قولهم انا بكل كافرون ثم انه تعالى لما اجاب عن اقتراحهم ببيان انهم متعنتون فيه امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يتحداهم بما يتحقق عجزهم عنه ليكون ذلك حجة على صدقه في دعوى الرسالة فقال قل فأتوا بكتاب من عند الله الآية وقوله أتبعه مجزوم على انه جواب الامر وهو فأتوا وقرئ أتبعه بالرفع استئنافا اى فانا اتبعه ﴿قوله وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت﴾ لان مثل هذا الشرط انما يذكر بمن يثق بأمره ويعتمد على صحته كقول العامل لمن اخر جعله ان كنت عملت لك فاعطني اجر العمل ﴿قوله فحذف المفعول﴾ فان استجاب بمعنى اجاب وهو يقتضي الدعاء البتة ويتعدى اليه فان قيل فاين الدعاء من قبله عليه الصلاة والسلام قلنا هو امره اياهم بقوله فأتوا بكتاب من عند الله فان الامر يبعث على الفعل ودعاء اليه ﴿قوله ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء﴾ يقال استجاب دعاءه وباللام الى الداعي فيقال استجاب له فاذا عدي الى الداعي كما في الآية حذف الدعاء غالبا فلا يقال استجاب له دعاءه الا نادرا فحذف الدعاء في الآية ايضا اتباعا للعرف الغالب والاول كما في البيت

* وداع دعا يا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *
* فقلت ادع اخرى وارفع الصوت جهرة * لعل ابي المغوار منك قريب *

اى رب داع دعا هل من مجيب الى الندى اى هل احد يمنح المستمنحين فلم يجبه احد واورد البيت استشهادا على تعديته الى الدعاء بنفسه بناء على ان تقديره فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فمعنى الآية فان لم يستجيبوا لك فيما تدعوهم اليه ولم يأتوا بمثل التوراة والانجيل والقرآن فاعلم انما يتبعون اهواءهم وان ما ارتكبوه من الكفر لا حجة لهم فيه ثم ذمهم على ايثارهم الهوى على الهدى بقوله ومن اضل الآية وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال ﴿قوله اتبعنا بعضه بعضا﴾ يعني ان التوصيل بمعنى الوصل ضد القطع واصله من وصل الحبل والمراد بهذا التوصيل اما التعاقب في النزول واما التناوب والتعاضد واصل بناء التفعيل للدلالة على كثرة الوصل وتكرره باى معنى كان ولا وجه لكونه للتعدية لان الوصل ايضا متعد ﴿قوله تعالى الذين آتيناهم﴾ مبتدأ وهم مبتدأ ثان ويؤمنون خبره والجملة خبر الاول وبه متعلق بيؤمنون قدم على عامله لكونه صاية متعلقة ببيان ايمانهم به ولا يمكن جعله للاختصاص لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد ﴿قوله باعتقادهم صحته في الجملة﴾ اى ولكونهم على دين الاسلام باعتقادهم

(انك لاتهدي من احببت) لاتقدر ان تدخله في الاسلام (ولكن الله يهدي من يشاء) فيدخله في الاسلام (وهو اعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف اتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله (اولم نمكن لهم حرما آمنا) اولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه (يجبى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء (ثمرات كل شيء) من كل اوب (رزقا من لدنا) فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن اكثرهم لايعلمون) جهلة لايتفطنون له ولايتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ماهم عليه بقوله (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها) اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم) من السكنى اذ لايسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لايبقى من يسكنها (الا قليلا) من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (وما كان ربك) وما كانت عادته (مهلك القرى حتى يبعث في امها) في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون أفطن وأنبل (رسولا يتلو عليهم آياتنا) لالزام الحجة وقطع المعذرة (وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون) بتكذيب الرسل والعتو في الكفر

صحته وان لم يتدينوا به قبل ذلك ﴿قوله نزلت في ابي طالب﴾ روي انه قال عند موته يامعشر بني عبدمناف اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة لانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ذلك لأقررت عينك بها ولكني على ملة اشياخي عبدالمطلب وهاشم وعبدمناف وقصي ثم مات فقام عليه الصلاة والسلام من عنده باكيا لما كان حريصا على اسلامه لتكفله اياه في صباه وذبه عنه في كبره حتى قال ابو طالب لقريش حين هموا بقتله

كذبتم وبيت الله لاتقتلونه	ولما نطاعن حوله ونقاتل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وهذه الآية حجة لنا على المعتزلة في قولهم ان الهدى هو البيان وقد هدى الناس جميعا ولكن لم يهتد البعض منهم بسوء اختيارهم فهذه الآية دلت على ان وراء البيان ماسمي هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة التي هي داعية اكتساب الخير والاجتناب من الشر اذ يفعل مايشاء بحكمته لايسأل عما يفعل ﴿قوله اولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن﴾ اشارة الى مامر من أن اصل التمكين ان يجعل للشيء مكان يتمكن فيه ولما تضمن معنى الجعل عدي بنفسه الى قوله حرما وان قوله آمنا فاعل بمعنى النسب اي ذا أمن يكون كل من دخله آمنا ومن قرأ تجبى بالتاء التأنيث اعتبر لفظ ثمرات ومن قرأ بالياء نزل الفاصل منزلة التاء واعتبر كون التأنيث غير حقيقي والجملة صفة ثانية لحرما والظاهر ان الرزق اسم بمعنى المرزوق فيكون في موضع الحال من ثمرات لتخصصها بالاضافة كتخصيص الحال من النكرة المخصصة بالصفة ويجوز أن يكون مفعولا له بمعنى سوقها اليه رزقا وان يكون مصدرا من غير لفظ الفعل لان يجبى اليه بمعنى يرزق * فان قلت فحينئذ يكون التقدير يرزق الحرم ولامعنى له * قلت يجوز ان يسند الرزق الى الحرم مجازا والاصل يرزق اهله ﴿قوله جهلة لايتفطنون له﴾ اي لقدر ربوبية الله تعالى وعظمته حيث آمنهم ورزقهم بحرمة الحرم حال شركهم فكيف لايعصمهم من الخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة الحرم التوحيد فيكون الاستدراك متعلقا بمضمون قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا لابقوله من لدنا كما ذهب اليه صاحب الكشاف ﴿قوله ثم بين ان الامر بالعكس﴾ اي بعدما رد الله تعالى عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا بين لهم ان الامر بالعكس اي بعكس مايظنون من ان الايمان يستلزم الخوف من زوال نعمة الدنيا فان الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذي يزيل هذه النعمة لاالاقدام على الايمان ﴿قوله وخفض العيش﴾ الخفض الدعة والرفاهية وكم في محل النصب بقوله اهلكنا ومعيشتها منصوب بنزع الخافض اي في معيشتها والبطر الطغيان في النعمة وان لايحفظ حق الله تعالى فيها بصرفها فيما امر به ﴿قوله تعالى فتلك﴾ مبتدأ ومساكنهم خبره ولم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان تكون خبرا ثانيا والاقليلا اي الاسكنى قليلا والازمانا قليلا ﴿قوله وانتصاب معيشتها بنزع الخافض﴾ كقوله زيد ظني مقيم اي في ظني جعل كل واحد من المعيشة والظن ظرفا مبنيا على الاتساع وليسا بظرفين حقيقة لانهما مصدران والمصدر لايكون ظرفا للحدث الا انه جعلت المعيشة كأنها زمان البطر والظن زمان الاقامة او زمان الاخبار عن اقامة زيد او زمان التحكم به عليه او زمان اسناده القيام الى زيد وهذا معنى قول شرحه الذي الطيبي والعامل في ظني الامر المنتزع من معنى الجملة كالاخبار والاسناد والحكم وقد تقرر ان ظروف الزمان كلها تقبل النصب بتقدير في على اعتبار نزع الخافض بخلاف ظرف المكان فانه لايقبله الا اذا كان مبهما او محمولا على المبهم فان اتسع بجعل المعيشة مكان البطر احتيج الى اعتبار نزع الخافض وان جعلت زمان البطر تكون ظرفا بنفسها او باضمار زمان مضاف اليها كقولك آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج اي بطرت ايام معيشتها ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿قوله او مفعولا﴾ اي او بجعله مفعولا لبطرت على تضمينه معنى كفرت او جهلت اي كفرت نعمته او جهلت شكر معيشتها ثم حذف المضاف ﴿قوله التي هي اعمالها﴾ اي توابعها وسوادها وضمير هي يرجع الى القرى ﴿قوله لان اهلها﴾ اي اهل ام القرى يكون افطن وانبل اي اكثر فطنة ونبالة وهي الفضل والشرف يقال نبل فلان فهو نبيل اي شرف فهو شريف فان الرسل انما بعثت غالبا الى الاشراف وهم غالبا يسكنون المدن والمواضع التي هي ام ماحولها فلذلك خصت ام القرى

(بقية)

(وما اوتيتم من شئ) من اسباب الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة (وابقى) لانه ابدى (أفلا تعقلون) فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ فى الموعظة (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وقالون فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة التى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء (ويوم يناديهم) عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر (فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول (اغويناهم كما غوينا) اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا (ما كانوا ايانا يعبدون) اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الاجابة والنصرة (ورأوا العذاب) لازما بهم (لو انهم كانوا يهتدون) لوجه من الحيل

بعثة الرسل فيها ووجه اتصال قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا بما قبله انه تعالى لما قال وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها توجه ان يقال لم يهلك الله تعالى الكفار قبل بعثة الرسل عليهم السلام مع انهم كانوا مستغرقين فى الكفر والبطر وان يقال ولم لم يهلكهم بعد بعثته عليه الصلاة والسلام مع استمرارهم فى الكفر بالله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداته فاجاب الله تعالى عن الاول بقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة وعن الثانى بقوله وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون اى انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد آمن وبعضهم علم الله تعالى منهم انهم سيؤمنون وآخرون علم الله تعالى انهم وان لم يؤمنوا لكن يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا اعلم ان الله تعالى رد اولا على الذين قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا ثم بين ان الامر بالعكس ثم شرع فى ازاحة شبهتهم بوجه آخر فقال وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا لان حاصل شبهتهم ان قالوا تركنا الدين لئلا تفوت منا الدنيا فبين الله تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وابقى ﴿ قوله وهو ابلغ فى الموعظة ﴾ لان الالتفات من الخطاب الى الغيبة يدل على ان حقهم ان يعرض عنهم وان لا يتوجه اليهم بالخطاب كانهم مسلكون فى سلك الجمادين خارجون عن حد العقل بالكلية فيكون ابلغ فى الزجر والموعظة ثم انه تعالى لما رجح ثواب الآخرة على منافع الدنيا اكد هذا الترجيح بقوله أفمن وعدناه على ايمانه وعدا حسنا هو الجنة وثوابها فهو لاقيه اى مصيبه ومدركه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين والفاء فى قوله أفمن وعدناه للتعقيب والتقدير بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والآخرة والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا قال الله تعالى لهم لو لم تحصل عقيب الدنيا الا مضرة العقاب لكان العقل يقتضى ترجيح منافع الدنيا على منافع الآخرة كيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم ثم انه تعالى بين انه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة اشياء اولها قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائى وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم وثالثها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فان الكفار يعرفون يوم القيامة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ اين شركائى فظاهر انهم يعتذرون حينئذ بان الشياطين او الرؤساء دعونا الى عبادتها وحملونا على الغواية فحكى الله تعالى ما يقوله الشياطين او الرؤساء فى حق تابعيهم فقال قال الذين حق عليهم القول الآية فانهم اختلفوا فى ان الذين حق عليهم القول من هم فقال بعضهم هم الرؤساء الدعاة الى الضلالة وقال آخرون هم الشياطين ﴿ قوله اى هؤلاء هم الذين أغويناهم ﴾ يريد ان هؤلاء مبتدأ وقوله الذين اغوينا صفة للخبر المحذوف واغويناهم مستأنف واغوينا صلة الذى حذف فيها العائد الى الموصول واعربه صاحب الكشاف بان جعل هؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته بحذف العائد وجعل اغويناهم خبرا وجعل كما غوينا نعتا لمصدر محذوف عامل ذلك المصدر مطاوع لذلك الفعل اى فغووا غيا كما غوينا ولم يرض به المصنف لانه ليس فى الخبر زيادة فائدة على ما فى صفته * فان قلت قد وصف الخبر بقوله كما غوينا وفيه زيادة ليست فى الصفة والموصوف * اجيب بان الزيادة فى الظرف لا تصيره اصلا فى الجملة لان الظروف فضلات قال ابو البقاء ولا يمتنع ان يكون هؤلاء مبتدأ والذين صفته واغويناهم الخبر لانه يفيد فائدة زائدة على ما يستفاد فى الصفة من اجل ما اتصل به وان كان ظرفا لان الفضلات فى بعض المواضع تلزم كقولك زيد عمرو فى داره فان فى داره وان كان ظرفا لكنه لابد منه ليعود من الجملة ضمير الى المبتدأ فصار بذلك كاحد شطرى الجملة ﴿ قوله اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا ﴾ حاصله انه لافرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما بالاختيار اما غينا فلانه ما كان لنا قاسر على ذلك ولا داع اليه بل هو وسوسة لنا واماغيهم فلانه ما كان لهم قاسر الجأهم عليه بل غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلافرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما وقع بالاختيار ﴿ قوله اى ما كانوا يعبدوننا ﴾ اشارة الى ان ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة وعلى تقدير ان تكون ما مصدرية لابد من تقدير حرف من اى تبرأنا مما كانوا اى من عبادتهم ايانا كما اشار اليه المصنف ﴿ قوله فدعوهم من فرط الحيرة ﴾ اى لا بناء على اعتقادهم ان الاصنام يشفعون لعابديهم ويخلصونهم مما اصابهم من العذاب لان المشركين يعرفون بالضرورة يوم القيامة ان الحكم لله الواحد القهار وانه لا يشفع احد الا باذنه قال الامام فالاقرب ان هذا على سبيل التقدير والفرض لانهم يعلمون انه لا فائدة فى دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم يجدوا منهم اجابة فى النصرة وان

يدعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولاً عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (فعميت عليهم الانباء يومئذ)

فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان مايحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ماأجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء (فهم لايتساءلون) لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله (فاما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى ان يكون من المفلحين) عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح (وربك يخلق مايشاء ويختار) لاموجب عليه ولامانع له (ماكان لهم الخيرة) اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لااختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى انه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ماموصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح (سبحان الله) تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به (وربك يعلم ماتكن صدورهم) كعداوة رسول الله وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) المستحق للعبادة (لااله الاهو) لااحد يستحقها الاهو (له الحمد فى الاولى والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر (من اله غير الله يأتيكم بضياء) كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار (سرمدا)

العذاب ثابتون كل ذلك على وجه التوبيخ ﴿قوله يدعون به العذاب﴾ صفة لقوله لوجه من الحيل ولو كان جواب لو لقيل لدفعوا به العذاب بلفظ الماضى كما قال لما رأوا العذاب والمقصود ان جواب لو محذوف وهو قوله لما رأوا العذاب وتقدير الكلام لو كانوا يهتدون الى الحق فى الدنيا لما رأوا العذاب فى الآخرة اولو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوه به لما رأوه وعلى تقدير ان تكون لو للتمنى يكون المعنى ورأوا العذاب فتمنوا الاهتداء فى الدنيا ﴿قوله فانه تعالى يسأل اولاً عن اشراكهم به﴾ توبيخا لهم على عبادة غير الله تعالى بناء على توقع الاعانة والنصرة منهم ثم على تكذيبهم الانبياء تبكيتا لهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل وذكر فيهما مايقوله الشياطين او الرؤساء بناء على انهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة كانوا يعتذرون بانهم استغوونا وصدونا عن الهدى وزينوا لنا عبادتها فحكى الله تعالى جواب الشياطين او الرؤساء لهم بقولهم أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل انتم غويتم باختياركم ثم عقبه بذكر مايشبه الشماتة بهم من استغاثتهم بآلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم هذا وجه ارتباط الكلام من قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائى الى قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴿قوله فصارت الانباء كالعمى عليهم﴾ اشارة الى ان الانباء استعارة بالكناية بان شبهت فى النفس بذوى الارادة المتوجهين الى شئ وجعل اثبات العمى لها دليلا عليه والعمى عمى العين يقال عمى يعمى عمى اذا اختل عينه وقولهم عمى عليه الخبر اى خفى مجاز من عمى البصر فالاصل ان يسند العمى عن الانباء الى الكفار لكنه عكس مبالغة فان الاصل يوهم ان يتحقق الجواب فى نفسه وانهم لم يطلعوا عليه لخلل من قبلهم بخلاف العكس ﴿قوله يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك﴾ اى السؤال وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب والتعتعة فى الكلام التردد فيه من حصر او عى ﴿قوله فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى﴾ لدخول اختيارهم فى عموم قوله تعالى يخلق مايشاء فان قوله مايشاء يتناول الاعيان والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى شاء جميع مايعمله العباد من جميع الخيرات والطاعات التى من جملتها اختيار الطاعة فلما كان جميع ذلك مماشاءه الله تعالى لزم ان يوجد بخلق الله تعالى اذ اخبر انه يخلق مايشاء فالآية حجة لنا على المعتزلة فى مسائل خلق اعمال العباد لانه اذا كانت الخيرة بمشيئة الله تعالى وجب كونها من مخلوقات الله تعالى بحكم هذه الآية ﴿قوله وقيل المراد﴾ اى قيل ليس المراد نفى الاختيار عنهم رأسا بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شيأ من الامور بل الخيرة لله تعالى فى جميع افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فى جميع مايعمله فيكون قوله ماكان لهم الخيرة بيانا لقوله ويختار فلذلك لم يعطف عليه ولما قال المشركون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واختاروا للرسالة الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف رد الله تعالى عليهم انه يختار من يشاء لنبوته ورسالته اى حكمه ان الخالق له فالاختيار للنبوة اليه فليس لهم ان يختاروا على الله تعالى شيأ من افعاله ﴿قوله وقيل ماموصولة﴾ فعلى هذا يوقف على قوله وربك يخلق مايشاء ويبتدأ بقوله ويختار ماكان لهم الخيرة بخلاف ما اذا كانت كلمة ما حرف نفى فانه حينئذ يوقف على قوله وربك يخلق مايشاء ويختار ويبتدأ من قوله ماكان لهم الخيرة ﴿قوله عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به﴾ على الاول مامصدرية وعلى الثانى موصولة بتقدير المضاف ﴿قوله ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده﴾ لابناء على الامر بالتكليف وما دل على ان الحمد فى الآخرة على وجه اللذة لاعلى وجه الكلفة ماروى عن جابر رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولايتغوطون ولايمتخطون قالوا فمابال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس والالهام ان يلقى الله تعالى فى النفس امرا يبعثه على الفعل او الترك وهو نوع من الوحى فان قوله عليه الصلاة والسلام يلهمون يدل على انهم لايتكلفون بها ثم انه تعالى لمابين انه المحمود فى الاولى والآخرة لكونه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها فصل عقيب ذلك بعض مايجب ان يحمد عليه مما لايقدر عليه سواه فقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية ونبه به ايضا على هدم قاعدة الشرك ببيان انتفاء لازم الالوهية عما سواه وهو القدرة على كل شئ فيكون تقريرا لقوله لااله الاهو ﴿قوله كميم دلامص﴾ وهو البراق يقال دلصت الدرع تدلص من باب نصر اى صارت لينة براقة ويقال درع دلاص وادرع دلاص فالواحد والجمع على لفظ واحد والميم زائدة فى دلامص وكذا فى

سرمدا موزه فضلا به الله تعالى بهذه الآية على ان الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجه ذلك ان المرأ في الدنيا مضطر الى ان يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك لا براحة وسكون بالليل ولا بد منهما في الدنيا واما في الجنة فلا نصب فيها ولا تعب فلا حاجة لاهلها الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله تعالى بقوله تعالى قل أرأيتم اى اخبروني يا اهل مكة وسرمدا مفعول ثان لجعل ان كان بمعنى صير وحال ان كان بمعنى خلق وانشأ والظاهر ان يقال هل له لان المقام مقام انكار اله يقدر على ذلك غير الله تعالى لا مقام تعيين اله يقدر عليه غيره الا انه ذكر من بناء على زعمهم تعدد الآلهة فقيل في الرد عليهم ان الالوهية تقتضي القدرة على كل شئ فاى شئ مما تزعمون انه اله من دون الله يقدر على ما ذكرنا ﴿قوله ولعله لم يصف الضياء﴾ يعني انه تعالى وصف الليل بقوله تسكنون فكان المناسب ان يصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل ويقول من يأتي بضياء تتصرفون فيه ان جعل الله الليل سرمدا الا انه عدل عنه ولم يصف الضياء اصلا للايذان بان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولو قيل بضياء تتصرفون فيه لفهم انه انما يقصد لما يتوصل اليه ولا يقصد لنفسه لانه لو وصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل لفهم ان منفعته منحصرة فيما وصف به وليست منحصرة فيه بل له منافع كثيرة فاطلق للايذان بذلك والاحتراز عن توهم الانحصار ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل كون منافع الضوء اكثر من منافع ما يقابله قرن بالضياء ما يكون منفعته اكثر من منفعة ما يقارن الليل وهو البصر وانما قلنا ان منافع السمع اكثر من منافع البصر لان العقل لا يستفيد من البصر الا صور المبصرات بخلاف السمع فان العقل يدرك بواسطة السمع جميع انواع المحسوسات بل المعقولات الصرفة اذا عبر عنها بالعبارة الدالة عليها ﴿قوله ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك﴾ اى في خلق الليل والنهار بحيث يتعاقبان على وجه معين بين الله تعالى بهذه الآية ان الحكمة في خلقهما هكذا ثلاثة اشياء اثنان منها يترتبان على خلقهما بطريق اللف والنشر والثالث يترتب على خلقهما جميعا فليس فيه اعتبار اللف ﴿قوله والثاني لبيان انه﴾ اى القول بالشرك لم يكن عن سند بقرينة ما بعده فان قوله ونزعنا ونقلنا معطوفان على قوله ينادبهم فيقول واوثر فيهما لفظ الماضي لكونهما في حكم الواقع تحققا ووقوعهما وجعل المقام مقام ذكر الغيبة وجعل ضل مستعارا بمعنى غاب تشبيه ما غاب بالشئ الضائع الذي تحقق اليأس من حضوره والانتفاع به واطلاق اسم الضال عليه على طريق اطلاق اسم الاسد على الشجاع ﴿قوله شهيدا وهو نبيهم﴾ سمى النبي شهيدا لانه شهد عليهم او حضر ما كان منهم من التصديق والتكذيب والرد والقبول ﴿قوله يصهر بن قاهث﴾ عطف بيان لعمه فان يصهر ابا قارون وعمران ابا موسى كانا اخوين ابني قاهث وكان كل واحد من موسى وقارون ابن عم الآخر لان قارون كان ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام كان ابن عمران بن قاهث بن لاوى وقيل معنى كونه من قوم موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مؤمنا وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة فنافق كما نافق السامري وروى ان قارون كان من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله عز وجل والبغي تجاوز الحد في الظلم وذكر المصنف في طريق بغيه اربعة اوجه الاول انه طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده ولا يبعد ان كثرة المال سبب البغي والتكبر والثاني انه تكبر وتجبر وسخط عليهم والثالث ان فرعون ملكه على بني اسرائيل فظلمهم والرابع انه حسدهم لما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قطع البحر واغرق الله فرعون وجعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة فكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة فحسب فارون من ذلك في نفسه فقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في غير شئ لا اصبر على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعله الله له فقال لا اصدقك ابدا حتى تأتيني بآية اخرى اعرف بها ان الله تعالى جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه الصلاة والسلام رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد منهم بعصا فحزمها والقاها موسى في قبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكان يعبد الله فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى يا قارون اما ترى ما صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرائيل فما كان يأتي موسى ولا يجالسه ﴿قوله من الاموال المدخرة﴾ الكنوز في الاصل عبارة عن الاموال المدفونة تحت الارض فشبهت الاموال المدخرة بها فاطلق عليها اسم الكنوز

(قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل (أفلا تبصرون) لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار بانواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون) تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد آرائهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى (ونزعنا) واخرجنا (من كل امة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) في الالهية لا يشاركه فيها احد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) من الباطل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر (وآتيناه من الكنوز) من الاموال المدخرة (ما ان مفاتحه) مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به

وقيل خزائنه وقياس واحده المفتح (لتنوء بالعصبة اولي القوة) خبران والجملة صلة ما وهو ثاني معمولي آتى والباء فيه للتعدية اذ (قال له

حتى امالهم والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ ليتوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء (لاتفرح) لاتبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان مافيها من اللذة مفارق لامحالة يوجب الترح كما قال

اشد الغم عندي في سرور ۞ تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال تعالى ولاتفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال (ان الله لايحب الفرحين) اي بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها (ولاتنس) ولاتترك ترك المنسي (نصيبك من الدنيا) وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها مايكفيك (واحسن) الى عباد الله (كما احسن الله اليك) فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام (ولاتبغ الفساد في الارض) بامر يكون علة للظلم والبغي (ان الله لايحب المفسدين) لسوء افعالهم (قال انما اوتيته على علم عندي) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال على صرفي موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي (أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه اي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين (ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لامحالة (فخرج على قومه في زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبة

(وقيل)

﴿قوله وقيل خزائنه﴾ عطف على قوله مفاتح صناديقه اي وقيل مفاتحه خزائنه كما في قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب اي خزائنه وقياس واحده مفتح بفتح الميم لانه ليس اسم آلة بل هو اسم لمكان الفتح وكلمة ما في قوله ما ان مفاتحه موصولة بمعنى الذي وان مع اسمها وخبرها ومايتعلق به صلة الذي ولهذا كسرت ان والموصول مع صلته في محل النصب على انه معمول ثان لآتينا والباء في قوله لتنوء بالعصبة للتعدية كالهمزة في قولك انأه الحمل اي اثقله والمعنى ان المفاتح لتثقل العصبة الاقوياء فكما يعدى ذهب تارة بالباء والاخرى بالهمزة فكذا ناء بمعنى ثقل يعدى بالهمزة فيقال اناءه الحمل ويعدى ايضا بالباء فيقال ناء به اي اثقله ﴿قوله وقرئ ليتوء بالياء﴾ اي من تحت بناء على ان يكون الضمير في مفاتحه لقارون وان يكون المفاتح بمعنى الخزائن فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كما يكتسب منه التأنيث في قولهم ذهبت اهل اليمامة ﴿قوله وهو ان تحصل بها آخرتك﴾ فان نصيب المرء من الدنيا ان يتوصل بها الى سعادة الآخرة فان يطلب الآخرة بها ويقدمها لذلك واما ماخلفه فهو نصيب غيره ويجوز ان يكون المراد نصيبه من الدنيا ان يتمتع بها في الوجوه المباحة ﴿قوله بامر يكون علة للظلم والبغي﴾ يعني ان المراد بالفساد في الارض الظلم والبغي ويكون ابتغاؤه بمباشرة مايؤدي اليه كحب المال والجاه والركون الى الدنيا وايثار الحظوظ الفانية على اللذات الباقية فان من ابتلي بمثل هذه الرذائل لايتحاشى عن الظلم والبغي كما قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة وكل من عصى الله تعالى فقد طلب الفساد في الارض من حيث ان شؤم المعصية ينقص بركة الارض وقيل في تفسير قوله تعالى ولاتبغ الفساد في الارض اي لاتجعل نعمة الله تعالى عليك ذريعة الى عصيانه وعونا على مخالفة امره ونهيه وقيل الفساد في الارض ماكان عليه من الظلم والبغي وهو معنى ماوجد في بعض النسخ نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي وقيل هذا الواعظ هو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو مؤمن قومه كأنه كان قد جمع في وعظه ماله وقيل لم يكن عليه مرد لكان حقا لكنه ابى ان يقبل بل رد على الله كرم النعمة فقال انما اوتيته على علم اي انما اعطيت هذا المال كائنا على علم وفضل علمه الله تعالى عندي فرأى ان الله لذلك فضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بسائر الفضائل نظر الى نفسه ورأى ان ماحصل له من هذه النعم انما حصل له لاستحقاقه ولم ينظر الى منة الله تعالى عليه في ذلك فاقتصر بها واذا بها لنفسه فهلك وكذا كل من زين في عينه اعماله واقواله واحواله واعجب بها ولم يعرف حق من انعم بها فانه يهلك بشؤم عجبه كما خسف بقارون ولذي لنفسه فضلا فقوله على علم حال من مرفوع اوتيته قيد به العامل للاشارة الى علة الاتيان وبيان وجه استحقاقه وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكيمياء انزل الله تعالى علمها عليه من السماء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب كثرة امواله لانه كان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وقال عطاء انه اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه الصلاة والسلام قيل كلمة ما في قوله انما اوتيته ليست بكافة بل هي بمعنى الذي اي ان الذي اوتيته على علم عندي صفة لعلم ﴿قوله تعالى واكثر جمعا﴾ معناه اكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا وحاصل الجواب ان اغتراره بماله وقوته وجموعه من الخطأ العظيم فانه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولا مايزيد عليه اضعافا كثيرة ﴿قوله اورد لادعائه العلم﴾ عطف على قوله تعجب وتوبيخ الاول على ان يكون قوله اولم يعلم اثباتا من الله تعالى علمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو أقوى منه واغنى على ان يكون الاستفهام في أولم يعلم للانكار لان انكار النفي نفي النفي ونفي النفي اثبات والثاني على ان يكون نفيا لعلمه بذلك بناء على ان يكون الاستفهام للتقريع ﴿قوله سؤال استعلام﴾ اي لايسألون ليعلم ذلك من قبلهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة به الى ان يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها ولاينافيه ان يسألوا سؤال توبيخ وتقريع كما دل عليه قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ويحتمل ان يكون المراد بالسؤال المنفي سؤال المعاتبة ويكون المعنى انهم يدخلون النار بغير حساب ويعذبون فيها بذنوبهم عقوبة من غير ان يناقشوا ويعاتبوا عليها وقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ينبغي ان يحمل على وقت آخر حينئذ ﴿قوله كأنه لما هدد قارون الخ﴾ اشارة الى وجه اتصال قوله ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون بماقبله ﴿قوله على بغلة شهباء﴾ وهي التي يغلب مابها من البياض على سوادها والارجوان قطيفة حمراء وقيل كل مايكون لونه احمر بناء على ان الارجوان معرب ارغوان وهو شجر له نور احمر وكل مايشبهه فهو ارجوان ﴿قوله على زيه﴾ وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وفي العرب الديباج الثوب الذي سداه ولحمته ابريسم

(ياليت لنا مثل ما أوتي قارون) تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد (انه لذو حظ عظيم) من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال الآخرة للمتمنين (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) في الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها (ولا يلقاها) الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) على الطاعات وعن المعاصي (فخسفنا به وبداره الارض) روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فأوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فأخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فأوحى الله اليه ما أفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله (فما كان له من فئة) اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويلك اعلم ان الله (لولا ان من الله علينا) فلم يعطنا ما تمنينا (لخسف بنا) لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) غلبة وقهرا (ولا فسادا) ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون

وقيل اسم للنقش ﴿قوله حذرا من الحسد﴾ وهو ان يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه وهذا التمني مذموم بخلاف الغبطة وهي ان يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه وما في الآية من هذا القبيل ﴿قوله تعالى فخسفنا به﴾ اي غيبناه في الارض يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف الله به الارض اي غيبه فيها ﴿قوله فبرطل بغية﴾ اي اعطاها الرشوة ومنه المثل البراطيل تنصر الاباطيل وهو جمع برطيل وهو في الاصل الحجر الطويل واريد به هنا الرشوة كما يقال ألقمه الحجر اذا اسكته بالحجة ﴿قوله مشتقة من فأوت رأسه﴾ فوزنها فعة والهاء عوض عن اللام الساقطة بالاعلال سميت الاعوان فئة لميلهم الى صاحبهم بالمعاونة والنصرة ﴿قوله منذ زمان قريب﴾ اي اول لزمان قريب والامس في الاصل اسم لليوم الذي قبل يومك واستعير هنا للزمان القريب والمعنى وصار القوم الذين تمنوا منزلته وما رزق من المال والزينة بالوقت القريب الى زمان خسفه نادمين يقولون الخ فانه يعبر عن الصيرورة بأصبح وامسى واضحى ﴿قوله مركب من وي للتعجب﴾ قال القوم الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف تنبهوا لخطائهم في تمنيهم مثل ما اوتي قارون حيث علموا ان بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله تعالى ولا ضيقه لهوانه فتعجبوا من انفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ ثم ابتدأوا يقولون كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته اي يضيق على من يشاء بحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة والمعنى ليس الامر كما زعمنا من ان البسط يدل على الكرامة والقبض على الهوان بل الاشبه ان كل واحد من القبض والبسط مقتضى المشيئة الالهية المستندة الى الحكمة وكذا الكلام في قولهم ويكأنه لا يفلح الكافرون تعجبوا من تمنيهم مثل حال قارون ثم قالوا ما اشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح والهاء في كأنه ضمير الشأن ﴿قوله وقيل من ويك﴾ اي قال الكوفيون ويكأن مركب من ويك وأن واصل ويك ويلك الذي اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفتح ان لكونها مع ما في حيزها في موضع النصب بفعل محذوف وهو اعلم فعلى هذا يكون معنى الآية الزجر والردع عن الجهل بأن كل واحد من القبض والبسط ليس الا بمشيئة الله تعالى وحكمته والبعث على العلم بهذه القضية وهي ان الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهكذا الكلام في قوله ويكأنه لا يفلح الكافرون فان المقصود منه ايضا الزجر عن الجهل والبعث على العلم بأن الكافرين لا يفلحون ﴿قوله لخسف بنا﴾ قرأ حفص لخسف بفتح الخاء والسين اي لخسف الله تعالى بنا وأدخلنا في الارض والباقون بضم الخاء وكسر السين على بناء المجهول فقوله بنا هو القائم مقام الفاعل ﴿قوله اشارة تعظيم الخ﴾ معنى التعظيم مستفاد من الاشارة بلفظ البعيد تنزيلا لبعد درجة المشار اليه ورفعة محله منزلة بعد المسافة كما في قوله تعالى الم ذلك الكتاب فان الاصل في اسماء الاشارة ان يشار بها الى مشاهد محسوس قريب او بعيد الا انه قد يشار بها الى محسوس غير مشاهد والى ما يستحيل احساسه ومشاهدته بناء على تصييره كالشاهد المحسوس وتنزيل الاشارة العقلية منزلة الحسية وما نحن فيه من هذا القبيل ﴿قوله كما اراد فرعون وقارون﴾ يعني ان المراد من عدم ارادة العلو عدم ارادته كارادة فرعون حيث استكبر عن الايمان واستعلى على ما في الارض من خلق الله تعالى ولا سيما على نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة ومن عدم ارادة الفساد ان لا يريده كارادة قارون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ولقوله ناصح قارون ولا تبغ الفساد في الارض وليس كل من يصدق عليه انه اراد علوا وفسادا في الجملة محروما من سعادة دار الآخرة للنصوص الدالة على ان كل مؤمن من اهل الجنة ومن جملتها قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق ثلاثا وقال في الثالثة على رغم انف ابي ذر الا ان الآية فيها زجر بليغ عن الخصلتين حيث لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلب اليهما كما علق الوعيد بالركون الى الظلمة دون نفس الظلم في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وايضا فيها دلالة على ان ارادة ما ليس له من العلو والرفعة مما ينقص حظ المؤمن من سعادة الآخرة لما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحت الآية وعن الفضيل بن عياض انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا يعني ان الآية تدل على وجوب ترك التمني وارادة ما ليس له من العلو والرفعة كما تدل على وجوب ترك ارادة الفساد وكرر كلمة لا في قوله ولا فسادا ليفيد ان كل واحدة من الخصلتين على حدتها تمنع سعادة الآخرة وان لم تجامع الاخرى ثم انه تعالى لما بين ان الدار الآخرة ليست الا لمن اتقى عذاب الله بأداء فرائضه واجتناب

(والعاقبة) المحمودة (للمتقين) مالازم صاداته (من جاء بالحسنة فله خير منها) ذاتا وقدرا ووصفا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) وضع الذين عملوا موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم

(الا ما كانوا يعملون) اى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة (ان الذى فرض عليك القرآن) اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من العادة وردّه اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم (ومن هو فى ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب) اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الا رحمة من ربك) ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد اذ انزلت اليك) وقرئ يصدنك من اصد (وادع الى ربك) الى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم (لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم (له الحكم) القضاء النافذ فى الخلق (واليه ترجعون) للجزاء بالحق * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدّق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

﴿ سورة العنكبوت مكية وهى ﴾
﴿ تسع وستون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه

محاسبه بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها اى ذاتا وقدرا ووصفا فان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا هى المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم جل جلاله ولا شك ان هذه خير من الاولى ذاتا وكذا خير منها قدرا لان الثواب دائم والعمل منقض وكذا وصفا لان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وقيل فله خير حاصل من جهة ما جاء به من الحسنة لئلا يرد ما يقال ان الحسنة التى جاء العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص فى العمل والثواب انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى وقد مر هذا البحث فى آخر سورة النمل ﴿ قوله اى معاد ﴾ اشارة الى ان تنوين معاد للتعظيم والمعنى ان الذى حملك على صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليه ثوابا لا يحيط به الوصف بان يردك الى معاد يخصك ولا يليق بغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذى وعده الله تعالى ان يمنحه فيه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والظاهر ان المعاد ههنا بمعنى المصير والمنقلب لا بمعنى المتبادر منه وهو المكان الذى يكون المرء مدة فيه ثم يرجع اليه بعد ان فارق عنه لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن فى ذلك المقام مدة حتى يعود اليه ﴿ قوله او مكة التى اعتدت بها ﴾ اى صرت معتادا بها وكانت موضع اعتيادك على ان يكون المعاد اسم مكان من عاده بمعنى اعتاده وتعوّده اى صار عادة له يقال عوّدت كلبى الصيد فتعوّده واعتاده وقال الامام الاقرب ان يراد بالمعاد مكة لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل العود اليه وذلك لا يليق الا بمكة والمصنف جوّز ان يكون المراد بالمعاد مكة الا انه جعل المعاد حينئذ من العود بمعنى الاعتياد لان مكة لم تكن مرجعا له حينئذ الا باعتبار ما يؤول اليه وكانت موضع اعتياد حقيقة ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذرت الحقيقة ووجه تنكيره حينئذ ان مكة فى ذلك اليوم كانت معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه ﴿ قوله لما بلغ جحفة ﴾ وهو موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات اهل الشام فنزلت الآية فهذه الآية لم تكن مكية ولا مدنية وكانت من جملة ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فتكون من جملة معجزاته ﴿ قوله ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ﴾ لا بنفس اعلم لان اسم التفضيل لا يعمل فى مظهر لعدم كونه بمعنى الفعل لانه يدل على التفضيل والفعل لا يدل عليه فاوقع فى حيز معموله فانه معمول لمضمر يدل عليه اسم التفضيل لما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام ان يرده الى المعاد قال له قل للمشركين ربى اعلم من جاء بالهدى الآية تقريرا للوعد السابق ﴿ قوله محمولا على المعنى ﴾ فان قوله ما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب فى معنى ما يلقى اليك الكتاب فصح بقوله ما كنت ترجوا لما انه فى نفى رجاء الالقاء اعم من نفى الالقاء كأنه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى فى حال كونه رحمة او الا لاجل رحمة فيكون الاستثناء استثناء متصلا مفرغا ويكون المستثنى منه اعم الاحوال او اعم العلل ولا يجوز ان يكون الاستثناء باعتبار اللفظ لانه اذا قيل ما كنت ترجوه الا رحمة لزم ان يكون عليه الصلاة والسلام راجيا ان يلقى اليه الكتاب لاجل الرحمة وظاهر انه عليه الصلاة والسلام لم يكن راجيا له اصلا ثم انه تعالى لما اظهر المنة عليه بانزال القرآن عليه مع عدم رجائه اياه نهاه عن مظاهرة الكافرين وان يلتفت اليهم ويسمع اقوالهم فيصدوه عن اتباع آيات الله يعنى القرآن قال المصنف وذلك حين دعوه الى دين آبائه ليزوّجوه ويقاسموه شطرا من اموالهم اى لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدوك عن قرآنك قرأ العامة يصدنك بفتح الياء وضم الصاد من صده يصده وقرئ بضم الياء وكسر الصاد من اصده بمعنى صده وهى لغة كلب قال شاعرهم اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقى عن انوف الحوائم * والحوائم العطاش من حام اذا عطش ﴿ قوله بمساعدتهم ﴾ فان من ساعدهم بان يرضى بطريقتهم او مال اليهم كان منهم ﴿ قوله فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم ﴾ فان الممكن لما استفاد الوجود من الخارج كان الوجود له كالثوب المستعار بالنسبة الى المعير فكما لا يخرج الفقير باستعارة ذلك الثوب من الغنى عن كونه فقيرا فى حد ذاته فكذا الممكنات لا تخرج عن كونها هالكة عارية عن الوجود فى حد نفسها فظهر بهذا ان كل ما سواه من الممكنات هالك فى الحال فجاز ان تكون الجنة والنار مخلوقتين الآن كما يدل عليه قوله تعالى فى صفة الجنة اعدت للمتقين وفى صفة النار اعدت للكافرين كما قال الله تعالى اكلها دائم وظلها مع كونهما هالكتين بهذا المعنى ثم بعون الله ما يتعلق بسورة القصص

﴿ قوله دليل على استقلاله بنفسه ﴾ بان يكون حروفا مسرودة على وجه التعداد لا محل لها من الاعراب لكونها جارية مجرى الاصوات المنبهة فان الحكيم اذا خاطب من هو فى محل الغفلة او من هو مشغول البال بهم من المهمات فانه يقدم على الكلام المقصود شيأ غيره ليلتفت اليه المخاطب بسببه ويقبل بقلبه عليه وذلك الشئ المقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القائل اسمع منى واجعل بالك الىّ وانظر الىّ وقد يكون شيأ هو فى معنى الكلام المفهوم كقولك ازيد ويا زيد والا يا زيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير

مفهوم كي يحضر خلف انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع الصلة فلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على المقصود اكثر ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل بايا فيقال ايا زيد ثم ان النبي عليه الصلاة والسلام وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم تلك الحروف اذا لم يكن بحيث يفهم معناها فانها حينئذ تكون اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف التي لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع نحو المتكلم لسماع مابعد ذلك فاذا كان ذلك المقدم كلاما مفهوم المعنى فربما يظن السامع ان مدلوله هو كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه واما اذا سمع منه صوتا بلا معنى فانه حينئذ يقبل عليه ولم يقطع نظره عنه مالم يسمع غيره لجزمه بان ماسمعه ليس هو المقصود فتقرر ان تقديم الحروف التي لا معنى لها في الوضع الذي ذكرت من الكلام المقصود فيه حكمة بالغة ثم اعلم ان حروف التهجي التي ذكرت في اوآئل اكثر السور ذكر بعدها الكتاب او التنزيل او القرآن كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقرآن الحكيم ص والقرآن ذي الذكر ق والقرآن الم تنزيل الكتاب حم تنزيل الكتاب ولم يذكر بعدها شئ من ذلك في ثلاث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور التي ذكر فيها بعد حروف التهجي القرآن او التنزيل او الكتاب بتلك الحروف المنبهة هي ان القرآن عظيم الشان وكذا الانزال والكتاب وانزال الوحي له ثقل عظيم لا تطيق القوة الحيوانية تحمله قال الله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فكل سورة في اوآئلها ذكر القرآن او الكتاب او التنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه ثم اعلم ان التنبيه قد يحصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وقوله يا ايها النبي اتق الله ويا ايها النبي لم تحرم لانها اشياء هائلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فقدم عليها النداء الذي للبعيد الغافل عنها واما هذه السورة فافتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب والقرآن لان القرآن ثقله بما فيه من التكاليف والمعاني وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف لكونها مصدرة بقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل يؤمرون بانواع التكاليف فوجد فيها المعنى الذي وجد في السور التي فيها ذكر القرآن المشتمل على الاوامر والنواهي ﴿قوله او بما يضم معه﴾ اما بان تجعل هذه الالفاظ المفردة اسماء للحروف التي يتركب منها الكلام افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هو الذي تحديتم به وعجزتم عن الاتيان بما يدانيه واما بان تجعل اسماء للقرآن او السور ويكون المعنى هذه الم واياما كان تكون هذه الالفاظ كلاما مستقلا منقطعا عما بعدها كما هو مقتضى الاستفهام الواقع بعدها فانه يقتضي صدر الكلام ﴿قوله الحسبان مما تعلق بمضامين الجمل﴾ لما كان افعال القلوب من جملة نواسخ الابتداء وجب ان تدخل على الجمل التامة للدلالة على ان جهة ثبوت مضمونها هل هي ظن او علم ويقين والواقع بعد فعل الحسبان ههنا هو الفعل المضارع المصدر بان المصدرية وهذا الفعل مع ما في حيزه مؤول بمفرد لا بجملة مؤلفة من المبتدأ والخبر حتى يستوفي فعل الحسبان معموليه لكن الجملة الفعلية المؤولة بالمفرد في محل النصب على انها مفعول اول وقوله ان يقولوا ثاني المفعولين فان قوله مع كونه علة لتركهم غير مفتونين لكونه في تقدير لان يقولوا فهو يصح ان يكون خبرا له كما في قولك ضربه التأديب وخروجه مخافة الشر فاذا اردت ان تبين ان ثبوت مضمون هذه الجملة عندك على وجه الظن دون اليقين قلت حسبت ضربه التأديب فكذا قوله ان يقولوا آمنا خبر في الاصل ثم جعل معمولا ثانيا لفعل الحسبان وقوله وهم لا يفتنون من تمام قوله ان يتركوا لكونه حالا من المرفوع المستتر فيه ﴿قوله او انفسهم متروكين غير مفتونين﴾ عطف على قوله تركهم غير مفتونين والفرق بين الوجهين ان فعل الحسبان على الوجه الاول استوفى معموليه المتلازمين بمعنى انه لا يجوز الاقتصار على احدهما وعلى الثاني حذف كلاهما اكتفاء بذكر ما يسد مسدهما ﴿قوله جزعوا﴾ بالطاء المفتوحة من فوق بمعنى ضجروا وروى حرجوا ﴿قوله متصل باحسب﴾ بان يكون حالا من فاعله لبيان علة انكار الحسبان وتقرير جهة اشكاله والمعنى احسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا والمقصود التنبيه على خطأهم في الحسبان ﴿قوله او بلا يفتنون﴾ بان يكون حالا من فاعله لبيان ان لا وجه لتخصيصهم انفسهم بعدم الافتتان والمعنى احسبوا ان لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الامم

او بما يضم معه (احسب الناس) الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله (ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص عن الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان

السابقة فيكون داخلا فى حيز متعلق الحسبان المنكر تعطفة لهم ﴿قوله فليتعلق علمه بالامتحان﴾ اى فيمتحنهم بمشاق التكاليف وبانواع السرّاء والضرّاء ليعلم بذلك صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوح نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن فى العبادة من العابد على حرف فيتعلق علمه بوجود كل طائفة على ماهى عليه من الحال كما علم قبل ذلك بانه سيوجد موصوفا بتلك الحال ومقصود المصنف بهذا الكلام ان يجيب عما يقال انه تعالى عالم بجميع الكائنات فيما لم يزل فكيف قيل فليعلمنّ الله وهو بظاهره يقتضى ان يكون علمه تعالى حادثا متجددا عن الامتحان لاقبله • قال الامام الآية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ماهو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله سبحانه وتعالى يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصى ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والآخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والآخر عصى ولا يتغير علمه فى شئ من الاحوال وانما المتغير المعلوم ويتبين هذا بمثال من الحسيات وهو ان المرآة الصافية الصقيلة اذا علقت بموضع وقوبل بوجهها جهة ثم مر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض فظهر فيها زيد فى ثوب ابيض ثم مر عليها عمرو فى لباس اصفر فظهر فيها كذلك فهل يقع فى ذهن احد ان المرآة فى كونها حديدا تغيرت او كونها صافية صقيلة مدورة مقابلة الى جهة ملاينة تحولت وتبدلت لايقع فى ذهن احد تغيرها فى شئ من هذه الاوصاف بل يعلم كل احد بان المتغير الامور الخارجة عنها فعلم الله تعالى فى حكم تغيره وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى اعلى واجل فان المرآة مخلوقة وعلمه تعالى ازلى قديم لكن يتجدد تعلقه على حسب تجدد المعلوم فقوله فليعلمنّ الله الذين صدقوا معناه انه يقع من يعلم الله تعالى انه سيطيع الطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وقوله تعالى وليعلمنّ الكاذبين يعنى من قال انا مؤمن وكان كاذبا فبفرض العبادات يظهر منه ذلك لانه يقع ممن علم الله تعالى منه انه سيعصى ولا يطيع المخالفة والعصيان ليعلم انه كاذب فى دعوى الايمان والطاعة لقيام شواهد كذبه فيها فان اللسان ترجمان القلب والاعضاء شهود على ماادّعيه المرء باللسان فمن ادّعى بلسانه الايمان واستعمل الاركان على حسب مايقتضيه الايمان فقد صدقه شهوده فى دعواه وتحقق مافى علمه تعالى من انه سيطيع فعلمه بانه قد اطاع ومن لم يستعمل اركانه حسب مايقتضيه ايمانه فقد كذبه شهوده وتحقق مافى علمه من انه لايطيع وعلمه تعالى بانه من العصاة الكاذبين وفى قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين بلفظ اسم الفاعل فائدة مع الاختلاف فى اللفظ ادل على الفصاحة وهى ان اسم الفاعل يدل فى كثير من المواضع على ثبوت المصدر فى الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضى لايدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر لايفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم ذلك من اسم الفاعل اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبى العهد بالاسلام فى اوائل ايجاب التكاليف وعن قوم مستديمين الكفر مستمرين عليه فقال فى حق المؤمنين صدقوا بلفظ الفعل اى وجد منهم الصدق وقال فى حق الكافرين الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام ﴿قوله لذلك﴾ اى لكون المراد بالعلم تعلقه الحالى الذى هو سبب التمييز والمجازاة فسر العلم بهما على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وقيل المعنى فليميزن او ليجازين فان التمييز بين الشيئين والمجازاة على الشئ مسبب عن تعلق العلم به فاقيم قوله ليعلمن الله مقام ليميزن او ليجازين ﴿قوله ليعرفنهم الناس﴾ على ان يكون اعلم من علمت بمعنى عرفت نقل الى باب الافعال فتعدى الى مفعولين احدهما الذين والآخر محذوف وهو الناس والمعنى ليعرفن الله الناس الذين صدقوا من الكاذبين ﴿قوله او ليسمهم﴾ على ان يكون اعلم من اعلم القصار الثوب فهو معلم بالكسر والثوب معلم بالفتح يقال وسمه وسما اذا اثر فيه بكىّ او علامة يعرف بها والضمير فى ليعرفنهم وليسمهم للصادقين والكاذبين ﴿قوله الكفر والمعاصى﴾ ذكر اولا ان الآية الاولى نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ثم اشار الى ان هذه الآية نزلت فى حق الكافرين كانه قيل احسب الذين قالوا آمنا ان يكتفى منهم بالايمان بدون الامتحان ام حسب الكفار ان يعجزونا ويتركوا لاجل ذلك الايمان فالكفار وان لم يطمعوا فى الفوت لانكارهم البعث والجزاء اصلا ورأسا لكنهم نزلوا منزلة من عرفه وصدق به وطمع فى السبق اى الفوت وذلك لغفلتهم واصرارهم على المعاصى مع ظهور الدليل القائم على انه لابدّ من البعث والجزاء فانكر عليهم ذلك الطمع والحسبان فكان حاصل المعنى ان الجزاء يلحقهم البتة لانه لما انكر حسبانهم السبق اى الفوت تبين انهم لايفوتون فلا محالة يلحقهم العذاب لاجل ثباتهم على الكفر والمعاصى فكيف لايحترزون عنه ﴿قوله تعالى ان يسبقونا﴾ لما اشتمل على المسند والمسند اليه سد مسد مفعولى حسب والمعنى أظن المسيئون انهم يفوتوننا فلا نقدر على الانتقام منهم وهو فى قوة قولنا احسبوا انفسهم فائتين وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة والاضراب لاجل الانتقال لا لابطال السابق لان انكار الحسبان الاول ليس بباطل الا ان الحسبان الثانى ابطل واولى بالانكار وذلك لان صاحب

والذين كذبوا فيه ويتوط به ثوابهم وعقابهم لذلك وقيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (ام حسب الذين يعملون السيئات) الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح (ان يسبقونا) ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان أبطل من الاول ولهذا عقبه بقوله (ساء مايحكمون) اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم (من كان يرجو لقاء الله) فى الجنة

الحسبان الاوّل بقرر انه لايمحّص لايمانه وهذا يظن انه لايجازى بمساويه والثانى ابطل لانه خلاف ما يقتضيه العقل والنقل والاوّل انما يخالف النقل فقط ولم تجعل ام هذه متصلة معادلة لهمزة الاستفهام فى قوله احسب الناس لوجهين احدهما ان مابعدها ليس مفردا ولا فى قوة المفرد والثانى انه لم يكن هنا مايجاب به عن احد الشيئين او الاشياء ﴿قوله اى بئس الذى يحكمونه﴾ يريد ان ساء بمعنى بئس وان مايجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى ويحكمون صلتها والعائد محذوف والموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل بئس فيكون فاعل بئس كالمعرف باللام ويكون المخصوص بالذم محذوفا اى بئس الحكم الذى يحكمونه حكمهم هذا ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا مميزا بما وهى فى محل النصب على التمييز ويحكمون صفتها بحذف العائد والمخصوص ايضا محذوف والتقدير بئس الحكم حكما يحكمونه حكمهم هذا حين ظنوا ذلك قال الامام لمابين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشئ ولم يأت به يعذب وان لم يعذب فى الحال فسيعذب فى الاستقبال ولايفوت الله شئ فى الحال ولا فى المآل ﴿قوله وقيل المراد بلقاء الله تعالى﴾ اى قال من ذهب الى ان لقاء الله تعالى بمعنى ابصاره غير ممكن ان المراد بلقاء الله عزوجل الوصول الى ثوابه او الى العاقبة بان استعير اللقاء للوصول المذكور حيث شبه الوصول باللقاء ثم ذكر اللقاء واريد ذلك الوصول على الاستعارة التصريحية ووجه الشبه بين الوصول واللقاء من وصل الى ثواب الله تعالى او الى عاقبة مكثه فى الدنيا من الموت والبعث والحساب والجزاء على حسب ماوعده فى الدنيا وقد انكشف له الامر وتبين ماعتقد فى الدنيا من امور الآخرة وصفات الله تعالى ووحدانيته ووعده ووعيده فصار كأنه لقى الله تعالى وكلمه بهذه الاشياء وبينها له فان وصول الآثار المختصة بالشئ تقوم مقام الوصول الى ذات الشئ ورؤيته او صار حاله فى وصوله الى عاقبة مكثه فى الدنيا كحال من لقيه سيده بالبشر وطلاقة الوجه او بالسخط والعبوسة ﴿قوله فليبادر ما يحقق امله﴾ مبنى على ما اختاره من ان المراد بلقاء الله تعالى النظر الى وجهه الكريم فى الجنة ﴿قوله او مايستوجب به القربة﴾ مبنى على ماقيل من ان المراد بلقاء الله تعالى الوصول الى العاقبة على تمثيل حال الواصل اليه بحال من لقى سيده المطلع على احواله ﴿قوله واذا كانت وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة﴾ اشارة الى جواب مايقال وهو ان قوله من كان يرجو شرط وجزاؤه فان اجل الله لآت والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فيلزم منه ان من لايرجو لقاء الله تعالى لايكون اجل الله تعالى آتيا له والاجل آت لكل احد لامحالة فما وجه جعل رجاء اللقاء شرطا لاتيان الاجل والشرط لابد ان يكون سببا للجزاء او الاخبار به ولاتظهر السببية باحد المعنيين ههنا وحصول الجواب ان قوله فان اجل الله لآت ليس بجزاء بل هو قائم مقام الجزاء فان اصل الكلام من كان يرجو لقاء الله فليبادر العمل الصالح الذى يحقق امله او الذى يستحق به القربة والرضى فان اجل الله لآت عن قريب الا انه اقيم ماهو السبب لاجل الجزاء وهو كون اجل الله آتيا عن قريب مقام ذلك الجزاء المسبب مع علل الامر بمبادرة الاعمال الصالحة بقوله وهو السميع العليم اى وهو المجازى بجميع صالحات اعماله فان العمل الصالح لايخرج عن ثلاثة اقسام احدها عمل القلب كالتصديق والنية الخالصة وغيرهما وهو لايرى ولايسمع ولايتعلق به الا العلم وثانيها عمل اللسان وهو يسمع وثالثها عمل الاعضاء والجوارح وهو وان كان من قبيل المبصرات الا ان علمه تعالى بذلك لمالم يكن باستعانة الآلة جعل من قبيل عمل القلب واشار الى احاطة علمه به بقوله العليم وههنا لطيفة وهى ان من اتى بهذه الاعمال الصالحة جعل الله تعالى لمسموعه مالا اذن سمعت ولمرئيه مالاعين رأت ولعمل قلبه مالاخطر على قلب احد كما ذكر فى الخبر الوارد فى وصف الجنة ﴿قوله على مضض الطاعة﴾ اى على تعبها وفى الصحاح المضض وجع المصيبة يقال امضنى الجرح امضاضا اذا وجعك وفيه لغة اخرى مضنى الجرح لمابين الله تعالى ان التكليف والامتحان حسن واتبع ببيان نفعه يعود على المكلف وانه تعالى غنى عن العالمين والحصر المذكور فى الآية اضافى معناه ان جهاده لايصل منه الى الله نفع فلا يرد ان يقال كيف يستقيم الحصر المذكور مع ان جهاد المرء قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بعمل من استن بها ثم انه تعالى لمابين اجمالا ان من عمل صالحا فانما يعمل لنفسه فصل ذلك النفع بعض التفصيل فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن والذين مبتدأ خبره جملة القسم المحذوف وجوابه اى والله لنكفرن والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنذهب سيئاتهم حتى تصير بمنزلة مالم تعمل والعمل الصالح عندنا كل ما امر الله تعالى فانه صار صالحا بامره ولو نهى عنه لما كان صالحا فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل فى نفسه وقالت المعتزلة ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الامر والنهى فالصدق عمل صالح فى نفسه ويأمر الله تعالى به كذلك عندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الامر والنهى وعندهم الامر والنهى يترتب على الحسن والقبح

وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها (فان اجل الله) فان الوقت المضروب للقائه (لآت) لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او مايستوجب به القربة والرضى (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بعقائدهم واعمالهم (ومن جاهد) نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعته لها (ان الله لغنى عن العالمين) فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون) اى احسن جزاء اعمالهم والجزاء الحسن ان يجازى بحسنة حسنة واحسن الجزاء هو ان يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) بايتائه فعلا ذا حسن او كأنه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال

﴿قوله احسن جزآء اعمالهم﴾ يريد ان المضاف محذوف اى احسن جزآء الذى كانوا يعملونه يعنى ان العمل جزآء حسنا وجزآء احسن فهو تعالى بكريم الجزآء الاحسن ﴿قوله بايتاء﴾ اى بايتاء والديه يعنى ان الباء صلة وصينا وحذف المضاف الذى هو المأمور به واقيم المضاف اليه مقامه وان حسنا منصوب على انه صفة لمعمول المصدر المحذوف اما بتقدير ذا او يجعل نفس ذلك الفعل حسنا للمبالغة لما بين الله تعالى حسن التكليف وحرض المكلف على طاعة مولاه فيما كلفه بقوله انما يجاهد لنفسه وانه يجزى باحسن جزآء اعماله حرضه على طاعة والديه لكونهما سببا بحسب الظاهر لوجوده وتربيته فقال ووصينا الانسان الى آخره ﴿قوله وقيل هو بمعنى قال﴾ فيكون حسنا منصوبا لوقوعه موقع المصدر لفعل المحذوف الذى تعلق به قوله بوالديه او بكونه مصدرا له بحذف الزوائد على ان يكون وصينا بمعنى قلنا ﴿قوله حسنا﴾ منصوب على انه مفعول به لفعل مضمر هو مقول قول مقدر مفسر للتوصية ﴿قوله اولهما﴾ امر اصطنع من قولك اوليته معروفا اى اعطيته اياه مثل اوليته الشئ توليه ﴿قوله وهو اوفق لما بعده﴾ اى تقدير فعل الامر اوفق لقوله ولاتطعهما لانه اذا كان التقدير اولهما حسنا ولاتطعهما فى الشرك اذا جاهداك عليه يكون عطف الانشاء على الانشاء بخلاف ما اذا جعل وصينا بمعنى امرنا فعلى هذا يكون جملة قلنا اولهما كلاما مستأنفا كانه لما قيل ووصينا الانسان بوالديه قيل ماتلك الوصية فاجيب قلنا اولهما ولاتطعهما فلذلك حسن الوقف على قوله بوالديه ﴿قوله وقرئ حسنا﴾ بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وقرئ احسانا كما فى قوله وبالوالدين احسانا قيل نزلت الآية فى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنهما وامه حمنة فانه لما اسلم وكان من السابقين الاولين قالت امه ماهذا الدين الذى احدثته والله لاآكل ولااشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير ابد الدهر ويقال لك ياقاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال لها ياأماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى فكلى واشربى وان شئت فلاتأكلى فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه الآية وامره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لايطيعهما فى الشرك * امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين لكونهما سببا ظاهرا لوجود الولد بالولادة ولبقائه بالتربية المعتادة كما انه تعالى سبب حقيقى لوجوده بالارادة ولبقائه بالاعادة للسعادة الدائمة فاول مايجب على العبد ان يحسن حاله مع مولاه ثم مع من ولده ورباه فلذلك وصاه الله تعالى بعدما بين حسن التكليف ووقوعه ليتبين به صدق المؤمن من كذبه وان مع المجاهدة انما يرجع اليه وانه يجزى المحسن باحسن جزآء اعماله تحريضا له على طاعة مولاه فهذا وجه اتصال الآية بما قبلها والله اعلم ﴿قوله ولابد من اضمار القول﴾ بعد قوله حسنا على تقدير ان يكون وصيناه بمعنى امرناه اى امرناه بكذا وقلنا ان جاهداك ليكون المعطوف جملة خبرية كالمعطوف عليه ولايلزم عطف الانشاء على الاخبار ومن هذا يعلم ان الجملة الشرطية انما تكون خبرية اذا لم يكن جزاؤها انشاء وقوله ان لم يضمر قبل يدل على انه لابد من اضمار القول على تقدير ان يكون وصى بمعنى قال وليس كذلك لان الجملة الشرطية الانشائية حينئذ تكون معطوفة على الانشائية المقدرة الناصبة لقوله حسنا ﴿قوله من الضحى﴾ وهو الموضع الذى يقع عليه ضوء الشمس وفى الحديث * لايقعد احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان ﴿قوله تعالى والذين آمنوا﴾ يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء او فى محل النصب على الاشتغال قيل العائدة فى اعادة الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان ذكرهم اولا لبيان حال المهتدين وثانيا لبيان حال الهادين ويدل عليه انه تعالى قال اولا لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال ثانيا لندخلنهم فى الصالحين والمراد بهم الهداة لكون الصلاح اخص منصب الانبياء عليهم السلام ولهذا قال ابراهيم عليه السلام وادخلنى فى الصالحين هذا ماقيل والظاهر ان الاول ذكر لتقرير قوله فانما يجاهد لنفسه والثانى ذكر تحريضا للانسان على قبول ماوصى به وحاصل الاول وعد وتحريض على طاعة المولى فيما كلف به والثانى وعد وتحريض على طاعة الوالدين فى غير المعصية * ثم ان المكلفين ثلاثة اقسام مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده * وكافر مجاهر بكفره وعناده * ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر فى فؤاده * فالله تعالى لما ذكر القسمين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات الى قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ذكر القسم الثالث فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله ﴿قوله ليقولن﴾ قرآءة العامة بضم اللام على اسناد الفعل الى ضمير الجمع حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها فى ثلاثة الفاظ ويؤيد هذه القرآءة قوله انا كنا وقرئ ليقولن بفتح اللام حملا على لفظ من كما عليه حمل سابقا فى مواضع ثم ان حكى الله تعالى قولهم وكذبهم بقوله اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ذكر مايكون وعدا فى حق احد الفريقين ووعيدا فى حق الآخر فقال وليعلمن الله الذين آمنوا الى آخره ﴿قوله وانا امر وانفسهم بالحمل﴾ والحال ان الآمر غير المأمور

اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم) بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان مالايعلم صحته لايجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه (فلاتطعهما) فى ذلك فانه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولابد من اضمار القول ان لم يضمر قبل (الىّ مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فانبئكم بما كنتم تعملون) بالجزآء عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لاتنتقل من الضحى ولاتطعم ولاتشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله) بان عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) مايصيبه من اذيتهم فى الصرف عن الايمان (كعذاب الله) فى الصرف عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) فتح وغنيمة (ليقولن انا كنا معكم) فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول (اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازى الفريقين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) الذى نسلكه فى ديننا (ولنحمل خطاياكم) ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمة تشجيعا لهم عليه

وبهذا الاعتبار ردّ عليهم وكذبهم بقوله (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم (وليحملن اثقالهم) اثقال مااقترفته انفسهم (واثقالا مع اثقالهم) واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ (وليسألن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) من الاباطيل التي اضلوا بها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) بعد المبعث اذ روى انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على مايقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على مايكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرار من البشاعة (فاخذهم الطوفان) طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما (وهم ظالمون) بالكفر (فانجيناه) اى نوحا (واصحاب السفينة) ومن اركبه معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) اى السفينة او الحادثة (آية للعالمين) يتعظون ويستدلون بها (وابراهيم) عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله) ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر (واتقوه ذلكم خير لكم) مما انتم عليه (ان كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزون ما هو شر مما هو خير او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل (انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا) وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها وهو استدلال على شرارة ماهم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلّقون من خلّق للتكثير وتخلّقون من تخلّق

وامر الشخص نفسه غير معقول والحاصل ان قوله ولنحمل وان كان على لفظ الامر الا ان مراد الكفار تعليق حمل خطايا المؤمنين باتباعهم سبيل الكفر فكان الاصل ان يقال اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم على معنى ان اتبعتم سبيلنا نحمل خطاياكم الا انه عدل عنه الى ماعليه النظم ليفيد المبالغة في تعليق حمل الخطايا بالاتباع وفي الوعد بتخفيف الاوزار عنهم حيث ابرز الكلام في صورة امر انفسهم ولاشك انه يدل على المبالغة في الالتزام ﴿قوله وبهذا الاعتبار﴾ اى وباعتبار كون المراد تعليق الحمل بالاتباع توجه عليهم الرد والتكذيب اذ لو كان المراد حقيقة الامر لما توجه عليهم ذلك لان التصديق والتكذيب انما يتوجهان على الخبر دون الانشاء وقد كذبهم الله تعالى بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم الى آخره مع ان الخبر عن الايعاد بالمضمون لايوجب الكذب على تشبيه حالهم بحال الكاذبين من حيث انهم وعدوا بما لايصح انجازه به كان الكاذب اخبر بما لايصح الاخبار به ﴿قوله من الاولى للتبيين والثانية زائدة﴾ يعني ان قوله من شئ معمول لقوله بحاملين ومن خطاياهم حال من شئ لانه لما تقدم عليه انتصب حالا والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو المراد بقوله من الاولى للتبيين ﴿قوله من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ﴾ اشارة الى جواب مايقال انه تعالى نفى الحمل اولا حيث قال وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ ثم انه اثبته ثانيا حيث قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فما وجه الجمع بينهما وتلخيص الجواب انه ليس فيه اثبات مانفي اولا لانهم لايحملون من اوزار اتباعهم شيأ لانه اذا حمل احد عن آخر شيأ لزم ان يخف حمل الآخر فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيأ بل يحملون اثقال مااقترفوه بانفسهم واثقالا اخر بسبب اثقال غيرهم لقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من وزرهم شئ ونظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴿قوله من الاباطيل التي اضلوا بها﴾ قيل تلك الاباطيل التي افتروا بها تحتمل ثلاثة اوجه احدها ان قوله ولنحمل خطاياكم مبني على اعتقادهم ان لاحقيقة في الكفر والارتداد ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون عن ذلك الافتراء وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم مبني على اعتقادهم ان لاحشر فاذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك فيسألون ويقال لهم اما قلتم ان لاحشر وثالثها انهم لما قالوا ولنحمل خطاياكم يوم القيامة يقال لهم فاحملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون بان يقال لهم لم افتريتم ﴿قوله بعد المبعث﴾ اى وقبل الطوفان ﴿قوله ولعل اختيار هذه العبارة﴾ مع ان الظاهر ان يقال فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة للدلالة على كمال القدرة فانه لو قال تسعمائة وخمسين لاحتمل ان يكون الكلام على الجبر بان يراد بالعدد المذكور مايقرب منه تنزيلا وجعل الاكثر بمنزلة الاقل فلذا عدل الى ماعليه النظم لئلا يتوهم ذلك لان الاستثناء انما يذكر في العدد لتكميل العدد وبيان ان المراد كله ﴿قوله واختلاف المميزين﴾ حيث ميز العدد اولا بالسنة وثانيا بالعام ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان نبي الله عليه الصلاة والسلام لما استراح من قومه بالاغراق طاب زمانه وصفا عيشه فان العرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة ﴿قوله اى السفينة او الحادثة﴾ فان كانت السفينة آية من وجوه احدها انها اتخذت قبل ظهور الماء ولولا ان الله تعالى انبأ نوحا بما سيكون وطريق النجاة بفضل الله تعالى منه لما اشتغل باتخاذها فلا يحصل لهم النجاة وثانيها ان نوحا امر باخذ قوم معه ورفع قدر من القوت والبحر العظيم لايتوقع احد نضوبه ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد فلولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله تعالى لابمجرد السفينة وثالثها ان الله تعالى كتب سلامة السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة ﴿قوله اى ارسلناه حين كمل عقله﴾ كأنه جواب عما يقال كيف يكون ظرفا لارسلنا والارسال يكون قبل الدعوة فكيف يجوز ان يقال ارسلنا ابراهيم حين دعا قومه الى عبادة الله تعالى وهو مرسل قبله وحاصل الجواب ليس المراد بالامر بعبادة الله تعالى مايكون نتيجة للارسال بل مايكون نتيجة لكمال العقل وهو معرفة الحق ولم يكن الارسال قبل ذلك ﴿قوله ان قدر باذكر﴾ ولايجوز ان يكون بدلا منه على تقدير كونه معمول ارسلنا والا لزم ان يكون الوقت مرسلا ﴿قوله او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم﴾ اى بنظر البصيرة المؤدى الى العلم فقوله تعالى تعلمون على هذا الوجه بمعنى تنظرون وتفكرون فان النظر سبب للعلم مستلزم له فاطلق اللازم واريد الملزوم على سبيل الكناية وجواب الشرط محذوف على الوجهين اى علمتم انه خير لكم ﴿قوله وتكذبون كذبا﴾ لان خلق الكلام اختلاقه من عند نفسه من غير ان يقصد الحكاية عن الواقع فيكون تخلقون بمعنى تكذبون فيكون انتصاب افكا على المصدرية وان كان الخلق بمعنى العمل والانشاء بمعنى وتعملون الاوثان يكون افكا مفعولا له وقرأ العامة تخلقون بضم التاء وكسر اللام المشددة مضارع خلّق بالتضعيف للتكثير وقرئ تخلّقون بفتح التاء والخاء واللام المشددة مضارع تخلّق للتكلف والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما يقال تخلق وتكذب اذا افتعل الكذب بالتكلف وقرئ

كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لايجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لايستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه المالك له (واعبدوه واشكروا له) متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء (وان تكذبوا) وان تكذبونى (فقد كذب امم من قبلكم) من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولايكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه (اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) من مادة وغيرها وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ (ثم يعيده) اخبار بالاعادة بعد بالموت معطوف على اولم يروا لاعلى يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ (ان ذلك) الاشارة الى الاعادة او الى ماذكر من الامرين (على الله يسير) اذ لايفتقر فى فعله الى شئ (قل سيروا فى الارض) حكاية كلام الله لابراهيم او محمد عليهما السلام (فانظروا كيف بدأ الخلق) على اختلاف الاجناس والاحوال (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى هى الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم

افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو اما مصدر كالكذب لفظا ومعنى اى تكذبون كذبا او صفة لمصدر محذوف اى خلقا وعلا ذا افك ﴿ قوله وتنكيره للتعميم ﴾ فان النكرة فى سياق النفى تفيد العموم اى لايملكون شيأ من الرزق ثم عرف باللام الاستغراقية لتفيد ان الرزق كله لله تعالى ﴿ قوله وان تكذبونى ﴾ اشارة الى ان المخاطب بقوله وان تكذبوا هو قوم ابراهيم عليه السلام فان هذه الآية الى قوله فما كان جواب قومه من جملة ماقاله ابراهيم عليه السلام لقومه ثم جوز ان يكون خطابا لقوم محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى ان تكذبوه يامعشر قريش فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا بسبب التكذيب فكيف لاتخافون ان يقع بكم ماوقع بمن قبلكم من المكذبين فتكون هذه الجملة معترضة فى اثناء قصة ابراهيم عليه السلام والجملة الاعتراضية لابدلها ان تتصل بطرفيها فبين وجه الاتصال هنا بقوله من حيث ان سياق قصة ابراهيم لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليله وعلى آلهما اجمعين كأنه قيل انكم يامعشر قريش ان كذبتم محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكذا سائر الانبياء كذبهم اممهم ولم يضر تكذيب احدهم نبيه لان الرسل انما ارسلوا لازاحة علة قومهم ولا يجب عليهم ان يصدقوا اممهم لانهم لايكلفون بفعل غيرهم ﴿ قوله كان ممنوا ﴾ اى مبتلى بمثل سوء صنيعه اذا ابتليته * فان قيل كيف تكون هذه الآية من جملة ماقاله ابراهيم لقومه مع ان قوله فقد كذب امم من قبلكم يأبى ان يكون من قصة ابراهيم عليه السلام لان قوم ابراهيم لم يسبقهم الا قوم نوح وهم امة واحدة * قلنا ان نوحا عليه السلام بعث الى جميع بنى آدم ولاشك انهم طوائف شتى وايضا كان قبل نوح اقوام اخر كقوم ادريس وقوم شيث وآدم عليه السلام ولا يبعد ان يكون فى اقوامهم من كذب نبيه ولقد عاش ادريس عليه السلام فى قومه الف سنة الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان بعدد سنيه واعقابهم على التكذيب ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء ﴾ على الخطاب لقوم ابراهيم بتقدير القول اى قال ابراهيم لقومه اولم تروا ولم يتعرض لاحتمال ان يكون خطابا من الله لاهل مكة ولايكون محكيا بتقدير القول وقرأ الباقون بياء الغيبة ردا على الامم المكذبة وقرأ الجمهور يبدئ بضم الياء من ابدأ وقرئ يبدأ مضارع بدأ ﴿ قوله معطوف على اولم يروا ﴾ فان قلت اوليس هذا من عطف الخبر على الانشاء * اجيب بان الاستفهام فيه لما كان للانكار وتقدير الرؤية كان اخبارا من حيث المعنى اى قد رأوا ذلك وعلموه فان الرؤية غير واقعة عليه * فان قلت الابداء كذلك لانه كان قبل وجود الامم * قلنا اللام فى الخلق للجنس وابداء بعض الخلق مرئى وذلك يكفى فى صحة رؤية ابداء الجنس * فان قيل علق الرؤية بالكيفية لابنفس الخلق حيث قال اولم يروا كيف يبدئ ولم يقل اولم يروا كيف خلق او بدأ الخلق والكيفية غير معلومة * والجواب هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يكن شيأ مذكورا وانه خلقه من نطفة هى مخلوقة من غذاء متكون من ماء وتراب وهذا القدر كاف فى حصول العلم بامكان الاعادة استدلالا بالابداء وقد تقرر ان امهات علوم القرآن ثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ولما بين الاصل الاول وهو التوحيد واشار الى الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين شرع فى بيان الاصل الثالث وهو الحشر وقد جرت العادة الالهية فى كلامه المجيد على ان لايفصل بعض هذه الاصول من بعض وفى اى موضع يجرى ذكر اثنين منها يذكر الثالث معهما فلذلك ذكر الاعادة استدلالا عليها بالابداء فقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق الآية ﴿ قوله حكاية كلام الله تعالى ﴾ وليس من مقالة ابراهيم عليه السلام لقومه من عند نفسه على تقدير ان تكون الآيات المذكورة من قوله وان تكذبوا الى قوله فما كان جواب قومه من قصة ابراهيم عليه السلام ولا من مقالة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من عند نفسه على تقدير كونها معترضة واقعة فى اثناء قصة ابراهيم عليه السلام تذكيرا وانذارا لقريش اذ لاوجه لهما ان يقولا من انفسهما قل سيروا فى الارض بل الظاهر انه كلام احدهما لقومه على حكاية كلام الله تعالى لهم ومقصود المصنف من هذا الكلام ان يجيب عما يقال كيف يكون هذا من كلام احدهما ولايصح لواحد منهما ان يقول ذلك وحصول الجواب انه لايصح ان يقوله من عند نفسه الا انه يصح ان يقوله على حكاية كلام الله تعالى حكاه ابراهيم او محمد عليهما الصلاة والسلام لقومه اى قال الله قل لهم وقد يحكى رسولنا كلام الله تعالى على هذا المنهاج والمعنى قل لمنكرى البعث سيروا فى الارض شاهدوا كيف انشأ الله تعالى جميع الكائنات بدءا ومن قدر على انشائها بدءا اما يقدر على اعادتها كما قال ابراهيم لقومه اليه ترجعون ثم قال لهم وان تكذبونى فيما اخبرتكم به من البعث والجزاء فلا على فى تكذيبكم ثم التفت عن خطابهم وقال على طريق

التعجب من جهالة منكري البعث اولم يروا منكروا البعث ما يدل على صحته وهو انه تعالى انشأ الكائنات بامرها على وجه الابدآء ثم اخبر بانه يعيدهم لاعالة امر الله بان يحتج على هؤلاء المنكرين بما ذكره من الدليل فقال له قل سيروا هذا على تقدير كون الآيات المذكورة من قصة ابراهيم عليه السلام وقس عليه كونها معترضة في اثناء قصته ﴿قوله والقياس الاقتصار عليه﴾ اى على الاضمار لانه ابرز اسم الله تعالى في قوله كيف يبدئ الله الخلق كان المناسب ان يضمر بعد ما عاد ذكره كما اضمر في قوله ثم يعيده و في قوله كيف بدأ الخلق ﴿قوله لدلالة على ان المقصود بيان الاعادة﴾ ووجه دلالة الافصاح عليه انه اذا ابرز اسم الله تعالى وجعل مبتدأ يكون الكلام جملة اسمية مفيدة للثبوت والتأكيد بخلاف ما اذا اضمر وقيل ثم ينشئ مع ان ابراز الاسم الجامع يدل على اعادة جميع الاوصاف المعتبرة في الابدآء من العلم والقدرة والحكمة والرحمة فهو كاسم الاشارة في افادة هذا المعنى فكان بناء الحكم على الاسم الظاهر بمنزلة بنائه عليه ﴿قوله والكلام في العطف مامر﴾ فكما ان قوله ثم يعيده ليس بمعطوف على قوله يبدئ الله لكون الرؤية غير واقعة على الاعادة كما وقعت على الابدآء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق فكذا قوله تعالى ثم الله ينشئ ليس بمعطوف على قوله بدأ الخلق لكون النظر غير واقع على الانشاء الثاني بل هو معطوف على جملة سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق وكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه داخل في حيز القول ﴿قوله وقرئ النشاءة﴾ بالمد قرآءة ابن كثير وابي عمرو و الباقون بالقصر وسكون الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة وانتصاب النشأة على انه مصدر محذوف الزوآئد والاصل الانشاءة او على حذف العامل اى ينشئ فتنشؤن النشأة وفي الصحاح انشأه الله اى خلقه والاسم النشأة والنشاءة بالمد ثم انه تعالى لما ذكر النشأة الآخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون فيها وهو تعذيب اهل التكذيب والمعصية عدلا وحكمة واثابة اهل الاثابة فضلا ورحمة فقال يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال واليه تقلبون مع ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها وتقريرها تقريرا لامر الجزاء كأنه قيل ان تأخر عنكم جزآء اعمالكم فلا تظنوا انه فات فان اليه ايابكم وعليه حسابكم وعنده مدخر ثوابكم وعقابكم ثم قال وما انتم بمعجزين من اراد تعذيبكم وتنفيذ قضائه فيكم بالهرب منه في الارض ولا في السماء والخطاب لبني آدم وهم من اهل الارض وليس في وسعهم الهرب في السماء والمقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنا كان او مستحيلا هذا ان حمل الارض على الغبرآء والسماء على الخضرآء ويجوز ان يراد بهما جهة السفل وجهة العلو والمهاوي جمع مهوى وهو ما بين الجبلين ونحو ذلك وقيل هو ما بين الشيئين المتنصبين حتى يقال لبعد ما بين المنكبين مهوى والقلاع جمع قلعة بسكون اللام وهي الحصن على الجبل ﴿قوله وقيل ولا من في السماء﴾ اى عصوا فالكلام على هذا محمول على حذف الموصول الاسمي وبقاء صلته فيكون الموصول المحذوف معطوفا على انتم اى ما انتم بمعجزين في الارض ولا من في السماء بمعجزين ان عصوا كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه شعر

* أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء *

اراد ومن يمدحه وينصره مساو لمن يهجوه فاضمر من لانه لولا ذلك لكان يمدحه عطفا على يهجو فكان داخلا في حيز صلة من يهجو فكان الهاجي والمادح شخصا واحدا فيختل المعنى ولا يصح قوله سوآء لان الاستوآء انما يكون بين اثنين قيل ان ابا سفيان بن حرب هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعارضه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقصيدة هذا البيت فيها ولما انتهى الى قوله

* هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء *

قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاك الله الجنة * ولما بلغ الى قوله

* فان ابي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء *

قال له النبي صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار * ثم لما بلغ الى قوله

* اتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما فدآء *

قال من حضر هذا المجلس هذا البيت قالته العرب * وفيها

* هجوت مطهرا برا حنيفا * امين الله شيمته الوفاء *

﴿قوله اى ييئسون منها يوم القيامة﴾ جواب عما يقال اليأس من الشيء مسبوق برجائه وتصوره ومن كفر

والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره
في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان
المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة
على الابدآء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على
الاعادة لانها اهون والكلام في العطف مامر
وقرئ النشاءة كالرآفة (ان الله على كل شيء
قدير) لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل
الممكنات على سوآء فيقدر على النشأة الاخرى
كما قدر على النشأة الاولى (يعذب من يشاء)
تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه
تقلبون) تردون (وما انتم بمعجزين) ربكم
عن ادراككم (في الارض ولا في السماء) ان
فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط
في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع
الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول
حسان * امن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه
وينصره سوآء * (وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير) يحرسكم من بلاء يظهر من الارض
او ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين
كفروا بآيات الله) بدلائل وحدانيته او بكتبه
(ولقائه) بالبعث (اولئك يئسوا من رحمتي)
اى ييئسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي
للتحقق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار
البعث والجزآء (واولئك لهم عذاب اليم)
بكفرهم

بالله تعالى وبالبعث والجرأة لا يرجو ولا يتصور رحمة الله لانه لا يتصور يوم البعث ولقاءه فضلا عن ان يتصور رحمته تعالى عند لقائه فكيف يصح الحكم عليه بانه يئس من رحمته هو تقرير الجواب الاول انه ليس المراد انهم يئسوا في الدنيا ليلزم ماذكرت بل هو كناية عن الوعيد والمعنى انه يحصل اليأس من رحمة الله تعالى يوم القيامة والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وتقرير الجواب الثاني ان اليأس من رحمته تعالى عبارة عن عدم رجائها على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم والمكفار آيسون من رحمته تعالى في الدنيا بمعنى انهم لا يرجونها لانهم لما انكروا البعث والجزاء امتنع منهم ان يرجوا الرحمة الواقعة يوم البعث ﴿قوله وقرئ بالرفع﴾ لان جواب قومه معرفة فصح كونه اسم كان الا ان الجمهور نصبوه على انه خبر كان قدم على اسمها لان قوله ان قالوا في تأويل المصدر المضاف الى الضمير فيكون اعرف من جواب قومه لان المضاف الى الضمير اعرف من المضاف الى المضاف الى الضمير واعرف الاسمين اولى ان يكون اسم كان ﴿قوله وكان ذلك قول بعضهم﴾ جواب عما يقال قوله الا ان قالوا اقتلوه يستلزم ان يكون الآمر نفس المأمور لان ضمير قالوا عبارة عن قوم ابراهيم وكذا الضمير المرفوع في اقتلوه ولا وجه لكون القوم آمرين لانفسهم بقتله * وتقرير الجواب ان الآمرين هم الاكابر والرؤساء والمأمورين هم الاتباع والاعوان فليس هنا اتحاد الآمر والمأمور الا انه اسند امر الاكابر الى الكل تنزيلا لرضى الاتباع بذلك منزلة الامر فقيل فما كان جواب قومه الا ان قالوا موضع ان يقال فما كان جواب الاكابر الا ان قالوا وكلمة او في قولهم او حرقوه ليست للعناد لانه لا يصح ان يقال وان لم تقتلوه فحرقوه لكون التحريق مشتملا على القتل غير مناف له فيكون قولهم اقتلوه او حرقوه مثل ان يقال هذا حيوان او انسان ولا معنى له بل هي بمعنى بل كما في قولك اعطه دينارا او دينارين كأنه قيل اقتلوه بل زيدوا على القتل وحرقوه والفاء في قوله فانجاه الله من النار فصيحة اشار اليه المصنف بقوله اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها وبين كيفية الانجاء بقوله بان جعلها عليه بردا وسلاما * فان قيل الحرارة للنار صفة لازمة ذاتية كالزوجية للاربعة فكيف يمكن ان تفارقها * فالجواب انا لا نسلم ان الحرارة مقتضى ذات النار بل انما هي بارادة الفاعل المختار فجاز ان يزيل عنها تلك الكيفية فتبقى نورا محضا لا احراق لها كما ان الماء له كيفية البرودة لكن قد تزول عنه البرودة ويبقى ماء بلا برودة فكذلك النار يجوز ان يزول عنها الاحراق وتبقى نورا غير محرق وقيل كيفية انجائه منها انه تعالى خلق في ابراهيم كيفية استبرد معها النار وقال بعضهم ترك ابراهيم على ماهو عليه وترك النار على ما كانت عليه ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله تعالى قادر عليه والبعد بحسب العادة لا ينافي الوقوع لانه معجز والمعجز لا بد ان يكون خارقا للعادة الا ان قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما يؤيد ما ذكره المصنف حتى روى انه لم ينتفع بالنار احد يوم القي ابراهيم في النار لذهاب حرها ثم انه تعالى قال في حق سفينة نوح عليه السلام جعلناها آية وقال في انجاء ابراهيم عليه السلام ان في ذلك لآيات لان الانجاء بالسفينة شيء تسع له العقول ولم يكن فيها من الآيات الا انه تعالى اعلمه باتخاذها لوقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذها لعدم علمه بالغيب واما الانجاء من النار ففيه آيات ذكرها المصنف وقال تعالى في حق السفينة آية للعالمين وقال ههنا لآيات لقوم يؤمنون لان السفينة بقيت اعواما ومر عليها طوائف الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل احد بخلاف تبريد النار فانه لم يبق فيظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به بالفحص عنه والتأمل فيه ﴿قوله اي لتتوادوا بينكم﴾ اشارة الى ان مودة منصوب على انه مفعول له للاتخاذ فتكون ما كافة واوثانا مفعول اول لاتخذتم ومفعول الثاني محذوف ومن دون الله حال من فاعل اتخذتم والمعنى انما اتخذتم اوثانا آلهة من دون الله لتكون سبب التواد بينكم لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب ويجعلون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم ﴿قوله ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني﴾ معطوف من حيث المعنى على قوله اي لتتوادوا فانه في معنى انها مفعول له والمعنى انما اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة بينكم من دون الله عز وجل ﴿قوله والوجه ما سبق﴾ اي وجه انتصاب مودة كونها مفعولا له او مفعولا ثانيا بتقدير المضاف او بتأويلها بمودودة وبينكم حينئذ يكون منصوبا على الظرفية فان من اضاف مودة جعل بينكم اسما لا ظرفا ومن نون مودة منصوبة او مرفوعة جعل بينكم ظرفا للمودة ومن قرأ مودة بالرفع فلا يخلو اما ان يجعل ما كافة اولا فان جعلها كافة رفع مودة على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة بينكم او سبب مودة بينكم وان جعلها موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل على

(فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر (الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه) وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم او رضي به الباقون اسند الى كلهم (فانجاه الله من النار) اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما (ان في ذلك) في انجائه منها (لآيات) هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها (وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا) اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول

انها اسم ان و اتخذتم صلتها بحذف العائد الذى هو مفعول اوّل لاتخذتم و اوثانا مفعوله الثانى جعل مودّة خبر ان و التقدير أن الذى اتخذتموه اوثانا مودّة او سبب مودّة بينكم او جعل نفس المودّة مبالغة و كذا ان جعلتها مصدرية وحينئذ يجوز ان يقدر المضاف قبل اسم ان او قبل خبرها و التقدير ان سبب اتخاذكم اوثانا مودّة بينكم او ان اتخاذكم اوثانا سبب مودّة او مودود وجاز ان لايقدر شئ ولايؤوّل بل يجعل الاتخاذ نفس المودّة ﴿قوله و مضافة بفتح بينكم﴾ الاضافة للاتساع فى الظرف كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار و فتح بينكم لكونه مبنيا بالاضافة الى غير متمكن كما فى قرآءة من قرأ لقد تقطع بينكم بالفتح مع جعل بينكم فاعلا و قرأ ابن مسعود رضى الله عنه اوثانا انما مودّة بينكم فى الحيوة الدنيا اى انما تتوادّون على عبادتها او تودّونها فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يحدث بينكم التباغض و التعادى ﴿قوله فى الحيوة﴾ يجوز ان يتعلق باتخذتم و بمودّة و بنفس بينكم لانه بمعنى الفعل اذ التقدير اجتماعكم و وصلكم ﴿قوله تعالى فآمن له لوط﴾ عطف على قوله و قال انما اتخذتم اى صدقه لوط بعد هذه الدعوة بعد هذا التنبيه و اقامة الحجج من جملة من دعاهم الى عبادة الله تعالى و يلزم الوقف على لوط لان قائل ما بعده ابراهيم عليهما السلام فلو وصل توهم ان يكون الفعل الثانى للوط فيفسد المعنى ﴿قوله الى حيث امرنى ربى﴾ بالهجرة اليه * فان قيل اذا كان المراد هذا المعنى فلم اختير ما ورد عليه التنزيل مع انه يوهم الجهة * فالجواب انه اختير ذلك لكونه ادل على الاخلاص من ان يقال انى مهاجر الى حيث امرنى ربى فانه لو هاجر اليه لغرض نفسه يصدق ان يقول انى مهاجر الى حيث امرنى ربى و لايصدق ان يقول انى مهاجر الى ربى لانه لم يهاجر اليه خالصا لوجهه و طلبا لمرضاته و انما امره الله تعالى بالمهاجرة من قومه لان المقصود الكلى من بعثته اليهم الزام الحجة عليهم و قطع معذرتهم و قد حصل ذلك بان بالغ ابراهيم عليه السلام فى ارشادهم بتقرير الدلائل القاطعة و ازاحة شبههم الباطلة فلما حصل اليأس الكلى من ايمانهم وجبت المهاجرة من بينهم لانه لو بقى فيهم و دام على الارشاد و الدعوة لكان مشتغلا بما لاطائل تحته و ان سكت عن دعوتهم فربما قالوا انه رضى باعمالنا و اقرنا على مانحن عليه فلما كان بقاؤه فيهم لايخلو عن مفسدة وجبت المهاجرة من بينهم فهاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط و امرأته سارة فنزل فلسطين و هى قرية من قرى الشام و نزل لوط بسدوم و يقال لها المؤتفكة و هى على مسيرة يوم و ليلة من فلسطين ﴿قوله ولدا و نافلة﴾ فالمعنى و هبنا له اسحق ولدا و يعقوب نافلة حيث ولد من اسحق ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لكون المقصود الامتنان عليه بهبة الولد و النافلة فى كبر سنه لم يذكر اسماعيل مع انه من اولاده لان ابراهيم عليه السلام كان ابن ست و ثمانين سنة اذ ولدت هاجر له اسماعيل و كان ابن مائة سنة اذ ولدت له سارة اسحق عليه السلام و قد اتى عليها تسعون سنة و كان اسماعيل حينئذ ابن اربع عشرة سنة ﴿قوله فكثر منهم الانبياء﴾ عليهم الصلاة و السلام قيل ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله * فان قيل كيف جاءت النبوّة فى اولاد اسحق اكثر من النبوّة فى اولاد اسماعيل مع استوائهما فى الانتساب الى شيخ الانبياء و كون اسماعيل اكبرهما سنا * قال الامام فى جوابه قسم الله تعالى الزمان من وقت ابراهيم عليه السلام الى يوم القيامة قسمين فالقسم الاوّل من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة و جاؤا تترى واحدا بعد واحد و مجتمعين فى عصر واحد كلهم من نسل اسحق ثم فى القسم الثانى من الزمان اخرج من ذرية ولده الآخر و هو اسماعيل واحدا جمع فيه جميع ما كان فيهم و ارسله الى كافة الخلق و هو محمد المصطفى عليه افضل الصلاة و السلام و جعله خاتم النبيين و امام المرسلين و قد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعة آلاف سنة و لايبعد ان يبقى الخلق على دين ذريه اسماعيل عليه السلام مثل ذلك المقدار و صدق بجملة ما آتاه الله من الاجر فى الدنيا انه كان اوّلا لاجاه له و لامال و هما غاية اللذة الدنيوية ثم آتاه الله تعالى اجره من المال و الجاه فكثر ماله حتى كان له من المواشى ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس بالمواق ذهب و اما الجاه فانه صار بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة و صار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم و هذا الكلام لايقال الافيمن كان مجهولا بين الناس ﴿قوله عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه﴾ يجوز عطفه على ابراهيم سوآء كان ابراهيم معطوفا على نوحا او منصوبا باذكر و اما كون قوله و لوطا معطوفا على نوحا فانما يجوز على تقدير ان لايكون وابراهيم منصوبا باذكر لانه لو كان منصوبا باذكر لزم ان يكون اذكر مع ما فى حيزه فاصلا بين المعطوف و المعطوف عليه و يحتمل ان يكون قول

وقرئت مرفوعة منوّنة ومضافة بفتح
بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ
انما مودّة بينكم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا) اى يقوم التنا
والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان
على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون
عليهم ضدا (ومأويكم النار ومالكم
من ناصرين) يخلصونكم منها (فآمن له
لوط) هو ابن اخته واوّل من آمن به وقيل انه
آمن به حين رأى النار لم تحرقه (وقال انى
مهاجر) من قومى (الى ربى) الى حيث
امرنى ربى (انه هو العزيز) الذى يمنعنى
من اعدآئى (الحكيم) الذى لايأمرنى
الا بما فيه صلاحى * روى انه هاجر
من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته
سارة ابنة عمه الى حرّان ثم منها الى الشا
منزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا
له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين أيس
من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر
اسماعيل (وجعلنا فى ذريته النبوّة) فكثر
منهم الانبياء (والكتاب) يريد به الجنس
ليتناول الكتب الاربعة (وآتيناه اجره
على هجرته الينا (فى الدنيا) باعطا
الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار
النبوّة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثنا
والصلاة عليه آخر الدهر (وانه فى الآخرة
لمن الصالحين) لفى عداد الكاملين فى الصلاح
(ولوطا) عطف على ابراهيم او ما عطف
عليه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة)

الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثانية (ما سبقكم بها من احد من العالمين) استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم (ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث (وتأتون في ناديكم المنكر) في مجالسكم العامرة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها او قيل الخذف ورمي البنادق (فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) في استقباح ذلك او في دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية) قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان اهلها كانوا ظالمين) تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي (قال ان فيها لوطا) اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم (قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله) تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلاك بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير البيان عن الخطاب (الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب او القرية (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع (وقالوا) لما رأوا فيه اثر الضجرة (لا تخف ولا تحزن) على تمكنهم منا (انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف على المختار الجر ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم (اي لا تفسدوا)

المصنف هذا اشارة الى الاختلاف في المعطوف الثاني انه هل هو معطوف على المعطوف الاول او على ما عطف عليه المعطوف الاول وجه الاول قرب المعطوف من المعطوف عليه ووجه الثاني قرب المعطوف عليه من العامل ﴿قوله الفعلة البالغة في القبح﴾ وذلك لان كل واحد من الشهوة والغضب صفتان قبيحتان لولا المصلحة الداعية الى خلقهما لما خلقهما الله تعالى في الانسان والمصلحة في خلق الشهوة الفرجية هي بقاء النوع بتعاقب الاشخاص وذلك انما يكون بوجود الولد وبقائه بعد الاب فظهر به ان كل واحد من الزنى واللواطة فاحشة فان الزنى وان كان مؤديا الى وجود الولد لكنه لا يؤدي الى بقائه لان المياه اذا اشتبهت لا يعرف الوالد ولده فلا يقوم بتربيته والانفاق عليه فيضيع الولد ويهلك فتبين ان الزنى ليس فيه مصلحة ابقاء فلذلك قال الله تعالى ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة فاذا كان الزنى شهوة قبيحة خالية عن المصلحة مع انه يفضي الى وجود الولد تبين كون اللواطة فاحشة بطريق الاولى ﴿قوله في مجالسكم العامرة﴾ اي الممتلئة باهلها فان النادي انما يطلق على المجلس ما دام فيه القوم فاذا قاموا عنه لا يسمى ناديا وكل ما كان اسراره محرمة فابداؤه الفحش واقبح ولذلك قيل من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والخذف بالخاء المعجمة رمي الحصاة بين الاصابع روي عنه عليه الصلاة والسلام انهم كانوا يخذفون اهل الارض ويسخرون منهم وقيل كانوا يجلسون على الطرق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مر بهم خذفوه فمن اصابه منهم فهو احق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض يقضي بينهم بذلك ومنه قولهم هو اجور من قاضي سدوم ﴿قوله لان المعنى على الاستقبال﴾ واسم الفاعل يعمل اذا كان للاستقبال فيكون مهلكوا مضافا الى معموله فتكون اضافته لفظية لما دعا على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه وارسل ملائكة لاهلاك قومه وجعلهم مبشرين ومنذرين حيث جاؤا ابراهيم وبشروه بذرية طيبة ثم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وقدموا البشارة على الانذار لكون البشارة اثر الرحمة والانذار اثر الغضب ورحمة الله تعالى سابقة على غضبه ثم ان ابراهيم لما سمع قول الملائكة انا مهلكوا اظهر الاشفاق على لوط ونسي نفسه وما بشروه به ولم يظهر له فرحا وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه وقابلوا الله ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجي معه اهله فانظر الى شفقة كل واحد منهم في حق اهل الخير ﴿قوله اعتراض عليهم﴾ يعني ليس مقصوده عليه الصلاة والسلام من القاء هذه الجملة الخبرية الى الملائكة افادة مضمونها لهم ولا افادة كونه عالما بمضمونها لان كل واحد منهما معلوم عند الرسل بل الفائدة في القائها اليهم ما اقتضاه المقام من الاعتراض واظهار الشفقة عليه ولما كان منشأ اعتراضه قول الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية اجاب الملائكة عنه بما يحتمل ان يكون بيان تخصيص او بيان توقيت الاول مبني على كون قوله عليه الصلاة والسلام ان فيها لوطا اعتراضا والثاني مبني على كونه معارضة ﴿قوله صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما﴾ فانه لو لم يذكر كلمة ان لكان معنى الكلام وجود الفعلين اي مجيء الرسل ومساءة لوط عليه السلام بسببهم مرتبا احدهما على الآخر فزيادة ان اكدت هذا المعنى بحيث صارا كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان ﴿قوله لان طويل الذراع﴾ بيان لوجه كون طول الذراع وضيقه عبارتين عن القدرة والعجز وهو انه من قبيل اطلاق السبب وارادة المسبب والذرع والذراع من المرفق الى اطراف الاصابع فان لوطا عليه السلام لم يعلم انهم ملائكة بل ظن انهم غرباء ضافوه وخاف عليهم من قومه وما كان منهم بالغرباء من الفاحشة لانهم جاؤا على صورة البشر في احسن صورة ﴿قوله وموضع الكاف على المختار الجر﴾ باضافة اسم الفاعل اليه فلم يجز ان يعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض قيل في نصب واهلك وجهان احدهما كونه منصوبا بعامل مضمر اي وننجي اهلك وثانيهما بالعطف على المحل هذا عند سيبويه وذهب الاخفش الى ان الكاف في موضع النصب وان اهلك منصوب بالعطف على محل الكاف لان الاضافة في حكم الانفصال لكون اسم الفاعل للاستقبال كما لو كان المضاف اليه اسما ظاهرا نحو منجوا لوط وسيبويه يفرق بين المضمر والمظهر في الاضافة ويقول الاضافة الى المضمر في حكم الاتصال لشدة اتصال الضمير بخلاف الاضافة الى المظهر فانها في حكم الانفصال فيحمل المضمر في محل الجر والمظهر في محل النصب ﴿قوله تعالى والى مدين﴾ اي وارسلنا الى مدين عطفا على قوله ولقد ارسلنا نوحا فاقيم المسبب مقام السبب فان الايمان والطاعة سبب رجاء ثواب اليوم الآخر فامر بالمسبب واريد الامر بالسبب ﴿قوله تعالى ولا تعثوا في الارض﴾

(ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف بها (فاصبحوا في دارهم) في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمود) منصوبان باضمار اذكر او بفعل دل عليه ماقبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على

تأويل القبيلة (وقد تبين لكم من مساكنهم) اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها (وزين لهم الشيطان اعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السوي الذي بين الرسل لهم (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) من المذكورين (اخذنا بذنبه) عاقبنا بذنبه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من اغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالتعريض للعذاب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب (وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه (لو كانوا يعلمون) يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم (ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء) على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ماقبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدرا وموصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاول تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم

اي لا تفسدوا ما اوجده الله في الارض بقصد افساد التعبد والطاعة كالقتل بغير حق بخلاف قتل اهل الحرب والمرتد والقتل قصاصا ﴿ قوله تعالى فكذبوه ﴾ فان قيل كيف يكذب شعيب في قوله اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا ولا يكذب الآمر والناهي قلت ما ذكره من الامر والنهي يتضمن جملا اخبارية فكأنه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه فالتكذيب يرجع الى الاخبارات الضمنية فان قيل قال ههنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة قلنا يجوز ان يجتمع على اهلاكهم سببان كل واحد منهما يصح ان يسند اليه هلاكهم وقيل ان جبريل عليه السلام صاح فتزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب ﴿ قوله في بلدهم ﴾ اي ارضهم اي لم يكن جثومهم في دار واحدة بين لافراد الدار وجهين الاول انه ليس المراد بالدار البيت بل هي بمعنى البلد والارض وهي واحدة والثاني ان المراد بالدار الديار وعبر عنها بلفظ الواحد للامن من الالتباس ﴿ قوله او بفعل دل عليه ماقبله ﴾ اي وهو منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله فاخذتهم الرجفة فانه في معنى اهلكناهم فذكر اهلاكهم يدل على اضمار اهلكنا اي واهلكنا عادا ﴿ قوله اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم ﴾ يعني ان كلمة من للتبعيض ان كان تبين مسندا الى المساكن وللابتداء ان كان تبين مسندا الى مصدر اهلكنا المضمر ﴿ قوله فيما اتخذوه معتمدا ﴾ يعني ان الآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة شبه حال من اتخذ الاصنام اولياء وعبدها واعتمد عليها راجيا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتا لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا اذى فان البيت انما يكون بيتا بحائط يحول عن تطرق الشرور الى عابده وسقف مظل يدفع عنه الحر والبرد والذي لا يكون له ذلك فهو كالبيداء من حيث انه لم يحصل للعنكبوت باتخاذه شيء من معاني البيت فكذلك الكافر لم يحصل له باتخاذه الاوثان آلهة شيء من معاني الاله وانما قلنا انه من تشبيه المركب بالمركب لان في كل واحد من الطرفين اتخاذا وقصدا واتكالا عليه وعدم ترتب شيء من المعاني المطلوبة من المعتمد عليه على اتخاذه فان العنكبوت وان انتفع بنسجه لكن تلك المنفعة ليست من المنافع المطلوبة من البيت ﴿ قوله او مثلهم بالاضافة الى الموحد الى آخره ﴾ على هذا تكون الآية من قبيل التشبيه المفرد والغرض ابراز تفاوت المتصدين والمتخذ مع تصوير توهين امر احدهما وادماج تقوية الآخر ﴿ قوله والتاء فيه كتاء طاغوت ﴾ في انها زائدة لا لاجل التأنيث ﴿ قوله يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم ﴾ يعني انه لا يجوز ان يكون متعلق العلم في قوله لو كانوا يعلمون مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل واحد يعلم وهن بيته فلا يصح نفي العلم عنه بالنسبة الى احد ما فلذلك نزل يعلمون منزلة اللازم وان جواب لو محذوف وهو قوله لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ثم اشار الى جواب ان يكون تعلق العلم بمعموله مرادا ويكون متعلقه مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت بان يراد ببيت العنكبوت معنى مجازيا هو ما اتخذوه معتمدا في دينهم على طريق اطلاق اسم المشبه به على المشبه فان المقصد منه تشبيه حال المشرك بحال العنكبوت فاطلق اسم المشبه به على المشبه تحقيقا للتشبيه المذكور فانه قد تقرر ان الاستعارة لابتنائها على التشبيه تحقق التشبيه لا محالة ﴿ قوله وقرأ البصريان ﴾ اراد بهما ابا عمرو وعاصما على التغليب فان المشهور ان عاصما كوفي لا بصري وهما قد قرآ بياء الغيبة حملا على ماقبله من لفظ الغيبة وهو قوله مثل الذين اتخذوا والباقون بتاء الخطاب على اضمار القول ﴿ قوله وشيء مفعول تدعون ﴾ كأنه قيل ما يدعون من دون الله ما يستحق ان يطلق عليه شيء فيكون تأكيدا للتشبيه السابق وزيادة عليه لانه بين بالتشبيه السابق وهن دين المشرك وضعفه وجعله ههنا عدما صرفا لا يستحق لان يسمى شيأ ﴿ قوله وشيء مصدر ﴾ قيل فيه نظر اذ يصير التقدير يعلم دعاء من شيء من الدعاء ﴿ قوله تعليل على المعنيين ﴾ اي سواء كان ما سيق تجهيلا لهم او وعيدا ﴿ قوله يعني هذا المثل ونظائره ﴾ المثل الشبه وضرب المثل عبارة عن بيان الشبه بين المعاني المحتجبة عن الاوهام والامور الجلية لذوي العقول والحواس تصويرا لتلك المعاني وتقريبا لفهمها كما شبه الله تعالى حال من اتخذ الشركاء معتمدا ومتكلا بحال العنكبوت فيما نسجه وذلك لان التشبيه يؤثر في النفس تأثيرا مثل تأثير الدليل فانك اذا قلت لمن يغتاب ملك بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غائب لا يسمع ما تقول ولا يجيبك كمن يقع في ميت يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله فلا يقدر على دفعه فقد كشفت قبح الغيبة بتصويرها بصورة ما جلا

(وتلك الامثال) يعني هذا المثل ونظائره (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها) ولا يعقل حسنها وفائدتها (الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بها (اتل ما اوحي اليك من الكتاب) تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب (ولذكر الله اكبر) ولا الصلاة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية (وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم) هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلنا اليك الكتاب) وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله (فالذين آتيناهم الكتاب) (الكتب) يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب

فقد لما ضرب الله تعالى بالذباب وبيت العنكبوت مثلا لحال المشركين قالت الجهلة منهم ان الله لا يستحيي ان يضرب المثل بالذباب والبعوضة والعنكبوت ولم يعرفوا حسن التمثيل وفائدته فرد الله تعالى عليهم وجهلهم فقال وتلك الامثال المضروبة في القرآن بكل شيء نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم فان لم تكونوا كالانعام تعقلوا حسنها وفائدتها والا فلا تهتدون الى حسنها ﴿قوله نضربها﴾ يجوز ان يكون خبر تلك والامثال صفة او بدل او عطف بيان وان يكون الامثال خبرا ونضربها حالا او خبرا ثانيا ثم انه تعالى لما بين اصرار الامم السالفة على الكفر والضلال بين ان اصرارهم ذلك ليس لانعدام الآيات الدالة على وحدانية الاله وكمال علمه وقدرته وحكمته لان خلق السموات والارض ملتبسا بالحق والحكمة البالغة آية دالة على ما ذكر آية آية الا ان هذه الآيات العظمى لا يجعلها مسرح النظر ومطرح الفكر ليستدل على وجود صانع حكيم يستحق لان يعبد ويطاع في جميع ما امر به ونهى عنه الا من علم الله تعالى انه يؤمن ويتقي فانه هو المنتفع بها دون من اعرض عنها وابى واستكبر واتبع هواه وآثر اللذات العاجلة على السعادة الابدية ثم انه تعالى لما بين ان من حالف الحق انما يخالفه عنادا واستكبارا لا لقصور في البيان والبرهان امر رسوله عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على تلاوة ما اوحي اليه واقامة الصلاة وخصهما من بين سائر العبادات بالامر بهما لان العبادات المختصة بالعبد ثلاث قلبية وهي اعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية خارجية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيأ لا يعتقده مرة اخرى بل يدوم ذلك الاعتقاد ويستمر الى ان يطرأ عليه ضده فلم يمكن تكرير العبادة القلبية امر بتكرير التلاوة الجامعة لجميع الاذكار وبتكرير اقامة الصلاة التي هي معظم العبادات البدنية ﴿قوله ان تكون سببا للانتهاء الى آخره﴾ جواب عما يقال كم من مصل يرتكب الفحشاء وهي الفعلة القبيحة والمنكر وهو ما ينكره الشرع والعقل ولا تنهاه صلاته عنهما وتقرير الجواب ان الصلاة التي يصليها المرء بلا رياء ولا سمعة بان يصليها خالصا لوجهه الكريم مناجيا له بانواع التذلل والتواضع لا جرم تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه تعالى فتكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وبعد الفراغ منها ايضا الى ان يطرأ عليه شيء من الغفلة ثم ان الصلاة متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم ذلك التذكر والخشية وبدوامه يدوم الامتناع عن المعاصي فجعل الصلاة ناهية على طريق اسناد الحكم الى سبب سببه فان الصلاة سبب للتذكر والخشية وهما سببان لانتهاء العبد عن المعاصي ﴿قوله للتعليل﴾ اي للاشارة الى ان علة كونها افضل من سائر العبادات اشتمالها على ذكر الله تعالى بحيث تصير كانها نفس الذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقد قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما وقد روي انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه ثم انه تعالى لما بين طريق ارشاد المشركين وانهم يحق ابداؤهم وتسبب الى الضلالة آباؤهم عند المناظرة معهم ودعوتهم الى الاسلام بين معه طريق ارشاد اهل الكتاب فقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فانهم لما وحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر والحساب والجزاء وجاؤا بكل حسن سوى الاعتراف برسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تخاشنوا معهم في المناظرة بتجهيلهم وتجهيل آبائهم الاقدمين واستركاك عقولهم واكتفائهم بمجرد تقليد السفهاء ونحو ذلك فلا تجادل معهم في امر الدين الا باحسن المجادلة وهو ان تبحث معهم بازالة شبههم وتبيين الحق لهم باقامة الحجة والبرهان وتلاوة القرآن ﴿قوله بالافراط في الاعتداء والعناد﴾ فسر الظلم بالافراط لان الكافر اذا وصف بالظلم يراد به ذلك ﴿قوله وجوابه انه آخر الدواء﴾ يعني انها لا تعارض هذه الآية لان المعاملة في المجادلة انما هي في حق من لم يظهر منهم الافراط في الاعتداء وآية السيف في حق من ظلم وافرط بمنع الجزية والاقدام على المحاربة ﴿قوله عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب﴾ اي فيما يحدثونكم من الكتاب وهو من تمام حديث في بعض الروايات نهى عن تصديقهم لان الله تعالى اخبر انهم كتبوه بايديهم وقالوا هذا من عند الله ووجه النهي عن تكذيبهم ظاهر ﴿قوله ومثل ذلك الانزال انزلنا﴾ يريد ان ذلك اشارة الى ما بعد اسم الاشارة وهو الانزال الذي يدل عليه انزلنا والمراد به انزال قوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والكاف في كذلك كالمثل في قولك مثلك لا يبخل اي مثل ذلك الانزال العجيب الشان الداعي الى الايمان بجميع

الكتب المنزلة والى التوحيد انزلناه ولما كان من شأن الكتاب الكامل العجيب الانزال ان يكون موصوفا بابعده صفة ومزيد شرف بالنسبة الى سائر الكتب الالهية بين كونه عجيب الانزال فى كل مقام بما يناسبه وبين هنا بقوله وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لسبق قوله وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم فظهر بما ذكرنا وجه قوله وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به فانه لما كان كتابا كاملا عجيب الانزال لكونه وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لزم ان يؤمن به اهل الكتاب لما شهدوا فيه من دلائل تدل على انه كتاب سماوى ووحى الهى والفاء فى قوله فالذين آتيناهم لتفريع ايمانهم على كونه كتابا كاملا عجيب الانزال * واختلف المفسرون فى ان المراد بقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء فقال بعضهم هم الذين سبقوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب فيكون المراد بقوله ومن هؤلاء الذين هم فى زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام واصحابه قيل هذا اقرب يعنى ان صرف قوله ومن هؤلاء الى اهل الكتاب اولى لان الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين ههنا اذ كان الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على كفرهم وقال آخرون المراد بالاول مؤمنوا اهل الكتاب وبقوله ومن هؤلاء العرب او اهل مكة ثم انه تعالى لما وصف القرآن بكونه كتابا كاملا عجيب الانزال وبين من آمن به ذكر ان من لم يؤمن به اى لا يؤمن لتوغله فى الكفر من حيث ان توغله فى الكفر يمنعه عن التأمل فى دلائل حقيته واعجازه من كونه معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب اى من قبل انزال القرآن عليك من كتاب وهو معمول تتلو ومن زائدة فى المعمول اى ما كنت قارئا كتابا قبل ذلك ولا تخطه بيمينك اى ولا تكتب الآن بيمينك كما وكذا كان صفته فى التوراة والانجيل انه امى لا يقرأ ولا يكتب ﴿قوله وذكر اليمين﴾ جواب عما يقال ما فائدة ذكر اليمين مع ان الكتابة انما تزاول باليمين فذكره فائدتين الاولى زيادة تصوير كونه كاتبا كما وصف الطائر بقوله يطير بجناحيه لذلك والثانية دفع التجوز فى الاسناد فان الفعل كثيرا ما يسند الى سبب الامر فلما قيل بيمينك اندفع ذلك الاحتمال ﴿قوله واعداهم مبطلين﴾ مع انه عليه الصلاة والسلام لو كان قارئا كاتبا وقال مشركوا مكة لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين لكانوا صادقين محقين فى الذهاب الى هذا الاحتمال وحاصل الجواب الاول انهم مبطلون الآن لكفرهم به عليه الصلاة والسلام مع كونه اميا وليس المراد انهم مبطلون على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا وحاصل الجواب الثانى انه ليس المراد انهم مبطلون فى الذهاب الى هذا الاحتمال على تقدير كونه قارئا كاتبا بل المراد انهم مبطلون فى الارتياب فى كون القرآن وحيا الهيا مع كثرة وجوه اعجازه سوى كون الموحى اليه اميا ﴿قوله فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر﴾ لانهم لا يكونون مبطلين فى ارتيابهم على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا لان ارتيابهم حينئذ يكون عن دليل الا انه سماهم مبطلين وان لم يكونوا مبطلين على ذلك التقدير لكونهم مبطلين فى الواقع حيث ارتابوا مع وجدانهم نعته عليه الصلاة والسلام على وفق ما فى كتبهم وهو كونه اميا ﴿قوله بل القرآن﴾ بل فيه للاضراب عن بيان كونه منزلا انزالا عجيبا الى بيان ما هو اهم منه وهو كونه آيات بينات الاعجاز محفوظة فى صدور العلماء بحيث لا يقدر احد على تحريفه وبينات صفة آيات وفى صدور صفة ثانية اى هو آيات بينات الاعجاز محفوظات فى صدور العلماء وكل واحد من كونه آيات بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى صدور حفظه بحيث يتلوه كثير من الامة عن ظهر القلب من خصائص القرآن فان سائر الكتب لم تكن الفاظها معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف نظرا فيها فاذا ضاعت لم تعرف الامة من كتبهم شيأ وقد ورد فى صفة هذه الامة قرابينهم نفوسهم واناجيلهم صدورهم والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى انهم يقرؤن كتاب الله عن ظهر قلوبهم وهو مثبت محفوظ فى صدورهم كما كان كتاب النصارى مثبتا فى اناجيلهم قال الله تعالى قبل بيان كون الآيات القرآنية معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام بعد بيان كونه اميا وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وقال بعد بيان ذلك الا الظالمون مع انه لا تنافى بين الكلامين لان الكافر ظالم الا ان المناسب فى مقام ارشاد اهل الكتاب وتنفيرهم عن تكذيب القرآن لفظ الكافرين لان اهل الكتاب تميزوا عن المشركين بان آمنوا بجميع ما يجب الايمان به من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب والحشر والجزاء سوى الايمان برسالة سيد المرسلين وحقية كتابه فهم يدعون الايمان ويستنكفون عن الكفر فالمناسب فى دعوتهم الى الايمان ان يقال لهم انكم قد حصل لكم مزايا الايمان فلا تبطلوها بانكار آيات الله تعالى مع ظهور حقيتها بقيام الحجة

(ومن هؤلاء) ومن العرب او اهل مكـ
او ممن فى عهد الرسول من الكتابيـ
(من يؤمن به) بالقرآن (وما يجحد بآياتنـ
مع ظهورها وقيام الحجة عليها (الا الكافرون
الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعـ
عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجـ
بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسـ
كما اشار اليه بقوله (وما كنت تتلو من قبـ
من كتاب ولا تخطه بيمينك) فان ظهو
هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفـ
على امى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارقـ
للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للنفى وتـ
التجوز فى الاسناد (اذا لارتاب المبطلون
اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلـ
او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهـ
مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجـ
واحد من وجوه الاعجاز المتكاثـ
وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهـ
نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطالهـ
باعتبار الواقع دون المقدر (بل هو) بـ
القرآن (آيات بينات فى صدور الذيـ
اوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر احد على تحريفـ
(وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) الـ
المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوـ
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها (وقالوا لولا
انزل عليه آية من ربه) مثل ناقة صالح وعصـ
موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامـ
والبصريان وحفص آيات (قل انما الآيات
عند الله) ينزلها كيف يشاء لست املكهـ
فآتيكم بما تقترحونه (وانما انا نذير مبين)
ليس من شأنى الا الانذار وابانته بما اعطيت
من الآيات (اولم يكفهم) آية مغنية عمـ
اقترحوه

(انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك (ان في ذلك) في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما تقول اليهود فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت (يعلم ما في السموات والارض) فلا يخفى عليه حالي وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (اولئك هم الخاسرون) في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم امطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) لكل عذاب او قوم (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة) فجأة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت ارجلهم) من جميع جوانبهم (ويقول) الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) اي جزاءه (يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون) اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها

عليها فكونوا كافرين بخلاف مقام التقريع عليهم باصرارهم على التكذيب بعد ما تبين كونها معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام فان المناسب بذلك المقام تنفيرهم عن الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكأنه قيل ان عدم الايمان بالآيات القرآنية بعد ما تبين كونها معجزة لجنسها لزمكم انكار الرسالة والكتب المنزلة بامرها اذ لا طريق الى الاقرار بها سوى الاعتداد بالمعجزة فمن لم يعتد بالمعجزة لزمه ان يلحق بالمشركين ويكون من جملة الظالمين بالاشراك ثم انه تعالى لما بين طريق المجادلة مع اهل الكتاب في دعوتهم الى الايمان عاد الى حكاية ما تعنت به كفار مكة باقتراح آيات كما جاءت بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى اممهم فقال وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه آية من ربه فارشد نبيه عليه الصلاة والسلام الى ان يقول في جوابهم اولا انما الآيات عند الله وليس من شأني الا انذار اهل المعصية بالنار بما اعطيت من الآيات ثم انكر عليهم ذلك الاقتراح ببيان ان القرآن آية فوق الكفاية واتم من كل معجزة تقدمتها فان تلك المعجزات وجدت ما دامت فان قلب العصا حية واحياء الموتى واخراج الناقة من الحجر الصلد لم يبق لناسه اثر فلو انكر احد شيأ من ذلك لم يكن اثباته له الا بالكتاب واما القرآن فانه آية باقية في كل مكان وزمان لا تزول ولا تضمحل كسائر آيات الانبياء التي اضمحلت بعد ما اختصت بمكان دون مكان فلو انكره واحد يقال له فأت بآية مثله ﴿قوله متحدين﴾ حال من ضمير عليهم والتحدي ان تعارض اهل الغير وتعمل مثل فعله على وجه المنازعة في الغلبة وقيل في تفسير الآية اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك فعلى هذا يكون القائلون لولا انزل عليه آية من ربه اليهود وتكون هذه ايضا متعلقة بحال اهل الكتاب ﴿قوله وقيل ان ناسا من المسلمين﴾ وفي التيسير روي ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كان في يده رق فيه شيء مكتوب من كتبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا قال كتبته من كتابهم لازداد علما الى علمي فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى كفى بقوم حمقا وضلالا ان يرغبوا عما آتاهم به نبيهم الى غيره فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يرض المصنف بهذا القول واختار ان يكون المعنى اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه من الآيات وذلك لان الظاهر من النظم انه جواب قولهم لولا انزل وعلى ذلك القول يكون تصديقا له عليه الصلاة والسلام وانكارا لهم في التجائهم الى غير ما اتى به نبيهم فلذلك غير صيغة بقوله وقيل ﴿قوله شهيدا بصدقي﴾ على ان تكون الآية جوابا لكعب بن الاشرف واصحابه حين قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله وقوله او بتبليغي ما ارسلت به على ان تكون المقصود من الآيات تهديد المعاندين من اهل الكتاب كما يقول الصادق اذا كذب وقد اتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدق الله يعلم صدقي وتكذيبك ايها المعاند وهو على ما اقول شهيد يحكم بيني وبينك ثم بين كونه كافيا ببيان كونه عالما بجميع الاشياء فقال يعلم ما في السموات والارض الى آخره ﴿قوله هم الخاسرون في صفقتهم﴾ اشارة الى ان قوله والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله استعارة بالكناية بان شبه ما فعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة وقوله اولئك هم الخاسرون استعارة تخييلية قرينة للمكنية ولما هددهم الله تعالى بقوله اولئك هم الخاسرون قال نضر بن الحارث اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء اظهارا لقطعهم بعدم العذاب واستهزاء منهم وتكذيبا لمن هددهم به ﴿قوله ستحيط بهم﴾ يعني ان اسم الفاعل بمعنى الاستقبال لكن جيء بالجملة الاسمية مؤكدة بان ولام الابتداء للايذان بان وعد الله تعالى ووعيده كالمتحقق في الحال لتحقق وقوعه البتة ويحتمل ان يكون اسم الفاعل بمعنى الحال ويكون المعنى ان جهنم لمحيطة بهم في الدنيا باعتبار ان اسباب احاطتها من الكفر والمعاصي محيطة بهم في الحال فنزل السبب ايضا منزلة الواقع في الحال ﴿قوله وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام﴾ خص ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه هاجر من كوثى الى الشام قرارا بدينه حيث قال اني مهاجر الى ربي ومحمد سيد المرسلين هاجر الى المدينة حيث تعذر عليه رعاية ما امر به في امر الدين وامر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان في بلدة تعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يمكنه ان يعبد الله فيه حق عبادته ﴿قوله فاياي﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وهو فاعبدون تقديره فاعبدوا اياي فاعبدون فاستغنى بالثاني عن اظهار الاول ولا يجوز انتصابه بالفعل الظاهر لاشتغاله عنه بالضمير الذي بعده ذهب صاحب الكشاف الى ان قوله تعالى

(فاياي)

فاياى فاعبدون جواب شرط محذوف وجعل تقديم المعمول عوضا عن الشرط المحذوف مع افادة تقديمه معنى
الاختصاص ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالمهاجرة الى ارض يمكنهم فيها رعاية وظائف العبادة صعب عليهم
ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوفهم الله تعالى بالموت ليهون عليهم الهجرة والمعنى لامحيص لاحد من الموت
والمعاد بعده فلابد من التزود لذلك وذلك باخلاص العبادة لله تعالى بعد توحيده على رجاء ان يثاب عليه فان
لم يتيسر ذلك فى مكان فلابد من المهاجرة منه الى مكان تيسر ذلك ثم ذكر ثواب من هاجر فقال والذين آمنوا
وعملوا الصالحات يعنى المهاجرين والذين يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء او فى محل النصب على
الاشتغال وعلالى جمع علية وهى الغرفة وورنها فعيلة مثل صديقة واصلها عليوة فابدلت الواو ياء وادغمت
﴿ قوله وقرئ لنثوينهم ﴾ بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثوآء وهو الاقامة
يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه وهذه قرآءة حمزة والكسائى وقرأ الباقون لنبوئنهم
بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهى الانزال اى انزلنهم من الجنة غرفا
وانتصاب غرفا على قرآءة الاخرين اما على انه مفعول به على تضمين اثوى معنى انزل لان ثوى لازم فيعدى بالهمزة
الى واحد ويتعدى الى اثنين باعتبار التضمين واما على الظرفية بتشبيه الظرف المحدود بالمبهم كما فى قوله لاقعدن لهم
صراطك المستقيم اى باسقاط الخافض اتساعا اى فى غرف واما على قرآءة الباقين فهو منصوب على انه مفعول ثان
لان بوأ يتعدى الى اثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقوله تجرى صفة لغرفا ﴿ قوله وقرئ فنعم ﴾
بزيادة الفاء على ان الفاء لعطف الجملة على الجملة التى قبلها لا لتفيد ان مضمون الجملة التى بعدها واقع عقيب مضمون
الجملة التى قبلها من غير ان يتصل بينهما زمان فاصل كما فى نحو قام زيد فقعد عمرو بل هى للدلالة على ان المذكور
بعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لا ان مضمونها عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر ذم الشئ او مدحه بعد جرى ذكره والمخصوص بالمدح محذوف
والتقدير نعم اجر العاملين خالصا لوجه الله الغرف الموصوفة حذف لدلالة ماقبله عليه ﴿ قوله تعالى وكأين
من دابة ﴾ كأين كلمة مركبة من كاف التشبيه واى التى تستعمل استعمال من ولما ركبتا جعل المركب بمعنى كم
الخبرية وكأين مبتدأ ولاتحمل صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة تمييز اى وكم من نفس دبت على وجه الارض
عقلت اولم تعقل لاتطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله مع احتياجها الى الغذآء مثلكم اى لاتدخر شيأ من الرزق لغد
انما تصبح فيرزقها الله من حيث لاتحتسب قيل لايدخر شئ من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفارة والنملة ويقال ان العقعق
يخبئ الا انه ينسى حيثه ﴿ قوله لايرزقها واياكم الا الله ﴾ استفاد الحصر من تقديم الجلالة وبناء الفعل
عليه فان مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص كما ذكره الزمخشرى فى سورة الرعد فى قوله الله يبسط الرزق عن ابن عمر
رضى الله عنهما قال خرجنا مع النبى عليه الصلاة والسلام حتى دخلنا بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر
ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لاتأكل فقلت لااشتهيه يارسول الله قال انا اشتهيه وهذا صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم
اجده فقلت انا لله والله المستعان قال يا ابن عمر لو سألت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة
ولكنى اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف
منهم اليقين فوالله مابرحنا حتى نزلت وكأين من دابة لاتحمل رزقها الآية وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴿ قوله لاتحد رزق الكل باسباب ﴾ فانه تعالى لو لم
يخلق النبات لم يكن للبهائم رزق ولو ايصاليس الغذآء بمجرد الابتلاع بل لابد فى صيرورة الغذآء اجزآء من المتغذى عوض له
لما تحلل لحما وعظما وشحما من ان يخلق الله تعالى فيه قوة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى التى لاتحصل
الابمحض قدرة الله تعالى وارادته فاذا تقرر ان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده ثبت انه تعالى هو الذى
يرزق الدواب كلها ومباشرة الاسباب وسلوك طريق الاكتساب لاتنافى التوكل وكذا جمع مااكتسبه واعداده
لوقت الحاجة لايقدح فى التوكل بل الذى يقدح فيه ان يكون اعتماده على مافى يده وعلى مايتيسر له من طرآئق
اكتسابه واما من تمسك بالاسباب وسلك سبيل الاكتساب اتباعا لسنة الله تعالى فى ترزيق العباد حيث جرت عادته
فى افاضة الخيرات على الاستماحة والطلب من قاضى الحاجات والتسبب لما جعله سببا لنيل المرادات مع الاعتماد بانه
تعالى قادر على ان يرزقه من غير كد واهتمام وعلى ان يجعل سعيه فى تمسك الاسباب ضائعا غير مؤد الى المراد

(كل نفس ذآئقة الموت) تناله لامحا...
(ثم الينا ترجعون) للجزآء ومن هذا عاقبت...
ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابوبكر...
بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات...
لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا)...
علالى وقرئ لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثوآ...
فيكون انتصاب غرفا لاجرآئه مجرى لننزلنهم...
او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت...
بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين...
فيها نعم اجر العاملين) وقرئ فنعم والمخصوص...
بالمدح محذوف دل عليه ماقبله (الذين...
صبروا) على اذية المشركين والهجرة...
الدين الى غيره ذلك من المحن والمشاق (وعلى...
ربهم يتوكلون) ولايتوكلون الا على الله...
(وكأين من دابة لاتحمل رزقها) لاتطيق...
حمله لضعفها اولاتدخره وانما تصبح ولامعيشة...
عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع...
ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم...
سوآء فى انه لايرزقها واياكم الا الله لان رزق...
الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلاتخافوا...
على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة...
قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها...
معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا...
(العليم) بضميركم (ولئن سألتهم من خلق...
السموات والارض وسخر الشمس والقمر)...
المسؤل منهم اهل مكة (ليقولن الله) لما...
تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات...
الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون)...
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك...

(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له) يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق
عليه واحدا على ان البسط والقبض على
التعاقب وان لايكون على وضع الضمير
موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم
(ان الله بكل شئ عليم) يعلم مصالحهم
ومفاسدهم (ولئن سألتهم من نزل من السماء
ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله)
معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها
اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به
بعض مخلوقاته الذى لايقدر على شئ
من ذلك (قل الحمد لله) على ماعصمك
من مثل هذه الضلالة اوعلى تصديقك
واظهار حجتك (بل اكثرهم لايعقلون)
فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل
ماعداه ثم يشركون به الصنم وقيل لايعقلون
ماتريد بتحميدك عند مقالهم (وماهذه
الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لاوهى
لاتزن عندالله جناح بعوضة (الا لهو
ولعب) الا كما يلهى ويلعب به الصبيان
يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم
يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهى
الحيوان) لهى دار الحياة الحقيقة لامتناع
طريان الموت عليها اوجعلت فى ذاتها حياة
للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به
ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية
واوا وهو ابلغ من الحياة لما فى بناء فعلان
من الحركة والاضطراب اللازم للحياة
ولذلك اختير عليها ههنا (لو كانوا يعلمون)
لم يؤثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم
الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال
(فاذا ركبوا فى الفلك) متصل بما دل عليه
شرح حالهم اى هم على ما وصفوا به
من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله
مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من اخلص
دينه من المؤمنين حيث لايذكرون الا الله
ولايدعون سواه لعلمهم بانه لايكشف
الشدائد الا هو (فلما نجاهم الى البر اذاهم
يشركون) فاجأوا المعاودة الى الشرك

فهو متوكل على العزيز العلام حيث كد وسعى معتمدا عليه لاعلى عمله واجتهاده ثم انه تعالى لما خاطب المؤمنين وامرهم بالمهاجرة الى ارض يتسهل لهم فيها عبادة الله قال على سبيل التعجب من كفار مكة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ذكر فى السموات والارض خلقهما وفى الشمس والقمر تسخيرهما لان الحكمة لاتتم بمجرد خلق الشمس فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تستقر فى موضع واحد لما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فادن الحكمة فى تحريكهما وتسخيرهما ثم انه تعالى لما بين ايجاد السموات بقوله خلق السموات والارض وبين ايجاد الصفات بقوله وسخر الشمس والقمر ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق كأنه قيل المعبود اما ان يعبد لاستحقاقه العبادة فالاصنام ليست كذلك بل المستحق لها هو الله تعالى واما لكونه عظيم الشأن فالله تعالى خالق السموات والارض هو المنفرد بعظم الشان فله العبادة واما لكونه ولى الاحسان فالله الذى يرزق الخلق هو المنفرد بالفضل والاحسان فله العبادة فانى يشركون ﴿قوله ويقدر له﴾ اى يضيق فان القدر والقتر بمعنى واحد وهو التضييق ﴿قوله يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا﴾ هذا الاحتمال هو الظاهر لان من فى قوله من يشاء موصولة اريد بها من افراد الانسان من تعين بكونه شاء الله التوسيع له ولو غايره لما رجع ضمير يقدر له عليه ولما كان التوسيع والتضييق متضادين لايجتمعان فى محل واحد فى زمان واحد وجب ان يكون اجتماعهما فيه على سبيل التعاقب واما احتمال تغايرهما ذاتا مع وجوب كون الضمير راجعا الى عين ماذكر اولا وهو من تعلق به مشيئة التوسيع فبعيد لان مفهوم من يشاء البسط له وان كان مبهما من حيث تناوله الافراد المندرجة تحته لا ابهام فيه من حيث تناوله الموسع له والمضيق عليه المختلفين ذاتا حتى يكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله متناولا للمضيق عليه الا ان يقال المراد بقوله لان من يشاء مبهم ان مفهوم من يشاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمفعول المحذوف يتناول الموسع له والمضيق عليه فان ذاتا تعلق به المشيئة كما يصدق على من تعلقت المشيئة بالتوسيع له يصدق ايضا على من تعلقت بالتضييق عليه فيكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله فيتناول الموسع له والمضيق عليه ذاتا مع رجوع الضمير الى من يشاء كما لو قيل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء فانه اذا قيل ويقدر لمن يشاء لايشتبه عند احد ان المبسوط له غير المقدور عليه وكذا اذا قيل ويقدر له لانه فى قوة ذلك لان من يشاء مبهم بالتوجيه الذى ذكرنا فيكون ضميره ايضا كذلك فيصلح لابهامه ان يراد به غير الاول ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء الآية لان تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بان موجد السبب هو الله تعالى اعتراف بان موجد المسبب ايضا هو الله فهو اعتراف بان الرازق هو الله تعالى ﴿قوله على ماعصمك من مثل هذه الضلالة﴾ وهى ضلالة المناقضة بين اعترافهم بان موجد الممكنات باسرها اصولها وفروعها هو الله عز وجل وبين اشراكهم به تعالى مالايقدر على شئ ﴿قوله او على تصديقك﴾ من اضافة المصدر الى مفعوله اى او على تصديق الله اياك بحملهم على الاقرار بما هو حجة عليه المستلزم لتبكيتك اياهم باطنه ﴿قوله فيتناقضون﴾ يعنى ان كلمة بل للاضراب عن الاول والاخذ فيما هو اهم فانه تعالى ذكر اولا انهم اقروا بما يدل على التوحيد وناقض سلوكهم طريق الشرك ثم انتقل الى ماهو اهم وهو بيان انهم مسلوبوا العقول فلايبعد منهم مثل هذه الجهالة والمناقضة فهو اضراب عن اظهار جهلهم الخاص الى بيان ان شأنهم الجهل مطلقا فعلى هذا يكون قوله قل الحمد لله اعتراضا بين المنتقل منه والمنتقل اليه وعلى الثانى يكون جملة الاضراب من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم يفطنوا بتلك المناقضة الظاهرة فاولى ان لايفطنوا انك لم حمدت الله تعالى عند اعترافهم بذلك ﴿قوله اشارة تحقير﴾ فانه قد ينزل قرب الدرجة ودناءة المرتبة منزلة قرب المسافة فيشار اليه بلفظ القريب كقول الكفرة فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام اهذا الذى يذكر آلهتكم واللهو ما يتلذذ به الانسان ويصحبه مشتغلا به معرضا بسببه عما يهمه ويلهيه ساعة ثم ينقضى ﴿قوله لهى دار الحياة﴾ جواب عما يقال كيف اطلق الحيوان بمعنى الحياة او بمعنى النامى الحساس على الدار الآخرة مع انها ليست عبارة عن الحياة ولا نام حساس وتقرير الجواب ان الحيوان مصدر بمعنى الحياة والكلام على تقدير مضاف او جعلت هى فى ذاتها حياة للمبالغة فان مافيها من الحياة لما كانت حياة مستمرة دائمة لاموت فيها صارت كأنها فى ذاتها حياة ﴿قوله متصل بما دل عليه الى آخره﴾ يعنى ان الفاء ماضعة لدخولها على الجملة المدلول عليها بما ذكر قبلها ﴿قوله كائنين فى صورة من اخلص دينه لله﴾ يعنى ان تسميتهم مخلصين تهكم بهم من حيث انهم ليسوا مخلصين حقيقة حيث ان الذى الجأهم الى ان ذكروا الله تعالى ساعة وتركوا ماسواه

(ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كي اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قرآءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك حين يعاقبون (أولم يروا) يعني اهل مكة (انا جعلنا حرما آمنا) اى جعلنا بلدهم مصونا من النهب والتعدي آمنا اهله من القتل والسبي (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حواليهم في تغاور وتناهب (أفبالباطل) أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بان زعم ان له شريكا (او كذب بالحق لما جاءه) يعني الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوائهم كقوله * الستم خير من ركب المطايا * اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اى ألم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة (والذين جاهدوا فينا) في حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (وان الله لمع المحسنين) بالنصرة والاعانة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿سورة الروم﴾

﴿مكية الا قوله فسبحان الله وهي﴾

﴿ستون او تسع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض) ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة

خوف الغرق والهلاك وفي الآية حصر وتقدير الكلام فاذا ركبوا في الفلك وهاجت الرياح واضطربت الامواج وكادت تغرقهم دعوا الله ودل على هذا المحذوف ذكر التنجية بعده ﴿قوله اللام فيه لام كي﴾ اى يشركون ليكونوا شركاءهم كفروا بنعمة الانجاء والمعنى انه لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير ان يترتب عليه نصيب في الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين يخصون تدعيهم بالدعاء والتضرع عندما وقعوا في الخوف الشديد من امواج البحر ثم يعودون الى الشرك القديم وقت الخلاص منه بالخروج الى البر ذكر حالهم عند غاية الامن وهو اشراكهم بالله الذي جعل لهم حرما آمنا يأمنون فيه على نفوسهم واموالهم فان الخوف احوال الانسان حال كونه في بحر متلاطم الامواج فيضطر حينئذ الى التوحيد واخلاص الدين له ثم عاد الى الشرك بعدما نجاه الله تعالى الى البر اذا كان قبيحا فشركه في حرم الله تعالى الذي ليس في بلاد الله تعالى ما يدانيه في كونه مأمنا في غاية القبح فلذلك انكر عليهم بقوله أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ثم بالغ في وجه الانكار بان بين ان مجرد الشرك نهاية الظلم ولا احد اظلم من المشرك فكيف اذا كان الاشراك في مقام يجب ان يكون العبد فيه احسن حالا منه في سائر البلاد وانما قلنا الشرك نهاية الظلم لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه سواء امكن وضعه فيه او امتنع فمن وضع شيأ في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم اللياقة وكذا تكذيب الحق ظلم ومن كذبه اول ما سمعه من غير توقف وتأمل يكون اظلم ﴿قوله الستم خير من ركب المطايا﴾ واندى العالمين بطون راح * الندى الجود يقال رجل ندي اى جواد وفلان اندى من فلان اذا كان اكثر خيرا منه قيل لما بلغ الشاعر هذا البيت من قصيدته وكان الخليفة متكئا استوى جالسا فرحا وقال من مدحنا فليمدحنا هكذا واعطاه مائة من الابل ولو كان مقصود الشاعر بقوله الستم الاستفهام لما اعطاه الخليفة مائة من الابل بل الهمزة فيه للانكار دخلت على النفي فافادت اثبات الخيرية وتقريرها فكذا في الآية كانت لاقرار ثوائهم فيها وكان المعنى الا يثوون في جهنم والا يستحقون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله تعالى ﴿قوله او لاجترائهم﴾ عطف على قوله لثوائهم اى وهو تقرير لاجترائهم ثم انه تعالى لما فرغ من افادة دلائل التوحيد وبطلان الشرك وتقريع المشركين وتهديدهم بتقرير ثوائهم في جهنم شرع في تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من المجاهدة مع كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فقال والذين جاهدوا فينا اى جدوا وبذلوا وسعهم في حقنا ولاجلنا ووجهنا خالصا لنهدينهم سبيل السير الينا والوصول الى جنابنا فان من جاهد في الله حق جهاده وهو صرف الافتقار الى الله تعالى بالانفصال عن كل شيء سوى الله انكشف عنه الحجب النفسانية وحجب عالم الاكوان كلها وتجلى له اسرار الملكوت وانوار عالم الغيب ومن اجتهد برفض العادات البشرية ومخالفة الاهوآء الطبيعية وتهذيب ظاهره عن المخالفات المنهية بملازمة الاعمال السنية وباطنه عن الاخلاق الردية بالتحلي بالاخلاق المرضية انفتح له سبيل السير الى الله بالقوة القدسية والقابلية الملكية والطاقة الروحانية فانه بقدر الجد تكتسب المعالي * والى الله ابتهل في ان يخصني من طريقة الذين يقولون ما لا يفعلون ويوفقني للسعي والاجتهاد في تهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال انه قريب مجيب وقيل معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة منها فانه تعالى يزيد المجاهدين هداية كما انه يزيد الكافرين ضلالة * تم ما يتعلق بسورة العنكبوت * والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله واصحابه الحائزين فضله * وهذا اوان الشروع في ايراد ما يتعلق بسورة الروم

﴿سورة الروم وهي مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

افتتحت هذه السورة الكريمة بحروف التهجي مع انه لا يفهم منها معنى يقصد تبليغه لتنبيه السامع وبعثه حتى يقبل على استماع ما يلقى اليه بقلب حاضر فانه لما ذكر في اول هذه السورة ما هو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اخباره عن الغيب الذي هو غلبة الروم على فارس في بضع سنين افتتحت بهذه الحروف ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على استماع ما يلقى اليه بعدها ﴿قوله لانها﴾ اى لان ارض العرب هي الارض المعهودة عندهم يعني ان اللام في لفظ الارض ان كانت للعهد فالمراد بها ارض العرب لان ارضهم هي المعهودة عندهم والمعنى غلبت فارس الروم في اقرب ارض العرب الى الروم فقوله ارض العرب منهم اى من الروم وهو من في منهم صلة ادنى يقال

(وهم من بعد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلف والحلب (سيغلبون في بضع سنين) روي ان الفرس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابوبكر لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابيّ بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه فناحبه

على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابوبكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابيّ من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابوبكر الخطر من ورثة ابيّ وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدّق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوّة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا اي اوّلا وآخرا (ويومئذ) ويوم يغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد (لا يخلف الله وعده) لامتناع الكذب عليه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها (وهم عن الآخرة) التي هي غايتها والمقصود منها (هم غافلون) لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى (بهم)
وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها

دناميه اي قربه منه والمراد ما دنى لارض العرب من الروم اطراف الشام وان كانت اللام فيه بدلا من المضاف اليه يكون المعنى غلبت الروم في ادنى ارض الروم من العرب وضمير ارضهم يعود الى الروم • فان قلت جعلت الارض التي غلبت الروم فيها للعرب تارة وللروم اخرى فما وجهه • قلت يجوز ان تكون تلك الارض مسكنهم جميعا بان يسكن فيها البعض من كل فريق فجاز اضافتها تارة الى العرب واخرى الى الروم ﴿قوله من اضافة المصدر الى المفعول﴾ والمعنى وهم اي الروم من بعد مغلوبيتهم سيغلبون فارس في بضع سنين واذرعات موضع بالشام وبصرى ايضا موضع بالشام والجزيرة موضع بعينه وهي ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روي عن الاصمعي انها من اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها جزيرة احاطة البحر والانهار العظام بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات ﴿قوله وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من فارس﴾ على هذا يكون قوله في ادنى الارض يعني في ادنى ارض الروم من فارس كما روي عن مجاهد انه قال هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس فتكون اللام في الارض عوضا عن المضاف اليه ﴿قوله وشمتوا بالمسلمين﴾ اي فرحوا بانهزام المسلمين وتحزينهم فان الشماتة عبارة عن الفرح ببلية العدو وهي من باب علم وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودّون ان يغلب فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودّون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم فاستعمل عليهم رجلا يقال له شهربان وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى ارض الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون كاهل فارس وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآيات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى قد يريد ان يرزق ثواب الحق فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد والمناحبة المراهنة والقلائص جمع قلوص وهي من النوق الشابة وهذه المناحبة كانت قبل تحريم القمار وهو الظاهر لان السورة مكية وتحريم الخمر والميسر من آخر الآي نزولا ﴿قوله من قبل كونهم غالبين الى آخره﴾ يعني ان جمهور القراء قرؤا من قبل ومن بعد مبنيان على الضم من حيث انهما لما قطعا عن الاضافة مع كونها منوية مرادة صارا كبعض الاسم في عدم استحقاق الاعراب فلا بد من تقدير المضاف اليه فقدره بقوله من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين بناء على ان كلا من الوقتين اعني وقت كونهم مغلوبين ووقت كونهم غالبين بالنسبة الى الآخر له اعتبار القبلية والبعدية فان الروم كانوا في اوّل الامر مغلوبين وفي ثاني الحال صاروا غالبين فكونهم مغلوبين قبل كونهم غالبين وكونهم غالبين بعد كونهم مغلوبين وقد كان لله الامر في اوّل الوقتين وفي آخرهما اي حين غلبوا وحين يغلبون وعبر عن اوّل الوقتين بقوله من قبل كونهم غالبين لكون وقت مغلوبيتهم قبل كونهم غالبين وعبر عن ثاني الوقتين بقوله ومن بعد كونهم مغلوبين لكون وقت غلبتهم بعد ذلك ﴿قوله وقرئ من قبل ومن بعد﴾ مجرورين منونين لانه اذا لم يكن المضاف اليه المحذوف منويا يكون اعتبار اسمه فيعرب على حسب اقتضاء العامل كقول الشاعر

• فساغ لي الشراب وكنت قبلا • اكاد اغص بماء الفرات •

﴿قوله في رهانهم﴾ هو مصدر بمعنى المراهنة والمناحبة والغالب فيها استعماله في السبق وهو بفتحتين الخطر الذي يتراهن عليه ويوضع بين اهل السباق ويقال اخطر المال اذا جعله خطرا بين المتراهنين ﴿قوله وقيل بنصر الله المؤمنين﴾ عطف على قوله بنصر الله من له كتاب وهو الروم على من لا كتاب له وهو فارس ﴿قوله لان ما قبله في معنى الوعد﴾ فان قوله تعالى سيغلبون ويومئذ يفرح المؤمنون وعد من الله تعالى بالنصرة فاكده بقوله وعد الله وعامله مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا ثم قرر معنى هذا المصدر بقوله لا يخلف الله وعده اي فيظهر الروم على فارس ولكن اكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون وعده حيث ينكرون الرسالة والوحي ﴿قوله وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة﴾ يعني ان هذا الكلام سواء كانت هم الثانية تكريرا للاولى وكان غافلون خبرا للاولى او كانت مبتدأ ما بعدها خبرها وكانت الجملة خبر الاولى يدل على اختصاص الغفلة عن الآخرة

بهم وان العلة لاتثبت ولاتستقر الا بهم وهو معنى تمكنها بهم وقوله المتعلقة صفة عقلهم والمراد بالجملة المتضمنة قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا واشار الى ان هذه الجملة بدل من قوله لايعلمون وكل واحد من قوله تقريرا وتشبيها واشعارا منصوب على انه مفعول له لقوله البدلة علل ابدال قوله يعلمون من قوله لايعلمون بثلاث علل الاول تقرير جهالتهم المدلول عليها بالمبدل منه فان من لايتجاوز علمه عن بعض ظاهر الدنيا ولايتعلق بالبعض الآخر فضلا من ان يتعلق بامر الدين واحوال الآخرة لايكون الا جاهلا وقوله تشبيها وان كان في صورة العلة الثانية الا ان المقصود منه بيان وجه كون جملة البدل تقريرا لجهالتهم ووجه كون الابدال مشعرا بما ذكره ان قوله يعلمون لما اقيم مقام قوله لايعلمون وجعل سادا مسده علم منه انه لافرق بين عدم العلم وبين علمهم ﴿ قوله او لم يحدثوا التفكر فيها ﴾ على ان يكون قوله في انفسهم ظرفا للتفكر والمعنى اولم يشغلوا قلوبهم الفارغة من الفكر بالفكرة الصالحة والتفكر وان لم يكن الا في القلوب الا انه زيد قوله في انفسهم زيادة تصوير حال المتفكرين كما قيل ولاتعطه بعينك وابصره بعينه واضمره في نفسه ونحو ذلك وتكون جملة ماخلق الله السموات الى آخره متصلة بما قبلها في محل النصب بقوله اولم يتفكروا والمعنى اولم يتفكروا في قلوبهم ان ماخلق الله السموات والارض الا بالحق باضمار ان الحقيقة ويكون التفكر واقعا في خلقهما بالحق واضمار ان الوصل جائز كما في قوله تعالى في هذه السورة ومن آياته يريكم البرق اى ان يريكم البرق كذا في التيسير وحينئذ يحتاج الى اضمار في ايضا والاظهر ماذكره المصنف من كونه متعلقا بقول او علم محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيقولوا او فيعلموا ان ماخلق الله السموات الخ فعلى هذا لايكون المتفكر فيه مذكورا بخلاف الاحتمال الثانى الذى ذكره بقوله اواولم يتفكروا في امر انفسهم على ان يكون قوله في انفسهم معمولا به غير صريح ليتفكروا لاظرفا له كقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والمعنى هلا تفكروا في امر انفسهم التى هى اقرب اليهم من سائر المخلوقات وهم اعلم باحوالها وهى كلمة استبطاء كأنه قيل ينبغى لهم ان يتفكروا فيها ليتضح لهم كمال قدرة الله تعالى فان من تفكر في تشريح بدن الانسان وما اودع فيه من غرائب التدبير الالهى حصل له العلم القطعى بانه تعالى فاعل مختار كامل العلم والقدرة وان من يكون كذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد والامثال ماحرا عن اعداد ارادة شريكه ضد ما اراده وايضا حصل له العلم بحقيقة الحشر والجزاء لانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال واجزاءه مائلة الى الانحلال فيقطع بانه سيفنى عن قريب فلو لم يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا كما اشير اليه بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من بالغ في تدبير شئ سيفنى عن قريب بالكلية وصوره احسن تصوير واعتنى في انتظام احواله ادلع مايمكن من الاعتناء مع علمه بانه عن قريب يصير كأن لم يكن شيأ مذكورا يضحك منه ويتعجب من سفاهته فمن تفكر في شأن نفسه على هذا الوجه علم انه تعالى خلقه عبثا ولابقاء الا للحشر والاحياء فظهر ان تفكر الانسان في امر نفسه يؤديه الى القطع بان العالم له اله واحد قادر على الابداء والاعادة فيكون قوله ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق جملة مستأنفة لاتعلق لها بما قبلها ذكرت بعد اقامة دليل الانفس استدلالا بدليل الآفاق فمعنى الآية على هذا الوجه اولم يتفكروا في خلق السموات والارض فيعلموا ان الله تعالى لم يخلقها عبثا ولاجزافا ولكن ليعتبر بها عباده وليستدلوا بها على وحدانيته وكمال قدرته وانه انما خلقها لمنافع عباده ملاذا لهم في دار التكليف وعونا لاكتساب مايسعدهم في دار الجزاء وهو معنى قوله بالحق والباء فيها ملابسة او حالية اى ماخلقها الا بالحق او ملتبسة بالحق مقرونة به لاباطلا ولاعبثا خاليا عن حكمة بالغة ولاتبقى خالدة وانما خلقها مؤجلة باجل مسمى ونفوس البشر مندرجة في عموم قوله وما بينهما ثم انه تعالى لما ارشد الى مايؤدى الى العلم بحقية الآخرة وان السموات والارض وما بينهما جميعا مخلوقة للانتهاء الى اجل مسمى هدد الغافلين عن الآخرة المصرين على الكفر وتكذيب الانبياء بقوله اولم يسيروا في الارض وهو استفهام تقرير لسيرهم ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم وبعد تقرير ذلك ذكر ان اهل مكة اولى بالهلاك لان من تقدم من عاد وثمود كانوا اشد من اهل مكة قوة واكثر مالا وعمارة ولم ينفعهم قواهم ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم ﴿ قوله او الآيات الواضحات ﴾ اى دلائل الحق وبراهينه وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ قوله تعالى فما كان الله ليظلمهم ﴾ قبله مضمر تقديره فلم يؤمنوا فاهلكوا فما ظلمهم الله بتعذيبهم من غير ذنب وثم في قوله ثم كان لترتيب الاخبار ٭ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو عاقبة الذين مرفوعا

واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا (اولم يتفكروا في انفسهم) اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدائها (ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام (واجل مسمى) تنتهى عنده ولاتبقى بعده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى اوقيام الساعة (لكافرون) جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لاتكون (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم (كانوا اشد منهم قوة) كعاد وثمود (واثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها (وعمروها) وعمروا الارض (اكثر مما عمروها) من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذى زرع لاتبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لانفع له (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات او الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) ليفعل بهم مايفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولاتذكير (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم

(ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى) اى ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث الاسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت به (ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) علة او بدل او عطف بيان السوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يبعثهم (ثم اليه ترجعون) للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته (ولم يكن لهم من شركائهم) ممن اشركوهم بالله (شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله وجيئه بلفظ الماضى لتحققه (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعؤا وعلمؤا بنى اسرائيل بالواو والسوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) اى المؤمنون والكافرون لقوله (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) ارض ذات ازهار وانهار (يحبرون) يسرون سرورا تهللت له وجوههم (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون) مدخلون لا يغيبون عنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض

على انه اسم كان وتذكير كان مبنى على ان تأنيث عاقبة غير حقيقى والسوأى خبر كان واختار المصنف هذه القراءة حيث قال ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى وقوله ان كذبوا اما علة بتقدير لام العلة اى لان كذبوا او باء السببية اى بان كذبوا واما بدل او عطف بيان السوأى ولا شك ان التكذيب خصلة سوأى وعقوبة سوأى فيصح ان يكون بدلا او عطف بيان للعقوبة السوأى والخصلة السوأى فمعنى الآية ثم كان التكذيب آخر امرهم اى ماتوا على ذلك لخذلانهم الله تعالى بذلك على اساءتهم حيث طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب ويحتمل ان يكون قوله ان كذبوا خبر كان وحينئذ يكون السوأى مصدرا بمعنى الاساءة منصوبا باساؤا او يكون معمول اساؤا لتضمنه معنى اقترفوا والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التى هى اسوأ الخطايا ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها فان السوأى تأنيث الاسوء بمعنى الاقبح ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان يكون السوأى معمول اساؤا ايضا وان كذبوا عطف بيان له او بدلا منه ويكون الخبر محذوفا للابهام والتهويل والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة السوأى وهى التكذيب والاستهزاء ما لا يمكنه كنهه ولا يقادر قدره فى الشدة والفظاعة ثم انه تعالى لما ذكر ان عاقبة المسئ العقوبة السوأى قرر ذلك ببيان ان المخلوقات باسرها يحشرون بعد الموت ثم اليه يرجعون للجزاء ثم بين ما يكون وقت الرجوع اليه بقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اى ينقطع كلامهم وحجتهم ويسكتون آيسين من كل خير ساكتين متحيرين **﴿قوله التى لا ترغو﴾** من الرغاء وهو صوت ذات الخف يقال رغا البعير يرغو رغاء اذا صوت والمبلاس الناقة اذا لم ترغ من شدة الضبعة وهى شدة شهوة الناقة للفحل **﴿قوله يكفرون بآلهتهم﴾** على ان الباء فى قوله بشركائهم صلة كافرين وما قيل بعده على ان الباء للسببية **﴿قوله وكتب فى المصحف شفعؤا وعلمؤا بنى اسرائيل بالواو﴾** قبل الالف على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتب الصلوة والزكوة والربوا واعلم ان الالف المكتوبة على صورة الواو ان كانت فى الآخر جمع بينها وبين الواو فى الرسم كما فى الربوا وعلمؤا بخلاف الالف المتوسطة كما فى الصلوة والزكوة **﴿قوله لقوله فاما الذين﴾** وجه الاستدلال ان الفاء فيه لتفصيل ما اجمل بقوله يتفرقون **﴿قوله يحبرون﴾** اى يتلألأ ت وجوههم قال الراغب الحبر الاثر المستحسن ومنه ما روى انه يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه والحبير التحسين والفاء فى قوله تعالى فاما الذين آمنوا لتفصيل ما اجمل فى قوله يومئذ يتفرقون باسناد التفرق الى فريق المؤمنين والكافرين على الاجمال ثم فصل حالهما وبين مصيرهما بما هو وعد فى حق احدهما ووعيد فى حق الآخر ثم فرع على هذا الوعد والوعيد قوله فسبحان الله الآية فان الفاء فيه فاء الجزاء لشرط محذوف والا لم يكن للكلام وجه ارتباط بما قبله كانه قيل اذا تقرر عندكم مصير كل واحد من الفريقين واتضح عاقبة المؤمنين من اهل طاعته القائلين اليها فسبحوا الله تعالى تسبيحا فى هذه الاوقات وهذا معنى قول المصنف ان قوله تعالى فسبحان الله فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى ولم يجعله امرا حقيقة بان يكون المصدر منصوبا بفعل الامر لكونه مصدرا جزاء الجزاء والامر بل الجمل الانشائية مطلقا لا يصح تعليقها بالشرط لان الانشاء ايقاع المعنى بلفظ يقارنه ولو جاز تعليقه لزم تأخره عن زمان التلفظ وانه غير جائز وانما المعلق بالشرط هو الاخبار عن انشاء التمنى والترجى وانشاء المدح والذم والاستفهام ونحوها فاذا قلت ان صنعت كذا غفر الله لك او قم ماصنعت كان المعنى فقد فعلت ما تستحق بسببه ان يغفر لك او ان تمدح بسببه الا ان الجملة الانشائية اقيمت مقامه للمبالغة فى الدلالة على الاستحقاق فمعنى الآية اذا كان الامر كما تقرر فانتم تسبحون الله تعالى فى الاوقات المذكورة وهو فى معنى الامر بالتسبيح فيها وكذا قوله تعالى وله الحمد اخبار فى معنى الامر بالثناء عليه فكأنه قيل اذا تقرر ذلك فعليكم تسبيح الله تعالى وتحميده المؤديين وصلا الى الوعد وتخلصا من الوعيد وقوله التى تظهر فيها قدرته اشارة الى وجه تخصيص هذه الآية بالتنزيه وقوله وتتجدد فيها نعمته اشارة الى وجه تخصيصها بالثناء **﴿قوله او دلالة﴾** عطف على قوله اخبار فى معنى الامر لا على مجرد كونه اخبارا لما ان كونه جواب الشرط يستلزم كونه اخبارا البتة وانما الاحتمال فى كونه فى معنى الامر او لمجرد الدلالة على ان ما يحدث فيها من الدلائل الدالة على تنزيهه تعالى عن سمات العجز والامكان واستحقاقه الحمد والثناء بكل لسان من السن الملائكة والانس والجان **﴿قوله لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر﴾** من حيث انه يتبدل فيهما احد الضدين بالآخر كتبدل الظلمة بالنور وبالعكس وكتبدل ما يشبه الحياة بما يشبه الموت وبالعكس والصبح والمسى من الافعال الناقصة الا ان قوله تمسون وتصبحون فى الآية من الافعال التامة بمعنى تدخلون فى المساء وتدخلون فى الصباح

وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشيت العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اى وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك مافاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك مافاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحي من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من الحي) النطفة والبيضة او يعقب الحياة بالموت وبالعكس (ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) بيبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة بالموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء (ومن آياته ان خلقكم من تراب) اى في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر (لتسكنوا اليها) لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب التنافر (وجعل بينكم) اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس (مودة ورحمة) بواسطة الزواج حالة الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ما في ذلك من الحكم

وكذا تظهرون اى تدخلون في الظهيرة ﴿قوله وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح﴾ وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة مبني على كون قوله وعشيا معطوفا على قوله في السموات والارض لانه لو كان معطوفا على قوله تمسون كما ذهب اليه عامة المفسرين لكانت الاوقات المذكورة باسرها اوقات التسبيح ولكان المعنى سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون وحينئذ يكون قوله وله الحمد اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدة الاعتراض التنبيه على انهم انما يسبحون في هذه الاوقات بتمكين الله تعالى اياهم وتوفيقه لهم فعليهم ان يحمدوا الله تعالى اذا سبحوه كما قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم ﴿قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما﴾ عطف من حيث المعنى على قوله في معنى الامر بتنزيه الله تعالى فانه بمنزلة ان يقال المراد بالتسبيح التنزيه وهذا المعطوف بمنزلة ان يقال المراد به الصلاة بطريق تسمية الشيء باسم ما فيه وما بعده من الاحاديث تؤيد كون التسبيح على اصل معناه فانه اذا قيل سبح فلا يكون الا انه قال سبحان الله وكذا كبر وحوقل معناه قال الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ﴿قوله وقرئ حينا﴾ بالتنوين فتكون الجملة بعده صفة له بحذف العائد كما في قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والده عن ولده اى لا يجزي فيه ثم انه تعالى بين استحقاقه التحميد والتسبيح ببيان انه يخرج احد الضدين من الآخر وبيان ان الابداء والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرته فقال يخرج الحي من الميت الى آخره فهذه الآية كالدليل على قوله الله يبدئ الخلق ثم يعيده ﴿قوله تعالى ومن آياته﴾ خبر مقدم لقوله ان خلقكم اى ومن آياته الدالة على كمال قدرته المستلزم لوحدانيته وتفرده في الالوهية خلق اصلكم من تراب ثم نشركم ونشركم على وجه الارض وهم المراد في الآية بينهم وانتشارهم في الارض وبين كونهم مخلوقين من اصل واحد واذا للمفاجأة للدلالة على ان ذلك البث والانتشار لم يكن بعد انقضاء زمان مديد منذ زمان خلق اصلكم ﴿قوله تنتشرون﴾ صفة لبشر لان المراد به الجنس ﴿قوله لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام﴾ اى من عظم جنبه جعل ضمير لكم وانفسكم متناولا لآدم عليه الصلاة والسلام ولمن بعده من آحاد الناس فهم اموات لا يصلحون للخطاب بطريق تغليب الاحياء على الاموات ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد على الآحاد غير مرعي في هذا التوجيه والظاهر انه جعل ذلك الاصل اكثريا لا كليا ﴿قوله او لانهن من جنسهم﴾ يعني ان قوله من انفسكم بمعنى من جنسكم كما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا اليها فان سكون النفس وميل القلب لا يتوقف على كون المسكون اليه منفصلا منه وانما يتوقف على الاتحاد في الجنس فان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الآخر ﴿قوله حالة الشبق وغيرها﴾ لف ونشر على ترتيب قوله مودة ورحمة فان كل واحد من الزوجين يود صاحبه حال شبابهما وغلبة شهوتهما ويعطف عليه ويرحمه حال كبرهما رعاية لحق قدم المصاحبة وان انقطعت حاجة نفسه اليه فان العطف الواقع في تلك الحال ليس بسبب المحبة وانما هو بسبب الرحمة ﴿قوله او بان تعيش الانسان الى آخره﴾ ناظر الى قوله او بين افراد الجنس مع قطع النظر عن علاقة الازواج ﴿قوله لقوله ورحمة منا﴾ قال تعالى في حق عيسى عليه السلام ولنجعله آية للناس ورحمة منا والمراد بها عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية ورحمة ﴿قوله تعالى ان في ذلك﴾ اى فيما ذكر من خلق الازواج وجعل المودة والرحمة بين الزوجين لآيات لقوم يتفكرون في عظمة الله تعالى وقدرته فانه تدبير عجيب في بقاء نوع الانسان بتعاقب اشخاصه وفي ضمن هذا التدبير خلق البشر السوي من شيء يسير من المني وتربيته في بطن امه تسعة اشهر من غير خادم يخدمه ويقوم بمصالحه ثم اخراجه من بطن امه مع سلامة نفسه وامه آيات عجيبة تدل على كمال عظمة الله تعالى وقدرته فان ذلك لو كان من تدبير غير الله لافضى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا فان الولد لو سل من موضع ضيق بغير اعانة الله تعالى لمات ﴿قوله تعالى ومن آياته﴾ الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث والاحياء خلق السموات ورفعها في الهواء واقرارها فيه من غير عمد وخلق الارض وبسطها واقرارها على الماء او على الريح وكانت العرب مقرين بان الله تعالى هو المنفرد بخلقهما فبكتهم الله تعالى بان من قدر على خلقهما وعلى ما فيهما من بدائع الصنعة وبدائع الخلقة فلا يكون الا منفردا بالالوهية والربوبية قادرا على احياء الموتى ومجازاتهم على الاحسان والاساءة وفسر اختلاف الالسنة باختلاف اللغات لان انفس الالسنة ليست مختلفة بل هي على هيئة واحدة ﴿قوله بان علم كل صنف لغة﴾ على ان تكون اللغات باسرها توقيفية لا اصطلاحية كما ذهب اليه الجمهور وقوله او الهمه وضعها على ان تكون اصطلاحية ثم ان التعليم لا يتوقف على تقدم العلم جريان

الاصطلاح عليها والا توقف ذلك الاصطلاح على لغة متقدمة واصطلاح سابق وهلم جرا فاما ان يدور او يتسلسل بل طريق التعليم ان يخلق الله تعالى في كل صنف منا ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعاني وباختصاص كل لفظ من تلك الالفاظ بواحد من تلك المعاني والضروري ههنا بمعنى الاولى الحاصل بمجرد التفات العقل من غير ان يتوقف على شئ آخر من حدس او تجربة او الهام وهو القاء المعنى في النفس سواء القاه الله بالذات او بواسطة الملك فالعلم الضروري باى لفظ موضوع لاى معنى مقابل لما يحصل بالالهام ﴿قوله او اجناس نطقكم﴾ اى ويحتمل ان يكون المراد باختلاف الالسنة اختلاف الكيفيات العارضة للاصوات والالفاظ المنطوقة مع اتحاد اللغة فانك لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا في جهارة ولا في حدة ولا لين ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذا اختلاف الوانهم وصورهم وهيئاتهم مع انهم وان رجل واحد وامرأة واحدة وان اصل الكل واحد وهو الماء والتراب فاختلاف السمات والصفات وتفاوت الالوان والكيفيات بحيث لا يشبه وجه وجها مع اتحاد الصورة ولا تشبه نغمة نغمة على اتحاد الآلة دليل واضح على كمال قدرته ونفاذ مشيئته ولطف حكمته فان تمايز الاقارب والاجانب وتعارف اصحاب المعاملات بعضها مع بعض يتوقف على ما ذكر من الاختلاف فانه لو اتفقت الافراد الانسانية بحسب العوارض والمشخصات لوقع الاشتباه والالتباس بينهم ولادى الى تعطيل الامور الجمة والمصالح الكثيرة ﴿قوله وحلاها﴾ جمع حلية بمعنى الصفة ﴿قوله لاستراحة القوى النفسانية﴾ وهي بحسب القسمة الاولى قوتان محركة ومدركة والمحركة اثنتان شهوية تجذب بها النفس ما يلائمها وغضبية تدفع بها ما لا يلائمها والمدركة عشر خمس منها الحواس الظاهرة وخمس منها الباطنة الحس المشترك الذي تجتمع فيه صور جميع المحسوسات والخيال الذي هو خزانة الحس المشترك والوهم الذي به تدرك النفس المعاني الجزئية والمتصرفة التي هي مناط التركيبات والتحليلات وتعلق بها استنباط الصنائع العجيبة والافكار الغريبة والذاكرة وهي خزانة الصور الوهمية كما ان الخيال خزانة الصور الحسية • وللنفس قوى اخر لا مدركة ولا محركة وتسمى القوى الطبيعية وهي سبع الغاذية التي تتصرف في مادة الغذاء وتوصل الاغذية الى اعضاء المتغذي والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة وللنفس ثلاث قوى سوى هذه القوى المذكورة وهي روح حيواني وروح طبيعي وروح نفساني والروح الحيواني هو البخار اللطيف الحاصل من غليان الدم الكائن في تجويف الصنوبري وذلك البخار منبت في الجانب الايسر من اللحم الصنوبري والذي انفصل منه واتصل بالكبد يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة والطبخ والافعال النباتية والذي يتصاعد منه الى جانب الدماغ بواسطة الشرايين يسمى روحا نفسانيا وتتوطد به الافعال الحيوانية وهو لغاية لطافته يسري وينفذ في جميع العروق والاعضاء والله اعلم • ولا شئ من القوى الطبيعية تتعطل بالنوم حتى يكون النوم استراحة لها لكنها تتقوى بسببه بخلاف القوى النفسانية فان اكثرها يتعطل بالنوم فيكون النوم سببا لاستراحتها ولما لم يكن النوم مختصا بالليل لكون القيلولة وقت الظهيرة عادة اكثر الناس وكذا لم يكن طلب المعاش مختصا بالنهار لوقوعه في الليل ايضا قدم احتمال ان لا تكون الآية من قبيل اللف والنشر حيث قال منامكم في الزمانين وطلب معاشكم فيهما ثم ذكر احتمال كون الآية من باب اللف حيث ذكر في تفسيرها ما يدل على اختصاص كل واحد من الزمانين بواحد من الفعلين فقال او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فخص كل واحد من الفعلين بزمان على حدة واقتصر على عطف احد الفعلين على الآخر ولم يعطف احد الزمانين على الآخر بل خص كل زمان بما وقع فيه من الفعل ليظهر ان النظم وارد على طريق اللف ثم قال فلف اى ذكر الزمانين ثم ذكر ما وقع في كل واحد منهما من غير تعيين ان ما وقع في كل واحد منهما اى فعل من الفعلين المذكورين اعتمادا على كون التعيين معلوما للسامع فان اللف عبارة عن ذكر متعدد مع ذكر ما لكل من آحاد ذلك المتعدد من غير تعيين اعتمادا على ان السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد المذكور الى ما هو له ثم قال ويؤيد الاحتمال الثاني قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ﴿قوله فان الحكمة فيه﴾ اى في جعل الزمانين محلا للفعلين ظاهرة اشار به الى وجه تخصيص هذه الآية بقوله لقوم يسمعون والآية السابقة بقوله لقوم يتفكرون ﴿قوله مقدرة بان﴾ المصدرية حتى تكون مع ما في حيزها مبتدأ وما قبلها خبره على وفق نظائره ولما حذفت ان بطل عملها وعاد الفعل مرفوعا كما في قوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • ويروى

﴿ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم﴾ لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية ﴿والوانكم﴾ بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور اللاحقة لهما في التخليق يختلفان في شئ من ذلك لا محالة ﴿ان في ذلك لآيات للعالمين﴾ لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ مقدر بان كقوله شعر

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى •
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي •

او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح *

(خوفا) من الصاعقة للمسافر (وطمعا) فى الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم اوله على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها (وينزل من السماء) وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف (ماء فيحيي به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكوّنها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيز هما المعين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون) عطف على ان تقوم على تأويل المفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايتها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما لتراخى زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادى فطلع الىّ لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو اهون عليه) والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد (وله المثل) الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن صبر ويقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية (الاعلى) الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه (فى السموات والارض) يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته

برفع احضر ونصبها وحسن حذف ان فيه لدلالة ما بعده عليه وهو قوله * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى * وقد ينزل الفعل بنفسه منزلة المصدر كما فى قوله * تسمع بالمعيدى خير من ان تراه * اى سماعك به وهو مثل يضرب للرجل الذى له صيت فى الناس فاذا رأيته ازدريته فالمعيدى تصغير معدى منسوب الى معد خففت الدال استثقالا للجمع بين التشديد ويباء التصغير فتقدير الآية على تقدير ان ينزل الفعل منزلة المصدر اى ومن آياته اراءتكم البرق ووجه كونها آية ان السحاب ليس فيه الا الماء والهواء وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال فى غاية البعد فلا بد له من خالق قادر على جميع ما يشاء ثم ذكر لارتفاع يريكم وجها ثالثا وهو كونه صفة لمحذوف والتقدير ومن آياته آية يريكم الله تعالى بها البرق فحذف الموصوف وعائده كما فى قول الشاعر

* فما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح *

اى فمنهما تارة اموت فيها ﴿قوله على العلة لفعل يلزم المذكور﴾ لا لنفس الفعل المذكور لان شرط انتصاب المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والله تعالى منزه عن الخوف والطمع فاحتيج الى ان يقال فى تأويل الآية يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا على طريقة اقامة عاقبة الفعل مقام علته ﴿قوله قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما﴾ فان السماء وان كانت تتحرك حركة وضعية الا انها ثابتة فى حيزها لا تخرج عنه ولا يميل بعض جوانبها بل تثبت على الهيئة التى خلقت عليها من غير عمد ترونها وكذا الارض مع غاية ثقلها تثبت فى مكانها ولا تنزل ولا تتسفل وما يمسكهما الا الله القادر على ما يشاء ولم يفسر قوله تعالى بامره بان يقول اى بقوله كن قوما فى حيزكما مع انه هو الاوفق لقوله انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون لان كون الامر سببا لقيام الجمادات او تكوّنها لا يخلو عن بعد فجعل الامر بالقيام مجازا عن الاقامة وارادة القيام من شبه تكوّن الكائنات عند تعلق الارادة بتكوّنها بامتثال المأمور المطيع لامر الآمر المطاع عبر عن تعلق الارادة بالامر للمبالغة فى الدلالة على كمال القدرة والاستغناء عن مزاولة الآلة وليس هناك امر اصلا حتى يقال الامر الذى للتكوين مستلزم للارادة بالاتفاق بيننا وبين المعتزلة بخلاف الامر الذى للتكليف فانه مستلزم للارادة عندهم ﴿قوله عطف على ان تقوم على تأويل المفرد﴾ يعنى ان ما بعد كلمة ثم جملة شرطية عطفت على المفرد لاقامتها مقام المفرد لافادتها فائدة المفرد على اسلوب قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا فانه فى معنى وامن داخله وفائدة هذا الاسلوب الاشعار بانه مع كونه آية مستقلة خارجة من عداد ما سبق من الآيات حكم مقصود بذاته مع قطع النظر عن كونه آية ﴿قوله ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى﴾ لاشتراكهما فى الدلالة على التعقيب ﴿قوله منقادون لفعله فيهم﴾ يعنى ان المراد بالقنوت الانقياد فيدل على جميع ما اراد الله تعالى فى حقهم وما فعل بهم من الاحياء والاماتة والصحة والسقم والحركة والسكون وغير ذلك لا الانقياد برعاية ما كلفوا به من امتثال الاوامر والاجتناب عن المعاصى وهو دليل على وحدانيته لان جميع الكائنات لما كانوا منقادين لارادته ومشيئته ثبت انه لا شريك له اصلا لان الشريك يكون منازعا فشريك الآخر فى مقتضى ارادته ثم استدل على الاصل الآخر وهو القدرة على الحشر والاعادة بقوله وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولعدم كون شئ اسهل من شئ بالنسبة الى قدرة الله تعالى وان كل واحد من الابداء والاعادة مساو للآخر بالنسبة اليه تعالى قيل ضمير عليه للخلق اى والعود اهون على الخلق وهذا على تقدير ان يكون اهون للتفضيل فانه يدل على كون الاعادة اهون عليه من الابداء وليس كذلك واما اذا كان صفة بمعنى هين كقوله الله اكبر فحينئذ لا حاجة الى التوجيه لانه لا يدل على كون بعض الممكنات اهون من بعض بالنسبة الى قدرته تعالى ﴿قوله اى الوصف العجيب الشان﴾ استعير لفظ المثل من معناه العرفى وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده للوصف العجيب تشبيها له بالمثل السائر لانه لا يضرب الا لما فيه غرابة وامر عجيب وقوله فى السموات متعلق بما تعلق به قوله وله او بمحذوف على انه حال من الاعلى او من المثل ومعنى ثبوته له تعالى فى السموات والارض انه تعالى عرف ووصف به فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل ثم انه تعالى لما استدل على وحدانيته بقوله وله من فى السموات والارض شرع فى بيانها بالمثل فقال عز من قائل ضرب لكم مثلا من انفسكم اى بين الله لكم ايها المشركون مثلا اى شبها لحالكم التى هى اثبات الشريك لله تعالى وذلك الشبه منتزع من احوال انفسكم ومن الاحوال التى لا ترضونها فى حقكم ضربه لتقريب الامر من الافهام المشركين ثم بين ذلك المثل

فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم ومن في قوله من انفسكم لابتدآء الغاية وهو في موضع الصفة لمثلا اي مثلا مأخوذا
منها ومن في قوله مما ملكت للتبعيض والجار والمجرور في محل النصب على انه حال من شركاء لانه في الاصل
نعت نكرة هي شركاء والتقدير هل لكم شركاء كائنون مما ملكته ايمانكم فلما قدم عليها انتصب على الحال ومن في قوله
من شركاء مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي فانها لاتزاد في الاثبات الا عند الاخفش والجار مع
المجرور في محل الرفع على انه مبتدأ ولكم خبره قدم عليه وقوله فانتم فيه سوآء جملة من مبتدأ وخبر في موضع فعل
وفاعل وهما فتستووا وقوله فيه متعلق بسوآء ومحلها النصب على جواب الاستفهام الذي بمعنى النفي كأنه قيل هل
لكم من كيت وكيت فتستووا والمعنى انهم لايملكون فيساووكم هذا ما ذكره ابو البقاء فقوله فانتم فيه سوآء جملة
اسمية في موضع نصب جواب الاستفهام اي هل لكم فتستووا انتهى كلامه بعبارته وفيه نظر لانه كيف يجوز
ان تجعل الجملة الاسمية حالة محل الجملة الفعلية ويحكم على موضع الاسمية النصب باضمار ناصب وهذا لايجوز الا
ان يقال ان الحكم بهذه الجملة الاسمية جواب الاستفهام المذكور قبله وهذا كلام حق **قوله تعالى فانتم فيه
سوآء** اي هل انتم ومماليككم في شئ تملكونه انتم سوآء وليس كذلك ولما لم يكن لله تعالى شريك في شئ كان
لايملك الذي تدعون الهيته شيأ اصلا فلايعبد لعظمته ولالنعمة تصل اليكم منه وقوله تعالى تخافونهم فيه وجهان
احدهما انه خبر ثان لانتم تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضا ايها الاحرار
السادات والمراد نفي الاشياء الثلاثة اعني الشركة والاستوآء مع العبد وخوفهم اياهم وليس المراد نفي ثبوت
الشركة ونفي الاستوآء والخوف كما هو احد الوجهين في قولك ماتأتينا فتحدثنا بمعنى ماتأتينا محدثا بل تأتينا
ولاتحدثنا بل المراد نفي الجميع كما تقدم والوجه الثاني ان تخافونهم في محل النصب على انه حال من ضمير الفاعل
في سوآء اي فانتم فيه مستوون خائفين عبيدكم خيفة مثل خيفتكم الاحرار الذين هم امثالكم اذا كان بينكم وبينهم
شركة فاذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم في المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له ٭ واعلم ان المثل لابد
ان يشابه الممثل به من وجه ويخالفه من وجه آخر ووجه المشابهة ههنا ظاهر واما وجه المخالفة فقد اشير اليه
في الآية بوجوه الاول اشير اليه بقوله من انفسكم اي من نسلكم مع حقارة انفسكم ونقصانها وعجزها وجلالته
تعالى وعظمته وقدرته وكماله واشير الى الثاني بقوله مما ملكت ايمانكم اي من عبيد لكم عليهم ملك اليد الطاري القابل
للنقل والزوال اما النقل فالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق ٭ ومملوكه تعالى لاخروج له من الملك بوجه من الوجوه
فاذا لم يجز ان يكون مملوك غيركم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم
في الآدمية حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء
الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله تعالى الذي لايتصور خروجه عن ملك الله تعالى وهو مملوك له من جميع
الوجوه شريكا له واشير الى الثالث بقوله من شركاء فيما رزقناكم يعني في الذي هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن
رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم وفي ظاهر الامر فكيف يجوز ان يكون له
تعالى شريك فيما هو له حقيقة بل كل شئ فهو لله تعالى وما تدعون الهيته لايملك شيأ اصلا فلايعبد لعظمته
ولالنعمة تصل اليكم منه واما قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك لانه اذا لم يكن لما ملكت ايمانكم مع مساواته
اياكم في الحقيقة والصفة حرمة عند كم كحرمة الاحرار فكيف يكون حال المماليك الذين لامساواة بينهم وبين المالك
الحق وجه من الوجوه هل يتصور أن يكون لهم حرمة عند المالك المطلق والى هذا اشير بقوله تعالى تخافونهم
كخيفتكم ثم انه تعالى لما بين بطلان الشرك بما ضربه من المثل بعد بيان دلائل الوحدانية وبعد ما بين حسن ذلك
التمثيل بقوله وكذلك نفصل اي مثل ذلك التفصيل العجيب والبيان الغريب نبين الآيات قال بل اتبع الذين ظلموا
اهوآءهم اي لكن الذين اشركوا اتبعوا اهوآءهم فيما ذهبوا اليه من الشرك من غير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم
بين ان ذلك بارادة الله تعالى حيث قال فمن يهدي من اضل الله اي هؤلاء اضلهم الله فلاهادي لهم فلاتعرض
شأنهم ثم قال اذا بان لك بطلان الشرك بما اوضحناه من الآيات فاقم وجهك للدين حنيفا اي غير ملتفت يمينا
وشمالا هنا على ان يكون حنيفا حالا من فاعل اقم او غير ملتفت عنه على ان يكون حالا من الدين والحنف
من الحنف وهو الاعوجاج في الرجل بان تقبل احدى ابهامي رجليه على الاخرى والرجل احنف وقد سمى المسلم
المستقيم في امر الدين حنيفا بطريق تسمية احد الضدين باسم الآخر تلفيا كما يسمى الغراب اعور اولكونه مائلا

(ضرب لكم مثلا من انفسكم) منتزعا
من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم
(هل لكم مما ملكت ايمانكم) من مماليككم
(من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال
وغيرها (فانتم فيه سوآء) فتكونون انتم
وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم
مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن
الاولى للابتدآء والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى
النفي (تخافونهم) ان يستبدوا بتصرف
فيه (كخيفتكم انفسكم) كما يخاف الاحرار
بعضهم من بعض (كذلك) مثل ذلك
التفصيل (نفصل الآيات) نبينها فان التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها (لقوم يعقلون)
يستعملون عقولهم في تدبر الامثال (بل
اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (اهوآءهم
بغير علم) جاهلين لايكفهم شئ فان العالم
اذا اتبع هواه ربما رده علمه (فمن يهدي
من اضل الله) فمن يقدر على هدايته (وما لهم
من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة
ويحفظونهم من آفاتها

الى الدين الحق فى كل حال وكل وقت ﴿قوله وهو تمثيل﴾ لان الدين هو الاقبال على طاعة الله تعالى بالجنان واللسان والاركان وهو ليس من قبيل الاعيان الخارجية حتى يتصور تقويم الوجه اليه حقيقة فلذلك جعله من قبيل التمثيل بمعنى انه شبه اقبال القلب على الدين وثباته عليه واهتمامه برعاية حدوده واركانه باقبال الشخص الى موضع معين وقصده اياه وتقويم وجهه الى جهته معتدا بانه لو انحرف عنه ضل عن مقصده فعبر عن المشبه باسم المشبه به وهو التقويم ثم اشتق منه اقم ﴿قوله نصب على الاغراء﴾ اى الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله او على المصدر اى المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله اى فطركم الله فطرة فسر الفطرة بالخلقة ثم بين ان المراد بها احد ثلاثة اوجه فتكون الخلقة على جميع تلك الوجوه بمعنى ما خلق عليه المكلف الوجه الاول ان تكون الفطرة عبارة عن قبولهم الحق وتمكنهم من ادراكه فانه تعالى خلق المكلفين على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين الحق وهو التوحيد والطاعة فلو تركوا عليها لاستمروا على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول ويقتضيه النظر الصحيح ولا يعدل عنه احد الا لآفة عارضة كالتقليد واغواء شياطين الانس والجن فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * كل من يولد يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها * قالوا يا رسول الله افرأيت من يموت وهو صغير قال * الله اعلم بما كانوا يعملون * قال الامام القاشانى فى تأويلاته قوله تعالى ولله المثل الاعلى اى الوصف الاعلى بالفردانية فى الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد فى معناه هو لا اله الا الله فاقم وجهك للدين التوحيد والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها واقامته للدين تجريده عن كل ما سوى الحق قائما بالحق والوقوف مع الحق غير ملتفت الى نفسه ولا الى غيره حنيفا مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التى هى طريق الاغيار والانداد لمن اثبت غيره باشراكه بالله فطرة الله اى الزموا فطرة الله وهى الحال التى فطرت الانسانية عليها من الصفاء والتجرد فى الازل وهى الدين القيم ازلا وابدا لا تتغير ولا تتبدل عن الصفاء الازلى ومحض التوحيد الفطرى وتلك الفطرة الازلية ليست الا من الفيض الاقدس الذى هو عين الذات من وقع عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق وانما يقع الانحراف والاحتجاب من غواشى النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلق والتربية والعادة اما الاول فلقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى * كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى * واما الثانى فلقوله عليه الصلاة والسلام * كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه * لا ان تتغير تلك الحقيقة فى نفسها عن حالها الذاتية فانه محال وذلك معنى قوله لا تبديل لخلق الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون تلك الحقيقة انتهى كلامه قدس سره * والوجه الثانى ان تكون الفطرة عبارة عن الدين الذى هو ملة الاسلام فان الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فان كل واحد منهما عبارة عما شرعه الله تعالى لعباده وسنه لهم على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه الا ان ذلك يسمى ملة باعتبار انه تعالى ازل فى حقه ما عليه العباد ويكتبونه ويتدارسونه فيما بينهم لان الملة من املت الكتاب اى امليت ويسمى دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنه وانقيادهم لامره من قولهم دان له اى ذل واطاع والناس مفطورون على ملة الاسلام ضرورة انهم مخلوقون على قبول ما تطابقت الادلة العقلية على حقيته وصدقه والاتصاف به فكانوا مخلوقين على الاسلام الى ان صرفهم عنه صارف فالظاهر على هذا الوجه ان يكون فطرة الله منصوبا على الاغراء اذ ليس لقولنا فطرهم الله فطرة هى الاسلام وجه ظاهر * والوجه الثالث ان يراد بالفطرة العهد المأخوذ عليهم بقوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ولكن لا عبرة بالايمان الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى انه عليه الصلاة والسلام قوله * يهودانه وينصرانه * جعله فى حكم ابويه مع وجود هذا الايمان الفطرى فيه ﴿قوله لا يقدر احد ان يغيره﴾ على تقدير ان يراد بفطرة الله خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام فان خلقهم على هذه القابلية امر تعلق به قضاء الله تعالى وارادته فلا يقدر على تغييره ﴿قوله او ما ينبغى ان يغير﴾ على تقدير ان يراد به الاسلام او الاقرار الفطرى فيكون لا تبديل نفيا فى معنى النهى ﴿قوله اذا رجع مرة بعد اخرى﴾ مبنى على ان همزة اناب للصيرورة

(فاقم وجهك للدين حنيفا) فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به (فطرة الله) خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعده (التى فطر الناس عليها) خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (لا تبديل لخلق الله) لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغى ان يغير (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة (الدين القيم) المستوى الذى لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى

وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب الرسول والامة لقوله (واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به (وكانوا شيعا) فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها (كل حزب بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا (واذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا اذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض (ام انزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به والوهيته (واذا اذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت ايديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم

بمعنى صار ذا اناب افعل من النوبة ﴿قوله من اناب﴾ وهو الحسن فكان القائل جعل همزة اناب للصيرورة بمعنى صار ذا اناب وجعله كناية عن التقوى بالانقطاع اليه تعالى ﴿قوله تعالى ولا تكونوا من المشركين﴾ قيل انه متصل بما قبله والمعنى فاقيموا الصلاة ولا تتركوها مشؤم تركها قد يفضي الى الكفر قال محمد بن اسلم الطوسي بلغنى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال من ترك صلاة متعمدا فقد كفر وقد كان بلغنى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فان وافق كتاب الله تعالى فاقبلوه وان خالفه فردوه فطلبت صحة الحديث الاول في القرآن ثلاثين سنة حتى وجدته في هذه الآية كذا في التيسير ﴿قوله ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل﴾ والتقدير كل حزب فرحون بما لديهم كائنون من الذين فرقوا دينهم وجعلوه اديانا مختلفة على حسب اختلاف اديانهم وانما رفع فرحون على انه صفة كل وان كان الشائع في مثله ان يكون تابعا للمضاف اليه لان كلا كاسماء العدد في ان الوصف الذي يجيء بعدها ينبغي ان يكون للمضاف اليه فانك تقول جاءني ثلاثة رجال كاملين ولا تقول كاملون ثم انه تعالى وبخ هذه الفرق المختلفة الاديان بقوله واذا مس الناس ضر اى شدة كالمرض والقحط ونحوهما يعني انهم يتفقون عند اصابة الضر في دعاء رب العالمين راجعين اليه من دعاء غيره ﴿قوله اللام فيه للعاقبة﴾ اى لم يترتب على اشراكهم سوى الكفر بنعمة الانجاء من تلك الشدة ثم انه تعالى اضرب عن توبيخهم على اشراكهم حال الرخاء وانابتهم اليه حال الشدة الى توبيخهم بوجه آخر وهو اتخاذهم الدين من غير حجة تدل على صحته فقال ام انزلنا عليهم سلطانا فان ام فيه منقطعة والهمزة التي في ضمنها للانكار اى انزلنا عليهم حجة تتكلم اى تدل وتشهد باشراكهم به اى بالله تعالى وصحته ويحتمل ان تكون ام متصلة ويقدر معادلها قبلها والتقدير ايشركون بمجرد التشهي واتباع الهوى ام انزلنا عليهم سلطانا فهم لذلك معذورون في الشرك في الرخاء مع اخلاصهم في الشدة ﴿قوله او بالامر الذي﴾ على ان تكون ما في قوله بما كانوا موصولة او ان يكون المراد بالسلطان ملك معه برهان لان نفس الحجة لا تتكلم بالامر الذي بسببه يشركون فان المراد بالامر دليلهم الذي اشركوا بسببه ثم ذكر من جملة قبائحهم بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة فقال واذا اذقنا الناس يعني الكفرة رحمة فرحوا بها فرح البطر وتركوا الشكر وان تصبهم سيئة اى امر يسوءهم من قحط ومجاعة بما قدمت ايديهم اى بسبب معاصيهم سواء كسبوها بايديهم ام لا وقيدها باليد اقامة للاكثر مقام الكل واتماما للاقل بالاكثر لان اكثر المعاصي يقع باليدي لم يذكر الله تعالى ما يكون سببا لاذاقة الرحمة وذكر سبب اصابة السيئة ايهم لان الاول تفضل من الله تعالى ورحمة محض لا تعتصبه شيء من اعمال العبد بخلاف الثاني فانه مقتضى العدل فانه تعالى يجازى المعصية بما يماثلها من العقوبة • فان قيل الفرح بالنعمة مأمور به لقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكيف ذمهم ههنا على الفرح بالرحمة فاجيب بان المأمور به الفرح برحمة الله تعالى من حيث انها مضافة اليه والمذموم ههنا هو الفرح بنفس الرحمة حتى لو كان المطر مثلا من عند غير الله تعالى لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله ولا شك ان قصر النظر على نفس النعمة مقتضى البهيمية بخلاف الفرح الناشيء من تذكر المنعم بها وملاحظة ان المنعم نظر اليه بعين الرأفة ونظر الرضى وفرق بين الفرحين ثم انه تعالى انكر على فرحهم حال الرخاء وقنوطهم حال البلاء فقال اولم يروا ان الله يبسط اى كيف يفرحون ويقنطون حال السراء والضراء او لا يعلمون ان ضر المرء ليس لهوانه على الله تعالى ولا سعته لكرامته عليه لكنه تعالى يمتحن عباده بما يشاء من العسر واليسر فعلى العبد ان يشكر حال السراء ويصبر على الضراء ويشتغل بالافتقار اليه في الحالين لا ان ينقطع عنه ويتعلق بالنعمة ولا ان ييأس من رحمته حال النقمة ﴿قوله كصلة الرحم﴾ يعني انه ليس المراد بحق ذي القربى حقا كان له عليك بل المراد به حاجته عندك من المواصلة والبر كما في قوله تعالى ما لنا في بناتك من حق اى حاجة قال قتادة اذا كان لك ذو قرابة فلم تصله من مالك ولم تمش اليه برجلك فقد قطعته وقال الزجاج وكان هذا من قبل فرض المواريث نسخت هذا واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه في وجوب النفقة للمحارم من ذوي القرابة اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعن الامام الشافعي رضي الله عنه لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين والمسكين اذا وقع في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن ممن تجب عليه الزكاة وكذلك من انقطع في مفازة ومع آخر دابة يمكنه ان يوصله بها الى من يلزمه ذلك واختلف في ابن السبيل فقيل المراد به المنقطع عن ماله فيمان

حتى يصل الى ماله وقيل المراد به الضيف الذى ينزل به فيحسن اليه الى ان يرجع ويرتحل وقيل اراد بحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما فى آية الصدقة ﴿ قوله وجوب النفقة للمحارم ﴾ اراد به المحارم بسبب القرابة فان مجرد المحرمية لاتوجب النفقة بالاجماع كالمحرمية بسبب الرضاع والمصاهرة كما لا يوجبها مجرد القرابة بدون المحرمية فان من كان ذارحم ولم يكن محرما كاولاد العم والخال لاتجب النفقة لهم ﴿ قوله وهو غير مشعر به ﴾ لان الظاهر انه امر بتوفير حقهم من الصلة فان صلة الرحم من الواجبات المؤكدة وحمله على الامر بالانفاق مع ان الظاهر كونه امرا بتوفير حقهم من الصلة لاوجه له ولا سيما ان المراد بايتاء المساكين وابن السبيل التصدق عليهما بالانفاق مع ان تخصيص ذوى القربى بذى الرحم المحرم تخصيص بلا مخصص ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون الخطاب لما ذكر رتب قوله فآت على ماقبله بالفاء فان الخطاب على تقدير كونه النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه امته اذا لم يكن الحكم المخاطب به من خصائصه عليه الصلاة والسلام ويكون تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالخطاب تعظيما له فكأنه قيل اذا علم ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لاينبغى لكم التوقف فى الاحسان الى المحتاجين فانه تعالى اذا شاء ان يبسط لكم الرزق فالظاهر انه لاينتقص بالانفاق وان شاء ان يضيق عليكم فلا يزداد بالامساك فلا يحصل لكم بالامساك الادناءة البخل ﴿ قوله او عطية يتوقع بها مزيد مكافأة ﴾ فان حمل الربا على هذه العطية لايخلو عن بعد لان نفس تلك العطية ليست بزيادة وانما الزيادة مايتوقع بها فلا يكون معطيها مؤتيا الربا فضلا عن ان يكون اعطاؤه ليربو فى اموال الغير بل يكون آخذا بخلاف من اعطى آكلة الربا فضلا خاليا عن العوض فانه معط الربا ليربو اى ليزيد فى اموال من اخذه شيأ فحمل الربا المذكور فى الآية على الزيادة المحرمة ظاهر الا انه لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ومن عامة اهل التأويل ان المراد بالربا هنا هدية الرجل يهديها ليثاب اكثر منها اقتفى المصنف اثرهم فسمى مهديها مؤتيا الربا ولعل اطلاق اسم الربا عليها لكونها سببا لاخذ الربا كما ورد فى الحديث «المستغزر يثاب من هبته» وهو الذى يطلب اكثر مما يهدى فان الغزارة الكثرة قوله يثاب اى يعوض ويجازى فعلى هذا يكون قوله ليربو مسندا الى ضمير الربا بمعنى العطية والمعنى ليزيد ذلك الربا فى جذب اموال الناس وجلبها وقوله فلا يربو عند الله اى ليس له اجر ثابت عند الله قال اهل التأويل هذا ربا حلال لاوزر فيه الا انه انما يباح فى حق عامة الناس واما فى حق النبى عليه الصلاة والسلام فلا يربو لقوله تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام ولاتمنن تستكثر اى لاتعط لتعطى اكثر منه ابتغاء لثواب الدنيا ولكن اعط ابتغاء لثواب الآخرة وقرأ عامة القراء آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير اتيتم مقصورا وهو يؤول من حيث المعنى الى القراءة المشهورة لانه يقال آتى معروفا واتى قبيحا اذا فعلهما وقرأ نافع ويعقوب لتربوا بضم التاء الفوقانية وسكون الواو على الخطاب اى لتزيدوا او تصيروا ذوى زيادة من اموال الناس وقرأ الآخرون بفتح الياء التحتانية ونصب الواو وجعلوا الفعل مسندا الى ضمير الربا اى ليزداد ﴿ قوله تريدون وجه الله ﴾ صفة زكاة فلا بد فيه من ضمير يعود الى الموصوف اى تريدون بها او حال من فاعل آتيتم والمقصود من التقييد الاشارة الى ان الاعتبار بالقصد والنية لابنفس الفعل والظاهر ان يقال فانتم المضعفون ليوافق قوله وما آتيتم الا انه التفت الى الغيبة فقيل فاولئك هم المضعفون لكونه امدح لهم من ان يقال انتم المضعفون لما فيه من تشهير امرهم بين خواص خلقه واظهار الرضى عنهم بحسن صنيعهم فكأنه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم المضعفون ولو قيل فانتم المضعفون لما حصل التشهير المذكور لكونه كلاما جاريا بينهم وبين الله تعالى ﴿ قوله ذووا الاضعاف ﴾ فيكون بناء افعل للصيرورة فاعل ذا ضعف كما فى اقتر بمعنى صار ذا فقر واقوى وايسر بمعنى صار ذا قوة ويسار وعلى الثانى للتعدية كما فى نحو اخرجته ﴿ قوله وتغييره عن سنن المقابلة ﴾ فان مقابلته بقوله وما آتيتم من ربا تستدعى ان يقال فى خبره فيربو ويزداد عند الله وعدل عن عبارة الربا الى عبارة الضعف وعن نظم الفعلية الى نظم الاسمية المفيدة للحصر للمبالغة فى بيان ثوابه ﴿ قوله او التعميم ﴾ فانه لو قيل فانتم المضعفون لم يكن الحكم الاعلى ذوات المخاطبين ولو اورد بدل انتم اسم الاشارة لكان المشار اليه المخاطبين لامن حيث ذواتهم بل من حيث كونهم مؤتين الزكاة فيكون المعنى من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون ﴿ قوله ان جعلت ماموصولة ﴾ فانه يجوز ان تكون شرطية وموصولة ويصح دخول الفاء فى الجواب على الوجهين فان كانت شرطية كان محلها النصب بآتيتم وان كانت موصولة كانت فى موضع رفع بالابتداء وعائدها محذوف

واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ماوظف لهما من الزكوة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اولمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته او جهته اى يقصدون بمعروفهم خالصا او جهة التقرب اليه لاجهة اخرى (واولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربوا) زيادة محرمة فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربوا (ليربو فى اموال الناس) ليزيد ويزكو فى اموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكو عنده ولايبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذوى ربوا (وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فاولئك هم المضعفون) ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم او اموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ماموصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون

اى والذى آتيتموه ويكون قوله فاولئك هم المضعفون خبرا اى جملة خبرية وهذه الجملة لابدّ فيها من العائد الى المبتدأ فان كان الالتفات فيه للتعظيم يكون تقدير الكلام فاولئك هم المضعفون به وان كان للتعميم يكون التقدير فمؤتوه اولئك هم المضعفون على ان مؤتوه مبتدأ ثان واولئك ثالث وهم المضعفون خبر الثالث والجملة خبر الثانى والثانى مع خبره خبر الموصول * ثم انه تعالى ذكر دليل القدرة ورتب عليه صحة الحشر واستدل بذلك على تفرّده بالالوهية فقال الله الذى خلقكم الآية فقوله الله مبتدأ خبره الذى خلقكم مع ماعطف عليه والمعنى الله فاعل هذه الافعال المختصة التى لايقدر احد على شئ منها غيره ومن المعلوم ان من قدر على الابتداء قدر على الحشر والاعادة ومن قدر على جميع ذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد كما دل عليه بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وقوله من شركائكم خبر مقدم ومن فيه للتبعيض ومن يفعل هو المبتدأ ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شئ بعده فانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا ومن الثالثة مزيدة فى المفعول به لانه فى حيز النفى المستفاد من الاستفهام والمعنى ليس من شركائكم من يفعل شيأ من ذلكم على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ﴿ قوله ويجوز ان يكون الموصول ﴾ اى ويجوز ان يكون قوله الذى خلقكم صفة للمبتدأ ويكون الخبر قوله هل من شركائكم والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ قوله من ذلكم لان معناه من افعالكم المختصة به لان المشار اليه بذلكم هو الخلق والرزق والاماتة والاحياء ومن المعلوم انها من افعال الله تعالى ﴿ قوله تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال ﴾ وذلك لان الاستفهام فيه فى معنى النفى ومن المعلوم ان كلمة من الواقعة فى سياق النفى تفيد الشيوع والعموم فالاولى تفيد شيوع الحكم فى جنس الشركاء والثانية تفيد شيوعه فى جنس الافعال فالمعنى ليس شئ من جنس الشركاء من يفعل شيأ من جنس الافعال المختصة به تعالى ﴿ قوله والموتان ﴾ وهو بضم الميم موت عام يقع فى المواشى وقيل فى الناس والدواب * والحرق والغرق كل واحد منهما بفتحتين على وزن الشفق اسم بمعنى الاحراق والاغراق * والاخفاق الخيبة يقال اخفق الرجل اذا غزا ولم يغنم واخفق الصائد اذا رجع ولم يصد شيأ وطلب حاجة فاخفق * والغاصة جمع غائص وهو من ينزل فى البحر على اللؤلؤ وكثرة الغرق واخفاق الغاصة مثالان لما ظهر فى البحر من الفساد على ان المراد بالبحر البحر المعهود قيل فساد البحر يكون بقلة المطر فانه اذا قل المطر قل الغوص لان الاصداف تفتح افواهها اذا مطر فما وقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ فظهر به ان قلة المطر كما تفسد البر تفسد البحر وقيل المراد به ههنا المدائن والقرى التى كانت على شاطئ نهر او بحر وبالبر البرية التى ليست عند نهر او بحر قال السدى البر كل قرية من قرى العرب نائية من البحار كمكة والمدينة والبحر كالكوفة والشام والبصرة وقيل كانت العرب تسمى الامصار بحرا قيل من اذنب ذنبا يكون جميع الخلائق من الانس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماءه يوم القيامة لانه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيتضرر بذلك اهل البحر والبر جميعا روى عن شقيق الزاهد انه قال من اكل الحرام فقد خان جميع الناس قيل اول فساد البر كان من قابيل حيث قتل اخاه هابيل واول فساد البحر كان من جلندى الملك حيث كان يأخذ كل سفينة غصبا قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لايأتى ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لايقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعر مافى الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضه بعضا ﴿ قوله او الضلالة والظلم ﴾ عطف على قوله كالجدب والموتان اى ويجوز ان يراد بالفساد الظاهر فى البر والبحر فساد الاعمال والاخلاق كالظلم والضلالة كما جاز ان يراد به فساد اسباب المعاش كالجدب ونحوه عاملهم الله بهم بشؤم معاصيهم فكلمة ما فى قوله بما كسبت ايدى الناس على الثانى موصولة والباء سببية اشار المصنف اليه بقوله بشؤم معاصيهم وعلى الاول مصدرية اشار اليه بقوله بكسبهم اياه واللام فى قوله تعالى ليذيقهم على الثانى للتعليل والمعنى فعل الله بهم ماظهر من فساد اسباب المعاش كالجدب ونحوه ليذيقهم بهذا الفساد ومحق البركات بعض جزاء ماعملوا وعلى الاول للعاقبة فان ماظهر من الفساد فى افعالهم واخلاقهم ليس غرضهم من كسبه ان يذيقهم الله تعالى وبال ما كسبوا لكن لما ترتب ذلك على كسبهم اياه ترتب العلة الغائية على معلولها دخل عليه لام العلة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ثم انه تعالى لما هدد المفسدين ببيان ان المعصية سبب لتحصيل بعض العقوبة فى الدنيا عقبه بقوله قل سيروا فى الارض لتشاهدوا مصداق ذلك فان اهل مكة لوساروا منها

(الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) اثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاءه من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفى وكل منها مستقلة بالتأكيد لتعجيز الشركاء (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى الجزر (بما كسبت ايدى الناس) بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه وفى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة او العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما هم عليه

(قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) ليشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه (كان اكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم (فاقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له) لا يقدر ان يرده احد وقوله (من الله) متعلق بيأتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال (من كفر فعليه كفره) اي وباله وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله (انه لا يحب الكافرين) فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (ومن آياته ان يرسل الرياح) الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه (ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله) يعني تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا) بالتدمير (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك

الى الشام لتشاهدوا بلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوها وعلموا انه تعالى اهلكهم بما كسبت ايديهم وخرب ديارهم واذاقهم بعض جزاء عملهم القبيحة في الدنيا وهو اعلم بما يعمل بهم في العقبى ﴿قوله استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم﴾ يعني الاستئناف على هذا انه تعالى اهلكهم جميعا بفشو الشرك فيما بينهم وانه تعالى اهلك العامة بسبب الشرك وحده وان لم يتفق الكل عليه الا انه لما شاع وغلب فيهم جعل الكل في حكم المشرك وهلكوا جميعا بسببه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴿قوله او كان الشرك في اكثرهم الى آخره﴾ يعني الاستئناف على هذا انهم اهلكوا جميعا بما كسبت ايديهم ولم يهلك احد من غير معصية الا ان سبب هلاك اكثرهم هو الشرك الظاهر وسبب هلاك الباقين ما دون الشرك من المعاصي كاعتداء اصحاب السبت ونحوهم ثم انه تعالى لما بين ان المعاصي سبب لسخط الله تعالى في الدنيا امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يستقيم على الدين القويم تثبيتا للمؤمنين على ما هم عليه الا انه تعالى خاطب به سيدهم تعظيما له ولكونه عليه الصلاة والسلام واسطة بينه تعالى وبين الامة ﴿قوله كما قال من كفر فعليه كفره﴾ يعني انه بيان لوجه التفرق ببيان انه تعالى غني عنهم وعن اعمالهم ﴿قوله والاقتصار﴾ جواب عما يقال اذا كان علة ليصدعون كان ينبغي ان يذكر جزاء الكافرين ايضا ﴿قوله فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين﴾ فان عدم محبة الكافر كما يتضمن محبة ضده وارادة اللطف والاكرام به يتضمن ايضا بغض الكافر وارادة الانتقام منه ولا شك ان بغضه تعالى لاحد وارادة الانتقام منه كمال العقوبة ومؤد الى اسوأ الجزاء والعياذ بالله فاكتفى بهذه الدلالة الضمنية عن التصريح بجزاء الكافرين ﴿قوله وتأكيد اختصاص الصلاح بهم﴾ اصل الاختصاص يفهم من تقييد من بقوله عمل صالحا وتأكيده يفهم من وضع الظاهر موضع الضمير في قوله ليجزي الذين آمنوا فان مقتضى الظاهر ان يقال ليجزيهم فلما وضع الموصول موضع الضمير وجعل الصلاح صلة له اكد به اختصاص الصلاح بهم وتمييزهم به عن اضدادهم فقصد بهذا التأكيد تعليل اثبات البغض للكافرين واثبات المحبة للمؤمنين وكونه علة لمجازاة المؤمنين من فضله ظاهر واما كونه علة لبغض الكافرين فلكون اختصاص الصلاح بالمؤمنين يتضمن فساد الكافرين وهو علة لبغضهم والانتقام منهم ﴿قوله وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر﴾ طعن لصاحب الكشاف ووجه الطعن ان الفضل اسم لما يتفضل به من غير استحقاق واستيجاب والاثابة كذلك عند اهل السنة فانه تعالى لا يجب عليه شيء وان المكلف لا يستحق ان يثاب بعمله مع انه سبق من نعم الله تعالى عليه ما لم يتهيأ له القيام بشكر واحدة منها فضلا عن ان يقوم بشكر كلها ويستحق بعد ذلك اجرا زائدا عليها بخلاف العقوبات فانها انما تصل الى العبد بحسب استحقاقه لها عدلا والمعتزلة ذهبوا الى وجوب اثابة المطيع على حسب الاستحقاق ولم يتأت لهم القول بان اصل الاثابة تفضل فلذلك فسره صاحب الكشاف بما يتفضل به عليهم بعد توفية الواجب من الثواب او اراد من عطائه ﴿قوله الشمال والصبا﴾ الرياح اربع الجنوب والشمال والصبا والدبور فريح الشمال تجيء من ناحية القطب والجنوب تقابلها والصبا تخرج من جانب المشرق والدبور تقابلها والنكباء ما بين الريحين ﴿قوله يعني المنافع التابعة لها﴾ اي لبشارتها بالمطر او لنفس الرياح فتكون من قبيل التعميم بعد التخصيص ثم التخصيص بعد التعميم والاول اظهر واولى ﴿قوله والعطف على علة محذوفة﴾ اي يرسل الرياح مبشرات ليبشركم بها وليذيقكم او على مبشرات باعتبار المعنى فان تقييد الفعل بالحال يدل على كونها علة له كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وعلى التقديرين يكون حرف الجر متعلقا بقوله ان يرسل فان جعل من قبيل عطف الجملة على الجملة وكان تقدير الكلام ويرسلها ليذيقكم ولكذا وكذا كان الجار متعلقا بالفعل المضمر المعلل لجري ووجه دلالة قوله ولتجري الفلك على اضمار الفعل ان جريان الفلك وابتغاء الفضل ليسا مرتبين على ارسال الرياح حال كونها مبشرات بل على ارسالها مطلقا فلما لم يتعلق بالفعل المقيد قدر فعل آخر يتعلق به ليذيقكم وقوله تعالى بامره اشارة الى ان الفلك لا تجري بطبع الريح بناء على انها قد تكون عاصفة وقد لا تكون ملائمة للقصد فحينئذ لا بد من ارساء السفن والاحسان بعيبها وعلى التقديرين لا تجري الفلك بنفسها ولا بالرياح بل انما تجري بارادة الله تعالى وجعله الريح موافقة للقصد ثم انه تعالى لما بالغ في تعديد دلائل الوحدانية والقدرة التامة على البعث والجزاء ثم اصر من اصر على الشرك والتكذيب سلى رسوله عليه الصلاة والسلام على وجه يتضمن التهديد والوعيد للمكذبين فقال ولقد

ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم والفاء فى قوله فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة تفصح ان فى الكلام مطويا وتقدير الكلام فجاؤهم بالبينات اى بالدلائل الواضحة على صدقهم فى دعوى الرسالة فصدقت طائفة منهم رسولها وآمنت به وكذبه الآخرون واجرموا فانتقمنا من الذين اجرموا بان اهلكناهم وانجينا من آمن منهم بالرسل ولاشك ان اهلاك اعدائهم وانجاءهم من شر اعدائهم ومما اصابهم من العذاب نصر لهم واعزاز لهم فلذلك قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث انجاهم مع الرسل واهلك المكذبين وقيل فى تفسيره وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث جعل العاقبة للمؤمنين كقوله والعاقبة للمتقين وقيل معناه وكان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجج التى اعطاهم اياها اى كان حقا علينا اعطاء الحجج لهم ونصرهم ومعونتهم بالحجج واورد الحديث لتأكيد ان اسم كان هو نصر المؤمنين وان المعنى دمرنا المجرمين نصرة للمؤمنين واظهارا لكرامتهم وعلى تقدير ان يوقف على حقا يكون اسم كان ضمير الانتقام وهو خلاف مايدل عليه الحديث لانه عليه الصلاة والسلام ذكر انه كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار جهنم واستدل عليه بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴿قوله فى سمتها﴾ اى فى جهة السماء وجوها الا فى نفسها كقوله وفرعها فى السماء ﴿قوله مطبقا﴾ من قولهم طبق الغيم تطبيقا اذا اصاب مطره جميع الارض ومطر طبق اى عام والكسفة القطعة من الشئ وتجمع على كسف بفتح السين مثل حكمة وحكم والكسف بالسكون يجوز ان يكون مخففا منه ويجوز ان يكون صيغة اخرى لجمع كسفة قال الجوهرى يقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا والكسف بالفتح مصدر كسفت البعير اذا قطعت عرقوبه وكذلك كسفت الثوب اذا قطعته ولم يذكر كون الكسف بالكسر مصدرا ﴿قوله تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر﴾ لاخفاء فى دلالة التكرير على التأكيد ووجه دلالته على بعد عهدهم بالمطر انه لما صرفت العناية الى بيان قلة الابلاس وتقدمه على نزول المطر بتكرير مايدل على القبلية دل ذلك على طول عهدهم بالمطر واستحكام شدتهم وحيرتهم من فقدان المطر فيكون استبشارهم بنزول المطر على قدر اهتمامهم بفقده انه حكى ان آدم عليه السلام ناجى ربه يوما فقال الهى اشهد انك عدل تحب العدل لاتظلم فى حكم تحكم به على خلقك اصلا ولاتجور فيما تقضى فما الحكمة فيما قضيت على من الهوان بعد ان اكرمتنى بكرامة لم تكرم بها احدا قبلى فاوحى الله تعالى اليه من لم يذق الم البعد لم يجد طعم القرب ومن لم يجد طعم القرب استخف به ومن استخف بقربى ووصلى فقد استوجب الحرمان ﴿قوله وقيل الضمير للمطر﴾ عطف على قوله تكرير للتأكيد فان الضمير حينئذ يكون للتنزيل ومن لم يجعله تكريرا جعل القول الثانى مضافا الى ضمير المطر وقد كان الاول مضافا الى تنزيله فلاتكرير لان تنزيل المطر قبل نزوله والمعنى كانوا مبلسين قبل تنزيل المطر الواقع قبل نزوله وقيل الضمير للسحاب لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه او للارسال الريح اى كانوا مبلسين من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبل ارسال الريح او من قبل نشر السحاب لان بعد الارسال وبعد السحاب يعرف الخبير ان الريح فيها مطر وان لم ينزل بعد فقبل تنزيل المطر انما يكون الخلق مبلسين قبل ارسال الريح وبسط السحاب ثم انه تعالى لما ذكر ان الودق يصيب بلاد المبلسين واراضيهم فيستبشرون به ويفرحون فرحا يظهر اثره فى بشرات وجوههم طمعا فى الخصب قال فانظر الى اثر رحمة الله اى فانظر يامن انكر البعث وشاهد حياة الارض بسبب نزول الغيث من خلال السحاب الى اثر الغيث النازل والى انه تعالى كيف يحيى الارض بانواع النبات بعد موتها اى بعد يبسها وجدبها فالمراد برحمة الله ههنا المطر سمى المطر رحمة تسمية للسبب باسم مسببه لانه انما يكون ويصل الى الخلق بسبب رحمة الله تعالى اياهم والمراد بآثار الرحمة مايترتب على نزول المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار وقرأ العامة كيف يحيى بياء الغيبة على اسناد الفعل الى الله تعالى او الى اثر الرحمة عند من قرأ اثر بالافراد ومن قرأ بلفظ الجمع جعل يحيى مسندا اليه تعالى وقرئ تحيى بتاء التأنيث على اسناده الى ضمير الرحمة ﴿قوله ومن المحتمل﴾ عطف على قوله كما ان احياء الارض احداث لمثل ماكان فيها من القوى يعنى انه قول حقيق بالاخذ والقبول فان احياء الارض عبارة عن اعادة مثل ماكان فيها من القوى الا انه لاينافى ذلك ان يكون من الكائنات الراهنة اى الناشئة المتجددة مايكون من مواد الاشياء المتفتتة فى بعض الاعوام السالفة التى من جنس الكائنات الراهنة بان يحدث الله تعالى فى تلك المواد مثل ماكان فيها من القوى والصور الزائلة منها ثم انه تعالى لما بين انهم عند تأخير المطر يكونون مبلسين وعند ظهوره

وقد وقف على حقا على انه متعلق بالانتقام (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى سمتها (كيف يشاء) سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) فى التارتين (فاذا اصاب به من يشاء من عباده) يعنى بلادهم واراضيهم (اذا هم يستبشرون) بمجئ الخصب (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى أثر رحمة الله) اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص (كيف يحيى الارض بعد موتها) وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة (ان ذلك) يعنى الذى قدر على احياء الارض بعد موتها (لمحيى الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ماكان فى مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ماكان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة مايكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء (ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا) فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله (لظلوا من بعده يكفرون) جواب سد مسد الجزاء

(يكونون)

ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار قلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي
يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه ﴿٥٥٥﴾ بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة
بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه (فانك لا تسمع الموتى) وهم مثلهم لما سدّوا عن الحق مشاعرهم (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئاً (وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم) سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان (فهم مسلمون) لما تأمرهم به (الله الذي خلقكم من ضعف) اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنه قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة وشيب وشيبة (وهو العليم القدير) فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة (يقسم المجرمون ما لبثوا) في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا (كذلك) مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق (كانوا يؤفكون) يصرفون في الدنيا (وقال الذين اوتوا العلم والايمان) من الملائكة او الانس (لقد لبثتم في كتاب الله) في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن

يكونون مستبشرين ذكر بعده انهم لو اصابت زروعهم ريح مفسدة لكفروا النعمة السابقة وجحدوها ولم يعطوا شيئاً من الاموال حقه فقال ولئن ارسلنا ريحا الآية قال تعالى اولا الله الذي يرسل الرياح على طريق الاخبار وقال ههنا ولئن ارسلنا ريحا بطريق الفرض والتقدير لان الرياح النافعة من رحمته وهي متواترة وهو تعالى رؤف بالعباد ليس من شأنه الافراط في التعذيب فلذلك ترى الرياح النافعة تهب في الليالي والايام وفي البراري والآكام وريح السموم لا تهب الا في بعض الازمنة وفي بعض الامكنة وعبر عن الريح النافعة بلفظ الجمع وعن الضارة بلفظ الواحد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وذلك لان النافعة كثيرة الانواع والافراد والضارة لا تهب الا نادرا ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكونه سادّاً مسدّ الجزاء فسر بالاستقبال لان كل واحد من الشرط والجزاء لا بد ان يكون مستقبلا وان كان على لفظ الماضي ﴿قوله ناعية على الكفار﴾ اي شاهدة عليهم مفصحة اياهم بما ذكر من الفضائح يقال نعى عليه هفواته اذا شهره بها ثم انه تعالى لما ذكر من دلائل الآفاق قوله وهو الذي يرسل الرياح الآية اعاد دليلا من دلائل الانفس ايضا وهو خلق الآدمي فقال الله الذي خلقكم من ضعف ﴿قوله اي ابتدأكم ضعفاء﴾ اي خلقكم اول ما خلقتم في حال كونكم اجنة واطفالا ضعفاء لا تقوون على شيء ولا يقوى شيء منكم على شيء فصار كأن الضعف مبدأ تكونكم ومادة خلقتكم فكلمة من لابتداء الغاية جعل حالة الضعف اساس امرهم ومبدأ جبلتهم والضعف على حقيقته وكون الانسان مخلوقا منه مجاز فانه لما كان في بدء امره ضعيفا جعل كأنه خلق من الضعف وعلى التفسير ان يكون المعنى خلقكم من اصل ذي ضعف وهو النطفة يكون الضعف مجازا وكون الانسان مخلوقا منه حقيقة فعلى تقدير كون قوله خلقكم من ضعف بمعنى ابتدأكم ضعفاء يكون قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة بمعنى ثم جعلكم من بعد الضعف اقوياء تقوون على اشياء كثيرة ثم جعلكم من بعد تلك القوة والقدرة ضعفاء شيوخا لا تقدرون على شيء مما تقدرون عليه قبل وعلى تقدير كونه بمعنى خلقكم من اصل ذي ضعف يكون معنى ما بعده ثم خلق من بعد الضعف الكائن في ذلك الاصل قوة بتعلق الروح به وصيرورته انسانا يقوى على ما لا يقوى عليه ذلك الاصل ثم جعله شيخا فانيا كما قال ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴿قوله والتنكير﴾ اي تنكير ما ذكر ثانيا وهو الذي دفع به تكرير الاول لاجل ان المتأخر ليس عين المتقدم فان النكرة اذا اعيدت معرفة تكون الثانية عين الاولى وههنا لما لم تكن الثانية عين الاولى اعيدت نكرة وهذا ظاهر على تقدير ان يكون الضعف الاول بمعنى الضعيف او بتقدير المضاف والثاني على اصل معناه وليس بظاهر على الاول الا ان يكون المراد بالضعف المخلوق منه ضعف الحاضرين كما يشعر به قوله ابتدأكم ضعفاء ونظيره قوله تعالى خلق الانسان ضعيفا وبالضعف الثاني جنس الضعف وحقيقته ﴿قوله فان الترديد في الاحوال المختلفة الخ﴾ اشارة الى وجه مناسبة قوله وهو العليم القدير تقديم العليم على القدير مع تخصيصهما بالذكر ثم في الآية دلالة على صحة البعث من حيث ان من قدر على ان يرد الحي في آخر حياته الى اول حاله فغير بعيد ان يرده بعد موته الى ما كان عليه في اول امره ﴿قوله لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا﴾ يعني ان ساعات الدنيا اجزاء من اجزاء الزمان ومعنى ما وقع في آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة بطريق تسمية الحال باسم المحل مجازا او لان الساعة بمعنى السرعة والبغتة كما يقول المستعجل اعمله في ساعة والقيامة لما كانت بحيث تقع بغتة وفجأة سميت ساعة ولما ذكر الله دلائل قدرته التامة واستدل بذلك على صحة البعث وقال ان ذلك لمحيي الموتى ذكر حال المشركين الذين ينكرون البعث كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اي يحلفون ﴿قوله وهو محتمل للساعات﴾ روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون فقيل اربعون يوما قال ابو هريرة رضي الله عنه ابيت وقيل اربعون شهرا قال ابيت وقيل اربعون سنة قال ابيت قال صاحب الكشاف وهذا الوقت الذي ذكر في الحديث وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم ﴿قوله استقلوا مدة لبثهم الخ﴾ قيل انهم حلفوا بذلك كاذبين بدليل قوله تعالى كذلك كانوا يؤفكون قال الكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا بان قالوا لا بعث ولا حساب ولا جزاء يقال افك فلان اذا صرف عن الصدق وعن الخير ايضا فيكون المعنى كما صرفوا عن الصدق في حلفهم صرفوا عن الايمان في الدنيا ﴿قوله في علمه او قضائه﴾ الجوهري الكتاب الفرض والحكم والقدر

وهو قوله ومن ورآئهم برزخ (الى يوم البعث) ردّوا بذلك ماقالوه وحلفوا عليه (فهذا يوم البعث) الذي انكرتموه (ولكنكم كنتم لاتعلون) انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبين بطلان انكاركم (فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر اولان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما

(ولاهم يستعتبون) لايدعون الى مايقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة ومايقولون ومايقال لهم ومالا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب اوبينّا لهم من كل مثل ينبئهم عن التوحيد والبعث وصدق الرسول (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن (ليقولن الذين كفروا) من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم (ان انتم) يعنون الرسول والمؤمنين (الا مبطلون) مزوّرون (كذلك) مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) لايطلبون العلم ويصرّون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق (فاصبر) على اذاهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لابدّ من انجازه (ولا يستخفنك) ولا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لايوقنون) بتكذيبهم وايذآئهم فانهم شاكون ضالون لايستبدع منهم ذلك وعن يعقوب تخفيف النون وقرئ ولايستحقنك اى لايزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ماضيع في يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية وقيل الا آية﴾
﴿وهي الذين يقيمون الصلاة﴾
﴿ويؤتون الزكاة فان وجوبها﴾
﴿بالمدينة وهو ضعيف لانه لاينافى﴾
﴿شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من﴾
﴿قوله ولو ان ما في الارض من﴾
﴿شجرة اقلام وهي اربع وثلاثون﴾
﴿آية وقيل ثلاث وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) سبق بيانه في يونس (هدى ورحمة للمحسنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره (اولئك على هدى (لان)

وقيل الكتاب عندهم العلم قال تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون والكتب بالجمع وجواب اولى العلم والايمان للكفار بقولهم لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث يدل على ان مراد الكفرة مالبثوا في القبور غير ساعة لان لبثهم في الدنيا لم يكن منتهيا الى يوم البعث والبعث لايوصف به الفانى وهم فيما بين النفختين فدتعالوا ردّ المؤمنون بالبعث المدلول به ماقاله المشركون وحلفوا عليه بان قالوا لهم لقد لبثتم مدة طويلة الى ان حضر يوم البعث وانقضت ايام الدنيا والمدة التي بين النفختين ثم وصلوا ذلك الرد تقريعهم على انكار البعث فقالوا فهذا يوم البعث وهو جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم ومثل هذه الفاء مافي قول الشاعر

* قالوا خراسان اقصى مايراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا *

والمعنى ان صح ماقلتم من ان خراسان اقصى المراد بنا فقد جئناها فان المخاطبين وعدوا الشاعر واصحابه انهم مكلفون بالسير الى خراسان ولايكلفون ابعد من ذلك فاذا بلغتم خراسان فليس عليكم مجاوزته الى ما بعده بل ان اردتم القفول فلا نمنعكم فلكم ذلك فيقول الشاعر ان صح قولكم ذلك فخبركم انا قد بلغنا خراسان وقصاراكم ان لاتكلفونا مجاوزة ذلك ﴿قوله لايدعون الى مايقتضى اعتابهم﴾ اى لايقال لهم ارضوا ربكم بتوبة يقال عتب عليه يعتب ويعتب عتبا اى وجد عليه وغضب ويقال اعتبه اذا ازلت عتبه وغضبه واستعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ﴿قوله مثل صفة المبعوثين﴾ كما قال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى وقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين وقال من كفر فعليه كفره ويقولون حالفين مالبثوا غير ساعة ويقال لهم لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون فهذه هي الصفات العجيبة الثابتة لهم يوم القيامة ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى من كل مثل الدلائل العجيبة الدالة على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم تم هنا مايتعلق بسورة الروم وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة لقمان وهي مكية

﴿سورة لقمان عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله سبق بيانه في يونس﴾ اى قد سبق بيان اول هذه السورة في سورة يونس هكذا الر تلك آيات الكتاب الحكيم قال المصنف في تفسير هاتلك اشارة الى ماتضمنته السورة او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها انتهى كلامه فالظاهر على هذا ان يكون الم اسما لهذه السورة او القرآن ويكون مبتدأ بتقدير المضاف اى آيات الم ويكون تلك مبتدأ ثانيا اشير به الى المضاف المقدر وآيات الكتاب خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر الاول والتقدير آيات الم آيات الكتاب الحكيم واحتيج الى تقدير المضاف ليصح الاخبار بقوله تلك آيات الكتاب الحكيم ﴿قوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ صفة كاشفة للمحسنين كما ان الموصول مع صلته صفة كاشفة الالمعى في قوله

* الالمعى الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا *

فتكون اللام في المحسنين لتعريف الجنس اى الذين يعملون الحسنات ليكون مابعده موضحا له وعلى قوله او تخصيص لهذه الثلاثة من شعب الاحسان يكون تعريف المحسنين للاستغراق والمعنى هدى للذين يعملون جميع مايحسن اعتقادا وعملا ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث من بين شعب لفضل اعتداد بها ويرى من هذا التعبير ان يكون الموصول مع صلته صفة مخصصة مميزة للموصوف وليس كذلك لان الصفة المخصصة مايدل على بعض الاحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف كما في قولك زيد التاجر حضر والصفة ههنا ليست خارجة عن مفهوم المحسنين بالمعنى المذكور فينبغى ان تكون صفة مادحة وهي مايدل على اشرف المعاني الفاضلة الداخلة في مفهوم الموصوف كالصفات الجارية على اسم الله تعالى المختار ان يكون هم الاولى مبتدأ ويوقنون خبره وبالآخرة متعلقا به وهم الثانية تكريرا للاولى لفائدتين الاولى التأكيد اللفظى والثانية جبر انفصال الحاصل بتخلل الفاصل بين المبتدأ وخبره ثم انه تعالى لما بين ان القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكمية بين حال من يكفر به ويتركه يشتغل باللهو من الحديث واللهو كل باطل الهى عن الخير فيكون اعم من الحديث

(ومن الناس من يشترى لهو الحديث) مايلهى عمايعنى كالاحاديث التى لا اصل لها و الاساطير التى لااعتبار فيها و المضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا و يقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد و ثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار و الاكاسرة وقيل كان يشترى القيان و يحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) دينه او قرآءة كتابه وقرأ ابن كثير و ابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله و يزيد فيه (بغير علم) بحال مايشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقرآءة القرآن (ويتخذها هزوا) ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى و يعقوب وحفص عطفا على ليضل (اولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) متكبرا لايعبأ بها (كأن لم يسمعها) مشابها حاله حال من لم يسمعها (كأن فى اذنيه وقرا) مشابها من فى اذنيه ثقل لايقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين وقرأ نافع فى اذنيه (فبشره بعذاب اليم) اعلمه ان العذاب يحيقه لامحالة وذكر البشارة على التهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم او من جنات و العامل ماتعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول لنفسه و الثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد و ليس كل وعد حقا (وهو العزيز) الذى لايغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده و وعيده (الحكيم) الذى لايفعل الا ماتستدعيه حكمته (خلق السموات بغير عمد ترونها) استئناف وقد سبق فى الرعد (والقى فى الارض رواسى) جبالا شوامخ (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزآئها تقتضى تبدل احيازها و اوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز و وضع معينين (وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأرونى معلق عنه (بل الظالمون فى ضلال مبين) اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لايخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر دلالة على انهم ظالمون باشراكهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى لقمان بن باعور من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال

لان الباطل الذى يلهى عن مطير قد يكون حديثا وقد يكون غير حديث فاضافته الى الحديث من اضافة العام الى الخاص للبيان فقوله من يشترى لهو الحديث معناه من يشترى اللهو الذى هو الحديث فلما كانت الاضافة لبيان ان المراد باللهو الحديث وجب ان يقيد الحديث بالمنكر لان غير المنكر منه لايكون لهوا وان كانت الاضافة بمعنى من التبعيضية لايحتاج الى تقييد الحديث بالمنكر منه لان اللهو القولى الباطل بعض من مطلق الحديث فيصح ان تجعل من تبعيضية مع بقاء الحديث على اطلاقه بخلاف جعلها بيانية فانه مستلزم ان يراد بالحديث المنكر لان مدخول من البيانية يجب ان يكون اخص من المبين فلابد ان يصدق المبين على كل فرد من مدخولها ولايكون الامان يكون الحديث منكرا والحاصل انه لما كان كل واحد من اللهو والحديث اعم من الآخر من وجه جاز ان يكون اضافة اللهو الى الحديث بمعنى من التبعيضية او البيانية فباعتبار عموم اللهو تكون من للبيان وباعتبار عموم الحديث تكون للتبعيض والاكاسرة جمع كسرى على خلاف القياس وكسرى لقب ملوك الفرس والقيان جمع قينة وهى الامة مغنية كانت او غير مغنية من قرأ ليضل عن سبيل الله بضم حرف المضارعة جعل المعنى ليضل غيره ولاشك ان من اضل غيره فقد ضل هو بنفسه ومن قرأ بفتح الياء جعل معناه ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولايصد عنه ويزيد فيه فان المخذول كان شديد الشكيمة فى عداوة الدين وصد الناس عنه ﴿قوله تعالى بغير علم﴾ حال من فاعل يشترى ومن قرأ ويتخذها بنصب الذال عطفا على ليضل جعله علة كالذى قبله ومن قرأ مرفوعا بالعطف على يشترى جعله صلة ولما كانت كلمة من مفرد اللفظ مجموع المعنى حمل قوله اولئك لهم على معناه فجمع وقوله واذا تتلى عليه على لفظه فافرد واصل كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان ﴿قوله لهم جنات وعد﴾ وقوله وعد الله اكد مضمون هذه الجملة التى لايحتمل لها من جميع المصادر الا كونه وعدا فكان تأكيدا لنفسه كما فى قولك له على الف درهم اعترافا وقوله حقا اكد مضمون تلك الجملة ايضا الا ان مضمونها يحتمل غير الحقية لان كل وعد من حيث هو وعد ليس بحق فكان حقا تأكيدا لغيره ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه هو العزيز الحكيم بين ذلك بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها فالعمد جمع عماد وهو الاسطوانة سميت عمادا لكونه مدفوعها يعتمد عليها ﴿قوله بغير عمد﴾ حال من السموات وقوله ترونها صفة العمد والضمير الذى فيه راجع الى العمد اى بغير عمد مرئية وان كان هناك عمد غير مرئية هى قدرة الله تعالى وارادته ويحتمل ان يكون ترونها جملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب جيئ بها لبيان ان السموات خلقت بغير عمد فيكون الضمير المنصوب فيها راجعا الى السموات كانه لما قيل خلق السموات بغير عمد قيل وما الدليل عليه فاجيب ترونها غير معمودة كما تقول لصاحبك انا بلاسيف ولارمح ترانى ﴿قوله شوامخ﴾ اى شواهق مرتفعات و الرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها راسية من رسا الشئ يرسو اى ثبت ﴿قوله وماذا نصب بخلق﴾ على ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اى شئ فيحكم على موضعه بحسب مايقتضيه العامل وهو ههنا محله النصب وعلى الثانى تكون ذا بمعنى الذى وما للاستفهام والتقدير ارونى ما الذى خلقوا ما مبتدأ والموصول مع صلته خبره والعائد محذوف اى ما الذى خلقه الذين من دونه ﴿قوله ومن حكمته﴾ قيل اول ماسمع من حكمته ان مولاه دخل الكنيف يوما فاطال فيه المكث فخرج فقال له لاتطل المكث فى الخلاء فان طول المكث فيه يورث الباسور واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال انه كان نبيا وقد تفرد بهذا القول فعلى قوله يكون المراد بالحكمة ههنا النبوة روى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فاحبه ﴿قوله لان اشكر﴾ على ان تكون ان مصدرية موصولة بفعل الامر كقولك امرتك ان قم اى بالقيام فكذا ههنا آتيناه الحكمة لان اشكر اى الشكر والظاهر انها مفسرة لان ايتاء الحكمة لكونه فى معنى التعليم والتلقين يتضمن معنى القول والمعنى اشكر لله تعالى فيما اعطاك من الحكمة بالتوحيد والطاعة له وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى فى حق المخلوقين هو عبادة الله تعالى وشكر نعمه حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر ثم قال ومن يشكر انعام الله تعالى عليه بالطاعة له فنفع شكره يرجع اليه ومن كفر نعم الله عليه بترك التوحيد والطاعة له فان الله غنى عن شكر خلقه وعبادتهم ﴿قوله تعالى واذ قال لقمان﴾ اى واذكر حين قال لقمان لابنه وهو يعظه الجملة حال من لقمان اى قال واعظا له ﴿قوله يابنى تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يابنى لاتشرك باسكان الياء وقنبل يابنى اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء

والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء ﴾ اعلم ان قوله تعالى يابنيّ مذكور في القرآن في ستة مواضع يابنيّ اركب معنا في هود يابنيّ لاتقصص في يوسف يابنيّ لاتشرك يابنيّ انها يابنيّ اقم الصلاة في لقمان يابنيّ اني ارى في الصافات فقرأ حفص بفتح الياء في المواضع الستة وقرأ شعبة بفتح الاول وكسر الخمسة الباقية وقرأ البزي باسكان اول لقمان وكسر الخمسة الباقية وقرأ قنبل باسكان اول لقمان وآخرها وكسر الاربعة الباقية وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بكسر الياء مشددة في الجميع ﴿ قوله تعالى ووصينا الانسان ﴾ قيل هذا كلام معترض في قصة لقمان الى قوله بما كنتم تعملون كما قال المصنف والآيتان معترضتان الخ ثم عاد الكلام الى قصته وقيل هو متصل كله باضمار القول اي وقلناه اي لقمان ووصينا الانسان بوالديه اي ببرّ والديه ثم نبه على المعنى الموجب لبرّهما فقال حملته امّه وهنا ولامحل لهذه الجملة من الاعراب لانها جملة مستأنفة لبيان علة التوصية وقوله وهنا مصدر منصوب على انه حال من امّه بتقدير ذات وهن ويحتمل ان يكون منصوبا بالفعل المقدّر اي تهن وهنا وهذه الجملة المركبة من الفعل المقدّر وما في حيزه حال من فاعل الفعل السابق وقوله تعالى على وهن صفة لوهنا اي فوق وهن آخر وهي يتزايد ضعفها ويتضاعف بحسب تزايد ثقل الحمل وليس المراد خوله وهنا على وهن وهنين اثنين بل المراد التكرار والكثرة ﴿ قوله وقرئ بالتحريك ﴾ اي بفتح الهاء فيهما فاحتمل ان يكونا لغتين كالشعر والشعر وان يكون مفتوح الهاء مصدر وهن بكسر الهاء فانه يقال وهن يهن وهنا مثل وعد يعد وعدا ووهن يوهن وهنا مثل وجل يوجل وجلا ﴿ قوله وفطامه ﴾ وهو ان يفصل الولد من الام كيلا يرضع الجوهري فطام الصبي فصاله من امّه ويطلق الفطم على القطع يقال فطمت الحبل وفطمت الرجل عن عادته اي قطعته ولما كان قوله وفصاله مبتدأ وقوله في عامين خبره كان المعنى وفصاله يقع في عامين وليس فيه تعيين مدة الرضاع فلذلك فسره بقوله وفطامه في انقضاء عامين على معنى ان انقضاءهما هو الغاية التي لايتجاوز عنها الارضاع والامر فيما بين العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الامام الشافعي على ان مدة الرضاع حولان لاتثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما من وقت الولادة وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمهما الله وامامهما ابي حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا استدلالا بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حيث جعل المدة المذكورة مدة لكل واحد من الحمل والفصال لكن قول عائشة رضي الله عنها لايبقى الولد في رحم امه اكثر من سنتين ولو بفلكة مغزل يدل ان اكثر مدة الحمل سنتان لان مثله لايعرف قياسا بل سماعا من الشارع وبه يثبت النسخ وبقيت المدة المذكورة في حق الفصال فلما كانت مدة الرضاع عنده ثلاثين شهرا قيل ان هذه الآية عنده لبيان الرضاع المستحق على الام لالبيان المدة التي ينتهي حكم الرضاع عندها ﴿ قوله تفسير لوصينا ﴾ لان التوصية في معنى القول الا ان الموصى به هو برّ الوالدين فالظاهر ان تفسير التوصية ببرّهما بالترغيب في شكرهما بان يقال ان اشكر لوالديك لكونهما سببا ظاهريا لوجودك وتربيتك الا انه تعالى لما كان سببا حقيقيا لوجود الكائنات وتربيتها وكان شكر الوالدين والاعتراف بحقهما عليه من حيث ان نعمة الله تعالى ظهرت من جهتهما كانت الوصية ببرّ الوالدين في الحقيقة عبارة عن البعث على شكره تعالى بالتوحيد والعبادة له وشكر الوالدين ببرّهما لمقابلة احسانهما اليه فلذلك فسرت الوصية ببرّ الوالدين بقوله ان اشكر لي ولوالديك ﴿ قوله او علة له ﴾ اي وصيناه ببرّ الوالدين لشكرنا ولشكر والديه قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى صلاة الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه فان كان بدلا من والديه يكون التقدير ووصينا الانسان بان شكر لي وعلى التقادير الثلاثة يكون قوله حملته امّه وهنا على وهن وفصاله في عامين جملة معترضة بين المفسر والمفسر اوبين العلة والمعلول اوبين البدل والمبدل منه تأكيدا للتوصية في حقها خاصة مظهر بهذا بجواب مايقال وهو انه تعالى اوصى ببرّ الوالدين ثم بين مايوجب برّ الام ولم يتعرض لبيان مايوجب برّ الاب وتقرير الجواب ان الاب وان حمل الولد في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين الا ان ماتحملته الام من المشقة اشدّ وابلغ فلذلك اكد التوصية في حقها خصوصا بعد التوصية ببرّهما معا روي ان صحابيا قال قلت يارسول الله من ابرّ قال امّك قال قلت ثم من قال امّك قال قلت ثم من قال امّك قال قلت ثم من قال اباك ثم الاقرب فالاقرب ثم اشار الى ان خدمتهما وطاعتهما انما تكون واجبة مالم يكن فيها ترك طاعة الله تعالى وان افضت

النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الاعمال الفاصلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا (ان اشكر لله) لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها (ومن كفر فان الله غنيّ) لايحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (واذ قال لقمان لابنه) انعم او اشكم او ماثان (وهو يعظه يابنيّ) تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يابنيْ باسكان الياء وقبل يابنيّ اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفي يابنيّ انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء (لاتشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لاتشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الامنه ومن لانعمة منه (ووصينا الانسان بوالديه حملته امّه وهنا) ذات وهن او تهن وهنا (على وهن) اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لاتزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله في عامين) وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان (ان اشكر لي ولوالديك) تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من ابرّ قال امّك ثم امّك ثم امّك ثم قال بعد ذلك ثم اباك (اليّ المصير) فاحاسبك على شكرك وكفرك

اليه فلا تجوز طاعتهما حيث قال وان جاهداك الآية ﴿ قوله اراد بنفي العلم به نفيه ﴾ والمعنى على ان تشرك بي ماليس لك به علم شيء عبر عن هذا المعنى بنفي العلم به لان العلم بوجود الشيء لازم في وجوده من حيث ان مالايكون موجودا في نفسه لايعلم بكونه موجودا فعبر بنفي اللازم عن نفي الملزوم ولم يرض المصنف به لان علم المخلوق بوجود الشيء ليس بلازم لوجوده في نفسه بل اللازم له هو العلم الفعلي ﴿ قوله مكثت لاسلامه ثلاثا ﴾ فان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت له امه ماهذا الدين الذي احدثته والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال لك قاتل امه ثم انها مكثت ثلاثا لاتطعم ولاتشرب حتى فتحوا فاها بعود وروي ان سعدا قال لو كان لها سبعون نفسا فخرجت واحدة فواحدة لما ارتددت الى الكفر فلما علمت انه لايرتد عن دينه حسرا من هلاك كها رضيت بان تأكل وتشرب ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكونهما نزلتا في سعد قيل المراد بقوله تعالى من اناب الي ابو بكر الصديق رضي الله عنه فان ابا بكر حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم جاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حين اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر رضي الله عنه فلما كان سبيله الثبات على التوحيد والايمان ودعاء من كان خارجا عن تلك السبيل اليها قال تعالى واتبع سبيل من اناب الي ﴿ قوله اي ان الخصلة ﴾ يعني ضمير انها عبارة عن الخصلة او الفعلة التي يأتي بها المكلف واسم تك مستتر فيه راجع الى مايرجع اليه ضمير انها ومثقال منصوب على انه خبر كان والفاء في قوله فتكن لافادة اجتماع الشرطين في التحقق على سبيل التعاقب كأن لقمان لمانهى ابنه عن الشرك قال له ابنه ياابت تزعم انه تعالى مطلع على مايعمله الانسان من الخير والشر فيجازيه جزاءه وقالا ان خيرا فخير وان شرا فشر قال فعلت ماعملته من الفعلة حيث لايراني احد كيف يعلم الله تعالى فقال له ابوه يابني ان الفعلة ان تك في الصغر كحبة الخردل مثلا ومع صغرها تكون خفية في موضع حصين كالصخرة لاتخفى على الله تعالى ومن قرأ مثقال مرفوعا جعل ضمير انها للقصة وجعل قوله ان تك تامة لاتحتاج الى الخبر ورفع مثقال على انه فاعل كان التامة وانث فعله مع ان المثقال مذكر من حيث انه اكتسب التأنيث باضافته الى حبة كما انث الصدر لاضافته الى القناة في قول الشاعر

* وتشرق بالقول الذي قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم *

الشرق الشجى والغصة يقال شرق بريقه اي غص به وانسد حلقه بحيث لاينزل ولايخرج وذاع الخبر يذيع ذيعا وذيوعا اي انتشر وأذاعه نشره عير بذم شخص اذاع خبرا وكان من حقه ان يخفيه نقل الامام محيي السنة عن بعض الكتب ان قوله يابني انها ان تك مثقال حبة الآية آخر كلمة تكلم بها لقمان فلما تكلم بها لقمان انشقت مرارته من هيبتها فمات رحمه الله تعالى بروحه ﴿ قوله بجوف صخرة او اعلاه الى آخره ﴾ اشارة الى دفع مايقال من ان الصخرة لابد ان تكون في السموات او في الارض فيكون في الصخرة لابد ان يكون في احداهما لامحالة فما وجه عطفهما بكلمة او وتقرير الجواب ان المراد بالصخرة مايكون على وجه الارض وبما في السموات مايكون في محتبها وبما في الارض مايكون في مقرها فيتحقق الانفصال وقيل هذه الصخرة ليست في السموات ولا في الارض بل هي تحت سبع ارضين عليها ملك قائم وقيل عليها الثور وقيل خلق الله تعالى الارض على حوت وهو النون الذي ذكره الله تعالى في قوله ن والقلم ومايسطرون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان وهي ليست في السموات ولا في الارض والصخرة على الريح ثم انه لما نهى ابنه عن الشرك وخوفه بعلم الله تعالى وقدرته امره بما يتفرع على الايمان بالله وحده وابتدأ بالامر باقام الصلاة وعلم معه ان الصلاة كانت في سائر الملل غير ان هيئاتها اختلفت ﴿ قوله مصدر اطلق للمفعول ﴾ فيكون العزم بمعنى المعزوم اي المقطوع الذي قطعه الله واوجبه ثم اضيف الى الامور اضافة بمعنى من التبعيضية اي المقطوع من الامور وان جعل العزم بمعنى العازم اي الموجب القاطع يكون اسناد العزم الى الامر مع ان العازم هو الشارع لا الامر المشروع للمبالغة في وجوبه والاشارة الى انه لكونه متضمنا للحكم والمصالح الجمة كأنه اوجب نفسه وذكر لانتصاب مرحا ثلاثة اوجه * الاول انه مصدر واقع موقع الحال اي لاتمش مرحا فرحا * والثاني انه مفعول مطلق لفعله المحذوف اي لاتمش تمرح مرحا والجملة حال من فاعل تمش * والثالث انه مفعول له والمعنى

(وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه (فلا تطعهما) في ذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفا) صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) في الدين (سبيل من اناب الي) بالتوحيد والاخلاص في الطاعة (ثم الي مرجعكم) مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ماوصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لايجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل) اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * او لان المراد به الحسنة او السيئة (فتكن في صخرة او في السموات او في الارض) في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته (يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهه (يابني اقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وامر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ما اصابك) من الشدائد سيما في ذلك (ان ذلك) الاشارة الى الصبر او الى كل ما امر به (من عزم الامور) مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد

لايكن غرضك فى المشى البطالة والمرح كما يمشى كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم دينى او دنيوى كقول عمر رضى الله عنه

* ياقارئا متمهلا مالى اراك لا * فى امر دنيا ولا فى امر آخرة *

ويشهد بصحة هذا التوجيه قوله تعالى ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس اى ولرؤية الناس اياهم ﴿ قوله علة للنهى ﴾ يعنى ان الآية من قبيل اللف والنشر فان عدم محبته تعالى المختال علة لقوله لاتمش فى الارض مرحا وعدم محبته الفخور علة لقوله ولاتصعر خدك الا انه لم يراع فى النشر ترتيب اللف رعاية لفواصل الآى والاختيال مشية المتكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع ﴿ قوله وقول عائشة رضى الله عنها ﴾ جواب عما يقال كل واحد من قوله تعالى حكاية عن لقمان واقصد فى مشيك ومن الحديث المروى يدل على ان سرعة المشى ليس من دأب المؤمنين وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها نظرت الى رجل كاد يموت تهافتا وتضاعفا فقالت ماله هذا فقيل انه من القراء فقالت كان عمر رضى الله عنه سيد القراء وكان اذا مشى اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب اوجع فقد اسندت سرعة المشى الى عمر رضى الله عنهما فظاهر هما متنافيان وتقرير الجواب ان الاسراع المذموم هو مايكون متجاوزا حد القصد فى المشى وهو الاسراع المفرط والذى اسند الى عمر رضى الله عنه ليس كذلك بل المراد به مافوق دبيب المتماوت وهو الذى يرى من نفسه الموت وليس بميت كالمتمارض الذى يظهر من نفسه المرض وليس بمريض ﴿ قوله وانقص منه ﴾ اى انقص شيأ منه فان الظاهر ان مفعول اغضض محذوف ومن صوتك صفة له ومن للتبعيض ويجوز ان يكون من صوتك مفعول اغضض على ان تكون من زائدة على مذهب الاخفش ويؤيده قوله تعالى يغضون اصواتهم ﴿ قوله والحمار مثل فى الذم ﴾ يعنى انه اذا اطلق على غير مسماه الحقيقى انما يطلق عليه على طريق الذم البليغ والشتيمة تشبيها له باصل مسماه فى اخس اوصافه وهى البلادة والمرآة من خواص الآدمية فكان جاريا مجرى المثل السائر الذى يضرب فى مقام الذم والتعيير وكذا نهاقه فانه ايضا غاية فى ذم ما اطلق عليه من الصوت ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون مسماه فى غاية الدناءة والحقارة يحترزون من التصريح باسمه بل يكنون عنه بقولهم طويل الاذنين كما يكنون عن الاشياء المستقذرة ﴿ قوله وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته الخ ﴾ اشارة الى ان قوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير جملة مستأنفة جئ بها لتعليل الامر بغض الصوت كأنه قيل لم اغض الصوت فاجيب بانك اذا رفعت صوتك كنت بمنزلة الحمار فى اخس احواله اى كان صوتك بمنزلة النهاق فى نفرة الطباع عنه مع خلوه عن الفائدة ثم ترك المشبه واداة التشبيه واقتصر على ذكر المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية للمبالغة فى ذم المشبه وتهجينه وفى حث المخاطب على غض صوته والاحتراز عن رفعه ﴿ قوله وتوحيد الصوت ﴾ يعنى ان الحمير جمع حمار فينبغى ان يعبر عن الصوت المضاف اليها بلفظ الجمع ايضا لان صوت الجماعة لايكون واحدا الا انه وحد المضاف امالانه مصدر فى الاصل فواحده يفيد لفظ الجمع منه اولانه ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ويقصد تفضيله على اصوات سائر الاجناس التى لها صوت حتى يجمع بل المراد تفضيل صوت هذا الجنس على اصوات غيره فيكون المراد من المضاف الجنس فلا وجه لجمعه فوجب توحيده * فان قيل اذا كان المراد تفضيل جنس الصوت المقيد بالاضافة الى جنس الحمير كان ينبغى ان يوحد المضاف اليه ايضا * قلت الجمع المحلى باللام يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس فانه اذا قيل العصبة كل من يأخذ بقية الفرائض يكون المعنى من يأخذ مابقى من جنس الفريضة وهى السهم المقدر ضرورة ان اجتماع الفروض فى المسئلة ليس شرطا فى العصوبة فكذا لفظ الحمير يراد به الجنس لا الآحاد ثم انه تعالى لما استدل على عزته وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها الآية ومهد به قاعدة التوحيد ثم بكت المشركين بقوله هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال المبين ثم اورد قصة لقمان للدلالة على ما امر به ونهى عنه وليس مما يتوقف معرفته على الوحى والنبوة بل كل ذلك على وفق الحكمة وقضية الفكرة فوجب على العاقل ان يهتدى بمجرد فكره الصحيح ونظره الصائب وان لم يهتد بذلك فبارشاد النبى المؤيد بالمعجزات الباهرة ومن لم يهتد بشئ من ذلك فهو ملحق بالحيوانات البهم واضل سبيلا انتقل بعد ذلك الى الاستدلال على وحدانيته تعالى بوجه آخر وهو كونه موليا للنعمة كلها ظاهرة وباطنة فان المالك كما يخدم لعظمته وان لم يخدم لنعمته ايضا فلا بين انه المعبود

(ولاتصعر خدك للناس) لاتمله عنهم ولاتولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعترى البعير فيلوى منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى ولاتصاعر وقرئ ولاتصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه (ولاتمش فى الارض مرحا) اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر (ان الله لايحب كل مختال فخور) علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا ليوافق رؤس الآى (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضى الله عنها كان اذا مشى اسرع * فالمراد مافوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (ان انكر الاصوات) اوحشها (لصوت الحمير) والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد اولانه مصدر فى الاصل

لعظيم بحمته السموات بلا عمد والقائه فى الارض رواسى وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر بعده عامة النعم فقال الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض الآية اى الم تعلموا العلم الذى يقوم مقام رؤية العين انه سخر لاجلكم وذلل ما فى السموات بان جعله اسبابا لحصول ما تحتاجون اليه من المهمات وسهل لكم الانتفاع بتلك الاسباب على حسب مشيئته وارادته وسخر ما فى الارض ايضا بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط والنعمة فى الاصل الحالة الطيبة ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى اشخاصها لكنها تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى * والاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى هو تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال * والثانى ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين هذا ما ذكره المصنف فى سورة الفاتحة واسباغ النعم توسيعها واتمامها يقال سبغت النعمة سبوغا اذا تمت روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال يا ابن عباس اما ما ظهر فالاسلام وما سوى الله تعالى من خلقك وما افاض عليك من الرزق واما ما بطن فستره مساوى عملك ولم يفضحك بها يا ابن عباس ان الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر عنه خطاياه به والثالث سترت عليه مساوى عمله فلم افضحه بشئ منها ولو ابديتها عليه لنبذه اهله فمن سواهم * وقيل الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله باللسان والباطنة الاعتقاد بالفردانية بالجنان وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته روى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب دلنى على اخفى نعمتك على عبادك قال اخفى نعمتى عليهم النفس وروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ﴿ قوله وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه ﴾ بفتح العين على انه جمع نعمة مضاف الى هاء الضمير فقوله ظاهرة حال منها وقرأ الباقون نعمة بسكون العين وتنوين تاء التأنيث على انها اسم جنس فى معنى الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقوله ظاهرة بعده نعت لها ثم انه تعالى لما بين ما تفضل به على عباده واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر بعده ان منهم من يجادل فى توحيده واخلاص طاعته فقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم قيل نزلت فى النضر بن الحارث وابى بن خلف واشباههما الذين كانوا يجادلون النبى عليه الصلاة والسلام فى وحدانيته تعالى وصفاته من غير علم مستفاد من دليل العقل ومن غير هداية حاصلة من قبل صاحب الوحى ومن غير منزل من رب العالمين ثم اذا قيل لهؤلاء المجادلين الذين لا تمسك لهم اصلا تعالوا الى كتاب الله تعالى واتبعوه تهتدوا اعرضوا عن كلام الله تعالى وقالوا بل نتبع كلام آبائنا ومن المعلوم ان بين كلام الله تعالى وكلام العلماء بونا عظيما فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال ﴿ قوله من التقليد او الاشراك ﴾ من قبيل اللف والنشر الاول على ان يكون الضمير لهم والثانى على ان يكون لآبائهم ﴿ قوله من اسلمت المتاع الى الزبون ﴾ اى اسلمه الى المشترى اى العامل الذى يشاركك فى الحرفة والعمل يعنى ان اسلم اذا عدى بالى كان بمعنى سلم وان عدى باللام كما فى قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله فذلك باعتبار تضمنه معنى الاخلاص فمعنى الآية ومن اسلم وجهه لله من جعل ذاته ونفسه سالما لله تعالى خالصا له ﴿ قوله وهو تمثيل للتوكل ﴾ اراد التشبيه لا الاستعارة التمثيلية لذكر كل واحد من طرفى التشبيه غايته انه لم يذكر اداة التشبيه تنبيها لمدعيه * والوثقى تأنيث الاوثق واوثق العرى جانب الله تعالى لان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له ذكر ما دل على وجوب اسلام الوجه الى الله تعالى فقال والى الله عاقبة الامور قال من تعين لتدبير عاقبة الامور كيف لا يسلم المرء نفسه اليه ﴿ قوله وليس مستفيض ﴾ فان اللغة الشائعة هى الثلاثى * الجوهرى حزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بنى عليه قال اليزيدى حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما انتهى كلامه ﴿ قوله تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ بان نسلط عليهم ملائكة غلاظا شدادا يعذبونهم اغلظ عذاب فيختارون دخول النار من اضطرارا فرارا من عذاب هؤلاء الملائكة الذين يعذبونهم بمقارع من نار فان الاكراه انما ينافى الرضى دون الاختيار فان المضطر يعرف الشرين ويختار اهونهما قيل وفيه وجه آخر لطيف وهو انهم لما كذبوا الرسول ثم تبين لهم الامر وقع عليهم

(الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات) بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم (وما فى الارض) بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط (واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) راجع الى رسول (ولا كتاب منير) انزله الله بل بالتقليد كما قال (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) وهو منع صريح من التقليد فى الاصول (او لو كان الشيطان يدعوهم) يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم (الى عذاب السعير) الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب (ومن يسلم وجهه الى الله) بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى (والى الله عاقبة الامور) اذ الكل صائر اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فانه لا يضرك فى الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض (الينا مرجعهم) فى الدارين (فننبئهم بما عملوا) بالاهلاك والتعذيب (ان الله عليم بذات الصدور) فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر (نمتعهم قليلا) تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)

من الجبال ما يكون دخول النار اهون عليهم من الوقوف بين يدى ربهم بمحضر الانبياء مع تلك الجبال فيختارون دخولها من اضطرار ﴿ قوله يثقل عليهم ثقل الاجرام ﴾ يعنى ان الغليظ صفة مشبهة تنبئ عن الثقل والكثافة او عن التراكم والانضمام وعلى التقديرين لا يوصف به العذاب حقيقة وانما يوصف به الاجرام والاجسام فوصف العذاب به تخييل لتشبيه العذاب الواقع عليهم بالجرم الثقيل او بالاجرام المتلاصقة المتطابقة الواقعة بعضها على بعض استعارة بالكناية وعلى التقديرين يكون اثبات الغلظة له سواء كانت بمعنى الثقل او الانضمام تخييلا لتلك الاستعارة المكنية ثم انه تعالى بين استحقاق المشركين لعذاب الغليظ ببيان ان كفرهم افحش الكفر من حيث انهم يكفرون ما اضطروا الى الاقرار به فان اعترافهم بان خالق السموات والارض وما فيهما وما بينهما هو الله تعالى يستلزم الاعتراف بان لا يستحق العبادة الا الله ومع هذا يتصفون انفسهم بالاشراك ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يحمد الله تعالى على ظهور صدقه وكذب مكذبيه باعترافهم على انفسهم بالكذب والضلال ثم قرر ما اقروا به من تفرده تعالى بالخالقية بتقرير ان ما فيهما من الجواهر والاعراض لله تعالى ملكا وملكا فكيف يكون شئ منها شريكا له فقال لله ما فى السموات والارض ثم لما تبين ان اهل السموات والارض وجميع ما فيهما محتاج الى الله تعالى من جميع الوجوه ثبت انه تعالى هو الغنى المطلق والحميد المطلق فان كل محتاج يحمد من يدفع حاجته بلسان الحال او المقال فمن كان غنيا مطلقا يكون حميدا مطلقا ﴿ قوله ولو ثبت كون الاشجار اقلاما ﴾ اشارة الى ان ما بعد لو واقع موقع المفرد لكونه فاعلا لفعل مقدر لان لو تطلب الفعل لفظا او تقديرا فقولك لو انك قائم تقديره لو وقع قيامك ثم الفاعل يجب ان يكون مفردا فلذلك فتحت كلمة ان الواقعة بعد لو ومن فى قوله تعالى ولو ان ما فى الارض موصولة فى محل النصب على انها اسم ان واقلام خبرها ومن شجرة فى محل النصب على انه حال من المنوى فى قوله فى الارض ﴿ قوله وتوحيد شجرة ﴾ مع ان الظاهر ان يقال من شجر بلفظ اسم الجنس الدال على العموم لان المراد بما فى قوله ما فى الارض العموم بدليل الاخبار عنه بالاقلام فاوجه ان يبين باسم الجنس الا انه بين بلفظ شجرة الدال على الوحدة لان المراد تفصيل الآحاد شجرة شجرة الى ان لا يبقى من جنس الشجر آحاد كثيرة بل ولا شجرة واحدة الا وقد بريت اقلاما وهذا المعنى انما يستفاد من ايراد الشجرة ولو قيل من شجر لدل على انه لا يبقى جنس من اجناس الشجر الا برى اقلاما فلا يدل على ان يتناول الحكم لكل فرد وهذا قريب مما قيل ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ﴿ قوله ممدودا بسبعة ابحر ﴾ بان يكون سبعة ابحر مدادا للبحر المحيط الذى فرض كونه بسعته مدادا وهو النفس الذى يكتب به ويقال له المركب ﴿ قوله يمده ﴾ معناه يصير مدادا له يزيده وينصب فيه من بعده اى من خلفه والمقصود كما يتوقف على ان يفرض كون اشجار الارض اقلاما يتوقف ايضا على ان يفرض كون البحر المحيط ممدودا بسبعة ابحر مدادا فعلى هذا كان الظاهر ان يقال والبحر مدادا يمده من خلفه سبعة ابحر لكن لم يذكر المداد اكتفاء بذكر ما يدل عليه وهو قوله يمده فانه من مد الدواة وامدها اذا صب فيها المداد فيكون البحر الاعظم بمنزلة الدواة والابحر التى خلفه بمنزلة المداد له وفى الآية اختصار بمعنى حذف الايجاز لدلالة السياق على المحذوف وتقدير الكلام ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر يمده سبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد ونظير هذه الآية فى اشتمالها على حذف الايجاز قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية اى فحلق رأسه لدفع ما به من الاذى ففدية * قال الامام قوله سبعة ابحر ليس لحصر الابحر فى سبعة بل المراد الاشارة الى كثرة المدد ولو كان الف بحر وخصت السبعة بالذكر من بين اعداد الاعداد لكونها عددا يحصر اكثر المعدودات الا ترى ان كل احد لا يخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر فى سبعة ايام والمكان منحصر فى سبعة اقاليم وان الكواكب السيارة سبعة وكانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا وكانت ابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هى الثامن ولما كانت السبعة عددا يحصر معظم الموجودات واكثرها عبر بها عن مجرد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود فى مرتبتها حتى ان العرب يجعلون السبعة نهاية العدد ويزيدون عند الثامن واوا حتى قال القراء لها واو الثمانية ويزعمون ان العدد تم بالسبعة وان الواو المذكورة بعدها للاستئناف والمراد بالكلمات عند المفسرين معلومات الله تعالى ولما كان معلومه لا يتناهى كانت الكلمات التى يعبر بها عنه لا تتناهى ايضا ﴿ قوله ورفعه للعطف ﴾ يعنى ان قوله تعالى والبحر قرأ ابو عمرو ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع وفى الرفع وجهان الاول كونه معطوفا على محل ان ومعموليها

يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه (قل الحمد لله) على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم (بل اكثرهم لا يعلمون) ان ذلك يلزمهم (لله ما فى السموات والارض) لا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمد (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام) ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمده من بعده سبعة ابحر) والبحر المحيط بسعته مداد ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد يمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعموليها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده

وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء (ما نفدت كلمات الله) بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته امر

والآية جواب اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شئ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق (الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري) كل من النيرين يجري في فلكه (الى اجل مسمى) الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات (وان الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها (بان الله هو الحق) بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته (وان ما تدعون من دونه الباطل) المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء (وان الله هو العلي الكبير) مترفع على كل شئ ومتسلط عليه (الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله) باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والانفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم) علاهم وغطاهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار

فان أن مع اسمها وخبرها في محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر ينصبه ويدل عليه كلمة لو تصور ان يرفع البحر ايضا بالعطف عليه وقوله يمده جملة حالية من البحر وتقدير الكلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت كون البحر مدادا ممدودا بسبعة ابحر والثاني ان يكون البحر مبتدأ ويمده الخبر والظاهر ان الواو حينئذ حالية والمعنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها استغناء عنه بالواو كما في قولك خرجت والجيش قادم وجوز المصنف كونها استئنافية وفي النصب ايضا وجهان الاول ان يكون معطوفا على اسم ان وهو ما وخبره يمده والتقدير ولو ان البحر يمده على معنى ولو وقع هذان والثاني ان يكون من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير ﴿قوله وقرئ تمده ويمده﴾ اي قرئ بتاء التأنيث لاسناد الفعل الى سبعة وقرئ بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من امده وهما لغتان بمعنى ﴿قوله والآية جواب﴾ قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسألونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا أعنيتنا ام قومك قال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شئ فقال عليه الصلاة والسلام هي في علم الله قليل وقد آتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الآية جوابا لهم فعلى هذا تكون الآية مدنية وقيل انما امر اليهود وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعد بمكة فسأله الوفد بمكة فنزلت في مكة ﴿قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم﴾ جواب لكفار قريش حين قالوا ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة ﴿قوله وثمة غرضه حقيقة او مجازا﴾ اي ان قيل يجري لاجل مسمى يكون ادراك الاجل غرضا مطلوبا من الجري حقيقة ان قلنا ان كل واحد من الكواكب السيارة والافلاك له شعور وحركة ارادية او مجازا مبنيا على تشبيه عاقبة الشئ بالعلة الحاملة ان قلنا انها جمادات لا شعور لها ولا غرض ﴿قوله تعالى وان الله بما تعملون خبير﴾ قرأ ابو عمرو في رواية بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب والظاهر ان الخطاب للمشركين وان الآية احتجاج عليهم وتهديد ووعيد لهم وقوله الم تر خطاب عام والمراد من الرؤية العلم الجلي المنزل منزلة الرؤية فالمشركون وان لم يعلموا احاطة علم الله تعالى بتفاصيل اعمال عباده لانهم نزلوا منزلة من يعلم بها لتمكنهم من العلم بها بادنى التفات لكثرة دلائل العلم بها ووضوحها ﴿قوله اشارة الى الذي ذكر﴾ اي ذكره الله تعالى من عجائب صنعه واعتراف المشركين باختصاصه تعالى بخلقها ووصف نفسه بانه عزيز كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته وانه حكيم كامل العلم لا نهاية لمعلوماته وانه هو الغني الحميد وانه سميع بصير وانه بما تعملون خبير وانه عليم بذات الصدور وبعد اجراء تلك الصفات على الذات المتميزة بها اشار اليها من حيث ثبوتها لموصوفها بقوله ذلك وحكم بانها انما ثبتت له لانه هو الاله الثابت الهيته لما تقرر في العقول ان هذه الصفات لوازم الالوهية المساوية لها وان تحقق الملزوم يستلزم تحقق لوازمه فاستدل في الآية بتحقق لوازم الالوهية على كونه تعالى ثابتا في ذاته او ثابتا الهيته ﴿قوله وقد جوز في مثله﴾ اي في كل ما كان على فعلة يجوز في جمعه ثلاث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها وفعلات بكسرها نحو سدرة وسدرات وسدرات وسدرات ﴿قوله لكل صبار﴾ اي على مشاق التفكر في اصابة الحق شكور بصرف القوى الفكرية الى ما خلقت هي لاجله مع قطع النظر عن كونه مؤمنا اولا ﴿قوله فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر﴾ وذلك ان التكاليف نصفان افعال وتروك والتروك صبر عن المألوف والافعال شكر على المعروف فذكر الله تعالى اولا آية سماوية حيث قال الم تر ان الله يولج الليل في النهار ثم ذكر آية ارضية فقال الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله التي هي الريح الملائمة لجريها ليريكم باجرائها بنعمته بعض آياته ثم قال ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يستدلون بها على كمال علمه وقدرته ووحدانيته ويعترفون بها من غير ان يقعوا في شدة تلجئهم الى الاعتراف بها ثم وصف الكفار بقوله واذا غشيهم موج كالظلل حين ركبوا البحر انابوا الى الله تعالى ودعوه مخلصين له الدين حين علموا انه لا منجي لهم غيره والظلل جمع ظلة وكذا الظلال كقلة وقلل وقلال وحد الموج وشبهه بالظلل اي بالامور التي تظلل كالجبال والسحب المتراكمة وغيرهما للدلالة على عظم الموج وكثرته وارتفاعه بحيث يحصل منه وقت انحداره الى جانب السفل امثال الظلل ﴿قوله مقيم على الطريق القصد﴾ اي السبيل السوي فقوله تعالى فمنهم مقتصد اي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه

في البحر من التوحيد لله فالمعنى فمنهم من ثبت على ايمانه وههنا مضمر وهو قوله ومنهم من ينقض العهد اكتفى عنه بقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور والختار الكفور موازن الصبار الشكور لفظا ومقابل له معنى فان الصبار الشكور يتذكر ما فيه من الآيات حالة الرخاء من غير ان يلجئه اليه شئ من الشدائد والختار الكفور وان اضطر الى الاعتراف بالحق حالة الضرورة الا انه اذا انجاه الله تعالى من الغرق وانتهى الى البر نقض العهد ويعود الى ضلاله القديم وروى عن مصعب بن سعد عن ابيه انه قال لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة ابن ابي جهل وعبدالله بن خطل ومقيس بن ضبابة وعبدالله بن سعيد بن ابي سرح فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم ريح عاصف فقال اهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لا تغني عنكم شيأ ههنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص فلا ينجيني في البر ايضا غيره ثم قال اللهم ان لك عهدا ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما فسكنت الريح فجاء واسلم وحسن اسلامه ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل من اول السورة الى ههنا ختم السورة بما يحملهم على التفكر في تلك الدلائل والاهتداء بها الى ما يؤديهم الى حسن العاقبة وينجيهم من شدائد يوم القيامة فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ولا تخالفوا شيأ مما امر به ونهى عنه واكد الامر بتقواه بقوله تعالى واخشوا يوما اي عقاب يوم وقوله لا يجزي والد عن ولده صفة لقوله يوما والعائد محذوف اي فيه ومعناه لا يقضي عنه شيأ من الحقوق الثابتة عليه ولا ينفعه شئ لما كان بعض الاقرباء يتحمل عن البعض الآخر ما يتوجه اليه من المكاره والشدائد بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي كان ينفع بعضهم بعضا بها في الدنيا اخبر الله تعالى ان ذلك كله ينقطع في الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل امرئ بنفسه ولا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده فان ما بينهما من القرابة القريبة تستدعي ان يجتهد كل واحد منهما ويبذل وسعه وطاقته في دفع ما يلحق الآخر من المكاره للشفقة والمحبة التي جعلت فيما بينهم ومع ذلك فقد اخبر الله تعالى انه لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه كما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبي وسببي ونسبه دينه الذي دعا اليه وعمله وسببه شفاعته يوم القيامة فاخبر ان ذلك كله منقطع الا دينه فان من تمسك بدينه فانه يشفع له يوم القيامة فيما فرط وقصر واما من لم يقبل دينه ولم يجب الى ما دعاه فانه ليس له شئ من هدى وقد انقطع عنه باقي الانساب والاسباب ايضا وقال بعضهم هذه الآية في الكفار واما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده في الآخرة بدفع الاب الى ابنه فضل عمله وكذلك الولد الى ابيه لقوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد روي في الاحاديث الشفاعة للاخيار وبعد ان ينتفع الاجانب دون الاقارب و[illegible] ﴿قوله وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى﴾ على انه نقل من المهموز اللام يقال اجزأت عنك مجزأ فلان ومجزأة فلان اي اغنيت عنك مغناه واجزأت عنك شاة لغة في جزت اي قضت وادت فان جزى غير مهموز بمعنى قضى ﴿قوله ولا مولود عطف على والد﴾ فيه بحث لان المولود حينئذ يكون فاعل قوله لا يجزي ويكون قوله هو جاز عن والده صفة للمولود فيلزم ان يكون المولود جازيا عن والده في الدنيا وغير جاز عنه فكيف يجتمع فيه المتنافيان والجواب ان اللازم من التوصيف كون المولود جازيا عن والده في الدنيا والمنفي كونه جازيا عنه يوم القيامة ولا منافاة بينهما لاختلاف الزمان ﴿قوله او مبتدأ﴾ ويجوز الابتداء بالنكرة الواقعة في سياق النفي كقولك ما احد خير منك والمبتدأ مع خبره جملة معطوفة على قوله لا يجزي والد عن ولده ﴿قوله وتغيير النظم﴾ فان قوله ولا مولود ان كان معطوفا على والد كان الظاهر ان يقال ولا ولد عن والده فغير لفظ الولد الى المولود ووصف بكونه جازيا عن والده في الدنيا للدلالة على ان الولد الصلبي الذي شأنه ان يقضي حقوق ابيه في الدنيا لا يقضي عنه شيأ من الحقوق يوم القيامة فضلا عن سائر الاولاد فان الولد يقع على الولد الصلبي وولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق الا على الولد الصلبي فتخصيص المولود بالذكر لقوة قرابته يدل على انه اولى بان لا يجزي اي اولى بان يبين انه لا يجزي وان كان قوله ولا مولود مبتدأ وما بعده خبره فقد غيرت الجملة المعطوفة الى ما هو آكد من المعطوف عليه فان الاسمية آكد من الفعلية لا سيما اذا توسطت كلمة هو بين المبتدأ والخبر ومع ذلك فقد غير لفظ الولد الى لفظ المولود ووجه التغيير ما ذكر من ان الدلالة على انه اولى بيان

(وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر (كفور) للنعم (يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه (ولا مولود) عطف على والد او مبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ) وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة

(ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن خلفه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي

(ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها روى ان الحارث ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت

حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد (ويعلم ما في الارحام) أذكر ام انثى أتام ام ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه (وما تدري نفس باي ارض تموت) كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم الله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ بأية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن (ان الله عليم) يعلم الاشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿ سورة السجدة مكية وهي ثلاثون ﴾
﴿ آية وقيل تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان جعل اسما للسورة او القرآن مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا ريب فيه) فيكون (من رب العالمين) حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله (ام يقولون افتراه) فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله (بل هو الحق من ربك) فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى

حكمه وقطع طمع من توقع ان ينفع اباه الكافر ﴿قوله بالثواب والعقاب﴾ على ان يكون قوله تعالى ان وعد الله حق لتحقق اليوم المذكور على معنى اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لا محالة لوعد الله تعالى بمجيئه ووعده حق ويحتمل ان يكون تحقيقا لعدم ان يجزي احد من احد على معنى انه لا يجزي والد عن ولده لان الله تعالى قد وعد ان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فلا يجزي احد من احد ولما كان الموعود حقا واقعا لا محالة وكان الاغترار بزخارف الدنيا وزينتها والاغترار بحلم الله تعالى وامهاله صارفا عن التزود لذلك اليوم نهى الله تعالى عن الاغترار بهما فقال تعالى لا يغرنكم شيء منهما واجتهدوا فيما يسعدكم والغرة بالله عبارة عن ان يتمادى الرجل على المعصية ويتمنى المغفرة والغرور بالضم مصدر وبالفتح صيغة مبالغة كشكور ويسمى الشيطان غرورا اذ من شأنه وحرفته ان يغر ﴿قوله لان فيها معنى الحيلة﴾ قال الدراية هي العلم مع تكلف وحيلة ولهذا لم يجيزوا اطلاق اسم الداري على الله تعالى ولما قال تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كائن لا محالة حيث قال ان وعد الله حق كان قائلا قال متى يكون اليوم فاجيب بان العلم بوقت قيام الساعة مما لم يحصل لغير الله تعالى فمكم ان تعتقدوا بقيامها وتتزودوا لها ﴿قوله وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في قولهم كلتهن﴾ يعني ان تأنيث اي لغة ضعيفة كتأنيث كل لان ايا اسم مبهم لازم الاضافة والجمع بين التاء والاضافة لا يخلو عن بشاعة لما فيه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه باجنبي وهو تاء التأنيث فاللغة الشائعة ان يقال ايهن وكلهن فان انث كان حقها ان تقطع عن الاضافة نحو أيّة سلكوا الا انه قرئ بأية ارض بالاضافة تشبيها لها بكل في قولهم كلتهن * تم ما يتعلق بسورة لقمان بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وهذا اوان الشروع في توضيح سورة الم السجدة

﴿ سورة الم السجدة وهي مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله وان جعل تعديدا للحروف﴾ ليتنبه السامع ويقبل نحو المتكلم ويجمع ما يلقى اليه بقلب حاضر والسامع ههنا وان كان يقظان اجلا لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا كالمنبهات ليلتفت المخاطب بسببها اليه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود فلا يكون لتلك الحروف محل من الاعراب لعدم تركبها مع العامل فحينئذ يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف تقديره الذي يتلى عليك منزل الكتاب اي كتاب منزل ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف للبيان كما في جرد قطيفة ونحوه مما اضيفت الصفة فيه الى موصوفها ولا ريب فيه خبر ثان او حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل ﴿قوله حالا من الضمير في فيه﴾ فيتعلق بمحذوف ولا يجوز حينئذ ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل فيما بعد الخبر ﴿قوله والضمير في فيه لمضمون الجملة﴾ يعني على تقدير كونه اعتراضا بين المبتدأ والخبر تأكيدا لمضمون الجملة يكون الضمير لمضمونها كأنه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين واما على تقدير ان يكون تنزيل مبتدأ ولا ريب فيه خبره فالضمير حينئذ يكون راجعا الى تنزيل الكتاب وايد كونه اعتراضا بامرين الاول قوله ام يقولون والثاني قوله بل هو الحق ثم بين وجه انتظام الكلام على تقدير كون لا ريب فيه اعتراضا بانه تعالى اشار الى اعجاز الكتاب المنزل بافتتاح السورة بالم على سبيل التعديد قال المصنف في اول سورة البقرة ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة الى هنا كلامه ﴿قوله فان ام منقطعة﴾ علة لكون الاضراب الى ما يقولون فيه انكارا له فان ام المنقطعة متضمنة لهمزة الاستفهام الذي لا محل له في هذا الموضع سوى الانكار اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن اثبات ان تنزيله من رب العالمين وليس الاضراب لابطال الكلام السابق بل بمعنى ترك الاول والاخذ فيما هو أهم فكأنه قيل اترك هذا الذي ذكرنا من كونه من رب العالمين وانظر في كلامهم الجفاء وتعجب منها ثم اضرب من ذلك ايضا فكأنه قال بل لا تلتفت الى قولهم وانظر الى كونه حقا واستغرق اوقاتك في التفكر فيه وتبليغه والعمل بما فيه وقوله من ربك حال من الحق وعامله محذوف وهو العامل في لتنذر ايضا

ويجوز ان يتعلق لتنذر بعامل آخر اي انزله لتنذر كما يشعر به قول المصنف و بين المقصود من تنزيله فقال لتنذر و قوله قوما مفعول اول للانذار و قوله ما اتاهم جملة منفية في محل النصب على انها صفة قوما و المفعول الثاني للانذار محذوف اي لتنذرهم العذاب ان أصرّوا على كفرهم ولم يؤمنوا بك وبكتابك فان أنذر يتعدى الى اثنين قال تعالى مثل انذرتكم صاعقة و يحتمل ان تكون كلمة ما في قوله ما اتاهم موصولة في محل النصب على انها المفعول الثاني للانذار والتقدير لتنذر قوما العقاب الذي آتاهم من نذير من قبلك على ان من نذير متعلق بأتاهم اي اتاهم العقاب على لسان نذير من قبلك وكذا الحال في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اي لتنذر قوما العقاب الذي انذره آباؤهم فما مفعوله في الموضعين والمراد بالقوم اهل الفترة وهم الذي كانوا بين عيسى عليه الصلاة والسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ومعنى عدم اتيان النذير اليهم انهم ضيعوا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام وضلوا بالكلية باتباع الاهوآء الفاسدة فاقتضت الحكمة الالهية ان يرسل اليهم رسولا يدعوهم الى التوحيد والطاعة وينذرهم عذاب الله تعالى ان أصرّوا على الضلالة وما اتاهم من نذير مع احتياجهم الى اتيانه حيث لم يبق على وجه الارض عالم يهديهم وينتفع بهدايته فمضوا على ذلك سنين متطاولة لم يأتهم رسول قبل بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام فكانوا قوما ما اتاهم من نذير بعد الضلال الذي حدث بانطماس الشريعة المتقدمة وقيل المراد بالقوم العرب فانهم امة امية لم يأتهم نذير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بعيد فانهم كانوا من اولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجميع انبياء بني اسرآئيل اولاد اعمامهم وكيف تجاسر على ان يقال انه تعالى ترك قوما من ابتدآء نشأتهم الى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم بلا دين ولا شرع وان اريد بالعرب طائفة مخصوصة منهم وهي اهل العصر الواقع قبل عصر النبوة لزم تخصيص العام بلا مخصص لان القوم الموصوفين بانه ما اتاهم من نذير من قبلك يعم جميع اهل العصر الواقع قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم سوآء كان من مشركي العرب او من اهل الكتاب فحمله على العرب خاصة تخصيص بلا دليل والترجي المستفاد من قوله تعالى لعلهم يهتدون من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان ذلك من جهة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر فالمعنى لتنذرهم راجيا انت اهتدآءهم ثم انه تعالى لما بين حقيقة الرسالة والتنزيل وبين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة البرهان عليه قال الله الذي خلق السموات فقوله الله مبتدأ والموصول مع صلته خبره وقد اتفق المشركون على انه تعالى لا شريك له في صنعها فكذا لا شريك له في الالوهية ﴿قوله مر بيانه في الاعراف﴾ وهو قوله في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور فلما كان تعالى منزها عن الاستقرار والتمكن جعل الاستوآء على العرش كناية عن نفاذ قدرته وتصرفه في مخلوقاته لان الجلوس على العرش من لوازم الملك والاستيلاء فاطلق اللازم واريد به الملزوم والاستوآء على العرش من جملة المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله عند بعض العلماء حتى قيل تأويله الايمان به وان يفوض العلم بان المراد منه ما هو الى الله قال

* ورب العرش فوق العرش لكن * بلا وصف التمكن واتصال *

﴿قوله مالكم اذا جاوزتم رضى الله تعالى﴾ لما كان ظاهر اللفظ يدل على انه ليس لنا ولي ولا شفيع غير الله فان ولينا وشفيعنا هو الله تعالى وحده و الله تعالى منزه من ان يكون شفيعا يستشفع به الى احد ولذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم على اعرابي قال استشفع بالله اليك اشار المصنف الى ان ذلك المعنى غير مراد اذ كان قوله من دون الله بمعنى من غير الله وليس كذلك بل المعنى مالكم مجاوزين الله اي مجاوزين رضاه وامتثال امره وطاعته ولي ولا شفيع فيكون من دونه حالا من كم في لكم والعامل معنى الاستقرار الذي تعلق به لكم اي ما استقر لكم مجاوزين رضى الله وامتثال امره شفيع يشفع لكم وناصر ينصركم وفي الكلام حذف مضاف اي من دون رضاه ومن استعمال دونه في معنى المجاوزة قول الشاعر * يا نفس مالك دون الله من واق * اي مالك اذا جاوزت وقاية الله احد يقيك ثم اشار الى توجيه آخر بقوله او مالكم سواه ولي ولا شفيع وتقريره ان معنى من دون الله من غير الله لكن انما يفهم ذلك المعنى المهروب عنه ان لو كان الشفيع على اصل معناه وليس كذلك بل هو بمعنى الناصر لان الشفاعة تستلزم النصرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فيكون من دونه حالا من ولي ولا شفيع قدم على ذي الحال

ابلاغ انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال (لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) اذ كانوا اهل الفترة (لعلهم يهتدون) بانذارك اياهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش) مر بيانه في الاعراف (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) مالكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او مالكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر (افلا تتذكرون) بمواعظ الله

لكونه نكرة * فان قيل كيف قدم على ذى الحال المجرور وقد صرح ابن الحاجب فى الكافيه بان الحال لا يتقدم على ذى الحال المجرور فى الاصح * فالجواب ان حرف الجر عنده زائد لا اعتداد به ووجد اتصال قوله تعالى مالكم من دونه من ولىّ بما قبله انه لما نزل قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام الآية قال بعض المشركين نحن معترفون بان خالق السموات والارض واحد هو الله تعالى الا ان هذه الاصنام صور ملائكة مكرمين عند الله نرجو منهم انهم شفعاؤنا فقال الله تعالى اذا علمتم انه لا اله غيره فاعلموا انه لا نصرة من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة ضائعة لانهم ليسوا بخالقيكم ولا ناصريكم ولا شفعائكم لان من بلغ فى القدرة وعلو الشان الى ان تمكن من خلق هذه الاجسام العظام والتصرف فيها كيف شاء هل يكون عنده لهذا الملك العظيم الشان لهؤلاء الاصنام المكوّنة قدر وحرمة حتى ترجوا منها نصرة وشفاعة وتدبير الامر النظر فى دابره وعاقبته والتفكر فيه ﴿قوله يدبر امر الدنيا﴾ اى شأنها وحالها والامور التى تقع فيها والمراد بتدبير امرها القضاء السابق الذى هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص بجعل القضاء مبتدأ من جانب السماء لكون المقضىّ منوطا باسباب سماوية منتهيا الى الارض لانتهاء آثار تلك الاسباب الى الارض وعروج امر الدنيا اليه تعالى مجاز عن ثبوته فى علمه تعالى موجودا وعطف عروج الامر على تدبيره بكلمة ثم وقدر زمان العروج بالف سنة من سنى الدنيا استطالة ما بين التدبير والوقوع لا التعيين والتوقيت ﴿قوله فى برهة من الزمان﴾ اى فى مدة متطاولة منه ﴿قوله وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح﴾ على ان يكون المراد بالامر امر الوحى وتدبيره اظهاره فى اللوح وان يكون قوله من السماء متعلقا بمحذوف اى فينزل به بعض ملائكته من السماء الى الارض فيلقى ذلك الى الذى امره الله اليه من الرسل ثم يعرج ذلك الملك اليه اى الى الموضع الذى امره بالعروج اليه من السماء فى يوم كان مقداره فى نزول الملك الى الارض وعروجه منها الى السماء الف سنة مما تعدّون من ايامكم فى الدنيا واستطالة نفس اليوم عبارة عن امتداد مسافة نزول الملك وعروجه بكونها مسيرة الف سنة فانه لو سار احد من بنى آدم فيها لم يقطعها الا فى الف سنة والملائكة يقطعونها فى يوم واحد من ايام الدنيا بل فى اقل ساعة منها فالتدبير عبارة عن كتبه الوحى فى اللوح المحفوظ واظهاره فيه للملائكة الموكلين به حتى اذا رأوا انه قد وجد ذلك فى اللوح عرفوا انه تعالى اراد ان ينزلوا به الى نبيه فى الارض فيعملون ذلك ثم يرجعون الى مكانهم الذى كانوا فيه والعروج بحسب الظاهر وان كان مسندا الى ضمير الامر الا انه عروج الملك المأمور بتبليغ ذلك الامر وكذا ضمير اليه يرجع بحسب الظاهر اليه تعالى الا ان المراد عروج الملك الى مكانه الذى فى السماء وقيل ضمير اليه يرجع الى السماء المذكور قبله وهو يذكر ويؤنث قال تعالى السماء منفطر به ﴿قوله وقيل يقضى قضاء الف سنة﴾ على ان يدبر بمعنى يقضى وان الامر امر الدنيا واحوالها الواقعة فى يوم واحد من ايام الله تعالى وهو الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدّون وان قوله تعالى من السماء متعلق بمحذوف اى فينزل به الملك من السماء الى الارض ثم يعرج بعد الالف لانزال قضاء الف آخر وقوله فى يوم تنازع فيه الفعلان فاعمل فيه الفعل الثانى وهو يعرج وحذف ظرف الفعل الاول لدلالة الثانى عليه والمصنف اشار اليه بقوله يقضى قضاء الف سنة اى يقضى ما قضى ويوقعه القضية وعبر عن الفعلين بلفظ المضارع الدال على الاستمرار التجددى للدلالة على ان شأنه تعالى الاستمرار على ان يقضى ما قضى ويوقعه فى يوم واحد مقداره الف سنة فينزل به الملك فيوقعه فى الاوقات المقدرة له ثم يعرج فى انقضاء ذلك اليوم ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة ﴿قوله وقيل يدبر الامر﴾ اى يقضى شأن الدنيا وما قضى وقدر فيها من الامور وقوله من السماء الى الارض بيان للامر اى يدبر الامر الذى مبدأه من السماء ومنتهاه الى الارض وهذا كما تقول من السماء الى الارض فى قبضة قدرة الله تعالى ومن المشرق الى المغرب كله لله تعالى واشار بقوله الى قيام الساعة الى ان قوله فى يوم غير متعلق بالتدبير وانه غير مقيد بالظرف المذكور بعده بل هو قيد للعروج والمعنى ثم يرجع اليه جميع ما قضى وقدر يوم القيامة ليحكم فيه ويميز ما هو الحق منه من الباطل ويثيب المحق ويعاقب المبطل ووصف يوم القيامة بان مقداره الف سنة لان يوما من ايام الآخرة كالف سنة من ايام الدنيا ﴿قوله وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا﴾ يعنى قيل ان المراد بالامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة وتدبيرها الامر بها والترغيب فيها بالوحى وتعديته بمن والى لتضمنه معنى ينزل وان قوله ثم يعرج اليه

(يدبر الامر من السماء الى الارض) يدبر
امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها
نازلة آثارها الى الارض (ثم يعرج اليه)
ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا (فى يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدّون) فى برهة
من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة
ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر
باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه
فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله
وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى
قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد
الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام
الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيامة
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا
من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه
خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة
المخلصين والاعمال الخلص

في يوم كان مقداره الف سنة ليس المراد به تعيين مدة العروج بذلك الوقت بل المراد به تقليل الاعمال الصالحة والعاملين بها ولم يرض المصنف بشيء من هذه الاقوال المذكورة لكثرة مافيها من التكلف بالنسبة الى ما ارتضاه قيل في التطبيق بين قوله تعالى في هذه السورة في يوم كان مقداره الف سنة وبين قوله في سورة اخرى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ان الاول في وصف عروج الملائكة من الارض الى السماء والثاني في وصف عروجهم من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه الصلاة والسلام فان مسافة مابينهما وبين الارض خمسون الف سنة يسير بني آدم ثم ان جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه يقطعونها في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل الف سنة وخمسون الف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم الطول كخمسين الف سنة وعلى بعضهم اقصر منها كالف سنة حتى جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقيل لايكون على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر ويحتمل ان يكون هذا عبارة عن بيان مافيه من الشدائد والاهوال لاتحديده بذلك وروى ان ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن هذه الآية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله تعالى لاادري ماهي واكره ان اقول في كتاب الله تعالى مالا اعلم ﴿قوله وقرئ يعرج﴾ على البناء للمفعول والاصل يعرج به ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر وقرئ تعدون بتاء الخطاب وياء الغيبة ﴿قوله وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا﴾ اتفق المسلمون على انه تعالى لايفعل فعلا خاليا عن حكمة ومصلحة الا ان تلك الحكمة لازمة للفعل وليست حاملة له على الفعل عندنا خلافا للمعتزلة ﴿قوله وخلقه بدل من كل﴾ يعني ان ابن كثير وابا عمرو وابن عامر قرؤا خلقه بسكون اللام على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء ﴿قوله وقيل علم كيف يخلقه﴾ عطف على قوله خلقه موفرا عليه مايستعد فان المعنى حينئذ حسن خلقه كل شيء وصورته بان خلقه مشتملا على جميع مايليق به فيكون كل شيء مفعولا به وخلقه بدلا منه بمعنى احسن خلق كل شيء وان كان احسن الشيء بمعنى علمه يكون المعنى علم كل شيء قبل ان يخلقه انه كيف يخلقه وكيف يكون اذا خلقه فيكون كل شيء مفعولا اولا وخلقه مفعولا ثانيا ومن كون الاحسان بمعنى العلم قول من قال

* وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم اعداء *

اي ماقد كان يعلمه ويحسن علمه بان يعرفه معرفة حسنة تحقيق واتقان لامطلق العلم وقيل معناه ان من زاد علمه زاد في صدور الناس قدره وقيمته وكل من نقص علمه نقص عند الناس جاهه وحشمته ﴿قوله فالشيء على الاول﴾ يعني ان خلقه سواء جعل بدلا او مفعولا ثانيا لابد من تخصيص الشيء لانه تعالى لم يخلق كل شيء فضلا عن ان يحسن خلقه او يحسنه ويتم زينته والمخصص على الاول الدليل المنفصل وهو العقل فانه يدل على ان المراد الموجودات الممكنة وعلى الثاني الدليل المتصل وهو الوصف اعني خلقه ﴿قوله لانها تنسل منه اي تنفصل﴾ يقال نسل الطائر ريشه ينسل وينسل نسلا اي اسقطه ونسل الوبر وريش الطائر بنفسه يتعدى ولا يتعدى ﴿قوله تعالى وجعل لكم﴾ التفات من ضمير الغائب المفرد في قوله ثم جعل نسله الخ الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك وقال وجعل لكم ﴿قوله تشكرون شكرا قليلا﴾ اشارة الى ان قوله قليلا صفة مصدر محذوف للفعل المذكور بعده وما زائدة لتأكيد القلة ﴿قوله تعالى وقالوا أئذا ضللنا﴾ معطوف على ماسبق منهم فان المشركين كانوا ينكرون الوحدانية والرسالة وقد اشير الى الثاني بقوله تعالى ام يقولون افتراه والى الاول بقوله الله الذي خلق السموات وقد تقرر ان معظم مقاصد القرآن العظيم تمهيد اصول ثلاثة وتقرير دلائلها التوحيد والرسالة والحشر وانه تعالى كلما ذكر اصلين من هذه الاصول الثلاثة يذكر الاصل الثالث معهما وههنا قد ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق السموات الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ثم ذكر الاصل الثالث وهو الحشر بقوله وقالوا أئذا ضللنا اي ضعنا وهلكنا بان صرنا ماصرنا عليه هالكين بان صرنا ترابا مختلطا بتراب الارض لانتميز منه كما يضيع اللبن في الماء يقال ضل الشيء يضل ضلالا اي ضاع وهلك واضله غيره اي اضاعه واهلكه ويقال ايضا ضل الشيء اذا غاب وخفي مكانه وتقول ضللت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شيء مقيم لايهتدى له فقولهم أئذا ضللنا في الارض اي غبنا فيها بسبب الدفن وقرأ العامة ضللنا بضاد

وقرئ يعرج ويعدون (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيدبر امرهما على وفق الحكمة (العزيز) الغالب على امره (الرحيم) على العباد في تدبيره وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا (الذي احسن كل شيء خلقه) خلقه موفرا عليه مايستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء مايحسنه اي يحسن معرفته او خلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل (وبدأ خلق الانسان) يعني آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل (من سلالة من ماء مهين) ممتهن (ثم سواه) قومه بتصوير اعضائه على ماينبغي (ونفخ فيه من روحه) اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه عرف ربه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ماتشكرون) تشكرون شكرا قليلا (وقالوا أئذا ضللنا في الارض) اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لانتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن

معجمة ولام مفتوحة والمضارع منه بكسر العين وهي اللغة الشائعة وقرئ صللنا بكسر اللام والمضارع منه يصل بفتح العين وهي ايضا لغة وقرئ صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وبكسر اللام ايضا وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها بمعنى انتن وتغيرت رائحته وقرأ عاصم وحمزة أئذا ضللنا في الارض أئنا بالجمع بين الاستفهامين بهمزتين للمبالغة في انكارهم البعث وقرأ ابن عامر اذا ضللنا بهمزة مكسورة على الخبر أئنا بهمزتين قال لانهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه وانما انكروا البعث فيكون الاستفهام في البعث دون الموت وقرأ نافع والكسائي ويعقوب أئذا ضللنا انا بجعل اولى الكلمتين استفهاما والثانية خبرا اكتفاء بالهمزة الاولى عن الثانية ﴿قوله والعامل فيه﴾ اى في اذا محذوف ولا يجوز ان يعمل فيه قوله خلق جديد لان ما بعد ان وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما ﴿قوله بالبعث﴾ متعلق بقوله بلقاء ربهم وليس ببيان له والا لما بقي للاضراب وجه لان كفرهم بالبعث قد ذكر في اول الآية ووجه الاضراب انه تعالى ذكر انكارهم البعث بناء على استبعادهم دخوله تحت قدرة الله تعالى كما يدل عليه قولهم أئذا ضللنا في الارض ثم اضرب عنه بما معناه ليس انكارهم البعث مبنيا على استبعادهم قدرة الله تعالى عليه لما اقيم عليهم من الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى عليه وانما انكروه لكفرهم بلقاء الله تعالى اى بلقاء ماوعد الله تعالى من اجتماع الخلائق في موقف الحساب وتفرقهم على حسب اعمالهم الى دار الثواب او العقاب فانكروا ما يفضي اليه من البعث والاحياء فعلى هذا كان الظاهر ان يكون قوله او بتلقي ملك الموت معطوفا على قوله بالبعث ويكون كل واحد منهما بيانا لطريق لقاء الرب ولقاء موعده الا ان عطف قوله ومابعده على تلقي ملك الموت يأبى ذلك لان لقاء ما يلقونه بعد تلقي الملك هو نفس لقاء ماوعده الرب لا طريق لقائه فينبغي ان يحمل قوله بالبعث وما عطف عليه بيانا او بدلا من قوله تعالى بلقاء ربهم تفسيرا له ويحمل الكفر بالبعث مغايرا لانكار البعث المدلول عليه بقوله أنبعث او يجدد خلقنا اذا ضللنا فان انكار الشئ يكفي فيه مجرد استبعاده والكفر به انما يكون بالقطع بعدمه وتوعده فترتيب النظم انه تعالى ذكر اولا انهم قالوا ما دلت استبعاد البعث ثم اضرب عنه بقوله بل هم كافرون بالبعث قاطعون بعدمه وتوعدا وبقوله بل هم كافرون بتلقي ملك الموت وما يكون بعده من امور الآخرة بامرها لا بالبعث وحده ويؤيد هذا المعنى انهم خوطبوا بقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وتوفى الحق واستيفاؤه اخذه وافيا تاما من غير نقصان واستيفاء النفس وهي الروح ان تقبض كلها ولا يترك منها شئ او لا يبقى من اصحاب الارواح احد كتب عليه الموت * روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب فاذا قبض ارواح المؤمنين دفعها الى ملائكة الرحمة واذا قبض ارواح الكافرين دفعها الى ملائكة العذاب ﴿قوله ويجوز ان يكون للتمني﴾ لان كلمة لو للتقدير والتمني فيه معنى التقدير لان المتمني لا يخلو من تقديره وطلب حصوله ولما كان في التمني معنى التقدير استعملت كلمة لو للتمني كما في قوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة حين خطب امرأة لو نظرت اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اى يكون بينكما المحبة والاتفاق والادم الالفة والاتفاق يقال ادم الله بينكما ادما اى الف واصلح وعلى تقدير كون لو للتمني لا تقتضي جوابا كما هو المشهور ثم ان التمني يستحيل ان يكون منه تعالى فلابد ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان الترجي له عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى لعلهم يهتدون بين الله تعالى ان له صلى الله عليه وسلم ان يتمنى رؤيتهم على تلك الصفة الفظيعة لما تجرع منهم انواع الاذية والخلاف فكان عليه الصلاة والسلام حقيقا بان يتمنى ذلك ﴿قوله والمضي فيها وفي اذ﴾ يعني ان كلمة لو اذا لم تكن للتمني بل كانت لوقوع الشئ لوقوع غيره فيما مضى اذا دخلت على المضارع تصرفه الى الماضي وكذا كلمة اذ ظرف للماضي فمدلول الكلام ان يكون نكس المجرمين رؤسهم واقعا فيما مضى وان يفرض وقوع رؤية المخاطب اياهم على تلك الحالة الفظيعة فيما مضى ولا شك ان النكس امر استقبالي لم يقع بعد فلا وجه لدخول اذ عليه كما لا وجه لفرض وقوع الرؤية المتعلقة بالنكس المترقب فيما مضى الا ان الثابت في علم الله تعالى لما كان بمنزلة الواقع كان نكس رؤسهم بمنزلة الواقع فيما مضى فصح دخول كلمة اذ عليه وصح فرض كون المخاطب رائيا في ذلك الوقت ان لم يقدر لترى مفعول او فرض وقوع الرؤية المتعلقة به اى بالنكس فيما مضى ان قدر لترى مفعول يدل عليه صلة اذ ثم ان المجرمين لما قالوا حين شاهدوا ما وعده الله تعالى من البعث والحساب ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا قال تعالى في جوابهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اى رشدها وتوفيقها للايمان والعمل الصالح فان كل فعل من افعال

وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه
مادل عليه (أئنا لفي خلق جديد) وهو
أنبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي
ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف
واسناده الى جميعهم لرضاهم به (بل هم
بلقاء ربهم) بالبعث او بتلقي ملك الموت
ومابعده (كافرون) جاحدون (قل يتوفاكم
يستوفي نفوسكم لايترك منها شيأ او لايبق
منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان
كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته
واستعجلته (ملك الموت الذي وكل بكم
بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم
(ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجزاء
(ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم) من الحياء والخزي (ربنا) قائلين
ربنا (ابصرنا) ماوعدتنا (وسمعنا) منك
تصديق رسلك (فارجعنا) الى الدنيا
(نعمل صالحا انا موقنون) اذ لم يبق لنا شك
بما شاهدنا وجواب لو محذوف وتقدير
رأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون التمني
والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله
بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى
لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر
مادل عليه صلة اذ والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لكل احد

العباد يقع بسبب رحمته ويمضى عليه من عند الله تعالى وذلك السبب ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعا وتقرير الجواب ان الرجوع الى الدنيا انما ينفعكم ان لو شئت توفيقكم للايمان والعمل الصالح ولو شئت ذلك فيكم لهديتكم وانتم فى الدنيا ولما لم اهدكم فيها تبين انى ما اردت ايمانكم وصلاحكم فلا فائدة لكم فى الرجوع الى الدنيا وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وكقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فانه تعالى انما يوفق للايمان والطاعة من علم منه اختيار ذلك واما من علم منه اختيار الكفر والمعصية فانه تعالى يخذله ويطبع على قلبه وهذا صريح فى الدلالة على صحة مذهب اهل السنة فانهم يقولون ان الله تعالى ما اراد ايمان الكافر وماشاء منه الا الكفر والمعتزلة يقولون شاء الله تعالى ان يهدى كل نفس وآتى كل نفس ماتهتدى به لكنها لم تهتد فهذه الآية حجة عليهم ويقولون فى الجواب عنها فى توجيهها المراد بالآية ولو شئنا ايتاء كل نفس هداها على طريق القهر والجبر لفعلنا ذلك لكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاختاروا الكفر على الايمان فحقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن نقول هذا التأويل فاسد لانهم زعموا انه تعالى شاء من الكافر ان يهتدى وآتاه مابه يهتدى الا انه لم يهتد ولم تنفذ فيه مشيئة الله تعالى فكيف يقدر وعلى لو يشاء مشيئة تقهرهم وتجبرهم على الاهتداء وايضا يقال لهم ان الايمان والتوحيد فى حال الجبر والقهر لايكون ايمانا لان الاكراه يرفع الفعل عن فاعله ويحوله عنه الى المكره روى عن الحسن انه قال خطبنا ابو هريرة رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليعتذرن الله تعالى الى آدم عليه الصلاة والسلام ثلاث معاذير يقول الله تعالى يا آدم لولا انى لعنت الكذابين وابغضت الكذب والخلف واعذب عليه لرحمت اليوم ولدك اجمعين من شدة مااعددت لهم من العذاب ولكن حق القول منى لئن كذبت رسلى وعصى امرى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ويقول الله تعالى يا آدم اعلم انى لا ادخل من ذريتك النار احدا ولا اعذب منهم بالنار احدا الا من قد علمت بعلمى انى لو رددته الى الدنيا لعاد الى شر ما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول الله تعالى يا آدم قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر مايرفع اليك من اعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم انى لا ادخل منهم النار الا من كان ظالما فقوله تعالى ولكن حق القول منى تقديره ولكن لم اشأ ايتاء توفيق الايمان لكل نفس فبقى بعض منهم غير موفق للايمان والطاعة فاختار الكفر والعصيان فسبق قضائى وسبق وعيدى فى حقهم وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين من كفار الفريقين لاختيارهم الكفر والتكذيب وفى قوله تعالى من الجنة والناس دلالة على انه تعالى قد عصم ملائكته من عمل يستحقون به جهنم وانهم مبرأون من دخول النار وهذا يقتضى ان لايكون ابليس من الملائكة وهو الصحيح وقوله تعالى اجمعين تأكيد لاجتماع الفريقين فى كونهما مالئين لجهنم المدلول عليه بعطف الناس على الجنة بواو الجمع ولا يلزم منه دخول كل احد من آحاد الفريقين النار لان المراد اجتماع الجنسين فى ان يملأ جميعا جهنم لااستغراق آحادهما فى ذلك كما اذا قلت ملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا فانه لايقتضى ان لايبقى درهم خارج عن الكيس ﴿قوله وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة﴾ لان لولا تفيد انتفاء الثانى لانتفاء الاول الذى هو المشيئة وكون عدم المشيئة مسببا عن سبق الحكم بانهم من اهل النار مبنى على ان قوله تعالى ولكن حق القول منى جيء به تعليلا لعدم المشيئة كأنه قيل لو شئنا ايتاء كل نفس هداها لآتيناها ذلك لكن لم نؤتها ذلك لعدم مشيئتنا اياه ولم نشأ ذلك لثبوت الحكم وسبق الوعيد بان من اهل الفريقين من هو اهل النار وهم الذين ثبت فى علمه تعالى انهم يختارون الحظوظ العاجلة على السعادات الباقية ويتركون التفكر فى العاقبة ترك الشيء المنسى ﴿قوله ولابد منه جعل ذوق العذاب الخ﴾ جواب عما يقال ان الآية تدل على ان جميع ماهم عليه من سوء الحال مستند الى القضاء السابق المتعلق بشقاوتهم لانه يفهم منه ان عدم ايمانهم يستند الى سبق الحكم بانهم من اهل النار فيلزم منه ان يكون ذوق العذاب مستندا الى الحكم المذكور فكيف جعل مستندا الى نسيانهم العاقبة أليس هما متناقضين وتقرير الجواب انه لاتدافع بينهما لان نسيان العاقبة من العلل المتوسطة لذوق العذاب واستناده الى النسيان لاينافى استناده بالآخرة الى الحكم المذكور فانه تعالى انما قضى وحكم بذلك لعلمه بانه يترك تفكر العاقبة ترك الشيء المنسى فان قيل النسيان معفو عنه لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان فكيف يؤاخذهم الله تعالى بسبب نسيانهم فالجواب

(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ماتهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له (ولكن حق القول منى) ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو (لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولابد منه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له (انا نسيناكم) تركناكم من الرحمة وفى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك

(انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خرّوا سجدا) خوفا من عذاب الله (وسبحوا) نزهوه عما لايليق به كالعجز عن البعث (بحمد ربهم) حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى (وهم لايستكبرون) عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصرّ مستكبرا

(تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم) داعين اياه (خوفا) من سخطه (وطمعا) فى رحمته وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاوّلين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضرّاء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم) لا ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل (من قرّة اعين) مما تقرّ به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفى على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل فى الكل هو الله تعالى وقرّات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) اى جزوا جزاء او اخفى للجزاء فان اخفاءه لعلوّ شأنه وقيل هذا لقوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) خارجا من الايمان (لايستوون) فى الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) فانها المأوى الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنه لامحالة وقيل المأوى جنة من الجنان (نزلا) سبق فى آل عمران (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم او على اعمالهم (واما الذين فسقوا فمأواهم النار) مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها) عبارة عن خلودهم فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) اهانة لهم وزيادة فى غيظهم

انه ليس المراد بالنسيان المذكور بقوله بما نسيتم نسيان السهو والغفلة اذ لاتبعة على ما حصل فى حال السهو والغفلة ولان النسيان انما يكون بطريان الجهل على ما هو حاصل سابقا والمشركون لم يعتقدوا حقيقة البعث حتى يلحقهم نسيان بل المراد به عدم التذكر به مع ظهور براهينه فان من انهمك فى اتباع الشهوات واعرض عن التفكر فى العاقبة والتزوّد لها بالايمان والطاعة مع وضوح دلائلها وتوفر دواعى التهيؤ لها بمنزلة من نسيها ثم نسيها فلذلك عبر عن تذكرها والتفكر فيها بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر وقوله انا نسيناكم بمعنى جازيناكم جزاء نسيانكم وسمى جزاء النسيان نسيانا على طريق المشاكلة كما سمى جزاء السيئة سيئة فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها او بمعنى تركناكم ترك الشئ المنسى فيكون استعارة تبعية ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين ينكرون البعث ويقولون أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد وانهم لايؤمنون بآيات الله تعالى اى بالقرآن ثم اجابهم بان ذلك كائن لامحالة ثم وصف حالهم الفظيعة فى موقف الحساب ذكر المؤمنين بعد ذكر ذلك فقال انما يؤمن بآياتنا اى بالقرآن المتدبرون لها المستمعون الى مواعظها بحيث اذا قرئ عليهم القرآن ووعظوا به خرّوا سجدا لله على وجوههم تذللا له وتعظيما لآياته ﴿قوله تعالى تتجافى جنوبهم﴾ يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وكذلك يدعون وان جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من الضمير فى جنوبهم ﴿قوله سيعلم اهل الجمع﴾ مقول قول مقدر اى ينادى قائلا سيعلم ﴿قوله فيسرّحون﴾ اى يرسلون يقال سرّحت فلانا الى موضع كذا اى ارسلته اليه قيل نزلت الآية فى الذين لاينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر فى جماعة قال عليه الصلاة والسلام من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة والمشهور انه صلاة الليل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وقال عليه الصلاة والسلام ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن ألان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ﴿قوله مما تقرّ به عيونهم﴾ على ان القرّة مصدر وصف به الثواب الذى تقرّ بسببه عيونهم ولا تلتفت الى غيره من القرار فان القلب اذا اطمأن بالشئ ورضى به لايبقى للعين طموح والتفات الى غيره فتقرّ قال الجوهرى القرار فى المكان الاستقرار فيه تقول منه قررت بالمكان بالكسر أقرّ قرارا وقررت ايضا بالفتح اقرّ قرارا وقرورا وقررت به عينا قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرّت عينه تقرّ وتقرّ نقيض سخنت واقرّ الله عينه اى اعطاه حتى تقرّ فلا تطمح الى من هو فوقه ويقال تبرد دمعة عينه ولا تسخن فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة فالقرّة بالضم البرودة والقرّ بالضم البرد ويوم قرّ وليلة قرّة اى باردة والقرّتان الغداة والعشى ﴿قوله عليه الصلاة والسلام بله ما اطلعتهم عليه﴾ من جملة قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى وبله اسم فعل بمعنى دع واترك ﴿قوله وقرأ حمزة ويعقوب اخفى﴾ بضم الهمزة وسكون الياء على لفظ المضارع المرفوع المسند الى ضمير المتكلم وحده وقرئ نخفى بضم نون العظمة وقرئ اخفى ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ العامة اخفى على لفظ الماضى المبنى للمفعول ومن ثمة فتحت ياؤه وقرأ الجمهور قرّة اعين بافراد قرّة لكونها مصدرا والمصدر اسم جنس والاصل فيه ان لايجمع وقرئ قرّات اعين على لفظ الجمع بالالف والتاء على ان يراد بالقرّة نوع من القرار وما موصولة والمعنى فلا تعلم نفس الشئ الذى اخفى لهم ومن قرّة حال من ما او استفهامية فعلى قراءة من قرأ مابعدها فعلا ماضيا تكون ما فى محل الرفع بالابتداء والفعل الذى بعدها الخبر وعلى قراءة من قرأه مضارعا تكون معمولا مقدما ﴿قوله جزوا جزاء﴾ يعنى ان جزاء منصوب اما على انه مصدر لعامله المحذوف او على انه معمول له لقوله اخفى فان اخفاء الجزاء عن الاعين والاسماع والقلوب لعلوّ شأنه فكأنه قيل فلا تعلم نفس اى ثواب عظيم اعد لهم جزاء بقى الكلام فى ان الثواب كيف يكون جزاء لعمل العبد مع ان اخلاص العمل لله عز وجل نعم الواصلة منه تعالى اليه قبل العمل كالخلق والترزيق وغيرهما والثواب الواصل منه تعالى اليه بعد العمل انما هو تفضل محض وعطية مبتدأة وليس جزاء للعمل السابق الا انه تعالى سماه جزاء تشبيها بالجزاء فى وقوعه بعد العمل واظهارا لكرمه وسبق رحمته حيث لم يعتد بما انعم به عليه سابقا ولم يطلب من العبد ان يشكره بمقابلة ذلك وجعله تفضلا محضا بل وعد الجزاء والثواب بمقابلة احسان العبد وقال لله كلما عملت حسنة ضاعفت لك اجرا وثوابا ثم اذا عرف ان هذا من فضل الله تعالى وكرمه فالواجب من جانب العبد ان يقول فلى جزاء نعم الله السابقة ولا استحق به جزاء

(ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) لعل من بقي منهم (يرجعون) يتوبون عن الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها) فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(انا من المجرمين منتقمون) فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلا تكن في مرية) في شك (من لقائه) من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة (وجعلناه) اي المنزل على موسى (هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون) الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام (بامرنا) اياهم به او بتوفيقنا لهم (لما صبروا) وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا (وكانوا بآياتنا يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) فيقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين (اولم يهد لهم) الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه (كم اهلكنا من قبلهم من القرون) اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة بالنون (يمشون في مساكنهم) يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد (ان في ذلك لآيات افلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله (فنخرج به زرعا) وقيل اسم موضع باليمن (تأكل منه) من الزرع (انعامهم) كالتبن والورق (وانفسهم) كالحب والثمر (افلا يبصرون) فيستدلون به على كمال قدرته وفضله (ويقولون متى هذا الفتح) النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا (ان كنتم صادقين) في الوعد به

فاذا اثابه الله تعالى يقول الذي اثيب به كان جزاء وهذا ابتداء احسان من الله تعالى يستحق بذلك ثناء وشكرا فيأتي بمقابلته حسنة وطاعة فيقول الله تعالى بمقتضى كرمه وفضله اني احسنت اليه جزاء عمله الاول وما عملته اولا انما عملته تفضلا لا اطلب شكره فصار به ثالثا فيشكر العبد ثالثا فصار به رابعا وعلى هذا لا تنقطع المعاملة بين الرب والعبد ثم انه تعالى لما بين فضيحة المجرمين ونكس رؤسهم في موقف الحساب ووصف ثواب المؤمنين وما اخفي لهم من قرة اعين قال امن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم صرح بانهما لا يستويان ثم فصل طريق امتياز احدهما عن الآخر بقوله اما الذين آمنوا الآية والنزل ما اعد للنازل من طعام وشراب وصلة وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف قال الشاعر

* وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا *

وقوله تعالى في حق المؤمنين لهم بلام التمليك زيادة اكرام لهم لان من قال لغيره اسكن هذه الدار يكون محمولا على العارية وله استردادها واذا قال له هذه الدار لك يكون محمولا على نسبة الملكية اليه وليس له استردادها الا ترى انه تعالى لما قال لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اخرجهما منها ولو قال لكما الجنة لما اخرجهما ولم يكن للمؤمنين الخروج من الجنة في الآخرة قال لكم الجنة ولهم جنات ثم انه تعالى لما هددهم بالعذاب الاكبر الذي هو عذاب النار وعدهم بعذاب الدنيا ايضا فقال ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي الاقرب فان عذاب الدنيا قريب دون العذاب الاكبر يعني به عذاب الآخرة الذي هو اكبر من عذاب الدنيا لكونه شديدا مديدا بخلاف عذاب الدنيا ﴿قوله فنزلت هذه الآيات﴾ اي من قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا قال الوليد بن عقبة لعلي رضي الله تعالى عنه الى كم تهتدي فوالله اني لاحد منك سنانا واشجع منك جنانا وابسط منك لسانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت يا فاسق فانزل الله تعالى هذه الآيات تصديقا لعلي رضي الله عنه فان قيل ما وجه الترجي المستفاد من قوله تعالى لعلهم يرجعون والترجي محال على الله تعالى * فالجواب ان المعنى ولنذيقنهم اذاقة من يرجى رجوعهم الى الايمان كما ان قوله انا نسيناكم معناه تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا ويجوز ان يكون المعنى ولنذيقنهم العذاب اذاقة من رآه لعلهم يرجعون بسببه ثم انه تعالى لما هدد الفاسقين واوعدهم بعذاب الدارين بين استحقاقهم لذلك بقوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فان مجرمي مكة قد ذكروا بواسطة القرآن ولم يتفكروا فيها ولم يؤمنوا بها فلا احد اظلم منهم فاستحقوا بذلك الانتقام منهم ﴿قوله بعد التذكير بها﴾ ظرف الاعراض وقوله عقلا متعلق بالاستبعاد تمييز له والغماء الكربة الشديدة التي تغطي اهلها والمراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب اي لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم يرى غمرات الموت ثم يتوسطها وانما قال ابن حرة ليهيجه ويحرضه على الزيارة والمعنى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيتها مستبعدة مستنكرة في العقل والعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه بانها غمرات الموت والزيارة بعد اليقين مما يستبعد وفي ايثار لفظ الزيارة واشعاره بانه يلاقيها لقاء معظم لحبوبه مبالغة على مبالغة جعل ثم للاستبعاد لا للتراخي اي زمانا ظاهر لانه لا وجه لان يقال في مقام المدح انه يرى غمرات الموت ثم يمكث زمانا طويلا متفكرا ثم يزورها لانه ذم له وامارتبة فلانه لا يستقيم ان يقال ان الاعراض ارفع درجة من التذكير وكذا لا يصح ان يقال في البيت ان الزيارة ارفع رتبة من رؤية غمرات الموت ﴿قوله من لقائك الكتاب﴾ على ان اللقاء مصدر اضيف الى مفعوله والمقصود تقرير رسالته عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان ما معه من الكتاب وحي سماوي وكتاب الهي لا كما زعمه المشركون من ان البشر لا يوحى اليه ولا يتلقى الكتاب من لدن حكيم عليم كانه قيل لست بدعا من رسول اوتي الكتاب الا ترى الى موسى عليه الصلاة والسلام قد بعث رسولا واوتي الكتاب وهو بشر مثلك فلا تشك في كونك رسولا مؤيدا بالكتاب السماوي فانه تعالى لما قرر الاصول الثلاثة الرسالة والتوحيد والحشر عاد الى الاصل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير والآدم من الناس الاسمر والطوال بالضم الطويل ويقال رجل جعد لمن لم يكن شعره مسترسلا وشعر سبط وسبط اي مسترسل غير جعد وشنوءة حي من احياء اليمن وكانت الجعودة غالبة فيهم روي ان التوراة انما جعلت هدى لبني اسرائيل خاصة دون بني اسماعيل ولما اشار بقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون الى ان منهم من لم يهتد به فضلا عن ان يهدي الناس الى ما فيه قال ان ربك هو يفصل بينهم ثم انه تعالى لما اعاد ذكر الرسالة بقوله ولقد آتينا موسى الكتاب اعاد ذكر التوحيد بقوله اولم يهد لهم الآية اي

(قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال (فاعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف (وانتظر) النصرة عليهم (انهم منتظرون) الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر * وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبي اتق الله) نداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) اي فيما يعود بوهن في الدين روى ان اباسفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت (ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع ما يوحى اليك من ربك) كالنهي عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (وتوكل على الله) وكل امرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور كلها (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني اولا

المرتبة ولم يهد لاهل مكة كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية الى ان مخالفة الرسول تؤدي الى الهلاك المحقق وان اتباعه فيما دعا اليه من التوحيد والطاعة واجب على الامة وقوله يمشون في مساكنهم حال من ضمير لهم ثم انه تعالى لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله ويقولون متى هذا الفتح والمراد بالفتح اما القضاء والفصل بالحكومة بين المحق والمبطل واما نصر المؤمنين واظهارهم على الكفار لان المؤمنين كانوا يقولون يحشر الله تعالى الخلائق اجمعين ويحكم بين المطيع والعاصي فيثيب المطيع ويعاقب العاصي فيقولون متى هذا الفتح والحكم وكذا كان المؤمنون يقولون ان الله تعالى سيفتح لنا على المشركين ويظهر دين الاسلام وينصرنا الله ويظهرنا عليكم فقالوا متى هذا الفتح والنصرة وقيل المراد به يوم فتح مكة وقيل يوم بدر وقد قتل بعض من كنانة يوم فتح مكة على يد خالد بن الوليد وقوله لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ظاهر على تقدير ان يراد بيوم الفتح يوم القيامة لان الايمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها ولاهم ينظرون اي يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليؤمنوا فيقبل ايمانهم ومن حمل يوم الفتح على يوم بدر او يوم فتح مكة قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا لان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار وقد قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولاهم ينظرون اي يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هرب قوم من بني كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبل منهم خالد وقتلهم فذلك قوله تعالى لا ينفع الذين كفروا ايمانهم والله اعلم ﴿ قوله وانطباقه جوابا ﴾ مبتدأ ومن حيث المعنى خبر يعني انهم سألوا عن وقت الفتح وقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون لا يطابق ظاهر السؤال لكنه مطابق لمعنى سؤالهم وما ارادوا منه فانهم ارادوا به استعجال الفتح تكذيبا له واستهزاء واجيبوا بان قيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فان في وقوعه ما يسوءكم ويجعلكم نادمين على استعجاله والاستهزاء به وقوله تعالى فاعرض عنهم معطوف على قوله قل يوم الفتح فانهم لما كذبوا ما اخبروا به من نصرة المؤمنين عليهم ومن حشر الخلائق اجمعين والحكم بينهم بتمييز المحق من المبطل ومجازاة كل واحد منهما على حسب حاله واستعجلوه على سبيل الاستهزاء قال تعالى له عليه الصلاة والسلام اجبهم بان تقول لهم لا تستعجلوا فان في وقوعه ضررا عظيما لكم ثم اعرض عنهم وانتظر وقوع ما اخبروا به من النصر والفصل بالحكومة وقرأ العامة انهم منتظرون بكسر الظاء على لفظ اسم الفاعل وقرئ منتظرون بفتح الظاء فعلى هذا التفسير لا وجه لان يقال انه منسوخ بآية السيف اذ لا منافاة بينهما * روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان * تم هنا ما يتعلق بسورة الم تنزيل السجدة والآن اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الاحزاب وهي مدنية

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قوله وتفخيما لشأن التقوى ﴾ فان تعظيم المنادي ذريعة الى تعظيم شأن المنادى له ﴿ قوله والمراد به الامر بالثبات عليه ﴾ جواب عما يقال المشتغل بالشئ لا يؤمر به فلا يقال للجالس مثلا اجلس فكيف امر عليه الصلاة والسلام بالتقوى وهو مشتغل بها وتقرير الجواب المشتغل بالشئ اذا امر به لا يكون المطلوب احداث اصل الفعل لانه طلب تحصيل الحاصل بل يكون المطلوب الثبات عليه بالجد والاهتمام وعدم الميل الى ما ينافيه والموادعة المصالحة وترك الحرب روى في نزول هذه الآية ان اباسفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي واسمه عمرو بن سفيان قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابي رأس المنافقين وجد بن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاهم الامان على ان يكلموه فكلموه بما شق عليه فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال عليه الصلاة والسلام قد اعطيتهم الامان فاخرجهم من المدينة فقال لهم عمر اخرجوا في لعنة الله تعالى وغضبه فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين اي من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو بالياء ﴾ اي بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب كقوله يا ايها النبي لان المراد هو وامته او خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كما في قوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * ﴿ قوله لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني ﴾ الروح الحيواني هو البخار اللطيف المتكون من غليان الدم الحاصل في جوف اللحم الصنوبري المثبت في الجانب الايسر منه وينفصل من هذا البخار قسم ويتوجه الى جانب الكبد وذلك القسم

يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة وطبخ الاغذية والافعال النباتية وقسم آخر يتصاعد الى الدماغ وبواسطة الشرايين ويسمى روحا نفسانيا ويتعلق به الافعال الحيوانية وهذا القسم لغاية لطافته يسرى الى جميع اطراف البدن وعروقه واعصابه ويتعلق به النفس الناطقة الانسانية اولا وبواسطته تتعلق بالبدن ﴿ قوله وذلك يمنع التعدد ﴾ اى وكون القلب معدنا للروح الحيواني ومنبع القوى باسرها يمنع تعدد القلب من حيث ان تعدده يستلزم التناقض وهو ان يكون كل واحد منهما محتاجا اليه ومستغنيا عنه فان كون كل واحد منهما قلبا يستلزم كونه اصلا لسائر القوى وكون الآخر قلبا يستلزم ان لا يكون الاول اصلا له كما ان يكون احدى العلتين علة تامة تستلزم كونها محتاجا اليها وكون الاخرى كذلك يستلزم كون الاولى مستغنى عنها هذا على تقدير ان يفعل بكل واحد منهما مثل ما يفعله بالآخر واما ان فعل باحد منهما غير ما يفعله بالآخر فحينئذ يلزم ان يكون الانسان راضيا كارها موقنا شاكا فى حالة واحدة وهو محال ﴿ قوله ولا الدعوة والبنوة ﴾ الدعوة بفتح الدال مصدر وارادة الدعاء الى الطعام وبكسرها يستعمل فى التبنى وادعاء النسب والادعياء جمع دعى بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول واصله دعيو فادغم وجمع على ادعياء على خلاف الاصل لان افعلاء انما يكون جمع فعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقى واتقياء وغنى واغنياء واما ان كان فعيلا معتل اللام بمعنى مفعول فكان القياس ان يجمع على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا فى الشذوذ قولهم اسير واسرى والقياس اسرى وقد سمع فيه الاصل فقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم معناه ما جعل من تتبنوه ابناءكم فنسخ الله تعالى التبنى وكان الرجل فى الجاهلية يتبنى رجلا فيدعوه الناس اليه ويرث ميراثه وكان النبى عليه الصلاة والسلام اعتق زيد بن حارثة وتبناه فلما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام المؤمنين زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية ونسخ التبنى به واللب العقل واللبيب العاقل وكذا الاريب من الارب وهو الدهاء وجودة الرأى وكان كل واحد من ابى معمر وجميل رجلا لبيبا حافظا لما يسمعه من الوقائع مكثرا لرواية الحوادث الماضية وكان لا يمر فى طريق من طرق البلدان الا ويعرفه بعد سنين متطاولة وكانت قريش تقول فى حقهما انهما ما حفظا هذه الاشياء الا ولهما قلبان وكانا يدعيان بذلك وكان ابو معمر يقول لى قلبان اعقل بكل منهما افضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم وروى انه انهزم يوم بدر فمر بابى سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له ابو سفيان ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له مالى ارى احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلى فعلم الناس يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده ﴿ قوله والزوجة المظاهر منها ﴾ منصوب بالعطف على اللبيب اى ومن ان الزوجة المظاهر منها كالام وان دعى الرجل ابنه وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية وكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها تجنب المطلقة فرد الله تعالى ما زعمه العرب من كونه مزيلا للنكاح الا انه قرر كونه موجبا لاصل الحرمة وجعل تلك الحرمة موقتة الى اداء الكفارة كما يجيء فى سورة المجادلة من انه تعالى نهى عن الظهار وجعله منكرا من القول وزورا واوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته ﴿ قوله او المراد نفى الامومة ﴾ عطف على قوله والمراد رد ما كانت العرب يعنى ان المراد من الآية اما نفى كل واحد من الامور الثلاثة التى زعمتها العرب او نفى الاخيرين منها ونفى الاول انما هو ليقاس عليه انتفاؤهما من حيث اشتراك الجميع فى كونه تقولا محضا لا حقيقة له ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو واللاى ﴾ يعنى ان جمع قولنا التى فيه ثلاث لغات قرئ بهن فقرأ الكوفيون وابن عامر اللائى هنا وفى سورة الطلاق بياء ساكنة بعد همزة مكسورة وهو الاصل فى هذه اللفظة وقرأ ابو عمرو اللاى بياء ساكنة بعد الف محضة اصله اللائى خففت الهمزة تخفيفا فبقيت الياء الساكنة ومن قرأ بهمزة مكسورة بدون الياء حذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة ﴿ قوله واصل تظهرون ﴾ بفتح التاء والظاء والهاء وتشديد الظاء والهاء بغير الف بينهما فانها قراءة الجمهور اصله تتظهرون بتاءين فادغمت الثانية فى الظاء كما فى تذكرون وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والف بعدها مضارع تظاهر واصله تتظاهرون بتاءين فادغمت الثانية وكذا فى الماضى الا انه اتى بهمزة الوصل بعد الادغام فيه ليمكن الابتداء فصار اظاهر وحمزة والكسائى تظاهرون بتخفيف الظاء والاصل ايضا تتظاهرون بتاءين حذفت احداهما وعاصم تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء والف بعدها مضارع ظاهر وقرئ تظهرون بضم التاء وفتح الظاء المعجمة

ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد (وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم) وما جمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر وقيل لجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين والزوجة المظاهر منها كالام ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر منها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعى اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور

ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علىّ كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى به وهو بمعنى حلف وذكر الظهر الكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعىّ على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه (ذلكم) اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير (قولكم بافواهكم) لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذى (والله يقول الحق) ماله حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله (هو اقسط عند الله) تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم في الدين) فهم اخوانكم في الدين (ومواليكم) واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به) ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان او سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لاعبرة له عندنا وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روى انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى في الدين فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وازواجه امهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء (واولوا الارحام) وذوو القرابات (بعضهم اولى ببعض) في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين

وتشديد الهاء المكسورة مضارع ظهّر بتضعيف العين وقرئ تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الهاء مضارع ظهر مخففا ثلاثيا وقوله من الظهور بيان لكون البناء مأخوذا من الفعل الثلاثى بيان مصدره وليس المقصود ان من قرأ تظهرون بفتح يجعله مأخوذا من الظهور لتصريحه بان الافعال المستعملة في الظهار كلها مأخوذة من الظهر على طريق اخذ الفعل من لفظ آخر كما يقال لبى المحرم بمعنى قال لبيك وامن بمعنى قال آمين وسبح اى قال سبحان الله وان كان الاصل والاكثر في الاستعمال ان يعبر بالالفاظ عن المعانى لا عن اللفظ ومدلوله نحو قولك اظهر واظاهر وظاهر وظهر كلها الفاظ فان معنى الجميع انه قال لزوجته انت علىّ كظهر امى ﴿قوله كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف﴾ وحلف لا يتعدى بمن لانه لما تضمن معنى التجنب من قربان زوجته مدة الايلاء عدى بمن ﴿قوله وذكر الظهر الكناية عن البطن﴾ يعنى ان قصد المظاهر ان يحرم عليه قربان امرأته بتشبيه قربانها بقربان امه والمرأة انما يؤتى لها من قبل بطنها فكان الظاهر ان يقول المظاهر انت علىّ كبطن امى في الحرمة الا انه كنى عن البطن بالظهر احترازا من ذكر البطن الذى ذكره قريب من ذكر الفرج ووجه الكناية التى هى ذكر اللازم وارادة الملزوم كون الظهر عمود البطن ولازما له في قيامه واستمساكه ﴿قوله او للتغليظ في التحريم﴾ فان قربان الام من جانب ظهرها لما كان اغلظ في الحرمة كان تشبيه الزوجة بظهر الام اغلظ في تحريمها عليه وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول ﴿قوله اشارة الى كل ما ذكر الخ﴾ اذ يصدق على كل واحد منها انه قول بالفم فحسب اذ ليس شئ منها اخبارا عن امر واقع والله يقول الحق اى يقول القول المطابق للواقع ويهدى سبيل الحق اى افرد من جملة اقواله الحقة ما هو المناسب لهذا المقام فقال ادعوهم لآبائهم وكانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يدعون زيد بن محمد الى ان نزلت هذه الآية فلما نزلت قالوا زيد بن حارثة ﴿قوله ولكن الجناح فيما تعمدت﴾ يعنى ان كلمة ما مجرور فيها وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفى والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت والثانى ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوفا ﴿قوله لعفوه عن المخطئ﴾ علة لكونه تعالى رحيما للمخطئ بمغفرته فان المغفرة هى ان يستر القادر القبيح من تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال انه غفر لسيده والرحمة ان يميل الى المرحوم بالاحسان اليه بمجرد عجز المرحوم من غير توقع عوض من قبله فاذا ذكرت المغفرة قبل الرحمة يكون المعنى انه ستر عيبه ثم رآه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه ولما كان هذا المعنى غير مناسب في هذا المقام اذ لا وجه لان يحمل الكلام على انه تعالى غفور للمخطئ متفضل عليه بعد ستر خطائه بالاحسان الزائد على المغفرة فلذلك جعل ذكر الرحمة للاشارة الى علة عفوه عن المخطئ وهو الاحسان اليه بناء على عجزه عن الاحتراز عما ارتكبه لنسيانه او لسبق لسانه ﴿قوله وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه﴾ سواء كان المملوك معروف النسب او مجهوله وسواء كان اصغر سنا من المتبنى بحيث يولد مثله لمثله اولا وعند صاحبيه لا يعتق اذا كان المملوك اكبر سنا من المتبنى ووافقنا الامام الشافعى في هذه المسألة ﴿قوله منزلات منزلتهن﴾ يعنى انه من باب التشبيه البليغ حذفت فيه اداة التشبيه للمبالغة ووجه الشبه وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن قال تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك كالاجانب وليس المراد التشبيه في جميع احكام الامهات الا ترى ان النظر اليهن والخلوة بهن حرام كما في الاجانب قال تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولا يقال لبناتهن هن اخوات المؤمنين الا ترى انه عليه الصلاة والسلام زوج بناته لعلىّ وذى النورين رضى الله عنهم اجمعين ولا يقال ايضا لاخوتهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالاتهم حتى تزوج الزبير اسماء بنت ابى بكر وهى اخت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهذا معنى ما روى مسروق ان امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فتبين ان معنى الآية التشبيه في بعض الاحكام وهو كونهن محرمات على الرجال مكرمة امهاتهم ﴿قوله وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام﴾ وهو ان يكون التوارث مبنيا على كون المتوارثين متوافقين في الهجرة او في التعاون والتناصر في الدين فمن وجد فيه هذه الصفة وان كان من الاجانب يرجح على القريب المؤمن الذى لم توجد فيه هذه الصفة ويقصد بذلك تألف قلوبهم على التناصر في الدين وتحمل مشاق الهجرة كما يتألف قلوب قوم باعطائهم سهما من الصدقات ثم نسخ ذلك بقوة الاسلام وكثرة اهله كان الناس في اول الاسلام يتوارثون بالهجرة لكونها من آكد اسباب الديانة والمواساة اذ هى اجتماع على نصرة دين الله تعالى ثم بعد

﴿قوله عطف على اخذنا﴾ اى ما دل عليه اخذنا فان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم بتبليغ الرسالة الى الامم ودعوتهم الى الدين القويم انما هو لاثابة المؤمنين فكأنه قيل ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاثابة المؤمنين واعد للكافرين ﴿قوله وكانوا زهاء اثنى عشر الفا﴾ اى قدرها لما ذكر الله تعالى فى اول السورة قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ذكر شأن الكفار والمنافقين مع اهل الاسلام وما يدل على وجوب التوكل على الله وكفايته فى الامور كلها فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله الآية وذكر النعمة شكرها وغطفان ابو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان وقيس ابو قبيلة من مضر وهو قيس عيلان والصبا ريح تجيء من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب والنبل السهام العربية وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ﴿قوله فاخصرتهم﴾ اى ابردتهم والخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل اذا آلمه البرد فى اطرافه وسفت التراب سفيا اى ذرته وطيرته والذاريات الرياح ﴿قوله فانجاء﴾ اى انزعوا النجاء من قولك نجوت نجاء اى اسرعت والهمزة فيه منقلبة عن واو كما فى كساء * اقبلت قريش فى ايام الخندق فى عشرة آلاف من الاحابيش وهم الجماعات المتفرقة اجتمعوا على امر من بنى كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان معهم فى الف ومن تبعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل من هوازن ومعهم يهود قريظة والنضير وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم اشار عليه سلمان رضى الله عنه بحفر الخندق على المدينة ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين وضرب معسكره والخندق بينه وبين العدو وامر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآكام واشتد الخوف ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر روى ان شابا قال لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اى والله لقد رأيت قال والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشى على الارض فقال له حذيفة يا ابن اخى الا احدثك عنى وعنه قال بلى قال والله لو رأيتنا يوم الخندق وما بنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه الا الله لما قلت ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ما شاء الله من الليل فقال الا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقا لى فى الجنة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع ثم صلى ما شاء الله ثم قال الا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقا لى فى الجنة فقال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعانى فلم اجد بدا من اجابته قلت لبيك فقال اذهب فجئنى بخبر القوم ولا تحدثن شيأ حتى ترجع قال فأتيت القوم واذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر وانى كذلك اذ خرج ابو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال الراوى يخوفهم ان يكون عليهم عيون من المسلمين قال حذيفة فبدأت بالذى الى جنبى فقلت من انت قال انا فلان ثم دعا ابو سفيان براحلته فقال يا معاشر قريش فوالله ما انتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن قدر فارتحلوا فانى مرتحل ثم عمد فركب راحلته وانها لمعقولة ما حل عقالها الا بعد ما ركبها قال فقلت فى نفسى لو رميت عدو الله فقتلته كنت صنعت شيأ فوترت قوسى ثم وضعت السهم فى كبد القوس وانا اريد ان ارميه فاقتله فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيأ حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت تحته وارسل على طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ما الخبر فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور * فانهزموا بغير قتال كفى الله المؤمنين القتال والحمد لله رب العالمين ﴿قوله الانواع من الظن﴾ يعنى جمع الظن مع انه مصدر حقه ان لا يجمع من حيث انه قصد به ظنون مختلفة ظن كل فريق على حسب اختلاف بينهم قوة وضعفا وتعريف الظنون يحتمل ان يكون للاستغراق مبالغة يعنى تظنون كل ظن لان كل احد يظن شيأ عند اشتداد الامر ويحتمل ان يكون للعهد اى ظنونهم المعهودة لان المعهود من المؤمن ظن الخير بالله كما قال عليه الصلاة والسلام * ظنوا بالله خيرا * ومن الكافر الظن السوء قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا ﴿قوله والالف مزيدة فى امثاله﴾ كقوله واطعنا الرسولا وقوله فاضلونا السبيلا قرأ نافع وابن عامر وابو بكر باثبات الالف فيها وصلا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن فى المصحف بالالف وايضا فان هذه الالف تشبه هاء السكت فى كونها مزيدة لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد تثبت وصلا اجراء للوصل مجرى

(واعد للكافرين عذابا اليما) عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كأنه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا (فارسلنا عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب المعسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة (بصيرا) رائيا (اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (من فوقكم) من اعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن اسفل منكم) من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس

(هنالك ابتلي المؤمنون) اختبروا فتظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل

(وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع
وقرئ زلزالا بالفتح (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من الظفر واعلاء الدين (الا غرورا) وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) يعني اوس بن قيظي واتباعه (يا اهل يثرب) اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها (لا مقام لكم) لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام (فارجعوا) الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (ويستأذن فريق منهم النبي) للرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها (وما هي بعورة) بل هي حصينة (ان يريدون الا فرارا) اي ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) دخلت المدينة او بيوتهم (من اقطارها) من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه (ثم سئلوا الفتنة) الردة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها (وما تلبثوا بها) بالفتنة او باعطائها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار) يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله (وكان عهد الله مسئولا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل) فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم

الوقف فكذلك هذه الالف وقرأ ابو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين لانها لا اصل لها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت الف الاطلاق كما في قوله

اقلي اللوم عاذل والعتابا ۞ وقولي ان اصبت لقد اصابا

فكما زادوا الالف في القافية زادوه في الفاصلة ايضا تشبيها رؤس الآيات باواخر الابيات من حيث ان كل واحدة منهما مقطع الكلام ولان هذه الالف كهاء السكت وهي تثبت وقفا وتحذف وصلا فكذا الالف وقوله تعالى هنالك منصوب بابتلي اي في ذلك المكان البعيد وهو الخندق وبعده لكونه موضع الشدة والبلاء او في تلك الشدة والزمان على ان يكون هنالك ظرف زمان اختبر المؤمنون اي الذين اظهروا الايمان ليتميز المخلص من المنافق والابتلاء من الله تعالى ليس لابانة الامر له بل لاظهاره لغيره من الملائكة والانبياء كان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على تمرده وعصيانه وعنده غيره فانه يأمر ذلك العبد بامر بمحضر من عنده ليعلم بانه يخالفه لكي يتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لا يذهب وهم احد الى انه ظلم عبده ﴿ قوله ما هذا الا وعد غرور ﴾ وهو الاطماع فيما لا مطمع فيه وهذا تفسير الظنون وبيان لظن من يرى كثرة العدو وضيق الامر على المسلمين فيقول لو كان الله يريد ان ينصرهم لما بلغ الامر هذا المبلغ بل الظاهر انه يستأصلهم في هذا الموضع وما وعده الله ورسوله من نصرة المؤمنين واعلاء الدين وفتح مدائن كسرى وقيصر ليس الا وعد غرور وكيف لا ونحن لا نأمن ان نذهب الخلاء روي انه عليه الصلاة والسلام ضرب بالمعول في الخندق ضربات اضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فبشر بانها ستفتح عليهم وهم حينئذ في جهد شديد وخوف عظيم فقال بعض من المنافقين يعدنا محمد بهذا ونحن لا نستطيع ان نبرز للخلاء ﴿ قوله ضعف اعتقاد ﴾ اشارة الى ان الذي مرض غير المنافقين لان المنافق كافر لا اعتقاد له بخلاف الذين في قلوبهم مرض فانهم مؤمنون معتقدون الا انهم ضعاف القلوب واليقين لا بصيرة لهم في الدين فالمؤمنون الذين اظهروا الايمان ثلاثة اقسام المخلصون الثابتو القلوب وضعاف القلوب والمنافقون ﴿ قوله فارجعوا الى منازلكم هاربين ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه امام الخندق حتى جعلوا ظهورهم الى سلع جبل بالمدينة والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين يئسوا من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم ههنا موضع قيام لكثرة العدو وغلبتهم فارجعوا الى منازلكم ولا مقام لكم على دين الاسلام فارجعوا الى الشرك واسلموا الرسول عليه الصلاة والسلام اي اجعلوه مخذولا يقال اسلمه اي خذله ولا مقام لكم بيثرب ما دمتم على الاسلام ﴿ قوله واصلها الخلل ﴾ الجوهري العورة كل خلل يتخوف منه في ثغر او حرب وعورات الجبال شقوقها والعورة بكسر الواو صفة مشبهة يقال عور المنزل يعور عورا وعورة وبعضه تخفيف عورة ﴿ قوله دخلت المدينة او بيوتهم ﴾ وهم فيها من قولك دخلت على فلان داره فالرجل مدخول عليه والدار مدخولة وهي في الحقيقة مدخول فيها لان الدار ونحوها من الظروف المحدودة لا تقبل النصب بتقدير في بل لا بد من التصريح بكلمة في الا ان ما بعد دخلت حمل على المكان المبهم توسعا والمقصود ان دخلت فعل ماض مبني للمفعول والقائم مقام الفاعل المنوي فيه راجع الى المدينة او الى البيوت والاصل ولو دخل الاحزاب المدينة او البيوت عليهم اي وهم فيها الا انه حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول للايماء بانه ليس المقصود بيان خصوص الفاعل بل المقصود بيان الحكم المرتب على الدخول من الفتنة وهي الشرك والكفر في قول الجميع كما في قوله تعالى حتى لا تكون فتنة والمعنى فلو دخلت البيوت او المدينة من جميع نواحيها ثم سئل اهلها الفتنة لم يمتنعوا من اعطائها ولو كانوا على معاندة المشركين وموافقة المؤمنين اعتقادا واخلاصا وكان استئذانهم في الرجوع لمجرد حفظ البيوت لأبوا عن المسارعة الى اجابة المشركين في سؤال الارتداد والكفر بعدما فات عنهم حفظ البيوت لان من فعل فعلا لغرض لا يفعله بعد فوت ذلك الغرض ولو كانوا صادقين في قولهم ان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا لما رجعوا عنه بعدما سقط الاحزاب على بيوتهم واخذوها وليس كذلك فانها لو دخلوها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا عنك ايضا فليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة ﴿ قوله ريثما يكون السؤال ﴾ تفسير ليسيرا اي مقدارا من الزمان يقع فيه السؤال والجواب وهو مصدر راث علي خبرك يريث ريثا اي ابطأ وما مصدرية وكان تامة فالمعنى زمان حصول السؤال والجواب ﴿ قوله من حتف انف ﴾ الحتف الموت يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ولا غرق منه

فعل ثم انه تعالى لما هددهم بقوله وكان عهد الله مسئولا اى مسئولا عنه اخبر ان الفرار لا يزيد فى آجالهم وان الامور مقدرة لا يمكن الفرار عما قدره الله تعالى لانه كائن لا محالة وان فررتم فحتم تأخر الاجل فليس ذلك لنفع الفرار فى تأخيره بل ذلك لعدم تمام المدة المقدرة للحياة فلا تمتعون بعد الفرار الا استيفاء مدة آجالكم لان ما هو آت قليل وما هو آت قريب ﴿قوله اى وان نفعكم الفرار﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا وان اذا جواب وجزاء لشرط محذوف ثم لما بين ان الفرار من قدرة الله تعالى لا ينفع الفار علله بانه تعالى بعد ارادته لا محالة فلا يوجد من ينازعه فى نفاذ ارادته فكيف ينفع الفرار فقال قل من ذا الذى يعصمكم من الله اى من عذاب الله تعالى والمعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا كالهزيمة والمغلوبية او اراد بكم رحمة كالنصرة والغلبة ولما ورد ان يقال عطف قوله او اراد بكم رحمة على قوله ان اراد بكم سوءا يستلزم ان يكون المعنى من ذا الذى يعصمكم من رحمة الله ان اراد بكم رحمة والعصمة لا تكون من الرحمة ولا تكون الا من السوء اشار الى الجواب عنه بقوله او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة يعنى ان الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع ابقاء العاطف كما فى قوله

٭ ياليت زوجك فى الوغى ٭ متقلدا سيفا ورمحا ٭

اى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلده المرء واجاب ثانيا بانا سلمنا ان قوله او اراد بكم رحمة معطوف على المذكور قبله لكن لا نسلم انه باطل لان المعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا او رحمة وقوله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تقرير لقوله من ذا الذى يعصمكم من الله اى ليس لكم قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم ثم انه تعالى هدد المعوقين الذين يخوفون من كان فى معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما محمد واصحابه الا اكلة رأس يتلهم ابو سفيان وحزبه بمرة فخلوه وتعالوا الينا يقال عاقه اذا صرفه عن الوجه الذى يريده ونقل الى باب التفعيل للتكرير والتكثير وثبطه عن الامر اى شغله عنه قال مقاتل المعوقون هم المنافقون والقائلون هم اليهود ارسلوا الى اخوانهم من المنافقين ايام الخندق يخوفونهم بابى سفيان ومن معه ويقولون لهم تعالوا الينا وما الذى يحملكم على قتل انفسكم بيدى ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وقيل المعوقون طائفة من المنافقين والقائلون لاخوانهم طائفة اخرى منهم تخوف كل واحدة منهما المؤمنين من حرب ابى سفيان واصحابه لكثرتهم وقلة المؤمنين وفى تقرير المصنف نوع اشارة الى ان المراد منهما طائفة من المنافقين وان عطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفات كما فى قوله

٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة فى المزدحم ٭

وقوله من ساكنى المدينة بيان لقوله لاخوانهم نبه به بدلالة على ان المراد بالاخوة الاشتراك فى سكنى المدينة والا فالمعوقون هم المنافقون والمراد باخوانهم جماعة الانصار الذين هم بمعزل عن النفاق فانه قد روى ان عبد الله ابن ابى واصحابه اقبلوا على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما شأنه الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ﴿قوله وقد ذكر اصله فى الانعام﴾ فى تفسير قوله قل هلم شهداءكم اى احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم ويقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن واصله عند البصريين ها لم من لم اى قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل فيها وعند الكوفيين هل ام حذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى هذه الآية ولازما كما فى قوله هلم الينا هذا ما ذكره المصنف فى سورة الانعام الا ان كلامه فى هذه السورة يدل على انه متعد فى هذه السورة ايضا وحذف مفعوله وهو انفسكم ﴿قوله فانهم يعتذرون ويثبطون﴾ يعنى ان هؤلاء القائلين لاخوانهم لا يخرجون مع المؤمنين ولا يأتون موضع الحرب الا قليلا ويجمعون بين الوصفين ما امكن لهم فهم مثبطون لغيرهم ويعتذرون فى اكثر الاحوال بانهم يتعللون فى الاشتغال عن القتال وقت حضورهم مع المؤمنين ﴿قوله جمع شحيح﴾ على غير القياس لان قياس الذى عينه ولامه من جنس واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وعزيز واعزاء وصحيح واصحاء وقد سمع اشحاء وهو القياس لما وصفهم الله تعالى بالبخل وصفهم بالجبن ايضا فقال فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك فقوله ينظرون حال من مفعول رأيتهم

(واذا لا تمتعون الا قليلا) اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة) اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكنى المدينة (هلم الينا) قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام (ولا يأتون البأس الا قليلا) الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا (اشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم) فى احداقهم (كالذى يغشى عليه) كنظر المغشى عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه (من الموت) من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك

لان الرؤية بصرية وتدور اما حال ثانية واما حال من فاعل ينظرون وقوله كالذى اما صفة بتقدير المضاف اما المصدر ينظرون او لمصدر تدور اعينهم اى ينظرون اليك نظرا كنظر الذى او تدور اعينهم كدوران عين الذى واما حال من فاعل ينظرون او من اعينهم مشبهين بالذى او مشبهة بعين الذى قرب من حالة الموت وغشيته سكراته فذهب عقله وشخص بصره فلا تطرف كذلك هؤلاء تشخص ابصارهم وتدار اعينهم لما لحقهم من الخوف وينظرون اليك بهذه الهيئة لواذا بك اى التجاء اليك وعياذا يقال لاذ به اى التجأ اليه وعاذ به ﴿قوله ضربوكم﴾ اى آذوكم ورموكم فى حالة الامن والحداد جمع حديد يقال سلقه بالكلام سلقا اذا آذاه وهو شدة القول باللسان والذرب الحاد من كل شئ عن قتادة قال بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال وبنا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ولستم احق بالغنيمة منا فهم عند قسمة الغنيمة اشح قوم وعند البأس اجبن قوم ﴿قوله لان كلا منهما مقيد من وجه﴾ فان المراد بالاول الشح بمعاونة المؤمنين ونصرتهم او الشح بالانفاق فى سبيل الله او بنصر المؤمنين وبالثانى الشح على الخير اى المال والغنيمة والثانى حال من فاعل سلقوكم ولما كان الاحباط يتعلق بالعمل المعتبر شرعا ومن لم يكن مخلصا فى ايمانه لا تعتبر اعماله شرعا لابطنه الكفر فى قلبه فلا يحبطها الاحباط والابطال اول قوله تعالى فاحبط الله اعمالهم بوجهين * مبنى الاول ان يراد بالاعمال ما يكون على صورة الطاعة والقربة واحباطه اظهار بطلانه وبيان انه لا حكم له ولا اثر فان الاحباط عبارة عن الاعدام والاهدار والاعمال لكونها من قبيل الاعراض معدومة فى انفسها وبقاؤها انما هو بقاء حكمها وآثارها وما كان منها مقرونا بالكفر والنفاق لا يكون له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكما فقوله تعالى فاحبط الله اعمالهم معناه فاظهر الله تعالى كونها ضائعة فائدة لها * ومبنى الثانى ان لا يكون المراد باعمالهم ما عملوه تصنعا ونفاقا حتى يقال انه لا اعتبار لها ولا فائدة فى اصل حدوثها فكيف بطلها بالاحباط بل المراد بها نفس تصنعهم ونفاقهم فانهم ارادوا به ان يحصل لهم بذلك قدر وجاه عند المؤمنين فاحبط الله ذلك التصنع حيث لم يترتب عليه ما ارادوا به ﴿قوله فعروا الى داخل المدينة﴾ عطف على يظنون ولفظ الماضى للمبالغة فى بيان جبنهم فكان طائفة منهم فروا عقيب انهزام الاحزاب بناء على انهم لم يذهبوا ولم ينهزموا ﴿قوله تعالى بادون﴾ جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية وقوله يسألون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة على سكون السين بعدها همزة ونقل عن ابى عمرو وعاصم نقل حركة الهمزة الى السين وحذفها كقوله سل بنى اسرائيل وقرئ يساءلون بتشديد السين والاصل يتساءلون فادغم اى يسأل بعضهم بعضا عما كان عليه محمد واصحابه وما فعل بهم فيه زعموا ان حالكم لا بالمشاهدة ﴿قوله خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها﴾ اشارة الى ان الاسوة بكسر الهمزة وضمها وان كان اسما موضوعا موضع المصدر وهو الائتساء بمعنى الاقتداء الا انه استعمل ههنا بمعنى ما من حقه ان يؤتسى به قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما لغتان كالعدوة والقدوة لفظا ومعنى يقال ائتسى فلان بفلان اى اقتدى به وظاهر المفهوم لقد كان لكم فيه قدوة اى اقتداء والمراد لقد كان لكم فيه ما من حقه ان يقتدى به واسوة اسم كان وفى الخبر وجهان احدهما هو لكم وفى رسول الله متعلق بما تعلق به لكم او بمحذوف على انه حال من اسوة اذ لو تأخر لكان صفة وثانيهما ان الخبر هو فى رسول الله ولكم على ما تقدم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله او هو فى نفسه قدوة﴾ على ان تكون كلمة فى تجريدية وتجرد من نفسه الزاكية ما هو قدوة كما فى قوله تعالى لكم فيها دار الخلد مع ان الجنة فى نفسها دار الخلد جرد منها اخرى مثلها فى كونها دار الخلد والمراد بالاسوة الحسنة الثابتة فى رسول الله عليه الصلاة والسلام الثبات فى الحرب ونصرة دين الله والصبر على ما يصيبه من الشدائد والمكاره كما صبر عليه الصلاة والسلام اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه الكريم وقتل عمه واوذى بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك كله بنفسه فافعلوا انتم كذلك فى نصرة دينه واظهار شرعه واستنوا بسنته ﴿قوله اى ثواب الله﴾ احتيج الى تقدير المضاف لان الذات من حيث انه ذات لا يؤمل ولا يخاف فلا يتعلق به الرجاء سواء بمعنى الامل او الخوف فان كان المقدر ثوابه او لقاءه او ما عنده للمتقين من نعيم الآخرة يكون الرجاء بمعنى الامل وان كان التقدير يرجو ايام الله اى شدائده يكون عطف اليوم الآخر عليه من قبيل عطف الخاص على العام ويكون الرجاء بمعنى الخوف ﴿قوله وقيل هو كقولك﴾ فى ان عطف اليوم الآخر على الجلالة وان ذكر الجلالة تمهيد فذكر الله بعده من تفسير المبهم وتفصيل المجمل فان لفظت من حيث الشهادات فالم

(فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بالسنة حداد) ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان (اشحة على الخير) نصب على الحال او الذم ويؤيده قرآءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه (اولئك لم يؤمنوا) اخلاصا (فاحبط الله اعمالهم) فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو انهم بادون فى الاعراب) تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم من جانب المدينة (عن انبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) اى ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم

يتعلق بها الرجاء كان كقولك رجوت زيدا مشتملا على نوع من الاجمال والابهام فى الدلالة على المعنى المراد فازيل ذلك الابهام بالعطف لكان معنى الآية لمن كان يرجو ثواب الله الا انه وضع اليوم الآخر موضع ثوابه لان ثواب الله تعالى يقع فيه فعبر به عن الثواب الواقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل على الحال وعليه قوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اى فى الجنة وقوله لمن كان متعلق بنفس حسنة او بمحذوف على انه صفة حسنة اى حسنة كائنة لمن كان ﴿قوله والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه﴾ اى لايبدل منه الظاهر بدل الكل قال ابن الحاجب ولايبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيدا وهو مذهب جمهور البصريين واجازه الكوفيون والاخفش تمسكا بقوله

* بكم قريش كفينا كل معضلة * وأم نهج الهدى من كان ضليلا *

والظاهر ان مقصود المصنف الاعتراض على صاحب الكشاف حيث جعله بدلا من ضمير المخاطب باعادة الجار الا انه انما يتجه على تقدير ان يجعل بدلا للكل من الكل وليس بلازم لجواز ان يكون المراد انه بدل بعض من كل لان المخاطب بقوله لكم اعم مما كان يرجو الله وغيره وخصص ذلك العموم بابدال قوله ان كان يرجو الله من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ولايلزم ان يكون مراده التشبيه فى كونه بدل الكل من الكل لجواز ان يكون مراده تشبيهه فى ان الظاهر بدل من المجرور باعادة الجار فلا يتوجه عليه اعتراض المصنف ﴿قوله كثيرا﴾ صفة مصدر محذوف اى ذكرا كثيرا ثم انه تعالى لما ذكر احوال المنافقين والذين فى قلوبهم مرض وضعف اليقين وصف حال المؤمنين الخلص حين لقاء الاحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا الخطب او هذا البلاء ما وعدنا الله تعالى فى سورة البقرة بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وعد الله المؤمنين بهذه الآية ان يزلزلوا الكفار ويخوفهم تخويفا شديدا ووعد ايضا ان يكونوا منصورين عليهم فلما رأوهم قالوا هذا ما وعدنا الله على لسان رسوله وكذا وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون هذه الآية فقال ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اى آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وما زادهم ما رأوه او مجيئهم الا ايمانا اى تصديقا بوعد الله وتسليما لامره وقضائه ﴿قوله كحمزة ومصعب﴾ روى ان الآية نزلت فى عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين فمن قضى منهم نحبه حمزة ومصعب وانس بن النضر ومن ينتظر عثمان وطلحة وفى الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة لانه طعن كثيرا ﴿قوله فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة﴾ اى اوجب لنفسه الجنة لانه وقى النبى صلى الله عليه وسلم فصارت يده شلاء بذلك فاستحق الجنة بسببه ﴿قوله من صدقنى اذا قال لك الصدق﴾ اعلم ان صدق يتعدى الى اثنين الى احدهما بنفسه والى الثانى بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقنى سن بكره اى فى سن بكره وقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه يجوز ان يكون من هذا القبيل والمعنى صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه واليه اشار المصنف بقوله وان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه ويحتمل ان يكون قوله ما عاهدوا الله عليه هو الذى عدى اليه الفعل بنفسه كما فى قولك صدقنى زيد وكذبنى عمرو اى قال لى الصدق وقال لى الكذب ويكون المعاهد عليه مصدوقا مجازا كأنهم قالوا للشئ المعاهد عليه نوفى بك وقد فعلوا فيكون ما بمعنى الذى فلذلك عاد اليه الضمير فى عليه وقوله تعالى وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما ولانهما لو اعادهما مضمرين وقال وصدقا لزم ان يجمع بين اسم الله تعالى واسم رسوله فى لفظة واحدة وقد شنع عليه الصلاة والسلام على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله فقد غوى قصدا الى تعظيم الله تعالى ﴿قوله وظهر صدق خبر الله﴾ لما كان الصدق من اوصاف الخبر اى صدق المتكلم عبارة عن صدقه فيما اخبر به وجب ان تأول الآية اما بتقدير المضاف او بتقدير ما يعدى اليه صدق المتكلم بكلمة فى ﴿قوله تعليل للمنطوق﴾ وهو عدم تبديل المؤمنين الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه والمعرض به وهو تبديل اهل النفاق ومرض القلب وهذا القول منه اشارة الى جواب ما يقال كون عدم تبديل العهد مؤديا الى جزائهم بصدقهم ظاهر فيصح تعليله بقوله ليجزى الله الصادقين ولا يصح ان يكون سببا مؤديا الى عذاب المنافقين

والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم (وما زادهم) فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء (الا ايمانا) بالله ومواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه (فمنهم من قضى نحبه) نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس ابن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد ولا غيروه (تبديلا) شيأ من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم) تعليل للمنطوق والمعرض به

فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) لمن تاب (ورد الله الذين كفروا) يعني الاحزاب (بغيظهم) متغيظين (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل او بتعاقب (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على احداث ما يريده (عزيزا) غالبا على كل شئ (وانزل الذين ظاهروهم) ظاهروا الاحزاب (من اهل الكتاب) يعني قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصة وهي ما تحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وقرئ بالضم (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) وقرئ بضم السين روى ان جبرائيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فأذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة (واورثكم ارضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (واموالهم) نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة (وارضا لم تطؤها) كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك (يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) السعة والتنعم فيها (وزينتها) وزخارفها (فتعالين امتعكن) اعطكن المتعة

فكيف قيل ويعذب المنافقين عطفا على يجزى * قلنا اعتبر في الكلام منطوقا ومعرضا به وجعل الاول علة للمنطوق والثاني للمعرض به لدفع الاشكال فان تبديل اهل النفاق مذكور بطريق التعريض من حيث ان الكلام في قوة ان يقال وما بدلوا كتبديل اهل النفاق ﴿ قوله فكأن المنافقين الخ ﴾ اشارة الى جواب ما يقال تعذيب اهل النفاق كيف يكون علة حاملة لهم على التبديل ومن المعلوم انهم ما قصدوا بالتبديل ان يعذبوا * وتقرير الجواب ان العاقبة المترتبة على التبديل شبهت بالغرض والعلة الحاملة فاستعملت له لام العلة مجازا واللام الداخلة على علة المنطوق وان صح كونها لام العلة الحاملة بناء على ان المخلصين قصدوا بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى الا انه يجب جعلها لام العاقبة لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد في معنيين مختلفين وهذا التقرير مبنى على ان يكون قوله تعالى ليجزى الله متعلقا بقوله وما بدلوا منطوقا ومفهوما اى وما بدلوا كتبديل اهل النفاق ليجزى اهل الصدق بصدقهم واهل النفاق بنفاقهم ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله من المؤمنين رجال صدقوا فانه يدل على ان بعضا ممن اظهر الايمان لم يصدقوا ولم يوفوا بالعهد فيكون تعليلا للمنطوق والمعرض به ايضا ومعمول قوله ان شاء محذوف وكذا جواب الشرط وهو تعذيبهم والمعنى يعذب المنافقين ان شاء تعذيبهم بان يميتهم على النفاق عذبهم او يقبل توبتهم ان تابوا واخلصوا فان توبة الله تعالى على العبد عبارة عن رجوعه عن تعذيب من تاب ورجع عن المعصية فتكون التوبة عليهم مشروطة بتوبتهم كما ان تحتم تعذيبهم مشروط بموتهم على النفاق من غير توبة * فان قيل من مات على النفاق يحتم تعذيبه بالنصوص القاطعة فكيف يصح تعليق تعذيبه على المشيئة قلنا المعلق على المشيئة حقيقة هو ما يستلزم ذلك التعذيب وهو الموت على النفاق وبذلك الاعتبار يظهر كون قوله او يتوب عليهم مقابلا لما قبله كأنه قيل يعذبهم ان لم يتوبوا او يقبل توبتهم ان تابوا فان عطفه على يعذب يوهم ان تكون التوبة عليهم لاجل نفاقهم كما ان تعذيبهم لذلك ولما كان قوله تعالى او يتوب عليهم مشعرا بانه تعالى يقبل توبتهم ما داموا منافقين كما انه تعالى يعذبهم على نفاقهم ما داموا عليه لئلا يصح اعتبار وصف النفاق في التوبة عليهم وفي العذاب لهم ومن المعلوم انه تعالى لا يتوب على المنافق ما دام منافقا اجاب عنه اولا بان الكلام من قبيل قولك المحدث يجب عليه الوضوء اى بشرط ارادته اداء الصلاة وثانيا بان المعنى او يوفقهم للتوبة ان شاء الله تعالى ﴿ قوله تعالى ورد الله الذين ﴾ معطوف من حيث المعنى على قوله ليجزى الله الصادقين فان اللام فيه لام العاقبة فكأنه قيل فكان عاقبة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ان جزاهم الله بصدقهم ورد اعداءهم متغيظين وهذا الرد من جملة جزائهم على صدقهم وبيان في قوله تعالى بغيظهم للمصاحبة فيكون حالا بمعنى متغيظين كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة والغيظ غضب كامن للعاجز يقال غاظه فهو مغيظ ولا يقال اغاظه وتداخل الحالين ان تعمل الحال الاولى في الثانية فيكون الحالان لشيئين مختلفين وتعاقبهما ان يكونا لشئ واحد ﴿ قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ اى لم يحوجهم الى قتال في دفع عدوهم وكفى يتعدى الى مفعولين يقال كفاه مؤنته كفاية ﴿ قوله يعني قريظة ﴾ وكانوا ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد وصاروا يدا واحدة مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هزم الله المشركين يوم الخندق بالريح والملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ الا انه تعالى لما ارسل الريح عليهم كثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم فخذلوا وانهزموا فامر الله تعالى رسوله بالمسير الى قريظة فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اى درعه واغتسل واستحم فقال قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد ثم قال له ان الله يأمرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في المسلمين فخرجوا اليه وقوله عليه الصلاة والسلام تنزلون على حكمي * يجوز ان يكون بمعنى الاستفهام حذف منه حرف الاستفهام ويجوز ان يكون خبرا بمعنى الامر اى انزلوا ﴿ قوله فوق سبعة ارقعة ﴾ اى سبع سموات يقال لكل سماء رقيع والجمع ارقعة ويقال ايضا الرقيع اسم سماء الدنيا سمى كل سماء باسمه والمعنى ان هذا الحكم مكتوب في اللوح المحفوظ الذي هو فوق السموات وكان السبب في رضى بني قريظة بحكم سعد بن معاذ انه كان من الاوس وكان بنو قريظة موالى الاوس وحلفاءهم فرضوا منه ان يسعى لهم بخير ويحكم بما لا يكرهون ﴿ قوله اعطكن المتعة ﴾ وهي درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج من السعة والاقتار الا ان يكون لها نصف مهر اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما وتجب المتعة لمطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر

وتستحق لمن طلقت بعد وطئ سمى لها مهرا او لم يسم لان من سمى لها مهر وطلقت قبل وطئ فان نصف المسمى انما وجب لها على سبيل المتعة * قال الامام وجه تعلق الآية بما قبلها ان مكارم الاخلاق منحصرة فى شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله * الصلاة وما ملكت ايمانكم * فالله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم بدأ بالزوجات لكونهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن فى النفقة روى انه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بنى قريظة بين اصحابه وعائشة رضى الله تعالى عنها تنظر وكان له عليه الصلاة والسلام الخمس فى كل غنيمة فقالت عائشة فى نفسها اليوم يوم جارى ومنعى وصرف النبى صلى الله عليه وسلم الخمس ايضا الى الناس ولم يحصل لعائشة شئ فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وابو بكر رضى الله عنه حاضر فرفع يده اليها ليلطمها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعها فانها صبية ثم وضع يده على كتفها وقال اخرج يا شيطان منها * وقيل قال * اخرج يا خبيث من هذه الطاهرة * فقامت وقالت والذى بعثك بالحق لقد خرج ونزلت هذه الآية فى عتابهن وفيه تخييرهن وهو انتظام حسن وقيل انتظامها بما قبلها انه نوع اذى كان منهن فى حقه عليه الصلاة والسلام والاول كان اذى فى حقه عليه الصلاة والسلام من الكفار والمنافقين وقيل سبب نزولها ان نساء النبى عليه الصلاة والسلام سألنه شيأ من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة فى النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فامر عليه الصلاة والسلام باعتزالهن وآلى ان لا يدخل عليهن شهرا فصعد الى غرفة له فمكث فيها ولم يخرج الى اصحابه ثم لما مضى شهر انزل الله هذه الآية وامره بتخيير نسائه وكان تحته عليه الصلاة والسلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيى بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احب اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وتابعها سائر نسوته * ظاهر الآية يدل على انه عليه الصلاة والسلام خيرهن بين ان يخترن الدنيا وبين ان يخترن الله ورسوله الا انهن ان اخترن الدنيا وزينتها فارقهن وليست بصريحة فى ان ذلك كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن انفسهن فلذلك اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن من غير تطليق الزوج اياهن او لا فذهب الاكثرون الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة لا تعجلى حتى تستشيرى ابويك وفى تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا فان الرجل اذا خير امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال الامام مالك وروى عن على ايضا انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة رجعية وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ ﴿قوله وقيل لان الفرقة﴾ اى قيل فى جواب ما يقال ان حق التمتيع ان يؤخر عن التسريح لكونه مسببا عن التسريح وحق المسبب ان يتأخر عن سببه ان الفرقة لم تقع بتسريحه عليه الصلاة والسلام اياهن حتى يقال التسريح سبب التمتيع فكان حقه ان يتقدم بل الفرقة وقعت بارادتهن الدنيا بدل ارادة الله ورسوله وتلك الارادة هى سبب التمتيع فهو مذكور فى موضعه واصل تعال ان يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المنخفض يطلب بذلك ان يرتفع الى مكانه ثم كثر حتى استوت الامكنة واستعماله فى طلب الاقبال مطلقا حتى يقوله من فى المكان المنخفض لمن فى المكان المرتفع يريد ان يقول انزل الى ﴿قوله وقرئ امتعكن﴾ قرأ العامة امتعكن واسرحكن بجزمهما على ان قوله فتعالين جواب الشرط وقوله امتعكن جواب لهذا الامر وقرئ برفعهما على الاستئناف وقوله سراحا اسم اقيم مقام التسريح كما اقيم نباتا موضع انباتا فى قوله وانبتها نباتا حسنا ﴿قوله وان كنتن تردن الله ورسوله﴾ اى تردن ما امر الله به ورضيه رسوله والدار الآخرة اى الجنة وثوابها فان الله اعد للمحسنات منكن ولم يقل لكن مع ان المقام موضع الضمير ايذانا بان كل الاحسان فى ايثار مرضاة الله تعالى ورسوله على مرضاة

(واسرحكن سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات

(يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهر قبحها على قرآءة ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الياء (يضاعف لها العذاب ضعفين) ضعفي عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه (ومن يقنت منكن) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله (وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها بالياء ايضا على ان فيه ضمير اسم الله (واعتدنا لها رزقا كريما) في الجنة زيادة على اجرها (يانساء النبي لستن كاحد من النساء) اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله ورضى رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكن) من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل ويؤيده قرآءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع

المحسن ومن التبيين لا التبعيض لان كلهن محسنات والعظيم فى الاجسام ما امتدت ابعاده فى جهة الطول والعرض والعمق جميعا حتى لو امتد بعده الكائن فى جهة الطول فقط يقال له طويل ولو امتد ما فى جهة عرضه يقال له عريض ولو امتد ما فى جهة عمقه يقال له عميق ولا يقال للجسم عظيم الا اذا امتدت ابعاده الكائنة فى جميع جهاته الثلاث وشبه اجر الآخرة به فى ارتفاع شأنه فى الجهات الثلاث فى لطافة ذاته وصفاء جوهره وفى خلوه عن وجوه المشقة والتعب فى تحصيله وعن وجوه الضرر فى تناوله وفى دوامه وعدم انقطاعه فهو اجر عظيم بخلاف اجر الدنيا قال المفسرون لما اخترن الله ورسوله رفع الله محلهن واجل قدرهن بتميزهن عن سائر النسوة فى المثوبة على المعصية والاجر على الطاعة حيث قال يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب فان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصى وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا لاحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة فان الله تعالى جعلهن زوجات نبيه فى الدنيا والآخرة وشاهدن احواله واقواله واحواله الليل والنهار فتكون المعصية منهن اقبح منها فى غيرهن ولما كانت المعصية اقبح كان عذابها اشد واريد وبذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد اظهارا لشرف الحرية عن ابن عباس رضى الله عنه قال المراد بالفاحشة ههنا النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقيل المراد به العصيان ﴿ قوله وقرأ البصريان يضعف ﴾ بضم الياء وفتح الضاد والعين المشددة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل وابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على بناء الفاعل ونصب العذاب لانه مفعول به وقرأ الباقون يضاعف على بناء المفعول من المفاعلة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل ولما بين الله تعالى تضاعف عذابهن على تقدير المعصية وتضاعف ثوابهن على تقدير القنوت وهو الطاعة وليس المراد احداثها وهو ظاهر قال المصنف ومن يدم على الطاعة ﴿ قوله للتعظيم او لقوله وتعمل صالحا ﴾ لا معنى لكلمة او ههنا فلذلك لم توجد فى بعض النسخ لان المقصود الاستدلال على ان ذكر الله للتعظيم ببيان ان طاعة الله تعالى فهم من قوله وتعمل صالحا فينبغى ان يكون ذكر الله تعالى لفائدة اخرى حذرا من التكرار فحمله على التعظيم لكونه هو المناسب للمقام واللام فى قوله مرة على الطاعة للعهد والمعهود طاعة الله تعالى وقرأ الجمهور يانساء النبي من يأت ومن يقنت بالياء من تحت حملا على لفظ من وتعمل بالتاء من فوق حملا على معنى من لان المراد بها مؤنث ونؤتها بنون العظمة على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وفيه لطيفة وهى انه عند ذكر ايتاء الاجر صرح بذكر المؤتى وهو الله عز وجل وعند ذكر العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة والكسائى ويعمل ويؤت بالياء من تحت فيهما لما ذكره المصنف ﴿ قوله والمعنى لستن كجماعة ﴾ جعل احدا على الجماعة ليطابق من قصد تفضيلهن بالفضل عليهن فان نساء النبي صلى الله عليه وسلم جماعة يفضل المشبه بهن جماعة للمطابقة المذكورة فى الجمع ﴿ قوله مثل قول المريبات ﴾ هن اللاتى يوقعن الرجال فى الريبة والتهمة من جالسهن ووصف قولهن بكونه خاضعا لينا للاشارة الى ان الباء فى قوله تعالى فلا تخضعن بالقول للتعدية ﴿ قوله تعالى ان اتقيتن ﴾ فى جوابه وجهان احدهما انه محذوف لدلالة ما تقدم عليه اى ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضى رسوله فلستن كاحد قال صاحب التيسير فى تفسيره اى هذه الخصلة لكن ان اتقيتن المعاصى ومخالفة الله ورسوله والرغبة فى الدنيا وزينتها فلا يكن الكلام اذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب كما يكلم الانسان من يخضع له بالطاعة وينقاد له فيما يريد والوجه الثانى ان يكون جوابه قوله فلا تخضعن واطلاظ القول لغير زوجها معدود فى جملة محاسن خصال النساء فى الجاهلية والاسلام كما مدح منها بخلوص مالهن وحسبهن وفيه دليل على انه ينبغى للمرأة اغلاظ القول اذا خاطبت محرما لها بالمصاهرة الا ترى ان الله تعالى اوصى امهات المؤمنين به وهن عليهم محرمات على التأبيد وقرأ العامة فيطمع بالنصب على انه جواب النهى بالفاء وقرئ بالجزم وكسر العين لالتقاء الساكنين عطفا على محل النهى لانه ليس بمجزوم بل هو مبنى لاتصال النون به فجزم المعطوف عليه ليس الا بالنظر الى محله فالمعنى لا تخضعن بالقول فلا يطمع اهل الفجور فى مواقعتكن له ﴿ قوله من وقر يقر وقارا ﴾ اذا سكن وثبت واستقر اصله اوقرن حذفت الواو تبعا لمضارع فاستغنى عن همزة الوصل فصار قرن بكسر القاف على وزن علن والمعنى كن اهل وقار وسكون واطمئنان وهى قرآءة العامة او من قر بالمكان يقر بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع وهى اللغة الفصيحة فاصله اقررن ولما احتيج الى التخفيف لاجتماع حرفين من جنس

(واحد)

(ولا تبرجن) ولا تتبخترن في مشيتكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة قيل هي مابين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر (واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله) في سائر ما امركن به ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عم الحكم (اهل البيت) نصب على النداء او المدح (ويطهركم) من المعاصي (تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لايناسب ماقبل الآية ومابعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وماشاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر مايصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب ان يصدق (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم والسنتهم (اعد الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات (واجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال

واحد نقلت حركة الراء الاولى الى القاف فاجتمع ساكنان فحذفت احداهما ثم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار قرن على وزن علن او فلن ومن قرأ بفتح القاف يحتمل ان يجعله من قررت في المكان اقر فيه بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر واصله اقررن فاعل كما سبق ويحتمل ان يجعله امرا من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع ومنه القارة وهي اسم قبيلة سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم فقيل في الامر منه قرن كخفن على وزن فلن وهذا الوجه ظاهر الا ان المقام مقام الامر بالوقار والسكون او بالاستقرار في البيوت والامر بالاجتماع فيه لايناسب المقام ﴿قوله ولا تبخترن﴾ اختار ان يكون التبرج التبختر وهو المشي المبني عن الغنج والدلال وقيل التبرج اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال وعن الزجاج قال التبرج اظهار المرأة زينتها وماتستدعي به شهوة الرجال وعن قتادة هو مشية فيها تغنج وتكسر ﴿قوله ويعضده﴾ اي يعضد ان الجاهلية تطلق على جاهلية الفجور والفسوق في الاسلام كما تطلق على جاهلية الكفر ووجه التقوية ان ابا الدرداء رضي الله عنه سأل فقال الجاهلية كفر ام جاهلية اسلام فقال عليه الصلاة والسلام بل جاهلية كفر فعلم بذلك ان الجاهلية تتحقق فيهما والمعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر قيل وهذا القول اشبه لانهم كانوا يحدثون البغايا فيجعلن لهم ذلك ﴿قوله واطعن الله ورسوله﴾ تعميم بعد التخصيص وخص الاولين اي امتثالهما بالذكر لكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما جرتاه الى كل طاعة ﴿قوله الذنب المدنس لعرضكم﴾ اشارة الى ان الرجس مستعار للذنب وان وجه الشبه بينهما كون كل واحد منهما سببا للتدنس فالرجس يدنس نحو الثوب والبدن والذنب يدنس العرض وجعل التطهير ترشيحا للاستعارة من حيث انه ملائم للمستعار منه ﴿قوله وهو تعليل لامرهن ونهيهن﴾ بيان وجه العدول عن خطاب المؤمنات اللاتي هن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم الى خطاب الذكور حيث قال ليذهب عنكم ويطهركم كانه قيل انما امرتكن ونهيتكن لان ارادتي الازلية قد تعلقت بتطهير اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذنوب والمعاصي ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكونه تعليلا على طريق الاستئناف عم الحكم باذهاب الرجس والتطهير من المعاصي من عدا ازواجه عليه الصلاة والسلام حيث عبر عن جميع اهل بيته عليه الصلاة والسلام من الذكور والاناث بطريق التعبير عن الذكور خاصة على تغليب الذكور على الاناث حيث قيل عليكم اهل البيت فان اهل البيت يتناول اولاده وازواجه والحسن والحسين منهم وكذا علي رضوان الله عليهم اجمعين لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقرابته اياه وقيل المراد باهل البيت ههنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته ولما تقدم وما تأخر من خطابهن وانما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لان النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهن فغلب المذكور وقال آخرون ومنهم الشيعة ازواجه عليه الصلاة والسلام ليست من اهل بيته بل المراد باهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين ﴿قوله وتخصيص الشيعة﴾ مبتدأ وقوله والاحتجاج معطوف عليه وضعيف خبره ﴿قوله والمرط المرحل﴾ ازار خز فيه علم ﴿قوله من الكتاب الجامع بين الامرين﴾ يعني ان عطف الحكمة على آيات الله من قبيل عطف الصفات فان الكتاب كما انه آيات دالة على صدق مدعي النبوة من حيث انه معجز بنظمه العجيب الشأن فانه ايضا حكمة من حيث كونه مشتملا على العلوم النظرية وطريق الاصابة في القول والعمل ﴿قوله وهو تذكير﴾ اشارة الى ان المراد بقوله واذكرن مايتلى تلاوة القرآن وذكره باللسان وقيل المراد ذكره بالقلب بتدبر اسراره ولطائفه واللفظ صالح للكل وبرحاء الوحي شدة الاذى ﴿قوله يعلم ويدبر مايصلح في الدين﴾ على ان يكون المقصود تقدير آية التخيير ومابعدها وقوله او يعلم من يصلح لنبوته على ان يكون تقديرا لما ذكر من اول السورة الى ههنا ﴿قوله المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم﴾ وقيل المراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ان لا يلتفت ﴿قوله والحافظات﴾ اي والحافظات لها ترك معمول الثاني لدلالة الاول عليه وكذا في قوله والذاكرات * عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ايقظ الرجل اهله من الليل فتوضآ وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فانه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرسا

روى ان ازواج النبي عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرءان بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين ما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) وما صح له (اذا قضى الله ورسوله امرا) اي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد (ان تكون لهم الخيرة من امرهم) ان يختاروا من امرهم شيأ بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب (واذ تقول للذي انعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه (وانعمت عليه) بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة (امسك عليك زوجك) زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك (واتق الله) في امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها اوارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله احق ان تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال

في الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة ولم ينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه ﴿قوله روى ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم﴾ هذا مبني على تقدير ان يكون قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية متقدما في النزول على قوله يانساء النبي لستن كاحد من النساء وقوله لما نزل فيهن ما نزل مبني على ان يكون مؤخرا عنه فيه ﴿قوله وعطف الاناث على الذكور الخ﴾ يعني انه تعالى ذكر عشرة اوصاف وجعل كل من اتصف بكل واحد منها زوجين باعتبار الذكورة والانوثة فصار اصناف المتصفين عشرين صنفا باعتبارهما وعطف اناث كل صنف ممن اتصف بتلك الخصال العشر على ذكورها كعطف المسلمات على المسلمين والمؤمنات على المؤمنين وعلى هذا عطف ايضا كل صنف من الزوجين المتعاطفين على الصنف الآخر منهما كعطف مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات والفرق بين العطفين المذكورين ان عطف الاناث على الذكور من قبيل عطف الذوات المختلفة بالذكورة والانوثة بعضها على بعض بعد اشتراكها في الاتصاف بوصف واحد وفي مثل هذا العطف يجب توسيط العاطف واما عطف مجموع الزوجين من صنف على المجموع من صنف آخر فهو من قبيل عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان المعنى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم ونظيره في دعاء صلاة الجنازة اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا الى آخر المزدوجات الاربع ولا يجب توسط العاطف بين المختلفين وصفا كما في قوله تعالى مسلمات مؤمنات لكنه تخلل في هذه الآية للدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات كأنه قيل ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم ﴿قوله بنت عمته﴾ بدل من بنت جحش واميمة عطف بيان لعمته فأستر يعني عن قبول كون زيد بن حارثة زوجا لها لكونها قرشية وبنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عتيق من الموالي ولعل زيدا امتنع ايضا من تزوجها الا انها منه فانزل الله تعالى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية والمراد بالمؤمن عبد الله بن جحش ويكفي في ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى قال اولا والمطيعين لله ورسوله ومدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله فبين في هذه الآية وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله واوعد من عصى الله ورسوله ﴿قوله وقيل في ام كلثوم﴾ وهي اول من هاجرت من النساء وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده فعلى هذا القول المراد بقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ام كلثوم واخوها وعلى الاول زينب واخوها ﴿قوله اذا قضى الله ورسوله امرا﴾ اي حكما او قضاء امرا من امور انفسهم والخيرة اسم من الاختيار ويدل عليه قوله ان يختاروا من امرهم شيأ لان ان مع الفعل في معنى المصدر وقوله والخيرة ما يتخير يدل على ان الخيرة بمعنى المختار كما في قوله محمد خيرة الله اي مختاره والمقصود بيان انه قد يكون بمعنى اختار الاله في الآية بمعنى الاختيار وجمع ضمير لهم مع كونه راجعا الى المؤمن بتنوين الوحدة لانه لما وقع في سياق النفي صار بمعنى كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا وجمع الثاني اي جمع ضمير امرهم مع كونه راجعا الى الله ورسوله لتعظيم المرجع اليه والمعنى ليس لواحد منهم ان يريد غير ما اراده الله تعالى ورسوله ويمتنع عما اراده الله ورسوله ﴿قوله وقرأ الكوفيون﴾ ان يكون بالياء من اسفل لكون تأنيث الخيرة غير حقيق وللفصل ايضا والباقون بالتاء من فوق اعتبارا للفظ الخيرة ﴿قوله وانعمت عليه بما وفقك الله فيه﴾ من الاعتاق والتبني والاختصاص فان ذلك مسند اليه عليه الصلاة والسلام من حيث صدوره منه ومسند اليه تعالى من حيث كون ذلك الصدور بتوفيق الله تعالى اياه لذلك روي انه عليه الصلاة والسلام اتى زيدا لحاجة فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من اتم نساء قريش فوقع في قلبه منها شيء فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فسمعت زينب الخ ﴿قوله أرابك﴾ يجوز ان تكون الهمزة فيه للاستفهام وان تكون همزة افعل كاكرم واخرج يقال رابه الدهر واربه اي اقلقه ﴿قوله والواو للحال﴾ اي الواو في قوله وتخفي للحال وكذا الواو في كل واحد من قوله وتخشى الناس ومن قوله والله احق ان تخشاه الاول حال من فاعل تقول وقوله وتخشى الناس حال من الضمير في تخفي وقوله والله احق حال من الضمير في تخشى وهذه الاحوال متداخلة الا ان كل واحد من تخفي وتخشى مضارع مثبت والواو في المضارع المثبت انما تكون للحال بتقدير المبتدأ اي وانت تخفي وانت تخشى كما في قولك قمت واصك وجهك والمعنى على هذا تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي ذلك خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله ويحتمل ان تكون الواو ان الاوّلان للعطف على

تقول كأنه قيل واذكر اذ كنت تجمع بين قولك أمسك عليك زوجك واخفاء خلافه وخشيت الناس والله أحق ان تخشاه حتى لاتفعل مثل ذلك وليس المعنى انه عليه الصلاة والسلام خشي الناس ولم يخش الله تعالى بل المعنى انه تعالى احق ان تخشاه وحده ولاتخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاقصر خشيتك على الله تعالى كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون احدا الا الله قال عمر وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم مانزل على رسول الله آية اشد من هذه الآية وقالت عائشة رضي الله عنها لوكتم النبي صلى الله عليه وسلم شيأ من الوحي لكتم هذه الآية لما رأت من شدتها عليه وروي عن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهم اجمعين انه قال في هذه الآية كان الله تعالى قد اعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني اريد ان اطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال له لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء واهل الحكمة في ذلك انه كان من حكم العرب ان من تبنى ولدا كان كولده من صلبه في التوريث وحرمة نكاح امرأته على الاب المتبنى فاراد الله تعالى ان يبطل حكمهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام وفعله ليكون انجع في قلوبهم واقطع لعادتهم واخبر الله رسوله ان زينب ستكون من ازواجك فزوجها زيدا ثم انهما يتفرقان بعد مدة فتزوجها انت انفسك ليتقرر عندهم بطلان حكم العرب وكان عليه الصلاة والسلام يخفيه في نفسه الى ان يظهره الله تعالى في وقته ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة ووقعت بينهما خشونة جاء زيد يشكوها الى النبي عليه الصلاة والسلام ويذكر رفعتها عليه وسوء خلقها معه فقال له امسك عليك زوجك اي جاملها وبطلق الحسن عاملها ولا تطلقها واتق الله يا زيد في رعاية حقوق النكاح عاتبه الله على ذلك بقوله وتخفي في نفسك يا محمد ما الله مبديه اي مظهره وهو ما اعلمك الله من انك تتزوجها اذا طلقها زيد برضاها واختياره وانقضت عدتها وتخشى الناس اي تكره مقالة الناس انه تزوج امرأة ابنه والله احق ان تخشاه فتعمل ما اباحه لك واذن لك فيه ﴿ قوله فانه وحده حسن ﴾ اي اخفاء الميل الى نكاحها ان طلقها زوجها واخفاء ارادة طلاقها حسن لظهور قبح ان يقول له طلقها فاني اريد نكاحها فان الاولى له ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك حتى لايخالف ظاهره باطنه فان اللائق للانبياء موافقة الظاهر الباطن ﴿ قوله بحيث ملها ﴾ الملال السآمة وانقطاع الرغبة وقوله ولم يبق له فيها حاجة عطف تفسير لملاله منها عن الزجاج قال معنى قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى مافي النفس من الشيء يقال قضى وطرا منها اذا بلغ ما اراد من حاجته فيها من الوقائع واعتبر في قضاء وطره منها تطليقه اياها وانقضاء عدتها لان الزوجة مادامت في نكاح الزوج لايكون الزوج قاضيا الوطر بالكلية لبقاء التمكن من ابتغاء حاجته منها وكذا اذا كانت في العدة يكون له بها تعلق لكونه في صدد تعوق برأة رحمها من الشغل فلايكون قاضيا وطره منها بعد فاذا طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له تعلق بها فحينئذ قد قضى منها الوطر ﴿ قوله اوجعلها زوجته بلا واسطة عقد ﴾ روي انه عليه الصلاة والسلام ارسل رسولا يخطبها لنفسه فقالت ما انا بصانعة شيأ حتى أوآمر ربي فقامت الى مسجدها فنزل القرآن ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اذن وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل ﴿ قوله وقيل كان السفير في خطبتها ﴾ بكسر الخاء والمروي في كان ضمير زيد ذكر في الكشاف انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب لي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليت لها ظهري وقلت يازينب أبشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيأ حتى أوآمر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير اذن ولما بين الله تعالى ان الامر الذي اراده لتزويج زينب من رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام كائن لامحالة بين انه لاحرج عليه في هذا الانكاح فقال ما كان على النبي من حرج اي من اثم وضيق ﴿ قوله سنة الله ﴾ مصدر مؤكد لفعله المحذوف اي سن الله ذلك سنة كصنع الله ووعد الله بين به ان انتفاء الحرج من هذا النبي فيما فرض الله له سنة قديمة له تعالى في جميع

وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه وحده حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لاحاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزوجها منه اوجعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ماخصه الدليل (وكان امر الله) امره الذي يريده (مفعولا) مكونا لامحالة كما كان تزويج زينب (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم (سنة الله) سن ذلك سنة (في الذين خلوا من قبل) من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم (وكان امر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا

من مضى من الذين يبلغون رسالات الله وقرر هذا الحكم بانه امر اراده الله وكان امر الله قضاء مقضيا يقع لا محالة كما قرر تزويج زوجة دعيه عليه الصلاة والسلام اياه بقوله وكان امر الله مفعولا وقوله الذين يبلغون يحتمل ان يكون مجرور المحل على انه صفة لقوله الذين خلوا وان يكون في محل الرفع بتقدير المبتدأ او في محل النصب بتقدير اعني او امدح ﴿قوله تعريض بعد تصريح﴾ فانه تعالى صرح بقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اي انه عليه الصلاة والسلام يخشى الله تعالى ويخشى الناس ايضا ثم قال والله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وتوصيف الرسل المتقدمة بانهم يخشون الله ولا يخشون احدا الا الله تعريض له عليه الصلاة والسلام بانه يخشى الناس ايضا ﴿قوله كافيا للمخاوف او محاسبا﴾ الاول على ان يكون حسيبا من قولك احسبك درهم اي كفاك حتى صيرك فاتلا حسبي والثاني على ان يكون من قولك حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته اي وكفى بالله محاسبا لاعمال خلقه مجازيا بها فهو الاحق بان يخشى دون خلقه ﴿قوله﴾ انه عليه الصلاة والسلام لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله تعالى قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني انه ليس باب لزيد فتحرم عليه امرأته وعبر عن هذا النفي عادل عنه كنايه حيث قيل من رجالكم للمبالغة فيه وهو عليه الصلاة والسلام وان كان ابا الحسن والحسين رضي الله عنهما الا انهما لم يبلغا مبلغ الرجال حينئذ كما لم يبلغه ابناؤه الصلبية ولئن بلغاه لكانا من رجاله عليه الصلاة والسلام لا من رجالهم وايضا المنفي كونه عليه الصلاة والسلام ابا صلبيا للرجال وليس ابا صلبيا لولدي ولده ولعل وجه الاستدراك في قوله تعالى ولكن رسول الله انه تعالى لما نفى كونه عليه الصلاة والسلام اباهم على الحقيقة كان ذلك مظنة ان يتوهم ان ليس بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم ما يوجب تعظيمهم اياه وانقيادهم وعدم اعتراضهم عليه في شيء فاستدركه ببيان ان حقه آكد من حق الاب الحقيقي وكان قوله من رجالكم مظنة ان يتوهم كونه عليه السلام ابا احد من رجال نفسه الذين ولدوا منه فدفعه بعطف قوله وخاتم النبيين على قوله رسول الله فانه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لا يكون ابا لواحد من رجال نفسه ايضا لانه لو بقي له ابن بالغ بعده لكان اللائق به ان يكون نبيا بعده فلا يكون هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ولدا يكون نبيا بعده على ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال مثلي ومثل الانبياء مثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون منه سوى خلو موضعها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل ﴿قوله وآخرهم الذي ختمهم﴾ على ان خاتم بكسر التاء وهي قراءة من عدا عاصما من القراء وقرأ عاصم بفتح التاء وهو اسم للآلة يختم ويطبع ويقال له الطابع ايضا وفي الصحاح الطبع الختم وهو التأثير في الطين ونحوه والطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه فمن قرأ خاتم بكسر التاء اراد انه عليه الصلاة والسلام فاعل الختم حيث ختم النبيين ومن قرأ بفتحها اراد انه عليه الصلاة والسلام آخر النبيين لا نبي بعده حيث ختموا به وتم به بنيان النبوة واختير به كما يختم الكتاب بالخاتم ولما كان عليه الصلاة والسلام آخر النبيين صار بمنزلة الخاتم بالنسبة اليهم حيث ختموا به فسمي خاتم النبيين ﴿قوله وقرئ رسول الله بالرفع﴾ والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان السابقة عليه اي ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاول اولى لان لكن ههنا ليست بعاطفة لاجل الواو فالاليق بها ان تكون هي التي تدخل على الجمل كلكن التي ليست بعاطفة وقرئ لكن بتشديد النون على ان رسول الله اسمها وخبرها محذوف ﴿قوله يغلب الاوقات﴾ كما قال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير هو ان لا تنساه ابدا وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال بان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فان هذه الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والحائض والمحدث والجنب والناس ﴿قوله وتخصيصهما بالذكر﴾ مع ان المقصود الامر بتسبيحه على الدوام بقرينة قوله وسبحوه بعد قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا من قبيل التخصيص بعد التعميم اظهارا لشرف الخاص واعتبارا لغاية فضله وزيادة شرفه لم يتناوله العام المذكور فانه يحتاج الى ذكره على حدة وهي النكتة في كل ما هو من هذا القبيل ولما كان المراد بالذكر الكثير الذكر على الدوام من غير تخصيصه بوقت دون وقت كان المراد بالتسبيح المندرج تحته التسبيح في كافة الاوقات ايضا الا انه خص طرفي النهار بالذكر دلالة على فضلهما او تخصيصا لما يجري بينهما يقال محصت الذهب بالنار اذا خلصته مما يشوبه ﴿قوله وقيل الفعلان﴾ اعني اذكروه وسبحوه وهو عطف

(الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله) تعريض بعد تصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم (ولكن رسول الله) وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم وليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتموه انه لم يعش له ولد ذكر (وخاتم النبيين) وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ (وكان الله بكل شيء عليما) فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد (وسبحوه بكرة واصيلا) اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما

على ماقبله من حيث المعنى فانه فسر الفعل الاول بما معناه اذكروه في عموم الاوقات والاحوال بما يعم انواع ماهو اهله ثم جعل قوله بكرة واصيلا ظرفا لقوله سبحوه فقطه قال الزمخشري انه من قبيل صم وصل يوم الجمعة ولم يرض به لان يحمل الذكر على مايعم انواعه وحمل كثرته على وقوعه في كافة الاوقات والاحوال ثم ذكر التسبيح وطلب في النهار بخصوصهما اظهار لمزيد فائدة بليغة لاتوجد فيما قاله الزمخشري ﴿قوله وقيل المراد بالتسبيح الصلاة﴾ فالمعنى صلوا لله بالغداة والعشي قال الكلبي امابكرة فصلاة الفجر واما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء كما قال تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وكقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآية ﴿قوله مستعار من الصلا﴾ لما فسر الصلاة المسندة اليه تعالى بالرحمة والى الملائكة بالاستغفار وورد عليه ان يقال كيف يصح ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد اشار الى جوابه بان الصلاة المدلول عليها بقوله تعالى يصلي عبارة عن معنى مجازي هو القدر المشترك بين المعنيين المذكورين وهو العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه وهذا المعنى المشترك يصح ان يسند اليه تعالى والى الملائكة الا ان العناية المسندة اليه تعالى هي الرحمة وما اسند الى الملائكة هو الاستغفار فليس هنا ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد ووجه كون هذا القدر المشترك معنى مجازيا للصلاة ان الصلاة اسم موضوع موضع المصدر وهو التصلية قال القياس ان يقال صلى تصلية ولا يقال كذا بل صلى صلاة وتصلية العصا مثلا عبارة عن اصلاحها وتقويمها يقال صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها فشبهت العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه بتصلية العصا فسميت باسم المشبه به على سبيل الاستعارة ﴿قوله وقيل الترحم﴾ معطوف على قوله وهو العناية اي وقيل الامر المشترك بين رحمة الله تعالى واستغفار الملائكة هو الترحم والانعطاف المعنوي اطلق لفظ الصلاة على هذا المعنى المشترك بينهما تشبيها له بالصلاة التي هي الانعطاف الصوري بالركوع والسجود ولفظ الصلاة مجاز في الانعطاف الصوري ايضا لكونه مأخوذا من الصلا وهو العظم الذي عليه الاليتان يقال صلى صلاة اي حرك صلويه ثم نقل لفظ الصلاة الى الاذكار المعهودة والاركان المخصوصة لان المصلي ينعطف ويتحرك في ركوعه وسجوده ويحرك صلويه فيهما فلما كان لفظ الصلاة مجازا مرسلا في الاذكار المعهودة كان مجازا في الانعطاف المعنوي في المرتبة الثانية والانعطاف قدر مشترك بين الرحمة والاستغفار يطلق على كل واحد منهما على سبيل الحقيقة وهو قوله واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم ثم اشار بقوله سيما وهو سبب الرحمة الى جواز ان يكون الترحم والانعطاف المعنوي حقيقة في الرحمة مجازا في الاستغفار سمي استغفار الملائكة ترحما لكونه سببا للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة فيكون لفظ الصلاة مجازا في الترحم بالمعنى الاعم المتناول لرحمة الله تعالى حقيقة ولدعاء المؤمنين بالرحمة في حقهم فان الملائكة لما قالوا اللهم صل على المؤمنين جعلوا كأنهم فاعلوا الرحمة في حقهم لكونهم مستجابي الدعوة فليس لفظ الصلاة مستعملا فيما هو رحمة الله تعالى حقيقة وفيما هو رحمة مجازا وهو استغفار الملائكة ودعاؤهم بل هو مستعمل في الترحم المتناول لهما على طريق عموم المجاز فلفظ الصلاة ليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز بل هو مستعمل في الترحم الذي هو معنى مجازي له وذلك الترحم متناول لما هو رحمة الله تعالى حقيقة ولما هو رحمة مجازا على طريق عموم المجاز ﴿قوله يحيون﴾ يجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يعمل بهم سائر انواع التعظيم فقد ورد في الخبر ان الله تعالى يقول السلام عليكم مرحبا بعبادي المؤمنين الذين ارضوني في دار الدنيا باتباع امري وروي ايضا ان الله تعالى يقول سلام عليكم عبادي اتاكم رائي فهل انتم عني راضون فيقولون باجمعهم يا ربنا كل الرضى كل الرضى وقيل تحييهم الملائكة على ابواب الجنة بالسلام اذ يدخلون عليهم من كل باب وقيل تحييهم ملك الموت عند قبض ارواحهم لايقبض روح مؤمن الا سلم عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا جاء ملك الموت لقبض ارواح المؤمنين قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم بالجنة ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى فاعله على معنى يحيي بعضهم بعضا في الجنة ويقول امنا ولكم من كل مكروه ﴿قوله يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة﴾ جعل لقاء احد هذه الثلاثة لقاء الله تعالى لان الانسان في حال حياته غير مقبل بكليته على الله تعالى وكيف وهو حال نومه غافل عنه وفي اكثر اوقات يقظته مشغول عنه بتحصيل امور دنياه بخلاف هذه الاحوال فانه لاشغل لاحد فيها يلهيه عن ذكر الله تعالى فهي في حكم لقاء الله تعالى حقيقة ﴿قوله ولعل اختلاف النظم﴾ حيث عطف الجملة الفعلية

وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذي يصلي عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلا وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب الرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكة المقربين (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة (سلام) اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة (واعد لهم اجرا كريما) هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم

(يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم تصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة (ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله) الى الاقرار به وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جانب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم (ودع اذاهم) ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولهذا قيل انه منسوخ (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة) ايام يتربصن فيها بانفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات دون الكتابيات والحكم عام للتنبيه على ان من شأن المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفه وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة (فمتعوهن) اي ان لم تكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة

على الاسمية فان التعبير عن مضمون الجملة الفعلية التي يكون فيها ماضيا مثبتا ابلغ في بيان ثبوتها من الاسمية الدالة على مجرد الثبوت ثم انه تعالى لما بين انه اخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والمعصية الى انوار الايمان والطاعة برحمته وبسبب دعاء الملائكة واستغفارهم وقرر ذلك بقوله وكان بالمؤمنين رحيما اشار الى ان معظم رحمته في حقهم ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك وعلى جميع الامم بتبليغ الرسالة والتصديق منهم والتكذيب مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل ومبشرا بالجنة لمن صدقك ونذيرا اي منذرا لمن كذبك بالنار ﴿قوله واطلق له﴾ اي اطلق لفظ الاذن واريد التيسير والتسهيل بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الدخول في حق الغير متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن سببا لتيسر ما تعسر صح ان يراد به التيسير مجازا وانما صرف عن ظاهره وحمل على المجاز لانه قد فهم من قوله انا ارسلناك انه عليه افضل الصلاة والسلام مأذون له في الدعاء الى الله وتوحيده وطاعته فلو لم يحمل على المجاز لما بقي له فائدة ﴿قوله وقيد به الدعوة﴾ فان قوله باذنه حال من المنوي في داعيا اي ملتبسا باذنه او صفة مقيدة لمو قوله تعالى وسراجا منيرا من قبيل التشبيه البليغ وقول المصنف يستضاء به ويقتبس من نوره بيان لوجه الشبه ﴿قوله او على اجر اعمالهم﴾ على ان المراد بالفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب الموعود لهم بمقابلة اعمالهم ﴿قوله ولعله معطوف على محذوف﴾ حذف اعتمادا على دلالة المقام لانه تعالى وصفه بخمس صفات وكلفه بمقابلة كل واحدة منها بتكليف على حدة ولما لم يذكر ما يقابل قوله شاهدا مع انه قد ذكر ما يقابل سائر الصفات علم انه ملحوظ في الكلام وان لم يذكر لكنته فصح العطف عليه وان العطف من جملة ما يدل على كونه ملحوظا معتبرا في الكلام فكأنه قيل ارسلناك شاهدا ومبشرا فراقب وبشر الخ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمر وقلت له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ثم انه تعالى لما ذكر في ارشاد رسوله عليه الصلاة والسلام وتأديبه ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يا أيها النبي اتق الله ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت يده من ازواجه بقوله يا أيها النبي قل لازواجك ذكر في ارشاد المؤمنين ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت ايديهم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ﴿قوله تجامعوهن﴾ والخلوة الصحيحة بها تقوم مقام المساس عند الحنفية وهي ان يخلو بها من غير ان يكون في احد الزوجين مانع شرعي كالاحرام والصوم الفرض والحيض او مانع حسي كالمرض او مانع عقلي بان يكون هناك شخص يستحيي منه الزوج فلو خلا بها على هذا الوجه ثم طلقها قبل الدخول بها يجب على الزوج المهر كاملا وعليها العدة احتياطا واما اذا خلا بها مع احد الموانع المذكورة ثم طلقها قبل الدخول فعليه نصف المهر وعليها العدة احتياطا ﴿قوله من عددت الدراهم فاعتدها﴾ اي استوفى عدتها فقوله تعتدونها تفتعلونها من العدد على ان بناء افتعل للاتخاذ بنفسه والمعنى فما لكم عليهن من ايام يتربصن فيها بانفسهن تستوفون انتم عددها بالاقراء او الاشهر فقوله تعتدونها صفة لعدة ﴿قوله او تعدونها﴾ على ان يكون افتعل بمعنى فعل كما يقال صبروا واصطبروا وكذا عد واعتد ﴿قوله على ابدال احدى الدالين بالتاء﴾ كراهة اجتماع حرفي التضعيف كما في تقضى البازي فتكون القراءتان بمعنى واحد لكونهما من الاعتداد وان كان من الاعتداء بمعنى الظلم تكون التقدير فما لكم عليهن من عدة تعتدون فيها فان الزوج المطلق ان الزمها العدة ومنعها من ان تنكح زوجا آخر فقد ظلمها بغير حق فصير تعتدونها لعدة اجرى الظرف مجرى المفعول به حيث لم يقدر كلمة في اتساعا كما في قولك الذي سرته اي سرت فيه يوم الجمعة وفي قوله ويوم شهدناه سليم وعامر ﴿قوله والحكم عام﴾ فان من نكح كتابية ثم طلقها قبل المسيس فليس له عليها من عدة كما في المؤمنة فلا وجه بحسب الظاهر لتخصيص المؤمنات بالذكر وحاصل الجواب ان مفهوم المخالفة انما يثبت ان لو لم يكن للتخصيص فائدة سواه وههنا فائدة سواه وهي التنبيه على ما ذكر ﴿قوله تخيرا لنطفه﴾ اي اختيارا واصطفاء لها ﴿قوله وفائدة ثم الخ﴾ جواب عما يقال ما الفائدة في الاتيان بكلمة ثم مع ان حكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك ﴿قوله اي ان لم تكن

مفروضاً لها ﴾ يعني ان الامر للوجوب ولا تجب المتعة الا لمن لم يسم لها مهر وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هذا اذا لم يكن سمى لها صداق فانه تجب لها المتعة ان طلقت قبل المسيس وان كان قد فرض لها صداق فلها نصف الصداق ولا متعة لها ﴿ قوله ويجوز ان يأوّل ﴾ بان لا يكون الامر بالتمتيع مشروطا بان لا تكون مفروضا لها بل يكون في حق من طلقت قبل دخول مطلقا سواء سمى لها اولم يسم بان يأوّل قوله فمتعوهن باعطاء ما يستمتع به وهو يتناول المتعة المتعارفة ونصف المفروض او بان يحمل الامر على ما يعم الايجاب والندب فان من سمى لها مهر حين العقد ان طلقت قبل وطئ يستحب تمتيعها بشيء زائد على نصف المسمى والمذكور في كتب الحنفية ان المطلقات اربع مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر فتجب لها المتعة وهي درع وخمار وملحفة ومطلقة لم توطأ وقد سمى لها فهي التي لم تستحب لها المتعة بل يجب لها نصف المسمى ومطلقة قد وطئت ولم يسم لها مهر ومطلقة قد وطئت وسمى لها مهر فهاتان يستحب لهما المتعة فالحاصل انه اذا وطئها يستحب لها المتعة سواء سمى لها مهر اولم يسم لانه اوحشها بالطلاق بعد ما سلمت اليه المعقود عليه وهو البضع فيستحب ان يعطيها شيأ زائداً على الواجب وهو المسمى في صورة التسمية ومهر المثل في صورة عدم التسمية وان لم يطأها ففي صورة التسمية تأخذ نصف المسمى من غير تسليم البضع فلا يستحب لها شيء آخر وفي صورة عدم التسمية تجب المتعة لانها لم تأخذ شيأ ﴿ قوله ولا يجوز تفسيره ﴾ اي تفسير السراح الجميل بالطلاق السني وهو ان يطلق غير الموطوءة طلقة واحدة ولو في زمان حيض وان يفرق طلقات الموطوءة في ثلاثة اطهار لا وطئ فيها ان كانت ممن تحيض او في ثلاثة اشهر ان كانت آيسة او صغيرة او حاملا فان الاشهر في حقهن قائمة مقام الحيض ﴿ قوله لانه مرتب على الطلاق ﴾ من حيث كونه معطوفا على ما هو مرتب على الطلاق وهو قوله فمتعوهن وغير المدخول بها بعد ما طلقت لا تكون محلا للطلاق لزوال علقة النكاح بالكلية بطلاقها قبل الدخول فامتنع تفسيره بالطلاق ثم انه تعالى قال على سبيل الامتنان لنبيه صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اي نساءك اللاتي اعطيت مهورهن والمراد بالايتاء وهو الاعطاء حقيقة الاداء وقد يطلق على مجرد القول والالتزام كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية اي يلتزموها وغيره عليه الصلاة والسلام من له اكثر من اربع نسوة امره ان يترك ما زاد على الاربع وقد احل الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم امساك الجميع ولم يأمره بالفرقة عما زاد على الاربع وانما قد اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو الافضل والاولى من المحللات كما اختار للمؤمنين نكاح المؤمنات لكونه الاولى لهم الا ترى انه تعالى وصف الازواج المحللة له عليه الصلاة والسلام بقوله اللاتي آتيت اجورهن وبكونهن مهاجرات معه وبكونهن من اقاربه من جهة ابيه او امه ووصف المملوكات ممن بقوله مما افاء الله عليك فان تسمية المهر وادائه افضل من تركها وكذا الجارية اذا كانت مسبية مالكها وغنيمة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب تكون احل واطيب ممن تشترى من اهل الجلب لانها لو لم تكن مما غنمه الله من دار الحرب احتمل ان تكون من سبي خبيثة بان سبيت من اهل العهد والذمة وكذا المهاجرة افضل من غيرها لان الهجرة حينئذ كانت من فروض الاعيان وكذا قرائب النبي عليه الصلاة والسلام من جهة ابيه او امه اقرب منه في الكفاءة من غيرهن فتوصيف المحللات بهذه الصفات ليس لبيان انحصارها فيما وجد فيه احدى الصفات بل للامتنان بان المسوق اليه عليه الصلاة والسلام منها ما هو اولاها وافضلها ﴿ قوله فاعتذرت اليه ﴾ قيل اعتذرت اليه عليه الصلاة والسلام بانها كانت ذات صبية والطلقاء جمع طليق وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق عنه اساره اي قيده وخلي سبيله ولما فتح عليه الصلاة والسلام مكة عنوة صار اهلها غنيمة وملكا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسموا الطلقاء ﴿ قوله نصب بفعل يفسره ما قبله ﴾ اي ويحل لك امرأة مؤمنة او عطف على مفعول احللنا اي واحللنا لك امرأة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقاء وقد اورد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المرأة مستقبل فاحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط يكون ماضيا في المعنى ثم قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك انتهى يعني ليس المعنى ان وهبت لك نفسها في المستقبل احللناك اياها فيما مضى بل المعنى ان وهبت فاعلم انا احللناها لك ﴿ قوله ولذلك نكرها ﴾ اي ولاجل ان الاحلال كان على تقدير ان تتفق الهبة نكر امرأة اذ لو كانت الواهبة متحققة لكانت متعينة فكان المناسب

ويجوز ان يأوّل التمتيع بما يعمهما او الامر المشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها (وسرحوهن) اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن (يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن) مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه وكنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها

واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح اى لان وهبت او مدة أن وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا (ان اراد النبي ان يستنكحها) شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اى خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة (قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم) من شرائط العقد ووجوب المهر بالوطئ حيث لم يسم او القسم (وما ملكت ايمانهم) من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله (لكيلا يكون عليك حرج) ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) بالتوسعة في مظان الحرج

التعريف ﴿قوله واختلف في اتفاق ذلك﴾ اى اختلف في انه عليه الصلاة والسلام هل كانت عنده امرأة من اللاتي وهبت نفسها له فقال عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام امرأة وهبت نفسها له ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله تعالى ان وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة فقيل هي زينب بنت خزيمة الانصارية وقيل هي ميمونة بنت الحارث وقيل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقيل هي خولة بنت حكيم من بني سليم ﴿قوله او مدة ان وهبت﴾ على ان تكون أن مع الفعل في حكم المصدر الذي حذف معه الزمان المضاف كما في قولك رتحل صياح الديك وتعبيره في كون المصدر المؤول محذوفا معه المصدر قولك اجلس مادام زيد جالسا بمعنى مقدار دوامه جالسا ﴿قوله شرط للشرط الاول﴾ اي قيد له ولذلك يقال في اعرابه انه حال من الاول لان الحال قيد لعامله ولهذا اشترط الفقهاء ان يتقدم الشرط الثاني على الاول في الوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل لتحقق الحالية والتقييد فلو لم يتقدم لطلاقها من الاكل غير مقيد بركوب بجعل الاكل شرطا لطلاقها وجعل ركوبه نفسه شرطا لكون الاكل مستلزما لطلاقها فلما كان الشرط الاول بمنزلة جزاء الشرط الثاني وجب ان يكون الشرط الثاني متقدما في الوجود على الاول لان الشرط مقدم على الجزاء في الوجود حتى لو وجد الشرطان على الترتيب الذي تلفظ به لا يحنث اليمين ما لم يوجد الاول بعده ثانيا فكأنه قيل واحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك اى ان ملكت نفسها اياك بالنكاح بلفظ الهبة من غير مهر حال ارادتك وطلبك ان تنكحها على ان يكون استنكح بمعنى نكح كما يقال نكر واستنكر وعجل واستعجل وعجب واستعجب كما اشار اليه بقوله الا بارادته نكاحها وينبغي ان يكون قوله بعد هذا والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه بناء على معنى بناء الاستنكاح لغة لا بيانا لما اريد به في نظم الآية اذ ليس لان يقال ان اراد النبي ان يطلب نكاحها وان يرغب فيه معنى ظاهر فلذلك فسر الامام النسفي قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها بقوله ان احب ان ينكحها كما يقال نكر واستنكر ﴿قوله واحتج به اصحابنا﴾ يعني ان قوله تعالى خالصة لك لما دل على ان حصول التزوج وحل ما يترتب عليه من الاستمتاع بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لان اختصاصه بمعنى الهبة وحكمها يستلزم اختصاصه باللفظ ايضا قال الامام قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال الامام الشافعي رحمه الله معناه اباحة الوطئ بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خصائصك وقال ابو حنيفة معناه تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة ومن امهات المؤمنين لا تحل لغيرك ابدا بالتزويج ثم قال ويمكن ان يقال على هذا يكون التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه لان ازواجه عليه الصلاة والسلام كلهن خالصات له بهذا المعنى انتهى كلامه وقال علماؤنا رحمهم الله ان النكاح ينعقد بلفظ الهبة اذا طلب الزوج منها النكاح حتى لو طلب منها التمكين من الوطئ فقالت وهبت نفسي منك وقبل الزوج يكون نكاحا واستدلوا عليه بان الآية قد دلت على احلال الواهبة وصحة نكاحه بلفظ الهبة وقد تقرر انه عليه الصلاة والسلام وامته سواء في الاحكام الا ما خصه الدليل ولا دلالة لقوله تعالى خالصة لك على كون صحة النكاح بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لما مر من ان معناه من كون الواهبة من امهات المؤمنين لا تحل لاحد بعده ابدا فلو وهبت نفسها من احد بغير مهر وقبل الآخر بحضرة الشهود يصح النكاح ولها مهر مثلها ﴿قوله اى خلص احلالها﴾ اى احلال من وهبت نفسها بلا مهر على ان يكون الخلوص من صفة المرأة الواهبة نفسها فقط ﴿قوله او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة﴾ وهي الاوصاف الاربعة المذكورة بعد قوله تعالى انا احللنا لك والمراد بالقيود المذكورة كون الازواج اعطيت مهورهن معجلة وكون المماليك مسبيات وكون الاقارب مهاجرات وكون المرأة المؤمنة واهبة نفسها له عليه الصلاة والسلام فعلى هذا تكون صفة الخلوص متعلقة بالاصناف الاربعة المتقدمة فان قيل ما وجه كون المسبيات والمهاجرات ومن عجلت مهورهن خالصة له عليه الصلاة والسلام مع كونهن محللات لغيره عليه الصلاة والسلام قلنا ليس المراد بالخلوص خلوص احلالهن مطلقا بل المراد خلوص احلالهن على القيود المذكورة كما اشار اليه المصنف بقوله على القيود المذكورة فانه متعلق بقوله او احلال فانهن احللت في حقه عليه الصلاة والسلام بهذه القيود وهي ايتاء الاجور والاسباء والهجرة والهبة واما في حق غيره عليه الصلاة والسلام فانهن احللت غير مقيدات بهذه القيود والمصدر قد يجيء على وزن فاعلة نحو عاقبة وكاذبة قال تعالى ليس لوقعتها

كاسبة اى كذب وقد يجيء على وزن فاعل نحو قاعد فى قوله ءأقاعدا والركب قد ساروا وكذا خالصة فى الآية فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كوعد الله والتقدير خلص خلوصا ويحتمل ان يكون انتصابه على أنه حال من فاعل وهبت اى ان وهبت نفسها حال كونها خالصة لك لا تحل لاحد غيرك فى الدنيا والآخرة او على انه حال من امرأة لانها وصفت فتخصصت وهى بمعنى الاول واليه ذهب الزجاج ثم انه تعالى لما بين انه احل له عليه الصلاة والسلام الاصناف الاربعة الموسومة باقيهن من القيود المخصوصة قال بعده قد علمنا ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين والمعنى انه تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء وعلى اى وجه وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه كذلك حيث فرض عليهم ان يقتصروا على الاربع وحرم عليهم الزيادة عليها وان ينكحوا الحرة على الامة وجوز ان يزيدوا عليها فى الجوارى المملوكة وان كثرن وفرض عليهم ان لا يتزوج الرجل امرأة الا بولى وشهود ومهر بخلاف النبى عليه الصلاة والسلام فانه تعالى احل له الواهبة نفسها بغير مهر وبغير ولى ولم يوجب عليه ان يقتصر على الاربع بناء على انه تعالى علم الحكمة فى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بما خصه الله تعالى به ففعل ذلك وقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج متصل بقوله خالصة لك من دون المؤمنين والمعنى خلص احلالا ما احللنا لك عن القيود المذكورة خلوصا لك لئلا يبقى الحرج عليك فى دينك ودنياك اما الاول فلانه تعالى اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو افضل واولى للاختيار وهى من سمى لها مهر وعجل مهرها ومن كانت مهاجرة ومن المماليك من كانت مسبية واما الثانى فلانه تعالى احل له اجناس المنكوحات وزاد له الواهبة نفسها من غير مهر وفى توسيعه عليه الصلاة والسلام بهذه الثلاث المباحة عون له على القيام بما امر به **﴿قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء﴾** على ان ارجى اصله من الناقص وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ترجئ بالهمزة وفى الصحاح ارجيت الامر اخرته يهمز ولا يهمز فيقال ارجأت الامر وارجيته بمعنى اخرته نزلت الآية فى انه تعالى اباح للنبى عليه الصلاة والسلام مضاجعة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه تعبداله وتفضلا واباح له ان يجعل لمن احب منهن يوما او اكثر او يعطل من يشاء منهن فلا يأتيها وقد كان القسم والتسوية بينهن واجبا عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه ذلك وصار الاختيار اليه فيهن فارجأ عليه الصلاة والسلام بعضهن وآوى اليه بعضهن وكان ممن آوى اليه عائشة رضى الله عنها وحفصة وزينب وام سلمة فكان يقسم بينهن سواء وارجأ منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما يشاء وقيل ما اخرج واحدة منهن من القسم مع انه تعالى فوض امر القسم اليه بل كان يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها تركت حقها فى القسم وجعلت يومها لعائشة رضى الله عنها ومن فى قوله تعالى ومن ابتغيت يجوز ان تكون شرطية فى محل النصب لما بعدها وقوله فلا جناح عليك جوابها والمعنى ومن طلبتها من المعزولات اللاتى عزلتهن فليس عليك فى ذلك جناح ويجوز ان تكون فى محل الرفع على الابتداء وحذف العائد وعلى هذا يجوز ان تكون من موصولة وان تكون شرطية وقوله فلا جناح عليك اما خبر او جواب ولا بد حينئذ من ضمير راجع الى اسم الشرط والتقدير والتى ابتغيتها فلا جناح عليك فى ابتغائها او طلبها **﴿قوله اقرب الى قرة عيونهن﴾** اختار المصنف قراءة الجمهور وهى ان تقرأ بفتحات الثلاث على بناء الفاعل وهو اعينهن من قرت عينه تقر قرة وقرورا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى الغابر نقيض سخنت تسخن فان السرور له دمعة باردة والحزن له دمعة حارة او نقيض طمحت وارتمت الى ما هو فوقه ولم تستقر فالمعنى على الاول ذلك اقرب الى ان تبرد اعينهن اى الى ان يصرن مسرورات وان تطيب انفسهن لانهن اذا علمن ان هذا جاء من الله كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن وعلى الثانى ذلك اقرب الى ان تستقر اعينهن فلا تطمح الى ما هو فوقه وقرئ ادنى ان تقر اعينهن بضم التاء وكسر القاف واسناد الفعل الى ضمير المخاطب ونصب اعينهن على المفعولية من اقر الله عينه اى اعطاه حتى استقرت عينه او بردت وقرئ ايضا ان تقر على بناء المفعولية ورفع اعينهن لقيامه مقام الفاعل وقرأ العامة كلهن بالرفع على انه تأكيد لنون يرضين التى هى ضمير الفاعل وقرئ بالنصب على انه تأكيد لمفعول آتيتهن **﴿قوله من بعد التسع﴾** لما بنى بعد على الضم علم انه قطع عن الاضافة وان المضاف اليه محذوف منوى وذكر المصنف فى تعيين المضاف اليه احتمالين الاول انه التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والثانى انه يوم نزول الآية واشار الى ان الفرق بين الاحتمالين ان يكون المقصود من الآية على الاحتمال الاول بيان ان التسع فى حقه عليه الصلاة والسلام نصابه من الازواج

(ترجى من تشاء منهن) تؤخرها وتتر
مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضـ
اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك
من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص
ترجى بالياء والمعنى واحد (ومن ابتغيت
طلبت (ممن عزلت) طلقت بالرجعـ
(فلا جناح عليك) فى شئ من ذلك (ذلـ
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضيـ
بما آتيتهن كلهن) ذلك التفويض الى مشيئتك
اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهـ
جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سوى بـ
بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحـ
بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصـ
وتقر على البناء للمفعول وكلهن توكيد نو
يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن (والـ
يعلم ما فى قلوبكم) فاجتهدوا فى احسانـ
(وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما
لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتـ
(لا يحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجـ
غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء (من بعد
من بعد التسع وهو فى حقه كالاربع فى حـ
او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحـ
لم يحل له نكاح اخرى

فلا يحل له ان يتجاوز النصاب وان جاز له نكاح امرأة اخرى على تقدير ان يموت واحدة من التسع وعلى الاحتمال الثانى يكون المقصود قصره عليه الصلاة والسلام على هؤلاء التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بدل الحياة الدنيا وزينتها حين خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى وقال الامام والاولى ان يقال لا تحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصول والهجران والنقص والحرمان انتهى كلامه يريد ان الآية لما نزلت بعد ما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله كان المناسب ان يكون المضاف اليه المقدر ما ذكره لكونه ادل على انه تعالى انما حرم عليه النساء سواهن ونهاه من تطليقهن ومن الاستبدال بهن شكرا لهن على حسن صنيعهن وقول المصنف او من بعد اليوم خلاصة ما ذكره الامام وقوله تعالى ولا ان تبدل اصله ولا ان تتبدل بهن بمعنى تستبدل يقال استبدل الشئ بغيره وتبدل به اذا اخذه مكانه قيل ولا ان تأخذ بمكانهن احدا من الازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى فحرم عليه طلاق النساء اللواتى كن عنده اذ جعلهن امهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين اخترنه وقيل كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك وابادلك بامرأتى تنزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن من ازواج يعنى ان تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ثم استثنى من هذا الحكم الا ما ملكت يمينك اى لا بأس فى ان تبادل بجاريتك ما شئت واما الحرائر فلا ويؤيد هذا القول ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال دخل عيينة بن حصين على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عائشة رضى الله عنها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء التى الى جنبك فقال هذه عائشة ام المؤمنين فقال عيينة أفلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ﴿ قوله تعالى ولو اعجبك حسنهن ﴾ كقوله عليه الصلاة والسلام اعطوا السائل ولو على فرس اى اعطوه فى كل حال ولو على هذه الحال المنافية معنى الآية ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها اخرى فى كل حال ولو فى حال انك اعجبك حالها ﴿ قوله لتوغله فى التنكير ﴾ والحال من النكرة لا يجوز تأخيرها عن ذى الحال قيل فيه نظر لانه اذا كان فى الحال واو جاز تأخيرها عن ذى الحال النكرة لان الواو ترفع التباسها بالصفة بناء على انه لا يجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف واختلفوا فى انه عليه الصلاة والسلام هل ابيح له النساء من بعد ام نسخت هذه او هى محكمة قالت عائشة رضى الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس مات على التحريم ثم قال الزهرى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعلم يتزوج النساء قال ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام ملك بعد هؤلاء مارية فكان الامر موسعا عليه فيهن كما هو موسع على امته ﴿ قوله وقيل المعنى ﴾ عطف على قوله من بعد التسع قيل لابى بن كعب لو مات نساء النبى عليه الصلاة والسلام أما كان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل اما يمنعه قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما احل الله ضربا من النساء بقوله يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال لا تحل لك من بعد اى من بعد هؤلاء الاصناف المذكورة فله ان يتزوج من نساء قومه المهاجرات ما شاء ولو ثلاثمائة والفرق بين القولين ان الآية على القول الاول فيها حكمان تحريم الزيادة على التسع وتحريم التبديل وعلى الثانى فيها حكم واحد وهو تحريم غير ما نص عليه من الاجناس الاربعة المذكورة فى قوله تعالى انا احللنا لك الخ وقوله ولا ان تبدل بهن تأكيد لذلك فيجوز له ان يزيد على العدد المذكور وان يبدل بكلهن او بعضهن ازواجا اخر من جنس ما نص عليه ولم يرض به المصنف لان تخلل العاطف بين التأكيد والمؤكد غير معهود ﴿ قوله استثناء من النساء ﴾ فيجوز ان يكون فى محل النصب على اصل الاستثناء او فى محل الرفع على البدلية وهو المختار ولم يرض بكون الاستثناء منقطعا لابتنائه على ان يحمل النساء على الازواج حتى يكون استثناء الاماء من خلاف الجنس وهو خلاف الظاهر ﴿ قوله الا وقت ان يؤذن لكم ﴾ على ان يكون ان مع الفعل فى معنى الظرف قائما مقامه على خلاف ما اشتهر عند النحاة من ان أن المصدرية لا تقع موقع الظرف فلا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما يجوز ذلك فى المصدر الصريح نحو آتيك صياح الديك اى وقت صياحه ﴿ قوله او الا مأذونا لكم ﴾ على ان يكون ان مع الفعل فى موضع النصب على الحال

(ولا ان تبدل بهن من ازواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق (ولو اعجبك حسنهن) حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا تحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر (الا ما ملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم) الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم

والمعنى على الاوّل لاتدخلوا منازله التى فيها نساؤه فى وقت من الاوقات الا وقت كذا و على الثانى لاتدخلوا منازله
على اىّ حال من الاحوال الا حال كذا ﴿ قوله غير منتظرين وقته ﴾ على ان يكون الانى اسما بمعنى الوقت
فجمع على آناء قال تعالى ومن آناء الليل اى ساعاته فحينئذ يحتاج الى تقدير المضاف اى انى اكله او تقديمه اليكم
لان الزمان لايضاف الى العين بل يضاف الى الحدث ﴿ قوله او ادراكه ﴾ على ان يكون الانى مصدر انقول
انى يانى انى مثل قلى يقلى قلى يقال انى الطعام انى بمعنى ادرك ادراكا والنظر قد يكون بمعنى الانتظار قال تعالى انظرونا
نقتبس من نوركم اى انتظرونا ووجه كون قوله تعالى غير ناظرين اناه مشعرا بما ذكره انه لما نهى عن الدخول
فى جميع الاحوال الا فى حال عدم انتظار الداخل وقت تناول الطعام دل ذلك على ان الدخول على الطعام
من غير دعوة لايحسن وان اذن فان الداخل بالاذن اذا نهى عن الانتظار لادراك الطعام كيف يحسن للمتأذن
فى الدخول على الطعام ان يستأذن ويدخل عليه من غير دعوة ﴿ قوله وهو حال من فاعل لاتدخلوا ﴾
ووقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبىّ عليه الصلاة والسلام فى وقت من
الاوقات كانهوا عن الدخول من غير دعوة واذن نهوا ايضا عن انتظار وقت اطعام وتحينه ليدعوا اليه فيدخلوا
الاوقت الاذن اى لاتدخلوها فى حال من الاحوال الاغير ناظرين او من المجرور فى لكم والعامل على هذا ان يؤذن
﴿ قوله وقرئ بالجرّ ﴾ يعنى ان العامة قرأوا غير ناظرين بالنصب على الحال وفى ذى الحال وجهان كما تقدّم
وقرئ بالجرّ على انه صفة لطعام على رأى الكوفيين فانهم يجوّزون ان يستتر الضمير فى اسم الفاعل الجارى صفة
على غير من هى له كما جاز فى الفعل نحو مررت برجل تضربه ولايجب ان يقال تضربه انت لعدم اللبس فيجيزون
ايضا ان يقال دعينا الى طعام غير منتظرين تقديمه الينا لعدم اللبس وعند البصريين لايجوز ذلك بل يجب ان يقال
غير منتظرين نحن فانهم يقولون يجب اظهار الضمير الذى فى ناظرين بان يقال الى طعام غير ناظرين اناه انتم
﴿ قوله لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﴾ اى ينتظرون وقت تناول الطعام يقال تحين الوارش اذا انتظر
وقت الاكل ليدخل والوارش الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يدع مثل الواغل فى الشراب ولما كان مدلول
الآية تحريم الدخول فى جميع الاوقات الاوقت الاذن الى الطعام وتحريم لبث من دخل بالاذن الى الطعام بعد الطعام
لاجل قصد مهم ويلزم ان لايجوز الدخول لمن اذن له لاستفتاء امر دينى واستماع حديث دنيوى ولا اللبث بعد الطعام
لمهم شرعى دفع هذا الاشكال بجعل الخطاب لطائفة مخصوصة كأنه قيل ياايها المتحينون لاتفعلوا ما انتم عليه
من تحين الطعام والدخول بغير اذن والقعود منتظرين لادراكه وليس لكم الا الدخول بالدعوة والاذن والانتشار
بعدما طعمتم من غير لبث وكان قوم منهم اذا طعموا جلسوا يستأنس بعضهم ببعض لحديث اى لاجله او لحديث
اهل البيت بتسمعه فنهوا عن ذلك بقوله تعالى ولامستأنسين لحديث اى ولاطالبين انس بعضكم ببعض لاجل
حديث يحدثه على ان يكون اللام فى قوله لحديث لام العلة او ولاطالبين انس حديث لاهل البيت او غيرهم على
ان تكون اللام لتقوية العامل لانه فرع روى فى سبب نزول الآية ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على
زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا رضى الله عنه ان يدعو الناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل
فوج الى ان قال يارسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرّق الناس وبقى ثلاثة
نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال
السلام عليكم يااهل البيت فقالوا وعليك السلام يارسول الله كيف وجدت اهلك فطاف بالحجرات فسلم عليهنّ
ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء منعه حياؤه من
امرهم بالخروج فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فلما دخل الحجر ارخى الستر فنزل قوله تعالى ياايها الذين
آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى آخر آية الحجاب والذى سبق من الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون
طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فينتظرون الى ان يدركثم يأكلون ولايخرجون
وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى بهم لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لايعنيه فذلك مروىّ عن ابن
عباس رضى الله عنهما ﴿ قوله من اخراجكم لقوله الخ ﴾ استدل بقوله تعالى والله لايستحيى من الحق على انه
لابدّ من تقدير المضاف فى قوله منكم ووجه الاستدلال انه لولم يقدّر لكان الظاهر ان يقال والله لايستحيى منكم
ليكون متعلق الحق والاثبات شيأ واحدا فلما قيل والله لايستحيى من الحق ولم يمكن حمل الثانى على الاوّل اذلامعنى

(الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى
يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على
الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله
(غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته او ادراكه
وهو حال من فاعل لاتدخلوا او المجرور
فى لكم وقرئ بالجرّ صفة لطعام فيكون جاريا
على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير
جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائى
اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك (ولكن
اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا)
تفرّقوا ولاتمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا
يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
مخصوصة بهم وبامثالهم والالماجاز لاحد
يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث
بعد الطعام لمهم (ولامستأنسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت
بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل
محذوف اى ولاتدخلوا ولاتمكثوا مستأنسين
(ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبىّ
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله
لايعنيه (فيستحيى منكم) من اخراجكم لقوله
(والله لايستحيى من الحق) يعنى ان اخراجكم
حق فينبغى ان لايترك حياء كما لم يتركه الله
الحيى فامركم بالخروج وقرئ لايستحى
بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على ا
(واذا سألتموهنّ متاعا) شيأ ينتفع
(فاسألوهنّ) المتاع (من وراء حجاب)
روى ان عمر رضى الله عنه قال يارسول
يدخل عليك البرّ والفاجر فلو امرت امهات
المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة
والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصاب
يد رجل يد عائشة فكره النبى عليه الصلاة
والسلام ذلك فنزلت (ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهنّ) من الخواطر الشيطانية

او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير (ان ذلكم) اعني ايذاءه ونكاح نسائه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال (ان تبدوا شيأ) كنكاحهن على السنتكم (او تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد (لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن) استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما (ولا نسائهن) يعني النساء المؤمنات (ولا ما ملكت ايمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور (واتقين الله) فيما امرتن به (ان الله كان على كل شيء شهيدا) لا يخفى عليه خافية (ان الله وملائكته يصلون على النبي) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا

لان يقال والله لا يمتنع من انفسكم لان استحياء الله تعالى من شيء معناه الامتناع منه فان قيل ذلك يراد منها نفيه في حقه تعالى وامكن حمل الاول على الثاني بتقدير المضاف فيه فعل ذلك فكان المعنى فيستحيي من اخراجكم والله لا يستحيي منه لكونه حقا روي انه لما نزلت آية الحجاب قال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توفي رسول الله لتزوجت عائشة رضي الله عنها فنزل قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله بوجه من الوجوه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد موته او فراقه اياها في حياته ﴿ قوله تزوج المستعيذة ﴾ وهي اسماء بنت النعمان الكندية وكانت من احسن النساء الا انها لم تكن من اقرانه عليه الصلاة والسلام بل كانت من الغرائب ولما تزوج عليه الصلاة والسلام اياها ودخل عليها قالت اعوذ بالله منك فقال عليه الصلاة والسلام لقد عذت بعظيم الحق باهلك ولما كانت كل واحدة من امهات المؤمنين خالصة له عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة نهى المؤمنون عن تزوجهن من بعده عليه الصلاة والسلام تعظيما من الله تعالى لرسوله وايجابا لحرمته حيا وميتا روي عن حذيفة انه قال لامرأته ان اردت ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر ازواجها فلذلك حرم الله تعالى على ازواج النبي عليه الصلاة والسلام ان يتزوجن بعده ﴿ قوله وفي هذا التعميم ﴾ اي تعميم متعلق الابداء والاخفاء حيث قيل ان تبدوا شيأ او تخفوه وتعميم متعلق علمه تعالى حيث قيل فان الله كان بكل شيء عليما مع ان الظاهر ان يقال وان تبدوا ما ذكر من ايذائه ونكاح نسائه او تخفوه فان الله تعالى يعلم ذلك فوضع موضعها شيأ ليدخل تحت هذا العموم ذلك دخولا اوليا لان المقصود ذكر الوعيد على خصوص ايذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح نسائه والمراد المقصود بيان حرمة الايذاء ونكاح النساء وسرهه قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما وفي كل واحد من تامة البرهان على المقصود المذكور والتعميم المعتبر في الوعيد زيادة تهويل لمن تصدى لما بين تحريمه ﴿ قوله مخافة ان يصفا لابنائهما ﴾ وابناؤهما ليسوا بمحارم الا انهن لو لم يحتجبن من الاعمام والاخوال لربما يحكي العم محاسن بنت اخيه لابنه وكذا الخال ربما يحكي محاسن بنت اخته لابنه فيكون سماع المحاسن والاوصاف منزلا منزلة المشاهدة عيانا في كونه مؤديا الى الفتنة ﴿ قوله يعني النساء المؤمنات ﴾ فيجوز للمسلمة النظر الى المرأة المسلمة سوى ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمسلمة ان تكشف للكافرة لانها ليست من النساء المؤمنات روي ان عمر رضي الله عنه كتب الى ابي عبيدة ان يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات فلا يجوز للمسلمة كشف بدنها للمشركة الا ان تكون امة لها فان المسلمة يجوز لها كشف بدنها عند امتها مسلمة كانت الامة او كافرة فلا تكشف مواضع الزينة الباطنة عند امتها الكافرة في احوال استخدامها من الضرورة التي لا تخفى فارقت الحرة المشركة ﴿ قوله من العبيد والاماء ﴾ يعني ان قوله تعالى ما ملكت ايمانهن يدخل فيه العبيد ايضا اذا كانوا اعفة لما روي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت للذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وهو قول ابن المسيب ثم رجع عنه وقال لا تغرنكم آية النور فانها نزلت في الاناث دون الذكور ومثله روي عن سمرة بن جندب وعليه عامة العلماء ومن الائمة من قال المراد من كان دون البلوغ ٭ قال الامام قوله تعالى واتقين الله عند ذكر المماليك دليل على ان التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور ﴿ قوله لا يخفى عليه خافية ﴾ عن ابي عطاء الشهيد من يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح ﴿ قوله يعتنون باظهار شرفه ﴾ يعني ان المراد بالصلاة القدر المشترك بين ما اسند الى الله تعالى من الرحمة والى الملائكة من الاستغفار للمؤمنين والاهتمام بما يصلحهم والى المؤمنين من التضرع والابتهال الى الله تعالى في ان يعظم شأنه ويرفع درجته ابد الآبد وهو العناية بصلاح امرهم وظهور شرفهم مستعار من صلاة العصا اي تصليتها بالنار وتليينها وتقويمها بها كما مر من قريب فصح ان يكون قوله تعالى وملائكته منصوبا بالعطف على اسم ان وان يكون يصلون خبرا عن الله وملائكته وقيل هو خبر عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين ٭ لما امر الله تعالى المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كل بان حرمته في جميع حالاته وذلك لان حالاته منحصرة في اثنين حالة كونه في بيته وحالة كونه في ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ الادنى فبين الله تعالى احترامه وهو في بيته بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي وبين احترامه في الملأ الاعلى بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم ذكر كونه واجب الاحترام في الملأ الاسفل بقوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا الله تعالى ان يترحم ويسلم عليه عليه الصلاة والسلام

(كيف)

كيف نصلي عليك يارسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكيفية السلام عليه ان يقال السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروى انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرني جبريل عليه السلام من الله تعالى قال من صلى عليك صلاة صليت بها عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتب له عشر حسنات وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله عز وجل وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته لذينك الملكين آمين والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وان ذكر في مجلس واحد الف مرة وهو المختار عند الجمهور ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره فيه كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قيل في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ان يصلي عليه كلما جرى ذكره عليه السلام عملا بما ورد في الاخبار ثم انه تعالى لما امر بالصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام بين حال من يؤذيه ويؤذي رسوله ليتبين فضيلة من امتثل امره تعالى وفضيلة من يصلي ويسلم على النبي عليه الصلاة والسلام لان فضيلة الاشياء تتبين بملاحظة شأن اضدادها وايذاء الرسل حقيقة ممكن بحسب العقل الا ان ايذاءه تعالى حقيقة ممتنع غير متصور لانه تعالى لا يتأذى بشيء بل هو منزه عن ان يلحقه اذى فلو حمل ايذاء الله تعالى على المجاز وايذاء الرسول على الحقيقة لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فوجب ان يحمل الايذاء على معنى مجازي يعمهما ويصح اسناده اليهما وهو ارتكاب مايكرهانه ولا يرضيانه قولا كان او فعلا او اعتقادا كأنه قيل ان الذين يرتكبون ما لا يرضى الله ورسوله فاطلق الايذاء واريد سببه لكون ايذاء الناس في الجملة من لوازم مخالفة الامر وعمل ما لا يرضى سبب الايذاء في الجملة فاطلق المسبب واريد السبب ثم اشار الى توجيه آخر وهو ان المراد ايذاء رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام واشارة الى انه عليه الصلاة والسلام عند الله تعالى بمكانة حتى ان ايذاءه ايذاؤه ﴿ قوله فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين ﴾ اي فسر الايذاء باعتبار تعلقه بمعموله اصالة بمعنى يتصور فيه وهو ارتكاب مايكرهه ولا يرضاه وهو سبب للايذاء في الجملة فاطلق عليه اسم المسبب مجازا او باعتبار تعلقه بما عطف على معموله اصالة فسر بالايذاء حقيقة لكونه متصورا في حقه عليه الصلاة والسلام فلا وجه لحمله على المعنى المجازي في حقه ﴿ قوله بغير جناية استحقوا بها الايذاء ﴾ اطلق اذى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقيد ايذاء المؤمنين بكونه بغير جناية استحقوا بها ذلك لان اذى الله تعالى ورسوله يكون بغير حق البتة واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه يكون بحق ومنه ما لا يكون كذلك والموجب للعقوبة هو الثاني روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ذات يوم فقال رأيت الليلة عجبا رأيت رجالا يعلقون بالسنتهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴿ قوله وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء ﴾ اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار فشكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر عن ان يتشبهن بالاماء بقوله تعالى ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وهو جمع جلباب وهو الملحفة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ليعلم انهن حرائر ﴿ قوله وتتقنع ببعض ﴾ اي تلتحف يقال تقنع رأسه تقنيعا اي غطاه وتلفعت المرأة بمرطها اي تلحفت به ﴿ قوله من تزلزلهم في الدين ﴾ متعلق بقوله لئن لم ينته ومبني على ان يكون المراد بمرض القلب ضعف الايمان وقلة الثبات عليه وقوله او فجورهم مبني على ان يكون المراد بالذين في قلوبهم مرض الزناة الذين يتعرضون للنساء بالليل كما في قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والارجاف ايقاع الخبر على غير حقيقة من الرجفة وهي الزلزلة فالمرجف هو المخبر بخبر متزلزل غير ثابت ﴿ قوله من ارجافهم ﴾ متعلق ايضا بقوله لم ينته ﴿ قوله تعالى لنغرينك بهم ﴾ جواب قسم مضمر اي والله لئن لم ينته هؤلاء لنسلطنك عليهم بان نأمرك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) يرتكبو[ن]
مايكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعـ[ـر]
مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم [...]
ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معني[ين]
فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين (لعنهم الله
ابعدهم من رحمته (في الدنيا والآخر[ة]
واعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايلا[م]
(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغ[ير]
ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها الايذ[اء]
(فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) ظاهـ[ـرا]
روي انها نزلت في منافقين يؤذون علـ[ـيا]
رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيـ[ـل]
في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهـ[ـات]
(ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسـ[ـاء]
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يغطـ[ـين]
وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برز[ن]
لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعـ[ـض]
جلبابها وتتلفع ببعض (ذلك ادنى ان يعرفن
يميزن من الاماء والقينات (فلا يؤذين
فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهـ[ـن]
(وكان الله غفورا) لما سلف (رحيـ[ـما]
بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيا[ت]
منها (لئن لم ينته المنافقون) عن نفا[قهم]
(والذين في قلوبهم مرض) ضعف ايـ[ـمان]
وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الد[ين]
او فجورهم (والمرجفون في المدينة
يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسـ[ـلمين]
ونحوها عن ارجافهم واصله التحر[يك]
من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخـ[ـبار]
الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت (لنغر[ينك]
بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلا[ئهم]
او مايضطرهم الى طلب الجلاء

والاغراء هو التحريش وتهييج شخص على آخر ﴿ قوله والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك ﴾ وقتا من الاوقات او شيئا من الجوار او على كل من الاحوال الا وقتا قليلا او جوارا قليلا الا على حال كونهم ملعونين ولا يجوز ان ينتصب على انه حال من فاعل اخذوا الذي هو جواب الشرط لان معمول الجواب لا يتقدم على اداة الشرط فلا يقال زيدا ان يأتني تضرب كما لا يتقدم معمول فعل الشرط على اداته فلا يقال زيدا ان تضرب اهنك وقول المصنف مابعد كلمة الشرط يتناول فعل الشرط وجواب الشرط واجاز الكسائي تقديم معمول كل واحد من فعل الشرط وجوابه على اداته واجاز الفراء تقديم معمول الجواب عليه ولم يجوز تقديم معمول فعل الشرط فظهر ان المسألة فيها ثلاثة مذاهب المنع مطلقا والتجويز مطلقا والتفصيل ثم انه تعالى لما بين حالهم في الدنيا وهو انهم يلعنون ويهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم في الآخرة فذكرهم اولا بالقيامة وما يكون فيها وهو انه يلعنهم ويعذبهم معذبا خالدين فيها ابدا واخفى وقت قيامها لحكمة وهي امتناع المكلف من الاجتراء وحذرهم منه في كل وقت والآية نزلت حين سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الساعة وعن وقت قيامها انزل قوله تعالى في وعيد المؤذين لعنهم الله في الدنيا والآخرة قالوا متى الآخرة انكارا للبعث والجزاء واستهزاء ﴿ قوله شيأ قريبا ﴾ يعني ان فعيلا بمعنى الفاعل حقه ان يميز فيه بين المذكر والمؤنث وقريبا في الآية خبر تكون المسند الى ضمير الساعة فحقه ان يقال قريبة الا انه ذكر لكونه صفة لموصوف مذكر هو خبر كان اي لعلها تكون شيأ قريبا ثم اشار الى وجه آخر لتذكيره وهو ان قريبا ههنا ليس خبر كان بل هو ظرف في موضع الخبر اي لعلها تكون في زمان قريب فان قريبا كثيرا استعماله استعمال الظروف والمعنى اي شيء يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اي انت لا تعرفه ثم خوفهم فقال لعل الساعة تكون شيأ قريبا وقوله تعالى لا يجدون حال ثانية او حال من ضمير خالدين والمعنى لا صديق يشفع لهم ولا ناصر يدفع عنهم وقرأ العامة تقلب بضم التاء وفتح اللام على بناء المفعول ورفع وجوههم على النيابة وقرئ بفتح التاء والقاف واللام المشددة تقلب ورفع وجوههم على الفاعلية واصله تتقلب وقرئ تقلب بضم التاء وكسر اللام مشددة على بناء الفاعل ونصب وجوههم على المفعولية اي تقلب الضمير او الملائكة وجوههم ﴿ قوله يوم منصوب على الظرف ﴾ اي ظرف له يعني ان يوم معمول ليقولون بعده ويحتمل ان يكون معمولا لاذكر مقدرا فقوله يقولون حينئذ يكون حالا من الوجوه لان المراد بها اصحابها او من الضمير المجرور بالاضافة فان الحال قد ينتصب عن المضاف اليه فانهم لما علموا انه لا يتخلص مما هم فيه من العذاب الا من اتبع الله ورسوله في الدنيا وندموا على عصيانهم فيها حيث لا تنفعهم الندامة قالوا يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا والرسولا اشبعت فتحة اللام لاطلاق الصوت ورعاية الفواصل ثم انهم لما رأوا ان اضلالهم عن الطريق كان باضلال قادتهم دعوا عليهم وسألوا الله تعالى ان يضاعف عذاب سادتهم والسادة يجوز ان يكون جمع سيد على خلاف القياس لان فيعلا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة لان اصله سودة ويجوز ان يكون لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وابن عامر جمع هذا الجمع بالالف والتاء للدلالة على الكثرة كجزرات وطرقات وبيوتات وجمالات في جمع جزر وطرق وبيوت وجمالة ﴿ قوله مثلي ما آتيتنا ﴾ اشارة الى ان ضعف الشيء مثله وضعفيه مثلاه وضعافه امثاله كما ذكره الجوهري في صحاح اللغة حيث قال ذكر الخليل ان التضعيف ان يزاد على اصل الشيء فيجعل مثلين او اكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة يقال ضعفت الشيء واضعفته وضاعفته بمعنى وضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله هذا كلامه بعبارته روي عن ابي عبيدة في قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين انه قال معناه يجعل الواحد ثلاثة اي تعذب ثلاثة اعذبة وانكره الازهري وقال هذا الذي يستعمله الناس في مجاز كلامهم وتعارفهم وانما الذي قال حذاق النحويين انها تعذب مثلي عذاب غيرها لان الضعف في كلام العرب المثل ﴿ قوله كثير العدد ﴾ يعني ان جمهور القراء قرأوا كثيرا بالثاء المثلثة وقرأ عاصم بالباء الموحدة ليدل على اشد اللعن واعظمه والاول يدل على كثرة اعداد اللعن ثم انه تعالى لما بين ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وعظ المؤمنين ونهاهم عن ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتكاب شيء مما يكرهه ككلام الناس في تزوجه عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش وقول من قال حين قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله تعالى روي انه عليه الصلاة والسلام لما اخبر بهذا القول غضب حتى ظهر اثر الغضب في وجهه الكريم ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر كما نهى قبل يا ايها الذين آمنوا اذا امركم الرسول بشيء فأتوا منه ما استطعتم باطمئنان قلب وصدق

(ثم لا يجاورونك) عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم (فيها) في المدينة (الا قليلا) زمانا او جوارا قليلا (ملعونين) نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله (اخذوا وقتلوا تقتيلا) لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنة الله في الذين خلوا من قبل) مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها (يسألك الناس عن الساعة) عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا (قل انما علمها عند الله) لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين (ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا) نارا شديدة الايقاد (خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف (يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) فلن نبتلى بهذا العذاب (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة (فاضلونا السبيلا) بما زينوا لنا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا (والعنهم لعنا كثيرا) كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه

رغبه عبيدا يا كم اليه ولا تجعدوا في احكم حرجا مما قضى به عليكم وسلموا تسليما ﴿قوله فاظهر براءته من مقولهم﴾
يعني ان بناء من للسببية كما في قولك فسقه ويقدمه لا للتعدية وما يقال من ان كلمة ما في قوله تعالى مما قالوا اما مصدرية
او موصولة فعلى الاول يكون المعنى فاظهر براءته من تكلمهم وعلى الثاني من كلامهم ولا معنى للبراءة من تكلمهم لان
البراءة انما تكون من نحو الدين والعيب لا من التكلم والكلام فالجواب ان الكلام وان كان مجردا منهما بحسب الظاهر
الا انه ينبغي ان تجعل كلمة ما موصولة ويكون معنى البراءة من كلامهم البراءة من مؤداه ومضمونه ﴿قوله فاطلعهم
الله تعالى على انه بريء منه﴾ روي ان موسى عليه الصلاة والسلام خلا يوما في موضع ليغتسل فيه فوضع ثيابه
على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها فرّ الحجر بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول
ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن الرجال خلقا واظهر الله براءته عما كانوا
يقولون فوقف الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بالعصا فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا
او خمسا والادرة نفخة تكون في الخصية ﴿قوله عند الله وجيها﴾ بيان لوجه تبرئة الله تعالى اياه كأنه قيل
ولوجاهته عنده اماط عنه ما نسب اليه من العيب والنقصان كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وقدر والوجيه
فعيل من وجه الرجل وجاهة بضم العين وعطف قوله فبرأه الله مما قالوا بالفاء على قوله آذوا صريح في ان المشبه به
من اتصف بامرين ترتب ثانيهما على الاول وهما ايذاء من له وجاهة عند الله وانتقام الله من المؤذي باظهار براءة
الوجيه وتفضيح المؤذي وتخجيله فكان مدلول الآية ايها المؤمنون لا تؤذوا نبيكم فانكم ان اذيتموه تكونوا كالذين
آذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا فتفتضحون باظهار شرفه وتنكيس رؤسكم ﴿قوله قاصدا الى الحق﴾
اي عدلا مستويا في تأدية الحق والوصول اليه من القصد بمعنى العدل يقال سدّ قوله يسدّ بالكسر اي صار سديدا
اي ذا سداد وهي الاستقامة والصواب وسدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها واصاب والامر بالشيء نهي
عن ضده ﴿قوله باستقامتكم في القول والعمل﴾ متعلق بمجموع قوله يصلح ويغفر واشارة الى ان كل واحد
منهما مسبب عما سبق وهو استقامة القول المدلول عليه بقوله وقولوا قولا سديدا واستقامة العمل المدلول عليه بقوله
اتقوا الله ﴿قوله يعش في الدنيا حميدا﴾ اي يعيش عيشا محمودا ﴿قوله تقرير للوعد السابق﴾ اي
وعد الفوز العظيم لمن اطاع الله ورسوله بتعظيم الطاعة وهي الطاعة الاختيارية التي كلف الانسان بها وتعلق بادائها
الثواب وبتضييعها العقاب عظمها الله تعالى وسماها امانة ببيان انها في صعوبتها وعظم شأنها وثقل تحملها بحيث
عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واشده واقواه ان يحملها ويرعاها حق رعايتها فابى حملها واشفق
منها اي خاف منها ان لا يؤدي بها ويراعي حقها فلما فخم الله تعالى شأنها وعظم امرها بقوله انا عرضنا الامانة الآية ظهر
ان من تحملها وراعى حقها فقد استحق عصمة الله تعالى ورحمته لان يفوز فوزا عظيما فكان تعظيم شأنها تقريرا للوعد
السابق ﴿قوله والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت﴾ يريد ان الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية شبهت
الحالة المحققة في الطاعة التي عبر عنها بالامانة من عظم امرها وثقل رعاية حقها بالحالة المفروضة فيها وهي انها لو
عرضت على السموات والارض والجبال لأبين ان يحملها فكما يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المحققة كما في قولك
لمن لا يثبت على رأي واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فانه شبهت حاله المحققة في تردده واضطرابه بين الرأيين
وترك المضي على احدهما بحال اخرى محققة ايضا وهي حال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي على الذهاب
فكذا يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المفروضة كما في الآية فان المفروضات تتخيل في الذهن فيصح جعلها مشبها فان
عرض الامانة على الجماد وأباءه واشفاقه وان كان امرا مستحيلا في نفسه الا انه يصح فرضه وجعله مشبها به والغرض
من التشبيه تصوير عظم شان الامانة والعرض والاشفاق والاباء على حقائقها والحمل بمعنى الاحتمال والالتزام لرعاية
حقها ﴿قوله وهذا وصف للجنس﴾ يعني ان التعريف في قوله تعالى وحملها الانسان تعريف الجنس وصح
توصيف الجنس بوصف باعتبار وجوده في بعض افراده فكيف اذا وجد في اكثر افراده واحتيج الى هذا التوجيه
لان الصديقين والابرار من بني آدم حاشاهم ان يكونوا ظلوما جهولا ﴿قوله وقيل الخ﴾ اي قيل المراد
بالامانة اطاعة الجارية المتناولة لما يليق بالجمادات والمكلفين من الحيوانات فينبغي ان يحمل العرض على معنى
مجازي يصح تعلقه بالفاعل المختار وغيره وهو مجرد الاستدعاء وارادة صدوره من غيره ومعنى قوله فأبين
ان يحملنها وحملها الانسان فأبين الخيانة فيها بان لا يؤديها اي ولم يؤدها الى صاحبها ولم يخلص

(يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى فبرأه الله مما قالوا) فاظهر براءته من
مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان
قارون حرّض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه
الله كما مرّ في القصص او اتهمه ناس بقتل
هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك
فحملته الملائكة ومرّوا بهم حتى رأوه غير
مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته
او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة
لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء
منه (وكان عند الله وجيها) ذا قربة ووجاهة
منه وقرئ وكان عبدا لله وجيها (يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله) في ارتكاب ما يكرهه فضلا
عما يؤذي رسوله (وقولوا قولا سديدا)
قاصدا الى الحق من سدّ يسدّ سدادا والمراد
النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
(يصلح لكم اعمالكم) يوفقكم للاعمال
الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
(ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة
باستقامتكم في القول والعمل (ومن يطع الله
ورسوله) في الاوامر والنواهي (فقد
فاز فوزا عظيما) يعش في الدنيا حميدا وفي
الآخرة سعيدا (انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان) تقرير للوعد
السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث
انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها
بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام
وكانت ذات شعور وادراك لأبين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته
ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعي لها والقائم
بحقوقها بخير الدارين (انه كان ظلوما) حيث
لم يف ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها
وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل
المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية
والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم
طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من
غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها
ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها
فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان
يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير

وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقت لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه

بتحمله مايشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبإبائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات (وكان الله غفورا رحيما) حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

﴿ سورة سبأ مكية وقيل الا قوله ﴾

﴿ الذين اوتوا العلم الآية وآيها ﴾

﴿ خمس واربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته (وله الحمد في الآخرة) لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف الذي يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة (وهو الحكيم) الذي احكم امور الدارين (الخبير) ببواطن الاشياء (يعلم ما يلج في الارض) كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق (وما يعرج فيها) كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر

ذمته من عهدتها روى عن الحسن انه قال الكافر والمنافق حملاها اى الامانة اى خاناها ولم يطيعا ومن اطاع من النبيين والصديقين والمؤمنين فلا يقال فيه كان ظلوما جهولا وتصديق ذلك ما بعده من قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات الآية ﴿قوله وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام الخ﴾ فعلى هذا القول يكون العرض تخييرا لا الزاما والاباء لاختيار احد الامرين مخافة وخشية لا مخالفة ومعصية قالوا ان كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب تطيعك ولا نعصيك طرفة عين طاعة طبيعية على حسب ما خلقتنا عليه ولا نلتزم ما يشق علينا رعاية حقه قال الحسن ومقاتل قال الله تعالى لآدم أتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال آدم وما لي عندك ان حملتها قال ان احسنت واطعت ورعيت الامانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة وان عصيت وأسأت فاني معذبك ومعاقبك قال قد رضيت وحملتها فقال الله تعالى قد حملتها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الاقدر ما بين الظهر والعصر وكان ظلوما لنفسه حين خالف امر ربه جهولا لا يدري ما العقاب عليه فيما ﴿قوله وعلى هذا يحسن ان يكون﴾ اى ان يكون ظلوما جهولا علة للحمل عليه فان الظاهر ان يكون قوله انه كان ظلوما جهولا استئنافا لتعليل حمل الامانة على الانسان لا لبيان ما يترتب على حمله * تم ما يتعلق بسورة الاحزاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده والآن نشرع فيما يتعلق بسورة سبأ

﴿ سورة سبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق ﴾

﴿قوله فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته﴾ يعني ان الحمد يقع بازاء الفضائل اللازمة لذات المحمود والفواضل المتعدية منه الى الحامد وان اختصاص ما في السموات وما في الارض به تعالى خلقا دليل على قدرته الباهرة وان اختصاص جميع ذلك به تعالى نعمة وصلة اليها دليل على كثرة فواضله وانعامه علينا فظهر به انه تعالى يستحق حمد جميع الحامدين استحقاقا ذاتيا ووصفيا من جهة فضله الذاتي وفضاله المتعدي وتعريف الحمد سواء جعل للحقيقة او للاستغراق ثم الحكم باختصاصه به تعالى يفيد اختصاص جميع افراد الحمد به تعالى اذ لو ثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لزم ثبوت جنس الحمد لذلك الغير في ضمن ذلك الفرد وجميع افراد الحمد مختص به تعالى في الحقيقة اذ ما من خير الا وهو تعالى موليه بوسط او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وحاصل قوله وليس هذا من عطف المقيد على المطلق انه من عطف المقيد على المقيد وذلك لانه تعالى لما اعقب الحمد بما يدل على كمال قدرته وافضاله علينا بالنعم الدنيوية عرف انه المحمود على نعم الدنيا ثم لما عطف عليه الحمد في الآخرة علم انه ايضا على النعمة ليتلاءم الكلام ولما قيد الحمد هناك بان محله الآخرة علم ان الاول محله الدنيا كذلك ايضا فصار المعنى انه المحمود على نعم الدنيا فيها وانه المحمود على نعم الآخرة فيها وقدم الحمد اولا على الاصل فان حق المبتدأ التقديم واخره ثانيا ليفيد الحصر فان الحمد في الآخرة ليس الا له واما في الدنيا فقد يحمد غيره تعالى لوصول نعمة الله تعالى اليه من يد ذلك الغير بخلاف الآخرة فان الملك والنعمة فيها ليس الا له تعالى فدل على هذا المعنى تقديم الخبر والمعتزلة فرقوا بين الحمد الواقع في الدنيا والواقع في الآخرة بان الحمد في الدنيا واجب لانه على نعمة متفضل بها بخلاف الحمد في الآخرة فانه ليس بواجب لكونه بمقابلة نعمة واجبة الايصال الى مستحقها بناء على ما زعموا من ان ثواب المطيع واجب عليه تعالى والجميل الذي يجب صدوره من الفاعل لا يجب الحمد عليه لان الحمد لا يكون الا على الجميل الاختياري وعند اهل السنة لا يجب عليه تعالى شئ لا في الدنيا ولا في الآخرة ويجب الحمد على المكلف في الدنيا لكون الدنيا دار التكليف ولا يجب في الآخرة لانقطاع التكليف فيها ومع ذلك فاهل الجنة يذكرون الله تعالى ويشكرونه ويحمدونه اكثر مما يحمدونه في الدنيا تلذذا وابتهاجا بذكره وكيف لا وقد صار حالهم كحال الملائكة الذين قال تعالى في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي حال مجبولة بمقتضى الطبع ﴿قوله والفلزات﴾ الفلز اسم جامع لجميع جواهر الارض ﴿قوله تعالى يعلم ما يلج﴾ مستأنف لبيان كونه خبيرا فان الخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها والحكيم هو العالم الذي يعمل ما يناسب علمه ويكون فعله على وفق علمه وقدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ولم يقل وما يعرج اليها بدل قوله وما يعرج فيها

لان كل واحد من الملائكة والاعمال ليس منتهى عروجه نفس السماء بل ينفذ فيها ويصعد الى ان يصل الى منتهى صعوده فالملائكة يصعد الى ان يصل الى مقامه المعلوم والعمل يصعد الى محل الاعمال المقبولة ولو قيل مايعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال ومايعرج فيها ليعم نفوذه فيها وصعوده منها ولهذا قيل في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لانه تعالى هو المنتهى ولامرتبة فوق الوصول اليه ثم قال وهو الرحيم الغفور رحيم بعباده بانزال ماينزل من السماء من الملائكة والكتب والارزاق وانواع الخيرات والبركات بما يلج في الارض ومايخرج منها والغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها حيث لايعاجلهم بالعذاب بل يغفر لمن تاب منهم واناب فهو المستحق للحمد بذلك ايضا فعلى هذا يكون المراد بالرحمة والمغفرة مايكون في الدنيا منهما ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة سوابق النعمة بصفا وبالمغفرة مايكون في الآخرة ثم انه تعالى لما اثبت الدار الآخرة وحكم بان الحمد فيها مختص به لاختصاص مافيها من النعم به تعالى حلقة وقسمة حكى مقالة من ينكر البعث والقيامة وهي ماروى عن مقاتل انه قال قال ابو سفين لكفار مكة واللات والعزى لاتأتينا الساعة ابدا ولا نبعث قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل بلى وربي لتأتينكم امره بان يقسم بأعظم الايمان وهو الحلف بالله **﴿قوله تعالى بلى﴾** جواب لقولهم لاتأتينا وما بعده قسم على ذلك الايجاب وقوله لتأتينكم تكرير لذلك الايجاب حال كون ذلك الايجاب مؤكدا بالقسم وهو ظاهر ومقررا باتباع المقسم به بذكر اوصافه الدالة على امكان ماأنكروه فان من كان عالما بجميع الاشياء بعلم اجزاء الاحياء ويقدر على جمعها فتلك الاوصاف تدل على كون الساعة ممكنة القيام واخبر عنه الصادق فتكون واقعة لاعنه به فقوله تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافي الارض فيه لطيفة وهو ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزاؤها في الارض والارواح في السماء فقوله لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى احاطة علمه بالارواح وقوله ولا في الارض اشارة الى احاطة علمه بالاجزاء الجسمية فاذا علم الارواح والاشباح وقدر على جمعها اتى استبعاد ماأنكروه من البعث واتيان الساعة وايضا من جملة الوجوه الداعية لهم الى استبعاد ذلك انهم زعموا ان احاطة العلم بتفاصيل اشخاص المكلفين عسير فكيف بتفاصيل اعمالهم من الخير والشر واذا كان العلم بتفاصيل الاعمال بعيدا يكون اتيان الساعة ايضا بعيدا لان اتيانها انما يكون للمجازاة على حسب الاعمال فازيل هذا الاستبعاد ايضا بوصف المقسم به بقوله تعالى عالم الغيب الى قوله ليجزي الذين الآية فان المقسم به اذا وصف بما يدل على حقيقة المقسم عليه ويزيل استبعاده فان قيل كيف يصح التأكيد بقوله وربي مع انهم ينكرون وجود الرب وان كانوا يقولون به فان المسئلة الاصولية لاتثبت باليمين اجيب بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزي الذين آمنوا الخ وبيان كونه دليلا هو ان المسيء قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في سعة العيش وسرور البال ويموت عليها والمحسن قد يعيش في الدنيا في الآلام الشديدة وضيق الحال الى ان يموت فاقتضى ذلك ان تكون الدنيا دار التكليف وان يكون بعدها دار اخرى للجزاء والا لجاز ان يكون المسيء احسن حالا من المحسن والتسوية لانهما خلاف مقتضى الحكمة فضلا عن ان يكون العاصي احسن حالا **﴿قوله جملة مؤكدة لنفي العزوب﴾** فان ماهو اصغر من مثقال ذرة وماهو اكبر منه اذا كان معلوما ومكتوبا في اللوح يعلم منه ان ماهو مثقال ذرة معلوم ايضا وجمهور القراء على رفع اصغر واكبر على اصل الابتداء فان اسم لا مبتدأ في الاصل فيجوز ابقاؤه على اصل حاله بعد دخول لا عليه والخبر قوله الا في كتاب وقراءة الرفع وان جاز كونها مبنية على كونهما معطوفين على فاعل يعزب بحسب الظاهر الا ان قراءة الفتح تؤيد كونهما مرفوعين على الابتداء مستقلين عما قبلهما ليتحد مؤدى القراءتين **﴿قوله ولا يجوز الخ﴾** جواب عما يقال لانسلم ان القراءة بالفتح تؤيد ذلك لجواز كون المرفوع معطوفا على مثقال والمفتوح على ذرة فيتحد مؤدى القراءتين ايضا **﴿قوله لان الاستثناء يمنعه﴾** وذلك لان المعنى يصير حينئذ عالم الغيب لايعزب عنه اي عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر او ولا مثقال اصغر من ذلك ولا مثقال اكبر منه على ان يعطف على ذرة الا في كتاب مبين فانه يعزب عنه فيه وفساده ظاهر وهذا الفساد انما يلزم على تقدير ان يكون الضمير في عنه لعالم الغيب كما هو الظاهر واما اذا جعل للغيب وجعل الغيب عبارة عما خفي على جميع الخلائق حتى على الملائكة وذلك انما يكون قبل ان يكتب الامر الحق في اللوح لانه اذا كتب فيه يكون له نوع بروز حيث يظهر لمن ينظر من الملائكة فحينئذ لايلزم الفساد المذكور لانه يصير المعنى لايعزب عن الغيب اي لاينفصل عنه شيء ولا يزول عنه

(وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه (وربي لتأتينكم عالم الغيب) تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على مامر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره (لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافي الارض) وقرأ الكسائي لايعزب بالكسر (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها

الا مسطورا في اللوح ولا مضاد فيه لان المثبت في اللوح عازب خارج مما خفي لان ما اثبت فيه يظهر لمن نظر فيه ﴿ قوله تعالى اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ استئناف لبيان الجزاء المدلول عليه بقوله ليجزي الذين لما وصف من يستحق الجزاء بالايمان والعمل الصالح بين ان جزاءهم امران المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الايمان لانه كفارة لما قبله والرزق الكريم جزاء العمل الصالح فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل يتم عبده السيد بمقتضى كرمه ووصف الرزق بكونه كريما لانه حسن خطير والكريم من كل شيء ما يكون جامعا لمحاسن ذلك الشيء ولانه يأتي من غير طلب وتعب في حصوله بخلاف الدنيا ﴿ قوله بالابطال وتزهيد الناس فيها ﴾ المذكور مطلق السعي المتناول للسعي في اصلاح آيات الله تعالى وافسادها بان يقال في حقها انها سحر او شعر واساطير وصرف الناس عن التفكر فيها وقبول احكامها الا انه حمله على السعي بالابطال والافساد لان سعيهم حال كونهم مسابقين معاجزين لا يكون الا بان يكون مقصودهم الابطال والتزهيد والخلق المعاجزة على المسابقة لكون كل واحد من المسابقين في طلب اعجاز الآخر عن اللحوق به والمسابقة مع الله تعالى وان كانت مما لا يتصور الا ان المكذبين بآيات الله تعالى لما قدروا في انفسهم وطمعوا ان كيدهم في الاسلام يتم لهم وان معاندتهم للحق تعمهم شبهوا بمن يسابق الله تعالى بحسب زعمهم والفرق بين قراءة معاجزين ومعجزين ان المعاجزة والمسابقة متقدمة على التعجيز والسبق يقال عاجزه اي سابقه فاذا سبقه قيل عجزه ﴿ قوله من سيء العذاب ﴾ على ان الرجز سوء العذاب فتكون كلمة من لبيان جنس العذاب المذكور سابقا كما في قولك خاتم من فضة واليم في قراءة الجمهور مجرور على انه صفة رجز اكد به ما في الرجز من الشدة والفظاعة ومن رفعه جعله صفة لقوله عذاب بين الله تعالى اولا حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم تقوم الساعة ثم بين حال من كذب بآيات الله تعالى وسعى في ابطالها ثم بين جهالة المكذبين وخطائهم في الدنيا بقوله ويرى الذين اوتوا العلم الخ وقوله الذي انزل والحق مفعولان ليرى لانها من رؤية القلب وقوله هو فصل ويسميه الكوفيون عمادا ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة في محل النصب على انها مفعول ثان ليرى ومن ربك حال على القراءتين ﴿ قوله وهو مرفوع مستأنف ﴾ يعني ان قوله تعالى ويرى مرفوع لكونه مجردا من الناصب والجازم وهو كلام مستأنف غير معطوف على ما قبله اخبر بذلك عنهم انهم يعلمون ان القرآن حق وانه يهدي الى الصراط المستقيم فيعلمون ان الساعة آتية لا ريب فيها ثم عطف عليه قوله تعالى وقال الذين كفروا الآية فحصول الآية انه عليه الصلاة والسلام لما قال بلى وربي لتأتينكم اعتقد المؤمنون باتيانها وقالوا القرآن هو الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر لاتيانها متعجبا هل ندلكم على رجل يخبركم بحشر الاموات بعد ما تفرقت اجسادهم كل التفرق ﴿ قوله وعامله محذوف ﴾ يعني اذا منصوب بمقدر اي تبعثون وتحشرون وقت تمزقكم حذف لدلالة قوله انكم لفي خلق جديد عليه ولا يجوز ان يعمل فيه ينبئكم لانه عليه الصلاة والسلام لم يخبرهم في ذلك الوقت ولا مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والممزق كما يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى التمزيق والتقطيع يحتمل ايضا ان يكون اسم مكان فان القياس فيما زاد على الثلاثي ان يجيء مصدره وزمانه ومكانه على وزن اسم المفعول ﴿ قوله وجديد بمعنى فاعل ﴾ وهو قول البصريين من جد الشيء يجد بالكسر جدة اي صار جديدا وهو ضد الخلق وقيل بمعنى مفعول من جد الشيء يجده جدا اي قطعه وثوب جديد اي مجدود قال الكوفيون اي قطعه الحائك او الخياط الساعة وهذا القائل يقول كان لفظ الجديد في الاصل لا يستعمل الا في الثوب المقطوع من قريب ثم عم في كل شيء ظهر من قريب وان لم يتأت فيه القطع كبناء جديد وفرس جديد واستدل على مذهبهم بقولهم ملحفة جديد بغير تاء التأنيث قالوا ولولا انه بمعنى مفعول لوجب ان يقال جديدة لان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بخلاف ما هو بمعنى المفعول واجابهم البصريون بان ما هو بمعنى الفاعل قد يستوي فيه المذكر والمؤنث حملا على ما هو بمعنى المفعول او بتقدير موصوف مذكر كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴿ قوله واستدل ﴾ يعني ان الجاحظ استدل على ان الخبر غير منحصر في الصادق والكاذب بل بينهما واسطة بان منكري البعث حصروا قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم اذا مزقتم تبعثون في الافتراء والاخبار حال الجنة على سبيل منع الخلو فيفهم منه ان الاخبار حال الجنة ليس بكذب لانهم جعلوه قسيما للافتراء الذي هو الكذب وليس بصدق ايضا لانهم غير معتقدين صدقه عليه الصلاة والسلام

(اولئك لهم مغفرة ورزق كريم) لا تعب فيه ولا منّ عليه (والذين سعوا في آياتنا) بالابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده (اولئك لهم عذاب من رجز) من سيء العذاب (اليم) مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (ويرى الذين اوتوا العلم) ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب (الذي انزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا (ويهدي الى صراط العزيز الحميد) الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى (وقال الذين كفروا) قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (ينبئكم) يحدثكم باعجب الاعاجيب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه (افترى على الله كذبا ام به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة

في هذا الاخبار فيكون واسطة بينهما والمصنف اجاب عنه بان كون الاخبار حال الجنة قسيما للافتراء لايستلزم كونه قسيما مباينا للكذب وانما يلزم ذلك ان لو كان الافتراء بمعنى الكذب مطلقا وليس كذلك بل الافتراء اخص من الكذب لان الافتراء هو الكذب عن عمد وقسيم الخاص لايلزم ان يكون قسيما لعام فان الخبر الكاذب وهو الذى لايطابق الواقع قد يكون عن عمد وهو الافتراء وقد يكون عن غير عمد وهو الخبر المجنون فالذين انكروا البعث بعد ماقطعوا بكذب خبر البعث حصروه فى نوعى الخبر الكاذب وجعلوا احد نوعيه قسيما للآخر فدليل الجاحظ لايثبت دعواه وفسر الجاحظ الخبر الصادق بما يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد انه مطابق وفسر الكاذب بما لايكون مطابقا مع اعتقاد انه غير مطابق وجعل الخبر المطابق مع اعتقاد عدم المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا والخبر الغير المطابق مع اعتقاد المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا واسطة بين الصادق والكاذب وقوله أفترى على الله كذبا يحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وهمزة أفترى مفتوحة لكونها همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل ﴿قوله رد من الله تعالى عليهم ترديدهم﴾ والمعنى ليس الامر على مازعموا من ان يكون مفتريا او يكون به جنون بل الذين لايؤمنون بالآخرة اى بالبعث والثواب والعقاب فى العذاب اى واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك غاية الجنون والحماقة ﴿قوله وجعله رسيلا له﴾ اى جعل العذاب تابعا مقارنا للضلال حيث عطف احدهما على الآخر بالواو المؤذنة بالاجتماع فى الوقوع مع ان ضلالهم كائن فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ومع ذلك قدمه على الضلال فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له ورسيل الرجل الذى يراسله مراسلة فى نضال وغيره والمراد هنا مطلق الاتصال والمقارنة والبعد عن الحق فى الاصل صفة الضال اسند الى ضلاله للملابسة بينهما ولما كان الضلال بعيدا عن الحق كان الضال ابعد ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على اثبات الساعة من كونه عالم الغيب ومن اقتضاء حكمته ان يهيئ للمكلفين دار المجازاة ليجزى كل واحد من المحسن والمسيء على حسب عمله ذكر دليلا آخر يتضمن التهديد والتوحيد فقال أفلم يروا الى مابين ايديهم وماخلفهم اى الى ماهو محيط بهم من جميع جوانبهم وهو السماء والارض فان الانسان اينما توجه وحيث ماتنظر رأى السماء والارض قدامه وخلفه وعن يمينه وشماله وهما يدلان على وحدانية الصانع وعلى كمال قدرته ومن قدر على خلقهما قدر على الحشر والاعادة لامحالة قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم هددهم بقوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كأنه قيل انهم حيث كانوا فان ارضى وسمائى محيطة بهم وانى قادر عليهم ان شئت خسفت بهم ارضى وان شئت اسقطت عليهم قطعة من سمائى ثم قال ان فى ذلك اى فيما يرون من السماء والارض لآية تدل على قدرة الله تعالى على البعث وعلى مايشاء من الخسف بهم ونحوه من وجوه القهر والاهلاك ﴿قوله والمعنى أعموا فلم ينظروا﴾ يريد ان الفاء فى أفلم يروا للعطف على مقدر بعد الهمزة وان قوله فلم يروا معطوف على ذلك المقدر والتقدير كما ذكره فصحح بذلك وجه الجمع بين الهمزة المقتضية لصدر الكلام والفاء المقتضية لتقدم المعطوف عليه ثم انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود عليه الصلاة والسلام قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فبين ما آتاه على الانابة فقال ولقد آتينا داود منا فضلا وتنكير فضلا للتعظيم كما فى قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما واكد تعظيم الفضل بقوله منا فانه حال من قوله فضلا قدم عليه لكونه نكرة والفضل الذى آتاه الله اذا كان مما يختص به تعالى ويكون من عنده خاصة يكون فضلا عظيما وهو ماذكر بعده من تسخير الجبال والطير والانة الحديد او ماتم النبوة والكتاب والملك وحسن الصوت ونحوه وقوله ياجبال محكى بقول مضمر ثم ان شئت قدرت ذلك القول مصدرا ويكون بدلا من فضلا على جهة تفسيره كأنه قيل آتيناه فضلا قولنا ياجبال وان شئت قدرته فعلا وحينئذ يجوز لك ان تجعله بدلا من آتينا اى آتينا قلنا ياجبال وان تجعله مستأنفا وقوله تعالى أوبى معه قرأ العامة بفتح الهمزة وتشديد الواو على انه امر من التأويب وهو الترجيع والترجيع ترديد الصوت والرجوع الى الصوت الاول ومنه الترجيع فى الاذان والتضعيف فى اوبى ورجعى يحتمل ان يكون للتعدية وان يكون للتكثير والمعنى رجعى معه مايأتى به من ذكر الله وتسبيحه وكان داود عليه السلام اذا سبح سمع تسبيح الجبال وكان يعقل معناه معجزة له كما سمع الخطاب من الشجرة وعقل معناه او كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وتسعده الجبال باسعادها وقرئ اوبى بضم الهمزة على انه امر من آب يؤوب اذا رجع اى ارجعى معه بالتسبيح كما رجع فيه وماك

وهو كل خبر لايكون عن بصيرة بالمخبر عنه
وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب
(بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب
والضلال البعيد) رد من الله تعالى عليهم
ترديدهم واثبات لهم ماهو افظع من القسمين
وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث
لايرجى الخلاص منه وماهو مؤداه من العذاب
وجعله رسيلا له فى الوقوع ومقدما عليه
فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد
فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به
على الاسناد المجازى (أفلم يروا الى مابين
ايديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء) تذكير بمايعاينونه مما يدل على كمال
قدرة الله ومايحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديد
عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ماأحاط
بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا
أهم اشد خلقا ام هى وانا ان نشأ نخسف بهم
او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد
ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائى يشأ
ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله
وحفص كسفا بالتحريك (ان فى ذلك) النظر
والتفكر فيهما ومايدلان عليه (لآية)
لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه
فانه يكون كثير التأمل فى امره (ولقد
آتينا داود منا فضلا) اى على سائر الانبياء
وهو ماذكر بعد او على سائر الناس فيندرج
فيه النبوة والكتاب والملك والصوت
الحسن (ياجبال اوبى معه) رجعى معه
التسبيح او النوحة على الذنب وذلك
اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها
اياه على التسبيح اذا تأمل مافيها

القرآءتين واحد لان الجبال اذا رجعت معه ما يأتي به من التسبيح فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال اما ان يخلق فيها صوت مثل صوته عليه الصلاة والسلام او يكون اسناد التسبيح اليها من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل ﴿ قوله او سيري معه ﴾ عطف على قوله رجعي قيل قوله اوّبي من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل ليلا فالمعنى سيري معه حيث شاء وفي التيسير كانت الجبال تسير مع داود عليه الصلاة والسلام حيث شاء ﴿ قوله والطير عطف على محل الجبال ﴾ فان عامة القرآء نصبوا والطير عطفا على محل ياجبال لان كل منادى في موضع النصب او على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير حكاه ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء وهو كقوله علفتها تبنا وماء باردا اي تقدير وسقيتها ماء باردا ويرد على جعله منصوبا على انه مفعول معه انه كيف يجوز ذلك وقد ذكر قبله لفظة معه والعامل الواحد لا يقتضي اكثر من مفعول معه واحد الا بالبدل او بالعطف فلا يقال جاء زيد مع بكر مع عمرو ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اي على جواز كونه مفعولا معه يجوز ان يكون ارتفاع والطير بناء على عطفه على ضمير اوّبي والتقدير اوّبي معه انت والطير كقوله تعالى اذهب انت وربك الا ان المرفوع المتصل في اوّبي لم يؤكد بمنفصل استغناء عنه بالفصل بينه وبين المعطوف بالظرف ﴿ قوله وكان الاصل ﴾ يعني لما كان قوله تعالى ياجبال اوّبي معه بدلا من فضلا او من آتينا باضمار القول كان الظاهر ان يقال لا يؤتى بصورة النداء او لا يحتاج الى الاضمار الا انه اوثر هذا النظم لما فيه من فخامة امر التأويب فان التصدير بالنداء يدل على ان ما يذكر بعده امر مهم يعتنى بشأنه ومن الدلالة على عظمة شأنه تعالى قوله تعالى وألنا معطوف على آتينا وجوز ان يكون كلمة ان في قوله تعالى ان اعمل مفسرة ومصدرية ولما كان من شرط المفسرة ان يتقدمها ما هو بمعنى القول ولم يتقدم هنا الا قوله ألنا قدر ما هو بمعنى القول اي وامرناه ان اعمل وان كانت مصدرية كان الكلام مبنيا على حذف حرف الجر المتعلق بألنا وكان المعنى ألنا له ذلك لان يعمل دروعا سابغات واسند الفعل الى المخاطب نظرا الى جانب المعنى ﴿ قوله وهو اوّل من اتخذها ﴾ وكانت قبله الصفائح فحصل بصنعتها شيئان لين الكسر وخفة الحمل قيل كان داود عليه الصلاة والسلام يفرغ من صنعة درع في نصف يوم او نصف ليلة ويبيعها بالف درهم وقيل باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعلى عياله قدر ما يكفيهم ويتصدق بالفضل ﴿ قوله وقدر في نسجها ﴾ يعني ان السرد نسج الدرع وهو في الاصل متابعة الشيء الشيء ومنه سرد الحديث اذا تابعه ولما بين تعالى ما آتاه داود على انابته بين ما آتاه سليمان عليه الصلاة والسلام على انابته فانه ايضا من جملة من اناب لقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ﴿ قوله اي ولسليمان الريح مسخرة ﴾ فان قيل فعلى هذا يلزم عطف الجملة الاسمية على الفعلية وهو لا يجوز او لا يحسن ولسليمان الريح عطف على قوله وألنا له الحديد والانة الريح عبارة عن تسخيرها فقد لا يلزم كونها معطوفة على الفعلية المذكورة قبلها لجواز كونها معطوفة على اسمية مقدرة دلت عليها تلك الفعلية فانه لما بين حال داود فكأنه قيل ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح فانها كانت له كالمملوك المختص به مالك يأمرها بما يريد ويسير عليها الى حيث يريد ولما سخرت الجبال وشرفت بذكر الله تعالى لم نضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كانها صاحب فقال ياجبال اوّبي معه والريح لما لم يذكر فيها انها سخرت جعلها كالمملوكة له فقال ولسليمان الريح وايضا كان داود عليه السلام اصلا في التأويب وكانت الجبال تابعة له في التأويب فقيل اوّبي معه والريح فلم تكن حركتها تابعة لحركة سليمان بل كانت تحرك بنفسها بل تحمل سليمان وجنوده على تحريكهم بحركة نفسها لم يكن وجه لان يقال والريح مع سليمان لانه عليه الصلاة والسلام كان مع الريح ﴿ قوله جريها بالغداة مسيرة شهر ﴾ يعني ان الغدو مصدر قولك غدا زيد بعمل كذا يغدو غدوا اذا عمله وقت الغداة وهي اسم الوقت من طلوع الصبح الى زوال الشمس وعمل الريح في هذا الوقت جريها بسليمان وجنوده على البساط فصار قوله تعالى غدوها بمعنى جريها بالغداة وهو مبتدأ وشهر خبره ولما لم يصح حمل الوقت على الجري احتيج الى تقدير المضاف في جانب الخبر فقيل مسيرة شهر وهي مصدر ميمي بمعنى السير ليصح حملها على الجري لانها لو جعلت مكانا او زمانا لما صح الحمل وكذا الرواح مصدر قولك راح يروح رواحا اي عمل وقت العشي وهو من زوال الشمس الى الليل والمعنى وجريها بسليمان وجنوده مسيرة شهر والجملة الاسمية اما مستأنفة لبيان وجه التسخير او حال من الريح كانت الريح تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين عن الحسن انه قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل الهند وبينهما

او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا (والطير) عطف على محل الجبال ويؤيده القرآءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوّبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها (وألنا له الحديد) وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلة او بقوته (ان اعمل) امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية (سابغات) دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اوّل من اتخذها (وقدر في السرد) وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفرق وردّ بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد (واعملوا صالحا) الضمير فيه لداود عليه السلام واهله (اني بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) اي وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها

ايضا مسيرة شهر وقيل كان يتغدّى بالرىّ ويتعشى بسمرقند ويحكى انه وجد مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه الصلاة والسلام نحن نزلناه وما بنينا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله ﴿قوله النحاس المذاب﴾ يعنى ان القطر النحاس المذاب من القطران واراد بعين القطر معدن النحاس ولو اريد به العين السائلة لما صح ان يتعلق به الاسالة لانها لا تتعلق بالسائل فوجب ان يراد بعين القطر معدن النحاس ولما كان مآل المعدن الى السيلان وان كان فى نفسه جامدا قبل الاسالة سماه عينا باعتبار ما آل اليه امره وهذا معنى قوله ولذلك سماه اى سمى المعدن عينا وهو جامد لكون ينبوعه كينبوع الماء متفرعا على اسالته لله تعالى اياه واسال الله تعالى له معدن النحاس من غير معالجة بالنار كما الان الحديد لداود معجزة لهما قيل اجريت له ثلاثة ايام ولياليهن تجرى الماء ولذا لم يعمل الناس اليوم بما اعطى سليمان وقيل كانت تسيل من كل شهر ثلاثة ايام ﴿قوله بامره﴾ اى بان حضرها له وامرها بسعته فهذا الامر مصدر مضاف الى فاعله وفى قوله عن امرنا بمعنى المأمور به وهو طاعة سليمان ﴿قوله وقرئ يزغ﴾ اى بضم الياء وكسر الزاى على بناء الفعل من ازاغه بمعنى اماله فيكون مفعوله محذوفا اى ومن يزغ نفسه هذا هو المفهوم من تعبير المصنف ووجدت فى بعض التفاسير وقرئ يزغ على بناء المفعول من ازاغه والله اعلم ومن فى قوله تعالى من عذاب السعير لابتداء الغاية او التبعيض وفسر عذاب السعير بعذاب الآخرة لانه هو المتبادر من العبارة والهم مكلفون كبنى آدم وقيل هو عذاب الدنيا وروى عن السدى انه قال ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته ﴿قوله قصور حصينة﴾ وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتدأه داود ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى اليه انى لم اقض اتمام ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضى اتمامه على يده فلما توفاه الله تعالى واستخلف سليمان اتمه بايدى الجن والشياطين ﴿قوله على ما اعتادوا﴾ متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من الملائكة والانبياء ﴿قوله وصحاف﴾ جمع صحفة وهى الاناء من جنس القصعة قال الكسائى اعظم القصاع الجفنة تليها القصعة تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والجوابى جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض العظيم من جبى الماء اذا جمعه سميت بذلك لانها يجبى اليها الماء اى يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبى فيه فقوله وجفان اى وقصاع فى العظم كحياض الابل يجتمع على القصعة الواحدة الف رجل يأكلون منها ﴿قوله لا تنزل عنها لعظمها﴾ قيل كان يصنع فى كل قدر الف شاة وكان يصعد اليها بنصب السلالم وكان ذلك باليمن ﴿قوله حكاية لما قيل لهم﴾ اى محمول على اضمار القول اى قلنا لهم اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه وذلك لان امرهم به ليس فى زمان نزول الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام وذكر لانتصاب شكرا خمسة اوجه الاول انه مفعول له لاعملوا والثانى انه مصدر على غير لفظ الفعل من حيث ان العمل هو الشكر له والثالث انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اى ذا شكر والرابع انه مصدر واقع موقع الحال اى اعملوا شاكرين والخامس انه مفعول به لقوله اعملوا اى اعملوا الشكر الذى هو الطاعة لله تعالى فيما امره ونهى عنه ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر من لفظه اى واشكروا شكرا ﴿قوله تعالى وقليل﴾ خبر مقدم ومن عبادى صفة له والشكور مبتدأ والمعنى ان العامل بطاعتى شكرا لنعمتى قليل من عبادى والشكور صيغة مبالغة وقوله المتوفر الى قوله اكثر اوقاته صفة كاشفة له واكثر اوقاته ظرف المتوفر وبعد ما كشف مفهومه وفصله قال ومع ذلك لا يوفى حقه ﴿قوله وقيل آله﴾ يعنى ضميرلهم قيل انه لآل سليمان روى ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل ان يتمه فامر سليمان باتمامه فشرع فيه بعدما مضى من ملكه اربع سنين وامر الشياطين بذلك فلما بقى من عمارته سنة دنا اجله فدعا الله تعالى ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا من بنائه وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وعاش فى ملكه اربعين سنة وقيل كانت الشياطين تدعى انهم يعلمون الغيب وكانوا يسترقون السمع وزعم بعض الناس من الجهلة انهم يعلمون الغيب كما يدعون فاحب الله تعالى بخفاء سليمان موته على الشياطين ليعلموا انهم ليسوا فى شئ من علم الغيب فجاء ملك الموت وكان قائما فى محرابه متكئا على عصا فقال امهلنى حتى اوصى الى اهلى فقال لا زمان فقال اتركنى حتى اجلس قال وكذلك امرت فقبض روحه على حاله فدامت مكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل

(واسلناله عين القطر) النحاس المذاب اسال
من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبو
ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن (ومن الجن
من يعمل بين يديه) عطف على الريح ومن الجن
حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر (باذن
ربه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل
منهم (عن امرنا) عما امرناه من طاعة سليمان
وقرئ يزغ من ازاغه (نذقه من عذاب
السعير) عذاب الآخرة (يعملون له ما يشا
من محاريب) قصور حصينة ومساكن
شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب
عليها (وتماثيل) وصورا وتماثيل للملائكة
والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها
الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير
شرع مجدد روى انهم عملوا اسدين فى اسفل
كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله
النسران باجنحتهما (وجفان) وصحاف
(كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة
(وقدور راسيات) ثابتات على الاثافى لا تنزل
عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية
لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا
له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له
شكرا او الوصف له او الحال او المفعول به
(وقليل من عبادى الشكور) المتوفر على
اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى اكثر
اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر
نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك
قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر (فلما
قضينا عليه الموت) اى على سليمان (ما دلهم
على موته) ما دل الجن وقيل آله (الا دابة
الارض) اى الارضة اضيفت الى فعلها
وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها

يقال أرضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت أكلا (تأكل منسأته) عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين وقرأ نافع وابو عمرو منساته على مفعالة كميضاة في ميضأة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة (فلما خر تبينت الجن) علمت الجن بعد التباس الامر عليهم (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما فى حيزه بدل منه اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب (فى مساكنهم) فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ماشذ من القياس كالمسجد والمطلع (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز المحسن والمسئ معاضدة البرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان (جنتان) بدل من آية او خبر محذوف وتقديره الآية جنتان

تلك الاعمال الشاقة التى كانوا يعملونها فى حياته لا يشعرون بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته فارادوا ان يشعروا وقت موته فوضعوا ارضة على عصا فاكلت منها مقدارا فى يوم وليلة فحسبوا على ذلك النحو فعلموا موته منذ سنة فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض وهى السرفة التى تأكل الخشب والارض فعلها اعنى اكلها الخشبة فاضيفت الى فعلها يقال ارضت الارضة اى السرفة الخشب ارضا فهو مأروض اى مأكول وقرئ الارض بفتح الراء من ارضت الخشبة بالكسر ارضا فهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت اكلا ﴿ قوله وقرئ بفتح الميم ﴾ قرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة والجمهور بهمزة مفتوحة كالمكنسة والمكنسة وقرئ منساته بفتح الميم مع تخفيف الهمزة وابدالها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ منساءته على وزن مفعالة كما يقال فى ميضأة ميضاءة وهى المطهرة التى يتوضأ بها وكلها لغات والشد على الابدال والحذف

* اذا دببت على المنساة من كبر * فقد تباعد عنك اللهو والغزل *

﴿ قوله ومن سأته ﴾ بفصل كلمة من على انها حرف جر وان سأته مجرورة بها والسأة والسئة هى العصا وهما فى الاصل ما انعطف من طرفى القوس سميت العصا سأة على وجه الاستعارة ووجه ذلك كما جاء فى التفسير انه عليه الصلاة والسلام اتكأ على عصا خضراء من خروب والعصا الخضراء متى اتكئ عليها تصير كالقوس فى الاعوجاج غالبا وفى سئة القوس لغتان كسر الفاء وفتحها نحو قحة وقحة يقال وقح الرجل بضم القاف اذا صار قليل الحياء قحة بفتح القاف وكسرها والهاء عوض عن الواو المحذوفة من سئة لقوس وزنها فعة والهاء عوض عن اللام واختلف فيها أهى واو ام ياء وقيل كان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب لا تهمز ﴿ قوله او ظهرت الجن ﴾ عطف على قوله علمت الجن يعنى ان تبين يحتمل ان يكون متعديا من تبينت الشئ اذا عرفته معرفة جلية بعد التباس الامر وان يكون لازما من تبين الشئ اذا ظهر والمعنى ظهرت حال الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموته عليه الصلاة والسلام حين وقع وما تكلفوا تلك المشاق وان بعده مع صلتها بدل اشتمال من الجن كقولك تبين زيد جهله والشهور الجهل فى المعنى ثم انه تعالى لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بين حال الكافرين لها بحكاية قصة اهل سبا فقال لقد كان لسبأ صرفه الجمهور اى قرأوه بالجر والتنوين على انه اسم حى أو رجل وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرأ البزى وابو عمرو لسبأ بفتح الهمزة من غير تنوين على انه اسم القبيلة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أكان رجلا ام امرأة ام ارضا قال بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج على وزن مسجد والاشعرون وحمير وانمار ومنهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا فى غور البلاد ونجدها ايدى سبأ شذر مذر ولذلك قيل لكل متفرقين بعد الاجتماع تفرقوا ايدى سبأ فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها ﴿ قوله ولعله اخرجه بين بين ﴾ فانه هو الاصل فى تليين الهمزة التى تحرك ما قبلها ﴿ قوله وقرأ حمزة وحفص ﴾ فى مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائى كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم على لفظ الجمع اما الافراد فلعدم اللبس فى ان المراد الجمع كقوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * والقياس فتح الكاف لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت يجئ الزمان والمكان والمصدر منه على مفعل بفتح العين والكسر مسموع على غير القياس والمسكن ههنا موضع السكون واما الجمع فهو الظاهر لان كل واحد منهم له مسكن على حدة ورسم مسكنهم فى المصاحف بدون الف بعد الكاف فلذلك احتمل القراآت المذكورة ﴿ قوله بدل من آية ﴾ وهى اسم كان قدم عليه خبره ابدل المثنى من المفرد بيانا له وتفسيرا بناء على ان البدل على تقدير المضاف اى لقد كان لهم آية قصة جنتين والا لكان الظاهر ان يقال آيتان جنتان ونظيره قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية كان الظاهر ان يقال آيتين الا انه افرد آية لكون المعنى وجعلنا امرهما وحالهما آية وهى ولادتها اياه من غير ان يمسها بشر على ان الجنتين

المحيطتين بمسكنهم آية واحدة في نفسها دالة على وجود الصانع وعلى كونه قادرا على مايشاء من الامور العجيبة الخارجة عن وسع البشر فلما كان المفرد المذكور صادقا على هذا المثنى صح ابدالهما منه على سبيل البيان والتفسير وقوله مصاحبة صفة ثانية لقوله علامة اشار به الى وجه مناسبة قصة سبأ لقصتي داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وهو ان في قصتهما دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته وانه مجازٍ للمحسن والمسيء حيث جازى كل واحد منهما بما يخصه من الفضل العظيم وقال فيمن يزغ منهم عما امره الله تعالى من طاعة سليمن نذقه من عذاب السعير وكذا في قصة سبأ دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته لان ما اعطاهم من انواع الثمر والوان الثمر خارج عن وسع البشر وفيها ايضا دلالة على انه تعالى مجاز للمحسن والمسيء حيث كلفهم شكر ما انعم عليهم من جلائل النعم ليزيد عليهم من فضله ثم قال فاعرضوا عما كلفوا به من الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم فالعلامة التي اشتملت عليها هذه القصة مصاحبة لبرهان السابق المدلول عليه بقصتهما ذكر الله تعالى هذه القصة لمشركي العرب تحذيرا لهم من ان ينزل بهم بشؤم شركهم وسوء افعالهم ما نزل باولئك على كثرتهم وقوتهم ﴿ قوله والمراد جماعتان ﴾ جواب عما يقال كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبأ وجعلهما آية دالة على ما ذكر مع ان المسكن المتوسط بين جنتين كثير في الدنيا وتقرير الجواب ان ما ذكرت انما يرد ان لو كان المراد بستانين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شماله بحيث كل جماعة متناهية لكونها في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة ﴿ قوله او بستانا كل رجل ﴾ عطف على قوله جماعتان ويجوز ان يكون المراد بستانين اثنين وتعظيمهما من حيث ان مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة ﴿ قوله او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ﴾ عطف على قوله حكاية لما لم يكن الامر المذكور واقعا في زمان نزول الوحي على نبينا عليه الصلاة والسلام وجب جعله محكيا بقول مضمر ومقولا بلسان من بعث اليهم من الانبياء او بلسان الحال او جعله منزلا منزلة الوحي المحكي المقول لهم من حيث كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك فكأنه قيل لهم ذلك بمجيء الجملة كايجابها بعد القول ﴿ قوله استئناف ﴾ فكأنه قيل واشكروا له فان بلدتكم بلدة طيبة وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور فان قام كل واحد من بلدة ورب على انه خبر محذوف كانت بلدتهم اخصب البلاد واطيبها حيث كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر بين تلك الاشجار فيمتلئ مكتلها من الوان الفاكهة من غير ان تمس شيأ بيدها وطيبها انه لم يكن فيها عاهة كالوباء والحمى وغيرهما من الامراض المتزعجة على وخامة الهوآء ولا هامة وهي واحدة الهوام المؤذية قيل لم ير ببلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل الغريب يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهوآء فذلك قوله تعالى بلدة طيبة اى طيبة الهوآء ﴿ قوله تعالى فاعرضوا ﴾ اى عن القيام بما وجب عليهم من شكر نعم الله تعالى وكذبوا رسلهم قال وهب ارسل الله تعالى الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم عقابه فقالوا ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فانتقم الله تعالى منهم بان لرسل عليهم سيلا غرق اموالهم وخرب ديارهم ﴿ قوله سيل الامر العرم ﴾ بناء على ان يكون العرم صفة مشبهة من العرامة وهي الشدة والصعوبة يقال عرم فلان فهو عارم وعرم اذا ساء خلقه وصعب ولما كان اضافة السيل الى العرم من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اذ الاصل السيل العرم احتيج الى التأويل المعتبر في هذا الباب وهو ان يحمل الكلام على حذف الموصوف واقامة صفته مقامه كقولهم مسجد الجامع مثلا تقديره مسجد الوقت الجامع فكذا سيل العرم اصله سيل المطر العرم او الامر العرم وجعل قوله المطر الشديد وجها آخر بناء على انه لم يعتبر فيه كون السيل موصوفا بكونه عرما وان اضافته اليه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته ليحتاج الى التأويل بل يجعلهما مثلا مبتدأ من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه ﴿ قوله او الجرذ ﴾ اى قيل العرم اسم للجرذ وهو بضم الجيم وفتح الرآء والذال ضرب من الفار اعمى والجمع الجرذان ويقال له الخلد ايضا لاقامته عند جحره لعماه واضافة السيل اليه من قبيل اضافة المسبب الى سببه فانه كان سبب لخرابه السكر وانقلاب الماء المحبس وزوال السكر عليهم وذلك ان اهل سبأ كانوا يقتتلون على واديهم عند احتياجهم الى سقي بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة ما بين الجبلين بالصخور والقير فحبست بذلك السدماء العيون والامطار وجعلت لهم ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة وجعلت فيها اثنى عشر

وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان
من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة
عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة
منهما في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة
او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه
ومن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له)
حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة
بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة
طيبة ورب غفور) استئناف للدلالة على
موجب الشكر اى هذه البلدة التي فيها
رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت
اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة
ولا هامة (فاعرضوا) عن الشكر (فارسلنا
عليهم سيل العرم) سيل الامر العرم اى
الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم
اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد
او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم
سكرا

تجريا على عددابهارهم الى اراضيهم وبساتينهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فاجتمع فيه الى ان صار كالبحر فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى الى ان ينفد الماء منه ثم من الباب الثانى ثم من الثالث الاسفل فلاينفد الماء الى ان ينقطع احتياجهم الى سقى الاراضى ثم يجتمع فيه الماء اوان الشتاء فيصير كالبحر ايضا فيسقون منه فى السنة المقبلة كما سقوا فى السنة الماضية فكانت تقسم الماء بينهم على هذا الوجه فى كل سنة فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا نقب الجرذ السكر بسببه وانقلب البحر عليهم فغرق بلادهم ودفن الرمل بيوتهم ومنازلهم وتفرقوا فى البلدان ايدى سبأ ﴿قوله غشيت به﴾ اى سمت من ان يسيل ماء البحر وهو ساحل البحر بين عمان وعدن ﴿قوله او المسناة﴾ اى ويحتمل ان يكون المراد بالعرم نفس السد الذى يحبس الماء قال البغوى العرم جمع عرمة وهى السكر الذى يحبس الماء اضيف السيل الى العرم للملابسة بينهما من حيث ان السيل انما انبسط وغلب على اراضيهم وخرب ديارهم بخراب العرم وفسر الجوهرى كل واحد من المسناة والعرم بالآخر ثم انه تعالى بين دوام خراب بلادهم بعطف قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين على قوله فارسلنا عليهم سيل العرم فان الرمل اذا دفن بيوت الناس وبساتينهم وابس اصحابها من عمارتها وتركوها على حالها نبتت فيها الاشجار الخبيثة بدل ما كان فيها من الفواكه الطيبة الحاصلة بسبب العمارة وقد تقرر ان المجرور بالباء الواقعة بعد فعل التبديل هو الخارج من اليد والمنصوب هو الداخل وسمى ما كان بدلا من الخارج جنة على طريق المشاكلة تهكما بهم ﴿قوله مر بشع﴾ اى كريه الطعم يأخذ بالحلق فلا يمكن اكله فسر الخمط بثلاثة اوجه الاول ما ذكره الزجاج وهو انه كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لايمكن اكله والثانى انه شجر الاراك والاكل ثمره وقاله المبرد والثالث كل شجر له شوك وما وجد فى نسخ القاضى كل شجر لاشوك له مخالف لرواية سائر الكتب قال الامام فى الكبير الخمط كل شجرة لها شوك او كل شجرة ثمرتها مرة لاتؤكل والاثل نوع من الطرفاء ولايكون عليه ثمرة الا فى بعض الاوقات يكون عليه شئ كالعفص امر منه فى طعمه وطبعه الى هنا كلامه قرأ ابو عمرو ذواتى اكل خمط بضم الكاف مضافا الى خمط من غير تنوين وقرأ نافع وابن كثير اكل خمط بسكون كاف اكل وتنوينه والباقون بضم كافه وتنوينه وفى الصحاح الاكلة بالضم اللقمة يقال هذا الشئ اكلة لك اى طعمة لك والاكل ايضا ما اكل ويقال ايضا فلان ذو اكل اذا كان ذاحظ فى الدنيا ورزق واسع ثم قال وكل ما يؤكل فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها دائم فظهر منه ان المراد بالاكل فى الآية هو الثمر والحنى وهو ما يجتنى من الشجر والجناة واحدته وان وجد اضافته الى الخمط ظاهر فان قولك اكل خمط حينئذ مثل قولك اصابع كرم وثوب خز واما وجه التنوين فهو ان يحمل تقدير الكلام ذواتى اكل اكل خمط على ان المضاف المقدر بدل او عطف بيان لمذكور وليسان ان الاكل من اى شجرة هو ﴿قوله النبق مما يطيب اكله﴾ يعنى ان السدر شجر النبق وجماد ينتفع به اكلا وكذا ينتفع بورقه لغسل اليد ولما كان التبديل مجازاة لهم على كفران النعمة ناسب ان يبدل من البدل ما هو اكرم مابدلوا ومنه السدر فدلك قلله الله تعالى وقيل السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لاتؤكل ولاينتفع بورقه فى الاغتسال وهو الضال وسدر له ثمرة تؤكل وهو النبق وبغتسل بورقه والمراد بما فى الآية الاول وحاصل الآية انه كانت اشجارهم خير الاشجار فصيرها الله تعالى من شر الاشجار بسوء اعمالهم ﴿قوله بكفرانهم﴾ يعنى ان ما فى قوله بما كفروا مصدرية ومحل ذلك النصب على انه مفعول ثان لجزيناهم اى جزيناهم ذلك التبديل بسبب كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم بالرسل ولو كان تقديم المفعول للتخصيص لزم ان يختص عقابهم فى التبديل المذكور وليس كذلك لان الكافر لايختص عقابه فى نوع من العقاب العاجل فذلك جعله للاهتمام به وتعظيم شأنه لان الاصرار على ترك الوطن المألوف لاسيما اذا كان فى اخصب البلاد واطيبها فى غاية الصعوبة ﴿قوله تعالى وهل يجازى﴾ قرآءة الجمهور بضم الياء وفتح الزاى على بناء المفعول ورفع الا الكفور لقيامه مقام الفاعل ومن قرأه بنون العظمة وكسر الزاى اعتبر موافقته لقوله جزيناهم فيكون قوله الا الكفور منصوبا على انه مفعول به ﴿قوله وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم﴾ يعنى ان المراد بالجزآء هو الجزآء المعهود فى قوله جزيناهم بما كفروا فان المراد به العقاب العاجل فكذا فى قوله وهل يجازى فكأنه قيل ذلك عاقبناهم بسبب كفرهم وهل يعاقب مثله الا البليغ فى الكفر او الكفران وليس المراد به مطلق الجزآء والا لما صح قصره على الكافر فان مطلق الجزآء يعم المؤمن

ضمر بدلهم بلقيس غشيت به ماء البحر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط) مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لاشوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان وقرأ ابو عمرو اكل خمط بالاضافة (واثل وشئ من سدر قليل) معطوفان على اكل لاعلى خمط فان الاثل هو الطرفاء ولاثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم (ذلك جزيناهم بما كفروا) بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص (وهل يجازى الا الكفور) وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور بالنصب

والكافر ﴿قوله بالتوسعة على اهلها﴾ اى بالمياه والاشجار والثمار والخصب لكونها مهاجر الانبياء ومقرّهم والمعنى جعلنا بين اهل سبأ وهم باليمن وبين الشام قرى ظاهرة اى متواصلة يظهر بعضها لبعضها ويرى سواد القرية من القرية الاخرى لقربها منها كانوا يسافرون من اليمن الى الشام فيبيتون بقرية ويقيلون باخرى حتى يرجعوا ولا يحتاجون الى حمل زاد ولا ماء من وادى سبأ الى الشام او ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم بل يرونها من متن الطريق وهذا بيان لما انعم الله تعالى به على سبأ بعدما ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم فانه لما اهلك مالهم قالوا انحن نتوب ويرد علينا خيرنا فتابوا فرد الله عليهم خيرا اكثر مما هم عليه قبل ان يرسل عليهم سيل العرم روى الامام ابو الليث عن الكلبي انهم قالوا للرسل انا عرفنا نعمة الله تعالى فوالله لئن ردّ علينا وجاءتنا والذى كنا عليه لنعبدنه عبادة لم يعبدها اياه قوم قط فدعت لهم الرسل ربهم فردّ الله تعالى اليهم ما كانوا عليه فآتاهم نعمة وجعل لهم من ارضهم الى ارض الشام قرى متصلة بعضها الى بعض فذلك قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ثم انهم عادوا الى كفرهم فآتاهم الرسل وذكروهم فكذبوهم فمزقهم الله كل ممزق وقال غيره قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها حكاية ما كانوا عليه قبل ان يرسل الله تعالى عليهم سيل العرم بين الله تعالى حال بلدهم انها بلدة طيبة وان لهم فيها جنات غزيرة البركات مكنهم منها وامرهم ان يأكلوا من رزقه وان يشكروه ثم انهم كفروا النعمة واعرضوا عما وجب عليهم من الشكر فبدّل ما بهم من النعمة نقمة ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى من اليمن الى الشام فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكدّ والتعب كما طلبت بنو اسرائيل المنّ والسلوى وسألوا الثوم والبصل فتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وبوادى ليحتاجوا الى ان يحملوا معهم ازوادهم وقالوا لو كان جنى الجنات ابعد مما هو عليه اليوم لكان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا واجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فجعل الله تعالى لهم الاجابة ومعنى تقدير السير فيها جعل بعد ما بين كل واحدة منها فى نصف يوم بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء وخص الليالى والايام بالذكر مع ان السير لا يكون الا فيهما للاشعار بان الامر لا يتفاوت باختلاف الاوقات او للاشعار بان الامر يستمر وان تطاولت مدة السفر على ان يراد بالايام والليالى الكثرة والمواظبة على السير وعلى الثالث يكون المقصود من ذكر الايام والليالى الاشعار باستمرار الامن وان استغرق السفر ليالى العاطفين وايامهم مدة اعمارهم بان يكون معنى قوله ليالى واياما ليليكم وايامكم فتركت الاضافة اعتمادا على دلالة المقام على كون الجمع المضاف مستغرقا ﴿قوله أشروا النعمة﴾ الاشر البطر يقال أشر بالكسر يأشر اشرا فهو اشر واشران كما يقال بطر يبطر بطرا والاشر والبطر الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة ويحتمل ان يكون قولهم هذا لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربنى اشارة الى انه لا يقدر عليه ويحتمل ان يكون قولهم ربنا باعد مقولا بلسان الحال فانهم لما كفروا صاروا كأنهم طلبوا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم قرأ العامة بنصب ربنا على النداء وباعد على لفظ الامر من باب المفاعلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد بتشديد العين على لفظ الامر من باب التفعيل وقرأ يعقوب ربنا باعد برفع ربنا على الابتداء وباعد على لفظ الفعل الماضى وقرئ ربنا بالنصب على النداء وبعد على لفظ الماضى المبنى للفاعل وبعد على لفظ الماضى المبنى للمفعول واسناد الفعل فيهما الى بين ورفعه كقراءة لقد تقطع بينكم برفع بين ﴿قوله تعالى فجعلناهم احاديث﴾ جمع حديث على غير القياس اى اهلكناهم كل اهلاك فصاروا عظة وعبرة ان يعدهم فجعلناهم به مثلا للناس يتحدثون بما فعلوا وما فعل بهم ويتعجبون من احوالهم فى المجالس وقوله ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم احاديث فان الناس ضربوا المثل بتفرقهم فقالوا ذهبوا ايدى سبأ وايادى سبا اى تفرقوا فى طرق شتى واليد فى كلام العرب تطلق على الطريق يقال اخذ يد البحر اى طريقه وقيل ايادى سبأ اولاده لان الاولاد اعضاد الرجل لتقويه بهم والمعنى تفرقوا مثل تفرق اولاد سبأ وفى المفصل الايادى الانفس كناية او مجازا وهو احسن من تفسيره بالطرق وبالاولاد وسبأ مهموز فى الاصل غير انه التزم التخفيف فى هذا المثل ولا بدّ من اضمار لفظ المثل فى هذا المثل لان ايدى سبا وقع حالا من فاعل ذهبوا وهو معرفة لان اضافته حقيقية ومن حق الحال ان تكون نكرة والتقدير ذهبوا متفرقين ﴿قوله صبار عن المعاصى شكور على النعم﴾ وهما من صفة المؤمن كأنه قيل ان فى ذلك التفريق او فيما ذكر من حال

(وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا ...
بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام (قرى
ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض
او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل
(وقدرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادى
فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ
الشام (سيروا فيها) على ارادة القول لسان
المقال او الحال (ليالى واياما) متى شئتم من ليل
ونهار (آمنين) لا يختلف الامن فيه باختلاف
الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سيركم
فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقون
فيها الا الامن (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا)
أشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل
فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل
وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى
المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام
بعد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر
شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفيه
وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه
قرآءة من قرأ ربنا بعد وبعد على النداء واسناد
الفعل الى بين (وظلموا انفسهم) حيث بطروا
النعمة ولم يعتدوا بها (فجعلناهم احاديث)
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل
تفرقوا ايدى سبأ (ومزقناهم كل ممزق)
وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان
بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد
بعمان (ان فى ذلك) فيما ذكر (لآيات لكل
صبار) عن المعاصى (شكور) على النعم

الشاكرين لنعمتي ووبال الكافرين للعالمين لعبرا ولآيات لكل مؤمن ﴿قوله اي صدق في ظنه﴾ يعني ان ماعدا الكوفيين قرأوا بتخفيف دال صدق و ظنه نصب اما بنزع الخافض اي في ظنه او بانه مفعول مطلق لفعل مقدر من لفظه اي صدق ابليس يظن ظنا و الجملة حالية من فاعل صدق كقولك فعلته جهدك اي فعلته تجهد جهدك و تفعل فعلك و يجوز ان ينصب على انه مفعول به فان الصدق يتعدى الى ما هو في معنى القول بنفسه فيقال صدق وعده اي جعل وعده صادقا و الظن كالوعد في انه نوع من القول ومن قرأ صدّق بتشديد الدال و نصب ظنه جعله مفعولا به وقال معناه حقق عليهم ظنه اي صار فيما ظنه على يقين لانه ظن اولا ان يغويهم حيث قال في حق بني آدم لاغوينهم ولاضلنهم ولاحتنكن ذريته ولاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم الى غير ذلك الا انه لم يكن على ثقة ويقين في انه يتأتى له ذلك لانه لم يخبر به ولا كان عالما بالغيب وانما قاله استدلالا بنفاذ حيلته في ابيهم آدم و بحسب ما ركب فيهم من الشهوة و الغضب وظن ذلك ايضا في اولاد سبأ لما رأى من انهماكهم في الشهوات ثم انهم لما تبعوه وقبلوا وسوسته صار مظنونه معلوما له و حقق عليهم ظنه فيهم حقا ﴿قوله يعني وجد ظنه صادقا﴾ فكان ابليس قال لظنه اني اغويهم فيتبعون اغوائي ثم انه لما اغواهم فقبلوا منه وجد ظنه صادقا وان قرئ بنصب ابليس و رفع الظن مع تخفيف الدال يكون المعنى قال له ظنه الصدق حين خيل له اغواءهم اي حين خيل الظن لابليس اغواءهم يقال صدق ظنه اذا ظهر المظنون كما خيل اليه و ان قرئ بتخفيف الدال ورفع الاسمين يكون المعنى صدق عليهم ظن ابليس ويكون ظنه بدلا من الاول بدل الاشتمال ﴿قوله وذلك انما ظنه بسبأ او بني آدم﴾ الاول على ان يكون الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبأ و الثاني على ان يكون لبني آدم جميعا لان المؤمنين منهم فانهم لم يتبعوه في اصل الدين وان استزلهم الشيطان عن بعض الفروع ﴿قوله الا فريقا هم المؤمنون﴾ اشارة الى ان كلمة من للبيان لا للتبعيض لانه يستلزم ان يكون بعض من آمن اتبع ابليس في اصل الدين عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى الا فريقا من المؤمنين يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل الدين وقد قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى ولا يعصونه وهم المخلصون كما قال تعالى حكاية عنه لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ﴿قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم﴾ استثناء مفرغ من العلل العامة تقديره وما كان له عليهم استيلاء لشيء من الاشياء الا لهذا وهو ان يتعلق علمنا بالذي يؤمن بالآخرة مميزا من الشاك فيها والمعنى الا لنعلم ايمان المؤمن بالآخرة ظاهرا موجودا ونعلم كفر الكافر الذي هو في شك منها ايضا كذلك لان الاعلام بهما موجودين هو الذي يتعلق به الجزاء علق التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وهو الايمان و الكفر فانه تعالى لا يجازي على ما يعلمه ولم يكتسبه في دار التكليف وانما يثيب من اطاع الحق وخالف الهوى والشيطان باختياره وسعيه و يعاقب من اطاع نفسه واتبع هواه وآثره على خدمة الرحمن بمحضه و غوايته فقوله الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء معناه ليتعلق العلم بكل واحد من ايمان المكلف وكفره حال كونه موجودا واقعا وقد كان معلوما له تعالى في الازل انه سيقع و يترتب عليه الجزاء قال الامام علم الله تعالى من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى في الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم و اذا عدم علمه معدوما كذلك مثاله المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته و المرآة لا تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغير في الخارجيات فكذلك ههنا فالمراد من العلم ما يترتب عليه من التميز والانكشاف في الوجود العيني فانه مرتب على الثبوت العيني الكائن قبل الوجود فقوله لنعلم اي لنعلمه موجودا حال وجوده كما علمناه قبل وجوده انه يوجد ﴿قوله او لنميز المؤمن من الشاك﴾ اي لنميز في الخارج من هو مؤمن في علمه تعالى ممن هو شاك فيه فان المكلف اذا كان له داعيان يدعوه احدهما الى الحق والآخر الى الباطل وتمكن من الانقياد لكل واحد منهما فان اتبع داعي الحق يكون مؤمنا مطيعا وان اتبع داعي الباطل يكون ضالا عاصيا فيكون ما في علم الله تعالى من حاله ظاهرا متميزا بتحققه في الخارج ويحتمل ان يكون المراد من التمييز تمييز ذلك بالنسبة الينا لا تمييزه باعتبار خروجه من العلم الى العيان ﴿قوله او ليؤمن من قدر ايمانه﴾ فيكون العلم مجازا مرسلا من قبيل ذكر التحقق وارادة المتعلق والنكتة في ايثار طريق التجوز المبالغة في تحقق التحقق فان العلم به متفرع على تحققه فكان بمنزلة ذكر الشيء بدليله

(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك. ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين رأى اباهم النبي صلى الله عليه وسلم ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون (وما كان له عليهم) على المتبعين (من سلطان) تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله

متآخيان (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه (من دون الله) والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير او شر (في السموات ولا في الارض) في امر ما وذكرهما للعموم العرفي اولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام اولان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم فيهما من شرك) من شركة لا خلقا ولا ملكا (وما له منهم من ظهير) يعينه على تدبير امرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) فلا تنفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله (الا لمن اذن له) ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة وكسر الدال (حتى اذا فزع عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة توقعا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فني (قالوا) قال بعضهم لبعض (ماذا قال ربكم) في الشفاعة (قالوا الحق) قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق (وهو العلي الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه

قوله وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى فان كلمة من في الموصلين موصولة جعلت صلة احداهما جملة استقبالية وصلة الاخرى اسمية للدلالة على ان الايمان بحسب النظر في الدليل والكفر حالة اصلية ثابتة **قوله** والزنتان اي زنة فعيل وفاعل كثيرا ما يجيئان بمعنى واحد كشريك ومشارك وعشير ومعاشر فسره بمحافظ وهو المراقب المطلع على جميع الاحوال لان الحفظ لا يتعدى بعلى فلا يقال حفظ عليه بل حفظه ولان معنى الحفظ الحراسة والاستظهار وكل واحد منهما غير ملائم لهذا المقام بل الملائم هنا معنى المراقبة وفي الصحاح حفظت الشيء حفظا اي حرسته وحفظته ايضا استظهرته والمحافظة المراقبة والحفيظ الحافظ ومنه قوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ ثم انه تعالى لما ذكر لمشركي العرب قصة سبأ وحذرهم بذكرها من ان يحل بهم بكفرهم ما نزل باولاد سبأ بين لهم ان ما تعبدونه آلهة من دون الله ليس له شيء من آثار القدرة فزعم الوهيته واستحقاقه العبادة فقد ضل ضلالا مبينا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل للمشركين توبيخا لهم وتجهيلا ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله لجلب نفع او كشف ضر كما تدعون الله تعالى او ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني المجاعة فانظروا هل يقدرون على قضاء شيء من حوائجكم ثم اخبر عن عجزهم فقال لا يملكون حذف اول مفعولي زعم وهو عائد الموصول طلبا للتخفيف لطول الموصول بصلته ثم حذف ثانيهما وهو الآلهة اكتفاء عنه بالصفة وهي قوله من دون الله ولا يجوز ان يكون قوله من دون الله هو المفعول الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما لا يقال هم من دون الله الا مع تقدير الموصوف ولا يجوز ايضا ان يكون لا يملكون هو الثاني لان المعنى يكون حينئذ زعمتموهم لا يملكونه ولا يزعمونه **قوله** وذكرهما مع ان المقصود بيان انهم لا يملكون مثقال ذرة في امر ما اما لشمولهما بحسب العرف لجميع الامور اولان الآلهة السماوية اذا لم تملك شيئا من امر السموات لزم ان لا تملك شيئا ما اصلا وكذا الآلهة الارضية اولان ما لا يملك شيئا من الاسباب القريبة لزم ان لا يملك شيئا اصلا **قوله** وما له منهم اي ما لله تعالى من ظهير يعاونه على خلق شيء منهما او فيهما حال كونه منهم اي مما زعموه آلهة ثم ان المشركين لما قالوا انا لا نعبد الاصنام لاستقلالهم في خلق الكائنات وتدبير امرها ولا لان لهم شركة في الخلق والملك ولا لكونهم اعوانه تعالى في الخلق والتدبير وانما نعبدهم ليشفعوا لنا فان الاصنام صور الملائكة المقربين فلا ترد شفاعتهم عند الله تعالى قال الله تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده **قوله** اذن له ان يشفع على ان تكون اللام داخلة في الشافع والمعنى لا تنفع شفاعة شافع في حال من الاحوال الا في حال كونه كائنا لمن اذن الله له ان يشفع فكلمة من عبارة عن الشافع ودخلت اللام عليه كما دخلت في قولك الكرم لزيد **قوله** او اذن ان يشفع له على ان يكون كلمة من عبارة عن المشفوع لاجله وتكون اللام لام الاجل كما في قولك جئتك لزيد اي لاجله فكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله **قوله** ولم يثبت ذلك فانه تعالى لا يأذن للاصنام ان تشفع لعابديها وقدم الوجه الاول لان ابطال قول من قال هؤلاء شفعاؤنا عند الله انما يظهر على هذا الوجه **قوله** غاية لمفهوم الكلام يحتمل ان يكون المراد من الكلام مجموع قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فانه يفهم منه ان ثمة انتظارا للاذن وتوقعا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد مدة من الزمان وطول من التربص ويحتمل ان يكون المراد منه قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم لدلالة الآية على ان الكلام معنى لتكلم لان التفزيع عن القلوب يدل على ان ثمة فزعا وانتظارا وكذا كلمة حتى لكونها للغاية تؤذن ان ثمة توقعا وانتظارا كأنه قيل لا تنفع الشفاعة يوم القيامة الا لمن اذن له فيتربصون ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي قالوا قال الله تعالى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى والتفزيع ازالة الفزع كالتمريض ازالة المرض والتقريد ازالة القراد يقال قرّد بعيرك اي ازل عنه القردان روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال فاذا اذن لمن اذن له ان يشفع فزعته الشفاعة اي ازالت الشفاعة الفزع عنه فعلى هذا يكون الضمير في قوله عن قلوبهم للشافعين والمشفوع لهم وقيل الضمير فيه للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا لان الآية نزلت ردا لقول من قال انا نعبد الاصنام لكونها صور الملائكة الذين هم شفعاؤنا عند الله فان الملائكة يفزعون حين يرد عليهم كلام الله بالاذن لهم بالشفاعة من هيبة ما يؤمرون به من الامر الهائل او لما يخافون من وقوع التقصير منهم في شفاعة الذين يشفعون

لهم حتى اذا كشف عنهم الفزع قالوا للملائكة الذين فوقهم وهم الذين بلغوا اليهم ماذا قال ربكم اى ماذا امر به وهو كلام الخاضع المتذلل والمعنى انهم مع مرتبتهم هذه يفزعون ويشفعون فى شفاعة من لهم يشفعون وهم بامر الله يعلمون كيف يشفعون الكفار وقيل انما يفزعون من خشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى لما روى ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق » وقال عليه الصلاة والسلام « اذا اراد الله ان يوحى بالامر ويتكلم بالوحى سمع اهل السموات صلصلة اخذت السموات منها رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع ذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه من وحيه بما اراده ثم يمر جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلى الكبير فيقول الملائكة كلهم مثل ما قال جبريل فينتهى جبريل بالوحى حيث امره الله تعالى » وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة وذلك انه كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام كلم جبريل بالرسالة الى محمد عليه الصلاة والسلام فلما سمعت الملائكة ذلك ظنوا انها الساعة لان بعثته عليه الصلاة والسلام كانت من اشراط الساعة عند اهل السموات فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم الفزع فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير قرأ الجمهور فزع بضم الفاء وكسر الزاى وقرأ ابن عامر فزع مبنيا على بناء الفاعل وهو الله تعالى وقرئ فرغ بالغين المعجمة من فرغ الماء بكسر الراء يفرغ بفتحها فراغا اى فنى وانسب والحق منصوب على انه مفعول مصدر اى قالوا قال ربنا الحق اى القول الحق ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف اى مقوله الحق ﴿ قوله اذ لا جواب سواه ﴾ فيه امر من الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بان يتولى الجواب بنفسه بعد ما امره عليه الصلاة والسلام بان يحملهم على الاقرار بان من يرزقهم المطر من السموات ومن يرزقهم النبات من الارض هو الله تعالى فان قوله من يرزقكم استفهام تقرير وكون السؤال والجواب من واحد يشعر بتعين الجواب فانهم لو ابوا لا يمكنهم ان يجيبوا الا به فانه اذا اتضح الامر وتعين الجواب لا يحتاج الى ان ينطقوا به بالسنتهم والتلعثم فى الامر التمكث فيه والتأنى والذى حملهم على السكوت عن الجواب او التلعثم فيه مخافة الالزام انهم لو اجابوا او قالوا رازقنا هو الله وحده توجه اليهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون لمن تفردوا برزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على ان يرزقكم ﴿ قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال ﴾ داخل تحت الامر بالقول والمعنى وقل ان احد الفريقين منا ومنكم لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين ﴿ قوله وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ ﴾ جملة اسمية فانه تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم اولا بان يكلفهم ويوبخهم بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ثم بان يسألهم سؤال تقرير عن تعيين رازقهم ثم بان يتولى الجواب بنفسه ايذانا بانهم مع كونهم معتقدين للحق يمتنعون من الاقرار به بالسنتهم عنادا او خوفا من الزام الحجة عليهم وتنزل من هذه الدرجة ثانيا وامره بان يرخى العنان معهم ويقول لهم انا او اياكم لآية ليبادى على تماديهم فى الضلال على وجه هو ادخل فى اثبات الغرض والغلبة على الخصم واوجب اسد طريق الشغب والجدال عليه وقوله تعالى او اياكم معطوف على اسم ان وما ذكر بعده خبر الاول وحذف خبر الثانى لدلالة عليه اى وانا لعلى هدى او فى ضلال او انكم لعلى هدى او فى ضلال ويحتمل ان يكون ما ذكر بعده خبر الثانى ويكون خبر الاول محذوفا كما فى قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف حذف خبر الاول اى نحن راضون وهذان الوجهان لا ينفى ان محملا على ظاهرهما قطعا لانه عليه الصلاة والسلام لم يشك فى انه على هدى ويقين وفى ان الكافرين على ضلال مبين وان هذا الكلام جار على ما تخاطب به العرب من استعمال الانصاف فى محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير ﴿ قوله وقيل انه على اللف ﴾ اى والتقدير وانا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين وفيه نظر لانه لو كان من قبيل اللف اوجب ان يكون كل واحد من المعطوفين معطوفا بالواو وكون كلمة او بمعنى الواو ليس بشائع ﴿ قوله واختلاف الحرفين ﴾ وهما كلمة على الداخلة على الهدى وكلمة فى الداخلة على الضلال والمنار علم الطريق وسمى ملك من ملوك اليمن ذا المنار لانه اول من وضع

(قل من يرزقكم من السموات والارض) يريد به تقرير قوله لا يملكون (قل الله) اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم (وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الواضح وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك من قبل انه لا يرى شيأ او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها (قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون) هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغى ان يقضى به

المنار على طريقه في مفازته ليهتدى به اذا رجع والارتباك الاختلاط والدخول في الامر الصعب الذى لم يكد
يتخلص منه والمطمورة الحفرة التي يطمر فيها الطعام الذي يخبأ ﴿ قوله تعالى قل اروني ﴾ يحتمل ان يكون
من الرؤية بمعنى العلم المتعدية قبل النقل الى اثنين فاذا عديت بهمزة النقل عديت الى ثلاثة اولها ياء المتكلم وثانيها الموصول
وثالثها شركاء وعائد الموصول محذوف اى الحقتموهم ويحتمل ان يكون من الرؤية البصرية المتعدية قبل النقل
الى واحد وعديت بالنقل الى اثنين اولهما ياء المتكلم وثانيهما الموصول فشركاء نصب على الحال من عائد الموصول
اى ابصروني الملحقين به حال كونهم شركاءه ﴿ قوله والضمير لله او للشأن ﴾ يعني ان هو في قوله تعالى بل
هو الله يحتمل ان يكون ضميرا راجعا الى الله تعالى والمعنى ليس الامر على ما انتم عليه من الحاق الشركاء به في العبادة
بل هو الله وحده فقوله هو مبتدأ والله خبره والعزيز الحكيم صفتان فيكون هو من قبيل الضمير المبهم المفسر بما
بعده تفخيما لشأن المرجع الذي وتمكينا له في الذهن فانك اذا قصدت الابهام للتفخيم تسبقت المرجع في ذهنك ثم
تعبر عنه بضمير الغائب لتشوق نفس السامع الى المعبر عنه ثم تذكر المرجع ويحتمل ان يكون ضمير الشأن فلفظ
الجلالة حينئذ مبتدأ والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو والفرق بين الاحتمالين ان الجملة التى بعد ضمير الشان
هي المبينة له بخلاف ما اذا كان ضمير الجلالة فان خبره اسم مفرد مفسر له ﴿ قوله الا ارسالة عامة لهم ﴾
على ان كافة صفة مصدر محذوف وان تعليل تفسير الكافة بالعامة المحيطة فكأنه قيل اريد بالكافة العامة لان الشمول
والعموم مستلزم الكف فيكون كناية او مجازا بمعنى عامة لهم محيطة بهم لان الارسالة اذا شملتهم فقد كفتهم ان
يخرج منها احد منهم من الكف وهو المنع يقال كف يكف اى منع ﴿ قوله او الا جامعا ﴾ على ان يكون
كافة بمعنى جامعا ويكون حالا من كاف ارسلناك وتكون الهاء فيه للمبالغة كما في علامة وراوية ونسابة ومن استعمال
كفا بمعنى جمع قول الفقهاء وكره للمصلى كف ثوبه اى جمع ما تفرق من اطرافه ولا يجوز كونها حالا من المجرور
مقدمة عليه لان تقدم حال المجرور عليه بمنزلة تقدم المجرور على الجار من حيث ان حال المجرور تكون معمولة لحرف
الجر ايضا وتقدم المجرور على الجار ممتنع فكذا ما هو بمنزلته عند الجمهور وان جوزه بعض النحاة استشهادا
بقول الشاعر

* اذا المرء اعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد *

ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى حقق مسائل التوحيد اولا ثم شرع في تحقيق الرسالة فقال وما ارسلناك
الا كافة للناس اى الا ارسالة تكف ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ روى عنه عليه الصلاة
والسلام انه قال كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة عامة ثم انه تعالى لما ذكر الرسالة بين
الحشر على وجه يتضمن تجهيل منكريه فقال ويقولون متى هذا الوعد ﴿ قوله لكم ميعاد ﴾ جملة اسمية
والميعاد زمان الوعد او مكانه لغة وهو ههنا الزمان الذي هو القيامة او وقت موتهم ويدل عليه قوله لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون اى لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون وزاد المصنف احتمال ان يكون الميعاد مصدرا
مضافا الى زمانه حيث قال وعد يوم والميعاد يطلق على الوعد والوعيد قال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد
بمعنى والاضافة الى اليوم سواء جعل مصدرا او زمانا بيانية لانها من اضافة العام الى الخاص كما في سحق عمامة
وثوب خز وبعير سانية فان السحق الشيء البالي اضيف الى العمامة تبيانا وكذا الثوب والبعير والسانية
الناضحة وهي الدفة التي يستقى عليها يقال سنت الناقة تسنو اذا سقت الارض وفى المثل سير السواني
سفر لا ينقطع ﴿ قوله ويؤيده انه قرئ يوم ﴾ اى قرئ ميعاد يوم منونين على ابدال يوم من ميعاد اى
ويؤيد كون الميعاد عبارة عن زمان الوعد ابدال اليوم منه وقرئ ميعاد يوما على تعظيم اليوم بتقدير اعني
فيكون منصوبا على المدح والتعظيم اى يوما من صفته كيت وكيت ﴿ قوله وهو جواب تهديد ﴾
جواب عما يقال كيف انطبق هذا جوابا لسؤالهم مع انهم سألوا عن تعيين وقت الوعد من حيث
ان متى سؤال عن الوقت المعين ولا تعرض في الجواب لتعيين الوقت وتقرير الجواب ان سؤالهم وان كان
على صورة استعلام الوقت الا ان مرادهم الانكار والتعنت والجواب المطابق لمثل هذا السؤال ان يجاب
بطريق التهديد على تعنتهم فلذلك اجيبوا بانكم ترصدون بيوم يفاجئكم فلا تستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما
عليه ثم انه تعالى لما بين الاصول الثلاثة التى هي التوحيد والرسالة والحشر وكان المشركون كافرين بكل

(قل اروني الذين الحقتم به شركاء) لاري
باى صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العباد
وهو استفسار عن شبههم بعد الزام الحجة عليه
زيادة فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشارك
بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم)
الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكم
وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن
قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان
(وما ارسلناك الا كافة للناس) الا ارسالة
عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان
يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلا
فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجو
جعلها حالا من الناس على المختار (بشير
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فيحمله
جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فر
جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر
والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ر
(ان كنتم صادقين) يخاطبون به رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لك
ميعاد يوم) وعد يوم او زمان وعد واضاف
الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم عل
البدل وقرئ يوما باضمار اعني (لا تستأخرو
عنه ساعة ولا تستقدمون) اذا فاجأكم و
جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤاله
من التعنت والانكار

واحد منهما بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن فان الكفر بالقرآن يتم وبل بالكفر
بجميع ما يتعلق به القرآن ثم انه تعالى لما حكى عنهم الكفر المذكور بين عاقبة امرهم ومآل حالهم في الآخرة فقال
ولو ترى يا محمد او يا من يتصور منه الرؤية بهم على ادل حال محبوسين للسؤال يرد بعضهم الى بعض القول في الجدال
كما يكون عليه حال جماعة اخطأوا في امر لرأيت امرا عجبا وحالا فظيعا والعياذ بالله فحذف جواب لو للتهويل
﴿قوله ولذلك﴾ اي وليكون المقصود انكار كونهم صادين للاتباع عن الايمان واثبات انهم هم الذين
صدوا انفسهم بنوا الانكار على الاسم فقيل انحن فان وقوع المسند اليه بعد حرف الانكار بلا فصل يفيد نفي الفعل
عن المسند اليه المذكور وثبوته لغيره ومثل هذا الكلام انما يقال اذا اتفق المتكلم والمخاطب على تحقق الفعل وصدوره
من فاعله وزعم المخاطب انه صدر من المتكلم فيقول المتكلم في رده أأنا فعلت ذلك بتقديم المسند اليه وايلائه حرف
الانكار يريد بذلك انكار كونه الفاعل له واثبات كونه مفعولا لغيره كما في هذه الآية اي انحن صددناكم عن قبول الهدى
وهو الايمان بعد اذ جاءكم كما ادعيتموه من دعوة الرسول وقيام المعجزة بل كنتم مجرمين بترك الايمان اختيارا والجرم الذنب
تقول منه جرم واجرم واجترم بمعنى فقال لهم المستضعفون مجيبين لهم بل مكر الليل والنهار اي بل الذي صدنا هو
مكركم بنا دائبا ليلا ونهارا والعطف في قوله تعالى وقال الذين استضعفوا بعطفه على كلامهم الاول والمقصود بيان
الفرق بين قوله تعالى قال الذين استكبروا وبين قوله وقال الذين استضعفوا حيث صدر الثاني بحرف العطف دون
الاول ووجه الفرق ان الاول كلام مستأنف ذكر جوابا لمن قال ماذا قال المستكبرون في جواب المستضعفين فلا وجه
لتخلل العاطف بخلاف كلام المستضعفين فانه لم يقصد به جواب لسؤال مقدر بل سيق منهم لكلام المستكبرين بعطف
كلامهم الثاني على كلامهم الاول ﴿قوله بل مكركم لنا دائبا﴾ اي دائما اي بل صدنا مكركم لنا في هذين
الوقتين على ان مكر الليل مرفوع على انه فاعل فعل مقدر ويحتمل ان يكون مرفوعا على انه مبتدأ حذف خبره على
معنى بل مكركم لنا في الليل والنهار وحملكم ايانا على الشرك دائما هو الذي اوقعنا في الكفر والضلال او على انه
خبر مبتدأ محذوف اي سبب كفرنا مكركم ﴿قوله حتى اغرتم﴾ من قولهم أغار على عدوه يغير اغارة اي غصب
عليه واستلب ما معه ونهبه ﴿قوله واضافة المكر الى الظرف﴾ يعني ان قوله بل مكر الليل والنهار معناه
مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه على طريق اضافة المصدر الى مفعوله
كما اتسع في قوله * يا سارق الليلة اهل الدار * او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي كما في قول جرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

فيكون من اضافة المصدر الى فاعله وكل واحد من الوجهين احسن من قول من قال ان الاضافة فيه بمعنى في اي
مكر في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع ﴿قوله ومكر الليل من الكرور﴾ اي قرئ مكر بفتح الكاف
وتشديد الراء مرفوعا ومنصوبا اما الرفع فعلى ما ذكر في القراءة بسكون الكاف اي بل صدنا كرورهما علينا
واختلافهما من كر اذا جاء وذهب على معنى صدنا طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم
الامد فقست قلوبهم والاظهر منه ان يكون ارتفاعه على انه مبتدأ حذف خبره او خبر مبتدأ محذوف اي بل مكركم
اي كروركم بالاغواء في الليل والنهار دائما سبب كفرنا وصدودنا عن الهدى او سبب ذلك مكركم وخلاصة المعنى
انا انما اشركنا بسببكم واما النصب فعلى انه مصدر فعل محذوف اي بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي وقت
كرورهما مثل آتيك خفوق النجم والمعنى بل تكرون الاغواء مكرا دائما لا تفترون عنه ﴿قوله في اشكيته﴾
فانه يجيء بمعنى اثبت له الشكاية وازلت عنه الشكاية وقد جمعهما من قال

شكوت الى الايام سوء صنيعها * ومن عجب باك تشكى الى المبكي
فما زادني الايام الا شكاية * وما زالت الايام تشكي ولا تشكي

اي تزيد شكايتي ولا تزيلها ﴿قوله تنويها بذمهم﴾ اي تشهيرا به من ناه الشيء ينوه اذا ارتفع ونوهته
تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره وقوله تعالى هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء اعمالهم من
الكفر والمعاصي اشارة الى ان ذلك حقهم عدلا وهو استفهام تقرير وعدى يجزون الى اعمالهم مع ان جزى
لا يتعدى بنفسه الى مفعولين بل يقال جزيته بما صنع اما على طريق الحذف والايصال وهو ظاهر او لتضمين جزى
معنى اقضى وهو يتعدى الى اثنين يقال اقضيته حقه ﴿قوله مما مني به﴾ اي ابتلي يقال منوته ومنيته اي

(وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) اي في موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الاتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا انتم) لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور (واسروا الندامة لما رأوا العذاب) واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته (وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا) اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض (وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه

اثباته كانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام يا ايها النبي لا تحزن على تكذيب الكفرة اياك فان اصرار الكفار بالانبياء ليس بدعا بل ذلك عادة قديمة لهم ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون المفاخرة بزخارف الدنيا والاستهانة بمن لم يحظ منها معظم الدواعي الى التكذيب ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب حيث تهكموا بقولهم بما ارسلتم به فانهم انما قالوا ذلك تهكما بالمرسلين ضرورة انهم غير معتقدين بالارسال وتفاخروا بقولهم نحن اكثر اموالا ﴿قوله بما ارسلتم به﴾ متعلق بخبر ان وبه متعلق بقوله بما ارسلتم والتقدير انا كافرون بالذي ارسلتم به من الايمان والتوحيد ﴿قوله فنحن اولى بما تدعونه﴾ اي من الرسالة جعل المترفون قولهم نحن اكثر اموالا واولادا بالنسبة الى الرسل وسيلة الى تكذيبهم وزعموا انهم اكرم على الله من الانبياء ومن المؤمنين قائلين انهم لولم يكرموا عليه تعالى لما رزقهم ذلك وان المؤمنين لولم يهونوا عليه تعالى لما حرمهم فابطل الله تعالى زعمهم ذلك بهاتين الآيتين وهما قوله تعالى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليس البسط والقبض للكرامة والهوان فكم من موسر شقي ومعسر تقي وانما يوسع ويضيق بمشيئته لما رأى من الحكمة والمصلحة يبسط لمن يشاء لا لفضل ومنزلة عنده ويقدر على من يشاء لا لجناية كانت منه اليه بل له ان يبتلي عبده بما شاء ﴿قوله قربة﴾ يعني ان زلفى مصدر قوله تقربكم من غير لفظه او اسم اقيم مقام المصدر كقوله انبته الله نباتا لما استدل المترفون بكثرة اموالهم واولادهم على كونهم احسن حالا عند الله ابطل الله تعالى استدلالهم بان البسط والقبض لايدلان على الكرامة والهوان ثم اكد ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم الآية فكانه قيل استدلالكم بكثرة الاموال والاولاد على كونكم احسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فانهما لايدلان على قربة العبد من الله تعالى كيف وكل واحد من المال والولد يشغل من الله فكيف يقرب منه بل الذي يقرب اليه تعالى هو العمل الصالح لانه اقبال على الله تعالى واشتغال بطاعته ومن توجه الى الله تعالى وصل ومن التجأ اليه ظفر بالامل ﴿قوله والتي﴾ يعني ان الظاهر ان يقال باللاتي لان التي اسم مفرد فلا وجه لتوصيف الاموال والاولاد به ووجهه على انه حمل عليها لتأويلها بالجماعة كانه قيل وما جماعة اولادكم واموالكم بالجماعة التي تقربكم او لكون التي صفة لموصوف محذوف اي وما هي بالتقوى التي او بالخصلة التي تقربكم ﴿قوله استثناء من مفعول تقربكم﴾ وهو ضمير الخطاب المتناول لجملة بني آدم فتكون الآية اشارة الى ان العمل الصالح بالنظر الى الاموال ان ينفقها اصحابها في سبيل الله وبالنظر الى الاولاد ان يعلمهم آباؤهم الخير ويربوهم على الصلاح ويجوز ان يكون استثناء من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الاموال من آمن واولاده ﴿قوله وقرئ﴾ بالاعمال اي وقرئ جزاء مرفوعا منونا والضعف منصوبا فان الاصل ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف بالاضافة ومن نصب جزاء ونونه ورفع الضعف جعل جزاء تمييزا او حالا اي فاولئك لهم الضعف جزاء والعامل في الحال الاستقرار كما في قوله تعالى فله جزاء الحسنى فيمن قرأ بنصب جزاء في الكهف ويحتمل ان يكون انتصاب جزاء على انه مصدر فعله الذي دل عليه لهم جزاء وذلك لان فاولئك مبتدأ والضعف مبتدأ ثان ولهم خبره الثاني والجملة خبر اولئك فكانه قيل فاولئك الضعف لهم يجزون جزاء ﴿قوله على ارادة الجنس﴾ فانهم جميعا لايشتركون في غرفة واحدة بل لكل واحد غرفة تخصه وفي الصحاح الغرفة العلية والجمع غرفات وغرفات وغرف بين الله تعالى اولا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات تضاعف حسناتهم بجزاء وقال وهم في الغرفات آمنون اشارة الى دوام النعيم وتأبيدها ثم بين حال المسيء فقال والذين يسعون في آياتنا معاجزين الآية اي مقدرين في انفسهم ان يسبقوا الانبياء الذين شأنهم اظهار الآيات واثبات الحق المبين او ان يفوتوا فان المعجز الهارب يهرب لكي يعجز يقال عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل اليه ﴿قوله هذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين﴾ فان ما سبق رد لحسبانهم انه تعالى اكرمهم بكثرة الاموال والاولاد فلا يصيبهم بالتعذيب والاهانة ويعذب من ضيق عليه في الدنيا فرد عليهم بان اختلاف الاشخاص في السعة والضيق لايبتني على كرامة الموسع عليه وهوان المضيق عليه وانما يبتني على مجرد مشيئته تعالى وهيهنا بين ان الايمان والعمل الصالح هو الذي يقرب العبد الى ربه ويكون مؤديا الى تضعيف حسناته بين ان نعيم الآخرة وتضاعف الحسنات فيها لاينافي سعة الرزق في الدنيا بل الصالحون قد يبسط لهم الرزق في الدنيا مع ما لهم في الآخرة من الجزاء الاوفى والمثوبة الحسنى بمقتضى الوعد الالهي وان كانوا في بعض الاوقات يضيق عليهم وكلمة ما في قوله تعالى وما انفقتم شرطية في محل النصب على انه مفعول مقدم لانفقتم ومن شيء بيانه وقوله فهو يخلفه جواب الشرط او موصولة

وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا (انا بما ارسلتم به كافرون) على مقابلة الجمع بالجمع (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا) فنحن اولى بما تدعونه ان امكن (وما نحن بمعذبين) اما لان العذاب لايكون اولانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب (قل) ردا لحسبانهم (ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته (ولكن اكثر الناس لايعلمون) فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا مايكون للاستدراج كما قال (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ باللذي اي بالشيء الذي يقربكم (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لاتقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف (فاولئك لهم جزاء الضعف) ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم (بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس (والذين يسعون في آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا (اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير

مرفوعة المحل على الابتداء وفهو يخلفه خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اى ماتصدقتم وانفقتم في الخير من نفقة فهو يعطى خلفه لمنفق امابان يعجل له في الدنيا واما بان يؤخر له في الآخرة ومن يجاهد من كان عنده من هذا المال ماتجد ويصلحه فيقتصد في الانفاق فان الرزق مقسوم ولعل ماقسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر وقوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا في الآخرة وفي الحديث «الرزق في المعيشة من بعض التجارة» ومارووى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا» يؤيد ماذكره المصنف ﴿قوله تعالى ويوم نحشرهم﴾ قرأ يعقوب وحفص بالياء والباقون بالنون ﴿قوله اياكم﴾ منصوب بخبر كان قدم لاجل الفواصل والاهتمام والكلام وان كان في صورة الخطاب للملائكة الا ان المقصود تقريع المشركين فانهم لما اجابوا بتنزيه الله تعالى عن ان يعبد احد معه وبانه لايستحق العبادة سواه اشتد خزى المشركين وتجاذبهم ﴿قوله ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله﴾ لان عابديهم يزعمون انهم بنات الله تعالى من مصاهرة الجن قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والاولاد تكون من جنس الاباء والقول بتعدد الاله اصل الشرك بخلاف العبادة بناء على طمع الشفاعة فتبرأ الملائكة منهم ومن الرضى بعبادتهم اياهم بقولهم سبحانك اى تنزيها لك من ان يكون لك شريك في الالوهية واستحقاق العبادة والولى فعيل من الموالاة وهى ضد المعاداة ويقع على الموالى والموالى وهو ههنا بمعنى الموالى يعنون انا نواليك بالعبودية لك ولانواليهم بعبادتهم لنا والظاهر في جواب قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ان يقال لا اونعم الا انهم اجابوا باثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار بالبرآءة من الرضى بعبادتهم لهم بطريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان اختصاصهم بموالاة الله تعالى ومعاداة الكفار يستلزم عدم الرضى بعبادة الاعداء اياهم ﴿قوله حيث اطاعوهم﴾ جواب عما يقال ان المشركين كانوا يقصدون بعبادة الاصنام عبادة الملائكة ولايخطر الشياطين ببالهم حين عبادتهم الاصنام فضلا عن ان يعبدوا الشياطين فاوجه قولهم كانوا يعبدون الجن * واجاب عنه بوجهين الاول ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوا الشياطين في عبادة الملائكة فالمراد بقولهم يعبدون الجن انهم يطيعون الجن في عبادة غير الله تعالى وان العبادة هي الطاعة وانهم لما اطاعوهم فكأنهم عبدوهم والثاني انهم عبدوا الجن حقيقة بناء على ان الجن مثلوا لهم صورة قوم منهم وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها فلما عبدها المشركون فقد عبدوا الجن حقيقة ﴿قوله الضمير الاول للانس﴾ جواب عما يقال الظاهر ان ضمير اكثرهم عبارة عما يرجع اليه ضمير كانوا يعبدون الجن وهم المشركون والمعنى اكثر المشركين مؤمنون بالشياطين اى مصدقون قولهم ومطيعون لهم وجميع المشركين كانوا عابدين الشياطين مطيعين فاوجه قوله اكثرهم بهم مؤمنون فانه يدل على ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم * واجاب عنه بوجهين الاول انه لانسلم ان ضمير اكثرهم يرجع الى المشركين بل يرجع الى الانس المذكور حكما واكثر الانس كفار مؤمنون بالجن والثاني سلمنا ان ضمير اكثرهم للمشركين الا ان الاكثر بمعنى الكل كما في قوله تعالى واكثرهم كاذبون وهو من ترقيق الكلام ثم انه تعالى بين ان ما كانوا يعبدونه لاينفعهم فقال فاليوم لايملك بعضكم لبعض والخطاب لمجموع العابدين والمعبودين والمراد بالبعض الاول الملائكة وبالثاني عابدوهم والمعنى ويوم القيامة لايملك الملائكة لعابديهم نفعا بالشفاعة ولاضرا بالتعذيب فالكلام تخييل للكافرين حيث بين لهم ان معبودهم لاينفع ولايضر كقوله تعالى لايملكون الشفاعة الا لمن ارتضى ويحتمل ان يكون الخطاب متناولا للجن ايضا ﴿قوله وفي تكرير الفعل﴾ فانه لماذكر قوله قالوا في جواب قوله واذا تتلى عليهم آياتنا كان الظاهر ان يذكر مقول الكفرة بان يعطف بعضه على بعض بان يقال قالوا كذا وكذا من غير ان يعاد فعل القول مع كل مقول وقد اعيد ذلك ههنا حيث قيل واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا كذا وقالوا كذا ثم قيل وقال الذين كفروا باعادة الفعل مرة ثالثة وتصريح فاعله والمقام مقام الاضمار كما في الاولين ﴿قوله ومافي اللامين﴾ اراد بهما اسم الموصول المذكور في قوله وقال الذين كفروا ولام التعريف في قوله للحق على سبيل التغليب وتعريف الموصول اشارة الى القائلين بانهم الكفرة المتمادون الذين حملهم كفرهم على الجرآءة على الله تعالى وان يقولوا في حق نبيه وكتابه ودينه مالايتفوه به من له ادنى تمييز والتعريف اللامى اشارة الى المقول فيه بانه الحق المبين الذى لايطعن فيه الا المكابر المعاند والبت

(وما انفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اما عاجلا او آجلا (وهو خير الرازقين) فان غيره وسط في ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته (ويوم نحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتقنيطا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص ويعقوب يحشرهم ويقول بالياء فيهما (قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم) انت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك برآءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) اى الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم (اكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) عطف على لايملك مبين للمقصود من تمهيده (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستبدعه (وقالوا ماهذا) يعنون القرآن (الا افك) لعدم مطابقة مافيه الواقع (مفترى) باضافته الى الله سبحانه (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم) لامر النبوة او للاسلام او القرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه (ان هذا الا سحر مبين) ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة ومافي اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه ومافي لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه

يهدا القول من مثل ذلك القائل فى مثل هذا المقول فى غاية القباحة و الفضاحة لاسيما اذا كان البث المذكور على سبيل المبادهة من غير تأمل بقال بادهه امر اى فاجأه وسلوك هذه الطريقة لايكون الا للايذان بان الامر عظيم وان ارتكابه عجيب غريب ثم انه تعالى بين ان حوابهم على هذه الاقوال الباطلة عند ماتلى عليهم الآيات البينات غاية الضلالة ونهاية الجهالة فان الآيات البينات لاتعارض الا بالبراهين العقلية او بالكتب السماوية او ببيان الرسول المؤيد بالمعجزات الباهرة وليس عندهم شئ من ذلك فى قولهم هذا رجل كاذب وان ماهو الا افك مفترى وان ماجاء به سحر مبين وهذا معنى مانقل عن الفراء انه قال فى تفسير هذه الآية من اين كذبوك ولم يأت لهم كتاب ولانبي بين لهم صحة طريقهم وكذلك ليجادلوك به وقوله تعالى و ماارسلنا اليهم اى الى اهل مكة ومن حولهم من العرب الذين بعثت اليهم ولا يراد من تقدمه عليه الصلاة و السلام من العرب لان اسمعيل عليه الصلاة و السلام كان مبعوثا قبله الى العرب ﴿ قوله و مابلغ هؤلاء ﴾ حال من الموصول اى هؤلاء المشركون عشر ماآتينا المتقدمين كعاد وثمود او مابلغ المتقدمون عشر ماآتينا مشركي مكة و المعشار العشر كالمرباع الربع و المعنى على الاول كيف أمن مشركوا مكة مع ضعفهم ان يأخذهم بسبب التكذيب مالحق من قبلهم من الاقوياء وعلى الثانى كيف امنوا ان يأخذهم بتكذيب البينات الساطعة المتكاثرة مالحق من قبلهم بتكذيب ماهو اقل من عشر ما كذب به المشركون ﴿ قوله ولاتكرير فى كذب ﴾ جواب عما يقال ماوجه قوله فكذبوا رسلى بعد قوله وكذب الذين من قبلهم و ماالفائدة فى هذا التكرير فاجاب عنه اولا بان الاول لتكثير الفعل لا للتعدية و الثانى للتعدية فلا تكرير وثانيا بان الاول مطلق حيث لم يقدر له مفعول به اجرى مجرى اللازم فكأنه قيل فعلوا التكذيب مطلقا واقدموا عليه و الثانى مقيد بتعلقه بالمفعول وجعل تكذيبهم الرسل مسببا عن كونهم اهل التكذيب فعطف عليه عطف المسبب على السبب و المعنى فعلوا التكذيب فكذبوا الرسل بسببه ﴿ قوله و هو القيام من مجلس الخ ﴾ يعنى ان القيام يحتمل ان يراد به المثول على الرجلين من مجلسه عليه الصلاة و السلام لاجله تعالى وطلب وجهه ورضاه لالحمية وعصبية او القيام لامر و التشمير له لاجله تعالى بالجد و الاهتمام من قولك قمت لامر كذا اذا هيأت نفسك لاجله وتشمرت له ﴿ قوله فان الازدحام ﴾ علة لتقييد القيام لله تعالى بكونهم متفرقين مثنى و فرادى يعنى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويقل معه الانصاف ويكثر فيه الاعتساف بخلاف الاثنين فانهما اذا جرى بينهما امر تفكرا فيه ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه سالكا مسلك العدل و الانصاف متجانبا من التعصب و الاعتساف فيؤدى فكرهما الصحيح الى الحق الصريح وكذلك الواحد فانه يفكر فى نفسه طلبا لاصابة الحق باتباع عقله السليم مجانبا من معارضة المجادلين واغواء المبطلين فيصيب الحق المؤيد بالبرهان وقوله ثم تتفكروا عطف على قوله ان تقوموا ومحل ان تقوموا الجر على انه بدل من واحدة على سبيل التفسير والبيان او عطف بيان لها او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى ان تقوموا او النصب باضمار اعنى ومثنى وفرادى حال من فاعل تقوموا ﴿ قوله فتعلموا مابه جنون الخ ﴾ يعنى ان قوله تعالى مابصاحبكم من جنة يجوز ان يكون متعلقا بفعل مقدر معطوف على تتفكروا معلق عنه بحرف النفى وهى كلمة ما وان يكون مستأنفا للتنبيه على طريقة النظر المؤدى الى العلم بصدقه عليه الصلاة و السلام فى دعوى الرسالة فان امر الرسالة امر عظيم تحته ملك الدنيا و الآخرة ومن ادعاها لابد له ان يدعو الفراعنة الذين كانوا يقتلون من خالفهم فى ادنى شئ الى قبول ماجاء به من الدين وترك ماالفوه منه ولاشك فى انه امر عظيم لايدعيه الا مؤيد من عند الله فاصطلع بحقية امره بما عنده من حجة وبرهان او مجنون لايبالى بافتضاحه على رؤس الاشهاد وهلاكه فى الدنيا ويوم التناد ومن المعلوم عندهم انه عليه الصلاة و السلام ارجح قريش عقلا واصدقهم قولا وانجمهم لما يحمد عليه الرجال فكان علمهم هذا كافيا لهم فى ترجيح جانب صدقه عليه الصلاة و السلام ﴿ قوله وقيل مااستفهامية ﴾ لكن ليس المراد حقيقة الاستفهام بل هو بمعنى النفى و الانكار فلهذا لم يرض به لان الاستفهام لما كان بمعنى الانكار الذى مآله النفى كان الاولى ان يحمل كلمة ما من اول الامر على النفى قصرا للمسافة وحملا للكلام على المعنى المتعارف ﴿ قوله اى شئ سألتكم ﴾ يعنى ان كلمة ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول سألتكم قدم عليه وقوله فهو لكم جوابها قال عليه الصلاة و السلام بعثت فى نسم الساعة اى حين ابتدأت واقبل اوائلها واصله من نسم الريح وهو اول هبوبها حين يقبل بلين قبل ان يشتد ﴿ قوله واياما كان يلزم احدهما ﴾

(وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك (وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل ان لاوجه لهم فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او مابلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولاتكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء (قل انما اعظكم بواحدة) ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى مادل عليه (ان تقوموا لله) وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد (مثنى وفرادى) متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول (ثم تتفكروا) فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او أعنى (ما بصاحبكم من جنة) فتعلموا مابه جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ماعرفوا من رجاحة كمال عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لايدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقيق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من آثار الجنون (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة (قل ما سألتكم من اجر) اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال فانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض اولغيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما

يعني ان النبي وهو ادعاء النبوة كاذبا سواء لغرض او لغيره يستلزم احد الامرين اي اما ان يكون لغرض او لغير غرض وذلك يستلزم ان يكون مجنونا او متوقعا لنفع دنيوي ولما نفى كل واحد منهما لزمه ان لا يكون متنبئا بل صادقا في دعواه ﴿قوله ما سألتكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا﴾ بان يتقرب اليه بالايمان والطاعة يريد أن ارضى بتقربه اليه واعتده كما يرضى المثاب بالثواب فالاجر المذكور في هذه السورة ان حمل على اتخاذ السبيل فمعنى كونه لهم ان يكون نفعه عائدا اليهم وكذا المودة في القربى لانه عليه الصلاة والسلام يعود نفعها اليهم من حيث ان قرباه قرباهم ثم ذكر ان اجره على الله تعالى وانه على كل شيء شهيد يعلم انه عليه الصلاة والسلام لا يطلب الاجر على نصحهم وتبليغ الرسالة اليهم الا منه تعالى ﴿قوله يلقيه وينزله﴾ يعني ان القذف في الاصل هو الطرح والالقاء مع الدفع والاعتماد واطلق ههنا على مجرد الالقاء فهو مجاز مرسل بطريق استعمال المقيد في المطلق والحق القرآن او الوحي والباء فيه زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم ﴿قوله او يرمي به الباطل﴾ اي يدفع الباطل بالقذف اي بالقاء الشيء ويزيله بايراد الحق عليه كما يدفع الشبح بان يقذف عليه ما يدمغه شبه ايراد الحق على الباطل لاذهاب الباطل بالقذف والقاء الشيء على الشيء بدفع واعتماد ثم ذكر القذف واريد ايراد الحق على الباطل لاذهابه به فيكون قوله يقذف استعارة تصريحية تبعية وكذا على قوله او يرمي به الى اقطار الآفاق حيث شبه نشر الاسلام واظهاره في الآفاق بالقاء الشيء على وجه الدفع والاعتماد ﴿قوله صفة محمولة على محل ان واسمها﴾ فان محلها الرفع على الابتداء قرأ الجمهور علام الغيوب بالرفع على انه صفة تابعة لمحلها ومن نصبه جعله نعتا لاسم ان او منصوبا على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث في الغين بالضم والكسر كالبيوت وبالفتح على انه صيغة مبالغة كالشكور والصبور وهو الامر الذي غاب جدا وخفي والكلب الصيود هو الماهر في امر الصيد ﴿قوله اي الشرك بحيث لم يبق له اثر﴾ يعني ان قولهم لا يبدئ فلان ولا يعيد عبارة يعبر بها عن هلاكه وموته كقولهم لا يأكل فلان ولا يشرب ولا يقبل ولا يدبر فان انقطاع آثار الشيء وتوابع وجوده من لوازم هلاكه وانتفائه فصح جعله كناية عنه روي ان المنذر بن ماء السماء كان ملكا وكان له يوم في السنة يذبح فيه اول من يلقى فيما هو يسير في ذلك اليوم اذا شرف له عبيد بن الابرص فقال عبيد لرجل ممن كان معه من هذا الشقي فقال له انه المنذر بن ماء السماء وفيه يوم بؤسه فلما رآه المنذر امر بقتله فقيل له امدحه فقال حال الجريض دون القريض فقال المنذر انشدنا قولك

* اقفر من اهله ملحوب * فالقطبيات فالذنوب *

فقال * اقفر من اهله عبيد * فاليوم لا يبدي ولا يعيد *

قوله اقفر اي صار الى القفر وهو مفازة لا نبات بها ولا ماء وملحوب موضع وكذلك القطبيات والذنوب والجريض الغصة من الجرض بالتحريك وهو الريق يغص به يقال جرض بريقه يجرض على مثال كسر يكسر وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد والقريض الشعر فكلمة ما في قوله تعالى وما يبدئ الباطل وما يعيد نافية ولا معمول ليبدئ ولا ليعيد اذ المراد لا يوقع الباطل هذين الفعلين وقيل مفعوله محذوف اي ما يبدئ الشيطان لاهله خيرا ولا يعيده كان كفار مكة يقولون لرسول الله عليه الصلاة والسلام انك ضللت حين تركت دين آبائك فنزل قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي قرأ العامة بفتح اللام في ضللت وكسرها في المضارع وقرئ بكسر اللام في الماضي وفتحها في الغابر وقرئ اضل بكسر الهمزة وفتح الضاد وهي لغة من يقول اعلم ﴿قوله فانه﴾ اي ضلال الشخص بسبب نفسه الجاهلة الامارة بالسوء وهو علة لكون وبال الضلال راجعا الى نفسه ﴿قوله وبهذا الاعتبار﴾ اي باعتبار ان النفس كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها وقع التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وبين قوله فبما يوحي الي ربي والا فلا تقابل بينهما ظاهرا لانه انما يظهر التقابل بينهما ان اورد فيهما كلمة على او كلمة الباء بان يقال ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لنفسي او بان يقال ان ضللت فانما اضل بنفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فيكون مدلول الآية على الاول بيان مآل الضلالة والهداية وعلى الثاني بيان سببهما فالجيء بعلى في الاول دلت على ان الضلال وبال على النفس والجيء بالباء في الثاني دلت على ان سبب الاهتداء هو هداية الله تعالى وتوفيقه وما يوحي الى القلب من الحكمة والعبر ولا تقابل بينهما ظاهرا الا انهما متقابلان من جهة المعنى لان قوله فانما اضل على نفسي في قوة ان يقال

(وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما سألتكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل نفعهم وقرباهم قرباهم (ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء (قل ان ربي يقذف بالحق) يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وابو بكر وحمزة والكسائي الغيوب بالكسر كالبيوت والباقي بالضم كالشعور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب (قل جاء الحق) اي الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

اقفر من اهله عبيد *

فاليوم لا يبدي ولا يعيد *

وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها (قل ان ضللت) عن الحق (فانما اضل على نفسي) اي وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله (وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه

فانه اصل بنفسي فالموضعان مشتملا على بيان السبب وان اشتمل الاول على بيان مآل الضلال ايضا ﴿قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا﴾ تتمة لتهديدهم هددهم الله تعالى اولا بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم وساق الكلام الى هنا ثم بين ان قدامهم امرا هائلا يفزعهم وهو انهم حيث ما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يفوتونه بل يأخذهم من ظهر الارض الى بطنها عند الموت او من الموقف الى النار عند البعث او من صحراء بدر الى القليب يوم بدر او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان الآية نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يأتون من قبل المشرق يقال لهم السفيانية يقصدون لكعبة لتخربوها فاذا دخلوا بيداء المدينة خسف بهم وقصتهم مذكورة في تيسير الامام النسفي وقرأ العامة فلا فوت مبنيا على الفتح واخذوا فعلا ماضيا مبنيا للفعول معطوفا على فزعوا وقيل على معنى فلا فوت اي فلم يفوتوا واخذوا وقرئ فلا فوت واخذ مرفوعين منونين وقرئ بفتح فوت ورفع اخذ على الابتداء من حيث كونه معطوفا على محل فلا فوت ومحله الرفع على الابتداء وخبره محذوف اي واخذ هناك او على انه خبر مبتدأ محذوف اي وحالهم الاخذ فيكون من عطف الجملة المثبتة على المنفية ولا تمين في هذه القرآءة كونه معطوفا على قوله فلا فوت لجواز كونه معطوفا عليه في قرآءة اخذوا ايضا ﴿قوله تعالى وقالوا آمنا به﴾ اي قالوا ذلك وقت فزعهم وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا او عند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حينئذ ثم نفى الله تعالى نفع الايمان عنهم بقوله وانى لهم التناوش والتناوش مبتدأ وانى خبره بمعنى من اين ولهم حال وهو تناول ما قرب منك بسهولة وقد انقضى وقت تناول الايمان وان كان انقضاؤه عن قريب صار ابعد ما يكون لامتناع الوصول اليه ابدا بخلاف يوم القيامة بالنسبة الى اهل الدنيا فانه قريب لكونه في صدد القرب والدنوّ شيأ فشيأ والغلوة مقدار رمية سهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان اي ارادة الاتصاف به خالصا بعد فوات وقته ومضيه وبعده عنهم او انه جعله تمثيلا اذ ليس في قوله آمنا به تناول الشيء من المكان فلا بأس فيه بالارادة الاتصاف بالايمان بعد فوات وقته وكونه ابعد ما يكون لامتناع الوصول اليه فتعين حمله على التمثيل وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة بعد الالف وقرأ الباقون بواو مضمومة فاحتملا ان يكونا مادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما روي عن ابي عمرو انه قال التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم تأشت اي ابطأت وتأخرت وفي الصحاح التناؤش بالهمزة التأخر والتباعد وقد تأشت الامر اناشه نأشا أخرته فانتأش ويقال فعله نئيشا اي اخيرا قال الشاعر

* تمنى نئيشا ان يكون اطاعني * وقد حدثت بعد الامور امور *

اي انه تمنى اخيرا وان يكونا مادة واحدة وتكون الهمزة مبدلة من الواو لزوم ضمة الواو كما في ادؤر واجوه في ادور ووجوه قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار يقال ناشه ينوشه نوشا اي تناوله قال الشاعر

* فهي تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع اجواز الفلا *

اي تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ماء آخر والاجواز جمع جوز وجوز كل شيء وسطه ويحتمل ان يكون التناؤش بالهمز من نأش بمعنى التطلب كما في قوله

* اقحمني جار ابي الجاموش * اليك نأش القدر النؤوش *

اي كتطلب القدر الطالب اقحمه اي كلفه واوقعه في الامر الشديد من القحمة بالضم وهي المهلكة ومعظم الطريق مصاعبه والجاموش لغة في الجاموس ﴿قوله ويتكلمون بما لم يظهر لهم﴾ يعني ان القذف بمعنى رمي الغفلة باللسان والتكلم من غير روية والغيب الشيء الغائب عنهم غير المعلوم لهم فان قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام انه شاعر ساحر مفتر كذاب ونحو ذلك تكلم بالغيب لانهم لم يشاهدوا منه عليه الصلاة والسلام شيأ من ذلك واتوا به من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام لان ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم الكذب والزور وكذا انكارهم احوال الآخرة رأسا وقولهم ان كان الامر كما تزعمون من قيام الساعة والحساب والميزان والثواب والعقاب فنحن بمعذبين لانه تعالى اكرمنا بالاموال والاولاد فلا يهيننا بالتعذيب في دار اخرى فانه ايضا تكلم بالغيب يقذفون به من جهة بعيدة حيث قاسوا امر

(ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا (فلا فوت) فلا يفوتون الله بهرب او تحصن (واخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ (وقالوا آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مرّ ذكره في قوله ما بصاحبكم (وانى لهم التناوش) ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها او لانه من نأشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة شعر

اقحمني جار ابي الجاموش * اليك نأش القدر النؤوش *

او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله شعر

تمنى نئيشا ان يكون اطاعني * وقد حدثت بعد الامور امور *

فيكون بمعنى التناول من بعد (وقد كفروا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام او بالعذاب (من قبل) من قبل ذلك اوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه

(من مكان بعيد) من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوابها في امر الرسول صلى الله عليه وسلم وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من رمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وتجرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من كفرة الامم الدارجة (انهم كانوا في شك مريب) موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

الآخرة على امر الدنيا ومعلوم ان دار الجزاء لا تقاس بدار التكليف ﴿قوله ولعله تمثيل لحالهم﴾ وهي التكلم بما لم يظهر لهم من المطاعن في حقه عليه الصلاة والسلام ومن البت في نفي العذاب على وجه بعيد الاول من حاله عليه الصلاة والسلام والثاني من حكمة الله تعالى وعدله شبه حالهم هذه بحال من رمى شيأ يكرهه من مكان بعيد ﴿قوله والعطف على وقد كفروا﴾ وهو جملة حالية فيكون ما عطف عليه ايضا حالا فكان الظاهر ان يقال وقذفوا بالغيب الا انه جيء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية بان قدر ان ذلك الفعل الماضي واقع في حال التكلم كأنك تحضره للمخاطب ليتعجب منه ﴿قوله او على قالوا﴾ كأنه قيل ولو ترى اذ قالوا آمنا به ويقذفون بالغيب اي ما غاب وفات عنهم وهو الايمان في الدنيا ومعنى قذفهم اياه طلب تحصيله والاتصاف به بعد فوات وقته وعبر عنه برمي المطلب الغائب من مكان بعيد تشبيها له به في كون المطلب مستبعدا بحيث لا يطمع في حصوله ﴿قوله موقع في الريبة او ذي ريبة﴾ فالمريب على الاول اسم فاعل من اراب المتعدي وعلى الثاني من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ووقع فيها وعلى التقديرين اسناد الارابة الى الشك مجاز اسند فعل صاحب التشكيك الى الشك على الاول وفعل صاحب الشك الى نفس الشك على الثاني حيث جعل الشك ذا شك كما جعل الشعر شاعرا فان المريب بالمعنى الاول هو المشكك وبالمعنى الثاني هو الشاك اطلق كل واحد منهما على نفس الشك للمبالغة * تمت سورة سبأ والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده في اواسط آخر الجمادين من شهور سنة خمس وثلاثين وتسعمائة

﴿ طبع في المطبعة النفيسة العثمانية لا زالت شرفها الى يوم القيامة ﴾
١٣٠٦

﴿ هذا فهرس الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ﴾

﴿ هذا فهرس الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ﴾

هذا فهرس الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي